المشرق

مجلّة كاثوليكية تصدر مرّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علمية وادبية وفنية

بادارة آباء كلّيّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

السنة الخامسة

١٩٠٢

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكًا لبيروت و١٥ فرنكًا للخارج

طبع في بيروت بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين سنة ١٩٠٢

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

Sous la direction des Pères de l'Université St Joseph

Paraissant le 1 et le 15 de chaque mois
en un fascicule de 48 pages, grand in-8°
avec illustrations selon les besoins du texte.

CINQUIÈME ANNÉE

1902

Prix de l'abonnement annuel: Beyrouth 12 francs — Union postale 15 francs.

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1902

المشرق

سنتنا الخامسة

دخل مشرقنا والحمد لله في سنته الخامسة وهو لم يفقد بايدهِ تعالى شيئًا من بهائهِ الاول ولا غرو فانهُ يستمدُّ نورهُ من شمس الحق التي لا يكسفها ظلام ولا يحجبها غمام ولذلك قد اتخذ لهُ شعارًا قول يوحنَّا الحبيب « ان الله نور وليس فيهِ ظلمة البتة »

وما ينشّط قوانا ويبعث هممنا ان اهل الشرق وفي مقدمتهم ائمة الدين واربابهُ الافاضل قدَّروا مساعينا قدرها فلم يأبوا ان يقتبسوا من انوار مجلتنا ويستضيئُوا بمنارها بل كثيرًا ما اعربوا عن رضاهم السامي بخطتها في المباحث نفعنا الله بمشورتهم وقوَّانا بصالح أدعيتهم

والحقُّ يقال اننا سلكنا حتى الآن الطريقة المثلى فذينا عن حمى الدين ولم نقصِّر عن طرق ابواب العلوم وانتهاج سبل المعارف البشريَّة كافَّة . وقد تحرَّينا في مقالاتنا البحث عن الشرق واخبارهِ وكشف مكنون اسرارهِ قيامًا بوعدنا في لائحةٍ صدَّرنا بها السنة الاولى من المشرق . وقد شهد لنا الكرام بوفاء العهد . منهم صاحب المناظر حيث قال (في عددهِ ١٢٧) :

« تصفحنا اكثر ما صدر من مجلة المشرق حتى الآن فوجدنا انها قامت بهذا الذي تعهّدت بهِ قياماً وافياً . قالت انها ستكون مجلّة شرقية محضة فكانت كذلك . والمعنى انها جعلت المواضيع الشرقية همّها فاجتهدت في توفيتها ووفّتها . والمشرق هي المجلّة العربية الوحيدة التي جرت على منهاج انشاء المجلّات الاوربيّة المعروفة وليس لمجلّة اخرى مثل ما لها من الاستعداد فلو انها غير مقيدة (كذا) لما امكن لواحدة اخرى ان تجاريها » . . . ثمّ ختم بقوله: « فلا يسعنا الّا ان نقول ان المشرق في ابحاثها الشرقية احسن من كل مجلّة اخرى » . فهذا الثناء مع ما فيهِ من المغالاة يدلّ على ان سهمنا لم يطش في طلب الغاية

وقد احببنا في غرّة هذه السنة الجديدة ان نتحف قراءنا بتذكار يزينون بهِ منازلهم يستلفت في كل آن انظارهم ألا وهو تقويم المشرق الذي اثنت عليهِ الجرائد الوطنية باتفاق الاصوات . وممّن وفوهُ حقّهُ من المديح جناب الدكتور البارع شاكر بك الخوري فشبّه قوسهُ بقوس الغمام وطرّتهُ حيث يلوح شعار « مجد الله الاعظم » بنجم المجوس يقود من يهتدي بهِ الى معرفة ما صنّفهُ كتبة المشرق في خدمة الله وبثّ العلوم . ثمّ انهى وصفهُ بهذه الابيات:

بعد الفٍ ثمّ تسعَ م مائةٍ واثنين عامْ
عاد للمشرق نجمٌ نورهُ يمحو الظلامْ
فيهِ تقويمٌ لعامٍ فيهِ تقويمُ الانامْ
وجههُ الزاهي ينادي دون ان يبدي كلامْ
في العُلى فهِ مجدٌ وعلى الارض السلامْ

كلندار الكنيسة الانطاكيّة

في القرن الحادي عشر

لابي ريحان محمد بن احمد البيروني
نشرهُ وعلّق حواشيهُ الاب لويس شيخو اليسوعي

ابو ريحان البيروني من اجلّاء المهندسين واحد ائمّة علماء المسلمين كان مولده ومنشأهُ في بيرون من مدن السِّند في القرن الرابع للهجرة . وتوفي سنة ٤٤٠ ﻫ (١٠٤٩م) . قال البيهقي : « وقد سافر في بلاد الهند اربعين سنة وصنَّف كتباً كثيرة . . . وزادت تصانيفهُ على حمل بعير وكان موفَّقاً في هذا السعي المشكور » . ومن تآليفهِ الجليلة كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية تولى نشرهُ في لبسيك الدكتور ادوار ساخو المستشرق الشهير سنة ١٨٧٨ . وهذا الكتاب كلّهُ فوائد قد اخترنا منهُ هذا الفصل لتعريف احوال نصارى الشرق واعيادهم في القرن الحادي عشر للمسيح بنسبة ابتداء السنة الجديدة وهو الكلندار الذي كانت تتبعهُ الكنيسة الانطاكية الملكيَّة . وقد تركنا بعض تفاصيل لم نرَ في ذكرها كبير جدوى دلّلنا عليها عند الحذف بنقط متتابعة . ومن اراد المقابلة بين هذا الكلندار والكلندار الحاليّ فليطلب كتاب الاب نيقولا نيلبس اليسوعي Nilles : *Kalendarium utriusque Ecclesiæ*, 2ª edit.

القول على ما يستعملهُ النصارى الملكانية في الشهور السريانيّة

النصارى مفترقون فِرقاً فالاولى منهم الملكانية (١ وهم الروم وانما سُموا بذلك لان ملك الروم على قولهم (٢ وليس بالروم سواهم . والثانية النسطوريّة منسوبون الى نسطورس المُظهِر لرأيهم في سنة سبعمائة ونيف وعشرين للاسكندر . والثالثة اليعقوبية وهذه مَعاظم فِرَقهم . وفيما بينهم في الاصول التي هي الاقانيم واللاهوتيَّة والناسوتية والاتحاد اختلافات يتباينون بها . ومنهم فرقة تسمى الاريوسيَّة ورأيهم في المسيح اقرب الى ما عليهِ اهل الاسلام وابعد ممَّا يقول بهِ كافَّة النصارى . . . والنسطوريّة اكثرهم عدداً لان الروم وحواليها كلها ملكانيَّة . ومن بالشام والعراق وخراسان اكثرهم نسطوريّة . فامَّا اليعاقبة فاكثرهم القبط ومَن حوالي مصر (٣ ولهم ايَّام يستعملونها في شهور

١) الملكانيَّة على لفظها السرياني ܡܠܟܝܐ كالملَكيين في العربيَّة

٢) دعاهم باسم الملكيين اعداء المجمع الخلقيدوني فزعموا انَّهم بطاعتهم لحكم المجمع آثروا قول الملك مرقيان على الحقيقة ٣) هذا القول اجماليّ وسترى في اثناء هذه المقالة ان الملَكيين كانوا ممتدّين في العراق والعجم وما بين النهرين . وكذلك كان في الشام ملكيُّون وموارنة ويعاقبة ونساطرة

السريانيين يتفقون في بعضها ويختلفون في الاخرى. امَّا الاتفاق فمن جهة اشتهارها قبل حدوث التباين في المذاهب. وامَّا الاختلاف فلاختصاص المذاهب والبقعة بذلك دون الآخر وايّام أُخرى مضافة الى صومهم الأكبر والاسابيع المنسوبة الى مشاهير الأيّام وفيها اتفاق واختلاف كما في الاولى . وانا ذاكر ما عليــهِ الملكانيَّة من استعمالهِ في شهور السريانية في خوارزم...

تشرين الاول (١ في اليوم الاول منهُ ذِكران حنين (٢ الاسقف الشهيد تلميــذ بولس. ومن رسومهم في هذه الذكارين انهم يذكرون صاحبهُ ويدعون لهُ ويُثنون عليــهِ ويتضرَّعون الى الله باسمهِ ويُسمون كلَّ مولود يولد فيهِ وبعدهُ الى الذكران الاخر باسمهِ وربَّما قسمَ الذكارينَ بعضُهم على بعض فيقولون «فلان صاحب ذكران فلان» فاذا كان الذكران اجتمعوا عندهُ فاضافهم واطعمهم. وفي ٢ ذكران حيرث (٣ النجرانيّ الشهيد مع الشهداء. وفي ٣ ذكران ماريَّة (٤ الراهبة التي لبست ثياب الرجال وترَّهبت... وفي ٤ ذكران ديونيسيوس الاسقف المنجّم (٥ تلميذ بولس. وهــذه النِسب هي مراتب دينية وذلك لانهم في دينهم على تسع مراتب فصاحب المرتبــة الاولى فسلطا (٦ والثانيــة قارويا (٧ والثالثــة هبوقدياقنا (٨ والرابعــة مشمشانا (٩ وهو الشماس والخامسة قشيشــا (١٠ وهو القس والسادسة بسقوفــا (١١ وهو الاسقف

١) قال الاب نيلس (Kalend. utriusque Ecclesiæ I, 265) انَّ السنة الكنسيَّــة القسطنطينيَّة تبتدئ في غرَّة ايلول امَّا السنة القيصريَّة فبدؤها في ٢٨ منــهُ». والبيروني قد جرى على الحساب الاخير. وكان هذا الحساب جاريًا في معظم بلاد الشرق ٢) ذكران جمعهُ ذكارين من السريانيَّة ܕܘܟܪܢܐ اي ذكر وعيد . وحنين هو حنانيًا معمّد بولس الرسول
٣) هو القديس الحارث صاحب نجران الذي قتلهُ ورفقتَهُ ذو نواس اليهودي ٤) وتدعى ايضًا مارينا ٥) هو الاريو باغي وقولهُ « المنجّم » لعلَّهُ يشير الى رصدهِ الشمس وقت وفاة المسيح
٦) ويقال پسلطا على لفظها السرياني ܦܣܠܛܐ من اليونانية ψάλτης
٧) من السريانية ܩܪܘܝܐ وهو القارئ
٨) كذا في الاصل. والصواب « هپودياقنا » على اللفظ السريانيّ ܗܘܦܘܕܝܩܢܐ من اليونانيَّــة ὑποδιάκονος وهو الشمَّاس الرسائلي
٩) من السريانية ܡܫܡܫܢܐ ومثلها ايضًا الشمَّاس
١٠) من ܩܫܝܫܐ ومثلها ܩܫܐ وهما في الاصل الشيخ ثمَّ أُتخذا للكاهن
١١) على لفظها السريانيّ ܐܦܣܩܘܦܐ من اليونانيَّــة ἐπίσκοπος وهو الناظر والراعي ثمَّ استُعمل للاسقف

ويكون من تحت يد المطران والسابعة مطرابوليطا (١ وهو من تحت يد الجاثليق ومقام مطران خراسان للملكانيّة بمرو (٢ والثامنة قاثوليقا وهو الجاثليق(٣ ومقام جاثليق الملكانيّة من بلاد الاسلام بمدينة السلام وهو من تحت يد بطريق انطاكية. فامّا جاثليق النسطوريّة فيكون من عند الخليفة امير المؤمنين على رضى من جمهورهم لهُ. والتاسعة باطريارخا (٤ وهو البطريق وهذه المرتبة للملكانيّة فقط والبطارقة في الدين اربعة ابدًا كلما مات احدهم أُقيم بدلهُ آخر باتفاق من الباقين والجثالقة وغيرهم من ارباب المناصب واحد البطارقة يُقيم بالقسطنطينية والثاني برومية والثالث بالاسكندريّة والرابع بانطاكية ويسمون هذه البلدان كراسي وليس فوق البطريق مرتبة ولا دون يسلطا بل ربّما عدُّوا المراتب الى عند الشماس ولم يعدُّوا ما دونهُ من اصحاب الالحان وخدَم المذابح في اصحاب المراتب ولكل واحدة من هذه المراتب حدودٌ ورسوم وأحوال ليس هذا موضع شرحها

وحكى ابو الحسين احمد بن الحسين الاهوازي الكاتب في كتاب معارف الروم ما عاينهُ بالقسطنطينية وبلاد الروم من المراتب الدينيّة والسياسية فذكر انَّ اول الدينية البَطرَيرخس وهو نافذ الامر في الملك ثم خرنسخس (٥ وهو صاحب الدير الاعظم ثم بِسقُبس وهو الاسقف ثم مِترابُلتس وهو الحاكم ثمَّ غُومِنُس(٦ وهو صاحب دير معظم عندهم ثمَّ قَلوجِرُس (٧ وهو قريب المرتبة منهُ ثم باباس (٨ وهو القس ثم الدياقُن (٩ وهو الشمّاس. والاعتماد في ذلك على ما ذكرنا اولًا فان ابا الحسين خلط باهل المراتب الرسومة قوماً وان عظموا فليسوا من اصحابها وربّما كانوا احدثها وليس تلك الصفة منها(١٠

وامّا المراتب الدنياويّة السياسيّة فاوّلها بَسيليوس (١١ وهو قيصر ملك الروم

١) على لفظها السرياني ܡܝܛܪܘܦܘܠܝܛܐ ويقال ايضاً ܡܝܛܪܢ مطران وكلاهما من اليونانية μητροπολίτης
٢) من هنا تعلم ان الملكين كانوا قديماً منتشرين حتَّى اقصى بلاد العراق والعَجم
٣) الجاثليق او قاثوليقا على اللفظ السرياني ܩܬܘܠܝܩܐ من اليونانية Καθολικός استُعملتا بمعنى عظيم المطارنة او رئيسهم
٤) على لفظها السرياني ܦܛܪܝܪܟܐ من اليونانية πατριάρχης
٥) نظنُّهُ تصحيف خُرُفسُخُفُس χωρεπίσκοπος
٦) من اليونانيَّة ἡγούμενος
٧) من اليونانية καλόγερος, ومعناهُ الشيخ المكرَّم
٨) πάππας او πάπας بمعنى الاب
٩) من διάκονος
١٠) يريد انَّ هذه الرُّتَب ليست رُتَب دينيَّة. وبعضها رُتَب كنسيَّة شرفيَّة
١١) من βασιλεύς ملك

ثمَّ اللُّغُثيط (١ وهو وزيرهُ والمترجم عن كلّ لغة وبعدهُ بركومنس (٢ حاجب الحجّاب ثمَّ الدمستق (٣ صاحب الجيش ثمَّ اكسيوطس (٤ وهو ثقة الملك في الجيش ونظير الدمستق لا ينزل احدهما لصاحبهِ ثمَّ أرخُن بترخن (٥ وهو الذي البطارقة تحت يده ثمَّ البطريقيس (٦ وهو البطريق. والبطارقة في الجيش شبه عظماء القوّاد لا كما ذكرناهم في المراتب الدينية ومن خاف اشتباه الاسمين سمّى الدينيَّ بطركا ثمَّ الرغاطر (٧ وهو عارض الجيش ومُطلق الاطماع ثم مرتبة اصراذغوس (٨ وهو نصف بطريق ثمَّ برتس بتارس (٩ وهو ثقــة الملك في عسكر البطريق واليهِ يرجع البطريق فيما فعلهُ ثمَّ مغلاويتس (١٠ صاحب مقرعــة الملك ثمَّ اكسيرخس (١١ صاحب الف رجل ثمَّ قطنطاروس (١٢ صاحب مائة رجل ثم بنتقنطارس (١٣ صاحب خمســين رجلًا ثمَّ تسرقنطارس (١٤ صاحب اربعين ثم ترينطارس (١٥ صاحب ثلثين ثم ايقسيطارس (١٦ صاحب عشرين ثم ديقرخس (١٧ صاحب عشرة رجال

ونعود فنقول انَّ في اليوم ٥ من هذا الشهر ذكران اصحاب الكهف بمدينة افسس وهو المذكور في القرآن العزيز. وفي ٧ ذكران سرجيس وبكُّوس الشهيدين. وفي ١٠ ذكران زكريّا النبي وهو بشارة الملائكة ايّاهُ بابنهِ يحيي على ما ذُكر في القرآن العزيز وفُصِل في الانجيل. وفي ١١ ذكران قبريانوس الاسقف الشهيد. وفي ١٤ ذكران اغريغورس النوسيّ (١٨

---

١) من λογοθέτης هو كالحاجب الاعظم

٢) ويروى: بركومنس. لفظة محرَّفة من προχείμενος اي مقدَّم

٣) اصلها من اللاتينيَّة domesticus بمعنى الخادم ثم استُعملت بمعنى قائد الجيش

٤) من اليونانية ἀξιώτατος المعظَّم ٥) من ἄρχων πατριχίων اي رئيس البطارقة

٦) من πατρίχιος اصلها من اللاتينيَّة patricius ٧) من اللاتينيَّة erogator اي مقسّم الزاد والأطماع ٨) من στρατηγός اي قائد الجيش ٩) من πρωτοσπαθάριον اي رئيس الخصيان وكانت رتبتهُ مهمَّة عند ملوك الروم ١٠) لم نجد اصل هذه الكلمة . ونظنُّها مصحَّفة ١١) هي تصحيف خِلِيَرخس χιλίαρχος اي رئيس الف

١٢) ἑκατοντάρχης كاليوزباشي في عهدنا ١٣) تصحيف πεντηκοντήρ

١٤) تصحيف τεσσαρακοντήρ ١٥) تصحيف τριακοντήρ

١٦) من εἰκοσίαρχος ١٧) من δέκαρχος فترى انَّ ابا الحسين نقل عن اليونانية كلّ اسماء الرُّتَب كما سمعها في القسطنطينية. ورواها مصحَّفةً وخلط في بعض معانيها. امَّا الرتب التي ذكرها البيروني فهي الرُّتب الدينيَّة وقد اخذها كلها حقّ اليونانيَّة منها عن السريانيَّة

١٨) يريد غريغوريوس النيصصي

الاسقف.وفي ١٧ ذكران قوزما وداماني الطبيبين الشهيدين.وفي ١٨ ذكران لوقا صاحب الانجيل الثالث.وفي ٢٣ ذكران انسطاسيا الشهيدة . وفي ٢٦ ذكران وضع رأس يحيي ابن زكريّا في القبر (١

تشرين الآخر في ١ منهُ ذكران قرنوتس (٢ الشهيد.وفي ١١ ذكران مينا الشهيد. وفي ١٥ ذكران سمونا وغريّا وحبيب الشهداء(٣.وفي ١٦ اول الصوم لميلاد عيسى بن مريم المسيح وهو اربعون يوماً متوالية تُصام قبلهُ . وفي ١٧ ذكران اغريغورس صاحب الاعاجيب المُعجزة.وفي ١٨ ذكران ارمانوس(٤ الشهيد.وفي ٢٠ ذكران اسحق وتلميذه ابرهيم الشهيدين.وفي ٢٥ ذكران بطرس الاسقف بالاسكندريّة.وفي ٢٧ ذكران يعقوب المقطوع إربًا إربًا (٥.وفي ٣٠ ذكران اندريوس الشهيد وذكران اندريوس السلّيح(٦

كانون الاول في ١ منهُ ذكران يعقوب الاسقف الاول بايليا (٧.وفي ٣ ذكران يوانيس الاب مؤلف رسوم النصرانية (٨.والابوّة عندهم غاية التعظيم في الخطاب لانّ اصولهم مبنية على ذلك ورسوم دينهم ليست مشروعةً وانما استخرجها ائمتهم المعظمون على قوانين أقاويل المسيح والسليحين.وهذا المذكور منهم.وفي ٤ ذكران بربارا و يولياني الشهيدتين.وفي ٥ ذكران سابا رئيس الدير ببيت المقدس.وفي ٦ ذكران نيقولاوس البطريق بانطاكية(٩.وفي ١٣ ذكران الشهداء الخمسة.وفي ١٧ ذكران موذسطوا البطريق بايليا. وفي ١٨ ذكران سيسين الجاثليق الخراساني (١٠. وفي ٢٠ ذكران اغناطيوس البطريق الثالث بانطاكية.وفي ٢٢ ذكران يوسف الرامثاني البولوطاني (١١ الذي دفن جسد

١) نظنّهُ يريد ذكر دفن جسمهِ على يد تلامذتهِ كما ورد في انجيل مرقس (٦:٢٩)
٢) هذا الاسم مصحَّف. وجاء في نسخةٍ قونوس. لعلَّهُ « قونون » الشهيد
٣) من شهداء مدينة الرها في ايَّام ديوقلسيانس ٤) لعلَّهُ تصحيف رومانوس
٥) احد شهداء العجم في ايَّام ازدشير ٦) قد وهم البيروني بظنّهِ ان اندراوس الرسول هو غير اندراوس الشهيد ما لم يُرِدْ اندراوس الاقريطش. وقولهُ: « السلّيح » من السريانية ܫܠܝܚܐ ومعناها المُرسَل او الرسول ٧) ايليًا من اسماء القدس الشريف من اللّاتينيَّة Ælia
٨) يوانيس هذا هو القديس يوحنًا الدمشقي الشهير (راجع كلندار الاب نيلس ١ : ٨٤١)
٩) هو القديس نيقولا اسقف مرا من اعمال ليقية الشهير
١٠) ويُروى: سبسين. فلا نعلم أيريد القديس سيسين الاسقف الشهيد او أكفسيماس المطران المستشهد في بلاد خراسان
١١) الراثاني اي من الرامة. والبولوطاني نظنُّها من πολύθεος اي الوثني الاصل (؟)

المسيح في قبرٍ كان هيَّأهُ لنفسهِ على ما ذُكر في اواخر الاناجيل الاربعة . وفي ٢٣ ذكران جيلاسيوس الشهيد وفي الليلة التي يتقدَّمها الخامس والعشرون من هذا الشهر وهو ليلتهُ على مذهب الروم عيد يلدا (١ وهو ميلاد المسيح وكانت وقتئذٍ ليلة الخميس فاكثر الناس يذهبون الى ان هذا الخميس كان الخامس والعشرين وليس كذلك انما هو السادس والعشرون ومن شاء ان يجرّب ذلك بالطرق المتقدمة لتلك السنة فليفعل فان اول كانون الاول اتفق فيها يوم الاحد . وفي ٢٦ ذكران داود النبي ويعقوب الاسقف (٢ بابليا . وفي ٢٧ ذكران اسطفانوس رئيس الشماسين . وفي ٢٨ قتل هيرودس الملك صبيان بلد الخليل (٣ واطفالهم متفقِّدًا للمسيح وقاصدًا لقتاهِ في الجملة كما ذكروا في اول الانجيل . وفي ٢٩ ذكران انطونيوس الشهيد زعموا انهُ ابو روح ابن عم هرون الرشيد وانهُ تنصَّر بعد الاسلام فصلبهُ هرون ولهُ عندهم قصة طويلة عجيبة . . .

كانون الآخر في اليوم ١ منهُ ذكران باسيليوس وهو ايضًا عيد القلنداس وتفسير قالندس (٣ خيرًا كان وفيهِ يجتمع صبيان النصارى ويطوفون في بيوتهم ويخرجون من دار الى أُخرى ويقولون « قالندس قالندس » بصوت عالٍ ولحن فيُطعَمون في كل دار ويُسقَون أقداحًا من الشراب . فبعضٌ يزعم ان ذلك لانهُ رأس السنة عند الروم وهو تمام الاسبوع من ولادة مريم . ويزعم بعضٌ انَّ آريوس لمَّا ظهر رأيهُ وتابعهُ من تابعهُ استولى على بيعة من بيعهم فخاصمهُ اهلها ثمَّ تراضوا واصطلحوا على ان يغلقوا بابها ثلثة ايام ثمَّ يجيئوهُ معًا ويقرأون عليهِ بالنوَب فمن انفتح لهُ الباب فهو مستحقُّها ففعلوا ذلك ولم يُفتح لاريوس وانفتح لهم كما زعموا . فلذلك يفعل صبيانهم ما يفعلون تشبيهًا بالبشارة التي بُشِّروا بها في ذلك الوقت . وفي ٢ ذكران سيليبسطروس المطران (٥ الذي تنصَّر اهل قسطنطينيَّة على يدهِ . وفي ٥ صوم عيد الدنح (٦ وفي ٦ دنحا وهو عيد الدنح نفسهُ ويوم المعمودية الذي

١) من السريانية ܝܠܕܐ اي الميلاد ٢) ان بعض الشرقيين يميّزون ثلاثة قديسين باسم يعقوب : اولهم يعقوب الرسول ابن زبدى اخو يوحنا والثاني يعقوب اخو الربّ اسقف اورشليم والثالث يعقوب بن حلفا (راجع كلندار الكنيستين للاب نيلس ١ : ١٤٨)

٣) والصواب بيت لحم . لانَّ بلدة الخليل هي حبرون ٤) اصل قلنداس او قلندس من اللاتينية (Kalendæ) اي رأس الشهر او السنة استُعملت بمعنى البُشرى والتهنئة بالعام الجديد

٥) هو البابا سلفسطروس الذي عمَّد قسطنطين الملك

٦) الدنح من السريانيَّة ܕܢܚܐ اي الظهور والمراد ظهور الربّ يوم عماده

صبغ فيهِ يحيي بن زكريّا المسيحَ وغمسهُ في ماء المعموديَّة بنهر الاردن عند بلوغ ثلثين سنة من عمرهِ واتصل بهِ روح القدس شبه حمامة نزلت من السماء على ما ذُكر في الانجيل. وكذلك يفعلون باولادهم اذا اتى للطفل منهم ثلث سنين او اربع فانَّ اساقفتهم وقسوسهم يملأون اجّانةً ماء ويقرأون عليهِ ثم يغمسونهُ فيهِ فاذا فعلوا ذلك بهِ فقد نصَّروهُ...وذكر ابو الحسن الاهوازي في كتاب معارف الروم صفة التنصّر وهو انهُ يُقرأ عليهِ سبعة أيام في البيعة غدوًا وعشيًا فاذا كان السابع عُرّي ودُهن جسده كلهُ بالزيت ثمَّ صُبَّ الماء المسخَّن في آنية رخام منصوبة في وسط البيعة. ويُنقّط القس على وجه الماء بالزيت خمس نُقط على مثال الصليب اربعًا وواحدةً وسطها. ثم يُشال ويُحطّ رجلاه جميعًا فوق النقطة الوسطى ويُجلَس في الماء. ويأخذ القس من احد جوانبهِ ملء كفهِ ماء فيصبُّهُ على رأسهِ ثمَّ من جانب آخر الى ان يأتي على الجوانب الاربعة على مثال الصليب ويتنحّى القس عنهُ. ويجيء من يريد ان يأخذهُ من الماء وهو الذي اجلسهُ فيهِ. فيغسلهُ القس وجميع من في البيعة يقرأون ثم يُخرج من الماء ويُوشَّح بإزار ويُحمل حملًا لئلا تمسّ رجلهُ الارض. ويصيح اهل البيعة كلهم سبع مرات كيرياليسن اي يارب ارحمنا ويُلبَس ثيابَهُ وهو محمول. ثمَّ يُحطُّ عنهُ ويلزم البيعة او يتردَّد اليها سبعة ايام فاذا كان اليوم السابع غسلهُ القس بلا زيت ولا في تلك الآنية الاولى

وفي ١١ منهُ ذكران ثاودسيوس الراهب المعذّب نفسهُ والمثقّلها بالحديد. وفي ١٣ تمام عيد الدنح وقتل الصلحاء القديسين بطورسينا. وفي ١٥ ذكران بطرس بطريق دمشق(٢. وفي ١٧ ذكران انطونيوس اول الرهابنة ورئيسهم. وفي ٢٠ ذكران اوثيميوس الراهب المعلّم. وفي ٢١ ذكران مكسيموس الراهب الفريد. وفي ٢٢ ذكران قوزما الذي استنبط قوانين النصارى ونواميسهم (٣. وفي ٢٥ ذكران بوليقارفوس الاسقف الشهيد المحرَّق بالنار. وفي ٢٧ ذكران يوانيس الملقَّب بفم الذهب. ويوانيس لفظة روميَّة لاسم يوحنًا. وفي ٣١ ذكران يوانيس وقورس الشهيدين

شباط في اليوم ١ ذكران افريم المعلّم(٤. وفي ٢ عيد الشمع وهو اتيان مريم هيكل بيت المقدس مع عيسى وقد مضى من ميلادهِ اربعون يوماً وهذا عيد اليعقوبيَّة وهو

---

١) هو بطرس الدمشقي المستشهد في عهد الامويين ٢) استشهد ايَّام الوليد

٣) هو قوزما صاحب الاناشيد معاصر القديس يوحنَّا الدمشقي ٤) هو القديس افرام السرياني

عندهم عيدٌ عظيم . . . ومن هذا اليوم الى مضي ثمانية ايام من آذار يكون وقت اوّل صومهم وسنذكره ان شاء الله . واذا كانوا صائمين لم يستعملوا من الذكرانات التي نذكرها الّا ما وقع منها يوم السبت فانهم يستعملونهُ فقط . وفي ٣ ذكران بلاسوس الشهيد وهو قتلهُ المجوس . وفي ٥ ذكران سيس (١ الجاثليق اوّل من اورد النصرانيّة الى خراسان . وفي ٢٤ ذكران وجود رأس المعمدان وهو يحيى بن زكريّا (٢

اذار في اليوم ٧ منهُ ذكران الشهداء الاربعين المعذَّبين بالنار والبرد والجليد . وفي ١١ ذكران سوفرنيوس البطريق ببيت المقدس . وفي ٢٥ عيد السُّبَّار (٣ وهو دخول جبرائيل عليهِ السلام على مريم مُبشِّرًا بالمسيح ومنهُ الى الميلاد تسعة اشهر وخمسة ايّام وشي . (٤ وهو مكثٌ طبيعيّ لاستقرار المولود في بطن الامّ وعيسى وان عدم ابوّة الانس وأُيّد بروح القدس فلم يخلُ في العالم عن التقلُّب في موجَب الطبيعة فالاولى بمكثهِ في البطن ان يكون طبيعيًّا ايضًا (التتمَّة لعددٍ آخر)

حكم الامام عليّ بن ابي طالب

تولى نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

للامام عليّ حكَم عديدة جمعها كثير من الادباء وقد نُشر منها قسم صالح في نهج البلاغة وبعض التآليف الادبية المطبوعة في الشرق والغرب . وقد وقفنا على نخبة منها ممّا اختارهُ احد الافاضل وحررهُ سنة ٧٢٧ ﻫ (١٣٢٧م) في مجموع نصونهُ في مكتبتنا الشرقية . وهو المجموع الذي اخذنا عنهُ رسالة مكارم الاخلاق للثعالبي (المشرق ٣ : ٣٨) ورسالتي الطير لابن سينا والامام الغزالي (٤ : ٨٨٣) . وقد انتخبنا من هذه الحكم ما رأيناهُ احرى بالمقام وكثير منها لم نجدهُ على لفظهِ في الكتب المطبوعة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال امير المؤمنين عليّ ابن ابي طالب كرَّم الله وجههُ ورضي عنهُ : العالم حديقةٌ سياجها

١) ويُدعى سيسويس (Sisoes)
٢) وُجد رأس يوحنّا المعمدان مرّتين الاولى في اورشليم ثمَّ فُقد في ايّام الاضطهادات فوُجد ثانيةً في حمص
٣) السُّبَّار من السريانية ܣܒܪܐ معناها البشارة
٤) يريد اشهرًا قمريّة

الشريعة والشريعة سلطان تجب لهُ الطاعة والطاعة سياسة يقوم بها الملك والملك راع يعضدهُ الجيش والجيش أعوان يكفلهم المال والمال رزقٌ تجمعـهُ الرعية والرعيَّة سواد يستعبدهم العدل والعدل اساس

فعند ذلك قام اليهِ عبَّاد بن قيس فقال: يا امير المؤمنين اخبرنا ما الايمان وما الدين. قال(١: يا ابن قيس انَّ الله جلَّ ثناؤهُ ابتدأ الامور بعلمهِ واخلص ما احبَّ وكان ممَّا احبَّ انهُ اختار الدين لعبادهِ وانتحلهُ مَن احبَّ من خلقهِ وجعله عزًّا لمن اتاهُ وسلمًا لمن دخلهُ وهدًى لمن ائتمَّ بهِ وزلفةً لمن تجلَّلهُ وعونًا لمن عقلهُ ومعرفةً لمن نطق بهِ وحبلًا وثيقًا لمن تعلَّق بهِ ونجاةً لمن صدق ولباسًا لمن اتَّقى وكنفًا لمن آمن. فهو ابلج المناهج بيّن السراج مُشرق المنار ذاكي المصباح رفيع الغاية يسير المسلك قديم العدَّة متنافس السبقة واضح البرهان عظيم الشأن كريم الفرسان. الايمان منهاجهُ والتقوى عدّتهُ والصالحات منارهُ والعفَّة مصابيحهُ والمحسنون فرسانهُ والموت غايتهُ والدنيا مضمارهُ والقيامة حَلبتهُ والجنَّة سَبقتهُ والنار نقمتهُ. فعتصَم السعداء بالايمان والخذلان للاشقياء من بعد ايجـاب الحجة عليهم بالتبيان اذا وضح لهم منار الحق وسبيل الهدى. فتارك الحقّ مشوَّهةٌ يوم التغابُن خلقتهُ داحضةٌ حلبتهُ عند فوز السُّعداء بالجنان. وبالايمان يُستدَلُّ على الصالحات وبالصالحات يُستدلُّ على التقوى وبالتقوى يُرهب الموت وبالموت تُختم الدنيا وبالدنيـا تُختم الآخرة وبالآخرة تزلُف الجنَّة وبالجنَّة تكون حسرة اهل النار وبذكر اهل النار موعظة لاهـل التقوى والتقوى غاية لا يهلك مَن قصدَها ولا يندم من عمل بها وبالتقوى فاز الفائزون وبالمعصية خسر الخاسرون...

والايمان (٢ يا ابن قيس على اربعة اركان: الشوق والشفقة (٣ والزهد والترقُّب. فمن اشتاق الى الجنَّة سلا عن الشهوات. ومن اشفق من النار رجع عن المحرَّمات ومن زهد في الدنيا هانت عليهِ المصيبات ومن ترقَّب الموت سارع في الخيرات(٤. واليقين من ذلك على اربعة اركان: تبصرة الفطنة وموعظة العـبرة وتأويل الحكمة وسنَّة الاوَّلين. فمن تبصَّر الفطنة تبيَّن العبرة ومن تبيَّن العـبرة تأوَّل الحكمة ومن تأوَّل الحكمة عرف

١) راجع نهج البلاغة (١: ١٠٥) ٢) راجع نهج البلاغة (٢: ٧٨) وروايتهُ مختلفة هذا اوَّلها: الايمان على اربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد. والصبر منها على اربع شِعَب على الشوق الخ ٣) وفي النَّهج: «الشَّفَق» اي الخوف ٤) وفي النهج: الى الخيرات

السنَّة كأنما كان من الاوَّلين (١ اهتدى الى التي هي أقوَم. والعدل من ذلك على اربعة اركان: غائص الفهم وغمر العلم وزهد الحلم (٢ وروض الحكم. فمن شرع غرائب الحكم دلَّتهُ على معادن الحكم (٣ ولم يضلّ. ومن حلم فلم يفرط في الامر عاش في الناس حميداً. والجهاد من ذلك على اربعة اركان : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في المواطن وشنآن الفاسقين. فمن امر بالمعروف شدَّ ظهر المؤمنين. ومن نهى عن المنكر ارغم انف المنافقين. ومن صدق في المواطن قضى ما عليهِ. ومن شنئ الفاسقين فقد غضب لله ومن غضب لله غضب الله لهُ. ذلك الايمان ودعائمهُ واركانهُ. أفهمت يا ابن قيس. قال: نعم يا امير المؤمنين ارشدني الله بما ارشدتّ

(ومن كلامهِ ايضاً اكرم الله وجههُ) يا دنيا يا دنيا اليكِ عني أبي تعرَّضتِ (٤ ام اليَّ تشوَّقتِ لا حان حينك. هيهات غرّي غيري لا حاجة لي فيكِ قد طلَّقتُك ثلاثاً لا رجعةَ فيها فعيشكِ قصير وخطركِ يسير واملك حقير. آهِ من قلة الزاد وطول الطريق وبعد السفر وعظم المورد واين اخلاص العمل فان الناقد بصيرٌ

(ومن كلامهِ ايضاً) انفاس المرء خطاهُ الى اجله. كلُّ معدودٍ مُنقضٍ وكل متوقَّعٍ آتٍ. (ومن كلامهِ) الحكمة ضالَّة المؤمن فخذ الحكمة ولو من اهل النفاق (٥.

(ومن كلامهِ) مثل الدنيا كمثل الحيَّة ليّن لمسُها والسمّ ناقعٌ في جوفها يهوي اليها الغرُّ الجاهل ويحذرها ذو اللبّ العاقل (٦

وسمع رجلًا يضحك فقال: كأنَّ الموت فيها على غيرنا كُتب. وكأنَّ الحقَّ فيها على غيرنا وجب. وكأنّ الذين نرى من الاموات سَفْرٌ عمَّا قليل الينا راجعون. نبوّئهم اجداثهم ونأكل تُراثهم. قد نسينا كل واعظة وامنَّا كل جائحة طوبى لمن ذلَّ في نفسهِ وطاب كسبهُ وصلحت سريرتهُ وحسنت خليقتهُ وانفق الفضل من مالهِ وامسك الفضل من لسانهِ وعزل عن الناس شرّهُ ووَسعتهُ السنَّة ولم يُنسَب الى البدعة (٧

(ومن كلامهِ) المرء مخبوء في طيّ لسانهِ لا في طيلسانهِ. هلك امرؤ لم يعرف

---

١) وفي النهج : كأنَّما كان في الاولين ٢) وفي النهج : غور العلم وزهرة الحكم

٣) كذا في الاصل ونظن الصواب : « معادن الحلم ». ورواية النهج : ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم ٤) في النهج (٢ : ٨٤) : أَبِي تعرَّضتِ

٥) ورد في النهج (٢ : ٨٤) ٦) في النهج (٢ : ٨٩) ٧) فيهِ (٢ : ٩٠)

قدرهُ. (ومن كلامهِ) قال لسائل سألهُ: أكان مسيرك الى الشام بقضاء من الله وقدَرهِ؟ ويحك ألعلّك ظننتَ قضــاء لازماً وقدرًا حاتمًا ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد (١. انَّ الله سبحانهُ امر عبادهُ تخييرًا ونهاهم تحذيرًا وكلّف يسيرًا ولم يكلِّف عسيرًا واعطى على القليل كثيرًا ولم يُعصَ مغـلوبًا ولم يُطَع مكرِهًا ولم يُرسِل للانبياء لَعِبًا ولم يُنزل الكتب للعباد عبثًا ولا خلق السماوات والارض وما بينهما باطلًا. ذلك ظنُّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار

(وقال) من اصلح ما بينهُ وبين الله اصلح ما بينهُ وبين الناس ومن اصلح امر اخوتهِ اصلح الله لهُ امر دنياهُ ومن كان لهُ من نفسهِ واعظ كان عليهِ من الله حافظ.

(وقال) انَّ اقوى الناس من قدر على الذنوب وتركها. (وقال) الفقيه كلُّ الفقيه من لم يُقنط الناس من رحمة الله ولم يؤْيِسهم من رَوْح الله ولم يؤمّنهم من مكر الله (٢. (وقال) ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر عملك وعلمــك وان يَعظُم حلمك وان تباهي الناسَ بعبادة ربّك. فان احسنت حمدتَ الله وان اسأتَ استغفرتَ الله

وعن نوف البكالي (٣ قال: رأيت امير المؤمنين كرَّم الله وجههُ ذات ليـلة وقد خرج من فراشهِ فنظر الى النجوم. فقال: يا نوف أراقدٌ انت ام رامق. فقلتُ: بل رامقٌ يا امير المؤمنين. فقال: يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة اولئك قومٌ قد اتخذوا الارض بساطًا وترابها فراشًا وماءها طيبًا والقرآن شعارًا والدعاء دثارًا ثمَّ قرضوا الدنيا قرضًا على منهاج المسيح عليهِ السلام

(وقال) لا غنى كالعقل ولا فقر كالجهل. (وقال) المال مادّة الشهوات. ولا مال أعوَد من العقل (٤ ولا وحدة أوْحش من العُجب ولا عقل كالتدبير ولا كرم كالتقوى ولا قرين كحسن الخلق ولا ميراث كالادب ولا قائد كالتوفيق ولا تجارة كالعمل الصالح ولا ربح كالثواب ولا ورع كالوقوف عند الشبهة ولا زهد كالزهد في الحرام ولا علم كالتفكّر ولا عبادة كاداء الفرائض ولا ايمان كالحياء والصبر ولا حسب كالتواضع ولا

١) راجع في المشرق مقالتنا في القضـاء والقدر (٣: ٨٨٩) ردًّا على الضلال. وقد استشهدنا هناك بقول عليّ في هذا الصدد. وورد هذا الكلام في نهج البلاغة (٢: ٨٤) ببعض اختلاف في الرواية

٢) يريد بروَح الله لطفهُ وبمكرهِ عقابهُ

٣) كان حاجبًا لعلي (اطلب النهج ٢: ٨٧)

٤) راجع النهج (٢: ٨٩)

شرف كالعلم ولا مظاهرة اوثق من مشاورة. (وقال) انَّ لله ملاكًا ينادي كل يوم: لدوا للموت واجمعوا للفناء وابنوا للخراب (١. اقطعوا علائق الدنيـا واستظهروا بزاد التقوى

(وقال) عجبتُ للبخيل يستعجل الفقر الذي منهُ هرب ويفوتهُ الغنى الذي اياهُ طلب فيعيش في الدنيـا عيش الفقراء ويُحاسب في الآخرة حساب الاغنياء. وعجبت للمتكبّر الذي كان بالامس نطفةً ويكون غدًا جيفةً. وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى الموتى وعجبتُ لعامرٍ دار الفناء وتاركٍ دار البقاء (٢. (وقال) من قصّر في العمل ابتُلي بالهم ولا حاجة لله فيمن ليس لله في نفسهِ ومالهِ نصيب. (وقال) توقّوا البرد من اوّلهِ وتلقّوهُ في آخرهِ فانهُ يفعل في الابدان كفعلهِ في الاشجار اوّلهُ يُحرق وآخرهُ يورق

(وقال) وقد رجع من صفّين (٣ الى الكوفة فاشرف على القبور بظاهر الكوفة: « يا اهل الديار الموحشة والمحالّ المقفرة والقبور المظلمة يا اهل التربة يا اهل الغربة يا اهل الوحشة انتم لنا فَرَطٌ سابق ونحن لكم تبعٌ لاحق امَّا الدور فقد سُكنت وامَّا الازواج فقد نُكحت وامَّا الاموال فقد قُسمت هذا خبرُنا عندنا فما خبرنا عندكم ». ثمَّ التفت الى اصحابهِ فقال: أما لو أُذن لهم في الكلام لأخبروكم انَّ خير زاد التقوى

(وقال) اذا تمَّ العقل نقص الكلام. (وقال) من نصب نفسهُ للنـاس اماماً فعليهِ ان يبدأ بتعليم نفسهِ قبل تعليم غيرهِ وليكن تأديبهُ بسيرتهِ قبل تأديبهِ بلسانهِ (٤.

(ويلي هذا قولُ علي لمن ذمَّ الدنيا بعد ان اغترَّ بغرورها. وليس فيهِ اختلاف عن رواية نهج البلاغة (٢: ٩١) راجع ايضًا كتابنا علم الادب (ص ١٥٩ الجزء الاول)

وقال أحبب حبيبك هَونًا ما عسى ان يكون بغيضكَ يوماً ما وابغض بغيضك هونًا ما عسى ان يكون حبيبك يوماً ما. وسُئل عن القدَر فقال: طريق مظلم فلا تسلكوهُ وبحر عميق فلا تَلِجوهُ وسرّ الله فلا تتكلّفوهُ

١) لعلَّ ابا العتاهية نظم قول علي هذا في قصيدتهِ الشهيرة :

لدوا للموت وابنوا للخرابِ فكلكم يصير الى تبابِ

(راجع ديوانهُ الذي نشرناه ص ٢٣. واطلب ايضاً نهج البلاغة ٢: ٩٣)

٢) ورد هذا وما بعدهُ في نهج البلاغة (٢: ٩٠)

٣) صفين موضع على شاطئ الفرات بين الرقّة وبالس كانت فيـهِ الوقائع الشهيرة بين علي ومعاوية. امَّا خطبة عليّ المذكورة هنا فرواها في النهج (٢: ٩١)

٤) في النهج (٣: ٨٣)

(وقال) انَّ الدنيا والآخرة عدوّان متفاوتان وسبيلان مختلفان فمن احبَّ الدنيا وتولّاها ابغض الآخرة وعاداها. وهما بمنزلة المشرق والمغرب وهو ماشٍ بينهما كلّما قرب من واحد بَعُد من الآخر وهما بعدُ ضرّتان (١

(ومن كلامهِ) اعلم انك ستُعارَض بافكارك وأقوالك وستظهر من كلّ حركة فكريّة وقوليّة وفعليّة صورٌ روحانيّة وجسمانيّة. فان كانت الحركة شهويّة او غضبيّة صارت مادّة لشيطان يؤذيك في حال حياتك ويحجبك عن ملاقاة النور بعد وفاتك. وان كانت عقليّة إمريّة صارت ملاكاً تلتذّ بمنادمتهِ في دنياك وتهتدي بنورهِ في آخرتك الى جوار الله ورحمتهِ. رزقنا الله وايّاك بفضلهِ

(ومن كلامهِ) مَن كثر كلامهُ كثر خطاؤهُ ومَن كثر خطاؤهُ قلّ حياؤهُ ومن قلّ حياؤهُ قلّ ورعهُ ومَن قلّ ورعهُ مات قلبهُ ومن مات قلبهُ دخل النار . (وقال) مَن اكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير. (وقال ايضاً) هلك خزّانو الاموال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر. (وقال) من علم انّ كلامهُ من عملهِ قلّ كلامهُ الّا في ما يعنيهِ. (وقال ايضاً) زين الشريف التواضع وحلية المؤمن الورع وكمال الغنى السخاوة وقيمة كل امرئٍ ما يُحسنهُ

(ومن كلامهِ ايضاً) انهُ قال: خمسٌ لو ضربتم فيهنَّ اكبادَ الابل لم تصيبوهنَّ الّا عندي: ألا لا يتّقينَّ احدكم الّا ربّهُ ولا يخافنَّ الّا ذنبهُ ولا يستحينَّ من لا يعلم ان يتعلّم ولا يستحينَّ من اذا سُئل عمّا لا يعلم ان يقول لا اعلم. والصبر من الدين بمنزلة الرأس من الجسد فانَّ الرأس اذا ذهب هلك الجسد وما دخل اهل الجنّةَ الجنّةَ الّا بالصبر (٢

(وقال) نور الحكمة في الجوع(٣ ورأس الدين ترك الدنيا. والقربة الى الله تعالى حبُّ المساكين والبعد من الله تعالى الشبع فلا تشبعوا فيطفأ من قلوبكم نور الحكمة. (وقال) ألا انَّ اولياء الله ما نالوا سعة رحمة الله وغفرانهُ بكثرة العبادة فقط ولكن نالوها بسخاوة النفس والاستهانة بالدنيا. (وقال) انَّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيّقوا مجاريَهُ بالجوع. (وقال) ابناء اللئام اذا تعلّموا تكبّروا وابناء الكرام اذا تعلّموا تواضعوا

١) راجع النهج (٢: ٨٧) ٢) في النهج (٢: ٨٤) ٣) يريد بالجوع الصوم

سأل كميل بن زياد النخعي امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب عن الحقيقة فقال: ما لك والحقيقة. قال: أوَ لستُ صاحب سرّك. قال: بلى ولكن ترشح عليك مما يطفح مني. قال: أوَ مثلك يخيّب سائلًا. فقال عليّ: الحقيقة كشف سحاب الجلال من غير اشارة. قال: زدني فيهِ بيانًا. قال: هتك الستر لغلبة السرّ. قال: زدني فيهِ بيانًا. قال: نورٌ يشرق من صبح الازل فتلوح على هياكل التوحيد آثارهُ. قال: زدني فيـهِ بيانًا. قال: اطفِ السراج فقد طلع الصبح. قالت الحكماء: الحكمة (الحقيقة) عبارة عن اتقان الاشياء علمًا وعملًا بحيث يؤدي الى السعادة العظمى وما يتعلّق منهـا بالعلم نظريٌّ وعمليٌّ وما يتعلّق بالعمل خلقٌ وفعلٌ فالفائز بهـذه الامور حكيمٌ وبالنظري عالمٌ وبالعمليّ عاقلٌ وبالخلق على وفق النهج العمليّ متعلّقٌ وبالفعل على وفق النهج للخلق متصنِّعٌ. فمن امعن في العلم وقصّر في العمـل فهو مذموم كالطبيب يدبّر نفسهُ بخلاف علمهِ. ومن ثمّت كان الاوائل يمنعون عن تعليم الجزء النظري الّا لمن هذّب نفسهُ بالجزء العمـليّ ولله درُّ القائل:

يا من تقاعد عن مكارم خلقهِ ليس التفاخر بالعلوم الفاخرهْ
من لم يهذّب علمهُ اخلاقَهُ لم ينتفع بعلومـهِ في الآخرهْ

وروي عن عليّ بن ابي طالب كرّم الله وجههُ: من حلم ساد ومن ساد استفاد ومن استحيا حُرم. ومن هاب خاب. ومن طلب الرئاسة صبر على مُضض السياسة. ومن ابصر عيب نفسهِ اشتغل عن عيب غيرهِ. ومن تعرَّى عن لبـاس التقوى لم يستتر بشيءٍ من اللباس. ومن رضي برزق الله لم يحزن على ما في يدي غيرهِ. ومن سلّ سيف البغي قُتل بهِ ومن احتفر لاخيهِ حفرة وقع فيهـا ومن نسي زللهُ استعظم زلّة غيرهِ. ومن اقتحم اللجج غرق. ومن أُعجب برأيهِ ضلّ ومن تكبّر على الناس ذلّ ومن تعمّق في العمل ملَّ. ومن صاحب الانذال حقر ومن جالس العلماء عزّ. ومن دخل مدخل السوء اُتّهم ومن خشي الله فاز. ومن حسُن خلقهُ سهُل طريقـهُ. (ثمَّ قال) ايّاكم ومعاداة الرجال فانهم لا يخلون من ضربين عاقل يُنكِّل بكم او جاهل يعجّل عليكم. (ومن كلامهِ) كفى بالعلم شرفًا انهُ يدّعيهِ من لا يُحسنهُ ويفرح اذا نُسب اليهِ. وكفى بالجهل خمولًا انهُ يتبرّأ منهُ مَن هو فيهِ ويغضب اذا نُسب اليهِ (انتهى)

في المَجُوس ومريم

وجدنا هذه القصيدة بين اوراق المحافلْ الادبيَّة التي عُقدت في كلّيتنا بنسبة عيد الميلاد او عيد الغطاس. ولم نعرف ناظمها ونظنُّها لاحد اساتذة المدرسة سابقًا. فنشرناها لمانيها البليغة وموافقتها لاعياد رأس السنة وقد حذفنا واصلحنا فيها بعض ابيات ركيكة او مختلَّة الوزن (المشرق)

في مولد الإبن ضاء النور وانتشرا ... وقد ازاح ظلامًا للهدى سترا
لذاك اشرقت الدنيا ممجدةً ... بذلك النور شبهَ الآب اذ ظهرا
لقد تلألأ في حضن البتول فمذ ... بدا تبدَّد غيم الجهل وانحسرا
ضجَّ الشعوب وأدَّوا عند مظهرهِ ... مجدًا لمن بابنهِ نورُ الهدى سفرا
قد ابهج الشرق مجلَى نورهِ وبدا ... في ارض فارسَ نجمٌ في الظلام سرى
مضي يبشّرهم انَّ المخلّص قد ... وافى ليُفديَ من أسْرِ الخطا بشرا
نجمٌ سرى وهو يدعوهم ليبتهجوا ... بفيض نورٍ الى الدنيا قد انحدرا
وافى ليهديَهم في قصد مذودهِ ... فيسجدوا لمليكٍ مجدُهُ بهرا
قاموا فساروا حثيثًا يبتغون لهُ ... واستنشدوا ملكًا في القدس قد ظهرا
حلُّوا رُبَى بيت لحمٍ في مواكبهم ... جاءوا البتولَ بقربانٍ لهم وفُرا
لقد اتوها فاهدوا اذ اتوا ذهبًا ... مع اللُّبان ومرًّا فاخرًا عطرا
حتى اذا دخلوا ألفَوْا بجانبها ... طفلًا صغيرًا ثوى في مذودٍ حَقَرا
فكفَّروا اذ دنوا عن ذنبهم واتوا ... امامهُ بالهدايا سُجَّدًا شُكُرا
قالت لهم مريمٌ ماذا أتى بكمُ ... بذي الهدايا لطفلٍ راضعٍ صغُرا
قالوا لها انَّ هذا في الورى ملكٌ ... لا بل بهِ كلُّ تاجٍ في الورى ضُفِرا
لهُ على الكلّ سلطانٌ سما ولهُ ... يدين كلُّ امرئٍ في الارض مذ فُطِرا
قالت متى كان هذا انَّ بائسةً ... مثلي يكون ابنها بين الملوك يُرى
قالوا بكِ تمَّ هذا السرُّ حيث يُرى ... في الكون منكِ مليكٌ عزَّ واقتدرا
قالت لهم ليس لي كنز الملوك ولا ... مالٌ ولا مسكنٌ اقضي بهِ العُمُرا

قالوا بلى فابنكِ الكنز العظيم بهِ يغنى الجميع غنًى ما كان مفتقرا
قالت فماذا رأيتم يا كرامُ سوى طفلٍ ثوى صامتًا في المهد محتقرا
وبيت أمٍ حوى من كلّ مسكنةٍ فأيّ ملكٍ ترون الآن منتظـرا
قالوا رأينا كما قد قلتـهِ ملكًا بالاتضـاع وحسن الصـبر مُدَّثرا
قالت عليكم اذًا قبل السجود لهُ ان تثبتوا منهُ ملكًا حيَّر الفكرا
قالوا نثقي انـهُ حقًا لنا ملكٌ في ذاك أنبأنا النجمُ الذي ظهرا
وهو الذي قد هدانا نحو موطنـهِ والنجم ليس يضلُّ السير حين سرى
قالت صغيرٌ بلا تاجٍ ولا وُزُرٍ فهـل ترون للملكِ عنـدهُ اثرا
قالوا صدقتِ صغيرٌ غير انَّ بهِ تصاغرًا عن رضًى يُبديهِ لا صِغَرا
وسوف يفضي الى وقتٍ تخـرُّ لهُ فيهِ الملوك سجـودًا بالوقار جرى
قالت ألا ليس لابني في الورى عُدَدٌ ولا جنود بهم يعـتزُّ منتصرا
قالوا لهُ جند نورٍ فوقَ مرتقبٍ قد استوى في الاعالي يُرسل الشَّررا
وقد أتى واحدٌ منهم ليـدعُوَنا من عزّهِ كلُّ من في ارضنا ذُعِرا
قالت الا انهُ طفلٌ فكيف ترى يدبّرُ الملك طفلٌ بالخبا استـترا
قالوا صبيُّكِ شيخٌ يا بتول غدا قديم دهرٍ لقـد فاق الورى كِبَرا
قد باتَ اصغر منـهُ آدمٌ وبهِ خلق البريَّة بالتجـديد قد ظفرا
قالت اذًا اوضحوا ذا السرّ لي علنًا من اين جاء ومن ابداهُ مشتهرا
قالوا نثقي انَّهُ لو لم يصحَّ لما جئنا فلم يختدعنا طارقٌ عَبرا
قالت كفى اخبروني عن ضمائركم وعن حقيقة هذا السرّ كيف طرا
قالوا شهابٌ عظيم النور لاح لنـا مبشّرًا بمليكٍ في الورى ظهـرا
قالت دَعُوا عنكمُ قولًا يهيج بهِ سخط الملوك على طفلي اذا انتشرا
قالوا لما لا تخافي انَّ قدرتـهُ تفني الملوك ولا تخشى بهم ضررا
قالت اخافُ اذا ما ذاع قولكمُ بين الملوك درى هـيرودس الخبرا
فربَّما قطع العنقـود مبتـدرًا قبـل النضاج ولم ندرك لهُ ثمرا
قالوا ذراعُ ابنكِ الجبَّارِ تمحقهُ قهرًا وتُنزل ذاك التاج جوف ثرى

قالت ارى انَّ أُورشْليم من قِدَمٍ … وادي الدماء وقد سالت بها هدَرا
فربَّما ان درت بالطّفل تقتلــهُ … فدونكم كتّم امري واستروا الخبرا
قالوا لهــا كلّ وديانٍ تدمّرهــا … ذراعــهُ وتردُّ السيفَ منكسرا
قالت فانَّ أُولي الكهنوت شأنهمُ … ان يسفكوا بتجنّيهم دمًا طَهُرا
قالوا سيغدو بهِ الكهنوت مندرسًا … مع كل عيدٍ لهم بالاحتفــال جرى
قالت كذاك ملاك الربّ بشّرني … لمَّا حَبِلتُ بهذا الطّفل اذ حضرا
قــال لي انَّ طفلي صائرٌ ملكًا … عظيم تاجٍ سنيٍّ يغلب القــدرا
قالوا صدقتِ وذيَّاك الملاك بدا … من نور نجمٍ يفوق الشمس والقمرا
قالت وانَّ ملاكَ الله اخبرني … بانَّ سلطانــهُ ما كان منحصرا
قالوا نعم وكذاك الربّ أعلَمنا … بانهُ ملك الاملاك مقتــدرا
لكنَّنــا ما عرفناهُ بمنظــرهِ … اذ كان عنَّا بزيّ النجم مستــترا
قالت دعاهُ ملاك الله سيّــدهُ … وابنَ العليّ فكيف ابنُ العليّ يُرى
قالوا صدقتِ فذاك النجم بشّرنا … بان ربَّ العُلى في الناس قد ظهرا
وانَّهُ يتولّى النّــيّرات وقد … دعا بنــا فانطلقنــا مثلما امرا
قالت فدونكمُ سرًّا أُبيّنــهُ … لكم وذلك لم أُعلن بهِ خبرا
ولدتهُ وانا بكرٌ فذاك اذًا … ابنُ الالهِ بهِ سرُّ الإلٰهِ جرى
قالوا وثقنا فانَّ النجمَ اطلعنــا … بأنّــهُ فاق في ميــلادهِ البشرا
وأنّهُ خير من في الكون قاطبةً … وابنُ الالهِ الذي للكائنات برى
قالت نعم فالسَّما والارض شاهدةٌ … مع الملائــك والأملاك دون مرا
بأنــهُ إبنُ ربِّ العرش خالقنــا … لا بل هو اللهُ بالناسوت قد سُترا
قالوا لقد علمتْ أقطار فارسَ إذ … بدا لها النجمُ في الظلماء مستعرا
بانَّ طفلك هذا الله منــكِ بدا … يطيعهُ الكون فيما شــاء مؤتمرا
قالت اذيعوا سلامًا في بلادكمُ … ولا تخافوا بما جئتم لهُ حــذرا
قالوا سلام ابنك السامي يبلّغنــا … الى منازلنــا لا نختشي خطرا
فليفتقدنا بلطفٍ في تملّــكهِ … مباركًا ارضنا بالخير مذّكِرا

قالت لتفرح في بشراكم ابدًا قلوبُ كلّ الملا اذ تسمع الخبرا
فحين ينشر ابني ظلَّ دولتـهِ ترونَ بندَ علاهُ عنـدكم نُشرا
قالوا بميـلادهِ فلتزهُ بيعتـهُ وليرتفعْ كلُّ مَن لله قد شكرا
فالأُفقُ فيهِ زها والارض قد هتفت سبحانَ مَنْ سرَّ في ميلادهِ البشرا

وقد ارسل الينا جناب الاديب عيسى افندي اسكندر معلوف قصيدةً في مقتل اطفال بيت لحم هذا مطلعها :

أعرفتَ ما ملأَ الفضاء عويلا وأعاد قلب السامعين عليـلا
ونظرتَ معترك الدموع بمقلةٍ شَكْرَى ولا تشفي بذاك غليلا

الى ان قال :

هـذي العوالم بالتَّفجُّعِ انّما هـيرودسُ مُتهلّلٌ تهليلا
ان كان يجهلُ او تجاهل قُلْ لهُ إسمعْ ولا تنكرْ بكا راحيلا
تبكي على اولادها من غير سَلْـوَى إذ رأت كلٌّ يخرُّ قتيلا
لا تستخفُّوا بالمصاب فانّـهُ واويكمُ كلٌّ يراهُ وبيـلا
فهناك والدةٌ تنادي طفلهـا مع والدٍ يذري الدموع سيولا
جمعٌ يجرّعهُ المصابُ كؤوسهُ حتى امتلا ذاك الفضاء عويلا

وقد ختمها بقولهِ :

لكنَّ سيدنا المسيح واهلَـهُ جدُّوا الى اقطار مصر رحيلا
بجوانحٍ خفقت وخافتْ فتكَ من ملأَ العباد بظلمـهِ تهويلا
كان الإِلهُ مسهِّـلًا لطريقهِ فتوفّقوا لبلاد مصرَ وصولا
مكثوا هنالك ريثما سمعوا بمَـوْت عدوّهم فاستُقْدموا تعجيلا
قبحًا لافعال الخؤون فانَّـهُ في ما اتاهُ ما استفادَ فتيلا
والظلمُ مصرعه وخيمُ عواقبٍ فلذاك يمسي مقتنيهِ ذليـلا

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٢٨ الكورة

الكورة من اخصب انحاء لبنان تجمع بين ارفاق السهل والجبـل . ولا مراء انّ الناس سكنوها منذ القرون الغابرة . ولو بنينا الحكم على ما يوجد من التشابه بين اسم قريتها « اميون » وعلَم آخر « اميـا » ورد ذكرهُ في مكاتبات تلّ العمارنة (المشرق ٣ : ٧٨٩) لصحّ القول انها اقدم مقاطعة في داخل لبنان احتلّها السكّان . وفي الكورة آثار ترتقي الى عهد اليونان والرومان كما سترى

٢٩ دار بعشتار – بزيزا – ناوس

اذا ما قطعتَ نهر الجوز الفاصل بين مقاطعتي الكورة والبترون لقيتَ بادئًا دار بعشتار . وهي قرية فيها شيء من بقايا القرون الوسطى منها كنيسة ذات حنية محكمة العمل تكتنفها اخربة قديمة من العهد نفسه . غير ان اسم دار بعشتار جدير بالاعتبار . وهو مركَّب من لفظتي بيت وعشتار . وعشتار هذه هي إلهة الفينيقيين الشهيرة . فيُستدلُّ بذلك على انّ هذه القرية كانت سابقًا هيكلًا لعشتروت يعبدها فيهِ اهل لبنان

واذا يممتَ الشمال الشرقي بلغت بعد قليل قرية بزيزا ولعـلّ اسمها منحوت من بيت عزيز . فالباء اختصار لفظة « بيت » شائعة كبحديدات وبحمدون وبزمّار . امّا عزيز فاحد الآلهة الساميين مرّ ذكرهُ في المشرق (٤ : ٧٢٩) . وفي بزيزا هذه هيكل صغير قديم العهد حسن البناء لم يُضعضعهُ حدثان الدهر . ولمّا تنصّر الاهلون جعـلوا الهيكل كنيسةً واضافوا اليها حنايا آثارُها باديةٌ حتى اليوم . وهم يدعونها كنيسـة العواميد او سيدة العواميد لما يزين واجهتها من الاعمدة . وليس هناك كتابة تفيدنا عن امر هذا البنـاء القديم وغايتهِ

وقس على ذلك قرية ناوس التي موقعها شمالي شرقي بزيزا على مسافة اربعة كيلومترات منها . وهي فوق ربوة قريبة من قرية عين عكريم الحاليَّة . وما ناوس الّا تعريب اللفظة

اليونانيَّة ναος يراد بها الهيكل. واذا استثنيت بعلبك وآثارها الجبَّاريَّة لا تجد في كل لبنان ما يضاهي بقايا ناوس واطلالها اتساعاً وعظمةً. امَّا نقوشها فهي ايضاً دون نقوش بعلبك دقَّةً واحكاماً وفيها مسحةٌ من الصناعة السوريَّة. وهي من عهد الرومان كابنية بعلبكّ

وفي ناوس اخربة هيكلين كبيرين يلاصق احدهما الآخر يحدق بهما سوران رحبان وفي وسط كلّ منهما معبد قليل الاتساع تزينهُ اعمدة مُصمتة تَراها على صورة هيكل حصن سليمان في جبل النصيريَّة (١ واركان الابواب التي يُدخل منها الى حرم الهيكل من الحجارة الضخمة وهي منقورة على شكل درج. وآثار هذا الدرج باقية حتى يومنا. ولا ريب انهُ كان في الزمن القديم لهذين الهيكلين منظر يأخذ بالابصار. وكان الناظر يكشف من هذه الأكمة المرتفعة نحو ٦٠٠ متر فوق سطح البحر على كل الساحل من البترون الى ما وراء طرابلس. وهو يرى سهول الكورة ومزارعها الجميلة ممتدَّةً امامهُ

واذا لحظت النقوش التي على الهيكل الشرقي وجدتها خشنةً غليظة. وليس هناك من الحجارة الضخمة سوى مساند الابواب والصفائح المثلَّثة الزوايا التي تعلوها. امَّا بقيَّة الحجارة فهي متوسّطة الكبر كحجارة افقا وقلعة فقرا. وفوق باب المدخل صورة كرةٍ مجنَّحة تزينهُ وقد ألف الفينيقيون مثل ذلك في هياكلهم (راجع وصفنا لقرية ادَّه في المشرق ٣: ٥٤٢)

امَّا الهيكل الآخر الذي موقعهُ جنوبيّ غربي الهيكل السابق ففيهِ بقايا حسنة من نقوش ابوابهِ. وقد وجدنا بين ردم الهيكل تمثالًا نصفيًّا يمثّل البعل وعلى رأسهِ شعاع الَّا انَّ نقشهُ خشيب ونظنُّ انهُ سقط من الكوَّة التي تعلو البـــاب. ولهذا الهيكل سورٌ حجارتهُ جبَّاريَّة تشبهُ حجارة دير القلعة يبلغ طول بعضها ستـــة امتار

ونضرب صفحاً عن المدافن الجميلة والمقاطع المتسعة والنواويس المنقوشة التي تُرى حول قرية ناوس لئلا نعود الى ذكر آثار وصفناها مرارًا. على ان هذه المدافن والمقاطع تدلُّ دليلًا بيّناً على انَّ تلك الانحاء كانت في الاجيال الخالية عامرةً حافلة بالسكّان وان لم يُفـــدنا التاريخ من امرها شيئاً. وكذلك لم يكتشف احد حتى الآن بين هـــذه الاخربة كتابةً تفيدنا علماً عن اخبار السلف

١) راجع مقالتنا الافرنسية المَنونة «في بلاد النصيرية»

٣٠ اميون

قد سبق لنا القول عن اميون وقِدمها. امَّا الآثار الباقية فيها فقليلة لا يُعبأ بها. من ذلك صخر منحوت نُقرت فيهِ كوًى او مشاكٍ. ومنها كهفٌ يُرى اليوم تحت السراية الجديدة كان في ما سلف من الزمان مدفنًا ثمَّ جُعل معبدًا لذكر القديسة مارينا. وبقرب الكهف اخربة كنيسة عتيقة بقي منها حنيَّتها وكان معبد القديسة مارينا تابعًا للكنيسة معدودًا كاحد مصلَّياتها

وقد تكرَّر ذكر اميون في تاريخ الموارنة القديم. وكانت اذ ذاك مركزًا مهمًّا للملكيين كما هي اليوم. وممن ذكروا اميون الشريفُ الادريسيّ في كتابهِ نزهة المشتاق امَّا الصليبيون فلم نجد اسمها في تآليفهم وهم يصفون مع ذلك غيرها من قرى الكورة (ويدعونها La Core) ومن املاكهم في هذه المقاطعة كفرقاهل (Caphrahael) وبتوراتيش (Boutourafig) وبطرومين (Bertrandimir) وبدبهون (Bethamum) وغير ذلك من الاسماء التي شوَّهها الفرنج باللفظ ويسهل اصلاحها

٣١ المُسَيْلحة

للبترون الى طرابلس طريقان الواحدة على ساحل البحر والاخرى جبليَّة فمن سار في طريق الجبل مجاريًا لوادي نهر الجوز وصل بعد مدَّة قليلة الى حصن يُدعى المُسيلحة وهو حرزٌ منيع موقعهُ فوق صخرة منتصبة على الوادي عموديًّا. والوادي في هذا المكان ضيق حَرِج المنعطَف

امَّا تاريخ هذا البناء واخبارهُ فمجهولةٌ لم يرشدنا اليها احد من الكتبة. ولعلَّ القدماء في الاجيال المنصرمة كانوا شيَّدوا هذه القلعة فجعلوها كرقيب لحركات العدوّ في مضيق لم يكن لهم ندحةٌ من الاجتياز في وسطهِ ذهابًا الى طرابلس وايابًا منها الى البترون. وما لا شبهة فيهِ انَّ ابنية المسيلحة الحاليَّة لا تتجاوز القرون المتوسطة ولا يبعد انَّ الصليبيين رمَّموها بعد خرابها ان لم يسبقوا الى بنائها. وقد بحثنا في اوصاف البلدان لقدماء العرب وفي آثار الصليبيين فلم نجد لاسمها ذكرًا

وفي كتاب رحلة السفار دي لا روك[١] الافرنسي (De la Roque) انَّ الامير فخر

(١) راجع كتاب رحلتهِ (ص٢٠٧)

الدين هو الذي بنى المسيلحة. وعلى ظنّنا انها اقدم منهُ عهداً وانّما نُسبت اليهِ كما نُسبت غابة بيروت مع كونها قبلهُ بزمن مديد (راجع مقالتنا في المشرق عن اصل هذه الغابة ١: ٩٣٩)

واذا خرجنا من المسيلحة وابتعدنا عن الطريق المؤدّية الى طرابلس فملنا الى الشمال لقينا شِعباً يُفضي بمن توقّلهُ الى سطح جبل فسيح يُعدُّ كقسم من مديريّة القويطع وينتهي في شمالهِ الغربي برأس الشقعة (١ بهِ دُعي الجبل جبل رأس الشقعة

٣٢ جبل رأس الشقعة

هذا الجبل قائم بنفسهِ منقطع عن بقيّة لبنان يستلفت اليهِ النظر من بعيد بهيئتهِ الغريبة ووعورة مرتقاهُ. وفي سطح الجبل عدّة قرًى عامرة حتى يومنا هذا اكبرها حامات. وكان لهذه القرية كنيسة قديمة لعلها كانت مزدانة بكتابات (٢. غير انَّ هذه الآثار درست لمّا بُنيت الكنيسة الجديدة

وهذا الجبل حافل بالاديرة كدير سيدة النوريّة ودير مار الياس ودير حنوش وغير ذلك من المرابط التي تشيّد اكثرها فوق ابنية قديمة وهذا ما يحدو بارباب العاديات الى ان يقدموا الى زيارة هذا الجبل الصَّرد. ولو زارهُ الجيولوجيون والجغرافيون لوجدوا فيهِ ما يُجديهم علماً

فلنباشرنَّ بوصف القسم الشمالي من هذا الجبل اعني رأس الشقعة فنقول: انَّ هذا الرأس ينتصب كصخرة صماء ويدخل في غمر البحر مشرفاً على كل البلاد المجاورة وعلوهُ يبلغ ٣٠٠ متر. واذا نظر اليهِ المسافر القادم من جهة طرابلس رأى شكلهُ اشبه بدارعة هائلة قائمة فوق ثبج البحر لا تبدي حراكاً في رأسها مهمازٌ مرعب لمناواة عدوّها. وفي جوانب هذا الرأس اخاديد تشهد بما دهمهُ من الزلازل في كرور الاجيال فتضعضعت

---

١) هذا الاسم اصح من « راس الشكّة » الذي استعملناهُ سابقاً في مقالتنا عن الزلازل في سورية (المشرق ١: ٢٠٥)

٢) راجع بعثة فينيقيّة لرينان (ص ١٤٥). ونحن ننتهز هذه الفرصة لنكرّر عبارات الشكر لاهل حامات الذين تحفّوا بنا بعد ان مِتنا في مشارف ذلك الجبل المقفرة ليس بعيداً من حنّوش وبتنا عامّة ليلنا مهادُنا الارض وظلّنا السماء

اركانهُ وتقطَّعت اوصالهُ. نخصُّ منهـا بالذكر الزلزلة التي حدثت في عهد يستنيان الملك ومرَّ لنا وصفها في المشرق (١: ٥٠٣). وهذا الزلزال غيَّر هيئـة رأس الشقعة بل ألحق اهوالهُ بالجبل المجاور لهذا الرأس فشوَّه صورتهُ

وكان القدماء (١ يطلقون على هـذا الرأس اسماً غريباً في معناهُ فيدعونهُ وجه الله (Θεουπρόσωπον) . امَّا النصارى اليونان فابدلوا اسمهُ باسم وجهِ الحجر (Λιθοπρό-σωπον) وهو اسم قرية مجاورة لهُ موقعها فوق سطح الجبل جنوبًا. وممَّا يفيدنا التـاريخ ان الإِلهة تانيث معبودة الفينيقيين كانت تدعى باسم « وجه بعل » أفلا يسوغ لنـا ان نستنتج من هذه الدلائل ومن المقابلة بين هذه الاسماء انَّ الفينيقيين كانوا اختصوا هذا الجبل بعباداتهم لاسيَّما انَّ صورتهُ الغريبة تستلفت الانظار. وهذا الظن يتأيد بمثـل جبال اخرى في ساحل بحر الشام كان القدماء يعظمونها تعظيمهم للآلهـة كجبل الكرمل وجبل الاقرع شمالي اللاذقيَّة وغيرها. وكان جبل لبنان نفسهُ مكرَّمًا كإِلهٍ يعبدونهُ ويدعونهُ بعل لبنان . امَّا تسمية الكتبة الفرنج لهذا الجبـل برأس مادون (Cap Madonne) فليس هو كما زعم رينان اثرًا لعبادة الإِلهة تانيث بل « مادون » تعريب كلمة « السيدة » فقيـل لهُ رأس السيدة اشارةً الى سيدة النوريَّة التي بُني هناك ديرٌ باسمها

وقد ذكر الجغرافي اسطرابون انَّ في زمانهِ كانت قلعةٌ مشيَّدة في اعلى رأس « وجه الله » وان في هذا الجبل ليس بعيدًا من البترون اغوارًا وكهوفًا يأوي اليهـا اللصوص وقطَّاع الطريق كانوا يعيثون في البلاد حتى اجتثَّ بومبيوس دابرهم واستأصل شأفتهم. ولعلَّ هذه المغاور هي الاغوار التي تُرى في يومنا ما وراء قرية « قبَّة » قريباً من قرية وجه الحجر وهي واسعة تُشرف على البحر (٢

واذا سرت من البترون على ساحل البحر قاصـدًا حنُّوش تمرُّ بازاء مزرعة تدعى سلعاتا عندها نبعٌ جارٍ. وهذه المزرعة لم اتفقَّد آثارها في رحلتي. وقد اتأسف اليوم على فوات الفرصة لانهُ يُحتمل ان سلعاتا هذه هي في مكان بلدة قديمـة دعاها القدماء

١) راجع الجغرافيين كاسطرابون (ك ١٦ ف ٢) وبوليبوس وغيرهما
٢) راجع الرحَّالة سِتزِن (Seetzen I, 231)

Σάλτων او Γονασίτιοι Σάλτων وقالوا عنها انها كانت كرسيًّا اسقفيًّا وجعلوها مع غيغرتا وأنفة (١. ولكن لا بُدَّ من تحقيق الامر والاستطلاع على آثار المكان. وعلى كلّ حال لا يخلو وجود نبع في هذا الساحل الرملي القفر من الدلالة على مقام قديم

ووراء سلعاتا هذه جون صغير يفضي اليهِ مسيل ماء ناشف يدعى وادي غميق. والطريق التي تمرّ حول هذا الجون منقورة في الصخر كالطريق الرومانيَّة التي تُرى عند نهر الكلب. وعلى جانب هذه الطريق صخرة قد كُتب على وجهها أفقيًا باليونانيَّة ما تعريبهُ: « هنا ينتهي ملك ديوسترات. وقد اتفقنا على ذلك ». وهذه الكتابة ضخمة الاحرف طولها ٣٠ سنتيمترًا وهي كما ترى نصبٌ جُعل للدلالة على حدود الاملاك ومثلها كثير في منعطف لبنان الشرقي بين بحيرة اليمونة وبعلبك

وبازاء هذه الكتابة على الصخر العمودي الذي بجوارها رسمُ تربيعٍ بعروتين على هذه الصورة وليس



ضمن التربيع شيء. ولعلَّهُ كان فيها سابقًا كتابة طمسها الدهر لكني لم اجد فيها اثرًا للحروف كالسيَّاح الذين سبقوني الى هذا المكان

وهذه الكتابات مع نقر الصخور تدلّ على انَّ القدماء مرُّوا في تلك الانحاء. ولا ريب ان الطريق كانت تجتاز في هذا المكان ولعلّها هي الطريق الرومانيَّة التي كانت تتبع ساحل بحر الشام تنعطف بانعطافاتهِ مارَّة حول رأس الشقعة. والمرَجَّح ان الجيوش الرومانيَّة كانت تسير في هذه الطريق الساحليَّة لان الطريق الجبليَّة الحاليَّة كثيرة الوعورة صعبة المرتقى وليس فيها شيء من الآثار الدالَّة على اعمال الأقدمين. ومع ذلك ليس اليوم طريق غيرها تَصِل بين طرابلس واواسط لبنان. امَّا الطريق القديمة على وادي غميق وحنوش ورأس الشقعة فلم تعد مسلوكة. والارجح انَّ الزلزلة التي جرت في ملك يوستنيان دمَّرت هذه السبيل واخربتها (البقيَّة لعدد آخر)

١) راجع ريلند (Relandi Palæstina, p. 216) والمجلة الفلسطينية الالمانية (ZDPV, XXII, 143). بيد اننا لا نبتُّ حكمًا في ما قدَّمنا

حبيس بحيرة قَدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

وكان «الرّيح» في اشنع حال يرتجف رعدةً وقد خرج الزَّبد من فمِهِ وتصبَّب العرق من بدنهِ وغطَّى الغبـــار ثوبهُ الاسود. وكان عليهِ سرجهُ ولجامهُ مع خُرجٍ متدلٍّ على خاصرتيهِ كان مالك يتَّخذهُ دائمًا في اسفارهِ

وقد تعجَّب الامير رزق الله من قدوم الحصان بلا فارسهِ واخذ يستخبر عن مالك هل رجع من سفرهِ ولكنهُ مع التفتيش والفحص البليغ لم يعرف لهُ خبرًا اذ لم يرَهُ احدٌ راجعًا لا في بشرّاي ولا في اهدن ولا في أيطو ولَا في داريّا ولا في زغرتا ولا في غيرها من الاماكن التي على طريق طرابلس. فحينئذٍ امر بان يُفتح خرجهُ فشاهد فيهِ كل أمتعتهُ ما عدا الامر الذى وجَّههُ لجوسلين. فترجَّح عندهُ ان جوسلين تجرأ على قتلهِ او في الاقل على سجنهِ لانهُ كان يعرف المذكور حقَّ معرفة ويعلم لؤم طباعهِ ويقدّر انَّهُ لا يحجم عن ضمّ هذه الجريمة الاخيرة الى سائر مساوئه السابقة

وكان الريح يأتي بحركات غريبة استلفتت اليها الابصار واستدعت مشاهديهـــا الى التأمل والافتكار. وذلك ان الحصان الذي لم يكن احد من قبل يستطيع ركوبهُ ألانَ تلك الطباع الجافية بحيث كان يمكّن من ظهرهِ كل من اراد دون مقاومة وكثيرًا ما كان يصهل صهيلًا ينبئ بشكواهُ ويخفض رأســهُ حزينًا كأنَّهُ يبكي فراق رفيق حتى كان يتوهَّم مشاهدوهُ في بعض الاحيان ان دموعًا تجول في عينيهِ

واذ ذاك عزم المقدم رزق الله على الذهاب بنفسهِ للتحقيق وانزال العقوبة بتابعــهِ المتمرّد اذا اقتضت الحال. وفي اليوم نفســهِ ارسل الاوامر الى الجنود في بشرّاي وما حواليها بان يستعدوا للسفر من غد اليوم التالي الى جهة غير معلومة وان يحمـــلوا من الزّاد ما يكفيهم اسبوعين

امَّا فرا غريفون فاحبَّ مرافقة هذه الحملة لغرضين اولها ان يقدّم للجنود ما ربَّمـــا الجأت اليهِ الحاجة من المساعدات الدينية والثاني ان يشاهد صديقهُ القديم الاب يوحنَّا

رئيس دير القديسة تقــلا. وكان « الريح » قد انهكهُ التعب فابقوهُ في بشرّاي في اصطبلات الامير. ورغبةً في كتم سرّ الحملة على جواسيس جوسلين وانصــارهِ اتخذوا كل ما يمكن من اسباب الاحتياط فجازوا بلاد الجبة وجبل عكّار مارّين على القبيّات ومقام الرب(١ ومنجز حتى وصلوا الى قلعة فَليس في اقل من يوم فاستراحوا هناك قليلًا. وكان الامير رزق الله يستخبر عن مالك فكان كل من في الناحيــة يقولون انهم رأوهُ ذاهبًا ولكنهم لم يروهُ راجعًا. ثم ان جنود صاحب قلعة فليس انضمَّت الى جنود المقدم وزحف الفريقان يريدان القليعة

فلمَّا كان سحر اليوم التالي استيقظت حامية القليعــة مذعورةً من اصوات أبواق الحرب وتراكضت وفي مقدَّمتها جوسلين لمشاهدة ما عسى ان يكون. فشاهدت عددًا غير قليل من الفوارس مقبلين على طريق حصن سليمان غير انهم لمَّا جازوا العين المعروفــة بعين الباردة ووصلوا الى المضيق المؤدي الى عين الشمس ارتدُّوا جميعًا الى اليسار وساروا الى ناحية القليعة. وكان الامير رزق الله لابسًا لأمتهُ والخوذة في رأسهِ وهو سائر في مقدَّمة الكتيبة المتألفة من رجال منتخبــين مسلَّحين جميعًا بالرماح والأقواس حسب عادة المقاتلة بلبنان في ذاك العصر. وكان قد انضمَّ اليهم في الطريق عدد غير قليل من اهالي بلاد عكّار

وكان وراء الخيَّالة المذكورين ما بين امتعة الجنود وخيامها صفٌّ من الجمال تحمل المواد اللازمة لبناء الكبوش والمجانيق وسائر آلات الحصار. وفي آخر الموكب كلهِ فرقة من صانعي الألغام وحملة البلطات (بلطجية) من اهالي حلب الذين كانوا مشهورين في كل الشرق بمهارتهم في صنيع الألغام (٢

وكان جوسلين يرصد من اعلى مرقب في القليعة كل هذه القوَّة التي لم يكن ليخفى عليهِ القصد من زحفها وقد اقلق بالهُ على الخصوص ما رآهُ محمولًا على ظهور الجمال من الانابيب الحديديَّة الطويلة وبما انهُ لم يعرف المقصود منها التفت الى احد جنودهِ الذي كان قد خدم مدة طويلة في عسكر سلطان مصر وسألهُ عنها فاجابهُ الجندي قائلًا:

« ان هذه الانابيب التي تراها هي مدافع تستعمل لقذف النفط. ومنها انواع كثيرة

١) هو اطلال هيكل قديم بالقرب من منجز

٢) راجع راي: المستعمرات الافرنجية في سورية

فبعضها يقذف صواريخ عظيمة (هي قنابل من الورق محشوَّة بالبارود) تقوى على احراق القلاع. وغيرها يقذف كرات من الحديد تختلف زنتها بين عشرة ومئة من الارطال المصريَّة. والمدافع التي رأيتها في مصر هي اكبر من هذه بكثير منها واحدٌ في الاسكندرية مُنطَّق كلهُ بالحديد قذف من الميدان كرةً كبيرة حمراء وقعت في بحر السلسلة بخارج الباب البحري(١)». امَّا جوسلين فبعد ان سمع هذه الايضاحات لم يطلب عليها مزيداً ولكن لاحت على وجههِ امائر القلق والانزعاج

وكان في الحقيقة يتوقَّع زيارة الامير رزق الله غير انهُ لم يكن يحسب انهُ يفد عليهِ بمثل هذه السرعة. فاضطربت افكارهُ وخطر لهُ في بادئ الامر ان يتحصَّن في قلعتهِ لكنَّهُ بعد التأمل رأى ان ذلك لا يجديهِ نفعاً وانهُ لا يقوى على الثبات مدَّة طويلة اذا ما حاصرهُ الاهالي الذين كانوا قد سئموا ظلمهُ وعدوانهُ وعضدتهم جنود المقدم مولاه. ومن ثمَّ عدل عن المقاومة الصريحة وآثر الحيلة والخديعة اللتين كانتا سلاحهُ المألوف وعزم على استعمالها هذه المرَّة ايضاً

ولم يكن ما عدا الجنود المتلطخين بالجريمة كرئيسهم من شاهدٍ على مقتل مالك. فعزم جوسلين على ان يتظاهر بالجهل وانكار كل ما يُنسب اليهِ. ثم انهُ امر الجنود فانزلوا الجسر النقَّال وفتحوا البوَّابة الكبيرة واقاموا يستعدون في عرصة القصر الداخليَّة لاستقبال الامير رزق الله بالتكريمات العسكريَّة

١٨

ثمَّ ان موكب الامير جاز الجسر النقَّال ناشرًا اعلامهُ وراياتهِ واصطفَّ العسكر المتأهب للقتال في ساحة القصر الداخليَّة التي اكتظَّت في يسير من الزمان بالجنود والخيل وآلات الحرب. وبحسب اوامر المقدم رزق الله انفصل قسم من رجالهِ لحراسة مدخل الجسر السابق ذكره. واماَّ باب القصر فأُبقي مفتوحاً والجسر النقال منزلًا محافظةً على دوام الاتصال بين الامير وسائر عساكره التي بقيت في خارج القلعة

وبعد ان رتَّب الامير بنفسهِ كل هذه الامور الاحتياطيَّة دخل القصر راكبًا وما كاد يترجَّل حتى خاطب جوسلين بقولهِ:

لا ريب ان قدومي اليوم من شأنهِ ان يذهلك يا سيد القليعة

(١) القلقشندي

فأجاب جوسلين وهو حانٍ رأسهُ احتراماً والابتسام يعلو أسرَّتهُ تكلُّفًا: لقد اذهلني كثيرًا يا سيدي الامير لاني بالحقيقة ما كنتُ اتوقَّع هـذا الشرف الوسيم الذي ما عوَّدتناهُ من قبل

— ألم يكن من شيء يدلُّك عليهِ ؟

— كلاَّ يا سيدي الامير لان اتباعك في جبـل اللكَّام كانوا يظنون انك ما زلت متشاغلًا بقتال العربان في البقاع

— حقًّا لو كان الله اصاخ لادعيتك لما عدتُ اصلًا من البقاع. ويا ليتك اكتفيت بالادعية فقط ولم تضف اليها الاعمال والمساعي

امَّا جوسلين فتظاهر انَّهُ لم يفهم شيئًا من مدلول هذه الكلمات الاخيرة ولذلك اراد الامير رزق الله ان يزيد كلامهُ ايضاحًا فقال:

أتعرف عربان ومتاولة البقاع ونصيريَّة الضنية ؟

— نعم اعرف انهم اعداء بلادي ومتبوعي وهذا غاية ما اعلم من امرهم

— كيف ذلك والكل يؤكدون ان المواصلات بينك وبينهم متتابعة ؟

فأجاب جوسلين دون اضطراب بقولهِ:

نعم ان لي معهم علائق اضطراريَّة لا غير ولولاها لكان يتوالى اذاهم على رعاياي

— لا اقول ان لك معهم علائق ولانيَّـة تقصد منها كفَّ تعدّياتهم بل انَّك متواطئ معهم

— لا اشك ان قوماً من المفسدين هم الذين ابلغوا الى سعادتك أُمورًا غير صحيحة قاصدين تكدير صفو خاطرك على خادمك الامين

— لا تذكر الامانة فقد علَّمتنا سيرتك الماضية منزلتَك منهـا وقُل لي الآن بايّ ضمير — ان كان لك ضمير — اغتنمتَ فرصة العفو الكريم الذي خوَّلتك اياه اجابةً لشفاعة الاب يوحنَّا فسطوت على ديرهِ واحرقتهُ وابعدت الاب المذكور الى منفى يقضي فيهِ حياتهُ بالعذاب ؟

— لا صحَّة لشيء من هذا كلهِ وانما اقترف هذه الجريمة بعض الشذَّاذ من البدو ولم ندرِ بها الَّا بعد وقوعها بزمان فما كان في الامكان منعها. ولا ريب عندي في عدلك

واستقامتك فهل يليق بك ان تعاقب البريء بجريرة المذنب

— وكم ارسلتُ اليك من الاوامر طالباً حضورك فما رددت عليها جواباً. وقد بعثت بآخر امر مع خادمي مالك ولا بدّ ان يكون قد انتهى اليك

— هذا اول خبر اسمعهُ لانهُ لم يأتني احد من قبلك على سبيل الاطلاق. على ان الطرق في جبل اللكّام غير مأمونة ولو كانت سعادتك تشرّفنا بزيارتها مرة بعد اخرى لتأكدت ان لنا نحن عبيدها المخلصين فضلًا عظيماً في الاقامة بهذه الجهات. ولعلّ الاسماعيليّة النازلين في مصياد او الرصافة ونصيريّة برج مقصور يعلمون شيئاً من اخبار الخادم الذي ارسلتهُ الى هنا لان جماعاتهم المتسلحة لا تزال تتجوّل دائماً في هذه النواحي وكلهم اعداء للمسيحيين فلا يبعد ان يفتكوا بخيّال سائر وحدهُ

ثمَّ لا يخفاك ان النصيريّة بعد ان طُردوا من بلاد البترون والجهات الاخيرة التي كانوا يحتلُّونها في جبل لبنان (١ اصبحوا يبغضون اللبنانيين بغضاً عظيماً ولاجل تأصل البغضة وتمكينها في قلوبهم تراهم في كل حفلاتهم واجتماعاتهم الدينيّة يلعنون القديس يوحنا مارون(٢. واظنّ كل الظن انَّ مالكاً ذهب بايديهم ضحيّة عن قومهِ. وحوادث القتل تقع كل يوم ولحظة في هذه الجهات فاذا كانت الاحوال سيئة عندنا فما نحن بمسؤولين عنها بل اننا اول من يشكو منها

— اعلم ان كثيرين شاهدوا مالكاً قد مرَّ في قلعة فَليس وحالات وبرج صافيتا وحصن سليمان وغير ذلك من الاماكن التي على الطريق ولم تختفِ آثاره الّا بعد وصولهِ الى قصرك فكيف تشرح هذا ؟

— لا اعرف شيئاً بل اؤكد لك ثانيةً انهُ لم يأتِ الى هنا احد من قبلك. واذا شئت فاسأل جميع هؤلاء الناس الذين يقيمون عندي وفتش جميع مخابئ القلعة وانا اول من يعاونك على التحقيق ولا ريب عندي انهُ سيثبت لك براءتي من كل تهمة باطلة

ثمَّ ان جوسلين اخرج مجموعة من المفاتيح وتهيأ للمسير فتبعهُ الامير رزق الله مصحوباً بعدد من رجالهِ حاملين المشاعل وفحص بكل تدقيق كل ما هناك من المخابئ

---

١) ابو الفداء والدمشقي وتاريخ بيروت لصالح بن يحيى

٢) الباكورة السليمانية (ص ٤٥)

فلم يعثر على شي٠٠وكانت المخابئ المذكورة مصنوعة في داخل الاسوار الضخمة على شكل لا ينبئ ظاهرهُ بوجود شي٠ منها

ثم انهم نزلوا الى الاقبية المنقورة في جوانب الجبل بعضها لخزن الاملحة والأقوات والبعض الآخر للسجون٠ فلم يجد الامير في الاقبية المذكورة الّا اشخاصاً قلائل من الفلاحين كان جوسلين قد زجّهم في الحبس مقيدين بالسلاسل لغير ذنب يوجب ذلك٠ وكان في جملتهم الراعي عبد الله الذي مرَّت عليك حكايتهُ٠ فامر المقدم رزق الله حالًا باطلاق سراحهِ واقبل على تتمّة البحث والتفتيش غير انهُ لم يتصل الى مرامهِ

وكان جوسلين يتظاهر بالمسرَّة والابتهاج مدَّعيًا بظهور براءتهِ ممَّا قذف بهِ ولكن الامير رزق الله لم يقتنع بذلك وظلَّ قلقًا ثم التفت الى جوسلين

— اكرّر عليك القول بان كثيرين من القوم الصادقين اكدوا لي انَّ مالكًا دخل قصرك فعليك اذًا ان تؤدي لي حسابًا عن كل ما جرى لهُ من ساعة ولوجهِ الى هـذا المكان٠ فاذا كنت ترجو مني عفوًا فاعلم ان أقرب وسيلة للعفو هي ان تعترف لي بكل شي٠٠٠٠فتأمل (ستأتي البقيَّة)

المئة الثانية

لانشاء الرهبانيـــة المكيتارية

لمعة تاريخيـــة للاب لويس شيخو اليسوعي

في اليوم الثامن من ايلول المنصرم ازدانت احدى جزائر مدينة البندقيّـــة بابهى حلاها٠ فكنت ترى جزيرة سان لازار (القديس لعازر) وابنيتهـــا تخفق فوقها الرايات والاعلام وتزينها الزهور واكاليل الغار٠ وكانت الاجراس تعلن بافراح اهلهـــا لكل الضواحي وتدعوهم الى مسرَّات العيـــد٠ وكان البنادقة يزدحمون في شوارع الجزيرة وحدائقها ينتظرون بفروغ الصبر افتتاح الحفلات البهجة التي أُعدَّت لذلك اليوم الجليـــل

وان سألنا السائل وما كان الداعي لدقّ البشائر واقامة تلك الافراح اجبنا انَّ



الاب مكيتار منشئ الرهبانيّة المكيتاريّة الارمنيّة

سكان الجزيرة كانوا في ذلك اليوم يحتفلون بعيد شائق وقد تقاطر البنادقة ليشاطروهم في تلك المظاهرات البهيجة . اما اهل الجزيرة الذين اقاموا تلك الحفلات فكانوا رهباناً من الطائفة الارمنية يُدعون مكيتاريين نسبةً الى مكيتار منشئهم . وكانوا في ذلك اليوم قد اتموا المئة الثانية لتأسيس رهبانيّتهم فاحبُّوا بتلك النسبة ان يجدّدوا تذكار ذاك المشروع الجليل الذي احرز للكنيسة الكاثوليكيّة عموماً وللطائفة الارمنيّة خصوصاً فخرًا عظيماً ومنافع جمّة لا تمحو اثرها الايام

فوددنا نحن ايضاً ان نستغنم هذه الفرصة لنُحيي ذكر احد مشاهير المشرق الكاثوليكي ونعرّف القراء اعمالهُ الخطيرة ونبيّن على وجه الاجمال ما كان لاولادهِ من بعدهِ من المشروعات الجليلة . ولهذه الغاية نبتدئ اولًا بملخّص ترجمة مكيتار ثم نلحقها باعمال الرهبنة المكيتاريّة

١ ترجمة مكيتار

وُلد مكيتار بن بطرس في سيواس من اعمال ارمينية الصغرى سنة ١٦٧٦ (وروي ١٦٧٨) من والدَين كاثوليكيَّين تقيَّين ربَّياهُ احسن تربية وزرعا في قلبهِ منذ صغرهِ بذر الفضائل المسيحيَّة . وكان اسم الولد مَنُوج استبدلهُ باسم مكيتار او مختار اي مُعَزٍّ يوم انتظم في سلك الكهنوت

وكان منوج مجبولًا على الصلاح منذ نعومة أظفارهِ فما بلغ رشدهُ حتى وجّه كلّ افكارهِ الى الله واعمال البرّ . ولمَّا صار في الخامسة من عمرهِ جعلهُ ابواهُ تحت تدبير كاهن فاضل فتعلّم منهُ مبادئ الدين واصول اللغة الارمنيَّة وكان يخدمهُ في الرتب الدينية وهو يقوم بها احسن قيام وكان يقضي قسماً من نهارهِ في الصلاة يفضّلها على ملاهي الصبيان اترابهِ

وممَّا يُحكى عنهُ انهُ اتفق مع غلام من اصحابهِ وهرب كلاهما من بيت ابيهِ وانفردا في مغارة بجوار البلدة لينقطعا هناك لاعمال التقشف والصلاة . غير انَّ اهلهما ما لبثوا ان طلبوهما وارجعوهما الى البيت مرغومَين . وكان عمر مكيتار عشر سنين فقط

واصبح الغلام لم يذق مذ ذاك الحين راحةً في الدنيا وامورها الزائلة فكان يلحُّ على ذويهِ ان يسمحوا لهُ بالترهُّب فامتنعوا مدَّةً ريثما يتحقّقون انَّ دعوتهُ من الله . فلمَّا رأوا انَّ عيشتهُ بينهم كعيشة النسَّاك يقضي هجعاتٍ من الليل في الصلاة ويطوي نهارهُ صائماً

وينهك قواهُ باماتة جسدهِ أجابوا اخيرًا الى ملتمسهِ. فقام مكيتار من ساعتهِ ورحل الى دير قريب من سيواس يدعى دير الصليب فدخلهُ بكل رغبة مودّعًا للعالم الغرّار وملذاتهِ الباطلة. وكان رئيساً على هذا الدير اسقف اسمهُ حنانياً فما عَرف الطالب الجديد حتى شُغف بهِ حبًا وجعلهُ شماساً في ديرهِ. وكان كل همّ مكيتار مذ دخولهِ بين الرهبان ان يقدّس نفسهُ بالفضائل المسيحيَّة صرف الى ذلك كل مجهودهِ حتى خُيّل لاخوانهِ انهُ بالملاك اشبه منهُ بالانسان. لكن الراهب الجديد لم يرَ بعد زمن قليل في اصحاب هذا الدير ما كان ينتظرهُ من النشاط والغيرة في خدمة الله فالتجأ الى العذراء الطاهرة وطلب اليها بالحاح ان توحي اليهِ بما هو ارضى الى الربّ واولى بخلاص نفسهِ فظهرت لهُ البتول في الرؤيا. ودلّتهُ على دير آخر يدعى بِيّن حيث كانت تُكرَّم صورة لها عجائبيَّة

فذهب الشاب من وقتهِ الى الدير المذكور ولبس فيهِ الاسكيم الرهباني. وقد طفح قلبهُ فرحًا لمَّا شاهد الصورة العجائبيَّة التي كانت في كنيستهِ لانها كانت تشبه كلَّ الشبه شخص العذراء الذي عاينهُ في رؤياء دير الصليب. فاخذ يكدُّ ويجدُّ في تحصيل الكمال المسيحي ويرتاض في كل الرياضات التقويَّة ويستعبد جسدهُ وحواسَّهُ ويكبح شهواتهِ حتى بلغ بعد قليل ذروة القداسة

والهمهُ الله بعد سنتين ان يطوف القرى المجاورة ويبشّر بالحقائق الدينيَّة اهلها واكثرهم متسكّعون في ظلام الجهل والآثام. فكان الشعب يأتيهِ زرافاتٍ ليستمعوا كلام الله من فيهِ وينيبوا الى التوبة ويتزوّدوا بالاسرار المحيية. فاشتهر اسم مكيتار بتلك الانحاء ونمى خبرهُ الى ارباب الدين فارادوا ان يجعلوهُ اسقفًا وهو لم يبلغ اذ ذاك العشرين من عمرهِ. لكنَّ رجل الله اختفى عنهم الى ان عدلوا عن قصدهم ثمَّ عاد الى دير بِيّن واستأنف عيشتهُ الشظفة وتقشفاتهِ السابقة

ولكثرة تهجُّدهِ وطول مطالعتهِ في الكتب الروحيَّة اصابهُ داء عياء في عيونهِ ايس الاطباء من شفائهِ. امَّا هو فكان يسلّم امره الى الله لا يطلب منهُ الَّا واحدةً ان يعرف طريقهُ الى الكنيسة. وكان مع ذلك بصرُ قلبهِ يزداد مع الايَّام توقُّدًا وذكاء وجعل يؤلف في مديح العذراء اناشيد شجيَّة املاها على اخوتهِ الرهبان. فلقي عملهُ هذا التقويّ حظوى لدى سلطانة السماوات فابرأَتْ عيونهُ دون دواء البتة. فحدت بمكيتار هذه

النعمة الجديدة الى ان يُخصِص نفسهُ الى خدمتها ونشر عبادتها بين مواطنيهِ

ومما فكَّر فيهِ في تلك الاثناء ان يذهب الى رومية العظمى ويجتمع بالحبر الروماني فيتفق معهُ على الوسائط الفعَّالة لإثارة الارمن المنفصلين عن سيدة الكنائس فيعيدهم الى الحظيرة البطرسيَّة كما كانوا على عهد القديس غريغوريوس المنوّر. فاستحرَّ بالصلاة والتمس من ابي الأنوار ان يعرّفهُ مشيئتهُ في ذلك. فما كان يزيد هذا الفكر الّا رسوخًا في عقلهِ

فقام من يسّن باذن روساءهِ وسار الى القدس الشريف ليزورهُ ثم يُبحر من هناك الى امّ المدائن. فوصل بعد ايّام الى مدينة حلب. وكان في الشهباء دير للآباء اليسوعيين فطرق بابهُ وعرض على المرسلين ما سنح لهُ من الافكار. وكان هناك الابوان انطون بوڤوليار (Beauvollier) وحنا ڤرسو (Verseau) اشتهرا بغيرتهما وارجعا كثيرين من الارمن المنفصلين. فلمَّا رأيا هذا الشاب فرحا بهِ فرحًا شديدًا وقوّيا عزيمتهُ واشارا اليهِ ان ينشئ رهبانيَّة ارمنيَّة لنشر الدين الكاثوليكي وارشداهُ الى ذلك واطلعاهُ على القوانين والرسوم الرهبانيَّة. وكتبا لهُ رسالةً يعرضها على الاب الاقدس لتحقيق هذا المشروع

فوقعت اقوال المرسلين في قلب مكيتار احسن وقع وخرج من حلب طالبًا الاماكن المقدسة وركب السفينة في الاسكندرونة. لكنهُ عند وصولهِ الى قبرس ابتلاهُ الله بمرض عضال فنُقل الى منزل الارمن الغريغوريين وكابد هناك من الاوجاع ما لا يعلمهُ الّا الله. وكان اهل هذا المنزل يشدّدون عليهِ ويضايقونهُ وعرضوا عليهِ ان يجحد الدين الكاثوليكي فأبى فتهدَّدوهُ بالموت ولم ينجُ من ايديهم الّا بالهرب وهو لم يزل مريضًا تنهك الحمَّى قواهُ. فعاد الى حلب على آخر رمق. ولمَّا ابلَّ من مرضهِ عاد الى وطنهِ

وجعل بعد عودتهِ يفكر في تتميم مقصودهِ وانشاء رهبانيَّتهِ. وكان لتحقيق نيَّاتهِ يعدُّ نفسهُ بالدروس اللاهوتية والكتابيَّة حتى اتقنهما. فاستدعاهُ اسقف ادنة الكاثوليكي ورقَّاهُ الى درجة الكهنوت سنة ١٦٩٦ وهو مع ذلك لم يتجاوز الحادي والعشرين من عمره

فرجع مكيتار وقلبهُ مفعمٌ شكرًا لله يتلهب بسعير الغيرة على خلاص القريب. ودرس مدَّةً في دير «سرب نشان» فنال فيهِ اجازة التعليم ودُعي ڤرتابيطًا. ثم زار دير اشمياترين وطاف في جهات الارمن يدعو الناس الى الاتحاد ويبشرهم بعقائد الايمان. وكانت امثالهُ وقداسة سيرتهِ تجذب الكلّ الى استماع ارشاداتهِ. ولمَّا فشت العدوى بين مواطنيهِ كان

هو اول من خاطر بنفسهِ وخدم المطعونين بغيرة ومحبّــة لم يعرفا الملل

الّا انهُ لم يزل يطلب الوسائل ليُخرج الى حيز الوجود افكارهُ الصالحة بانشاء جمعيَّة من الرهبان يخصصون انفسهم لبثّ الديانة الكاثوليكية فرحل الى الاستانة العليَّة وترل في حيّ پيره وجمع بعضاً من الشبَّان خرَّجهم في آداب الدين ودرس العلوم فكان ذلك بدء الجماعة المكيتاريَّة في أواسط سنة ١٧٠١ اخذ الاخوة يشتغلون ايضاً الاشغال اليدويَّة ليرتزقوا بشغلهم وكانوا يجلّدون الكتب ويسعون لفتح مطبعة ارمنيَّة

الّا انَّ خبرهم نمى الى الارمن الغريغوريين. فقام بطركهم افرام وقعد واثار عليهم ثوائر الاضطهادات التي احوجتهم الى ان يتبدَّدوا ويختفوا عن اعدائهم. وبقي مكيتار نفسهُ مدَّة مستترًا في دير الآباء الكبوشيين في دار السعادة لا يأمن على نفسهِ ثمَّ هرب الى ازمير وتخفَّى عند الآباء اليسوعيين

وكان قبل سفره من الاستانة في يوم عيد ميلاد العذراء عليها السلام جمع ابناءهُ الروحيين وجعلهم تحت حماية ملجإ النصارى واتفق معهم بان يذهبوا الى بلاد موره التي كانت وقتئذٍ في ملك البنادقة. فسبقوهُ اليها واحتلوا في مدينة مودون ضيوفاً مكرَّمين. اماَّ مكيتار فبقي في ازمير متسترًا حتى مكَّنتهُ الاحوال من ركوب البحر الى موره. فبلغها بعد اخطار عديدة لا حاجة الى ذكرها واجتمع في مودون بتلامذتهِ

وتبرَّع عليهِ ذوو الامر من البنادقة بارض واسعة شيَّد فيهـا كنيسة جميلة وديرًا واسعاً. ثمَّ تقاطر اليهِ الطلبة لينضوا الى جمعيَّتهِ فوضع لهم رسوماً اخذها عن قوانين القديسين انطونيوس وبنديكتس مع مراعاة طقوس الارمن وعاداتهم ولمَّا انجزها ارسل اثنين من رهبانهِ الى رومية لينالا تثبيتهـا من الكرسي الرسولي سنة ١٧٠٥. فرحَّب البابا اقليميس الحادي عشر بالرسولين وامر بفحص القوانين ثم اثبتها بعد مدَّة بسلطانهِ الاعظم وجعل مكيتار رئيساً عاماً عليها الى آخر حياتهِ

فكانت هذه النعم الممنوحة من الاب الاقدس داعياً جديدًا لمكيتار وذويهِ الى ان يباشروا كل الاعمال الرسوليَّة. فمن ذلك انهُ ارسل بعضاً من تلامذتهِ الى سيواس وطوقات واماسية ومرسڤان وانقرة وطرابزون وبروسَّة وسالونيك وحلب ليبشِّروا بالايمان الصحيح وينيروا اهل جلدتهم بمصابيح التعاليم الصادقة. فبارك الله مساعيهم وجنوا من اثمار الخلاص فوق ما كانوا يؤملون

وكانت اقامةُ مكيتار في مودون الى سنة ١٧١٥ وفيها استرجعت الدولة التركيَّة بلاد موره من يد البنادقة فاضطرَّ مكيتار ورهبانهُ ان يخرجوا من ديرهم ليلحقوا بحماة حَوزتهم وهم لا يملكون شروى نقير. وكانت رحلتهم الى البندقيَّة حيث اكرم البنادقة مثواهم وخصَّصوا بهم جزيرة صغيرة من جزائر البلدة تُدعى سان لازار (القديس لعازر). وكان في هذه الجزيرة ديرٌ قديم بُني في القرن الثاني عشر وتولى عليهِ الخراب فاهداهُ بطريرك البندقيَّة لمكيتار وتلامذتهِ

وكان اول ما شرع بعملهِ المنشئ النشيط وبنوهُ انهم اخربوا الدير القديم وباشروا بتشييد دير آخر ليجعلوا فيهِ سكناهم. ومع انَّهم كانوا لا يملكون شيئاً توصَّلوا الى ان يعمروا لهم مقاماً واسعاً كافياً لعددٍ غفير من الرهبان. وكان مكيتار كثير الثقة بالله لا يهتمُّ بالغد. وكان الله لا يخيّب فيهِ رجاءهُ فارسل لهُ قوماً من المحسنين قاموا بنفقات ديرهِ. ثمَّ بنى مكيتار كنيسة جميلة ذات ثلاثة اسواق متَّصلة بالدير يعدّها البنادقة من احكم ابنيتهم صنعاً. وكان المكيتاريُّون يقيمون فيها الرتب الدينيَّة بالارمنيَّة برونق وتقوى عظيمين

وممَّا سعى بهِ مكيتار انشاء مطبعة كبرى لينشر فيها المطبوعات الكاثوليكيَّة ويرسلها الى انحاء الارمن. فجهَّزها بالادوات اللازمة واستحضر لها حروفاً جميلة من بلاد هولندة فاضحت بعد قليل احسن مطبعة ارمنيَّة في الاصقاع الاوربيَّة. وكان هذا الرئيس الهمام مع كثرة اشغالهِ منصبًّا على التأليف ساعياً بنشر الكتب وترجمتها واصلاحها. واوَّل كتاب برز من هذه المطبعة كتاب التوراة مزيَّناً بالتصاوير الحسنة. وقد اثنى على هذه النسخة الارمنيَّة كثيرون من العلماء في مقدَّمتهم البابا بندكتوس الرابع عشر

ثمَّ ألحق مكيتار هذا التأليف الجليل بمصنَّفات اخرى منها شرح الاناجيل المقدَّسة ومعجم واسع للغة الارمنيَّة وغير ذلك ممَّا يدلُّ على طول باعهِ في الكتابة وسعة معارفهِ الدينيَّة والدنيويَّة

وقد ابتلى مكيتارَ ربُّهُ بمحن عديدة صبر عليها صبرًا جميلاً. من ذلك انَّ الحسَّاد رموهُ بتُهم باطلة لدى امام الاحبار الَّا ان برارتهُ ظهرت ظهور الشمس في رائعة النهار. وكان مع ذلك لين العريكة حليماً لا يريد ان يذكر احدٌ امامهُ اسم اعدائهِ بالشر وربَّما دافع عنهم ومنع ذوي الامر عن معاقبتهم وقد مكَّنهُ الله من قلوب بعضهم اضحوا

بعد ذلك من حميم اصدقائهِ . ومن الشواهد على طول اناتهِ انَّ احد اعدائهِ تمكَّن من اوراقهِ وبعض تآليفهِ فاحرقها بعد ان كان رجل الله صرف على كتابتها دهرًا من الزمان . فتحمَّل الأذى دون ان يفوه ببنت شفة غير ناقم على مرتكب هذه الجريمة

وكانت وفاة مكيتار في ٢٧ نيسان من سنة ١٧٤٩ توفاهُ الله الى رحمتهِ . وكانت ميتتهُ صالحةً كحياتهِ استعدَّ الى ملاقاة ربّهِ بكلّ الرياضات التقويَّة . وكان آخر ما قالهُ لتلامذتهِ انهُ حرَّضهم على محافظة القوانين والطاعة للكرسي الرسولي والمحبَّة الاخويَّة والغيرة في سبيل القريب لا سيَّما اخوتهم المنفصلين

فما طار منعاهُ في البندقيَّة وضواحيها حتى كُسفت الوجوه وتكدَّرت الخواطر . وكان الجميع يعدُّون موت رجل الله كرزيئة عموميَّة ويذكرون اعمالهُ المبرورة . ولمَّا عُرض جسدهُ الطاهر في باحة الكنيسة بقي فيها يومَين والناس يتبرَّكون باستلام قدميهِ ثم دُفن باحتفال عظيم في الكنيسة بازاء المذبح الكبير . ومذ يوم وفاتـهِ كان كثيرون يلتمسون شفاعتهُ ويطلبون من الله نعماً على يدهِ فما خابت آمالهم . وقـد جمع اولادهُ تفاصيلَ المعجزات التي جرت عند قبرهِ رجاء ان تثبت يومًا بيعة الله سموَّ قداستهِ وتدرج اسمهُ في سجل اولياء الله

٢ الرهبانية المكيتاريَّة

بقي علينا لانجاز وعدنا ان نذكر الرهبانيَّة المكيتاريَّة ونلخص مجمل اعمالها فنقول: ان منشئهـا البارّ احسن تنظيم هذه الطغمة وجعلها على اساس متين فلذلك صبرت الى يومنا على تقلُّبات الدهر . وهذه الجمعيَّة تُقسم الى ثلاثة اقسام: منهم المعلِّمون او الملافنة ثم الدارسون ثم الطالبون . فللمعلِّمين سياسة الرهبنة والشغل والتعليم وتصنيف الكتب وأعمال التبشير وهم كهنة . امَّا الدارسون فهم الذين انضمُّوا الى الرهبانيَّـة ولم بعد يتمِّموا دروسهم الدينيَّـة والادبيَّة . امَّا الطالبون فهم اولاد من سنّ الثامنة الى الخامسة عشرة يختارونهم من طائفة الارمن الكاثوليك ويربُّونهم مجانًا حتى اذا أنسوا فيهم رغبةً الى الترهُّب ادخلوهم في عداد الدارسين

وقد خلف مكيتارَ منذ وفاتـهِ الى عهدنا خمسةُ رؤساء هذه اسماؤهم: (الاول) استفان ملكونيان القسطنطيني قام برئاسة الرهبانيَّة خمسين سنةً (١٧٥٠—١٨٠٠). وفي ايَّامهِ انفصل قسم من المكيتاريين عن اخوتهم سنة ١٧٧٧ واقاموا في بلاد النمسة

فسكنوا مدَّةً في تريسته ثمَّ انتقلوا الى ڤينة سنة ١٨٠٧ وهم لا يزالون هناك حتى اليوم. وهذا الفرع الثاني من الرهبانيَّة المكيتاريَّة يتبع ايضاً قانون مكيتار ولا يختلف عن الفرع الاصلي في شيء الَّا انهُ قائم بذاتهِ

والرئيس (الثاني) على المكيتاريين في البندقيَّة كان استفان أكُنتس كوڤر كان اصلهُ من ترنسيلڤانية تولى الرئاسة ٢٤ سنة (١٨٠٠—١٨٢٤) وكان هذا الاب من علماء زمانهِ ألَّف كتباً عديدة بالارمنيَّة منها كتاب في الخطابة وتأليف ضخم في عدَّة مجلدات يتضمَّن الجغرافية العموميَّة وكتاب سيرة مكيتار وتفسير الكتاب المقدس في سبعة مجلدات. وفي ايَّامهِ زار جزيرة سان لازار البابا بيوس السابع فقرَّظهُ الرئيس العام وقدَّم لهُ كتاباً جمع فيهِ شهادات للكتبة الارمن في رئاسة بطرس وخلفائهِ على جميع كنائس العالم. وقد رقَّاهُ الحبر الروماني المذكور الى رتبة رئيس اساقفة

وتقلد الرئاسة بعدهُ الرئيس (الثالث) وهو سوكياس سومال من الاستانة من سنة ١٨٢٤ الى ١٨٤٦. وبهمَّتهِ اتسع نطاق الرهبنة المكيتاريَّة فانشأت مدرستين كبيرتين لتهذيب الاحداث الواحدة في البندقيَّة والاخرى في بادُوَا وهي التي نُقلت بعدئذٍ الى باريس. وكان الاب سوكياس ينشِّط اخوتهُ على الاعمال الشريفة ويتقدمهم بمثلهِ. وبمساعيهِ طُبع قسمٌ كبير من تآليف ادباء الارمن الاقدمين وغيرهم. وقد اقامهُ لاون الثاني عشر اسقفاً على صهيون شرفاً سنة ١٨٢٦

وخلفهُ سنة ١٨٤٦ جرجس هرمز وهو (الرابع) بعد مكيتار. وسُقِّف في سنة انتخابهِ وكان المذكور طاف انحاء الشرق مبشِّراً بين اُمَّتهِ بالدين الكاثوليكي مدَّة ١٥ سنة. فدبَّر الرهبانيَّة المكيتاريَّة الى سنة ١٨٧٤. وكان السيد هرمز من مشاهير زمانهِ مكرَّماً محبوباً من الجميع نال من الدول العظمى وسامات تشير الى اعتبارها لهُ

ولمَّا توفي السيد جرجس هرمز أُقيم بعدهُ سنة ١٨٧٤ الرئيس الحالي (الخامس) بعد مكيتار واسمهُ اغناطيوس كيورك وهو اسقف على ترايانوبوليس شرفاً. لهُ فضل كبير على اخوتهِ واهل وطنهِ فانَّهُ انشأ لهم اديرةً في ازميد وطرابزون وعزَّز الدروس الارمنيَّة واعطى للمطبعة المكيتاريَّة رونقاً جديداً بنشر عدَّة تآليف قديمة وحديثة دينية وادبية

ولو اردنا بعد ذكر رؤساء الرهبانية المكيتاريَّة ان نفصِّل اخبار رجالها العظام لطال بنا الكلام وانَّما نكتفي بذكر بعض منهم اشتهروا بالتأليف: منهم الاب ڤرتان اصغريان

(١٧٢٠—١٨١٠) نقل الى الارمنيَّة قسماً من اعمال الآباء اللاتينيين ثمَّ راجع التوراة الارمنيَّة على النسختين اللاتينيَّة والسبعينيَّة ووضع معجماً للكتاب المقدس. ونقل كتباً عديدة من الافرنسيَّة واللاتينيَّة لتثقيف الشبَّان. ومنهم الاب ميخائيل تشاميش (١٧٣٨—١٨٢٣) لهُ تاريخ مطوَّل لبلاد ارمينية في ثلاث مجلدات واصول اللغـة الارمنيَّة وكتب دينيَّة وجدليَّة وطقسيَّة. ومنهم الاب جبرائيل اڤيديكيان (١٧٥٠—١٨٢٧) لهُ تفسير على رسائل مار بولس وشرح الطقوس الارمنيَّة ومقالات دينيَّـة وادبيَّة ولغويَّة في الارمنيَّة والايطاليَّة. ومنهم الاب لوقا إنجيج (١٧٥٨—١٨٣٣) ألَّف جغرافية كبرى لتركية اوربَّة وعاديَّات أرمينية وتراجم القديسين العظام وغير ذلك ممَّا اكسبهُ شهرةً واسعة. ومنهم حنَّا أوْشِر (١٧٦٢—١٨٥٤) كان من فطاحل الكتبة ألَّف نحو خمسين تأليفاً منها سيَر القديسين في ١٢ مجلدًا واللاهوت النظري في اربعة مجلدات وقاموس واسع للغة الارمنيَّة في جلدين ومكتبة الآباء الارمن في اربعـة مجلدات وترجمة اعمال الاباء اللاتينيين في ١٢ مجلدًا وكتب اخرى عديدة اثنى عليها كلُّ المستشرقين. ومنهم الاب اغناطيوس پاپازيان (١٧٦٤—١٨٥٢) جعلهُ غريغوريوس السادس عشر مطرانًا. ألَّف تاريخاً كنسيًا وتقاويم ومقالات علميَّة. ومنهم الاب مانويل چكچك (١٧٧٠—١٨٣٥) لهُ قاموسان ارمني ايطالي وايطالي ارمني ونقل كتباً اعجميَّة الى الارمنيَّة. ومنهم الاب افرام سَتيان (١٧٩١— ١٨٣٨) صنَّف كتباً تاريخيَّة وادبيَّة وخطابيَّة فضـلًا عمَّا نقلهُ الى الارمنيَّـة. ومنهم الاب پَسكال أوْشِر (١٧٧٤—١٨٥٤) اخو الاب حنَّا أوْشر كان يُحسن التكلُّم والكتابة في عشر لغات وكان يُعَـدّ من الكتبة المتضلِّعين والشعراء المفلقين. وممَّا ترجمهُ الى الارمنيَّة « الفردوس المفقود » للشاعر الانكليزي مِلتون. ومنهم الاب الياس توماجيان (١٧٧٢—١٨٤٨) وهو مترجم شعر اوميروس واوروبيدس واعمال ارسطو. وتآليفهُ كثيرة مشهورة. ومنهم الاب ميناس ميديشي (١٧٧٧—١٨٤٦) عُرف بتآليفهِ المدرسيَّة اشهرها معجم باربع لغات التركيَّة والروسيَّة والارمنية والفرنسيَّة. ومنهم الاب ارسانيوس بغراتيد (١٧٩٠—١٨٦٦) لهُ كتب ادب وشعر وقد نقل الى الارمنيَّة اشهر تآليف اليونان والطليـان والفرنسويين. ومنهم الاسقف ادوار هرمز (١٧٩٩—١٨٧١) أغنى طائفتهُ بترجمة نحو ٢٠ كتابًا من التآليف الاجنبيَّة في كل فن. ومنهم الاب ابراهيم جياريان (١٨١٧—١٨٩٢) كان مولعًا بدرس تآليف قدماء اليونان

وقد ترجم منها قسماً كبيرًا كمثل كتب افلاطون وتوقديدس

وقد اشتهر في ايّامنا الاب بولس كركين والاب اليشان الشاعر المُجيد والاب استفان ساريان مدير المطبعة المكيتاريَّة. وللآباء المكيتاريين مجلة ذائعة الشهرة علميَّة ادبيَّة تاريخيَّة تُدعى بَزْماڤيك (مجموعة الاخبار) يحرّرها الاب سمعان إرميان

هذا ما رأينا ايراده في هذه النبذة الموجزة ولولا ضيق المقام لاتّسعنا فوق ذلك على اعمال المكيتاريين ووصفنا مكتبتهم الغنيَّة بالمخطوطات الارمنيَّة ومتحف عاديَّاتهم الكثيرة الآثار واسترسلنا في ذكر مساعي اخوتهم الذين في ڤينَّة وقد اسعدنا الحظ بزيارة ديرهم العامر ومطبعتهم الزاهرة. ولا يسعنا الَّا ان نختم داعين لهذه الرهبنة بالترقي والنموّ لمجد الله الاعظم وفخر الكنيسة الكاثوليكيَّة

(حاشية) قد نقلنا كثيرًا من الفوائد التي سطّرناها في مقالتنا السابقة عن كتابين حديثين نشرتهما المطبعة المكيتاريَّة بالطليانية وهما تحفة في بابها يتضمّن احدهما ترجمة مكيتار والثاني وصف جزيرة سان لازار وقد تلطَّف مدير المطبعة فاهدانا ايَّاهما

توجيه المناطيد

للاب ر. ش. اليسوعي

لمَّا حلّق في الفضاء لاوّل مرَّة سنة ١٧٨٥ الفرنسويّان مُنغُلفيار وپيلاتر دي رُزيار راقيين في مركبتهما الهوائيَّة بنى العلماء على هذا الاختراع الجديد آمالًا طيّبة لترقّي الفنون وتقدُّم المعارف البشريَّة. والحق يُقال انَّ هذه الاماني لم تذهب سدًى فانَّ العلماء رصدوا بتلك الواسطة ظواهر الجوّ كالحرارة والبرد واليبوسة والرطوبة والمطر والتبخُّر وثقل الهواء وخفَّته. واستفاد منها مخطّطو البلدان اذ امكنهم بها ان يُطلّوا على معاملات واسعة اخذوا رسمها من الجوّ. امَّا ارباب الحرب فاتخذوها كاحسن وسيلة لرصد حركات العدو إبَّان الحرب وقذفهِ بالقنابل من علٍ وما شاكل ذلك من فنون الجهاد

على انَّ هذه الفوائد مع عظم شأنها كانت محصورةً لم يشإ الانسان ان يكتفي بها وهو يؤمّل ما فوق ذلك راجياً ان يطوف البلاد وينتقل الى اربع خوافق المعمور كما يحسن في اعينهِ. وعليهِ اخذ العلماء يبحثون عن طريقة تمكّنهم من توجيه المناطيد ودفعها الى اي جهةٍ سنح لهم

وكان اوَّل من امتحن ذلك الفرنسوي مونيار (Meunier) اتخذ لهُ مركبة هوائيَّة مستديرة ذات غلافين احدهما ضمن الآخر لكنَّ مساعيهُ ذهبت ادراج الرياح. وعلى مثالهِ كبا زَند فرنسوي آخر يُدعى ترانسون (Transon) كان جمع بين منطادين للموازنة بينهما فلم ينجح. وفي سنة ١٨٥٢ حاول الطبيعيُّ جيفار (Giffard) ان يستعين بالبخار لتوجيه منطاد كان جهَّزهُ وجعلهُ على صورة بيضويَّة ذا قطب افقيّ ليقلَّ بذلك تمكُّن الريح من المنطاد. وكان لحظ انَّ المنطاد الكروي تصدمهُ الرياح صدمةً قويَّة عند جريهِ لاتساع سطحهِ فتلافى الامر بالمنطاد البيضوي او المغزليّ. وقد اصاب جيفار بعض النجاح وبيَّن على وجه صريح انَّهُ يمكن دفع المناطيد وتوجيهها بواسطة رفَّاس يسوقها الى حيث يشاء صاحبها. وقد جدَّد دوبوي دي لوم (Dupuy-de-Lôme) هذه الامتحانات سنة ١٨٧٢ وايَّد ما استنتجهُ جيفار بتجاربهِ السابقة

لكن هنا مشكلًا كبيرًا لم يستطع أحد حتَّى الآن ان يحلَّ اربتهُ. انَّ المنطاد لكي يقوى على معاكسة الريح لا بُدَّ لهُ من محرّكٍ قويّ. وكلُّ محرّكٍ قويٍّ ثقيلُ الجهاز فينبغي لهُ منطاد عظيم ليحملهُ الى الفضاء. وان عظم المنطاد زادت مصادمة الريح لهُ فلا يتمكَّن من كسر سَوْرتها. فهذا دَوْر لم ينجُ منهُ مجهّزو المناطيد حتى يومنا ولذلك كان البعض فكَّروا في الاستجناح اي انَّهم اتَّخذوا للانسان ادوات تقوم لهُ مقام الاجنحة للطائر. وقد وضعوا لهذه الغاية آلات جمَّة لم تأتِ حتى الآن بالثمرة المرتجاة. بل ذهب كثيرون من اصحابها ضحيَّة تهوُّرهم في الاخطار فهبطوا الى الحضيض وماتوا او تهشَّمت عظامهم

ولفكّ هذا المعضل التجأ تيسَّندياي (Tissandier) سنة ١٨٨٣ الى الكهربائيَّة لانَّ ادواتها اخفُّ من غيرها فصعد في اوتويل (Auteuil) الى علوّ ٥٠٠ متر وقاوم سورة ريحٍ كانت قوَّتها ثلاثة امتار في الثانية وادار مركبتهُ بدقَّةٍ كما شاء. ثمَّ كرَّر مرارًا امتحاناتهِ وحسَّن أدوات مركبتهِ فبلَّغ سرعتها اربعة امتار في الثانية

وفي السنة التالية جهَّز الضابطان رينار (Renard) وكربس (Krebs) منطادًا دعواهُ « فرنسة » وجريا فيهِ على طريقة تيسندياي وجعلا لهُ رفَّاسًا في مقدَّمتهِ ورفعا فيهِ بطاريَّة كهربائيَّة ثقلها ٤٣٥ كيلو غرامًا قوَّتها سبعة افراس. وكان ثِقَل الاجهزة الاخرى مع الراكبَين وصابورة المركب نحو ١٦٠٠ كيلو غرام. فتمكَّن الضابطان من

التحليق في الجوّ وحوّما دائرين بسرعة تبلغ ١٥ كيلومترًا في الساعة. غير انَّ الضابطين وجدا من مكافحة الريح ما لم يكن من حسبانهما وفهما انهما لو ارادا ان يحرّكا المنطاد بحركة عشرة امتار في الثانية اقتضى ذلك آلةً تبلغ قوّتها ٣١ فرسًا. ولا يخفى انَّ ثقل محرّكٍ كهذا يصعب نقلهُ الى اعالي الجوّ

ولم يتقدَّم فنّ اللاحة الجويّة بعد هذين الضابطين كثيرًا الى السنة الماضية ١٩٠١ حيث قدَّم المسيو هنري دويتش (Deutsch) احد الاغنياء المتاجرين بالپترول مئة الف فرنك جائزةً يربحها من قدر على ان يخترق الجوّ بمركبة هوائيّة يحرّكها الپترول فيدور حول برج ايفل ويعود الى المكان الذي نهض منهُ فينجز دورانهُ بثلاثين دقيقة. وجعل المسيو دويتش الجائزة في يد لجنة تحكم في استيفاء الشروط يتقدَّمها البرنس رولان بونبرت

فكان اول من اكتتب في عداد المسابقين سنتوس دومون (Santos Dumont) وهو شابٌ برازيلي لم يبلغ سنُّهُ الثلاثين لكنَّهُ قويّ الساعد شديد العزيمة رابط الجأش. وتزيد القرّاء علماً بهِ انهُ تهذَّب في مدارس الآباء اليسوعيين في وطنهِ وهو متمسّك بعُرى الدين. ومن الشارات الدالّة على تديُّنهِ ان الكنتة دي او (d'Eu) ابنة المرحوم دون بدرو امبراطور البرازيل كانت اهدتهُ ايقونة من الفضة تمثل القديس مبارك وطلبت اليهِ ان يجعلها على صدرهِ مدَّة ارتفاعهِ في سفينتهِ الجويّة عساها تنجيهِ من الاخطار. ففعل ولم يبالِ بسخرية بعض الجرائد الكفريّة

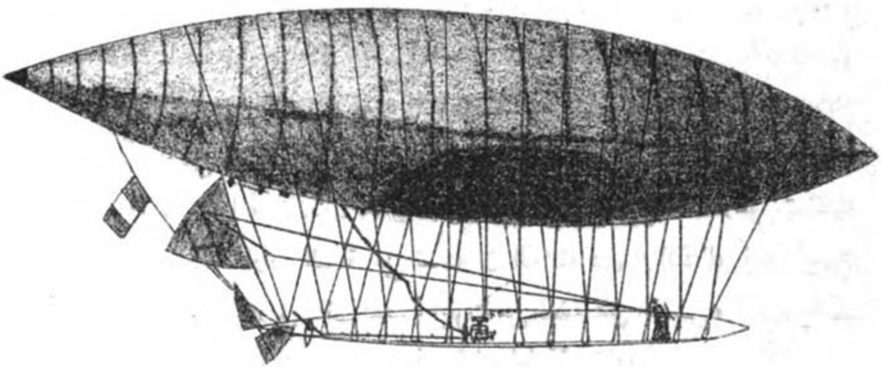
والشهم الذي نذكرهُ قد أُولع منذ حداثتهِ بصناعة المناطيد لم يزل يفكّر في أمثل وسيلة ليخرق بها عباب الجوّ ويستولي على اعنَّة ملكهِ. وهو لا يطلب بذلك ربحًا ماديًّا بل الشرف وخدمة العلوم والانسانية. والدليل على ذلك انهُ تكلَّف في تجهيز المناطيد المبالغ الطائلة تفوق جائزة دويتش خمسة اضعاف. فضلًا عن انهُ كان وعد ان لا يحتفظ لنفسهِ بارة من السَّبَق بل يتبرّع بهِ على ذوي البأساء

وكان دومون قبل المنطاد الرابح جهَّز لاكتساب الخطر ستَّ مراكب أُخر امتحن بها اختراعهُ وهو لم يزل يحسّنها الواحدة بعد الأُخرى حتى اصابت السابعة قصبة الفوز

وهذا المنطاد الفائز عبارة عن جهاز مغزليّ الشكل طولهُ ستَّة امتار و٤٠ س يبلغ حجمهُ ٦٠٠ متر مكعب ودومون اول من اتّخذ غاز الپترول كمحرّك لمركبتهِ. وكانت قوَّة هذا المحرّك ١٦ فرسًا. ومن خواصّ هذا المنطاد انَّ صاحبهُ جعل ضمنهُ منطادًا

آخر صغير الحجم يُنفخ بالهواء بينما يُنفخ المنطاد المغزلي الكبير بالپترول. وهذا المنطاد الصغير ينفخهُ الراكب بآلة يديرها بيدهِ فاذا انتفخ يضغط الهيدروجين الذي في المنطاد الخارجي فيمنع بذلك تجعُّدهُ ويحفظ موازنتهُ رهاقَ الريح. وحول المنطاد المغزلي حبال كشبكة تحمل جسرًا طولهُ ١٨ مترًا جُعلت عليهِ الآلة المحركة وفي وسطها شبه السلَّة يجلس فيها الراكب لتدبير الدفَّة والمصاريع التي تُفضي الى المنطادين الداخلي والخارجي

وكان يوم السبت الواقع في ١٩ من تشرين الاول يومًا مشهودًا اهتزَّت لهُ كل باريس لترى ما يكون من امر الشاب ومركبتهِ. فلمَّا كانت الساعة ٢ والدقيقة ١٨



منطاد دومون الذي نـال الجائزة

حلَّق دومون مرتفعًا في الجوّ من حديقة سان كلو (Saint Cloud) غير أنَّهُ عند ارتفاعهِ اشتبكت الحبال ببعضها فاضطرّ الى الهبوط لاصلاحها. فظن الناس انهُ لم يتجاسر على النهوض ثانيةً. لكنَّهُ بعد الفحص رأى ان السفينة لم تُصب بضرر فقال بكل هدوّ وسكينة: « اني استأنف سفري » ثمَّ تصاعد بمركبتهِ كالطائر الخفَّاق وما مرَّ عليهِ تسع دقائق حتى بلغ اعالي بُرج ايفل بسرعة سبعة امتار في الثانية. وكان الشاخصون كلهم عيون ليروا ما سيجري بهِ. غير انَّ الشاب اللوذعي بعد حركات قليلة وجبت لها القلوب خوفًا على حياتهِ دار حول البرج بحذق عجيب وادار الدفَّة الى صوب الحديقة. فصرخ بعض الفكهاء: « يا مسيو دويتش اليوم يوم السبت تُعطى فيهِ الاجرة للعمَلة فهيَّ الكيس » فضحك الجمهور وصفَّقوا استحسانًا

امَّا دومون فعاد ادراجهُ وبلغ حديقة سان كلو بعد ٢٩ دقيقة وبعض ثوانٍ اي قبل

الميعاد باكثر من نصف دقيقة . غير انهُ خوفاً من ان تعلق مركبتهُ برؤوس الاشجار استدار قليلًا فبلغ الارض بعد دقيقة . وقد حسبت اللجنة هذه الدقيقة داخلةً في الميعاد بخلاف ما كان سنتوس اشترط . لكنَّ هنري دويتش حكم لهُ بالجائزة وانضوى الى رأيهِ بعد مدّة ثلثا اعضاء اللجنة فأُعطي الجائزة فضلًا عن ٢٥٠٠٠ فرنك اهداهُ ايّاها دويتش . امّا سنتوس فلنزاهة طباعهِ فرّق كل هذا المبلغ على فقراء باريس .

فبعد هذا الفوز العظيم دخلت الملاحة الجوّية في طور جديد . والامل ثابت بان العلماء سيجرون على طريقتهِ ويحسّنون مركبتهُ الى ان يستتبّ لهم الامر تماماً . والمسيو دومون نفسهُ لم يكتفِ بما صنع وها هوذا اليوم قد باشر تجهيز منطاد ثامن على نفقة امير موناكو يريد ان يقطع بهِ المسافة الى جزيرة كرسيكا . حتى اذا ادرك غايتهُ قطع البحر المتوسّط ثمَّ البحر الاتلنتيكيّ ايّدهُ الله بيمينهِ ومتّعهُ بمرغوبهِ لمجد اسمهِ وخير الانسانيّة

مطبوعات شرقية جديدة

Barhebræus u. sein Scholien z. h. Schrift
v. Dr Johann Gottesberger
docent d. Theologie in Freising, Freiburg. 1900 SS. 183

ابن العبري وشروحهُ على الاسفار الكريمة

يذكر القرّاء مقالتنا المطوّلة التي حرّرناها في السنة الاولى من المشرق تحت عنوان « ابن العبري ترجمتهُ وتآليفهُ » وكنّا جمعنا وقتئذٍ ما كتبناهُ في اعداد متفرّقة فطبعناهُ على حدة في كرّاسةٍ تبلغ ٨٠ صفحة . وقد استحسن الدكتور غوتسبرجر هذا الموضوع وعاد اليهِ في كتاب نفيس صنّفهُ بالالمانيّة وضمّنهُ ترجمة ابن العبري ثمّ بسط الكلام فيهِ عن تآليف هذا الملفان الجليل اجمالًا وعن مصنّفاتهِ الكتابيّة خصوصاً . ولا يسعنا هنا الّا ان نثني على همّة الكاتب ونشكرهُ على ذكرهِ لحقارتنا بكلامٍ يتدفّق رقّةً . وممّا بحث عنهُ المؤلف في هذا الكتاب التراجم التي رجع اليها ابن العبري في شروحهِ اخصُّها الترجمة السريانيّة المعروفة بالبسيطة (ܦܫܝܛܬܐ) وقد استند ذلك العلّامة الى نسخ قديمة منها تختلف عن النسخة الشائعة اليوم بعض الاختلاف . ثمَّ الترجمة السبعينيّة ثمَّ ترجمة

اوريجانس المعروفة بالمسدَّسة (Hexaplaris) لقيها ابو الفرج منقولة الى السريانيَّة. ثمَّ الترجمة الهيرقليَّة وترجمة فيلوكسانس المنبجي. وكذلك بيَّن ما في تآليف ابن العبري الكتابيَّة من الخواص اللغويَّة والانتقاد الى غير ذلك من الابحاث الهامَّة التي لا يتصدَّى لها الَّا من رسخت قدمهُ في العلوم الدينيَّة والمعارف اللغويَّة

خلاصة اعمال شركة القديس منصور دي پول في بيروت عن سنة ١٩٠١

طُبع في مطبعة الثبات (ص ٦٤)

لا نتمالك كلَّما نرى هذا البرنامج السنويَّ عن تكرار قول صاحب المزامير (٤٠ : ٢): « طوبى لمن يراعي المسكين يُنقذهُ الرب في يوم السوء » فان كان هذا جزاء الرب لمن يراعون المساكين فما قولنا عمَّن يبذلون في خدمتهم نفوسهم ونفائسهم كما يفعل اعضاء شركة القديس منصور دي بول. ومن شكَّ في الامر كفاهُ ان يراجع هذه الخلاصة وهي في صمتها أنطق من كلّ ذي لسن وافوه من كل خطيب اذ يرى فيها ان الجمعيَّة صرفت منذ انشائها الى اليوم نيِّفًا و ٢,٨٠٠,٠٠٠ قرش في سبيل البرّ. فالله نسأل ان يثيب رئيسها الهمام وجميع اعضائها الافاضل

NUMISMATIQUE DES VILLES DE LA PHÉNICIE
par le Dr J. Rouvier, *Extrait*, pp. 125 - 152.

قائمة المسكوكات الفينيقيَّة

هذا القسم من قائمة المسكوكات الفينيقية تابعٌ لما سبق في المشرق (٤ : ٤٧٥ و ٨٥٦) ضمَّنهُ صاحبهُ العلامة الدكتور جول روفيه وصف ١٣٤ نقدًا من نقود اربع مدن فينيقيَّة قديمة وهي دورا وأنهيدرا ومراتوس وأرثوسيا. وقد نبَّهنا القرَّاء انَّ هذا التأليف فريدٌ في جنسهِ لا غنًى عنهُ لمن يريد معرفة تاريخ سواحل بحر الشام

كتاب الثريَّا المضيَّة في الدروس العروضيَّة

تأليف مصطفى بن محمَّد سليم الغلاييني البيروتي (طبع سنة ١٣١٩. ص ٤٨)

قد جرى مؤلف هذا الكتاب الاديب الفاضل مصطفى افندي الغلاييني على طريقة مدرسيَّة واضحة العبارة من شأنها ان تسهّل للطلبة درس العروض وادراك ابحاثهِ الجمَّة. فقسم تأليفهُ الى ٣٣ درسًا ضمَّنها اولًا مقدمات شتى توطئةً لعلم البحور ثم ألحق هذه

المقدَّمات بشرح كلّ بحر على حدة. ويُختم كلُّ درس باسئلة تقرّب فوائده الى عقول الاحداث. وفي ذيل الكتاب شروح وايضاحات على ما يستغلق ادراكهُ. ولمَّا كانت غاية المؤلف ان يجعل مصنَّفهُ مدرسيًّا محضًا قد عدل عن المطالب الدقيقة كالزحافات والجوازات الشعريَّة والقافيـــة وغير ذلك ممَّا تركهُ لمطوَّلات هذا الفنّ. فنثني على همَّة صاحب الكتاب ونتمنى لتأليفهِ رواجًا

شَذَرَاتٌ

ابو العلاء المعرّي — كتب الينا جناب القانوني الفاضل جرجس افندي صفا مستحسنًا لما دوَّناهُ في المشرق (٤ : ١٠٦٨) لتبرئة ساحة ابي العلاء من وصمة الالحاد. وقد أيد ذلك بشواهد جديدة نقلها من شعرهِ تظهر ايمانهُ بالله عزَّ وجلَّ وشرائعهِ وبالبعث والثواب والعقاب. وزاد انهُ عثر على نسخة قديمة من ديوان اللزوم عند سليم افندي مدوَّر بسط الشاعر في مقدمتها تبرّؤهُ من قصد الالحاد باوضح بيان وقال انَّ غرضهُ التفنن بالشعر. فنشكر لجناب المراسل هذه الافادة الجديدة اثباتًا لما قدَّمنا

مخطوطات الجامع الاموي — انَّ العلامة الالماني المسيو ڤيوله (B. Violet) بموجب فرمان شاهاني كان يبحث في المخطوطات المصونة في القبَّة التي موقعها في ساحة الجامع الاموي في دمشق فوجد اوراقًا كثيرة بالخط الكوفي وفي السريانية واليونانية. ومن جملة ما اكتشفهُ بينها قسم من كتاب المزامير العربيَّة مكتوبة بحرف يوناني. وقد باشر نشر هذه القطع التي يرتقي عهدها الى عهد الخلافــة الامويَّة وألحق ذلك بملاحظات وفوائد لغويَّة وتاريخيَّة. وقد قرأنا ما نشرهُ في المجلة الالمانيَّة (Orienta-listische Litteratur-Zeitung) في اعدادها العاشر والحادي عشر والثاني عشر. وان شاء الله سنعود الى هذا البحث ونبيّن ما لهذا الاكتشاف من الشأن الخطير لمعرفة آداب اللغة العربيَّة العاميَّة في سالف الزمان

عناصر جديدة في الهواء — منذ اليوم الذي تمكَّن بهِ ديوار (Dewar) من تسييل الهيدروجين اتخذ العلماء هذا الغاز كوسيلة لعدَّة اكتشافات مهمَّة منها تجمُّد الهواء فانك اذا غمست في الهيدروجين السائل قطعةً من المعدن وركبها للحال الهواء متحببًا جامدًا تراهُ يسيل بعد قليل كالثلج الذائب. ومنها اكتشاف عناصر جديدة

في الهواء بواسطة الطيف الشمسي فان شعاع النور اذا تحـلّل بنفوذهِ في الهيدروجين السائل اظهر للعيـان عناصر جديدة اكتُشفت حديثاً كالارغون والكِبِينون والهيليوم والكورونيوم الذي كان يظنهُ البعض كعنصر خاصّ بجرم الشمس ل٠ش

أسئلة وأجوبة

س سأل جناب خليل افندي بيدس: ١ً من هو تريفون الوارد ذكرهُ في سفر المكابيين الاوّل (١٢ : ٤٩) وما كانت جنسيّـة جيوشهِ . ٢ً هل بنى هيرودس في واحة اريحا مدينة تدعى فاسيليدا باسم اخيه. ٣ً هل جدول كريت الوارد ذكرهُ في سفر الملوك الثالث (١٧ : ٣-٧) باسم فاسايل هو نسبة الى المدينة المذكورة

تريفون — مدينة فاسيليدا — جدول كريت

ج جوابنا على (الاول) ان تريفون هذا كان اصلهُ من نواحي افامية (قلعة المضيق) تغلّب عليهِ الطمع فسار بجيش من أخلاط اليونان وشذاذ الآراميين او السوريين وطغى وبغى حتى صار ملكاً سنة ١٤٤ ق م. وكان اسمهُ ديودوتس وانّما دُعي تريفون اي فاجرًا لسوء اعمالهِ — نجيب على (الثاني) انّ هيرودوس ابتنى مدينة تدعى باسم اخيـهِ مدينة فزائيل واسمها الحالي خربة فسائل في مدخل وادي فسائل كانت قديمًا واحة كثيرة النخل — نجيب على (الثالث) ان الارجح ان جدول كريت المذكور كان شرقي الاردن والبعض يظنون انّ موقعهُ في وادي الحمار شمالي وادي عجلون هـ٠ل

س وسأل جناب الشماس ديونيسيوس كفوري الراهب الشويري. ١ً هل انّ الله يخلق نفس الحيوان كما يخلق نفس الانسان. ٢ً وهل تبقى هذه النفس بعد موت البهيمة ام تُلاشى نفس الحيوان

ج قد زعم بعض الفلاسفة انّ الله يخلق من العدم نفس الحيوان كما يخلق نفس الانسان. الّا انّ هذا القول تردُّهُ المبادئ الفلسفيّة الراهنة. والقول المعوَّل عليـهِ قول القديس توما اللاهوتي شمس المدارس الذي اثبت انّ نفس الحيوان ليست بجوهر قائم بذاتهِ كما يظهر من أفعالها المتعلّقة كلّها بالمادّة كالنموّ والحسّ بخلاف الانسان الذي تتجرَّد أفعالهُ العقلية عن المادّة. ثمَّ لو سلّمنا بان الله يخلق نفس الحيوان ويجعلها جوهرًا قائمًا بذاتهِ لأقتضى الامر ان يُلاشيهـا بعد موت الحيوان ولولا ذلك لبقيت دون غاية وعمل. وكل العلماء يجمعون على ان الله لا يلاشي شيئًا ممّا خلقهُ. اما كيفيَّة خلقة نفس الحيوان فيقول القديس توما انها تخرج من قوَّة المادّة بفعل التوليد ل٠ر

المشرق

بلوغ المطلوب
في
فنّ القنبرة والطوب

للشيخ محمد بن حسين عطّار زاده

نشرهُ الاب موريس كولنجت مدرس الطبيعيات في مكتبنا الطبي

توطئة

من جملة الكتب المخطوطة التي دخلت في العام الماضي مكتبتنا الشرقيّة كتاب فريد في بابهِ وان يكن حديث العهد لا يتجاوز تاريخهُ ٩٠ سنةً. ومدار هذا التأليف على فنّ القنبرة والطوب وهو احد الفنون المستحدثة لرمي القذائف في الحرب. وهذا الفنّ يدعوهُ الفرنج « balistique » لهُ عندهم شأن كبير. ولا نشكُّ في انَّ صناعة الرمي كانت شائعةً ايضاً في البلاد الشرقيَّة كما يظهر من عدَّة وقائع تنبئ بحذاقة جيوش دول الشرق في رمي المنجنيقات والكبوش وغيرها من ادوات الحرب. غير انَّنا لم نعرف لارباب هذا الفنّ كتاباً يبحث عن ذلك بحثاً علمياً. وقد راجعنا مجاميع المخطوطات العربية المصونة في اوربَّة املّنا نعثر على تأليف في هذه المادَّة فلم نجد فزادنا ذلك رغبةً في نشر هذا الكتاب الذي وقف عليهِ مدير المشرق في دمشق الشام عند بعض افاضلها المسلمين

امَّا مؤلف الكتاب فهو الشيخ محمد بن حسين عطّار زاده احد علماء الفيحاء الذين اشتهروا في حدود القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر. كان عالماً بالرياضيات والعلوم الهندسيَّة وقد صنَّف كتابهُ فاهداهُ لوالي الشام الحاج علي باشا. ونسختنا مكتوبة بخطّ المؤلف كما ذُكر في صدر الكتاب

واعلم انَّ هذا التأليف يحتوي ثلاث مقالات في فنّ الرمي: المقالة الاولى هي التي باشرنا اليوم بنشرها. ويتبعها مقالتـان أُخريان في نفس الموضوع عنوان الواحدة « اظهار السرّ المصون في فنّ رمي اللغوم واغاظـة المعاند الظلوم » والاخرى دعاها « الفتح الظاهر والنصر الباهر في فنّ رمي الطوب والقنبرة ». وسننشر ان شاء الله هاتين المقالتين قريباً

والمقالة التي نحن بصددها عبارة من ٢٣ صفحـة يتخللها اشكال هندسيَّة وهي تتضمَّن مقدَّمة ثم فصلين مع خاتمة. وقد راجعنـا حسابات المؤلف فوجدناها صحيحة غير انهُ رحمهُ الله بناها على حساب علم المساحة وقد بنيناها نحن على علم مساحة المثلَّثات وذكرنا نتيجة حسابنا في ذيل الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

احمدك اللهمَّ واسألك أعلى رتب الشهادة. واشهد انَّ لا اله الّا انت واستودعك هذه الشهادة. واستغفرك لما تعلمهُ مني وانت عالم الغيب والشهادة. وابرأ الى عظيم قدرتك من الحول والقوَّة والارادة. واعترف بذنوبي ومن اعترف بمـا اقترف اغترف من بحر العفو مراده. والصلوات على سيّدنا محمَّد الذي جاهد فيك حقَّ جهاده...

وهذه الفاتحة طويلة لا تقلّ عن ثلاث صفحات فاكتفينا بما ذُكر اقتصارًا. وانما بيّن المؤلف في هذه المقدمة فضيلة الجهاد وما جاء عنهُ في الشرع والتاريخ. الى ان قال ما ملخَّصهُ:

فكان ممَّا جنح في خاطر الحقير. حليف الخطإ والتقصـير. محمَّد بن حسين عطَّار زاده. منحهُ الله الحسنى وزيادة. تأليف وُرَيقات في فنّ القنبرة والطوب (١ مرتَّبة على مقدَّمة ومقصدين وخاتمة مجرَّدة عن البراهين الهندسيَّة. والاوجه الكثيرة الفلسفيَّة... وقدَّمتها برسم الدستور الوقور. والليث الجسور. الوزير ابن الوزير. الحـاج عليّ باشا (٢ والي الشام...

١) فن القنبرة والطوب هو علم باصول تُعرف بها احوال الحبوبات المرمية بكيفيَّة مخصوصة على وجه مخصوص من جهة تأثيرها في المرمى وعدمهِ (للمؤلف) والقنبرة هي التي يقال لها قنبلة في عهدنا وتوافق معنى القذيفة وما يدعوهُ الفرنج « projectile » او « bombe » اما الطُّوب فاصلها من التركيَّة معناها المدفع

٢) تقلَّد ولاية الشام سنة ١٢٤٧ ثمَّ ١٢٥٧ هـ (١٨٣١ و ١٨٤١ م)

(ثمَّ اطنب المؤلف بوصف الوالي المذكور . ومدحهُ بهذه الابيات) :

لا زال كوكبهُ بالسعد يخدمهُ ... وربعهُ ابدًا بالفضل معمورُ
اعمالهُ لم تزل بالخير صالحةً ... صحيحةً وهي للعلياء دستورُ
اقوالهُ ميلُها تلحق في شرفٍ ... والاصل منهُ مع التعديل مأثورُ
مطالعُ الفلك الاعلاء شاهـدة ... بفضلهِ ولواء العلم منشورُ
وَسَمْتُ كوكبهِ في الافق مرتفعٌ ... يبدي نوالاً وفضلًا وهو مأجورُ

ثمَّ قال : « وكان ابتداء تأليفهِ في وقت مبارك ان شاء الله تعالى وهو السدس الاول من النصف الثاني من السبع السادس من الخمس الثالث من السدس الرابع من الربع الاول من الثلث الثاني من العشر الثاني من العشر الرابع من الجزء الثالث عشر من هجرة خير البشر (١ . وما توفيقي الّا بالله عليهِ توكلت واليهِ أُنيب »

المقدمة

لا يشكّ شاكٌ ولا يرتاب في انَّ مقصود الرامي برميهِ انما هو اصابة مكان معيَّن بجسم معيَّن وبقوَّة مخصوصة محرّكة لذلك الجسم . وهذه الاصابة انما تتصوَّر وتتمّ برمي من ارتفاع مخصوص متقدّم على ذلك الرمي وبقوة مخصوصة محركة لذلك الجسم فبُعد هذا الرمي المتقدم يمكنهُ الاصابة لما اراد ان يرميهُ . فتارةً يختار ان يرمي بقوة ذلك الرمي المتقدم وتارةً يختار ان يرمي بقوة مغايرة لقوَّة ذلك الرمي المتقدم . فهذان مقصدان وكل منهما مبنيّ على اصل وكلّ من الاصلين اساسهُ العلم بما يسميهِ المهندسون من طائفة الافرنج بالقاعدة المثلَّثة اي التي هي مرتَّبة من ثلثة اوضاع معلومة لاستخراج الرابع المجهول وتسمَّى عند علماء الاسلام بالاعداد المتناسبة (٢ كاثنين واربعة وثلاثة وستة اذ

---

١) التاريخ المذكور للساعة السابعة من يوم الجمعة الثامن عشر من جمادى الاولى سنة اثنتين وثلاثين ومئتين والف (للمؤلف) (راجع المشرق ٣ : ٩١١ و ١٠٠٥) وراجع ايضًا تسهيل المجاز الى فن المعمى والالغاز ص ٤٧

٢) قد قلنا سابقًا في مقالتنا عن علم النجوم على عهد الخلفاء (راجع المشرق ٣ : ٨٣٥) ان العرب استعملوا في حساباتهم الجيوب وغيرها من الخطوط المثلثة المساحة وذلك على طريقة هندسية محضة . الّا ان هذه الحسابات المملَّة قد اصبحت اليوم قريبة المنال منذ انتشار علم مساحة المثلثات

نسبة الاول الى الثاني كنسبة الثالث الى الرابع وبالعكس وكذلك نسبة الثاني الى الاول كنسبة الرابع الى الثالث وبالعكس وكذلك نسبة الاول الى الثالث كنسبة الثاني الى الرابع وبالعكس. فاذا جهل احد الطرفين يقسم مسطَّح الوسطين على الطرف المعلوم يخرج الطرف المجهول او احد الوسطين فسطَّح الطرفين على الوسط المعلوم

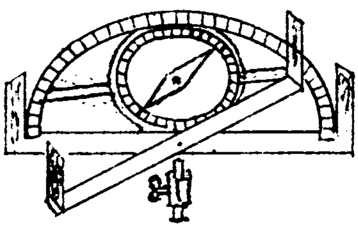
اذا عرفت هذا الاساس فالاصل (الاول) مبني على نسبة مخصوصة وهي ان نسبة جيب الارتفاع المخصوص للرمي المتقدم الى مسافة ذلك الارتفاع كنسبة جيب ارتفاع آخر الى مسافتهِ المفروضة. والاصل (الثاني) بناؤهُ على نسبة اخرى وهي ان نسبة رفعة اقطار الشلجمي(١ من ارتفاع مخصوص الى قوة وزن البارود كنسبة رفعة اقطار آخر من ارتفاع آخر الى القوة التي هي وزن البارود. وقد وضعنا جدولين لكل من الاصلين كما سيأتي في محلهِ ان شاء الله تعالى. وقد بقي عليك امور ثلاثة وبها تتمّ المقدَّمة: معرفة المسافة بين مكانين ومعرفة ارتفاع المرتفعات ومعرفة انخفاض المنخفضات

امَّا (الاول) فمعرفتهُ بالاسطرلاب(٢ البسيط وهو آلة مخصوصة لاستعلام الزوايا وقت استعلام مساحة الابعاد على شكل نصف دائرة من نحاس منقسم الى مائة وثمانين جزءًا متساوية على مركزهِ عضادةٌ بهدفتين يوضع على سيبة وهذه صورتهُ (راجع الشكل الاول). فاذا اردت استعمال بُعد موضع ا (راجع الشكل الثاني) مثلًا من موضع ر فتنصب السيبة على نقطة ا وهي موقفك الاول والآلة عليها بحيث يكون محيطها

واستعمال الجداول اللُّغَرِثميَّة التي تسهِّل تحليل هذه المثلثات. ولمؤلف هذه المقالة إلمام بهذه المعارف لكنَّهُ لم يلتجئ اليها بل آثر استعمال الطريقة الهندسيَّة على مثال قدماء العرب

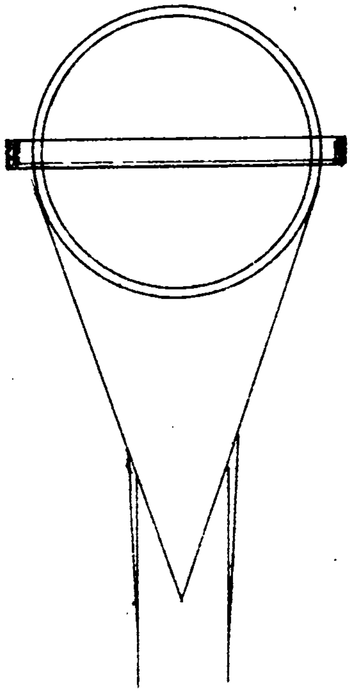
١) الشلجميّ خطّ منحنٍ على شبه الشلجم يدعوهُ الفرنج « parabole »

٢) قد سبق لنا في هذه المجلة (٣: ٨٧٤, ٩٨٣) وصف ضروب الاسطرلاب المستعملة عند العرب. والآلة المذكورة هنا غاية في البساطة تشبه ما يدعوهُ علماء الافرنج باسم غرافومتر ودونك صورتهُ



الصورة ١ الغرافومتر

الى جهة ر والوتر نحو جهة أُخرى مثل جهة ب وتقيس بذراع ونحوهِ من نقطة ا الى نقطة ب وتنصب عند نهاية القياس وهو ب عصاً لاجل العلامة. ثم تطبق العضادة على الوتر وتنظر من الهدفتين وتدير الآلة الى ان ترى من الهدفتين العصا المنصوبة على نقطة ب ثم تحرك العضادة نحو ر الذي اردتَ بُعدهُ من ا فتعدّ من محيط الآلة ما قطعتهُ العضادة من مبدأ الوتر تجد مقدار زاوية ب ا ر فتحفظهُ. ثم ترفع الآلة ناصباً في محلها عصاً ايضاً وتذهب الى موضع ب وتضع السيبة على نقطة ب وفوقها الآلة كما وضعتها اولًا ثم تطبق العضادة على الوتر وتنظر من الهدفتين الى ان ترى منهما العصا المنصوبة على نقطة ا ثم تحرّك العضادة الى ان ترى موضع ر فتعدّ من محيط الآلة ما قطعتهُ العضادة من مبدإ الوتر تجد مقدار

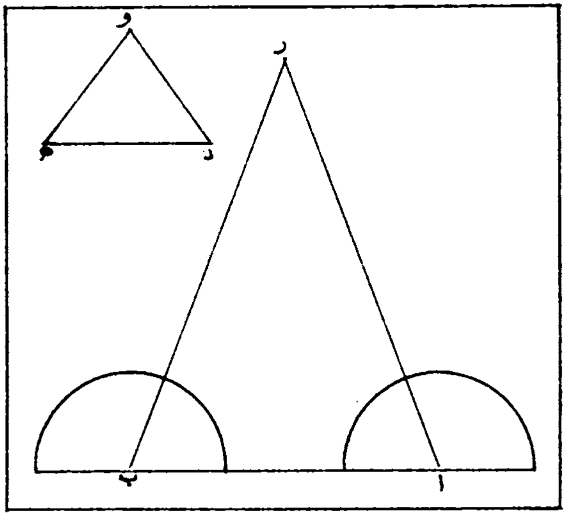


الشكل ١

زاوية ا ب ر فتحفظهُ. ثم اجمع المقدارين واطرح المجموع من قف (اي ١٨٠) يبقَ مقدار زاوية ا ب ر. ثمَّ ضعْ المثلَّث الموهوم على الارض في قرطاس بان تأْخذ من مقياس صغيرِ اجزاءٍ صغارًا بمقدار ما مسحتَ من ا الى ب وترسم بذلك المقدار خطّ د ه بدل ا ب ثم ضع على نهاية د زاوية على قدر زاوية ب ا ر بالمنقلة وعلى نهاية ه زاوية ا ب ر. ثمَّ ارسم على زاوية د خط د و وعلى زاوية ه خطّ ه و يحدث مثلث د و ه المماثل لمثلث ا ب ر فانسبْ خطّ د و الى مقياسك تجد مقدار بُعد ا ر فعبّر عنهُ بالذراع الذي قسمت بهِ ما بين ا ب يكن البعد المطلوب وهذه صورتهُ (الشكل ٢):

واماً (الثاني) فلك ان تستخرجهُ بالربع المجيَّب فتأْخذ ارتفاعهُ كما تأْخذ ارتفاع الكوكب من اي مكان شئت لكان ر ثم تستخرج الظل المبسوط لهذا الارتفاع(١.

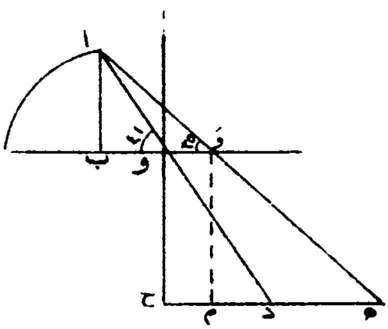
١) ان ارباب الفلك الشرقيين يدعون « ظلًّا مبسوطاً » مساوياً مثلًا لارتفاع ا ب الخطّ



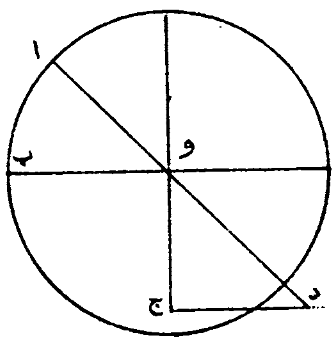
الشكل ٢

فهذا الظل زد عليهِ ما تريد من اجزاء القامة كالربع مثلًا وتستخرج ارتفـاع ما اجتمع من الظل ثمَّ انقصهُ اي المزيد منهُ واستخرج الارتفاع الباقي ايضاً. وبعد ذلك فانت بالخيار فاماً ان تتأخر عن موقفك عند ر وتأخذ ارتفاعاً بعــد ارتفاع الى ان يطابق

ج د تكون قسمتهُ ج و . وهذه القسمة يدعونها ايضاً شخصاً ويحسبونها مقسومة الى ١٢ قسماً متساوياً يدعونها اصابع ويتخذونها لقياس الظلّ. وهذه الطريقة الحسابيـة مضبوطة وان كان المؤلّف لم يبيّن صحتّها وهاك بيان ذلك : فلنفترض ان المطلوب قيـاس الخطّ العموديّ ا ب



الصورة ٣



الصورة ٢

ارتفاع الظل المزيد عند موقف د مثلًا وتمسح ما بين د و ر فهو ربع القائم فاضربهُ في اربعة يخرج ارتفاعهُ. واماً ان تتقدَّم على موقفك عند ر وتأْخذ ارتفاعاً بعد ارتفاع الى ان يطابق ارتفاع الظل المنقوص في موضع كموضع ه وتمسح ما بين ر ه تجده مساويًا لما بين الموقفين الاولين وهو ربع القائم ايضاً فاضربهُ في اربعة يحصل ارتفاعهُ. مثال ذلك ما اذا اردت ارتفاع عماد ا ب سواء امكن الوصول الى اصلهِ او لا فتأْخذ ارتفاعهُ من موضع ر مثلًا تجدهُ احدى واربعين درجة مثلًا ثم تستخرج الظل المبسوط لذلك الارتفاع تجدهُ اربع عشرة اصبعاً. فزد عليهِ ربع القامة مثلًا يكون المجموع سبع عشرة اصبعاً ثم انقص منهُ ربع القامة يبقَ احد عشرة اصبعاً. ثم استخرج ارتفاعين احدهما لسبع عشرة اصبعاً والثاني لاحد عشرة اصبعاً فتجد الاول خمساً وثلاثين درجة والثاني سبعاً واربعين

فظلّهُ البسيط او الافقي في الزاوية ٤١ْ هو الخطّ ج د. فإن اضفنا الى هذا الخطّ ج د رُبْع وج حصل لنا ظلٌّ ثانٍ بسيط يُعرف ارتفاعهُ الموازي لهُ بالجداول اللُّغَرِثْمِيَّة او بتحليل المثلَّث القائم الزاوية وَ م ه بمقابلتهِ مع المثلَّث المساوي ا ب وَ فيكون في هذا المثل ارتفاع ا ب ٣٥ْ. فيقتضي اذن للرامي ان يرجع الى نقطة وَ بحيث يرى ارتفاع ا ب في الزاوية ٣٥ْ. ومن ثمَّ تحصل المعادلة بواسطة المثلَّثين المتشابهين ا ب و ثم وج د على هذه الصورة:

١َ ا ب / و ج = و ب / ج د

ولنا ايضاً من المثلَّثين الشبيهين ا ب وَ ثم وَ م ه هذه المعادلة الاخرى:

٢َ ا ب / و ج = وَ ب / م ه ومنها يحصل ٣َ (و ب + و وَ) / (ج د + ١/٤ و ج)

واذا استبدلنا و ب بقيمتها في ١َ حصل لنا:

٤َ ا ب / و ج = (ا ب × ج د + و ج × و وَ) / (و ج (ج د + ١/٤ و ج))

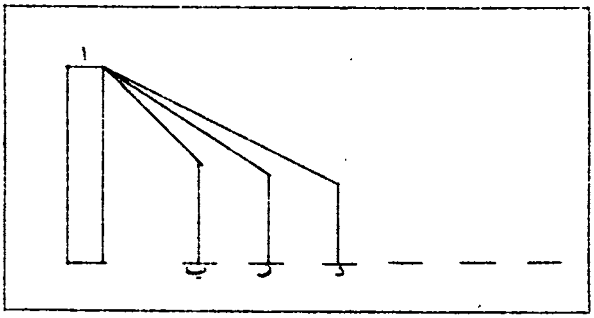
ومنها:

٥َ ا ب × ج د + ا ب × ١/٤ و ج = ا ب × ج د + و ج × و وَ

فتصير آخراً ٦َ ا ب = ٤ و وَ

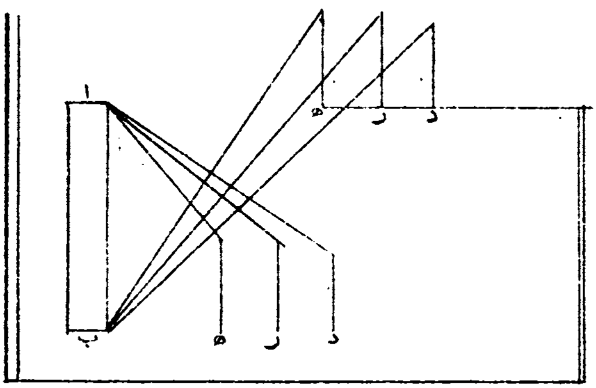
وهذا مما يثبت صحَّة القاعدة التي استند اليها المؤلف. ويجوز كما نبَّه اليهِ الشيخ عطَّار ان يضاف الى الظل الاول ١/٢ و ج بدلاً من ١/٤ فتكون النتيجة ا ب = ٣ و وَ

درجة ثم تتأخر ان شئت عن رَ وتأخذ ارتفاعاً بعد ارتفاع الى ان يطابق الارتفاع الاول عند موقف دَ وتمسح ما بين دَ و رَ بذراع ونحوهِ فما وجدتهُ فهو ربع ارتفاع المرتفع عما مسحت بهِ فاضربهُ في اربعة يحصل ارتفاعهُ. وان شئت فتقدم وخذ الارتفاع الى ان يطابق الارتفاع الثاني عند ه وتمسح ما بين رَ و ه تجدهُ مساوياً لما بين الموقفين الاولين فاضربهُ في اربعة يحصل ارتفاع العماد وهو المطلوب على هذه الصورة (الشكل الثالث):



الشكل ٣

واماً الثالث فكالثاني من غير فرق ألّا انك تجعل الانخفاض كالارتفاع على سبيل التعاكس بالمرتفع والمنخفض وتكمل العمل بعينهِ. فان كان المزيد او المنقوص ثلث القامة فما بين الموقفين ثلث المنخفض او كان سدسهُ فسدسهُ او ربعهُ فربعهُ كما مرّ وعلى هـذا قس. وهذه صورة جامعة لكلا الامرين (الشكل الرابع) وهذه الطريقة لم أسبق اليها فيما اعلم وعند الامتحان يكرم المرء او يُهان والله وليّ التوفيق وبيدهِ ازمّة التحقيق



الشكل ٤

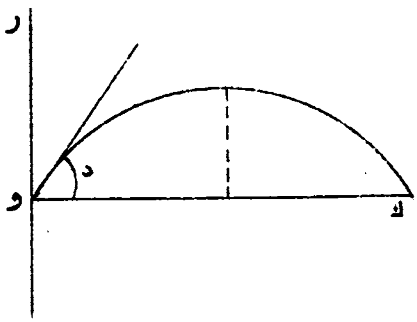
المقصــد الاول

في اصابــة المرمى بقوة رمي متقدّم

ينبغي اولًا ان ترمي قنبرةً لاجل تجربة ما ستقطع من المسافة بارتفاع تختارهُ والاولى ان يكون خمسًا واربعين (١ لكون مسافة هذا الارتفاع هي البعد بحيث يكون موضع

---

١) معلومٌ انَّ الرامي اذا ما أراد هــدفًا بعيدًا ينبغي لهُ ان يصوّب قذيفتهُ الى ما فوق الهدف بحسب زاوية معلومة. لان لهذه القذيفة ثقلًا يعطفها في طريقها. ومن اراد أن يقيس هذا الخط المنحني الذي تسير القذيفة بموجبهِ عليهِ ان يلحظ امرين قوّة المحرّك من بارود وغيرهِ مباشرةً ثم عامــل الثقل الذي يجذب القذيفة الى تحت. وهذا الانحناء يكون على شكل سلجمي هذه صورة حسابهِ عند اهل المساحة بقطع النظر عن مقاومة الريح للقذيفة:

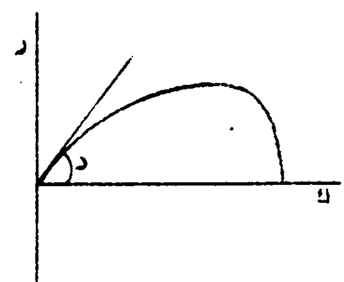


الصورة ٤

$$\text{ر} = \text{ك مماسّة د} - \frac{\text{ج ك}^{٢}}{\text{٢ س}^{٢}\ \text{سهم}^{٢}\ \text{د}}$$

فتكون ر دالّة على الارتفاع وتدل ك على المجهول اي امتداد القذيفة وسعتها. و د هي زاوية الرمي. و ج شدَّة الثقل و س السرعة مباشرةً. فامتداد القذيفــة يُعرف بهذه المساواة ر = ٠ فيصير

$$\text{ك} = \frac{\text{س}^{٢}\ \text{جيب ٢ د}}{\text{ج}}$$



واذا طلبتَ معظم السعة وجدتَ ان د تساوي ٤٥ْ . واعلم انَّ ادواتنا الحاليــة وان كانت سرعتها مباشرةً عظيمــةً جدًّا الّا انَّها تلقى في الهواء مقاومةً تُذكر. وربَّما كانت هذه المقاومة بليغةً حتَّى انهُ امكن بعض العلماء ان يصوّروا حركة الهواء عند مرور القذيفة بين دقائقهِ فترى الهواء على شبه تموُّجات حيثما تجتاز القذيفة. فلا بدَّ اذ ذاك من تغيير العمل السابق على هذه الصورة:

$$\text{ر} = \text{ك مماسّة د} - \frac{\text{ج ك}^{٢}}{\text{٢ سهم}^{٢}\ \text{د}} \left(\frac{١}{\text{س}^{٢}} + \text{ف (ك)} \right)$$

الآلة مع مسقط القنبرة على خط موازٍ للافق اي لا مرتفعاً ولا منخفضاً ثم يقاس ما بين موضع الآلة ومسقط القنبرة بذراع ونحوهِ ويُحفظ . ويؤخذ هذا الارتفاع من جدولين محوّلي الجيوب الى عشرة آلاف لاجل دقّة الحساب فالجدول الاول فيهِ الارتفاع وتمامهُ والجدول الثاني فيهِ الجيوب المحوّلة . وحينئذٍ قد صار لنا معلومان من الاربعة المتناسبة جيب هذا الارتفاع وهو عشرة آلاف وهو المعلوم الاول . وكانت المسافة المحفوظة بعد الرمي المذكور الفاً ومائتي ذراع وهو المعلوم الثاني . فاذا اردنا ان نرمي قنبرة اخرى بقوّة ذلك الرمي المتقدم من ارتفاع آخر نختارهُ لنستعلم مسافتهُ وهو خمس وخمسون او خمس وثلاثون درجة اذ بعد هذين الارتفاعين من خمس واربعين واحد نأخذ جيب هـــذا الارتفاع من الجدول الثاني وهو ما بازاء الارتفاع المذكور نجدهُ تسعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعين وهو المعلوم الثالث وهذه صورة الجدولين فاذا سطّحنا الوسطين وقسمنا

الارتفاع	تمامه	الجيوب	الارتفاع	تمامه	الجيوب	الارتفاع	تمامه	الجيوب
١	٨٩	٠٣٤٩	١٦	٧٤	٥٢٩٩	٣١	٥٩	٠٨٨٣٩
٢	٨٨	٠٦٩٨	١٧	٧٣	٥٥٩٢	٣٢	٥٨	٠٨٩٨٨
٣	٨٧	١٠٤٥	١٨	٧٢	٥٨٧٠	٣٣	٥٧	٠٩١٣٥
٤	٨٦	١٣٩٣	١٩	٧١	٦١٥٧	٣٤	٥٦	٠٩٣٧٢
٥	٨٥	١٧٣٦	٢٠	٧٠	٦٤٣٨	٣٥	٥٥	٠٩٣٩٧
٦	٨٤	٢٠٧٩	٢١	٦٩	٦٦٩١	٣٦	٥٤	٠٩٥١٢
٧	٨٣	٢٤١٩	٢٢	٦٨	٦٩٤٧	٣٧	٥٣	٠٩٦١٣
٨	٨٢	٢٥٥٦	٢٣	٦٧	٧١٩٣	٣٨	٥٢	٠٩٧٠٣
٩	٨١	٣٠٩٠	٢٤	٦٦	٧٤٣١	٣٩	٥١	٠٩٧٨١
١٠	٨٠	٣٤٣٠	٢٥	٦٥	٧٦٦٠	٤٠	٥٠	٠٩٨٤٨
١١	٧٩	٣٧٤٦	٢٦	٦٤	٧٨٨٠	٤١	٤٩	٠٩٩٠٣
١٢	٧٨	٤٠٦٧	٢٧	٦٣	٨٠٩٠	٤٢	٤٨	٠٩٩٤٥
١٣	٧٧	٤٣٨٤	٢٨	٦٢	٨٢٩٠	٤٣	٤٧	٠٩٩٧٦
١٤	٧٦	٤٦٩٥	٢٩	٦١	٨٤٨٠	٤٤	٤٦	٠٩٩٩٤
١٥	٧٥	٥٠٠٠	٣٠	٦٠	٨٦٦٠	٤٥	٤٥	١٠٠٠٠

ومدلول ف (ك) على قطر القذيفة وكثافتها ثم على كثافة الهواء . فيكون الانحناء اسرع من الشكل السلجمي على هذه الصورة (اطلب الصورة ٥) . فيُعرف معظم الامتداد بزاوية اصغر من ٤٥°

الحاصل وهو احد عشر الف الف ومائتان وستة وسبعون الفًا واربع مائة على المعلوم الاول وهو عشرة آلاف يكون خارج القسمة الفًا ومائة وسبعة وعشرين ذراعًا وثلث ذراع تقريبًا وهو المسافة التي اردنا استعلامها وهذا هو المجهول وعلى هـذا قسْ. فلو كانت هذه المسافة معلومة واردتَّ ان تعلم ماذا يجب ان يكون الارتفاع المقتضى لهذه المسافة فسطِّح الرابع مع الاول واقسم الحاصل على الثاني وهو الف ومائتان يخرج جيب الارتفاع المطلوب وهو تسعة آلاف وثلاثمائة وتسعة وسبعون كما تقدَّم خذ قوسهُ تجدهُ خمسًا وخمسين او خمسًا وثلاثين وعلى هذا قسْ ما لو جُهل الثاني او الاوَّل كما لا يخفاك بعد ما قدمناهُ (التتمّة لعددٍ قادم)

الكُتام او القبض

بقلم الدكتور فيلب افندي بركات طبيب المستشفى الافرنسي في بيت لحم

الكتام ويُعرف بالقبض عرضٌ لا مرض قائم بذاتهِ. وهو قسمان عارض وقتي وعارض مزمن عاديّ. وللطبيب في علاج الكتام ادوية عديدة يقصر غالبًا فعلُهـا لما يغلب على المُصاب بهِ من الضعف العامّ فلا يجني من مداواتهِ فائدة اذا لم يستقصِ البحث عن سبب الداء. ثمَّ ان للازمة الكتام سببًا آخر وهو الافراط في استعمال المُسهلات ذاتهـا وخصوصًا المِلحية منها. فان ثبتت لديك هـذه المقدَّمات اسهبنا لك الكلام في علاج الكتام العاديّ الذي عليهِ يدور محور مقالتنا هذه فنبحث في بادئْ ذي بدء عن علاج سبب هذا الضعف ثمَّ عن معالجة الضعف نفسهِ. امَّا علاج ما لهُ تعلُّق بالكتام او يشترك بهِ فلا نخوض في الكلام عنهُ لكونهِ علميًّا محضًا

١ علاج سبب الكُتام

الكتام اذا نتج عن الفالج النصفي كثيرًا ما يعجز الطب عن شفائهِ وفقًا لما ورد في المثل السائر: لا تعالج الفالج. وكذا قل عن داء السرطان وعن التضيُّق المعوي وعن بعض اعراض الكبد الخطرة. وممَّن يصعب تطبيبهم ذوو المزاج العصبي. لكننا نردّد على مسامعهم قول شيخ اطباء الفرنج الذي قال وفي قولهِ من الحكمة ما لا يخفى: « على كل انسان ان يذهب الى بيت الراحة كل يوم في ساعة معـلومة وغاية ما يتحتَّم

على الطبيب ان ينظِّم وظيفة الطبيعة. امَّا المصاب بداء البواسير فانَّهُ احرى بالانتباه الى هذا الامر ولا بأس من وجع البواسير وقت التغوُّط »

ومن الاسباب المعلّة للقبض تلبُّك المعدة. ودواؤُهُ يختلف باختلاف الاعراض فعلى الطبيب ان يصف ما يراهُ موافقًا للحال

وممَّا لا يقوى على شفائهِ الَّا الجرَّاح الكتامُ الناتج عن انقلاب مستودع الرحم او انحرافـهِ في المرأة. وكذلك القبض المسبَّب عن حواجز تضغط على الامعاء فانهُ داء يستعصي تشخيصهُ فينبغي على الطبيب ان يستفهم من مريضـهِ هل كان مصابًا سابقًا بالتهاب المُرَيطاء (بريتون) او هو حالًا ممنوٌّ باوجاع مخصوصة في امعائهِ فعندئذٍ يعالجهُ بشرط الجراحة. وخلاصة الكلام ان الكتام يعالَج بتـلافي الاسباب وللجراحة يدٌ في شفائهِ احيانًا بل عليها وحدها العمدة اذا خيف على الصحة من التلف

٢ علاج الضعف المعوي

انَّ الطبَّ وهو ابن التجربة والاختبـار قد اثبت انَّ اكل البقول والخضَر تُلين الامعاء وتُكثر التغوُّط. وعليهِ فاننا نشير على من بُلي بالقبض ان يفضِّل اكل الخبز والعدس والحمص والملفوف والهليون واللفت والخس والبنادورة والباذنجان وغير ذلك من احرار البقول ونوصيهِ ان يعمد الى ما نضج من الأثمار لاسيما العنب منها. ومن الاثمار التي تُسهل البطن الخوخ والبرتقـال والاجَّاص. وقال بعضهم ان اللحم الكثير الدهن المطبوخ بامراق دهنيَّة مسهل ايضًا

ويجب ان تعلم ان قلَّة الشرب تقلل البراز واياك أن تشرب المياه المحتوية على كمّيَّة كثيرة من الكلس. واعتمد صباحًا على شرب القهوة ممزوجة بالحليب لانها مسهلة ايضًا وكثيرًا ما يحصل الغائط اذا شربت كأس ماء بارد صباحًا قبل الاكل اذ انَّهُ يسهل تقبُّض الامعاء. وللاطباء نصيحة ينصحون بها النساء اللواتي يقصِرنَ في الرياضة الجسميَّة وتكون فيهنَّ سببًا للكتام فعليهنَّ بترويض جسمهنَّ كلَّ يوم لتحصل الفائدة المطلوبة لصحتهنَّ

١ (ادوية الكتام) تكون هذه الادوية امَّا ملحيَّة وامَّا حلوة لطيفة. فالملحية مثل الملح الانكليزي وسلفات المغنيسية وملح الطرطير وهي اذا مُزجت كلهـا بكميَّة متساوية وأُخذ منها ملعقة صغيرة صباحًا في قدح ماء فعلت فعل المُسهل الخفيف لا محالة.

وتُفضَّل المغنيسية على الملح الانكليزيّ في الكتام العادي خصوصاً في علاج الاطفال ولكن كثرة استعمالها تولد الكتام والحصى المعويّة. ويصف اطبّاء الانكليز مزيجاً يدعونهُ بلسانهم « Sedlitz Powders » وهو اشكال وانواع افضلهُ مركَّب من ملح الطرطير والسكَّر وعطر الليمون الحامض فيأخذ منها المصاب بالكتام ملعقة قهوة صباحاً في كأس ماء. وتوجد مياه معدنيَّة مسهلة تأتينا من اوربَّا ضمن زجاجات مختومة اشهرها ماء شاتل غويون (Châtel-Guyon) في فرنسا وپلنــا (Pullna) في بوهيميا و برمنستورف (Birmenstorff) في سويسرا وروبينات (Rubinat) وكارابانا (Carabana) في اسبانيا وهونيادي يانوس (Huniady-Janos) في هنغاريا. والجرعة المتوسّطة منها كأس اعتيادي

ومن المُسهلات الحلوة اللطيفة الموصوفة عادةً للاطفال المنّ والعسل والتمرهندي وزهر الاراقن وجرعتها معلومة لدى الأمّهات

والراوند دواء فعَّال في الكتام ولا يصحب فعلهُ مغص لكنهُ سيّئ العاقبة وفعلهُ وقتي

ومن الادوية الحديثـــة الاستعمال هذه الثلاثة: البودوفلين وكسكاراسكرادا وايفونيمين. ونترك وصفها وكيفيَّة استعمالها للاطباء

وللصَّبر فعل حسن في اصحاب الكتام المعرَّضين لاحتقانات الدماغ لكنَّهُ مضرٌّ في اصحاب البواسير

وتوجد حبوب باسماء اطباء مختلفين مثل حبوب الصحة للدكتور فرنك لها فعل جيد في من يحسن استعمالها

ونذكر من الاعشاب السنا والمحمودة والجلَّاب ولكنها ليست مستعملة في الكتام العادي ولو كانت قوية المفعول

ويُعتبَر زيت الخروع من احسن المسهلات اللطيفة اذا أُخذ منهُ ملعقة صغيرة صباحاً وليس منهُ ضرر ولو داومت استعمالهُ اياماً واشهراً ويُمزج بالقهوة المحلَّاة بالسكَّر لتحسين طعمهِ ورائحتهِ او يؤخذ ضمن كبسول او بشكل مستحلب

ولا يُعلم تماماً فعلُ البلَّادونا وجوز القي في الكتام لان الاطبَّاء يخلطونهما بعقاقير ربَّما كانت هي نفسها المسهلة

ومن الادوية المسهلة في الكتام العادي بزر الخردل الابيض و بزر الكتَّان. والجرعة

منهما ملعقة كبيرة وقت الطعام مع شرب كأس ماء ليسهل البلع

ويصف بعض الاطباء الزيوت النباتيَّة كزيت الزيتون وزيت الكتان للكتام العادي ويفضّل غيرهم استعمالها حقنًا

واصبح استعمال الكليسرين شائعًا ولكن يختلف مفعولها من حيث القوة حسب الاشخاص . والجرعة منها ملعقة او ملعقتان صغيرتان ممزوجتان بقليل من الماء البارد . ويصنعها بعضهم على شكل فتائل تحتوي الواحدة منها غرامًا واحدًا

ويستعمل الكبريت غالبًا ممزوجًا بالمغنيسية للمصابين بداء البواسير . والجرعة منهُ او منهما ملعقة صغيرة تؤخذ وقت الاكل

ونمسك القلم عن سرد اسماء سائر المسهلات لندرة استعمالها محذّرين القارئ من الافراط منها لئلا تولّد في المعدة امراضًا مستعصية ونوصيهِ خصوصًا بألّا يعتمد على مسهل مخصوص لئلا يعتاد الجسم عليهِ فيكفّ فعلهُ

والاراء الطبيَّة الحديثة رغبت اليوم عن المسهلات وقالت في وجوب استعمال الوسائط الطبيعيَّة مثل الدلك والحقن

٢ (الحقن والدلك) الحَقن اسلم عاقبة من المسهلات ولو كانت كثرة استعمالهِ تقلل من إحساس المستقيم وتخفّف حركات انقباضهِ . والحقن يكون بماء بسيط او ممزوج بدواء مسهل كالزيت الحلو او زيت الخروع . واذا كانت الحِقَن باردة فعلت فعلها بسبب انقباض الامعاء واما السخنة منها او الفاترة فتفضَّل عليها في الكتام العادي . وتختلف كميَّة الحِقَن حسب الفعل المطلوب لان القليلة منها تنظّف المستقيم فقط والكثيرة هي واسطة لغسل الامعاء كلها وتوضع حينئذٍ في جهاز مخصوص يركّب عليهِ انبوب من المطاط ويصف الطبيب كيفيَّة استعمالهِ فعلى المريض استشارتهُ

٣ (الوسائط الطبيعيَّة) في الكتام العلاجُ بالماء وبالكهربائيَّة والدلك

الماء البارد اذا وضع على البطن سهّل التغوُّط واذا وضعت رجليك في ماء بارد تحتقن الامعاء وتنقبض ثم تُخرج فضلاتها . ولا يبرّز بعضهم الّا اذا مشى صباحًا في دارهِ على البلاط الجامد ونقول بوجه عام انَّ الماء البارد يحرك ويريح الجهاز العصبي ويضغط على العضلات المعويَّة فيسبِّب الاسهال

والرياضة والحركة المعتدلة اليوميَّة نافعة جدًّا في الكتام العادي

امَّا الدلك فمنافعهُ حسنة جدًّا خصوصاً في الكتام الناتج عن الضعف او ارتخاء قديم في الامعاء ولكن حذارِ منهُ اذا كانت ثمَّت اوجاع حصلت لقسمٍ معلوم من الامعاء او التهاب سابق في المُرَيطاء

والكهربائيَّة تقوي المعى المرتخية وتُستعمل بوضع احد القطبين السلبي او الايجابي على اول الامعاء والآخر في المستقيم. وللكهربائيَّة صور واشكال لا يسعنا المقام بتفصيلها فنكتفي بذكرها عند هذا الحد والسلام

كلندار الكنيسة الانطاكيَّة

في القرن الحادي عشر

لابي ريحان محمد بن احمد البيرونيّ

نشرهُ وعلَّق حواشيهُ الاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع لما سبق)

نيسان في اليوم ١ ذكران مريم الاغفطيَّة (١ الصائمة اربعين يوماً متوالية لم تكن تفطر فيها . . . وفي ١٥ ذكران الشهداء المائة والخمسين (٢ . وفي ٢١ ذكران السنودسات الستة (٣ ومعنى سنودس هو اجتماع علمائهم من القسوس والاساقفة وغيرهم من اصحاب المراتب المذكورة لدعاء على شأن حادثٍ وسببٍ شبه المباهلة (٤ او نظرٍ في شيء مهم من امر الايمان. ولا يتَّفق هذا الّا في ازمنة. واذا اتفق حُفظ تأريخهُ وربَّما استُعمل تبركاً وتعبدًا. واوَّل السناذس الستة هو اجتماع ثلثمائة وثمانيـة عشر اسقفاً بمدينة نيقية على يدي قسطنطين الملك بسبب اريوس المخالف لهم في الاقانيم وتخليـدهم ما كانوا اجمعوا

١) هي التائبة المتنسكة في ناحية الاردن المتوفَّاة سنة ٤٢١

٢) لم يذكر البولنديون الّا مجموعاً واحدًا من الشهداء كان عددهم ١٥٠ شهيـدا . وذلك في ٤ من آذار قُتلوا في بلاد فلسطين

٣) يريد المجامع الستَّة الاولى المسكونية . وقد شرحنا سابقاً (المشرق ٤ : ١١٣٧) لاي سبب لم تذكر الكنيسة الانطاكية المجمعَ النيقاوي الثـاني كما فعلت الكنيسة القسطنطينيَّة . ولفظة سنودس على لفظها السرياني من اليونانية σύνοδος

٤) المباهلة كالحرم ولعنة المبتدعين

عليهِ من القول في اقنومَي الابْ والابن واتّفاقهم على ان يُعمل الفطر في الاحد الذي بعد قيامة المسيح بعد ان قال بعضهم نعملهُ في اربعة عشر من شهر فصح اليهود (١. والسنوذس الثـاني هو اجتماع مائة وخمسين اسقفًا بقسطنطينيَّة على يدي ثذوس بن ارقاذس الملك الكبير (٢ بسبب المقَّب بعدوّ الروح لمخالفتهِ الجماعة في صفة روح القدس وتخليدهم القول في هذا الاقنوم الثالث. والسنوذس الثالث اجتماع مائتي اسقف بمدينة افسس على يدي ثذوس الملك الصغير بسبب نسطوروس بطرك القسطنطينيَّة وصاحب النصـارى النسطوريَّة حيث خالفهم في اقنوم الابن. والسنوذس الرابع اجتماع ستمائة وثلثين بمدينة الخلقيدونيَّـة على يدي مرقيان الملك بسبب اوطيخيس لقولهِ ان جسـد الرب ايشوع من طبيعتَين قبل التأَحُّد ثمَّ بعده طبيعة واحدة (٣. والسنوذس الخامس على يدي اسطينان للعن صاحب المَصِيصة والرُّها وغيرهما من المخالفين في اصولهم(٤. والسنوذس السادس بالقسطنطينيَّة على يدى قسطنطين المؤمن وكانوا مائة وتسعة وثمانين اسقفًا بسبب قورس وسيمون الساحر (٥. وفي ٢٣ ذكران مار جيورجس الشهيد المقتول مرارًا (٦ بألوان العذاب. وفي ٢٤ ذكران مارقوس صاحب الانجيـل الثاني. وفي ٢٥ ذكران ايليا الجاثليق بخراسان. وفي ٢٧ ذكران خريسطفوروس(٧. وفي ٣٠ ذكران شمعون

---

١) وَهِم البيروني بقولهِ هذا. والصواب ان آباء نيقية اجمعوا على وجوب اقامة عيد الفصح في الاحد الاقرب الى البدر الاول الواقع بعد الاعتدال الربيعي (راجع المشرق ٤: ٤٢٣)

٢) يريد ثاودوسيوس الكبير الذي في عهدهِ عُقد الجمع الثـاني المسكوني (سنة ٣٨١) لنبذ بدعة مقدونيوس اسقف القسطنطينية وكان نكر مساواة الروح القدس بالاب والابن. وقول البيروني انَّ ثاودوسيوس هو « ابن ارقاذس » صوابهُ « ابو ارقاديوس »

٣) لم يقل اوطيخا ذلك عن جسد المسيح بل عن اقنومهِ دي الطبيعتين الالهية والانسانية

٤) يريد مجمع قسطنطينية الثاني الذي حُرمت فيهِ اعمال تاودورس المصيصي وايباس الرهاوي (سنة ٥٥٣) على عهد يُستنيان

٥) هو الجمع القسطنطيني الثالث الذي نفى قول ذوي الارادة الواحدة في المسيح. وكان في مقدّمـة هؤلاء المراطقة سرجيوس اسقف القسطنطينية وقورش اسقف فاسيس (٦٧٠) في عهد قسطنطين المعروف باللحياني. وفي هذا الجمع ايضًا نُبذت الاعمال السحريَّة

٦) زعم البعض انَّ القديس الشهيد جرجس قُتـل مرارًا ثم بُعث حيًّا. وهو زعم لم نجد لهُ سندًا في التاريخ القديم

٧) استشهد في اسبانية على عهد دقيوس

ابن صبَّاعي الجاثليق المقتول بخوزستان مع مَن كان معهُ من النصارى (١

ايَّار في اليوم ١ ذكران ارميا النبي. وفي ٢ ذكران اثاناسيوس البطريق. وفي ٤ عيد الورد (٢ وهو على الرسم القديم وكذلك يُستعمل بخوارزم ويُجاء فيهِ بالورد الجوري (٣ الى البِيَع. والسبب فيهِ انَّ مريم اتحفت فيهِ ايليشبع والدة يحيي بالباكورة من الورد. وفي ٦ ذكران ايوب النبي. وفي ٧ عيد ظهور الصليب على السماء. وقد ذكر محصّلوهم انهُ ظهر في زمان قسطنطين المظفَّر شبه صليب من نار او نور على السماء فقيل للملك قسطنطين: «اجعل هذه العلامة على رايتك فستغلب بذلك الملوك الذين احتوَشوك» ففعل وغلب وتنصَّر لذلك وانفذ والدتهُ هيلاني الى بيت المقدس لطلب خشبة الصليب فوجدتها مع صليبَي اللصَّين المصلوبين مع المسيح بزعمهم فاشتبه امرها عليهم ولم يهتدوا اليها دون ان وُضعت كلٌّ واحدة منها على ميت فلمَّا مسَّتهُ خشبة صليب عيسى عاش فعلمت انها هي... وفي ٨ ذكران يوحنا صاحب الانجيل الرابع (٤. وذكران ارسنيوس الراهب. وفي ٩ ذكران اشعيا النبي ذكرهُ داذيشوع في ترجمتهِ للانجيل (٥ شعيا والله اعلم. وفي ١٠ ذكران ديونسيوس (٦ الاسقف. وفي ١٢ ذكران افيفانيوس رئيس الاساقفة. وفي ١٣ ذكران يوليانوس الشهيد. وفي ١٥ عيد الورد على الرسم المُستحدث وذلك لعزّة وجودهِ في اليوم الرابع وعليهِ يُعمل بخراسان دون الاول (٧. وفي ١٦ ذكران زكريا النبي. وفي ٢٠ ذكران قريقوس الراهب. وفي ٢٢ ذكران قسطنطينوس المظفَّر (٨ وهو اول من نزل بوزنطيا

١) قُتل هؤلاء الشهداء في ايَّام شابور الثاني ملك الفرس

٢) نظن انهُ اليوم الذي كان الورد والزهور تبارك فيهِ. وقد بقي من آثار هذا العيد الى يومنا في بعض الكنائس. وقولهُ «على الرسم القديم» لان البيروني يذكر عيداً آخر مستحدثاً كما سترى

٣) هو الورد الابيض نسب الى مدينة جور في فارس حيث يكثر فيها غوثهُ

٤) راجع ما كتبهُ في هذا العيد الاب نيلس في كتابهِ كلندار الكنيستين (١: ١٥٤و١٥٥)

٥) لم نجد ذكرًا لهذه الترجمة من الانجيل في غير هذا المحلّ. امَّا شعيا فكمثل اشعيا

٦) يريد ديونيسيوس بطريرك الاسكندريَّة المستشهد سنة ٢٦٥ م

٧) وبعض الكنائس الشرقية تذكر في هذا النهار عيد العذراء على السنبل فيطلبون البركة للغلّات بشفاعتها

٨) بعض كنائس الشرق تعدُّ قسطنطين الملك في سلك القديسين. ومن غريب الامور ان السكار الروسي رأى لفظة «ملك» باليونانية فظنَّها من الاعلام وذكر في هذا اليوم عيد القديس باسيلوس (Βασιλεύς). راجع كلندار الكنيستين للاب نيلس

وبنى عليها سورًا وسمِّيت قسطنطينيَّة باسمه وتزلها الملوك بعدهُ. وفي ٢٤ ذكران شمعون الراهب الذي عمل اعجوبة كبيرة (١

حزيران في اليوم ١ عيد السنابل وهو انهم يجيئون بالسنابل من زرع الحنطة فيقرأون عليها ويدعون بالبركة فيها. وفيهِ ذكران يحيي بن زكريّا يتوسَّلون بذكرهِ الى الله تعالى في امر الحنطة ويقيمون هذا اليوم مقام العنصرة لليهود. وفي ٣ ذكران إحراق بختنصَّر الصبيان وهم عزريا وحننيا وميشايل. وفي هذا اليوم ايضاً إحداث الهيكل. وفي ٥ ذكران اثاناسيوس البطريق (٢. وفي ٨ ذكران قيورلُوس البطريق الذي اخرج نسطورس صاحب النسطوريّة من الجماعة ونفاه عنها. وفي ١٢ ذكران متى ومارقوس ولوقا و يوحنا وهم اصحاب الاناجيل الاربعة (٣. وفي ١٨ ذكران ليونطيوس الشهيد (٤. وفي ٢١ ذكران برشيا القس (٥ الذي ورد مَروَ بالنصرانيَّة بعد المسيح بزهاء مائتي سنة. وفي ٢٢ ذكران جبرائيل وميكائيل ورؤساء الملائكة يتقرَّبون الى الله بذكرهم ويستصرفونهُ اذى الحرّ عن الخلائق. وفي ٢٥ ذكران مولد يحيي بن زكريّا (٦ ومن البشارة بهِ الى مولده مائتان وثمانية وخمسون يومًا وهي ثمانية اشهر ونصف وعُشر شهر. وفي ٢٦ ذكران فيبرونيا الشهيدة المعذَّبة (٧. وفي ٢٩ ذكران موت بولس المعلّم المظهر للنصرانيَّة. وفي ٣٠ ذكران بطرس وهو شمعون الصفا رئيس السِلّيحين وهم الحواريّون

تموز في ١ ذكران السليحين الاثني عشر تلامذة المسيح. وفي ٣ ذكران توما السليح الذي لم يؤمن بالمسيح لمَّا عاد بعد صلبهِ حتى مسَّ اضلاع جنبهِ فوجد فيها اثر طعن اليهود ايَّاه وهو الذي تنصَّر مَن بالهند على يدهِ. وفي ٥ ذكران ذوميطيوس

١) يريد القديس سمعان العمودي صاحب العجائب المعروف بالحديث الذي توفي سنة ٥٩٦. وهو غير سمعان العمودي القديم الشهير المتوفَّى سنة ٤٥٩

٢) للقديس اثناسيوس عيدان في بعض الكنائس احدهما جُعل ذكرًا لنقل عظامهِ والآخر لذكر وفاته (راجع كلندار الكنيستين للاب نيلس ١: ٧٤ و ١٧٥)

٣) تعيّد الكنيسة السريانيَّة عيدهم في ٣٠ ايَّار ٤) ليونطيوس استشهد في طرابلس في القرن الاول للنصرانية (راجع أعمال القديسين للبولنديين الجزء الرابع من حزيران ص٤٥٤)

٥) لم نقف لهُ على ذكر في أعمال القديسين ولعلّ الاسم مصحَّف بدلًا من بَرْشَبَا من مشاهير الشهداء في ايَّام شابور كان رجَّع كثيرين للايمان (راجع تاريخ عمرو بن متَّى طبعة الاب جسمندي ص ٢٠) ٦) وهذا العيد كما لا يخفى يُعيَّد به اليوم في ٢٤

٧) استشهدت في نصيبين في بلاد ما بين النهرين

الشهيد. وفي ٧ ذكران بروقوبيوس الشهيد (١ . وفي ٨ ذكران مارتا والدة شمعون ذي الاعاجيب (٢ . وفي ٩ ذكران إحراق بختنصَّر الصبيان الثلثة (٣ ويزعمون انهم لو لم يذكروهم لاضرَّ بهم حرّ تموز. وفي ١٠ ذكران الشهداء الخمسة والاربعين (٤. وفي ١١ ذكران فوقا الشهيد (٥ . وفي ١٣ ذكران ثوثايل الشهيد (٦ . وفي ١٤ ذكران يوحنا المروزي الحديث المقتول في زماننا (٧. وفي ١٥ ذكران قورياقوس وامّهِ يوليطا وقد زعموا انهُ خارَجَ ملكاً من الملوك وهو ابن سنتين بحجج قاطعة فتنصَّر على يدهِ اربعة عشر الف نفس (٨ . وفي ٢٠ عيد العنب (٩ وهو مجيئهم بالباكور منهُ للدعاء والبركة والنماء وكثرة الرّيع والزكاء. وفي ٢١ ذكران بَفْنُوطيوس الشهيد (١٠. وفي ٢٦ ذكران فنطيليمون الطبيب الشهيد (١١. وفي ٢٧ ذكران شمعون الراهب صاحب العماد (١٢. وفي ٣٠ ذكران تلامذة المسيح وهم اثنان وسبعون نفراً

آب في ١ منهُ صوم مرض مريم (١٣ والدة المسيح وهو خمسة عشر يوماً آخرها يوم وفاتها. وفيهِ ايضاً ذكران شموني مقبايا (١٤ وقد قتل المجوسُ سبعة اولادٍ لها وقلّوهم

١) استشهد في فلسطين على عهد ديوقلسيانوس
٢) هي مارتا ام القديس سمعان العمودي الحديث الذي مرَّ ذكرهُ في ٢٤ ايّار
٣) مرَّ ذكرهم في ٣ حزيران وتذكرهم الآن الكنائس الشرقيَّة في ايَّام مختلفة
٤) هم الشهداء الذين قُتلوا في نيكوبوليس من اعمال ارمينية على عهد ليقينيوس سنة ٣١٩
٥) قُتل في سبيل الايمان على عهد تريانوس
٦) لم نجد لهُ ذكرًا في البولنديين ٧) لم نطَّلع على اخبارهِ
٨) الصواب ان قورياقس هذا مات شهيدًا في طرسوس مع امّهِ لم يرِد ان يفترق عنها وذلك في عهد ديوقليسيان. امَّا محاجَّتهُ للملك فلا اصل لها
٩) لبركة العنب الجديد صلوات خصوصية ذكرناها في المشرق (٢: ٨٩١)
١٠) كان اسقفاً ومات شهيدًا على عهد ديوقليسيان (راجع كلندار الكنيستين ١: ١٤٣)
١١) استشهد في ايَّام مكسيميانوس في نيكوميدية ويُدعى ايضاً فَنطَلبون
١٢) يريد صاحب العمود وهو القديس سمعان العمودي القديم الذي اشتهر في القرن الخامس وتوفّي سنة ٤٥٩
١٣) يريد « موت مريم » امّ الله المجيدة وانتقالها الى السماء
١٤) اي شموني المقابيَّة التي امر بقتلها وقتْل اولادها انطيوخوس المعروف بالشهير (راجع سفر المكابيين الثاني ف٧)

بالمقالي. وفي ٥ ذكران موسى بن عمران عليهِ السلام. وفي ٦ عيد طور ثابور ولهُ خبر مذكور في الانجيل وهو انّ موسى بن عمران وايليا الذي هو الياس النبيَّين ظهرا للمسيح بطور ثابور وكان مع المسيح ثلاثة من اصحابهِ وهم شمعون ويعقوب ويوحنا وكانوا نائمين فلمَّا انتبهوا من نومهم وعاينوا ذلك فزعوا وقالوا: «ربُّنا يأْذن في عمل ثلث مظلات لك واحدة والاخريان لموسى والياس» فلم يتمّ ذلك من قولهم حتى اظلَّتهم ثلث سحابات مُشرقة عليهم ودخل موسى والياس الغمام ومضيا وموسى كان ميتاً قبل ذلك بدهر والياس حيّ والى الساعة كذلك ذكروا ولكنَّهُ مختفٍ عن الناس مستتر عن أبصارهم. وفي ٧ ذكران الياس الحي الذي ذكرناهُ. وفي ٨ ذكران اليسع النبي تلميذ الياس. وفي ٩ ذكران ربولا الاسقف (١. وفي ١٠ ذكران ماما الشهيد (٢. وفي ١٥ عيد وفاة مريم وبين اسم الذكران والعيد فرق فانَّ العيد اجلُّ مرتبةً والذكران أدوَن. وفي ١٦ ذكران اشعيا وارميا وحزقيل الانبياء. وفي ١٧ ذكران سيلاقوس وخطيبتهِ اسطراطانيقي الشهيدين (٣. وفي ٢٠ ذكران اشمويل النبي. وفي ٢١ ذكران لوقيوس الشهيد (٤. وفي ٢٦ ذكران سابا الراهب الشيخ الهرم (٥. وفي ٢٩ ذكران مقتل يحيى وقطع رأسهِ. وفي ٣٠ ذكران الانبياء كلهم عليهم السلام

ايلول في اليوم ١ عيد اكليل السنة وفيهِ يصلُّون ويدعون بختم السنة وافتتاح الاخرى الجديدة لانَّ اختتام السنة يكون بهذا الشهر. وفي ٣ ذكران الشهداء السبعة المقتولين بنيسابور (٦. وفي ٨ ذكران حنة والدة مريم ويواقيم والدها (٧. وفي ١٣ عيد مُحدَث الهيكل وهو تجديد البيَع. وفي ١٤ عيد وجود قسطنطين الملك وهيلاني والدتهِ الصليبَ وانتزاعها اياهُ من ايدي اليهود وكان مدفونًا ببيت المقدس وقد مرَّ لهُ ذكرٌ (٨. وفي

---

١) كان اسقفاً على الرها وتوفي سنة ٤٣٥م ٢) استشهد ماما او ماماس في قيسارية من أعمال القبادوق على عهد اورليان ٣) لم يذكرها البولنديُّون وقد ذكرها السيّد البطريرك جنام بنّي في كلنداره لكنيسة الموصل ودعا سيلاقوس سلوقوس. وقال انهما استشهدا في باجرمي ببلاد ما بين النهرين على يد ملوك الفرس ٤) استشهد في الاسكندريّة. وهو المعروف في بلادنا بالقديس نوهرا (راجع المشرق ٤: ١٦١) وقال السيّد جنام بنّي ان لوقيوس هذا استشهد في قبرس ٥) مرَّ ذكرهُ في ٥ ك ١ ٦) استشهدوا في ايّام شابور بصحبة ايتيلاها وعقبشما ٧) وفي هذا النهار تعيّد كلّ الكنائس عيد ميلاد العذراء ٨) قد وَهم المؤلف وانما هذا العيد هو عيد ارتفاع الصليب لمَّا استرجعهُ هرقل الملك من ايدي كسرى ملك الفرس

١٥ ذكران السنودسات الستة (١. وفي ١٦ ذكران اوفيميا الشهيدة (٢. وفي ٢٠ ذكران اوسطاثيوس (٣ وزوجتهِ ووالدتهِ الشهداء . وفي ٢٣ ذكران اويطليوس الشهيد (٤. وفي ٢٤ ذكران تيقلا الشهيدة المحرَّقة بالنار وفيهِ عيد كنيسة القُمامة التي بايليا (٥. وفي ٢٥ ذكران سابنيانوس وبولس الشهيدين وطاطيس الشهيدة (٦. وفي ٢٨ ذكران خاريطونوس الراهب (٧. وفي ٢٩ ذكران اغريغوريوس الاسقف الذي نصَّر اهل ارمينية (٨. فهذا ما علمناهُ من ذكارين الملكانيَّة واعيادهم وفيها ما لا يخالفهم النسطوريَّة فيهِ

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ (لاحق بسابق ٤ : ٥٧٧)

فنّ الطباعة في القدس الشريف

قد انجزنا في فصولنا السابقة تاريخ الطباعة في بلاد الشام فحان لنا ان نلخّص اخبارها في الاراضي المقدسة . وهذا الفنّ كلهُ محصور تمَّت في القدس الشريف فتحتَّم علينا ان نذكر تاريخ المطابع التي فيها

١ (مطبعة الآباء الفرنسيسيين) هذه اوَّل مطبعة أُنشئت في القدس الشريف فاضاف هؤلاء المرسلون الكرام الى افضالهم السابقة على نصارى المشرق هذا الفضل الجديد فنفعوا الاوطان بمنشورات عديدة في كل ضروب المعارف الدينيَّة والدنيويَّة . وكان انشاء هذه المطبعة في حدود سنة ١٨٤٦ بهمَّة الهمام الاب سبستيان فرتختر (Frötchner) النمسويّ الاصل . وكان المذكور يَيِّن لذوي الكرم ومحبي خير الشرق ما

١) راجع ما جاء في تاريخ ٢١ نيسان
٢) استشهدت في خلقيدونية سنة ٣٠٣ م
٣) يريد اوسطاخيوس الشهيد على عهد ادريانوس الملك
٤) هذا اسم مصحَّف . لعلَّهُ يريد الشهيد اناطوليوس
٥) هكذا يدعو بعض المسلمين كنيسة القيامة باورشليم
٦) من شهداء عهد ديوقليسيان
٧) اشتهر في عهد قسطنطين الكبير
٨) راجع المشرق (٤ : ١١٠٢)

تحت هذا المشروع من الفوائد الجمّة. واول من اجزل الهبات للقيام بهِ الامبراطور الحالي فرنسوا جوزف الاوّل. ولم يلبث هذا المسعى المفيد ان يخرج الى حيّز الوجود. وكان باكورة هذه المطبوعات كتاب التعليم المسيحي بالايطاليّة والعربيّة كما سترى. امّا ادوات الطباعة فكانت كلها من النمسة وكذلك قسمٌ من الحروف الى ان ابدلها اصحابها بحرفنا الاسطنبولي ولم تزل هذه المطبعة في ترقٍ مستديم حتى صارت اليوم من اكبر المطابع الشرقيّة لا ينقصها شيء مما تفتخر بهِ المعامل الاوربيّة من ادوات طبع الحروف والحجر ومسابك ومقاطع وآلات تنحيس وصقل وتذهيب وتجليد وغير ذلك ممّا يُدار بالبخار. وقد تولى تدبير هذه المطبعة رهبان افاضل منذ نشأتها فبلّغوها الى ما هي عليهِ اليوم هذه اسماؤهم: الآباء سبستيان فُرتختر واندراوس هوتيش (Hüttisch) وأريبرت ڤيتش (Witsch) وفرنسيس دي انجلي وكلهم نمساويون ثمَّ أدارها ثلاثة من الايطاليين وهم الاب برنباي دي ترْني وغويدو دي كورتونه وانطون نيكوليني. ثم الاب دومينيك البلجكي رئيس دير بيروت حالًا ثم الاب ديونيس مغليوكتّي الايطالي ثم الاب لاون پوريار خلفهُ المدير الحالي الاب هنري كُرتسمان وهو الماني المولد يساعدهُ في مهمّتهِ اربعة من اخوانهِ الرهبان الفرنسيسين وعدد من العملة الوطنيين

والاب المذكور من اصحاب النخوة والاقدام على العمل قد استجلب من اوربة قبل سنتين ١٤ آلة جديدة لفنون الطباعة وعمّا قريب سيعيد سبك حروفها ليجعلها غايةً في الاتقان. امّا الكتب التي نُشرت في هذه المطبعة فتبلغ المئة والعشرين عدًّا في العربيّة والتركيّة والارمنيّة والعبرانيّة واليونانيّة فضلًا عن اللغات الاوربيّة. طُبع منها نحو ٤٠٠,٠٠٠ نسخة وزّع قسمٌ كبيرٌ منها مجانًا. امّا لائحة الكتب فنرويها هنا حسب مضامينها:

١ (التوراة والتعليم المسيحي) ١ً الاناجيل والرسائل لكل آحاد السنة واعيادها ولأيّام الصوم الاربعيني بحسب الطقس اللاتيني (١٨٦٠. ص٢١٠. ثم ١٨٨٧. ص ٢٥٠ + ٤٢) = ٢ً شذور الابريز من كتاب الله العزيز. القسم الاول اخبار العهد العتيق (١٨٩٥. ص٣٨٢) القسم الثاني اخبار العهد الجديد (١٨٩٩) = ٣ً الزبور الالهي لتعليم الاحداث ١٨٤٩. ثم كرّر طبعهُ مرارًا. طبعتهُ الرابعة ١٨٧٠. ص ٢٩٩) = ٤ً مختصر تاريخ التوراة للمعلم شميد (١٨٥٦. ص١٧٥ ثمَّ كرّر طبعهُ في ١٨٦٣ و ١٨٧٩) = ٥ً التعليم المسيحي بالعربية (١٨٥٣ ثم أعيد طبعهُ مرارًا) = ٦ً مختصر التعليم المسيحي بالعربية والايطالية (١٨٤٧. ص ٨٨. ثم كُرّر طبعهُ سنة ١٨٦٠.

ص ٨٧ و ١٨٦٥ الخ) وقد نُقل ايضاً الى التركية وطُبع بالتركية واللاتينية (١٨٦١) = ٧ التعليم المسيحي المطبوع بامر البطرك يوسف ڤالركا (١٨٦٤ ثم ١٨٦٧ ص ١٩٠) وهـذا التعليم نقلهُ الى التركية سنة ١٨٧٠ الاب و ينچنسو دابرءنو وطُبع بالتركية والايطالية (١٨٧٠ . ص٥٧) = ٨ التعليم المسيحي للسيد البطريرك منصور براكُو (١٨٨١ . جزءان بالعربي والفرنساوي ص ١٥٤ و ٦٤٨)

٢ (الكتب اللاهوتيّة والفلسفية والجدليَّة) ١ اعلام مسمًّى صدق حقيقة الانبثاق ودحض المصرّ على الشقاق للسيد مكسيموس مظلوم (١٨٤٨ . ص ٧٨) = ٢ مخاطبات ارثوذكسية ضد بعض الاعتقادات الرومية للاب مكسيموس كوتاً الفرنسيدي (١٨٤٨ . ثم ١٨٥٠ ص ٨٨) = ٣ الدلالة اللامعة بين قُطبي الكنيسة الجامعة للسيد اقتيميوس رئيس اساقفة صور وصيداء عن طبعة رومية ١٧١٠ (١٨٦٢ . ص ٣٧٩) = ٤ اللاهوت الادبي للقديس الفونس ليكوري . عرَّبهُ الاب لويس اومينيا الفرنسيدي (١٨٥٨—١٨٥٩ . جزءان ص٦٤١ و ٥٦٩)= ٥ اجوبة مختصرة في بعض الاعتراضات على الديانة الكاثوليكية للانبا دي سيغور . تعريب السيد لودوفيكوس پياڤي (١٨٦٣ . ص٣١٠) = ٦ ارتيابات دينية بخصوص الشيعة البروتستانية . تعريب الخوري سمعان اسحاق القدسي (١٨٦٤ . ص١٣٠) = ٧ مباحثات دينية في بيان المعتقدات النصرانية ودحض الشيع الاراتيكية (١٨٦٧ . ص٢٣٥) = ٨ مجموع يشتمل على اجوبة سنية البراهين ضد اضاليل البروتستانيين لاحد كهنة الروم الملكيين (١٨٥٨ . ص ١٩٣) = ٩ الايمان الصحيح في السيد المسيح (١٨٦٨) = ١٠ رئاسة بطرس وخلفائهِ على الكنيسة ردًّا على نشائيل خيخا للسيّد منصور براكو عرَّبهُ الخوري سمعان اسحاق القدسي (١٨٧٠ . ص ١٣٥) = ١١ خلاصة البراهين اللاهوتية في اصول المذاهب الدينية للخوري يعقوب جرجس عوّاد الحصروني (١٨٧٣ . ص١٨٠) = ١٢ لباب المباحث الجدلية في المطالب الفلسفية للخوري خير الله اسطفان (١٨٨٦ . ص ١٥٦) = ١٣ الادلَّة النفيسة في علامات الكنيسة . لاحد المنضمّين حديثًا الى الوحدة الكاثوليكية (١٨٨٧ . ص ٨٥) = ١٤ الكنيسة الجامعة لاحد ابناء الكنيسة الكاثوليكية ردًّا على كتاب صخرة الشك (١٨٨٨ . ص٣٠٠)

٣ (كتب صلوات وتأملات وطقوس) ١ التأملات اليوميَّة للقديس الفونس ليكوري (١٨٤٨ ص ١٧٦ + ٣٠ . ثم ١٨٥٧ ص ٢٥٦ ثم ١٨٨٠ الخ) = ٢ طريقة خشوعيَّة لاستماع القداس الالهي بصور (١٨٤٨ ثمَّ ١٨٧٢ ثمَّ ١٨٨٦ ثم ١٨٩٩ . ص ٩٦) = ٣ رياضة درب الصليب مع صور المراحل (١٨٥٠ ثم ١٨٦٠ . ص ٦١ ثمَّ ١٨٧٥ و ١٨٧٧ . ص٨٩ . طبعة جديدة ١٨٩٩ . ص ٨٥) = ٣ صلوات خشوعيَّة مفيدة لعيادة المرضى (١٨٥٠ ثمَّ ١٨٦٠) = ٤ الزيارة اليومية لسر الافخارستيا ولايقونة والدة الله للقديس الفُنس ليكوري (١٨٥٧ . ص ٢٣٦) = ٥ تحفة الزهور الزكية للنفوس العابدة المسيحيَّة . وهو مجموع صلوات خشوعية (١٨٦٢ . ص ٤١٢ . ثم كُرّر طبعهُ سنة ١٨٦٧ و ١٨٧٧ ص ٥٦٦ ثمَّ ١٨٩٠) = ٦ الافخولوجيون الكبير لكهنة الروم الكاثوليك (١٨٦٥ . ص ٣٢٦) = ٧ خلاصة الصلوات وجواهر الابتهالات . جمعها المعلم الياس فرج باسيل (١٨٦٨ ثمَّ كرّر طبعهُ) = ٨ باب الجنة . وهو مجموع صلوات وتأملات لاحد الاباء الفرنسيسيين

عرّبهُ الاب رافائيل قُتنايول الفرنسيسي (١٨٦٩ . ص ٤٣٨) = ٩ً روضة الالحان وتسلية الجنان وهو مجموع اناشيد روحية للمعلم الياس فرج باسيل (١٨٧١ . ص ٦٤) = ١٠ً روضة روحية اي مجموع صلوات خشوعيــة (١٨٧٣ ثم ١٨٧٧ . ص ٣٠٧ ثم ١٨٩٤) = ١١ً مزامير التوبة السبعة مع بعض صلوات تُقال في الجنازة وعلى القبر (١٨٩٠) = ١٢ً الدرر اليتيمــة للنفوس العابدة الكريمة . صلوات خشوعيّة ترجمها الخوري ميخائيل كرم (١٨٩٠) = ١٣ً فرض اسبوع الآلام من احد الشعانين الى الاحد الجديد عرَّبهُ خليل افندي جرَيس القدسي (١٨٩٢) = ١٤ً الروضة الروحية للعيال المسيحيّة للاب فرنسيس ماريًا فرًا الحلبي الفرنسيسي (١٨٩٤ . ص٨٥٤)= ١٥ً تقويم السنة العام حسب الطقوس المختلفة مع قاعدة استخراج الفصح وجداول (١٨٩١ص١٢٢)

٤ (كتب روحيَّة وتعبدات وسير القديسين) ١َ كتاب الاستعداد للموت للقديس الفُنس ليكوري . تعريب السيد مكسيموس مظلوم (١٨٥١ . ص ٤٣٥ + ٣٠ ثمَّ ١٨٧٨ . ص٤٤٩+٧) = ٢ً مسبحة سبعة أفراح مريم العذراء تعريب الورتبيت بولس بليط الحلبي (١٨٥١ ثمّ ١٨٧٨) = ٣َ مرشد المسيحي للاب بولس سنــيري اليسوعي (١٨٥٢ ثمّ ١٨٧٤ . ص ٤٦١) = ٤ً الشهر المريمي للاب موزاركي اليسوعي تعريب القس ليباوس المتيني (١٨٥٣ ثمَّ ١٨٧٦ . ص ٣٣٦) = ٥ً احتقار اباطيل العالم للمعلم دياكو ستلّا الفرنسيسي . عرَّبهُ الابوان رافائيل قُتنايول وميخائيل آلنصو الفرنسيسيان (١٨٦٠–١٨٦١ اربعة اجزاء مجموع صفحاتها ١١٩٠) = ٦ً رياضة شهر تشرين الثاني لاسعاف النفوس المطهريَّة . تعريب الورتبيت بولس بليط الحلبي (١٨٦٤.ص٢٩٧ ثم ١٨٧٧)= ٧ً امجاد سيدتنا مريم البتول للقديس الفُنس ليكوري . تعريب السيد مكسيموس مظلوم (١٨٦٧ . جزءان ص ٤٠٨ و٦٠٣ ثم ١٨٧٩ بقطع اكبر . ص ٢٢٨ و ٢٣٠) — ٨ً الشهر اليوسفي للاخ برنابا من اخوة المدارس المسيحيــة (١٨٦٥ . ص ٤٠٧) = ٩ً الاقتداء بالمسيح لتوما الكمبيسي ترجمــة الاب سالستينوس الكرملي . ثم استأنف تعريبهُ الاب فرنسيس ماريًا فرًا الحلبي الفرنسيسي (١٨٩٩ . ص ٦٣٢) = ١٠ً تسعويات لعيــد ميلاد المخلّص وعيد اسم يسوع وعيد مار يوسف (١٨٧٣ . ص ٧٦ ثمَّ ١٨٩٧) = ١١ً ارشاد الاحداث للاستــاذ غو بينيت (١٨٧٩) = ١٢ً الكنوز المخفيَّة في الرهبانية الثالثة الساروفيميّة لاحد الاخوة الاصاغر الحافظين (١٨٨١.ص٤١٦)= ١٣ً قانون الرهبانيَّة الثالثــة العالميَّة لاحد الآباء الفرنسيسيين بالعربيَّة واللاتينيَّة (١٨٨٧) = ١٤ً قانون مار اوغسطينوس (١٨٨٤ . ص ٣٥) = ١٥ً ملخَّص حيــاة القديس لويس غنزاغا اليسوعي للسيد الجليل غودنسيو بُنفيلي (١٨٧٥) = ١٦ً سيرة القديس فرنسيس للقديس بوناونتورا تعريب الاب لاونردس النحو الطرابلسي الفرنسيسي (١٨٨٢ . ص ٢٣٥) — ١٧ً رياضة ثلاثة عشر يومًا لاكرام القديس انطونيوس البادوي للاب فرنسيس ماريًا فرا الحلبي الفرنسيسي (١٨٩٠. ص ١٨٤) = ١٨ً شركة القديس انطونيوس البادوي (١٨٩٤ . ص ٣٢) = ١٩ً مناط الرغائب في تاريخ قدّيس العجائب ماري انطونيوس البادوي للاب لاونردس النحو الطرابلسي (١٨٩٥ . ص ٤٣٩) = ٢٠ً زهرة الاسقفية او سيرة البطريرك منصور براكُو تعريب الخوري د. غطّاس (١٨٩٢. ص ١٦٨)

٥ (كتب مدرسية ولغويَّة) ١ً تعليم القراءة لافادة الاحداث (١٨٦٥ . ص١٥٨ ثم ١٨٧٧

ص ١٧٣) = ٢ً مبادئ القراءة لافادة الاحداث للمعلم اليـاس فرج باسيل (١٨٦٦ ثم ١٨٦٨ ص ٨٨ ثم ١٨٧٤ص ٨٤) = ٣ً مبادئ القراءة العربيـة لابرهيم افندي يزبك (١٨٧٩ . ص ٥٤) = ٤ً مهد الادب لوُلد العرب . لهُ (١٨٩٣–١٨٩٨ ثلثة أجزاء مجموع صفحاتهـا ٢٧٨ . الجزء الاول طبعة ثانية ١٨٩٩ . ص٣٢) = ٥ً الاجرومية مع تفسير واعراب الامثلة (١٨٧٠ . ص١٠٣ . ثمَّ كرّر طبعهُ مرارًا) = ٦ً الخلاصة الجليَّة في قواعد اللغـة العربية للخوري بوحنَّا خليل (١٨٧٨–١٨٨٠ جزءان ص ١٦٤ و ٣٨٤) = ٧ً مبادئ اللغة العربية باللغة الايطاليـة للاب ألسّيو دي ليڤرنو (١٨٥٠ . ص١٣٥) = ٨ً غراماتيق عربي بالايطاليـة للسيد غودنسيو بنفيلي (١٨٦٨ . ص ٢٢٩ ثم ١٨٧٩ . ص ٢٤٥) = ٩ً الاجوبة الجليَّة في الاصول النحويَّة للاب لاون الحلبي الفرنسيي (١٨٧٠ص ١٣٤٠ ثم ١٨٨٩ ص ١٤١) = ١٠ً غراماتيق تركي لاتيني للاب مرقس فُرغَنِر (١٨٧١)= ١١ً غراماتيق فرنساوي للاب دومينيك ويرسُن (١٨٨٤ ثم ١٨٨٩ ص ١٧٠) = ١٢ً اسلوب جديد للقراءة الفرنسيَّة للاب لاون بوريار الحلبي ٣ اجزاء (١٨٩٨ ص١٠٧) = ١٣ً مختصر قواعد اللسان الايطالياني بالعربية (١٨٥١ . ص ١٤٥) = ١٤ً كتاب التهجئة ومبادئ القراءة للاب غودنسيو دي ماتليكا بُنفيلي طُبع مرارًا (طبعتهُ الرابعة ١٨٩٥ . ص ١٠٨) = ١٥ً قاموس اللغتين الايطالية والعربية لاحد الآباء الفرنسيسيين (١٨٧٨ . ص ١٣٧٥)= ١٦ً قاموس فرنساوي وتركي وايطالي وعربي لهُ (١٨٨٠ . ص٦٠٤)

٦ (كتب ادبيَّة وحسابيَّة وتاريخيـة وشتَّى) ١ً مجموعة ازهار من رُبى الاشعار للمعلم الياس فرج باسيل (١٨٦٦ . ص١٦٧ ثمَّ ١٨٧٩ . ص ١٩٤) = ٢ً رغبة السائل في انشاء الرسائل لهُ (١٨٦١ طُبع اربع مرَّات . طبعتهُ الثالثة ١٨٦٧ . ص٢٥٦) = ٣ً حكاية الخليفة الصيَّاد وهارون الرشيد تركي وفرنساويّ (١٨٦٩) = ٤ً مَتن البردة للعارف البوصيري مع ترجمتها الى الافرنسية لحنَّا البنغو (١٨٧٢ . ص٤٦) = ٥ً شذرات الادب من منتخبـات كتب العرب (١٨٨٣– ١٨٩٢ جزءان ٩٦ و٩٦) = ٦ً دليـل الصواب في اصول الحساب (١٨٦٣ . ص٨٩) = ٧ً كتيّب حساب عربي وفرنجي (١٨٩٠ . ص٧١) = ٨ً ضياء الالباب في علم الحساب للاب بواكيم الدعبول الناصري الفرنسيي (١٨٩٨ . ص١٨٣) = ٩ً كتاب كشف النقاب عن مسائل ضياء الالباب للاخ ديدكس سنان الحلبي الفرنسيي (١٩٠١ . ص٣٠٠) = ١٠ً تاريخ الحروب الصليبيَّة للعلَّامـة الفرنسويّ دي مونرون تعريب السيد مكسيموس مظلوم (١٨٦٥ . جزءان ص ٢٦٥ و ٣٧٠) = ١١ً مختصر تاريخ الارمن للقس انطون خانجي (١٨٦٨ . ص٣٦٠) = ١٢ً مختصر الغفران الشهير المعروف بغفران ماري فرنسيس للاب كودنسيو دي ماتليكا الفرنسيسي(١٨٦٤ ص٧٦) = ١٣ً مختصر التاريخ الكنائسي (١٨٧١ ثم ١٨٧٢ . ص ٢٦٩ ثم ١٨٨٩ . ص٢٨٠) = ١٤ً طبعـة اخرى بالعربية والفرنسويَّة (١٨٩١) = ١٥ً دراري الرشـد في برج الاسد . وهي رسائل البابا لاون الثـالث عشر المطبوعة سابقًا في مطبعتنا في جريدة البشـير وعلى حدة نقـلًا عن تعريب السيّد الجليل المطران بولس عوّاد كاتب اسرار القصادة الرسولية في سورية سابقًا (١٨٩٣ . ص ٤٦٧) = ١٦ً دليل الزوَّار على الامـاكن المقدَّسة للمعلم الياس افندي فرج باسيل (طبعة ثانيـة ١٨٧٦ . ص ٥٠٥) = ١٧ً فابيولا او بيعة الدياميس للكردينال

وَيسمان . تعريب القس توما ايوب السرياني الحلبي (١٨٨٨ . ص ٤٤٧)

وقد طُبع في هذه المطبعة كتب أُخرى صغيرة كتقاويم وفذالك وصلوات ومناشير للباباوات(١ و بطاركة القدس . امَّا اللغات الاوربيَّة فقد نُشر فيها بعض تآليف مفيدة (بالايطاليَّة) كتاريخ الاراضي المقدَّسة للاب بيرينَلدس الفرنسيسيّ . وتاريخ القدس لهُ . ودليل الزوَّار لهُ . وتاريخ كنيسة القديسة حنَّة في اورشليم للاب باسي . وغراماتيق لاتيني ايطاليّ للاب برزدينس الكاراسكي الفرنسيسيّ وتاريخ رؤساء الاراضي المقدسة الفرنسيسيين للاب غولوبوڤيش (المشرق١ : ٤٧٥) . ومختصر تاريخ المقدس . (وباللاتينية) اخصُّها كتب طقسيَّة . (وبالافرنسيَّة) كانشاء الرسائل للاب لاون باترم الفرنسيسي . والدليل على الاماكن المقدسة للاخ ليڤين دي هام في ثلاثة مجلدات . نُقل الى الانكليزيَّة وطُبع . (و بالاسبانية) كدليل الزوَّار للاب يوسف هرمو الفرنسيسي

فهذا النظر العمومي يبيّن بوجهٍ جليّ عظم همة الآباء الفرنسيسيين في نشر الدين وتعزيز الآداب اثابهم الله خيرًا ونفع شرقنا بمساعيهم الاثيرة

٢ (المطبعة الارمنيَّة) هذه المطبعة تخصُّ الارمن الغريغوريين في القدس الشريف . وموقعها في دار محلّهم الكبير الذي في جوار جبل صهيون حيث مقام اسقفهم وكنيستهم الكبرى . أُنشئت هذه المطبعة سنة ١٨٤٨ . وكتبها كلُّها بالارمنيَّة او بالتركيَّة ولكن بحرف ارمنيّ وقد زرناها منذ سنتين فرأينا ان شغلها قليل . واكثر مطبوعاتها طقسيَّة نضرب عنها صفحًا لأَنَّها لا تهمُّ اهل بلادنا

٣ (مطبعة القبر المقدَّس) مُنشيء هذه المطبعة جمعيَّةُ القبر المقدَّس اليونانيَّة التي مركزها في دار البطريركيَّة الارثذكسيَّة . وكان ذلك في اواخر سنة ١٨٤٩ . على عهد البطرك كيرلّس الثاني . تولَّى ادارتها مدَّةً يوحنا لازاريديس ثمَّ الارشيمندريت سبيريدون صرُوف . وقد زرناها قبل سنتين فوجدنا ادواتها عتيقة وعملتها قليلين . امَّا التآليف التي نُشرت في هذه المطبعة فهذه قائمتها على حسب تاريخ نشرها :

١ً الزبور الالهي (١٨٦٠ : طبعتهُ الثالثة ص ٢١٧) = ٢ً الاكطويخس للقديس يوحنَّا الدمشقي وهو يشتمل على الثمانية الالحان للقيامة (١٨٥٠ ثمَّ ١٩٦٠ . ص٣٤٧) = ٣ً التريوديون يتضمَّن ترتيب الصوم (١٨٥٠ ثم ١٨٥٦ . ص ٦٣٦) = ٤ً الاورولوجيون اي السواعي الكبير المشتمل على الفروض الكنائسية (١٨٥١ ثمَّ ١٨٦٤ . ص ٦٩٤ ثم ١٨٨٦ . ص ٦٣٨) = ٥ً

١) نخصّ منها بالذكر « منشور بيوس التاسع للشرقيين سنة ١٨٤٨ (ص ٢٣) »

البنديكتاريون اي الخمسيني يتضمَّن ترتيب الصلوات والطقوس من احد الفصح الى احد جميع القديسين (١٨٥٤ . ص ٢٣٧ ثمَّ ١٨٨٨ . ص ٣٥٨) = ٦ً تاريخ كنائسي شريف جمعهُ اسبيريدون صرُّوف الدمشقي (١٨٥٥ . ص ١٩٣) = ٧ً مختصرهُ لهُ (١٨٥٥ . ص ٤١) = ٨ً مختصر في خدمة المساء والسحر . نشرهُ جرجس صرُّوف (١٨٥٥ . ص ٦٣ ثمَّ ١٨٦٧ . ص ٤٥) = ٩ً ترتيب الاربع وعشرين بيت (كذا) لوالدة الاله وطقس الميطالبسي (١٨٥٧ . ص ٦٤) = ١٠ً ترتيب الجناز (١٨٥٧ . ص ٥٤ ثمَّ ١٨٨٦ . ص ٦٤) = ١١ً المـزّي اعني الاكلوجيس الكبير نشرهُ جرجس صروف (١٨٥٨ . ص ٥٢٦) = ١٢ً تنوير المشتاق لمبحث الانبثاق في ست نُبَذ (١٨٥٩ . ص ٣٠٠) = ١٣ً البراهين الجليَّة على ان الحقيقة في الكنيسة الارثذكسيَّة ثمَّ (١٨٦٠ . ص ٩٨) = ١٤ً الفريضة السنية في الواجبات الكاهنيَّة للشماس غريغوريوس غوغس تعريب اسبيريدون صروف (١٨٦٠ . ص ١١٤) = ١٥ً مرشد الاولاد لفرنسيسكو سواڤيواس . تعريب مينا يوسف دبَّاس اليافوي (١٨٦٠ . ص ١١٨ ثمَّ ١٨٨٧ . ص ٩٦) = ١٦ً المقابلة المضاعفة للعلم اسكندر استورزا (١٨٦٠ . ص ١١١) = ١٧ً خدمة الاسرار المقدسة الالهيَّة (١٨٦٠ . ص ١٠٤) = ١٨ً التعليم المسيحي لاسبيريدون صرّوف (١٨٦٠ . ص ١٣١) = ١٩ً مختصرهُ (ص ٥٣) = ٢٠ً الجواهر الفخريَّة عن الملَّة الانبثاقيَّة لباسيلي فخر (الدمياطي) ١٨٦١ . ص ٣١٦) = ٢١ً كتاب الرسائل الذي يُقرأ على مدار السنة (١٨٦٢ . ص ٣٦٨) = ٢٢ً الانجيل الشريف الالهي (١٨٦٣ . ص ٢٢+٣٢٣ . وفي آخره جداول لاناجيل السنة ص ٨٨) = ٢٣ً المنهاج في واجبات الازواج . تعريب جراسيموس يارد (١٨٦٤ . ص ١٤٣) = ٢٤ً اجيازماطاري كبير . اي صلوات مقتطفة من الافخولوجيون الكبير (١٨٦٥ . ص ٦٨٤ ثمَّ ١٨٨٤ . ص ٥٥٨) = ٢٥ً مختصر في الزيجات (١٨٦٥ . ص ١١٦) = ٢٦ً مختصر في علم الحساب (١٨٦٥ . ص ٨٠) = ٢٧ً رسالة لتعليم الهجاء (١٨٦٦ . ص ٨٨) = ٢٨ً مختصر لتعليم الهجاء (١٨٦٨ و١٨٧٠ . ص ١٥) = ٢٩ً الدرَّة النفيسة في شرح حال الكنيسة اختصرهُ استفانوس قوميطا من تاريخ ملاتيوس مطران اثينا (١٨٦٧ . ص ٤٤٥) = ٣٠ً سير الاباء يوحنَّا الكوخي واكسينفون وابنيهِ يوحنا واركاديوس والكسيوس رجل الله (١٨٦٨ . ص ٨٧) = ٣١ً رسالة لتنائيل خيغنا في نقض الرئاسة البابويَّة (١٨٦٠ . ص ٨٣ وهي الرسالة التي فنَّدها الخوري سمعان اسحاق اللاتيني) = ٣٢ً الدليل الصريح على ملك المسيح لاينوكنديوس مطران موسكو . تعريب الارشيمندريت جراسيموس يارد (١٨٨٦ ص ٩٥) = ٣٣ً منتخبات عربية للعلم ارنلد الفرنسويّ مع حواشٍ ومعجم للالفاظ لاستفـان اثناسيادیس (١٨٨٥ . جزءان مجموع صفحاتها ٥٠٠) = ٣٤ً بهجـة الفؤاد في عيد الميـلاد (١٨٨٧ . ص ٤٧) = ٣٥ً الزهرة النضراء في نياح العذراء (١٨٨٧ . ص ٨٨) = ٣٦ً بهجة الفؤاد في تفسير اناجيل الآحاد لنيكيفورس ثيوطوكي مطران استرخان . عرّبهُ بتصرُّف الخوري يوحنَّا حزبون (١٨٩٨ . جزءان ٣١١ و٣٤٦)

وقد طُبع في هذه المطبعة بعض التآليف في اللغة اليونانية منهـا طقسيَّة ومنها تاريخيَّة لم يمكنّا الحصول عليها

٤ (مطابع اليهود) لليهود في القدس ثلاث مطابع · الاولى قديمة طُبعت فيها بالعبرانيَّـة جريدة تُدعى البصلة (חבצלת) من نحو ٣٠ سنة · وكانت لسان حال اليهود التلموذيين · ثم أُبطلت

(المطبعة الثانية) انشأها الموسويّ الروسي لُنكس (Luncz) طبع فيهـا بعض تآليف علميَّة منهـا تاريخ فرحي من كتبة القرن الثالث عشر ومنها جغرافية فلسطين لربّي شوارتس (R. Schwarz) ولهُ تقويم سنوي ودليل للزوّار ومجلة دعاها « اورشليم» تظهر اربع مرَّة في السنة انشأها منذ خمس سنوات

(المطبعة الثالثة) انشأها قبل ١٢ سنة احد اليهود الروسيين اسمهُ ابن يهوذا · نشر مدَّةً جريدةً دعاها النور (האור) وكان منشئها حرّ الافكار يُريد إطلاع قومهِ على أحوال تمدُّن العصر فسعي بهِ وأُلغيت جريدتهُ · ثمَّ نال امتيازًا بجريدة اخرى دعاها المحاسن (חצבי) لا تزال حيَّةً وقد نشر ابن يهوذا في مطبعتهِ بعض كتب مدرسيَّة لأحداث امتهِ كمبادئ القراءة واصول التاريخ والجغرافيـة · وقد باشر بمعجم كبير للغة العبرانيَّة واللغة التلموذية مع شرح الالفاظ بالالمانيَّة والفرنسيَّة

وفي القدس الشريف مطابع أُخر حديثة النشأة منها المطبعة الوطنيَّة لالفنس افندي انطون الونصو طُبع فيها سنة ١٨٩٩ كتاب فرض اخويَّة قلب يسوع المنازع · ومطبعة الخواجا ح · افندي حنانيًا ذكرنا في المشرق بعض مطبوعاتها (٤ : ٥٧١و١٠٠٢)

وللجمعيَّة البروتستانيَّة المعروفـة باسم Church Missionary Society مطبعة صغيرة طُبعت فيها كراريس قليلة منها كرَّاسة حروف المعـاني والاسماء المبنيَّة والافعال الجامدة (١٨٩٤ · ص ٥٢) (ستأتي البقيَّة)

يوحنّا فم الذهب

ورئاسة بطرس وخلفائهِ على الكنيسة الجامعة

للاب اميل ريفو اليسوعي

لا يخطر على بال الشرقيين ذكر يوحنَّا فم الذهب المجيد او يطرق اسمهُ مسامعهم حتى تراهم على اختلاف الملل يتفاخرون بذكرهِ ويتباهون بفصاحة لسانهِ ويذعنون لتعاليمهِ

كيف لا ويدلُّ مجرَّد اسمهِ على انَّ من هذه القناة الذهبيَّة لا تفيض الَّا مياه صافية اذ الفم يتكلَّم من فضل ما في القلب (متَّى ١٢ : ٣٤)

واليوم رأينا ان نستفتي هذا المعلم الجليل عن رئاسة بطرس وخلفائهِ الاحبار الرومانيين فنواصل بهذه النبذة ثلاثَ مقالات سابقة كتبها حضرة الاب يوحنا راي في رئاسة الاحبار الرومانيين على كنائس الشرق في الثلاثة القرون الاولى للنصرانيَّة (راجع المشرق ٢ : ٢ و٤٤ ثم ٣ : ٨٠٧) . وفي بحثنا هذا قد استندنا الى تآليف القديس المذكور نفسها فرجعنا الى الاصل اليونانيّ ولم ننقل عنهُ كلمةً حتَّى تحقَّقنا معناها وتفهَّمنا مضمون الخطاب وسياق المعاني . وليتأكَّد القارئ صحَّة قولنا قد دللنا في ذيل الكتاب على المجلَّد والصفحة من طبعة غوم (Gaume) الشهيرة الحاوية لاعمال فم الذهب في ١٢ مجلَّدًا

*

لايجهل القرَّاء ان اسم القديس بطرس ورد في الانجيل لاوَّل مرَّة لمَّا جاء اندراوس باخيهِ سمعان وقدَّمهُ للمسيح (يوحنَّا ١ : ٤١ و٤٢) فقال الرَّب حين رآهُ : « انت سمعان ابن يونا انت تُدعى كيفا الذي تفسيرهُ الصفاة (١ » — فالقديس يوحنَّا فم الذهب اذ فسَّر انجيل الحبيب لم يفتْهُ كلام المخلِّص لبطرس فماذا تراهُ استنتج من قول الرب . دونك ما كتبهُ في هذا الصدد (٢ : « انَّ بطرس لم يُجرِ جوابًا على قول الرب لأنَّهُ لم يدرك بعدُ الامر جليًّا ولم يفهم النبوَّة المتضمنة في هذا الكلام اذ المسيح لم يقل لهُ حينئذٍ : انت الصفاة وعلى هذه الصفاة أبني كنيستي ولكن قال فقط : « انت تُدعى كيفا » . وقد علَّل ذلك فمُ الذهب في مطاوي شرحهِ حيث قال : « لانَّ الربَّ لم يشأ وقتئذٍ ان يصرِّح بكلّ سلطانهِ ريثما تسنح لهُ الفرصة لبيان لاهوتهِ لتلاميذهِ . فلمَّا اثبت لاهوتهُ قال على قدرتهِ الالهيَّة : طوبى لك يا سمعان لأنَّ ابي اوحى اليك هذا الاقرار وعليهِ فانا اقول لك انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي »

وقد زادنا البطريرك القديس ايضاحًا في خطبة كتبها عن تغيير الاسماء في الكتاب الكريم (٣ قال : « انَّ المسيح لذكرهِ السجود دعا بطرس باسم الصفاة لما اودعهُ في هذا

١) وباليونانية πετρος (بطرس)

٢) راجع الخطبة ١٩ على انجيل يوحنَّا ج ٨ ص ١٣٦ ٣) ج ٣ ص ١٦٠

الاسم من اظهار الثبات في الاعتقاد ليكون هذا اللقب كمعلّم دائم يوطدهُ في الايمان ». فترى من هذا القول انّ الذهبيّ الفم لا يعتبر ابدال اسم سمعان ببطرس كأمرٍ لا طائل تحتهُ بل يعدُّهُ كواقع هامّ يدلّ بهِ الربّ على شدّة الايمان فيجعل بطرس هذا الاسم امام عينيهِ كمعلّم يرشدهُ بلا انقطاع. فضلًا عن انَّ هذا الاسم يتضمن نبوَّةً سيقوم المسيح بتحقيقها يومًا اذ يقول لسمعان انَّهُ الصفاة التي سيبني عليها بيعتهُ (١

*

فممَّا تقدَّم لاح لنا علنًا ان يوحنا فم الذهب كان يعرف مقام بطرس ورتبتهُ السامية غير ان كلامهُ أصرح واجلى بيانًا عند شرحهِ لقول المسيح لبطرس (متَّى ١٥ : ٢٧) بعد ان اعترف هذا بلاهوتهِ بإزاء التلاميذ قائلًا انهُ هو المسيح ابن الله الحي. فاجابهُ المسيح قائلًا: وانا اقول لك: انت الصفاة وعلى هــذه الصفاة سأبني كنيستي. فان للذهبي الفم كلامًا مسهبًا في شرح هــذه الآية. وقد كرَّرهُ مرارًا في خطبهِ البليغة. من ذلك ما كتبهُ في خطبتهِ الرابعة عشرة على انجيل متى (٢ فانهُ بعد ان بيَّن ان الكنيسة مبنية على الايمان الذي اقرَّ بهِ بطرس قال ما نصهُ مصرّحًا بسلطان هامة الرسل: « اسمع ايها الحبيب قول الرب اني سأُعطيك مفاتيح ملكوت السماوات الخ. فبقولهِ « سأُعطيك » اقام بطرس الى مقام رفيع واظهر معًا لاهوتهُ وكونهُ ابن الله اذ وعدهُ بوعدَين لا يمكن ان ينجزهما احد الَّا الله لانهما خاصَّان بهِ تعالى وحده. وعد ان يعطيهُ السلطان ليحــلّ الخطايا ويجعلهُ هو الصيَّاد اقوى من الصخرة الصماء ليكون ركنًا لكنيستهِ لا تعمــل فيها سورة البحر العجَّاج ذي الامواج المتلاطمة. هذا ما وعد بهِ الرب رسولهُ »

فحبَّذا الكلام خرج من فم مسجدي لم ينطق الَّا بالصدق واليقــين. نعم ان قائلهُ يعتبر لاهوت المسيح كالاساس الاول للكنيسة لانهُ اذا انتقض هذا السند تضعضع البناء كلهُ واضحت الكنيسة جماعةً بشريَّة ولم يَعُد بطرس سوى صيَّاد وضيع خامل.

١) اعلم ان الذهبيّ الفمّ كثيرًا ما ذكر ابدال الرب لاسم سمعـــان. راجع مثلًا الجزء الثالث من اعماله (ص ٤٤) حيث قال: انَّ سمعان دُعي ببطرس (اي الصفاة) لشدّة وثبات ايمانهِ. وقال في محلّ آخر (٣: ١٢٣): « انّ الله لا يأتي بعمل عن خفَّة بل اعمالهُ كلُّها عن حكمة الهيَّة. فاذا ما دعا احدًا باسم خاصّ فإنَّ ذلك الَّا لداعٍ يجب علينا البحث عنــهُ ». ثمَّ ضرب مثل سمعان الذي دعاهُ الرب بطرس دلالةً على ايمانهِ الثابت

٢) راجع طبعة غوم (ج ٧ ص ١٦)

ولكن مع إقرار الذهبي الفم بان المسيح هو الركن الاصليّ قد اثبت ايضاً بان الرب اسند بطرس الى لاهوتهِ وجعلهُ اقوى من الصخرة الصمّاء التي تعتمد عليهــا الكنيسة فتسخر من سورة الاضطهادات والمحن كما رأيت من النصّ السابق

ولم يصرّح يوحنّا فم الذهب بكون بطرس اساس الكنيسة وركنها دفعةً واحدة بل عاد الى ذلك مرارًا عديدة نزوي بعض أقوالهِ. قال في خطبتهِ الثالثة على انجيل متى (ج٧ص٤٩): « ان اعمالنا الصالحة لا تُعدُّ عظيمةً ألّا اذا اعتبرناها كلاشيء.. ألا ترى ان بطرس اضحى اسًّا للكنيسة لقولهِ للرب بتواضع: اخرج عني لاني رجل خاطئ »

وقال في موضع آخر (١ يثبت جــودة الزواج الشرعي: « من يستطيع ان يبخس بسرّ الزواج أفلم يكن بطرس اساس الكنيسة مقترنًا بالزواج »

وقال ايضاً يصف انواء ثارت وامطارًا زخرت في انطاكية فكادت تدمر البلاد (٢: « انّا في خلال هذا الطوفان العرمرم قد وجّهنا الالحاظ الى الهامتين بطرس ركن الايمان وبولس الاناء المصطفى ». فترى كيف افرز بين بطرس و بولس بعد ان وصفهما كليهما باسم الهامة. فاعطى لكلّ منهما حقّهُ

وان اعترض علينا احد بقولهِ ان الرسل جميعاً قــد دُعوا باسم الاساس وقد عمّهم بولس بهــذا الاسم حيث قال لاهل افسس (٢: ٢٠): « قد بُنيتم على اساس الرسل والانبياء وحجر الزاوية هو المسيح يسوع » اجبنا انّ الذهبيّ الفم لا ينكر ذلك بيد انهُ يفرق بين بطرس وبقيّة التلاميذ فيجعل للرسل مقاماً متساويًا في اساس الكنيسة امّا بطرس فلهُ المقام الاول بين هؤلاء الاثني عشر لان المسيح ميّزهُ وخصّهُ بما لم يخص احدًا دونهُ كما رأيت في النصوص السابقة

ولذلك ربّما رأينا يوحنّا فم الذهب يقابل بين الرسل وبطرس فيدعو بطرس بالاول ليس في الشرف فقط بل في السلطة ايضاً. قال في ردّهِ على اليهود (٣: « قد بكى بطرس بكاء مرًّا نكرانهُ للمسيح فمحــا بهذا البكاء اثر خطيئتهِ بحيث اضحى اول الرسل وصار الى يدهِ زمام الدنيا كلها »

وقد دعاهُ في محل آخر (ج ٧ ص ٣٣٤): « رأس العائلة الرسولية ومدبّرها »

---

١) راجع اعماله (ج ٦ ص ١٤٣) ٢) راجع ايضاً خطبة فم الذهب ضد الالعاب والمراسح (ج ٦ ص ٣١٩) ٣) ج ٨ ص ٨٣٩

ولعلَّ قائلًا يُحاجُّ هنا يوحنًا فم الذهب فيقول لهُ: « ان كان المسيح كما زعمت قد سبق فاعطى الرئاسة الى بطرس فما بال الرُسل اذن تخاصموا بعدئذٍ في شأن المقام الاول بينهم (مرقس ٩ : ٣٣ ولوقا ٩ : ٤٦) . فيجيبهم الذهبي فمُهُ قائلًا (١ : « ان الرسل بفعلهم هذا قد اقرُّوا برئاسة بطرس عليهم وما الحزن الذي خامر قلبهم الَّا دليل واضح على تقدمهِ أفلا ترى انهم سكتوا حينما اختار الرب ثلاثة منهم وخصهم ببعض هباتهِ (يريد في يوم تجلّي الرب) ولكن لمَّا رأوا ان المسيح جعل الرئاسة لواحد منهم توجَّعوا وامتعضوا »

فعلى رأي يوحنًا فم الذهب اذن هذه المخاصمة التي حدثت بين الرسل هي نفسها تدلُّ على رئاسة بطرس . ولولا انَّهم فهموا ذلك لما جرى بينهم خصام . والدليل عليهِ انَّهم بعد صعود الرب وتأييدهم بالروح القدس تراهم مجرَّدين عن حبّ التسلُّط يذعنون لبطرس ويقدمونهُ في كل شيء كما قال الذهبيّ فمُهُ (٢ : « بعد ان انار الروح القدس عقول التلاميذ لم يعودوا يطلبون المراتب الاولى بل يقدّمون بطرس وان كان دونهم علمًا (ἀγροικότερον)» . وقال ايضًا يذكر تقدّم بطرس على يوحنًا الحبيب في الفصل الثاني من اعمال الرسل (٣ : « انظر كيف يوحنًا الذي كان طلب سابقًا من الرب المكان الاوّل يتنازل الآن لبطرس عن المرتبة الاولى فيدع لهُ التقدُّم عليهِ في التبشير وعمل المعجزات »

وما قالهُ هذا العظيم بين الآباء القديسين عن يوحنًا الحبيب قد اثبتهُ في محلّ آخر عن بولس الرسول وذلك في شرحهِ لقول الاناء المصطفى في رسالتهِ الى اهل غلاطية (٢ : ١١) انهُ قاوم بطرس مواجهةً : « كان يعرف بولس اي تقدّم يحقّ لبطرس فكان يعظّمهُ فوق جميع البشر . . . ومع انهُ كان يستلفت اليهِ انظار العالم باسرهِ ويهتمُّ بامور جميع الكنائس (٢ قور ١١ : ٢٧) تراهُ تاركًا كل اعمالهِ الشريفة لينطلق الى اورشليم وليس سفرهُ هذا الَّا لغاية واحدة وهي ان يرى بطرس كما اخبر هو قائلًا (غلاطية ١ : ١٨) : ثم اني انطلقتُ الى اورشليم لأزورَ بطرس . فانظر يا صاح كيف بولس يعظّم بطرس ويجعلهُ فوق الجميع » . وقد عاد يوحنًا فم الذهب الى مثل هذا القول مرَّةً أُخرى فزادهُ ايضاحًا حيث قال : « انظر كيف يصعد بولس الى اورشليم ليجتمع ببطرس ويُكرمهُ بحضورهِ . ولم يقل الكتاب انهُ انطلق الى اورشليم ليرى

١) راجع الخطبة الثامنة على انجيل متّى (٧ : ٦٦١)

٢) الخطبة الرابعة على متّى (٧ : ٥٨٠) ٣) طبعة غوم (٧ : ٧٣١)

(ἰδεῖν) بطرس بل قال ليزورهُ (ἱστορῆσαι) وهي لفظة تُستَعمَلُ لرؤية المدن العظمى والمشاهد الكبرى . . . وهذا لم يصنعهُ بولس لغيرهِ من الرسل ولكن لبطرس وحدهُ . . . وليس ذلك مدَّة ساعات قلائل بل خمسة عشر يوماً (١ »

فأيمُ الحق لقد ضلَّ من قرأ مثل هذه الأقوال الشريفة وادَّعى بعدئذٍ ان يوحنا فم الذهب لم يعرف لبطرس مزيَّةً تفرزهُ عن اخوتـهِ الرسل وتجعلهُ عليهم رئيساً مطاع الكلمة فلو عرضنا كلامهُ دون ذكر اسمهِ لما تردَّد احد في نسبة هذا الكلام الى كاثوليكي شديد الاعتصام بالرئاسة البابويَّة

بيد ان للذهبي الفم أقوالًا اخرى عديدة تكشف عن فكرهِ كشفًا لا يُبقي من بعدهِ ادنى ريب . فمن ذلك ذكرهُ لخطيئـة بطرس يتخذها القديس كوسيلة لا ليبخس شأن الرسول كما يفعل البعض بل ليطنب في محامدهِ ويعظِّم توبتهُ قال (٢ : « دونك بطرس هامة الرُسل صاحب المقـام الاول في الكنيسة صديق المسيح . . بطرس الصفاة الغير المنكسرة والركن الثابت والرسول العظيم واول تلامذة الرب...هو نفسهُ اجترح لا جنايةً خفيفةً بل جرماً فظيعاً اذ جحد سيدهُ . . لا اقول هذا لتعيير البارّ لكن لاحملكم على الثقة برحمـة الله . . فان بطرس ما كاد يبكي خطيئتهُ حتى غُفرت لهُ تماماً . . . بل قُلد مفاتيح ملكوت السماوات . . فليس فقط اثبتهُ الرب في مقامهِ الاول بل القى بين يديهِ زمام الكنيسة الجامعة »

وان سأل السائل يوحنا فم الذهب : لاي سبب سمح الله بسقوط هذا الرسول اجابهُ بهذه الكلمات العجيبة التي تزيد بطرس فخرًا وتُعلن جهارًا سموّ رتبتهِ قائلاً (٣ : « ان الله سمح بسقوط رسولهِ لانهُ اذ عزم على ان يجعـلهُ رأس (ἄρχοντα) كل العالم المعمور اراد ان يذكّرهُ بخطيئتهِ ليغفر هو ايضاً آثام الخطأة الذين يسقطون فيما بعد »

فللهِ درُّهُ من معلّم تناثرت من فيهِ درر الخلاص وانطقهُ الله بالحق ليكون شاهدًا على مدى الدهور لصحَّة اعتقاد الكنيسة الكاثوليكيَّة في رئاسة بطرس وخلفائهِ

(ستأتي البقيَّة)

١) راجع شرحهُ لرسالة بولس الى اهل غلاطية (ج ١٠ : ص ٨٠٤)
٢) في خطبتهِ عن التوبة (ج ٢ . ص ٣٥٣ و ٣٥٤)
٣) الخطبة الخامسة عن التوبة (ج ٢ . ص ٣٦٦)

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

١٩

وهمَّ جوسلين ان يردّ جوابًا يبرّئ بهِ نفسهُ غير ان الضجّة التي علت في القصر وقتئذٍ حوّلت عنهُ الاسماع وكان انَّ حصانًا اسود اللون ضئيلًا دخل من البوّابة محضرًا وقد وقف شعر عنقهِ وخرج الزبد من فمهِ وغطى العرق والغبار بدنهُ فحالما شاهدهُ رجال الامير رزق الله صرخوا بصوت واحد قائلين « هذا هو الريح »

واخذوا يتساءلون متعجبين كيف استطاع ان يلحق بهم لانهم عند مبارحتهم بشرّاي كانوا قد تركوهُ مربوطاً في اصطبلات الامير وفي اثناء سفرهم لم يلمحهُ احد منهم

امّا « الريح » فانهُ سار توًّا الى المشنقة واخذ يصهل بشدَّةٍ ويحمحم بنغمة مخصوصة تدلّ على شكواهُ. ثم انهُ علق يشمّ الارض واقبل يحفرها بسنبكهِ. وكان الكل ينظرون اليهِ ويتعجبون من حركاتهِ الغير الاعتيادية غير انهُ لم يخفَ شيء من ذلك على جوسلين الذي مذ شاهد الحصان يفحص الارض دبَّت الرعدة في كل اعضائهِ

امّا الامير رزق الله فكان ينظر الى المجرم ويراقب جميع حركاتهِ فامر ان يُصفد بالاغلال وان تُحفر الارض التي وقف عليها الحصان. فما كادوا يضربونها بالمعول بعض ضربات حتى بان ان التراب مقلوب حديثاً ثم بانت جثة دبَّت فيها عوامل الفساد وكان مشهدها يدلُّ على انها أُودعت القبر من نحو ثمانية ايام على الكثير. ولدى التأمل في الوجه الذي كان حتى ذاك الوقت غير متنكرٍ ولا مشوَّه ظهر انهُ وجه مالك بعينهِ حاجب الامير وكان عنقهُ محوّطاً بخط ازرق كبير ولسانهُ خارجاً من فمهِ بشكل فظيع يدل دلالة بيّنة على نوعيَّة الموت الذي ذاقهُ. امّا جوسلين فقد حاول الانكار حتى بعد ظهور الجثة ولكنهُ ما لبث ان فقد الجلَد وداخلهُ الاضطراب واتى في كلامهِ بالمتناقضات

ومع وضوح الجريمة وثبوتها حاول الامير رزق الله ان يحمل جوسلين على الاقرار بها

والندامة عليها فلم يستفد من ذلك شيئاً فحينئذٍ أخرج من جيبه رزمةً من الاوراق واراها اياهُ قائلاً :

هذه ادلّة لا تستطيع انكارها شاهدة على خيانتك فقد اردت ان تبيع لبنان الى اعدائنا نصيريّة عكّار والضنّية والمتاولة وعرب البقاع . انظر الى هذه التحارير أليست هي من خطك . تمعّن في هذا التوقيع أليس هو ختمك بعينهِ ؟

فلم يُحر جوسلين جواباً امّا الامير رزق الله فاتمّ كلامهُ قائلاً :

اي شيء تقضي شرائعنا على الخائن ؟

« الموت الموت . الموت للخائن . لا رحمة لقاتل مالك ومضطهد الاب يوحنا ومحرق دير حصن سليمان » . هكذا هتف جميع الجنود اللبنانيين بصوت واحد

فلمّا ركن الحضور الى الهدوّ عاد الامير رزق الله وخاطب جوسلين قائلاً :

هل لك ما تعترض بهِ يا جوسلين على هذه الشكايات والبيّنات الواضحة . أتؤثر السكوت ولا تعلم ان السكوت كالاقرار . . . فليجرِ العدل

واذ ذاك سُمع صوت هاتف يقول : « وانا اطلب العدل ايضاً » فالتفت الكل الى جهة الصوت فشاهدوا رجلاً يحاول ان يشقّ صفوف الجند حتى يتصل الى مجلس الامير وكان الرجل المذكور هو عين ذاك اليهودي المرابي الذي تقدّم الخبر عن مغادرتهِ بغتةً لقصر القليعة قبل وصول مالك اليها ببضعة ايام . وكان قذر الملابس شنيع الصورة فحالما مثل بحضرة الامير صرخ قائلاً :

اني آتٍ من بشراي التي ذهبت اليها لكي أُطلعك على خيانة جوسلين وجرائمهِ بالادلة والبينات الساطعة التي لا تقبل ردّاً . ولا ريب انك تكافئني على هذا الاخلاص بان لا تضيع عليّ شيئاً من حقوقي

قال هذا ومدّ يدهُ الى جيبهِ ولمزيد عجلتهِ أخرج دفتراً كان قد قيّد فيهِ المبالغ المختلفة التي أقرضها الى جوسلين وهي التي سوّلت لهذا الاخير تماديهُ في معصية مولاهُ

فلمّا أجال الامير فيهِ نظرهُ ظهرت على وجههِ امائر الغضب لانهُ لمّا قلب الصفحة الثانية من الدفتر قرأ فيها ما نصّهُ : « براطيل الى خدَم الامير رزق الله لاجل استكشاف بعض الاسرار منهم . . . كلفة السفر الى جبيل لاجل مذاكرة مقدمها في الاتفاق مع جوسلين . . . »

— يا لك من شقي . باي جرأة استعملتَ فضّتك تسعيرًا لنيران الثورة . وباي وقاحة سعيتَ في افساد رجالي وبثّ روح المعصية في لبنان . ومن بعد هذا كلهِ تتجاسر على طلب المكافأة

حينئذٍ خرَّ نثنائيل راكعًا على ركبتيهِ فقال : عفوًا ايها الامير قد غلطتُ في ما قدّمتهُ لسعادتك وهاك ما يبين حقوقي بنوعٍ صريح ويثبت صوابيَّة مطالبي

ثم قدّم للامير الصك الذي وقّعهُ جوسلين وفيـهِ يملّكهُ كل الاراضي التي كانت مختصة بدير حصن سليمان

فلمَّا اتمَّ الامير قراءة الصك المذكور مزَّقهُ قطعًا ورماهُ ثم قال :

ان هذا الصك باطلٌ لان جوسلين لا يستطيع ان يسلّم ما لا يملكهُ بوجه شرعي . واما انت ايها اللئيم فالشنق اقل عقاب تستحقهُ ولهذا فعدَّ نفسك سعيدًا اذا كنتُ لا اعاملك بموجب جريرتك

فلما سمع نثنائيل بالعقاب والمشنقة غيَّر لهجتهُ ولجأ الى النعومة التي يمتاز بها جيل اليهود عند المصاعب وقال :

ان كل ما تفضَّل بهِ سيدي الامير حق وصواب فليفعل بعبدهِ ما يشاء ويريد . . ولكن فليسمح لي ان اعرض على مسامعـهِ باني كنت على الدوام مخلصًا لسموّهِ . واذا كنت قد دخلت قصر القليعة فذلك للمواظبة على خدمتهِ لاني كنت اطمع بالوقوف على أسرار جوسلين . نعم اني كنت آتيـهِ ببعض معلومات ولكنها لم تكن بذات بال وكان قصدي ان اطلع منـهُ على ما هو اهمّ واعظم شانًا لأبلّغهُ الى سموّك . ولم ازل محافظًا في منزلي بمدينة طرابلس على أوراق كثيرة موقّعة بامضاء جوسلين وهي تثبت بما لا مزيد عليه من الصراحة والوضوح اشتراكهُ في كل ما جرى من القلاقل والاضطرابات بهذه السنوات الاخيرة في لبنان

وكان اليهودي هذه المرَّة يحكي الصدق ويقول الحق لانهُ حافظ بكل حرص على جميع المراسلات التي كانت متداولة بين جوسلين والمتاولة غير ان الامير توهَّم ان هناك مكيدة فانف من مجاوبتهِ ولكن اليهودي اتم كلامهُ بسكينة قائلًا :

واذا كنتُ قد طلبت منهُ ان يملّكني الاراضي المختصة بدير حصن سليمان فقـد كنت ناويًا ان اردّها الى رهبانهِ الاجلاء مالكيها الشرعيين

فلما سمع جوسلين هــذا الكلام لم يقوَ على كتم غضبهِ ولو لم يردّهُ الحاضرون لانقضَّ على اليهودي فخنقهُ خنقاً ثم قال:

ايتوني بسيف. ايتوني بسيف لانني اغادر الدنيا مسروراً اذا ارسلتُ قبلي الى دار البلاء هذا المرابي اللئيم النجس. والتفت الى الامير قائلاً: ايها الامير انك جندي مستقيم وانا اقبل الموت من يدك ولكن لا تترك هذا الوغد يستطيل عليَّ في الاهانة فقد استصفى اموالي في حياتي و يريد الآن ان يتاجر بجلدي

وكان جوسلين يهمّ باكمال حديثهِ ولكن الامير رزق الله التفت الى اثنــين من جنودهِ وقال لهما وهو يشير الى نثنائيل: أبعدا الآن هذا الرجل فعلينا أمور اهم يجب ان نستوضحها

امّا اليهودي فلم ينتظر الجنديين ان يقبضا عليــهِ و يخرجاهُ قهراً ولكنهُ بادر الى مغادرة القليعة آسفاً على انهُ لم يبقَ لهُ فيها من ربح

وبذل فرا غريفون غاية ما في وسعهِ لحمل جوسلين على الندامة فذهبت تحريضاتهُ باطلًا لان جوسلين لم يجاوبهُ الّا بهــذه الكلمات: أريد ان اموت كما عشت ودونكم رأسي فعجّلوا بقطعهِ وهذا كل مشتهاي

وبعد قليل نابت جثة جوسلين في المشنقة عن جثة مالك التي كانت أُنزلت عنهــا من نحو ثمانيــة ايام. وهكذا ارتضى العدل البشري ولا نعلم كيف ان العدل الالهي استوفى ايضاً حقهُ

امّا جثة الحاجب مالك الذي ذهب ضحية القيام بفروضهِ فبعد ان صلّى عليهــا فرا غريفون وكُفنت بكفن لائق أُلحدت بالاكرام في ضريح خاص أُعدّ لهــا. وقد حضر حفلة الدفن جمعُ الامير منكسي الرماح دلالة الحزن ولما هيل التراب على الجثة تناول كل منهم قبضة وألقوها على الدفين وكان الامير رزق الله أوّل من فعــل ذلك وقد بكى خادمَهُ الامين بدموع غزار

وحاول فرا غريفون ان يعزّيهُ فأبى ان يتعزّى قائلاً:

دعني يا ابي ابكي هذا الخادم المسكين فبعــد الله تعالى ليس احد غيري يعرف مقدار ما كان متزيّناً بهِ من الاخلاص والحمية. فهو لا شك شهيد الامانة والواجبات

ولمّا فرغ الجند من دفن مالك جاء « الريح » فرسهُ ورقد على قبره فحاول الجنــد

ابعادهُ فلم يستطيعوا وقدموا لهُ علفاً فابى ان يذوق منهُ شيئاً . وفي صباح اليوم التالي وجدوهُ متمدداً بلا حراك على قبر فارسهِ

٢٠

وفي اثناء هذه الحوادث التي جرت في جبل اللكام كانت راحيل المنكودة لا تزال تقاسي من العذاب امرّهُ في دار المقدم زين بالبترون . وكانت قد سلكت بالتمام والكمال على موجب نصائح الاب يوحنا ومشوراتهِ على امل ان ترى اقبالًا عليها من بعلها ولكنهُ ما كان يزيد سوى إعراض وصدّ

وفي مساء ذات يوم اشتدَّ حزنها وخانها جلَدها فسارت الى كنيسة البترون لعلها تبرّد هناك بالصلاة حرارة قلبها . وكانت الكنيسة في تلك الساعة فارغة وقد امتد عليها بساط السكينة والهدوّ . والكهنة قد اتمّوا من زمان يسير صلاة المساء فبقيت بقيَّة من روائح البخور منتشرةً في جوّها . ثمَّ ان الشمس كانت قد مالت الى المغيب ودخلت اشعَّتها المصفرّة من النوافذ القليلة المصنوعة على هيأة المرامي

ومن اوصاف الكنيسة المذكورة انها كانت ذات ثلاثة اسواق وثلاث حنايا شيَّدها الصليبيُّون بموجب الهندسة القوطيَّة يختلط بها شيء من الهندسة الشرقيَّة . واقاموا من جهة الهيكل شيئاً اشبه بالايقونستاس عند الروم وهو عبارة عن درابزين او شعريَّة من الخشب المثقَّب كانت فاصلة بين المقدس وسائر الكنيسة . وكان الدرابزين المذكور مزيَّناً بصور شبيهة بالصور البوزنطيَّة . وامامها قناديل لا تزال متوقدة ليلًا مع نهار . واماَّ ارضها المبلَّطة بالفسيفساء فكانت تشتمل على رسوم رمزيَّة كالحروف الابتدائيَّة من اسم المخلص وصور حمام وطواويس تنقر اغصان الدوالي وسنابل القمح . وكان في أقصاها شعريَّة ثانية تفصل المحل المخصوص بالنساء (ستأتي البقيَّة)

صناعة النجارة في المشرق

بحث تاريخيّ وعمليّ للاديب يوسف افندي غنّام ثابت

لما كنَّا انسنا ارتياحاً من القراء فيما كتبناهُ سابقاً عن بعض صنائع بلادنا رأينا ان نتحفهم بما يكشف النقاب عن صناعة النجارة الشرقيَّة وفنونها وأحوالها وسنذكر بالثناء

اسماء الصنّاع الماهرين والاساتذة البارعين في كلّ من هـذه الفنون إقرارًا بفضلهم وتنشيطاً لسواهم على تقفّي آثارهم وخدمةً للوطن. ونبدي هنا شكرنا الى ارباب مجلة المشرق الذين كثيرًا ما حضّونا على ولوج هذا الباب حبًّا بنشر المعارف وتخليدًا لمآثر اهل بلادنا. ولاستيفاء هذا الموضوع قدّمنا اولًا هذا النظر العمومي عن النجارة وتاريخها السابق في الشرق ثمّ نلحقهُ ان شاء الله بوصف فنون هذه الصناعة الشريفة

١ النجارة وتاريخها الاول

انّ النجارة صناعة راقية الى اصول العمران البشري ويُستدلّ على ذلك من شدَّة حاجة الانسان اليها. ولعلّها سبقت تاريخ البناء بالحجر لان البشر الاولين وجدوا لشغل الخشب من الادوات ما لم يجدوهُ لنحت الحجارة. ومن استقرى اخبار الاقدمين وتتبَّع آثار هذا الفن وجد ما اصاب عندهم من المقام الرفيع فانّ الكتابات المساريَّة والهيروغليفيَّة تذكر غير مرَّة اعمال الخشب المتخذة للابنية وزينة القصور. ولا بدع فانَّ فن البنَّاء وصناعة النجَّار كفرسي رهان يجريان في ميدان واحد لا يستغني احدهما عن الآخر الَّا نادرًا. على انَّ الحجارة والآجرّ قد صبرا على آفات الزمان فامكن العلماء ان يبدوا حكمهم في ترّقي الفنون عند الاقدمين بنظرهم الى الاطلال الدارسة منها بينما لا تجد من اعمال الخشب الَّا ما لا يُعبأُ بهِ

ومع قلة هذه البقايا نرى ما كان للكلدان والاشوريين من رسوخ القدم في النجارة من ذلك اقواس بديعة الصنع ورسوم وتماثيل تُصان حتى اليوم في متحف اللوفر في باريس او في دار العاديَّات في لندن نخصُّ منها بالذكر تمثال اسد (١ وبقايا عرش ملكي في باريس وغير ذلك. ويدل على تقدم النجارة في بابل آثار عديدة بديعة الصنع من العاج او العظم فلعمري ان كان العملة اتقنوا مثل هذه المواد مع صلابتها فما قولك بالخشب الذي يقبل الحفر والنقش على وجهٍ أقرب. وكان قسمٌ من هذه الاخشاب يرصَّع بالعاج او الحجارة الكريمة. يظهر ذلك من قِطع منقوشة ابتاعها العلاَّمة دي ڤوكيه (de Vogüé). امَّا الخشب الذي كان يفضّلهُ الاشوريون فكان السنديان لوجود كثير منـهُ في اعالي جبال كُردستان وارمينية. وقد استجلبوا ايضاً من لبنان خشب الارز فاستعملوهُ

١) راجع كتاب تاريخ الصناعة في القدم Perrot et Chipiez : *Histoire de l'Art dans l'Antiquité* I, 245

لابنيتهم. (راجع مقالة الاب لامنس عن الارز (في المشرق٤ : ٩٢٣) وقد وُجدت لهم ايضاً آثار منقوشة على الابنوس والساج وغيرهما

وكان للمصريين حذاقة كبيرة في النجارة فالتجأُوا الى الخشب قبل استعمالهم للحديد والقلز والذهب. وقد وُجد من آثار براعتهم ما لم يوجد في بلاد غيرهم لانَّ هواء مصر يابس لا يعمل في الخشب عمل الهواء الرطب. وبعض هذه التحف المستظرفة بقي مطموراً تحت الارض فلم تقوَ على فساده طوارئ الزمان. فمن هذه البقايا الشريفة أثاث قصور الملوك وبيوت الامراء كمثل كراسي وحُقَق للعطر وآلات طرب وادوات للزينة وعصيّ يتوكّأ عليها المُشاة تنتهي برؤوس مختلفة الهيئة وكلُّ هذه الآثار منقوشة بنقوش عديدة او مرصَّعة بقطع العظم والعاج . ومنها حواجز ودرابزين وشعريّات ومشاربيّات عليها صور الآلهة وكتابات هيروغليفيّة قديمة. ومنها ايضاً تماثيل أُحكم عملها بحيث يظنُّ من يراها انَّها حيَّة ناطقة وفي متحف العاديّات المصريّة في القاهرة عدد لا يحصى من هذه المآثر الجليلة

ويضاف الى هذه الآثار من الخشب نواويس المصريين التي كانوا يجعلون فيها موتاهم بعد تحنيطهم. وهذه التوابيت كلها منقوشة ومزدانة بالتصاوير والكتابات ومطليّة بالدهون والألوان التي كانت تقيها من الفساد وفي المتاحف منها عدد وافر. وقد وصف العلامة پيرو (Perrot) في الجزء الثاني من تأليفهِ عن تاريخ الصناعة في الزمن القديم كثيرًا من هذه الطُرَف ورسم صورها. ومما قالهُ في معرض كلامهِ انَّ عاديّات المصريين الخشبيّة تنبئ بتقدم عظيم في الفنون الجميلة ليس فيها تلك المسحة الخشنة التي نراها في آثار بابل التي سبقت عهد الصناعة المصريّة. وكان المصريُّون يتخذون لاعمالهم خشباً وطنياً في الغالب كاللبخ والطلح والجمّيز لكنَّ الفراعنة واعيان الدولة كانوا يفضِّلون خشب جبل لبنان يقدم بهِ اليهم تجار الفينيقيين فيبدلونهُ بمرافق وادي النيل

ومن يتصفَّح اسفار التوراة يرَ نوحاً يجهّز لهُ سفينةً تقوى على مياه الطوفان مدّة اشهر متوالية دون ان يلحق بها اذًى. ولا شكَّ انَّ نوحاً ليس اوَّل من خاض غمر المياه فكان سبقهُ الى الملاحة غيرهُ فترقّى هذا الفن شيئاً فشيئاً قبلهُ. وكذلك يروي لنا الكتاب الكريم الاشغال العجيبة التي قام بها العملة الاسرائيليُّون في خدمة الدين وجاه المملكة واكثرها لم يتمَّ دون النجارة كتابوت العهد واقسام من بلاط داود وهيكل سليمان

وكان للفينيقيين اليد الطولى في عمل الخشب وحفرهِ وتحليتهِ بالنقوش البديعة وان لم يبلغوا شأو المصريين. وقد ذكر المشرق في وصف مراسلات تلّ العمارنة ما كان لهم من المراكب التجاريّة والعمائر الحربيّة في القرن الخامس عشر قبل المسيح. ولا غرو فانّ الاحراج والغابات التي كانت تكلّل رؤوس لبنان في ذلك العهد كانت تقرّب اليهم هذه الصناعة فيستحضرون ما أرادوا من اخشابها ويتخذونها كادوات لكل فنونهم

ولمّا ظهرت دول اليونان ونال صنَعَتُهم ما نالوا في الفنون الجميلة بلغت النجارة عندهم مبلغاً عظيماً. بيد انّ اعمالهم الخشبيّة بادت وتلفت فلم يبقَ منها الّا ما دون القليل. وقد اسعد الحظ العلامة شليمان (Schliemann) متولّي حفر اخربة ترويَة بان وجد صورة سمكة بالخشب حسنة النقش تدلُّ على براعة صانعها. وكذلك وُجد في مصر بعض آثار من الخشب كانت نُقلت اليها من بلاد اليونان فسلمت بين عادياتها. ثمَّ ترقى هذا الفن عندهم حتى اخذ اهل فينيقية يتقلّدون اعمال اليونان لاسيما في تجهيز سفنهم. وقد سبق الاب دي كوبيه اليسوعي ووصف في المشرق (١ : ٢١٧) سفناً من هذا الصنف جميلة العمل محكمة الهندسة جدرانها مرصّعة بنقوش من العاج والفضة والاصداف. واخبر عن سفينة عظمى كانت لبطلميوس الملك يبلغ طولها ٤٢٠ قدماً في عرض ٦٠ يمكنها ان تُقلّ الفين من الجنود وكان في صدرها عرش بهي يجلس عليهِ الملك تُحدق بهِ روضة غناء تصدح فيها انواع الطير

ولا نتعرّض هنا لتقدُّم صناعة النجارة بين الرومان لئلا نخرج من البلاد الشرقيّة لكننا نقول ان رومية اخذت من الشعوب التي ظفرت بها صنائعها الجميلة فكان للنجارة بين هذه الفنون نصيب حسن تدلُّ عليهِ بقايا كثيرة منها دينيّة ومنها عاليّة. وكفى شاهداً على ذلك الابنية العظمى التي تُنسب الى الرومان في بلادنا كهيكل بعلبك الحالي وبنايات تدمر وغير ذلك ممّا هو جدير بان يُدعى آيةً في حسن الهندسة. فكل هذه العمائر كانت تقتضي من اعمال الخشب ما يوافقها عظمةً وجمالًا لمداخلها وكواها واثاثها وادواتها ممّا ذهب بهِ الدهر واورثنا الاسف على فقدهِ

وكذلك للشرق الاقصى في الصين والهند فضل في الاعمال الخشبيّة بقي لنا من الادلّة على عظم شأنها بعض المعابد الدينيّة التي شيّدها اهل تلك البلاد في سالف الاعصار ولم يُخنِ عليهِ الدهر لحسن طليها وجودة خشبها

واذا انتقلنا الى الاعصار التي تلت عهد المسيح وجدنا لفنّ النجارة شأناً كبيرًا بين الشعوب المتنصرة بقي منها الى يومنا آثار تُرى عليها رموز النصرانيَّة وهي تدلّ على دقَّة واحكام في العمل. ألّا انَّ الحروب التي ثارت في تلك الاجيال والتقلُّبات السياسيَّة قد اودت بكثيرٍ من الصنائع والفنون الجليلة فاصاب النجارة ما اصاب اخواتها وقامت وقتئذٍ الدولة البوزنطيَّة فورثت خلفة القرون السالفة في رفع منار العلوم اجمالًا والاعمال الخشبيَّة خصوصاً وبقي للقسطنطينيَّة السهم الفائز في ذلك الى القرن الثالث عشر حيث تواردت الفتن وتفاقم الفساد فنزع الله عن الروم وراثة العلوم والصنائع ليغني بها الاصقاع الاوربيَّة

وكان الاسلام ظهر في غضون ذلك ففتحت جنودهُ الظافرة القسم الاكبر من بلاد الشرق. فلمَّا استتبَّ لهُ الامر وعادت مياه السلام الى مجاريها اخذ الخلفاء في إسعار جذوة العلوم بعد انطفائها وفتحوا لاهل الصنائع ولارباب الفنون حواضرهم فاجتمع فيها قومٌ لا يضمُّهم احصاء قدموها من مصر والشام وفارس والروم فأحيوا الصنائع بعد ميتتها وزهت بهم ضروب الفنون. ولمَّا كان اصل هؤلاء الصنَعة من امم شتى اورثوا العالم الاسلامي معارف بلادهم التي أتوا منها. ولذلك يرى العلماء في الآثار الاسلاميَّة خلاصة صنائع الروم والفرس والأقباط. وما يصدق عن الصنائع بالاجمال يصحُّ في النجارة خصوصاً فان الاعمال الخشبيَّة التي تُرى في مصر وبغداد ودمشق وحلب ليست كلها على طرز واحد بل ترى فيها من الاختلاف في طريقة الشغل وهيئتهِ وقواعدهِ ما يبيّن باجلى برهان انَّ هذه الاعمال تليدة موروثة اخذها عملتنا من اجيال مضت وامم فنيت بعد ان ابقت من تمدُّنها آثارًا تنبئ بعظمها السابق. وان استقرينا التاريخ أيَّد قولنا بشواهدهِ الساطعة وادلَّتهِ اللامعة. فهذا مثلًا الجامع الاموي فانَّ الوليد بن عبد الملك لمَّا اراد ان يجدّد بناءهُ استدعى عشرين الف صانع من بلاد الروم كما اخبر بذلك مؤرخو الاسلام فمن يا ترى يستطيع ان ينكر انَّ النقوش والاشكال الهندسيَّة وفنون الصناعة التي كانت تلوح في شبكيَّاتهِ وابوابهِ وسائر اعمالهِ الخشبيَّة قبل الفاجعة الاخيرة التي دهمتهُ أثّرت فيها صناعة الروم. وكذا قل عن الجامع الأقصى في القدس الشريف وعن آثار مصر والاندلس والعراق فانَّها كلها ملخَّص فنون سابقة ورثها المسلمون بعد الفتح عمَّن تقدَّمهم في ملك تلك البلاد (ستأتي البقية)

مطبوعات شرقية جديدة

PUBLICATIONS DE LA BIBLIOTHÈQUE KHÉDIVIALE.
Catalogue de la Section européenne
I - l'Egypte, 2e *édition : Le Caire* 1901, pp. 589

فهرس المطبوعات الاوربية عن مصر في المكتبة الخديويَّة (طبعة ثانية)

كان الدكتور ڤولرس متولي نظارة المكتبة الخديويَّة سابقاً سعى في سنة ١٨٩٢ بنشر فهرس للمطبوعات الاوربيَّة التي تُصان في تلك الكتبخانة ممَّا يدور فحواهُ على مصر وتاريخها واحوالها كافَّةً. فاقبل الجمهور على اقتنائهِ لكثرة فوائدهِ حتى نفد طبعهُ بزمن قليل واضطرَّ الامر الدكتور ب. موريس خلف الدكتور ڤولرس في نظارتهِ ان يعيد طبع هذا الفهرس. فقام بهذا العمل احسن قيام ولم يدَّخر شيئاً من الوسع لاصلاح الاغلاط التي وقعت في الطبعة السابقة ووصف الكتب الجديدة التي دخلت الخزانة الخديويَّة منذ عشر سنوات. ولم يكن هذا الشغل سهلاً لانَّ المكتبة تحتوي اليوم من التآليف الاوربيَّة عن مصر نحو ٥٠٠٠ كتاب ولم يكن عددها سابقاً يتجاوز ١٥٠٠ فيصحُّ ان يقال انَّ هذا الفهرس يُنسي الطبعة القديمة وهو معاً شاهد ناطق بما لمتولّي نظارة المكتبة الخديويَّة من الهمَّة القعساء في توسيع نطاقها اذ لا يدع فرصةً تفوتهُ لابتياع الكتب التي تمكّن العلماء من البحث عن أحوال الديار المصريَّة. ومن مزايا الفهرس المذكور انهُ قريب المنال حسن التبويب كثير الفصول سهل المطالعة. وقد طُبع في ثينَّة بحروف مشرقة يقرُّ لها النظر فنشكر للدكتور موريس مساعيهُ المحمودة ونحضُّ كل محبّي العلوم الشرقيَّة على اقتناء كتابهِ

天主

T'IEN-TCHOU « SEIGNEUR DU CIEL »
par le P. H. Havret s. j. Chang-Haï, 1901, pp. 30

تيان تشو او « ربّ السماء » في الصينيَّة

كان ڤلتار الملحد الشهير ينسب الى المرسلين في الصين الافك والكذب لمَّا يروون شيئاً من آثارها النصرانيَّة فكان يدَّعي انَّ اليسوعيين يختلقون مثل هذه الآثار ليموّهوا

على الصينيين ويجلبوهم بذلك الى ديانتهم. غير انَّ ڤلتار وانصاره طاشوا سهماً وخابوا سعياً في شكاياتهم الباطلة بعد ان اثبت العلماء في ايّامنا صحّة رواية المرسلين. وممّا يدلُّ على انتقاد اليسوعيين وترويهم في كتاباتهم التأليف الذي نحن بصدده ألّفهُ الاب هڤرت ليبيّن معنى كتابة قديمة ورد في مضمونها اسم « تيـان تشو » ومعناهُ رب السماء. فكان زعم بعض العلماء انّهُ اثرٌ جديد يدلّ على قِدَم النصرانيَّة في الصين لمَّا بشَّر بها النساطرة في القرن السابع للمسيح. وهذا القول شاع في اوربَّة فاحبَّ الاب هڤرت اعادة النظر في الكتابة وتوصَّل الى ان يأخذ رسمها ويفحصها فحصاً علميًّا. فكانت نتيجة بحثهِ انَّ الكتابة المذكورة ليست بكتابة نصرانيَّة وانما هي كتابة بوذيَّة وقد برهن على ذلك بادلّة قاطعة لا تبقي بعدها شبهةً. واستطرد الى ذكر كتابات كثيرة مثلها واتَّسع في بحثهِ اتساعاً شهد لهُ بطول الباع في العلوم الصينية وتاريخ الشرق الأقصى. وما كاد الاب هڤرت ينتهي من تأليفهِ هذا حتى فُجعت رهبنتنا بفقدهِ وأُصيبت بوفاتهِ الآداب الصينيَّة التي كان يُعدُّ بين العلماء كعلَمها الشامخ ومنارها الساطع

نبذة في فنّ التلوين المعروف بتصوير اليد

تأليف الخوري بطرس حبيقة طُبعت في مطبعة الارز في جونية سنة ١٩٠١ (ص ٥٦)

هذه النبذة تعريب مقالة افرنسيَّة عثر عليهـا حضرة الخوري بطرس حبيقة البسكنتاوي الماروني فاحبَّ ان يخدم الوطن بنقلها الى لغتنا. وهي تتضمَّن خمسة عشر فصـلًا في فنّ التصوير ثم في الألوان والاصباغ والادوات اللازمة لاستحضارها ثم في انواع التصوير الى غير ذلك ممَّا يفيد اصحاب هـذا الفن فنثني على حضرة المترجم. ونستغنم هذه الفرصة لنذكر بالجميل كراسةً اخرى صغيرة من تأليفهِ اهدانا اياها قبـل شهرَين دعاها ثورة الاحزان في تأبـين غبطة البطريرك السابق مار يوحنَّا بطرس الحاج وسيادة الحبر المأسوف عليهِ مار بطرس البستاني رئيس اساقفة صور وصيداء ل. ش

كتاب مراقي الطالب الى بحث المطالب

للقس يوسف الجميتاوي الراهب اللبناني

طُبع في المطبعة الشرقيَّة في حدث (لبنان) سنة ١٩٠١ (ص ٢٨٨)

يتضمَّن هذا الكتاب اعراب جميع الامثلة والشواهد التي وردت في كتاب بحث

المطالب للسيد جرمانوس فرحات من بعد تصحيحهِ وتعليق حواشيهِ بقلم حضرة الجهبذ اللغوي الشيخ سعيد افنـدي الشرتوني. وفي آخرهِ جزء خاصّ يتضمَّن ايضاً اعراب الشواهد التي وردت في تصحيح هذا الكتاب لجناب الاستاذ اللغوي عبد الله افندي البستاني. وكل ما هو معرَّب فيهِ من الامثلة والشواهد مقدم باعداد تسهيلًا لردّ الطالب في بعض الاماكن الى ما يكون قد سبق لهُ اعراب

وقد طالعنا هذا الكتاب فوجدنا فيهِ اغلاطاً عديدة ألّا ان المؤلف اعتذر عنهـا بكونهِ كان غائباً اثناء الطبع ولم يكن لهُ ما يعوّل عليهِ سوى امانة مرتبي الحروف. ومع ذلك فقد ألحق كتابهُ باصلاح المهمّ منهـا راجياً من المتعلمين ان يبادروا الى تقييدها في اماكنها

ولمَّا كانت الشواهد الواردة في بحث المطالب قد وردت ايضاً في غيرهِ من كتب المتقدمين وعُني بعض الادباء في اعرابها فقد نقل اعرابها عنهم غير انهُ بعـد التحقيق ارتأى مخالفتهم في بعض المواضيع لانهم خالفوا ما عليهِ المعنى وهو القائد الامـين في مثل هذه المسائل. وهذا الكتاب يباع في مكاتب البلدة وفي مطبعتنا الكاثوليكيَّة

ر. ش

شَذَرَاتٌ

﴿ برج صينيّ في باريس ﴾ عمد الفرنسويون على ان يقيموا في حديقة سان كلو (Saint Cloud) فوق ربوة منها برجاً صينيًّا يكون ارتفاعهُ ٤٥ مترا وقطرهُ ثمانية امتار وفيهِ سبع طبقات يُصعد اليهِ بسلَّم مستدير. وسيبنى كلهُ بقِطَع من الصيني لا تقلّ عن ٣٠٠٠٠ قطعة يتولّى صنعها وطبخها في باريس اصحاب معمل سيفر (Sèvres) الشهير. امَّا لون البرج فيكون من الصيني الابيض وعليهِ نقوش مختلفة الألوان من اخضر وزمرديّ واشقر ووردي الى غـير ذلك ممَّا يناسب الذوق الصيني في هندستهِ

﴿ العبادة في باريس ﴾ ليس كلّ الباريسيين قليلي الدين كما يزعم بعض المتجوّلين في عاصمة فرنسة. والدليل على ذلك انّ عدد الذين هجدوا ساهرين في كنيسة منمارتر لزيارة القربان الاقدس الليليَّة الشهريَّة بلغ نيفاً و٣١٠٠٠ في السنة المنصرمة

ترمومتر جديد للدلالة على البرد قد اتصل المسيو درسنڤال الطبيعي الذائع الشهرة الى اصطناع ترمومتر يدل على ٢٠٠ درجة تحت الصفر دون ان تجمد مادَّتهُ. وقد اتخذ لذلك روح البترول فقطَّرهُ فوق ثلج الحامض الكربونيك في درجة ٨٠ تحت الصفر ثمَّ اجازهُ في قساطل مبرَّدة بالهواء السيَّال الى درجة ١٩٤ تحت الصفر فتبخَّر الهواء وصار روح البترول في درجة ٢٠٠ تحت الصفر ثمَّ جعلهُ في انابيب الترمومتر فبقي فيها سائلًا كالزئبق

ذاكرة غريبة قد راهن المعلم ارليني احد أساتذة مدينة نابولي انهُ يتلو عن ظاهر قلبهِ كلَّ شعر دانتي « الكوموديَة الالهية » وهي عبارة عن ١٥٣٥٠ بيتًا فتلاها بمدَّة ١٨ ساعة متصلة لم ينقطع الَّا ليبلَّ ريقهُ

اشعَّة رنتجن قد نال الاستاذ ليپمان (Lippman) اشعة شبيهة باشعَّة رنتجن بواسطة صفيحة من الالومينيوم وذلك بانهُ كهربها بالكهرباء السلبيَّة والقى عليها النور فخرق النور وجه الصفيحة وظهر في جانبها الآخر كشعاع الطيف الشمسيّ الذي هو ما وراء البنفسجي

قائمة لضحايا الحيوانات الضارية في الهند بلغ في السنة الماضية عدد ضحايا الحيوانات الضارية في الهند نحو ٣٠٠٠٠ نسمة منهم ٢٥٠٠٠ لسعتهم الحيَّات فنفثت فيهم سمومها القتَّالة. وقد قتلت النمورة ٩٠٠ شخص والذئاب ٣٥٠ والضباع ٣٢٧. هذا فضلًا عن ١٠٠٠٠ حيوان اهلي ذهبوا فريسة السباع

عكر زيت البترول اتخذ معمل كنيتس في المانية عكر زيت البترول ونفايتهُ كوقود لآلاتهِ البخاريَّة فبلغت سرعتها في الساعة ٢٠ كيلومترًا وذلك بمقابلة ٦٤٨ ليترًا من الماء و ٦٠ ليترا من فضلات الزيت المذكور

دواء جديد لوجع المفاصل افضل دواء كان يتخذهُ الاطبَّاء لعلاج داء المفاصل (الروماتسم) سليسيلات الصودا كما ذكر الامر الدكتور ملكونيان في مقالتهِ المثبتة في المشرق وقد اكتشف بعض نطس الاطبَّاء دواء افضل من هذا وهو الاسپيرين وهو مزيج يدخل فيهِ حامض اسيتيل السليسيلات . ويفضل الدواء السابق من وجوهٍ شتى منها انهُ مريءٌ على المعدة لا يسبِب دوارًا لشاربهِ ويستدعي في الجسم عرقًا يقرِّب الشفاء امَّا الكميَّة التي يُعطاها المريض فمن غرامين الى ثلاثة غرامات

مشروب الشَّرتروز — يدخل في تركيب المشروب الذي يصطنعهُ رهبان الكرتوزيين المعروف باسمهم شرتروز نحو اربعين صنفاً من العقاقير بكميات معلومة لا يعرف بها الَّا ثلاثة من الرهبان. ومجمل ما يصطنعون منهُ سنوياً ٢,٠٠٠,٠٠٠ قنينة يُربح منها بعد خصم كلّ المصروفات ٣,٠٠٠,٠٠٠ فرنك يوزّعونها كلها على الفقراء والاعمال الخيريَّة . امَّا رسوم الحكومة على هذا المشروب فلا تقل عن مليون فرنك

وسام المسيح — نقل الهلال في عددَيه الخامس والسابع من السنة العاشرة خبرًا رواهُ عن بعض الجرائد فاعارهُ بالًا واعدّهُ اكتشافاً عظيمًا مع انهُ خبر كاذب. ذكر ان بعض الفرنسويين كان مجتازًا في اسواق رومة فباع من يهودي قطعة من النقود العتيقة المشوَّهة فبعد ان نظَّفها وجد فيها وسام المسيح مع كتابة تشير الى اسمهِ الكريم ومولدهِ وصعودهِ الى السماء مع تاريخ قريب لعهد الرب. فما درى اهل العاديَّات بهذا الخبر حتى فحصوا النقد المذكور واستدلوا لاوَّل وهلة على انهُ من النقود الزائفة التي اصطنعها اليهود في القرون المتأخرة ليموّهوا بها على النصارى السذَّج فيخدعوهم بها. وما الهلال الَّا احد هؤلاء المخدوعين فنقل ما نقل دون تروٍّ وحكمة بل لم يُحسن قراءة مضمونها

اسئلة واجوبة

س سأل الاديب الفاضل موسى افندي صفير هل يجوز في القداس ان تُوقد بدلاً من الشمع السلي شموع تُصطنع الان في رومية وهي مركَّبة من موادّ لا يدخل فيها الَّا قسم منهُ

شمع القداس

ج انَّ في رومية معملًا لباريزي (Parisi) يصطنع شمعاً ليس هو عسليًا محضًا وقد صادق مجمع الطقوس المقدَّس على صحَّة استعمالهِ فمن ثمَّ يجوز الإنارة بهِ في القداس

س سأل حضرة الشماس ثاودوروس مختاره ملوف الراهب الشويري : ١ً لماذا تُفضَّل اليمين على الشمال وما اصل هذا التفضيل. ٢ً ما معنى عادة المسيحيين في اتجاههم الى الشرق وقت الصلاة والى اي زمن يرتقي ذلك. ٣ً هل التمدن الغربي الذي دخل المشرق مؤخرًا افاد بلادنا ام اضرّها

فضل اليمين على الشمال – الاتجاه الى الشرق في الصلاة – التمدّن الغربيّ

ج نجيب على (الاول) انَّ اليمين لا تفضل الشمال في شيء من حيث التركيب الطبيعي. وانَّما اليمين قد اعتادت العمل بالارتياض فزادت قوَّتها بذلك ولهذا السبب

ينسب الكتاب الكريم السلطة والعزّ لليد اليمنى. ٢ً اتجاه المؤمنين الى الشرق في الصلاة عادة ترتقي الى اوائل الكنيسة وذلك لانَّ الانبياء قد دعوا المسيح شرقًا (راجع نبوّة زكريّا ٦: ١٢ ولوقا ١: ٣٨) فصار الشرق قبلة المؤمنين. وكذلك حُتم في القوانين الرسولية ان تُجعل ابواب الكنائس متَّجهة الى الغرب لكي يتجه المصلي الى الشرق في صلاتهِ امام المذبح. ٣ً للتمدن الغربي معنيان امَّا انهُ يُراد بهِ هذه العوائد المستحدثة من الازياء والملاهي وحرّيّة الافكار وما شاكل ذلك وهي بلا شكّ قد اضرَّت بلادنا اعظم ضرر وكنَّا عنها في غنًى. واماَّ انهُ يكون المراد بذلك العلوم والمعارف الغربيَّة. وفي شيوعهــا بيننا ربح عظيم. فعلى الشرقيين اذن ان يختاروا الحسن من هذه العوائد وينبذوا المستقبح منها نبذ النواة

س كتب لنا من صور حضرة الخوري الفاضل ميخائيل زلحف من ولد من المتاولة يُصاب في اوَّل وثاني يوم من رؤوس الاهلَّة باعراض غريبة فتعراهُ ينام من قبل شروق الشمس بساعتين الى ما بعد الغروب بساعة وفي اثناء نومهِ عيناهُ شاخصتان جامدتان ويعسر عليهِ التنفس. ومن ساعة الى اخرى يقشعرّ جسدهُ ويرتجف نحوًا من عشر دقائق ثم يعود الى نومهِ. والصبيُّ مع ذلك جيّد الصحة قويُّ البنية

اعراض مرض في رؤوس الاهلَّة

ج هذا نوعٌ من الصرع كثيرًا ما يجري للأحداث والاطبَّاء يدعونهُ صرع الاطفال (éclampsie des enfants) يصفهُ العلماء كما وصفهُ حضرة الكاتب اما نوباتهُ فتختلف فمنها ما لا يحدث الَّا دفعةً واحدة ومنها ما يتكرَّر عدَّة دفعات. وربَّما بقي الصبيّ في حالة الموت الظاهر ساعات عديدة فاذا عاد الى حالهِ رأيتــهُ سالمًا في تمام الصحّة. اماَّ حدوث هذه الاعراض في اليومين الاوَّلين من رؤوس الأهلَّة فعرضيّ والعلماء المحدثون على الاغلب ينكرون العلاقة بين القمر ومثل هذه الاعراض الدائيَّة. امَّا اسباب هذا الداء فعديدة اكثرها ضعف الجهاز العصبيّ وبعض التأثرات الخارجية كالخوف والغضب ومنها ما يتأتى في الاولاد بالوراثة الوالديَّة وغير ذلك من الدواعي. والدواء لذلك يختلف مع اختلاف الاسباب. وربَّما يتوارى الداء مع تقدُّم الولد في السنّ ل. ش

* اصلاح بعض اغلاط وردت في السنة الرابعة من المشرق * ٦٥٦ س ٢٤ « سالمات » ص « السليمات » = ٦٥٧ س ١٢ الخ « حاو » ص « هو » = ٦٧١ س ١٥ « خمسين نحو » ص « نحو خمسين » : س « ٤٦٥–٥٢٤ » ص « ٤٦٥–٤٢٤ » = ٧١٨ س ٨ « العلاليــة » ص « العلاليَّة » ص = ٧٧٥ س ٧ « حُــكْم في » ص « في حُــكْم »

المشرق

خزائن الكُتب في دمشق وضواحيها

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

يعلم القرّاء كم مرَّة ذكرنا بالخير اصحـاب الهمَّة والاريحيَّة الذين يستخرجون من مدافن النسيان كنوز آداب الاقدمين ونوادر تركاتهم العلميَّـة . على انَّ ثناءنا في الغالب يصيب الاجانب من المستشرقين الذين لا يضنُّون ببذل النفس والنفيس في جمع ذخائر السلف فتراهم يتجشَّمون الاسفـار ويبذلون الاموال الطائلة عن يد سخيَّة ولا يقرُّ لهم قرار الى ان يفوزوا بالمرغوب

ويسرُّنا اليوم ان نطري احد أُدباء بلادنا وهو الشاب اللوذعي حبيب افندي زيَّات الدمشقي وطنًا والرومي الكاثوليكي مذهبًا فانهُ اذ علم انَّ مسقط رأسهِ الفيحاء كانت قديمًا مباءة الملوك والخلفاء ومنبثق اشعَّة الحضارة والمدنيَّة راجت فيها اسواق الآداب وازدهت مناور العلوم احبَّ ان يوقف ارباب البحث والتنقيب على بعض دفائن الماضين من اهل دمشق وضواحيها ولم يثبِّطهُ في سبيل تحقيق مساعيهِ ما وجدهُ من العراقيـل وضروب المصاعب فوضع كتابًا ضمَّنهُ ما بلغت اليهِ يدهُ من نفائس هذه الآثار وفرائد سالف الاعصار . وللكتاب اربعة اجزاء وقفنا على جزءين منهُ نصفهمـا لافادة القرّاء ونضيف اليهما ما نرى في ايرادهِ تبصرة للادباء

الجزء الاول

خزائن الكتب في دمشق

افتتح المؤلف الاديب هذا الجزء بكلام مجمـل عن مكاتب دمشق الوقفيَّة التي

كانت تحتوي على ما ذكر ابن زيدون « اسفارًا فيها للمطالع منجع وللافهام الناسية ذكرى تنفع ». وروى انهُ قد بقي من هذه الموقوفات بقيَّة الى هذه السنين الاخيرة في الجامع الاموي فتلفت في الحريق الذي اصاب الجامع في ١٤ تشرين الاول سنة ١٨٩٣ اللهمَّ الَّا ما كان منها في بيت الخطابة فنُقل الى قبَّة الملك الظاهر

وكذلك سلم من الحريق ما كان محفوظًا في قبَّة المال التي موقعها في باحة الجامع عن يسار الداخل من باب البريد. وقد سبق لنا ذكر هذه القبَّة وما اكتشف فيها العلامة الالماني برونو ڤيوله (المشرق ٥ : ٤٧) من الرقوق القديمة في عدَّة لغات. وجناب الاديب حبيب افندي زيَّات قد اتسع في وصف هذه القبَّة ودفائنها التي في جملتها « قطعة من التوراة في الاسطرنجيلي تبلغ ٣٦ صفحة تتضمَّن فصولًا من سفر الاعداد وسفر الخروج » ثمَّ ختم كلامهُ بقولهِ (ص ٥) انَّ « هذه القبَّة وحدها كافية في الدلالة على ما كانت عليهِ المكاتب والمخطوطات قبلًا في دمشق » وابدى اسفهُ على ما انتاب هذه الخزائن من النهب والحريق « بحيث لم يبقَ منها في منتصف القرن الحاضر الَّا بقيَّة عبثت بها ايدي المطامع والاهمال فانتقل عدد منها ليس باليسير الى المكاتب الاوربيَّة او دخل في حوزة بعض الخاصَّة ولا سيما المؤلفات التاريخيَّة »

(مكتبة الملك الظاهر) ثمَّ انتقل جناب الكاتب النحرير الى ذكر المكتبة التي امر بانشائها الطيب الذكر مدحت باشا سنة ١٨٧٨ خدمةً للمعارف وافرد لها خزانة عموميَّة جعلها في الظاهريَّة حيث كان ضريحا الملك الظاهر وابنهِ الملك السعيد. وشكَّل لجنةً لتقوم بهذا المشروع الجليل فنُقلت الكتب الموقوفة على المساجد والمدارس في دمشق الى هذه الخزانة وطُبع لها فهرست في مطبعة الجمعيَّة الخيريَّة سنة ١٢٩٩ (١٨٨١) هو عبارة عن ١٠١ صفحة يحتوي اسماء ٢٨٦٥ مجلدًا في ٢٩ علمًا مع ذكر اسماء المؤلفين والمكاتب التي نُقلت منها هذه المصنفات الثمينة. واكثر هذه التآليف مخطوطة والبعض منها بالفارسيَّة والتركيَّة

ولمَّا صار زمام الولاية الى يد صاحب الدولة رؤوف باشا سنة ١٨٩٣ صرف عنايتهُ الى هذه المكتبة فاستحضر لها عدَّة تصانيف طُبعت في الشرق والغرب فصار مد ذاك العهد عدد اسفار هذه المكتبة ٣٥٦٦ مجلدًا المخطوط منها ٢٠٤٨ والباقي مطبوع

وقد اعاد جناب المؤلف النظر في فهرست مكتبة الملك الظاهر فوجدهُ مخلًا من عدَّة وجوه في اعلاماتهِ ووصفهِ للكتب ولذلك عَلِق منذ عشر سنين يطالع المصنفات فردًا فردًا ويدقّق فيها النظر ليبدي فيها ملاحظاتهِ

واوّل ما لحظهُ الكاتب الالمعيّ ان اللجنة المتولّيـــة طباعة الفهرست لم تذكر الّا عشرًا من المكاتب التي أُخذ عنها مجموع خزانة الملك الظاهر وهي: ١ً المكتبة العُمَرِيَّة نُقل منها ٦١٤ مجلدًا وكان عددها سابقًا بضعة آلاف فتنازعتها ايدي الضياع. ٢ً مكتبة عبد الله باشا عظم زاده وقفها سنة ١٢١١ (١٧٩٦م) على المدرسة التي باسمهِ وهذه المكتبة وصفها المستشرق فلوغل (Flügel) في طبعة لندن من كتاب كشف الظنون للحاج خليفة (المجلد السابع ص ٢٢—٢٩) نُقل منها ٤٥٨ مجلدًا. ٣ً مكتبة سليمان باشا وقفها على المدرسة التي باسمهِ سنة ١١٩٦ (١٧٨٢) عدد مجلداتهـا ١٢٧. ٤ً مكتبة الملّا عثمان الكردي كانت في المدرسة السليمانيَّة (٣١٣ مجلدًا). ٥ً مكتبة الخياطين من اوقاف الحاج اسعد باشا بعـد السنة ١١٦٥ (١٧٥٢) على مدرسة والدهِ الحاج اسمعيل باشا التي كان وقفها في محلة الخياطين (٣٧٦ مجلدًا). ٦ً المكتبة المرادية للشيخ مراد النقشبنديّ المتوفَّى سنة ١١٣٢ (١٧١٩م) نُقل منها ٣٤٦ مجلدًا. ٧ً مكتبة المدرسة الشميصانيَّة كانت لاحقة بمكتبة الجامع الاموي فنُقلت اليها لضيق الجامع (٧٧ مجلدًا). ٨ً مكتبة الياغوشيَّة او السياغوشيَّة نسبةً الى الوزير سياغوش باشا المتوفَّى سنة ١٠٢٨ (١٦١٩م) ولم يُنقل منها سوى ١١ كتابًا. ٩ً مكتبة ديوان الاوقاف (٦٧ مجلدًا). ١٠ً مكتبة بيت الخطابة كانت في حجرة الخطابة في الجامع الاموي (٧٣ مجلدًا). غير انَّ جناب حبيب افندي الزّيات قد وجد كتبًا خُطَّ على هامشهـا اسماء مكاتب غير المكاتب المذكورة كالمكتبة الاحمديَّة ومكتبة يلبغا ومكتبة الكزبري لم ينصّ عليهـا اصحاب اللجنة امَّا سهوًا وامَّا خوفًا من اطالة الشرح

ومن ملحوظات المؤلف انَّ اصحاب الفهرست القديم لسرعتهم في العمـل جعلوا بعض الكتب في غير ابوابها وخلافًا لمشتملاتها ولعلَّهم خُدعوا باسمائهـا الظاهرة دون الاطلاع على فحواها

وما هو اجدر بالملاحظة واختبرناهُ بنفسنا ان (ص ٢٠): « اكثر المؤلفات قد اقتُصر

فيها على نقل جزء من عنوانها فقط بحيث لا يُعرَف موضوعها الخاصّ الّا بعد المطالعة وربّما حُذف منها بعض اسماء مؤلفيها لضيق صفحات (او بالاحرى جداول) الفهرست عن استيعاب كل هذا التفصيل الذي ضُمّنتهُ في سطر واحد. ومن المصنّفات ايضاً ما تراهُ احياناً مذكوراً بالنقص وهو تامّ او ما يُظنُّ كاملاً وهو ناقص الى ما شاكل ذلك من الاوهام ومواضع التقصير التي اورثتها العجلة »

امّا المجاميع فقد ذهبت فائدتها على الغالب لانّ صاحب الفهرست لم يذكر منها الّا عنوان الكتاب الاول وربّما احتوى المجلد على تصانيف عديدة في علوم شتّى لم يُشَر اليها بتّة

فكل هذه الشوائب حملت كاتبنا الهمام على تدوين اصلاحاتهِ للفهرست القديم. وقد بدأ بالمجاميع فوصفها وصفاً حسناً وهي لا تقلّ عن ١٣٢ مجموعاً في ضمنها بعض تآليف نادرة في اللغة والتاريخ والادب يرتقي عهد قسمٍ منها الى القرون الاولى من الهجرة. ولولا الخوف من الاسهاب لذكرنا بعضها لكنّنا نجتزئ باحالة القرّاء الى مراجعتها في قائمة ادينا حبيب افندي من الصفحة ٢٧ الى ٤٠

ومن خواصّ هذه المجاميع انّ بعضها كُتبت بخطوط مؤلفيها. « وممّا يزيد في قيمتها وجود اوراق شتى من الرقّ فيها نُزعت من مخطوطات قديمة . . . اتخذوها للتغليف والتجليد منها ما هو بالعربيّة ومنها ما هو باللاتينيّة وسائرها باليونانيّة والارمنيّة والسريانيّة. . وكذلك ما بين المقاطيع والمنثورات المحفوظة في المكتبة تسع كراريس مجلدة بصفائح من الرقّ احداها باللاتينيّة. . . وثمانية بالسريانيّة. . وهي فصول من الانجيل مكتوبة بالاسطرنجيلي »

وفي اثر هذه المجاميع اورد جناب المؤلف وصف كتب الفرائض (ص٤٠) ثمّ التوحيد والكلام (ص٤١) ثمّ التصوّف (ص٤٩) ثمّ اللغة (ص٦٢) ثم النحو والصرف (ص٦٤) ثمّ المعاني والبيان والبديع (ص٦٩) ثم المنطق وآداب البحث والمناظرة (ص ٧١) ثمّ السيرة النبويّة (ص ٧٢) ثمّ التاريخ (ص٧٥) ثمّ الادبيّات المنثورة (ص ٧٩) ثمّ الادبيّات المنظومة (ص٨٣) ثم الجغرافية (ص٨٥) ثمّ الطب (ص٨٦) ثمّ الكيميا (ص ٨٨) ثمّ الحكمة الطبيعيّة والحساب والجبر والهيئة (ص ٨٩). وفي خلال اوصاف هذه المخطوطات افادات شتى تدلُّ على حسن ذوق المؤلف ودقّة نظرهِ. وقد نقل من

الكتب الموصوفة نُبذاً مستملحة تشتمل على فوائد تاريخيَّة نخصُّ منها بالذكر ما اثبتهُ من وصف اعراس المسلمين في اوائل القرن العاشر للهجرة نقلاً عن كتاب نسمات الاسحار لعلوان الحمويّ (ص٥٤)

وقد ختم وصف هذه المخطوطات بما نستلفت اليهِ انظار المطالعين قال حفظهُ الله: « وعلى كلّ حال فمهما يبلغ عددها (اي مخطوطات مكتبة الملك الظاهر) لا يكون الّا برضاً من عدّ بالنسبة الى ما لا يزال مكتوماً في المكاتب الخاصَّة وهي ليست بالنادرة فانَّ في بعضها ما لا يقلُّ عمَّا في الخزانة الظاهريَّة قيمةً وخطرًا كمكتبة السيد ابي السعود افندي الحسيب نقيب الاشراف وعبد المجيد افندي السفطي والشيخ طاهر افندي المغربي والمرحوم الشيخ خالد الصاحب والشيخ احمد ابي الفتح والمرحوم محمود حمزة ومراد افندي القوتلي وكثيرين غيرهم ولكنّ الوقوف عليها صعب الملتمس عسر الخطَّة ودونهُ عقبات شتَّى تغضُّ طرْف الآمال وتقصُّ جناح الرغبة (١ »

(كتب الاديار والكنائس) ثمَّ تخطَّى الكاتب الاديب الى ذكر المكاتب النصرانيَّة الموجودة في دمشق (ص٩١) فذكر اديار حضرات الآباء المرسلين اللاتينيين حيث وجد « مكاتب خاصَّة تفي بحاجة الرهبان وليس فيهـا من المخطوطات شيء حريّ بالذكر »

ثمَّ تعدَّى الى ذكر كنائس الطوائف الشرقيَّة بادئاً بمكتبـة الطيب الاثر السيد اقليميس داود رئيس اساقفة دمشق على السريان وكان لهُ خزانة كتب واسعة منهـا مخطوطات سريانيَّة جليلة اهدى القسم الاكبر منها لمجمع انتشار الايمان وقـد أُطلعنا عليها في رومية العظمى ولها فهرسٌ طبعهُ احد كهنة جماعة سان سولبيس بالفرنسيَّـة. وقد بقي فيها بعض مخطوطات أُخرى بالعربية والسريانيَّة لم يذكرها جناب الكاتب وقد اوقفنا عليها سيادة الحبر الجليل المطران ميخائيل نجاش خلف المطران داود وسنعود الى ذكر بعضها قريباً. وممَّا كتبهُ حبيب افندي (ص٩٢): « ان غبطة البطريرك مار افرام رحماني قد اختار من هـذه المكتبة بعض مخطوطات سريانيَّة في عزمهِ نقلها الى دير

١) وكان جناب الكاتب بيَّن في الصفحات السابقة ما قاساه ذوو الامر قبل ان يجمعوا هذه المكاتب المتفرّقة فلم يسلّمها المتولّون عليها الّا بعد ان اخذوا منها انفس مخطوطاتها

الشرفة حيث ينوي انشاء مكتبة جامعة للكرسي البطريركي يضمُّ فيها كتبهُ الخاصّة وكل ما يقع لهُ من المؤلفات النادرة والاوراق المهمّة في بقيّة ابرشيّات البطريركيّة السريانيّة »

ثمَّ روى المصنف اللبيب ان مكتبة الروم الارثوذكس ذهبت طعمة النار سنة ١٨٦٠. امّا الروم الكاثوليك فكان لهم مكتبة حافلة بالمصنّفات الخطّية منذ عهد استقلالها لاسيما منذ قدم اليها الطيب الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم وكان انشأ سابقًا مكتبةً في عين تراز وقد تلفت ايضًا هذه الكتب في الحريق المذكور. ومنذ ذلك الحين أُهمل امر المكتبة لانصراف عناية البطريركين السابقين اكايمنضوس بحوث وغريغوريوس يوسف الى ما هو اهمّ شأنًا وامسّ حاجةً. وقد تأسف الكاتب الاديب على ضياع كتبٍ اخرى كانت مصونة عند السيدين المرحومَين مكاريوس الحدّاد وبولس مسدّية منها تاريخ يحيي بن سعيد الانطاكي وتاريخ البطاركة الانطاكيين للشماس بولس ابن البطريرك مكاريوس الحلبي وكتاب التختيكون الانطاكي للاب يوحنّا العجيمي. وكذلك ابدى اسفهُ في شأن العرائض والرسائل الواردة على البطريركيّة السابقة من جمهور الاساقفة وغيرهم وقد رآها مطروحة في حجرة مهملة ضمن صندوق مفتوح تتناول منهُ ايدي المارّة ما شاءت. وهو خلل يستدعي نظر ذوي الامر ليتداركوهُ بالاصلاح

الجزء الثاني

صيدنايا ومكتبة دير الشاغورة

قد استهلَّ جناب الاديب حبيب افندي زيَّات هذا القسم الثاني بوصف صيدنايا وآثارها القديمة والحديثة لاسيما كنائسها العديدة ثمَّ استرسل في الكلام فذكر لمعةً من تاريخها واخبار اساقفتها خصَّ منهم بالذكر ناوفيطس نصري الحلبي الذي رُسم عليها في دمشق سنة ١٧٠٥ من يد البطريرك كيرلُّس الخامس. وناوفيطس المذكور هو الرجل البارّ ذو السيرة الطاهرة الذي دوَّن سيادة المنسنيور الارشيمندريت الكسيوس كاتب ملخَّص ترجمة حياتهِ في المشرق (٣:١٠٦٨). وزادنا بهِ علماً مؤلف الكتاب واورد صورة منشور بطريركي لاثناسيوس الخامس يُفهم من منطوقهِ انهُ يضمُّ الى عهدة المطران ناوفيطوس ابرشيَّة معلولا بعد هجرة اسقفها الى بلاد الكرج

والمنشور السابق ذكرهُ قد عثر عليهِ جناب حبيب افندي في كتاب مخطوط لنعمة

ابن الخوري توما الحلبي دعاهُ « عجالة راكب الطريق لمن رضي بتقليد التلفيق » اوقفهُ عليهِ الشاعر المجيد قسطاكي بك الحمصي من اعيان مدينة حلب. وفهمنا من وصف هذا التأليف انهُ هو المجموع الخطي الذي اسعدنا الحظ على وجود نسخة منهُ في الشهباء قبل ١٥ سنة. وهو عبارة عن اثنتين وستين رسالة في ١٤٢ صفحة من انشاء نعمة الحلبي المنوه بهِ كتبها عن لسانهِ او عن لسان اهل طائفتهِ الملكيّة الى قداسة الاحبار الاعظمين والكرادلة والسفراء والوجهاء. وهو مجموع حريٌّ بالطبع يتضمّن اخبار طائفة الروم الكاثوليك من نحو سنة ١٧١٥ الى ١٧٦٧. وهو احسن شاهد على سوء اعمال البطريرك الدخيل سلفسترس القبرصيّ وانصارهِ وردّ التُهم الباطلة الذي اتّهم بها الكاثوليك بعضُ اصحاب الاغراض مع ما في هذه الرسائل من بيان خضوع البطريرك اثناسيوس الخامس للكرسي الرسولي رغماً عن ممالأتهِ في بعض الاحيان للمنفصلين عنهُ. ونسخة مكتبتنا الشرقيّة تختلف عن نسخة جناب قسطاكي افندي بامورٍ منها انَّ اسم منشئ هذه الرسائل لم يُذكر فيها كما انَّ ليس لكتابنا عنوان يشملهُ ولا خاتمة في آخرهِ يؤخذ منها انهُ انتهى من جمعهِ سنة ١١٧٣ هجريّة (١٧٥٩م) بل ترى فيهِ من الرسائل ما يتّصل عهدهُ بما وراء هذا التاريخ الى سنة ١٧٦٧ دون الرسالة المكتوبة سنة ١٨١٢ وكذلك لم نجد المنشور الذي يتضمّن تقليد ثاوفيطوس اسقف صيدنايا ابرشيّة معلولا. ففي هذه الاختلافات دليل على ان نسختنا غير نسخة قسطاكي افندي وانهُ يمكن اصلاح الواحدة بالثانية على طريقة المقابلة

امّا شعر نعمة ابن الخوري توما فليس في يدنا منهُ شيء. بيد اننا عثرنا عند احد وجوه البلدة على خبر رحلةٍ من حلب الى اللاذقية فبيروت فمصر كتبها بعض الحلبيين نثرًا ونظماً نظنُّها من قلم ابنهِ توما وسننشرها ان شاء الله في المشرق اذا ما اطّلعنا على ترجمة حياتهِ وحياة ابيهِ نعمة الشاعر الكاتب الذي شوّقنا جناب حبيب افندي زيات الى معرفتهِ بما اثبتهُ عنهُ في ذيل كتابهِ (ص١٠٥—١٠٩) ورغّبنا في الاطلاع على ديوانهِ وقصائدهِ التي مدح بها البتول « سيدة الانام واشرف العالمين »

وفي اثر هذه المقدّمة المفيدة (ص١١٣—١٢٠) ذكر المؤلّف مكتبة دير الشاغورة الذي في كنيستهِ كانت ايقونة البتول العجائبيّة ثم وصف اجتماعهُ بوكيل هذا الدير وبرئيستهِ « الحاجّة سعدى هلال » التي قصّت عليهِ خبر المكتبة التي كانت حافلة بالمخطوطات

النادرة لاسيا السريانيّة فخاف الوكلاء وهم الخوري ميخائيل كك والشخاشيري وجبران الميداني « ان تكون هذه المخطوطات حجّةً بيد السريان يتقوّون بها على اثبات حقوقهم على الدير . . . فجمعوها في فرن الدير لتكون وقودًا وخبزوا لها خبزتين » (راجع تفاصيل هذا الخطب العظيم والبلاء الجسيم في المشرق ٢ : ٥٨٦)

وممّا وجدهُ جناب الراوي في بقايا مكتبة الدير « بعض كتب في اليونانيّة في مجلدات قليلة وسائرها في العربيّة لا يكاد يُرى فيها غير نسخ الانجيل وتراجم القديسين وبعض الميامر بين مخطوط ومطبوع . لكنّ السعد وافقهُ على وجود مجلدين مخطوطين بالسريانيّة نجوَا بعناية الله من ذلك الحريق ليكونا كشاهد على ما اتلفتهُ ألسنة النار . وكنّا احببنا لو ذكر لنا جناب الكاتب اسم الكتابين ومضمونهما لكنهُ اكتفى بقولهِ ان تاريخ احدهما سنة ٦٩٣٩ لآدم (١٤٣١م) وان فيهِ ذكر كير اثناسيوس اسقف صيدنايا واسم الواقف « يوسف باسم شماس ابن القسيس يوحنَّا ابن قس ضومط من قرية الكفور من جبل لبنان من اقليم طرابلس »

ولا ريب في انَّ هذين الكتابين من جملة الكتب السريانيّة المستعملة قديمًا في الكنيسة الانطاكية . ومثل هذه الكتب الطقسيّة لا يحصيها عدٌ ليس فقط في جهات معلولا وصيدنايا كما زعم البعض لكن حيثما كان الملكيون (١ . والدليل على ذلك ما جاء في مقدّمة القنداق المخطوط سنة ١٦٣٣ باللغتين السريانيّة والعربيّة المحفوظ في مكتبة الطيب الذكر المرحوم السيد اقليميس داود في كنيسة السريان في دمشق (عدد ١١٥) . والمقدّمة هي للبطريرك افثيميوس الثاني كتبها اذ كان مطرانًا على حلب وكان يدعى ملاطيوس (٢ وهذا نصها بالحرف الواحد بعد البسملة :

« . . . هذه الافاشين والطلبات سلّموها (اي الآباء الاقدمون) الى كهنة مسيحيين والى جماعة نصارى اورثذكسيين . ولمّا كان لفظها رومي يوناني ترجموها الروم عربي وسرياني وبعد ذلك تغيّر من الجهّال لمّا نسخوه لانهم زادوا في الكلام وانقصوا . فعندما وقفتُ انا الفقير ملاطيوس

---

١) جاء في المنار (٢٩ ك ١ سنة ١٩٠١) ما نصّهُ : « كانت الطقوس تقام قبل ذلك (اي قبل ملاطيوس الحلبي) باليونانية الّا في جهات لبنان والبقاع والنبك فانها كانت تقام بالسريانيّة لانّ اكثر الارثوذكس فيها هم من مرتدّي اليعاقبة ولغتهم سريانيّة » وسيظهر من قول ملاطيوس الحلبي انّ السريانيّة كانت شائعة بين الملكيين الخاضعين للكرسي الانطاكي قاطبةً

٢) وقد ذكرنا في المشرق (٣ : ٢٦٠ و ٧١٨) تعريبهُ للكتب الطقسية



أمثلة الخطّ السرياني الملكيّ

١ و ٢ صفحتان من قنداقين للروم الملكيين مع العلامات الموسيقيّة (في مكتبة الطيّب الذكر السيّد اقليميس داود في دمشق) ٣ صفحة من كتاب الشرطونيّات الملكيّة (في مكتبتنا)
٤ صفحة من ميناون الملكيّين (في مكتبتنا)

على النسخة العربية والسريانيَّة قابلتُ على نسخة الاصل اليونانيَّة والروميَّة فوجدتها كلها نقصاً وتغييراً فطابقتها على اليوناني بابلغ تقدير واخرجتها الى العربي بكدّ وتعب وانا يومئذٍ مطران بمدينة حلب وحررتها بتاريخ الف وستمائة وثلاثة وعشرين الموافقة لسنة الف وثلاث واربعين للهجرة »

فهذا الكلام يدلُّ على شيوع اللغة السريانيَّة في الكنيسة الملكيَّة الانطاكيَّة الى اواسط القرن السابع عشر كما ذكرنا ذلك غير مرَّةٍ في المشرق. واغرب من هذا انَّ ملاطيوس الحلبي لم يُبطل استعمال هذه اللغة في الطقس الملكي ولذلك ترى في هذا الكتاب عدَّة صلوات بالسريانيَّة والعربيَّة في عمودين وهذا مثال الصفحة الاولى الباقية وقد سقط ورقة او اوراق من الكتاب بعد المقدمة :

... والكاهن يقول سرًّا هذا الافشين: ايها الرب الهنا يا من طأطأتَ السماوات لخلاص جنس البشر انظر الى عبيدك والى ميراثك ايها القاضي المرهوب الوادّ للبشر . . . والكاهن يعلن:

ليكن عزّ ملكوتك مباركاً وممجّداً ايها الاب والابن والروح القدس الآن والى كل اوان والى الدهر الداهرين	ܢܗܘܐ ܥܘܫܢܐ ܕܡܠܟܘܬܟ ܡܒܪܟ ܘܡܫܒܚ ܥܠ ܐܒܐ ܘܒܪܐ ܘܪܘܚܐ ܕܩܘܕܫܐ ܘܟܠ ܐܡ ܠܥܠܡ ܥܠܡܝܢ

وما عدا هذا القنداق ترى في تركة السيد اقليميس داود ثلاثة كتب أُخرى (عدد ١٠٤ و ١١٥ (٢) و ١١٧) مكتوبة بالسريانيَّة مع قسم صغير عربي تحتوي طروباريات وبروجيازمانات وافاشين مختلفة وافخولوجيون كبير وفي العددين ١١٥ (٢) و١١٧ صلوات بالسريانيَّة محلاَّة بالعلامات الموسيقية اليونانيَّة رسمنا شيئاً منها (انظر صورة المخطوطات السريانيَّة الملكية)

وما يختصّ بهذه الكتب الطقسيَّة الملكية انَّ حرفها السرياني يختلف عن حروف الطوائف السريانية الاخرى فانهُ اقرب الى الخط الاسطرنجيلي القديم كما ترى في صورة هذه الخطوط التي اثبتناها هنا ليقابلها القراء مع القلمين السرياني الشرقي (الكلداني) والسرياني الغربي. وفي مكتبتنا الشرقيَّة كتب وكراريس من هذا الخط السرياني الملكي. منها كتاب الشرطونيَّات الذي اخذنا عنهُ شرطونية الاسقف (المشرق ٤ : ١١٢٦) ومنها قطعة قديمة من كتاب الميناون وجدها في دير سيدة حماطور حضرة الخوري الفاضل جرجس السبعلاني واهداها لمكتبتنا. ومنها قطعة وجدناها في ماردين فيها تسابيح منقولة من اعمال مار افرام. وكذلك الانجيل السرياني الملكي الموجود في كنيسة الحيدثة

للروم الاورثذكس في بكفيا مكتوب بهذا الخط «كتبهُ سنة ١٨٢٢ للاسكندر و١٥٢٠ للمسيح.. الخاطئ المسكين باسم قس بطرس حاج من قرية الكفور في جبل لبنان(١)». وقِس على ذلك كتباً عديدة موجودة في دار البطريركيَّة المارونية وفي الشرفة وفي دير مار اشعيا للرهبان الروم الكاثوليك الحلبيين (كما اخبرني الثقة منهم) وفي طورسينا وفي مكتبة القبر المقدَّس باورشليم. اما في خزائن اوربَّة فمن هذه الكتب الطقسية للملكيّين اكثر من مئة مجلَّد كُتبت في كل انحاء الشرق

وفي الختام نكرّر الثناء على همَّة مؤلف كتاب خزائن دمشق وضواحيها ونشكرهُ على ما اجدانا بهِ من المنافع الجمَّة. ولا نشك في انَّ الاجزاء الباقية تكون حافلة مثل الجزءين الاوَّلين بالفوائد اخذ الله بيدهِ ونفع زمناً طويلًا اهل ملَّتهِ ووطنهِ بمصنَّفاتهِ الجليلة

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٣٣ حنُّوش

اذا عبرت من ثمَّ وادي غميق بلغت بعد زمن قليل حنُّوش. وحنُّوش هذه هي اليوم عبارة عن دير صغير للرهبان الموارنة البلديين يحدق بهِ بضعة بيوت لسكنى الشركاء. ولكنَّها سابقًا كانت قرية ذات شأن (٢ كما يؤخذ من الآثار العديدة التي تراها مبثوثة في السهل المجاور لها بينها معاصر وحجارة رحيّ ورؤوس اعمدة. وهناك رسم كنيسة قديمة من الطرز البوزنطي تُعرف اليوم بكنيسة القديس يوحنا طولها ٢٣ مترًا و ٥٠ سنتيمترًا في عرض ١٥ مترًا. والمرجَّح انَّها كانت مثلَّثة الاسواق وحواليها قطع اعمدة من الرخام مع صلبان منقوشة وبقايا كتابات يونانيَّة ذهب اكثرها فضاعت

١) نسخنا هذه الالفاظ سنة ١٨٩٦ من الصفحة الاخيرة التي كانت في آخر هذا الانجيل. وقد بلغنا انَّ الصفحة المذكورة نُزعت من الاصل وأُتلفت

٢) وقد وصفها حديثًا حضرة الخوري بطرس شبلي في المجلة الكتابيَّة (R. Biblique 1901, 583) وانتقد على ما كتبهُ رينان بهذا الصدد

معانيها بيد انَّ هذه البقايا تشير الى خطر المقام الدينيّ وعظم قدرهِ . وكذلك ترى من جهة الشرق مدافن نُقرت في الصخور قد اتلفتها الايام

واغرب ما يوجد في حنُّوش من الآثار جُرنٌ مُتقَن العمل قطرهُ مترٌ و٤١ س وعمقهُ ١,١٥ يبلغ وزنهُ ٣٣٠٠ كيلو غرام يستدير بهِ نقشٌ تالٍ ذو كتابة يونانيَّة مطموسة يستدلُّ من الفاظها الباقية انَّ فلانًا ابن فلان اصطنع هذا الجرن من مالهِ الخاصّ هبةً للمشتري (τῷ Διΐ) وكلا العلمَيْن الواردين في هذه الكتابة ساميُّ الصورة والاصل يُدعى احدهما انّيلوس (Ἄννηλος) وهو اسم اراميّ بحت والآخر ناراس (Ναρᾶς) يشبه الاسماء اليونانيَّة المنقولة عن العربيَّة ممَّا ورد في كتابات حوران . وفي تعريف اصول هذه الاعلام فائدة كبرى للوقوف على سكَّان هذه الامكنة وغيرها ايضًا فانَّها تدلّ على انَّ الاهلين كانوا آراميين جنسًا وان كانت اللغة اليونانيَّة اضحت لغتهم الرسميَّة فانَّ الاعلام أصدق اثرٍ ينبئ باصل القوم وذكر اجدادهم . وامثال ذلك عديدة فقبائل الفرنك مثلًا بعد استيلائها على بلاد غالية ابدلت لهجتها الجرمانيَّة باللغة اللاتينيَّة . لكنَّ كثيرًا من اعلامها بقيت على مسحتها الاصليَّة فكفاك بها دليلًا على تشعُّب الفرنك من العنصر الجرمانيّ

وقد وجد البعض آخِرًا في جوار حنُّوش نقودًا كثيرة من الذهب عليها كلها صورة يوستينوس الملك . وفي هذا ايضًا دليل على انَّ هذا المكان في سالف الدهر كان احفل بالسكَّان منهُ في ايَّامنا . ولكن ماذا يا تُرى كان اسم المحلّ سابقًا ؟ نجيب انَّ في تعريف اسمِ القديم لبحثًا مفيدًا لجغرافية لبنان اعني تطبيق هذا المقام مع بلدة قديمة تدعى جيغرتا

٣٤ جيغرتا

اذا اعملنا النظر في تاريخ القدماء وجدنا في اسطرابون (ك ١٦ ف ٢) ما لم يفِ بالغرض المقصود فانَّ غاية ما يعلمنا بهِ هذا الكاتب انَّ جيغرتا حصنٌ حريز يحتلّهُ الايتورئيون موقعهُ عند البحر قريبًا من البترون ورأس الشقعة (θεουπρόσωπον) على انَّ في هذا الوصف بعض الابهام اذ لم يُفدنا عن جهة موقع جيغرتا أتكون شمالي البترون ام جنوبيَّها . وهذا الالتباس يُزيلهُ المؤرخ بلينيوس (ك ٥ ف ١٨) ومن قولهِ يتَّضح انَّ جيغرتا شمالي البترون وجنوبيّ ترياريس (وهي انفه كما سترى) . وكذلك قد

ورد اسم جيغرتا في قائمة قديمة للمدن الاسقفيَّة التي موقعها على الساحل الفينيقي في اثر البترون وتدعى هناك قرية (Κώμη) (١ وهذا مما يبيّن ان جيغرتا كانت خاملة الذكر على ايَّام ملوك القسطنطينيَّة. ولا يبعد انَّها اخذت في الانحطاط منذ زمن يستنيان الملك بسبب الزلزال الذي اخرب الطريق القديمة واضطرَّ اهل السابلة الى ان يمرُّوا في مضيق المسيلحة. وهذا ايضاً يعلّل سكوت المؤرخين العرب عن جيغرتا

ومما يطلعنا على خطر جيغرتا في ايَّام دولة الرومان كتابة لاتينيَّة اثبتها رينان في بعثة فينيقية (ص ١٤٨) يُستدلُّ بها على سعة حدود تلك البُلَيدة. وقد وُجدت هذه الكتابة في عبرين وقيل انَّها نُقلت اليها من المُسيلحة او من الهُري فوق شكَّا وعلى كلِّ حال انَّما ينبئ وجودها في احد هذين المكانين بانَّ جيغرتا المذكورة لم تكن بعيدة من رأس الشقعة وعن شمال البترون لانَّ مثل هذه الحجارة لا تُنقل عادةً الى مكانٍ قاصٍ

وهذه الملاحظات اذا اعارها المنتقدون بالَّا تحقَّقوا انَّ جيغرتا ليست بزغرتا كما ظنَّ بعض العلماء كفُورِرْ (Fürrer) (٢ وهو لم يسند رأيهُ الى برهان آخر غير التشابه اللفظيّ بين الاسمين مع ان موقع زغرتا لا يوافق وصف الاقدمين لجيغرتا لبُعد زغرتا عن البحر في شمالي انفة ووقوعها في وسط سهول خصبة لا تصلح للتحصين بخلاف ما جاء عن حصن جيغرتا المشرف على البحر. وعلاوةً عن ذلك لم نسمع انَّ احدًا وجد في زغرتا شيئًا من العاديَات. على انَّنا لا ننكر كون زغرتا من القرى القديمة التي استلفتت انظار الامم الغابرة بحسن موقعها في بطائح مخصبة واودية غنَّاء يسقيها ماء نهرٍ غزير لكنَّنا لا نرى فيها مناعة القلاع وليست هي جديرةً بان يتحصَّن بها لصوص الايتوريين وقطَّاع الطريق كما جاء في وصف جيغرتا

وكذلك لا يصحُّ تطبيق جيغرتا مع غرزوز لبعد غرزوز جنوبًا عن البترون. ولا مع شكَّا لوقوعها في السهل او في منعطف آكام قليلة الارتفاع. ولا مع الهُري لخلوّها من الآثار القديمة وان كان وصف الاقدمين يوافقها بعض الموافقة من حيث الموقع الَّا انَّهُ لا يجوز ان يُنسب الى قريةٍ أصلٌ قديمٌ قبل أن يُكتشف فيها شيءٌ ينبئ بقدمها

امَّا حنُوش فتصدق فيها كلُّ الاوصاف التي وردت عن جيغرتا من حيث قدمها

١) راجع Relandi Palæstina, 160. ولعلَّ كنيسة مار يوحنا في حنُوش هي الكنيسة الكاتدرائية التي اتَّخذها اساقفة جيغرتا ٢) راجع المجلَّة الفلسطينيَّة الالمانية ZDPV, VIII, 19

وكثرة آثارها واتصال السكة القديمة المنقورة في الصخر عند وادي عميق بمقامها فضلًا عن موقعها في لحف رأس الشقعة قرب البحر بين انفة والبترون. وترى من خلفها صخورًا عالية مقطوعة قطعًا عموديًا تصلح قممها لتكون معقلًا لقومٍ من الصعاليك وعشًا لاهل الغيّ والفتن يعششون بها دون ان يهابوا مباغتة العدوّ. وقد شهدنا بالعيان وعورة هـذا المكان وصعوبة مسلكهِ اذ ادركنا الليل ونحن فوق هذه الصخور المرتفعة تحدق بنا من كلّ جهة المهاوي والوهاد العميقة فآثرنا ان نقضي ليلنا في العَراء من ان نلقي بانفسنا في المخاطر بمواصلة السير بين تلك المجاهل. هذا ونظنّ انّ اهل الفساد من الجيغرتيين بعد الفتح الروماني واستتباب السلام نزلوا من مآويهم الحصينة فسكنوا في السهل الممتدّ بين البحر والصخور حيث توجد الاخربة القديمة

امّا اسم جيغرتا (باليونانيَّة Γίγαρτος و Γίγαρτα و Γήγαρτα) فنظنُّهُ ساميَّ الاصل يوافق العبرانيَّة גגרגות والسريانيَّة ܓܓܪܬܐ ومعنى كلاهما المضيق وشِعب الجبل وهو ينطبق على موقع المكان ولغة ساكنيهِ القديمة اي الآراميَّة وهي لغة الايتوريين الاصليَّة. وهذا المعنى على رأينا انسب للمقام من اشتقاق الاسم من اليونانيَّة γίγαρτον وهو ثفل العنب (راجع بعثة فينيقية ص ١٥٠)

٣٥ أنفة

أنفة ما وراء رأس الشقعة في آخر السهل الذي بُنيت فيهِ شكَّا. وهي مركز لدرس العاديَّات. والقرية الحاليَّة موقعها بقرب رأس مستطيل دقيق يشبه البرزخ. وقد خُدَّ هذا الرأس في عرضهِ بشبه خندقين نُقرا في الصخر نقرًا عجيبًا متَّسعًا يبلغ سطح البحر. ومن اعتبر هذين الخندقين اخذهُ الاندهاش من شدَّة عزيمة الاقدمين في مباشرة مثل هذه الاعمال الجبَّاريَّة كيف نحتوا الصخور الصماء كانَّ صلابتها تلين بين ايديهم او كانت لديهم ادوات قاطعة غير ادواتنا الشائعة اليوم. وبين هـذين الخندقين والقرية ترى اعمالًا اخرى غريبة في شكلها على جانبي الرأس الموما اليهِ وكلها منقورة في الصخر

ويلحق بهذين الأخدودين بقايا ابنية ضخمة متَّصلة بهما ذات حجارة كبيرة مستندة الى الصخر. وهي آثار جدران تشبه جوانب قلعة جُبيل شبهًا عظيمًا في نتوّ حجارتها ووَصل هذه الحجارة بعضها في بعض بحيث لا يشكّ الناظر انَّ ثمَّت كان حصن منيع ويؤيد ذلك تقليد اهل انفة الذين يدعون هذا المكان بالقلعة

وبين الخندقين المذكورين والقرية ترى في الصخور من الآثار المنحوتة المحكمة العمل ما يندر مثالهُ في لبنان كالحمَّامات والمدافن والاحواض ولكلها اطناف وافاريز جميلة حسنة النحت. وهناك ايضاً رحيٌ ومعاصر عديدة مبثوثة في الحضيض. وللصخر طبقات منظَّمة يُنزَل منها الى البحر بمعابر على جوانبها شبه الدرابزين. وفي مداخلها ثقوب لمزالج الابواب ورزّاتهِ وفي جانبي الحائط أغوار عديدة منحوتة في الصخر عموديًّا ومنها ما هو متقن الهندام يصلح للسكنى. وكذلك المدافن فانَّ لها مسحةً من القدم وهيئتها غريبة

امَّا بُناة هذه القلعة فنرجّح انَّهم الصليبيون لما بين آثارها وآثار جبيل من الشبه. وقد اثبتنا سابقاً انَّ قلعة جُبيل من ابنية الفرنج (راجع المشرق ٣: ٣٥٠). وفي تاريخ بروكرد ما يشير الى هذه القلعة فانهُ وصف للفرنج في انفة « قلعة كان معظم جوانبها داخلًا في البحر ولها اثنا عشر برجاً وهي شديدة الحرازة »

لكنَّ الخندقين الفاصلين الرأس عن الساحل على رأينا ليسا من اعمال الفرنج فانهما اقدم عهدًا يرتقيان الى عهد الرومان ان لم نقل الفينيقيين. والفينيقيُّون كما لا يخفى كانوا اتخذوا في ساحل بحر الشام كل الرؤوس البارزة ليجعلوها محاصن يرقبون منها البحار ويدافعون بها عن سفنهم الراسية بقربها كما جرى لهم في عكَّا وصيداء وبيروت وجُبيل فلا نظنُّ انهم استثنوا من هذا الحكم رأس انفة فتكون هذه المتاريس والخنادق ممَّا حصَّنوا بهِ قلعتهم وقد رغَّبهم في حفر هذه الاخاديد انهم اتخذوا منها موادَّ بنائهم فكانت بمثابة مقالع لحجارة القلعة

ونرى كذلك ان بقيَّة الآثار الموجودة في أنفة ممَّا نُقر في الصخر اقدم عهدًا من الصليبيين

وكان اسم أنفة قديمًا ترياريس (Τριήρης) ذكرها المؤرخون سكيلكس وبوليبيوس واسطرابون وغيرهم من كتبة عهد الدولتين اليونانيَّة والرومانيَّة وقد ورد اسمها في لائحة الاسقفيَّات القديمة. امَّا اسمها ترياريس فقيل انهُ مشتقّ من اليونانيَّة ومعناهُ « المثلَّثة الزوايا » لشكل رأسها الشبيه بالمثلَّث المستطيل (١). وكذلك معنى انفة بالعربيَّة يراد

١) هكذا زعم البعض لكنَّنا لم نجد في قولهم حجَّةً قاطعة. وعلى كلّ حال اننا نرى انَّ هذه

بها الرأس. والشريف الادريسي يدعوها «انف الحجر» ولعلّهُ التبس عليهِ اسمها واسم قرية وجه الحجر في رأس الشّقعة

وليس من غرضنا ان نلخّص في هذه المقالة تاريخ انفة في القرون المتوسّطة وما قال عنها كتبة الفرنج وجغرافيّو العرب لكنّنا نكتفي باثبات ما جاء عنها في معجم البلدان قال ياقوت (١ : ٣٩٠) : «انفة بُليدة على ساحل بحر الشام شرقي جبل صهيون بينهما ثمانية فراسخ» وفي قولهِ غلط ظاهر يريد غربيَّ جبل صهيون او بالحري جنوبيّ غربي صهيون وقد جاء في مراصد الاطلاع بدلًا من« شرقي جبل صهيون » شرقيَّ جُبيل وهو صحيح. وقد افادنا شمس الدين الدمشقي في كتاب عجائب البرّ والبحر (ص ٢٠٧ و ٢٠٨ مع الحاشيتين a b) انَّ « للنصارى في انفة كنيسة عظيمة البناء وبها بيت يزعمون انهُ اول بيت وُضع باسم مريم في الشام وانَّ البيت الثاني المشيَّد بعده لذكرها كان في انطرطوس». وهذه افادة جليلة لتاريخ النصرانيَّة في سوريَّة. وكانت انفــة على عهد الصليبيين من الاملاك اللاحقة بكُنتيَّــة طرابلس وكان الفرنج افسدوا اسمها باللفظ فدعوها نفين (Nephin) . امَّا قلعتها فقد امر السلطان قلاوون بهدمها

٣٦ قلمون

اذا سرت من انفة متوجّهًا الى طرابلس بلغ بك المسير الى قرية بهجة المنظر تدعى قلمون موقعها في وسط حديقة كثيرة الزرع غزيرة الميــاه. واسم قلمون يُطلق في الشام على عدَّة امكنة منها جبل قلمون المشرف على دمشق ومنها قرية قلمون (Calamon) بجوار الكرمل وحيفا (١ وجبل قلمون في شبه جزيرة سينا. وقد ذكر الادريسي قلعة تدعى قلمون بين صيداء ونهر الدامور

وقلمون هذه قد دعاها القدماء قلموس (Calamos) وممن ذكرها المؤرخان بوليبيوس

الاسماء اليونانيَّة التي اتخذها اليونان ايَّام دولتهم للدلالة على كل مدن ساحل فينيقية وقرى لبنــان كبطولمايس (عكا) وبيبلوس (جبيل) وثاوبروسو بون (راس الشقعة) وغير ذلك لم تثبت زمنًا طويلًا وانما كانت اسماء رسميَّــة استعملها عمَّال الدولة فلمَّا سقطت الدولة عادت الاسماء الساميَّة الشائعة على لسان الشعب الذي لم تؤثّر فيــهِ لغة الدولة واصطلاحاتها الرسميَّة . وهذه الملاحظة العموميَّة تصدق في ترباريس التي أُهمل اسمها اليوناني وعاد اليها اسم انفة الساميّ

١) راجع كتاب فلسطين لريلَند Relandi Palæstina, 230, 678 وكذلك راجع اسطرابون (Strabon, notes 916)

وبلينيوس وغيرهما. وربَّما جعلوا اسمها مع اسم جارتها ترياريس وان لم يكن لها من الشأن ما كان لأنفة. وكانت قلمون في القرون الوسطى قلعةً ورد ذكرها في الادريسي والكاتب الفارسي نصري خسرو الخ

وفي قلمون وضواحيها عدَّة آثار قديمة كمقالع ومعاصر ورحيّ وبقايا اعمدة وغير ذلك ممَّا يدلُّ على قِدَمها. بيد اننا لم نجد في هذه الآثار ما يجدينا علماً عن احوالها ومن ثمَّ لا نرى داعياً لاطالة الكلام فيها

٣٧ دير البلمند

في الجبل المشرف على البحر بين انفة وقلمون على يمين السائر الى طرابلس ديرٌ شهير لا يمكن ضرب الصفح عنهُ نريد دير البلمند للروم الارثذكس حيث يدرس اليوم المترشّحون للكهنوت من البطريركيَّة الانطاكيَّة. قال المنار (في عددهِ الصادر في ٢٩ ك ١ سنة ١٩٠١): «البلمند من اعظم اديرة الشرق فخرًا واضخمها بناء واظرفها موقعاً وابعدها شهرةً وزمن بنائهِ مجهول وقد نابهُ ما ناب اكثر الاديرة الارثذكسيَّة في سوريَّا وفلسطين في غزوة الصليبيين»

قد صدق كاتب هذه الاسطر بقولهِ انهُ يجهل زمن بناء دير البلمند لكنهُ ساء ظنًّا بترقية هذا البناء الى زمن سبق عهد الصليبيين وبنسبتهِ اليهم ما هم براء منهُ وكان الاولى ان يشكرهم على تشييد هذا الدير اذ لولاهم لما رأى عالم الوجود ومصداقاً لقولنا نورد هنا مختصر تاريخ دير البلمند ليقف عليهِ كتبة المنار

كان انشاء دير البلمند في ٣٠ أيَّار من سنة ١١٥٧. وقد تولّى بناءهُ رهبان القديس برنردس المعروفون بالسِّسْترسيين (١ وجعلوهُ تحت حماية البتول الطاهرة سيدة بِلْمُنت (Abbatia Bellimontis). وبلمنت لفظة لاتينيَّة منحوتة من كلمتين معناهما الجبل الجميل. وربَّما ورد اسمهُ في كتبة الصليبيين على صورة الفرنسويَّة القديمة «Beauleu» وهي بمعنى «Beaulieu» اي المقام الجميل وهو اسم يطابق المسمَّى

---

١) لنا على ذلك شواهد عديدة منها مناشير للاحبار الرومانيين ذكرها روريخت (Röhricht dans ZDPV, X 35). امَّا ما كتبهُ الاديب جرجي افندي ينّي في تاريخ سوريَّا (ص٢٩١) عن مائدة هيكل كنيسة البلمند انَّ عهدها يرتقي الى سنة ١١١٣ م فلم نتحقّقهُ بنفسنا وكنَّا وددنا لو اثبت جنابهُ هذه الكتابة بنصّها. ولعلَّ هذه المائدة نُقلت الى البلمند من مكان قريب

ولذلك قد اتخذهُ اهل طرابلس الى يومنا كمصيف يقضون فيهِ فصل القيظ. ثمَّ افسد القوم بِلَمُنت فجعلوها « بلمند » ومما يدلُّ على اصل اشتقاقها انها وردت في كتاب مختصر تاريخ لبنان (من مخطوطات كليَّتنا) على صورة بَلموند. وعليهِ فلا صحَّة لما قالهُ البعض (١ انَّ بلمند مشتقَّة من اسم البرنس بويمند صاحب طرابلس شيَّدها على زعمهم كنتزهٍ لهُ في سنة ١٢٨٧. ثمَّ انَّ تاريخ بويمند السابع (١٢٧٤ — ١٢٨٧) لا ينطبق على هذه الرواية لان بويمند قضى السنين الاخيرة من حياتهِ في عاصمتهِ لم يمكنهُ الخروج منها وكان السلطان قلاوون يضايقهُ فيها الى ان توفي في ١٩ تشرين الاول سنة ١٢٨٧ فما كان لهُ اذ ذاك ندحةٌ في تشييد القصور والمنتزهات. هذا فضلًا عن انهُ لدينا نصوص ورد فيها اسم بلمند قبل هذا التاريخ كما سيأتي



ختم بويمند السابع صاحب طرابلس

وبراءات الاحبار الرومانيين في دير البلمند كثيرة (٢ نخصُّ منها بالذكر براءة غريغوريوس التاسع سنة ١٢٣٨ واينوكنت الرابع سنة ١٢٥٠ واوربانوس الرابع سنة ١٢٥٠. ويظهر من هذه المناشير ان دير البلمند كان اكبر اديرة الفرنج في كُنتيَّة طرابلس. ولمَّا خرج الصليبيون من الشام صار هذا الدير الى يد اليعاقبة وكان عددهم كبيرًا في طرابلس لهم فيها اسقفٌ يرعاهم

وفي تواريخ الفرنج اسماء بعض رؤساء هذا الدير ورهبانهِ. فمنهم الرئيس بطرس الالماني (Pierre l'Aleman) ورفيقهُ « سمعان الطرابلسي ». وممن ترأس على دير البلمند احد اساقفة بيروت اللاتينيين لعلهُ استقلَّ من كرسيهِ فاعتزل في هذا الدير وصار رئيسًا عليهِ. وهذا مما يُطلعنا على عظم شأن المكان

ولا نعلم من امر الدير شيئًا بعد تملُّك اليعاقبة عليهِ. وانَّما روى مكاتب المنار انهُ بعد الصليبيين « تشتت شمل رهبانهِ.. وخرب » وبقي خرابًا الى سنة ١٦٠٣ وفيها جدَّدهُ

١) راجع الدويهي في تاريخ سنة ١٢٨٧ وبعثة فينيقية لرينان (ص ١٢٨)
٢) راجع مجلة الجمعيَّة الفلسطينية (ZDPV, X, 35.)

السيد يواكيم ابن الخوري جرجس مطران طرابلس. وللبلمند بعد هذا العهد اخبار طويلة لا حاجة الى استقصائها

واليوم لم يبقَ من هذا الدير العظيم سوى آثار لا تذكر واذا اعتبرت ابنيتهُ الحديثة لا ترى شيئاً من تلك المباني الفخيمة التي كانت تزين هذا المحل وتنطق بفضل بُناتهِ الذين عارضوا الرومان والفينيقيين بآثرهم حتى ان كثيرًا مما كان ينسبهُ العلماء سابقًا لتلك الامم ثبت اليوم انهُ من عمل الصليبيين

وقد بقي في البلمند من ابنيتهِ القديمة قسم من طبقتهِ السفلى منها ردهة جميلة مقبّبة حسنة الاثاث طولها اربعون مترًا وهي اليوم مطمورة في الارض لارتفاع الحضيض بما هبط فوقهُ من ردم الدير القديم. امّا الغاية من ابتناء هذه الحجرة فليست بظاهرة. وفي بقيّة انحاء الدير الحالي قناطر ونقوش من طرز القرون المتوسطة وهذه الآثار مع قلّتها تنبي باصل الدير فتبيّن جليًّا ان الصليبيين هم الذين شيّدوهُ ويتأيد بذلك ما نقلناهُ في صددهِ من شواهد التاريخ مع بيان اشتقاق اسمهِ الاعجمي من اللاتينيّة. فناهيك بهذه الادلّة عن تعريف اصل هذا الدير واصحابهِ الاوّلين

وفي الختام يسرُّنا ان نبدي لجناب الفاضل غطّاس افندي قندلفت مدير المدرسة عواطف الشكر لما اظهرهُ من الانس باستقبالنا في هذا الدير. وقد اطلعنا على خزانة كتبهِ التي تحتوي اليوم على مطبوعات حديثة العهد وبعض المخطوطات التي ليس تحتها كبير امر قد جمعها حضرة المدير ونظمها لئلا تأخذها يد الضياع. وكانت هذه المكتبة قديمًا حافلة بالمخطوطات ولا نشك ان في عدادها كانت تآليف عديدة سريانية كما ترى في غيرهِ من اديرة الروم كمكتبة دير جبل سينا ودير مار سابا حيث وجد زوّار الفرنج مصنّفات سريانية قديمة غالية الثمن. وكذلك كان دير صيدنايا غنيًّا بذخائر الاداب السريانية قبل ان يحرقها وكلاؤهُ كما ذكر ذلك الشاب الاديب حبيب افندي زيّات في خبر رحلتهِ الى هذا الدير (راجع المشرق ٢: ٥٨٦). الّا انّ اليونان الذين تملّكوا زمنًا طويلًا دير البلمند اتلفوا ما وجدوهُ من هذه الكنوز النفيسة واورثوا قلوبنا الاسف على فقدها

(ستأتي البقيّة)

اوقاف العائلة الخازنية على ذاتها

نبذة بقلم الاديب الشيخ شاهين افندي الخازن

تولّت العائلة الخازنيّة بلاد كسروان وسوّدت فيهِ الامان ومن لم يكن راغباً بالسلام باع منها املاكهُ بالاصفر الرنّان وذهب الى حيث يخلو لهُ جوّ الفتن فيمرح بلا معاكس ولم يبقَ في كسروان الّا المُخلدون الى السكينة جريًا على ما يرضي الدولة العليّة وأمَّهُ كلّ من حسنت سيرتهُ وطابت سريرتهُ فكان جبلًا مقدّساً كثرت فيهِ معاهد الصلاة واماكن العبادة واعمال البر وقد امتازت العائلة الخازنيّة اهتماماً بمثل هذه المنشآت وقفًا وبناء وتأسيساً وتجهيزًا كما اشتهر عنها وعرفهُ كل ذي إلمام باحوال هذه البلاد

وقد انفردت بين الاسر اللبنانية بانها اختُصَت بشعار لها عرفهُ الملوك سنة ١٦٨٠ في اَيَام عظيمها اذ ذاك الشيخ ابي نادر خازن الخازن وقد وصف هذا الشعار العالمان دافيدي ودي جياكومو في المجلد السادس العدد ٧٣٨ من تاريخ لهما وسماهُ بتاريخ النصرانية محفوظ في مكتبة فلورنسا طُبع طبعةً ثانية في رومة سنة ١٧٠٦. امّا الشعار المذكور فهو مثال جبل عالٍ اعتمّ رأسهُ بالثلج الى شمالهِ غصن من شجر الارز المقدس وفي الجهة المقابلة غصن من السنديان الاخضر وأركز على رأسهِ صليب بسط يدهُ الى قاعدتهِ اسدٌ رابض في الجبل ومن قبليّ قمّتهِ هلال سافرٌ يمدّ عليهِ رواق النور مبددًا عنهُ حجُب الغياهب

فالهلال اشارة الى ان العائلة الخازنيّة عثمانيَّة التبعة والصليب الى انها مسيحيَّة المذهب والارز الى استمرارها على النسبتين المذكورتين والسنديان الى شدَّة تمسكها بهما والاسد الى القوَّة

ومعما كانت تهب وتبذل وتعطي حسبت لانقلاب الاَيَام حساباً فتجنَّدت لهُ بسلاح التقوى وحصَّنت من سيأتون منها بموقوفاتٍ واسعة غنيَّة تدرُّ لبنًا وعسلًا تستوردها ذريَّتهم اذا اصدرها الزمان عن مناهل الاحسان ويقيمونها متراساً بوجه الدهر متى كشَّر لهم عن نابهِ. — ولمَّا كانت الدنيا لا تستقيم على احد كان ما توقَّعوا ان سيكون وهو ما لا سبيل الى ذكرهِ في هذه الرسالة بل يُرجَع بهِ الى صادق التواريخ

غير ان ما يهمني ذكرهُ الآن هو ان هذه الاوقاف الكبيرة لم تأتِ واقفيها من طريق التسلّط والاحتلال ولا هي من مملوكات القوَّة والسطوة بل ان ما تحفظهُ العائلة من الصكوك الشرعيَّة لدليل رشيد الى انها لم تتملك شبرًا من الارض الّا بثمنهِ العادل ولم تثبت عليها تهمةٌ ولا ظنة ولديها الفرمانات السلطانيَّة والرسائل الملوكية تمدح امانتها ونزاهتها وإقرارها العدل والامان والبرآات الباباويَّة والمنح الرسوليَّة تطرى تقوى ابنائها وتكافئ تدينهم بتخويلهم ما يُمنح افاضل الكهنة والاساقفة من السلطان الديني وان كانوا من العوام وتشكر مناصبتهم كل ما يخالف الدين والادب وستُنشر كلها بالطبع في تاريخ العائلة الخازنية فيطَّلع عليها العموم ان شاء الله

فالعائلة الخازنيَّة اذًا لم تقتضِ ممَّا لغيرها شيئًا بل تبرَّعت بكثير ممَّا لها اذكر لفواتهِ اربعة اسباب: الاول اهمالها ما يفيدها انشغالًا بافادة غيرها. والثاني ثبات الأيَّام على التغيير:

ومن ظنَّ الزمان اخا وقوفٍ ليصبرْ سوف ينقلب الزمانُ

والثالث تفرُّقها بالرأي شأن كل عائلة كبيرة. والرابع خلقها للبذل وطبعها على العطاء وسليقتها في السماح:

من كان بذَّالاً يعاين مثلهُ في عسرهِ او يرقب المبذولا

ولكن كيفما كان من امر هذه الاوقاف التي نحن بصددها فانهـا اعمال برّ وتقى ومآثر فضيلة وخير ليس من شاني الترسُّل في وصفها لأنها صادرة عن قوم أُنسَب اليهم فاكون كالمادح نفسه بل ذكرتها توسُّلًا الى استدرار المراحم عليهم لانهم محسنون وتوصلًا الى شكر من دوَّنوا بعضها وحَمدهم على ما أُلحقوها بهِ من محاسن الاوصاف المنبئة عن جودة مطالبهم ونزاهة قلوبهم جزاهم الله من جودهِ ما يُجزى بهِ اولو الفضل والاجادة

اما وقد درأتُ ما كان قائمًا في غير موضعهِ من بعض الاذهان فاليـك من تلك الايادي الغراء ما وقفتهُ العائلة الخازنيَّة على ذاتها اديارًا كبيرة ذات املاكٍ واسعة يُصرف ريعُها في سبيل المنقطعين الى التعبد او من يخني الدهر عليهم من ذرّيتهـا وكنائس خاصَّة بهم يفون فيها واجباتهم الدينيَّة وهي بمثابة مدافن لهم ايضًا وقد حبسوا عليها بعض الاراضي قيامًا بدوام كفايتها ممَّا تقتضيهِ خدمتها. وقد اتّبعتُ في نسقها توالي الاعوام وهي طريقتي في مقالتي السابقـة غير اني لم اعرف بالتحقيق تاريخ بعض الكنائس لما

دون الوصول اليهِ من الحوائل فألجئتُ الى ذكرها بدونهِ ملحقةً بالسنين التي رجح عندي قرب انشائها منها:

١ً نحو سنة ١٦٠٠ بنى ابو نادر خازن الخازن كبير النصارى في لبنان كنيسة القديس انطونيوس البادوي في قرية بلّونه تابعةً لدارهِ هناك ثم جُعلت عموميَّة في العائلة وأُبقي لها الملك الموقوف عليها ابتداء ورُبَّما كان انشاؤها قبل السنة المذكورة لان الواقف المنوَّه بهِ بدل اقامتهُ فجعلها في قرية عجلتون بعد ذلك التاريخ

٢ً سنة ١٦٤٧ بنى الشيخ ابو نوفل نادر الخازن كنيسة السيدة العذراء في قرية عجلتون مركز حكمهِ وكان امير النصارى بعد ابيهِ كما تنبئ الاوامر الملوكيَّة المحفوظة عنهُ

٣ً نحو سنة ١٦٨٠ بنى اولاد الحاج سليمان الخازن كنيسة القديس سمعان في قرية عجلتون وقد أتبعتها السنة المذكورة لان المعروف انها أُنشئت قبل الكنيسة الآتية وسمِّي ابو منشئها حاجًا لانهُ زار الاماكن المقدَّسة زيارةً دينيَّة تبعًا لعادة المسيحيين في تلك الايام

٤ً سنة ١٦٨٩ تمَّ بناء كنيسة القديس اليـاس الحي في قرية غوسطا وهي التي انشأها ابو قانصوه فياض الخازن ملاصقةً دارهُ العظيمة في القرية المذكورة وقد استمرَّ بناء الدار تسع سنوات ابتداء من عام ١٦٨٠ وكانت غوسطا مركز حكمهِ

٥ً سنة ١٦٩١ بنى المشايخ اولاد ابي نوفل الخازن برجًا في قرية مزرعة كفر دبيان لحماية املاكهم في صرود كسروان وفي اوائل القرن التابع حوَّلهُ ابناؤهم الى كنيسة على اسم القديس مارون وهي المعروفة بكنيسة مار مارون البرج

٦ً نحو سنة ١٧٤٠ بنى الشيخ صقر بن عبد الملك الخازن كنيسة القديس انطونيوس البادوي في قرية مزرعة كفر دبيان المذكورة وقد اوردتها مع هذه السنة لان الشيخ صقر منشئها كانت وفاتهُ سنة ١٧٥١ فيقدَّر انهُ بناها قبل وفاتهِ ببضعة اعوام وتُعرف بكنيسة مار انطونيوس نجد امَّا لان صاحب مكانها يُدعى نجدًا وامَّا لانها قائمة على بقاع من الارض يسميهِ الاهلون « جبال »

٧ً قريبًا من السنة المذكورة انشأ المطران طوبيا الخازن واخوهُ الشيخ كنعان دير القديس انطونيوس في بقعاتا كنعان ووقفا عليهِ املاكًا واسعة وقـد ارتقى المطران

المشار اليهِ الى السدة البطريركيَّة سنة ١٧٥٦ ومات بطريركًا سنة ١٧٦٩ حسبما ورد في التاريخ

٨ً في تلك الفترة بنى الشيخ كنعان بن قيس الخازن المذكور كنيسة القديس عبدا في قريتهِ بقعاتا كنعان ايضًا ووقف عليهـــا شقيقهُ المطران المقدَّم ذكرهُ قطعةً كبيرة من املاكهِ الخاصَّة بهِ تُعرف في لبنان « بالعودة » وقد وجدتُ ورقةً محفوظة عند الشيخ بطرس كنعان الخازن في القرية المرقومة مسلوخةً من شحيم الكنيسة أُعدم قسم منها مع تاريخها غير ان الامضاء والختم باقيان وهما : المطران طوبيا الخازن مطران قبرص . واليك ما بقي في الورقة هذه : « قد وقفنـــا العودة خاصتنا على كنيستنا مار عبدا اسقف بابل والموضع المذكور حدُّهُ من الشمال طريق السالك والقبلة لشوار الشير والشرق الساقيـــة والغرب الى الدرجة ومنهـــا نازلًا لشوار الشير وكان ذلك بحضور اخونا كنعان » ومن هنا الى الختم سطر طويل معدوم قيل لي انهُ كان يتضمَّن تاريخ الكنيسة

٩ً نحو سنة ١٧٥٣ بنى اولاد الشيخ ابي خطار فاضل الخازن كنيسة القديس جرجس في قرية بقاعتوتا

١٠ً نحو السنة المرقومة او بعدها بقليل بنى المشايخ المذكورون كنيسة القديس ميخائيل في قرية بقاعتوتا ايضًا

١١ً سنة ١١٧٦ هجريَّة اي نحو سنة ١٧٦٣ وقف الشيخ عاد بن صخر الخازن دير سيدة البزاز في قرية حارة صخر على ابنتيهِ عادا ومريم واستمرَّ الدير المذكور يحوي النساء العابدات الى يومنا وانَّما سُمّي مكانهُ بالبزاز لان السيدة للعذراء عليها السلام صنعت فيهِ على الرأي الشائع كرامات كثيرة بشفاء النساء الطالبات اليها صحة اثديتهنَّ من العلل الطارئة عليها.وسمّيت القرية بحارة صخر لانها كانت ملكًا للشيخ صخر والد الشيخ عاد واقف هذا الدير

١٢ً سنة ١٧٦٥ وقف الشيخ نمر ابن الشيخ ابي ناصيف نوفل الخازن دير النبي الياس في قرية بأونه ملجأً لقاليات العالم من عائلتهِ واسعافًا لمن سيُنكبون من سليلتهِ وحبس عليهِ لهذا القصد املاكًا واسعة ذات مداخيل وافرة تكفي اصلاحاتها وحاجات الدير ويفيض عنها ما يقوم بما شرطهُ في حجة الوقف

١٣ً بُعيد هذه السنة انشأ اولاد الشيخ المذكور كنيسة سيدة النجـــاة في قرية

جميتا تسهيلًا لشغلة املاكهم فيها ويُعرفون في لبنان « بالشركاء » قضاء واجباتهم الدينيَّة اذ لم يكن احدٌ منهم ساكنًا هذه القرية غير انهم حفظوا لذواتهم ولذريَّتهم حق الولاية عليها كسائر اوقاف عائلتهم الباقية بادارتها

١٤ً فيما يقرب من التاريخ المذكور انشأ المشايخ المشار اليهم كنيسة السيدة العذراء في قرية بلونه وهي مركزهم ومسكن سلالتهم الى اليوم

١٥ً سنة ١٧٦٧ رقي السيد ميخائيل حرب الخازن الى مقام رئاسة الاساقفة وهو الذي انشأ كنيسة سيدة المعونات في مزرعة رام بودقن

١٦ً سنة ١٧٧١ تولى الشيخ رامح بن حيدر بن قيس الخازن مقاطعة جاج وترتج ولحفد وبنى اولادهُ في المحل المسمى السقي من لحفد كنيسة القديس اليشع وبنوا معبدًا في دارهم على اسم القديس ادنا لم اعدهُ كسائر منشآت العائلة وان كان معروفًا لانهُ لا ملك لهُ محبوس عليهِ وهو خصوصي بسكَّان الدار كما افادني بعض العارفين

١٧ً سنة ١٧٨١ وقف الشيخ ميلان بن ضرغام الخازن دير سيدة بقلوش وحابس عليهِ جميع املاكهِ وكل مقتنياتهِ واعدَّهُ لان يجمع فيهِ العابدات من عائلتهِ وقبل ان يتمّ عمار كنيستهِ وافاهُ الاجل سنة ١٧٨٢ فاكملها بعدهُ ابن عمهِ الخوري يوسف شرف ابن كسروان الخازن سنة ١٧٨٣ والف فيهِ العابدات انفاذًا لنيَّة الواقف (١

١٨ً سنة ١٧٨٥ وقف الشيخ عبد السلام بن عبد الملك الخازن دير مار موسى في قرية بلونه وبهِ حكمٌ من البطريرك يوسف اسطفان محفوظ عند الشيخ يوسف صقر الخازن مآلهُ تثبيت وصيَّة الواقف بجعل دارهِ « ديرًا غير قانوني لسترة العائلة » ويتبعهُ ما بقي من املاكهِ بعد ان أُعطي ثلثها الى اولاد اخيهِ انفاذًا للوصيَّة شرعيًّا والحكم المذكور مؤرخ في ٢٧ نيسان سنة ١٧٨٦ ويتضمَّن تاريخ انشاء الدير الذي هو ١٤ كانون الاول سنة ١٧٨٥

---

١) والعائلة تتباحث اليوم بامر جعلهِ مدرسةً مهمَّة يغتنون بها عن الالتجاء الى سائر المدارس تعليمًا لاولادهم وهم يبذلون سنويًّا اموالاً طائلة في هذا السبيل وكلهم عارف ان بحثهم المذكور اذا سُلّم الى همَّة الإجراء ينجم عنهُ فوائد لهم وللبلاد وتهتزُّ رفات الشاعر طربًا بصحَّة قولهِ: « بأبيهِ اقتدى » فضلًا عن ان هذا العمل الخطير لا يقتضي منهم نفقة كبيرة واكثر ما ينبغي لهُ موجود يتمكَّنون بهِ من اقامة مدرسة دونها سائر المدارس في هذه البلاد

١٩ً نحو سنة ١٧٩٠ بنى المشايخ بنو قانصوه فيّاض الخازن كنيسة السيدة في المحل المسمى عين شقيف في قرية وطى الجوز واتبعوها الاملاك الخاصة بديرهم بقلوش

٢٠ً في مبتدإ القرن التابع بُعيد سنة ١٨٠٠ بنى المشايخ سلالة ابي قانصوه فيّاض الخازن كنيسة القديس انطونيوس البادوي في مزرعة عين التنور التابعة قرية ميروبا في املاك ديرهم بقلوش اتماماً لوصية واقفهِ نسيبهم الشيخ ميلان ضرغام الخازن

٢١ً قريباً من التاريخ المذكور بنى المشايخ بنو كسروان الخازن كنيسة السيدة العذراء في قرية النقاش

٢٢ً وبعدها بنى المشايخ اولاد ابي ناصيف خازن الخازن كنيسة القديس شليطا في قرية فاريّا

٢٣ً سنة ١٨٣١ وقفت السيدتان زياره امّ الشيخ بشارة جفال الخازن وبادوانية شقيقته دارهما في زوق ميكائيل وجميع نصيبهما من تركتهِ الواسعة في البـــلاد ديرًا للراهبات باسم دير البشارة واتبع راهباتهُ قانون زيارة مريم العذراء. امَّا الشيخ بشارة المشار اليهِ الذي كان هذا الديرِ الكبير بيتهُ فانهُ يستحق ان تُنشَر ترجمتهُ على الملا لما في سيرتهِ من الحوادث المهمّة التي فيها تُعرف اقدار الرجال وتؤهلهُ لان يُعدّ في جمـــلة عظماء الاقوام وليست شقيقتهُ باقلّ كمالًا منـــهُ فانَّهما ماتا ولم يزل الى اليوم ذكرهما حيًّا شريفًا مكرَّمًا

٢٤ً سنة ١٨٨٧ بنى الشيخ ضاهر بن منصور ابرهيم الخازن معبـــدًا على اسم القديس الفونس في قرية فاريّا وجهَّزهُ من مالهِ وحبس عليهِ قطعـــةً من املاكهِ قيامًا بقداس دائم لاجلهِ

٢٥ً سنة ١٨٩٣ انشأ الدكتور الشيخ سجعان بن مارون ابرهيم الخازن كنيسةً على اسم سيدة لورد في قرية ريفون وفيها مدفن ابن عمـــهِ المرحوم ضاهر السابق الذكر الذي وقف عليها في حياتهِ المفعمة فضلًا وصلاحًا قسمًا من املاكهِ يكفي لدوام كفايتها مقتضياتها ونفقة كاهن يقدّم فيها دائمًا الذبيحة الالهيَّة عن روحهِ

٢٦ً سنة ١٨٩٧ اتمّ الكونت حصن الخازن والمونسنيور يوسف شرف الخـــازن بناء كنيسة القديس انطونيوس البادوي في قرية درعون وجهَّزاها من مالهما وكان البادئ بتأسيسها سنة ١٧٥٢ الشيخ نوفل الخازن رابع قناصل دولة فرنسة من هذه العائلة في



صورة غبطة السيد يوسف الخازن
بطريرك انطاكية على الموارنة (١٨٤٥ — ١٨٥٤)

بيروت ومات سنة ١٧٥٣ قبل ان يرتفع البناء عن اركانها وتُركت هكذا الى ان تمَّ انشاؤها في السنة المذكورة

٢٧ً في مزرعة عين الريحانة فوق عين طورا كنيسة على اسم سيدة البشارة في ملك الشيخ يوسف عبَّاس شيبان الخازن ابتدأ بنائها الخوري طوبيًّا الخازن منذ نحو ٤٠ سنة ولم تزل غير متمَّمة الى اليوم (١

وللعائلة الخازنيَّة اوقاف خاصَّة غير المذكورة في هذه النبذة منها قديمة ومنها حديثة لم اذكرها هنا اولًا لان اكثرها غير تابع اماكن جامعة كالاديار والكنائس التي التزمتُ

---

١) سنة ١٦٨١ في ١٥ أيَّار كان تكريس دير القديسين سركيس وباخوس في قرية ريفون كما جاء في الحجَّة المحفوظة بخط الشيخ ابي قانصوه فيَّاض ابن ابي نوفل الخازن وهي مذيَّلة بامضائهِ وختمهِ وبها يحفظ الولاية على الدير لذاتهِ ولابكار سلالتهِ من بعدهِ وقد حكم لعائلتهِ مجمع اللويزة سنة ١٨١٨ واثبت احكامهُ الجمع المقدس في ٢٥ آذار سنة ١٨١٩ ثم اثبتها البابا بيوس السابع ببراءتهِ المؤرخة في ٢٥ ايَّار سنة ١٨١٩ — وبعد ذلك اختصمت عائلتا الخازن ومبارك على هذا الدير فحكم للثانية به السيد يوحنَّا بطرس لوزانا القاصد الرسولي باعلام منهُ مؤرخ في ١٢ اب سنة ١٨٣٣ مذيَّل بامضائهِ وختمهِ ومفهومهُ نصُّ كتاب ورد اليهِ جوابًا من رئيس الجمع المقدس بهذا الشان — ولم يزل الدير بولاية هذه العائلة وما برحت دعواهُ في مراجعها ولهــذا لم اعدَّهُ هنا في جملة الاوقاف المار تفصيلها بل ذكرتهُ منفردًا في ذيل هذه الرسالة

ومثلهُ دير القديس روحانا في المحل المسمى البقيعة في قرية عرامون والمشهور ان بانيه المطران جرمانوس الخازن ابن الشيخ رامح بن حيدر الخازن. ولاولاد الشيخ كنعان عبود الخازن حجج واوراق اودعوها الكرسي البطريركي الماروني تثبت ولايتهم الارثيَّة على هــذا الدير ولديهم ايضًا رسائل كثيرة من المطران سمعان زوين تشهد بما تقدَّم.— وقد تولَّاهُ بعــد المطران جرمانوس المذكور البطريرك طوبيًّا الخازن مذ كان قسًّا وقد مرَّ ذكرهُ في هــذه المقالة — وبين المشايخ المذكورين وعائلة زوين متولية الدير دعوى قديمة عليه لم تزل في مراجعها (*

اقول وعائلتا مبارك وزوين المنوَّه بها من العيال ذات الايادي الجميلة على الطائفــة ويفتخر ماضيهــا وحاضرها بمن قام منهما من الاحبار الاجلاء في عالم رئاستها وبمن فيهما اليوم من الكهنة الافاضل الغُيُر ذوي المآثر الجليلة والصفات الممتازة تقىً وعلمًا وادبًا وكفى بها فضلًا ان الاولى منهما جعلت الدير المذكور في ريفون مدرسةً بطريركيَّة لفائدة الملَّة في الدين والثانية اقامت على الهمَّة بانجاح مدرستها في غزير وفيها مصلحة للطائفة في الدنيا

---

*) وقد قرأنا في اعمال مجمع اللويزة سنة ١٨١٨ انَّ الاباء قد حكموا لعائلة زوين المعتبرة بحقوق التولّي على دير مار روحانا المذكور وبلغنا ان الجمع المقدس اثبت هذا الحكم عن يد القاصد الرسولي لودوفيكوس بيباني. وقرأنا ايضًا مثل ذلك بخصوص دير ريفون (المشرق)

ذكرها دون ما يتبعها فرارًا من التطويل . ثانيًا لانها ليست موقوفة على البرّ . ثالثًا لانها محبوسة العين فقط ويتصرَّف ذرّيَّة الواقفين وورَثتهم بمنفعتها تبعاً لشريعة الارث ولا تنصرف الى الخير المؤبد الَّا بعد انقطاع كل ذي حق شرعي بها . رابعاً لان بعضها ولئن كان وقفاً خيريًا نافذًا الَّا انهُ تابع بعض الاماكن التي عدَّدتها

فيكون مجموع اوقاف العائلة الخازنيّة على ذاتها ٢٧ مقاماً منها ٦ اديار و٢١ كنيسة هذه هي الاماكن التي خصَّصت بها ذاتها العائلة الخازنية ولم اذكر معها الاملاك الموقوفة عليها لانها كثيرة تقتضي بحثًا طويلًا ساعود اليهِ عند الاماكن

فينتج ممَّا تقدَّم ان العائلة الخازنيَّة تتمكَّن من تحويل هذه الاوقاف او بعضها الى محلّ آخر ذي خير اعظم وفائدة كبرى بدون ان تخالف بذلك نيَّة الواقفين كاقامة الملاجئ وفقها الله مع كل مفيد وصالح

الاجسام المشعَّة وعنصر الراديوم

للاب ر. ش. اليسوعي

في اواسط سنة ١٨٧٤ كان المعلم كروكس (Crookes) اجاز في انبوبةٍ مفرغة من الهواء مجرًى كهربائيًّا من ملفّ رومكورف فرأى الانبوب مضيئًا بنور الكهرباء ثمَّ لحظ انَّ من القطب السلبي او الراتينجيّ تشعُّ ضياء مستقيمة الاشعَّة تمسُّ الاجساد كالزجاج مثلًا وتجعلها مشعَّة فدُعيت هذه الاشعة كاثوديَّة نسبةً الى القطب السلبي المعروف بالكاثود (cathode) . واكتشف الطبيعي ليِنَرْد (Lénard) ان هذه الاشعة الكاثوديَّة تنفذ في صفيحة من معدن الالومينيوم

ولمَّا كانت السنة ١٨٩٦ ارشد الله الدكتور رُنتجن استاذ الطبيعيَّات في كليَّة ڤرسبورغ الى اكتشاف اعظم واهمّ من السابق فانَّهُ عمد الى زجاجة كروكس ولفَّها بورق اسود وجعلها على صفيحة مهيَّأة للتصوير الفوتوغرافي فوجد ان الاشعة الكاثوديَّة صنعت ما لم تصنعهُ اشعَّة الشمس اي انها نفذت وراء الورق الاسود واثَّرت في الصفيحة الفوتوغرافيَّة. فواصل رنتجن اختباراتهِ فتحقق انَّ هذه الاشعة التي دعاها الاشعة المجهولة

(rayons x) تنفذ في الاجسام المصمتة كالخشب والكتب الضخمة واللحم لكنها لم تنفذ في العظام والمعادن ولذلك تمكّن من رسم صورة عظام اليد في وسط لحمها وصورة المعادن في خزائنها والرصاص او الابر النافذة في جسم الانسان الخ فكان لهذا الاكتشاف دويٌّ عظيم في عالم العلم وما لبثت هذه الاشعة ان دخلت في طور العمل فالتجأ اليها خصوصاً ارباب الطب والجراحة فنالوا بواسطتها ما لم تبلغ اليهِ آمالهم السابقة

*

لكنَّ هذا الاكتشاف لم يكن الّا توطئةً لاكتشافات اخرى عجيبة اورثها القرن التاسع عشر خلَفهُ القرن العشرين نعني بذلك اكتشاف الاجسام المشعَّة نخصُّ منها بالذكر عنصر الراديوم

قلنا ان الاشعة الكاثوديَّة اذا مسَّت الزجاجة اضاءتها وجعلتها مشعَّةً. لكن هنا مشكلًا أيًّا تُرى هل يكون مصدر هذه الاشعَّة من الكهرباء او من الزجاج المُشعّ. فبحث العلماء عن ذلك منهم الفرنسويّ پوانكاره (Poincaré) فادَّت بهِ الحاثَّةُ الى ان تحقق صدور اشعَّة رنتجن من الزجاج نفسهِ وذلك عند صيرورتهِ مشعًّا

ولكن اذا صحَّ ذلك ألا يمكن القول بانَّ الاجسام المشعَّة تبعث اشعةً كاثوديَّة كاشعَّة رنتجن مهما كان مصدر تشعشعها سواءٌ صدر من الكهرباء او من عناصرها الخاصَّة

فاخذ المسيو بكريل (H. Becquerel) احد اعضاء المكتب العلمي في باريس يكرّر الاختبارات في ذلك حتى هداهُ الله الى الاطّلاع على حقيقة الامر في ٢٤ شباط من سنة ١٨٩٦ فاكتشف انَّ هذا التشعشع يتمُّ دون توسّط مصدر منير تضيءُ بهِ هذه الاجسام. وهاك بيان الامر

كان المسيو بكريل غلّف صفيحةً فوتوغرافيَّة مهيَّأة بالجلاتين والبرومور بغلافين سميكين من الورق الاسود ثم جعل فوقهما صفيحةً اخرى من البلّور المركَّب من مزيج الكبريت والاورانيوم والبوتاسيوم ثمَّ عرض ذلك لنور الشمس مدَّة بضع ساعات. فلمَّا اخرج الصفيحة الفوتوغرافية وجدها متأثِّرة باشعَّة المزيج الذي كان نفذ الغلافين. فجدَّد الاختبار ووضع بدلًا من الورق الاسود صفائح معدنيَّة رقيقة من الالومينيوم او

النحاس فحصلت النتيجة ذاتها فان اشعَّة المزيج كانت خرقت هذه الحواجز واثَّرت في الصفيحة الفوتغرافيَّة

وبعد ايَّام قلائل كان المسيو بكريل يريد تكرار هذه الامتحانات فاعدَّ الجهاز الفوتغرافي على الصورة السابقة ليعرضهُ في وجه الشمس وهو يظنّ انَّ سلفات الالومينيوم يحتاج الى نورها ليصير مشعًّا فترتسم الصور بهذه الواسطة في الصفيحة الفوتغرافية. لكن الشمس كانت في ذلك اليوم محجوبةً في باريس بغيوم كثيفة وبقيت على ذلك ثلاثة ايَّام فلم يمكن المسيو بكريل ان يعرض جهازهُ للنور فابقاهُ في خزانة مظلمة. فلمَّا عيل صبرهُ لعدم بزوغ الشمس اخذ الصفيحة الفوتوغرافية فاظهرها على الطريقة المعلومة لعلَّهُ يجد فيها تأثيرًا ضعيفًا فما اعظم ما كان اندهالهُ اذ رأى الصورة مرسومةً على الصفيحة رسمًا بليغًا فتحقق انَّ التشعشع يأتي بعملهِ دون نور الشمس بل في الظلمة التامَّة. فدعا هذه الاشعَّة الاورانية (rayons uraniques) ودعاها غيرهُ باشعة بكريل. فاسرع المكتشف وقابل بين خواصها وخواص اشعة رنتجن فوجدها شبيهة بهـا من وجوهٍ عديدة لاسيما بخاصيَّتها المفرزة لها بان تُفرغ الاجسام المكهربة من كهربائيَّتها. فان المسيو بكريل جعل قرب آلة الالكتروسكوب بعد تعبية صفيحتيهِ الذهبيَّتـين بالكهرباء قطعةً من ملح الاورانيوم فما لبثت الصفيحتان بعد ثلاث ساعات ان فقدتا كهربائيَّتهما مع انَّهما عادةً تحفظان هذه الكهربائية مدَّة اشهر متوالية. لكنهُ وجد اختلافًا بين اشعَّتهِ واشعة رنتجن بحيث تمكَّن بها ان يخرق بعض المعادن كالنحاس والپلاتين وهذا ممَّا لم ينلهُ رنتجن باشعتهِ. ثمَّ انهُ تحقق انَّ الاورانيوم سواء جُعل متشعشعًا او لم يُجعل يشعُّ بنفسهِ فتنفذ اشعَّتهُ وراء الاجسام الصلبة. وهـذا يصحُّ في الاورانيوم الخالص وفي مركَّباتهِ الملحيَّة. لكن للاورانيوم الخالص قوَّةٌ اعظم من هذه المركَّبات

والاورانيوم المذكور احد العناصر الركنيَّة التي لم تُعرف خواصها الَّا من سنين قليلة واول ما عُرف منهُ مركَّبهُ أكسيد الاورانيوم او البكبلَند (pechblende) يعدّنهُ اهل بوهيمية من اعمال النمسا. وقد قوي المسيو موسان من استخلاصه محضًا صرفًا منذ ست سنوات فقط. فامكن المسيو بكريل ان يتخذ منهُ قرصًا معدنيًّا خالصًا جعلهُ موضوع اختباراتهِ فاستدلَّ على ان مصدر التشعشع هو في نفس المعدن لا يفقد من قوَّتهِ بطول الزمن الَّا ما لا يُعبأ بهِ. وحتى الآن ترى فعلهُ في الاجسام الصلبة كما كانت قبل ست

سنوات. امَّا كُنه هذه الاشعة الغريبة فلم يزل العلماء يجهلونهُ كما جهلوا اشعَّة رنتجن فدعوها لذلك الاشعَّة المجهولة

*

لم يمرّ على هذا الاكتشاف العجيب سنتان حتى افاد المسيو شميت (G. C. Schmidt) جمعيَّةَ العلوم الطبيعيَّة في برلين انَّ معدنًا آخر غير الاورانيوم قد خصَّهُ الله بمثل خواصّهِ من حيث قوَّتهِ المشعشعة وهو عنصر التوريوم (thorium) الذي منهُ يتخذ أورّ (Auer) غلافهُ المتشعشع لصباحهِ المعروف باسمهِ (bec Auer). وهذه القوَّة تلوح في التوريوم وفي مركَّباتهِ ايضًا

واعجب من هذين المعدنين اكتشاف معدن ثالث خُصّ مثلهما بخواصّ شبيهة باشعَّة رنتجن غير ان قوَّة نورهِ النافذه تفوقهما فواقًا عظيمًا نريد معدن الراديوم. والفضل في ذلك لاحد العلماء الفرنسيين المسيو كوري (Curie) ولقرينتـهِ سكلودُفسكا البولونيَّة الاصل فانهما بعد ان وقفا على اعمال المسيو بكريل عمدا الى المعادن النادرة كالغاليوم والجرمانيوم والتوريوم والنيوبيوم والروبيديوم وعناصر اخرى عديدة منها البولونيوم الذي اكتشفاهُ سابقًا لعلهما يجدان في هذه الاركان خواص الاشعَّة الاورانيَّة فلم يخب رجاؤهما ووجدا لبعض هذه المعادن وخصوصًا للبولونيوم قوَّة مشعَّة كالاورانيوم الَّا انَّ قدرها يختلف باختلاف الاجسام. وكذلك عرفا للتوريوم خواصَّهُ كالمسيو شميت دون ان يعلما بالاختبارات التي اجراها هذا الاستاذ قبلهما بشهرين فقط

لكنَّ الاكتشاف العظيم الذي وفَّق الله اليهِ المسيو كوري وحليلتهُ هو افرازهما للراديوم. وذلك انهما اتخذا بعض مركَّبات الاورانيوم فوجدا لها قوَّة مشعَّة غريبـةً حمَلتهما على ان ينسباها الى عنصر آخر يختلف عن عنصر الاورانيوم. وظهر لهما ذلك خصوصًا في البكبلند الذي يُستخرج من بلدتي جوهَنجُرجنستات ويواكيمستات في بوهيمية. فجعلا يحلِّلان هذا المركَّب رجاء ان يكتشفا في تركيبهِ معدنًا مجهولًا يكون هو مصدر هذه القوَّة المشعَّة فاستعانا بالطيف الشمسيّ والمحلّلات الكيمويَّة القويَّة وضروب التصفية ولم يزالا في جدّ وكدّ دون ان يثني عزمهما ملل حتى كلّل النجاح مساعيهما واستخلصا بعد الجهد الجهيد من احمال ضخمة من البكبلند كميَّةً صغرى من معدن لا يزال ممزوجًا بالباريوم او بالكلور لكنَّهُ مختلف عنهمـا دعاهُ

المكتشفان راديوم (اي الشعاع) وهو اسمٌ يطابق مسمَّاهُ مطابقةً تامَّة كما سترى

للراديوم خواصّ طبيعيَّة وكياويَّة تحيّر العقل وتأخذ بمجامع الفهم. اوَّلها انَّ قوتهُ المشعَّة تُربي على قوَّة الاورانيوم بنحو ١٠٠,٠٠٠ مرَّة. وشعاعهُ ينفذ في الجوّ فيعمل على مسافة متر وازيد. واذا وقع على جسم صلب اخترقهُ. وان جُعل فوق صفيحة فوتوغرافيَّة اثَّر فيها في ٣٠ ثانية تأثيرًا لم يُنل بالاورانيوم والتوريوم ببضعة ايام. وكذلك اذا جاور الراديوم بعض الاجسام جعلها مشعَّةً كما تفعل اشعة رنتجن في الزجاج

واغرب من ذلك انَّ الراديوم اذا شعَّ اثار دقائقَ عنصرهِ فجعلها مشعَّةً بذاتها ليس كالموادّ الفسفوريَّة التي ينبعث الشعاع من سطحها كأنَّها تعكس الضياء التي اختزنتها سابقًا امَّا الراديوم فكل دقائقهِ مضيئة منيرة بنفسها تسطع بسطوع بعضها كأنَّها جمرةُ النار المتَّقدة

واذا اخذت ملحًا مركَّبًا من الراديوم وكلورور الباريوم او بروموم الباريوم ومنعت عنهُ تأثير الرطوبة ثمَّ جعلتهُ في انبوب مُحكم السدّ وجدت انَّ هذا المركَّب يُضيء في الظلمة بنورٍ لامع كافٍ لقراءة المطبوعات بل يظهر هذا النور في ضوء النهار اذا كان ضعيفًا ولا يغلبهُ الَّا نور الشمس

وممَّا يزيد المعتبرين عجبًا انَّ هذه الانوار تشعر بها العين المطبقة وذلك ان تجعل الانسان في الظلمة مطبقًا جفنَيهِ فاذا قرَّبت منهُ امَّا بازاء العين وامَّا على صدغهِ احد مركَّبات الراديوم شعرت العين بضوء غريب وانَّ ذلك الَّا اشعَّة هذه العناصر تنفذ في اللحم والعظم فتجعل رطوبة العين مشعَّةً وهذا التشعشُع يحسُّ بهِ النظر

ولنور هذه الاجسام قوّة هائلة ومفاعيل مضرَّة المَّ يتداركها المختبر. فان المسيو بكريل كان جعل في جيب صدرتهِ انبوبًا مختومًا فيهِ شيء قليل من مركَّب الراديوم وكان الانبوب ملفوفًا وموضوعًا في علبة من المقوَّى (كرتون) فبقي في جيبهِ نحو ست ساعات باوقات غير متواصلة. فنفذت هذه الاشعَّة الى صدرهِ وحصل على الجلد بعد عشرة ايَّام احمرارٍ عقبهُ جرح بليغ لم يبرأ تمامًا بعد شهر من العلاج

ومن مفاعيل الراديوم انهُ يؤثّر في بعض الاجسام فيغيّر خواصّها من ذلك انَّهُ يغيّر الفسفور الابيض الى فسفور احمر ولكلّ منهما كما لا يخفى خواصّ مختلفة

ومنها ايضًا انهُ يعمل في اوكسيجين الهواء ويبدلهُ بالاوزون بوقت قليل وهذا من

اعظم الفاعيل الكيموية التي لم يتصل اليها العلماء الَّا بالعوامل الشديدة القوَّة وكذلك يوثّر الراديوم في الزجاج والاواني الصينيَّة فيحلّلها. وقد لحظ المسيو بكريل موخرًا ان جوار الراديوم وحدهُ يكفي لتحليـــل بعض الاجسام كالحامض اليوديك او الازوتيك وتغيير الفسفور. ومن اختباراتهِ انهُ القى هـــذه الانوار على البذور فصارت بعد ايَّام قليلة عقيمةً لا تأتي بثمر

وممَّا يجدر بالملاحظة انَّ المغناطيس اذا أُثير بالفرك عمل في اشعَّة الراديوم وهو لا يعمل باشعة الشَّمس. فاذا ادنيتَ قطعةً من المغناطيس الى الراديوم رأيت اشعَّتهُ تنحرف عن خطّها المستقيم فتلتوي منتشرةً ذات اليمين وذات الشمال على مثال الريح الشَّديدة التي تميل بالمطر عن سواء خطّهِ فتدفعهُ الى جهات شتى. لكنَّ هذا الانحراف لا يجري سوى في قسمٍ من هذه الاشعَّة وهي الاشعَّة البعيدة المدى الشَّديدة الفعل امَّا الضعيفة منهـــا القليلة الانتشار فلا عمل للمغناطيس فيها بل يَمتصُّها الهواء قريبًا من مصدرها فتُحجب عن العيان بخلاف الاشعة الشَّديدة التي لا تتضعضع في الهواء الَّا على مسافة بعيدة

ومنذ عهد قريب في غرَّة سنة ١٩٠٠ وجد المسيو كوري وقرينتـــهُ خاصَّةً اخرى للراديوم وهو انهُ يكهرب الاجسام التي تُصيبها اشعَّتهُ. وقد اختبرا ذلك في قفص من الزجاج أُفرغ هواوهُ فانفذا اشعَّة الراديوم في البارافين (paraffine) ومنها الى صفيحة معدنيَّة فلحظا ان المعدن تكهرب بالكهرباء السلبيَّة دون ان تتكهرب البارافين. وكان المسيو بارين (Perrin) قد اثبت لاشعَّة رنتجن مثل هذا العمل سنة ١٨٩٧ فظهر انَّ من هذا القبيل ايضًا تشابهًا بين الاشعَّة الكاثوديَّة واشعَّة الراديوم وهي نتيجة غايةً في الاهميَّة نبَّهت العلماء الى امر جهلوهُ سابقًا وهو انتقال دقائق النور في وسط الحواجز التي تحول دونها الى اجسام اخرى توثّر فيها بقوَّتها وذلك ممَّا يبيّن انَّ انتشار نور هذه الاجسام ليس هو فقط كالامواج المتدفّقة من المصدر المنير في الجوّ والعناصر المشعَّة لكنهُ ايضًا انبعاث شيء من هذه الدقائق المنيرة التي تخرج من الجسم فتنتقل الى اجسام أُخرى بعيـــدة. وهذا الاكتشاف من شأنهِ ان يحقّق قول العلَّامة نيوتن في كيفيَّـــة انتشار النور وكان العلماء حتى الآن اهملوهُ وارتأوا انَّ النور ينتشر كتموُّجات مضيئـــة وسط الهواء كما يتموَّج الصوت اذا صدر من فم الناطق او كما ترى دوائر الماء اذا أَلقيت فيهِ حجرًا

ولكن اذا ثبت ذلك اعني انَّ دقائق الراديوم تصدر منهُ لتنتقل في الجو الى اجسام

أخرى تضيئها أفلا تفنى هذه الدقائق والعنصر الذي منهُ تنبعث ؟ هذا سوءال اجاب عنهُ المسيو كوري والمسيو بكِريل فانهما بعد الاختبارات المتعـددة وجدا ان دقائق الراديوم المنبعثة منهُ تنقص حقيقةً جرمَهُ لكنَّ هذا النقصان لا يُكترث لهُ فانَّ ما يذهب منهُ بانتشار دقائقهِ لا يتجاوز الدِسغرام في الف الف سنة اعني انهُ يفقد في هـذه القرون العديدة ما لا يربي على كبر حبَّة القمح

فترى مماً تقدَّم ما في وجود الاجسام المشعَّة عموماً والراديوم خصوصاً من العجائب التي تدهش العقول وتفتن الالباب. وكل هذه الاكتشافات قد ظهرت في كميَّة صغرى من مركَّب الراديوم فاذا ما تمكَّن العلماء من استخلاص قدر كبير منـهُ وافرازهِ من هذه المركَّبات لا ريب في انَّهم يجدون ما هو اعظم من ذلك ويُجلون الحقيقة عن عدَّة امور مكنونة فيميطون عنها الاستار التي حجبتها حتى الآن. فيا ليت شعري كيف ينكر الملحدون بعد ذلك وجود الخالق ويُعمون بصـائرهم دون نظر اعمالهِ. افلا يسوغ تكرار قول الشاعر:

فيا عجبًا كيف يعصي الالـه ام كيف يجحدهُ الجاحدُ
وفي كلّ شيء لهُ آيةٌ تدلُّ على انـهُ الواحدُ
وللهِ في كلّ تحريكةٍ وتسكينةٍ في الورى شاهدُ (١

حبيس بحيرة قدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

فلمَّا دخلت راحيل الى الكنيسة السابق ذكرها سارت بقدم مرتجفـة الى ناحية الدرابزين لعلها متى قربت من بيت القربان تصـل شكواها باوفر سرعة الى مسامع العليّ. وهناك خرَّت على ركبتيها وبعد ان صلَّت مدة بدموع حارة رفعت عينيها فشاهدت

---

١) قد اخذنا كثيرًا من هـذه الفوائد من مقالات المسيو بكريل والمسيو كوري المثبتة في الكتاب المعنون Rapports présentés au Congrés international de Physique réuni à Paris en 1900 (T. III, 47-115). وراجع ايضاً في مجلة الابحاث مقالةً حسنة للاب يوسف دي جوانّيس اليسوعي Etudes, 5 *Janvier* 1902, pp. 96-121

على الدرابزين صورةً تمثل نزاع السيد المخلص في بستان الزيتون وذراعاهُ مبسوطتان ووجههُ كئيب وعيناهُ مرتفعتان الى العلى وكانت الصورة صُنع مصوّر ماهر فتخيّلت راحيل حالما وقع بصرها عليها ان المخلص يتلفَّظ بهـذه الكلمات: «الهي الهي لماذا تركتني» فاخذت هي تهتف وتقول:

الهي لماذا تركتني؟ الهي لماذا سمحت للمحبة ان تعظم في قلبي مع معرفتك بانها ستصير لي آلة عذاب وألم؟... مولاي اني لا افهم ولا اعقـل وانّى لخليقةٍ حقيرةٍ نظيري ان تحكم على عنايتك المسجود لها. ولكن اسأَلك ان تشفق على ضعفي. اشفق ايضاً على زين زوجي الذي لا ازال احبُهُ.. ارثِ لانفراد قلبينا... واذا اردتَ فانت قادر على كل شيء....

وكانت العتمة تزيد كثافةً في الكنيسة ولم يكن سوى الصدى من مجيب لشكوى تلك القرينة المهملة التي اخذت بعد ذلك تتوسَّل الى ربها قائلة:

«ألا تجاوبني يا ربي؟ كلاً انهُ لمن المحال ان تستعمل قدرتك لتعذيب خلائقك لانك قد احتملت العذاب من اجل الكل.. الهي دع بوارق الامل تومض في سمائي. الهي كما كان الاعلاَّء ينطرحون على قدميك في ايَّام حياتك الطبيعيَّة طالبـين منك البرء والشفاء هكذا انا ايضاً اتقدَّم اليك منسحقةً ذليلةً. لست انا شيئاً وانت كل شيء. أما انت القائل: «تعالوا اليَّ جميعاً ايها المتعبون وانا أريحكم» فانا بالاعتماد على كلامك قد جئت منطرحةً في هيكلك... وانت فاحص القلوب تعلم كم أقاسي من العذاب وتعرف ان قلبي الذليل بريء من الارجاس التي لاجلها يكابد... كانت والدتي في ايام طفوليَّتي تعلِّمني ان اضمَّ يديَّ الصغيرتين امامك وتقول لي انك «رب رؤوف رحيم» وهذا اول وصف عرفتك بهِ وهو الكمال الوحيد الذي اريد ان اعلمهُ منك... رُحماك رُحماك... أجبني يا الهي...»

غير ان السيد المسيح ابى في تلك الساعة ان يخفض بصرهُ حنوًّا على الخليقة الضعيفة المتحنية عند قدميهِ. وتلك الصورة الفاقدة الحس المتعودة من ادهار واجيال مشاهدة احزان البشر واوجاعهم سمعت صراخ راحيل الذي انطقها بهِ عظم شقائها فلم تتحرَّك بالشفقة عليها

ولكن يا تُرى هل كفَّ المسيح عن ان يكون هو المسيح. وهل غشَّنا الانجيل لمَّا

مثّل المخلّص باكياً مع الحزانى متشفقاً على الجموع ومشاركاً احباءهُ في اوجاعهم. لا لعمري لكنَّ الساعة لم تأتِ بعد لنجاتها فعند ذلك هتفت تلك المسكينة صارخةً باعلى صوتها:

لقد انكسر قلبي يا ربي والهي فلماذا لا تجاوبني ؟

وكانت الظلمة والوحشة تزيدان في الكنيسة وما كانت راحيل تسمع فيها غير صدى تنهُّداتها مع زفير خفيف من المصابيح الموقدة امام الهيكل فخرجت كئيبة يئسة دون ان تسمع كلمة تعزيها في مصابها او تُشعر بالشفقة على شقائها. ومع انها كانت قد وعدت الحبيس بان تعود اليهِ في آخر الشهر لتخبرهُ عن حالها استقرَّت في مكانها وكانت تقول في نفسها : ماذا يجديني السفر الى الحبيس وقد اهملني الخالق اهمالًا نهائياً. ولذلك خالجها الريب في كل شيء. وعدمت ما كان لها من الثقة في الله تعالى وفي الاب يوحنا... وكثيرًا ما كانت تتوهَّم انَّ الحبيس استهزأ بها فسلّاها بتسلية باطلةٍ. وعلى ذلك فكان وجعها عظيمًا وشعورها بان الله والناس اهملوها كان يزيدهُ شدَّةً والمًا

وكان زين قد سافر بغتةً الى بشرَّاي قائلًا ان غيبتهُ عن البترون تطول عدَّة اسابيع. وكان قبل ذلك بعدّةٍ قد اخذ يُكثر من الاسفار ويستثقل الاقامة في البترون بعُشرة قرينتهِ. وكان اقل الاسباب يحملهُ على السفر فتارةً كان يخرج للصيد وحيناً لزيارة بعض المقدَّمين رصفائهِ وآخر لتفقد املاكهِ واراضيهِ. وكان في اكثر اسفارهِ يستصحب موسى خادم راحيل ويظهر لهُ ثقة غير اعتيادية. ولمعرفتهِ بمحبة الخادم المذكور للاب يوحنا كان كثيرًا ما يحدّثهُ عنهُ وبهذه الوسيلة علم منهُ ان الاب المذكور محبوس في جزيرة بحيرة قدَس. وفي احدى المرات اتفق لموسى على غير انتباه ان اخبر مولاه بزيارتهِ للحبيس السابق ذكرهُ . امَّا زين فتظاهر بعدم الانتباه للخبر ولكنهُ اضمر انهُ سيعود مرَّةً اخرى لمحادثتهِ في هذا الامر

وكان الاضطراب والقلق قد بدأا في مخالجة هذه النفس الشريفة التي ضلَّت حيناً في سبيل محبةٍ اصبحت الآن تحمرُّ منها خجلًا. وهكذا اخذ زين يلوم نفسهُ على سابق سلوكهِ الملتوي مع قرينتهِ. ولرغبتهِ في التخلّص من تبكيت الضمير كان يطلب وجوهاً للتسلية مبتعداً عن البترون حتى لا تتجدَّد اسباب التوبيخ الباطن بدوام مشاهدتهِ لتلك

القرينة الصالحة وعلى ذلك فقد كان يقاسي امرَّ العذاب في داخلهِ ولو انهُ كان يجتهد كل الاجتهاد في ابعاد الافكار المقلقة عن حالهِ

كذلك حنة تلك الصبيّة النقيَّة والخالية من الغش اخذت هي ايضاً تفتح عينيها وتنتبه لما يجري حولها من الحوادث. فقد كانت حتى هذا الوقت تقبل من صهرها البشاشة والاكرام والمؤانسة بكل سلامة ضمير ولم تكن ترى في شيء من ذلك شرًّا. ومن كانت نيَّاتهُ قويمةً لا يرى سبباً لاساءة الظن في نيَّات الغير . وقصارى القول ان هذه الابنة الطاهرة كانت من السن في اضيق مدَّاتهِ واحوجها تنظر الى المستقبل بثقةٍ ورجاء كأنَّ المستقبل بيدها ويحملها خلوّها من التجربة والاختبار على ان تأْتي احياناً ما يخالف الفطنة والحكمة. وبالنظر الى اطمئنان ضميرها وغبطة باطنها كانت تتعجَّب ممَّا تشاهد حولها من اسباب الانزعاج والضيق وممَّا تقف عليهِ عند كل خطوةٍ من الاحزان والاكدار التي لم تكن تعرف لها علَّةً

وفي ذات يوم دخلت بغتةً على شقيقتها فرأتها تبكي بدموع سخينة وتضمُّ طفلها الى صدرها وتقبّلهُ بحنوّ وانعطاف والدي وهي تقول: « يا كنزي ويا عزائي الوحيد عند ما يهملني ابوك ! ايها الملاك النقي ليس في وسعك ان تعلم بما تقاسي امك من العذاب ! »

فتأثرت حنة شفقةً على اختها واستفهمتها عن اسباب حزنها. وكانت راحيل قد اوشكت ان تبوح بسرّها وتعترف بانها غَيْرى. وممَّن ؟ من شقيقتها... وقالت في ذاتها: ماذا يجديها قهر النفس والاصرار على الكتمان بعد ان سألتها هذه الشقيقة ؟ أما يحق لها بل يجب عليها ان تجاوبها وتنبهها الى خطائها ؟ ولكن اين تذهب وُعودُها للاب يوحنَّا ؟ وهل تقدر ان تبوح بشيء يُنزل الغمَّ الشديد بل الموت بعينهِ على قلب شقيقةٍ تعرف هي سلامة سريرتها وطهارة ضميرها ؟

على انَّ من كانت طباعهُ كطباع راحيل قد تشربت حزماً ودرايةً يكون طرح هذه الاسئلة عليهِ بمنزلة حلّ مبرم. ومن ثمَّ كتمت ما في نفسها واجابت جواباً مبهماً ولكنهُ مع غموضهِ ايقظ انتباه شقيقتها. فشعرت هذه كأنَّ حجاباً كثيفاً قد تمزَّق عن بصرها وعلمت ان اختها صارت منزعجةً من وجودها وغائرةً منها فقلقت لهذا الامر جدًّا ولامت نفسها كل اللوم على كونها صارت سبباً للنكد في البيت الذي اضافها وعلةً

لشقاء شقيقةٍ تحبها كثيرًا فعزمت ان تزايل البترون في اقرب فرصةٍ تتسنَّى لها

وفي تلك الاثناء كان اخوها الارشيدياقون موسى قد عاد الى طرابلس من سفرهِ لى رومية فكانت عودتهُ حجَّةً اتخذتها للسفر

غير انها ما كادت تبارح البترون حتى شعرت راحيل بسأم الانفراد فعزمت على ان تغتنم الوقت لزيارة حبيس بحيرة قدَس مرةً اخيرة . ولم تكن تقصد من هذه الزيارة ان تسألهُ نصحًا او مشورةً بل ان تودعهُ الوداع الاخير لانهـا كانت موقنةً بان ليس لشفائها من علاج

٢١

وفي ذات يوم اشتدَّ حرُّهُ بينما كانت الشمس دانيةً من الغياب خلف جبال النصيريَّة بدأت الغيوم الدكناء تتراكم في الجوّ متكاثفـةً وكان بين وقت وآخر يومض البرق وتُسمع زماجر الرعود من بعيد . وكانت الزوبعـة قد تفجَّرت وتنتشر على ظهر الجبال المقابلة للبحر واخذت تمتدّ حتى ادركت في وقت قريب ناحية حمص . وبينما كانت الرياح الشديدة في وادي النهر الكبير تثير مياه البحيرة حتى قرارها وتصدم الامواج الهائجة مكتسِرةً ايَّاها على السدّ والجزيرة شوهد قارب يسير فوق الماء مغالبًا بمشقَّة تلك الامواج المتلاطمة . وكان سطح البحيرة اذ ذاك عبارة عن مساحة فسيحة قد ابيضت كلها من الزوبعة ورشاش الماء وذاك القارب الضعيف في وسطها اشبه بنقطة سوداء ترقص على رؤوس الامواج

وكان اثنان من النوتية يتوليان هذه المرَّة قيادة القارب لان موسى الخادم صرَّح بانهُ لا يستطيع وحدهُ تغلُّبًا على الامواج ولهذا لمَّا وصل الى قرية قطينة الكائنة بقرب البحيرة ضمَّ اليهِ رفيقًا آخر بعد استئذان مولاتهِ والتأكيد لها بان المذكور من اهل الثقـة والامانة

وكان كل من النوتيَّين قد لفَّ رأسهُ بكوفية والقى على كتفيهِ عباءة لتقيـهُ من الريح ورشاش الامواج وشمَّر على ذراعهِ واقبـل على سَوق القارب بالمجاديف بهمَّة ونشاط . وكان الموج الهائج في بعض الاوقات يشتدُّ كثيرًا حتى يوشك ان يُغرق القارب الضعيف مع اولئك الثلاثة الذين حملتهم الجرأة على ركوبهِ

الَّا انهم في آخر الامر ذلَّلوا كل صعوبة اعترضتهم وانتهوا الى الجزيرة وارادوا ان

يربطوا القارب بالشاطئ فما استطاعوا نظرًا لشدَّة الزوبعة فحينئذٍ بقي موسى في القارب لاجل حراستهِ وتولت راحيل مع النوتيّ الآخر فطلعا الى الذروة التي عليها كان الاب يوحنَّا قد نصب كوخهُ

وكان الحبيس قد لحهما من بعيد فاقام ينتظرهما في منزلهِ الحقير الذي كان مُنارًا بنور ضعيف مصفرّ يختلط مع الدخان والشومار. غير انَّ راحيل كانت قد تغيَّرت كل التغيُّر بحيث يصحُّ القول انها صارت غير ما كانت عليهِ يوم وطئت قدمُها لاول مرَّة ارض الجزيرة لان ذلك الوجه الناضر انقلب ممتقعًا شاحبًا وتانك الشفتان قد تقلَّصتا من طول مدَّة النكد واحتقان الغضب وشهوة التشفِّي والانتقام وتلك النار اي نار الحياة التي كانت تجول ملتهبةً في وجنتيها وشفتيها قد انطفأت خامدةً وايَّ خمود. ولكنها مع هذا كلهِ زادت عيناها اتقادًا واشتعالًا فكانت ترسل نظرات قاسية جافية بدلًا من تلك النظرات العذبة الحلوة التي كانت لها في السابق (ستأتي البقيَّة)

يوحنَّا فم الذهب

ورئاسة بطرس وخلفائهِ على الكنيسة الجامعة

للاب اميل ريغو اليسوعي (تتمَّة لما سبق)

ان كانت الشواهد السابق ذكرها لامعةً ساطعة لا تدع للمرتاب سبيلًا للشك في انَّ الجليل بين الآباء القديس يوحنَّا فم الذهب يقرُّ برئاسة بطرس على الرسل وعلى الكنيسة قاطبةً فاننا نجد لهُ ما هو اصرح بيانًا واجلى برهانًا على هذه الحقيقة الجوهريَّة التي هي كالمحكّ تُعرف بهِ بيعة المسيح من سواها

وما هذا البرهان المذكور الَّا شرح الذهبيّ الفم على قول المسيح لبطرس في سفر يوحنَّا (٢١ : ١٥—١٧) لمَّا ظهر الرب للتلاميذ بعد قيامتهِ عند بحيرة جنَّاسر فسأل سمعان بطرس ثلاثًا ايحبهُ فكان جواب بطرس في الثلاث الدفعات: « نعم يا رب انت تعلم اني احبك » فسلَّم اليهِ المسيح ثلاث مرَّات ايضًا رعاية خرافهِ وغنمهِ بقولهِ: « ارعَ

خرافي.. ارعَ غنمي ». فليوحنا فم الذهب كلامٌ مطوّل في تفسير هذه الآية نقتصر منها على ما يأتي تعريبهُ (١:

« ما للرب قال لبطرس: ارعَ خرافي. وضرب الصفح عن بقيَّة الرسل؟ ليس ذلك الّا لان بطرس كان رسول المسيح المصطفى ولسان التلامذة ورأس الفئة الرسوليَّة ولهذا السبب انطلق اليهِ بولس ليزورهُ دون غيرهِ. ثمَّ ان الرب بتسليمهِ الى بطرس رعاية اخوتهِ أولاهُ ثقةً في المستقبل وطمَّن بالهُ عن غفران خطيئتــهِ ولذلك لا تراهُ يذكّر تلميذهُ باثمهِ لمَّا جحدهُ ثلاثًا بل يقول لهُ فقط: ان كنت تحبني كن رئيساً على اخوتك وبيّن صدق محبَّتــك نحوي بقيادتهم وابذل عن غنمي نفساً قلتَ لي انك تجعلها فداي (يوحنا ١٣: ٣٧)

فمن هذا القول يتضح انَّ الذهبيَّ فمــهُ لا يعتبر سؤال المسيح لبطرس ثلاثًا عن محبَّتهِ لهُ كتكفير عن جحودهِ المثلَّث لان هذه الخطيئة كانت غُفرت لهُ سابقًا. بل يعدّ ذلك كسبب لتوليتهِ على الكنيسة لكي يحوّل بطرس محبَّتهُ لشخص المسيح الى غنم المسيح الناطقة. وهذا الامر قد افصح عنــهُ يوحنا فم الذهب في كتابهِ عن الكهنوت حيث قال (٢: « ما للمسيح يسأل بطرس: أتحبُّني. ألعلهُ يجهل ذلك. كلاَّ ثمَّ كلاَّ وكيف يجهلهُ وهو الاله العارف بكل اسرار القلوب ومكنونات الصدور. وانَّما اراد ان يبيّن لنا كم هي عظيمة همَّتهُ بغنمهِ »

وكأني هنــا اسمع معترضاً يتصدّى لي فيقول: ان كلام المسيح لبطرس ليس هو موجباً بل شرطيًّا اذ قال لهُ: إن كنت تحبُّني فارعَ غنمي ولكن من يبرهن لنــا ان بطرس اتمَّ هذا الشرط واحبَّ حقيقةً خراف المسيح ليستوجب هــذا الشرف العظيم ويكون راعياً يتقلد شؤون القطيع باجمعهِ؟ فلندعنَّ الجواب ليوحنا فم الذهب فانهُ البحر الذي لا يُنزَف وكلامهُ يُجلي عن النفوس كلَّ شبهاتها. قال لله درهُ من قائل (٣: « من يستطيع ان يشكَّ في محبَّــة بطرس الصادقة للمسيح. ولا ارضَ بشاهد آخر سوى عنايتهِ بعبيد المسيح قياماً بقول الربّ ان كنت تحبُّني فارعَ خرافي. فلننظرنَّ اذن كيف

١) راجع ميمرهُ ٨٨ على انجيل يوحنا (طبعة غوم ٨: ٥٩٨)
٢) راجع الكتاب الثاني منهُ (غوم ١: ٤٥٤)
٣) راجع خطبتهُ في « الايَّام الاخيرة » (غوم ٦: ٣٢٤)

احبَّ بطرس غنمَ المسيح محبَّةً ملتهبــةً لتعرف بذلك محبَّتهُ لراعيها الصالح . . . » فهذا القول المسجدي قد اتبعهُ الذهبي فمُ بعدَّة براهين تبيّن اهتمام بطرس بقطيعهِ وذلك ليس فقط بعد صعود المسيح الى السماء لكن ايضاً مدة حياتهِ على الارض

ثمَّ يعدّد كلام بطرس الى المسيح وسؤالاتهِ فيبيّن انَّ الصفا لا يلقي مثل هــذه الاسئلة لنفعــهِ الخاصّ بل لخير رعيَّتهِ والشعوب التي جُعلت ازمَّتها في يدهِ . فمن مثال ذلك قولهُ بعد ان سمع كلام الرب عن الاغنياء انهُ « لاسهل ان يدخل الجمل في ثقب الابرة من ان يدخل غني ملكوت السماوات » فقال بطرس : « من يقدر اذن ان يخلص » وانَّما سأل ذلك لا لفائدتهِ الشَّخصيَّة اذ كان يعلم انهُ هو من المختارين الذين سيجاسون مع المسيح ليدينوا اسباط اسرائيل بل « لما كُلّفهُ من العناية بخير مرؤوسيهِ ». وهذا النصّ طويل لا يمكنَّا اثباتهُ لطولهِ فاكتفينا بتلخيصهِ وللذهبي الفم في خلالهِ القابٌ جليلة تدلّ على رئاسة بطرس فيدعوهُ « متقدّم الجوقة الرسوليَّة ولسان كل التلامذة ورأس عائلة الرُّسل وسيد المسكونة باجمعها واساس الكنيسة وصفيُّ المسيح المضطرم حبًّا (١»

وعاد يوحنَّا فم الذهب الى بيان هذه الحقيقة في خطبة اخرى (٢ مبينًا نزاهــة القديس بطرس في السؤالات التي عرضها على المسيح لاسيما عند قولهِ : « من يستطيع الخلاص » فألحق الذهبيُّ فمُ هذه البراهين بما تعريبهُ : « انظر أيها السامع نزاهة بطرس وغيرتهُ على خلاص جميع البشر الذين يتولى رئاستهم فانهُ يعتني بخير رعيَّتهِ وذلك قبل ان يجعلهُ المسيح راعيًا . يهتمّ بالمسكونة كلها قبــل ان يقلّدهُ الرب تدبيرها . فيا لهُ من نفس ابيَّة خُلقت للرئاسة والملك »

ثمَّ ضرب امثلة أُخرى لبيان سموّ همَّة بطرس وعنايتهِ بخلاص مرؤوسيهِ كقولهِ للمسيح بعد منعه لطلاق المرأة (متى ١٩ : ١٠) : « ان كانت هكذا حال الرجل مع امرأتهِ فاجدر لهُ الَّا يتزوج » . وكذلك سؤالهُ للرب : « كم من مرَّة يجب الصفح عن ذنب الاخ المذنب أإلى سبع مرَّات فقط » وغير ذلك من الكلام الذي اوردهُ القديس عن

---

١) وهاك نصّ كلامهِ في الاصل (٦ : ٢٢٤) Πέτρος ὁ κορυφαῖος τοῦ χοροῦ, τὸ στόμα τῶν ἀποστόλων ἁπάντων, ἡ κεφαλὴ τῆς φατρίας ἐκείνης, ὁ τῆς οἰκουμένης ἁπάσης προστάτης, ὁ θεμέλιος τῆς Ἐκκλησίας, ὁ θερμὸς ἐραστὴς τοῦ Χριστοῦ)

٢) وهي خطبتهُ في مثل المَدين لغريمــهِ بعشرة آلاف دينار (غوم ٣ : ٨)

لسان بطرس ليبني بما جُبل عليهِ هذا الرسول من المحبَّة لرعيَّة المسيح مبيّنًا انهُ اتمّ الشرط المفروض عليهِ لمَّا قال لهُ المسيح: « ان كنتَ تحبُّني فارعَ غنمي »

*

لكنّ الذهبيّ الفم قد صرّح عن اهتمام بطرس برعيَّة المسيح خاصَّةً بعد صعود الرب الى السماء لمَّا باشر الرسول بالرئاسة على اخوتهِ . قال في ميمرهِ الحادي والعشرين على سفر اعمال الرسل وهو قول احرى ان يُكتب بحروف الذهب (١ : « أننا نجد بطرس يتقدَّم الرسل في كل الامور . فهو اوَّل من سعى باختيار رسول بدلًا من يهوذا . هو الاوَّل الذي خطب الى اليهود ليدافع عن شرف الرسل لمَّا نسب الجمهور اليهم (يوم حلول الروح القدس) تهمة السكر . هو اول من شفى الاعرج . هو الاول في كل الخطب الى اليهود . هو الاول الذي تعاطى شؤون الكنيسة امام ذوي الامر . هو اول من خاطب كبير الكهنة . في ظلّهِ كانت تُجعل المرضى لتشفى من اسقامها . وحيثما كان خطرٌ على الرعية او يلزم تدبير امر كنت ترى بطرس يبذل نفسهُ الاول في كل ذلك . امَّا اذا كانت الامور جاريةً مجراها فكان هذا الرسول يمتزج مع اخوتهِ كانهُ واحد منهم فيبيّن بفضيلة اتضاعهِ نفسها انَّ لهُ حقَّ الرئاسة ولو اراد لنال شرفًا اعظم . ولهذا السبب ينسى نفسهُ ولا يستعمل سلطانهُ في شؤون كثيرة مثلًا لمَّا فاوض اخوتهُ في العليَّة في شأن انتخاب خلفٍ ليهوذا فانَّهُ كان يستطيع ان يعيّنهُ هو وحدهُ (ἑλέσθαι αὐτὸν οὐκ ἐνῆν) لكنهُ تنازل عن حقّهِ فاشركهم معهُ بهذا العمل ومع ذلك تراهُ يخطب الاول في هذا الصدد لان الامر خاصٌ بهِ قد قُلّدهُ يوم قال لهُ المسيح (لوقا ٢٢ : ٣٢) : وانت متى رجعت فثبّت اخوتك »

فأيمُ الله لا نفهم بعد هذا الكلام المطرّد القياس الظاهر الحجّة كيف يستطيع احدٌ ان ينسب الى القديس يوحنا فم الذهب جهلهُ برئاسة بطرس على الكنيسة جمعاء . فانَّ كلامهُ اضوأ من النهار واسطع من نور الشمس . ولم يأتِ بمثل هذه الاقوال البليغة مرَّة واحدة بل الف مرَّة فتارةً يشبّه بطرس « بقائد جيش يطوف بين جنودهِ ليعرف اي كتيبة هي احزم واشدّ لتقوم في وجه العدوّ واي طابور احسن نظامًا واي فئة تحتاج

١) راجع غوم (٩ : ١٨١)

الى مساعدتهِ (١» وتارةً يمثّلهُ في رئاستهِ على المجمع الاورشليمي حيث تفاوض الرُسل في نبذ الفرائض الموسويَّة فيقول عنهُ « انهُ اذن لغيرهِ من الرسل ان يتكلّموا ويُبدوا رأيهم لكنهُ هو الذي تكلّم لابراز الحكم . . . وكلامهُ مملوء رفقًا واعتدالًا كما يحقّ لصاحب الامر وذي الرتبة السامية (٢»

*

ومما يكرّرهُ الذهبي الفم وَصفُهُ لبطرس كصخرة الايمان المدافع عن حوزة الحقّ والباذل نفسهُ دون العقائد الدينيَّة التي استلمها من فم المسيح لان الرب جعل عليهِ كنيستهُ بنوعٍ اخص فهو المسؤول عن سلامتها في وسط الاخطار. وهذا ممَّا يُثبت باجلى بيان انَّ بطرس لم يكن فقط رئيساً شرفيًّا مجرَّدًا عن السلطة النافذة بل هو صاحب العقد والحلّ لهُ الحكم الفصل في كلّ امور الدين لان كنز الايمان لا يصونهُ الَّا ذو الامر والنهي ولولاهُ لتضعضع وفُقد

ولتأييد هذه الحقيقة الجوهريَّة ترى الذهبي الفم لا يدع فرصةً تفوتهُ دون ان يقرّرها في ذهن السامعين فطورًا يصف بطرس في وسط بحر الاضاليل وامواج الاضطهادات التي تساورهُ من كل جانب لكنهُ لا يعبأ بسَورتها إذ وقد وعدهُ المسيح بان ابواب الجحيم لا تقوى عليهِ(٣.وطورًا يمثّلهُ « كعمود الكنيسة وسند (τὸ στέρεωμα) الايمان وركن الاقرار وصيَّاد الدنيا باجمعها (٤ » وحينًا يقابلهُ بالرسل اخوتهِ ومع تعظيمهِ لهم وللنعم الفريدة التي افاض الرب عليهم سجالها لا يتردَّد في القول « انَّ بطرس نال السلطة على الجميع (٥ ». ولذلك صعد بولس لاورشليم ليكرم بطرس وحدهُ ويقدّم لهُ الخضوع كرأس الكنيسة كما بيَّنَّا سابقًا

وهنا ينبغي ان نرى كيف يحلُّ الذهبيُّ الفم ذلك المشكل المتعلّق بهذين الرسولين لمَّا قاوم رسول الامم في انطاكية بطرس الصفاة مواجهةً ولامهُ على اعتزالهِ من الوثنيين المتنصّرين خوفًا من اليهود (غلاطية ٢ : ١١) : فانهُ لو كان يوحنَّا فم الذهب لا يعتبر بطرس كرئيس الكنيسة لما ترك هذه الفرصة لايضاح معتقدهِ . وللقديس المذكور

١) راجع ميمرهُ السابق ذكره (غوم ٩ : ١٨١) ٢) الميمر ٣٢ على اعمال الرسل (٩ : ٢٧٦) ٣) راجع خطبتهُ ضد اليهود والوثنيين (غوم ١ : ٢٠٢)
٤) المجلد ٩ ص ١٨١ ٥) راجع ما سبق

ميمر طويل (١ في شرح هــذا الخصام الذي نجم بين هذين الرسولين « عمودَي الكنيسة ». ولكن بعد ان طالعنا هذه الخطبة الجليلة ليس فقط لم نجد فيها شيئاً مخلّاً برئاسة بطرس بل لقينا فيها ادلّة جديدة تؤيد سلطانهُ المطلق على بيعة الله. وذلك حتى في طريقة شرح فم الذهب لهذه المناظرة الواقعة بين بطرس وبولس اذ يدَّعي المفسِر انهما لم يتشاجروا حقيقة وانما اتفقا سابقاً في اورشليم على هذا الخصام ليجتذبا بهذا المنوال قلوب اليهود المتنصرين. وهو رأي ذهب اليهِ بعض آباء الكنيسة اليونانيَّة وتبعهم فيهِ القديس ايرونيموس وغايتهم في ذلك ان يدافعوا عن مقام بطرس الرسول ورئاستــهِ. وليس من شأننا هنا ان نبيّن صحّة هذا التفسير او فسادهُ ولكن حسبنــا ان نستنتج من شرح يوحنا فم الذهب اعتبارهُ لشرف بطرس الصفا وسموّ مرتبتــهِ حتى انهُ لم يُرد ان يسلّم بخصام حقيقي وقع بين بطرس و بولس فالتجأ الى منازعة وهميَّة. وللقديس يوحنا في هذا الميمر أقوال كثيرة تعظّم بطرس وتبيّن كل الخواص التي تفرزهُ عن سائر التلاميذ فنحضُّ كلَّ من لهُ إلمام باللغة اليونانيَّة ان يطالعها ليرى ما اودعها القديس من الثنــاء العاطر على هامة الرسل

*

وقد ادَّعى البعض من كَتَبَة البروتستانت وغيرهم ممَّن حذوا حذوهم ان بطرس لم يدخل رومية ومن ثمَّ لا داعي للقول بانهُ كان اسقفاً عليها. الّا انَّ هذا القول فضلًا عن انَّهُ مردود من وجوهٍ شتى ينــافي تعليم القديس يوحنا فم الذهب فاسمع ما دوَّنهُ في تفسيرهِ للمزامير (٢: « كم من ملوك شيَّدوا المدن ومصَّروا الامصار قــد اضحى اليوم اسمهم نسياً منسياً امَّا بطرس الصيَّاد فانَّ ذكرهُ مخلَّد بعد وفاتهِ في ملكة المدن يغلب فيها نوره نور الشمس وذلك لانهُ مارس الفضيلة » فاشارة يوحنا فم الذهب الى رومية واضحة في قولهِ السابق دعاها « ملكة المدن ». وقد صرَّح باسمها في محل آخر حيث قال (٣: « ان الملوك المعظمين في حياتهم لم يبقَ لهم اليوم ذكرٌ امَّا تلامذة المسيح فبعد المحن التي قاسوها في حياتهم تراهم ظافرين غالبــين... ها ان الملوك والولاة والقوّاد يقصدون رومية لا لاجل مشاهيرها بل ليتبركوا بزيارة قــبر الصيَّاد وصانع الخيم (يريد

١) المجلد ٣ ص ٤٢٢ – ٤٤٥ ٢) راجع شرح المزمور ٤٨ (غوم ٥: ٥٢٥)
٣) راجع خطبتهُ ضد اليهود والوثنيين (١: ٦٩٧)

بولس الرسول) ». وفي خطبة اخرى القاها في انطاكية (١ يذكر ان من مفاخر هذه المدينة كون بطرس الرسول اوَّل اساقفتها ثم يُلحق كلامهُ بما حرفهُ: « لكننا لم نحفظ لمدينتنا هذا المعلِّم الجليل فان مدينة رومية الملكيَّة ورثت منَّا هذا الكنز الثمين ». وقال في ميمرهِ عن استشهاد القديس اغناطيوس: « ان اسقف انطاكية هذا كان ينبغي لهُ ان يقدّس مدينة رومية باستشهادهِ كما استشهد فيها قبلهُ بطرس وبولس». فمثل هذه الاقوال الصريحة لا تحتاج الى تفسير الشارحين وتُفحم كل اهل العناد المكابرين

*

هذا وكان يمكننا ان نضبط عنان القلم عند هذا الحدّ لانَّ في اقوال يوحنا فم الذهب السابقة من الادلَّة على رئاسة بطرس ما يذلّل كلَّ الاهواء الجامعة ويستميل القلوب النافرة. ولا حاجة لأن نبيّن انَّ هذه الرئاسة لم تبطل بموت بطرس لان السلطان المعطى لهُ ليس بشخصي بل لخير الكنيسة التي هي باقية الى منتهى الدهر لن تقوى عليها الى الابد ابوابُ الجحيم. ولو اردنا لأتينا بشواهد من الذهبي الفم تؤيد ذلك

بيد انَّنا خوفاً من الاطالة المملَّة آثرنا ان نبحث عن سيرة يوحنا فم الذهب لعلَّنا نجد فيها ما يدل على خضوعهِ للكرسي الرسولي واعترافهِ بسلطة خلفاء بطرس فانَّ اعمال هذا القديس اقوى برهاناً واسطع بياناً من اقوالهِ نفسها

وهنا لا يمكننا الّا ان نلخّص ما كتبهُ اصدق المؤرخين الذين عاصروا الذهبي الفم وسطَّروا ترجمة حياتهِ كپلّاديوس وسوزومان وغيرهما كثيرين قالوا: لمَّا توفي نكتاريوس بطريرك القسطنطينيَّة لم يجد الشعب وارباب الدين لهُ خلفاً اجدر بهذا الكرسي السامي من يوحنا الذهبي الفم الذي كان اسمهُ طبَّق وجه المسكونة. فتمنَّع القديس زمناً طويلاً معدًّا نفسهُ غير كفوء لاعباء هذه المرتبة السامية لكنَّ الملك اركاديوس اضطرَّهُ اخيرًا ان يلبّي دعوة المؤمنين والاكليروس القسطنطيني فخضع لمشيئة الله البيّنة. وما كاد يتبوأ الكرسي البطريركي حتى اخذ في تهذيب رعيَّتهِ واصلاح آداب الكهنة والاكليريكيين واستئصال العادات الباطلة وقمع الظالم لا تأخذهُ في عملهِ لومة لائم حتى انهُ لم يخفْ من التنديد بسوء تصرُّف بعض اعيان الدولة بل تصدَّى للملكة أفذوكسيا نفسها التي كانت تعضد المراطقة بسلطتها وتحلُّ عقال الشهوات. ففارت فوائرها وتنمَّرت غيظاً

١) راجع خطبتهُ في مقدمة اعمال الرسل (غوم ٣: ٨٥)

على البطريرك الغيور ولم يشفَّ غليل حقدها حتى عقدت في القسطنطينيَّة مجمعاً ترأسهُ ثاوفيلوس البطريرك الاسكندري وقضى فيهِ مع ٣٦ من اساقفتهِ المتحزّبين لافتدوكسيا بعزل الذهبي الفم. وصادق الملك على حكمهم وامر بنفي القديس. غير ان الله لم يلبث ان يضرب مدينة القسطنطينية بزلازل وآفات الجأت الملك الى اعادة وليّ الله الى كرسيهِ فأُعيد مكرَّماً. ولكنهُ لم يغيّر شيئاً من سلوكهِ السابق في إحياء معالم الادب ومقاومة الملاهي الباطلة وتقليم اظفار الغي والضلال حتى هاجت عليهِ الاضغان الكامنة ونُفي ثانيةً بمساعي اعدائهِ الى مدينة قاصية من بلاد الارمن فتوفَّاهُ الله بعد مدَّةٍ ومات شهيد غيرتهِ الرسوليَّة على خدمة الكنيسة وخير النفوس في ١٤ ايلول سنة ٤٠٧

لكن هذا الرجل العظيم لم يمت دون ان يظهر في وجه العالم كلهِ اعتقادهُ بسلطة الكنيسة الرومانيَّة التي طالما كان دافع عن رئاستها فما ابرز عليهِ الجمع القسطنطيني السابق ذكرهُ حكمهُ الجائر حتى رفع دعواهُ الى حبر الاحبار وارسل وفداً الى القديس اينوكنت الاول ليعلمهُ بظلم اعدائهِ طالباً اليهِ كنائب المسيح وخلف بطرس هامة الرسل ان يبرئ ساحتهُ ويأخذ بناصرهِ ضدَّ اعدائهِ ويردَّهُ الى كرسيهِ المختلس جوراً ولدينا حتى الآن رسالة القديس الى الحبر الروماني تنطق بخضوعهِ لهُ ذكرهُ فوطيوس في مكتبتهِ. وكان في الوقت نفسهِ يسعى ثاوفيلوس بان يخدع اينوكنت وينال منهُ تثبيت مجمعهِ الباطل وكان ارسل الى البابا وفداً مع رسائل من الملك مملوءة شكايات كاذبة على فم الذهب. لكنَّ راعي الرعاة لم ينخدع بهذه الظواهر الفريَّة وزيَّف اعمال المجمع وحكم ببراءة البطريرك القديس في مجمع عقدهُ في رومية. وكتب الى الملكين اونوريوس واركاديوس يستحلفهما بالله ان يعيدا يوحنَّا الى كرسيّهِ. ولمَّا توفّي القديس في اثناء ذلك لم يرد البابا ان يشارك بالاسرار اعداءهُ وبقي الامر على ذلك ١٨ سنة حتَّى كفَّروا عن ذنبهم واقرُّوا ببطلان المجمع الفاسد المنعقد ضدَّهُ واثبت خلف يوحنَّا فم الذهب اسم القديس في عداد البطاركة الشرعيين

فهذا ما صنعهُ الكرسي الرسوليّ مع ذلك البطل الذي جاهد احسن جهاد في المدافعة عن حقوق الرئاسة البطرسيَّة. وقد جازى هذا القديس الجليل كنيسةَ رومية لتبريرها اعمالهُ بان اغنى امَّ المدائن بذخائرهِ الثمينة وهي اليوم في كنيسة القديس بطرس حيث يكرّمها الكاثوليك اكرامهم لاعظم عبيد الله واوليائهِ القديسين نفعنا الله بشفاعتهِ

وردّ اخوتنا المنفصلين الى حظيرةٍ كان هو من اخضع غنمها تحت سيادة بطرس وخلفائهِ الشرعيين امين اللهمَّ امين

مطبوعات شرقية جديدة

DIVAN DES FARAZDAK
zweite Hälfte, von Dr J. Hell, *München*, 1901. SS. 71-193, XIII
ديوان الفرزدق (القسم الثاني . تتمة)

لمَّا ذكرنا في سنتنا الثالثة (ص ١٠٥٢) ديوان الفرزدق وتتمة نشرهِ بالتصوير الفوتوغرافيّ على يد نزيل كليّتنا الاديب الدكتور يوسف هِل كنّا نظنّ انَّ النسخة المصونة في مكتبة ايا صوفيا تحتوي كل مجموع قصائد ذلك الشاعر الفحل . غير انَّ جناب الدكتور كان لحظ نقصاً بين القصيدتين ٤٦٧ و ٤٦٨ ونبَّه عليهِ في مقدّمتهِ الالمانيَّة . فما نشر هذا القسم الثاني حتى افادهُ احد اساتذة الانكليز المعلم بيڤان(Bevan) انَّ بين القصيدتين المذكورتين نقصاً كبيرًا يدل على ان يدًا اثيمة انتزعت من نسخة ايا صوفيا الوحيدة عدَّة كراريس تتضمن نحو مائتي قطعة شعريَّة . وهذه السرقة حديثة لانَّ العلّامة بوشه (Boucher) متولي طبع القسم الاول من ديوان الفرزدق كان استنسخ هذه المقاطيع . والدليل على ذلك انَّ نسختهُ المعدة للطبع تتضمن هذه القصائد بخط فارسي مُتقن . فاستأذن الدكتور هلّ المعلم بيڤان بأَخذ رسم هذه القطع ونشرها فلمَّا أذن لهُ اسرع الى رسمها بالتصوير الشمسي ونشرها على هذه الصورة فجاء هذه المرَّة ديوان الفرزدق تامًّا مستوفياً . الّا اننا نتأسف على ما جاء من اختلاف الطبع بين هذين القسمين فترى لكلّ منهما هيئةً خصوصيَّة بشكل الحرف وعدد الاسطر واطار الصفحات . فضلًا عن انهما يختلفان عن القسم الذي طبعهُ المسيو بوشه بالحروف الطبعيَّة ولنا الامل ان الدكتور هِلّ يصلح هذا الخلل في طبعة ثانية ويلحق عملهُ بالتذييلات التي من شأنها ان تزيدهُ نفعاً

يوميَّة الاحوال لسنة ١٩٠٢

هي المذكرة السنويَّة التي وضعها جناب صاحب جريدة الاحوال الاديب خليل افندي البدوي لتكون تحفة مفيدة لقرّائهِ الافاضل يستخدمونها لتقييد مصاريفهم وضبط حساباتهم

وتدوين مفكراتهم ومراجعة مواقيت اسفار البواخر فضلًا عن الافادات التي تتضمّنها كلّ القوائم لكل يوم من ايّام السنة

AL BURDATAN
ovvero due poemi arabi del « Mantello ».
Contributo storico critico di G. Gabrieli, Firenze 1901.

البردتان او قصيدة بانت سعاد و بردة البوصيري

يتضمّن هذا الكتاب باللغة الايطاليّة ترجمة قصيدتين شهيرتين لشعراء العرب احداهما رائيّة كعب بن زهير التي بدوها « بانت سعاد » والاخرى القصيدة الميميّة للعلّامة البوصيري. وقد تولى هذه الترجمة الدكتور غبرئيلي من مستشرقي ايطالية الشهيرين وذيّلها بملاحظات تاريخيّة ولغويّة وانتقادية من شأنها ان تزيدها فائدة تدلّ على رسوخ قدم صاحبها في درس اللغات الساميّة عموماً وآداب العربيّة خصوصاً ل. ش

شذرات

ردّ التُّهَم جاء في كرّاسة طبعت حديثًا ان مجلّتنا « تثير اسباب النزاع بين الطوائف الكاثوليكيّة » وهي تهمةٌ لم ننتظرها من رجل كاثوليكي تنفيها كل صفحة من صفحات المشرق الذي وقف ذووهُ نفوسهم على خدمة الطوائف الكاثوليكيّة. وان قال صاحب الكرّاس اننا اثرنا هذا النزاع بقولنا انّ اصل الروم الملكيين من عنصر آرامي بدلًا من العنصر اليوناني اجبنا انّ قولنا هذا نفسهُ شاهدٌ على رغبتنا في ضمّ الطوائف الكاثوليكيّة بوثاق المحبة اذ نثبت انهُ ليس بين ابناء هذه الطوائف « لا يهودي ولا يوناني ولا عبد ولا حرّ » كما يقول الرسول بل انهم اخوان من اصل واحد ووطن واحد ولغة واحدة — ومن غريب التهم الواردة في هذا الكراس انّ صاحبهُ نسب الى المشرق انهُ قال عن اليونانيّة « انها لم تدخل سوريّا قبل القرن الثاني عشر » لكنهُ نسي ان يذكر في ايّ صفحة قلنا مثل هذا القول الكاذب. فما كنّا لنظن ان كاتب هذه الاسطر يحارب بمثل هذه الاسلحة — ونفيدهُ علمًا ان الاب فايليه كتب للاب لامنس في تاريخ ١٥ كانون الاوّل سنة ١٩٠١ يستميح منهُ عذرًا لما كتبهُ في صدى الشرق لانهُ « لم يطالع مقالتهُ في المشرق فخُدع بالكرّاس المُرسل اليهِ » — امّا قول ساخو فهذا هو بالحرف (مجلة الشرق المسيحي ١٩٠١ ص ٤٧٦):

« A l'époque de la naissance du Christ, tous les habitants des anciennes régions sémitiques civilisées, qu'englobe une large courbe allant de la Palestine à l'Assyrie et à la Babylonie, en passant au nord au-dessus de la Syrie et de la Mésopotamie septentrionale, parlaient une seule et même langue, *l'araméen.* »

فلينظر القرّاء بايّ صدقٍ يستشهد صاحب الكرّاس بنصوص العلماء — امّا قول القديسة سيلڤيا فهذا هو بنصّهِ اللاتيني ليعلم القراء انّ ترجمتنا هي الصحيحة لا ترجمة حضرة الاب قسطنطين باشا

الاصل اللاتيني	ترجمة الاب ق. باشا	ترجمتنا
Quoniam pars populi et græce et siriste novit, pars etiam alia per se græce, aliqua etiam pars tantum siriste.	في هذه البلاد فئة من السكان يعرفون اليونانية والسريانيّة وفئة اخرى [يونان الاصل] ولا يعرفون الّا اليونانية والباقي [وهم القليل] لا يعرفون الّا السريانية	انّ فئة من اهل القدس يعرفون اليونانية والسريانية وفئة اخرى لا يفهمون سوى اليونانية وفئة ثالثة يتكلّمون فقط بالسريانية

كلّ من لهُ المام باللغة اللاتينيَّة يرى انّ القديسة سيلڤيا في قولها المذكور تقسم اهل فلسطين واهل القدس خصوصاً الى ثلاثة اقسام يعرف قسم منهم السريانيَّة واليونانيَّة وقسمٌ اليونانيَّة وحدها والقسم الثالث لا يتكلّم الّا بالسريانيَّة. امّا حضرة الاب قسطنطين فهم قول القديسة عن الفئة الثانية انها « يونانيَّة الاصل » ولم ينظر ان « græce » راجعة الى « novit » وانّ " per se « معناها « فقط » اي « يتكلّمون فقط باليونانيَّة » فعرَّب كما ترى وشوَّه المعنى. وكذلك في العبارة الثالثة فانّ « tantum » راجعة الى « siriste » اي « يعلمون فقط السريانيَّة » ولو ارادت القديسة ان السريان قليلون لقالت « tantilla » لا « tantum ». ولا يفيد الشارح ان يزيد على النصّ فاصلًا (,) بين tantum و siriste لان هذا الفاصل يشوّش المعنى فضلًا عن انهُ ليس في الاصل

مطبعة البلمند — جاء في المنار (٢٩ كانون ١ ١٩٠١) : ان «مطبعة الشوير هي بالاصل المطبعة التي اتى بها البطريرك اثناسيوس من بقرش الى حلب نُقلت اولًا الى دير البلمند ثم اختلسها رهبان من الحلبيين المتكثلكين بعد ان اخرجوها ليلًا من هذا الدير. فنطلب من اخوتنا الرهبان الشويريين ان يفيدونا عن صحَّة هذه الرواية وهل مطبعة الفاضل عبد الله زاخر هي نفس مطبعة البلمند وهل اختلسها اخوتهم لمَّا خرجوا من هذا الدير. لأَننا انذهلنا من هذه التهمة الفريَّة

افادات سُئلنا قبل سنتين (المشرق ٣:٣: ١١٠٣) عن سبب تلقيب العذراء في القرض السرياني بمنديل سليمان (ܡܫܘܐ ܕܫܠܝܡܘܢ) فاجبنا ان للفظة ܡܫܘܐ معنى الحجاب ايضاً فيكون المعنى ان مريم البتول هي بمثابة حجاب هيكل سليمان لانها حجبت بولودها العجيب جلال ابن الله. وقد افادنا اليوم حضرة القس يوسف حبيقة البسكنتاوي ان البتول دُعيت بذلك اشارةً الى قول سليمان الحكيم في سفر الامثال (٣٠: ٤): « من صعد الى السماء وتزل... ومن حصر المياه في منديل » فالمسيح هو الماء الحي الذي حُصر في احشاء البتول فيكون مستودَعها شُبِّه بهذا المنديل العجيب. ونسبتهُ الى سليمان لان الآية وردت على لسان سليمان. وهذا شرح حسن ايّده بنصوص أُخرى من كتابَي التشمشت والباعوث فنشكر حضرتهُ على هذه الملاحظة — وقد افادنا ايضاً حضرة الاب اونجلوس عيد ان لفظة « بوليطاني » لقب يوسف الرامثاني التي ارتبنا في شرحها في المشرق (٥: ٧) هي الكلمة اليونانية « Βουλευτής » الواردة في انجيل لوقا (١٣: ٥٠) ومعناها المُشير ل. ش

اسئلة واجوبة

س سُئلنا عن الداعي لتغيير قولنا في اصل مكيتار فروينا (المشرق ٥: ٢٢) انهُ وُلد من والدين كاثوليكيين مع انّنا سابقاً (المشرق ٣: ٥٦) كنّا ذكرنا ارتدادهُ الى الكثلكة على يد المرسلين اليسوعيين

اصل مكيتار

ج كنّا سابقاً استندنا الى رواية حضرة الاب الفاضل د. ڤرنيه في كتابهِ تاريخ البطريركية الارمنية (ص٣٠٢) ولم نعلم ما هي الحجج التي حملتهُ على قولهِ. امّا الكتب العديدة التي راجعناها لتدوين ترجمة مكيتار في اول عدد من هذه السنة فكلها لسان واحد على ان والدي مكيتار كانا كاثوليكيّين. فاقتضى التنبيه

س وسأل من بيت جمال حضرة الخوري جرجس سبعلاني في اي محل من البحر أُلقي الملّاحون يونان النبي وفي اي مكان لفظهُ الحوت

يونان النبي

ج غاية ما يعلمنا الكتاب الكريم ان يونان ابحر من يافا الى ترشيش التي يرجّح العلماء المحدثون انها طرطوشة في اسبانية. امّا محل البحر الذي طُرح فيهِ فمجهول. وكذلك قد اختلف الكتبة في المكان الذي لفظهُ اليهِ الحوت. ومن المحتمل ان يكون خان نبي يونس بين بيروت وصيداء هو المكان الذي نجا فيهِ النبي. والتقليد فضلاً عن اسم الخان يؤيد هذه الرواية ل. ش

المشرق

قصر الشمع او بابل مصر

للاب ميشال جوليان اليسوعي

ليس بعيدًا من طرف مصر العتيقة من جهتها الجنوبيَّة على مسافة ٣٠٠ متر من ضفَّة النيل الشرقيَّة ترى سورًا مرتفعًا ذا منظر غريب مُفرَزًا من المنازل المجاورة لهُ فذاك هو قصر الشمع

ولهذا السور جدار يتركَّب من خمسة صفوف حجارة بين كلّ صفّ منها قِطَع من الآجرّ الضخم لا يشكُّ رائيهِ انهُ من ابنية الرومانيين. ولهُ مدخل يجاريهِ غرابةً وهو عبارة عن باب وطيءٍ مصفَّح بالحديد يُنحدر اليهِ في خَفض من الارض عمقهُ متران وهو مثقوب في السور كأنَّهُ الصدع المشقوق. واذا تجاوزت عتبتهُ تراك في زقاق حرج قاتم بين حائطين مرتفعين استولى عليهما الخراب لا تكاد تجد في وسطهما منفذًا. وليس في ذلك الزقاق حانوت او طالب رزق ولا تسمع فيهِ ركزًا كأنَّك في ديار قفار لا يُرى فيها صافر ولا ديَّار. على أنَّك اذا سرت برهةً وسُمِع صوت قدميك خرج من أكواخ ضيّقة بعضٌ من الصعاليك والفتيان عليهم اسمال رثَّة يعرضون عليك انفسهم ليدلُّوك على الكنائس العتيقة التي في ذلك المكان

ومن اعتبر هذا السور الفخيم والابراج التي تعلوهُ مع ما في ضمن هذه الابنية من الآثار العديدة وبقايا النصرانيَّة الخطيرة ادرك ما كان لهذا المركز الاثير من عظم الشأن اذ كانت تتَّجه اليهِ ابصار العالم الديني والسياسي في سالف الاعصار

وهذه الاسوار بقيت ثابتـةً زمناً طويلًا الى سنة ٦٣٨ في أيّام المقوقس (١ والي مصر الوسطى . وقد بُنيت مدينـة الفسطاط في السهل المجاور لهذه الاسوار . قال المقريزي وغيره: والفسطاط الخيمة دُعيت بهِ المدينة الجديدة لانَّ خيمة عمرو بن العاص كانت ضُربت هناك والفسطاط اوَّل منشإ القاهرة

والنصارى على اختلاف مللهم منذ قرون عديدة يحجّون الى قصر الشمع ليكرّموا في دهليز الكنيسة المعروفـة بابي سرجه (اي القديس سرجيوس) المكانَ الذي حلّت فيهِ العائلة المقدسة بضعة ايَّام عند قدومها الى مصر وفقًا لتقليد يرتقي الى عهد قديم. وقد شيَّد النصارى في قصر الشمع بيعاً فخيمة وثمّت جعل البعضُ من بطاركتهم سكناهم ولمّا حدثت الفتن بين نصارى مصر كان الاقباط يختارون بطاركتهم في هذا المكان ويقيمون فيهِ حفلةً شائقة لتنصيبهم. فصار قصر الشمع كعاصمة دينيّة يأوي اليها القبط

ومنذ عهد قريب رأت اللجنة التي اقامتها الحكومة المصريّة لصيانة الآثار العربيّة القديمة ما صارت اليهِ ابنية قصر الشمع من الخراب فصرفت اولًا همّها الى ترميم الاسوار المحدقة بهِ. ومع علمها انَّ هذه الاسوار ليست من الآثار العربيّة بل من بناء الرومان لم تأبَ ان تمدَّ الى هذه البقايا جانباً من نظرها لئلا يلحق الدمار بالقليل ممَّا بقي من اعمال الدولة الرومانيّة. وكان لاعضاء اللجنة املٌ بان يقفوا في أبان حفرهم على كتابة قديمة تفيدهم تاريخ هذا البناء وتُطلعهم على شيء من اخبار حصن قصر الشمع المجهولة. فباشر المهندسون بازالة الردم الذي كان مطمورًا تحتهُ معظم الباب الروماني من جهة الجنوب ثم ثبّتوا اركان البرجَين المحصِّنين للباب بصوان ذي منافذ وهم اليوم يسعون بفتح

---

١) ليس هذا الاسم علماً وانمّاً هو لقب قد اختلف العلماء في معناهُ واصل اشتقاقهِ وكذلك لم يتَّفق المستشرقون على ملَّة المقوقس وعلى اسمهِ الصحيح فالبعض يدعونهُ جرجس ميناس بر كيبو وكان يعقوبياً . وقد اثبت موخرًا العلّامة الانكليزي بُتْلر ان المقوقس هو الاسقف الملكيّ كيروس كان هرقل الملك جعلهُ نائبهُ في مصر. وكان سابقًا اسقفاً على مدينة فاسيس في بلاد قوقاز وقيل انَّهُ دُعي المقوقس اشارةً الى اصلهِ هذا (καυκάσιος) وشرح البعض اسم المقوقس بمعنى الفاجر لخيانتهِ اشتقُّوهُ من اليونانيَّة « μαύχιος ». وقيل معناه المتقدّم والله اعلم (Butler : *on the identity* of «al-Mukaukis» *London* 1901

الطريق التي كانت تؤدي سابقاً الى المدينة وفوق هـذه الطريق كانت مبنية كنيسة عتيقة تدعى كنيسة المعلّقة . وقد تكلّفت اللجنة على هذه الاعمال الخطيرة تكاليف باهظة لا تقلّ عن ٨٠,٠٠٠ فرنك غير انها لم تجد حتى الآن شيئاً مما أمّلته بخصوص تاريخ هذا الحصن المنيع

وقد احببنا نحن ايضاً ان نبحث عن اخبار قصر الشمع لعلّنـا نكشف شيئاً من الحجاب المسدول دون اصلهِ القديم واصل السور الذي يكتنف بهِ فنفيـد قراءنا علماً بآثر مصر العتيقة

*

لا مشاحة ان هذا القصر كان يُدعى في عهـد الدولتين اليونانيَّة والرومانيَّة باسم بابيلون او بابل وربَّما اضافوا اليهِ اسم مصر فقالوا بابيلون مصر . وفي كتاب رحلة انطونين ان بين عين شمس (هيليوبوليس) وبابيلون اثني عشر ميلًا وهي بالتقريب المسافة التي تمتدُّ من مسلَّة عين شمس الى قصر الشمع . وجاء في قائمةٍ مصونة في خزانة كتب اوكسفرد تتضمَّن اسماء المدن الاسقفيَّة في مصر انَّ بابلون (وهي بابيلون) والفسطاط مكان واحد (١ . ولا يزال اسم بابيلون محفوظاً باقياً الى يومنا في اسم « دير بابلون » وهو دير للاقباط تدعوهُ عامَّتهم « دير دبلون » موقعهُ على مئتي قدم من السور الروماني في جنوبيهِ

امَّا اصل هذا الاسم الغريب فقد ورد في تواريخ اليونان . قال ديودورس الصقلِّي(٢ ان سيسوستريس (رعمسيس الثاني) لمَّا غزا بابل في العراق جلب منها عدداً من الاسرى الى مصر فاعتصبوا على اهلهـا وتمكَّنوا من فتح قلعةٍ دعوها باسم بلدهم بابيلون فتحصَّنوا فيها وجعلوا يشنُّون الغارات على البلاد المجاورة لها . ولم يزالوا على ذلك حتى ضايقهم جند المصريين فطلبوا الامان وخضعوا للسلطان

وقد عاين المؤرخ اسطرابون (٣ بابيـلون في رحلتهِ الى مصر وهو يدعوها حصناً

١) راجع جغرافية مصر السُّفلى (J. de Rougé, p 155 Paris 1891)

٢) راجع تاريخهُ ك ١ ع ٥٦

٣) راجع جغرافيَّتهُ (ك ١٧ ف ١ ع ٣٥) ولا شك ان اسطرابون اشار في الكتاب ذاتهِ الى هذه المستعمرة البابليَّة عند ذكرهِ صنفاً من القرود يدعى كيبوس (κῆπος) يعبدهُ البابليون المقيمون بجوار منف

حويزًا مهملًا . قال : « وفي هذا المكان ركن البابليون الى الثورة ثمّ نالوا من فراعنة مصر محلًّا يأوون اليهِ » . وهكذا ورد في تاريخ كتيسياس (١ . ولفلاڤيوس يوسيفوس اليهودي (٢ رواية تختلف عن روايات اليونان بعض الاختلاف وهو يزعم انَّ بابيلون مصر بُنيت بامر قمباسيس ملك الفرس سنة ٥٢٥ قبل المسيح بناها جنوده بعد فتحهم للقطر المصري

امَّا العرب فقد اختلفوا في اصل تسمية بابيلون ومشيّدها فهم يدعونها بابليون وينسبها بعضهم الى بابليون بن سبا . وبعضهم يدعونها باب ليون او باب اليون قالوا ان ليون اسم مصر بلغة السودان . واكثرهم يوافقون ابن سعيد وهو افتيخيوس المعروف بابن البطريق وينسبون قصر الشمع الى ملوك الفرس بنوهُ لمَّا ظهروا على الروم (٣

ولمَّا فتح المسلمون هذا الحصن دعوهُ باسماء شتى فسموهُ قصر الروم ودير النصارى ودير مار جرجس وقصر الشام (٤ ثم شاع بينهم وبين الاقباط اسم « قصر الشمع » . وفي هذا الاسم الغريب اشارةٌ خفيَّة الى اسم بابيلون السابق ذكرهُ لان معنى بابيلون في الكلدانيَّة القديمة « باب ايل » وايل عظيم آلهة البابليين كثيرًا ما يريدون بهِ الشمس والنور فيكون اذن معنى بابيلون باب النور او مقام النور (٥

وكذلك ترى في روايات مؤرخي العرب عن قصر الشمع ما يدلُّ على هذا المعنى . وقد جمع المقريزي اقوالهم في كتاب الخطط والآثار (١ : ٢٨٧) فنقل عن الواقدي انَّما دُعي بذلك لان هذا القصر كان يوقد عليهِ الشمع في ليلة رأس الشهر عندما تحلُّ الشمس في برج من البروج . ونقل عن غيرهِ « انَّ الفرس بنوا هذا القصر وجعلوا فيهِ بيت نار على شاطئ النيل الشرقي وعُرف بقصر الشمع لانهُ كان لهُ باب يقال لهُ باب الشمع » وروى عن القضاعي انَّ فارس لمَّا ظهرت على الروم « بدأت ببناء هذا القصر وبنت فيهِ هيكلًا لبيت النار . . . وهو القبَّة المعروفة اليوم بقبَّة الدخان و بحضرتها مسجد معلَّق احدثهُ المسلمون (٦»

---

١) راجع القِطَع التي نشرها منهُ دِندورف (Dindorf, L. II, p. 13)

٢) راجع كتابهُ العاديَّات اليهوديَّة (ك ٥ ف ٢)

٣) راجع الخطط للمقريزي في طبعة بولاق (١ : ٢٨٧) وتاريخ ابن بطريق في اعمال آباء اليونان لمين (المجلد ١١١ ص ٩٦٧)

٤) راجع معجم البلدان في مادة « قصر الشمع »

٥) قد اتَّبعنا في هذا الشرح ما كتبهُ دوبوا اماي (Dubois-Aymé) في وصف مصر (Expédition française V, 60)

٦) راجع ايضًا معجم البلدان لياقوت (٤ : ١١٢)

*

فاكثر هذه الروايات تجيز لنا القول بانّ قوماً من الفرس بعد فتوحات قمباسيس وداريوس احتلوا في قصر الشمع وانّهم دعوا سكنهم باسم عاصمة بلاد العراق لِما وجدوا من الشبه بين المقامين ووقوع كليهما على ضفّة نهر عظيم. كما انهُ لا بدع في كونهم اتخذوا ديانة اجدادهم وعبدوا الشمس والنار. ويؤيد هذا القول ما اكتشفهُ اصحاب العاديات من الآثار الدينية في جوار قصر الشمع مما يشبه الآثار المكتشفة في هيكل الفرس القديمة منها مصابيح ومجامر وغير ذلك مما يختصّ بالمناسك الدينية عند المجوس (١

على ان في كل هذه الروايات القديمة بعض التباين لاسيما انّ اقدمها لا يتجاوز عهد اوغسطوس قيصر فوجد العلماء المحدثون في كلامهم مجالًا للحدس والتخمين فجعلوا يبحثون عن تاريخ بابيلون مصر ويتقوّلون على اسمها أقاويل لا تخلو من بعض الاهميَّة. قال العلامة مسپيرو (٢ انهُ من المرجّح ان اسم بابيلون يشتقّ من بانبونو او بارْبونو او بابونو الذي ورد في صورة « هات بانبونو » ويدلُّ على احد احياء مدينة عين شمس او بالحري على قرية قريبة منها كما ورد في قاموس بروغش الجغرافي (ص ١٩٤—١٩٥)

فعلى هذا القول يكون اسم بابيلون مشتقًّا من لفظة مصريَّة هي بانبونو فصارت بالتصحيف بابيلون وعلى هذا الاسم المصحَّف بنى اليونان القصَّة التي رويناها عن ديودورس الصقلي. ولنا في ذلك مثال آخر في اسم مدينة طوره الواقعة على ضفَّة النيل كان قدماء المصريين يدعونها طرويو (Troiou) فجعلها اليونان طرويه (Troia) كعاصمة بلادهم لما يوجد من الشبه بين الاسمين. فلمَّا جرت هذه الاسامي المصحَّفة على أَلسنة اليونان اخذ المحدثون منهم في الطور المعروف بالساني (époque saïte) يختلقون لها الروايات المختلفة لبيان اصلها الموهوم من البابليَّة او الكلدانيَّة او اليونانيَّة

١) وهذه الآثار هي في يد الدكتور فوكه (Fouquet) وُجدت في الاكمة القريبة من قصر الشمع وهي من حجر ارمد اللون أُتي بهِ من بلاد بعيدة وفي متحف اللوفر في باريس قطع شبيهة بهذه الادوات وجدها المسيو دي سرزك (de Sarzec) في العراق وهي اليوم معدودة في جملة الادوات المختصَّة بدين المجوس. ورسم المسيو غايه (Gayet) بعضها في كتابهِ عن « الصناعة الفارسيَّة » (ص ٢١ و ٢٢)

٢) راجع كتابهُ تاريخ الشعوب القديمة في الشرق (ج ٣ ص ٤٤١ في الحاشية ٣-١٨٩٧)

هذا هو رأي العلّامة مسپرو بيد انَّ غيره من العلماء بالعاديّات المصريّة ومنهم بروغش (Brugsch) ودي روجه (de Rougé) زعموا ان بابيلون مصر هي بلدة خيرو (Khérau) القديمة اللاحقة بمدينة عين شمس (١ . وقال بروغش في محلّ آخر انَّ عين شمس المذكورة (اي هيليوبوليس) كان يدعوها قدماء المصريين هابنبن وهو اسمٌ مقدّس عندهم

وقد جاء حديثًا في مجلة المكتب المصري (٢ رأي ثالث لمسيو كازانوڤا احد اعضاء جمعيّة العاديّات المصريّة في القاهرة وهو على ظنّنا خير من الرأيين السابقين قال: ورد في الكتابات المصريّة القديمة انهُ كان في سالف الاعصار هيكلٌ ليس بعيدًا من دير الاقباط المسمّى دير بابيلون. وفي هذا الهيكل كان كهنة المصريين يحلّون بقرة أپيس معبودتهم لتستريح برهةً لمّا يسيرون بها من منف الى عين شمس. وكان اسم هذا المقام في القبطيّة « پي اپين اون » اي مقام اپيس في سيرها الى أُون اي هيليوبوليس. فصحّف اليونان هذا الاسم وجعلوهُ « بابيلون ». وعلى رأي هذا العلامة انَّ موقع « خيرو » في عبر النيل بازاء منف ويزعم انّها مدينة حلوان

هذه آراء متباينة اثبتناها هنا والله اعلم بصحّتها ولعلّ الاكتشافات المستقبلة تؤيد يومًا ما اوردهُ المؤرخون اليونان والعرب في نسبة بابيلون الى مستعمرةٍ بابليّة او قُل بالحري فارسيّة

*

امّا زمن انشاء بابيلون فان سكوت هيرودت المؤرخ عنها يبيّن جليًّا انها لم تكن بعدُ بُنيت في عهدهِ او انها كانت بلدة صغيرة خاملة الذكر. ومن المحتمل انَّ بناءها حدث بعد سنين قلائل لمّا اغار داريوس الثاني على المصريين وكانوا انتقضوا على ولاتهِ سنة ٤١٣ قبل المسيح

ولا غرو ان موقع بابيلون في رأس مصر السفلى فوق الرُّبى المشرفة على النيل يكون استلفت نظر الرومان. فاتخذوها في اوّل عهد فتحهم للقطر المصري كحصن منيع جعلوا فيهِ حاميتهم. وقد اخبرنا اسطرابون الذي زارها سنة ٢٥ قبل المسيح واحدى عشرة سنة

١) راجع قاموس بروغش الجغرافي (ص ٦٢٥) وجغرافية مصر السفلى لدى روجه (ص ٨٧)
٢) في عددها الاول من السنة الجارية

بعد الفتح الروماني انهُ وجد في بابيلون معسكر احدى الفرق الجنديّة الثلاث التي كانت مرابطة في الثغر المصري (١

ومما اخبر بهِ ايضاً « انهُ رأى بين معسكر الجيش والنيل اكمةً . وكان نحو مئة من الفعلة يُصعدون الماء من النهر بواسطة نواعير وادوات لولبيّة . ومن اعلى الاكمة المذكورة يرى الناظر الاهرام التي موقعها بقرب مِنف في عبر النهر ليس بعيداً (٢ ». فمن هذا الكلام يُستدلُّ على انّ المعسكر لم يكن في وسط السور الحالي بل على الربوة الصخريّة التي تطلُّ عليهِ من جهة الجنوب بجوار دير بابلون (٣ . ولو كان الجنود سكنوا في بُهرة السور لما احتاجوا الى عملة ونواعير ليصعدوا الماء بل كان حسبهم ان يحفروا قليلًا في الارض ليتبجّس منها الماء

و يؤخذ من قول اسطرابون عن منظر الاهرام من المعسكر ان الفرقة الرومانيّة كانت ضاربةً قسماً من خيامها في مشارف الاكمة لان الاهرام لا تُرى من وطإِ الارض وليس ربوة أُخرى بقرب قصر الشمع الّا في جنوبيهِ وهي توافق تماماً الوصف الذي دوّنهُ اسطرابون في رحلتهِ . والمصريون يدعون الجبل الذي تتصل بهِ هذه الاكمة جبل جيوشي اللاحق بجبل المقطَّم وهي تمتدُّ الى قرب دير مار ميخائيل حيث ترى الى اليوم آثار مسيل النيل سابقاً لان التربة تنحرف هناك انحرافاً باغتاً وتحت هذا الفِرز قناةٌ للماء حفرها الرومان (٤

وقد دلَّ العلّامة فورمون (Fourmont) في رسم القاهرة الذي نشرهُ نحو سنة ١٧٥٠ على آثار عديدة رومانيّة كانت تُرى في عهدهِ مشوَّهةً فوق هذه الاكمة واليوم لم يبقَ منها شيءٌ . ولعلَّ هذه الآثار كانت تنبئُ بمقام الكتيبة الرومانيّة . والمرجّح انَّ الاهلين نقلوا حجارتها لابتناء المطاحين الهوائيّة التي هناك

بيد انَّ الرومان بعد ان اختاروا هذه الاكمة لصلاحها للمدافعة والتحصين لم يلبثوا

---

١) يفيدنا كتاب تعريف الرتب (Notitia dignitatum, ed. Seeck p. 59) انّ الفرقة الثالثة عشرة كانت محتلة في بابيلون والفرقة الخامسة المقدونية في منف

٢) راجع جغرافية اسطرابون (ك ١٧ ف ١ ع ٣٥ ص ١٤٤٦ من طبعة كرخر)

٣) راجع الخطط للمقريزي

٤) راجع كتاب الفرد بتلر في كنائس الاقباط القديمة (ج ١ ص ١٧٧)

ان يجدوا لها خللًا وهو بُعدها عن الماء فخافوا ان يحلّق العـدوّ حولها فيقطع عنهم ماء النيل وذلك ما حمل ولاة مصر ان يحوّلوا المعسكر فيجعلوهُ في سفح الجبل الّا ان هذا الامر كان يستدعي تشييد سور منيع وابراج متينة تقوم في وجه العدوّ اذا ما طرأ على الحامية . فمن ثمّ اقاموا السور الذي هو باقٍ حتى يومنا وشيَّدوهُ حول بلدة بابيلون فصار اهلها في وسط حصن حريز يدافع عنهُ الجند الرومانيون ويمتنعون بهِ من غارات العدى

*

اما تاريخ بناء سور قصر الشمع فهو مجهول وانمـا يمكنّا القول فيهِ انّ اسطرابون لم يرَهُ لمَّا قدم بلاد مصر . ولو كان مشيَّدًا لما ضرب عن ذكرهِ صفحًا وهو من الابنيـة المعدودة التي تدلُّ على سطوة الرومان وتأنّقهم بالمباني الفاخرة في البلاد الغربية الخاضعة لدولتهم

وقد ارتأى البعض انّ هذا البناء يرتقي الى زمن القيصر طرايانوس وكان هـذا الملك امر بحفر قناة تُوصل النيل ببحر القلزم وهي القنـاة المعروفة بالنهر الطرایاني (amnis trajanus) فيزعمون انهُ شيَّد قصر الشمع لحراسة رأس القناة الواقع قريبًا من هناك عند « فم الخليج » بجهة الى الشمال . فان رجح هذا القول كان عهد القصر نحو السنة المئة بعد المسيح . الّا انّ ارباب العاديّات لا يرون في النقوش الباقية من هذا الاثر القديم ما ينطبق مع هندسة ذلك العصر . فانّ الافاريز والنقوش الناتئة المرسومة على الباب والنسر الروماني الجاثم فوقه كلُّها في هيئة من السذاجة تدلُّ على انّ هذا القصر اقرب الينا عهدًا . ولعلهُ من ابنية الملك پروبس (٢٧٦ — ٢٨١) فانّ هذا القيصر ممّن اغنوا ارض مصر بالمباني الحسنة كالهياكل والجسور والاروقة والقصور (١

ومن المحتمل انّ قصر الشمع بُني بعد پروبس بمدّة اعني بعد ظهور النصرانية في القطر المصري . ومما يحملنا على هذا القول . انّ البرج الروماني الفـاخر الذي يعلو كنيسة القديس جرجس في الطبقة السفلى مزدان بعمودين من عهد البنـاء القديم على رأسيهما نقوش تمثّل ورق الشجر وفي وسط الورق صليب تاتيّ الصورة . فهذان الصليبان نُحتـا بلا شك في زمن نحت العواميد وهما يدلّان على تغلُّب النصرانية في تلك الاصقاع . ولنا

١) راجع المؤرخ جيبون (ف١٢) وكتاب الفردْ بتلر السابق ذكرهُ

ما يؤيد هذا الرأي في اعمال القديس تيل الشهيد المكتوبة بالقبطيّة وممَّا يُخبر عنهُ انَّ المغتصبين اكرهوهُ على الخروج من بيت والدهِ في السادسة عشرة من عمره وارغموهُ على الانتظام في سلك الجنود المقيمين في بابيلون جنوبي مدينة اون (هيليوبوليس او عين شمس) فخدم مدَّةً تحت قيادة ضابط اسمـهُ كلّيسترات حتى قدم والي مصر المدعو اريان فحلَّ بابيلون وجمع الكتيبة الرومانيّة وامر الجند بان يسجدوا للاوثان. . . فامتنع تيل وقُتل شهيد ايمانهِ (١

على انَّ الاضطهاد لم يُفد المغتصبين شيئاً فانَّ نصارى بابيلون لم يزالوا في ازدياد ونموّ حتى اقيم لهم اسقف يرعاهم (٢

ولمَّا صارت مصر تحت حوزة ملوك القسطنطينية جعـل عمَّالهم مركز التدبير في الاسكندريّة على انهم كانوا يتردَّدون من وقت الى آخر الى قصر الشمع وكان النيل في ذلك العهـد متصلًا بالسور لهُ مقيـاس وسط القصر وكانت القوارب والسفن ترسو عند الباب الغربي بين البرجين الضخمين الواقعين من جهة الغرب. والبرج الواحد منهما تراهُ يوماً حاملًا لكنيسة القديس جرجس. امَّا الآخر فقد صار خراباً. ولعلهُ كان امام الباب الجنوبي خندق مملوء ماء وجسرٌ للعبور عليهِ. ينتج ذلك ممَّا اكتشفهُ ثمَّت حديثاً المهندسون فانهم وجدوا الارض في عمق مترين تحت عتبة الباب مفروشة بالبلاط ففي ايَّام فيضان النيل كان هذا الخندق يُغمر بالمياه

وبقي قصر الشمع على حالهِ الى عهـد الفتح الاسلاميّ فبنيت الفسطاط وتحوَّلت بتمادي الزمان الى مدينة القاهرة. وكان بناء الفسطاط في السهل المحدق ببابيلون كما ذكر المؤرخون. فيظهر من ذلك انَّ اقدم ما يوجد اليوم في القاهرة من الآثار انَّما هو محصور في ضمن السور الذي وصفناهُ وهناك الكنائس القديمة لاسيما كنيسة ابي سرجه والسرب الذي تحتها حيث اخذت العائلة المقدسة نصيباً من الراحة في اثناء قدومها القطر المصري

وممَّا يُذكر فيُشكر انَّ عمرو بن العاص لم يخرب قصر الشمع والمعابد الدينيَّة التي كانت وسطهُ ولم يسمح لجندهِ بان يقتسموا ملك هذا القصر كغنيمةٍ بل جعلهُ وقفاً.

---

١) راجع Quatremère : *Mémoires geogr. et histor. sur l'Égypte* I, 45 *et seqq.*

٢) راجع كتاب الشرق المسيحي للوكيان (ج ١ ص٣٨٧

قال ابن عبد الحكم: واقرّ عمرو بن العاص القصر لم يقسمهُ ووقفهُ (١. وبقي النصارى وخصوصاً الاقباط اليعاقبة في قصر الشمع عائشين في الامن والراحة. ويظهر من عدّة كتابات قبطيّة مخطوطة على البرديّ (٢ انّ هذا القصر اضحى نقطةً مهمّةً للتجارة مع بلاد الصعيد

وكان نصارى مصر اذا اصابتهم النكبات يلتجئون الى هذا القصر ويعدّونهُ كمركز ديانتهم. وقد ورد اسمهُ غير مرّة في تاريخ البطاركة الاقباط (٣. ففي هذا المكان في كنيسة ابي سرجه وقع الاختيار على شنوده التقي فجُعل بطريركاً سنة ٨٥٩ واليه يعود الفضل في تحسين الحروف القبطيّة. ولمّا كانت السنة ١٠٧٤ أُقيم خرستودولس بطريركاً وأُعلن انتخابهُ في كنيسة المعلّقة. فنشأ من ذلك خصام كبير بين اصحاب الكنيستين (٤ ومذ ذاك العهد صار التقدُّم لكنيسة المعلّقة التي تلف معظمها سنة ١٣٢٩. بحريق دهمها (٥

وكان النصارى وحدهم يسكنون اولًا في قصر الشمع. ولمّا كانت السنة ٨٨٠ ركبت الديون عاتق البطرك اليعقوبي ميخائيل الثالث ووجد انّهُ قاصر عن وفائها للخزينة السلطانيّة فباع لليهود اوقافاً كثيرة في قصر الشمع (٦. ونظن انّ بيعة القديس ميخائيل دخلت في حوزة اليهود في ذلك العهد فحوّلوها الى كنيس

امّا اليوم فلا ترى في قصر الشمع غير نفر من كهنة الاقباط والروم الارثذكسيين وقوماً قليلًا من فقراء النصارى من النحلتين وبعض الراهبات القبطيّات مع فئة من اليهود. وهؤلاء مقيمون في هذا المكان يشهدون لهُ بما كان عليهِ في القرون الخالية من عظم الشان ويحفظون آثارهُ الدينيّة لا سيّما ذكر يسوع الطفل في منفاهُ. اعاد الله هذه الامكنة الى بهائها السابق

١) راجع الخطط للمقريزي ١: ٢٨٧ و ٢: ٥١٠ ٢) راجع Mittheilungen aus der Sammlung der Papyrus Erzh. Rainer T. V, *fasc.* 1, 2, SS. 23, 45

٣) راجع تاريخ البطاركة الاسكندريين لساويروس بن المقفّع (في نسخة مكتبتنا الشرقية) وتاريخ رينودوت Renaudot : *Hist. Patr. Alexandrinorum*

٤) راجع الشرق المسيحي للعلّامة لوكيان (ج ٢ ص ٤٨٣)

٥) راجع تاريخ ابي الفداء طبعة الاستانة (٤: ١٠٩)

٦) الشرق المسيحي للوكيان (ج ٢ ص ٤٧٤)

قصيدة الكُنت رُشيد الدحداح

في مدح باي تونس

كان جناب الاديب الشيخ سليم افندي الدحداح ذكر في خلال ترجمة الكنت رشيد الدحداح (المشرق ٤: ٤٩٠) قصيدةً عامرة الابيات نظمها المذكور في مديح باي تونس نحو سنة ١٨٦٣. ولم يسعدهُ الحظ وقتئذٍ على وجود هذا الاثر الجليل ليثبتهُ في جملة اخبار حياتهِ. وقد توفّق آخرًا الى اكتشافها عند بعض اقاربهِ الافاضل فاحببنا نشرها في مجلّة المشرق لتكون كملاحق لتاريخ ذاك الرجل الفريد. وهذه القصيدة عبارة عن نيّف و ٨٠ بيتًا وهي لاميّة كقصيدة كعب بن زهير المشهورة. امّا الممدوح فهو السيد محمد صادق باشا الباي الثالث عشر على تونس الغرب تولى الامر من سنة ١٢٧٦ الى ١٢٩٩ (١٨٦٠–١٨٨٢). وقد بيَّنَّا في المشرق ما حظي بهِ الكُنت رُشيد من علو المنزلة عند امير تونس فلا حاجة الى التكرار ولهُ على قصيدتهِ هذه شرح مطوّل وكلاهما لم يُنشر حتَّى الآن

ل. ش

بانت سَعاداتنا والفتح مكفولُ ... باسم المليك فلا تُلهيك عطبولُ (١

وأجفُ النسيبَ تسنّى قربُها لكَ او ... بانتْ سُعاد فعنها القلب مشغولُ (٢

إنَّ المديح لمولانا الخطير غدا ... وقفًا عليهِ فما لي عنهُ تهليلُ (٣

هو الهمامُ الذي جلّت محامدهُ ... بذلٌ عزيزٌ ومنهُ الجود مبذولُ (٤

محمَّدٌ اسمهُ المرفوع مبتدأً ... ممدَّحٌ فعلهُ بالرشد موصولُ

ممجَّدٌ شأنهُ اذ طاب عنصرهُ ... مفخَّمٌ قدْرهُ حلاَّهُ تبجيلُ

مسدَّدُ الرَّأي كابن العاص طاع لهُ ... من الامور الابيّات العراقيلُ (٥

مشدَّد العزم ضاهى خالدًا بطلٌ ... وما ابن صفوانَ اعني فهو معذولُ (٦

يغزو العداة «بانّي ظافرٌ بكم» ... فينكصون اذا ما لاح تهويلُ (٧

---

١) العطبول المرأة الحسنة الفتيّة

٢) النسيب التشبيب بالنساء. وسعاد من اعلامهنَّ

٣) هلَّل من الشيء نكص وحاد ٤) يقال رجل بذل اي شريف

٥) يريد بابن العاص عمرًا فاتح مصر وكان مشهورًا بحسن رأيهِ والعراقيل صعاب الامور

٦) يشير الى خالد بن الوليد صاحب الفتوحات الشهيرة والى معاوية بن صفوان اول خلفاء بني اميّة

٧) يريد انهُ مؤيد بالظفر كانَّ شعارهُ «اني ظافر بكم» وهي جملة قرآنيّة

نَدْبٌ شجاعٌ سخيٌّ لوذعيٌّ حجىً ... برٌّ رؤوفٌ كثير اللطف بُهلول (١
تكلَّف البدرُ اذ حاكى محاسنَهُ ... وفيهِ مع بَكَمٍ نقصٌ وتبديلُ
هلالُ شكٍّ محالٌ ان تطابقَهُ ... عينُ اليقين وقد اعماهُ تسخيلُ (٢
لكنما الشمس لم تجحد مزيَّة مَن ... وافى وفي نورهِ للحقّ تبتيلُ (٣
متى تُقاربْ مقامَ الغرب من خجلٍ ... تصفرْ وجهاً كأن فيهِ عقابيلُ (٤
فعينها ان تصبْ شيئاً يجفُّ وفي ... تسويدها الناسَ تعبيدٌ وتذليلُ
لهُ عليها بتخضير الربوع وتبييض الوجوهِ وبالتحرير تفضيلُ
وحاسدو فضلهِ قد ضاق ذرعهمُ ... لهُ الكمال وفيهم عنهُ تبغيلُ (٥
فالبرق مزّق جيبَ الصبر خُلَّبُهُ ... اذ قيل لم يلقَ وعدٌ منهُ ممطولُ (٦
والبحرُ ازبد بالامواج ملتطماً ... لانهُ منهلٌ بالراح معلولُ (٧
جاورتُ بحرًا فما امسكتُ منهُ جنًى ... الّا كما يُمسك الماء الغرابيلُ
لقد اجاور يوماً بعدهُ ملكاً ... فيّاض نعمى وللحسنى جمليلُ (٨
إنّ ابن مامةَ والقعقاعَ ثمَّ ابا ... سفيانَ لا يذكرْنهمْ بعدهُ جيلُ (٩
قد فاقهم باقتدارٍ مع حلًى وعلًى ... إن قال اسعدتُ ذا فالامرُ مفعولُ
ناديهِ قبَّة نجران اقصدوهُ فمن ... جور الزمان بهذا العصر مَوْؤُولُ (١٠
ابا دلامةَ لا اقفوكَ سائلَهُ ... ففي جواب عليٍّ جاء تمثيلُ (١١
لكن اقول وقد كبّرتُ من ثقتي ... بهِ اليك الثراء اليوم موكولُ (١٢

---

١) النَّدب النجيب. والبُهلول السيد الكامل
٢) يقال سخَّلهُ اذا عابهُ وضعَّفهُ ٣) التبتيل الاخلاص
٤) العقابيل بقية الداء ٥) بغَّل عنهُ اي قصَّر واعيا
٦) البرق الخُلَّب الذي لم يُعقبهُ مطر يُضرب فيهِ المثل للوعد الكاذب
٧) يريد انَّ مزبدة البحر تُشبه غيظ السكران الذي ضربت سورةُ الخمرة في رأسهِ
٨) جَمْليل للحسنى اي يجمعها كلها في شخصهِ
٩) يُضرب المثل في كعب بن مامة والقعقاع بن شور وابي سفيان بالجود والكرم
١٠) كان عرب اليمن يحجّون الى قبَّة النجران بناها بنو الحارث وتدعى ايضاً كعبة نجران والمَوْؤُول الملجأ ١١) عُرف ابو دلامة الشاعر بالإلحاح في الطلب
١٢) كبَّر صاح الله اكبر. والثراء الغنى

وما الثراء بلا عزّى بقربهم … نجحٌ ولكنهُ عندي العساقيلُ (١
امّا اذا خصّني منّا بخدمتهِ … فالرغدُ محتكمٌ والهمُّ معزولُ
ما كلُّ سمحٍ مليكٌ فيهِ مقدرةٌ … ما كلُّ ملك كريمٌ منهُ تنويلُ
فالمرء إنْ نال امرًا فاتهُ اربٌ … وقد يكون مع الفضل الرعاييل (٢
لكنَّ سيدَنا قد نال كلَّ مُنًى … تبارك الله موتي مَن يشا قولوا
عاف التعرُّضَ للاكفاء مكرمةً … ومَن تجنَّى على ذي السلم طِمْليلُ (٣
لكن اذا حاولوا دوسًا لساحتهِ … تنتاشهم من حواليها عكازيلُ (٤
فواقفون لديهِ عند حسدِهمِ … محاملين وقارًا فيهِ تجميلُ
إن كاثروك فقُلْ لا يستوي وانا … فالمستقلُّ وبي للأَمرِ معقولُ (٥
ان قِستَ فيهِ كرام العصر قاسهمُ … لهُ شتات معاليهم سرابيلُ
ذو محتدٍ عربيٍّ ملكهُ رِثةٌ … عن منجبٍ حسنت فيهِ الاقاويلُ
ما بالرعايا شقاقٌ في محبّتهِ … كلٌّ مفدٍّ وفيهم قيلهُ القيلُ
إن نال مَلْكٌ سواهُ من رعيّتهِ … فالرزق من ملكهِ للناس مجعولُ
ما إن عليهِ ترى دينًا يباع ولا … قضاء معلوم دين الملك مجهولُ
وعرشهُ فلكُ المجد الرفيع لذا … اعوانهُ الانجمٌ زهرٌ اهاليلُ (٦
فكلُّهم ناصحٌ حرٌّ بخدمتهِ … والمصطفى عندهُ للفضل اكليلُ
والبلد الطيّبُ الارض التي شرُفتْ … بهِ فما لحماها الرَّحبِ تعضيلُ (٧
وسوف تزهو ليكسى بحرها سُفنًا … وتُبتنى مُدنًا منها البراغيلُ (٨
لانَّ همّتهُ العليا وحكمتهُ … لا يعجزنَّهما في الكون تحصيلُ

١) يريد انَّ السائل يصيب الغنى عند الممدوح مع صيانة ماء وجههِ عزّة نفسهِ. ولولا ذلك لكان الغنى لا طائل تحتهُ كالعساقيل وهو السراب
٢) الرعابيل اخلاق الثوب. اي ربما كان الفضل مع الفقر والثياب الرثّة
٣) تجنّى عليهِ تشكّى والطمليل السَّيّئُ الخلق الدنيّ
٤) العكازيل براثن الاسد واظافيرهُ. وتنتاشهم تتناولهم
٥) الامر بالفتح الحال وبالكسر العجب
٦) الاهاليل المهلّة الساطعة الضوء
٧) يريد تونس عاصمة الباي. وعضل المكان ضاق
٨) البراغيل الواقعة بين الريف والصحراء

فمنهما لنموِّ الملك قد لمعتْ بروقُ سعيٍ بها للنجح تأميلُ
مهما يُرام لإسعاد البلاد بهِ من الامور لها من فضلهِ نيلُ
عزمٌ وحلمٌ وانصافٌ ومعدلةٌ حزمٌ وعلمٌ واسعافٌ وتنكيلُ
وكلُّ ذا بعض ما مَنَّ الكريم بهِ وجاء منهُ عليهِ فيهِ تنزيلُ
مولايَ جدِّدْ أجدْ اصلحْ أقِلَّ وزِدْ كمِّلْ ونظِّمْ فذا للملك تعديلُ
بمثلهِ العُجْمُ نالوا من سباخهمِ ريعًا وخصبًا بهِ للعزِّ توسيلُ (١
لكنْ بجدِّك بالآباء بالكرما آل أشبال مَن بيتُهم بالجد مأهولُ
بالجود باللطف بالصيت الحميد باخــــلاقٍ لك الدهرَ منها الخير مسئولُ
لا تجعلنْ هذه الاعمال منشئةً شيئًا بــهِ عن خلال العرب تحويلُ
انَّ البديع لقد وفَّى بوصفهمِ نِعمِ البيان ونِعم الوصف والجيلُ
والتابعو الهذْب والتمدين انهمُ شطُّوا فجاء مع التصليح تعطيلُ (٢
حُبُّ التبدُّل اضحى مذهبًا لهمُ مع انَّ في بعضهِ خسرٌ وتضليــلُ
نفيُ العظام سِناهًا عند بعضهمِ او ان يلي الامرَ كل الناس تجميلُ (٣
وآخرون اجدُّوا الحين فاختلقوا كلٌّ لهُ للكتاب الآنَ تأويلُ
تخرُّجٌ خلتُ فيهِ موت افئدةٍ في البعض او انَّ فيهِ الطبع مبدولُ
امر استرَفُردَ مع كرلوسَ قِسنهُ على آل مهدي وممن فتكفيك التفاصيلُ (٤
لم يبقَ من عربيٍّ خضرمٍ علَمٍ لنا سواكم يرجَّى منهُ تغفيلُ (٥
حُييتَ من كوكبٍ بالغرب ذاع سنًا للخافقَين وفي علياهُ تظليلُ
بهِ وان كنتُ في صقعٍ بغــير هدًى لا شمس فيهِ على الخيرات مدلولُ
هديَّةٌ انت قد جاد الزمان بهــا وكم على مثلها لاقاهُ تبخيلُ

١) سباخ الارض ما لم يُزرع منها ولم يُحرث . والتوسيل التقرُّب بالوسيلة
٢) الهذب الاصلاح ٣) سِناهًا اي سنة بعد سنة
٤) يشير الى الكُنت دي ستر افورد (Cte de Strafford) وزير كرلوس الاول ملك انكلترة قُتل فذهب ضحيَّة إخلاص ولائهِ للملك الذي خدمهُ سنة ١٦٤١ . امَّا معن فهو معن بن زائدة وامرهُ مع المهدي الخليفة العبَّاسي مشهور
٥) غفلهُ وغفَّلهُ كفاهُ

ما كنتُ كالهدهد أنْ أهدِ المديح لكم ... لكنما لي اداء القرض تنفيلُ (١

فهاكهُ من فؤادٍ صادقٍ دنفٍ ... بالحبّ بعض الذي يحويهِ مقوولُ (٢

اذ انجب الدهر بالمولى ونِعم فتًى ... أتحفتهُ بفتاةٍ حسنهـا السولُ (٣

دلّت عليهِ وما ذلّت لغير فتًى ... تاهت بهِ شخصهُ باللطف مشمولُ

قريحتي لم تكن من قبلهـا نُتجت ... شعرًا على انّ قلبي فيهِ متبولُ (٤

وأغلاقيَ للأقلام منذ فمي ... عاف الرضاعة اظآرٌ مطافيلُ (٥

وطالما صادمتْ مني اليمين بها ... دهرًا على اهلهِ في حكمهِ الغولُ (٦

هذا وقد كنتُ كالضبيّ حتى بدا ... لي ذو عُلى مدحهُ للفتح تعجيلُ (٧

قلتُ هذا مجال القول فابتدرنْ ... ففيهِ للَّسِن المرضيّ تحويلُ

ان لم اكُن فارس الميـدان مقتفيًا ... كعبًا فلي في اقتدائي اليوم تفنيلُ (٨

او لم يكُ النظم مني شيمةٌ عُرفت ... فعادةٌ منك نثر البرّ مأمولُ

فاسعدْ ودمْ بصفا عيشٍ يظلّلهُ ... مجدٌ وعزٌّ واقبالٌ وتسهيلُ

واعذرْ فاني بها اعذرتُ مجتهدًا ... وان فضلك للتعذير تغفيلُ

عادتْ لمدحك بالشعرى معلقةً ... ونشرُها بنسيم الصبح محمولُ (٩

وفتحها سوف تُتلى بعدهُ صحفٌ ... وجوهُ شكري بها بيض يعاليلُ (١٠

فانْ يقلْ ناصحٌ خلِّ القريض ودعْ ... انّ الامانيَّ والاحلام تضليـلُ

اليك ما حِرفة الآداب مسعدةً ... وما مواعيدها الّا الاباطيلُ

قُلتُ اشعرنْ بعلًى فيها شعرتُ وقُل ... بانت سعاداتنـا والفتح مكفولُ

١) يشير الى قصّة الهدهد مع سليمان الحكيم . وهي من اقاصيص العرب الشائعة

٢) مقوول على اصل الكلمة بدلًا من مَقول

٣) يريد بالفتاة القصيدة التي نظمها ٤) المتبول الهائم المشغوف بالحب

٥) شبّه الاقلام بالمرضعة الحديثة العهد بالولادة وجعل المداد السائل منها بمنزلة اللبن

٦) اي انّ يمينهُ بالكتابة غلبت الدهر ثم شبّه الدهر في حكمهِ بالغول

٧) يشير الى مديح الضبي الشاعر للفتح بن خاقان الوزير

٨) يريد كعب بن زهير الذي عارض الشاعر بهذه القصيدة لاميّتهُ الشهيرة

٩) الشعرى احد كواكب برج الجوزاء

١٠) اليعاليل جمع يَعلول وهو السحاب الابيض

كُتبي المخطوطة

بقلم جناب القانوني الفاضل جرجس افندي صفا

الكتب من اهمّ ما يُعتنى بهِ لانها هي الحافظ الامين لآداب الامم واخلاقهم وتاريخهم وسياستهم واديانهم وعاداتهم ولغاتهم وكتابتهم وشرائعهم وعلومهم ومدنيَّتهم واختراعاتهم وصناعاتهم بل هي نتائج عقولهم وزبدة اجتهادهم حتى انَّ من يطالع كتابًا يكون كانهُ يجالس من الَّفهُ ولو كان قد مرَّ على صاحبهِ مئات من القرون ويراهُ كأنهُ يخاطبهُ باحسن ما عندهُ ويطرفهُ بابدع ما اتّصلت اليهِ مداركهُ لان الناس يحفظون احسن ما يسمعون ويكتبون احسن ما يحفظون. ومن سوء الحظ نرى ان اكثر سكَّان بلادنا لا يعتنون في جمع الكتب عنايتهم في الاثاث والرياش ونرى ان البلاد التي يعتني اهلها باقتناء الكتب والمكاتب اكثر تقدُّمًا ونجاحًا

ثم ان للكتب الخطيَّة المضبوطة مزيَّة على الكتب المطبوعة خصوصًا اذا كانت قديمةً لانها تكون قد تداولتها ايدي المطالعين من علماء الفنّ الذي أُلفت فيهِ فهي اوثق من كثير من الكتب المطبوعة التي يُقتصر فيها على مصحح واحد ربَّما كان غير كفء للتصحيح كما سنبيّن ذلك في غضون هذه المقالة. وقد اجتمع عندي لهذه السنة جملة من الكتب الخطّيَّة اسرد اسماء بعضها بالاختصار تفكهةً للقراء وعسى ان يتحفنا أُولو الفضل ممَّن عُنوا بجمع الكتب باسماء ما لديهم من التآليف العزيزة الوجود فان ذلك لا يخلو من الفائدة واقلّ ما فيها انهُ ربَّما كان كتاب جليل الَّا انهُ غير مضبوط النقل او نقص بعض اوراقهِ او تلف بعضها او تأكَّل بتقادم الزمان فيستعين صاحبهُ على اكمالهِ او اصلاحهِ حين يرى ان نسخةً منهُ عند غيرهِ. وسأذكر ايضًا شيئًا من ترجمة اصحابها وتآليفهم وغير ذلك ممَّا يساعد الوقت على ذكرهِ بهذه العجالة

كتبي الفقهيَّة

امَّا الكتب المخطوطة التي عنيت بجمعها منذ الصغر حتى الآن فهي في الفقه:

١ً (كتاب البزَّازيَّة) وهو كتاب فتاوى جليل يُعتمد عليهِ تأليف محمد بن محمد الكردريّ يقول المؤلف في مقدَّمتهِ: « انهُ ذكر فيهِ خلاصة نوازل الايام ومختارات

المشايخ الكرام ليكون عونًا لمن تصدَّى للافتاء باللسان والاقلام » وقد كُتبت هـذه النسخة في سنة ٨٨٤ هـ (١٤٧٩) وهي غاية في الضبط وعلى هامشها فوائد كثيرة وحواشٍ مهمّة من فتاوى سعد افندي والمولى ابي السعود. وعليها هامش واحد بخط المولى ابي السعود نفسهِ. وقد عارضتُها بنسخةٍ طُبعت في مصر على هامش الهنديَّة فوجدتُ بونًا شاسعًا بين النسختين فان نسختي الخطِّيَّة اكثر ضبطًا وقد كُتبتْ عليها الايدي التي تداولتها عدَّةَ فوائد مهمّة وبيَّنت ما وُجد في سائر النسخ المظنونة الضبط من الروايات. ويظهر من الهامش الذي عليها بخط ابي السعود انهُ عارضها بنسخة مقروءة على المؤلف

امَّا المؤلف فلم اقفْ لهُ على ترجمة فيما عنـدي من الكتب وغاية ما توصَّلت اليهِ انَّ وصفهُ بالبزّازي انَّما كان لانهُ كان يبيع ثياب البزّ. وممّا نُقل عنهُ ان السلطان مراد خان عزم ان يجمع بين البزّازي والمولى محمد القاضي المشهور بالفنـاري للمباحثة في مجلسهِ بأدرنه. فارسل اليهِ المولى الفناري من تلامذتهِ مَن يثق بفضلهِ ليباحثهُ ويقف على تفاصيل احوالهِ ليكون هو على بصيرة من امرهِ عند المباحثة. فأتاهُ متنكرًا وهو ببروسة وسألهُ الحضور في مجلس درسهِ فاجابهُ اليهِ فلزم مجلسهُ ومكث عنـدهُ ثلاثة اشهر يقرأ عليهِ من كل فنّ طرفًا صالحًا. ثم اتى المولى الفناري فاخبرهُ: « انهُ حِبرٌ لا يُبارى وبحرٌ لا يُجارى في جميع الفنون لاسيما في الفقه خلا انَّك لو عيَّنتَ مبحثًا وبالغت في تحقيقهِ وهو غافل عنهُ ارجو ان تغلبهُ ». فعيَّن من آيات الكتاب ووصى الحافظ بقراءتها واعطاهُ عطاءً جزيلًا فلمَّا انعقد المجلس شرع الحافظ في التلاوة. فلمَّا اتمَّها امر السلطان بتفسيرها(١ فاندفع المولى البزّازي بالتفسير وطفق يبيّن ما يتعلَّق بالمقـام من كل جليل ودقيق واتى بامرٍ بديع ثم قال: قد استنبط ائمّتنا من هذه الآية كذا وكذا حكمًا ومن تلك كذا وكذا وفصَّل كيفيَّة الاجتهاد والتعليل في كل حكمٍ حكمٍ حتى اذا انتهى الى بيان كيفيَّة حكم من تلك الاحكام استعاد المولى الفناري تقريرهُ. فلمَّا اعادهُ اورد عليهِ اعتراضًا فقبلهُ المولى البزّازي واستحسنهُ اهـ. كذا نُقل عن خط شيخ الاسلام المولى ابي السعود. وللبزّازي من التآليف غير هذا الكتاب كتابٌ في مناقب الامام الاعظم ابي

١) جرت عادة العلماء ان يطلقوا لفظ التفسير لايضاح معاني الكتب المنزلة ولكلام الانبياء والرسل ولفظ الشرح لغيرها من الكتب

حنيفة وتوفي البزّازي أواسط رمضان ٨٢٧ (١٤٢٤ م) ورأيتُ في بعض الكتب انهُ تباحث مع المولى الفناري حين دخل البزّازي بلاد الروم فغلب الفناري عليهِ في الفروع والبزازيّ في الاصول. قلتُ وهذه الرواية توافق الاولى

٢ (الفتاوى الخانيّة) للامام قاضي خان وهو كتاب جليل في الفقه معتمد عليهِ وقد كُتب في اوَّل نسختي ما يأتي: «كتاب فتاوى قاضيخان تأليف الشيخ الامام العالم العلّامة الحبر البحر الفهّامة فخر الملّة والدين مفتي الشرق والغرب الحسن منصور بن محمد الاوزجندي على مذهب الامام ابي حنيفة النعمان». وهي نسخة مضبوطة مصحَّحة لا يكاد يوجد بها سقط وقد عارضتها بنسخةٍ طُبعت في مصر فوجدت في المطبوعة اغلاطًا كثيرة مهمّة. والامام قاضي خان يسمَّى فقيه النفس ويعتبر من اهل الترجيح. امَّا لفظة خان فهي لقب خاصّ باهل الشرف في لغة الفرس. ولم اقف لهُ على ترجمة وللامام قاضي خان من التآليف شرح الجامع الصغير يوجد منهُ في المكتبة الخديويَّة في مصر سبعة وعشرون جزءًا ولهُ شرح الزيادات وكلاهما في الفقه

٣ ومنها كتاب صدر الشريعة (شرح الوقاية) وهو نسخة قديمة موثوقة كُتبت سنة ١٠٤٩ (١٦٣٩م). وعندي تأليف آخر لهُ في العروض ساذكرهُ

٤ وكتاب (الفتاوى الخيريّة) وهو للشيخ خير الدين ابن احمد بن نور الدين علي بن زين الدين بن عبد الوهّاب الايوبي العليمي الفاروقي الرَّمليّ الامام المفسِّر المحدِّث الفقيه اللغوي الصرفيّ النحويّ البيانيّ العروضيّ شيخ الحنفيَّة في عصرهِ ولهُ حواشٍ على منح الغفّار وعلى الاشباه وكتابات على البحر الرائق والريبعي وجامع الفصولين وغيرها وديوان شعر مرتّب على حروف المعجم. ولد بالرملة من فلسطين ودرس في الجامع الازهر وبقي فيهِ ست سنين مكبًّا على المطالعة ونسخ الكتب النفيسة وافتى اخيرًا وهو هناك. ثم قدم الرملة في ذي الحجّة سنة ١٠١٣ (١٦٠٤م) واجتمع بعلماء غزَّة ثم اقام ببلدهِ واخذ في الاقراء والتعليم والافتاء مع حسن السيرة وشاعت فتاواهُ في الآفاق. واخذ في غرس الكروم ومباشرتها بيدهِ وغرس الوفًا من اشجار الفاكهة وغيرها واقتنى املاكًا وعقارات كثيرة كان يباشر شغلها بنفسهِ وحصل على اكثر من الف ومائتي كتاب من نفائس الكتب. وكانت الوزراء والعلماء والامراء والموالي والمشايخ يسعون اليهِ واخذ عنهُ كثيرون منهم. وكان يحب الافادة ويكثر الاجازة ويكرم العلماء ويبش بالجليس مع

تواضع وحلم وانس ووقار وهيبة وحشمة وحسن عشرة وتودُّد وكرامة منطق وادب زائدٍ. وكان يداوم الاشتغال افادةً او كتابةً او مطالعة لهُ نفوذ عند القضاة والحكام. وقد تميّز بمتانة العبارة وبساطتها وقرب تناولها كما يعلم من تأمل فتاويه وكانت ولادتهُ سنة ٩٩٣ ووفاتهُ سنة ١٠٨١ (١٥٨٥—١٦٧٠)

٥ ومنها (مجمع البحرين وملتقى النيّرين) وهو كتاب نفيس غريب في وضعهِ جمع فيهِ مؤلفهُ مختصر الشيخ ابي الحسن القدوري ومنظومة الشيخ ابي حفص النسفي وقال انّهما بحران زاخران ونيّران مشرقان فسمّى كتابهُ « مجمع البحرَين وملتقى النيّرين ». امّا وجه غرابة وضعهِ فان المؤلف التزم في الكتاب الدلالة على قول الامام اذا خالفهُ صاحباهُ بالجملة الاسمية الّا ان تقع حالًا معترضة فلا تدلّ على خلاف او تتضمَّن نسبة رواية الى الامام. وعلى قول ابي يوسف بالفعلية المضارعة الفعل المستتر فاعلها. وعلى قول محمد بالماضية المستتر فاعلها. ولا قول لمحمد بالاسمية واردافها بالمضارعة. ولا قول لابي يوسف بالاسمية واردافها بالماضية. وهكذا التزم الدلالة على قول مالك والشافعي بجمل معيَّنة دون ان يصرّح باسم او يلوّح برمز وهذا دليل اقتدارهِ وطول باعهِ

وعندي من هذا الكتاب خمس نسخ الواحدة منها كُتبت فيما يرجَّح بخطّ المؤلف وعليها شرح للمؤلف على الهامش. امّا وجه ترجيحي انها بخط المؤلف فلأنّها مضبوطة المتن بالشكل الكامل مع علامات لمرجع الكنايات لا سقط فيها ولا غلط. واذا كان للفظ لغة اخرى او لغات ترى شكلها كاملًا بلغاتها وكذا الهامش فانهُ مضبوط للغاية وفي بعض اوراقهِ عندما تنتهي الكتابة ويبقى للمعنى تعلّق بآخر يُنبّه انهُ نقل الى صفحة ثالثة او ثانية مع امتزاج التنبيه باصل الشرح شأن مؤلفٍ لا ناسخ ولأنهُ مضاف اليهِ عدّة رقاع بنفس الخط وبعض الهوامش مضروب عليها ولانّ هيأة القدم ظاهرة على الكتاب وهو بديع الخط. وعندي نسخة اخرى من متن الكتاب كُتبت منذ نحو مائتي سنة وهي متوسطة الضبط. ونسخة ثالثة بخطي متنًا وشرحًا جرّدتُ بها الهامش وكتبتهُ مع الشرح لاجل سهولة المطالعة فيهِ. ونسخة رابعة متنًا. ونسخة خامسة مضبوطة للغاية متنًا وشرحًا والشرح لابن ملك. وفيها علامات ورقوم لبيان مرجع الكنايات وهي طريقة حسنة كثيرًا ما نراها في الكتب العلميَّة الخطّيَّة القديمة. وحبّذا لو اصطلح

عليها الآن في الكتب التي تُطبع فانها تسهّل فهم المعنى جدًّا لانهُ كثيرًا ما يلتبس المعنى لالتباس مرجع الكناية. ولمتن هذا الكتاب شرح آخر لابن فرشته لم اطلع عليهِ

امّا موْلف الكتاب فهو احمد بن عليّ بن تغلب بن ابي الضياء بن مظفَّر الشامي الاصل البغدادي المنشإِ المنعوت بمظفَّر الدين المعروف بابن الساعاتي وابوهُ هو الذي عمل الساعات المشهورة على باب المستنصريَّة ببغداد. قال التميميّ في طبقاتهِ: وكان احمد اماماً كبيرًا عالماً علَّامة متقنًا مفننًا بارعًا فصيحًا بليغًا قوي الذكاء قد فضَّلهُ واثنى عليهِ بعضهم ورجَّحهُ على الشيخ جمال الدين ابن الحاجب ومن تصانيفهِ الدرُّ المنضود في الرد على فيلسوف اليهود (يعني بذلك ابن كمونه اليهودي) (١ ومجمع البحرين في الفقه جمع فيهِ بين مختصر القدوري ومنظومة النسفي مع زوائد ورتبهُ فاحسن وابدع في اختصارهِ وشرحهِ في مجلدين كبيرين ولهُ البدائع في اصول الفقه جمع فيهِ بين اصول فخر الاسلام البزدوي والاحكام للامدي. قال البرزالي: وتوفي ابن الساعاتي سنة ٦٩٤ هـ (١٢٩٥م) وكان يُضرب المثل بفصاحتهِ وذكائهِ وحسن كتابتهِ

وقال في كشف الظنون ان مظفر الدين ابن الساعاتي ذكر في آخر كل كتاب من مجمع البحرين وملتقى النيّرين ما يشذّ عنـهُ من المسائل المتعلقة بذلك الكتاب وكان بخطّهِ من الكتب الموقوفة في جامع السلطان محمد الفاتح وقد ضرب في بعض مواضعهِ وكشط. فرغ من تأليفهِ في ثامن رجب سنة ٦٩٠ (١٢٩١م) وهو كتاب حفظهُ سهل لنهاية ايجازهِ وحلّهُ صعب لغاية اعجازهِ بحر مسائلهُ جمٌّ فضائلهُ وقد شرحهُ بعضهم

ذكر المدرسة المستنصريَّة في بغداد ووصف ساعتها العجيبة

(اقول) ما مرَّ من ان ابا ابن الساعاتي هو الذي عمـل الساعات على باب المستنصريَّة الخ يريد المدرسة التي انشأها المستنصر بالله سنة ٦٣١ هـ في بغداد شرع بانشائها سنة ٦٢٥ (١٢٢٨–١٢٣٤م) وانفق في بنائها اموالًا كثيرة تولى عمارتهـا موْيد الدين ابو طالب محمد بن العلقمي. وعند تمام بنائها نُقل اليها بامر المستنصر بالله من الكتب ما حملهُ مائة وستون حمَّالًا وعين الشيخ عبد العزيز لاثبات الكتب واعتبارها

١) كان ابن كمونه قد صنَّف سنة ٦٨٣ هـ في بغداد كتاباً سمَّاهُ الابحاث عن الملل الثلاث فثار عليهِ العوامّ وهاجوا وقصدوا قتلهُ فهرَّبهُ بعض الناس في صندوق مجلد وحُمل الى الحلّة وكان ولدهُ كاتباً بها فاقام ايَّامًا وتوفي هناك

وولدهُ ضياء الدين احمد الخازن بخزانة كتب المستنصر التي في دارهِ فرتّبها احسن ترتيب مفصّلًا لفنونها ليسهل تناولها ولا يتعب مناولها. وتُخيّر لكل مذهب من المدارس وغيرها اثنان وستون نفساً ورُتّب لها مدرّسان وناثبا تدريس امّا المدرّسان فمحيي الدين ابو عبد الله محمد بن يحيى بن فضلان الشافعي ورشيد الدين ابو حفص عمر بن محمد الفرغاني الحنفي. والنائبان هما جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن يوسف بن الجوزي الحنبلي والآخر ابو الحسن علي المغربي المالكي وامّا المعيَّنون للخدمة بخزانة الكتب فهم الشمس علي بن الكتبي الخازن والعماد عليّ بن الدبلس المشرّف والجمال ابرهيم بن حذيفة المناول

وقد انشد الشعراء المدائح فيها وفي منشئها قال العدل ابو المعالي القسم ابن ابي الحديد المدائني الفقيه الشافعي (١:

ما مُثّل الفلكُ العظيم لمبصرٍ ... في الارض قبل ايالة المستنصرِ
هذا بناءٌ معربٌ عن قدرةٍ ... رُفعت قواعدهُ بفعل مظهرِ
حسدت بهِ الارضَ السماءُ ولم يزل ... حسدُ الفضائل من طباع العنصرِ
انظرْ تجدْ نظم الثريّا في ذرى ... شرفاتهِ وضياء نور المشتري
ضحكَ الزمان وذاك بعد عبوسهِ ... ورأى الصواب وذاك بعد تحيُّرِ
فالافق بين مذهَّبٍ ومفضَّضٍ ... والجوّ بين مكوفرٍ ومعنبرِ
والارض حاسرة القناع كأنّها ... خود تبرّج في رداءٍ اخضرِ
تزهو بما عمر الخليفة فوقها ... علماً لاحكام البشير المنذرِ
بالجانب الشرقي بالشاطي الذي ... هو طور سينا كلّ صاحب منبرِ

ومنها:

ما حقّ دجلة ان تفوه بلفظةٍ ... قُهرت واي مُساجل لم يُقهرِ
غلب الطغاةُ الماءَ فيها وانثنى ... سُدًّا يفوق صناعة الاسكندرِ
ان اصبحتْ بحرًا فان بنانهُ ... بافاضة المعروف خمسة ابحرِ
وضع الامامُ بها اساس بنائه ... والموج بين مجمجمٍ ومزمجرِ
قصراً ومدرسةً لمن طلب الغنى ... او رام شأوَ العالم المتبحّرِ
هي جنّة الفردوس يجري تحتها ... من ماء دجلة ماءُ نهر الكوثرِ
حصباؤها درُّ النظام وتربها ... مسكُ الجنوب وطينها كالعنبرِ
لبس الغبيُّ بها شهامة ماهرٍ ... وغدا المقلُّ مزاحماً للمكثرِ
لم تخلُ من حبرٍ وشيخ فاضل ... يروي الحديث وساجدٍ ومعفّرِ
قد كانت الفقهاء قبل بنائها ... في كلّ قطرٍ واحدٍ لم يذكرِ

---

١) هو شارح نهج البلاغة في عشرين جزءًا شرحاً بديعاً وقد طبع مؤخرًا في الهند بجزئين كبيرين في مطبعة حجريّة. وهي سقيمة الحروف وكان ابن ابي الحديد هذا معتزليّ المذهب

فرقًا يشقُّ على المريد طلابُها   في الشرع والمطلوبُ كالمتعذّرِ

وتلخيص شروط هذه المدرسة ان يكون عدَّة الفقهاء ٢٤٨ من كل طائفة ٦٢ بالمشاهرة الوافرة والجراية الدارَّة واللحم الراتب والمطبخ الدائر الى غير ذلك من الحلواء والفواكه والصابون وان يكون في دار الحديث التي بها شيخ عالي الاسناد وقارئان وعشرة انفس يشتغلون في الحديث وان يُقرأ الحديث في كل يوم سبت واثنين وخميس من كل اسبوع وشرط لهم الجراية والمشاهرة والتعهد اسوة الفقهاء وان يكون في الدار المتصلة بالمدرسة ثلثون صبيًا ايتامًا يتلقنون القرآن من مقرئٍ متقن صالح ويحفظهم معيدٌ معهُ ولهم من الجراية والمشاهرة والتعهد ما للمشتغلين بعلم الحديث وان يرتب بها طبيب حاذق مسلم وعشرة انفس من المسلمين يشتغلون بعلم الطبّ ويوصل اليهم مثل ما للمقدَّم ذكرهم وان يكون الطبيب يطبّ من يعرض لهُ مرض من ارباب هذا الوقف ويعطى المريض ما يوصف لهُ من ادوية واشربة وشَرَط ان يكون بها من يشتغل بعلم الفرائض والحساب الى غير ذلك مما يطول تعدادهُ

وفي سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٦م) تكامل بناء الايوان الذي أُنشئَ مقابل هذه المدرسة وُعمل تحتهُ صُفَّة يجلس فيها الطبيب وعندهُ جماعتهُ الذين يشتغلون عليهِ بعلم الطب ويقصدهُ المرضى فيداويهم. وبُني في حائط هذه الصفَّة دائرة وصُوّر فيها صور الفلك وجُعل فيها طاقات لطاف لها ابواب لطيفة وفي الدائرة بازان من ذهب في طاستين من ذهب ووراءهما بندقتان من شبَه لا يدركهما الناظر. فعند مضي كل ساعة ينفتح فم البازَين ويقع منهما البندقتان وكلما سقطت بندقة انفتح باب من ابواب تلك الطاقات والباب مذهَّب فيصير حينئذٍ مفضَّضًا. واذا وقعت البندقتان في الطاستين يذهبان الى مواضعهما ثم تطلع اقمار من ذهب في سماء لازوردية في ذلك الفلك مع طلوع الشمس الحقيقيَّة وتدور مع دورانها وتغيب مع غيبوبتها فاذا جاء الليل فهناك اقمار طالعة من ضوء خلفها كلما تكاملت ساعة تكامل ذلك الضوء في دائرة القمر ثمَّ يبتدئ في الدائرة الاخرى الى انقضاء الليل وطلوع الشمس فيعلم بذلك اوقات الصلوات. ونظم الشعراء في ذلك اشعارًا منها قول ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي مدح بها المستنصر :

يا ايُّها المنصور يا مالكًا   برأيهِ صعب الليالي يهونْ
شيّدتَ لله ورضوانهُ   اشرف بنيان يروق العيونْ

ايوان حسنٍ وضعهُ مدهش   يحار في منظرهِ الناظرونْ
صوَّر فيهِ فلك دائر   والشمس تجري ما لها من سكونْ
دائرة من لازورد حكت   نقطة تبرٍ فيهِ سرٌّ مصونْ
فتلك في الشكل وهذي معاً   كمثل هاءٍ ركّبت وسط نونْ

٦ وعندي كتاب (درر البحار وشرحهُ) اما درر البحار فهو للشيخ محمد بن يوسف بن الياس القونوي ضمَّ فيهِ الى مجمع البحرين مذهب الامام محمد بن حنبل مع زيادة فوائد تمسُّ الحاجة اليها ويعوَّل في الفتوى عليها دون ان يغيّر شيئاً من القاعدة المؤسس عليها المجمع . ودلَّ على مذهب الامام محمد بن حنبل بصيغة الامر والنهي وزاد الإعلام بموافقة الامام الشافعي واحمد وخلافهُ للامام مالك في خلافهِ فاقتصر على قولهِ اذا وافق الامام ابي حنيفة ودلَّ على وفاقهما للامام مالك وخلافهما بضمير التثنية وامن اللبس اذ كان بعد خلاف الامام مالك وعلى خلاف الشافعي ووفاقهِ لهُ بالماضي واحمد بالمضارع المستتر فاعلهما . وتمام ما وضعهُ من القاعدة مبسوط في مقدَّمتهِ

وشرح هذا الكتاب تأليف الشيخ محمد بن محمود المدعو بالشيخ البخاري وهي نسخة مضبوطة النقل حسنة الخط قديمة العهد نادرة . وقد ذكر الشيخ الامام ابن عابدين في حاشيتهِ على الدر ان عندهُ نسخة منها

ولم اقف على ترجمة المؤلف والشارح فيما عندي من الكتب عند كتابة هذه العجالة

(ستأتي البقية)

العام الخمسون لاختراع التلغراف

نبذة للاب الفونس فابر اليسوعي

في غرَّة آذار من السنة المنصرمة اقامت جمعيَّة التلغراف الفرنسويَّة عيداً شائقاً شرب اعضاؤها نخب العلماء الذين مدُّوا في فرنسة لاول مرَّة في ١ آذار سنة ١٨٥١ الاسلاك التلغرافيَّة فنقلوا بواسطتها الاخبار من بلد الى آخر وفتحوا بهذه الوسيلة طريقاً لضمّ الشعوب القاصية وربطها بعلائق الحب والوداد كما قال بعض المحدثين :

بالتلغراف الناس اضحوا اخوةً   في كلّ ناحيةٍ على الغبراء
جُمعت بهِ الامم الأُولى قد فُرّقت   من بعد فرط مشقَّةٍ وعناء

تلكم مناطق ألفةٍ ومحبَّةٍ للارض في السرَّاء والضرَّاء

على انَّ هذا الاختراع العجيب ليس هو ثمرة يوم ونتيجة عقل واحد وانَّما بلغ الى كمالهِ بعد الاختبارات العديدة والتحسينات المتوالية. وفي هذه الفرصة احببنا نحن ايضاً ان نلخِّص تاريخ هذا الاكتشاف وما صار اليهِ من الترقي في هذه السنين الاخيرة

*

انَّ الامم الغابرة عرفت ما ينجم من المنافع الجمَّة اذا نُقلت الاخبار من بلد الى آخر على جناح السرعة. فسعى اصحاب الامر بايجاد وسائل كافلة بهذه الغاية الشريفة فمنهم من اقام رجالًا على مسافات معلومة يتناقلون بينهم الاصوات فيبلّغونها من مكان الى آخر بسرعة غريبة. ومنهم من نصب فوق رؤوس الجبال اعلاماً كان اهــل الثغور القاصية يستدلُّون بحركاتها او الوانها. ومنهم وهم الاكثرون كانوا يتخذون النار يضرمونها في اعالي الجبال او فُوق ابراج شاهقة للدلالة على امورهم واحوالهم الشتى. وهي عادة قديمة ذكرها اوميروس الشاعر في كتاب الالياذ. وكذلك البعض لاسيما الخلفاء استعملوا الحمام الزاجل لنقل الاخبار. وقد جاء في تاريخ بيروت الذي نشرهُ المشرق (١: ٣٤٥) انَّ نوَّاب الشام قرَّروا اعلاماً ناريَّة تصل من بيروت الى دمشق لحوادث الليل واتخذوا لحوادث النهار حمام البطاق والبريد

وممَّن اشتهروا باختراع واسطة سهلة لنقل الاخبار الفرنسويَّان امونتون(Amontons) وكلود شاپ (C. Chappe) سبق الاول في اواخر القرن السابع عشر فابتدع طريقةً لرسم الحروف على الزجاج المصبوغ كان يقرأها القارئ بالجهر من مسافة بعيدة ويرسمها لحظةً اخرى. لكنَّ امونتون لم ينجز بالعمل اختراعهُ فحسَّنهُ شاپ واخرجهُ الى حيز الوجود فاشتهر وشاع وبلغ عمَّال هذا التلغراف من الحذاقة وسرعة العمل ما كان يدهش العقول: فانَّ الاشارات الاصطلاحيَّة كانت تُنقل من باريس الى مدينة ليل بدقيقتين والى طولون بعشرين دقيقة. وبقيت هذه الطريقة جاريةً من سنة ١٧٩٤ الى ١٨٥١

على انَّ كلَّ هذه الوسائل مهما بلغت سرعتها ما كانت لتفي بالغرض تماماً فضــلًا عن كونها تستوجب نفقاتٍ عظيمة بكثرة محطَّاتها. وزد على ذلك انَّ هذا التلغراف الجويّ لم يكن العمل بهِ ممكناً في الايام الغائمة فيضطرّ العمَّال الى الانقطاع عن تبليغ الاخبار لاصحابها اكثر من نصف السنة

وكان اختراع الكهرباء قد بلغ في اثناء ذلك من الترقّي ما لم يكن في حسبان العلماء فاخذ بعضهم يبحثون عن الطرائق لنقل الاخبار بواسطتها. والحقُّ يقال انَّ هذا الامر كان خطر على بال كثيرين من مشاهير الطبيعيين منذ القرن السابع عشر والثامن عشر لمَّا اخذت تنجلي اسرار المغناطيس والكهرباء نخصُّ منهم بالذكر الانكليزي شرل مرشال سنة ١٧٥٣ والاب بوزولي (Bozzoli) اليسوعي وقد اصطنع هذا الاخير بعض امتحانات تلغرافية بالكهرباء في رومة سنة ١٧٦٧ نبَّهت افكار غيرهِ من ارباب الطبيعة. على انَّ الثورة الفرنسيَّة حالت دون اتمام هذه المساعي الطيبة وبقيت السيادة للتلغراف النظري الذي ابتدعهُ شاپ حتَّى وقف ارستد (Oersted) على المغناطيس الكهربائي سنة ١٨٢٠ ففتح الباب للاكتشافات العجيبة التي خلدت اسماء امپير واراغو وفارادي وغيرهم من ائمَّة العلوم الطبيعيَّة. وممَّا عُنوا بهِ نقل الاخبار بواسطة المجرى الكهربائي فتوالت التجارب والاختبارات مدَّة عشرين سنةً فكان منهم مَن يُجيد ومنهم مَن يعثر. وممن احسنوا وِتستون (Wheatstone) الانكليزي اختبر سنة ١٨٣٧ في لندن التلغراف الإبري ذا الإبر الخمس فكانت الابر الخمس المتمغنطة تتحرَّك بخمس دوائر مستقلَّة يجري اليها المجرى الكهربائي من بطريَّة. ثم انشأ بعد ثلث سنوات التلغراف الهجائي فكانت الابرة المغنطة عند سيلان المجرى الكهربائي تتحرَّك حول دائرة كُتبت عليها حروف الهجاء فتدلُّ عليها. وكان الاميركيّ مُرْس (Morse) اخترع في تلك الاثناء التلغراف الكهربائي الطابع فكان السلك الكهربائي يتصل بمطرقة فاذا أُطلق المجرى ضربت المطرقة على الورقة فطبعت عليها نُقطًا وخطوطًا تدلُّ على حروف الهجاء. واستبدل وِتستون هذه الطريقة بغيرها اقرب منها اذ كان المجرى الكهربائي يحرّك مطرقةً تضرب على الحروف المعدنية فتنطبع عليها. ولوتستون هذا يعود الفضل باختراع العُمد الخشبيَّة تُمدُّ عليها الاسلاك كما تُرى اليوم وقد عارضهُ في اختراعهِ احد مواطنيهِ المعاصرين لهُ يُدعى بان (Bain) فاخذ الانكليز والاميركيون وغيرهم يستعملون مذ ذاك الحين التلغراف الكهربائي بين بلدة وأُخرى حتى عمَّ استعمالهُ اوربَّة واميركة باجمعهما

امَّا فرنسة فتردَّدت حينًا قبل اتخاذها التلغراف الكهربائي فبقي عندها متروكًا مدَّة في مختبراتها ومصانعها العلمية دون ان ينتفع بهِ الجمهور لمصالحهِ حتى فاز اخيرًا برضى

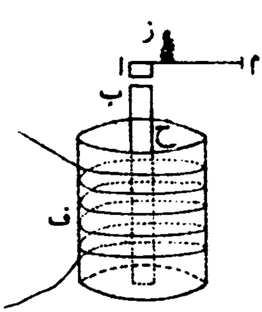
ارباب الدولة سنة ١٨٥١ . فكان ظهورهُ فيها ضربة لازبة على تلغراف شاپ الذي بطل استعمالهُ بعد قليل امَّا التلغراف الكهربائي فانهُ اتسع نطاقاً وعمَّ فرنسة بعد عشرين سنةً حتى بلغ عدد عمَّال ادارة التلغراف ٥٠٠٠ عامل . واليوم يبلغ عدد الانباء البرقيَّة المرسلة تلغرافيًّا كلَّ سنة ١٩٠ مليون رسالة والمعدَّل اليوميّ منها في باريس وحدها بين ٨٠٠٠٠ الى ٩٠٠٠٠ رسالة . وفي ايَّام المعرض الاخير بلغت ١٠٥٠٠٠ عدًّا

ولسائل ان يسألنا هنا كم يلزم لهذه الرسائل البرقيَّة من سلك . فلو افترضنا مثلاً ان العامل يرسل النبأ الواحد بثلاث دقائق لما امكنهُ ان يُرسل في ٢٤ ساعة اكثر من ٥٠٠ رسالة برقيَّة . فيلزم اذن لادارة التلغراف ٢٠٠ سلك تلغرافي في باريس لارسال ١٠٠٠٠٠ رسالة . فكيف يمكن اتخاذ عدد كهذا من الاسلاك التلغرافية

هذا المشكل حُلَّ بعضهُ منذ سنة ١٨٥٣ باجراء اصلاح مهمّ مكَّن العمَّال من ايصال نبأين برقيَّين لجهتين مختلفتين في وقت واحد بسلك واحد

ولكي يفهم القرَّاء كيف توصَّل العلماء الى هذه الغاية لا بُدَّ من ذكر المبدإ الذي يستند اليهِ التلغراف . فانهُ مبنيّ على استخدام ادوات الكهرباء المغناطيسيَّة ويمكن تقريرهُ بهذه الالفاظ : « كل مجرى كهربائي يدور حول قطعة من حديد او فولاذ يغنطها فان كانت القطعة من الفولاذ ثبت فيهِ التمغنُط وان كانت من الحديد الليّن انقطع التمغنط بعد مرور المجرى »

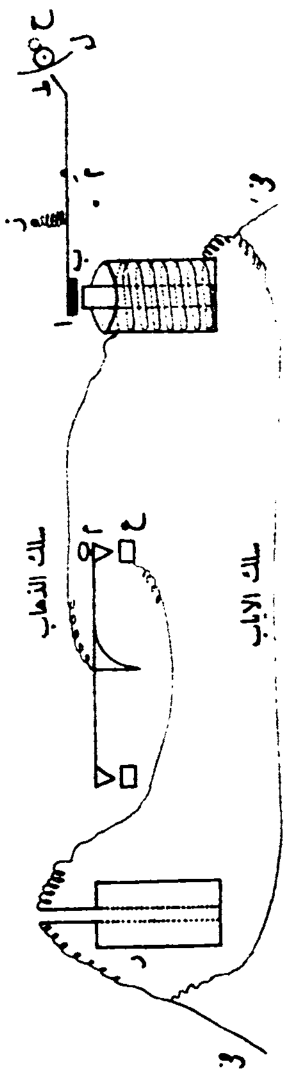
فان اخذنا مثلاً ملفًّا (ف) وجعلناهُ حول جُزْز من الحديد (ح) واوصلنا الملفّ بآلة مولِّدة للكهرباء وجدنا الحديد مُمغنطاً كل مرَّة تجري الكهرباء . ويُعرف تمغنطهُ بجذبهِ للقطع الحديديَّة التي تُجعل بجوارهِ . فلو جهَّزنا بقربه على مسافة بعض ملمترات من طرفهِ مخلًا صغيرًا (م) يستند الى لولب او زنبرك (ز) رأينا المُخل في نقطة (ا) منجذبًا الى (ب) عند اجتياز المجرى ومنسحباً عنها عند انقطاعهِ



الشكل الاول

فلنفترض الآن انَّ في طرف المخل ابرةً او قلماً يجري تحتهُ لفافة من الورق فاذا

جرى المجرى الكهرباني رسم طرفُ المُخل على الورقة اثرًا باقيًا · فهـذا هو القابل التلغرافيّ بعينهِ



الشكل الثاني

امَّا الباعث فيجهَّز بان يُجعل للاداة مُخل آخر بطرفٍ حادّ (م) يتخذهُ المجهِز كمفتاح يوصلهُ اذا شاء بقطعة من المعدن (ع) ويُسيل المجرى الكهرباني بوصلهِ

وفي الشكل الثاني ما يبيّن عمل التلغراف تمامًا · فلنضغط مثلًا الطرف (م) بالمعدن (ع) فتتواصل الدائرة المتركبة من البطاريَّة (ر) ومن الباعث والقابل وتجري الكهرباء في قطعة الحديد (ب) فيتمغنط ويجذب القطعة المعدنيَّة (ا) التي يمسُّ طرفها (ط) لفافة الورق (ل) ويضغطها بمحادل الحبر (ح)

ولكن هذه الدائرة يمكن الاستغناء عن قسم منها وهو سلك الاياب . وذلك بأن تجعل الارض نفسها (ض ضَ) متصلةً بطرفَي الاسلاك لانَّ الارض موصلة للكهرباء فتقوم مقام سلك الاياب وتتمُّ الدائرة بها

وهـذا المبدأ كما ترى غاية في البساطة الَّا ان العلماء لم يزالوا يبنون عليهِ تجهيز ادوات جديدة تتوالى سنةً بعد سنة وتستدرك ما وقع من الخلل في ما سبق منها وتزيد في تحسينهِ · واغرب هذه الاختراعات ايجاد طريقة سهلة لارسال نبأين في وقت واحد لجهتين متعاكستين واليك الامر

فلنعتبرنَّ محطَّتين تلغرافيَّتين بين بيروت والاسكندريَّة متشابهتين بالتمام · وفي كل محطَّة بطاريَّة كهربائيَّة يتصل بها السلكان اللذان بهما تتمّ الدائرة

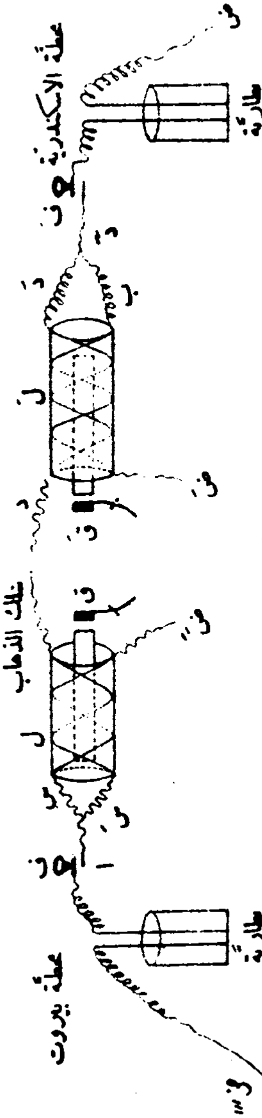
فيوصل احد هذين السلكين بالارض امَّا الآخر فيتصل بطرف الباعث. ثم يجعل على القطعة (ب) سلكان آخران يدوران دورة متعاكسة حول ملفَّــة المغناطيس الذي منهُ تتولد الكهرباء في القابل. واحد هذين السلكين يوصل بالارض والآخر هو سلك الخط التلغرافيّ

ومما يقتضي التنبيه عليــهِ انَّ المجرى الكهربائي اذا دار حول قطعــة من الحديد في وسط ملفّ يولد في الحــديد قطباً جنوبيًا في شمالي المجرى. فينتج من هذا انهُ اذا جرى في الملفّ مجريان متعاكسان بشدَّة واحدة بطل عملهما ولم يعد الحديد مُمغنطاً. وفي الواقع قد وُضع السلكان حول الملف بحيث يتوازن عملهما

فلنفترض الآن ان عامل بيروت يُرسل وحدهُ نبأ برقيًا فيغمس مفتاح الباعث (ف) فيضغط طرفهُ القطعة (ا) وتتمّ الدائرة. فالقابل (ق) يبطــل فعلهُ لانَّ السلكين (س) و(سَ) مستديران باستدارة متعاكسة حول حديد الملفّ (ل) (راجع الشكل الثالث)

امَّا في الاسكندريَّة فان مفتاح باعثهــا (فَ) لا حركة لهُ وكذلك بطاريَّتهُ لا عمل لها فلا يبقى الَّا مجرًى واحد تولدهُ بطاريَّة بيروت وهو يجري في سلك الذهاب الى (د) ومنهُ الى (دَ دَ) ثم يعود حول الملفّ (لَ) بالسلك (ب) ويتصل بالارض لتمام(ضَ) الدائرة

فيرى القارئ كيف انَّ المجرى بذهابهِ وايابهِ حول الملفّ (لَ) جرى جريًا واحدًا لجهــة واحدة



الشكل الثالث

ولذلك تمغنط بهِ الحديد وحرّك القابل (قَ) وبتحريكهِ رُسمت علامة على الورق (١

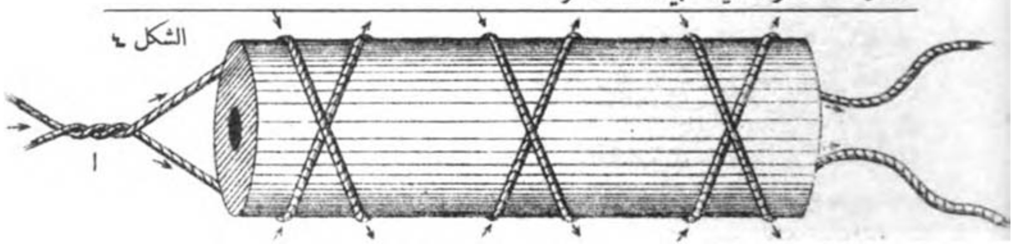
١) لبيان ذلك افترض ان من النقطة (١) يبرز سلكان ملتفَّان حول الملف التفافًا متعاكسًا فترى (من الشكل ٤) انَّ المجريَيْن يبطل فعلهما

واذا ارسل العاملان في بيروت والاسكندريَّة تلغرافًا في وقت واحد بطل فعل الجاري المتعاكسة ولا يجري مجرًى من سلك الذهاب. ولا فعل الَّا لجاري بيروت الجارية في (س) تعمل في قابل محطَّتها (ق). وكذلك مجاري الاسكندريَّة الجارية في (ب) تعمل في قابل محطَّتها (قَ) فترسم ارقام او حروف في وقت واحدٍ في المحطتين وذلك بقوَّة كلّ منهما الخاصَّة بذاتها. فترى ممَّا سبق ان المجاري لا تزال تفعل فعلها سواء كانت في وقت واحد او وقت مختلف الَّا انها اذا كانت في وقت واحد حصل النبأ في المحطَّتين معًا واذا كانت في وقت مختلف لم تفعل الَّا بمحطَّة واحدة

وهذا الاختراع العجيب قد نال ايضًا ترقيًا متواليًا وتحسنات عديدة حتى انهُ يمكن اليوم ارسال اربع بل ثماني رسالات في وقت واحد لجهات شتى

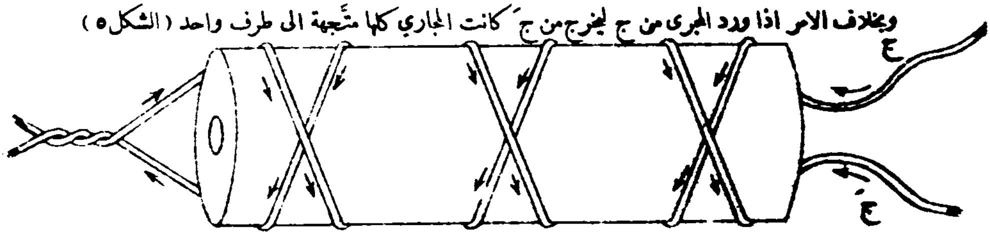
وقد افادتنا الجرائد العلمية آخرًا ان المسيو مركدياي (Mercadier) اكتشف تلغرافًا يسمح بارسال عدَّة رسالات برقية في وقت واحد. وقد بنى اكتشافهُ على هذا المبدأ الطبيعي وهو انهُ يمكن في المكان الواحد وجود اهتزازات كهربائيَّة عديدة لا تختلط بعضها اذا اختلفت سعةً. وفي هذا الاكتشاف ما يجعل للتلغراف البرقي فوائد جديدة في اهميتهِ على انَّ وصفهُ يقتضي منَّا الاتساع في الكلام فاقتصرنا على ذكرهِ فقط. ومنهُ يتضح للقرَّاء ما بلغهُ هذا الفن من التقدّم وما يجدهُ العقل البشري بالبحث والجدّ من

الاسرار المكنونة في طبيعة الكون



الشكل ٤

وبخلاف الامر اذا ورد المجرى من ج ليخرج من جَ كانت المجاري كلها متجهة الى طرف واحد (الشكل ٥)



الشقيقتان

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

اطلعنا على العدد الاول من السنة الخامسة عشرة (كذا) لمجلة «الكنيسة الكاثوليكيَّة» الصادرة مرَّة في الشهر من دير الشير (لبنان) بادارة الايكونوموس تاوفانوس البدوي الجزيل الاحترام. فاستبشرنا بطالع هذه النشرة المفيدة التي ادَّت سابقًا للكنيسة خدمًا تُذكر فتُشكر

ومن جملة الابحاث التي وردت في هذا العدد نبذة عنوانها «الكنيسة اليونانية: ما هي وماذا كانت والى مَ آلت» افتتح بها مديرها الفاضل مقالاته الهامَّة وضمَّنها هذه المرَّة تعريف الكنيسة اليونانيَّة واعدًا قرَّاءهُ بان يبيّن لهم قريبًا ماذا كانت والى مَ آلت. فتصفَّحنا هذه الطرفة رجاء ان نقتبس من فوائدها ونلتقط من فرائدها لكنَّنا ما لبثنا ان لحظنا ان صاحبها يمزج الغث بالسمين ويظنُّ كلَّ بيضاء شحمة. وما كنَّا لنتعرَّض لهذه المقالة لولا ضنُّنا على شرف هذه المجلة التي وقفت نفسها في السابق للمدافعة عن المبادئ الراهنة والعقائد الصحيحة. وغاية ما نتمنى ان تعضدنا في هذا المشروع الجليل وتسعى معنا في توطيد معالم الدين القويم. وهذا اول المقالة:

«ان الكنيسة اليونانية التي يطلق عليها المؤرخون غالبًا اسم الكنيسة الشرقية تمييزًا لها عن شقيقتها الكنيسة اللاتينية او الغربية ليست بمقصورة على بلد واحد او امة واحدة كسائر الكنائس الفرعيَّة المنتسبة كل منها الى الامة القائمة بها وانما هي الكنيسة الجامعة لكل الامم والبلاد الجارية على الطقس اليوناني سواء جرت عليهِ منذ تأسيسها وما زالت محافظة عليهِ الى يومنا هذا او اعتمدتهُ مدة من الزمان ثم نحجت سواهُ لاسباب وشؤون متنوعة وبقيت على نحجها الجديد الى اليوم»

*

واول ما يلوح من هذه النبذة ان صاحبها يعتبر الكنيسة اليونانيَّة كشقيقة الكنيسة اللاتينيَّة او الغربيَّة (ص٣) كانَّ المسيح انشأ كنيستين الواحدة شرقيَّة او يونانية والاخرى لاتينيَّة او غربيَّة ولو رجع صاحب المقالة الى شعار مجلَّتهِ لرأى انَّ تصوُّره هذا في الكنيسة لباطل اذ كتب فيها «أُومن بكنيسة واحدة مقدَّسة رسوليَّة» فاذا كانت الكنيسة واحدةً فاين المحلُّ للشقيقتين

ثمَّ قال انَّ هذه الكنيسة شقيقة الكنيسة اللاتينيَّة هي « الجامعة لكل الامم والبلاد الجارية على الطقس اليوناني الخ » فينتج من ذلك انَّ الكنيسة اليونانيَّة التي تتألف من ذوي الطقس اليوناني اي الملكيين والبلغار واليونان والسرب والروس والمجر وغيرهم هي مع اختلاف هؤلاء الشعوب بالمعتقدات شقيقة الكنيسة اللاتينيَّة فصارت كنيسة المسيح مجتمع عقائد متباينة . مع انَّ هذا يخالف تعريف الكنيسة كما تعلَّمناهُ منذ حداثة سنّنا وكما ورد في تعليم الروم الملكيين نفسهِ المطبوع في مطبعتنا سنة ١٨٧٢ (ص ٩٤) والتعليم الذي طبعهُ سابقًا غبطة البطريرك الجليل بطرس الرابع اذ كان مطرانًا على بانياس سنة ١٨٨٦ (ص ٦٠) وقد جاء في كليهما ان الكنيسة يقال لها واحدة « لانَّ كلَّ الذين يؤلفونها يعتقدون بايمان واحد ويشتركون باسرار واحدة ولانَّ لها رأسًا واحدًا غير منظور وهو سيدنا يسوع المسيح الذي اقام لها رأسًا واحدًا منظورًا وهو القديس بطرس هامة الرسل وامام صفّهم وخلفهُ بابا رومية الحبر الاعظم نائب المسيح وابو المؤمنين المعصوم في تعليم الايمان والآداب » . فان قال انهُ يريد العدد القليل من المتكثلكين بين هذه الطوائف الشتى فذلك يناقض تعريفهُ للكنيسة اليونانيَّة

ثمَّ قال حضرتهُ (ص ٦) : « انَّ الطقوس اليونانيَّة بقيت شائعةً في الاجيال الاولى في رومة امّ الكنائس وفي كثير من مدن ايطاليا وافرنسا واسبانيا » . فاذا قابلنا هذا الكلام مع ما سبق لهُ من تعريف الكنيسة اليونانية « الجامعة لكل الامم والبلاد الجارية على الطقس اليوناني سواء جرت عليهِ منذ تأسيسها وما زالت محافظة عليهِ او اعتمدتهُ مدَّة من الزمان ثمَّ نهجت سواهُ » نتج كنتيجة لازمة ان الكنيسة الغربيَّة نفسها هي ايضًا من الكنيسة اليونانيَّة فليست اذن الكنيسة اليونانية شقيقة لها بل لا يوجد سوى كنيسة واحدة هي الكنيسة اليونانية . وهذا لعمرى من النتائج الغريبة التي لا يرضى بها صاحب هذه النبذة كغيرهِ من الكاثوليك الّا انها ناجمة عن المقدَّمات نجوم الشجرة من نواتها والزهرة من نباتها

ويؤيد حضرة الكاتب هذه النتيجة المخالفة للتعليم الكاثوليكي بقولهِ (ص ٦) انَّ الكنيسة اليونانيَّة اذ لم تستمدَّ شيئًا من طقوس غيرها واستمدَّ غيرها منها (وفي جملة هذه الكنائس المستمدَّة الكنيسة اللاتينيَّة كما سبق) هي الاصل وبقيَّة الكنائس (حتى الكنيسة اللاتينيَّة) هي الفرع

أفلا يستغرب حضرة الكاتب هذه النتيجة ولعلَّهُ لم يفكِّر فيها اذ سطَّر ما سطَّر وغاية ما يريد ان يثبت شرف الكنيسة اليونانيَّة فخدعت لسانهُ محبَّتهُ لطقسهِ

*

ولكن دعنا نبحث عن بعض مزاعم هذه المقالة تاريخيًّا لنرى ما فيها من الصحة:

(اولًا) حاول حضرة الكاتب ان يبيّن انَّ اللغة اليونانية كانت اللغة الاولى التي انتشر فيها الدين المسيحي. ولكن ننشدهُ الله ان يفيدنا هل كانت لغة المسيح هي اليونانيَّة وكلّ صفحة من صفحات الاناجيل تبيّن جليًّا انهُ تكلم بعبرانيَّة يهود ذلك العصر اي الآرامية الفلسطينية. قال العلامة ساخو في مجلة الشرق المسيحي (١٩٠١ ص ٤٧٦): «قد تكلَّم المسيح ومعاصروهُ اللغة الآرامية (١»

(ثانيًا) كيف يثبت صاحب المقالة انَّ الرُّسل بشَّروا اولًا باللغة اليونانيَّة فقط ونعرف انهم كانوا من الأميين يتكلَّمون بلغة الجليل بلدهم. فكانت اذن في العليَّة الصهيونيَّة لغة الكنيسة الاولى اللغة الآراميَّة لا اليونانيَّة وبها تكلَّم بولس لجمهور اليهود في اورشليم (اعمال ٢١ : ٤٠) وكذا قُل عن اخوتهِ الرسل فيها

(ثالثًا) ان كانت اللغة اليونانيَّة كما زعم صاحب هذه المقالة شائعة هذا الشيوع الغريب فهل بقي من داعٍ لتلك الموهبة العجيبة التي اعطاها الروح القدس للرسل لمَّا انطقهم بلغات شتى يوم حلولهِ عليهم في العليَّة اذ كانت تكفيهم اليونانيَّة لتبشير الامم

(رابعًا) قال حضرة الكاتب انَّ كتب العهد الجديد (الَّا انجيل القديس متى) كُتبت باللغة اليونانيَّة فهذا دليل على انَّ اللغة اليونانية كانت شائعة عند كل الشعوب وانَّ هذه الاسفار لم تترجم الى اللغات الَّا بعد مدَّة طويلة. لكنَّهُ لم يلحظ حضرتهُ

١) ومقالة ساخو هذه هي التي استشهدنا بها في المشرق في عددنا السابق (ص ١٤٣) وكلها فوائد تثبت شرف اللغة الارامية ومن جملة ما قال « انَّها امتدَّت مدَّة نيِّف والف سنة وان شعب اسرائيل ترك لغتهُ الاصليَّة ليتكلَّم بالارامية وانَّ هذه اللغة لم تبطل الى ان اسقطتها اللغة العربيَّة ». امَّا ما استشهد بهِ حضرة الخوري الفاضل اوبجلس عبد من هذه المقالة فانهُ مع صحَّتهِ مناقض لفكر المؤلف لانهُ فصلهُ عن قرائنهِ. وما يريدهُ ساخو ان بطاركة كنيسة انطاكية مع كونهم آراميّين اخذوا التمدُّن اليونانيّ وغلَّبوا في كنيستهم اللغة اليونانية فكتب بها كتبة ذلك العصر ولا يريد بذلك كون الشعب كان يتكلَّم بهذه اللغة. ومع هذا فاننا قد قلنا مرارًا في المشرق انَّ سواحل الشام سادت بين أُدبائها اللغة اليونانية (راجع تاريخ الرومان لمُمْسن وملحوظات نلدك عليهِ)

انّ الاناجيل الثلاثة كُتبت اولًا لقوم مخصوصين وكنائس خاصّة شاعت بينها اليونانيّة وانّ انجيلَي مرقس ولوقا اقتبسا في الغالب عن متّى الذي شاع انجيــلهُ اولًا في اليهودية والبلاد الآرامية الى الهند امّا انجيل يوحنّا فكتب لكنائس اليونان. على انّ هــذه الاناجيل نفسها تُرجمت في اواخر القرن الاول الى السريانيــة كما بيّن العلامة الشهير الكردينال وَيسمان واثبتهُ كل المستشرقين. وفي القرن الثاني نُقلت الى القبطيّة ومن ثمّ الى بقية اللغات. امّا الرسائل فقد كُتبت ايضاً لكنائس مخصوصة ولغــايات معلومة لا تدلُّ لغتها على ان كلّ المتدينين بالنصرانية في ذلك العصر كانوا يفهمون اليونانيَّة

(خامساً) انَّ قول حضرة الكاتب عن دخول الالفاظ اليونانيَّة في بقية الطقوس لا يدل على اشتقاق هذه الطقوس من اليونانيَّة كما انَّ وجود الفــاظ ارامية في الطقس اليوناني كهوشعنا (او اوصنًا) وهِللويا وماشيح (او ماسيًا) لا يدلُّ على انّ الكنيسة اليونانية اخذت الطقوس الآرامية

(سادساً) كيف يثبت حضرة الكاتب انَّ الكنيسة اليونانيَّة لم تأْخذ شيئاً من طقوس غيرها. وقد بيَّن حضرة الاب أَرْنت في مجــلة المجموعات الكنسيَّة (١ والاب پاريزو البندكتي انّ عوائد وطقوساً عديدة اتخذتهــا الكنيسة اليونانيَّة من الكنيسة الغربية كما اخذت الكنيسة اللاتينية عن الكنيسة اليونانية بعض طقوسها وقد اثبتنــا نحن ايضاً في المشرق (١ : ٣٣٣) ما قالهُ يوحنَّا فم الذهب عن عيد ميلاد الرب ان الشرق اخذهُ في زمانهِ حديثاً عن الكنيسة الرومانية

(سابعاً) هل يمكن صاحب المقالة الفاضل ان يبين لنا صحّة ما قالهُ عن شيوع الطقوس اليونانيَّة في الكنائس الغربية كرومة وايطاليا وفرنسا واسبانيا. وهل اتخاذ اللغة اليونانيَّة مدة في بعض هذه الكنائس هو دليل على استعمالها ايضاً الطقوس اليونانيَّة فاي علاقة بين الطقس واللغة ؟

هذه عجالة اثبتناها هنا لتفنيد بعض مزاعم المقالة التي نحن بصددها. وهي تتضمّن غير ذلك من المظانّ التي لا يسعنا ضيق المقام ان نتعرض لها هذه المرّة فعسى هــذه اللاحظات تقنع حضرة الكاتب وترشدهُ الى ما فيهِ كلّ خير

(١ Arndt : *De rituum relatione ad invicem*, Rome 1885 — Dom Parisot : *Les rites orientaux*, Amiens, 1896

بلوغ المطلوب

في فنّ القنبرة والطوب

للشيخ محمد بن حسين عطّار زاده

نشرهُ الاب موريس كولنجت مدرس الطبيعيات في مكتبنا الطبي (تتمَّة لما سبق).

المقصـد الثاني

في اصابـة المرمى بقوة مغايرة لقوَّة الرمي المتقدّم

وهي مبنية على هذين الجدولين: الاول منهما فيهِ الارتفاع وتمامهُ والثاني فيهِ اجزاء اقطار الارتفاع. وطريقة العمل بهما ان تجعل ما بجذاء خمس واربعين درجة من اجزاء اقطار الارتفاع معلوماً اولًا ووزن القوة التي رُميت بها اولًا من ارتفاع خمس واربعين معلوماً ثانياً وما بجذاء الارتفاع المفروض الذي اخترتهُ معلوماً ثالثاً فالمجهول الرابع. مثلًا رمينا قنبرة من ارتفاع خمس واربعين درجة بمائتي درهم من البارود فقطعت مسافة ثمانمائة ذراع فأردنا ان نرمي قنبرة اخرى مساوية للاولى في القدر والوزن بشرط ان تقطع المسافة المذكورة من ارتفاع ثلاثين درجة مثلًا. فلا نشك ان القوَّة المحركة لهذا الجسم المذكور اكثر من الاولى فنجعل ما بجذاء خمس واربعين درجة من اجزاء اقطار الارتفاع وهو خمسة آلاف معلوماً اولًا والقوة المعلومة (١ التي هي مائتا درهم من البارود معلوماً

١) ان النسبة التي بين السرعة (س) مباشرةً وزوايا الرمي هي هذه:

$$\frac{س^2}{سَ^2} = \frac{جيب ٢ دَ}{جيب ٢ د}$$

والمؤلف يجعل بدلاً منها النسبة الاتية:

$$\frac{\text{الوزن الاول}}{\text{الوزن الثاني}} = \frac{\text{قاطع زاوية التمام او نظير القاطع } ٢\text{ د}}{\text{قاطع زاوية التمام } ٢\text{ دَ}}$$

ثانياً وما بحـــذاء ثلاثين درجة وهو خمسة آلاف وسبعمائة وثلاث وسبعون معلوماً ثالثاً فنسطّح الوسطين ونقسم الحاصل وهو الف الف ومائة واربعة وخمسون الفاً وستمائة على المعلوم الاول وهو خمسة آلاف يخرج مائتان واثنـــان وثلاثون درهماً من البارود وهو مقدار القوة المقتضية لرمي القنبرة الثانية الى المحـــل الذي رُميت اليهِ القنبرة الاولى من ارتفاع ثلاثين او ستين. وعلى هذا فقسْ ما لو جهل احد الثلاثة الباقية كما لا يخفاك بعد احاطتك بما تلوناه'

الارتفاع	متمم	أجزاء اقطار الارتفاع	الارتفاع	متمم	أجزاء اقطار الارتفاع	الارتفاع	متمم	أجزاء اقطار الارتفاع
١	٨٩	١٤٣٣٦٨	١٦	٧٤	٩٤٣٥	٣١	٥٩	٥٦٦٢
٢	٨٨	٠٧١٦٨٠	١٧	٧٣	٨٩٤١	٣٢	٥٨	٥٥٦٩
٣	٨٧	٠٤٧٨٣٤	١٨	٧٢	٨٦٠٦	٣٣	٥٧	٥٤٧٣
٤	٨٦	٠٣٥٩٣٦	١٩	٧١	٨١٢١	٣٤	٥٦	٥٣٩٣
٥	٨٥	٠٢٨٧٩٣	٢٠	٧٠	٧٧٧٨	٣٥	٥٥	٥٣٢١
٦	٨٤	٠٢٤٠٤٨	٢١	٦٩	٧٤٧٢	٣٦	٥٤	٥٢٧٢
٧	٨٣	٠٢٠٦٦٨	٢٢	٦٨	٧١٩٧	٣٧	٥٣	٥٢٠١
٨	٨٢	٠١٨١٤٠	٢٣	٦٧	٦٩٥٠	٣٨	٥٢	٥١٥٣
٩	٨١	٠١٦١٨٠	٢٤	٦٦	٦٧٢٨	٣٩	٥١	٥١١٢
١٠	٨٠	٠١٤٥٦٩	٢٥	٦٥	٦٥٢٧	٤٠	٥٠	٥٠٧٧
١١	٧٩	٠١٣٣٤٧	٢٦	٦٤	٦٣٤٥	٤١	٤٩	٥٠٤٩
١٢	٧٨	٠١٢٢٩٣	٢٧	٦٣	٦١٨٠	٤٢	٤٨	٥٠٢٧
١٣	٧٧	٠١١٤٠٥	٢٨	٦٢	٦١٣١	٤٣	٤٧	٥٠١٢
١٤	٧٦	٠١٠٦٥٠	٢٩	٦١	٥٨٩٦	٤٤	٤٦	٥٠٠٣
١٥	٧٥	٠١٠٠٠٠	٣٠	٦٠	٥٧٧٣	٤٥	٤٥	٥٠٠٠

(تنبيه) ما قدّمناه' من طريق استخراج المسافـــة المجهولة بارتفاع مفروض او ارتفاع مجهول بمسافة مفروضة بنفس القوَّة المتقدمة او بقوّة أُخرى اذا كان موضع الآلة مع مسقط القنبرة على خط موازٍ للافق كما اشرنا اليهِ

واما اذا كان مسقط القنـــبرة وهو الغاية مائلًا الى الفوق او التحت اي مرتفعاً او منخفضاً عن الخط الموازي للافق فطريق استخراج الارتفاع المقتضي لرميها الى غايتها

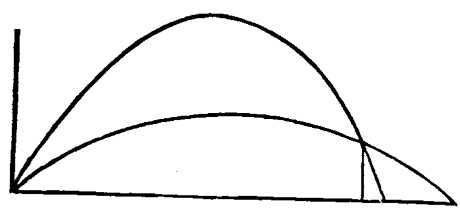
هو ان يُضرب جيب تمام ميل الغاية في مقدار المسافة الافقيّة (١ اي مقدار المسافة على خطّ موازٍ للافق من محل آلة الرمي الى نقطة منهُ لو اخرج من الغاية عمود عليهِ لأَصابها وكيفيَّة استعلامها ان تضرب الجيب المنكوس لميل الغاية مطلقاً في بُعد الغاية عن محل آلة الرمي وتقسم الحاصل على ستين فالخارج هو مقدار المسافة الافقيَّة . فاذا ضرب جيب تمام ميل الغاية في مقدار المسافة الافقيَّة يُقسم الحاصل على مقدار المسافة البُعدى المجرَّبة ويضم الى الخارج من القسمة مقدار جيب الميل ان كان فوقيًا وينقص منـهُ ان كان تحتيًّا فما اجتمع او بقي فهو جيب زاوية استخرج قوسهُ فهو مقـدار قوس تلك الزاوية واطرحهُ من قف (١٨٠) يبقى تمامها الى قائمتين . فقد حصل معك زاويتان حادَّة ومنفرجة فالحادَّة عبارة عن القوس الذي استخرجتهُ والمنفرجة عبارة عن القوس الذي

---

١) مرجع قول المؤلف الى هذه النسبة :

جيب ٢ د / جيب ٢ دَ = المسافة الافقيَّة / المسافة الحقيقيَّة

ويجعل ٦٠ بدلاً من جيب٢ اَ . وذلك لان القدماء كانوا يقسمون نصف قطر الدائرة الى ٦٠ قسماً . وهو بمثـابة جيب ٩٠ ثمّ يحسب المؤلف بعد هذا حسـابَ خط الرمي السلجمي (parabole) على الطريقة الهندسية . لكن السلجمي على هيئتين منهُ مرتفع ومنهُ منبسط كما ترى في هذه الصورة ويجوز فكّ المشكل بالزاويتين



والمحدثون يحسبون هاتين الزاويتين بحساب المثلثات وفقاً للنسبة الاتية وفيها ر تدلّ على الارتفاع و ك على المسافة وج على شدَّة الثقل و س على السرعة

ر = ك مماسَّة ك − (ج / ٢ س٢ سهم٢ د) ك٢

وهم يجعلون ر مساوية لارتفاع المرمى و ك لمسافتها . والنسبة الناتجة بمماسَّة ك هي من الدرجة الثانية وجذراها يعرّفان زاويتي الرمي

يبقى بعد الطرح من قف. فاذ قد حصلتَ هذين القوسين فضمّ الى كل منهما مقدار ميل الغاية ان كان فوقيًا او اطرحهُ منهُ ان كان تحتيًا ان امكن ذلك والّا فخذ التفاضل بينهما اذا كان الميل اكثر ثمّ نصف المجموع او الباقي فالنصف من الاول هو مقدار الارتفاع الاول والنصف من الثاني هو مقدار الارتفاع الثاني المقتضي كلّ من الارتفاعين لرمي القنبرة الى الغاية المقصودة

ولنمثّل لذلك بمثالين احدهما لِمَا اذا كان الميل فوقيًا والثاني لما اذا كان تحتيًا. فنقول في المثال الاول اذا اردنا ان نرمي قنبرة الى غاية ميلها الى جهة الفوق خمس عشرة درجة والمسافة البعدى المجرَّبة الف ومائتا ذراع والمسافة الافقيَّة ستمائة وعشرون ذراعًا نضرب جيب تمام الميل المذكور في المسافة الافقيَّة ونقسم الحاصل على المسافة البعدى ونضمُّ الى الخارج من القسمة وهو ثلاثون تقريبًا جيب الميل المذكور وهو خمس عشرة درجة ونصف درجة يكون المجموع خمسة واربعين ونصفًا تقريبًا وهذا هو جيب قوس الزاوية. ثم استعلمْ قوسهُ تجدهُ تسعًا واربعين درجة وست عشرة دقيقة فاطرحهُ من قف يبقَ تمامهُ الى زاويتين قائمتين وهو مائة وثلاثون درجة واربع واربعون دقيقة فضمّ الى كلّ منهما مقدار ميل الغاية وهو خمس عشرة درجة يكن المجموع الاول اربعًا وستين درجة وست عشرة دقيقة والمجموع الثاني مائة وخمسًا واربعين درجة واربعًا واربعين دقيقة فنصّفْ كلاًّ منهما يكن نصف الاول اثنتين وثلاثين درجة وثماني دقائق ونصف الثاني اثنتين وسبعين درجة واثنتين وخمسين دقيقة. فنِصف الاول هو مقدار الارتفاع الاول المقتضي لرمي القنبرة الى الغاية المقصودة ونصف الثاني هو مقدار الارتفاع الثاني المقتضى لرميها المذكور

ونقول في المثال الثاني واذا اردنا ان نرمي قنبرة الى غاية ميلها الى جهة التحت عشرة درجة والمسافة البعدى المجرَّبة بحالها وهي الف ومائتا ذراع والمسافة الافقية بحالها ايضًا وهي ستمائة وعشرون ذراعًا نضرب جيب تمام الميل المذكور في المسافة الافقيَّة ونقسم الحاصل على المسافة البعدى المجربة ونطرح من خارج القسمة وهو ثلاثون تقريبًا جيب الميل المذكور وهو خمسة عشر ونصف فالباقي وهو اربعة عشر ونصف تقريبًا هو جيب قوس الزاوية فنستعلم قوسهُ نجدهُ اربع عشرة درجة فاذا طرحناهُ من قف يبقى مائة وست وسبعون درجة. فقد حصل قوسا الحادَّة والمنفرجة. فاذا اخذت التفاضل

بين القوس الاول وميل الغاية كان واحداً وبين القوس الثاني وميل الغاية ايضاً كان مائة واحدى وخمسين درجة فَنَصَّفنَا كلاً من التفاضلين اعني واحداً ومائة واحدى وخمسين كان نصف الاول ثلاثين دقيقة ونصف الثاني خمساً وسبعين درجة وثلاثين دقيقة فالثلاثون دقيقة هي مقدار الارتفاع الاول للرمي المذكور والخمس والسبعون درجة وثلاثون دقيقة هي مقدار الارتفاع الثاني لهُ ايضاً وقس على ذلك ما يرِد من اشباههِ

الخاتمة

اعلم ان جميع ما ذكرناهُ من الاحكام في رمي القنبرة هو بعينهِ جارٍ في رمي كلّة الطوب الّا ان كلّة الطوب تُرمى من ارتفاع دون خمس واربعين غالباً بل من ارتفاع قليل من واحد الى عشرين اذ يُقصد بذلك هدم ما يقابلها واهلاك عساكر العدو وكل شيء يرمى بخلاف القنبرة فانها ترمى الى ما لا يرى ايضاً ولذا اوجبوا في رمي القنبرة الى شيء يُراد هدمهُ وتخريبهُ ان يكون ذلك الرمي من ارتفاع فوق خمس واربعين درجة بل فوق سبعين ليحصل للقنبرة زيادة قوّة بسقوطها من الارتفاع المتزايد بسبب رفعة الخط الشلجمي (١ وفي هذا القدر كفاية. لمن كان ذا دراية. وان طاوعت القوة وساعد الاجل شرحنا هذه الوريقات شرحاً يكون مع ذكر البراهين الهندسيَّة. والنكات الفلسفيَّة. والضوابط العلميَّة. مذيّلا ببيان كيفيَّة وضع اللغم وحفرهِ لرمي الحصون واهلاك العدو وما يتبع ذلك من التحسينات في امر الحروب. وتفريج الكروب. وبالله المستعان. وعليهِ التكلان. وكان انتهاء تأليفهِ في وقت مبارك ان شاء الله تعالى وهو السدس الثاني من النصف الثاني من السبع السادس من العشر الخامس من الثلث الثالث من الربع الاول من الثلث الثاني من العشر الثاني من العشر الرابع من الجزء الثالث عشر. من هجرة خير البشر (٢. واني لمعترف بالقصور. من ارتقاء امثال هذه القصور. ولكن الفضل بيد الله يؤتيهِ من يشاء وهو العلي الغفور. كتبهُ لنفسهِ ولمن شاء من بعدهِ مؤلفهِ محمد عطّار زاده. منحهُ الله وزاده. امين يا رب العالمين

١) قلنا انّ الخط الشلجمي او السلجمي هو ما يدعوهُ الفرنج « parabole » لشبههِ بشكل السلجم

٢) التاريخ المذكورة للساعة الثامنة من يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر جمادى الاولى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين والف (للمؤلّف)

الاديار القديمة في كسروان

دير ماري شليطا مقبس ودير مار يوحنّا حراش

لحضرة الاب الفاضل ابراهيم حرفوش المرسل الكريمي

قال العلامة الدويهي في تاريخ سنة ١٦٢٨: « عُني القس يوحنّا ابن القس يوسف محاسب من قرية غوسطا في تجديد وبناء دير مار شليطا مقبس فكان اول الاديرة التي أُنشئت في تلك البلدان وكان اخوهُ القس سركيس مترهباً في دير مار انطونيوس قزحيّا فانتقل الى اخيهِ »

وقال ايضاً عن بناء دير مار يوحنّا حراش: « في سنة ١٦٤٣ اشترى الاسقف يوسف العاقوري من الشيخ ابي حبيش ارض مار يوحنا حراش في ارض درعون من ناحية كسروان وانشأ كنيسة جميلة على اسم السيدة وديرًا لاسكان البنات الناسكات حتى بلغ عددهنَّ نحو الثلاثين ورأس عليهنَّ الحاجَّة رفقة بنت القس حنّا محاسب »

هذا ما اتحفنا بهِ الدويهي في تاريخهِ من امر هذين الديرَين فعلينا ان نعمل الفكر بما يزيد الامر وضوحاً

ونبدأُ اولًا بدير مار شليطا فانهُ اقدم عهدًا ومنهُ بدأت سيرة النسك في كسروان كما قال الدويهي في محلّ آخر من تاريخهِ

وفي قول هذا المؤرخ الجليل الذي اوردناهُ في مطلع كلامنا ما يقودنا الى البحث عن امرَين: الاول نسب القس يوحنا محاسب. والثاني تاريخ الدير قبل ان جدَّدهُ اي هل كان يوجد حقيقة اطلال معبد او دير قبل ان جدَّد البناء القس يوحنا. ثمَّ نلحق هذين المبحثين ببحث ثالث وهو تاريخ الدير مذ جدَّدهُ القس حنّا ومن تولّى عليهِ من الرؤساء وما جرى فيهِ من الحوادث ونسرد بقدر الامكان تاريخ مكتبتهِ وما جرى عليها من الحدثان الى غير ذلك من الفوائد وعلى الله الاتكال

١ في نسب القس يوحنا محاسب

بعد البحث الحثيث عثرنا على كتابة عربيَّة بحرف سرياني كتبها احد رؤساء مار شليطا (ولم يصرّح باسمهِ) محفوظة في قريَة غوسطا المجاورة للدير عند احد افراد عائلة بيت محاسب الذين لهم حق التولي على الدير ومن سياق هــذه الكتابة التي سنوردها

بحروفها يظهر ان كاتبهـا تلقَّاها عن مصدرين الاول عن كتابة كتبها الخوري يعقوب عوَّاد الحصروني الذي رقيَ الكرسي البطريركي سنة ١٧٠٥ وتوفي سنـة ١٧٣٣ في دير مار شليطا ودُفن فيهِ كما يُستدلّ من التاريخ المنقوش على جدار الكنيسة وسنورده في محلّهِ. ومما جاء في هذه الكتابة: ان يعقوب عوَّاد ارسلها الى الخوري سركيس مُحاسب. وسركيس هذا هو الذي كان معاصرًا لعلّامتنا الدويهي ورقَّاهُ هـذا البطريرك الى وظيفة « برْدوط » اي زائر واطنب في مدحهِ في تاريخهِ. والمصدر الثاني هو التقليـد الشفاهي الذي تلقَّاهُ هذا الكاتب عن اجدادهِ وعن شيوخ قرية غوسطا وطنـهِ واليك الكتابة بحروفها وهي لا تخلو من فوائد تاريخيَّة عن حالة بلاد كسروان بعد عود النصارى اليهِ عقيب خرابهِ الذي وقع سنة ١٧٠٣ على ما افاد الدويهي

نصُّ الكتابة بحروفها

« لمَّا كان تاريخ سنة ١٧٣٣ يونانية سنة ١٤٦٢ م كان رجل يقال لهُ باسيل من قرية مينا طرابلس الشام. هذا الرجل كان خائف من الله فخلَّف ثلاثة بنين الكبير يقال لهُ يوسف وحنَّا وسركيس. وفي بعض الايَّام صار خصومة بين يوسف وبين واحد من اولاد ضيعتهِ فضرب يوسف الرجل فقتلهُ. ولمَّا صار ذلك نزحوا في الليل وتركوا مقتناهم ولم قدروا يجيبوا معهم الَّا المعزى لا غير وراعي المعزى كان اسمهُ عون وهو جد الطائفة المقيرية بقرية غوسطا (١. وكان وصولهم لقرية ساحل علماء وكانت الساحل كل سكانها اسلام فما سكنوا في الساحل بل طلعوا الى فوق الساحل الى موضع يقال لهُ خربة بقلوش (٢ فعمروها هناك وسكنوا سبع سنين وجابوا لعندهم مويَّة رأس الماء (٣. وبلاد كسروان كان اغلبهُ خراب والنصارى قلال. وفي بعض الايَّام راح يوسف مع المعزى وهو على شط البحر ولقي عليهِ رجل درويش وراد يجرّب يوسف ويحلب من المعزى بالجبر فضرب يوسف الدرويش وقتلهُ ودفنهُ في الرمل ولمَّا كان المساء علم والدهُ واخوانهُ بمـا صار فنزحوا من الموضع المذكور وطلعوا الى قرية غوسطا والقرية المذكورة كانت حرش وما فيها لاعمار ولا بيان ارض فبيَّتوا مواضع وعمروا بيوت وسكنوا فيها. ثمَّ زوَّجوا عون الراعي من بيروت وعمروا لهُ وسكَّنوهُ جانبهم (٤ ولمَّا بيتوا الموضع جاءوا سكنوا عندهم طائفة يقال لهم بيت

---

١) هذه العائلة لم تزل حتَّى اليوم في غوسطا ٢) والآن يوجد على هذه الرابية دير لعائلة بيت الخازن يدعى دير بقلوش يسكنهُ راهبات عابدات

٣) هذا النبع يخرج بالقرب من دير الكريم وللان يوجد دواة تجري فيهـا المياه الى بقلوش والقسم الاخر يذهب الى ساحل علما

٤) ان هيئة غوسطا الحالية تحقق ما تقدَّم فمن نظر غوسطا عمومًا يرى شجر السنديان فيها من كل جهة بالقرب من البيوت وبين التوت ويرى بعض اماكن اشبه بغابة صغيرة. ومن المقرر ان كسروان عمومًا كان يشبه جبال سويسرا كما اشار الى ذلك الاب لامنس في احدى مقالاتهِ

الطبيّخ (١ كانوا ساكنين في وطا مجار (٢ ولمّا صاروا كم عيلة لزم انهم يقيموا لهم خوري يخدمهم فلزموا سركيس انهُ يرتسم كاهن . ثم ان سركيس ارتسم كاهن برضى والده باسيل وانتقلت كنوة باسيل الى محاسب لاجل ان سركيس كان فيهم شاطر في الحساب . والبلاد كان عربان وتركان . وفي بعض الايام كان سركيس فايت على بيروت ودربه على زوق مصبح والتركان كانوا مدورين الجبيلة (٣ في الزوق والتقام في خصومة لاجل الحساب (ثم يورد انهُ وقف بينهم راحم كانوا يأتون اليهِ كلّ سنة ليعمل لهم الحساب وسموهُ المحاسب) وصارت كنيتهم الى يومنا بيت المحاسب

وخدم في الكهنوت سركيس ٣٧ سنة ومات بشيخوخة صالحة وكان ذو غيرة للناس كما يذكر كتاب المطبوخ عن غيرتهِ الذي كاتبهُ الخوري يعقوب الحصروني الذي كتبهُ الى الخوري سركيس المحاسب ومؤرخ مجيئهم في السنة المذكورة

ثم انَّ الخوري سركيس المذكور خلّف ولد يسمى يوسف ومن بعد موت والده بثلاث سنين رسموهُ كاهن عليهم فخدم في الكهنوت ٣١ سنة ومات وكان ذو قدوسية وخلف ولدًا يسمَّى حنا وصار كاهن على القرية بعد موت والدهِ وخدم في الكهنوت ٣٩ سنة ومات وخلف ولدًا يسمى يوسف ولاجل ان يوسف كان صغيرًا اجتمعوا اولاد القرية ورسموا ابن عمهِ دوميط عليهم خوري وخدم الرعية الخوري دوميط ٢١ سنة فسعى في ابن عمهِ يوسف ورسمهُ كاهن بمساعدتهِ في خدمة الرعية والخوري يوسف المذكور عمر كنيسة في قرية غوسطا على اسم القديس مار ايليا ومذبح على على اسم مرت صوفيا وخلف ولدين خليل و يوحنا وقسم لخليل على حياتهِ وعطاه حصَّتهُ واستقام هو وابنهُ حنا ورسم ولدهُ حنا كاهن على حياتهِ على القرية لان نظرهُ كان شحّ »

فمّا تقدَّم يظهر باجلى بيان ان باسيل ولد يوسف وحنًّا وسركيس

ثمّ ان سركيس سيم كاهنًا ودُعي محاسبًا لمهارتهِ في فنّ الحساب ومنهُ تسمَّت العائلة ليس باسم ابيهِ باسيل

ثم انّ القس سركيس ولد يوسف وهذا سيم كاهنًا بعد موت ابيهِ الخوري سركيس

ثم انّ القس يوسف ولد يوحنا وسيم هذا ايضًا كاهنًا وولد ولدًا سماهُ يوسف وهذا ايضًا سيم كاهنًا وولد خليل وحنًّا وحنًّا سيم كاهنًا بحياة ابيـهِ الخوري يوسف وهذا هو القسّ حنا الذي يشير اليهِ الدويهي انهُ جدَّد الدير (ستأتي البقيَّة)

---

١) ان هذه العائلة لم تزل للان تدعى بهذا الاسم في غوسطا

٢) وطا مجار بالقرب من دير سيدة النصر في نسبيه للرهبان اللبنانيين وهي لجهة الشمال الغربي من الدير وفي هذا المحل غابة من شجر الصنوبر

٣) مدورين الجبيلة اي يرعون غنمهم ويبيعون من الباغا و المراد بذلك انهُ كان مرور سركيس في فصل الربيع حيث تكون الغنم انتجت واخذ الرعاة يبيعون من الباغا على ما اظنّ

حبيس بحيرة قَدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

ولمّا صارت راحيل في مواجهة الكاهن الوقور بكت طويلًا في سرّها ثم ابتدأت تشرح لهُ اخبار عذاباتها الجديدة وكان صوتها يقوى ويشتدّ في وسط الطبيعة المتلبلبة وكانت الظلمة الناشرة لواءها تشجع القرينة المسكينة على ان تعرب بملء الحرّيّة عن حركات نفسها المنسحقة تحت وقر الالم والوجع

— آه يا ابي لك ان تظن فيَّ ما تشاء من الظنون كلاً انّ الله ليس بعادل . . . ومن الآن فصاعدًا قد تقطّعت كل علاقة بيني وبينهُ وكما تطير الاوراق اليابسة من امام وجه الزوبعة هكذا قد طار من قلبي ما كنت قد حفظتهُ فيهِ من الايمان القليل !

— التجئي يا ابنتي الى الصلاة فانها خير علاج

— لقد كنت انتظر منك هذه الكلمة المبتذلة بل هذه التعزية الخالية من كل معنًى والتي تصرف الانسان عن طلب غيرها . توصيني بالصلاة واي شيء عملتُ من يوم حلَّ بي العذاب ؟ ولكن ماذا ربحت غير زيادة الالم . فالله تعالى يُسرُّ لا محالة بتعذيب خلائقهِ . . . ولو انهُ اجاب صلاتي مرةً واحدةً او منَّ عليَّ وقتًا ما ببعض الراحة لكان في الامر ما فيهِ . فكيف تريد اذًا ان اعتقد عدل الله ؟ آه لو اني صرَّحت لك بكل شيء . واعترفت لك بجميع ما في قلبي لرددتني خائبةً بل لا يبعد ان تلعنني ايضًا

— كلا بل اني ابكي معكِ واشاركك في حزنك . نعم انّي اتعجَّب ممَّا هو حاصل لكِ من الاضطراب والهيجان غير ان ذلك لا يسخطني ولا أبالي بهِ والله تعالى يتولّى مغفرتك

— خرجتُ اوّل امس من منزلي وركبتُ متن السفر دون ان افوه بكلمة صلاة او اصنع اشارة صليب كأني لست من الديانة بشيء . . . وبما اني من الآن وصاعدًا اصبحت لا أريد صلاة فستنقضي الامور عاجلًا وسأقيم على انتظار نصيبي المرتبط بعمود الوجود . . . لماذا اعطاني الله هذه الحياة التي لم اطلبها منهُ ؟ واي حياة اعطانيها . . .

حياة اوجاع واحجية عذاب بل دربًا حقيقة للصليب امضي فيها وانا ساكتةٌ واجمة امام اله يتوارى عن الايدي الضارعة اليهِ ويُصمّ اذنيـــهِ عن احرّ الصلوات ومع ذلك يزعم انهُ صالح . . . وغير متناهٍ في الصلاح

— لا ريب ان الألم قد اضلّ عقلك وانطقكِ بالتجديف

— كلاً ان عقلي معي والذي قلتهُ قد افتكرت فيهِ ورأيتهُ عين الحقيقة والصواب . اتنكر ان الله عاملني بقساوة شديدة؟ . ألا ترى انهُ قدَّم لشفتيّ في اول الامر كأساً لذيذة حلوة ثم ابعدها عني بغتةً . أطعمني بالسعادة والغبطة في الحب الخالص المتبادل وما لبث ان حطّني فجأةً حتى اراني العدم . . . ان الله تعـــالى لا بدّ ان يكون الآن مسرورًا لكوني اتوجّع واقاسي . . . أُقاسي من العذاب ما دونهُ عذاب الجحيم

امَّا الحبيس فابى ان يقطع تلك القرينـــة المنكودة عن اتمام شكواها واحبَّ ان تتكلّم وتبثّ احزانها واكدارها كما تشاء وتريد . واي بأس اذا باحت بكلما يكنّهُ قلبها وطرحت على قدميهِ كل اعتراضاتها وكلّ ما يجول في نفسها من الحركات الثائرة ؟ ففي مثل هذه الاوقات لا يجدي السكوت نفعاً بل يكون عند بعض الناس من اهول المسالك وافظع الخطط التي يتخذونها . أليس المسيح بعينهِ مع كونهِ الهًا قد اطلق العنان لطبعهِ البشري في وقت ضيقتهِ وتركهُ يصرخ تلك الصرخة الهائلة « الهي الهي لماذا تركتني »

وبما ان الاب يوحنا لم يُجِرْ جوابًا على شيء من كلامها لانهُ كان قد قلق من سورة الحزن الثائرة في نفسها خاطبتهُ قائلةً :

قل لي اي شيء يحمل الباريْ تعالى على تنكيد عيشي وتنغيص حيـــاتي ؟ انك خادمه ومؤتمنه . . . فعليك ان تجاوبني

وكأن هذه المسكينة رهبت هول الجواب فاستأنفت الكلام بصوت اصمّ مختنق يتَّخذهُ عادةً من جاشت فيهم الاهواء فقالت :

عرفتُ من زمان مديد ايها الرجل البار انَّ الحب يُورث الجنون . ومع ذلك لم يخطر لي قط انهُ يحملني على اقتراف مثل هـــذه الحماقة واي حماقة اعظم لمن هو في حالة كحالتي ان يطلب نصحًا ومشورةً من رجل بلغ الثمانين . . . من رجل قديس تجرد لله وانقطع عن كل اوهام الدُّنيا . . . فسامحني اذًا يا ابتِ ان قلت لك انك لا تفهم شيئًا من المحبَّة البشريَّة . . . فقد جاهدت اسابيع واشهرًا كاملة لاكتم محبتي عن نفسي وعن

الغير ولكنني كنت كلّما جاهدت بشدَّة فعلى نسبة ذلك يقلّ نجاحي وفوزي بالمبتغى... وكنتُ كعليل محترق من وهج الحمّى كلما اراد ان يرقد يأخذهُ القلق فيتقلّب على فراشهِ تارةً يصلي وتارةً يترنم ليلهو ويثير النعاس ولكنـهُ كلما سعى في نسيان الاشياء تكاثر تواردها على خاطرهِ فيقلق ويستمرّ قلقًا معذَّبًا

هكذا جرى لي فقد مشيتُ على نصائحـك حرفًا بحرف. ولكنني كنت اذا سعيت في اطفاء محبتي زادت توهُّجا. ولم تظهر لي في يوم من الايام بمثل هذا المظهر من القوة والشدَّة الّا وقتما كنت أحاول سترها ليلي مع نهاري. وزد على هذا ان ما كان يتبيَّن لي في بادئ الامر مستحيلًا ما عدت احسبهُ اليوم الّا لعبًا ولهوًا. نعم نعم ان اخفاء محبتي على شقيقتي وعلى زين ما هو غير دعابة ومزاح بالمقابلة الى صناعة كتمها على نفسي. اه لو تعلم اني في هذه التجربة الاخيرة خسرت كل ما كنت قد ربحتهُ من قبل بالمشقة والنصب... لاني لمّا اردت ان أُخفي محبتي على نفسي افشيتهـا من حيث لا اريد الى حنَّة وزين. هذا فضلًا عن ان اضطرابي قد آل الى اقلاق راحتهما. ومع ان الاثنـين يقدّمان لي غاية ما يمكن من الانس والمراعاة ارى ان محبَّة زين لم ترجع اليَّ لا بل قد تأكدتُ اني صرت مكروهة عندهُ ومستثقلة فهو يحسبني اليوم خفيفة العقل كثيبة الاخلاق مع انهُ كان من قبل قلّما يكترث لي... وبناء عليهِ ما عدت ارى دواء لدائي غير الموت والخلاص من هذه الدنيا واكدارها المرَّة...!

٢٢

قالت هذه الكلمات الاخيرة وسكتت مدَّة وكانت قد خارت قوتهـا وضاقت انفاسها من وطأة الحركة الباطنة التي ثارت فيها فاسندت رأسها الى جدار قلاية الحبيس. فلمّا شاهد منها النوتي المجهول هذا المشهد دنا فوقف على قدم الاستعداد لاسعافها عند اول اشارة تبدو منها. وكانت الريح تهبُّ بشدة فترفع عباءتهُ الغليظة وتكشف للنظر سيفًا مرصَّعًا مُعلّق في منطقتهِ مع ثياب فاخرة لا يمكن ان يلبسهـا نوتي او فلاح من المقيمين في جوار البحيرة

اخيرا تنفَّست راحيل كانها قد خلصت من وطأة امر بهظها   (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

كتاب الطقوس الرهبانية

عُني بطبعه القس افرام الديراني احد مدبري الرهبانيَّة الحلبيَّة

(طُبع في مطبعتنا الكاثوليكية ١٩٠١ . ص ٥١٨)

لا يزال حضرة الاب الفاضل القس افرام الديراني يتحفنا بتآليفهِ ومجموعاتهِ المفيدة تتوالى كلها بوقت قليل وتدلُّ على نشاط عظيم. والكتاب المعنون آنفًا مطبوع بالحرف الكرشوني وهو « يحتوي طرائق دينيَّة ورتبًا كنسية يجب ممارستها في جميع اديار الرهبانيَّة القانونيَّة المارونيَّة الحلبية وفقًا لما عيَّنهُ مجمع مدبّري هذه الرهبانية في مجمع اللويزة سنة ١٨٤٠ ». على انَّ هذا الكتاب يفيد كلَّ الموارنة ولاسيما الرهبان والكهنة لما فيهِ من الصلوات والرتب التي تجري في اكثر كنائس هذه الطائفة الجليلة. فأمتعنا الله زمنًا طويلًا بهمَّة مؤلف هذا الكتاب ونفع رهبانيَّتهُ وابناء الطائفة المارونيَّة بتآليفهِ الدينيَّة

الكوكب الشارق

في مريم سلطانة المشارق

وضعهُ بالافرنسية الاب لوريول اليسوعي

وعرَّبهُ يوسف جرجس ابو سليمان المتيني الماروني (مطبعتنا الكاثوليكية ١٩٠٢ ص ٢٩٦)

ان هذا الكتاب مع كتاب امجاد مريم للقديس الفونس ليغوري وكتاب المتعبّد لمريم للاب بولس سنيري احسن ما طُبع في الشرق عن مناقب العذراء مريم والتعبد لها. وهو يقسم الى اربعة اجزاء يشتمل الجزء الاول منها على سيرة البتول والدة الله (ص ١–٩٢) منذ حبلها الطاهر من الخطيئة الاصليَّة حتى انتقالها الى السماء. ومدار الجزء الثاني (٩٣–١٥٢) على مناقب العذراء مريم وفضائلها السامية. امَّا الجزء الثالث (١٥٣–٢١٤) فموضوعهُ العبادة لمريم وبيان اسبابها وصفاتها مع ذكر تعبد الشرقيين لها لاسيا في طقوسهم المختلفة. وقد أُلحق هذا الجزء بجزء رابع (٢١٨–٢٨٩) ضمَّنهُ ٣١ خبرًا عن البتول ونعمها الممنوحة لعبيدها. فمن خواصّ هذا الكتاب انهُ يشمل

كلّ ما يحتاج اليهِ المسيحي ليستدلّ على عبادة العذراء وصوابيّتها وطرائقها. ومنها انهُ يصلح لقراءات الشهر المريمي وقد جعل المؤلف في آخر الكتاب جدولًا للفصول التي تحسن مطالعتها كل يوم منهُ مع الخبر المناسب لكل فصل. ومنها ايضاً ان صاحبهُ الفاضل جمع فيهِ ما امكنهُ من اقوال آباء الكنيسة الشرقيَّة ورُتبها الطقسية وامثالها ما لم يوجد في غيرهِ. ومنها اخيرًا انّ تعريب الكتاب على طريقة حسنة تجمع بين السذاجة ومتانة التعبير وهو امرٌ جديرٌ بالاعتبار لانَّ الكتب الروحيَّة المطبوعة حتى اليوم هي في الغالب غريبة العبارة يشتمُّ منها رائحة اصلها الاعجميّ. وفي صدر الكتاب صورة جميلة تزينهُ. فنثني على مصنّف هذا التأليف وعلى متولي تعريبهِ ونحضُّ كلّ المؤمنين على الانتفاع بهِ وهو يُطلب من مطبعتنا الكاثوليكية ل. ش

شذرات

المعمّرون قد أُحصي آخرًا في اوربّة عدد الذين أربت سنُّهم على مئة سنة فكانت نتيجة الاحصاءات كما يلي: لألمانية السبق في عدد المعمّرين فوق مئة سنة وعددهم يبلغ الآن ٧١٨ شخصاً ثمَّ يليها بلاد السرب وفيها ٥٧٥ رجلًا من الذين جاوزوا المئة من عمرهم ثمّ اسبانية وعددهم فيها ٤٦١ نفساً ثمَّ فرنسة وعددهم ٢١٣ ثمّ انكلترة وعددهم ١٤٦. امّا اكبر هؤلاء المعمّرين سنًّا فهو اميركي يسكن اليوم ريو دي جانيرو اسمهُ برونو كوتريم وعمرهُ ١٥٠ سنة. فكيف ينكر بعدئذٍ الملحدون انَّ بعض الآباء عاشوا في القرون الاولى مئين من السنين مع ما كانوا عليهِ في ذلك الزمان من شدَّة البنية وتمام القوَّة وسذاجة العيش

ترياق لشفاء سم الافاعي يعلم القراء انَّ لبعض الافاعي سمًّا زؤافًا ينفث في دم المصابين فيصرعهم قتلى ببضع دقائق. مثال ذلك الحيَّة الهنديَّة المعروفة بكُبرا تقتل في السنة أكثر من ٢٢٠٠٠ من الهنود. وكذلك بعض افاعي بلاد الجزائر والصحراء. غير انَّ العلماء الفرنسيين قد داووا هذا الداء على طريقة باستور فنجحوا نجاحًا تامًّا وذلك انهم ينزعون من الحيَّات سمَّها ثمَّ يُنفثونهُ في بعض الحيوانات كالارانب مثلًا ويأخذون مصلها فيطعّمون ببعض سنتيمترات منهُ المصابين بسمّ الحيَّات فيشفون

ثمن صورة لرافائيل المصوّر الشهير — قد ابتاع الغني المثري مرغان الاميركي بثمن مليونين ونصف مليون من الفرنكات صورة صوّرها الايطالي رافائيل الطائر الشهرة وهي تمثّل العذراء مريم وفي حجرها طفلها يسوع كان المصوّر اهداها لكنيسة القديس انطونيوس البادوي في بيروز

عاديّات العجم — قد ارسلت الحكومة الفرنسويّة سفينة الى خليج العجم لتستجلب منها ١٨ طنًا من العاديّات الثمينة التي اكتشفها فيها العلامة الفرنسي دي مورغان. وكانت حكومة العجم قد سمحت لبعثة افرنسيّة الحفر في بلادها على شروط معلومة قامت بوفائها الحكومة الافرنسيّة

اسئلة واجوبة

س سُئلنا: ١ً من هو هذا الشيخ ابو نادر خازن الخازن الذي كان رئيس عائلته سنة ١٦٨٠ (كما ورد في المشرق ٥: ١١٥) لانا لم نعرف بهذا الاسم احدًا غير الشيخ خازن المتوفّى سنة ١٦٤٧ في غزّة غوسطا كما جاء في تاريخ الدويهي واخبار الاعيان. اما ابنهُ فهو ابو نوفل الشهير المتوفى سنة ١٦٧٩. ٢ً كيف امكن البطريرك طوبيا الخازن (المشرق ٥: ١٢١) المتوفّى سنة ١٧٦٤ بعد ثلاثين سنة من الاسقفيّة والبطريركيّة ان يخلف وهو قسّ في رئاسة دير القديس روحانا المطران جرمانوس الخازن الذي تفيد سلسلة الاسرة الخازنيّة انهُ حفيد شقيق البطريرك طوبيا وانهُ توفي بعد السنة ١٨٠٧

(الجواب) نعهدهُ الى كاتب المقالة التي وردت فيها هذه المشكلات

س وسُئلنا هل جاء حقيقةً في كتب اوريجانوس ما نسبهُ اليهِ حضرة الخوري اوغلوس عيد «بانَّ التكلُّم بالسريانيَّة في عصرهِ كان دلالةً على الذل والتوحُّش»

اوريجانوس واللغة السريانية

ج هذا هو كلام اوريجانوس بالحرف اليوناني نتبعهُ بتعريبهِ. قال في كتابهِ السابع ردًّا على كلسوس (مجموع الاباء اليونان لمين ج ١١ ص ١٥٠٨):

Ὁ τοὺς Αἰγυπτιάζοντας ἢ τοὺς Συριάζοντας ὠφελεῖν ὑγιέσι δόγμασι βουλόμενος Ἕλλην τυγχάνων προενοήσατο ἂν μαθεῖν τὰς τῶν ἀκουσομένων διαλέκτους, καί, ὡς Ἕλληνες ὀνομάζουσι, βαρβαρίζειν μᾶλλον ὑπὲρ τῆς Αἰγυπτίων καὶ Σύρων βελτιώσεως ἢ Ἕλλην μένων μηδὲν δύνασθαι χρήσιμον λέγειν Αἰγυπτίοις καὶ Σύροις.

وهذا تعريبهُ بالحرف: لو حاول يونانيٌّ ان يفيد اهل مصر او اهل سوريَّة بالتعاليم

الخلاصيَّة لكان احرى بهِ ان يباشر فيتعلَّم لغة سامعيهِ ويتكلَّم كما يقول اليونان برطانتهم من أن يحافظ على لغتهِ اليونانيَّة فلا يجدي نفعاً اهل مصر وسوريَّة ». فترى من هذا القول اولًا ان اوريجانوس لم يقل البتَّة انَّ اللغــة السريانيَّة هي لغة الذلّ والتوحُّش. وانما قال فقط انَّ اليونان يدعون لغة السوريين والمصريين رطانةً. ومعنى فعل Βαρβαρίζω عند اليونان تكلَّم بلغة غير اليونانيَّة كما يدعو العرب اعجميًا كلَّ من لم يتكلَّم بلغتهم. وترى ثانيًا انَّ اهل سوريَّة ومصر في ايَّام اوريجانوس لم يتكلَّموا باليونانيَّة. وكلا القولين ينافي قول حضرة الاب اونجلوس عيد

س سألنا ي. ع. ر. مستفيد من وسترماس في اميركا: ١ً هل عرف آدم الخير والشرّ قبل اكلهِ ثمرة شجرة معرفة الخير والشر. فان عرفهما قبل ذلك فما سبب تسميتها بهــذا الاسم. وان عرفهما بعد فلماذا عوقب عن اكلهِ منها مع جهلهِ بخواصّها. ٢ً هل يقبل الله الندم وقد قال جلَّ جلالهُ: قد ندمت نفسي لاني خلقت الانسان. ٣ً لماذا قال الله لموسى قبــل خروج شعب بني اسرائيل من مصر بان يطلبوا من المصريين امتعة فضةٍ وذهب وثيابًا ليسلبوها منهم

حلّ مشاكل كتابية

ج نجيب على (الاول) انَّ آدم عرف الخير والشرّ قبــل اكلهِ من ثمرة شجرة معرفة الخير والشرّ. ولم تُدعَ هذه الشجرة بهذا الاسم لأنهــا كانت تُطلع آكلها على الخير والشر بل لانها وُضعت لاختبار الانسان فيبقى صالحًا بطاعتهِ لامر الله وامتناعهِ عن اكل ثمرها ويضحي طالحًا اذا تجاوز هذا الامر باكلهِ منها. نجيب على (الثاني) ان الندم يُنسب الى الله على سبيل المجاز كما تُنسب اليهِ افعال اخرى بشريَّة كالغيظ والبغض والانتقام وما شاكل ذلك. وانَّما المراد بهــذه الندامة ان يعلم الانسان ما في الخطيئة من القبح اذ انها بفظاعتها استوجبت عقاب الله. قال القديس امبروسيوس: يريد الكتاب انَّ الخطيئة بلغت من السماجة غايةً من شأنهــا ان تحرّك في قلب الله نفسهِ الغيظ والغضب والندم على فعلهِ لو كان الله قادرًا ان يتأثر بمثل هــذه الاهواء. ونجيب على (الثالث) انّ الله امر شعبهُ بان يطلبوا هــذه الامتعة من المصريين فيأخذوها لهم كغنيمةٍ تعويضًا عن الخدم والاتعاب التي اثقل بها المصريون عاتقهم لمَّا استعبدوهم لاشغالهم الشاقَّة وسخَّروهم بابنيتهم جورًا ل. ش



امام الاحبار وخليفة هامة الرسل ونائب المسيح

قداسة البابا لاون الثالث عشر المالك سعيداً

١٨٧٨ = ١٩٠٢

١٩٠٢ — ١٨٧٨



عريضة الخضوع والحبّ البنوي

لقداسة الحبر الاعظم لاون الثالث عشر

ايها الاب الاقدس

انَّ العالم الكاثوليكي في هذا العام السعيد يطفح قلبهُ سرورًا ويتسابق الى اعتاب الكرسي الرسوليّ ليقدّم لقداستكم مراسيم الدعاء وفرائض التهانئ بنسبة بلوغ شخصكم الاثيل السنة الخامسة والعشرين منذ جلوسكم على الاريكة البطرسية. فلا نتمالك نحن احقر ابنائكم من ان نبوح اليكم ببيان ما تكنّهُ صدورنا وصدور قرَّاء مجلّتنا الكاثوليك الشرقيين على اختلاف طوائفهم من عواطف الحبّ البنوي لاقنومكم الجليل وصادق التعلّق غير المنفصم بالعرش البابوي الذي لم تزالوا منذ ربع

السنة الخامسة   العدد ٥   في ١ آذار ١٩٠٢

قد غلب الاسد من سبط يهوذا (رؤيا ٥ : ٥)

قرن تشرّفونهُ بفضائلكم السامية واعمالكم الخطيرة التي قلّما اتى بمثلها اسلافكم الاماجد لخير الدين والمدنية في كلّ انحاء المعمورة

وانّنا نقرُّ ونعترف ان بطرس حيٌّ في شخصكم . انتم راعي الرعاة اليكم سلَّم المسيح قيادة الاغنام الناطقة فكل غنمة ليست في حظيرتكم ضالَّة . انتم نور العالم من لا يقتبس من اشعَّتكم يبقى في الظلام . انتم الصفاة كل ما يُبنى خارجًا عن هذا الاساس يتضعضع متداعيًا . اليكم أُلقيت مقاليد ملكوت السماء تربطون فلا يحلُّ غيركم وتحلُّون فيحل السماء ما حللتم . بكم تُفكُّ المشاكل وليس بعد حكمكم حكم في العقائد والآداب وسياسة الكنيسة . فالى عرشكم السامي نوجّه أَلحاظنا في هذا اليوم المجيد مستمدين بركتكم الرسولية ليؤهّلنا الله ان نكون واخوتنا الشرقيين ببركتكم مستوثقين ولاوامركم ممتثلين

ونضرع اليهِ تعالى بالدعاء كي يؤيدكم بروحهِ الاقدس ويقرن بالنجح مطالبكم ويحرسكم بعينهِ اليقظى وينسئ في أَجلكم الى ان تتحقَّق امانيكم في هداية الضالّين وحسم كل شقاق بين المسيحيين وضمّ الكنائس الشرقية بالأُلفَة والاتحاد فيتمُّ بسعيكم ما وعد بهِ المخلص لذكرهِ السجود فتعاينون رعيَّة واحدة وراعيًا واحدًا امين

بيروت في ٢٠ شباط

اصحاب ادارة المشرق

١٨٧٨ أنتَ الصَّفاة وعلى هذه الصَّفاةِ سأبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

لاون الثالث عشر والشرق

نبذة بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

هو بابا رومية حبر الاحبار وقائد الشعب المسيحي في كلّ الاصقاع والاقطار فاقتضت منهُ رتبتهُ هذه العليا ان يوجّه نظرهُ الى كلّ خراف قطيعهِ العظيم ويهتمّ بكنائس كلّ البسيطة في المشارق والمغارب. على انَّ خلفاء هامة الرُسل قد خصُّوا بالطافهم الامم الشرقيَّة واجزلوا عليهم القسم الاكبر من هباتهم الروحيَّة. ولو حاولنا اثبات ذلك بالادلَّة والشواهد لمَّا كفت المجلَّدات الضخمة فضلًا عن الصفحات اليسيرة

بيد انَّ لاون الثالث عشر لم يجتزئ بان يتقفَّى آثار سلفائهِ العظماء بل سبقهم وترك لهُ بين الشرقيين ذكرًا مخلَّدًا لا تمحوهُ الادهار. وقد استحقَّ لكثرة مآثرهِ من هذا القبيل ان يُدعى باسم جليل قد طالما رنَّ في آذاننا فاثار في قلبنا لواعج الحب لاقنومهِ الكريم وهو اسم « بابا الشرق »

والحقُّ يقال ان هذا الاسم ليس هو من الالقاب الفارغة التي يُمدح بها مشاهير الرجال بل انَّهُ يطابق الواقع ايَّ مطابقة كما سترى في خلال هذه النبذة الموجزة التي نقسمها الى قسمين زيادةً في الايضاح نبيّن في القسم الاول عناية الحبر الاعظم في حسن العلائق بين الكرسي الرسوليّ والدول الشرقيَّة. وفي الثاني همَّتهُ في كنائس الشرق ورفع شأنها

١٨٧٨ انتَ الصخرة وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

١ الكرسي الرسوليّ والدول الشرقيَّـة

يسرُّنا ان نفتتح هذا الفصل بذكر دولتنا العليَّة وحسن الصلات التي لم يتعكَّر صفاؤها في هذا ربع القرن بين متبوعنا الاعظم وسلطاننا الافخم ودولة الڤاتيكان. فان الاب الاقدس مذ تبوَّأ عرش المملكة اظهر للحضرة الشاهانيَّة من الاكرام والتجلَّة ما حمل كلَّ الكاثوليك الراتعين في ظلال الاريكة العثمانية على ان يستوثقوا بركن هذه الدولة ويُخلصوا لممثِّليها الكرام التعبُّد وصدق الانتماء.

وكان لهذه مجالي العز والرفعة احسن وقع في قلب جلالة السلطان لما فُطر عليهِ وطَّد الله دعائم دولتهِ بسموِّ المدارك وعلوِّ الهمم فاظهر لنا نحن الكاثوليك من الرفق وحسن المعاملة ما زادنا تعلُّقًا بشخصهِ الكريم

ومن شارات الاجلال والمودَّة التي تعطَّفت بها الذات الشاهانية نحو تاج رأسنا وفخر ملَّتنا حبر الاحبار وراعي الرعاة ابينا الاقدس أنها ما أُوذنت بجلوسهِ على كرسي بطرس هامة الرسل حتى انفذت كمعتمد خارق العادة بدروس قيومجيان من اعيان الارمن الكاثوليك لتهنئة قداستهِ بارتقائهِ الى رتبتهِ الشريفة

وما مرَّ على ذلك سنة ونصف سنـة حتى اعربت الحضرة الشاهانيَّة ثانيةً عن سامي ودادها للحبر الروماني وذلك بحسم الخلاف الواقع في الملة الارمنيَّة الكاثوليكيَّة فارسل الحبر الاعظم رقيمًا الى جلالة السلطان عبد الحميد خان يشكرهُ شكرًا حميمًا على فضِّ هذه المسئلة وقطع دابر الشقاق. فاجاب عظمتهُ برسالة ضمَّنها ارقَّ العبارات اشار فيها الى صدق اعتصام كاثوليك الشرق بالسدَّة العثمانيَّة ايَّد الله اركانها

١٩٠٢ أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٨٧٨

وكما حلّت هذه الأزمة بواسطة العلائق الوديّة بين الحبر الاعظم وجلالة السلطان كذلك ما لبث الشقاق الواقع بين الكلدان الكاثوليك ان ينتهي ايضاً على وجه سلمي بخضوع المخالفين لرؤسائهم بمساعدة عمّال دولتنا العلية

وممّا ينطق بتبادل شارات الودّ بين الكرسي الرسولي والحضرة العليّة الهديّتان الملكيّتان اللّتان ارسلهما جلالة مليكنا الغازي الى قداسة البابا لاون الثالث عشر بنسبة عيديه اليوبيليّين الكهنوتي والاسقفي في سنتي ١٨٨٧ و ١٨٩٢ وكانت الهديّة الاولى خاتماً ثميناً ليس لهُ ثانٍ وهو عبارة عن حجر كريم بل جوهرة يتيمة كبيرة الجرم بيضيّة الشكل كانت محفوظة في خزائن السلطنة منذ قديم العهد تنبعث منها اشعّةٌ تنعكس انوارها على الزوايا فيخال انها مجموع احجار كريمة تشعُّ منها ألوان قوس قزح. وقد اختار عظمتهُ لهذه الفريدة غلافاً ثميناً من الذهب رسم شكلهُ بيدهِ الشريفة فصيغ على هيئة تاج ملكي تسطع من فروجهِ اشعّة الخاتم المذكور

امّا هديّة اليوبيل الاسقفي فكانت في اعيننا نحن الكاثوليك افخر من السابقة ألا وهي الكتابة الجليلة التي نقشها القديس ابرقيوس اسقف هيرابوليس وتلميذ الرسول يوحنّا الحبيب في اواسط القرن الثاني للمسيح على صفيحة اعدّها لتجعل فوق ضريحهِ. وفي هذه الكتابة اشارة واضحة الى رئاسة الاحبار الرومانيين على الكنيسة قاطبةً في الشرق والغرب والى اسرار البيعة لاسيما سرّ القربان الاقدس وفيها دليل على انتشار النصرانيّة في انحاء العالم الرومانيّ مذ ذاك العهد. وهذه الكتابة اكتشفها العالم البروتستاني رمساي (Ramsay) فاحبَّ سلطاننا المعظم

١٨٧٨ انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

ان يتحف بها قداسة ابينا خليفة بطرس الصفا ونائب المسيح على الارض فاكتسب بذلك جازاهُ الله خيرًا شكر العالم الكاثوليكي باجمعهِ

ولنا على حسن ألطاف الحضرة الشاهانيَّة غير هذه الدلائل المنبئة باكرامها لامام الاحبار من ذلك ما وجدهُ من الالفتات السامي لدى البـاب العالي قصَّادنا الرسوليون لاسيما السادة ڤانوتلّي وغراسلّي وبونتي وبطاركتنا الاجلاء واساقفتنـا العديدون. فكم فاضت عليهم نعم الحضرة الشاهانيَّة اذ تبرَّعت عليهم بالوسامات الشريفة والامتيازات المنيفة والهبات الماليَّة لم تستثنَ من تعطُّفها طائفةٌ واحدة. وقد لقي رهباننا وراهباتنا من ملاطفة السلطان الاعظم وانسهِ ما أسر قلوبهم بمحبَّتهِ على مدى الايام

وان سرَّحنا النظر بعد هذا الى بقيَّة الانحاء الشرقيَّـة وجدنا ان قداسة الحبر الاعظم استمال الى شخصهِ الكريم كل ارباب السلطة في الدول الشتَّى حتى الشرق الاقصى

فمن هذه الممالك التي خصَّت لاون الثالث عشر بالتودُّد والاجلال دولة العجم ودولة اليابان ودولة الصين ودولة الحبش فانَّ اصحاب كل هـذه الدول كرَّروا الادلَّة على تقديرهم لسموّ مقام ابي المؤمنين وعزمهم على مواصلة العلائق الحبيَّـة بينهم وبين البلاط الڤاتيكاني ورحَّبوا بممثِّلي نائب المسيح ورخَّصوا للمرسلين ببثّ انوار الانجيل بين رعاياهم

وفي المتحف الڤاتيكاني ألطاف وهدايا ثمينة ارسلها هؤلاء الملوك الى رأس الكنيسة. هذا فضلًا عن الوفود والمعتمدين والرسائل التي انفذتها كل دولة من دول الشرق. ومن الالقاب الممتازة التي وردت

في رسالة ملك الصين انهُ دعا لاون الثالث عشر « امبراطور ديانة السماء » . فكان من نتائج هذه المظاهر البهية ارتفاع شأن الكنيسة الكاثوليكيَّة في كلّ الاقطار دون استثناء . ويلحق بهذا الباب اشياء أُخرى كثيرة لا نُفيض في ذكرها بعد ما كتبهُ في هذا الشأن حضرة الاب هنري لامنس في نبذتهِ المَعنونة « لاون الثالث عشر والدول »

٢ الكنائس الشرقية

اعلم انَّ خلَف هامة الرسل لم يُبدِ من الهمَّة ما ابدى نحو دول الشرق ألّا لخير كنيسة المسيح وتثبيت دعائم الدين ورفع منار الحق بين الشعوب قاصيها ودانيها . وان قصرنا النظر على كنائس الشرق وجدنا لهُ مآثر لا يحصيها العدّ

(الكنيسة اللاتينيَّة) للكنيسة اللاتينيَّة اليوم في الشرق نحو اربعة ملايين من التبَعة دخل الثلث منهم في الحظيرة البطرسيَّة في عهد ابينا الحبر الاعظم لاون الثالث عشر . والفضل لقداستهِ في انشاء رسالات عديدة ونيابات رسوليَّة واسقفيات في كل نواحي الشرق . فانهُ صانهُ الله نظَّم في سنة ١٨٨٧ كراسي الهند فجعلها اسقفيَات ورؤساء اسقفيَات يبلغ اليوم عدد المنصَّبين فيها اربعين راعياً . وكذلك انشأ الحبر الاعظم في الصين عشر نيابات رسوليَّة . ونحو ذلك في الهند الصينية

امَّا اليابان فان البابا في ١٥ حزيران من سنة ١٨٩١ قد اقام لمتنصّريها مطراناً في توكيو وتحت امرهِ ثلاثة اساقفة في هاكوداته وناغازاكي واوساكا فصارت بذلك الكنيسة اليابانيَّة تامَّة الأُهبة مستقلة التدبير يُرجى لها تقدُّم كبير

ثمَّ انَّنا نضرب صفحاً عن ذكر تقدُّم الكنيسة اللاتينيَّة في الممالك الشاهانيَّة في عهد قداستهِ مكتفين بما كتبناهُ سابقًا عن ذلك (الكنائس الشرقية) نعتبر في عداد هذه الكنائس كلَّ الطوائف التي لا تتبع الطقس اللاتيني سواء كانت في الشرق او خارجاً عنهُ

واوَّل ما يتحتم علينا ذكرهُ ان قداسة الحبر الاعظم لاون الثالث عشر يجلُّ هذه الطوائف الشرقيَّة وطقوسها القديمة . وليس احد من الباباوات اسلافهِ تشدَّد مثلهُ في صيانة هذه الطقوس وتعظيمها وقد اعرب عن نيَّتهِ المذكورة في جملة كتابات او خطب علنيَّة فاه بها شفاهاً بازاء الكرادلة او وفود الشرق . غير انهُ كشف عن نيَّتهِ هذه بنوع اصرح في رسالتهِ الرسولية الصادرة في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٨٩٤ حيث استرسل في شرف الكنائس الشرقيَّة فعزَّز طقوسها وميَّزها بامتيازات جديدة استجلبت اليهِ خواطر الشرقيين وجعلتهم اسرى معروفهِ

ومن الدلائل العموميَّة التي شمل بها خلف هامة الرسل الكنائس الشرقيَّة تجديد الاكرام للقديسين الشرقيين ورفع رتبهم في الطقوس الكنسيَّة فجعلهم في درجة اعظم الملافنة الغربيين تُقام لهم اعياد متساوية . ومن جملة هؤلاء اولياء الله العظام الذين احيا ذكرهم القديسون يوستينوس المعلم وكيرلُّس الاسكندري وكيرلُّس الاورشليمي ويوحنَّا الدمشقي ثمَّ ميثوديوس وكيرلوس رسولا الصقالبة . وقد وضع الاب الاقدس لكل هؤلاء صلواتٍ وتراجم وليتورجيَّات من تأليفهِ او قصائد من نظمهِ

١٨٧٨ أنت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

ومن هذه الدلائل ايضاً مجمع البطاركة الشرقيين الذي عقدهُ الحبر الاعظم في رومية سنة ١٨٩٥ وتفاوض فيهِ مع الرؤساء الشرقيين او نوَّابهم في شؤون كنائسهم ورفع منارها وتوسيع نطاقها. وقد اضاف قداستهُ الى عباراتهِ الرائقة الدالَّة على معظم حبّهِ لهذه الطوائف مساعدات ماليَّة تقرّب لاصحابها نوال المرغوب

وكان قداستهُ سبق قبل هذا المجمع بسنتين فاوعز بعقد المجمع القرباني في القدس الشريف يلتئم فيهِ رؤساء الطوائف الشرقيَّة ليتباحثوا في امور طقوسهم ويتضافروا في العمل ويستميلوا الاخوة المنفصلين. فكان لهذا المؤتمر ما كان من حسن الاثر وارتباط القلوب باواخيّ الوحدة الكاثوليكيَّة

وكان الحبر الاعظم اوَّل من سعى في تحقيق اماني المجتمعين في هذا المؤتمر وقد تقدَّم الى جمعية الرسالات الكاثوليكيَّة بان تعضد الطوائف الشرقيَّة بما امكن من التقادم الماليَّة رجاء ان يزيد نفوذها بين الملل المنفصلة لتسهّل لهم الارتداد الى حجر الكنيسة المقدسة

ولم يكتفِ قداستهُ بذلك حتى وجَّه في اواسط حزيران من سنة ١٨٩٦ الى كلّ الطوائف غير المتحدة مع السدَّة البطرسيَّة تلك الرسالة العجيبة التي لا يقف عليها قارئ ممن لا تُغشي على بصيرتهِ اوهامُ الضلال دون ان يستسلم منقاداً الى براهينها اللامعة وحججها الدامغة. ومدارها على وحدة الكنيسة تلقَّاها العالم باجمعهِ بالثناء العاطر وقد قرَّظها كثيرون من غير الكاثوليك ولم يجدوا فيها مغمزاً واقرُّوا انها ناتجة من قلب ابوي متلهّب حبًّا نحو بنيهِ لا يريد سوى خيرهم وسعادتهم الابديَّة. وقد شاء الله ان يعزّي نفس هذا الراعي

١٨٧٨ انت الصفاة وعلى هذه الصفاة ابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

الصالح باهتداء كثيرين من الضالّين الى حظيرة الايمان منهم نساطرة ويعاقبة وغريغوريون واقباط وروم يبلغ عددهم نيفاً وثمانين الفاً

ومع كلّ هذه شارات اللطف والتعطُّف التي ابداها اسير الفاتيكان نحو الكنائس أبي حبُّهُ الّا ان يضيف الى هذه النعم العمومية مواهب خاصَّة افاضها على كلّ طائفة من هذه الطوائف لم يستثنِ منها واحدة

فمن نعمهِ الى (الارمن) الكاثوليك انَّهُ بعد لأمهِ الصَّدْع الواقع بينهم رقَّى بطريركهم الطيّب الذكر الى منصب الكرديناليَّة فكان غبطة السيد حسُّون ثاني الكرادلة الشَّرقيين بعد بسَّاريون العظيم.وزاد البابا على نعمهِ هذه انهُ انشأ للارمن في عاصمة الكثلكة مدرسةً يتثقَّف فيها الشبَّان قبل ان ينقطعوا في بلادهم الى اعمال الرسالة والتبشير

وكذلك طائفة (الكلدان) فانَّ قداستهُ لم يكتفِ برأب الخلاف الذي حدث فيها بسبب مسئلة الملبار . بل تلطَّف في هذه السنين الاخيرة فجعل لكلدان الهند اساقفةً من طائفتهم يسوسونهم تحت نظارة الكرسي الرسولي فكانت هذه النعمة مدعاةً الى حسم الشقاق في تلك البلاد بعد ان كان عشَّش فيها روح الفتنة منذ أمد مديد

ومن آثار انعطاف لاون الثالث عشر نحو(السريان) مجمع الشرفة انعقد بايعازهِ وتصدَّر فيهِ باسم الاب الاقدس القاصد الرسولي في سوريَّة غبطة بطريرك اورشليم الحالي السيد الجليل لودوفيكوس پياڤي .

وكان هذا المجمع غاية في النظام والاتفاق وُضعت فيهِ قوانين مملوءة حكمةً اثبتها امام الاحبار بسلطانهِ الاسمى

ولا حاجة للاسهاب في ذكر احسانات قداسة البابا نحو (الأُمَّة المارونيَّة) اذ يعرف الكل كما قال غبطة بطريركها المفضال في منشورهِ الاخير « انها كانت ولم تزل موضوعاً لانعطافهِ الخاصّ وعنايتهِ الممتازة فاولاها من مننهِ وآلائهِ ما لا تفي بشكرهِ ابد الدهر » فكم من مرَّةٍ اثنى قداستهُ على ثبات الموارنة في الايمان وتعلُّقهم بالكرسي الرسولي. وكم اجزل من الهبات على روءسائهم. وكم اتحفهم بالرسائل المتضمّنة ارقّ عبارات التودُّد. وبهمّة الكرسي الرسولي نُشر تعريب المجمع اللبناني لسيادة المطران الجليل يوسف نجم رئيس اساقفة عكّا. وقد احيا الاب الاقدس في رومية المدرسة المارونيَّة التي ادَّت في القرون السالفة خدماً عظيمة للدين والآداب بمشاهير رجالها وابتنى لها معاهد فسيحة وعيَّن لثمانية من تلامذتها رواتب دارَّة ثمَّ ضاعف بعد مدَّة هذا العدد لتشمل احساناتهُ قسماً اكبر من الطائفة المارونيَّة

امَّا (الروم الملكيون) فقد اختبروا تعطُّفات لاون الثالث عشر مراراً عديدة فترَطَّب لسانهم بالشكر لقداستهِ. فانَّ حبر الاحبار اعلن في رسالاتهِ كم يجلُّ طقوسهم ويعتبر ملافنتهم وقديسيهم العظام. وتحفَّى ببطاركتهم واساقفتهم وسعى في تأليف القلوب بينهم وحضَّهم على اقامة مجمع ينظّمون فيهِ شوءون الطائفة. وفي سنة ١٨٨٢ اجاز لنيافة الكردينال لافيجري ورهبانهِ الافاضل بانشاء مدرسة القدّيسة حنَّة في القدس الشريف يرضع فيها المترشحون للكهنوت افاويق العلوم

والفضائل الاكليريكية . فكان هذا المشروع من اعظم الوسائل لنجاح الطائفة الملكيَّة . ثمَّ أناف الاب الاقدس على فضلهِ السابق نعمةً جديدة في سنة ١٨٩٧ لمَّا انشأ في رومية مدرسةً (لليونان) عهد بامرها الى الرهبان البندكتيّين وجعلها تحت شفاعة القديس اثناسيوس

ولم ينسَ سيّد الاحبار فروع الكنيسة اليونانيَّة (كالصقالبة والروتان والبلغار والرومان) فانَّهُ كرَّر نحوهم شارات حبّهِ السامي ففتح لهم المدارس في رومية العظمى ووجَّه اليهم البراءات الرسولية وعظَّم رُسلهم الذين نشروا بينهم الايمان ودافع عن حرّيتهم الدينيَّة . ولمَّا رأى الرهبان الباسيليين في بلاد بولونيا في حاجة الى الاصلاح وكَلَ الى الاباء اليسوعيين تهذيب طلَّابهم وتنظيم شؤُونهم الروحيَّة . وقد ختم ابو المؤمنين جملة افضالهِ ببراءة أمر فيها بانشاء مدرسةٍ علمية في (اثينة) يتثقَّف فيها احداث اليونان في الآداب والمعارف . فكانت هذه المنَّة الجديدة من بشائر السنة اليوبيليَّة اعرب بها الحبر الاعظم عن رغبتهِ في ترقي العنصر اليونانيّ

امَّا (الكنيسة القبطيَّة) فانَّ الاب الاقدس يعدُّها كبنيامينهِ ويجعل لها حصَّة كبيرة من مجالي عنايتهِ . كيف لا وهو الذي احيا بطريركيَّة الاقباط الكاثوليك سنة ١٨٩٩ واقام عليها رؤساء ذوي غيرة وصلاح حديثين في السنّ كبيرين في الفضل ليس لهم فكر سوى انارة اخوتهم المنفصلين . وقد اثبت اعمال مجمعهم فجعلهُ كدستور يرجعون اليهِ وقاعدة ثابتة يستندون اليها . امَّا اكليروسهم فاكثرهُ عمل يدي لاون الثالث عشر فانَّ قداستهُ انشأ اولًا للاقباط مدرسة العائلة المقدسة في القاهرة خرج منها رجال افاضل انهوا دروسهم الاكليريكيَّة في كليَّتنا

في بيروت. ولمَّا كثر عدد المرتدّين الى الكنيسة وصار جمع العمَلة لا يفي بالحصاد عاد الاب الاقدس فصرف اموالًا طائلة لانشاء مدرسة اكليريكيَّة فُتحت قبل سنتين في مدينة طهطا. هــذا الى انعامات أُخرى عديدة كهبات ماليَّة وايفاد المرسلين وغير ذلك ممَّا جعل الاقباط اسرى معروف لاون الثالث عشر وحلفاء جميلهِ الفائض

وممَّا يلحق بانعامات البابا الى الكرسي الاسكندري تعطُّفاتهُ الى الاحباش. وقد كان الوفد المُرسل من قداستهِ الى ملكهم منليــك كفاتحة للعلائق الحسنة بين الكنيسة الرومانيَّة والكنيسة الحبشيَّة. واليوم ترى هناك المرسلين اللعازريين يفلحون بنشاط كرم الرب ويرون قطيعهم ينمو عددًا وفضلًا

هذه عجالة لخصنا فيها بعض اعمال الاب الاقدس تنطق كلهــا بعظم همتهِ بالشرق وكنائسهِ. فعساها تسعر في قلوبهم لواعج الحب البنويّ نحو اقنومهِ الجليل وتوطّد فيهم عواطف الخضوع للكرسي البطرسي الذي هو مصدر كلّ احسان ومنبع كلّ خير

المكاتبة الرسمية

بين الاحبار الرومانيين وملوك مصر

نقلًا عن القلقشندي

نشرها الاب هنري لامنس اليسوعي

ممَّا ورد في الجزء الرابع من كتاب الصبح الاعشى في كتابة الانشاء لابي العبَّاس القلقشندي الذي وصفناهُ غير مرَّة في المشرق (٣ : ٣١٠ و ٤ : ١٤) فصلٌ مطوَّل هذا عنوانهُ (ص ١٦٤) : « في المكاتبة الى الملوك بالجانب الشمالي من الروم والفرنجة على اختلاف اجناسهم . وجميعُهم معتقدُهم معتقدُ الملكانيَّة » وقد جمع المؤلف في هذا الفصل اثنتي عشرة مكاتبة ضمَّنها الدساتير التي ينبغي على الكتَّاب ان يراعوها في مكاتباتهم الرسميَّة الى ملوك الغرب باسم الدولة المصريَّة في ذلك العهد . والاولى من هذه المكاتبات يدعوها القلقشندي « مكاتبة الباب » احببنا اثباتها في هذا العدد من المشرق الذي خصصناهُ باليوبيل البابويّ

ولا بدَّ من ان نتقدَّم على هذه النبذة بعض ملاحظات من شأنها ان تبيّن حقيقة معناها وتنفي عنها الشبهات فنقول :

انَّ تاريخ القرون الماضية ينبئنا بالعلائق الوديَّة والمراسلات التي جرت بين الاحبار الرومانيين وملوك مصر . وممَّا ذُكر في تاريخ سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٤ م) انَّ الحبر الروماني اوفد الى الملك الناصر محمد

١٨٧٨ أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٣

وفدًا خصوصيًا. وفي الطرفة الآتية ما يؤيد هذا الامر كما سترى

امَّا منطوق هـذه المكاتبة كما رواهُ القلقشندي فهو غاية في الاهميَّة يبيّن جليًا ما نالهُ الاحبار الاعظمون في ذلك العهد من سموّ المرتبة وشرف المقام بين الملوك . وهذا يظهر حتى من تقديم القلقشندي لهذه المكاتبة على بقية مكاتبات الملوك دون استثناء .

وممَّا يخصُّ بهِ القلقشندي بابا رومية انهُ يدعوهُ « خليفة النصارى » فيشير بذلك الى عظم منصبهِ. وفي قول صاحب التثقيف « انهُ بمنزلة القان عند التتار » ما يزيد في تعظيمهِ لان القلقشندي يفيدنا في محلّ آخر من كتابهِ (ج ٤. ص ٥٨) بأن قان التتار كان اول ملوك ذلك العصر وان الكتابة اليهِ تكون بالقطع البغدادي وبحروف الذهب. وقد سبق الى هذه الافادة صاحب كتاب التعريف بالمصطلح الشريف المطبوع في القاهرة (ص ٤٥)

ومن الالقاب التي اوردها القلقشندي المختصة ببابا رومية انهُ « عظيم الملَّة المسيحيَّة ومملّك ملوك النصرانيَّة وملاذ البطاركة » وكلّ هذه الاوصاف لا تدع شبهـةً في انَّ ملوك مصر في ذلك العهـد كانوا يعرفون للاحبار الرومانيين قدرهم ولم يساووا بينهم وبين بقيَّـة البطاركة الشرقيين

ومن اعجب الألقاب التي خصَّ بهـا القلقشندي بابا رومية انهُ دعاهُ « بطريرك الملكيَّة » وفي هذا الاسم ما يدلُّنا على حادث تاريخي مهمّ. وهو انَّ الشقاق بين الكنيسة البطرسيَّة وكنيستي انطاكية والاسكندريَّة الملكيَّتين الداخلتـين في حكم ملوك مصر لم يتمّ في ذلك العهد. ولنا على ذلك دليل آخر اوضح بيانًا في كتاب التعريف

(ص ١٤١ و ١٤٤ و ١٤٥) الذي يستشهد بـه القلقشندي في كلّ صفحة من كتابهِ صُبح الاعشى. قال صاحبهُ القاضي شهاب الدين ابن فضل الله العمري الدمشقي في «وصيَّة بطريرك النصارى الملكانيين(١)» التي يوصي بها السلطان البطركَ الملكيَّ عند ما يمنحهُ التقليد الرسمي برتبتهِ: «واعلم بانك في المدخل الى شريعتك طريقٌ الى الباب» يريد انهُ خاضعٌ لاوامر بابا رومية وانَّهُ بمنزلة الطريق التي تؤدي الى غاية اسمى وارفع. وكذلك جاء في مقدّمة الوصيَّة التي يوصي بها السلطان بطريرك اليعاقبة ما نصُّهُ: «اذ كان لا يدين بطاعة الباب الذي هو رأس الملكانيّين» فدلَّ بهذا القول على انَّ بطركي انطاكية ومصر خاضعان للباب بخلاف بطرك اليعاقبة

مكاتبة الباب (٢

«وهو بطريرك الملكيَّة القائم عندهم مقام الخليفة(٣. والعجب من جعلهِ في التثقيف (٤ بمنزلة القان عند التتار. والقان انَّما هو بمنزلة ملكهم الاكبر والباب ليس من هذا القبيل (٥ بل اليهِ امر الديانة

١) هكذا ورد اسم الملكيين في هذه المكاتبات الرسمية وربَّما ورد على صورة الملكانيّ بالهمزة بدلًا من النون (راجع المشرق ٥: ٣)

٢) الباب عند كتبة العرب كالبابا عندنا وهو ابو الاباء (راجع تقويم البلدان لابي الفداء ٢٠٩, ٢١١ الخ). وهم يدعونهُ ايضاً البابة والببابا والپاپا

٣) وهكذا دعا الشريف الادريسي بابا رومية (راجع ترجمتهُ الفرنسية لجوبرت (٢: ٢٥٢) وتقويم البلدان لابي الفداء ٢٠٩, ٢١٠

٤) التثقيف كتاب وضعهُ تقي الدين ابن ناظر الجيش ليستدرك بعض اغلاط وقعت في كتاب التعريف بالمصطلح الشريف ٥) قولهُ «الباب ليس من هذا القبيل» يريد انَّ البابا ليس هو كالقان ملكاً زمنياً فقط كما ظنَّ صاحب التثقيف وانما تقديمهُ على بقيَّة الملوك لاجل مقامهِ الديني

حتى في التحليل والتحريم وقد تقدم في الكلام على المسالك والممالك عند ذكر البطارقة انهم يسمّون القسّيس ونحوهُ ابًا ويسمّون البطريك ابًا فاحبُّوا ان يأتوا على البطريك (تمييزًا لهُ) ومعناهُ ابو الآباء. ثمّ لمّا غلب الروم على المملكة وعلت كلمتهم على اليعاقبة خصُّوا اسم الباب ببطريكهم فصار ذلك علمًا عليهِ. ومقرُّهُ مدينة رومية على ما تقدَّم هناك. ورَسم المكاتبة اليهِ على ما ذكرهُ في التثقيف:

« ضاعف الله تعالى بهجة الحضرة السامية الباب الجليل القديس الروحاني الخاشع العامل بابا رومية عظيم الملَّة المسيحية. قدوة الطائفة العيسويّة. مملِّك ملوك النصرانية. حامي البحور والخلجان. ملاذ البطاركة والاساقفة والقسوس والرهبان. تالي الانجيل. معرّف طائفتهُ التحريم والتحليل. صديق الملوك والسلاطين والدعاء صدرت هذه المكاتبة...

« قال في التثقيف: هذا ما وجدتهُ مسطورًا ولم يُكتَب اليهِ شيء في مدَّة مباشرتي ولا ادري في اي شيء كان يُكتَب اليهِ ولا عرفت تعريفهُ ولم يتعرَّض لهُ المقرّ الشهابي بن فضل الله (١ في التعريف جملة. ورأيت في بعض الدساتير انهُ لم يُكتَب اليـهِ الّا مرَّة واحدة (٢ وان الكتابة اليهِ في قطع النصف مع المكاتبة المتقدّمة »

---

١) يريد شهاب الدين ابن الفضل مؤلف كتاب التعريف. والمقرّ من المراتب الشائعة في ذلك العصر

٢) لعلَّهُ يشير الى الوفد الروماني في سنة ٧٢٧ ﻫ (١٣٢٧ م)

هوذا قد غلب الاسد من سبط يهوذا (رؤيا ٥ : ٥)

لاون الثالث عشر والدول

للاب هنري لامنس اليسوعي

ليس من احد ينكر على لاون الثالث عشر فخامة منزلتهِ في البشريَّة ففي المعمور ملايين من المسيحيين يرفضون الاعتراف بسلطتهِ الروحيَّة ولكنهُ ليس من احد بينهم الَّا يقرُّ بما لشيخ الفاتيكان من الاوصاف والمناقب الجديرة برجال الحكومات كبعد النظر واصابة الرأي وتوقُّد البصيرة والكلَف الغريزي باقامة القسط والمحبَّة العظيمة لامثالهِ من البشر . وفي الاعوام الخمسة والعشرين التي قضاها في الحبريَّة دليل ساطع وبيّنة نيّرة على ما نقول

ولا يخفى انَّ البابا هو رئيس روحي على اكثر من مئتين واربعين مليونًا من المؤمنين مختلفي الاحوال بين ملوك وسوقة منتشرين في اربعة اقطار العالم فلا يستطيع صرف النظر عن المصالح الدنيويَّة التي ترتبط بها مصالح الديانة ارتباطًا قويًا

وبما انهُ هو ايضًا ملك يرسل السفراء الذين أُعطي لهم التقدُّم من زمان لا يُعرف بدؤهُ على سائر معتمدي الدول نراهُ يخاطب ملوك هذه الدول مخاطبة المثل لمثلهِ لكن لا لرغبة او طمع في السيادة والسلطة بل لتعزيز شؤون الدين الذي فُوّضت اليهِ صيانتهُ

وبناء عليهِ فاذا تفقَّدنا تاريخ البابوات الذين لمعت شهرتهم على كرسي بطرس ليس فقط من حيث الفضائل الحبريَّة بل ايضًا من حيث كونهم رجال دولة نرى ان لاون الثالث عشر يتبوأ بينهم محل الشرف

*

١٨٧٨ انت الصخرة وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٣

انَّ اول بلاد استلفتت انظارهُ من بعد ارتقائهِ الى عرش البابويَّة هي امبراطوريَّة المانية التي كانت قد بلغت اوج الفخار بما اصابت من التوفيقات العسكريَّة المتوالية. وكان يتولَّى شؤُونها في تلك الاثناء رجل داهية اعني البرنس بسمرك الذي ما برح اسمهُ حتى الآن ممثِّلًا لسياسة الإقدام والدراية. وكان هذا الرجل المستبدّ قد ناصب الكنيسة الكاثوليكيَّة واصلاها حربًا شديدة. ولكن ما كاد لاون الثالث عشر يُسمع صوتهُ حتى اخذت الاوهام تتبدَّد والظنون تتمزَّق. وبالنظر لِما اعرب عنهُ من الحزم والمسالمة معًا بيَّن هذا الحبر الجديد للرجال المتولين شؤُون المانية انهم ضلُّوا الطريق وعمل في الوقت نفسهِ على تنشيط الالمانيين الكاثوليك وتشديد عزائمهم فانضموا عصبةً قويَّة صارت بعد مضي سنوات قليلة صاحبة الكلمة الراجحة في مجلس الرشستاغ الذي يُنتخب رئيسهُ دائمًا من بين اعضائها. وهكذا اخذت الامور تترقَّى من حسَن الى احسن حتى بطلت تلك القوانين الاستثنائيَّة المسنونة على الكاثوليك واحدًا بعد آخر

ثمَّ لمع نفوذ البابويَّة خاصَّةً في حسم الخلاف الذي وقع بين اسبانية والمانية على جزائر كارولين لان الفريقين اتفقا وقتئذٍ على تحكيم لاون الثالث عشر في القضيَّة

وفي المناسبة المذكورة بعث البرنس بسمرك الى الجالس على كرسي بطرس بذاك الرقيم المشهور الطافح بادلَّة الاعتبار والاجلال لحكمة شيخ الفاتيكان. وعلى اثرهِ احدثت المانية سفارة لها لدى الكرسي الرسولي وما زالت علائق البابويَّة من الوقت المذكور الى الآن تزيد توثُّقًا واستحكامًا بينها وبين امبراطوريَّة المانية

١٩٠٢ أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٨٧٨

هوذا قد غلب الاسد من سبط يهوذا (رؤيا ٥: ٥)

اما سياسة لاون الثالث عشر مع فرنسة جارة المانية الغربية فلم تقلّ حكمةً وسدادًا عن سياستهِ مع المانية فقد اعلن ان الكنيسة الكاثوليكيَّة مترفعة عن خصومات الاحزاب وغير مرتبطة بهيئة خصوصيَّة من هيئات الحكومات وحرَّض الكل ولاسيما الكاثوليك على ان ينضمُّوا باخلاص الى حكومة بلادهم

وسعى ايضًا في باجكة سعيًا مشكورًا كانت عاقبتهُ افضل واحمد فبعد ان كانت العلائق السياسيَّة قد تقطَّعت بين الحكومة المشار اليها والكرسي الرسولي عادت سريعًا الى سابق مجراها ومن عهد سبع عشرة سنة الى الآن صارت حكومة البلاد الى وزارة كاثوليكيَّة تدبر شؤونها وتتولَّى امورها وليس من ينكر ان للاون الثالث عشرًا يدًا قويَّة في تحقيق هذه الامنيَّة . وقد سبق المشرق (٤: ٨٤٤) فبيَّن ما وصلت اليهِ هذه المملكة الصغيرة الكاثوليكية من التقدم المادي العجيب في صنائعها واتساع نطاق تجارتها وغير ذلك من اسباب النجاح الذي فاقت بهِ جميع الاقطار وهو برهان محسوس على انَّ الكثلكة والتقدم يسيران معًا ويتمشيان في طريق واحد بشرط ان لا تتصدَّى الاهواء البشريَّة لمعاكستهما

ولم يكن نفوذ البابا لاون الثالث عشر في النمسة اقل من نفوذهِ في غيرها ففي شهر كانون الثاني من عام ١٨٨٩ بعد ان فُجع الامبراطور فرنسوا جوزف بوفاة الارشيدوق رودلف وليّ عهدهِ في ظروف محزنة للغاية التجأ الى رومية طالبًا من الحبر الروماني عزاء وسلوانًا . وقد زارهُ ملك وملكة ايطالية غير انهُ لم يردّ لهما الزيارة مع كل ما بذل الساعون من السعي والاجتهاد في حملهِ اليها . وغاية ما اراد من ذلك

١٨٧٨ أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

ان لا يتسبب باساءة الى المؤمنين العام وتنغيصهِ

هلمَّ الآن نذكر باختصار علائق الدول غير الكاثوليكيَّة في اوربَّة مع الكرسي الرسولي ولنبتدئ اولًا بالروسيَّة فنجد انها قد بادرت الى تعيين مندوب لدى الفاتيكان . واماَّ انكلترة فانها ما زالت تتلقَّى باعظم مظاهر التكريم الكرادلة الوافدين اليها من رومية باسم لاون الثالث عشَر وتعاملهم في القصر الملكي معاملة الامراء اذ تقدّمهم على رئيس اساقفة كنتربري كبير احبار الكنيسة الانكليكانية. ثمَّ ان القوانين التي تقيّد حرّية الكاثوليك قد أُبطلت تدريجًا من انكلترة كما أُبطلت من غيرها من البلدان البروتستانيَّة في اوربَّة مثل اسوج والدانيمرك وقد صرَّحت حكومات البلاد المشار اليها بانها ألغتها اجابةً للافكار السامية التي اعرب عنها لاون الثالث عشَر وجريًا على خطَّتهِ السلميَّة

*

واذا انتقلنا من اوربَّة الى آسية نجد مملكتين عظيمتين اعني بهما دولة الصين ودولة اليابان . وكما انَّ الثانية تسير بقدم ثابتة في مراقي التقدُّم والنجاح نرى الاولى مصرَّة على التشبُّث بتقاليدها القديمة غير انها تفتخر وتعتزّ بمقاطعاتها الكبيرة التي تضاهي كل واحدة منها دولة عزيزة الجانب لانها آهلة بما لا يقلّ عن اربعمائة مليون من النفوس . ومع كل هذا لم يتأخر امبراطور هذه المملكة الشاسعة الاطراف عن ابداء امائر الاحترام الوفير للبابا لاون الثالث عشَر فبعث اليهِ برقيم في غاية الولاء وخوَّل الاساقفة الكاثوليكيين لقب مناندرة وهو لقب اشراف الصين . وكذلك في اليابان سقطت تلك الافكار القديمة اي

١٩٠٢ أنت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٨٧٨

افكار الاضطهادات وأُعيدت سلسلة المراتب الكنسيَّة واشتركت الحكومة اكثر من مرَّة مع سائر العالم المتمدّن في تأدية فروض التجلَّة والتكريم للجالس على عرش البابويَّة. وجرى ايضاً على هذه الخطَّة جلالة شاه العجم وكثيراً ما كلَّف القصَّاد الرسوليين في بلاده بان ينوبوا عنهُ بتقديم اخلص عواطف الولاء لقداسة الحبر الاعظم. اماَّ (دولتنا العليَّة) فنحيل القرَّاء الى مراجعة ما كُتب عن علائقها الطيبة مع الكرسي الرسوليّ في مقالة «لاون الثالث عشر والشَّرق»

ولا نذكر في هذا المقام افريقية الَّا للالمام بمساعي لاون الثالث عشر في الغاء النخاسة اي التجارة بالرقيق. فان مساعيهُ المذكورة قد تكلَّلت بالنجاح في مؤتمر بروكسل المؤلف من مندوبي جميع الدول الذين اثنوا كلَّ الثناء على سموّ افكار رجل الڤاتيكان. واماَّ اوقيانية فلا سبيل الى ذكر شيء خصوصي عنها لان جميع اجزائها آهلة بالمستعمرات العائدة على حكومات اوربة فلم يبقَ اذاً الَّا ان نلقي نظرةً عموميَّة على امركة لنرى ما هنالك من النفوذ والقول الراجح لنائب «رئيس السلام»

*

ونبتدئ بجمهوريَّة امركة الشماليَّة فنرى ان الرئيس كلفلند قدَّم للاون الثالث عشر في معرض يوبيله الكهنوتي كتاباً من الدستور الامركي نفيس التجليد وجعلهُ هدية الحبر الروماني المحب لكل نجاح ينشأ عن الحرية الحقيقة المبنية على المبادئ القويمة. وقد سلَّم هذه الهديَّة في حينها الى الكردينال رئيس اساقفة بلتيمور وسألهُ ان يفصح لقداسته عمَّا يكنُّهُ رئيس البلاد من العواطف الشخصيَّة للقابض على

ازمة الفاتيكان اما لاون الثالث عشر فاغتنم فرصة هـذه العواطف الولائيّة واحدث سفارة للكرسي الرسولي في امركة واسّس كليّـة كاثوليكيّة في واشنطون حضر حفلة افتتاحها رجال الحكومة . ثم ان بعضاً من الخطباء البروتستان قاموا في بهرة المجلس مطلقين السنتهم بالثناء على ما ابداهُ الاب الاقدس من الدراية والسياسية . وفي سنـة ١٨٩٢ لمّا احتفلت الولايات المتحدة بتذكار المائة الرابعة لاكتشاف امركة وانشأت لهذه الغاية معرضاً فخيماً في مدينة شيكاغو كتبت حكومتها وقتئذٍ الى قداسة الحبر الاعظم طالبةً منهُ ان يشترك في المعرض المذكور ويرسل من يمثّلهُ فيهِ فقابلت ممثّل قداسته مقابلة الامراء المالكين وبادر رؤساء الجيش فاناطوا في صدرهِ النوط الوطني الامركي ولمّا انتهى الى شيكاغو احلّوهُ في المنزلة الاولى . هذا فضـلًا عن ان الحكومة كانت قد كلّفت بنوعٍ رسمي نيافة الكردينال رئيس اساقفة بلتيمور ان يبتدئ المعرض بالصلاة

ولو شئنـا ان نعدّد كل ما ادّتهُ حكومة الولايات من انواع التكريم لخلف القديس بطرس لطال الكلام كثيرًا . ولكن لا نجد بدًّا من الاشارة الى كونهِ ذا معنى عظيم لصدورهِ عن حكومة بروتستانية معروفة في علائقها بالتحفظ وملازمة المبادئ الديمقراطية

واماّ امركة الجنوبيّة فمع ما يقلقها من الثورات المتكاثرة ما برحت شهادات الاحترام وآيات التجلّة متوالية من قبلها لسجين الفاتيكان . غير ان السياسة في هذه الممالك المضطربة قد يفوتها الثبـات احياناً ومن ثمَّ تنشأُ المناقضات التي تحيّر المراقب الغير الخبير بحقيقة الاحوال . وممن نذكرهُ في هذه العجالة الجنرال فلورس رئيس حكومة خط

الاستواء فانهُ ارسل الى الاب الاقدس جزية مالية من قبل حكومتهِ . وكذلك كل من رئيسي كولومبية والشيلي وغيرهما من رؤساء الحكومات في افريقية الجنوبيـة قد اقاموا مندوبين لهم لدى الكرسي الرسولي وكلّما سنحت فرصة يبادرون فيهـا للاعتراف بما لزعيم الكثلكة من المناقب والصفات الجليلة

وفي الختام نقول ان هذه المآثر الاجمالية التي اشرنا اليها اشارة خفيفة لهي ذات مدلول بليغ لانها توضح لمن يمعن النظر فيها بخلو غرض كم يحقّ للكاثوليك ان يعتزّوا برئيسهم ويشكروا الله على كونهِ حفظهُ طويلًا لزعامة الكنيسة . لا بل تثبت ايضاً ان الكنيسة الكاثوليكيَّة تستطيع الوثوق بالمستقبل . نعم ان الاهواء البشريَّة لن تزال تضطرب وتهيج غير ان الله من علوّ سمائهِ يسوقها لانجاز مقاصدهِ الازليَّة . ومن المعلوم ان الحقيقة لا تلاقي غير المناصبـة والعداء ولكن الانتصار النهائيّ مضمون لها . وهذه حبريّة لاون الثالث عشر دليـل حي على ما نقول

شهادات لمشاهير العرب

في رئاسة بطرس وخلفائهِ

جمعها الاب لويس شيخو اليسوعي ونظمها على حسب تاريخ وفاة اصحابها

١ ابن رُسْته (كتب نحو سنة ٢٩٥ هـ ٩٠٨ م)

من كتاب الاعلاق النفيسة (طبعة ليدن)

قال يذكر رومية وملكها (ص ١٤٨): « فتسير . . . حتى توافي مدينة الروميَّة وهي مدينة يدبّر امرها ملك يقال لهُ الباب » . ولابن رستة اربع صفحات في ذكر عجائب مدينة رومية

٢ الطبري (✝ ٣١٠ — ٩٢٢)

تاريخ الرسل والملوك (طبعة ليدن)

الجزء الاول (ص ٧٣٧)

فبثَّ (المسيح) الحواريّين في الارض دعاةً الى الله . . . وكان ممَّن وجَّه من الحواريين والاتباع الذين كانوا في الارض بعدهم فطرس الحواري ومعهُ بولس وكان من الاتباع ولم يكن من الحواريين الى رومية »

٣ المسعودي (✝ ٣٤٦ — ٩٥٧)

(كتاب مروج الذهب طبعة باريس في تسعة اجزاء وطبعة مصر)

قال (ج ١ ص ١٢٨ و ١٢٩) عن اسم القديس بطرس: « وبطرس هذا اسمهُ بالروميَّة واسمهُ بالعربيَّة سمعان وبالسريانيَّة شمعون الصفا . . . وقُتل بطرس وبولس بمدينة رومية . . . ثم جُعلا بعد ذلك في خزانة من البلّور وذلك بعد ظهور النصرانيَّة وخزانتهما في كنيسة هنالك ».

١٨٧٨ أنت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

هوذا قد غلب الاسد الذي من سبط يهوذا (رؤيا ٥ : ٥)

وللمسعودي نظير هذا القول في الجزء الثاني (ص ٢٩٩ و ٣٠٠)

وقال ايضاً (٣ : ٣٠٣ و٣٠٤) : « ثم ملك على الروم نيرون واستقام ملكهُ ورغب في عبادة التماثيل والاصنام ويقال انهُ قتل في ملكهِ بطرس وبولس برومية على حسب ما قدَّمنا ونمى دين النصرانيَّــة في الروم وكثرت فيهم الدعاة اليهِ »

وقال المسعودي يذكر الكراسي البطريركيَّة (٣ : ٤٠٦ و٤٠٧) : « والبطارقة عند النصرانية اربعة اوَّلهم صاحب مدينة رومية ثمَّ الثاني وهو صاحب قسطنطينيَّة . . واسمها القديم بوزنطيَّة . ثمَّ الثالث وهو صاحب الاسكندريَّة من ارض مصر . ثمَّ الرابع وهو صاحب انطاكية . ورومية وانطاكية لبطرس فبدأُوا برومية لانها لبطرس ثمَّ ختموا بانطاكية لانها لهُ وتعظيماً . وقد احدثوا كرسياً خامساً ببيت المقدس ولم يكن هذا متقدّماً وانَّما هو محدث »

وقال ايضاً : « ونمى دين النصرانية في روميــة وهي كرسي جميع النصرانية واليهِ ترتد امورهم »

كتاب التنبيه والاشراق لهُ

(طبعة ليدن)

قال في شمعون الصفا (ص ١٢٥ و١٢٦) : « وفي اوَّل سنة من ملكهِ (اي قلوذيوس) . . حُبس شمعون الصفا ثمَّ خلص من الحبس وصار الى مدينة انطاكية والنصارى يدعونها مدينة الله ومدينة الملك وامّ المدن لانها اوَّل بلد ظهر فيهِ دين النصرانيَّة وبها كرسي بطرس ويسمَّى شمعون سمعان وهو خليفــة ايشوع الناصري والمرأس على سائر التلاميذ الاثني عشر والسبعين وغيرهم . فشرع بطرس في بنــاء

٢٠ انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٨٧٨

الكنيسة المعروفة بالقسيان الى هذا الوقت.وفي السنة الثالثة من ملكهِ دخل شمعون الصفا مدينة رومية وسُقِف بها ودَّبرها سنين ودانت امرأة الملك وكان اسمها فروطانيقي ويقال لها بطريقيَّة النصرانيَّة...ولثلاث سنة خلت من ملك نيرون قُتل بطرس وبولس بمدينة رومية »

وقال عن الكراسي البطريركيَّة (ص ١٤٦):« وكانت البطاركة اصحاب الكراسي اربعة اولها مدينة رومية وهي لبطرس رئيس الحواريين وخليفة ايشوع. الثاني الاسكندريَّة من بلاد مصر وهي لمرقس احد اصحاب الاناجيل الاربعة. والثالث قسطنطينية من بلاد بوزنطيا وكان اوَّل بطريرك لها مطروفانس... والرابع انطاكية وهي لبطرس ايضاً واستخلف بطرسُ على الكرسي بها حين سار الى مدينة رومية واذيوسَ (Evodius) »

وقال يذكر سبب تقدُّم كرسي الاسكندريَّة على غيرهِ لاجل السلطة المعطاة لهُ من بطرس (ص ١٦٠):« وان مرقس صاحب الاسكندريَّة ومن كان بعدهُ من البطاركة على هذا الكرسى هم الحكَّام على سائر اصحاب الكراسيّ في كل ما يختلفون فيهِ والقضاة عليهم اذا تنازعوا ومتى اجتمعوا في محفل جلسوا حُسَّراً وصاحب هذا الكرسي بعمامة اذ كان خليفة بطرس. والسبب في ذلك ان بطرس... انتدب مرقس وكان اصغر القوم سنّاً فناولهُ الانجيل ومحا اسمهُ منهُ واثبت فيهِ اسم مرقس وقال لهُ قد جعلناك الحاكم عليهم فيما تنازعوا فيهِ»

٤ الاصطخري († نحو سنة ٣٥٠ – ٩٦١)

كتاب مسالك الممالك (طبعة ليدن)

لهُ قول كقول ابن حوقل الآتي ذكرهُ (ص ٧٠)

٥ ابن حوقل (نحو سنة † ٣٨٠ — ٩٩٠)

كتاب المسالك والممالك (طبعة ليدن)

قال في وصف رومية (ص ١٣٥): «ورومية ركن من اركان ملك النصارى وذلك انها كرسيٌّ للنصارى ولهم ايضاً كرسيٌّ بانطاكية وكرسي بالاسكندريَّة. والكرسي الذي ببيت المقدس محدَث لم يكن في ايَّام الحواريين واتخذوهُ بعدهم ليعظم بهِ بيت المقدس»

٦ الثعلبي († ٤٢٧ — ١٠٣٥)

كتاب قصص الانبياء المسمى العرائس (طبعة مصر)

قال عن بطرس (ص ٣٥٥ و ٣٥٦): «انهُ شمعون الصفا ورأس الحواريين» وذكر (ص ٣٥٣) ان المسيح «وجَّههُ الى رومية»

٧ الشهرستاني († ٥٤٨ — ١١٥٣)

كتاب الملل والنحل (طبعة لندن)

ذكر الشهرستاني ظهور المسيح لبطرس بعد قيامتهِ قال (ص ١٧٢): ورأى شخصهُ (اي شخص المسيح) شمعون الصفا فكلَّمهُ واوصى اليهِ ثم فارق الدنيا وصعد الى السماء وكان وصيُّهُ شمعون الصفا وكان افضل الحواريين علماً وزهداً وادبًا»

٨ الشريف الادريسي († ٥٧٦ — ١١٨١)

كتاب نزهة المشتاق (طبعة رومة ١٨٧٨)

قال الشريف الادريسي في وصف مدينة رومة (ص ٧٤): «وفي مدينة رومة قصر الملك المسمَّى البابة وليس فوق البابة فوق في القدر والملوك دونهُ ويقيمونهُ مقام البارئ جلَّ وعزَّ (يريد انهم يعتبرونهُ كنائبهِ تعالى) يحكم بالحقّ ويتحرَّى المظالم ويرفق بالضعفاء

أنت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها — ١٨٧٨

والمساكين وينفي الضيم عن المهتضَمين وحكمهُ نافذٌ ماضٍ على جميع ملوك الروم ولا يقدر احدٌ منهم يردُّ عليهِ »

٩ ياقوت († ٦٢٦ – ١٢٢٩)

كتاب معجم البلدان (طبعة ليبسيك)

دعا القديس بطرس (١ : ٣٨٣) : « فُطرس رئيس الحواريين » وقال (٢ : ٨٣٠) : « انَّ قبر شمعون الصفا اتفقوا على انهُ في رومية الكبرى في كنيستها العظمى في تابوت من فضة ». وقال عن البابا (١ : ١٦٩) : « والبابا رئيس الفرنج هو عندهم نائب المسيح كما هو امير المؤمنين عند المسلمين ينفذ امرهُ في جميع ما يتعلّق بالدين في جميعهم »

١٠ ابن الأثير († ٦٣٠ – ١٢٣٣)

تاريخ الكامل (طبعة مصر)

ذكر ابن الاثير (ج ١ ص ١٢٨) بعثة المسيح « لشمعون الصفا رأس الحواريين » ونجاتهُ من الحبس وسيرهُ الى انطاكية ثمَّ دخولهُ رومية واستشهادهُ فيها مع بولس

١١ ابو الفداء († ٧٣٢ – ١٣٣٢)

كتاب تقويم البلدان (طبعة باريس)

قال في وصف رومية (ص ٢١١) : « وهي مدينة مشهورة ومقرّ خليفة النصارى المسمَّى بالباب ». وقال (ص ٢٠٩) عن اهل بيزة : « وليس لهم ملك وانَّما مرجعهم الى الباب خليفة النصارى »

١٢ ابن الوردي († ٧٤٩ – ١٣٤٨)

خريدة العجائب وفريدة الغرائب (طبعة مصر سنة ١٣٠٠)

لهُ وصف طويل في ذكر رومية الكبرى ونفائسها الى ان قال

١٩٠٢ انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٨٧٨

(ص ٥٨) : « وبها قصر الملك المسمّى البابا وهو قصر عظيم اجمع المسافرون على انهُ لم يُبنَ مثلهُ على وجه الارض »

١٣ ابن بطوطة († ٧٧٧ — ١٣٧٥)

تحفة النظّار في غرائب الامصار (طبعة باريس)

قال يذكر زيارة البابا الى كنيسة القسطنطينية (٢ : ٤٣٦) ولعلهُ يريد نائبهُ عند ملوك الروم : « ويأتي اليها البابة مرةً في السنة واذا كان على مسيرة اربع من البلد يخرج الملك الى لقائهِ ويترجّل لهُ وعند دخولهِ المدينة يمشي بين يديهِ على قدميهِ ويأتيـهِ صباحاً ومساء للسلام عليهِ طول مقامهِ في القسطنطينيَّة حتى ينصرف »

١٤ ابن خلدون († ٨٠٨ — ١٤٠٥)

مقدّمتهُ (طبعة باريس في ثلاثة اجزاء وتاريخهُ طبعة مصر)

قال في الفصل الذي ضمّنهُ شرح اسم البابا (٢ : ٤١٨) : « وافترق الحواريون . . . وكان بطرس كبيرهم فنزل برومة دار ملك القياصرة »

ثمَّ قال (ص ٤٢٠) : « وكان صاحب هذا الدين والمقيم لمراسمهِ يسمّونهُ البطرك وهو رئيس الملة عندهم وخليفة المسيح فيهم ويبعث نوابهُ وخلفاءهُ الى ما بَعُد عنهُ من امم النصرانيّـة . . . وكان بطرس الرسول رأس الحواريين وكبير التلاميذ برومة يقيم بها دين النصرانيَّة الى ان قتلهُ نيرون خامس القياصرة »

ثمَّ قال (ص ٤٢١) : « وارادوا ان يميّزوا البطرك عن الاسقف في التعظيم فدعوهُ البابا ومعناهُ ابو الاباء وظهر هذا الاسم اوّل ظهورهُ بمصر على ما زعم جرجس بن العميد في تاريخهِ ثمَّ نقلوهُ الى صاحب الكرسي الاعظم عندهم وهو كرسي رومة لانهُ كرسي بطرس الرسول

كما قدّمناهُ فلم يزل سمةً عليـهِ الى الآن ٠٠٠ وبطرك رومة اليوم المسمّى بالبابا على رأي الملكيَّة ورومة للافرنجة وملكهم قائم بتلك الناحية ٠٠٠ ومن مذاهب البابا عند الافرنجة انهُ يحضُّهم على الانقياد لملك واحد يرجعون اليـهِ في اختلافهم واجتماعهم تحرُّجاً من افتراق الكلمة ٠٠٠ ويباشرهُ بوضع التاج على رأسهِ للتبرُّك فيسمّى المتوَّج »

وقال عن دخول بطرس الى رومية (٢ : ١٤٧) : « وعنـد علماء النصارى انَّ الذي بُعث من الحواريين الى رومة بطرس ومعهُ بولس من الاتباع ولم يكن حواريًّا »

وقال (ص١٤٨) : « امَّا بطرس كبير الحواريين وبولس اللذان بعثهما عيسى صلوات الله عليـهِ الى رومة فانهما مكثا هنالك يقيمان دين النصرانيَّة ٠٠٠ وكان صاحب هـذا الدين عندهم والمقيم لمراسمهِ يسمُّونهُ البطرك وهو رئيس الملَّة وخليفــة المسيح فيهم ويبعث نوّابهُ وخلفاءهُ الى من بَعُد عنهم من امم النصرانيَّة »

ثمَّ قال (ص١٤٩) : « واختُرع اسم البـابا لبطرك الاسكندريَّة ليتميَّز عن الاسقف ٠٠٠ ومعناهُ ابو الاباء فاشتهر هذا الاسم ثمَّ انتقل الى بطرك رومـة لانهُ صاحب كرسي كبير الحواريين ورسول المسيح واقام على ذلك لهذا العهد يسمَّى البابا ٠ ثمَّ جاء بعد قلوديوش قيصر نيرون قيصرُ فقتل بطرس كبير الحواريين وبولس اللذين بعثهما عيسى صلوات الله عليهِ الى رومة »

١٥ المقريزي († ٨٤٥ – ١٤٤١)

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار (طبعة بولاق)

قال المقريزي في ذكر تاريخ الاقبـاط (٢ : ٤٨٣) يذكر رئاسة

بطرس: « فسار بطرس رأس الحواريين وهو شمعون الصفا الى انطاكية ورومية فاستجاب لهُ بشر كثير وقُتل في خامس ابيب وهو عيد القيصريَّة »

وقال بطريركية انطاكية والكراسي الاربعة (٢: ٤٧٣ و ٤٨٤) « ولمَّا فرَّ بطرس رأس الحواريين من حبس رومية (حبس هيرودس) وترل بانطاكية اقام بها اداريوس (اواديوس) بطركاً. وانطاكية احد الكراسي الاربعة التي للنصارى وهي رومية والاسكندريَّة والقدس وانطاكية...ودعا شمعون الصفا برومية خمساً وعشرين سنة...واجتمع الرسل بمدينة رومية ووضعوا القوانين وارسلوها على يد اكليموس تلميذ بطرس... ولمَّا قتل الملك نيرون قيصر بطرسَ رأس الحواريين برومة اقيم من بعدهِ اريوس (لينوس) بطرك رومية...وقام من بعدهِ البطاركة بها واحداً بعد واحد الى يومنا هذا الذي نحن فيهِ »

ثم قال (٢: ٤٨٤): « وكان بطرك الاسكندريَّة يُقال لهُ البابا.. ومعناها ابو الآباء ثم انتقل هذا الاسم عن كرسي الاسكندريَّة الى كرسي رومية من اجل انهُ كرسي بطرس رأس الحواريين فصار بطرك رومية يقال لهُ البابا واستمرَّ ذلك الى زمننا الذي نحن فيهِ »

فاذا استخلصنا من هذه الشهادات لُبابَها وجدنا انَّ العرب يشهدون للكاثوليك في قولهم عن القديس بطرس وخلفائهِ الاحبار الرومانيين اذ انهم يؤكدون ان بطرس اكبر الحواريين ورأسهم وان المسيح جعلهُ نائبهُ ووصيَّهُ واعطاهُ ملء السلطان على الرسل الاثني عشر وعلى السبعين. وان هذا الرسول الهامة بعد ان انشأ كرسي انطاكية اقام كرسيَّهُ في رومية مدَّة ٢٥ سنة واستشهد فيها على عهد نيرون. وأن كرسي رومية اول كل الكراسي تخضع لهُ بقية البطركيَّات وان صاحب هذا الكرسي يدعى بابا اي ابا الاباء دون غيره وهو يحكم على كلّ النصارى حتَّى على الملوك والبطاركة ولا يردّ احد حكمهُ. فسبحان الله الذي انطق بالحق كتبة العرب ليشهدوا للكنيسة الكاثوليكية على المخالفين لطاعتها

١٨٧٨ — انتَ الصَّفاة وعلى هذهِ الصَّفاةِ سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها

لاون الثالث عشر والهيئة الاجتماعية

للاب جرجس تريبوله اليسوعي

قال المسيح جلَّ من قائل لتلامذتهِ: « انتم ملح الارض . انتم نور العالم » فخوَّلهم بذلك سلطانًا عظيمًا يتناول كلَّ الملل والشعوب فضلًا عن الكنيسة وابنائها المؤمنين فجعلهم كحرَّاس يسهرون على خير الامم ويحافظون على اركان المجتمع البشري وينفون عنهُ كلَّ اسباب الفساد

على انَّ هذه المهمَّة الكبرى منوطة ببطرس وخلفائهِ اكثر منها باخوتهِ الرسل لانهُ راعي الرعاة ونائب ذاك الذي « أُعطي الأُممَ ميراثًا واقاصي الارض ملكًا » (مزمور ٢ : ٨) فعليهِ تدور دائرة المعاملات وبهِ تتَّصل سلسلة النظام البشري فاذا أُصيبت الهيئة الاجتماعيَّة باذًى بادر الى اصلاحهِ لئلا يتسع الخرق ويُثلَّ عرش المدنيَّة

والحقُّ يقال انَّ لاون الثالث عشَر لمَّا استوى على منصَّة الملك وجد العالم على قاب قوسين من هبوطهِ لما ثار فيهِ من الاهواء الباطلة وعصف من ريح الفتن التي نفخ بها شيطان الثورة منذ اواخر القرن الثامن عشَر فامتدت في كلّ الانحاء ولم يزل الشرّ يتفاقم والفساد يستفحل حتى انحلّت روابط الأُلفة وانتقض ركن السلطة وبطلت الامانة بين المتعاملين ولعبت في الرؤوس خمرة الحرّيَّة الموهومة فكاد اختلال النظام يفضي بالمجتمع الانساني الى الاضمحلال والفناء

تلك كانت حالة العالم اذ سمع لاون صوتَ الرب يقول لهُ ما قالهُ سابقًا لنبيهِ ارميا (١ : ١٠) : « انظر اني أقمتك اليوم على الامم والممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبني وتغرس » فباشر منذ بدء ضبطهِ

١٩٠٢ انت الصخرة وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٨٧٨

لعنان الملك باقتلاع الاضاليل وهَدْم صرح الاوهام ونَقْض بناء التعاليم الفاسدة واشهر حربًا عوانًا على الآراء الباطلة التي نشرها الكفرة والملحدون وسدَّد سهامهُ الصائبة على اكاذيب الإباحيين والاشتراكيين وندَّد بالماديين الزنادقة وكشف القناع عن شنائع الجمعيَّات السريَّة التي لا تتستَّر الَّا لاجراء مقاصدها وترويج مفاسدها لانَّ « الذي يصنع الخطيئة يخاف من النور » كما قال الربّ

ولمَّا كان النظام البشري يتركَّب من افراد وعيال وجماعات ودول وكان لكل هؤلاء واجبات وحقوق لا ينتكث حبلها دون ان تصاب الهيئة الاجتماعيَّة بشرور تؤدي بها الى الاضمحلال صرف نائب المسيح نظرهُ الى كلّ قسم من هذه الاقسام وذكَّرهُ بفرائضهِ المحتومة عليهِ ودافع عن حقوقهِ لئلا ينفرط سلك الاجتماع البشري وتفقد الامم قوامَ وجودها الذي يتوقَّف على هذه العلائق المتبادلة بين اطوار الأُلفة الاجتماعيَّة

وبدأ قداستهُ بالأفراد لعلمهِ بما في قلوبهم من الحزازات على النظام الأُلفي الذي افشل قواهم وكسر في عضدهم يوم حلَّ ما كان بينهم من روابط الاعتصاب وأواخيّ الائتلاف. فانجز لاون الثالث عشر في شخصهِ ما قالهُ الشريف الادريسي عن اسلافهِ (راجع المشرق ٥ : ٢١١) « فحكم بالحق وتحرَّى المظالم ورفق بالضعفاء والمساكين ونفى الضيم عن المهتضمين » وكتب تلك الرسالات العجيبة التي دافع بها عن حقوق الافراد ومنع اصحاب الثروة من ان يسوموهم خسفًا. وقد اصدر رسالتهُ الاولى في هذا المعنى السنة الاولى لحبريَّتهِ وبدوءها بهذه الالفاظ « Quod Apostolici » بيَّن فيها بادلَّة ساطعة ما للأفراد من الحقوق عند اربابهم وما يتحتَّم عليهم من الفروض والواجبات نحوهم

فحرَّض اصحاب الثروة الّا يهتضموا حرمة الصغار ويحرموهم اجرةً عادلة على اتعابهم وحظر على العملة انتهاك املاك ساداتهم وفنَّد اراجيف الاشتراكيين وترَّهات الاباحيين

وعاد الاب الاقدس الى هذا الموضوع مرارًا عديدة في رسائلهِ العامَّة لاسيما في رسالتهِ « Rerum novarum » سنة ١٨٩١ التي وجَّهها الى الفَعَلة وحدَّد فيها ما يحلُّ لهم ويحرَّم عليهم. فكانت هذه الرسالة احسن دستور يمكن الأفراد ان يجروا عليهِ. ولذلك قد اطنبت كلُّ الدوائر السياسيَّة والمجلات الكاثوليكيَّة وغيرها على سموّ مدارك الاب الاقدس واقرُّوا علنًا بانهُ فكَّ المشكل على وجهٍ مرضيّ للغاية. امَّا العملة فدعوهُ مذ ذاك الحين « بابا الفعلة » واخذوا يحجُّون الى الفاتيكان زرافات ليعاينوا سجينهُ ويشكروهُ على انتصاره لحقوقهم. وقد بلغ عدد الذين قدموا عليهِ لهذه الغاية فوق مئتَيْ ألفٍ

وممَّا يلحق باهتمامهِ في تهذيب الافراد ما كتبهُ عن الحرّية في رسالتهِ « Libertas » سنة ١٨٨٨ فاوضح بسداد عجيب ما هي الحرّية ونفى عنها معانيها الكاذبة واثبت انَّ الحرّية في صنيع الشرّ ليست بحرّية بل هي العبوديَّة نفسها وفقًا لقول الرب (يوحنَّا ٨ : ٣٤) : « من يفعل الخطيئة هو عبد للخطيئة » وانَّما الحرّية هي الاختيار بين ضروب الخير وانواع عمل الصلاح

على ان الحبر الروماني لم يشإ ان تبقى الاجسام نفسها مستعبدة وقد سلك بذلك على طريقة اسلافهِ الذين لم يزالوا يسعون في ابطال النخاسة. وقد اوضح لاون الثالث عشر عن فكرهِ هذا في رسالتهِ « In plurimis » سنة ١٨٨٨ الى اساقفة البرازيل لمَّا أُلغيت تجارة الرقيق

لاون الثالث عشر من سبط يهوذا (روما)

١٩٠٢ انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٨٧٨

في تلك البلاد وكان لدُعاة الدين في هذا الامر الخطير يد مشكورة

ثمَّ صرف اسير الڤاتيكان نظرهُ الى مجاهل افريقية حيث النخاسة كانت ضربت باطنابها منذ زمن مديد فبيع أُلوف وربوات الوف من البشَر كما تُباع السلع. ففوَّض الحبر الاعظم الى الكردينال لاڤيجري الذائع الشهرة بان ينادي بين الشعوب المتمدنة ويدعوها لابطال هذه الفظائع. ولمَّا رأى الدولَ متأثرة ممَّا بلغها من توحُّش النخاسين كتب تلك البراءة ذات المعاني الشَّريفة والمدارك السامية التي اصدرها في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٨٩٠ فكانت ضربةً لازبة على بيع الرقيق. ومذ ذاك الوقت اتَّفقت كلمة الدول على منع هذه التجارة المستقبحة التي تحطّ بشأن البشَر وتنزلهم منزلة البهائم وقد خلقهم الله احرارًا متساوين بحقوق الانسانيَّة. وعزَّز لاون في ذلك الوقت الرسالات الافريقيَّة وجعل لها شفيعًا في مصفّ اولياء الله القديس بطرس كلاڤر اليسوعي الذي صبغ في القرن السابع عشَر بمياه المعمودية اكثر من ٣٠٠,٠٠٠ من الزنوج العبيد

وما صنعهُ قداسة الحبر الاعظم نحو الافراد شفعهُ باعمال اثيرة نظَّم فيها العيشة العائليَّة. واذ علم قداستهُ انَّ تهذيب الاحداث اكبر داعٍ لحسن نظام العيال المسيحيَّة سعى سعيًا لم يُضجرهُ الملل بتربية الصغار. وقد استلفت انظار ارباب العائلة الى هذا الامر في اوَّل براءة عموميَّة اصدرها بعد جلوسهِ السعيد على كرسي بطرس وكرَّرهُ في براءاتهِ التالية

ومن اركان العيشة العائليَّة سرّ الزواج المسيحيّ المبنيّ على قول الرب (متى ١٩. ٦): «ما جمعهُ الله فلا يُفرقهُ انسان» وقد استفرغ سيد الاحبار كنانة جهدهِ في تعريف خواص الزواج وما يؤول اليهِ

هذا السرّ اذا ما اخترق الازواج سُننَ الكنيسة فيذهب كلٌّ من العروسَين في سبيلهِ وتتضعضع العائلة وينشأ الصغار على خرق الآداب وسوء السيرة. وهذا الموضوع قد خاض فيـهِ لاون الثالث عشَر اربع دفعات بيد انهُ قد اتَّسع فيهِ في رسالتهُ عن الزواج المقدس (Arcanum) سنة ١٨٨٠ فبيَّن ما لهُ من القوَّة في حلّ المعضلات وفكّ عُقدها

ولتعزيز روح العائلة قد نشَر ابو المؤْمنين عبادة الورديَّة المقدسة وكتب في ذلك رسالات طافحة بالتقوى والغيرة الرسوليَّة. وكذلك قد اثبت شركة العيلة المقدسة وامر الاساقفة بحضّ المؤْمنين عليها ليتخذوا من يوسف ومريم ويسوع مثال الفضائل العائليَّة التي ينبغي عليهم ممارستها

هذا وان الاب الاقدس لم يقتصر عنايتـهُ بالهيئة الاجتماعيَّة في ترتيب حقوق الافراد وتحسين العيشة العائليَّة وانَّما صرف همتهُ الكبرى الى الالفة المدنيَّة والجماعات الدوليَّة. واول ما لحظ انَّ الرعايا لم تعُد تقدّم لاصحاب السلطة ما يقتضيـهِ مقامهم من الاكرام والخضوع وما ذلك الَّا لانَّ روح العصر قد اضحى روح تساوٍ يظنّ الشعب انهُ هو مصدر السلطة يفوّض بها الى من يشاء. وقد نشأ عن هذا الظن السيّئ شرور لا تُحصى وفـتن لا تُعدّ فترى البلاد في تقلبٍ دائم وفي فوضى متواليـة. بل اتصلت ببعضهم القحة الى ان تطاولوا على ولاة امرهم فجنوا على حياتهم

فساءَت هذه الحال لاونَ الثالث عشَر ولم يجد اشدّ زاجرٍ للناس من هذه العقيدة الباطلة من ان يبيّن لهم اصل السلطان ومصدرهُ. فكتب في ١٨ اذار سنة ١٨٨١ بعد موت القيصر اسكندر الثـاني براءتهُ الخالدة الذكر التي بدؤها (Diuturnum) اثبت فيها بادلَّة نقليَّة

وعقليَّة بانَّ كلَّ سلطة من العلي وانَّ السلطان ظلُّ الله في ارضهِ وان الرعايا ليس لهم منهُ حصةٌ وان امكنهم في بعض الاحيان ان يعيّنوا الشخص الذي يتولى هذه السلطة شرعيًّا. واذا عيَّنوهُ فليس لهم سبيل الى نقض سلطتهِ

فما برزت الرسالة البابويَّة حتى صفَّق لها العالم استحساناً وتلقَّاها الملوك بما لا مزيد عليهِ من التجلة والاعتبار ولم يكتفِ قيصر روسيَّة اسكندر الثالث بقبولها من الحبر الروماني شاكرًا بل وزَّع نُسخاً منها بيدهِ على حاشيتهِ

وما مرَّ على هذه الرسالة اربع سنوات حتى ألحقها حبر الاحبار برسالة اخرى ليست اقلَّ منها شأناً (Immortale Dei) بحث فيها عن العلائق بين الكنيسة والسلطة الزمنيَّة وقد اسهب في بيان حاجة السلطة الزمنيَّة الى الكنيسة لانَّ الكنيسة حارسة الدين والدين هو سلك النظام الاجتماعي لن يستحكم اساسٌ للتمدن دونهُ البتة وعليهِ فقد كذب من اعتبر الكنيسة كخصم للسلطان الزمني وانما هي بالنسبة اليهِ بمثابة النفس الى الجسد تحييهِ وتصونهُ من الاخطار المحدقة بهِ

ومن الخدم التي ادَّاها لاون الثالث عشر للهيئة الاجتماعيَّة انه كافح بكلامهِ وقلمهِ تلك الشيع الجهنميَّة التي جعلت غايتها المقوتة دكَّ دعائم السلطة الشَّريعة. ولو عدَّدنا خطبهُ في رذل هذه الجماعات لطال بنا الكلام. وقد خصَّص الاب الاقدس تنديدهُ بالجمعيَّات السرّيَّة والشيع الماسونيَّة واثبت بشهادات اصحابها ان قصارى بغيتها نقض كلّ دين وسلطان. واشهر رسالات قداستهِ في هذا الشان صدرت في ٢٠ نيسان سنة ١٨٨٤ فنشرناها في وقتها بالطبع على حدة في مطبعتنا الكاثوليكيَّة

ومن مساعيهِ ايضاً في خير الدول جمعاء انهُ كثيرًا ما جدَّ وكدَّ في نشر الصلح بين الدول الاوربيَّة ونزع الاسلحة لتعيش الامم في الأُلفة

والسلام. وقد ظهر ذلك بنوع خصوصي في مؤتمر الصلح الذي عُقد في هولاندة سنة ١٨٩٩ فان ملكة هذه الدولة اقرَّت في رقيمها الى سيد الفاتيكان انَّهُ احقُّ من غيرهِ بتوطيد السلام بين الدول الاوربيَّة

وبعد ان وجَّه قداسة امام الاحبار همَّتهُ الى الممالك اجمالًا نراهُ مهتمًّا بكل دولة كأنَّهُ لا همَّ لهُ سواها. وكلُّ من يطالع رسائلهُ الى الفرنسويين والبلجكيين والاسبانيين والطليان والالمان والاميركيين لا يشكُّ في انَّ قلبهُ الابوي يعزُّ كل الدول دون استثناء لا يريد غير خيرها الاعظم وترقّيها في سبل النجاح فلا عجب بعد ذلك ان استأسر سجين الفاتيكان بحبهِ قلوب الامم جمعاء. فالتجأت اليهِ تترى في فضّ مشاكلها وحلّ معضلاتها

وكنَّا وددنا لو سمح لنا المقام ان نذكر الجمعيّات الخيريَّة والمشروعات المبرورة التي انشأها الحبر الاعظمَ في كل بلد لخير الافراد والعيال ولصالح كلّ طور من اطوار الاجتماع الانساني إذن لرأى ما يدهش الالباب ويحيّر القلوب. فان الحسنات التي يوزّعها الكرسي الرسولي وحدهُ على العملة والفقراء والمرضى والمنكوبين وفي افتداء العبيد تبلغ نحو خمسة ملايين من الفرنكات في كل سنة. وقد انهض قداستهُ همم الكاثوليك لمَّا جعل لهم شفيعاً ذلك البطل الهمام رجل الخير العميم ومثال النزاهة والتفاني القديس منصور دي بول منشئ الجمعيَّة اللعازريَّة وأخوات المحبَّة

وفي الختام لا يسعنا الَّا ان نصرخ فليحيَ لاون فانهُ حقيقةً ملاذ الامم وسند الشعوب فطوبى للدول التي تسمع صوتهُ فانَّ فيهِ صحَّ قول ملكة سبإٍ لسليمان الحكيم (٢ اخ ٩ : ٨): «تبارك الربُّ الهك الذي رضي منك واجلسك على عرشهِ ملكاً للرب الهك فانهُ لاجل حبّ الهك لاسرائيل ليثبتهم الى الابد اقامك ملكاً عليهم لتجري الحكم والعدل»

هوذا قد غلب الاسد من سبط يهوذا (رؤيا ٥)

الاسد الراعي

بقلم حضرة الخوري يوحنا طنّوس احد اساتذة مدرستنا الكليَّة

هوذا قد غلب الاسد من سبط يهوذا من اصل داود

العزُّ لله انَّ الحقَّ قد ظهرا   فالليث من اصل داودٍ قد انتصرا
لله من اسدٍ في الحرب محتدمٍ   من جمر عينيهِ يرمي النار والشررا
من عينهِ البرق ثمَّ الرعد يتبعهُ   صعق الصواعق في الاقطار ان هدرا
ويلٌ لذئب الفلا من بطش سطوتهِ   ان ألحق الذئب في اشبالهِ ضررا
ويل السباع وويل الوحش قاطبةً   ان أُغضب الاسدُ الضرغام او غُدرا
إنْ ثار ثائرهُ يرتجُّ كلكلهُ   قصد الوثوب ويا للهِ ان زأرا

*

ما اعجب الكون يوماً لو رأى اسدًا   في الناس منتصباً يرعى الملا قدرا
ليثٌ وراعٍ فكيف الجمع بينهما   والفرق بين السجايا حيَّر الفِكَرا
النارُ والماء ثمَّ الحلمُ في غضبٍ   بطشٌ بعفوٍ وحزمٌ قارن الحذرا
حلاوة الشهد ثمَّ البأسُ في اسدٍ   عن ليثنا لُغْزَ شمشونَ الذي ذُكرا
فما اشدَّ على الاعداء وطأتهُ   والشهد من فيهِ للابناء قد قطرا

*

اقامهُ الرب صخرًا إسَّ بيعتهِ   انت الصفاةُ فكن في الناس مقتدرا
فليس يقوى عليها في الوغى ابدًا   بابُ الجحيم لأني معكُمُ العُصُرا
جهنمٌ فتَّحت ابوابها حنقًا   لتقذف الكفر والفحشاء والدعرا
وهيَّجت جندها للحرب فانتشرت   شرقًا وغربًا وماجت موجَ من فجرا
وقلَّبت ارضنا بالشرّ فانقلبت   ظهرًا لبطنٍ وقانا ربُّنا الخطرا
ثُلَّت عروشًا ففاضت بالدما مدنٌ   وخيَّم الكفر بالاقطار منتشرا
وحاولت هدَّ ركن الدين عن بطرٍ   اعوذ بالله ممَّا حاولت بطرا
فان تزعزع ركن الدين منقلبًا   تهوَّر الكون في الفحشاء مندحرا
فساورت رومةَ العظمى لتصليها   حربًا عوانًا يحاكي حرُّها سقرا
ضجَّت عليها ضجيجَ القوم في لهبٍ   وافغرت فاهها للسَّبِّ فانفغرا
تضعضع الكون واندكَّت دعائمهُ   وقالت الناس ويل الدين قد قُهرا

١٨٧٨ انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

... الأسد من سبط يهوذا (رؤيا)

بل ويلكم يا عداة الدين فارتدعوا ... ألا اتّقوا اللهَ انَّ اللهَ قد نصرا
لا يغلب اللهَ انسانٌ ولو ملكاً ... فالربُّ يغلب في احكامهِ البشرا

✲

هلّا رأت عينكُمْ لاوون راعيَها ... ليثاً هصورًا على القطعان قد سهرا
فالرب قال لهُ يرعى رعيّتهُ ... علّمْ وهذّبْ ووبّخْ كلَّ من عثرا
اني جعلتك نورًا يُستضاء بهِ ... ما دام في الارض ليل الجهل معتكرا
الى الاقاصي رسولي انت يا اسدي ... فارعَ الشعوب وقوّم خدَّ من صعرا
جعلتُ في فيك سيف الحقّ متقدًا ... فاضرب بهِ هام من مارى ومن كفرا
انت المسلّط فوق الفوق فاحتكمنْ ... فلا مردَّ لحكم منك قد صدرا
لك المفاتيح فافتح ان تجد حسنًا ... في وجه من شئتَ حسبُ الله ان امرا
كم يبذل النفسَ عن قطعانهِ جذلًا ... ولا يُولّي من الاعداء منذعرا
والعين ترعى نجوم الليل ساهرةً ... على الخراف فيا ما اطيب السهرا
قطيعهُ بردُ الينبوع مرتشفاً ... ماء الحياة وراحاً تُبعد الكدرا
كم هام في حبّه للشرق من صغر ... وحبُّهُ ازداد وجدًا كلّما كبرا
يا شرق يا منبع الايمان من قدم ... اسرع لاكرام مَن في حبّك اشتهرا

✲

يا بنت صهيون قومي رنّمي طرباً ... فالرب قد جبر العظم الذي كُسرا
يا رومة الحقِّ هي اليوم من سنةٍ ... قومي استنيري فان النور قد جرا
أمَّ المدائن بل امَّ الكنائس بل ... امَّ الحقائق فيك الدين قد حُصرا
قد اشرق الرب في عينيكِ فانقشعت ... عنك الغيوم واجلى حبرُكِ البَصَرا
قومي ارفعي الرأس لا تخشي مصادمةً ... فعزُّكِ اليومَ ألبابَ الورى سَحَرا
بنوك من مشرق الدنيا ومغربها ... طارت اليك بقلبٍ حبُّهُ استعرا
ومجد لبنان يأتي غيرَ منتظرٍ ... فأَرْزُهُ مثلَ هذا العزّ ما نظرا
قومي انظري حولكِ الاحبار ساجدةً ... أمام حبركِ تهدي الشكر والدررا
كلُّ القبائل في يوبيلهِ ابتهجت ... والناس تفرح ليلًا اذ ترى القمرا
كلُّ الشعوب على ابوابهِ ازدحمت ... تبغي رضاهُ فيا ما اعظم الظفرا
تمت نبوءة يوحنّا برمّتها ... فالليث من اصل داود قد انتصرا

١٨٧٨ أنتَ الصخرة وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

لاون الثالث عشر والعلوم

نبذة للاب موريس كولنجت اليسوعي

ان كان الباباوات لم يألوا جهدهم في توطيد اركان المجتمع الانساني ليس فضلهم باقلّ في نشرّ المعارف البشَريَّة. وقد اقرَّ اعداء الكثلكة انفسهم بهذا الامر حتى شاع قول احد الكتبة البروتستانت: «لولا الاحبار الرومانيون لبقيت اوربَّة متسكّعةً في ظلام الجهل مدَّة قرون عديدة»

وللاون الثالث عشَر اعمال تنطق بحبّهِ للاداب البشَريَّة والمعارف والانسانيَّة تجعلهُ شبيهاً بسميهِ لاون العاشر الذي عُرف بهِ عصرهُ فدُعي عصر لاون العاشر. ولا غرو فان للاوننا شعارًا أبى ان يدعهُ اسمًا فارغًا فاضحى «نورًا في السماء» ليس فقط بنشر ضياء الايمان ولكن ايضًا برفع منار العلوم وبثّ اشعَّة الآداب

ولو تصفَّحنا حياة هذا الحبر الجليل لرأيناهُ اهلًا بان يُنظم في ائمَّة علماء عصرهِ بل هو جدير بان يتقدَّمهم لما احرزهُ من المعارف الجليلة. وللاباء اليسوعيين معلّميهِ شهادات عديدة تُثبت ما كان مطبوعًا عليهِ منذ حداثة سنّهِ من توقُّد الفهم ونجابة القلب اذ أصاب بين رفقتهِ قصبات السبق في كلّ فروع العلوم. وقداستهُ يعرف عشر لغات ويتقن التكلم والكتابة بخمس منها. ولهُ اليد الطولى في الكتابة كما تشهد على ذلك رسائلهُ العديدة واكثرها من قلمهِ السيَّال اكسبتهُ اسمًا ممتازًا بين ابرع كتَّاب عصرهِ. وممَّا يدهش اهل النقد والبصر انهُ يكتب اللاتينيَّة ببلاغة وطلاوة عجيبتين قلَّما ادركها المعاصرون.

١٨٧٨ أنتَ الصَّخرةُ وعلى هذه الصَّخرةِ سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

ولهُ ديوان شعر في مواضيع دينيـــة وعلميَّة وادبية كلُّهُ فرائد لا يزال يضيف اليهِ كلَّ يوم قصائد رنَّانة يخال لقارئها انَّ ناظمها في عزّ الشباب يودعها من المعاني افخمها ومن التخيُّـلات والتشابيه ارقَّها واسجمها فعدَّهُ اصحاب الذوق من افحـل الشعراء وابعدهم مجالًا في فنون القريض

ولمَّا صارت الى يدي قداستهِ ازمَّة البابويَّة لم يشأ ان يمشي ارباب الدين في مؤخر جيش العلوم بل اراد ان تكون المعارف معزَّزةً زاهيةً في الكنيسة امّ التمدُّن والنجاح ليتحقَّق النـاس انَّ الدين والعلم كفرسي رهان وكاخوين شقيقين ليس بينهما مناقضة البتَّة

وباشر قداستهُ بنشر لواء العلم في رومية ام المدائن. وكان اوَّل همّهِ بالأحداث لاسيما الفقراء منهم فانَّهُ في السنة ١٨٧٩ عُني بتنظيم المدارس الاوَّليَّة وحسَّن فيها التعليم وخصَّص لها في كل سنة مئة الف فرنك تُصرف في صوالحها

ثمَّ وجَّه قداستهُ العناية الى المدارس الثانويَّة فانشأ المدرسة اللاونيَّة وجهَّزها بكل لوازم التعليم وعهد بتدبيرها الى مشاهير اساتذة رومية وهي اليوم حافلة بالطلَّاب تباري احسن المدارس علماً وتهذيباً

ولمَّا رأى امام الاحبار انَّ مدرسة انتشار الايمان أصابها بعض التقهقر في الدروس تسارع الى تلافي الامر ولم يزل يجدُّ ساعياً في اصلاح الخلل حتى تداركهُ تماماً واعاد لهـذه المدرسة الشهيرة رونقها السابق بل انعش فيها نشاطاً لم تعرفهُ من ذي قبل

وكذلك الكليَّة الغريغوريَّة التي يديرها الاباء اليسوعيون في رومية فانَّ قداستهُ احبَّ ان لا ينقصها شيء من اسباب الكمال التى

١٨٧٨ أنتَ الصَّفاة وعلى هذهِ الصَّفاةِ سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

اعتادتهُ منذ ثلاثمائة سنة فنشَّط تلامذتها وشدَّ أزرها بمشاهير المعلمين . فنما عدد طلَّابها من ٤٠٠ الى ١٢٠٠ وهم لا يتلقَّنون فيها سوى العلوم العالية

ولا نعدّد هنا خوفاً من الاطالة المملَّة عدَّة مدارس أُخر تقدم لاون الثالث عشر بانشائها كالمدرسة البوهيميَّة والمدرسة البرتوغيَّة والمدرسة المارونيَّة والمدرسة الارمنيَّة والمدرسة اليونانيَّة فان المسافر الذي يزور مدينة الباباوات لا يخطو اليوم خطوةً دون ان يرى في كل حي من احيائها أثراً من هذه الآثار المجيدة الناطقة بفضل لاون ابي العلوم والمعارف

ولحبرنا الجليل عدَّة محافل ادبيَّة انشأها في رومية لرفع منار العلوم اكبرها « المحفلّ الادبي البابوي » يبحث اصحابهُ عن آداب اليونان والرومان والطليان تمَّ افتتاحهُ سنة ١٨٨٥

ومن منشآت الاب الاقدس في عاصمة الكثلكة « المحفل التُومَوي » احدثهُ لاعلاء منار الدروس اللاهوتية والفلسفيَّة وفقاً لتعاليم القديس توما الاكويني شمس المدارس

وكانت المجامع العلميَّة المنشأة من اسلاف قداستهِ أُصيبت بضربة لازبة مذ دخول الجنود الايطاليَّة في رومية فنفخ فيها سجين الفاتيكان نسمة حياة جديدة. منها جمعيَّة لينشاي (Acad. dei Nuovi Lincei) التي دخلت منذ سنة ١٨٨٣ في طور جديد مذ خصَّها قداستهُ بمعاهد فسيحة وحمل اعضاءها على العمل. ومدار ابحاثها على الرياضيَّات والطبيعيَّات والادبيَّات لها مجلَّة شهيرة تنشر تآليف اعضائها في كل سنة

ومنها « جمعيَّة العاديَّات البابويَّة » كان تشتَّت شمل اصحابها فجمع حبرنا الجليل كلمتهم وامرهم بمواصلة اشغالهم ثمَّ نشر على حسابهِ الخاص ما تأخر من تآليف الجمعيَّة وجعل لها ريعاً سنويًا كافياً لترقي امورها. وبهمَّة قداستهِ عقدت هذه الجمعيَّة في ١٧ نيسان سنة ١٩٠٠ ذاك المؤتمر الشهير الذي اجتمع فيهِ اكبر علماء العاديَّات فتباحثوا عن الآثار المسيحيَّة القديمة. وكان لابحاثهم الجليلة صدى رددتهُ كلُّ الجمعيَّات العلمية في اوربَّة

ومنها جمعية ادبيَّة تُعرف بالاركاد (Acad. des Arcades) انهضها البابا من خمولها وخوَّلها انعامات شتى

ولابينا الاقدس مساعٍ أُخرى عديدة في نشر العلوم والآداب في حاضرة مملكتهِ نخصُّ منها بالذكر انشاء المرصد الڤاتيكاني اقامهُ على نفقات الكرسي الرسولي بدلًا من مرصد اليسوعيين في المدرسة الرومانية الذي استولت عليهِ دولة ايطاليا قسرًا. فجاء المرصد الجديد آيةً في بابهِ تزينهُ الآلات الفلكية التي لا تُرى الَّا في مراصد الدول الكبرى لتعريف حركات السماء وآثار الجوّ وحساب الازمنة. وفيهِ تلك العدسية العظمى التي جهَّزها قداستهُ لرسم خارطة السماء. وهو عمل جليل لم يُسبق اليهِ يشتغل فيهِ علماء الڤاتيكان في مقدَّمة مشاهير الفلكيين الاوربيين. وقد سلَّم لاون الثالث عشر ادارة هذا المرصد للاب دِنزا البرنابي. ولقداستهِ مرصدٌ آخر اقامهُ في كَرْپيناتو مسقط رأسهِ

ومن حسن مساعي سيّد الڤاتيكان عنايتهُ في المتحف البابوي الذي يقرُّ العلماء انهُ من اقدم واجمل المتاحف في البسيطة كلها. وقد فتح لهُ قداستهُ قاعات جديدة ورمَّم ما خرب منهُ وجدَّد نقوش معاهده

(راجع المشرق ٤ : ٢٨٤) ونقل اليهِ عدداً لا يحصى من النفائس مثل الطنافس البديعة الغالية الثمن المعروفة بالغوبلين عرضها ونظَّمها على حسب تاريخها بعد ان كانت مودعة في زوايا النسيان. ومنها آثار الصنائع والفنون قدَّمها العالم الكاثوليكي للاب الاقدس في فرصة يوبيلهِ الكهنوتي. ومنها عاديَّات اكتشفها علماء الڤاتيكان او الكاثوليك

وممَّا يُشكر لقداستهِ كَلَفُهُ بالآثار الدينيَّة الغابرة فرمَّم بعض الكنائس القديمة في رومية وجدَّد ما بار من هندستها العجيبة وهو الذي اصلح حنيَّة كنيسة لاتران الملكية واهتمَّ بتحسينات أُخرى في المعبد السكستي الشهير وكنيسة مار بطرس العظمى

ومن مشروعاتهِ انهُ سعى السعي المشكور في تنظيم المكتبة الڤاتيكانية وتوسيع قاعاتها وفتحها لجمهور العلماء وزاد عدد خدمتها. وهذه المكتبة حافلة بالمخطوطات القديمة في كل فنّ وليس لها مجارٍ في عدد وقدر تآليفها الدينية. امَّا مطبوعاتها فقد بلَّغ قداستهُ عددها الى ٤٠٠٠٠ مجلد

وكذلك فتح الاب الاقدس لائمَّة العلماء دون تمييز في مللهم ونحلهم مكتبةً أُخرى في الڤاتيكان تتضمَّن كل اعمال الكرسي الرسولي السرّيَّة منذ الزمن القديم الى يومنا منها كتابات رسميَّة و براءات ومناشير واعمال مجامع واوراق دعاوي الى غير ذلك ممَّا كان يحتفظهُ الباباوات الى يومنا فاحبَّ لاون الثالث عشَر ان يطَّلع عليهِ العالم كلُّهُ فيرى ما للاحبار الرومانيين من المآثر الجليلة في كلّ عصر فكان لهذا العمل احسن وقع لدى العلماء. وارسلت مذ ذاك الحين كل دولة بعثاتٍ علمية لتنال من هذه الكنوز المطمورة فتنشرها بالطبع.

١٩٠٢ أنتَ الصَّفاةُ وعلى هذهِ الصفاةِ سأبني كنيستي وأبوابُ الجحيم لن تقوى عليها ١٨٧٨

وللابوين دِ نيفله الدومينيكي واهرله اليسوعي في تقريب هذا المشروع اياد شكرها لهما كلّ رجال العلم. وقد وكل اليهما الاب الاقدس نظارة هذه المخطوطات القديمة ليصوناها من التلف ويُصلحا ما دثر منها

ومن الخدم الجليلة التي ادَّاها قداستهُ للاداب اهتمامهُ بمطبعة انتشار الايمان التي اكتسبت لها في الاعصار السالفة اسماً طيباً. فاراد ان تجاري مطابع العواصم الكبرى فلا تحتاج الى شيء من ادوات الطباعة وما يلحق بها. وقد نُشر في هذا ربع القرن تآليف عديدة في لغات شتى تنطق بفضل الاب الاقدس نخصّ منها بالذكر دياطاسرون ططيانس بالعربيَّة (المشرق ٤: ١٠٠) ورسم نسخة الكتاب الكريم المعروفة بالڤاتيكانيَّة (Codex Vaticanus) الراقية الى عهد قسطنطين الملك وكذلك رُسم الانجيل اليوناني بالفوتوغرافيَّة والطبع الحجري في السنة الماضية وغير ذلك مما لا يسمح المكان بتعداده

وقد عرف قداسة الحبر الاعظم ما ينجم عن فنّ الطباعة من المنافع الجمَّة ولذلك قد حرَّض مرارًا الكاثوليك على استخدام هذه الوسيلة للمدافعة عن الحقّ وكشف الضلال. وقد ذكر هذا الامر في رسالته الصادرة في ١٩ آذار سنة ١٨٩٦ التي يحضُّ فيها الشَّرقيين على إنجاح الصوالح الكاثوليكيَّة في الشَّرق. ولهذا السبب تقدَّم الاب الاقدس الى كثيرين من العلماء بان ينشئوا مجلَّات علميَّة كاثوليكيَّة تراها اليوم زاهرة تبثُّ مع المعارف البشريَّة المبادئ الصحيحة في العالم كلهِ منها مجلة الشَّرق المسيحي في باريس ومجلة بساريون (Bessarione) في فلورنسة ومجلة العالم الكاثوليكي (Cosmos catholicus) في رومية هذا فضلًا عن الجرائد والنشرات العديدة في كل اللغات الشائعة

١٩٠٢ — أنتَ الصَّفاة وعلى هذهِ الصَّفاةِ سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها — ١٨٧٨

هوذا قد غلب الأسد من سبط يهوذا (رؤيا ٥ : ٥)

ولم يكتفِ شيخ الفاتيكان بتعزيز جانب العلوم والآداب في حاضرة الكثلكة بل شملت همتهُ اربع خوافق المسكونة فهو الذي انشأ مدرسة اناني (Anagni) للدروس الاكليريكية العليا ومدرسة سيلان للاقطار الهنديَّة وكلتاهما تحت تدبير الآباء اليسوعيين وانشأ كلّيَّة واشنطون في الولاية المتحدة وكلّيَّة فريبورغ في سويسرة واحدث فرعاً للدروس اللاهوتيَّة في لوفان في بلجكة. ومن فضل قداستهِ قد نالت كلّيَّتنا في بيروت فانَّهُ هو ايَّدهُ الله الذي مكَّنها من مَنح الامتيازات الخاصَّة بالكليَّات العظمى في اللاهوت والفلسفة وفروعهما

وقد اضاف قداستهُ الى كل هذه الاعمال الخطيرة رسالات عجيبة يربي عددها على العشرين رسالة انفذها الى كلّ انحاء المعمور ودفع فيها الكاثوليك على الإقدام في جادَّة العلوم اجمالًا وافرادًا. وقد اضحت هذه الرسائل اشهر من نار على علم لما ضمَّنها الاب الاقدس من البراهين السديدة والاقوال البليغة نخصُّ منها بالذكر رسالتهُ العجيبة في الفلسفة (في ٤ آب سنة ١٨٧٩) أزال فيها الخلاف في تدريس الفلسفة بين الكاثوليك ورسالتهُ عن درس الاسفار المقدسة (سنة ١٨٩٣) ورسالتهُ في الدروس التاريخيَّة (سنة ١٨٨٤)

أفليس يحقّ للكاثوليك بل لكلّ محبي الآداب والعلوم في ختام هذه النبذة الموجزة ان يطلقوا لسانهم بالشكر على لاون الثالث عشر ويقرُّوا جهارًا انَّ الله قد اقامهُ حقيقةً في فلك كنيستهِ فجعلهُ كسيّدهِ المسيح الذي هو ينوب عنهُ « نورًا ينجلي للامم ومجدًا لشعبهِ اسرائيل » (لوقا ٢ : ٣٢)

١٩٠٢ أنت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ١٨٧٨

المشرق

سكّة بغداد الحديديّة

بحث تاريخيّ جغرافيّ للاب هنري لامنس اليسوعي

لا يجهل ذوو الالمام بتاريخ الشرق ان الاقطار الاسيويّة التي تملك عليها دولتنا العليّة ولاسيما بلاد الشام وما بين النهرين كانت في الاعصار السالفة الطريق اللاحبة التي تسير فيها القوافل فتجمع بين العالم المتمدن واصقاع الهند حتى اقاصي الشرق. فكان موقع هذه الاقطار كوُصلة بين دولٍ عظمى وما تمتاز بهِ لذلك من الخواص الاقتصادية من أمضى الاسباب الى ترقّيها ورفعة شأنها

فهل يا تُرى من وسيلة الى إحياء هذا العمران القديم. وان شئت فقُلْ بنوعٍ اصرح هل يمكن إعادة هذه الطريق التجاريّة او على الاقل صَرْف جانب منها عن طريقها الافريقيّة على رأس الرجاء الصالح ثمَّ على قناة سويس الحاليّة فتحيا التجارة في هذه البلاد وتجني بها أوطاننا منافع تعود بالاصلاح على كلّ اهلها. تلك مسئلة خطرت على بال الحضرة الشاهانيّة فرأت ايّدها الله انَّ في انجاز مثل هذا العمل جدوى عظيمة لكلّ رعاياها الراتعين في ظل الاريكة العثمانيّة ومن ثمَّ صدرت الارادة السنيّة في ١٧ كانون الثاني من السنة الجارية بمنح الفرمان الشاهاني المؤذن ببناء سكّة حديديّة تمتدُّ من دار السلطنة الى دار السلام فخليج العجم. وما طرقت مسامعنا هذه البشرى حتى امسكنا القلم لنفرد لهذا الامر الهامّ مقالةً في المشرق نبحث اولًا فيها بحثًا تاريخيًا عن مقدَّمات هذا المشروع الخطير ثمَّ ثانيًا عن وجهة هذه السكّة مع رسم مسيرها. ونلحق هذين البحثين ببحث ثالث نبيّن فيهِ منافع هذا العمل العظيم

١ مقدَّمات المشروع

كانت دولتنا العليَّة منذ سنة ١٨٧١ رخَّصت بمدّ سكك حديديَّة بين حيدر باشا واسميد وهو خطّ قصير من حيث عدد الاميال لكنهُ كبير من حيث الآمال المنوطة بهِ وذلك لانهُ كان يُعدّ كمستهلّ بدر السكَّة الحديديَّة الى بغداد التي تأمل اليوم رؤية طالعها القريب. غير ان الاحوال التي طرأت وقتئـذٍ على دول الشرق والغرب قصَّرت جناح الآمال فحالت دون تتمَّة العمل ولم تخرج هذه النيَّات الى حيّز الوجود

فلمَّا ترَبَّع سلطاننا الاعظم عبد الحميد خان اعزَّهُ الله في دست الخلافة اشرقت على الدولة العثمانيَّة أنوار طلعتهِ الميمونة فدخلت بلادنا في طور جديد من النجاح والتقدُّم. ونالت احدى الشركات العثمانيَّة حقوق استثمار هذا الخط لكنَّ الشركة لم تُقدم على العمل لانها لم تتوفَّق الى جمع المال اللازم لمثل هذا المشروع الخطير. ولعلَّ مباشرة هذا الامر كانت اذ ذاك مبتسرةً فلم تساعد الظروف اجراءهُ ريثما تتمّ شروطهُ وتُستوفى مُعدَّاتهُ. وذلك شأنُ الاعمال العظمى التي لا تنضج في زمن قليل وانما تبدو ضئيلةً فلا تزال تنشأ وتنمو حتى تفوز بملء قوَّتها

وبقي الامر على هذه الحال الى السنة ١٨٨٨ فتشكَّلت اذ ذاك شركة عثمانية لمدّ السكك الحديديَّة في الاناضول. ونالت من ألطاف متبوعنا العظيم رخصة مدّ خطّ حديدي بين اسميد وانقرة طولهُ ٤٨٦ كيلومترًا وكانت دولتنا العليَّة اضافت اليهِ ١٥,٥١٠ فرنكات ضمانةً لكلّ كيلومتر. فنجز هذا المشروع في اربع سنوات وتخطَّت بذلك مسئلة سكَّة بغداد خطوة مهمَّة

وفي سنة ١٨٩٣ تقدَّم الامر شيئًا ما فانَّ شركة الاناضول نالت نعمًا جديدة من تعطُّفات الذات الشاهانيَّة فرُخّص لها (اولًا) ان تُلحق بالخط السابق فرعًا بدؤهُ من « اسكيشهر » وينتهي الى جُنوبي قونية مع ضمانة ١٥,٠٠٠ فرنك لكل كيلومتر تُدفع للشركة على اعشار المتصرفيَّات التي تجتاز فيها السكَّة. ثمَّ (ثانيًا) ان تواصل خط انقرة بالقيصريَّة مع حقّ مدّهِ الى سيواس فدياربكر فبغداد. الَّا ان هذا المشروع الاخير أُهمل بعد قليل لانَّ مسير خطّ انقرة على القيصريَّة وسيواس ودياربكر لا يتصل ببغداد توًّا وانَّما ينعطف عنها بنحو ٤٠٠ كيلومتر وناهيك عمَّا تقتضيهِ هذه العطفة من الزيادة في

النفقات. ومن ثمَّ آثرت الشركة تغيير هذا المسير وابداله بخط آخر يمتدُّ جنوبيًّا من قونية الى آطنة ومنها الى بلاد الشام وما بين النهرين

وبعد ان استقرَّ الرأي على هذا الامر اخذت الشركة تسعى بامرٍ آخر ليس باقلَّ شأنًا وهو ان تجمع المال اللازم لمباشرة عمل كهذا. فتفاوض اصحابها والمتموّلون الاوربيون فلاقى مشروعهم قبولًا لدى اهل البنك الالماني والبنك العثماني. فأُبرم بين اصحاب الشركة واهل المصرفَين السابق ذكرهما عهدٌ في سنة ١٨٩٩ كان مآلهُ الى اتفاقهما على العمل. وبلغ تخمين النفقات التي يستوجبها خط قونية وبغداد ٥٢٥,٠٠٠,٠٠٠ من الفرنكات على انَّنا نرتاي انَّ هذا المبلغ المبنيَّ على الحدس والظنّ لا يفي بالمرام

وما تمَّت هذه المعاهدة حتى تشكَّلت لجنة من المهندسين أُرسلت في أواخر سنة ١٨٩٩ لتفحص نهائيًا سير الخط المنويّ وشروطهُ الاقتصاديَّة. وهذا ما يترتب علينا النظر فيهِ في الفصل التالي

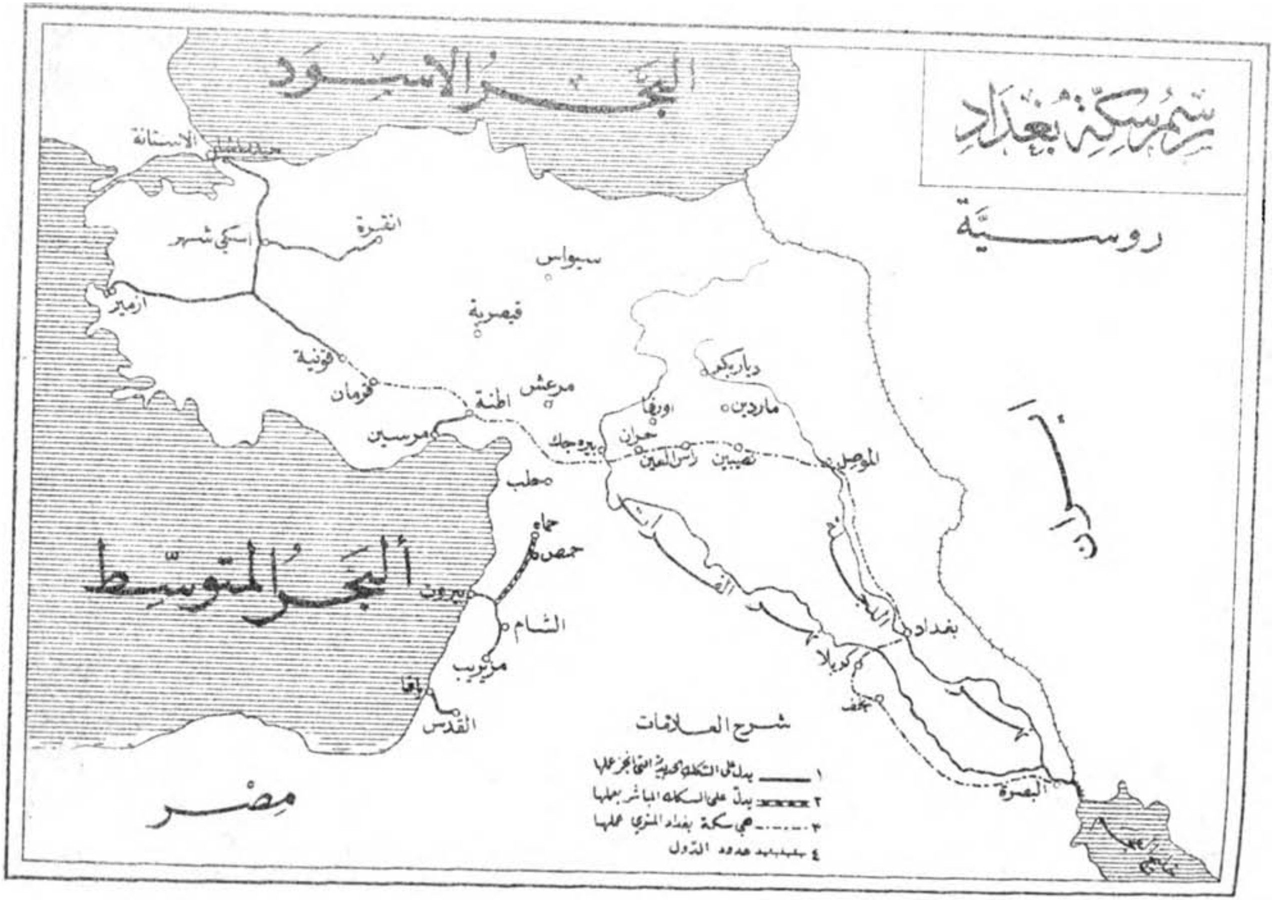
٢ مسير خط بغداد

قد اتخذت شركة خطّ الاناضول مدينة قونية كأَحد طرفي سكَّتها منذ سنة ١٨٩٥. وهي مدينة كبرى رفيعة القدر تكتنفها الحدائق الغنَّاء فهي كروض في وسط جبال آسيَّة الصغرى. وكانت السكَّة الحديديَّة البالغة اليها من اسكيشهر قد اوسعت نطاق تجارتها فتضاعفت ارباحها في مدَّة خمس سنوات. واذا ما تمَّ قرار رسم خط بغداد ستستغني عن كل ضمانة كيلومتريَّة

والسكَّة البغداديَّة بعد خروجها من قونية تسير بميلة الى الجنوب الشرقي وتخترق سهول قرمانية الجدبة فتمرّ على قرمان وارغلي حيث وُجد منجم من الفحم الحجري سوف تتولَّى الشركة تعدينهُ فتنال ما تحتاج اليهِ من الفحم لادارة اشغالها وتنقل ما تستفضلهُ للمبيع

وهذه الطريق من قونية الى ارغلي هي الطريق التجاريَّة والعسكريَّة التي عرفها القدماء. وهي تلتوي على شبه نصف الدائرة فتجاري جبل طورس عند سفحهِ الشمالي. وقرمان هي عاصمة بلاد قرمانية علوّها فوق سطح البحر نحو ١٩٠٠ متر امَّا ارغلي فارتفاعها ١٠٠٠ متر

واذا ما بلغت السكَّة هذا الحدّ ستلقى في سيرها قمم جبال طورس المدعو في هذا


رسم سكة بغداد
روسية
البحر الاسود
البحر المتوسط
ايران
مصر
الاستانة
حيدرباشا
اسكي شهر
انقرة
ازمير
قونية
قرمان
سيواس
قيصرية
مرعش
اطنة
مرسين
حلب
حماه
حمص
بيروت
الشام
مزيريب
يافا
القدس
بيروجك
اورفا
حران
راس العين
نصيبين
ماردين
ديار بكر
الموصل
بغداد
كربلا
نجف
البصرة
شرح العلامات
١ يدل على السكك الحديدية التي انجز عملها
٢ يدل على السكك المباشر بعملها
٣ هي سكة بغداد المنوي عملها
٤ حدود الدول

المكان بلغــار داغ وهو طود شاهق تبلغ قنّتهُ العليا ٣٥٠٠ متر فيهِ معادن غنيَّة من الرصاص المختلط بالفضَّة. والسكة تمرُّ في مضيق «كالك بوغاص» من ثغور الشام ولهذا المعبر شهرة كبرى منذ الزمن القديم علوهُ ٩٦٦ مترًا وهو نقطة ممتــازة للدفاع والاقتصاد التجاري. والى هذا المأزق تُفضي الطريق الواصلة بلاد الاناطول بسواحل الشام ووادي الفرات

وستكون هذه الطريق مسيرًا لجيوش الدولة من الاستانة العليَّة الى سوريَّة عند الحاجة . وقد كانت في القرون الغابرة ممرًّا للبابليين والفرس واليونان والرومان والعرب وغيرهم. وفي جانبي هذا البوغاص عدَّة قلاع وبقايا حصون حريزة. ومن الآثار القديمة في هذا المضيق سكَّة منقورة في الصخر تُنسب الى الاشوريين او الفرس. وهناك ايضًا سكَّة أُخرى رومانيَّة. وكان لهذا المعــبر في سالف القرون ابواب ضخمة تُقفل في زمن الحرب . وفي الصخور التي تنتصب على جانبيــهِ درجٌ كانت تدور عليهِ الابواب. وهــذه الصخور ربَّما تقاربت الى بعضها حتى يحسبها الناظر كجدارين منقورَين نقرًا عموديًا

ولا بُدَّ من مبالغ طائلة وكُلَف باهظة لمدّ اسلاك الخط الحديدي في هذه الجبال العالية وفي وسط «كللك بوغاص» وسوف يُظهر ارباب الهندســة ما لديهم من الحذق في تمهيد هذه الطريق

والسكة الحديديَّة تنحدر بعد ذلك الى سهول قيليقية الخصبة حيث تتَّصل بسكَّة أُخرى قصيرة المسافة يستثمرها اصحابها فينالون ارباحها وهي سكَّة آطنة الى مرسين ولا نشك في انَّ هذا الخط الصغير تزيد منافعهُ التجاريَّة ويأتي بالرَّيع على كل تلك النواحي عند مرور السكة البغدادية بجوارهِ. ومن صادرات تلك الجهات القطن الجيّد والحبوب والخشب المتخذ من غابات جبل طورس الشهيرة. وكل هــذه المرافق ستنمو نموًّا بليغًا وسيسهل نقلها عند امتداد السكك الحديديَّة الى البلاد المفتقرة اليها

واذا تجاوز الخط مدينة آطنة يسير الى الشمال الشرقي نحو عثمانيَّة وهي قصبــة قائمقاميَّة تُعرف باسمها وموقعها في متصرفيَّة جبل بركات ومنها يتخلَّل السلك الحديدي في سلسلة جبال لاحقة بألما داغ وهي في علوّها ومصاعبها دون جبال طورس لكنها ايضًا كثيرة الوعورة وينبغي لابتناء السكَّة فيها مشقَّات عظيمــة. ومن المرَّجح ان الخط

الحديدي يتوقَّل من ثم الى شِعب جبل عال يبلغ ارتفـاعهُ ٩٥٠ مترًا وهو « ارسلان بوغاص » على مقربة من بهجه وينساب من هناك لاحقًا ببلدة « قازان علي » في ولاية حلب

وكان ارباب هذه السكة عزموا في اوّل الامر ان يميلوا بها عند خروجها من ولاية آطنة الى مرعش وعينتاب لكنهم عدلوا بعدئذٍ عن هذا القصـد ولعلّ هاتين المدينتين توصَلان بسكة بغداد بخطَّين فرعيَّين

ومن « قازان علي » ستجري السكة في بلاد ذات حزون وبطون وتنفذ في كُرد داغ وتجتاز بلاد قورش موطن القديس مارون الناسك وتنتهي الى كلّس قصبة القائمقاميَّة المدعوَّة باسمها · ومن كلّس تنحرف الى الشرق فتمرّ عند قرية « تلّ حبش » على ١٥ كيلومترًا منها وسيجهَّز بين تلّ حبش وحلب فرعٌ يوصلهما والمسافة بينهما ٦٠ كيلومترًا. ومن تل حبش ستدرك السكة نهر الفرات بعيلةٍ الى الشمال الشرقي وتعبرهُ جنوبي البيرة (بيره جيك) على بعد ٢٠ كيلومترًا منها في سهول غنيَّة بالآثار القديمة فانّ ثمَّت كانت مدنٌ زاهرة كأوربوس وقرقميش عاصمة دولة الحثيين.ولو شاء اصحاب السكة لأمكنهم ان يصلحوا مسيل الفرات ويعدُّوهُ لسير السفن نزولًا وصعودًا فتنقل من البلاد الواقعة على ضفَّتيهِ موارد تجارتها لتنقلها السكَّة حيث تريد

على ان عبور الفرات يقتضي ابتناء جسر عظيم · أجل ان هذا النهر عادةً قريب الغور يمكن الرجَّالة اجتيازهُ في بعض الامكنة لكنَّهُ واسع المسيل وربَّما اتَّسع في فصل الشتاء نحو كيلومترين عرضًا · ولو اراد مهندسو السكة لاستطاعوا ان يسيروا والنهر على ضفَّتهِ الشاميَّة دون عبورهِ اللهمَّ الّا بازاء بغداد فكانوا بذلك اقتصدوا مسافةً كبرى الّا ان في هذه الطريق المستقيمة خللًا بمصالح اصحابها والاهلين معًا لانَّ ضفَّتي الفرات بريَّة قفراء ليس فيها من المدن العامرة شيء بخلاف ضفَّتي دجلة كما سترى · وذلك ما حمل مهندسي السكة ان يبنوا جسرًا على الفرات لكي تجتازهُ القواطر فتسير الى مدينة حرَّان · وسيُجعل لمدينة اورفا خطّ فرعي طولهُ ٤٠ كيلومترًا فيجمع بينهـا وبين حرَّان · واورفا تصحيف الرها وهي من حواضر بلاد ما بين النهرين موقعها شمالي حرّان واهلها يبلغون نحو ٥٥٠٠٠ نسمة

وستجري السكة الحديديَّة من حرَّان الى رأس العين في متصرفيَّة دير الزور ومنها

شرقاً على خطٍ مستقيم الى نصيبين في ولاية ديار بكر. وكل هذه البلاد كانت في الازمنة السالفة زاهيةً بالعمران كثيرة المدن. فانَّ نصيبين وحدها بلغت في عهد الرومان زهاء ١٠٠,٠٠٠ نفس. امَّا دياربكر وماردين الواقعتان في شمالي نصيبين فلا ريب انَّ اصحاب سكة بغداد يبتنون لهما خطاً فرعياً يُقتضى لهُ توقّل جبال صعبة المرتقى يدور الآن الخط الاصلي حولها في سفحها الجنوبي

ومن نصيبين ستميل السكة الى الجنوب الشرقي وتجري في بريَّة فسيحة حتى تبلغ الموصل وتقطع بقربها نهر دجلة واتساعهُ هناك ١٧٠ متراً. ولهذا النهر مجرى سريع يستدعي ابتناء جسر متين فضلًا عن رصيف مستطيل تسير عليهِ السكة في السهل المجاور للنهر لانَّ مياه دجلة ربَّما تطغو فوق تلك البطائح فتغمرها . وممرّ السكة الحديديَّة على ضفَّة النهر الشرقيَّة وهي تجتاز تكريت واذا بلغت سنديَّة سيوصل بينها وبين خانكين على تخوم العجم وتبلغ اخيراً بغداد مدينة الخلفاء. وهناك اليوم مرفأ للسفن البخاريَّة تنقل السلع الى خليج العجم. امَّا فرع خانكين فالغاية منهُ ترويج التجارة مع بلاد العجم ونقل زوَّارها الى كربلاء ونجف

وليست بغداد منتهى السكة الحديديَّة وانما ستواصل مسيرها بعد قطع دجلة والفرات ثانيةً الى الجنوب الغربي نحو كربلاء ونجف وكلتا البلدتين يزورهما في كل سنة نيِّف وخمسون الفاً من العجم. والغاية من عطفة السكة الحديديَّة الى كربلاء ونجف ليست فقط خدمة هاتين المدينتين وانَّما انف اصحاب الخط ان يزاحموا تجارة السفن البخاريَّة الجارية من بغداد الى البصرة

واذا خرجت السكة من نجف سارت نحو زُبير ومنها الى البصرة. وسيُقام لزبير فرعٌ يجري منها الى الخليج العجميّ في نقطة لم يُتفق عليها حتى الان. امَّا البصرة فهي معدودة كالنقطة النهائيَّة لسكة بغداد ولا يخفى ما لهذه المدينة من الخطر وعظم الشان اذ هي قطب التجارة في شطّ العرب

فهذا نظرٌ اجمالي يبيّن للقرّاء الطريق التي سيجري عليها الخط البغدادي. وطولهُ بين طرَفيهِ قونية والبصرة مع ما يلحق بالخطّ الاصليّ من الفروع سيبلغ ٢٥٠٠ كيلومتر. وهو كما ترى عملٌ جليل لا يخلو من المعضلات العديدة فلا بُدَّ لهُ من مهندسين بارعين يحسنون الصناعة الهندسيَّة ليقوموا بهِ قياماً مرضياً. وممَّا يزيد المشروع صعوبةً وكلفةً ان

الشغل واقع في بلاد قاصية ليس فيها عَمَلة حذّاق. وعلى ظنّنا ان نفقات هذه السكة لا تقلّ عن الف مليون من الفرنكات لكنّ هذا المبلغ العظيم لا يضيع كما سنثبت ذلك في مقالة أخرى نبيّن فيها المنافع الكبرى الناجمة عن هذا الامر الخطير

عيسى

نقد لغوي لجناب الفاضل بعيث الخضري البغدادي

سُئل الضياء عن اصل لفظة عيسى فاجاب:

« عيسى . . . محرَّف عن ايسوس باليونانية كما ذكرنا تحقيقهُ (!!!) في مجلد السنة الثانية من هذه المجلّة (ص ٥٢٤) ودعوى من زعم انهُ مقلوب يسوع ومقلوبهُ يكون عوسي لا عيسى من ادلَّة الجهل باحكام اللغة لان القلب لا يقع (؟) في الالفاظ المنقولة عن الاعجمية (كذا بحرفهِ) واغرب منهُ القول بانهُ محرَّف عن عيسو لان هذا الاسم بالعبرية يشوع مثل اسم يشوع بن نون بلا فرق وكلاهما مخفَّف من يهوشوع ولم يُسمع ان احدًا سماهُ عيسو. اه بحرفهِ عن الضياء ٤: ٢١١ »

فهل الضياء يا تُرى مصيب في قولهِ او مُصاب؟

واوّل كل شيء لم يقُل احد ان عيسى تحريف ايسوس الّا صاحب الضياء الذي اخذ على نفسهِ ان يُنير عقول الناس بنور غير معهود منهم بل ومنهُ. على انَّ القول بان الشيء الفلاني لم يَقُل بهِ احد لا ينقض الرأي الجديد اذا كان صحيحًا في حدّ نفسهِ ولهذا لا نعتبر هذه الحجَّة متينة الاركان .

لكن لم يُسمع قطّ ان الالفاظ الساميَّة الاصل أُخذت من اصل غير الاصل السامي وان كان جاء شيء من هذا القبيل يُخالف هذه القاعدة في هذه الأيام الاخيرة فهو متأتٍ من بعض ضعفاء النَّقَلة مما لا يُعدّ شيئًا ولذا لم ترَهم يقولون مثلًا: « ياكوب وإساك واليسا واليسابيت وماسيًا » بل قالوا: « يعقوب واسحاق واليشع واليشباع والمسيح » ونحو ذلك من الاسماء العلميَّة التي تُعدّ بالآلاف في العهدين القديم والجديد. ومن ثمّ فان رأى حضرة الشيخ « علمًا واحدًا سامي الاصل » نُقل عن اصل غير سامي فليذكرهُ لنا ونحن نرضى بعد ذلك ببرهانهِ هذا وحسبناهُ من الادلَّة الدامغة وان كان يحقُّ لنا ان نطالبهُ بطائفة من الالفاظ مُتَّبعة هذه السُّنَّة

ثمَّ ان اسم يسوع باليونانيَّة هو Ἰησοῦς اي ياسوس وعلى لفظ اليونان المحدثين يِيسوس. فلِمَ يا تُرى نقل القدماء اسم عيسى عن ياسوس او يِيسوس اليونانيَّة ولم ينقلوها عن أيشوع او أيسوع الارميَّة. ولِمَ نقلوا عيسى عن اليونانيَّة ونقلوا المسيح عن العبرية او الارميَّة مع ان اللفظتين تكادان لا تفترقان في اغلب الاحيان اللهمَّ الَّا ان يكون المسيح ايضاً معرَّب عن اليونانيَّة فحينئذٍ تكون الارميَّة عنده يونانيَّةً عند سائر الناس والعكس بالعكس

واماً الذهاب « بان عيسى مقلوب يسوع » فليس ببعيد وعلى كلّ فانهُ اصحّ من القول بانهُ تحريف « ياسوس » (او يِيسوس) اذ هذا بعيد وذاك اقرب اليك من حبل الوريد. واماً من انهُ ظنَّ انَّ القلب في مثل هذا القول هو عكس حروف الكلمة وان « مقلوب يسوع هو عوسي » فهو نهاية ما نُقل عن تحذلق اللغويين الائمة وتبجُّرهم وتقعُّرهم وآخر ما يصل اليهِ اهل التحقيق اذا ران هواهم على قلوبهم. فانَّ العرب اذا قالت مثلًا ان عيسى مقلوب يسوع فهي لا تُريد شيئاً آخر سوى انهُ وقع تقديم وتأخير في حروف الكلمة. قال السيوطي في المزهر (١ : ٢٢٩) : « قال ابن فارس في فقه اللغة : من سُنن العرب القلب وذلك يكون في الكلمة ويكون في القصَّة. فاماً الكلمة فقولهم : جبذَ وجذَبَ وبَكَلَ ولَبَكَ وهو كثير » اه. واماً ما سمَّاهُ القلب فالعرب تسميهِ العكس كما انهُ يجوز ان يسمَّى القلب ايضاً. وخلاف العكس الطرد. وعليهِ فلينظر الشيخ الآن الى ايّ الدعوى هي « من ادلَّة الجهل باحكام اللغة »

اماً قولهُ « ان القلب لا يقع في الالفاظ المنقولة عن الاعجميَّة » فهذا يدلُّك على ما عندهُ من بضاعة هذا العلم. والحقيقة انَّ القلب يقع عند العرب في الفصيح من كلامهم وفي الالفاظ المنقولة عن الاعجميَّة من علَميَّة وجنسيَّة. اماً وقوعهُ في الفصيح من كلامهم فانَّ السيوطي قد بيَّن ذلك بكلام وافٍ استغرق ثلاث صفحات من الشواهد. واماً وقوعهُ في الالفاظ العلميَّة المعرَّبة فتكاد لا تحصى فخذ مثلًا ايَّ كتاب شئت من كتب التاريخ والبلدان توشك ان لا ترى فيها علَماً الَّا وفيهِ القلب. وان كنت لا تحبّ ان تبحث عن هذه الحقيقة في مطالعة الكتب فهذه لفظة « يسوع » نفسها فانَّ منهم من يذكرها « عيسى » ومنهم من ذكر ان عبرانيَّتها « ايشوع » (القاموس والتاج واللسان والاوقيانوس الخ). وقال المسعودي : « انَّ اشيوع الناصري اقام على دين من سلف »

فقدَّم الشين على الياء . وكذلك قُل عن لفظة يشوع بن نون فانَّ العرب لا تعرفهُ بغير اسم « يوشع » وهكذا القول في « بطليموس ونيطش وقحطان » الخ الخ والاصل فيها « بطلميوس وبنطش ويقطان » الخ الخ . واماً في اسماء الجنس فالقلب فيها كثير ايضاً . راجع مقالة الكلم اليونانيَّة في اللغة العربيَّة (المشرق٢ : ٣٤٥ و ٤٨٩ و ٨٤٠ و ٩٢٣ و ١٠٤٦ وفي غير هذه الصفحات) ومن ذلك ايضاً « قلفطريات وقنَّس » والاصل فيهما « فِلَقْطَريات وفَنِقْس »

واماً القول بانهُ معرَّب عن عيسو فقد اثبت حضرة الاب اللغوي هنري لامنس اليسوعي وجه هذه التسمية في (المشرق١ : ٣٣٤) فليُراجع . وبالاخصّ لأنَّنا « نجد العرب اذا وقع اليهم ما لم يكن من كلامهم تكلَّموا فيهِ بالفاظ مختلفة » (قالهُ بحرفهِ ابو عليّ القالي في اماليهِ ونقلهُ التاج في اسرائيل) . فمن ذلك انهم اوصلوا لغات « جبرائيل » الى اربع عشرة لغة (التاج) . فتأمل

وزد على ذلك ان العرب يُصحّفون الكلمة الواحدة بعض الاحيان حتى انهُ لا يكاد يُعرف اصلها . من ذلك « قابيل وطالوت ويَسعُ وإيشاع ويحيي » والاصل فيها « قايين وشاول واليشاع واليشباع ويوحنَّا » . ونودُّ ان نعرف يونانيَّات هذه الالفاظ وكيفيَّة تحريفها بهذه الصورة فلقد رأينا الشيخ متضلّعاً كل التضلُّع من معرفة اصول المعرَّبات حتى لا يُشقّ لهُ غبار ومن ثمَّ فلا يعسر عليهِ اعادة هذه الكلم الى نصابها اليوناني . غير انهُ يبقى عليهِ هتك سرّ واحد في غاية الغموض وهو : « لماذا يبحث الشيخ عن اصول هذه الالفاظ في اليونانيَّة ولا ينقر عنها في اللغتين العبريَّة والارميَّة »

واماً رأي هذا العاجز في اصل لفظة « عيسى » فكونهُ من الارميَّة « ايشوع » واصل الارمي عبريّ اي « يشوع » المعدول عن « يهوشوع » وان عيسى معدول عن « أيشوع » راجع التاج في عيسى . والمشرق (١ : ٨٣٥) والكشَّاف (١ : ١٤٧) اذ يقول : « عيسى معرَّب من ايشوع ومشتقُّهُ من العيس كالراقم في الماء » . وتفسير البيضاوي (١ : ٢٠٧) اذ يقول : « وعيسى معرَّب أيشوع واشتقاقهُ من العيس . . . تكلُّف لا طائل تحتهُ » . وبهذا كفاية للمتبصِر والله يهدي من يشاء

اكتشافات أثريّة في مدافن سقّارة

للاب الكسيس مالون اليسوعي

لسقّارة في تاريخ العاديّات المصريّة شهرةٌ مستفيضة لكثرة ما وُجد فيها من الآثار القديمة. وقد شاع اسمها منذ زمن مديد بسبب هرمها المبني على شكل الدرج في جوانبهِ الاربعة. وهذا الهرم يعدُّهُ ماريت العلامة الفرنسوي كاقدم الاهرام ويرقّي عهدهُ الى زمن دولة المصريين الاولى الى رابع ملكها واانافيس. وفي سنة ١٨٥٠ اكتشف ماريت بك المذكور في سقّارة هيكل السيرابيوم وهو قبر البقرة أبيس معبود المصريين فزاد شأن هذا المكان واضحى كنقطة مهمّة تعرّف أحوال قدماء اهل مصر وتمدُّنهم. واكتُشفت بعد ذلك عاديّات أُخر منها قبر بعض الذوات من قدماء المصريين يُدعى «تي» وقبر آخر لرجل اسمهُ «ميرا» او «ميرواكا». بيد انَّ كل هذه الاكتشافات قد مرّ عليها برهة من الدهر لا نتعرَّض لوصفها ونكتفي اليوم بذكر آثار ابرزها حديثًا من خفاياها العلماء الفرنسويُّون المتولُّون نظارة العاديّات المصريّة وقد وفّقنا الله فمتّعنا بزيارتها بعد اكتشافها بزمن قليل فاحببنا ان نشرك قرّاء المشرق بما استفدنا من رؤية هذه النفائس المكنونة تحت ركام من الرمل منذ قرون عديدة. وسنذكر من هذه الآثار اولًا هرم أُوناس وثانيًا قبر فتاح هتپ ونضيف الى ذلك ذكر قبور ثلاثة وُجدت في السنة المنصرمة مع بعض الملاحظات على المدافن المصريّة القديمة

١ هرم اوناس

موقع هذا الهرم جنوبي الهرم المدرَّج السابق ذكرهُ على بُعد نحو مئة متر منهُ وكان هذا الهرم مطمورًا بالرمل فنُزع عنهُ سنة ١٨٨١ وظهر اساس الهرم امَّا القسم الاعلى منهُ فلا يزال تحت الرمل حتى اليوم. وكان هذا الهرم مصفَّحًا على جوانبهِ بصفائح الحجارة غير انَّ البُناة الذين جاؤُوا في الازمنة التالية اقتلعوا هذه الحجارة لابنية اخرى. وفي باطن هذا الهرم مدفن الملك اوناس يُدخل اليهِ بباب حرج هو اليوم على سواء الحضيض فاذا عبرهُ الداخل وجد ممرًّا يهبط بهِ الى معبر ضيق مبني بالحجارة لا يتجاوز علوُّهُ وعرضهُ مترًا واحدًا وعلى جانبي المعبر كتابات هيروغليفيَّة. واذا انتهى الزائر بعد العناء الى آخر

المعبر لقي مدخلًا عاليًا يمكنهُ ان يستوي فيهِ منتصبًا الّا انَّ هذا المدخل قليل العرض وكان سابقًا مسدودًا بحجر ضخم لئلا يتجاوزهُ احد فينتهك حرمة القبر الملكي. وما وراء هذا المدخل معبر ثانٍ ثم ثالث ينتهي كلٌّ منهما بحجر يسدُّهُ سدًّا محكمًا خوفًا من فتح القبر. ثمَّ يصل الزائر الى حجرة كبرى علوُّها ثلاثة امتار وهو يظنُّ انهُ يلقى فيها الناووسَ الملكي. لكنَّهُ يحبط ظنًّا فإنْ هذه الحجرة الّا مكان للتقادم والذبائح. وعلى جانبيها بابان وطيئان فباب اليمين يفضي الى سرداب خلو من كل اثر في اقصاه غرفة على جدرانها كتابات والغرفة فارغة. امَّا باب الشمال فيؤدي الى مقام الميت. ففي طرف هذه الغرفة ناووس من حجر الصوَّان وبقربهِ غطاؤهُ امَّا الموميا فقد نُقلت الى متحف العاديَّات كبقيَّة الاجسام المحنَّطة التي اكتُشفت سابقًا. وعلى سقف الغرفة قد نُقرت في الحجر نجومٌ رمزيَّة مخمَّسة الزوايا. وعلى جوانب الغرفة كتابات مضمونها اعمال الملك اوناس وهو آخر فراعنة الدولة الخامسة وملك نحو ثلاثين سنة

٢ قبر فتاح هتب

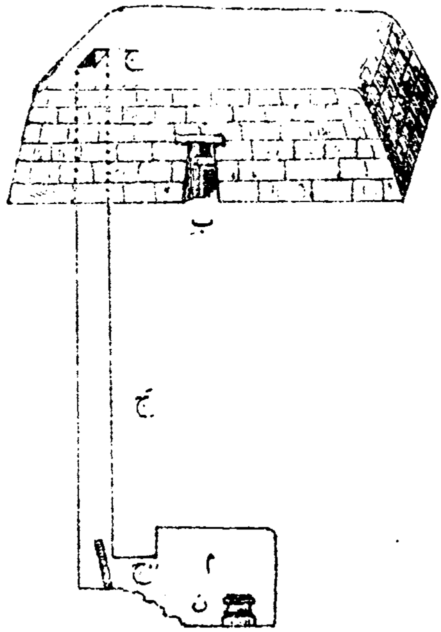
عاش فتاح هتب ايَّام الدولة الخامسة وكان من كهنة المصريين الاعلام. واول من اكتشف قبرهُ ماريت بك الّا انهُ ابقاهُ مطمورًا بعد وقوفهِ على مكانهِ لما يستدعي تنظيفهُ من الشغل الطويل. وقد باشر اصحاب العاديات المصريَّة حفرهُ في السنة الماضية فقط وفتحوهُ للزوَّار ليتمكَّنوا من مشاهدة ما فيهِ من الألوان والنقوش والتصاوير العجيبة كما سترى. وهذا القبر يشبه قبرَي « تي » و « مرا » المنوَّه بهما والدخول اليهِ من جهة الشمال كقبر « تي » وبخلاف قبر « مرا » الذي مدخلهُ الى جهة الجنوب

واذا ولجتَ الباب بلغت الى قاعة داخليَّة تُقسم الى ثلاث حُجر الواحدة منها عند باب المدخل نقوشها قليلة كانت كواق مدفن الميت تُقرَّب فيها القرابين وتُقدَّم الذبائح. وموقع الحجرة الثانية على يمين الداخل. امَّا الثالثة وهي اجمل الثلاث واتقنها فهي بازاء المدخل. وكلُّ جدرانها منقوشة بالتصاوير الرمزيَّة والكتابات الهيروغليفيَّة امَّا صاحب القبر فترى صورتهُ قد نُقرت ونُقشت في اقصى الغرفة وكبرهُ نحو الكبر الطبيعيّ وهو جالس وامامهُ صور عديدة وتماثيل كلها متجهة اليهِ سائرة نحوهُ كأنها الموكب العظيم الذي يقدم عليهِ اجلالًا لهُ. فترى اولًا الكهنة وهم يتلون الاناشيد المقدَّسة ثم سدنة الهيكل يهيّئون لوازم الذبيحة وينضِدون التقادم التي يتقبَّلها فتاح هتب ويتنسَّمها

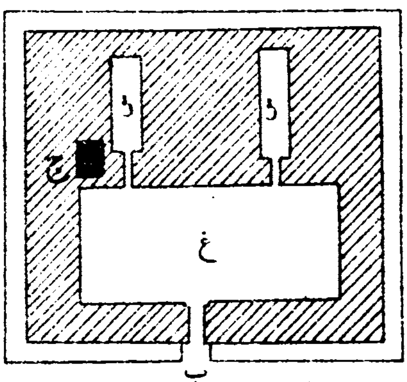
بالرضي فيأخذ بيدهِ كأساً مملوءة مما صُبَّ لهُ فيشربها. وما وراء هؤلاء السدنة خدَّام يحملون الطير والسمك والفاكهة تقدمةً لسيدهم. وكلُّ هذه الصور بديعة الصنع بالوان ناصعة كأنَّ العملة انتهوا من صنعها قريباً من عهدنا وعلى بقيَّة الجدران تصاوير أُخرى تمثّل هيئات العيشة اليوميَّة كالصيد والقنص والرقص والملاهي. وفي هذه الغُرف لا ترى شيئاً ينبئ باهوال الموت بل ترى الميت مجلَّلا معظَّماً كأنَّهُ حيٌّ يتقلب في النعيم ما بين اهلهِ وحشمهِ

وهذه الغُرف التي كان يدخل اليها الجمهور دون عائق لم تودع فيها الاجسام وانما كانت كنادٍ يتردَّد اليهِ المصريُّون ليتذكروا فضائل الميت وحسن شيمهِ. ولم يكن ينفذ اليها النور الَّا من الباب وكانت مبنيَّة فوق الحضيض وتُجعل على هيئة صفَّة ولذلك يدعوها اهل مصر في زماننا مصطبة وهي احد الاقسام الثلاثة من القبر المصري

والقسم الثاني من هذه المدافن هو الذي يدعوهُ المصريُّون سرداباً وهو عبارة عن مخبأة مستطيلة تُحفر



المصطبة والبئر والمدفن السريّ في المدفن المصريّ
ب مدخل الغرفة العليا. ج فوهة البئر على سطح المصطبة. جَ منحدر البئر. جً معبر ضيّق مسدود بحجر يُدخل منهُ الى مدفن الميت. م المدفن السرّي. ن ناووس الميت



قطع المصطبة في وسط علوها لرؤية الغرفة العليا والسراديب
ب باب الغرفة العليا. غ الغرفة العليا. س سردابان. ج قطع البئر الذي ينحدر منهُ

في وسط الجدار وغالباً في الجهة الجنوبيَّة منهُ وتسدّ بحيث لا يراها الناظر ولا يطّلع عليها وكانوا يجعلون في هذا السرداب تماثيل الميت وصوره يزعمون ان نفسهُ تستند اليها وتجاورها بل تحيا بها

امَّا القسم الثالث من المدافن المصريَّة فهو المكان المختصّ بالجثَّة وكان القدماء يتأنقون في صنعهِ ويستفرغون مبلغ علمهم في ايجاد طريقةٍ ينجو بها الميت من كيد الاعداء واللصوص. فاصطنعوا لذلك آبارًا بعيدة الغور يبلغ عمق بعضها نيفاً وعشرين مترًا كانوا يجعلون فوهتها في سطح المصطبة لئلا يقف عليها احد. وكانت هذه الآبار مربَّعة الشكل او مستطيلتهُ تنفذ في وسط الحائط الى ان تبلغ الصخر الذي بُنيت عليهِ المصطبة. وفي قعر هذه الآبار سرب مظلم منقور في الصخر ضيّق يجري فيهِ الداخل منحنياً لحرج جوانبهِ فاذا مشى قليلًا بلغ حجرة متسعة وفي هذه الحجرة كان يُجعل ناووس الميت وفيهِ جثّتهُ المحنّطة باحكام عجيب. وهذه الاحتياطات المتعدّدة قد التجأ اليها المصريون ليصونوا اجساد موتاهم من كل يد اثيمة. وترى في مصطبة فتاح هتب هذه الاقسام الثلثة كما تراها في المصاطب التي كان العلماء اكتشفوها سابقاً ولم يطلعوا على اسرارها المكنونة الّا بعد الجهد الجهيد

٣ مدافن اخرى

في هاتين السنتين الاخيرتين قد وجد علماء العاديات المصريَّة انَّ سقَّارة لا تزال غنيَّة بالآثار القديمة غير الظاهرة للعيان. وممن تولَّى الحفر فيها هذه المدَّة الاخيرة المسيو بَرْسانتي (Barsanti) تحت نظارة العلامة ماسپرو. فاحتفر الارض حول هرم اوناس السابق ذكره فوجد آثارًا مختلفة الّا ان اكثرها كانت محطَّمة وكذلك اكتشف آبارًا عديدة لجثث الموتى كان اللصوص سالفاً تمكَّنوا من فتحها ونزعوا الموميا منها الّا جثة احد سدنة الهرم يُدعى سَمنوفير وُجد جسمهُ محنَّطاً في تابوت من خشب والتابوت في قفَّة كبرى وهي سفيفة من الأَسَل ليس في المتحف المصري مثالٌ من شكلها. وكذلك وُجد ناووس اميرة تُدعى سَتْيابوني وقربهِ اربعة آنية من الرخام الابيض الشفَّاف المسماة كانوپ كانت تجعل فيها احشاء الميت قبل تحنيطهِ امَّا موميا الاميرة فكان استولى عليهِ الفساد وكانت اصابع اليدين والرجلين مغشَّاة بغُلف من الذهب

بيد انَّ الاكتشافات الخطيرة من هذا القبيل انَّما جرت في جنوبي الهرم وهي ثلاثة

مدافن ذهبت مصاطبها بتوالي آفات الزمان ولم يبقَ منها سوى آبارها وأسرابها. وهي كلها ترتقي الى ايّام الدولة السادسة والعشرين اي القرن السادس قبل المسيح. ولكل هذه المدافن بئران بئر كبير وبئر آخر اصغر يُنحدر اليهِ من البئر الكبير وفي هذا البئر الصغير كانت تُجعل جثّة الميت. وكلا البئرين في اعماق الارض على مسافة نيف و ٢٨ مترًا من الحضيض وهما منقوران في الصخر. والمدافن الثلاثة قريبة من بعضها وقد اكتشفها الحفّارون بعد الجهد الجهيد لعمقها البليغ ولكثرة ما تراكم عليها من الرمل

وليست هذه المدافن لملوك مصر بل لبعض اعيانها ولم تنتهك حرمتَها اللصوص في الاعصار الغابرة. احدها لرجل من عظام الدولة في عهد الملك احماسيس يُدعى پسمّاتيك. وكان ناووسهُ من الحجر الكلسي المصمت مُتقن الصنع عظيم الجرم جُعل على سبع دعائم وهو مفتوح وغطاؤهُ بقربهِ الّا ان جثة الميت لم تُجعل فيهِ والظاهر ان پسماتيك مات في الحرب لمّا فتح الفرس بلاد مصر فلم يتيسَّر لذويه ان يحنّطوهُ

والمدفن الثاني قريب من مدفن پسماتيك وهو لابنهِ پاتانيسيس احد ندماء الملك احماسيس. وقد وُجد ناووسهُ مع الموميا غير انَّ تحنيطهُ لم يكن متقنًا ففسدت الجثة امّا اثاث هذه الغرفة فكانت بسيطة ليست من شان ارباب الدولة. ولكن الغرفة بديعة الصنع فيها من النقوش بالألوان والتصاوير والكتابات ما يدلُّ على ترقٍ عظيم في صناعة التصوير. امّا الكتابات فاكثرها صلوات منقولة عن كتب قديمة العهد كانت تتلى على الموتى. وهي كثيرة الاغلاط يُستدلُّ من نصها المشوَّه انَّ اهل ذلك العصر لم يفهموا معناها

اما المدفن الثالث فوُجد بعد ذلك بقليل وكان محكم السدّ لم يبلغ اليهِ الحفّارون الّا بعد شقّ النفس وكان غنيًا بالآثار فلمّا دخلهُ المسيو برسانتي عثرت رجلهُ بصوّان من خشب جميّز ذي رفّين كلهُ مملوء بالآنية الفاخرة والرموز الدينيَّة والتمائم المختلفة بعضها بالحجارة ومنها بالخشب او الذهب او الفضة. وكان على جانبي المدفن كوًى لآنية الكانوپ المتضمّنة احشاء الميت وحول الناووس تماثيل عديدة من معجون ازرق غاية في الاتقان تمثّل صاحب القبر واسمهُ زَنيهيبو وهو ربّان السفن الملكيَّة. وفي جدران القبر نقوش جميلة كنقوش قبر پسمّاتيك. امّا الناووس فكان عليهِ غلافهُ وهو محكم القفل بحيث كان الغلاف والناووس كقطعة واحدة لم يمكن فصلهما الّا بعد شغل ثمانية ايّام متتالية. والناووس من الحجر البركاني المعروف بالبازلت امّا الغلاف فمن الحجر

الكلسي . وكان جون الناووس مملوءا من القير اللامع الشديد التلاصق وهو يحجب الميت بالتمام . فقُرض القير بالقراض الى ان ظهرت الموميا وعليها صفائح من الذهب . وكان الميت مزيّنًا بانواع الحلي والحجارة الكريمة منها مثون من اللآلي الثمينة ومنها القلائد المركّبة من قطع الذهب وفصوص الفِلدسپاث الاخضر . وكان في جانبي الميت رموزٌ لا تحصى غريبة الشكل عجيبة الصنع منهـا تماثيل حيوانات او اصنام يعبدها المصريون كصور ايزيس ونفتيس وكالبزاة والبواشق ورؤوس الكبوش والحيّـات وصور رمزيّة تمثل النفوس وحياتها في العالم الآخر ومنها صورة نخلة مع سعفها وتمرها ومنهـا صورة سفينة سوكار إله الموت عندهم . وكلٌ هذه الدمى من الذهب الخالص والشغل البديع ُنقلت الى متحف العاديّات وهي اليوم تُعدّ من اجمل آثار العصر الذي سبق الفتح الفارسي في مصر وبقايا الدولة السادسة والعشرين

وقد عاد المكتشف مؤخرًا الى هذه المدافن ليواصل الشغل في جهاتها فوجد آثارًا اخرى نخصُّ منها بالذكر كتابةً قبطيّة وُجدت في احد السراديب المجاورة لهذه المدافن وهي حجارة ضريح لاحد النصارى القدماء تبتدئُ بالبسملة « بسم الاب والابن والروح القدس » فاستدلَّ الباحثون من هذه الكتابة انَّ الاقباط بعد تنصُّرهم داوموا على دفن موتاهم في قبور اجدادهم الوثنيين

هذه خلاصة ما وُجد في سقّارة من المآثر على انَّ هذا المكان يحتوي بعدُ كنوزًا أُخرى دفينة سيبحث عنها اهل العلوم . والمدافن الثلاثة قد طُمرت الآن بالرمل ثانية لم يُفتح منها للزوّار سوى واحدٍ منها جُعل لهُ درج لولبي يُنزل منهُ الى قعر البئر السفلى

ولا يسعنا ان نختم هذه العجالة دون ان نستلفت نظر القرّاء الى إكرام المصريين لموتاهم . فتُرى ماذا حملهم الى هذه الاشغال العجيبة ليصونوا اجسام اهل القبور . أفحداهم الى هذا تعظيمهم للموتى فقط ؟ لا لعمري بل لا بُدَّ من القول انهم لم يقدموا على هذه الاعمال الّا لاعتقادهم بحياة أُخرى وخلود النفوس . وكانوا يدعون مدافنهم « ديار الابديّة » قال المؤرخ ديودور : « انَّ المصريين يعدّون منازلهم التي يعيشون فيهـا فنادق لقِصَر الزمان الذي يصرفهُ فيها الانسان على الارض . اماَّ القبور فيدعونهـا معاهد الخلود . وفي الواقع نرى مدنهم القديمة قد بادت وفنيت امّا مقابرهم فلا تزال صابرة على آفات الزمان » وتزيـد على ذلك انَّ المصريين ليس فقط بتعظيمهم لموتاهم كانوا يقرُّون بوجود

حياة آجلة بل كانوا يعتقدون ايضاً بالبعث والنشور يستفاد ذلك من تحنيطهم لموتاهم اذ لا يصدّق عاقلٌ انهم تكلّفوا كل هذه المشقّات ليحفظوا فقط هيكل الميت وصورتهُ لولا علمهم بان النفوس ستُحيي يوماً هذه الاجسام وتنعشها ثانيةً. ولنا على ذلك دليل حسيّ في صورة النفس التي كانوا يمثّلونهـا على هيئة الطير فينقشونها على صدر الميت كانهم يشيرون بذلك الى يوم الدين حيث تعود هذه النفس الى مسكنها السابق وتحتلّهُ الى دهر الدهور. والله اعلم

ترجام الشهداء الاربعين

لفطرك المشرق اليّا الثالث ابن الحديثي المعروف بابي حليم

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي

في اليوم التاسع من هذا الشهر تعيّد جميع كنائس الشرق عيد الشهداء الاربعين الذين قُتلوا في سبيل الايمان على عهد الملك ليقينيوس الذي كان استبدّ بالامر في بلاد الشرق لمّا انتصر قسطنطين الملك على مكسنطيس في الغرب. وكان ليقينيوس وثنيًّا مضطهدًا للنصرانيَّة فمن جملة من قُتل باغرائهِ هؤلاء الاربعون شهيدًا كانوا منتظمين في سلك الجنديَّة الرومانيَّة تحت امرة اغريقولاوس قائدهم فأبوا السجود للاصنام. ولذلك جُرّدوا من ثيابهم في ليلة شديدة العراة وجُعلوا فوق بحيرة جامد ماؤها في سبسطية (سيواس) من اعمال أرمينية فنالوا بهـذا العذاب اكليل الاستشهاد. وللاباء الشرقيين في مديح هؤلاء الشهداء خطبٌ بليغة يعرفها العلماء

امّا مؤلف هـذا الترجام العربي فهو ابن الحديثي احد بطاركة الشرق النساطرة المشهور بابي الحليم(١ والمتوفى سنة ١١٩٠ م ومنهُ اوردنا سابقًا عدّة تراجيم غير مطبوعة في مجموع خطبهِ المنشور في الموصل (راجع المشرق ٣: ٩١٨ و ٩٦٩) والسريان يدعون الخطب الكنسيَّة « ترجاماً » من السريانية ܬܘܪܓܡܐ وهي الخطبة الانذارية

الحمد لله الذي اشرق سواطع نورهِ على سرائر اوليـائهِ. وأطلع بوارق حِكَمهِ في آفاق عقول اصفيائهِ. وجلا عن بصائرهم ظلام اشتبـاه الطاغوت وعمائهِ. ونوّر اذهانهم

١) وقد وهم حضرة الاب قسطنطين باشا في مقدَّمة كتاب دفع الهمّ الذي عُني بطبعهِ حديثًا اذ دعا صاحب هذا التأليف ايليًّا النسطوري بابي الحليم فاشتبه عليهِ ايليًّا اسقف نصيبين وايليا الثالث ابو الحليم وبينهما نحو ١٥٠ سنة. ونسي ايضاً حضرتهُ ان ينبّه القراء بان كثيرين ينسبون كتاب دفع الهم لابن العبري الكاتب اليعقوبيّ الشهير (راجع المشرق ١: ٥٠٦)

براسيمهِ وشرفِ عرفانهِ وبهاء سنائهِ. وحلّى جيدهم بأرباق طاعتهِ وحسن ولائهِ. وأعدّ لهم مراتب الاختصاص في حظائر ملكوتهِ بفضـلهِ وإرعائهِ. ورفعهم كالنجوم الزواهر يستضيئون بهم في رعيّته واخصّائه. وفوّض اليهم مطيّات الإجابة لمن يقصد جنابهم بجودهِ القدسي وآلائهِ. نحمدهُ حمد المخلصين في طاعتهِ ورضائهِ. ونشكرهُ شكر المعترفين بفائض احسانهِ ونعمائهِ

ايها المؤمنون انَّ شرح مناقب الابرار الشهداء. ونشر ثواقب القديسين السعداء. فرضٌ واجب على ارباب الهمم والنحائز. وحقٌّ لازمٌ لأُولي الفِطَر والغرائز. وأولاهم بنشر المفاخر أمام السامعين. الذين اختُصُّوا بكمال الاعداد اعني الشهداء الاربعين. هؤلاء الذين اصطفتهم الحكمة الرَّبانيّة من ديجور ضلالة الطغيان. وثبتت في قلوبهم صدق المحبَّـة وسرائر الملكوت وخصائص الايمان. هؤلاء الذين اشرقت اثمار غروسهم في الجهة الشماليَّة. واتّسمت بهم شرفًا مدينـة السيواس من اعمال الكبادوكيَّة. هؤلاء الذين نفوا عن ضمائرهم عبـادة الاصنام والعقائد الرديّة. وتمسَّكوا بحسن اليقين للامانة المسيحيَّة. هؤلاء الذين رفضوا خدمة الملوك الارضيَّة. وحصلوا اشرف المراتب عند الملك السماوي في الآفاق العلويّة. هؤلاء الذين تركوا الحشمة الدنيويّة وردلوا الملاذّ في دار الشقاء. ورغبوا في الحياة الابديّة والفوز في دار البقاء. ولاحت أنوار الامانة المسيحيَّة في اثناء وجوههم الصُّبحيَّة. وثار لمقاومتهم اهل النفاق فثلبوهم عند قياصرة الروم لاجل عقيدتهم الصحيحة. وكان في ذلك العصر طاغٍ يدعى اسمهُ اغريقلاوس. وهو ذو عنادٍ شديد مع رفيقهِ الكافر ليقيانوس. فلمَّا حصل في فكرهِ من ارباب الكفر والنفاق. « أنْ قد عصاك من اقيال الروم اربعون جبَّارًا بالاتفاق ». امر الطاغي باحضار القديسين الاربعين بين يديه. ليخدعهم بالمكر والعطايا ويردَّهم من امانة السيد المسيح اليه. فلمَّا حضر القديسون الاربعون قدامهُ. سألهم قائلًا: ماذا نسمع عنكم يا ابطال ملك الروم واعلامهُ. فصرخ الشهداء الاربعون قائلين: اننا مسيحيُّون متمسّكون بالايمان. وما لنا في صناديق الصدور مع درَّة التوحيـد شيءٌ ثان. فغضب الكافر من مجاهرتهم بالتصحيح. وامر بجلدهم بالسياط ليثنيهم عن ايمانهم الصحيح. فعند ذلك عقد القديسون الاربعون خنصر الاتفاق بالمجاهدة. وألقوا عن أجسادهم الملابس الفاخرة والحشمة البائدة. قائلين اذ كنَّا نقارع الابطال في الحروب قدَّام الملوك الارضيَّة. فكم يحقُّ علينـا الجهاد امام ملك الملوك

صاحب الآفاق العليّة . فقدّموا لضرب السياط الموجعة تاملهم اللطيفة . وسالت دماؤهم الذكية على اعضائهم الشريفــة . ولم يضعف تجلُّدهم في محبة السيد المسيح من جَلْد الكفّار وتهديدات الجندرارية (١ . برموقهم بعين الروح الملكَ السماويَّ وسرورِهم بالمواهب السنيّة

فامر الطاغي في تلك الليلة بسجنهم . ليفكّر في عذابهم وما يصنع في امرهم . فطُرح القديسون في بيت الاعتقال . وهم يشجّعون بعضهم بعضاً بالاتفاق لمقاومة اهل الضلال . ونهضوا على اقدامهم قياماً في الطلبة امام السيد المسيح . وكانوا طول ليلتهم في الترمير والتسبيح . قائلين : يا الهنا وملجانا الحصين . ومعيننا في اوقات الشدائد (٢ على القوم الكافرين » . فظهر لهم ملاك الرب واشرق النور عليهم . وبشّرهم وقوّاهم بحصول المعونة الالهيّة لديهم

فلمّا كان الصباح جلس الطاغي وامر باحضار القديسين . وقد ملأهُ غضباً ابوهُ القتاب اللعين(٣ . وعلّمهُ باقتراح انواع العذاب . وما رأى في ناحية الشمال اشدّ من البرد والجليد في العذاب . فالتفت الظالم الى القديسين قائلًا بالترهيب : ما هذا الحال الذي اصابكم وما امركم العجيب . يا من اسماؤهم في دواوين المــلوك مسطورة . وهمّتهم في يوم النزل للحروب مشهورة . فان قبلتم قولي وقرَّبتم الذبائح . رفعتُكم الى اعلى المراتب ومنحتكم اشرف المنائح . فاجاب دومطيانوس القديس النصيح . نائباً عن اخوتهِ بلسان فصيح : يا ايهــا الكافر تابع طريق الشيطان . كيف نقدّم ذبائح لآلهة لا ينطقون ولا يسمعون وهم عميان . فحينئــذٍ صعب على الطاغي ثلبُ اصنامهِ الارجاس . وامر برجم القديســين اعوانَهُ الارجاس . فرُدَّت حجارتهم الى وجوههم واهلكتهم . ولم تقرب الى جناب القديسين ولا آذتهم

فلمّا نظر القديسون ما صنع الله بالقوم الكافرين . قدّموا الشكر لله بالترمير قائلين :

---

١) كذا في الأصل ولعلَّ هذه اللفظة مرادفة للجنود

٢) وقد جاء في المتن لفظ هذه الاية بالسريانية : ܐܠܗܢ ܚܣܝܢ ܠܗܘܢ ܠܥܡܐ ܘܡܥܕܪܢ ܒܥܕܢܐ ܕܐܘܠܨܢܐ

٣) يريد الشيطان

اليك رفعنا عيوننا يا ساكن السماوات. كما ترفع العبيد نظرهم الى السادات (١. فلما نظر الكافر اغريقلاوس الحال المبيد. غضب وعزم ان يطرحهم في بحيرة الجليد. لعلَّهُ يضعف ايمانهم من شدَّة القرّ العاصف. او يُجزع جنانهم من الريح الشمالي الناسف. وكان هناك بحيرة يجوزها تسعة انهار. وقد جمدت مياهها فوق الحدّ والمقدار. فقدَّم القديسين الى جانب البحيرة وهمَّ بتهديدهم قائلًا: قد نصبتُ قدّامكم امرَين امَّا تذبحون للآلهة او بالجليد أُبيدكم. فردَّ عليهِ القديسون من فم واحد. قد تركنا اموالنا واجسادنا بين يديك. محبةً في امانة السيد المسيح وما لنا التفات اليك. فتشمَّروا بالعزم الصحيح الى مكافحة الاهوال. وألقوا مروط الجسوم بحسن النيَّة وشدُّوا عليهم شدَّ الرجال. ثمَّ حدَّقوا فابصروا السيد المسيح قائمًا في رأسهم يقول لهم: لا تخافوا من قاتلي الاجساد (٢ فانا معكم لا تجزعوا

فتقدموا وداسوا باقدامهم على الجليد ونفحتهم زفراتهُ. وغرَّقوا في اليمّ جيشَ فرعون المغتاب ولم تقهرهم حيلاتهُ. صبروا على مضض القرّ العاصف مدَّة جهادهم. واحتملوا برد الزمهرير الناسف ففازوا بمرادهم. وكانوا لا يفترون عن التضرُّع للرب المعبود. يتلون على صفحات الجليد مزامير النبي داود. فانفرد احدهم من شدَّة القرّ وطلب حرارة الحمَّام. وفي حال دخولهِ قضى وابتلعتهُ فوهة الحِمام. فبرز الامر العالي الى ملائكة السماء بالنزول الى اكرامهم. وبإراحتهم من جهادهم وتعظيم انتقامهم. وحلَّت اكاليل المجد على رؤوسهم الشريفة. واشرقت الانوار على اشخاصهم اللطيفة. فكان يودّع الواحد الآخر بجأشٍ ساكن وعقول رضيَّة. ويرغبون الى الله ان يهب الشفاء لمن استعان بهم من سائر البريَّة. ونُقلت انفسهم الطاهرة الذكيَّة. الى قصور النور والحياة الابديَّة. فتنيَّحوا وفازوا بالاكاليل اجمعين. وبقي اكليلٌ منفردًا من عدد الشهداء الاربعين. فرأى ذلك ناطور الحمَّام. فالقى ثيابهُ ونزل بينهم وقضى بوقتهِ وفاز بهِ على التمام

فلمَّا نظر الطاغي ذلك امر أعوانهُ الكفَّار. بحملهم على العجلات ليرميهم في اتون

---

١) وفي لفظها السرياني: ܠܘܬܟ ܐܪܝܡܢ ܥܝܢܝܢ ܠܥܡܘܪܐ ܕܫܡܝܐ ܐܝܟ ܥܝ̈ܢܐ ܕܥܒܕܐ ܠܘܬ ܡܪ̈ܝܗܘܢ

٢) وفي السريانية: ܠܐ ܬܕܚܠܘܢ ܡܢ ܐܝܠܝܢ ܕܩܛܠܝܢ ܦܓܪܐ ܢܦܫܐ ܕܝܢ ܠܐ ܡܫܟܚܝܢ ܠܡܩܛܠ

النار. وكان احد القديسين لم يقضِ حياتهُ فتركوهُ. فحملتهُ والدتهُ والقتهُ معهم وقالت: من اخوتهِ لا تبعدوهُ. فاخذوا اعضاءهم. والقوها في الماء لكرهم. لئلا تأخذها المؤمنون وتحترمهم وتوقّرهم. وتمَّ فيهم القول المرموز من القديم. على لسان النبي الكريم: ادخلتَنا سعير النار وأصفيتَنا. وغليتنا في الماء وبالراحة أقنيتنا (١. وجمع الله جواهر اعضائهم في غدير بيّن. وكشف لارباب التقى فقصدوا نحوهم الى المكان المعيَّن. نقلوهم الى بيوت الاكرام بالتهليل والتسبيح. وصاروا مصابيح تتشرف بهم امة السيد المسيح. وكُتبت اسماؤهم في درج الحياة مع ابناء السلام. وها نحن نوردهم عليكم بالشرح والكلام

اولهم ملطيون ايوانّيس ببيانوس كريون غايوس فريسقوس تاودُولوس تاوفيلوس اناطوليوس مليطيوس لوسياخوس قلوديون قنديديوس اياليانوس ايسوخيوس دومطيانوس اوّاليوس اوطوخيوس اوتوقيوس ابنيقيوس الكسندروس قوريالوس فلابيانوس سمَرغدوس كسنتيوس سِسيانوس لاونطيوس ساويريانوس فيلوقطيمون اغاغيوس ايرقليوس اقديتيوس قوديون اثاناسيس ساقردون دومانوس غرغونيس اقاقيوس نيقولاوس ايطيوس(٢ ܨܠܘܬܗܘܢ ܫܘܪܐ ܬܗܘܐ ܠܢ (٣. وكملت شهادة القديسين الاربعين. في تاسع شهر آذار وحصلوا في اخدار النعيم اجمعين

فينبغي عليكم يا معشر المؤمنين اكرام عيدهم الشريف الباهر. واحترام تذكارهم المنيف الزاهر. فتجتمعون على قديم الرسم في الصلاة والتسبيح. وتخلصون النيّات

---

١) وفي الاصل السرياني: ܐܥܠܬܢ ܒܢܘܪܐ ܘܒܡܝܐ ܘܐܦܩܬܢ ܠܪܘܝܚܐ

٢) قد وردت هذه الاسماء على وجوه مختلفة في النسخ القديمة وهاك اسماءهم كما دونها البولنديون في المجلد الثاني من آذار من اعمال القديسين على لفظها اللاتيني:

Quirio, Candidus, Domnus, Melito, Domitianus, Eunoicus, Sisinius, Heraclius, Alexander, Ioannes, Claudius, Athanasius, Valens, Helianus, Ecditius, Acacius, Vibianus, Helia. Theodulus, Cyrillus, Flavius, Severianus, Valerius, Chudio, Sacerdon, Priscus, Eutychius, Eutyches, Smaragdus, Philoctimon, Aetius, Nicolaus (sive Micallius), Lysimachus, Theophilus, Xantheas, Angia, Leontius, Hisichius, Caius, et Gorgonius.

٣) اي لتكن صلواتهم سورًا ونجاةً لنا

والسرائر امام الرب يسوع المسيح · ليصرف عنكم الشرور والآفات بصلواتهم · ويقيكم من سائر المخاوف والعوارض بشفاعاتهم · ويتقبَّل منكم ما قدَّمتموهُ من الصوم والصلاة ببركاتهم · ويحطَّ عنكم ثقل الذنوب والاجرام ويشرككم في نعيمهم وخيراتهم · ويجعلكم من ابناء اليمين بصلاح دعائهم · ويجلسكم على سدد الراحات وينظمكم في جملة اشياعهم · بشفاعة ذات الشفاعات · سيّدتنا مريم والدة الله ام النور والحياة · وسائر الشهداء والقديسين · ورحمة الله على كلّ عبد يقول آمين

الفوتوغرافية او التصوير الشمسي

للاب لويس دي انسلم اليسوعي

١ تاريخ الفن

يُطلق اسم الفوتوغرافية على صناعة جليلة من شأنها استخدام النور اجمالًا وضوء الشمس خصوصاً لرسم صور المحسوسات وإثباتها · وكان العلماء منذ الاعصار الغابرة لحظوا انَّ للنور عملًا في بعض الاجسام. وممَّا اوصى بهِ فِتْروف المهندس الروماني في القرن الاول للمسيح ان تُجعل الصور الملوَّنة من جهة الشمال لئلا تغيّر الشمس ألوانها فتبور · وفي القرن السادس عشر للميلاد أفاد العلامة فابريقيوس الكيماوي ان كلورور الفضَّة (وكانوا يدعونهُ وقتئذٍ باسم الهلال) يتلوَّن بالنور · وفي سنة ١٧٧٧ تحقَّق شيل (Scheele) الاسوجي انَّ الكلورور المذكور يسودّ في النور ثم يتطاير الكلور وتبقى الفضَّة المعدنيَّة خالصةً وهذه الفضَّة المعدنيَّة يعود الحامض النيتريك فيعمل فيها ثانيةً ألا انَّ فعلهُ يختلف باختلاف ألوان الطيف الشمسي فانَّ للاشعَّة البنفسجيَّة مثلًا عملًا اشدّ سرعة من سواها · وفي سنة ١٧٨٢ بيَّن سنبيار (Senebier) ان تلوُّن كلورور الفضَّة يتمُّ بخمس عشرة ثانية اذا عُرض للنور البنفسجي بينما يُقتضى لهُ ٣٣٠ ثانية في النور الاصفر و ١٢٠٠ ثانية في الاحمر

ثمَّ اكتشف ريتر (Ritter) سنة ١٨٠١ الاشعَّة الواقعة في الطيف الشمسي ما وراء الاشعة البنفسجيَّة ووجدها شديدة الفعل في المستحضرات الكيماويَّة المتأثرة بالنور · وفي

سنة ١٨١٢ قسم بيرَرد (Bérard) الطيف الشمسي الى قسمين: الاول يتضمَّن الاشعَّة الزرقاويَّة والنيليَّة والبنفسجيَّة وما يقع وراءها وكلّ هذه الانوار تعمل في كلورور الفضَّة عملًا شديدًا. امَّا القسم الثاني فيحتوي على الاشعة الصفراويَّة والبرتقاليَّة والحمراء وكلُّها قليلة الفعل في املاح الفضَّة

واوَّل من سعى برسم الصور بواسطة النور الطبيعي الشهير شَرْل دوَّن سنة ١٧٨٠ على ورقة مغشَّاة بملح الفضَّـة صورَ بعض اجسام أثارها بالشمس. ولمَّا كانت سنة ١٧٩٩ أعاد الطبيعي وات (Watt) هذه الاختبارات فحسَّنها. وبعد ذلك بثلاث سنوات تمكَّن الاميركي وَدغوود (Wedgwood) من رسم صور ملوَّنة على الزجاج وتصوير بعض اجسام شفَّافـة. امَّا الانكليزي داڤي (Humphry Davy) فاسعدهُ الحظّ على تصوير الاجرام بواسطة نور المجهر الشمسي. غير ان اختراعهُ بقي عقيمًا بلا فائدة لانَّ الصور التي نالها كانت سلبيَّة ولم يعرف اذ ذاك احد الطريقة لاثبات هذه الصور قبل ان يعمل فيها النور فيمحوها كما انهم كانوا يجهلون الوسيلة لتحليل بقايا الاملاح الفضيَّة التي لم يحلّلها النور

تلك كانت النتائج التي فاز بهـا العلماء في أوائل القرن التاسع عشر. فلمَّا كانت السنة ١٨٣٩ قام فرنسوا اراغو العلَّامة الشهير فأعلن لرصفائهِ اعضاء المكتب العلمي الفرنسي في باريس ما تيسَّر من الاكتشاف لطبيعيَّين فرنسيَّين اسم احدهما يوسف نياپس والاخر جاك داغار

فنياپس (J. Nièpce) كان مولدهُ سنة ١٧٦٥ في شالون وكان ابن ضابط افرنسيّ فاحتذى بابيهِ في التجنُّد وانتظم في جيش نابوليون الاوَّل لمَّا سار الى فتح ايطالية لكنَّ صحَّتهُ وضعف بصرهِ اضطرَّاهُ الى ان يعرض عن حيـاة الجنديَّة واخذ من ثمَّ يتعاطى الابحاث العلميَّة مع اخيهِ البكر كلود. فتوفَّق الى اكتشافات عديدة اشهرت اسمهُ بين مواطنيهِ. وفي تلك الاثنـاء اخذ فنّ الطبع الحجري بالانتشار فاحبَّ نياپس ان يزاول هذه الصناعة لكنَّهُ لم يجد في بلدهِ الحجارة المناسبة لذلك فاستبدل الحجارة بالقصدير. وعدل ايضاً عن القلم الرصاصي المستعمل في الليتوغرافية الى مادَّة اخرى ولم يلبث ان فكَّر برسم الصور بواسطة النور. فجعل يستنزف قريحتهُ في ابتداع هذا التصوير. ولمَّا كانت سنة ١٨٢٢ توصَّـل الى ان رسم صورة البابا بيوس السابع على صفيحة من

القصدير كان طلاها بالحُمَر وغير ذلك من التصاوير التي احرزت لهُ مجدًا عظيمًا . ثم لم يفتأ ان يحسّن اختراعهُ حتى اصاب قصارى بغيته فكان يثبت صور الخزانة السوداء على صفائح من القصدير يعدُّها لذلك ثمَّ ابدلها بعد سنين قليلة بصفائح من النحاس واخيرًا بصفائح من الفضَّة

ولمَّا كانت سنة ١٨٢٦ اجتمع نيابس باحد علماء زمانهِ يدعى داغار (J. Daguerre) واخذا يتكاتفان على تحسين فنّ الفوتوغرافية وايجاد طرائق اقتصاديَّة لتعميمها . وكان داغار رجلًا نشيطًا متوقّد الذهن لهُ اذ ذاك من العمر ٣٨ سنة وكان منذ ريعان شبابهِ امتاز في فن التصوير وتجهيز المراسح بالنقوش . ومن مخترعاتهِ المناظر المعروفة بانيوراما او الديوراما وهي عبارة عن غرف كرويّة يدور جدارها حول قطب فيرى الناظر من ثقب صغير صورها على بُعد ١٠ امتار . وكان يسرج الصور بالمصابيح ليزيد في بهائها . وكان منذ زمن طويل يبحث عن طريقة قريبة يستغني بها عن توفير الصور بواسطة عدسيَّات مقوَّرة او محدَّبة . لكنَّهُ لم ينل مرغوبهُ فكاد يخيب رجاؤهُ اذ سمع باختراع وطنيّهِ نيابس فاجتمع بهِ وتعاهدا على العمل وتعاضدا على اختراع الفوتوغرافية ولم يكفَّا عن الجدّ والكدّ حتى اصابا بالمراد ثم عقدا شركةً واتفقا على شروط معلومة لمواصلة الشغل واقتسام ارباحهِ . وفي نصّ هذا الصك المكتوب في ١٤ كانون الاول سنة ١٨٢٩ يظهر جليًّا ان نيابس هو مخترع فنّ الفوتوغرافية وان داغار ابتدع خزانةً سوداء وجدها اوفى بالمقصود

غير انَّ نيابس لم ينتفع زمنًا طويلًا باكتشافهِ فمات فقيرًا خامل الذكر في ٣ تموز من سنة ١٨٣٣ وخلَّف لشريكهِ منافع اختراعهِ ولكن اليهِ يعود الفضل الأكبر في هذا الفن الجديد لانهُ هو اوَّل من اتخذ الحُمَر (bitume de Judée) للتصوير فعرَّف خواصهُ وسبق معاصريه الى التصوير الشمسي

امَّا داغار فانهُ واصل ابحاثهُ وكدّ ذهنهُ حتى اكتشف طرائق جديدة وتحسينات مهمَّة حدتْ بالعلماء الى ان ينسبوا اليهِ فن الفوتوغرافية الذي دعي باسمهِ الرسم الداغاريّ او الداغريوتيب (Daguerréotypie) ومن اكتشافاتهِ تعريفهُ لخواصّ يودور الفضَّة وقابليَّتهُ للصور الخفيَّة تبرزها الاعمال الكيمويَّة كما سترى

وهو اول من ابتدع سنة ١٨٣٩ استعمال الصفائح المطليَّة بالفضَّة بدلًا من الحُمَر وبذلك ادخل فنَّ الفوتوغرافية في طورهِ العمليّ

ودونك العمليَّات التي كان داغار يجري عليهــا لتصويرهِ الشمسي وهو الاسلوب الذي تحرَّاهُ ارباب الفوتوغراف مدَّة عشر سنوات. وذلك انهُ كان يعمد الى صفيحة من المعدن فيطليها بالفضَّة ويحسن صقلها ثمَّ يعرضها لأبخرة اليود فيكتسي وجهها بمزيج من يودور الفضَّة الاصفر اللون. ثمَّ يعرض هذه الصفيحة المحضَّرة لفعل النور في الخزانة المظلمة مدَّة زمن معلوم يختلف بين دقيقتين ونصف الساعة. فترتسم صورة المرئيَّات على وجه الصفيحة الَّا انها خفيَّة لا تظهر للعيان فاذا أراد إبرازها للنظر عرضها لبخار الزئبق المحمى الى درجة ٥٠ فوق الصفر من مقياس السنتيغراد فتنجلي الصورة شيئًا فشيئًا الى ان تظهر بتمامها بيد انها ليست بثابتة فلا بُدَّ لاثباتهـا ان تُغمس بمزيج من الكبريت والصودا (هيبوسلفيت الصودا) فينحلّ ما بقي من اليودور غير المحلول

وهذه الطريقة المعروفة بطريقة الصور الخفيَّة تصوّر المرئيَّات بدقَّة عجيبة والصورة فيها ايجابيَّة لكنَّها ذات ترقرق ولمعان تكلُّ العــين بالنظر اليها. وقد وجد المسيو فيزو (Fizeau) في آذار من السنة ١٨٤٠ انَّ الصور تكون ابهى رونقًا واشــدَّ حسنًا اذا جُعل على الصفيحة المحضَّرة طلاء خفيف من الذهب لانَّ التقاطيع المسودَّة في الصورة يزيد بذلك سوادُهــا كما ان الجهات البيض تزيد بياضًا فتكون الصورة أجلى وادقّ. امَّا الصفائح المتخذة للتصوير الشمسي على طريقة داغار فكان سمكها نصف ملِّمتر وطولها ٢٤ سنتيمترًا في عرض ١٨ س. وهو القطع الذي دُعي وقتــئذٍ الصفيحة التامَّة وعلى هذا التعريف يجري اليوم ارباب الفن في تقسيم الزجاجات الفوتوغرافيَّة. وما كان دون هذا القطع يُدعى « نصف الصفيحة » او « ربع الصفيحة » على حسب كبرهِ. وناهيك عمَّا نال داغار بعد هــذه الاكتشافات من الثناء الطيّب على عملهِ في كل اقطار العالم المتمدّن ونالت بسببهِ فرنسا وطنهُ فخرًا جديدًا وما عتم اختراعهُ ان امتدَّ في كلّ اوب وصوب ومات معزَّزًا كريمًا في ١٥ تموز ١٨٥١

هذا وانّ لطريقة داغار الفوتوغرافيَّة نقائص استدركها بعدهُ العلماء منها انَّ الدقائق الكبريتيَّة المنبثَّة في الجوّ تعمل في هــذه الصور فتزيل رونقها الَّا ما كان منها مطليًا بالذهب فضلًا عن ان النور نفسهُ يطمس محاسنها. والوسيلة الى حفظها ان يُحجز بينها

وبين الهواء الجوّي فتُجعل في اقفاص زجاجيّة لا ينفذ فيهـا الهواء. امّا الصور البائرة فيمكن إعادة ألوانها الناصعة بان تُجعل في الكحول ثم تُغسل في الماء الممزوج بقليـل من البوطاس

واخذ العلماء بعد داغار يبحثون عن طرائق جديدة للتصوير فممّن اصاب بينهم اسماً صالحاً العلامة الانكليزيّ تالبو (Fox Talbot) فانهُ وقف على تصوير صور المرئيّات سلبيًّا وذلك بغير ابخرة الزئبق وقد دُعيت هذه الصورة سلبيّة لان الاجزاء المصابة بالنور تكون مظلمةً والعكس بالعكس فترى الثياب السود بيضاً والوجوهَ البيض سوداً وهلمّ جرًّا. وهذه الصورة السلبيّة يمكن نقلها الى صورة ايجابيّـة سويّة وتوفير نسخها الى ما شاء الله بوضع الصورة الشمسيّة في النور وفوقهـا ورق محضَّر. وكان تالبو يحضِر الورق المُعدّ لرسم الصور بطلاء من نيترات الفضّة. وقد حسَّن بلنكار إڤرارد (Blanquart-Evrard) طريقة تالبو سنة ١٨٤٧ بان جعـل على الورق طـلاء من الالبومين اي زلال البيض لتزيد صقالتهُ وتتحسَّن بذلك الصور المنقوشة عليهِ. وقد اتخذ غيرهُ طلاء من الشمع او الجيلاتين

ومن التحسينات المفيدة التي توصَّل اليها العلماء في ذلك العهد أن يُستبدل الورق بالزجاج. وكان مخترع هذه الطريقة ابن اخي نياپس السابق ذكرهُ واسمهُ نياپس دي سان ڤيكتور اكتشفها سنة ١٨٤٨ وشاعت سنة ١٨٥١ فكان يجعل على الورق غشاء من الجيلاتين او الالبومين بعد طليهما باليود وغطسهما بماء الفضّة. واستبدل العالمان فراي وأرشر هاتين المادّتين بالكولوديون الرطب فكان ايجاد الكولوديون تسهيلًا عظيمًا للفنّ الفوتوغرافي. واستُعمل بعد ذلك الناشف منهُ في سنة ١٨٥٥ فزاد الامر قربًا وسهولةً لانهُ سمح للفوتوغرافيين ان ينقلوا الصفائح الى حيث يشاؤون. وهذا الاكتشاف عُني بتحسينهِ الماجور روسل في سنة ١٨٦١ وطريقتهُ تُعرف بطريقة الدبغ

وممّا سبق اليهِ غودين (Gaudin) انهُ اتخذ مائعاً مركّبًا من موادّ تتأثر بالنور كان يغطس بها الصفائح المعدّة للتصوير. ولم يزل العلماء مذ ذاك الحين يتجارَون في استحداث طرائق جديدة الّا انهُ قد شاع بينها طريقتان طريقة الكولوديون وطريقة طلاء الجيلاتين وكلاهما يُمزَج ببرومور الفضة. وقد تيسَّر في زماننا لبعض الكيماويين منهم كروس (Ch. Cros) ودوكو (Ducos) وليپمان (Lippeman) ولوميار (Lumière)

ودوجاردين (Dujardin) ان يصوّروا بالنور الشمسي كل ألوان المرئيّات

وخلاصة القول انَّ فنون التصوير الشمسي تتوقّف كلّها اليوم على مبدإٍ واحد وهو عمل النور في بعض الاجسام تُبسَط على شبه طلاء فوق الزجاج او الورق او مستحضرات الجيلاتين. واكثر هذه الاجسام صلاحةً للعمل أملاح الفضَّة والحديد والكروم تلتصق بالزجاج او الورق بواسطة الالبومين او الجيلاتين او الكولُوديون فتصير كأنّها قطعة واحدة

امّا تحليل الاملاح بالنور فيتمّ بنوعين: النوع الاول ان تجعل الصفيحة المحضَّرة لرسم الصورة في خزانة مظلمة وتجعل امامها على بُعد مناسب مركّبًا من العدسيّات المقعَّرة والمحدَّبة يُدعى شبحيَّـــة (objectif) فاذا دخل منها النور برهةً معلومة تأثَّر الطلاء الحسَّاس المغشَّاة بهِ الزجاجة فانتقشت عليها الصورة المقصود تصويرها من شخص او منظر وما شاكل. الّا ان هذه الصورة خفيَّة لا بُد من ابرازها والكاشف عن خفيّهـــا موادّ كيماويّة مائعة تُجعـــل فيها الزجاجة فتتحلّل الاملاح التي لم يحلّلها النور فاذا توارت هذه الاملاح بالتحليـــل رأيت الصورة على الزجاجة لكن تقاطيعها بعكس الصورة الاصلية اي ان هذه الصورة هي سلبيَّة

والنوع الثاني ان تجعل فوق الزجاجة المطليَّة حاجزًا تُستشفُّ من ورائهِ الصورة او الرسم المراد تصويرهما وتضع الزجاجة في النور فترتسم الصورة سلبيَّةً الّا اذا كان المثال نفسهُ سلبيًا فتكون الصورة ايجابيَّة. وهذه العمليَّة تدعى العمل بالمماسَّة وهي في الغالب لا تحتاج الى عمل كيماوي لاظهار الصورة. لانّ الصورة تأخذ رسم الاصل توًّا

وممّا يلحق باثبات الصورة عمليَّةُ التلوين (virage) من شأنها ان تحوّل لونها القرميدي الى لون ارجوانيّ وتزيدها مكانة وذلك باضافة الاملاح الذهبيَّة الى الاملاح الفضيَّة التي تتركّب منها الصورة. وتُختم العمليات بغســل الصورة وبذلك تتلاشى المركّبات الكبريتيَّة (ثاني الهيپوسلفيت) التي تنتج من عمليَّة الإثبات. وهو امرٌ مهمٌّ لا غنى عنهُ ولولاهُ لفسدت الصورة سواء كانت سلبيَّة او ايجابيَّة

واعلم انَّ الصور التي ترتسم على زجاجة الخزانـــة المظلمة غير المصقولة تكون منعكسة وفقًا لمبادئ البصريّات بعد مرور الاشعة في الشبحيَّة. وممّا يُقتضى الاعتناء بهِ أن تكون الصورة جليَّة ولا بُدَّ لذلك من تقريب الخزانة المظلمة او ابعادها حتى يظهر الرسم على الشبحيَّة بيّنًا جليًا. امّا جلاء الصورة في كل اقسامها على سواء فيُنـــال بوضع

صفائح معدنيَّة صغيرة الثقب في الشبحيَّة . واذا اراد المصوّر ان يرسم في لمحة العين صورة هيئة او حركة يجبُ تصويرها فعليـهِ باداة ذات صماد سريـع (obturateur) تفتح الشبحيَّة او تُغلقهـا بحركة عاجلة . وسنعود الى ذكر هذه الامور عند وصفنا الادوات الفوتوغرافيَّة لاسيما المستحدثة منها القريبة الاستعمال

وقبل ختامنا هذه المقالة الاولى احببنا ان ندوّن هنا بعض فوائد في النور تتمَّـة لمبادئ الفن الفوتوغرافي فنقول: انَّ شدَّة النور منوطة : ١ً بارتفاع الشمس فوق الافق اعني بعرضها المتساوي في مكان واحد وزمن واحد . ٢ً بحالة الجوّ . ٣ً بعلوّ المكان فوق سطح البحر . وهذه امور ثلاثة يتحتَّم على المصوّر معرفتهـا اذا اراد ان تكون صورهُ جليَّة ذات دقَّة و إحكام . ولولا ذلك كانت الرسوم كدرةً غير متقنة كما يحصل لكثيرين من مباشري هذه الصناعة

ومما ينبغي للمصوّر معرفتهُ انَّ ألوان المرئيَّات ربَّما اثَّرت في الصفيحة المعدَّة للصورة فتخرج الصورة مخالفة لهيئة الاصل وذلك لفعل الالوان في الصفيحة فان الالوان الناصعة كالاحمر والاصفر والاخضر تكون قاتمة بخلاف الازرق والبنفسجي والالوان الخفيفـة فانها تظهر في الصورة بيضاء . فلاستدراك هذا الخلل واصلاح عمل النور طريقةٌ تدعى بتسوية الالوان (orthochromatisme) غايتها ان يُعطى كلُّ لون حقَّهُ بحيث تطابق الصورة اصلها المأخوذة عنهُ . وذلك اولًا بان يمزج بالطلاء الفوتوغرافي بعض مواد تجعلهُ شديد الاحساس لاخفّ اشعَّة النور . وثانياً بان يدخل المصوّر حواجز من شانها ان تخفِف الالوان الشديدة القوَّة . وقد وجد فوغل (Vogel) لذلك قاعدةً راسخة هذا منطوقها : « يُمكن ان يُزاد في احساس الصفيحة الفوتوغرافيَّة في مكان معلوم لتعديل الالوان اذا أضيفت الى ملح الفضَّة مادَّة من شأنها ان تمتصَّ معاً شعاع هـذا اللون وما يتخلَّص بواسطة التحليل الكيماوي من اليود او البروم » . واليوم ترى التجار يبيعون من هـذه الصفائح المتساوية الألوان . وقد بيَّن المسيو إدِر (Eder) ان السيانين والأزالين يناسبان اللونَين الاحمر والبرتقالي وانَّ الايوزين والكورالّين يوافقان الاصفر والاخضر الخ

وهذه الاكتشافات الحديثة قد بلَّغت فنَّ التصوير الشمسي الى غاية من الكمال لم يكن لينالهُ المصوّرون الاولون بل تمكَّن المسيو ليبمان بعد الامتحانات المتواصلة ان يرسم صورًا فوتوغرافيَّة ملوَّنة كما سترى

(ستأتي البقيَّة)

الاديار القديمة في كسروان

دير ماري شليطا مقبس ودير مار يوحنَّا حراش

لحضرة الاب الفاضل ابراهيم حرفوش المرسل الكريمي (لاحق بسابق)

٢ في تاريخ دير مار شليطا قبل ان جدَّدهُ القس يوحنا ابن القس يوسف محاسب

ان صاحب الكتابة الذي تقدَّم ذكرهُ في القسم الاول ينبئنا بانهُ كان يوجد اطلال معبد قديم حيث بنى القس يوحنَّا محاسب الدير . وكذا عبارة الدويهي « جدَّد » تشير الى ذلك ولنتبع صاحب الكتابة التي نقلنا عنها وهذا قولهُ بالحرف:

« وفي بعض الأيَّام جا القس يوسف والد القس حنـا الى كنيسة القديس مار شليطا التي كانت خربانة ونظر الكنيسة والارض التي حواليها واشترى الحرايب والارض والكنيسة(١ . وسبب خراب الكنيسة من طولة الزمان وخراب البلاد طلع اشجار في جدران الكنيسة وخربوها وما فضل بلا خراب الَّا الحنيَّة ودابر الكنيسة على قامة . ومن بعد ما اشترى المواضع بثلاث سنين زرع ولدهُ الخوري حنا الارض وجا لعنده والده الخوري يوسف بايَّام الحصاد والخوري يوسف المذكور راح حتَّى يصـلي صلاة النهار عند الكنيسة ونظر ان الحنيَّة عليها مثل الشتاء وهو كان حيِّل لان عظم الشاهد كان في حقّ رخام في الحنيَّة (٢ فدهن عينيهِ من الحيِّل (٣ فثبت نظرهُ مثل ابن عشرين سنة لان كان لهُ

---

١) اننا عثرنا بين صكوك الدير على صكّ هذا المشترى نوردهُ بحروفهِ: « لمَّا كان تاريخ سنة ١٦١٥ اشترى الخوري المحاسب من ابو يوسف المقيَّر من غوسطا في بلاد كسروان من معاملة بيروت الارض الذي في مزرعة مقباس (كذا بالحرف) في حدودها ومقاطعها ومجاريها في الكنيسة والحجارة والنجاص والتوت والمصانع والحرايب وجميع ما تحتوي من اشجار وحطب وتكون بيد ابنهِ الشدياق تمسك لوقت العازة ما احد معهُ امر يتعارضهُ فيها في وجه من الوجوه بشهود

شهد فرحات من بماصير   شهد زغيبر ابن هلال من قرية غوسطا   شهد ابو فرح ابن الخوري درعون   شهد ابو يعقوب نجيم   شهد الزين ابن غيروش من قرية معراب

(حاشية) ان غيروش كان كاخيةً لابن سيفا الذي كان يسكن غزير

٢) ان جرن الماء المبارك الموجود الان عند باب الكنيسة قد اتَّصل من امره بالتقليد الشفاهي انهُ كان بمنزلة صوان لذخيرة القديس شليطا التي جرت بقوَّتها اعجوبة شفاء القس يوسف والد القس حنَّا وليس على الله امر عسير . انمَّا لم نرَ علَّامتنا الدويهي اشار الى شيء من ذلك وقد كان اقرب عهدًا منا ليفقه الخبر وخلاصة الامر ان الكاتب يذكر شفـاء القس يوسف بمنزلة باعث على تجديد المعبد

٣) المراد بالحيِّل على ظاهر العبارة ان الماء التي كانت جرت بين الكلس في جدران الحنيَّة واذابت الكلس حوَّلتهُ الى عجين . وكذلك فعلت في حقّ الرخام الموضوعة فيهِ ذخيرة الشهيد شليطا ؟

مدة سنين مبطل القداس والصلاة من ضعف بصره. وذكروا عنهُ الذين يعرفوه انهُ عاد يتلو الصلاة في ضوء القمر بعد الاعجوبة ومن بعد هذه الاعجوبة استحلف ابنهُ الخوري حنًّا انهُ يعمّر الكنيسة »

فمّا تقدم ينتج انهُ كان هنـــاك كنيسة او معبد دير لان صك المشترى يقول « واشترى الخرايب » . ولكن مَن بنى هذا الدير القديم او ذاك المعبد ؟ فالبحث في هذا الموضوع لا يخلو من صعوبة وابهام. وبعد البحث عثرنا على كتابة اخرى في غوسطا مع الكتابة الاولى وفي آخرها ان القس بطرس العجلتوني من رهبان الدير نقلها عن كتاب تاريخ المطران ثادرس مطران حماة وهذه عبارتهُ « واتُخذ هذا التاريخ من كتاب المطران ثادرس مطران حما » . فمن يا ترى هو هذا المطران ثادرس ؟ ان الدويهي في تاريخهِ يذكر اسم مطران ماروني بهذا الاسم في الصفحة ١٥٩ هكذا « سنة ١٥٣٠ كانت وفـــاة المطران ايليا الحدثي فخلفهُ المطران ثادرس وكان ايضاً من الحدث وأحد موآزري البطرك موسى في شؤون الكرسي وامور دير قنوبين » انتهى. لكن لم يذكر الدويهي لهذا الاسقف تاريخًا فلعلّ مراد القس بطرس انهُ نقـــل ما نقلهُ من هامش كتاب نسخ المطران ثادرس فيهِ بعض المواضيع وعلى هامشهِ حرّر ما نقلهُ القس بطرس المذكور. وعلى كلّ أيًا كان المطران ثادرس فاننا ننقل بالحرف ما كتبهُ القس بطرس مع اغلاطهِ التاريخيّة سواء كان في تعيين السنة او اسماء الاشخاص. ونُعقب ذلك ببعض تخمينات على اصل الدير قبل ان جدّدهُ القس حنا محاسب قال القس بطرس:

« نبتدئ بعون الله وحسن توفيقهِ في تاريخ يبيّن تجديد هيكل القديس شليطا في بلاد كسروان. واتُخذ هذا التاريخ من كتاب المطران ثادرس مطران مدينة حماة كما وجدنا في كتبنا. فيقول المطران المذكور انهُ في تاريخ سنة ١٢٦٤ للاسكندر بن فيلبوس المقدوني انشأ هيكلًا عظيماً على اسم القديس مار شليطا في قرية من كسروان الشام كواليز بخُص (١ كواليز سلطان فرنسة من مالهِ لنفسهِ وزيّن هيكلهُ بالاوجاه والثياب الكهنوتيّة الفاخرة وفي القناديل والصلبان الذهبيّة وفي دهاليز قدام ابوابهِ وتكلّف عليهم زايد الكلف في حجـــار القرقوبة (القبّة ؟) داخل الكنيسة وخارجها وكان بلاد كسروان في امان ووفق ومحبة زائدة وغيورين على الايمـــان وذلك من غيرة ملكهم سلطان فرنسة الذي تولى حكم بلاد الشرق من حدود غزّة الى حدود انطاكيـــة وظفر في هذه المملكة سلطان فرنسا وتولّى حكمها من الملك صلاح الدين الظاهر سلطان مصر في غزوةٍ كبيرة ما خلا مدينة الشام

(١) اي Chevalier Bachus ؟ لم نرَ بين اسماء الاسيـــاد والاشراف الذين رافقوا القديس لويس في الحملتين ٧ و ٨ اسماً يقرب من هذا الاسم ولعلّ اصحاب البحث يهتدون الى حقيقة الامر

على انَّ في هذه الكتابة نظرًا فالكاتب يقول ان الهيكل بناهُ كواليرِ بخُص سنة ١٢٦٤ للاسكندر اي سنة ٩٥٣ م. ومن المعلوم ان الفرنج لم يكونوا بعدُ اتوا الشرق. وجلُّ ما نعلمهُ من التاريخ انهُ اتى الشرق ملكان من ملوك فرنسة فالاول هو لويس السابع اتى سنة ١١٣٧. والثاني هو القديس لويس او لويس التاسع اتى الشرق سنة ١٢٤٩ فلو فُرض ان الناسخ غلط في قولهِ سنة ١٢٦٤ للاسكندر وكان الاحرى ان يقول للمسيح فيمكن القول بان احد عظماء الافرنسيس حلَّ في كسروان عند مجيء الملك لويس الى فلسطين وان الكواليرِ بخُص على قول ثادرس بنى هذا المعبد وحوَّلهُ قصرًا لسكناهُ وان بقايا هذا البناء كانت موجودة لمَّا اخذ القس يوحنَّا في تجديد الكنيسة

فهذه الكتابة على ما يظهر خالية من مستندٍ وتدقيقٍ كافٍ. لأنّنا لا نعلم من هو هذا ثادرس مطران حماة ولا نرى كيف يمكن ان نطبّق على التاريخ شهادتهُ التي نقلها عنهُ صاحبُ الكتابة فالاحرى ان نقول ان كتابة ثادرس او من علّق هذه الكتابة على كتاب ثادرس ونقلها عنهُ القس بطرس من عجلتون وهي عبارة عن تقليد قديم مشوَّه بالحكايات بناه تصوُّر الموارنة الحقيقيّ في عظمة الافرنسيس وبطشهم. نعم ان الملك لويس التاسع القديس لم يملك الارض من غزّة الى انطاكية لكن الكاتب لعظم تصورهِ بالافرنسيس يحمل عليهم كلَّ اعمال البسالة التي اجراها من كان قبلهم. ويُحتمل ان يكون المراد من قولهِ « تولى البلاد » اي حصَّن الشطوط البحريَّة وهذا ما فعلهُ القديس لويس وكان ملك مصر والشام يحاول كلٌّ منهما اجتذاب القديس لصداقتهِ وعقد معاهدة معهُ كما قال المؤرخون فاستفاد الملك من هذه الحالة وامتدَّت سيطرتهُ بما أمدَّ بهِ النصارى من المساعدات حال وجودهِ في فلسطين

ومن المقرَّر انهُ كان يوجد بناء قبل ان جدَّد القس يوحنَّا الدير والمعبد ولكن من بناهُ وفي اي عصر فهذا امر مغشّى بديجور ظلمات كثيفة وحبَّذا لو ازاح نور التاريخ هذه المُبهَمات.وزيادةً على ذلك نقول انهُ لا يوجد في البناء ولا بجوارهِ حجر يدلُّ على انَّ ذاك البناء كان من ابنية الفرنج. واذ لم يتقرَّر عندنا بعد ان البناء القديم بناهُ الكواليرِ بَخُص فلا يُنكَر انهُ كان يوجد اطلال دير او معبد قبل تجديد القس يوحنَّا للبناء. وهذا البناء لا بدَّ انهُ كان من الجيل الثالث عشر وانهُ خرب بتمادي الزمان بعد خراب

كسروان لاول مرَّة سنة ١٢٨٧ كما قال الدويهي او سنة ١٣٠٧. وقال صاحب مختصر تاريخ لبنان بعد ايراده حادثة خراب كسروان: « اما اواسط كسروان فدامت خرابًا مدَّة مستطيلة ومركز دير مار شليطا في اواسط كسروان فالشطوط والازواق كانت مأهولة واعالي لبنـــان كفارَيا وميروبا كانت كذلك بخلاف اواسطهِ » والله اعلم بالصواب

(ستأتي البقية)

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني • (تابع لما سبق)

امَّا الاب يوحنا فانتظر نهاية الازمة ثم قال:

تقولين انك تريدين الخلاص وتتكلَّمين عن الموت... ولا شك ان الموت هو أفضل دواء لكل الشرور ... والحق يُقــال انهُ ليس بدواء جديد بل هو علاج كل نفس ضعيفة. وعندما تسأليني قائلةً « لماذا يبلوني الله تعالى ويمتحنني ؟ » تشبهين جنديًا شابًا دُعي الى ساحة الوغى لاول مرة فصرخ قائلًا: ترى ماذا صنعت لقائدي حتى يعرّضني لمخاطر الحرب ؟ فيقال لهُ وقتــئذٍ انك جندي وهو قول كافٍ وافٍ لمن احسن التدبر والروِيَّة. كذلك في جهاد الحياة لا يسلم احد من المحن والبلايا... وقد قضي على كل انسان ان لا ينال عظمةً او فائدة الَّا ممتزجة بالمشقَّة والغمّ والعذاب فاذا لم يشقّ الحارث قلبَ الارض وينصب بفلاحتها فلا يصيب غلَّةً تقوتهُ. ولا تكون الوالدة والدةً ان لم تقاسِ العذاب. ودون مخاوف الحرب وكرائهها من اين تُعرف بسالة الجندي ؟

وانت بدلًا من الجهاد والقتال في هــذه الدنيا تقصدين ان تلقي بسلاحك في ساحة الوغى

— صدقتَ يا ابتِ فاغتفر لي هذه الكلمات التي حملني عليهــا عذاب مقيم ضلَّل عقلي واعمى بصيرتي ويكفيني اني عرفت ذنبي وقد اخطأت الى الله واليك يا ابانا يا من اظهرتَ لي كل الحنو والرأفة في جميع الاوقات

— انك تضلّين ضلالًا بعيدًا اذا كنت تتوهمين بانك امرأة قويَّة العزم اسمعي مني وعي. ولا يخفاك انَّ الشيوخ يحبون ذكر امثال ماضية

— تكلّم يا ابتِ فان كلامك يعزّيني ويطفئ نار عذابي. قُل فكلّ كلمة منك تعلمني الاقتداء بصبرك وتصبّ على قلبي روح التسليم والرضى بما قضاه الخالق.

— اسمعي لي اذًا ان اخبرك قصّة امرأة أُخرى كانت في الحقيقة قويّة العزيمة ثابتة الجأش تجاه الشدّة. وما اردت ذكرها على مسامعك الّا لانها تشبه قصتك:

كان كلوتير ملكًا على الفرنج والبلاد التي اتى منها اجدادُكِ. وكان يحب امرأتـهُ راديغوندة حبًا عظيمًا وقد رُزق منها ستة اولاد. ففي ذات يوم تقدمت اليهِ راديغوندة المذكورة التي كان حبُّهُ لها كما قلنا لا يحيط بهِ حدّ وسألتهُ ان يسعى في تزويج شقيقتها التي هي اصغر منها الى شاب من الملوك يليق بها. غير ان هذه الشقيقة نزلت من قلب الملك منزلة عظيمة جدًّا حملتهُ على ان يجاوب امرأتهُ بقولهِ:

— لقد اتممت رغبتك وبحثت لشقيقتك عن افضل البعولة فلم اجد افضل مني... فسأتخذها اذًا عروسًا لي بدلًا منك وفي ظني ان امرًا كهذا لا يسوءكِ. واذا ساءكِ فمن يقاومني وانا ملك ليس عليّ ان اؤدي حسابًا لاحد

فوقع هذا الكلام على راديغوندة مثل الصاعقة المنقضّة غير انها لمّا كانت قويّة النفس وشديدة الحزم سكّنت ما ثار في نفسها من الغيظ والحنق واكتفت من جواب الملك بقولها:

ليفعل سيدي الملك ما يحسن في عينيـهِ. ولكن غاية رجائي ان يتكرّم على من كانت امراتهُ ان تحيا في حظوة سيدها الملك...

وهمّ الاب يوحنا ان يتمّم القصة غير ان راحيـل صرخت صرخةً عظيمة اشبه بالرعد في وقت الزوبعة وقاطعتهُ قائلة:

— لم يكن صعبًا على تلك الافرنجيّة ان تكتم محبّتها لانها لم تذق طعم المحبّـة اصلًا... وعلى كل حال فقد فاتتها شهامة الحبّ كما فاتتهـا حميّتهُ وحرارتهُ. كلا انهُ مهما كان الحب المجرد عن شين المنفعـة خالصًا ونقيًا لا يتمّ ولا يكمل الّا اذا اقترن بشهامتهِ الفطريّة وحرارتهِ الطبيعيّة... نعم ان كلوتير الذي تتكلّم عنهُ كان ادنى من ان يستأهل هذه الحرارة... غير ان زينًا ليس من هذا الصنف ولكنهُ شريف المبادئ نبيل الاخلاق رقيق الطباع حتى الآن اي وقت ضلالهِ وابتعادهِ عني. وهذا هو السبب

الذي من اجلهِ لا استطيع ان انقطع عن محبتهِ واطفئ نار الحميَّة التي كثيرًا ما يشعلها الحب

وكان النوتي في اثناء هذه المحاورة واقفًا على مسافة يسيرة . غير ان هذا الرجل المجهول الذي كان قد اتى بهِ الخادم موسى من قرية قطينه لمَّا سمع الكلمات الاخيرة من حديث راحيل كرَّ مسرعًا وخلع الطيلسان الذي كان ملتحفًا بهِ وانطرح على قدمي المرأة المغمومة وكشف عن صدرهِ قائلًا :

اطعني هذا الصدر اللئيم وخذي بثأرك فقد حقَّ لك الانتقام . ايتها الضحيَّة البارَّة الشريفة عاقبي جلَّادك الذي انزل بك ما لا تستأهلين من الهمّ والنكد . . .

ولم يكن المذكور سوى زين زوج راحيل المقدَّم . واعترى اذ ذاك شهود هذه الحادثة ضرب من الدهشة والجمود فوقف الكل مبهوتين حائرين وقد نشر الصمت لواءهُ فوق رؤوسهم . غير ان راحيل بعد ان حقَّقت النظر في من كان يتوسَّل اليها وهو خارٌّ على قدميها وعرفت انهُ زوجها افرخ روعها بغتةً وذهب ما شعرت بهِ من القلق ثمَّ سقطت خائرة القوى بين ذراعيهِ

وقد سبقت لنا الاشارة ان زينًا كان قد انتبه الى سلوكهِ الملتوي وفطن لما تقاسي قرينتهُ الفاضلة الامينة من الغصص والنكد بسببهِ فكان قصد ان يرعوي في الحال عن كلّ ما يكدرها ويعكّر صفاء عيشهِ وعيشها . ولكن اعظم النـاس استقامةً واحسنهم سريرة قد تمنعهم الخيلاء عن انتهاج طريق الصواب ولو رأوهُ واضحًا ومتى ملأ رؤوسهم بخار الغطرسـة اعمى بصائرهم ولو كانت منيرةً وأزاغ عقولهم ولو كانوا من أشدّ الخلق استقامةً وحزمًا وكل ذلك لان الانسان يصعب عليهِ ان يعترف بخطائهِ وهذا هو السبب في ما نلاحظهُ من التناقض وفوات الارتباط في اعمال البعض من الذين عُرفوا بمكارم الاخلاق الموحية الى الناس وجوب احترامهم واكرامهم

وكان المقدَّم زين اوشك ان ينقاد للضعف البشري ككثيرين غيرهُ . وقد عرفتَ ممَّا سبق بيانه انهُ في سيرتـهِ لم يُزَنَّ بشيء يخالف الامانة والاخلاص . وان قلت كيف طاوعهُ قلبهُ وضميرهُ على ان يُنزل بقرينتهِ ما انزل بها من الغم ويصدّ عنها كلّ ما مرَّ عليك خبرهُ من الصدود والاهمـال . أجبنا ان ذلك سرٌّ من اسرار القلب البشري ولو انهُ كان اقل تمسُّكًا بمبادئ الشرف والضمير لساقهُ تيَّار الاهواء الى ما لا تُحمد عاقبتهُ

غير ان ما طُبع عليهِ من استقامة الفطرة ما لبث ان تغلَّب على فؤاده ولكن بعد حرب طويلة داخليَّة ومعارك كثيرة باطنيـــة أذاقتهُ الامرَّين. وكلّ ذلك لانهُ كان يستصعب الاعتراف بذنبهِ والاقرار بانهُ عذَّب افضل النساء امانةً واخلاصاً لازواجهنَّ ولهذا كان في بادئ الامر يحاول مقاتلة صوت ضميرهِ ويلجأُ الى الاقيسة الفاسدة ليبرّئ بهـــا نفسهُ قدام هذا القاضي العادل. . . غير ان الراحة هجرتهُ من ذاك الوقت هجراً كاملاً فاستمرّ ضميرهُ يوبّخهُ توبيخاً لاذعاً على العذاب الذي ركّهُ بخفّتهِ وطيشهِ على هامة قرينةٍ تُعدّ من فضليات النساء

وكان موسى الخادم الامين قد سعى جهدهُ في تقريب القلوب واعادة الحب القديم الى مجراهُ لانهُ بينما كان ذات يوم مصاحباً مولاهُ في احد اسفارهِ العديدة سألهُ زين عن السبب الذي من اجلهِ كانت راحيل تغيب عن القصر مراراً في السنة فباح لهُ المذكور بكلّ شيء. فتظاهر زين بالارتياب والشك. فاشار عليهِ موسى ان يذهب الى قرية قطينة على ضفَّة بحيرة قدَس ليتحقَّق بعينهِ صدق الخبر. وعلى ذلك فبسميهِ تنكَّر زين بثوب نوتي وسافر الى جزيرة البحيرة حيث سمع من فم امرأتهِ اقرارها بعذابها الدائم وانها مع ذلك تحبهُ من كلّ قلبها حتى انها تهوى الموت من اجلهِ

ولا سبيل الى اكتناه ما شعر بهِ زين وقتئذٍ من الخجل فاحسَّ كأنَّ الجبال اطبقت عليهِ وساقتهُ الندامة الى ان يخرَّ عند قدمي امرأتهُ قائلاً: رُحماكِ رحماكِ قد كنت جلّادك فهل تنعمين عليَّ بالصفح الجميل ؟

امَّا راحيل فما اجابت بغير ذرف الدموع. وكانت دموعها هـــذه المرَّة دموع فرح وابتهاج وهذا كل ما كانت تشتهيه من إدراك ثارها وقطُّ لم يخطر ببالها سواهُ. لانها في الحقيقة كانت ذات نفس سامية. نعم انهـــا كانت فخوراً متباهية ولكن فخارها غير ناجم عن خيلاء مصدرها الحماقة والجهل بل عن مزيد الاطمئنان الذي يوليهِ صفـــاء الضمير الى صاحبهِ

وبعد ان شاهد الاب يوحنا حبيس الجزيرة هذا المنظر المؤثر هتف بصوت رزين قائلاً :

اجل انهُ ليعزّ على القوَّة البشريَّة ان يبقى الحب مجهولاً ومكتوماً ويتَّصل حتى نسيان الذات وتلاشيها. . . ألا ان السعي والاجتهاد في هذا السبيل لا يخلو من فضل

واجر ولهذا صدر عنهُ بعض الخير لانهُ اعاد من كانا جديرين بالتحابّ احدهما الى الآخر... حقًّا ان المحبّة البشريّة يمكن ان تُقابل الى حدّ محدود بالمحبة الالهيّة ولهذا ايتها السيدة الشريفة لا يُعدّ امرًا مستغربًا قصدكِ راهبًا في الثمانين من عمرهِ لاجل طلب النصح والمشورة منهُ. فمحبّة الله حتى في وسط العالم هي بلا ريب من الامور السهلة. ولكن الصعب هو ان نحبهُ حبًّا مجرّدًا عن الغاية الشخصيّة او بالحري ان نحبهُ لاجل نفسهِ لا لسبب آخر. وهو امر يمكن ان لا يكون قد ادركهُ حقّ ادراكهِ أعاظم القديسين. وهذا هو السبب الذي من اجلهِ تظهر محبّتنا لله في اغلب الاوقات مثل حرب مترددة في الخير وكفّارة ناقصة في الشر لانهُ لا كمال في هذا العالم وانما الكمال في السماء.

فسعدًا اذًا للمتحابين الارضيين الذين يخرجون نظيركما ظافرين من حلبة الجهاد ويستطيعان ان يتأملا بعين راضية في الكفّارة الماضية

ثم انهُ رفع يدهُ فباركهما بين زئير الزوبعة التي في اثنائها كانا تلاقيا وتصالحا وبينما كان الجوّ فوق قمم عكّار يدوي بزمازم الرعد كان الحبيس ينهي صلاتهُ بقولهِ « امين »

٢٣

ماذا جرى للاب يوحنّا وكيف كان مصيرهُ ؟

بقي هذا الشيخ الجليل في الجزيرة حيث تناوبتهُ الاوجاع والآلام ولم يكن لهُ عزاء في بهرة غاراتها سوى التأملات الباطنة والعلائق المتّصلة مع الله ربهِ. وكان في حياتهِ كلها يرتاح الى خلوةٍ يصير فيها منسيًّا وقد ظفر بما تشتهي نفسهُ فلم يكن ليريد من اصدقائهِ سوى هذا الخير السامي في نظرهِ

وعليهِ كان يرى تلك الجزيرة جميلة جدًّا بما فيها من أغراس التين واشجار الحور وغابات القصب التي تلجأُ اليها أسراب البط ويستحسن منظر النطاق المائي المحيط بها وجوّها الحارّ اللامع نورًا واشراقًا ومناظر الجبال المشرفة عليها واشدّ من ذلك الوحدة التي لا يقلقها مقلق. وكان اذا التفت الى قلايتهِ ورأى حقارتها والحجارة السوداء التي بُنيت بها تجول في خاطرهِ افكار كثيرة وتذكارات شجون عديدة حتى لا يعود يشعر بحزن على مفارقتها

فبناء عليهِ كان من المستحيل حملهُ على ترك منفاهُ الذي اصبح عندهُ عزيزًا من

جملة وجوه. ومن ثمَّ ذهبت باطلًا كل الحاحات زين وراحيل عليهِ في مرافقتهما لانهُ عزم على ان يموت في المكان الذي قد طالما صلّى فيهِ و نَصِب وتوجّع

وكذلك عبثًا عرضا عليهِ ان ينهي ما بقي من حياتهِ في البترون او في دير من ديورة الناحية كدير كفرحي او دير البلمند في الكورة الذي كانت حمايتهُ مختصَّة من قديم الزمان باسرة لبطريك لكنهما لم ينتفعا شيئًا من هذا كلهِ. فكفَّا عن الالحاح في الطلب ليقينهما بان كلّ ما يبذلانهِ من المساعي لا يقوى على تغيير عزيمة الحبيس في شيء.

انَّ في قلوب البشر لسرًّا فلا توجد محبة في الاقل محبة بشريَّة دون ان تكون ممتزجة بشيء من الخيلاء والانانيَّة ولقد ضلَّ الاب يوحنا في ذهابهِ الى خلاف ذلك ضلالًا سمحت بهِ العناية الالهيَّة لتقريب قلبين ما كان اجدر كلًّا منهما بالآخر. وكيفما كان الامر يجب القول انهُ لولا المثل السامي الذي اعطاهُ فادي الناس الاله المتأنس لاجل خلاصنا لما عرف العالم اصلًا ما هي الرأفة الحقيقيَّة الخالصة ولا ما هي المحبة الخالية بالتمام من الاغراض الشخصيَّة

ثمَّ انَّ المقدَّم وقرينته شكرا للحبيس جميلهُ بارقّ العبارات وألطفها وبادرا الى السفر والاجتماع مع بعضهما بعيدين عن الانظار تعويضًا لما كان فاتهما من اوقات الأُلفة والاتفاق. وكانا يحسبان السنتين اللتين صرفاهما بالغم والنكد بمنزلة دهور طويلة فلذلك قد خيِّل لهما انهما قد تلاقيا بعد غيبة طويلة وأنهما يعيشان بعد ذلك بما لا مزيد عليهِ من الحب والائتلاف. وعلى اثر وداعهما للاب يوحنا الذي استخدمتهُ العناية الالهيَّة كآلة لاجتماعهما سارا في الطريق المؤدية الى جبل لبنان

ولمَّا اقترب النهار هدأت الزوبعة التي كانت ثائرةً في الليل وعاد الى الجوّ صحوهُ ونقاوهُ وطلعت الغزالة من وراء قمم الجبل الشرقي الى ناحية جوسية مفيضةً اشعَّتها على سهول حمص. وكان كل شيء كاسيًا بحِبَر المسرَّة وجميع ما في الطبيعة ضاحكًا يشارك هذين الزوجين في حبورهما الذي صوَّر البحيرة لاعينهما بجمال فائق لم يشاهداهُ قط فيها ومثَّل لهما الوَعر باسمًا ومرحّبًا مع انهُ معروف بوحشتهِ واقفارهِ وحجارتهِ السوداء التي تلمع تحت نور الشمس كلمعان فحم قريب الانطفاء. وقصارى القول ان ائتلافهما جدَّد لهما السعادة والهناء وكثيرًا ما ردَّدا ذلك على بعضهما عند اجتيازهما البحيرة للمرَّة الاخيرة

(الباقي للآتي)

مخطوطات عربية في الالفاظ الكتابية

للاب لويس شيخو اليسوعي

نشرنا قبل خمس عشرة سنة كتاباً نفيساً يُدعى « الالفاظ الكتابيّة » لعبد الرحمان ابن عيسى الهمذاني وقفنا على نسخةٍ منـهُ في مكتبة الملك الظاهر في دمشق الشام يرتقي عهدها الى سنة ٥٧١ هـ (١١٧٦م) وقابلناها على نسختين أُخريين الواحدة منهما نقلها الاديب الفاضل سليم افندي البخاري عن نسخة مخطوطة سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤م) والثانية كُتبت سنة ٥٢٢ هـ (١١٢٨م). وقد اصاب هذا الكتاب حظوى لدى الادباء وادرجتهُ ارباب المدارس في سلك كتبهـا التعليميَّة لما تحقَّقوهُ بالاختبار من فوائد هذا الكتاب الذي شهد لهُ الوزير الصاحب بن عبَّاد بقولهِ « انَّ كتاب الالفاظ لعبد الرحمان ابن عيسى جمع شذور العربيَّة الجزلة في اوراق يسيرة ورفع عن المتأدبين تعب الدروس والحفظ الكثير والمطالعة الدائمة (١ ». وممّا يدلُّ على رواج هـذا الكتاب انهُ بوقت يسير تكرَّر طبعهُ سبع مرَّات ونحن لم نزل نراجعـهُ ونصحّح الفاظهُ ليكون اوثق نصًّا واتمَّ فائدةً

ثمَّ رحلنا بعد ذلك الى الاقطار الاوربيَّـة ودخلنا مكاتبها الكبرى فوجدنا من كتاب الالفاظ لعبد الرحمان بن عيسى نسخاً أُخر خطِّيَّة قديمة احداها في خزانة كتب لندرة لا تاريخ لها نرجّح انها كُتبت في القرن الرابع عشر للمسيح. والأُخرى في خزانة كتب ليدن من اعمال هولندة عليها خطّ الشيخ العلامـة اللغوي موهوب الجواليقي يشهد في سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥م) انَّ الرئيس ابا محمد الحسن بن حمزة بن محمد قرأ عليهِ كتاب الالفاظ من اوَّلهِ الى آخرهِ. هذا فضلًا عن نسخة ثالثة في خزانة بطرسبرج لم نطَّلع عليها

وهذه النسخ المتعدّدة لمثل هذا الكتاب تدلُّ دلالةً لامعة على ما اصابهُ تأليف عبد الرحمان بن عيسى من المقام الرفيع في الاعصار الغـابرة. وقد راجعنا هذه النسخ وفي نيَّتنا ان نستفيد منها كلها اذا ما سنحت الفرصة فنعيد طبع الكتاب على طريقة

١) راجع ترجمة عبد الرحمان الهمذاني في مقدَّمة كتابهِ الذي تولَّينا نشرهُ في مطبعتنا

علميَّة مع الاشارة الى كلّ نسخـــة بعلامات اصطلاحيَّة كما يفعل العلماء المستشرقون ليكون هـــذا الكتاب دستورًا يرجع اليهِ كلٌ من يزاول الكتابة العربيَّة ويضنّ على سلامتها من شوائب الهجنة والركاكة

*

بيد انَّ تأليف عبد الرحمان بن عيسى الهمذاني المتوفى سنة ٣٢٠هـ (٩٣٣م) مع قدمهِ وفوائدهِ ليس هو اوَّل كتاب صنَّفهُ ائمة العرب في الالفاظ . فانَّ الحاج خليفة في تأليفهِ الشهير كشف الظنون (طبعة لندن ٥ : ٤٩) ذكر ثلاثة كتب في الالفاظ الاول منها لابي سعيد عبد الملك الشهير بالاصمعي المتوفى سنة ٢١٦ هـ (٨٣١م) والثاني لمحمد بن زياد المعروف بابن الاعرابي المتوَّفى سنة ٢٣٢ هـ (٨٤٦م (١)) والثالث لابي العبَّاس احمد بن يحيى الثعلبي المتوَّفى سنة ٢٩١ هـ (٩٠٤ م) وكلٌ هذه التآليف قد اودت بها يد الزمان ودخلت في خبر كان

وممَّا لم يذكرهُ الحاج خليفـــة كتاب جليل في الألفاظ صنَّفهُ قبل عبد الرحمان الهمذاني ثمَّ هذَّبهُ الشيخ ابو زكرِيَّا التبريزي شارح كتاب الحماسة . وهذا المصنَّف قد تولَّينا طبعهُ على نسخة قديمـــة وجدناها في مكتبة ليدن مع شروح التبريزي ثمَّ اطلعنا على نسخة ثانية في باريس فيها متن الالفاظ دون الشروح فقابلناها مع النسخة اللَّيدنيَّة وأضفنا الى الكتاب حواشي وتذييلات وعشرة فهارس فجاءَت هذه الطبعة فريدةً في بابها اجمع كلٌ العلماء على اطرائها

ولا نشك انَّ عبد الرحمان الهمذاني راجع كلَّ هذه التآليف القديمة فاختار منها ما استحسنهُ لكتابهِ الالفاظ الكتابيَّة لتزيد بذلك فوائدهُ ويتوفَّر جدواهُ

*

وكما ان تأليف عبد الرحمان الهمذاني ليس باوَّل كتاب وُضع في الالفاظ الكتابيَّة كذلك جاء بعدهُ تآليف عديدة نسج اصحابها على منوالهِ واقتفوا بمعالمِهِ وآثارهِ . وقد ارشدنا الى بعض هذه المصنَّفات قومٌ من اهل الادب جعلونا بذلك حلفاء فضلهم واسروا قلوبنا باواصر لطفهم . فمن ذلك كتاب قديم هدانا اليهِ حضرة العلامة اللغوي المتفـــنن الاب انستاس الكرملي وجدهُ عند صاحب المآثر العديدة الاديب الفاضـــل الشيخ

١) هذا هو الصواب . وفي طبعة الحاج خليفة ٢٢٣ وهو غلط ظاهر

شكري الآلوسي في دار السلام فجاد علينا بنَسْخ بابِهِ الاوَّل وهذا الكتاب كما قيل لنا « قديم الكتابة والقرطاس ليس عليهِ اسم المؤلف وهو غُفل من العنوان » . واليك الباب الذي أُرسل الينا :

(يقال) هو كريم النَّسب . عظيم الحسب . زاكي الأُرومة . طيّب الجرثومة . شريف العُنصر . عظيم المَفخر . طاهر الأُمومة . نجيب العمومة . عتيق الخُؤولة . عريق الفصيلة . رفيع المحتِد . شامخ السَّنَد . صريح النِّصاب . نيّر الشّهاب . كريم التركيب . سليم المَنيب . شريف القدم . نظيف الادم . رائق المِضَبّ . باذخ المَرقب . راسخ الجِذل . راسب الاصل . مُصفّى الجبلَّة . رحيب الجِلّة . كريم الماسّ . قويُّ الاساس . شاهق الطَّود . صائب الجَوْد . كريم العناصر . شريف العشائر . طيّب المغارس . نقيُّ الملابس . وهو عالي العماد . واري الزناد . محض الضَّريبة . ميمون النقيبة . نقيُّ الجَيب . امين الغيب . مبرَّأ من العيب . منزَّه من الرَّيب . رحيب الباع . مبسوط الذراع . ضخم الدَّسيعة . جمّ الصَّنيعة . شديد القوى . بعيد المَدى . سليل جزيل الرِفد كثير النوال . جميل الفَعال . رابط الجاش . طاهر الرياش . رفيع البيت . بعيد الصَّوت . خصيب المَرْحل . رفيع المحلّ . حلو الشمائل . خلو من الرذائل . مبرًّا من البذاء . منزَّه من الاقذاء . قويُّ الساعد . بطل معاود

(يقال) انَّهُ لكريم الاخلاق . ماجد الاعراق . بارع السوْدد . فاضل المحتد . كثير الصَّواب . حميد الجواب . فصيح اللسان . رَحب اللَّبان . ماضي الجَنان . يأبى الدنيَّة و يودّ السنية . ولا يخيب آملهُ . ولا يعدم نائلهُ . ولا يُحرم سائلهُ . كريم الخليقة . مستقيم الطريقة . أخلاقهُ سنيَّة . وأثوابهُ نقيَّة . ونفسهُ ابيَّة . وعشرتهُ رضيَّة . وعطيَّتهُ هنيَّة . لا يُستباح حريمهُ . ولا يُشنأ نديمه . ولا يدنس اديمهُ . وهو السيد المضرحيّ . والسخيُّ الاريحي . والجميل الاروع . والخطيب المصقع . والشجاع المشيَّع . والذكيُّ اللوذعي . والبصير الألمعيّ . وهو سيّد العشيرة وسندها . وظهيرها ومعتمدها . ورئيسها وامامها . وظهرها وشامها . وهو وجه العشيرة . ومِدرهُ القبيلة . وانهُ لشهابُ الخطوب . وسنا نار الحروب . وضِرامُ حين اللقاء . وحمام يوم الهيجاء . ان سُوبق سبق . وان طلَبَ لحِق . وهو اعزُّهم جارًا . واحماهم ذمارًا . وأعلاهم عمادًا . واوراهم زنادًا . واكثرهم مَددًا . وابعدهم أمدًا . واطولهم باعًا . وأبسطهم ذراعًا . وأشرفهم حسبًا . واكرمهم مَنصبًا . واجودهم كفًّا . واحماهم انفًا . وأخصبهم رحلًا . وارجحهم عقلًا . واتمّهم حلمًا . واتقنهم علمًا . واثقبهم فَهمًا . وأسناهم عطيَّة . وامدُّهم قامة . واطولهم دِعامة . وافصحهم لسانًا واجرأُهم جنانًا . واحسنهم بيانًا وارحبهم لَبانًا . واكرمهم إحسانًا . وانداهم بنانًا . واجودهم ديمة . واشرفهم شيمة . وأصوبهم رأيًا . وأصدقهم رأيًا . وأوفاهم عهدًا . واوكدهم عَقْدًا . وأقدمهم رئاسة . وأحسنهم سياسة . وانجزهم موعدًا . وأعظمهم سوْددا . ولهُ في كلّ فضيلة القسط الاوفى . والحظُّ الاعفى . والسهم الاعلى . والقِدح المُعلَّى . والزِند الأورى . والشُّرب الاروى . والقسم الاكفى . والنصيب الاسنى . ولهُ العطاء الاكبر . والحباء الاغمر . والبرّ الاوفر

ومن المثال السابق ترى ما لهذا الكتاب من عظم الشان وسعة الجدوى

*

ومن التآليف التي تلحق بالالفاظ الكتابيَّة مصنَّف جليل وصل الى يد القانوني البارع والاديب الفاضل جرجي افندي صفا يُدعى «كتاب بحر الاسجاع» مخطوط في سنة ٥٢٩هـ (١١٣٦م) واسم مؤلفهِ مفقود من اولهِ وكذلك ذهب قسم من مقدَّمة الكتاب. ومما ذكر في ما بقي منها قولهُ: «وابرزتها (اي الالفاظ) مسجَّعةً مرصَّعة الَّا ابوابًا في آخر الكتاب لم يُحتج فيها الى السجع والترصيع فاوردتها منثورة وتقرَّبتُ بهذا التأليف الى محل الكرم والجد ابي الفتح المظفَّر بن حمد ادام الله سعادتهُ ولقَّى مولانا الشيخ الرئيس فيهِ أُمنيَّتهُ وهو عمدة الكتَّاب اذا كتبوا والخطباء اذا خطبوا». وهذه بعض ابواب نقلها مالك الكتاب حفظهُ الله لننشرها في مقالتنا كمثال يُعرَف ما لهُ من الخطر ويمكّن القراء من المقابلة بينهُ وبين الكتب المشابهة لهُ:

يقال: أصلح الفاسد. وحصَد (؟) المعاند. ولمَّ الشَّعث. ورمَّ ما شذَّ وانتكث. وضمَّ الأشَر. وجانَب الشرَّ والاشَر. ورمَّ الرثَّ. ووصل ما قُطع واجتثَّ. وجمع الشَّتات. وهجر الظلم والإعنات. وأسا الكَلْم. وسدَّ الثَّلْم. ورتق الفَتق. ورقعَ الوهيَ والخرق. وشعَب الصَّدع. ورأب القَطع. ولأمَ الثَّأي. ورتَق ما وَهي. وحاص الشّق. وألحم الفتق. وردم الثُلمة. وكشف الغُمَّة. وسدَّ الفُرَج. وسكَّن الرهَج. وأقام الأوَد. وأزال العند. وتلافى الخلَل. ونفى الوَجَل

(باب) تقول: في انتصابهِ عَوَج. وفي دينهِ عِوَج. وفي رجلهِ عرَج. وفي انفهِ قنًى. وفي حنكهِ صنيٌ. وفي خدّهِ صعَر. وفي صدرهِ زَوَر. وفي جيدهِ غَيَد. وفي قدّهِ صيَد. وفي عينهِ حوَل وقَبَل. وفي عُنقهِ وقَص. وفي قَرنهِ عقَص

(باب) يقال: ازِف رحيلُهُ. وازدلف أُفولهُ. وحان وقت ظعَنهِ. ومزايلة وطنهِ. وآن توديع سكّنهِ. ومفارقة شجنهِ. واَحمَّ ارتحالهُ. واَجمَّ زيالهُ. وأفِد شخوصهُ واظلَّ. وخفَّ رحيلهُ واستقلَّ. وقد زمَّ جمالهُ. واوكف بغالهُ. وحمَّل اثقالهُ. وقد برَّز المضارب. وعكم الحقائب. وقد قضى مآربهُ. واخرج مضاربهُ. وخرب خيامهُ. وقدَّم نوبتهُ أمامهُ. وقد مرَّ لطيَّتهِ. وتوجَّه لمقصدهِ. ولزم المضاء. وقدَّم النجاء. وقد اعجلتُ الرجل واستعجلتهُ. وأهَبت بهِ وحفَزتُهُ. وازعجتهُ واوفزتهُ

(باب في اجناس أوائل الاشياء وأواخرها) يقال: غيرة الشهر وغُرَّتهُ. وتباشير الصبح. ورعيل الخيل وأراعيلهُ. واراعيل الرياح. وعثانين السحاب. ورعن الجبل. وعرانين كل شيء. وعدَّان الامر والشباب وعُنفوانها وريعانهما. وردع الانسان مقدَّم انفهِ وفمهِ. وهادي كلّ شيء. وميعة الشباب والحضر. وبديهة كل شيء وبداهتهُ. وبُسرة الشمس والنبت. ورنشة الغلام والسحاب. (ويقال في أواخرها) غبُّ الشيء ومغبَّتهُ وغُبَّرهُ وغُبرهُ وسوْرهُ وعاقبتهُ وعُقباهُ وعُقبهُ وعقبولهُ وخاتمتهُ وخاتمتهُ وذنابتهُ وذناباهُ

(ومن بدائع اسجاعهِ) هو افصحهم لسانًا. وأجرأهم جنانًا. واحسنهم بيانًا. وأرحبهم لبانًا. وأجودهم ديمة. واشرفهم شيمة. وأصوبهم رأيًا. وأوفاهم عهدًا. واوكدهم عقدًا. واقدمهم رئاسة. واحسنهم سياسة. ولهُ في كلّ فضيلة القسط الاوفى. والحظُّ الاعفى. والسهم الاعلى. والقدح المعلَّى.

والزند الأورى . والقسم الاكفى . والنصيب الاسنى . ولهُ العطاء الاكبر . والحباء الاغمر . والبرّ الاوفر . (ومن ذلك) التغابي مع امكان السطوة اجمل . والتغافل مع تهيؤ القدرة افضل . والتغاضي مع علوّ القدر أنبل . والحلم مع القدرة اكمل . والمُسامحة مع نفاذ الامر اكرم . والصفح مع انبساط التمكن اعظم

*

ومن كتب الالفاظ التي تجانس التآليف السابق وصفها كتابٌ تلطّف جناب الاديب الالمعي الحاجّ محمد افندي الحبّال فاعارنا اياهُ يُدعى «كتاب نظم الجواهر» واسم مؤلفهِ قد سحجهُ بعضُ الجهال لامرٍ ما وشوَّههُ بالمداد وغايةُ ما يمكن قراءتهُ انهُ «تأليف الشيخ الامام ابي العبّاس يحيى (ولعلهُ احمد) بن عبد الله اللغوي البغدادي رحمهُ تعالى». ويلي هذه المقدّمة ما نصهُ:

«واليهِ (كذا ولعلهُ: يليهِ) ألفاظ الامير شمس المعالي قابوس في معان غريبة والفاظ عجيبة في الصفات اللغويّة والمعاني الادبيَة في عشرة ابواب» . ثم يلحق هذا قصيدة «برسم مولانا المقام العالي السلطاني الملكي الاشرفي حفظهُ الله» مطلعها:

هو الملك الاشرف المرتجى   سليل ملوك الورى المُنتجَبْ

وفي ذيل الصفحة اسم «الخاتم بالدعاء الصالح الاشرفي احمد بن موسى». وفي ظهر هذه الصفحة الاولى مقدّمة الكتاب كما ترى بالحرف: «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حمد مكافئ متظاهر احسانهُ وصلى الله على المصطفى وآلهِ . وبعد فاني قرأت عدّة كتب مصنَّفة في الالفاظ الكتابيّة فوجدتها غير مُستقصاة في معانيها ولا مستوفاة لشرائطها المشترطة لها فصرفتُ همّتي الى تصنيف كتابٍ فيما يستغني بنفسهِ عن ان يُرجع الى غيرهِ ويجمع ما شذَّ من الكتب المتقدّمة الى ما تضمَّنهُ بافصح من تلك الالفاظ وانقاها وقصدتُ العيون والغُرر فانتخبتها وألغيتُ ما وجدتهُ عليهِ من وحشة الغرابة وصادفتهُ من هجنة الرذالة . ولا يستبين فضل هذا الكتاب على نظرائهِ الّا بعد استقراء عامّة ابوابهِ وتفهُّم ما يحتوي عليهِ معارضةً في سائر الكتب فليكن الناظر في هذا التأليف ذا حظّ سني من اصول الادب ورواية كثيرة الاشعار والخطب ومعرفة وكيدة بطرق البلاغات ورسوم المكاتبات حتى يحظى بمودعهِ ويتأنى لتعريفهِ واستكمالهِ وحُسنُ ان يضع الحروف مواضعها الزائنة لخطابهِ ويسلم بها من الغمزة عليهِ في جميع الشذرة والمعرفة في نظم كلامهِ وبالله التوفيق في جميع الامور وهو حسبنا ونعم الوكيل»

والكتاب يتضمن ٧١ باباً في ٤٥ صفحة ولكل صفحة ١٧ سطراً وفي آخره ما نصُّهُ:

«اتفق الفراغ من نساختهِ يوم السبت ٨ من شهر القعدة من شهور سنة ٧٧٤هـ(١٣٧٣م)»

وهذه امثلة نثبتها هنا لبيان فوائد الكتاب والمقابلة بينهُ وبين الكتب السابق وصفُها:

(باب ١) يقال: تخلّق بأخلاقـه. وثبت على مراقي أعراقهِ. وتوسَّم بميسمهِ. وافترَّ عن مَبْسمهِ. ورفل في أعطافهِ. وتحلَّى بجمال أوصافهِ. ونجم في صِنْوهِ. وطلع في قنوهِ. ونبت من أرومتهِ. ونخض من جُرثومتهِ. وعصبهُ بمجرهِ. وبطرهُ من محجرهِ. رنطق بنغمتهِ. وتحلّى بشيمتهِ

يقال: هما صِنْوا أثلة. وقنْوا نخلة. وخوطا بانة. وناشئا حضانة. وقطرتا ديمة. وحبَّتا تومة. وخُوصا سعفة. ودرّتا صدفة. وفرعا أرومة. وغصنا جرثومة. وفرعا سرحة. وغصنا دوحة. وضالّتا روضة. ودَوْحتا غَيضة. وفرعا نَبْعة. وقضيبا آسة. وغصنا هَراسة. وركيضا رحِم. ونخلا مقدم. ورضيعا لبان. وغَذِيّاً حضان. وهما فرسا رهان. وشريكا عنان

(باب ٢) يقال: في اقتصابهِ عَوَج. وفي انبساطهِ عِوَج. وفي انفهِ أوَد. وفي جيدهِ صيَد. وفي صدرهِ زوَر. وفي خدهِ صَعَر. وفي يدهِ صدَف. وفي زَوْرِهِ جنَف. وفي رجلهِ حنَف. وفي عنقـهِ وقَص. وفي قرنهِ عفَص. ويقال: قوَّمتهُ فانثنى. وثَقَّفتهُ فالتوى. ونشرتهُ فانطوى. وبسطتـهُ فانزوى. واقمتهُ على نهج الطريق فضلَّ عن سواء السبيل. (ويقال): افترّت عن حقائقها. واسفرت عن مصادقها. وقد صرح الحق عن محضهِ. واغنى وضوحهُ عن دَحضهِ. وصحّت حليـة تبيانهِ. ولاحت لنا حقيقة برهانهِ

(باب ٨) يقال: هو افصحهم لساناً. واجرأهم جناناً. واخصبهم رحلًا. وارجحهم عقلًا. واقومهم قامة. واطولهم دعامة. وأسناهم عطيَّة. وازكاهم سجيَّة. واحسنهم بياناً. وارحبهم لَباناً. واكثرهم احساناً. وانداهم بناناً. واجودهم ديمة. واشرفهم شيمة. واقدمهم رئاسة. واحسنهم سياسة. (ويقال): لهُ القسط الاوفى. والسهم الاعلى. والزنـد الاورى. والشربُ الاروى. والقسم الاكفى. والنصيب الاسنى. والحظ الاسعد. والعيش الارغد. والزناد الاقبس. والمراد الانفس

(باب ٣٧) يقال لاوّل ليلة من الشهر: بَحيرة. ولآخر ليلةٍ منهُ فَلْتة. ولاوّل يوم من الشهر غرَّة. ولآخر يوم منه غُبرة. ولاوّل الليل زلفـة. ولآخر الليل سُحْرة. ولاوّل الشمس اذا طلعت بُسْرة. ولآخرها جونة

(باب ٤١) يقال: قرب رحيـلهُ. ودنا افولهُ. وآن وقت ظعنهِ. ومزايلة وطنهِ. وتوديع سكَنهِ. آن ارتحالهُ واظلّ زيالهُ. ودنا شخوصهُ. واظلَّ زَحْف رحيلهِ واستقلَّ. قد زمَّ أجمالهُ. وحمَّل اثقالهُ. وقرب ارتحالهُ. قد أبرز المضارب. وعكم الحقائب. قد قضى مآربهُ. واخرج مضاربهُ. وصرف خيامهُ. واخرج قيامهُ. وقدّم نوبتهُ امامهُ

(باب ٤٢) يقال: نسيج وحده. وفذُّ احده. وواحد زمانه. وسيد أوانهِ. وفريـد قرنهِ. وعزيز خدنهِ. لا يُضارع في مكرمة. ولا يُساوى في منزلة. ولا يُفاخر في مأثرة. ولا يُعالى في مرتبة

يقال: فعل ذلك جارياً على عادتهِ المعروفة. وماضياً في طريقتهِ المألوفة. ومتمسكاً بوتيرتـهِ المنقادة. ومحافظاً على شاكلتهِ المتمادة

هذا ما وقفنا عليهِ من امر هذه الكتب النفيسة ولعلَّ احدًا من قرائنا يعرف منها نسخًا غير التي وصفناها او تآليف اخرى بمعناها فمن افادنا شيئًا بهذا الشأن كنَّا لهُ من الشاكرين

مطبوعات شرقية جديدة

كتاب الفَوز الاصغر

للشيخ الامام ابي علي احمد الشهير بابن مسكويه

كتاب تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين

للامام ابي القاسم المعروف بالراغب الاصفهاني

طُبع هذان الكتابان حديثًا في بيروت وكلاهما من انفس آثار الاقدمين يغني عن إطرائهما اسم صاحبيهما. وهما مع صغر حجمهما حافلان بالمعـاني البليغة والحكم السديدة. واولهما «الفوز الاصغر» يتضمَّن ثلاث مسائل في اثبات الصانع ثمَّ في النفس واحوالها ثمَّ في النبوَّات ولكلّ مسئلة عدة فصول جرى فيها مؤلّفها ابن مسكويه على طريقة كتابهِ الشهير تهذيب الاخلاق الذي استشهدنا بهِ مرارًا في مصنَّفاتنا الادبيَّة. امَّا «تفصيل النشأتين» فهو للامام الراغب الاصفهاني صاحب التآليف المتعددة كالمفردات والمحاضرات وغير ذلك من التصانيف الجليلة وكتابهُ هذا يقسم الى ٣٣ بابًا في الانسان وما يختصُّ بهِ من امر دينهِ ودنيـاه وسعادة عالمهِ وأُخراه. وكان بودّنا ان ننقل للقرَّاء بعض فصول هذين الكتابين ونتَّسع في تعريف خواصّهما لولا توفّـر الموادّ التي تضيق عن استيعابها مجلَّتنا. وانَّما نكتفي ان نُحيل الادباء الى مطالعتهما واقتباس فوائدهما. جازى الله خيرًا كل من سعى بنشرهما ل. ش

Les vraies Mélodies Grégoriennes
par le P. A. Dechevrens, s. j., Paris 1902.
النغمات الغريغوريَّة الاصلية

في ١٢ من هذا الشهر الجاري كنَّا نحتفل بذكر القديس غريغوريوس الكبير الذي شرَّف الكرسي الرسولي في أَواخر القرن السادس بمآثرهِ العظمى. وممَّا سعى بهِ هذا الامام العلَم تنظيم الغناء الكنسي فوضع لهُ قوانين غاية في الدقّة والكمال وانشأ للقيام بهذا الامر الخطير في رومة فئات من المغنّين اتقنوا اصول الغنـاء وعلَّموهُ غيرهم في انحاء ايطالية وفرنسة والمانية. على انَّ هـذا الفن الجليل اصابهُ بالتداول والشيوع على تمادي

الدهور تغييرات كثيرة شوّهت محاسنهُ واذهبت رونقهُ. والعلماء من الموسيقيين يفرغون الجهود منذ خمسين سنة في تدارك هذا الخلل وإعادة النغمات الغريغوريَّة الى نصابها. على انَّ بين هؤلاء الائمة قد اشتهر حضرة الاب ديشفرنس اليسوعي ونشر عدَّة تآليف في الموسيقى الكنسيَّة اقرَّ لها بالفضل اصحاب العلم والبحث. ومن تآليفهِ الحديثة كتاب انتهى من طبعهِ في هذه السنة دعاهُ « النغمات الغريغوريَّة الاصليَّة » ضمَّنهُ من الفوائد ما لا يُرى في مصنَّفات غيرهِ من العلماء بل الأَولى ان يقال انهُ استوفى البحث عن كلّ باب فجعل كتابهُ دستورًا لا غنى عن مراجعتهِ لمن يتعاطى من بعدهِ هذا الفن

وقد افتتح كتابهُ بالبحث التاريخي عن اصول الموسيقى الكنسيَّة كما اثبتها القديس غريغوريوس الكبير واستند في نظرهِ هذا الى المخطوطات الموسيقيَّة القديمة في دير سان غال في سويسرة كُتبت ما بين القرن التاسع الى القرن الثاني عشر واخصُّ هذه المخطوطات انتيفونات الطوباوي هرتكر (Hartker) وتسعة كتب ذات خطوط مزدانة بالعلامات الموسيقيَّة وبعض المصنَّفات المنسوبة الى غي دارزُّو الشهير. ثم أَلحق هذا البحث ببحث آخر اجزل منهُ فائدةً لتعريف كنه هذا الغناء القديم فبيَّن ليس فقط نغماتهِ وأَلحانهُ بل استدلَّ على وجوه ايقاعهِ ايضاً وهو مشكل عظيم حاول فكَّهُ على طريقة جديدة. وممَّا يرتإِي حضرة المؤلف « ان الغناء الكنسي الروماني كغناء الكنيسة اليونانيَّة والكنائس الشرقيَّة يرتقيان الى اصل واحد وهو غناء الكنيسة الاولى في اورشليم اخذهُ الرُّسل من اليهود وجروا عليهِ ». امَّا هذا الايقاع فهو يتركَّب على حسب رأي الاب ديشفرنس: اولًا من الزمان المتوسّط القانوني المناسب للنبرات الطويلة والخفيفة وليس فيهِ الزمن المعروف بالاوَّل عند اليونان. وثانياً من الوزن وليس للغناء الكنسي اجزاء وانَّما يُدلّ على الوزن بالاشارة الى الزمن المتوسّط. وثالثاً من بناء الالحان على ايقاعها. والايقاع عند قدماء اليونان على صنفين منهُ شعري ومنهُ نثريّ الَّا انَّ الغناء الكنسي لا يفرق بينهما فرقاً عظيماً. ويلي هذا الجزء جزء ثالث ضمَّنهُ المؤلف عدة الحان كنسيَّة قديمة مع الدلالة اليها بالعلامات الموسيقيَّة القديمة والحديثة معاً. وهذا الكتاب حريٌّ باعتبار الطوائف الشرقيَّة لانهُ يوقفها على اصول الالحان القديمة التي اخذت منها كنائسها غناءها ويفسّر اصول هذه الموسيقى القديمة التي تجري عليها هذه الكنائس لاسيا السريانيَّة والكلدانيَّة

م. كولنجت

شذرات

المصباح الناطق ان عجائب الكهرباء تتوالى يوماً بعد يوم فترينا من اسرارها غرائب. ومما اكتُشف حديثاً المصباح الناطق ابتدعهُ احد الاساتذة الالمان وحسّنهُ في باريس المسيو شرل هلّر (Ch. Heller) وهو عبارة عن مصباح بسيط مقوّس لا زجاجة لهُ يُجعل فوق منضدة من الزجاج غير الناقل للكهرباء. والمصباح متصل من جهةٍ بآلة مولِّدة للكهرباء ومن جهــة اخرى بسلك يجوز مدّهُ على اي طول كان وينتهي بميكروفون. فاذا تكلّم احد او غنّى بازاء الميكروفون وكان المصباح مضيئاً سُمع الصوت والغناء من قوس النور بصفاء عجيب كأنّهُ الفونوغراف ولو كان المتكلّم بعيداً عن النور. ومما لحظهُ المسيو هلّر انّ الانابيب اذا كانت مــن الفحم كان الصوت أجلى واجهر

الصَّلَع وسببهُ كان الاطبَّاء يزعمون سابقاً انّ سبب الصَّلَع في الرجال امَّا ضعف البنية وامَّا كثرة الاشغال وكان البعض ينسبونهُ الى قصّ الشعر او الى تغطية الرأس بالقلانس والقبع او الى الوراثة. وقد بيَّن في السنة المنصرمة الدكتور سابورو (Sabouraud) ان كلّ هــذه الاسباب باطلة وان علَّة الصلَع جرثومةٌ من نوع الميكروب تصيب الجلد فتضعفــهُ بمادَّة تدعى سيبوم (sébum) تسيل من جلد الرأس لتلينهُ لكنَّها ربَّما توفرت بحيث انّ وفرة سيلانها (séborrhée) يضحي آفــة للشعر فيبيدهُ من اصلهِ. وهذا الداء اقوى فعلاً في رأس الشبَّان منهُ في رأس الكهول يبتدئ نحو السنة السادسة عشرة ولا يزال في نموّ الى السنة الخمسين فلا يُبقي اثرًا للشعر. وربَّما زادتهُ العادات الباطلة كالسكر والملاهي شدَّةً وهو في المدن اكثر منهُ في القرى وفعــلهُ في الغالب في الرجال دون النساء. امَّا شفاؤهُ فمستحيل على مظنون الدكتور سابورو ما لم يجد العلماء طريقة لقتل هذا الميكروب الذي اكتشفهُ. وانَّما الداء يُلطَّف بعض التلطيف بواسطة الكبريت ومركَّباتهِ وبواسطة القطران وبعض مركَّبات الزئبق

مطبعة البلمند كنَّا استفظعنا في عدد سابق (ص ١٤٣) ما نسبهُ احد مكاتبي المنار الى قدماء الرهبان الشويريين فادَّعى انّ هؤلاء الافاضــل اختلسوا من دير البلمند مطبعة البطريرك اثناسيوس فنقلوها الى الشوير. واليوم قــد

اطلعنا على ردّ مطوَّل لاحد ابناء الرهبنة الباسيليَّة البلديَّة نشرهُ في جريدة الارز (١٠ آذار) فنَّد فيهِ مقالة مُكاتب المنار وبيَّن ما تتضمَّن من التُّهم والمزاعم الباطلة في حقّ رهبان الروم الكاثوليك وانحيازهم الى الدين الصحيح. ثمَّ استطرد حضرة الكاتب الى ذكر المطبعة الشويريَّة وفصَّل تاريخها وبيَّن ان صاحبها عبد الله زاخر كان شرع في تجهيز مطبعتهِ سبع سنوات قبل السنة التي عيَّنها مكاتب المنار لاختلاس المطبعة من البلمند فكفى بهذا الردّ برهانًا ساطعًا على صدق المنار ومكاتبهِ. ويا حبَّذا لو امكنهما ان يذكرا لنا اسم كتاب واحد طُبع في البلمند لأفحمانا بذلك. امَّا وجود بعض آلات طبعيَّة في هذا الدير فليس بدليـــل كافٍ للزعم بان مطبعة الشوير مختلسة من ذلك الدير (راجع مقالتنا عن تاريخ مطبعة الشوير في المشرق ٣:٣٥٩)

اصل الروم الملكيين — قرأنا تحت هذا العنوان في مجلة الضياء (ص٢٧٥) فصلًا كنَّا ننتظر منهُ برهانًا لزعم من يذهب انّ اصل الروم الملكيين من اليونان ولكن خاب رجاؤنا فانَّ صاحب الضياء رأى ان الشتم البذيْ اسهل من البرهان فاكتفى بان يقول انّ اقوالنـــا «ضربٌ من المكابرة بل فنّ من فنون التمويه الذي عُرف بهِ اولئك الآباء في جميع مباحثهم (كذا) ولعـــلَّ ذلك من قواعد سياستهم الجزويتيَّة (كذا) لاعتمادهم فيها على تغرير العقول الضعيفة وتضليل الاذهان الواهنة لسرّ يعلمهُ الخبير بامرهم البصير بما يفعلون... (انتهى بالحرف)». فيرى القراء كيف هواء مصر اعدى صاحب الضياء واغشى على بصره حتى لم يعد ينظر النور ولعلَّ اشعَّة ضيائهِ بهرت عيونهُ فنسي انهُ هو الكاتب عن الجزويت (في البيـــان ص ٥٧٦) «ان هذه العصابة الفاضلة اشتهرت بالاجتهاد في احياء رسوم العلوم وتوسيع نطاقهِ لاسيما في بلادنا الشرقيَّة ممَّا خلد لهم جميـــل الذكر في هذه الانحاء وحُقَّ لهم جزيل الشكر وطيب الثناء». وللشيخ الجهبـــذ اللغوي ابراهيم اليازجي أقوال غير هذه في مدح «الجزويت» نذكرهُ بها اذا احبّ ليعرف صحَّة قول القائل: انَّ الهوى يُعمي ويُصمّ

امَّا رسالة حضرة الاب الفاضل الخوري انطونيوس اسعد الباسيليّ التي نكر فيها صغرى قياسنا في المشرق حيث قلنا انَّ الملكيين هم الذين تبعوا المجمع الخلكيدونيفهي تدلُّ على قصر باع حضرتهِ في التاريخ ونكتفي اليوم بشاهد واحد لردّ زعمهِ وهو قول القلقشندي (المشرق ٥:٢٠٦) انَّ «معتقد ملوك الروم والفرنجـــة معتقد الملكانيَّة»

وقولهُ (ص ٢٠٨) انَّ البابا « هو بطريرك الملكيَّة » فدلَّ بذلك على ان اسم الملكيّ لا يطلق فقط على اليونان الذين في سوريَّا ومصر. وسنعود الى هذا البحث ان شاء الله ل. ش

اسئلة واجوبة

س سأل جناب خليل افندي بيدس: ١ً ما هي اشهر البنايات التي تُصادف في واحة اريحا. ٢ً هل يوجد في سهل الاردن واحة باسم « كارڤا » يجري فيها جدول اسمهُ « فاريا ». ٣ً وهل في بريَّة فاران وادٍ اسمهُ جرافة. ٤ً وهل يدعى الان سهل بيت صيداء « البطيحة » او « البطيخة »

ضبط اعلام بلدان

ج نجيب على (الاول) ان بنايات واحة اريحا عين دوق شماليَّ اريحا في مكان حصن عين دوق (راجع المكابيين الاول ١٦ : ١٥) وهناك بقايا قناة ضخمة. وفي شرقيّ اريحا ربوة كثيرة الاخربة تدعى جلجول او جاجوليَّة يُرجَح انَّهــا الجلجال القديمة. وفي الجنوب آثار أُخرى بقرب عين حَجْلة التي يشبه اسمها بيت حُجْلة (يشوع ١٥ : ٦) وفي شمال اريحا بقايا السَّمرة التي تنطبق على موقع سمارائيم المذكورة في سفر يشوع (١٨ : ٢٢) وكذلك خربة فسائيل وآثار بُصيليَّة التي يظن انها ارخيلائيس القديمة. نجيب على (الثاني) ان هذه الواحة تدعى « قراوة » لا « كاراڤا » والجدول اسمهُ « فارعة » لا « فاريا ». نجيب على (الثالث والرابع)) انهُ ليس في بريّة فاران وادٍ بهذا الاسم ولعلهُ يريد « وادي سلاف » امَّا سهل بيت صيداء فاسمهُ « البطيحة » لا « البطيخة » هـ. ل

س وسأل احد افاضــل الكهنة من عين حمادة: اذا رخَّص غبطة البطريرك في زواج انيسة وداود من اولاد الاعمام هل يجوز لداود ان يتزوَّج بحنَّة اخت انيسة دون مفاوضة السيد البطريرك

الرخصة في الزواج بين اولاد الاعمام

ج كلَّا لا يجوز لداود ان يتزوَّج بحنَّة دون مراجعة غبطة البطريرك واذا فعل كان زواجهُ باطلًا. ولا خلاف في هــذا الامر بين علماء الذمَّة. وكذلك اذا ورد في عريضة السائل غلط او سهو في الاسماء يشوّهها فان مثل هذا الغلط يبطل الرخصة ولذلك لا بُدَّ من كتابتها بتمام حروفها مع الدلالة على اسم الشخصين وعائلتهما دفعًا لكلّ التباس الاب بطرس پارون

اصلاح اغلاط وقعت في المشرق ٥ : ١٢٠ س١٠ « زيارة امّ الشيخ بشارة » ص « امّ الشيخ بشارة » = ١٩٠ س ٢٤ « يبعض سنتيمترات » ص « بيعض سنتيفرمات » = ١٩٧ س ٨ « و١٨٩٣ » ص « و١٨٩٣ » = ٢٠١ س ٣ « سنة ١٨٩٥ » ص « ١٨٩٤ » = ٢١٥ س ٥ « سنة ١٨٩٢ » ص « سنة ١٨٩٣ » = ٢١٦ س ٣ « في افريقية الجنوبية » ص « في اميركة الجنوبية » = ٢٢٤ س ٣ « وقال بطريركيَّة » ص « في بطريركيَّة » = ٢٢٦ س ١٦ « المشرق ٥ : ٢١١ » ص « ٥ : ٢٢٠ » = ٢٣٢ س ٢٤ « وافغرت فاهها » ص « فها »

المشرق

السمك الكهربائي وكهربائية الحيوان

بقلم الاديب شحاته خزام احد طلبة مكتبنا الطبي

لقد ادرك الخاصّ والعام ولاسيما في هذه السنين الاخيرة ما لعلم الكهربائيَّة دون سائر الفروع الطبيعيَّة من الفوائد الجمَّة والمزايا التي لا تُحصر في دائرة المعارف والفنون. ولقد طالما كثرت النظريَّات وزاد التنقيب سبرًا لغور هذا العلم الجليل حتى تنوَّعت فيهِ المواضيع وغزرت الموادّ لدى المشتغلين بهِ والمطالعين. بل قلَّما يشاهَد بحثٌ او اكتشاف ألَا وللكهربائية فيهِ اعظم سرّ واقوى عامل

ولمَّا كان في الطبيعة من غرائب المخلوقات امثلة عديدة تستلفت انظار الباحثين من هذا القبيل رُغب الينا ان نكتب ولو كلمة وجيزة عن الكهربائية الحيوانيَّة عمومًا وما يشاهد منها عند بعض الاسماك خصوصًا لما في ذلك من الفوائد التي لا تخفى اهميَّتها على العاقل اللبيب. فتحقيقًا لهذه الرغائب السامية نقول وعلى الله الاتكال طالبين من المتقدين المعذرة وفضل الاغضاء

منذ أواخر القرن الثامن عشر اي على عهد كلفاني وڤلطا عقيب ابحاث مطوَّلة ودرس دقيق قد اثبت العلامة يوحنَّا ألديني (J. Aldini) ابن اخت كلفاني المذكور وجود مجارٍ كهربائيَّة في تركيب الحيوان الحي تجري من السطح الخارج او البشرة الى السطح الداخل المخاطي وبرهن على ذلك بعدَّة تجارب (١ اقرَّ على صحَّتها كثير من

١) اخص هذه التجارب انهُ اخذ رأس ثور قد ذُبح حديثًا واتى بفخذ ضفدع وجعل عصب الفخذ يمسّ لسان الثور بينما كان يمسك فخذ الضفدع بيدهِ مبلَّلة بماء مالح وباليد الاخرى المبلَّلة ايضًا

الطبيعيين معاصريه ولاسيَّما خالهُ الشهير الذي عضدهُ كثيرًا في اكتشافاتهِ حتى نُسب اليهِ فرع الكهربائيَّة الحيوانيَّة بتمامهِ من ذاك العهد فدُعي باسم الكهربائيَّة الكلفانيَّة (Electricité galvanique)

غير انهُ من اعجب ظواهر الكهربائيَّة الحيوانيَّة وابهجها منظرًا في اعين الناقدين هي بلا مراء تلك التي تظهر طبيعيًّا في بعض انواع من السمك يعرفها الكثيرون وهي مشهورة خصوصًا عند جماعة الصيادين الذين يحسبون في صيدها الف حساب لاتقاء اضرارها. ويوجد منها نحو عشرين نوعًا منتشرة في سائر بحار الدنيا وانهارها المختلفة. واخصّ هذه الانواع اربعة وهي: الرعَّاد والانكليس الاميركاني والفَتْرة والوَرَنك. وهاك تفصيلها واوصافها واذا ما انتهينا من وصفها اثبتنا ما يختصّ بجهازها الكهربائي واستطردنا الى بيان خواص الكهربائيَّة الحيوانيَّة

١ الرعَّاد

ويُقال لهُ الرعَّاش واسمهُ باللغة اللاتينيَّة توربيدو (torpedo) وبالافرنسية توربيل (torpille) ومنهُ اشتقُّوا اسم النسَّافة فدعوها على سبيل المجاز باسم السمكة توربيلًا

والرعَّاد نوع من السمك قلَّما يعيش في الانهار وانَّما موطنهُ غور البحار وخصوصًا البحر المتوسّط وسواحل اوربة الغربيَّة وسواحل الاتلنتيك من اميركة الشماليَّة لهُ هيئة مُفَرْطحة ويختلف طولهُ بين عدَّة قراريط الى عدَّة اقدام. وهو من جنس الاسماك الغضروفيَّة (sélaciens) من طائفة الاسماك المستديرة الفم (plagiostomes) ويقرب من سمك اللمَّاء المعروف بسمك ابي مشط (raie) غير انهُ يمتاز عنهُ بكون جسمهِ مجرَّدًا من الفلوس (القشور) مستديرًا عند مقدَّمتهِ وينتهي بذنبٍ لَحِم ثخين قصير اسطواني الطرف ذي شكل حلقي غريب تعلو جانبيهِ المقعَّرين ثنيَّات ظاهرة. ثم ان زعانفهُ الصدريَّة كبيرة خالية من الشوك. امَّا زعانفهُ البطنية التي هي عادةً اثنتان

بالماء المالح أُذن الثور لكي تتم الدائرة الكهربائيَّة. فتقلَّص حينئذٍ الفخذ واستدلَّ بذلك على وجود مجرى كهربائي في الحيوان. وكذلك يتبين الامر اذا وضع المختبر عصب فخذ الضفدع الوركي على لسانهِ وامسك مخالبهُ بيدهِ مبللة بماء مالح فان مقياس الكهربائية المعروفة بالكلفانومتر السريع التأثر يبين وجود تلك الكهربائية عند اتمام الدائرة المذكورة

موقعها في مؤخر جسمهِ على مقربة من الشرج حيث الجهاز التناسلي

ويُعرف هذا النوع بكونهِ ذات هيكل غضروفي مع اثر اضلاع ولهُ جمجمة اجزاؤها ملتحمة ببعضها تماماً وكل الرأس مرتبط بالعامود الفقري. وبفكَّيهِ اسنان عديدة حادَّة تنتهي في الغالب باطراف مخروطة الشكل بارزة عن الشفاه قليلاً. وفمهُ هلالي يُرى تحت الخرطوم من خلفهِ كما ان لعينيهِ اجفاناً واغشية تترفرف. ووراء ذاك الفم يوجد صماخان يقابلان الاذن الخارجة ويتصلان بالحلق وهما عبارة عن فرجتين لقذف الماء. امَّا الخياشيم فموضوعة على اقواس غضروفيَّة كائنة ضمن اكياس منفصلة عن بعضها ومتصلة بالخارج بواسطة ثقوب عمودية. ثمَّ امعاؤهُ قصيرة تلي المعدة مباشرةً. والمعدة عريضة بها صمامات حلزونيَّة. وفي قلبهِ مخروط شرياني عليهِ جملة صمامات ايضاً مرتبة على هيئة خطوط متساوية

والرعَّاد المشهور في البحر المتوسط يسمَّى الرعاد المرمري (torpedo marmorata) ورعَّاد كلڤاني (torpedo Galvani) وهو اسمر اللون فيهِ بُقع ضاربة الى السواد.

ومن الرعاد المبقَّع في البحر المتوسّط ما يُدعى ذا العيون (torpedo ocellata) او رعاد نارك (torpedo Nark) ولونهُ احمر ضارب الى الصفرة يُرى فيهِ بقعة واحدة او اكثر الى الخمس وهي مستديرة زرقاء تضرب الى الشهبة تحيط بها منطقة سمراء ونقط قليلة بيضاء وفي الاسفل يميل بياضها الى الشهبة. وفي خليج العجم والبحر الهندي هذان الضربان كلاهما واهل سواحل البحر المتوسّط يصطادونهما فيأكلونهما. ويقتات الرعَّاد في الغالب بما يصيبهُ من الاسماك الصغيرة وهو يستقرّ في الوحل والرمل في قعر البحر

الشكل الاول. الرعَّاد

وكيفيَّة تولُّد هذه الاسماك يحصل بواسطة جماع حقيقي بين الذكر والانثى ينتج منهُ علوق داخلي. اما البيض ففيهِ اثر اجنحة ولهُ بعض زوائد اشبه شيء بالقرون. ومن خواصّ الجنين انهُ عند تكوينهِ يتصل بعضو يشبه المشيمة في وضعهِ وصفاتهِ وللرعَّاد دماغ عليهِ رسم لفائف. ولهُ نخاع شوكي وفقرات ممتازة

امَّا جهازهُ الكهربائي التي تفرَّدت بهِ عموم هذه الطائفة فهو عبارة عن كُتْلتين على كل من جانبي الجمجمة واحدةٌ في مكان بين الرأس والخياشيم من الوراء والحافة الداخلة من الزعانف الصدريَّة من الأمام (وسيأتي شرحهُ فيما يلي)

ولقد كانت خاصيَّة هذا النوع من السمك معروفة منذ الاعصر الخالية عند قدماء الطبيعيين وكثير من المؤرخين والاطباء. وحسبنا بذلك شاهدًا انَّ الفيلسوف اليوناني الشهير ارسطوطاليس وصف الرعَّاد بقولهِ: «ان هذا السمك يسبب خدرًا للاسماك التي يريد ان يصطادها فاذا اخذت تلك الاسماكَ فترةٌ التقمها بفمهِ واغتذى بها».واشار اليهِ الطبيعي بلينيوس الروماني فقال: «ان هذه السمكة اذا مُسَّت بقضيب او بحربة ولو عن بُعد شنَّجت اقوى العضلات». وقال عنهُ جالينوس الطبيب: «هو الحيوان البحري الذي يُحدث الخدر. وقد ذكر قوم انهُ ان أُدني من رأس من يشتكي الصداع او من مقعدة المصاب بانقلاب المقعدة برئ كلاهما من دائهما لكنّي جرَّبت الامرَين بلا فائدة. ففكَّرت ان أُدنيهُ من رأس صاحب الصداع والحيوانُ حيٌّ بعدُ لانني ظننتُ انهُ على هذه الحال يكون دواء يسكّن الصداع بمنزلة الادوية الاخر التي تخدر الحس فوجدتهُ ينفع ما دام حيًّا». وجاء مثل هذا لديسقوريدس الشهير

امَّا علماء العرب ومشاهير رواتهم فقد اكثروا من وصف الرعَّاد منهم القزويني قال: «الرعادة سمكة بحريَّة صغيرة مخدّرة جدًّا من خاصيَّتها انها اذا وقعت في الشبكة لا يقدر احد على امساك الحبل ولو كان الحبل طويلًا... والصيادون يعرفون ذلك فاذا احسُّوا بهِ شدُّوا حبل الشبكة في شجر او حجر او وتد حتى تموت السمكة فاذا ماتت زالت خاصيَّتها. واطباء الهند يستعملونها في الامراض الشديدة الحرارة وامَّا استعمالها في الاقاليم الستة فلا يمكن». وقال الشيخ الرئيس ابن سينا: «الرعَّاد الحي اذا قُرّب من المصدوع اخدرهُ عن الحس». وحدَّث عنها ابن البيطار قال: «رأيت بساحل مدينتي مالقة من بلاد الاندلس تجرف الجراريف بها وتحمل في البحر فيخرج

اليهم سمكة عريضة يسمونها العرونة وهي مفرطحة الشكل لون ظاهرها لون رعَّاد مصر سواء وباطنها ابيض وفعلها في تخدير ماسكها كفعل رعَّاد مصر او اشدّ ألَّا انها لا توكل البتة . ولقد بلغني ممَّن اثق بهِ ان أقواماً كان بهم جهد ولم يعلموا امرهـا فشوها واكلوها فماتوا كلهم في ساعة واحدة »

وممن اطالوا في وصفها عبـد اللطيف البغدادي في كتابهِ « الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة بارض مصر » وسنذكر كلامهُ في وصفنا للفترة

وزعم اخيرًا بعضهم ان الزيت الذي يُطبخ فيهِ هذا السمك يسكِّن اوجاع المفاصل الحرِّيفة اذا دُهنت بهِ مواضعها

هذا ما رواهُ نخبـة من فطاحل المتقدّمين وجلّ حكمائهم عن الاسماك المشنّجة التي نلقّبها الان بالكهربائيّة وعن خواصّها . وانّما سوادهم ضمُّوها قاطبةً تحت اسم واحد فقالوا الرعاد ولم يزيدوا حرفًا كأنّ جميعها من مفرد نوع ومجرَّد فصيلة مع انها كما لا يخفى من رتبٍ مختلفة وطوائف متباينة واجناس شتى . ذلك عدا ما نسبوهُ اليها من المنافع الغريبة والمزايا التي تظهر لنا اليوم خرافيَّـة لأوَّل وهلة وان يكن معها حقائق لا نختلف واياهم في صحّتها

امَّا ما أضاف الى اقوالهم بعضُ الكتَّاب المتـأخرين فهو احقُّ بالنظر من سواهُ لمجاراتهِ تيَّار العلوم الحديثة والاكتشافات العصريَّة القائمـة على ادلَّة البراهين العقليَّة معزَّزة بالاختبارات الصحيحة

قال صاحب « كتاب عجائب البرّ والبحر » عن السمـك الرعاد اجمالًا : « ان موطن هذا السمك البحر المتوسط وهو سمك كهربائي اذا امسكهُ الانسان بيديه خدرتا وارتعد . وهو ضخم الجسم يحاكي شكلهُ الرباب ولهُ على بدنهِ ثقوب تشبه قرص الشهـد تفرز مادَّة مخاطيَّـة لزجة . والسمك الرعَّاد تخافـهُ سائر الاسماك لقوَّتهِ الكهربائيَّة فانهُ يصعق اعداءهُ ويفترسها . وفي الابحر الاستوائيَّة اسماك كبيرة من هذا النوع اذا مسستَ احداها عرَّتك رعدة كأنَّك تمسك بدولاب البرق . وهو حيوانٌ بطيْ الحركة يحبّ ان يدفن نفسـهُ في الرمال فاذا امسك بهِ انسان على سبيل الصدفة ثار عليـهِ وارعدهُ وخدَّر اعضاءهُ »

« وقد عثر الناس في هذه الايام على منافعهِ الكهربائيَّة واستخدم منها الاطباء آلات

لعلاج الامراض العصبيَّة . غير ان في الزمان القديم في عهد انطونيوس وكليوپترا كانوا يستعملون السمك الرعاد لهذه الغاية ايضاً . وذهبوا الى ان هزَّتهُ تبرئ الصداع وآلاماً أُخرى . وفي الازمان الحديثة ايضاً كانوا ينصحون للمصابين بمرض النقرس او داء الملوك بوضع ارجلهم على السمك الرعاد حتى تخدر »

وجاء عن بعضهم ما معناهُ : « ان لهذه الاسماك خواصّ تشبه خواص الكهربائيَّة تماماً فانها تسري على المعادن والماء وباقي الموصلات ولا تسري على الزجاج او مواد أُخرى غير موصّلة كما هو معلوم عن شؤون الكهربائيَّة »

٢ الانكليس الاميركاني

او الخنكليس واسمهُ باللغة العلميَّة جيمنوتوس (gymnotus) وبهِ يعرفهُ كل الاوروبيين . هو نوع من السمك يوجد خاصةً في انهار اميركة الجنوبيَّة وبطاحها . وهو من طائفة الاسماك ذات النوافج المجوَّفة (physostomes) التي هي من رتبة الاسماك الخالية من الزعانف (apodes) يشبه كثيرًا ثعبان البحر في شكلهِ العام ويبلغ متوسط طولهِ خمسة اذرع تقريباً وقيل انهُ وُجد احياناً بما ينيف على العشرين ذراعاً. امَّا جلدهُ فعارٍ عن الفلوس (القشور) ولهُ نفطتان سابحتان يبلغ طول كل واحدة منهما ذراعان فاكثر

ويُعرف هذا النوع بكون زعانفهِ الشرجية طويلة جدًّا بخلاف زعانفهِ الظهريَّة فانها اثريَّة تكاد لا تظهر . ولهُ منطقة كَتِفية ممتدة الى الجمجمة حيث تلتحم بها . ويوجد بمعدتهِ كهب على شكل قعر كيس صغير . ثم تحتوي امعاؤهُ على زوائد بوابيَّة متعددة . ولهُ اخيرًا قنايات مبيضية خارجة

امَّا عضواهُ الكهربائيان فهما عبارة عن اساطين مرتبة افقيًّا على جانبي ذنبهِ

واكثر من درس هذا النوع خاصة واختبر احوالهِ بتدقيق هو الباحث الشهير دي هومبولد (de Humboldt) .

وللانكليس الاميركاني هزَّة شديدة بهذا المقدار حتى انها تقتل الرجل مهما كان عاتياً في اقل من لحظة . وهو كالرعاد يغتذي بلحوم الاسماك التي تسبح معهُ بعد ان يكون صرعها وافرغ فيها جعبتهُ

وممَّا يروى عن صيد الجيمنوتوس في اميركة الجنوبيَّة ان لصيادي هذا النوع خيلًا

الشكل الثاني . الانكليس الاميركاني الكهربائي

بريَّة معدَّة لذلك يأتون بها افواجًا الى الانهار او البحيرات التي يكثر فيها السمك المذكور فيدَعونها تخوض في لججها ذهابًا وايابًا مقدار ردهة من الزمن فيصليها الانكليس حربًا عوانًا فاذا ما اضناهُ التعب من جهادهِ معها من جهة ومن تفريغ كهربائيتهِ بتواتر من جهة اخرى اصبح اذ ذاك خائر القوى بطيْ الحركة وحينئذٍ ينقضُّ عليهِ اولئك الصيادون فيستولون عليهِ بدون مشقَّة . غير انهُ قد يحدث احيانًا ان كثيرًا من تلك الخيل لم تقوَ على احتمال شدة تأثير الكهرباء الواردة اليها فتموت غرقًا قبل ان تشفي من هزَّات السمك المشنِجة . وللانكليس عمومًا عادات وطباع تختلف كثيرًا عمَّا لسائر الاسماك الاخرى وتمتاز بغرابتها . فمن ذلك انهُ في فصل الخريف من كل سنة يرِد الى البحار من كل صوب زرافاتٍ عديدة فيتجمع عند مصبّ الانهار وهناك يتناسل بطريقة لم تُعلم الى الآن تامًا حتى اذا اتى فصل الربيع التالي ينتشر النتاج زُمرًا لا تُحصى فيصعد مجاري المياه الى ينابيعها . وقلما شُوهد تولُّد هذا النوع بالمياه العذبة بخلاف ما ذكر . وهو طويل الحياة يعيش مدة في البرّ ويمكن حفظهُ حيًّا في حوض او ما شاكلهُ عدة سنوات متوالية . وهو يسكن المياه الراكضة ولا يأبى المستنقعات . واكثر سريانهِ في الليل حيث يطلب الاماكن البعيدة الغور

امَّا لحمهُ فلذيذ غير انهُ عسر الهضم وخصوصًا للاطفال والطاعنين في السن

٣ الفَتْرة

ويقال لهُ باللغة اللاتينيَّة السيلورس الكهربائي (silurus electricus)· هو نوع من السمك يعيش في مياه الانهار العذبة وخصوصاً بتلك التي توجد في البلاد الحارة مثل افريقية واسية وغيرهما· وهو من طائفة السيلورس التامَّة العظام (silurus téléostéens) التي هي من رتبة الاسماك ذات النوافج المجوَّفة ايضاً

ويمتاز هذا النوع بصفات خاصة جلّها ان رأسهُ كبير مُفَرْطح عريض فضلًا عن كونهِ مستوي الجوانب· وفمهُ ذو شدقٍ واسع يمتدّ الى ما يقرب من منتصف رأسـهِ· ولهُ اسنان صغيرة متعـدّدة وشفاهٌ بارزة تنشأُ منهـا ستة سبال طويلة اثنتان في الفك الاعلى واربعة في الادنى· وعيناهُ صغيرتان منفصلتان عن بعضهما لكنَّهما مقتربتان من زوايا الشفاه· وجسمهُ مستطيل نوعاً رقيق في القسم الامامي منهُ ومنخفض في موخَّرهِ· امَّا جلدهُ فاملس محض لا زوائد فيهِ ولا فلوس· وزعانفهُ البطنيّة والظهريَّة صغيرة جدًّا بخلاف زعانفهِ الشرجية والصدريَّة فانهـا نامية كثيرًا وعلى هذه الاخيرة يوجد خط عظمي كبير· لكنَّ زعانفهُ الذيليَّة خالية من العقافات· امَّا نفَّاختهُ السابحة فهي عظيمة جدًّا ومتصلة بفتحة الاذن الخارجة

ثم انَّ لحمهُ ذو طعم شهي فيوءكل بلذة ولا يعسر هضمهُ

اما قوَّتهُ الكهربائيَّة فهي اقل ممَّا للرعاد والانكليس الاميركاني ولكنَّها كافيـة مع ذلك لانشاء هزَّة قويَّة توءثر تأثيرًا يذكر بجسم الانسان· ويوجد هـذا النوع بوفرة في مياه نهر النيل العذبة وكثيرًا ما ذكرهُ الموءرخون وسيَّاح مصر من شرقيين وغربيين الَّا انهم لقَّبوهُ غالباً بالرعَّاد بوجه عام كما يسميه عامَّة المصريين باعتبـار فعلهِ وليس بالنظر لجنسهِ· ولا ننكر انهُ يوجد ايضاً بمصر بعض اجناس من الرعاد الحقيقي ولكن مواطنهُ في أواخر الدلتا عند ملتقى الامواه العذبة بالمالحة اي بثغور رشيد ودميـاط والاسكندرية وما جاورها وليس في اواسط النهر او اعاليهِ كما زعم البعض

وقد يلاحظ ايضاً هذا الالتباس من كلام عبد اللطيف في كتابهِ الشهير عن مصر وعجائبها حيث يقول: « ومن ذلك السمكة المعروفة بالرعاد لانهُ من امسكها وهي حيَّة ارتعد رعدةً لا يمكنهُ معها ان يتماسك وهي رعدة بقرَّة وخدر شديد وتنمُّل في الاعضاء وثقل بحيث لا يقدر ان يملك نفسهُ ولا ان يمسك بيدهِ شيئاً اصلًا· ويتراقى الخدر الى عضدهِ

وكتفهِ والى جنبهِ بامرهِ حين ما يلمسها ايسر لمس في اسرع وقت. وخبرني صيّادها انها اذا وقعت في الشبكة اعترى الصياد ذلك اذا بقي بينهُ وبينها مقدار شبر او اكثر من غير ان يضع يدهُ عليها. وهي اذا ماتت بطلت هذه الخاصيَّة منها. وهي من السمك الذي لا تفليس لهُ ولحمها قليل الشوك كثير الدسم ولها جلد ثخين في ثخن الاصبع وينسلخ عنها بسهولة ولا يمكن اكلهُ. ويوجد فيها الصغير والكبير ما بين رطل الى عشرين رطلًا. وذكر من يكثر السباحة بنواحيها انها اذا نفحت بدن السابح خدر الموضع اين كان ساعةً بحيث يكاد يسقط. ويكثر باسافل الارض وبالاسكندريَّة »

وقال المسيو جيوفروا (M. Geoffroy) بعد ذكرهِ وصف عبد اللطيف المبهم: « ان لفظة رعاد تطلق في مصر على جنسين من السمك بينهما اختلاف عظيم فالاول وهو الاكثر انتشارًا نوع من السيلورس الكهربائي (silure électrique) يوجد في سائر اقسام النيل من البحيرات التي يخرج منها الى مصبهِ في البحر المتوسّط. والثاني وهو قليل نوع آخر من فصيلة الورنك يعيش في سواحل مصر الشماليَّة اي عند مصب النهر فقط وخصوصًا في ثغر الاسكندريَّة »

٤ الوَرنك

وهو المعروف بسمك ابي مشط او سمك اللهاء (raie) واسمهُ باللغة العلميَّة رايا (raja). هو نوع من السمك يوجد في سائر البحار وبعض اجناس منهُ تعيش في اواخر الانهر الكبرى ولاسيما في بلاد المنطقة الحارة كما هو شأن القترة. الَّا انهُ يقيم في اعماق المياه الغزيرة. وهو من طائفة الاسماك المستديرة الفم التي هي من رتبة الاسماك الغضروفيَّة اي انهُ قريب للرعاد من حيث الاصل والنسبة

وهو كبير الجسم يبلغ متوسّط طولهِ خمسة اذرع تقريبًا. جوانبهُ مستوية فطحاء تنشأ منها زعانفهُ الصدريَّة وهي مستعرضة للغاية. وجلدهُ خشن كثير الاشواك وفمهُ في السطح الاسفل من جسمهِ مع الخمس الفتحات المتصلة بالخياشيم واسنانهُ بسيطة مخروطة الشكل وبعينيهِ اجفان واغشية تترفرف. اما زعانفهُ البطنيَّة فصغيرة وكذا ذنبهُ الَّا ان هذا الاخير مغطّى كلّهُ بالاشواك ولهُ منطقة كَتِفيَّة كاملة. ثمَّ ان زعانفهُ الصدريَّة ممتدَّة من خرطومهِ الى الزعانف البطنيَّة. وهو يبيض بيضًا اسمر اللون وفي كلّ من جوانبهِ الاربعة زوائد منحنية على شكل عقافات

ولحم سمك اللياء ابيض ناصع غضٌّ ولذيذ للغـاية يباع كثيرًا في الموانئ البحريّة وخصوصاً لهُ شهرة عامة في أسواق السواحل الاوربيَّة

وليست كل انواع الورنك ذات خواص كهربائيّة بل بعض اجناس منها فقط يميزها الصيادون وهي تحتوي على الجهاز الكهربائي الذي لا يختلف بكثير عمَّا هو في الثلاثة الانواع السابق ذكرها.اما هزَّاتها فموثرة نوعاً ولكنها اقل ضررًا من سواها من هذا القبيل

ويوجد من هذه الاجناس الكهربائيَّة بعض امثلة في سواحل مصر الشماليَّة وبحيرات مصر السُّفلى كبحيرة المنزلة ومريوط والبرلس وغيرها. وقد يكون فيهـا ملازماً للرعاد او انواع أُخرى كما تقدم بيان ذلك (ستأتي البقيَّة)

الاديار القديمة في كسروان

دير ماري شليطا مقبس ودير مـار يوحنَّا حراش

لحضرة الاب الفاضل ابراهيم حرفوش المرسل اللبنـاني (لاحق بسابق)

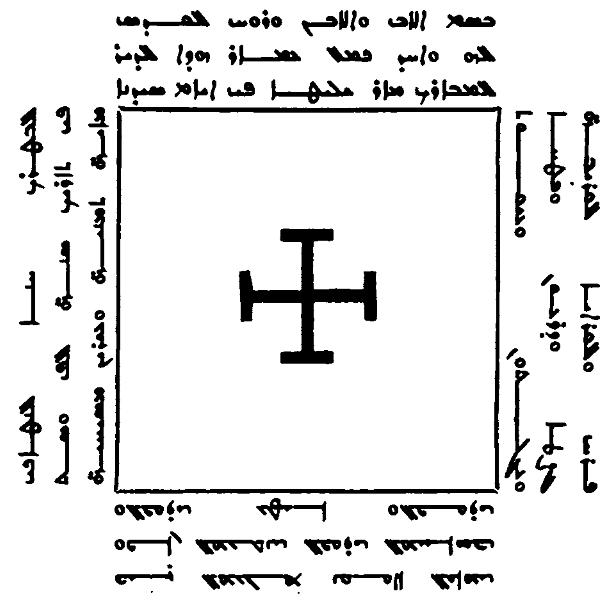
٣ تاريخ دير مار شليطا مقبس من سنة ١٦٢٨ الى ايَّامنا

قد تقدَّمنا فاثبتنا نقلًا عن صاحب الكتابة ان القس يوسف محاسب والد القس حنَّا محاسب اشترى معبـد القديس شليطا وما جاورهُ من الاخربة (١ من ابي يوسف المقيَّر من قرية غوسطا وانهُ عهد لابنهِ بامر بناء الدير ولكن لم يكن الامر سهلًا في ذاك الزمان نظرًا لضيق ذات اليد ومقاومة حكَّام الجبل وهذان الامران اشار اليهما صاحب الكتابة المحكيّ عنها قال: « ان القس حنا قال لابيهِ نخشى من الحكَّام فشاوروا ابن غبروش وكان ساكناً في معراب (٢ وكان كاخي ابن سيفا فعطاهم اذن يعمروا

١) هذه الاخربة هي للجهة الشرقيَّة من الدير تبعد عنهُ نحوًا من ٣٠٠ متر ويدعوها العامة « خرايب السويس » وفيها آبار عديدة من اثار الصليبيين وا كتشف الفعلة على حجارة ضخمة محكمة النحت عند اشتغالهم بغرس التوت وحتَّى الآن يوجد منها صخور ضخمة وهذا ممَّا يثبت انهُ كان هناك قبيلة من سويسرا تسكن بالقرب من هذا المعبد في ايَّام الصليبيين. فدُعيت لذلك « خرائب السويس ». وقد سمعتُ بذكر هذا التقليد من فم أُناس أثق بعلمهم

٢) قرية حصينة لجهة شمال مار شليطا فيها حصن شهير خلص وحدهُ من الحريق سنة ١٣٠٧

ولكن العمار يكون بالليل لئــلا يعرف ابن سيفا فجاء القس حنا وجمع اهل غوسطا ودرعون وبطحا وعجلتون وعشقوت وحلّفهم انهم لا يظهروا الخبر ويكونوا سعدتهُ في المعاونة وابتدوا في العمار وانتهوا سنة ١٦٢٨ مسيحيَّة ومن بعد عمار الدير بسنتــين انتقل القس يوسف المذكور وكانت ايّام حياته ١٢٠ سنة » انتهى منقولًا بالحرف.
والتاريخ المنقوش على عتبة باب الكنيسة الغربي يشير الى هــذا الحادث باجلى بيان وهو مكتوب باحرف سريانية على الهيئة الآتية (١



فمن هذا التاريخ يتبين حالة طائفتنا في ذاك العصر فان الالفة كانت سائدة بين افرادها رغمًا عن الفقر . فكأني بالقرى المسطورة اسماؤها على باب كنيسة مار شليطا

عند خراب كسروان كما اشار ابن القلاعي الى ذلك في مختصر تاريخــهِ (راجع المشرق في اثار معراب ٣ :٥٩٥)

١) وهــذا مضمونها بحرف عربي: بسم الاب والابن وروح القدس اله واحد . كمل عمار هذا الدير المبــارك مار شليطا في ايَّام سيدنا | البطرك حنَّا النطاكي في تاريخ سنة ١٦٢٨ مسيحية | بيد المعلم نقولا الشامي وكان المعتني الخوري الحاسب والخوري عطيا والخوري | فرح والقرايا القريبة غسطا ودرعون وبطحا وعجلتون وعشقوت

تألبت يدًا واحدة حول الصليب الكريم على مثال قلعة مربَّعة واعتضدت مع بعضها ومدَّت يد المساعدة للقس حنًا الغيور فبنى هذا الدير الذي استمرَّ مدَّة طويلة ملجأً للرهبان والراهبات ولبطاركة الطائفة في أيَّام الضيق وقد قاسى القس يوحنًا الغيور من الاضطهاد اصنافًا ووقفت في طريقهِ عقبات جمة تمنعهُ عن اتمام مشروعهِ الخيري فانتصر عليها . والى ذلك يشير صاحب الكتابة قال: « سنة ١٦٣٥ وشي بالقس حنا عند ابن سيفا فامسكهُ وحبسهُ وشفع بهِ ابن غبروش ودفع مبلغ ٣٥٠ غرشًا وتكلَّف على عمار الدير ٣٥٠ غرشًا واشترى للدير عقارات واراضي مغروسة من شجر الزيتون بمبلغ ٣٠٠ غرش » امَّا البطريرك حنا الذي يشير اليهِ التاريخ فهو يوحنًا مخلوف المتوفى سنة ١٦٣٣

ثم انَّ القس حنًا توفي سنة ١٦٤٠ في ٢١ تموز تاركًا الرئاسة لابن اخيهِ سركيس البردوط الشهير . وكان القس حنًا مقيَّدًا بسرّ الزواج المقدس وبعد موت امرأتهِ هجر العالم وقضى حياتهُ في الدير الذي سعى في عمارهِ وكان لهُ ولد وحيد اسمهُ الشدياق ايلياس بنى كنيسة ماري سمعان العامودي في قرية غوسطا على ما قال صاحب الكتابة . والى ذلك يشير الدويهي في تاريخ الازمنة الخطي المحفوظ في مكتبتنا في دير الكريم (١ . فانَّ علاَّمتنا بعد ذكرهِ حوادث سنة ١٠٥٥ للهجرة (١٦٤٥م) كما في تاريخهِ المطبوع اورد العبارة الآتية التي لم تُنشر في هذا التاريخ : « وفيها (اي سنة ١٠٥٥ للهجرة) اعتنى الشدياق ايلياس ابن القس حنًا الحاسب مع اهالي

١) ان هذا الكتاب هو بقطع نصف خُطَّ دون ادنى ريبة في عصر المؤلف في مار شليطا بدليل ان عليهِ بعض حواشٍ بخط يدهِ الكريمة وينتهي الى سنة ١٧٠٤ اي سنة وفاة الدويهي. وعند ما وصل الناسخ الى هذه السنة رمى القلم من يدهِ اسفًا (لا نعلم الناسخ) فاخذهُ كاتب آخر (ولعلهُ المطران يوسف الحصروني كاتب اسرار الدويهي الذي رقاهُ هذا البطريرك الى كرسي اسقفية طرابلس سنة ١٦٧٥ كما يشير الى ذلك في تاريخهِ وكتب ما يلي من العبارات التي تحرك الدموع في المآقي نوردها بحروفها : « سنة ١٧٠٤ م في ٣ ايار صوت سمع في لبنان الموارنة يبكون وينتحبون على فقد ابيهم وراعيهم القديس الاب ماري اسطفانوس بطرس البطريرك الانطاكي الدويهي المعظم ولم يريدوا يتعزوا لفقده لانهُ لم يكن ». ثم يبدأ هذا الكاتب يسرد حياة هذا البطريرك العلامة وفي هذه الترجمة تفاصيل لا توجد في ترجمة حياتهِ التي كتبها سمعان عواد والتي علقها طابع تاريخهِ الفاضل على اول الكتاب سنوردها ان شاء الله في العدد الاتي ضنًا بها من الضياع لاسيما وقد فتح لنا المشرق بابًا لنشر مآثر الافاضل كالعلامة الدويهي ومن ماثلهُ علمًا وعملًا

غوسطا وجدَّدوا كنيسة مار سمعان(١ ». وكان للقس حنًا المذكور ابنتان الواحدة تدعى رفقة وهي التي رأسها البطريرك يوسف حليب على دير ماري يوحنًا حراش وسترى ذكرها في محلهِ والاخرى لا نعرف اسمها كانت زوجة القس حنا الشمالي الدرعوني ولدت بنتاً اسمها مريم خلفت خالتها رفقة في الرئاسة على دير حراش وهي الرئيسة الثانية كما سترى ذلك في محلهِ

وكانت مدَّة رئاسة القس حنا على الدير ١٢ سنة وفي هــذه الحقبة لا نعرف شيئاً مهمًّا عمَّا جرى في هذا الدير سوى انهُ انضمَّ اليهِ بعض رهبان وراهبات « عملًا بالعادة القديمة في الاديار المزدوجة التي ابطلها المجمع اللبناني » وكانوا على ما يظهر قليلي العدد وانما اخذوا في الازدياد في ايَّام ابن اخيهِ البردوط سركيس خلفــهِ. ونعرف ايضاً من صكوك الدير ومن كتابة للعلامة الدويهي سنوردها بحروفها ان المطران يوسف حليب مؤسس دير مار يوحنًا حراش فوَّض القس حنًا بطاحونٍ في وادي حراش (وترى الى يومنا

١) ليسمح لنا المطالع ان نسرد تاريخ هذه الكنيسة بناء على ما توصلنا اليهِ من كتابة علقها القس رزق الدويهي على هامش الشحيم السرياني (طبعة رومية) وهذا الكتاب محفوظ في خزانة هذه الكنيسة وهاك الكتابة بحروفها. « لمَّا كان تاريخ سنة ١٧٠٨ اي سنة ١٧٠٨ م على يد احقر الناس القس رزق الدويهي الهدناني صار بدو عمارة الهيكل الشريف القديس مار سمعان العمودي في قرية غوسطا وفي سنة ١٧٠٩ ١٧٠٩ كان عقد باب القبلي والشبابيك الغربيَّة على يد المعلم سالم القدسي وفي سنة ١٧١٠ في شهر تموز فكّينا قالب القصبة والحنية في الكنيسة المذكورة وفي شهر ايلول صار تتريبها وكان يوم عيدها وما فينا عملنا العيد من عوز الذبيحة وفي هذا الشهر صار الرأي في حفر وتعزيل الخشخاشات داخل الكنيسة ». ويظهر ان القس رزق كان كاهن الرعيَّة فعلق هذه الكتابة على الشحيم والمراد هنا بعمار الكنيسة توسيعها فان من نظر الكنيسة لاول وهلة من جهة الشرق حكم بانها من عهد الشدياق ايلياس ابن القس حنا محاسب فان طريقة البناء ولون الحجارة وحدثان الزمان يشهد لقدمها واما القسم الغربي وما جاورهُ من الجنوب والشمال الى بابي الكنيسة الجنوبي والشمالي فهو من عهد القس رزق المشار اليهِ وعلى باب الكنيسة الجنوبي التاريخ الآتي منقوشاً على العتبة باحرف عربية: « بسم الله الحي انشأ هذا الهيكل على اسم القديس سمعان واعتنى بهِ المشايخ اولاد المرحوم الشيخ فيأض الخازن يرجو شفاعتهُ من تشوتنف (اشترك) بهِ أمين. وكان الفراغ منهُ اول كانون الاول سنة ١٧١٤ سنة ١١٢٥ للهجرة » والفرق بين هذا التاريخ وتاريخ القس رزق ٤ سنوات فكأنَّ البلاطة الموضوعة فوق عتبة الكنيسة لم تكن نُقشت سنة ١٧١٠ بل سنة ١٧١٤

ثم انهُ يوجد على الورقة نفسها التي كتب عليها القس رزق ما نقلناهُ سابقاً الكتابة الاتية: « سنة ١٨١٥ تجدد تكريسها من المطران انطون الخازن في اول ايلول سنة ١٨١٥ »

هذا) واخذ من القس حنًا محلًّا بالقرب من كنيسة دير مار شليطا عيَّنهُ لسكنى البطاركة وهو المحل الذي زاد في بنائهِ الدويهي كما يشير الى ذلك بتاريخهِ وهذا المحل يدعى حتى الآن « حارة ماري بطرس » وسنأتي بكلام مشبع على هذا البناء عند كلامنا على تجديد الكنيسة في أيَّام القس حنًا الرئيس الثالث على الدير . غير ان البطريرك يوسف حليب الذي جرت المفاوضة بينــهُ وبين القس حنا الرئيس الاوَّل كما تقدَّم لم يسكن في مار شليطا بل في مار يوحنا حراش وبعد وفاتهِ سنة ١٦٤٨ دُفن في كنيسة مار بطرس المنقورة في الشقيف في العاقورة مسقط رأسهِ كما روى الدويهي . وخلفهُ يوحنا الصفراوي ولا نعلم عن هذا البطريرك أسكن مدة من الزمان في حارة مار بطرس في مار شليطا أم لا . امَّا البطريرك جرجس البسبعلي خلفــهُ (وليس السبعلي كما يكتبهُ البعض) فمن المؤكَّد انهُ سكن الحــارة المذكورة وتوفي فيها بداء الطاعون ولذا لم يُدفن في الكنيسة بل في مدفن لجهة الجنوب الغربي من الكنيسة والى عهدنا تُشاهد جمجمة هذا البطريرك وبقايا رفاتهِ الكريمة من خلال نافذة . وعلى صخر بالقرب من مدفنهِ تاريخ وفاتهِ بالسريانيَّة ننقلهُ بالحرف وهو بلا شك من جملة مآثر الدويهي المغرم بالتاريخ لعلَّهُ امر بنقشهِ اذ خلف البسبعلي توًّا وهاكهُ بحرفهِ:

ܫܘܒܚܐ ܠܐܠܗܐ ܐܬܬܢܝܚ ܒܩܒܪܐ ܗܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܦܛܪܘܣ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝ ܘܡܪܘܢܝܐ ܡܢ ܒܣܒܥܠ ܒܢܝܣܢ ܫܢܬ ܐܚܥ (١

وقد حان لنا الآن ان نورد صورة الكتابة التي كتبها الدويهي الى القس حنا الرئيس الثالث على دير مار شليطا والى الرئيسة مريم ابنة اخت الرئيسة رفقة الرئيسة الاولى على دير حراش وهذه الكتابة عثرنا عليها بين اوراق مار شليطا نثبتها بنصها بالحرف:

ܐܣܛܦܢܘܣ ܦܛܪܘܣ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝ ܡ̈ܪ (٢

(مكان الختم)

البركة والنعمــة وحلول الروح القدس تكون حالَّة على اولادنا العزاز الخوري حنا رئيس دير مار شليطا وابنتنا مريم رئيسة دير ماري يوحنا حراش . اولاً مزيد كثرة الاشواق الى رؤياكم بكل خير وعافية . وبعد بلغنــا انه صار بينكم خلف بسبب الزبرة (٣ والطاحون الخربانة وجانا

---

١) السبح لله رقد هذا القبر جرجس بطرس بطريرك انطاكية الماروني من بسبعل بسنة ١٦٧٠ نيسان ٢) اي اسطفان بطرس بطريرك انطاكية المارونيّ

٣) الزبرة في عرف العامَّة الارض التي تكون على شاطئ مجرى المياه مهيَّأة للزرع

شهادة من اخونا المطران جرجس (١ على منطق الخوري سركيس (٢ ان البطرك يوسف قاوضهم بحارة مار بطرس وهذه الشهادة معلومة بسبب ان الحارة المذكورة من يومها في يد البطاركة على شهادة المطران جرجس بنفسهِ. وجبنا ايضاً شهادة اخرى من ولدنا القس افرام (٣ عن منطق الخوري سركيس المذكور بانهُ اتفق هو واختهُ الحَجة رفقة باعا لا تستخير نفسها عليهِ وان تبقى تستفقدهُ في زرّيعة ام قصب وانتقلوا الى رحمة الله على هذا الرأي وعلى زماننا تناجيتوا (٤ اتنينكم قدامنا واتفقتوا ان الخوري حنا ياخذ لهُ حملتين ثلاثة قصب وغاضيتوا (٥ على هذا الحال منذ ست سنين القصد انتم اهل وقرايب والموضعين وقف والدعوى زهيدة لم تحرز كلّ هذه الحلفة بقي المكن ان في كلّ عام تعطي رئيسة حراش لرئيس دير مار شليطا مية قصبة تكون فحلي (٦ وخمسين تني (٧ على رضى من الفريقين وترتفع من بينكم كل خصومة وقلقلة نوكد عليكم بذلك بعد تجديد البركة والسلام » انتهى

لا تاريخ لهذه الكتابة والارجح انها من سنة ١٦٨١ اي بعد وفاة البردوط سركيس بن محاسب اذ يستشهد الدويهي بما قالهُ هذا البردوط نقلًا عن القس افرام الباني رفيقهِ في الرهبنة ونسخ الكتب كما سترى ذلك في محلهِ. ومن هذه الكتابة يظهر جليًا ان اول من اشترى محلًا للبطركيَّة في مار شليطا هو البطريرك يوسف حليب

ولينسمح لنا المطالع وان خرجنا قليلًا عن الموضوع ان نورد عقيب هذه الكتابة في العدد الآتي بعض احكام وكتابات خرجت من ديوان الدويهي جاءت مصداقًا لما رواهُ عنهُ كاتب حياتهِ البطريرك سمعان عواد واصفًا رقّة اخلاقهِ وترويهِ في الحكم وعدم محاباتهِ وثقة الناس العظيمة بهِ وانما احببنا ضمّها الى هذه المقالة ضنًّا بها من الضياع لاسيما وان اوراق علامتنا ندر وجودها حتى في نفس الكرسي البطريركي نظرًا لكوارث الزمان وعدم استقرار البطاركة في مكان معيَّن (ستأتي البقية)

١) هو جرجس حبقوق الذي ترأس حفلة رسامة الدويهي بطريركًا لانهُ كان اقدم الاساقفة سنًّا ودرجة كما اشار الى ذلك كاتب ترجمة الدويهي الملقة على تاريخ الازمنة الخطي في مكتبتنا دير الكريم

٢) هو البردوط سركيس محاسب

٣) هو القس افرام الباني الذي كان رفيق البردوط سركيس في التعب ونسخ الكتب للمكتبة كما يشير اليهِ الدويهي في تاريخهِ وسترى ذكرهُ عند كلامنا عن الكتب التي نسخها هذا الراهب الفاضل

٤) اي وقع الجدال بينكم

٥) اي اتفقتم

٦) الذي مضى على نبتهِ سنة واحدة

٧) الذي مضى على نبتهِ سنتان

الصليب فوق الضريح

للاديب حلمي مصري احد تلامذة مدرستنا الكليَّة

. . . .

وغِبَّ ان توارى قرص الجونة وراء هضاب المغرب خرج من قصرهِ شابٌّ متشحٌ بالحِداد قريح الفؤاد يُستشفُّ من سحنتهِ اثر الحزن الفادح والوَجْد القادح فسرى كعادتهِ متيمِّمًا ضريحًا ثوَى بهِ قلبهُ على مقرُبةٍ من عين اصفى من الدمعة وهو ينشد :

اتيتُ كعادتي والشوق نامِ اقوم بذمَّتي والدمع طامِ
اتيتُ اليك يرشدني هيامي ويسترني الجناح من الظلامِ
وقصدي ثمَّ إهداء السلام

ثمَّ التى عصا التسيار بعد ان قطع مسافة نصف ساعة عند قبرٍ من الرخام عليهِ تاريخ فقيدهِ حفَّت بهِ حلقة من الآس والرياحين وظلَّلتهُ شجرة الخلاف باغصانها المنسدلة فوقهُ. وجلس في مكانهِ المعتاد واسند رأسهُ على مقدَّم الرمس كانهُ يريد مناجاة دفين القبر وظلَّ هكذا هنيهةً واجمًا تحرقهُ الزفرات وتخنقهُ العبرات ويتصاعد بين هذه وتلك انين الشَّجو والألم :

اتيتُك يا صديقُ على انفرادِ لعلي منك أحظى بالمرادِ
فقُمْ حتَّى مَ تبقى في رقادٍ وقد كحَّلتَ جفني بالسهادِ
فمهدي منك لحظٌ بابتسامِ

اتيتُك راغبًا في ان أراكا فقُم لأليف ودٍّ قد اتاكا
وعفَّرَ غضَّ خدّهِ في ثراكا وقبَّلهُ ثلاثًا في هواكا
وناح كنوح ورقاء الحمامِ

ثمَّ رفع عقيرتهُ والدموع تترقرق من شؤونهِ فقال :

ومن عجبي اشتكيتُ من الفراقِ وشبرٌ واحدٌ منعَ التلاقي

لئن اصبحتَ طيَّ اللحـد باقِ ومِلتَ الى الافول بلا لحاقِ
فشخصك في الفؤاد مدى الدوام

واذ ذاك كان الاديم صافياً والنسيم مصافياً وزُهر النجوم تتلألأ في بساط السماء الازرق. فالسكون سائد في هـذه الانحاء لا يطرق السمع ألّا خرير الغدير المجاور وحفيفٌ خفيف يتجدَّد عند معانقة الاوراق بعضها لبعض كلّما جرَّ النسيم العاطر ذيلهُ مع عندلة الهزار يسبّح ليلًا على الغصن الزاهر خالق هذا الكون العجيب الباهر فانشأ يقول:

خريرُك يا غدير هو النذيرُ فقد تسري الحياة كما تسيرُ
فهبْ صفتِ الحياة فما المَصيرُ اما مرمى الانام هي القبورُ
اما سير العباد الى الحِمامِ

كفاكَ تميس يا غصن الخمائلْ فطرفي عنك في ذا اليوم غافلْ
فطورًا انت بالازهار رافلْ عليك الطير يشدو وهو جاذلْ
ولكن طير قلبي ظلَّ صامي

وانتَ هزارَ حندسة الظلامِ رُوَيدكَ صوتُ صدحِك كالحِمامِ
فَصَهْ اني بغير هواكَ دامِ الست ترى دموعي في أنسجام
وقلبي في غشاء من سهامِ

ثم اطرق قليلًا وانبعث في انشاده:

سُدًى ترهبين يا دنيا لاني رويتُ من الشجون وكلّ حزنِ
فليست آلتي ممَّا يُغنّي بكلّ ترنُّمٍ وبكلّ لحنِ
وصوتي صوت نوحٍ لا غرامِ

كأني قد خُلقتُ لكي اقاسي نكالاً حار فيهِ كلُّ آسي
لقد طفحت من الاحزان كاسي وصرتُ بلا انيس او مواسي
لذا الدنيا بعيني كالظلامِ

فما فيها يصير الى الزوالِ ويمسي موطئًا تحتَ النعالِ
وقد يغدو رخيصاً كلُّ غالي وبعد اليسر قد تأتي الليالي
فهل من مسعفٍ من ذا الغُرامِ

يذرّ على الملا ملك الضياء ويشملهُ بثوبٍ من جلاء
فيحكي الطفل نورهُ في الضحاءِ ونصف العمر في كبدِ السماء
ومغربهُ نذير الانصرامِ

ونجمٍ في بساط الافق سائرْ أراهُ وطرفهُ ساهٍ وساهرْ

ونورهُ في الدجى زاهٍ وزاهرْ هوى فوهَت بهِ كلُّ البصائرْ
فيا اسفي على بدر التمامِ . . .

وبينا كان يتلحن بهـذا الشطر الاخير اذ شعرت عينـهُ بنورٍ ضئيل فانذعر لهُ وسكت بغتةً ورجع الى نفسهِ فرأى ان شعاع القمر خرق اوراق الاغصان التي كانت تظلّلـهُ فاضاء بصرهُ واثار الصليب الذي كان قائماً على ذُروة الجدث فرسم لهُ ظلّاً كاملًا نُصْبَ عينيهِ

حينئذٍ التفت ذات اليمين واليسار خشية من عين الرقيب ثم اطرق رويدًا متأمّلًا في هذا المشهد العجيب ورفع عقيرتهُ يخاطب القمر :

أجئتَ تزورني في حال همّي وتقشع ستر دَجْن كاد يعمي
ألا دَعني اموت صريع سهمٍ اصاب حشاشتي وسرى بعظمي
فضاق بفسحة الدنيا مقامي

أجئتَ من العلاء تحلُّ أسري وتبعثُ لي شعاعاً فيهِ يسري
وهل وافيت تكشف ستر امري وتكفيني الظلام فيا لسرِّ
ايا وفدَ السماء أصدق كلامي

وكان فتانا يشخص الى القمر المشرق عليهِ بنورٍ كَمِد كأنَّهُ يناجيه ويسائلهُ ثمَّ حوَّل نظرهُ الى شبح الصليب الذي فوق الضريح فشعر ان قلبهُ يستعذب هذا المنظر لما يجد أعماه فيهِ من السلوان فبهت بهِ

وظلَّ طرفهُ محدّقاً اليهِ وفكرهُ جائلًا فيهِ حتى تبدَّد عن بصيرتهِ غيهب الحزن الضي فبرقت اسرَّتهُ وجفَّ مدمعهُ الساكب وضاء وجههُ الشاحب وعاد الى سابق نضارتهِ فقال :

صليب مليكنا ربِّ الجلالِ صليب النور يا ملجا الموالي
اليك انوبُ من قبح الفعالِ وارجو ان ترقَّ لسوء حالي
فبالأرزاء قلبي صار دامي

اراك هنـا فماذا انت فاعلْ اتحرس ذا الضريح عن النوازلْ
اتسكب فوقهُ الاحسان وابلْ وكلٌّ عنهُ في اللذات غافلْ
أتفعل كل ذا لهوى الانامِ

أجَل اني ارى لِمَ انت حاضرْ فليس لغير قصدٍ انت ساهرْ
تسائل رحمةً من كلِّ سائرْ لمن فيهِ وتجلب كلَّ زائرْ

لذا جعلوك فوق القبر سامي

فانتَ هنا تجيب المستميحا اذا ما جاء يفتقد الضريحا
فيا ربي استمع قلباً جريحا اليك قد سما جسماً وروحا
لتغفر ما اقترفتهُ مِن ملامِ

أأهلَ مودَّتي خلَّوا شجانا تعالَوا واقصدوا هذا المكانا
وصلُّوا للفقيد معي « ابانا » فانَّ يسوع تعزية الحزانى
وحيُّوهُ بآيات السلامِ

. . . .

الصابئة او المندائية

بقلم الاب الفاضل والباحث المدقّق انستاس الكرملي البغدادي

(تابع لما سبق)

(كتبهم الدينيَّة)

يدَّعي المندائيَّة ان لهم كتباً كثيرةً مُنزلة تكاد لا تُحصى على ما يقولونهُ غير ان النوائب التي انتابتهم والرزايا التي حلّت بهم وكادت تستأصل شأفتهم لم تُبقِ عندهم الّا غَيضاً من فَيض او قيضاً من بَيض اي ما لا يتجاوز عدّهُ الاربعين كتاباً. امّا الوقوف على هذه الاسفار فيكاد يكون من رابع المستحيلات فانهم يحرصون عليها ولا حِرصهم على حياتهم وعرضهم وقناهم كلها جمعاء. فكم وكم مَن وارتهُ القبور وقُطعت اعضاؤهُ ودُقَّت عنقهُ وأُحرق بالنار وهلك غرقًا ضنًّا بما في يديه من الكتب الدينية. هذا وتواريخهم في هذا الصدد تسرد وقائع كثيرة تبياناً لنا ابداهُ المندائيون من الامتناع وشدَّة العزيمة ممّا يذهل العقول. وقد جاء هذه البلاد جماعات من الافرنج من ألمان وفرنسيس وايطاليان وانكليز لمشترى بعض هذه الكتب ودفعوا لكتاب واحدٍ خمسة آلاف فرنك ولكتاب آخر الفين فرجعوا بخفَّي حنين. ومهما يكن من الامر فان قلّة هذه المخطوطات في خزائن كتب بلاد الفرنجة مع ما يبذل هؤلاء الاقوام من الاصفر الرنّان ويتكلّفون لاستحصالهِ ما يُريهم الموت الاحمر لا بل وما كان منهُ بسائر الألوان يُصدّق كلامنا ولا يعود يطلب

منّا برهاناً آخر يدعم هذا البرهان. على انهُ تعالى قيّض لي ان ارى من هذه الاسفار ما لا أُصدّق ان رجلاً آخر رأى بعددها اذ لم اعثر الى الان على كلامٍ يوقفني على مثل ما اقولهُ مع ان اغلب الكتب المؤلفة في الصابئيَّة والمطبوعة في بلاد اوربا او المذكورة اسماؤها في برنامجات خزائن الكتب موجودة عندي. على ان المقام لا يحتمل تفصيلاً فوق ما نوردهُ ولذا نأخذ بذكر بعض هذه الاسفار التي يدَّعي اصحابها انها منزلة وان لم تكن كذلك

١ً واوَّل هذه الكتب (الكِنْزا ربّا » او « السِدْرا ربّا » او « سِدرا دآدم » ومعناها الخزانة العظمى او الكتاب العظيم او كتاب آدم. وقد يكتفون بقولهم: « السدرا » بوجه الاطلاق. وهو اليوم مطبوع على الحجر وقد نشرهُ الاديب ه. پترمن بنصهِ الصابئ في ليبسك وهو قسمان: قسم يميني وقسم شمالي. فاذا مسكتهُ من القسم اليميني يكون القسم الشمالي مقلوبًا اي اعلاهُ اسفلهُ. وبالعكس. واذا مسكتهُ من القسم الشمالي يغدو القسم الآخر مقلوبًا كما تقدم شرحهُ. امَّا عهد كتابة اصلهِ فقد تباينت فيهِ الآراء واشتبكت. وكثرت فيهِ المذاهب واحتدمت. فمنهم مَن قال بانهُ اقدم من النصرانيَّة. وهو وهمٌ ظاهر. ومنهم من ذهب الى انهُ من عهد يوحنا الحَصور وهو ايضاً وهم. ومنهم من صرَّح بكونهِ من المئين الاولى من النصرانيَّة. وهذا يردُّهُ ايضاً شواهد كثيرة من الكتاب نفسهِ. ومنهم غير ذلك. هذا واني قد وجدتُ في السفر المذكور نصوصاً كثيرة تؤيد انهُ لم يُكتب قبل سنة ٧٠٨ للمسيح. امَّا ذكر هذه الادلّة فلعلّنا نذكرها في مقالة خصوصيَّة نُسمّيها « بالاداب المندائية اللغويَّة » (La littérature mandaïte) هذا واغلب كلام « السدرا » يدور على امور دينيَّة منها ترجع الى المعتقد والدين. ومنها ترجع الى القيام بسنن الدين ومنها مخاطبات أُلبست لباس النبوَّة. غير ان هذا الثوب الذي يبدو ثخيناً في عيون الصابئة هو في عيون المنتقدين الجهابذة شفّافاً يشفّ عمَّا وراءهُ من الاكاذيب والاقوال المختلَقة الموضوعة المنافية للاصول العقليَّة وللنقول العلمية

٢ً والكتاب الثاني اسمهُ: « دِرَفْشا دْيَهْيَ » او « سدرا دْيَهْيَ» اي تعليم يحيي او كتاب يحيي. وهو كتاب احدث من السابق ذكرهُ. وقد أُودع نصائح كثيرة وحكماً

جليلة الّا انها معقودة العُرى بنواصي فِرَق عديدة تذهب بما في هـذا السفر من حلى الآداب وروائع الزواجر

٣ً والكتاب الثالث « القُلَستا » اي كتاب الفرح او الطرب او المديح وهو سِفر خاصّ بسُنن الزواج والاصطباغ الذي يجري في الزواج. واظنّ ان مـا نشرهُ حضرة الدكتور الفاضل اوتنك (Dr. J. Euting.) ليس من القلستا بشيء. بل قد وهم في ترجمتهِ بهذا العنوان ليس الّا. وقد فسَّر المستشرقون لفظة القلستا بغير ما فسَّرناهُ اعتمادًا على نصوص اللغة الارميّة واصولها لكن هذا مردود عند الصابئة

٤ً والكتاب الرابع « سِدْرا دْنِشماثا » اي كتاب النفوس وهو يحوي السنن التي يقوم بهـا المندائيّة في الاصطباغ الجاري في ايّام الآحاد والاعياد وصلاة النزاع وخروج النفس من الجسد ثمّ خروجها من « اردا دْتِيثل » اي الارض الى « آلما دْنهورا » اي عالم النور وفيهِ غير ذلك من الصلوات

٥ً والكتاب الخامس: « الدْيوثان » بنونين. والبعض يسمّيهِ: « الديوان » وهذه اللفظة معنى تلك. وهو سِفرٌ يُذكر فيهِ قصص بعض الروحانيين مع صورهم وهو عندهم من انفس الكتب المنزلة ولا يكاد يُفتح لاحدٍ واليوم لا يوجد منهُ الّا نسخة واحدة. ونَدْر هـذا الكتاب حادثٌ من صعوبة رسم الصور والتماثيل التي فيهِ اذ يُطلب لها مهارة دقيقة

٦ً والكتاب السادس: « تِرِسَّر ألفي شْيالا » اي اثنا عشر الف سوءال ويراد بذلك الاسئلة التي ألقاها بعض الروحانيين على « مَلكا دَنهورا » قبل خلق العالم وبعدهُ في ما يخصّ الامور الدينية وفرائض الاساقفة والكهنة والشمامسة والمؤمنين الى غير ذلك من الفوائد المهمّة. ويوجد من هذا الكتاب نسخة ناقصة في باريس في المكتبة الوطنية

٧ً والكتاب السابع: « أسفر مَلوا شي » والعامة من المندائيّة تُسميهِ: « أصفَر مَلوا شا » ومعناهُ سِفر البروج وقـد توسَّعوا بلفظة « مَلوا شا » حتى اطلقوها على وقت عَلَق المرأة بالولد وتعلُّق هذا الوقت بالبروج. وهو كتاب يستشيرونهُ في تسمية الوليد حينما يذكر ابوهُ او القيم بامرهِ للكاهن الساعة التي وُلد بها الطفل واليوم والشهر فحينئذٍ يبحث الكاهن في هذا السفر عن الساعة التي حُبلت بهِ أُمهُ. وبالتالي عن الاسم اللائق

بهِ. وفي هـــذا الكتاب امور كثيرة ترجع الى علم الفلك والى علم التنجيم وفيهِ ايضاً صلوات كثيرة ورُقى عديدة تُتلى لكي تكون التمائم فعّالة في مَن تُكتب لاجلهِ من طرد الامراض والاوصاب وإبعاد النوائب والنوازل وهو قديم الوضع والتأليف واغلب رُقاهُ تشبه الرُقى التي كان يستعملها قدماء الكلدان. وقد عرف هذا الكتاب ابرهيم الحاقلاني اذ قال عنهُ في كتابهِ الموسوم De origine nom. papæ, etc. : *pars altera*, Romæ, 1660 p. 355 ما معرَّبهُ: «أسفر مَلوا شِي مجموعة في علم التنجيم وقد قُسمت فيهِ الكرة الزرقاء الى ٢٤ جزءًا متساويًا اثنا عشر منها ذكور واثنا عشر منها اناث. ويُتخذ للنظر في ايّام ولادة الولدان» اه

٨ً والكتاب الثامن «كَداوا كَدَفْياتا» اي كتاب العوذ. وفيـــهِ انواع العُوَذ تُقرأ او تُكتب بموجب ظروف الزمان وأحوال اهل البيت وهو غريب في بابهِ لما يذكر فيهِ من انواع الروحانيين والجنّ والارواح النجسة الشريرة

٩ً والكتاب التاسع: «الإنياني» اي الاناشيد او الاغاني. ويُراد بذلك الصلوات الدينيَّة التي تُتلى في اربعة أوقات النهار وفي الليـــل وكذلك صلوات خصوصيَّة باليوم الفلاني من كل اسبوع. وفيهِ ذكر السنن المتَّبَعة في دفن موتى المندائية الى غير ذلك من الفوائد الجليلة عندهم وهو كتاب يضنُّون بهِ كل الضنّ

١٠ً والكتاب العاشر: «قماها دهِيقَل زِيوَا» اي عوذة هيقل زيوا وهو عبارة عن دَرْج كبير فيـــهِ اكثر من الف ومائتي سطر وهي عبارة عن تعزيمات شتى يحملها متديّنو الصابئة ويزعمون ان من يلبس هـــذا الحجاب لا يؤثر فيهِ سلاح نار او سلاح بتّار. وهذا الدرج لا يُكتب لاحد ما لم يكن المندائي المُستكتب قد اظهر علامات الصلاح والتقى بما لا مزيد عليهِ. وفي آخر الدَّرج الاصـــلي الذي يُنسخ عليهِ والمحفوظ عند اسقفهم قرأت هذه العبارة: «إزدَهَر إزدهر إزدهر لكلّ أنش لا تكدف» ومعناها: «تحفَّظ ثم تحفَّظ ثم اقول لك تحفَّظ من ان تكتب (القماها) لكلّ من كان او لكلّ احدٍ». وهم يحرصون عليها كل الحرص حتى انهُ لا يجوز لهم ان يدَعوا من لم يكن من دينهم ان «يمسّ» هذا الدرج خوفاً من ان يتنجّس او يفقـــد مفاعيلهُ. واذا فُقد منهم فكلّ ما يبذلونهُ من البيضاء والصفراء في جانب استحصالهِ لا يُعدّ شيئاً مذكورًا

وهناك كتب كثيرة لا يُمكن ايراد اسمائها في هذه المقالة اللهم الّا ان يُرصد لها نبذة مخصوصة تتمةً للفائدة (ستأتي البقيَّة)

منافع السكَّة البغداديَّة

نظرٌ تجاريّ اقتصادي للاب هـ. لامنس اليسوعي

اننا في مجالتنا الماضية قد ذكرنا كثيرًا من الفوائد الناجمة عن خط بغداد ولكن اهميَّة الموضوع تقضي علينا بالعود الى الكلام عنهُ باكثر إسهاب وسنذكر بالترتيب الفوائد الاقتصاديَّة والعسكريَّة والإداريَّة والعلميَّة المنوطة بهذا المشروع

*

اذا بحثنا اولًا في الفوائد الجمَّة التي تنالها التجارة من انجاز هذا الخطّ الجزيل الاهميَّة رأينا ان الامكنة والمدن التي تمرُّ فيها سكَّة بغداد تستفيد فائدة كبرى لانهُ يصير نقل وارداتها وصادراتها باوفر سرعة واكثر امن. ومعلوم ان اكبر آفة للزراعة في ولايات الاناضول وسوريَّة وما بين النهرين الداخليَّة هي خلوُّها من طرق المواصلات المسهّلة للنقل من ولاية الى اخرى. وقد يتفق بعض الاحيان ان تكون نفقات نقل المحاصيل ضعف قيمتها الحقيقيَّة فيضطرّ التاجر الى بيع حاصلاتهِ في اماكنها بابخس الاثمان فرارًا من مصاريف نقل السلع او شحنها وربَّما حملهُ اليأس على تركها في محلّها فريسةً للتعفُّن والفساد

وامَّا الآن فلا يكون الامر كذلك لان الاراضي الزراعيَّة ومآخذ المعادن تقترب من المدن الكبرى القائمة على طول الخط وتدنو ايضًا من البحر والمرافئ ولا يخفى على البصير ما في ذلك من تحسين قيمة المحاصيل فضلًا عن سلامتها من العطب والفساد اللذين تكون معرَّضة لهما ان أُرسلت مع القوافل في سفر بعيد

ثمَّ ان خط بغداد هذا الكبير سيضحي متمِّمًا طبيعيًّا على نوعٍ ما لاكثر الخطوط الثانويَّة المنشأة في الممالك المحروسة الاسيويَّة التي نجتزئ من ذكرها كلها بذكر الخطَّين

القريبين منا نعني بهما شعبتي مرسين واطنة وخطنا البيروتي الحَموي . واذا كانت بعض هذه المشروعات لم تأتِ بالنتائج الحسنة المرغوبة فسبب ذلك واضح وهو ان هـذه الخطوط محصورة في امكنة قصيرة المدى وغير متصلة ارتباطاً ببعضها فجاء خط بغداد الآن مزيلًا لهذا النقص ومسدًّا لهذا الخلل مسهِّلًا لتمديد خط رياق وحماة الى حلب ومنها الى بغداد . ومتى تمَّ ذلك عدل النـاس عن السفر الشاقّ والمخوف بالمخاطر في الصحراء واجتنبوا الحرّ الشديد اللافح وأَمِنوا المتاعب الجمَّة التي يصادفها الراكب في البحر الاحمر والخليج العجمي . ويفضِّل المسافرون من الاستانة او بيروت الى الموصل ومن الموصل اليهما ركوب السكَّة الحديديَّة لما يجدونهُ فيهـا من موفَّرات اسباب الراحة والسرعة وبالتالي من الاقتصاد وقلَّة التكاليف

واما تجارة بيروت ومرفأها فانما يستفيدان اعظم فائدة لأنَّ هذه المدينة تُصبح بفضل هذا الترتيب كرأس لهذه الخطوط تنتهي اليهِ قسم من المسافرين ومن محاصيـل شمالي سوريَّة ومتى اتصلت حلب ببيروت امكن للمسافر من الاولى ان يصل الى الثانية قبل وصولهِ منها الى الاسكندرونة

وهذا البيان يحملنا طبعاً على التطرُّق الى الكلام عن احدى منافع هذا التخطيط الاكيدة وهي زيادة عدد الركَّاب نعني بهم الأُلوف المؤلفـة من المسافرين من كلّ الطبقات الذاهبين والآتين بدون انقطاع من اوربَّا والهنـد بل من الشُرق الاقصى . ومن الثابت ان عدداً عظيماً يفضِّل هذا الخط الجديد لسرعتهِ لاسيما لتوفُّر الوقت عليهم ولهذا قد امعن النظر اصحاب الخطّ البغدادي واحتاطوا للامر بان استصنعوا القواطر السريعة التي يمكنها ان تقطع في الساعة ٧٥ كيلومترًا بما فيهِ مدة الوقوف في المحطات المهمَّة ولعلّها تتجاوزها ايضاً اذا استفادت الشركة من الترخيص الذي يخوّلها اياهُ الامتياز واستخدمت الكهربائيَّة . وهبْ انها تستغني عنها فهي تستطيع ايضاً ان تجعل قواطرها تسير من ٦٠ الى ٧٠ كيلومترًا في الساعة

وستكون المسافـة بين الاستانة والخليج العجمي (البصرة) ستين ساعة وهي المسافة الكائنة بين لندرة والاستانة وعليـهِ تصبح المسافة بين لندرة والبصرة مائة وعشرين ساعة اي عبارة عن خمسة ايام . والمسافـة من البصرة الى بمباي ١٦٠٠ ميل اي اربعة ايَّام فيمكن للمسافر ان يقطع المسافة بين عاصمة انكلترة وبمباي بتسعة ايام

عوضاً عن الخمسة عشر يوماً التي يحتاجها اذا اتّخذ طريق برندزي وترعة السويس· ومع التسعة الايام اللازمة للوصول الى كلكوتا من لندرة عن طريق الاستانة تصبح المسافة بينهما اربعة عشر يوماً مقابل اثنين وعشرين يوماً عن طريق ترعة السويس· وستخفض ايضاً طريق بغداد الحديديَّة ستة ايام مدة السفر الى بنكوك وسيغون وهنغ لنغ وشنغاي

وهذا تعديل متوسّط لانهُ يسهل في مستقبل الحين جعل المسافة بين الاستانة والخليج العجمي خمسين او اربعين ساعة فتنخفض المسافة بين لندرة وكلكوتا تقريباً الى النصف

وسيتخذ هذه الطريق اذًا كل الذين يهمُّهم ربح الوقت من الجنود والمستخدمين ورجال الاشغال مع كثير من السيَّاح وبالاجمال كل المسافرين الموسرين الذين يرغبون مجانبة مشقات السفر وطول مدتهِ بحرًا

ولكن تُرى كم يبلغ عدد هؤلاء المسافرين: ان جريدة « معلومات » وضعت احصاء ننقلهُ عنها تاركين لها فيهِ المسؤوليَّة· قالت: ان عدد المسافرين سنويًّا بين الهند وانكلترة يبلغ ١,٦٠٠,٠٠٠(١ وزادت على ذلك ان ثلث هذا العدد سوف يستخدم خط بغداد في سفرهِ اي ٢٠٠,٠٠٠ شخص واماً سائر البلاد الاوربيَّة فهي تظن انهُ يسافر منها واليها للهند والشرق الاقصى نيف و١٠٠,٠٠٠ فاذا افترض ان ثلث هؤلاء ايضاً يتخذ الطريق الحديديَّة فيكون مجموع المسافرين فيها نحو ٢٣٣,٠٠٠ شخص سنويًّا وهذا بلا ريب عدد وافر· ولكنا نصرّح مع الاسف بان عدم وجود احصاء راهن يعوَّل عليهِ يجعلنا في شكّ من صدق هذا التعديل بدون التعرض مع ذلك لنفي ام اثبات صحَّتهِ

لم نتكلَّم حتى الآن الّا عن المسافرين الاجانب اعني الذين يمرون بالممالك المحروسة الاسيويَّة ووجهتهم البلاد القصيَّة· واماً العدد الاكبر من المسافرين فانهُ يكون لا مشاحَّة من سكان الولايات الذين يركبون السكة الحديديَّة مسافة تقل او تكثر ويكون عددهم اوفر· وسيضطرّ الى اتخاذ هذه الطريق كل من رغب السفر الى ولاية ما بين النهرين والعراق ممَّن يحبون ان يستبقوا على اموالهم و يربحوا وقتاً ثميناً ويدفعوا عنهم مشقَّات اسفار متعبة· ومن المؤكد ايضاً انَّ الدول تؤثر هذا الخط الجديد لتسفير

١) لا نعلم المصدر الذي أُخذ عنهُ هذا الاحصاء

البوسطات الدوليَّة بين اوربَّة والهند والشرق الاقصى لان اهمّ امر تُعنى بهِ هـذه الادارات هو سلوك اقرب الطرق واسرعها كما هو دأبها وكل ذلك يكون لخط بغداد ينبوع موارد لارباح لا ينضب معينها مع ما ينجم عنهُ من الخدم الجزيلة للتمدن

هلمَّ بنا ننظر الآن فيما اذا كانت التجارة الهنديَّة والصينية تتبع هذا الخط ؟ اننا نرتإي بان السلع الثقيلة التي لا يُخشى عليهـا من السفر الطويل يدوم نقلها في البواخر البحريَّة التي تكفل لها بالكفاية بعض السرعة مع قلة النفقات السفريَّة وامَّا غيرها من المحاصيل الثمينة او المعرضة للتلف مدة السفر البعيد فهي تضطرّ موكدًا الى اتخـاذ السكة الحديدية الاوفر سرعةً

ومهما كان من الامر فان خط بغداد لا يأمل عظيم فائدة من التجارة الايرانية. اجل انَّهُ يتصل بهذه المملكة بفرع سنديَّة فخانقين ولعلَّهُ يتَّصل بشِعْب آخر بين البصرة وثغر محمَّـرة العجمي القريب ولكن تجارة العجم هي الان بيـد روسية وانكلترة ولهاتين الدولتين وسائل لنقل تجارتهما قد اعتادتاها من قبل وألِفتها التجارة الاوربيَّة فلا يُرجى كثيرًا والحالة هذه ان يؤثّر الخط البغدادي على خطوطهما الخاصَّة لعدم ارتياحهما اليهِ واعتبارهما لهُ مباينًا لصالحهما وغاياتهما

*

ولكن اذا لم يتمكَّن الخط البغدادي الَّا من نقل قسم من تجـارة العجم فهو يستعيض عنها بالمغانم الناتجة عن المواصلات المحليَّة بحمل منقولاتها الى قلب المملكة واعادة ولاياتها الى سابق نجاحها الاقتصادي. وفي هذا الاقتصاد منافع كبرى يتحتَّم علينا ذكرها

وخوفًا من ان نبالغ في تعظيم شأن هذا الخط نبدأ باغفال ذكر بعض الانحاء التي لا يرجى منها استخدامهُ في مواصلاتها نعني بها ولايتي بغداد وآطنة لان الاولى تصدر ايراداتها عن طريق دجلة والثانية عن طريقها الحديديَّة الخاصَّة. وعلاوةً عن هذا فان الجمال والقوافل تبقى مدَّةً كما هو شأنها في سوريَّة وقيليقية وان كانت مزاحمتها لخطّ العراق لا تثبت زمانًا طويلًا. وامَّا سائر الاقاليم فليس بامكانهـا ان تستغني عن الخط الجديد لنقل حاصلاتها نخصّ بالذكر منهـا ولايات الموصل ودياربكر الواسعة ومتصرّفيَّتي الزور واورفا. واذا سُئل ما هي الفوائد الناتجة لخطنا هذا من تلك الجهات

اجبنا بان الموصل ودياربكر هما نقطتان مركزيّتان مهمّتان للعمل والصادرات وسيزيد البخار بلا ريب هــذه الحركة اتساعاً. وعلى مرور الزمان يعود الى بلاد ما بين النهرَين غناها الزراعي فتضحي اوفر ازدهاراً من ذي قبل وتحيا فيها تلك المدن العــامرة التي كانت تحسب في سالف الاعصار كغرَّة على مفرق الشرق. وفي هذه المناسبة نذكر بان زراعة القطن كانت حتى الجيل الرابع عشر منتشرة في تلك الولايات تأتي بنتائج وافرة بل لا يزال بعض اهلهــا مقيمين على زراعة هذا الصنف حتى الان رغماً عن وشك اضمحلالهِ. فلا مراء انَّ الخطّ العراقي يحيي هذه الزراعة لا سيَّما انَّ قطن هذه البــلاد يضارع في جودتهِ احسن ما يُرى من هــذا الصنف في مصر واميركة. وانسب القاطعات واوفرها صلاحاً لزراعتهِ هي التي يسقيها نهرا بليخ وخابور(١

ويحتوي جبل ارغانا الواقع شمالي دياربكر على منجمين للنحاس وكان يصدر منهما سنويًا الى بغداد في اوائل الجيــل الماضي نحو ٤٠٠ طن من المعدن. ويمكن ان تضاعف هذه الحاصيل بواسطة استخدام ادوات اتمّ واكمل من الموجودة الان فضلًا عن تسهيل وسائل النقل بانشاء طرق جديدة لهذه الغاية. لأن اقرب معامل طوقات هي على مسافة ٣٩٠ كيلومترًا من السكك الحديدية. واماً المرافئ البحريّة الاقل بعدًا فمرفأ صمصون ويبعد ٥٣٥ كيلومترًا ومرفأ الاسكندرونة ويبعد ٥٤٥ كيلومترًا (٢ ومن هذا يتبيَّن الانقلاب العظيم الذي يحدثهُ في تعدين هذه المنجم الغني انشاء الخط البغدادي. وليس هو المنجم الوحيد الكائن في تلك الانحاء. بل يوجد ايضاً مناجم من الرصاص المخلوط بالكبريت (galène) او بالفضَّة وقيل انَّ ثمت مناجم ذهبية ايضاً (٣ ولكنها متروكة الآن لم يقم احد على تعدينها. وتحتوي ايضاً هذه البــلاد على فحم لا يخلو من الجودة وان لم يكن من الدرجة الاولى الّا انهُ يصلح استخدامهُ في المصانع والمعامل التي لا يمرُّ زمن طويل دون ان تُنشأ في تلك الاطراف

ويرجى نفعاً وفائدةً من المناجم الكائنة في ولاية الموصــل ما يرجى من التي في دياربكر ويوجد في تلك نفس المعادن الموجودة في هذه حتى الذهب واماً فحم الموصل

---

١) راجعْ رحلة البارون اوبنهيم (Forschungsreise) ص ٩٥ و ٩٦

٢) راجع كتاب جغرافيَّة كوينه (ك ٢ ص ٤٨٣)

٣) راجع جغرافيَّة روكلو في المجلَّد المختصّ بآسيَّة (ص ٤١٨)

فهو أوفر وأجود وتحتوي هذه الولاية ايضاً بالقرب من كركوك على معادن للنفط والبترول (راجع المشرق ٣ : ١١٦) . ويمكن لهذا الصنف الاخير ان يزاحم بترول القوقاز الروسي ان لم نقل في الخارج فعلى الاقلّ في داخليَّة المملكة والاماكن الكائنة على طول الخطّ . ولا ريب بان من يطالع مجالتنا هذه يتحقق اهمّيَّة الفوائد التي تنجم عن هذا المشروع الجديد

*

ولنبحث الان في النوع الثاني من الفوائد المنتظرة من خطّ بغداد المتعلقة بالحكومة لأنهُ يعود بالنفع عليها وانَّما نريد الفوائد الاداريَّة والعسكريَّة فانَّ هذا الخط يصل بقلب المملكة ولايات آسيَّة المتوسّطة ومابين النهرَين والتي على شاطئ دجلة الاسفل ويربط في بعضها أجزاء هذا الجسم المتفرّقة ويجعل للحكومة سبل الحركات أوفر سرعة من الوقت الحاضر وفوق هذا فانهُ يسهّل وسائل الادارة ويزيد الامن في هذه البلاد السحيقة التي كان تبديل المأمورين فيها يقضي بسفر شهر كامل وبمصاريف باهظة

ولو نظرنا الى المنافع العسكريَّة رأينا ان هذا الخطّ مسهلاً لجيش بغداد الحركة بحيث يكون مهيَّئاً لكلّ طارئ وتتوفَّر لديهِ ولجيوش سائر الولايات وسائط التعبية والدفاع مع سرعة تعزيز الكتائب بقوَّات جديدة عند مسيس الحاجة وزد على ذلك انهُ يغني عن طريق ترعة السويس والبحر الاحمر البعيدة والتي يمكن العدوّ قطعها وقت الحرب

والحقّ يقال ان الدولة العليَّة ادركت اهمّية هذه الفوائد وزادتها بان أوجبت على شركة استثمار هذا الخطّ شروطاً جزيلة النفع للحكومة . ومنها انَّ رجال الجنديَّة لا يدفعون الَّا ربع التعريفة الاعتيادي . وقد تعهَّدت ايضاً الشركة ببناء محطَّات عسكريَّة وبتخصيص اربعة ملايين لهذه الغاية وباتّخاذ كل حَيْطة لنقل المهمَّات الحربية في امنٍ وسرعة . فهذه بلا ريب فوائد كثيرة النفع نهنئ ادارتي النافعة والحربية للحصول عليها

*

ولو سمح لنا المقام لأفضنا في تعداد الفوائد الجمَّة العائدة على العلم فهي كثيرة وقد اخذ عالم العلم منذ الآن يستروح من سكَّة بغداد روائح النفع ويعلّق عليها الآمال وستكون الفوائد الاولى عائدة على الجغرافية . لان الدروس الاولية والنهائية منها

المتعلّقة في انشاء هذا الخطّ تقضي بحكم الضرورة بتدقيق الدرس والتعمّق في متاريس الجبال ومجاري الميـاه وباختصار القول في طبيعة الاراضي التى تمدّ فيها الخطوط. واضطرارهم الى البحث عن الطريق الاقصر والاوفر كلفة يلجئهم لا محالة الى وضع خارطة مدقّقة لتلك الاماكن التي اغلبها مقفرة وبعضها تقريباً مجهول

ولا تكون فوائد العلوم الجيولوجية المتعلّقة بمعرفة هيئة الارض والعلوم النباتية باقل من فوائد العلوم الجغرافية. لان الشركة التي نالت الامتياز ايضاً بتعدين المناجم الواقعة بالقرب من خطها الحديدي تضطرّ الى الاستعانة بمعارف علماء الجيولوجيّة والمعدّنـين الذين ينضمّ اليهم بكل تأكيد النباتيون وعلماء الطبيعيات

هذا واننا قد بيّنّا فيما سلف ثروة تلك البـلاد في المعادن ولعلّ الاعمال والابحاث المزمع اجراؤها سوف تكشف منها ما لم يَعلق بوَهم فلا يمضي قليل من الزمن حتى نقف على هذه المباحث التي لا يهمّ العلم فقط معرفتها بل تكون بالاخصّ عائدة بالنفع الجزيل على الاقتصاد والصناعة وستكون النتيجة تتابع ابحاث مهمّة يكشف لنا المستقبل عنها الحجاب. واذا قلنا ان جغرافيّـة تلك البلدان غير كاملة الايضاح وجب علينا التصريح بان جيولوجيّتها وتاريخها الطبيعي هما مجهولان كل الجهل

واماً الفوائد التي تنجم عن هـذا الخطّ للتاريخ ولعلم الآثار القديمة فهي تفوق الحصر لان الخطّ يمتدّ في الانحاء التي تُعد من اقدم بلدان الدنيا نذكر منها آسيّة الصغرى مع مدنها القديـمة التي لا يُعرَف من بقاياها الّا النـزر القليل. وشمالي سوريّة التي اكتشف فيها آثار وبقايا الشعوب الحثيين الغامضة وشواطئ الفرات مع مدنهـا التي تنتسب الى كل الاجيال وبلاد ما بين النهرَين وبابل وعهدها يرتقي الى فردوس عدن واوائل التاريخ البشري

وكنّا نشتهي ان نسهب في الكلام عن هذه الفوائد المهمّة لولا خوفنا من الاطالة المؤدية الى الملل. وفي الشروحات التي مرّت كفاية لبيان اهمّيّة مشروع الخطّ البغدادي ممّا يجعلـهُ في سلك اعظم الحوادث التي يُسرّ لها محبُّو النجاح في الاقتصاد والعلم. ونحسب انفسنا سعداء بان نختم كلامنا كما بدأنا بتكرار آية الشكر والحمد لجلالة المتبوع الاعظم الذي يُعدّ الخطّ البغدادي من اجلّ وا كل مآثر ذاته الملوكانيّة ايّدها الله

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

امَّا موسى الخادم الامين فكان ينظر الى زين وامرأتهِ اختلاساً نظر المسرور من حسن النتيجة ويزعم في سرّهِ انهُ كان اعظم وسيلة لتصافيهما ولهذا عجب كيف انهما لم يخصَّاهُ بكلمة شكر على مساعيهِ في سبيلهما. فهل كان ذلك يا ترى عن استرواء زين وراحيل لهذا الخادم المشهورة امانتهُ ام ان الخادم المذكور استعظم قدر خدماتهِ بزيادة على ما تستحق. والجواب انهُ لم يكن شيء من هذا كلّهِ ولكن الزوجين كانت قد استغرقتهما الافراح بعود عهد الهناء والصفاء الى سابق حالهِ وكان موسى يجهل ان السعادة هي ايضاً من جالبات الأَثَرة والخيلاء. مع انهُ كان الواجب ان تبعث المرء الى الانس واللطف. ومن المقرَّر ان الانسان متى صار الى الشقاء يحبّ ان يلقي تبعة حالتهِ على الغير ولكنهُ متى اصاب نجاحاً فيعزوهُ الى مساعيهِ الخصوصيَّة او على الكثير الى حسن طالعهِ وينسى عادةً من كان سبباً لعلاء حظّهِ

امَّا ذاك الشيخ البار فانهُ وقف في أعلى الرابية التي ارتفعت عليها صومعتهُ ينظر هنيهةً الى القارب الذي كان ينساب بسرعة على مياه البحيرة الهادئة. فلمَّا شاهدهُ قد انتهى الى خليج كفر عبده زفر زفرة خفيفة كانت علامة فرح واسف معاً لان القارب عندما انفصل عن شاطئ الجزيرة صوَّر لهُ ان كل ما بقي من العلائق الراهنة التي تربطهُ بهذه الارض قد تقطَّعت الى ابد الدهر فلمعت بغتةً عينا هذا الشيخ النبيل وتمثَّلت لمخيَّلتهِ خواطر كثيرة وتذكارات عديدة كان بعضها بعيداً جدًّا ومن جملتها جبل لبنان ودير حصن سليمان وأُسرة لامبرياك التي تنتمي اليها راحيل وبلاد الغرب وايام شبابهِ في الجندية وقصر بروج ودوق بورغندية وطنهِ وما اشتملت عليهِ من الاراضي الخصبة وقصر ابويهِ الى غير ذلك من التذكارات التي كان يحلو لهُ ترديدها... وقصارى القول انهُ لما رأى كل شيء قد تمّ واتجه كوخهُ وخرّ على ركبتيهِ امام مصلوب من خشب وهتف قائلًا: « الآن اطلق يا رب عبدك بسلام فاني قد اتممت باقلّ اساءة ممكنة تلك

المهمّة التي ارتضيت بتفويضهـا الى ضعفي · امنحني اللهمَّ ان اتمتع بالسلام الذي ما استطاعت الارض اصلًا ان توليني اياهُ »

وكان زين وراحيل في تلك الاثناء يواصلان سفرهما حتى وصلا الى خيام العرب النازلين في الوعر فاستراحا بضع ساعات في نفس الخيمة التي فيها استراحت راحيل مع خادمها موسى يوم عودتهما للمرة الاولى من زيارة جزيرة قدس ثم جدّا في المسير

فلمَّا انتهيا الى سهل البقيعة شاهدا كوكبة من الفوارس تلمع خوذهم ورماحهم على نور الشمس ولم يعلم زين هل هم قوم من غُزاة البدو ام من متاولة الهرمل ام بلاد بعلبك · وعلى كل الاحوال قد تخوَّف منهم وحقُّهُ ان يتخوَّف لانهُ كان قد انزل بالاخيرين خسائر عظيمة في ما كان من الأحداث الاخيرة بلبنان · وقد كان خوفهُ خاصَّةً على قرينتهِ فرأى الاصوب والافضل ان يجتنب ملقاهم ولكن الفرصة كانت قد فاتت لان المذكورين كانوا قد ابصروهما من بعيد فقصدوهما فلما صاروا على مسافة قريبة رأى زين مع التعجّب انهم قوم لبنانيون من عساكر الامير رزق الله · وكانت الحملة التي اعدَّها الامير المشار اليهِ على القليعة سريعةً للغاية ومكتومة حتى ان القوم في البترون لم يكونوا يعلمون بشيء من امرها فعند ذلك سألهم مقدَّم البترون قائلًا :

من اين انتم آتون ؟

— من القليعة · قال هـذا زعيم تلك الكوكبة ثم قصَّ على المقدَّم اخبار ما جرى من الحوادث بالتفصيل الشافي وان الامير رزق الله مع بحثهِ البليغ عن منفى الاب يوحنا لم يعرف حتى الان اين هو وانهُ يرى كل ما اتاهُ من الاعمال لا يجدي نفعًا اذا لم يقف على آثار سيدهِ المكرَّم ويعوّض عليهِ كل الاساءة التي انزلها بهِ جوسلين

قال زين : اريحوا بالكم فان الاب يوحنا مقيم الآن في جزيرة بحيرة قدَس وقد ذهبنا اليهِ وتكلمنا معهُ كثيرًا لاقناعهِ بترك المحل المذكور فذهب كلامنا عبثًا · ولا ريب ان الامير رزق الله يكون اسعد منَّا حظًّا

— بناء عليهِ قد وفَّينا مهمَّتنا فما بقي علينا الّا ان ننهي الخبر الى مولانا الامير

ثمَّ انهم لووا اعنـة الخيل وساروا في طريق جبل اللكّام وانحرف زين وراحيل يسرةً وسارا في جبال عكار وكانت الطريق التي اختاراها طويلة غير انها آمن الطرق المؤدية الى البترون · وكان اعزّ شيء يشتهيانهِ ان يصلا الى قصرهما ليتمتَّعا فيهِ بنعيم

السعادة ويقضيا اوقاتهما بتبادل الحب والعناية بطفلهما الصغير . واماً الماضي فكانا ينزلانه منزلة حلم مشئوم وكلّما خطر لهما تذكاره يجتهدان في ابعادهِ عنهما

٢٤

كما انهُ تعرض للحياة البشريَّة ايَّام نحس وشقاء كذلك ايضاً قد تصفو لها السعادة ويبسم لها الحظ وقد ذاقت أُسرة مقدم البترون طعم الامرين

وكان زين وراحيل يقتربان من البترون وقلوبهما تخفق كما سبق الخبر بحركة السرور والابتهاج ولمَّا انتهيا الى جبال الكورة ولاحت لهما تلك المدينة الصغيرة وكزا فرسَيهما فورًا تعجيلًا في السير وكانت راحيل اشدّ من بعلها شوقاً الى المنزل العائلي

وعند وصولهما الى البترون وجدا ما لم يكونا بانتظارهِ من الحظ لانهما ما كادا يطآن عتبة القصر حتى استقبلتهما حنَّة اخت راحيل وشقيقها موسى ارشيدياقون انطاكية وهكذا اجتمع لاول مرَّة الباقون في ارض الشام من بيت لبرياك بعد انفصالهم مدَّة سنتين

وكان موسى اخو راحيل قد عاد حديثاً من سفرهِ الى رومية وما كاد ينزل في طرابلس حتى جدَّ مسرعاً الى انطاكية ليؤدي الى بطريركهِ حساباً عن نتيجة المهمة التي ذهب في شأنها

وكانت انطاكية عاصمة البلاد السوريَّة في ما سلف من الزمان قد انحطت كثيرًا عن مقام عزّها لان الحروب والزلازل التي تناوبتها لم تبقِ فيها غير خراب ودمار . وكان الناس مع ما حلَّ بها من النكبات المتكرّرة يحبُّون استيطانها لما تفرَّدت بهِ من حسن الموقع لانها غير بعيدة عن البحر وعلى ضفة النهر العاصي وبالقرب من سهل مشهور بخصبهِ وريفهِ

فحالما وصل موسى المذكور الى انطاكية توجَّه الى الدار البطريركيَّة وكان ذلك في الرابع عشر من ايلول الموافق عيد ارتفاع الصليب المقدَّس

وكانت الكنيسة الكاتدرائيَّة القديمة التي تجدَّد بناؤها مرارًا قد قامت فيها الطقوس والتراتيل وتصاعدت دخنة البخور . وكان البطريرك جالساً بقرب الايقونوستاس على عرش عتيق قد نجا من النكبة الكبرى التي اصابت الكنيسة الملكيَّة وكان الشمامسة يضعون على كتفيهِ قميصاً من الديباج محبوكاً بالذهب مربوطاً بالجلاجل رمزًا الى قميص

هرون . ثم جاؤوا بالامفوريون المحبوك بالذهب وكانت قد عُلقت بهِ ذخائر القديسين واتوا بعدهُ بصليب الصدر وعصا الرعاية التي كانت تنتهي برأس حيَّتين متقابلتين . ومن بعد هذا كلّهِ لبس البطريرك التاج المثلَّث الذهبي وكان مرصعاً بصور الاثني عشر رسولًا ورَسْم الصليب المقدس بحجارة الماس

وكان رؤساء الاساقفة يحفُّون براعيهم والشمامسة يتبعونهُ بملابس سوداء وشعور طويلة مرسلة على اكتافهم . حتى ان من ينظر على نور الشمع ما بين دخنة البخور الى هؤلاء الاحبار ذوي اللحى الطويلة التي بيَّضها ثلج المشيب والسيماء الشبيهة بسيماء الاقدمين وهم بملابسهم الذهبيَّة يتوهَّم ان صور القديسين الاولين في الكنيسة اليونانيَّة قد نزلت من على الايقونوستاس الذي رسمتها عليهِ أقلام البيزنطيين او ان الاساقفة المذكورين لشدَّة تمعُّنهم في هذه الصور الناتئة قد ارتسمت اشباهها على وجوههم فصارت هي هم

وكانت الرتبة الطقسية متلاحقة ما بين التراتيل والصلوات ممَّا يحمل الحاضرين على الظن انهم في ايام فم الذهب وباسيليوس الكبير لانَّ الملابس القدسيَّة ما زالت باقية كما كانت وكذلك التراتيل والسجدات غير انَّ اللغة قد تغيَّرت فقامت العربيَّة بدلًا من اليونانيَّة وفيها كانوا يقرأُون القراءات والفصول المأخوذة من الكتاب المقدَّس امَّا الصلوات والطلبات فقد غير قليل منها كان يُتلى في السريانية (١

وبعد ان سكتت التراتيل وتبدَّدت دخنة البخور وتمت حفلة القداس تمكَّن موسى رئيس شمامسة الكنيسة الانطاكيَّة ان يؤدي حساباً للسيد البطريرك عن المهمَّة التي سافر في شأنها

وقد تقبَّلهُ البطريرك المشار اليهِ محفوفاً باخصّ الموظَّفين في كرسيهِ وكان شيخاً جليلًا قد اثقلهُ وقر السنين ذا وجه كالشمع ولحية طويلة قد اشتعل فيها بياض المشيب كالايقونات المعلَّقة على جدران الكنيسة

وحالما قبَّل موسى رئيس الشمامسة يدهُ دفع اليهِ الرسائل التي اتى بها من قداسة الحبر الاعظم البابا بيوس الثاني مع سائر الاوراق التي جاء بها من رومية وبقيَّة اوربَّة

١) راجع المشرق ١٩٠١ ص ١١٣١ و ١٩٠٢ ص ١٠٤

وكان موسى المذكور قد التقى في مدينــة سيانة ببيوس الثاني لدى رجوعهِ من مجمع مانتوة الذي انعقد للنظر في شؤُون الشرق (١ ومن هناك لحقهُ الى رومية

وكان قداستهُ قد تقبَّــل في مواجهة خصوصيَّة مندوب البطريرك الانطاكي الذي كان في الوقت نفسهِ مندوبًا من قبــل بطريركي اورشليم والاسكندريَّة (٢ واستعلم منهُ بعناية واهتمام عن احوال المسيحيين الشرقيين الذين كان يحب الوقوف على اخبارهم. ولمَّا كان البابا المذكور عالمًا كبيرًا حسن الاضطلاع بالعلوم الادبيَّة لدى اليونان واللاتين تحدَّث مليًّا مع موسى الذي كان ايضًا من العلماء المتازين (٣

ولم يكتفِ البابا بما اظهر من ادلَّة الالتفات بل احب ان يتقبَّل في مواجهة علنيَّة رئيس شمامسة انطاكية لكي يتسلَّم منهُ بصورة احتفاليــة رسائل الانضمام المبعوثة من قبل بطاركة اورشليم والاسكندريَّة وانطاكية (٤ وكان هذا الامر قد ابهج قلب بيوس الثاني الذي اذاع في هذه المناسبة منشورًا حبريًّا

وجرت لموسى ايضًا محادثات طويلة مع بساريون الكردينال اليوناني المشهور الذي افرغ كل مساعيهِ لإعادة الكنيسة اليونانيَّة الى الوحدة. وقــد سلَّم بساريون الى موسى بعض كتابات من قبلهِ الى بطاركة الشرق يحرّضهم فيها على الثبات في تمسُّكهم بقوانين مجمع فلورنسة التي صادقوا عليها مع اساقفة الغرب (ستأْتي البقيَّة)

محادثة لغويَّة

لحضرة الاستاذ رشيد افندي الشرتوني محرّر البشير ومدرّس الخطابة في كليَّة القديس يوسف

سألني احد الادباء : ما تقول في « شَكَرَ » هل من فرقٍ بين تعدّيهــا بنفسها وتعدّيها باللام ؟

(قلتُ) انَّ معناها مع اللام هو معناها بدون اللام غير انها مع اللام افصح

(قال) انَّ احد علماء اللغة الجهبذ الخطير والعالم النحرير الشيخ ابرهيم اليازجي الذي انفق معظم العمر في البحث عن اسرار اللغة قــد استدرك ما لم يذكرهُ احد من اصحاب المعجمات فاثبت في الضياء (١ : ٢٥٩) ان « الشكر يجب انْ يُعدَّى الى المشكور

---

١) راجع پاستور تاريخ البابوات ٢) پاستور والمشرق (١ : ٦١)
٣) المشرق (١ : ٦٣) ٤) پاستور

لهُ اي المنعِم باللام والى المشكور بهِ اي النعمة بنفسهِ تقول شكرتُ لزيدٍ صنيعتهُ وشكرتُ صنيعةَ زيد. واذا قلتَ شكرتُ زيدًا فهو على تقدير مضاف اي شكرتُ نعمة زيدٍ. أما قول كتبة الجرائد شكر لهُ على احسانهِ وشكر لاحسانهِ وشكر لهُ لاحسانهِ فهو حائد عن الصواب في كل من الصور الثلاث »

(قلتُ) لا اتذكر ان احدًا من علماء اللغة نبَّه الى هذا الفرق ولو كان لهُ اثر من الصحّة لَمَا فاتهم علمهُ لانهم كانوا ارحب منَّا فهمًا لكلام العرب لمكان مشافهتهم واعلى يدًا في تفسيرهِ لموضع مخالطتهم ومعاشرتهم. ومع ذلك هلمَّ نستفتِ المعجمات لعلّنا نجد فيها ما يصحح هذا التفريق الجديد والاختراع الحديث

وكانت لمحدّثي خزانة جمعت عددًا من الكتب فنهضت واَيَّاهُ نستشير ما فيها من اسفار اللغويين فقلّبنا لسان العرب وتاج العروس والصحاح والمصباح فلم نعثر على عبارة واحدة تشير الى الفرق المذكور

(قال) انَّ الشيخ ابرهيم قد وقف بلا شك على أقوال هؤلاء اللغويين لاني اعرف مكتبتهُ قد وعت كثيرًا من مثل هذه المصنَّفات التي لا ينقطع عن مطالعتها فاذا كان قد خالفها فذلك لسبب لم يتجلَّ لنا حتى الآن. أما تعلم انهُ قد خاض بحر اللغة ونحن لم نزل عند ساحلهِ ومن اين لنا ان نبلغ مبلغهُ من التحقيق

(قلت) متى كان الامر في هذه الدرجة من الوضوح لا يحتاج فهمهُ الى تبحُّر في اللغة فعبارة اللسان: « شكرتُهُ وشكرت لهُ وباللام أفصح.. وحكى اللحياني شكرتُ اللهَ وشكرتُ للهِ وشكرتُ باللهِ وكذلك شكرتُ نعمةَ الله... وفي الحديث لا يشكر الله من لا يشكر الناس » ومثلها عبارة التاج. وعبارة المصباح ان « شكر يتعدَّى في الاكثر باللام » وعبارة الصحاح انهُ « يتعدَّى في الاكثر باللام وربَّما تعدَّى بنفسهِ » وكل هذه الاقوال بمكان من السهولة يستوي في فهمها الذكي والغبي. ولم يرد فيها شيء يدلُّ على ان الشكر يجب ان يُعدَّى الى المنعم باللام والى النعمة بنفسهِ. أرأيت ان اللغويين الموثوق بهم لا يصوّبون مقالة شيخك بل يخطّئونهُ

(قال) أُجلُّ الشيخ عن الخطإ ولاسيما في احكامهِ اللغويَّة لكنَّهُ لمَّا رأى ان في تاج العروس ولسان العرب إبهامًا وقصورًا اعتمد على كلام الزمخشري في الاساس حيث يقول « شكرتُ لله نعمتَهُ واشكروا لي وقد يُقال شكرتُ فلانًا يريدون نعمة فلان » اه

(قلتُ) انَّ الزمخشري وان اختلفت عبارتهُ عن سائر اصحاب المعجمات فانهُ يعني ما يعنون ويريد نفس ما يريدون غير انهُ اوضح مرادهُ بالمثَل فقال « شكرتُ لله نعمتهُ واشكروا لي » ليبيّن ان الافصح في هذا الحرف ان يُعدَّى باللام سواء عُدّي الى المشكور لهُ او الى المشكور بهِ. ثمَّ اتبعهُ بقولهِ « وقد يُقال شكرت فلانًا » يعني بهِ ان تعديتهُ بنفسهِ قليلة كما نصَّ على ذلك سائر اصحاب المعجمات حتى قال المطرّزي ان « شكرهُ » لغة في « شكر لهُ ». والظاهر انّ قول الزمخشري بعد ذلك « شكرتُ فلانًا يريدون بها نعمة فلان » هو الذي غرَّ شيخك ابرهيم وحملهُ على الذهاب الى ان الشكر يجب ان يُعدَّى الى النعمة بنفسهِ وهو قول كما علمتَ بريءٌ من الصحة كزعمهِ انَّ في تاج العروس ولسان العرب إبهامًا وقصورًا

(قال) ما اظنّ ان هؤلاء اللغويّين رُزقوا العصمة

(قلتُ) اذن عمَّن تأخذ اللغة أعن الشيخ ابرهيم وحدهُ وهذا امر مستحيل لانهُ حتى الآن لم ينشر المعجم الذي قد طالما وعد بهِ فضلًا عن ان كتاباتهِ تشهد عليهِ بقصور الذرع وضعف العلم باللغة

(قال) لا اريد هذا

(قلتُ) فلماذا تكابر اذًا وتصرّ وتقول ان المشاهير الذين قرأنا كلامهم يضلُّون وشيخك وحدهُ لا يضلّ ؟

(قال) لاني لم أرَ في كلامهم ما يوافق حكمهُ

(قلتُ) هذا في منتهى الغرابة. ومع ذلك فلا بُدَّ ان آتيك بنقول أُخرى كثيرة من اقوال غير هؤلاء من اللغويين المشهود لهم حتى لا يبقى في قوس عنادك منزع

(قال) افعلْ ان قدرتَ

فجئنا اذ ذاك بكتاب مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير لفخر الدين الرازي واوَّل ما تناولنا الجزء السابع منهُ فوجدناهُ يقول عند تفسيرهِ « وما انا بظلّام للعبيد » :

« الباء تدخل في المفعول بهِ حيث لا يكون تعلُّق الفعل بهِ ظاهرًا ولا يجوز ادخالها حيث يكون في غاية الظهور. ويجوز الادخال والترك حيث لا يكون في غاية الظهور ولا في غاية الخفاء. فلا يُقال ضربت بزيد لظهور تعلّق الفعل بزيد. ولا يُقال خرجتُ وذهبتُ زيدًا بدل قولنا خرجتُ وذهبتُ بزيد لخفاء تعلق الفعل فيهما . ويقال شكرتهُ وشكرت لهُ للتوسط . فكذلك خبر ما لما كان مشبَّهًا بالمفعول الخ »

فما اتينا على آخر هذا الكلام حتى قال : من هو هذا فخر الدين الرازي ؟

(قلتُ) هو عالم كبير يختفي ضياء شيخك عند قدميهِ . ثم تناولت الجزء الثامن من الكتاب نفسهِ . واوَّل ما فتحتهُ كان الصفحة ٦٧ فاذا بهِ يقول عند تفسيرهِ : فسبّح باسم ربّك العظيم

« قد تقدَّم مرارًا ان الفعل اذا كان تعلُّقهُ بالمفعول ظاهرًا في غاية الظهور لا يتعدَّى اليهِ بحرف فلا يقال ضربتُ بزيد بمعنى ضربت زيدًا . واذا كان في غاية الخفاء لا يتعدَّى اليهِ الَّا بحرف فلا يُقال ذهبتُ زيدًا . واذا كان بينهما جاز الوجهان فتقول سبَّحتهُ وسبحتُ به وشكرتهُ وشكرتُ لهُ »

(قلتُ) وهل بقي في نفسك ريب ان شكر مع اللام هي مثل شكر دون اللام ولا صحّة لما قالهُ شيخك من ان شكر تتعدى باللام الى المشكور لهُ والى النعمة بنفسها

(قال) وهل تريد ان اسلّم بقول رجل اعجميّ أليس الرازيّ من الريّ في بلاد فارس ؟

(قلتُ) بلى

(قال) ومن اين للاعجمي ان يكون لهُ حكم في اللغة العربية ؟

(قلتُ) يا عجبا وكيف يحكم شيخك في اللغة وهو ملكيّ ينتسب الى الاصل اليوناني (راجع الضياء ص ٢٧٥) ويجول في عروقهِ الدم اليوناني . . .

(قال) لا شك انك من الجزويت

(قلتُ) بهم اعتزّ وشيخك يدعوهم « عصابةً فاضلة اشتهرت بالاجتهاد في إحياء رسوم العلوم ولاسيا في بلادنا الشرقيَّة . راجع المشرق ٥ : ٢٨٧ »

(قال) ما لنا وللجزويت دعنا نرجع الى ما كنَّا في صددهِ

(قلتُ) ما الفائدة وانت مكابر مصرّ . جئناك باقوال اصحاب المعجمات فقلت انَّ الشيخ الجهبذ النحرير الموصوف بكل وصف خطير قد طالعها ومحّصها ولكنَّهُ خالفها لغاية تقصر أفهامنا عن إدراكها فهل انحصر الفهم يا ترى في شيخك ؟ اتيناك بشهادة فخر الدين الرازي الذي تُعدّ شهادتهُ بالف شهادة فقلتَ انهُ من الاعجام وان شهادتهُ في العربيَّة مردودة . وذهلت انهُ قد نشأ بين الاعجام مَن لهم الكعب العالي في حفظ اللغة وضبط قواعدها . أما ان سيبويه صاحب الكتاب من الاعجام ؟ أليس الزمخشري صاحب الكشّاف هو من الاعجام ؟ . اما ان ائمة كثيرين يضيق المقام دون

تعدادهم هم من الاعجام ايضاً ؟ فمن يرضيك اذًا اذا كان لا يرضيك لا اصحاب المعجمات ولا هؤلاء الائمة ؟

(قال) البحث عن عالم عربي محض النسب وانتني بكلامهِ

فاخذت شرح الكافية للامام الرضي فعثرت فيهِ على ما لم اكن اتوقّعهُ وهو بحرفهِ:

« قيل في بعض الافعال انهُ متعدٍّ بنفسهِ مرةً ومرةً انهُ لازم متعدٍّ بحرف الجرّ وذلك اذا تساوى الاستعمالان وكان كل واحد منهما غالبًا نحو نصحتُك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك . والذي ارى الحكم بتعدي مثل هذا الفعل مطلقًا اذ معناهُ مع اللام هو معناهُ من دون اللام والتعدّي واللزوم بحسب المعنى . وهو بلا لام متعدٍّ اجماعًا فكذا مع اللام فهي اذًا زائدة كما في « ردف لكم » الّا انها مطّردة الزيادة في نحو نصحت وشكرتُ دون ردف »

(قال) لهذا الكتاب طبعتان فلعلَّ اصحاب الطبعة الثانية قد صحّحوا فيها ما جاء في الاولى . فصبرتُ على اصرارهِ وعنادهِ وقلت هات الطبعة الثانية فجاءني بها فقلّبناها فرأينا فيها في الموضع السابق ذكره هذا الكلام:

« ان فعلًا واحدًا قد يتعدى مرةً بنفسهِ الى المفعول فيُسمّى متعديًا ومرّةً بحرف الجرّ فيسمى لازمًا وذلك اذا تساوى الاستعمالان وغلب كلّ واحد منهما نحو شكرتك وشكرت لك . هذا ما قيل والاولى جعل اللام زائدة والحكم بتعدي هذه الافعال مطلقًا اذ معناها مع اللّام هو معناها بلا لام »

(قلت) أرأيتَ كيف الطبعتان تخطّئان صاحبك وشيخك وكيف تصرّحان بانهُ لا اثر للفرق الذي اخترعهُ فلك أن تقول بالرغم عنهُ « شكرتك وشكرتُ لك وشكرتُ نعمتك وشكرت لنعمتك » دون تفريق

(قال) لا اقنع ولو جئتني بكتب الاولين والآخرين فشيخي نسيج وحدهِ وليس لقولهِ من دافع

(قلتُ) بالحق نطقتَ فابقَ على اعتقادك وارضَ بشيخك

وغادرتهُ آسفًا على ضياع ساعة من الوقت مع من ادبهُ في البحث كأدب شيخهِ

الفصح

تاريخهُ وبيان حسابهِ

للاب موريس كولنجت اليسوعي

قد أُطلعنا في كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية على فصل حسن لابي ريحان محمد بن محمد المشهور بالبيروني اثبت فيهِ الحساب الفصحي الذي كان يجري عليهِ نصارى

الشرق في عهدهِ في اواسط القرن الحادي عشر فاجبنا تدوينهُ في المشرق بنسبة عيد الفصح. وقد انتهزنا هذه الفرصة لنلخص هنا ما هو منوط بالتاريخ الفصحيّ وحسابهِ القديم والحديث لانَّ الرسائل تتوارد علينا تترى سنويًا في هذا الشأن فتكون هذه النبذة جوابًا قريب المنال لا يبقي للسائلين ريبًا فنقول:

١ نبذة تاريخية في الفصح

تفيدنا اسفار التوراة انَّ الله امر شعبهُ بعد خروجهِ من رقّ عبوديَّة المصريين ان يقيم في كلّ سنة ذكرًا لخلاصهِ وهو عيد الفصح (פסח) كان يحتفل بهِ اليهود في اليوم الرابع عشر من بدر نيسان اول شهور السنة الاسرائيليَّة. وقد وقع موت المسيح في يوم الفصح كما جاء في الانجيل الطاهر وكان ذلك سنة ٣٠ من التاريخ الحالي(١ والفصح في تلك السنة كان يوافق السابع من شهر ابريل الرومي كما يرتإي ذلك ائمة العلماء في عهدنا وليس في ٢٥ آذار كما زعم القدماء

فلمَّا ثبت قدم النصرانيَّة حتم روساء الكنيسة بان يقيم المؤمنون عيد الفصح في الاحد الواقع بعد بدر شهر نيسان اليهودي الموافق لبدر آذار الرومي وذلك ليُفرز بين المسيحيين والموسويين. على انَّ هذه القاعدة مراعاةً للمرتدّين من اليهوديَّة لم تكن مطَّردة وبقيت بعض الكنائس لاسيَّما افسس وما يليها من بلاد آسيا الصغرى تعيّد الفصح في الرابع عشر من بدر آذار مع اليهود وقد تصدَّى البابا ڤيكتور وامر بابطال هذه العادة وتهدَّد بالحرم من تجاوز اوامرهُ في خبر طويل ذُكر في المشرق (٢: ٤٤٥). وقد صادق المجمع النيقوي على حكم البابا ڤيكتور وتقدَّم الى جميع الكنائس بألّا تقيم عيد الفصح مع اليهود بل في الاحد التالي لبدر نيسان اليهودي اي آذار الرومي وذلك جريًا على تقليد كنيسة رومية المنتهي الى عهد الرُسل (٢. ولمَّا كان الفلكيون يجعلون في ذلك العهد الاعتدال الربيعي في ٢١ آذار الرومي نتج من ذلك انَّ عيد الفصح لم يقع مطلقًا قبل هذا اليوم. وقد كلَّف آباء المجمع بطريرك الاسكندريَّة بان يعهد الى قوم من الفلكيين في مدينتهِ بضبط الحسابات ورسم الازياج لتعيين يوم

١) بدء تاريخ النصرانية يبتدئ سنة ٧٤٩ لرومية كما رجَّح ذلك العلماء في ايامنا

٢) وقد ايَّد الله ذلك بآيات عجيبة ذكرها القدماء وجمعها العلَّامة الشهير الاب نيلس اليسوعي في كتابهِ كلندار الكنيستين (راجع الجزء الثاني منهُ ص ٢٨٦ حيث اثبت ما جرى في بعض الكنائس يوم عيد الفصح من امتلاء جرون المعموديَّة بماء سمويَّة ومن شفاء المرضى الخ)

العيد ثم ينبئ بهِ جميع كنائس النصرانيَّة. فعمل. بَيْد انَّ بُعد المسافة وصعوبة المواصلات حالت مرارًا دون رغائبهِ فلم يتمّ الوفاق المقصود في كل السنين وبقي الامر على علّاتهِ الى زمن الاصلاح الغريغوري في القرن السادس عشر (راجع مقالتنا في اصول الحساب السنوي في المشرق ٣: ٢٢٥)

هذا وانَّ عيد الفصح يسبقهُ الصوم الاربعيني ذكرًا لصوم السيد المسيح اربعين يومًا في البريَّة يختلف وقوعهُ مع اختلاف زمان الفصح. وكان هذا الصوم في اوائل النصرانيَّة لا يتجاوز ستة اسابيع اي ٣٦ يومًا لانَّ الاحد لا يحلُّ فيهِ الصوم. ثم أُضيف على هذه الايَّام اربعة أُخرى في الكنيسة اللاتينيَّة ليتمّ عدد الاربعين فصار بدء الصوم في اربعاء الرماد. امَّا الكنائس الشرقيَّة فتبتدئ صومها في الاثنين السابق لاربعاء الرماد ولكن لمَّا كانت هذه الكنائس لا تصوم في ايام السبوت والآحاد (الّا بيرامون القيامة) لم يتجاوز صومها ٣٧ يومًا بل هو اقلّ من ذلك لاجل الاعياد الواقعة في ذلك الوقت كعيد الاربعين شهيدًا وعيد البشارة وغير ذلك اذ لا صوم في هذه الاعياد

٢ حساب التاريخ الفصحي

انَّ الكنيسة تجري في نظام سنتها على الحساب الشمسي الّا انها مراعاةً للتقاليد القديمة قد تبعت الحساب القمري في اعيادها المعروفة بالمتحولة وخصوصًا عيد الفصح الذي هو قطب هذه الاعياد المتنقلة وما انتقالها الّا منوط بهِ. واعلم انَّ الكنيسة لا تتبع في حسابها الفصحي مسير القمر الفلكي لانَّ هذا القمر يختلف باختلاف موقع البلاد وانَّمــا جرت على القمر المتوسّط المعروف بالقمر الكنسيّ الذي يوافق شيئًا ما القمرَ الفلكيّ

فيكون مرجع المسئلة الى ما يأتي: متى يتعيَّن بالنسبة الى الشمس البدر الاوَّل الواقع بعد الاعتدال الربيعيّ اي بعــد ٢١ آذار فاذا عُرف وقتهُ ويومهُ كان الفصح في الاحد التالي

فلحلّ هذا المشكل لا بُدَّ اولًا من معرفة الدور القمري وهو عدد السنين التي تمرُّ على القمر قبــل ان يعود الى توافقهِ مع دوران الشمس اعني حين يقع مبدأ السنتين الشمسيَّة والقمريَّة في يوم واحد وهو اليوم الاوَّل من كانون الثاني. وهذا التلاقي انَّمــا يكون مرَّة في كلّ ١٩ سنة لانَّ ١٢ شهرًا شمسيًا يساوي ١٢ شهرًا قمريًا باضافة ١١

يوماً اليها ولا تجد عدداً تاماً من الشهور الشمسيَّة يوافق عدداً تامًّا من الشهور القمريَّة الَّا في كلّ ١٩ سنة لانَّ ١٩ سنة شمسيَّــة تساوي ٢٣٥ شهرًا قمريًا على التقريب وبضبط الحساب تساوي ٢٣٤ شهرًا و ٠٣٥ ٩٩٧ قسماً من الشهر

وعليهِ فانَّ معرفة التاريخ الشمسي الذي يوافق بدء الشهر القمري اي الاستهلال كافية لتعيين بقيَّة الشهور القمريَّة وذلك بان تُجعل ايَّام الشهور القمريَّة ٣٠ يوماً او ٢٩ بالتوالي لتوفية الكَسْر السابق ذكرهُ ٠,٩٩٧٠٣٥.وبذلك تُعرف الشهور التي عدد ايَّامها ٣٠ يوماً من غيرها

واعلم انَّ في غرَّة كانون الثاني من السنة التي سبقت تاريخ الميلاد وقع فيها هذا التوافق بين السنة الشمسيَّة والقمريَّة فاعتبر العلماء تلك السنة كمبدإ الادوار القمريَّة. فتكون سنتنا الحاليَّة ١٩٠٢ هي السنة ١٩٠٣ منذ ابتدأت هذه الادوار وعليهِ فيكفي لمعرفة عدد هذه الادوار ان تقسم عدد ١٩٠٣ على ١٩ فتجد الحاصل ١٠٠ والباقي ٣ فتكون سنتنا الحاليَّة هي السنة الثالثة من الدور القمري المئة والواحد. والعدد الذي يدلُّ على سنة كلّ دور يُدعى العدد الذهبي. استخرجهُ اوَّل مرَّة الفلكي اليوناني ميتون فأعلم بهِ الاثينيين فرقموهُ باحرف ذهبيَّة في هيكل إلهتهم مينرفة وكان النصارى يكتبونهُ ايضاً في كتبهم الدينيَّة بالحروف الذهبيَّة ودُعي لذلك بالعدد الذهبيّ

واذا عُرف العدد الذهبي يسهل الانتقال منهُ الى بدء الدور ومنهُ الى معرفة عدد ايَّام الشهور مباشرةً بعدد ٣٠ يوماً ثم ٢٩ يوماً بالتوالي. وقد وُضع اقتصارًا قاعدة لمعرفة عمر القمر تسمَّى قاعدة القمر (épacte) يُستفاد منها معاً عدد الأيَّام الفارقة بين السنة الشمسيَّة والسنة القمريَّة ثم يُعرف بها عمر القمر في ٣٠ كانون الاول من السنة المنصرمة. ولمَّا كانت السنة السابقة لتاريخ الميلاد هي بدء الدور القمري كانت قاعدة القمر في تلك السنة صفرًا ويُدلُّ عليه بنجمة (*) وفي آخر السنة التالية كانت قاعدة القمر ١١ ثمَّ في السنة التابعة ٢٢ ثمَّ ٣ ثمَّ ١٤ ثمَّ ٢٥ الخ. فيمكن بذلك اصطناع جدول للدور القمري مع الدلالة على قاعدة القمر على طريقة سهلة ولكن لا بُدَّ لهُ من بعض اصلاح ينتج عن العدد الكسري الذي سبق ذكرهُ اعني ٠,٩٩٧٠٣٥.

ودونك جدولًا لهذه القاعدة يصحّ الاستناد اليهِ من سنة ١٩٠٠ الى سنة ٢١٩٩:

العدد الذهبي	قاعدة القمر
١	٢٩
٢	١٠
٣	٢١
٤	٠٢
٥	١٣
٦	٢٤
٧	٠٥
٨	١٦
٩	٢٧
١٠	٠٨
١١	١٩
١٢	*
١٣	١١
١٤	٢٢
١٥	٠٣
١٦	١٤
١٧	٢٥
١٨	٠٦
١٩	١٧

امَّا السنون التي يقع فيها بدء هذه الادوار القمريَّة فهي الآتية: ١٩٠٠, ١٩١٩, ١٩٣٨, ١٩٥٧, ١٩٧٦, ١٩٩٥, ٢٠١٤, ٢٠٣٣, ٢٠٤٢, ٢٠٦١, ٢٠٨٠, ٢٠٩٩, ٢١١٨

مثال ذلك انَّ سنتنا الحاليَّة ١٩٠٢ هي السنة الثالثة من الدور القمريّ فعددها الذهبيّ ٣ وقاعدة القمر فيها ٢١ اعني انّ عمر القمر كان في غرَّة كانون الثاني ٢٢ يوماً. امَّا اهلَّة السنة فهي واقعةٌ في ١٠ كانون الثاني و ٨ شباط و ١٠ آذار و ٨ نيسان و ٨ ايَّار الخ ويكون بدر هذه الاهلَّة ١٣ يوماً بعد الايَّام المذكورة

بقي علينا ان نذكر حساب الآحاد السنويَّة. ولو قسمنا ايَّام السنة ٣٦٥ يوماً على ٧ كان الحاصل ٥٢ والباقي ١ فينتج عن ذلك انَّ السنة تبتدئ وتُختم في يوم الاسبوع نفسهِ. فلو كانت السنون كلها بسيطةً لاقتضى الامر ان تبتدئ السنة في كل سنة من السنوات السبع بيوم من ايَّام الاسبوع وان يكون الدور الشمسيّ مركَّباً من سبع سنوات لكنَّ الامر ليس كذلك ولمَّا كانت السنة تُكبس مرَّة في كل اربع سنوات لزم ان يكون الدور الشمسيّ مركَّباً من ٧×٤ اي ٢٨ سنة كما ترى ذلك في الجدول الآتي حيث الحروف الابجديَّة « ا ب ج د ه و ز » تدلُّ على ايَّام الاسبوع:

ا ب ج د ه و ز ا ب ج د ه و ز ا ب ج د ه و
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦

ز ا ب ج د ه و ز ا ب ج د ه و ز ا...
١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ١

فاذا عُرف هكذا العدد الموافق للدور الشمسي عُرف ايضاً في ايّ يوم من الاسبوع يقع اول كانون الثاني ومنهُ تعرف ايَّام الاحد في السنة والحرف الموافق للاحد الاول في كانون الثاني هو المدعو حرف الاحد وفيهِ واقعة كل آحاد السنة. ودونك جدولًا يبيّن لك حرف الاحد لمدَّة القرن العشرين كلهِ:

السنون ١٩٠٠–٢٠٠٠				الحرف الاحدي
٠				ز
	٢٨	٥٦	٨٤	ا ز
١	٢٩	٥٧	٨٥	و
٢	٣٠	٥٨	٨٦	ه
٣	٣١	٥٩	٨٧	د
٤	٣٢	٦٠	٨٨	ج ب
٥	٣٣	٦١	٨٩	ا
٦	٣٤	٦٢	٩٠	ز
٧	٣٥	٦٣	٩١	ه
٨	٣٦	٦٤	٩٢	ه د
٩	٣٧	٦٥	٩٣	ج
١٠	٣٨	٦٦	٩٤	ب
١١	٣٩	٦٧	٩٥	ا
١٢	٤٠	٦٨	٩٦	ز و
١٣	٤١	٦٩	٩٧	ه
١٤	٤٢	٧٠	٩٨	د
١٥	٤٣	٧١	٩٩	ج
١٦	٤٤	٧٢		ب ا
١٧	٤٥	٧٣		ز
١٨	٤٦	٧٤		و
١٩	٤٧	٧٥		ه
٢٠	٤٨	٧٦		د ج
٢١	٤٩	٧٧		ب
٢٢	٥٠	٧٨		ا
٢٣	٥١	٧٩		ز
٢٤	٥٢	٨٠		و ه
٢٥	٥٣	٨١		د
٢٦	٥٤	٨٢		ج
٢٧	٥٥	٨٣		ب

فترى انَّ حرف الاحد في هذه السنة الجارية هو حرف «ه» فكان بدء السنة في يوم الاربعاء وترى ايضاً ان لبعض السنين حرفين دلالةً على انَّ السنة كبيسةٌ يوم آحادها في الشهرين الاولين غير يومها في بقيَّة الشهور لانَّ اليوم الزائد انَّما يُزاد في آخر شباط وفقاً لعادة جرت منذ عهد الدولة الرومانيَّة فيكون هذا الشهر اذ ذاك مركَّباً من ٢٩ يوماً

هذا وقد اصطُنعت جداول تجمع ما سبق ذكرهُ من الافادات فتبيّن فضلًا عن ايام التاريخ الشمسي حروف ايام الاسبوع وعدد ايَّام القمر وهذه الجداول تُدعى جداول دائمة يُمكن استخدامها في كل سنة اذا ما وقف صاحبها على ما تتركَّب منهُ. هذا الجداول في بدء كل السنة اعني العدد الذهبي وقاعدة القمر والحرف الأحدي والدور الشمسي والدور الملكي (indic-tion) ويدعى محزورًا وهو عبارة عن دور خمس عشرة سنة كان ملوك الروم يتخذونهُ لاستئداء جزية معلومة في كل ١٥ سنة. وبدء هذا الحساب من سنة ٣١٣ ميلاديَّة وهو اليوم مُهمل لا يُستعمل الَّا في تاريخ بعض البراءات البابويَّة. ومثال هذه التعريفات اللازمة للسنة الحاليَّة ١٩٠٢ كما ترى:

العدد الذهبي ٣ = قاعدة القمر ٢١ = الحرف الاحدي ه = الدور الشمسي ٧ = المحزور ١٥

امَّا الجدول الدائم فهذه صورتهُ :

اول
اعة قمر
٣٠
١٩
١٨
١٧
١٦
١٥
١٤
١٣
١٢
١١
١٠
٩
٨
٧
٦
٥
٤
٣
٢
١
*
٢٩
٢٨
٢٧
٢٦
٢٥ ٢١
٢٤
٢٣
٢٢
٢١
٢٠ ١٥

وبعد هذا فلا صعوبة لادراك حساب تاريخ الفصح كما ورد في قانون المجمع النيقوي والاصلاح الغريغوري. مثال ذلك سنتنا الحاليَّة ١٩٠٢ فان قاعدتها القمريَّة ٢١ وحرفها الاحدي ه كما تقدَّم ولمَّا كان البدر الاول (اعني اليوم ١٤ من الشهر القمري) الواقع بعد ٢١ اذار (اعني الاعتدال الربيعي) هو ٢٣ من هذا الشهر وكان الاحد الاول بعدهُ في ٣٠ منهُ نتج انَّ عيد الفصح هو في ٣٠ اذار. فمن ثمَّ ترى انَّ الفصح لا يسبق ٢٢ اذار ولا يتجاوز ٢٥ نيسان. ودونك جدول الحساب الفصحي الدائم

وفي ختام هذه النبذة التي نقدّمها على فصل البيروني يسرُّنا ان نفيد القراء انَّ غبطة بطريرك الفنار يواكيم الثالث اعلن

قاعدة القمر	الحرف الاحدي (١) ا	ب	ج	د	ه	و	ز
١	ن ١٦	ن ١٧	ن ١٨	ن ١٩	ن ١٣	ن ١٤	ن ١٥
٢	ن ١٦	ن ١٧	ن ١٨	ن ١٢	ن ١٣	ن ١٤	ن ١٥
٣	ن ١٦	ن ١٧	ن ١١	ن ١٢	ن ١٣	ن ١٤	ن ١٥
٤	ن ١٦	ن ١٠	ن ١١	ن ١٢	ن ١٣	ن ١٤	ن ١٥
٥	ن ٩	ن ١٠	ن ١١	ن ١٢	ن ١٣	ن ١٤	ن ١٥
٦	ن ٩	ن ١٠	ن ١١	ن ١٢	ن ١٣	ن ١٤	ن ٨
٧	ن ٩	ن ١٠	ن ١١	ن ١٢	ن ١٣	ن ٧	ن ٨
٨	ن ٩	ن ١٠	ن ١١	ن ١٢	ن ٦	ن ٧	ن ٨
٩	ن ٩	ن ١٠	ن ١١	ن ٥	ن ٦	ن ٧	ن ٨
١٠	ن ٩	ن ١٠	ن ٤	ن ٥	ن ٦	ن ٧	ن ٨
١١	ن ٩	ن ٣	ن ٤	ن ٥	ن ٦	ن ٧	ن ٨
١٢	ن ٢	ن ٣	ن ٤	ن ٥	ن ٦	ن ٧	ن ٨
١٣	ن ٢	ن ٣	ن ٤	ن ٥	ن ٦	ن ٧	ن ١
١٤	ن ٢	ن ٣	ن ٤	ن ٥	ن ٦	ذ ٣١	ن ١
١٥	ن ٢	ن ٣	ن ٤	ن ٥	ذ ٣٠	ذ ٣١	ن ١
١٦	ن ٢	ن ٣	ن ٤	ذ ٢٩	ذ ٣٠	ذ ٣١	ن ١
١٧	ن ٢	ن ٣	ذ ٢٨	ذ ٢٩	ذ ٣٠	ذ ٣١	ن ١
١٨	ن ٢	ذ ٢٧	ذ ٢٨	ذ ٢٩	ذ ٣٠	ذ ٣١	ن ١
١٩	ذ ٢٦	ذ ٢٧	ذ ٢٨	ذ ٢٩	ذ ٣٠	ذ ٣١	ن ١
٢٠	ذ ٢٦	ذ ٢٧	ذ ٢٨	ذ ٢٩	ذ ٣٠	ذ ٣١	ذ ٢٥
٢١	ذ ٢٦	ذ ٢٧	ذ ٢٨	ذ ٢٩	ذ ٣٠	ذ ٢٤	ذ ٢٥
٢٢	ذ ٢٦	ذ ٢٧	ذ ٢٨	ذ ٢٩	ذ ٢٣	ذ ٢٤	ذ ٢٥
٢٣	ذ ٢٦	ذ ٢٧	ذ ٢٨	ذ ٢٢	ذ ٢٣	ذ ٢٤	ذ ٢٥
٢٤	ن ٢٣	ن ٢٤	ن ٢٥	ن ١٩	ن ٢٠	ن ٢١	ن ٢٢
٢٦	ن ٢٣	ن ٢٤	ن ١٨	ن ١٩	ن ٢٠	ن ٢١	ن ٢٢
٢٧	ن ٢٣	ن ١٧	ن ١٨	ن ١٩	ن ٢٠	ن ٢١	ن ٢٢
٢٨	ن ١٦	ن ١٧	ن ١٨	ن ١٩	ن ٢٠	ن ٢١	ن ٢٢
٢٩	ن ١٦	ن ١٧	ن ١٨	ن ١٩	ن ٢٠	ن ٢١	ن ١٥
*	ن ١٦	ن ١٧	ن ١٨	ن ١٩	ن ٢٠	ن ١٤	ن ١٥

١) الحروف الابجدية تدلُّ على ايَّام الاسبوع وحرفا ن , ذ على نيسان وآذار

في ١٠ ك ١ في المجلة اليونانيَّة « الحقيقة الكنسيَّة » عريضةً طلب فيها من مجمع ملَّتهِ الديني ومن بطاركة الكراسي الكبرى بان يفحصوا قضيَّة اصلاح الحساب من حيث الوجه العلمي والوجه الديني معاً. وقد تلقَّى اكثر الروم الاورثدكس هذا الطلب بمزيد الفرح لاسيما اليونان منهم في اثينة. والرجاء وطيد انَّ عموم الاورثدكس في السنة القادمة يتخذون الحساب الغربي ومما يزيد هذا الامل ثقةً انَّ الروسيَّة جانحةٌ اليهِ تريد اتخاذهُ عند افتتاح السكة الحديديَّة التي توصل بين اوربَّة والشرق الاقصى مارَّةً بسيبيريَّة. حقَّق الله هذه الاماني قريباً وجمع كل قلوب النصارى في الوحدة والاتفاق

مطبوعات شرقية جديدة

حياة سيدنا يسوع المسيح

تأليف الاب لاكامي الفرنساوي عرَّبها الخوري بطرس مبارك الماروني

طبع في بيروت في المطبعة الادبية (سنة ١٩٠١ ص ٥١٢)

لم تمرَّ علينا سنة منذ بشَّرنا الشرقيين (المشرق ٤: ٦٦٧) ببروز سيرة السيد المسيح للسيد المفضال المطران جرمانوس معقَّد وضعها على طريقة مبتكرة من شأنها ان ترغّب القرَّاء في مطالعتها. واليوم قد اتحفنا حضرة الخوري الفاضل بطرس مبارك مدير الدروس في مدرسة الحكمة الزاهرة بتعريب سيرة أخرى حظيت قبولًا عند الفرنسويين ألَّفها السيد العلامة لاكامي (Le Camus) قبل ارتقائهِ الى كرسي الاسقفيَّة بمدينة لاروشال من اعمال فرنسة. وقد اطَّلعنا على هذه الترجمة فقد رأيناها حريَّة بكل ثناء تقرِّب الى اهل بلادنا إدراك أسرار حياة السيد المسيح وتعاليمهِ الخلاصيَّة

وشتَّان بينها وبين تلك السيرة الخلاعيَّة التي ضمَّنها رينان الشهير بكفرهِ ضروبَ الاراجيف واصناف الخرافات ولم يستحي صاحب مجلة الجامعة ان ينشرها آخرًا في مجلَّتهِ. ونرى في سيرة المسيح للسيد لاكامي احسن تفنيد لهذه السيرة الكاذبة. على اننا لا نجزم بصحَّة كل ما ورد في تأليف السيد لاكامي لانَّ لهذا الكاتب آراء لا تتجاوز الحدس والتخمين. ولعلَّ حضرة المعرِّب امكنهُ في ان يلطِّف بعض المحلات او يشرحها في ذيل الكتاب. وربَّما جاءت في نفس التعريب بعض عبارات لم تؤدِ تماماً معنى المؤلف

وهي ان أُخذت في حصر الكلام ليست بمطابقة للمبادئ اللاهوتية من ذلك ما ورد في التمهيد (ص ١٠) عن سرّ الفداء انهُ « اضحى امرًا ضروريًا في حكم العقل الصائب » وكقولهِ في الصفحتين ١١ و ١٢ عن الاناجيل الاولى الثلاثة التي دعاها « جداول » وهو اسم لا يوافق معنى الافرنسيَّة (Synoptique) وكان الاولى ان يسمّيها الاناجيل المتشابهة او المتجانسة ثم قال عن الانجيليين الثلاثة « انهم نقلوا عن بعضهم » وانَّ في تلك الاناجيل « تباينًا وتشابهًا واتفاقًا واختلافًا وزيادة ونقصانًا » وفي كل هذه الالفاظ ما يمكنهُ ان يسبّب للقرَّاء سوء فهم إِنْ لم يشرحهُ شارح ولعلَّهُ يسوقهم الى الظنّ انَّ هذه الاناجيل اعمال بشريَّة محضة ليسَت بمنزَلة . هذه بعض ملاحظات خفيفة ابدينا بها لئلا يجد بعض القراء عثرة في هذا الكتاب النفيس الذي نحضُّ كلَّ المسيحيين على مطالعتهِ وتأملهِ شاكرين لحضرة المعرّب همّتهُ في نقلهِ الى لغتنا

Étude sur la langue vulgaire d'Alep

par le P. Léon Pourrière O. F. M.

publiée par G. Kampffmayer, Berlin 1901, *pp.* 25

لغة حلب العاميَّة

لا يكتفي المستشرقون بدرس اللغات العاميَّة في الشرق عمومًا بل تراهم يفردون لكل قطر انجاءً خصوصيَّة تسهل عليهم المقابلة بين لهجة ولهجة علَّهم يقفون بذلك على فوائد ترشدهم الى احوال البلاد القديمة . ومن المقالات الحسنة التي نُشرت آخرًا في هذا المعنى نبذة حسنة لحضرة الاب لاون پوريار الفرنسيسي الحلبي ضمَّنها عدَّة ملاحظات عن لغة حلب العاميَّة ولفظ اهلها وتصرُّفهم بالحركات واعراب الاسماء وتصريف الافعال مع مجموع واسع لمفرداتهم وتعابيرهم وامثالهم ممَّا يُطلع بهِ الباحث على لهجتهم المخصوصة بهم . وهذه المقالة قد نشرها العلامة المدقق ج . كمفماير الذي اثنينا مرارًا على همَّتهِ في تدوين اللغات العاميَّة في انحاء الشرق ثمَّ ذيَّلها بحواشٍ زادتها ايضاحًا وفائدة ل . ش

شَذَرَاتٌ

صدى الوطنيَّة هو عنوان قصيدة عامرة الابيات رفعها الاديب نعيم صوايا مؤسس ومدير المدرسة الوطنيَّة الكاثوليكيَّة في بعبدات الى قداسة

حبر الاحبار الكنيسة لاون تهنئة بيوبيلهِ الفضيّ هذا مطلعها:

لرومةَ حيث الدينُ مبتسم ثغرا | تضوّع ريّاهُ بما يشرح الصدرا
لعاصمة الحقّ التي اعتزّ ملكها | بلاون واشتدّت بصولتهِ أزرا
لتخضع بأمر الله كلُّ سيادةٍ | مسيحيّةٍ ليست لتنبذَ الامرا
فما مؤمن من لا يطأطئُ رأسهُ | لديها ويجثو لاثمًا فمهُ العَفرا
على انها من عالم الروح حكمها | فمَن لم يدِنْ منا اختيارًا يدن قسرا

ومنها قولهُ يمدح لاون الثالث عشر:

فأنّى توجّهنا وجدنا لفضلهِ | مآثر لا تفنى وقد افنتِ الدهرا
ولاسيما في الشرق حيثُ تدفّقت | اياديهِ كالانواء تستغرق الحصرا
وبات يراعينا بطرف رعايةٍ | خصوصية يُحيي اللياليَ لا يكرى

وقال: إمام ندًى كلُّ القلوب تقيّدت | باحسانهِ في سجن طاعتهِ أسرى
وبدر هدًى لا كالبدور وانما | لهُ سَنَنٌ ما حاد عنهُ ولا ازورّا
تسابقت الاقوام من كل وجهةٍ | بيوبيلهِ الفضّيّ هديةً تبرا
فأسعد بهِ يوبيلَ حبرٍ تأرّجت | بافضالهِ ارجاء لبناننا نشرا

ومنها: تواضعَ عن علم وللجاه حولهُ | مجالي جلالٍ وَصفها يعجز الفكرا
وللكبر في يوبيلهِ كلُّ شارةٍ | تزيّن في عيني قداستهِ الكِبرا
ولكنهُ كالغصن ما زاد حملهُ | يزدْ ميلُهُ للارض محدودبًا ظهرا

ولهُ في مدح المرسلين:

لذا من لدنك المرسلون بعثتَهم | ينادون بالايمان بين الملا طرًّا
فلم تخلُ منهم بقعةٌ في بلادنا | وحيث ثووا شادت مساعيهم القفرا
يبثّون لا يخشون لومة لائمٍ | على الحق من ذاكي شمائلك العطرا
وربَّ امرئٍ شاكٍ من العسر أمّهم | فما ابطلوا شكوى ولا اثبتوا عُسرا
ولا فرق بالاحسان في شرع جودهم | اذا كان زيدًا مَن يرجّيهِ او بكرا
وحسبيَ منهم ما وصفتُ ولم أُجر | فعلمك من علي باوصافهم ادرى
وشعريَ فيهم فيك اذ هو شاعر | بانّهمُ منك استفادوا الذي مرّا
كزُهر نجوم تستمدُّ ضياءها | من الشمس لا يشرقنَ ان قرنها ذرّا

ترقّي الكنيسة في عهد البابا لاون الثالث عشر انّ عدد الكاثوليك في هذا ربع القرن الذي تولى فيهِ ابو المؤمنين البابا لاون الثالث عشر قد زاد نيِّفًا وستّة ملايين. وفي ايامهِ قد أُنشئت بطريركيّتان وعشرون كرسيًا لرؤساء اساقفة و ١٠٩ اسقفيّة وثلاث قصادات رسوليّة و ٧٥ نيابة و ٣٥ ولاية رسوليّة

تبنيج الاسنان انّ الوسائل المستعملة حتى الآن لتبنيج

الاسنان قبل قلعها او اصلاحها لم تفِ تماماً بالغاية المطلوبة. وفي هذه السنة وقف الاستاذان رينيار (Reynier) ودسبوري (Disbury) على الطريقة المثلى لذلك وهي المجاري الكهربائيَّة الشديدة التواتر فانهما تمكَّنا من تبنيج الاسنان مدة نيّف وربع ساعة بحيث يمكن الطبيب ان يعمل العمليات التي يشاء دون ان يحسّ المريض بوجع البتة فضلًا عن ان هذه الطريقة لا خطر منها على المصاب باسنانهِ

اختراعات جديدة للعميان — اخترع الدكتور دوسُو الباريسي آلات جديدة لمنفعة العميان نخصّ منها بالذكر آلتين نفيستين الواحدة منهما تمكّن الأكمه من الكتابة بالحروف الناتئة بحيث يستطيع ان يراجع ما كتب ويصلحهُ اذا شاء والاخرى تفيدهُ لرسم الصور والنقوش البارزة كما يصنع المبصرون بقلم الرصاص

الهلال والبابويَّة — قد أُصيب صاحب الهلال بآكلة في لسانهِ فتراهُ يخوض في ابحاثٍ شتى وهو لا يعلم مواردها من مصادرها. فمن ذلك فصلٌ كتبهُ عن البابويَّة في عددهِ الصادر في ١٥ مارس (ص٣٥٧) اكثر فيهِ من الخلط عن سلطة الاحبار الرومانيين وبيَّن لكل ذي عقل نيّر انهُ لا يعرف من امور البابويَّة شيئاً ولو حاولنا تفنيد أقوالهِ غير الصحيحة لما وجدنا في نبذتهِ سطرًا دون مغامز نأخذها عليهِ. فما لهُ اناره الله لا يسكت عمَّا يجهل فيصون عرضهُ عند اصحاب المعرفة

الميكروب الجزويتي — قد مُني صاحب الضياء بداء خبيث يعدُّهُ الاساة من اسوإ الادواء واوخمها عاقبةً ألا وهو الميكروب الجزويتي الذي لا يتسلَّط على احد الَّا هاج وماج حتى لا يعود ينظر ولا يسمع ولا يصرخ الَّا « جزويت جزويت » كانَّ هذه الكلمة وحدها تنوب عن كل برهان وتقتل اصحابها بسيف بتَّار. ومن اقوالهِ الاخيرة الدالَّة على تفاقم الداء انهُ قال عن الجزويت ما نصهُ (ص٣٧٣): « قد رزقنا الله هؤلاء الآباء الجزويت يتلاعبون باللغة وبنا كما شاؤوا وشاء مبلغ علمهم وحرصهم عليها » فلا شك في انَّ مثل هذه الاقوال الغريبة تظهر علانيةً للقراء انَّ الميكروب بلغ الى طورهِ الحادّ فيصعب تلافي الداء وشفاؤهُ فنطلب الى معارف المريض واصحابهِ ان يذكروهُ في صلاتهم

مخطوطات في الالفاظ الكتابيَّة — افادنا حضرة القانوني البارع جرجي افندي صفا انهُ راجع النبذة التي اثبتناها في مقالتنا عن مخطوطات الالفاظ

الكتابيَّة (المشرق ٢٨٠) نقلًا عن نسخــة غير تامة للشيخ الفاضل شكري افندي الآلوسي في دار السَّلام فقابلها مع الفصل نفسهِ في نُسخة كتابهِ بحر الاسجاع (المشرق ٢٨١) فوجد ان النسختين كتاب واحد غير انَّ نسختــهُ تامَّة والنسخة البغداديَّة غير كاملة. وانَّ ما ذُكر انهُ البــاب الاول في تلك النسخة هو بالحقيقة الباب التاسع عشر فيكون السَّاقط ١٨ بابًا. ويوجد مع ذلك اختلافات في الرواية نثبتها ان شاء الله اذا ما تفضَّــل حضرة الاب انستاس الكرملي فارسل لنــا نبذًا أُخر لتسهل المقابلة بين الكتابين. وممَّا يُستفاد من نسخة جناب جرجي افندي صفا انَّ نسختهُ تمت في رجب سنة ٥٢٩ (١١٣٥م) وان الناسخ اسمهُ عبد الله بركة الطبيب

الحسابان الشرقي والغربي نشكر لحضرة رئيس مدرســة القصير الخوري جبرائيل زين على نبذة ارسلها الينا في بيان صحة الحساب الغربي فلكيًا ولا حاجة الى ايرادها بعد ما كتبنا في المشرق عن هذا الموضوع

اسئلة واجوبة

س كتب الينا د. ي. من ادباء البلدة ما نصهُ: طالعت بديعيَّة المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي الشاعر المشهور فاذا في مطلعها كلمة «أَبرَعَ» فراجعت كتاب محيط المحيط للمعلِّم بطرس البستاني فلم اجدها فيهِ فقصدت ان اسأَلكم عنها لانَّ مثل الشيخ لا يستعمــل لفظًا لم تذكره المعجمات المطوَّلة فارجومن فضلكم ان تجاوبوا على هذا السؤال وتذكروا في الجواب موضع وجودها فعل أَبرَعَ

ج راجعنا خمسة عشر معجمًا في خزانة كتبنا الشرقية فلم نجد لأَبرعَ ذكرًا

س وسأَل حضرة الخوري بطرس الباني من المرقب: كم هو الفرق بين بدء الصوم عند الكاثوليك والارثذكس في السنة الحالية وهل هو ٣٥ يومًا كما ورد في جدول الشحيمة المارونية الصغرى بدء الصوم عند الروم الاورثذكس

ج كان بدء الصوم عند الروم في هذه السنة اربعة اسابيع بعد بدئهِ عند الكاثوليك فالفرق بين الملّتين ٢٨ يومًا لا ٣٥ يومًا كما ورد بالسهو في جدول الشحيمة المذكور

س سأَل حضرة الخوري ابراهيم سبع ق ب لاي سبب لم يعيَّد الفصح في هذه السنة يوم احد الشعانين والبدر الاول بعد الاعتدال الربيعي كان يوم الجمعة قبل سبت العازر احد الفصح في هذه السنة

ج قد وهم حضرة السائل بظنهِ ان البدر وقع في الجمعة قبل سبت العازار بدلًا من الاثنين ٢٤ آذار (راجع مقالة الاب كولنجيت في حساب الفصح ص ٣٢٦)

المشرق

ايليَّا النصيبيني وكتاب دفع الهمّ

عجالة للاب لويس شيخو اليسوعي

لقدماء النصارى في الشرق آثار عديدة في العلوم والآداب العربيَّة اخذت قسماً كبيرًا منها يدُ الضياع. امَّا الباقي فلا يزال معظمهُ مطمورًا في زوايا النسيان ينتظر همَّة اهل البحث ومحبي العاديَّات ليبرزوهُ الى عالم النور ويبعثوهُ من سُباته

ومن جملة هذه التآليف الحسنة المنسيَّة كتاب نفيس يُدعى « دفع الهمّ » لايليَّا النسطوري مطران نصيبين عني بطبعهِ ومقابلتهِ وتنقيحهِ الخوري الفاضل الاب قسطنطين الباشا احد رهبان دير المخلص الباسيليّين المحترمين نشرهُ منذ عهد قريب في مطبعة المعارف في القاهرة واتحفنا بنسخة منهُ

ولمَّا كان لصاحب هذا التأليف شأن عظيم في تاريخ اهل نحلتهِ وكان للكتاب المنسوب اليهِ من المزايا ما يجعلهُ « للعالِم مجلَّةَ حكمة وللمتعلم الصغير كتابَ قراءة وتهذيب وللمتأدب الكبير كتاب بلاغة وانشاء ولرجل الدين سفر مواعظ وآداب » احببنا ان نفرد لكليهما بحثاً موجزًا ليقف قارئ المشرق على حقيقة الامرَين فنقول:

١

نصيبين مدينةٌ قديمة في جنوبي ماردين كانت تعدّ في عهد الرومان من أُمهات المدن وحواضرها وكان السريان يدعونها صوبا ثم دخلت في حوزة الاسلام وبقيت عامرة دهرًا تُعتبر كقصبة بلاد ربيعة وهي اليوم ضيعة خاملة الذكر. ففي هذه البلدة ولد

سنة ٩٧٥ للمسيح احد مشاهير الملّة النسطوريَّة اسمهُ ايليَّا برشينايا (ܒܪ ܫܝܢܝܐ وضبطهُ البعض ܫܝܢܝܐ) ويدعوهُ العرب ابن شينا امَّا حضرة الخوري ق. الباشا فقد عرَّب اسمهُ بابن السني ولا نعرف على ايّ سند دعم تعريبهُ هذا ولعلهُ ظنَّ انَّ ܫܝܢܝܐ مرادفة ܫܢܝܐ نسبة الى ܫܢܐ بمعنى السنّ مدينة على دجلة فوق تكريت. وكذلك قد وهم حضرتـهُ ووهم معهُ الشيخ ابرهيم اليازجيّ في الضياء (ص ٤٠٤) اذ دعواهُ بابي الحليم وزعما انهُ صاحب الخطب المشهورة. والصواب انَّ ابا الحليم بطرك نسطوريّ عاش بعد اليا النصيبيني بنحو ١٥٠ سنة (راجع كتابنا مجاني الادب الجزء الرابع ص٢٩٧)

وزهد اليَّا منذ حداثتهِ في الدنيا وترهَّب في دير القديس ميخائيل بجوار الموصل وتخرَّج في آداب العيشة الرهبانيَّـة على الارشيمندريت يوحنَّا المعروف بالاعرج ثم تجرَّد للعلوم الدينيَّة والدنيويَّة فبلغ خبرهُ نثنائيـل اسقف مدينة السنّ الذي صار بعد ذلك بطركاً على النساطرة باسم يوحنَّا الخامس (١٠٠١—١٠١٢م) فوجدهُ اهلًا للكهنوت فسامهُ كاهنًا. ثمَّ انتقل اليَّا المذكور الى دير سمعان المبني على ضفَّة دجلة بازاء مدينـة السن. وفي السنة ١٠٠٢ سُقِّف على بيت نوهذرة فدبَّر هـذه الكنيسة الى غاية سنة ١٠٠٨ وفيها جعلهُ البطرك يوحنَّا الخامس مطرانًا على نصيبين فرعاها بنشاط وجدّ نيفًا واربعـين سنةً. وكان البطرك يوحنا السادس بر ترول (١٠١٢—١٠٢٠) خلفُ يوحنَّا الخامس يجلُّ اليَّا النصيبيني ويركن اليهِ في مهمَّاتهِ. وخلفهُ ايشوعياب بر حزقيال (١٠٢٠ —١٠٢٥) فجرى بينهُ وبين مطران نصيبين خلاف وشحناء لم تنطفئ جذوتها الى عهد البطرك اليَّا الاول (١٠٢٨—١٠٤٩) وكان هذا سابقًا اسقفًا على ترهان ويُعدّ من ائمَّة زمانهِ لهُ عدَّة تصانيف تشهد لهُ بالعلم الواسع. وكان بينهُ وبين اليَّا بن شينـا وداد ومراسلات. وعاش اليَّا مطران نصيبين مدة بعد سميّهِ كما يظهر من بعض رسائلهِ. وقد ذكر حضرة الخوري قسطنطين الباشا (ص ٤ في الحاشية) انهُ توفي في ميَّافارقـين سنة ١٠٤٩. امَّا حضرة القس جبرائيل القرداحي فانهُ روى في كتابهِ تراجم شعراء السريان المعروف بالكنز الثمين انَّ وفاة ابن شينا هذا كانت في بعض شهور سنة ١٠٥٦. ولا نعلم على اي دليل استند كلاهما لاننا لم نجد تاريخ وفاة اليَّا النصيبيني في ما لدينا من التآليف العديدة التي ورد فيها ذكرهُ

٢

وان تقصَّينا الآن ما لايليَّــا النصيبيني من التآليف وجدنا انهُ جارى في الكتابة اهل جلدتهِ فصنَّف في السريانيَّة والعربيَّة عددًا وافرًا من التصانيف كلُّهـــا ناطقة بفضلهِ نشر منها العلماء قسمًا صغيرًا فقط. واوَّل هذه المصنَّفات الجليلة تاريخ نفيس ضمَّنهُ ما جرى في الشرق من الحوادث منـــذ سنة ٢٥ ميلاديَّة الى سنة ١٠١٨. وهو مكتوب بالسريانيَّة وقد عرَّبهُ المؤلف بنفسهِ وفيهِ من الفوائد عن النصرانيَّة في بلاد العراق وما بين النهرين ما يندر وجودهُ في سواهُ. الَّا ان صروف الدهر قد ذهبت بقسم صالح من هذا الكتاب فلم يبقَ منهُ سوى ثلثهِ وقد تولى نشرهُ العلامتان بيثغن (Bæthgen) في ليبسيك سنة ١٨٨٤ ولامي (Lamy) في بروكسل سنة ١٨٨٨ نقلاهُ عن نسخة يرقى عهدها الى زمن المؤلف مصونة في المتحف البريطاني وهي مكتوبة على عمودَين سرياني فعربي مع جداول عديدة فيها اسماء الاحبار الرومانيّين وبطاركة الاسكندريَّة وانطاكية وجثالقة النساطرة وملوك الدول الشرقيَّة

ومن تآليفهِ كتاب القوانين البيعيَّة في اربعة اقسام اودعهُ مجموع الفتاوى والترتيبات الكنسيَّة التي قرَّرها الآباء في المجامع السابقة وقـــد تعقَّب آثار البطرك اليَّا الاول معاصرهِ الذي وضع مجموعًا واسعًا لهذه القوانين. وكلا التأليفين بالسريانيَّة

ولهُ ايضًا مختصر سرياني في تقسيم الوراثة لخَّصـــهُ عن تأليف لايليَّا الاول في الموضوع نفسهِ. (راجع المكتبة الشرقيَّة للسمعاني الجزء الثالث ص ٢٦٧—٢٦٩)

وممَّا الَّفهُ فاجاد فيهِ الترجمان في تعليم لغة السريان وهو مع صغر حجمهِ جامع لاصول اللغة الآراميَّة وكان النساطرة قد اتخذوهُ كدستور بنوا عليهِ تعليم احداثهم. ومنهُ نسخ عديدة حتى اليوم في خزائن الكتب الشرقيَّة في اوربَّة. وقد أطلعنـــا السيد المفضال المطران اليَّا ميلوس في ماردين على نسخة غاية في الضبط والاتقان منهُ. وهذا التأليف نشرهُ المستشرق الشهير دي لاكرد سنة ١٨٧٩ في مجموع لهُ دعاهُ « Prætermissorum libri duo »

ومنها ايضًا معجم في المفردات السريانيَّة مع ترجمتها الى العربية عُني بطبعـــهِ في رومية العظمى سنة ١٦٣٦ الاب الفرنسيسي توما دي نوڤاريه واضاف اليهِ شرحًا باللاتينية فسماهُ « Thesaurus arabico-syro-latinus »

ولايليا النصيبيني قصائد ومیامر بالشعر ادخل النساطرة قسماً منها في فرائضهم الدينية. وفي كتاب الكنز الثمين للاب جبرائيل قرداحي مثالٌ يدلُّ على جود قريحة مؤلفهِ هذا اوَّلهُ:

ܚܣܝܐ ܕܘܕܐ ܒܛܘܒܝ ܚܝܠ ܘܦܪܘܩ ܒܡܫܝܚܐ

ومن تآليفهِ الحسنة رسالة في العفة وجَّهها الى اخيهِ الشيخ ابي سعد منصور بن عيسى وصف فيها فضيلة العفاف وما ينجم عنها من الفوائد العظمى مع بيان ما يعين على دفع الشهوة وقد اثبت قولهُ ببراهين عقلية ونقلية. قال ابو البركات في كتاب مصباح الظلمة: « ورصَّعها باخبار نادرة ومآثر عن الحكماء والرهبان صادرة وابلغ في تأليفها واحسن في تصنيفها ». وفي المكتبة الواتيكانية وغيرها نسخٌ عديدة من هذا التأليف. وقد اهدانا حضرة الخوري بطرس عزيز النائب البطريركي على الكلدان في حلب نسخةً جيّدة منهُ

ومن تآليفهِ الدينية كتاب البرهان على صحيح (ويروى في تصحيح) الايمان. وهذا الكتاب مصون ايضاً في المكتبة الواتيكانية وقد سقط عنهُ اسم مؤلفهِ فوصفهُ السمعاني في المكتبة الشرقية (ج ٣ ص ٣٠٣ — ٣٠٦) دون ان يتحقق صاحبهُ. وقد اسعد الحظ احد علماء الالمان اسمهُ هورست (L. Horst) على وجود نسخة منهُ صحيحة نقلها الى الالمانية وطبعها في كولمار سنة ١٨٨٦. وفي هذا الكتاب فصول يدافع فيها ايليًا عن شيعتهِ النسطوريَّة

ومنها رسالة في التثليث والتوحيد ذكرها ابو البركات القبطي في كتابهِ مصباح الظلمة ولم نقف لها على أثر. ولعلها مفقودة

ويلحق بتصانيفهِ الدينية كتاب آخر منهُ في مكتبتنا الشرقية نسخة حسنة كُتب في صدرهِ « رسالة انشأها الاب انبا ايليًا مطران نصيبين واعمالها للاستاذ ابي العلاء المؤتمن صاعد بن سهل الكاتب يذكر فيها المجالس التي جرت بينهُ وبين الوزير ابي القاسم الحسين ابن عليّ المغربي لمَّا قدم نصيبين سنة ٤١٩ هـ (١٠٢٩ م) وعددها سبعة مجالس » وهي فصول على طريقة السؤال والجواب في المذهب النصراني وعقائدهِ واسرارهِ

ومنها ايضاً « تفسير الامانة الكبيرة التي اجتمع على عقدها الثلثمائة والثمانية عشر أبا ممن اختارهم قسطنطين قيصر الروم ». وصفهُ السمعاني عن نسخة الواتيكان في مكتبتهِ الشرقية (ج ٣ ص ٥٠٨). وهذا التفسير كتبهُ ايليًا بالعربية

ولهُ ايضاً رسائل اخرى في السريانية لا حاجة الى ذكرها

٣

هذا وقد بقي علينا الآن ان نذكر الكتاب الذي نحن بصددهِ وهو كتاب « دفع الهم » او بالحري « المعونة على دفع الهمّ » الذي خرج من زوايا النسيان بهمّة حضرة الخوري ق. الباشا. واوّل ما يترتب علينا البحث عنهُ هل صاحب هذا الكتاب هو حقيقةً اليًا النسطوري او غيرهُ. وقد حملنا على الريب في ذلك اسباب منها

(اولًا) اننا لم نجد اسم هذا الكتاب في جملة تآليف اليًا النصيبينيّ وفي قائمة كتبهِ التي سردها احد خلفائهِ على كرسي نصيبين وهو عبد يشوع الصوباوي (راجع المكتبة الشرقية للسمعاني (ج ٣ ص ٢٦٦). (ثانيًا) انَّ نسخاً كثيرة خطّية عربية وكرشونية من هذا الكتاب في باريس ولندن واكسفرد تنسبهُ الى ابي الفرج المعروف بابن العبري المتوفّى سنة ١٢٨٠م. (ثالثًا) اننا نجد في قائمة كتب ابن العبري التي ألّفها اخوهُ برصوما بعد وفاتهِ كتابًا دعاهُ « دفع الهمّ ». (رابعاً) ان في مقدمة هـذا الكتاب ما يدلُّ على انهُ فقط الجزء الاول مـن كتاب واسع يقسم الى ثلاثة اجزاء. قال (ص ٨): « واجعل الكتاب ثلاثة اجزاء الجزء الاول منها اضمّنهُ وصف الفضائل المتقدم ذكرها والمواعظ والخطب والاقاويل المفيدة فيما يعين على اقتنائها (وهو مجمل الكتاب المطبوع). والثاني اضمّنهُ من الاخبار والقصص ما يعين المقتدي بها على اكتساب هذه الفضائل. والثالث اضمّنهُ من حيـل اهل الفضل والعلم والذكاء ما يساعد على اكتسابها. . . » وهذان الجزءان لا اثر لهما في النسخ المنسوبة الى ايليًا ابن شينا ولهما بخلاف ذلك اثر في تصانيف ابن العبري السريانية فان لهُ مجموعاً في الفكاهات والقصص قال صاحب قائمة كتبهِ انهُ هو المعروف عنـد العرب بدفع الهمّ. (خامساً) اننا لم نعرف نسخةً قديمة من هذا الكتاب سبقت عهد ابن العبري. امّا قول حضرة القس ق. الباشا ان النسخة الواتيكانية المحفوظة تحت عدد ١٨٠ ترتقي الى نحو القرن الثاني عشر فلو صحَّ لأزال

كلّ شبهة لكننا رأينا هذه النسخة في رومية قبل ثماني سنوات فلم نجد لها هذا القِدَم البليغ. بل يوجد في مكتبة الواتيكان نسخة أُخرى اقدم من هذه النسخة لم يذكرها حضرتهُ ولعلّهُ لم يعرفها لانها في مجموع عددهُ في المكتبة المذكورة ١٥٨ يحتوي عدّة تآليف. فالكتاب الرابع في هذا المجموع هو « دفع الهمّ » كُتب سنة ١٣٥٧ ويُنسب هناك الى ايليّا مطران نصيبين

هذه بعض ادلّة تصدُّنا بان نحكم حكماً فصلاً في صاحب هذا التأليف. كما ارتاب ايضاً في امرهِ بعض المستشرقين قبلنا فنسبوهُ طورًا الى ابن العبري وطورًا الى ايليّا اسقف نصيبين المعروف بابن شينا. بل نسبهُ بعضهم الى ايليا آخر غير ابن شينا (راجع مخطوطات لندن العربيَّة ص ٥١ و ٣٦٤). ولعلَّ احدًا من قرائنا يمكنهُ ان يزيدنا ايضاحاً في هذا الامر فنخلص لهُ شكرنا سلفاً

اما الطبعة الجديدة فهي حسنة الضبط نضرة الحرف. وقد قابلناها مع نسختين خطّيتين في مكتبتنا الشرقيَّة تُنسبان الى ابن العبري فلم نجد بين الثلاث النسخ فرقاً يُذكر سوى بعض اختلاف في الروايات وبعض اغلاط طفيفة وقعت في النسخة المطبوعة. ودونك قطعة من هذا الكتاب المفيد ننقلها عن اقدم نُسختينا المخطوطتين (١ وندلُّ على روايات نسختنا الثانية بحرف (١). وهذه القطعة في آخر الباب الثامن الذي عنوانهُ « في منفعة المشورة ومضرَّة الاستبداد بالرأي » وردت في النسخة المطبوعة في الصفحتين ٦٦ و ٦٧ ندلُّ على رواياتها بحرف (ب):

قيل: العاقل لا يحاول شيئاً من (ا ب: في) اموره الّا في مواطأة (ا ب: بمواطأة من) ذوي الرأي ولا يشرع فيها الّا بمشورتهم (ا ب: بمشاورتهم) ويحتوي عليها (ب: ولا يقدم عليها الّا) بمعرفتهم. وقيل على المستشار الاجتهاد ليبذل (ب: في ان يبذل) نفسهُ في الصدق والنصيحة. وقيل من كتم الطبيب مرضهُ طال داؤهُ (ا: من كتم عن الطبيب داءهُ طال مرضهُ. ب: من كتم الطبيب دواهُ « وهو غلط » طال مرضهُ). ومن استبدَّ برأيهِ فقد تعرَّض للخطإِ بجهدهِ. وقيل لا ظهير اوفق

١) وكنّا سابقاً اثبتنا فصلًا من كتاب دفع الهم في مجموعنا الذي ألفناهُ للكليّات الاوربية Elementa gramm. arabicæ cum Chrestomathia, Lexico variisque notis p. 253

من المشاورة (ب: المشورة). واما اذا (ب: وقيل اذا) كنت تستشير (ا ب: مستشيرًا) فعليك بذي (ا ب: بذوي) الرأي والنصيحة فانهُ لا يكتفي برأيه من لا ينصح (ب: من يعقل) ولا نصيحة لمن لا عقل لهُ (ب: لمن لا يعقل). وقيل المشورة في الامر (ب: في الامور) قبل وقوعهِ (ب: وقوعها) من اسباب الظفر. وقيل من استُشير فاشار بغير رأيه سلبهُ الله تعالى رأيهُ. وقيل من اعجل الاشياء عقوبةً رجل استُشير بهِ فكان من رأي المستشير الطمانية ومن رأي المستشار التغرير بهِ (وهكذا ا ب). وقيل لا تستشر جائعًا ولا سكران ولا خائفًا (ب: ولا خائنًا. ا: ولا حاقدًا) ولا كثير الهمّ بغير امرك. فكل من (ا: فان من) رفض هذه الاحوال عادت عنهُ (ناقص في ب). وقيل من استشار بك (ا: استشارك) في امر فقد اشركك (ا: شاركك) فيهِ. وقيل من استبدَّ برأيهِ هلك (ب: ضلَّ) ومن شاور الرجال شاركها في عقولها. وقيل استشار عبد الله بن سليمان قومًا فاشاروا عليهِ بشيء فتغيَّر وجههُ وقال هذا يعود ضررهُ عليَّ (ا: على الدنيا. ب: على الناس) بعد ثلاثين سنة فيقال اذ ذاك: عبد الله بن سليمان سبَّبهُ (ب: كان سببهُ) والله لا فعلتهُ. وقيل لا رويَّة لعَجول (ب: لعجوز «وهذا تصحيف») ولا راحة لحسود ولا مودة لحقود ولا مروَّة لكذوب ولا رأي لمن لا يشاور في امورهِ ولا تدبير لمن يفشي سرَّهُ. ولا نجاح (ب: ولا جناح «وهذا غلط») مع سقوط الهمَّة ولا صلاح مع سوء النية. وقيل الطبيب الحاذق اذا مرض يحتاج الى طبيب يعالجهُ والعاقل اذا وقع في امر يحتاج الى حازم يستشيره. وقيل انفع الاشياء للعاقل مشاورة العلماء والتجربة بالمودَّة (ب: واهل التجربة والمودَّة) واضرّ ما عليهِ (ب: واضرّها لهُ) الكسل واتباع (ا ب: مع اتباع) الهوى. وقال عبد الملك بن مروان: أن (ب: لأن) اخطأت وقد استشرت احبّ اليَّ من ان أُصيب وقد استبددتُ برأيي

وهنا انتهى الفصل في النسخة المطبوعة امَّا نسختا مكتبتنا ففيهما ما يلي:

وحضر عبيد الله (ا: عبد الله) الحارثي فشاورهُ في اخيهِ ان يوليهُ القضاء فاشار عليهِ بهِ (ا: بذلك). ثمَّ اجتمع عبيد الله (ا: عبد الله) بابي بكر فقال لهُ ابو بكر: اترى لي الى القضاء سبيل. فقال: لا. فعرف زياد ذلك فقال لعُبيد الله (ا: لعبد الله): يا هذا اشرتَ عليَّ (ا: انكرتَ عليَّ) ان اولي ابا بكر القضاء واشرتَ عليهِ ان لا يلي. فقال: ما ناقضتُ نفسي ايها الامير ولكن استشرتَ بي (ا: استشرت بك) فنصحتُك واستشار بي فنصحتهُ

فمن هذه المقابلة ترى كم تختلف الروايات وكم يصعب الوقوف على الصحيح منها إن لم يراجع الذي يتولى نشر كتاب نسخًا عديدة ليقابل بينها كما يفعل كبار العلماء في اوربَّة. والسلام

الفصح

تاريخهُ وبيان حسابهِ

للاب موريس كولنجت اليسوعي

بقي علينا ان نورد الفصل الذي ألمنا اليهِ في صدر مقالتنا السابقة نقلًا عن البيروني وهذا نصهُ :

قد تقدم لنا من ذكر لوازم فصح اليهود وشرائطهِ وكيفيَّة استخراجهِ وعلل ذلك ما يزيد على الكفاية ويبلغ اقصى الغاية وصومُ النصارى من توابعهِ والمتصل اسبابهُ باسبابهِ ونحن ذاكرون من احوالهِ ما يُشبه الغرض المقصود في اعمالهِ بعون الله وحسن افضالهِ فنقول: انَّ صوم النصارى ثمانية واربعون يومًا (١ اولها ابدًا يوم الاثنين وفطرهم يوم الاحد التاسع والاربعون من اول صومهم. [والاحد الواقع قبل الفطر (٢] يسمُّونهُ السعانين ومن الشرائط التي اشترطوها وقوع الفصح بين السعانين والفطر الذي هو الاسبوع الاخير من اسابيع الصوم لا يتقدَّم السعانين ولا يتأخر عن اليوم الاخير من الصوم وقد ذكرنا الحدود التي فيها يدور فصح اليهود فيما تقدَّم ولكن النصارى لم توافقهم فيها ولا في اوائل الجياجل(٣. والجيجل هو الدّور معرَّب من السريانيَّة لانهُ غيغل ومعناهُ ومعنى المحزور واحد ولكن الأليق ان نذكر عند اهل كل طبقة ما هم عليهِ من المواضعات فهم يسمُّون المحزور الكبير اينديقوطيا غير انهُ يثقل في التكرار عند الذكر فلنسمِّهِ الجيجل الكبير. وانما وقع اختلاف لانَّ عند اليهود أنَّ اوَّل سنةٍ من تاريخ الاسكندر هي العاشرة من المحزور وليس عند النصارى ذلك كذلك بل هي الثالثة

١) في هذا القول نظرٌ. راجع ما قلنا في مقالتنا عن الحساب الفصحي في العدد السابق (ص ٣٢٨)

٢) قد ذهب من الاصل بعض كلمات تشوِّه المعنى بسقوطها. وهي الالفاظ التي اوردناها بين معكَّفين. والدليل على سقوطها ان محشّي الكتاب قال في ذيلهِ ما تعريبهُ: بين « صومهم » و « يسمونهُ » بياض في الاصل

٣) الجيجل جمعها جياجل نفظة سريانية ܟܘܟܠܐ اصلها من اليونانية « κύκλος » ومعناها الدور. اما « المحزور » فقد وردت في كتب المعجمات بمعنى « الحساب » والبيروني يتخذها بمعنى الجيجل والدور وقد اعتبرها ايضاً كمرادفة للاينديقوطيا (ἰνδικτιῶν, indiction) وهو الدور الملكي الذي مرَّ شرحهُ في مقالتنا السابقة (المشرق ص ٢٢١). وقد قسم البيروني الجيجل الى كبير وصغير كما سترى

عشر وذلك انّهم لمّا اخذوا ما بين آدم والاسكندر وهو عند بعضهم خمسة آلاف وتسع وستون سنة وعند الآخرين خمسة آلاف ومائة وثمانون(١ عمل على الاخير الجلُ منهم وهو المشهور ايضاً عند المحصّلين. . .

وذلك ان الهجرة كانت في سنة ثلث وثلثين وتسعمائة للاسكندر فاذا أُلقي ذلك ممّا ذُكر من تاريخ العالم وهو ستة آلاف ومائة وثلث عشرة بقي خمسة آلاف ومائة وثمانون ثم ألقوا تلك السنين جياجل صغرى بقي اثنا عشر وهي السنون الماضية من اول الجيجل الى اول التاريخ. فرتّبوا العبُور(٢ فيها على حساب بهزيجوح(٣ لانهُ الترتيب القائم بذاتهِ المستغنى عن نقصان شيء من التواريخ. وجعلوا الفصح في اوّل سنة من الجيجل في خمسة وعشرين يوماً من آذار لانَّ فصح السنة التي فيها صُلب المسيح(٤ يوجب ذلك وركّبوا عليهِ فصوح سائر السنين. فكان غاية تقدُّمهِ اليومَ الحادي والعشرين من آذار وغاية تأخرهِ اليوم الثامن عشر من نيسان يكون ذلك ثمانية وعشرين يوماً. فصار غاية تقدّم الفصح متأخرًا عن الاعتدال الربيعي الذي شهد لهُ العيان بمقدار يومَين استظهارًا واحتراساً عمّا في القانون السابع من قوانين السّليحيين (٥ وهو: «أيُّما اسقف او قس او شماس عمل عيد الفصح قبل استواء الليل والنهار مع اليهود فليُقطع عن درجتهِ». ولو كان فطر النصارى هو الفصح بعينهِ او يبعد عنهُ بُعدًا مفروضاً غير متغيّر لتردّد معهُ او موازيًا لهُ في مثلها من الايام. ولكنهُ لمّا كان غير متقدّم للفصح صار غاية تقدُّمه متأخرًا عن غاية تقدُّم الفصح بيوم واحد وهو اليوم الثاني والعشرون من آذار وامّا غاية تأخرهِ فمتأخر عن غاية تأخر الفصح باسبوع لانهُ اذا اتفق يوم واحد كان الفطر في الاحد الذي يتلوهُ فيتأخر عنـهُ اسبوعاً فاذا كان الفصح في غاية تأخرهِ كان الفطرِ ايضاً في غاية تأخرهِ في اليوم

١) ان قول البيروني في ان الحاصل من قسمة سني آدم ٥١٨٠ هو ١٢ يدلُّ على ان المقسوم عليهِ هو ١٩ فالمراد اذن الدور القمري

٢) العبُّور (עבור) في السنة الاسرائيليَّة هي السنة الاضافية التي يُزاد فيها شهر يكون عدد ايَّامهِ ٢٩ يوماً ووقوعهُ سبع مرَّات في كل ١٩ سنة. وهذا الشهر يدعى آذار الثاني (ואדאר)

٣) جز يِّحوح عبارة عن جملة حسابية يُعرف بترتيب حروفها دور السنة الاضافية عند اليهود

٤) قد نبّهنا على ان الفصح في سنة صلب المسيح لم يقع في ٢٥ آذار لكن في ٧ نيسان كما رجح العلماء ذلك

٥) يريد قوانين الرسل وهي مشهورة يرتقي جوهرها الى ايَّام الرسل وان كانت في صورتها الحالية لا تتجاوز القرن الثالث للمسيح

الخامس والعشرين من نيسان (١ فلذلك صارت الايام التي يتردَّد فيهـا فطرهم خمسةً وثلاثين يوماً واوَّل الصوم لاجل ذلك متردّد بموازاة مع الفطر في مثلها من الايام اولها اليوم الثاني من شباط وآخرها اليوم الثـامن من آذار فيصير اعظم البُعدَين بين اول الصوم والفصح تسعة واربعين يوماً واصغرهُ اثنين واربعين يوماً

وبين استقبال الفصح واجتماع اذار في السنة البسيطة او اجتماع اذار الثاني في السنة العبُور اربعة واربعون يوماً وسبع ساعات وعُشر ساعة فصار هذا الاجتماع يتخلَّل ابدًا فيما بين اول البعد الاصغر واوَّل البعد الاعظم ويقع قريباً من اول الصوم واعتُمد على الاعتبار بهِ وهو ان يُنظر الى الاجتماع الكائن في شباط ويُتصفَّح عن اقرب الاثانين اليهِ من جهتيهِ اعني قبلهُ وبعدهُ فان كان في حدّ الصوم الذي هو الثـاني من شباط الى الثامن من اذار فهو اول الصوم وان قَصُر عنهُ فوقع خارجاً عن الحدّ أُهمـل الاجتماع وفُعل بالذي يتلوهُ ما فُعل بالمتقدّم فيُوقف بذلك على اول الصوم (٢ . . .

وقد كان اصحاب المسيح عليـهِ السلام يحتاجون الى تقديم المعرفة بفصح اليهود ليستنبطوا منهُ اوَّل الصوم فكانوا يستفتون اليهود فيهِ ويسئلونهم عنـهُ وهم للعداوة بينهم وبينهم كانوا يخبرونهم بخلاف الحقيقة ليضلُّوهم ومع ذلك لم تكن تواريخهم متفقة الى ان تجرَّد لحسابهِ كثيرٌ من حُسَّابهم فحسبوهُ على ادوار مختلفة واعمالٍ متنوّعة والذي اجمعوا على استعمالهِ هو الجدول الذي يسمونهُ خرانيقون (٣ وزعموا انَّ اوسيبس اسقف قيسارية حسبهُ مع ثلاثمائة وثمانية عشر نفرًا من الاساقفة في السنوذس الاول (٤

١) قد سبق (ص ٣٢١) ان الفصح لا يتقدَّم على اليوم ٢٢ من اذار ولا يتأخر بعد ٢٥ نيسان

٢) للبيروني هنا فصل طويل في السنتين البسيطة والكبيسة ضربنا عنهُ صفحًا لما وقع فيهِ من الاغلاط النسخية التي ذهبت بمعناه

٣) خرانيقون لفظة يونانية معناها الحساب عموماً والحساب السنوي خصوصاً

٤) قد اثبت البيروني هنا ذاك الجدول يستفاد منهُ تعريف بدء الصوم وفقاً للحسابين الشمسي والقمري معاً اما نسبة هذا الجدول الى اوسابيوس القيسري فهو امر مُحتمل لكنَّنا لم نجدهُ في مجموع اعمالهِ الذي نشرهُ مين . وما لا شبهة فيهِ ان علماء النصارى اصطنعوا لحساب الصوم والفصح جداول عديدة نخصّ منها بالذكر جدول القديس مكسيم المطبوع في جملة اعمال الاباء اليونان (في المجلد ١٩) . وللمسعودي في كتاب التنبيه والاشراف وفي كتاب مروج الذهب فصل مطوَّل في هذه الحسابات القديمة

[واعلم ان الجمعة التي بدؤها يوم الفطر (١] تسمَّى ايضاً السعانين الصغير واوَّل احد بعد الفطر يسمى الاحد الحديث وفيـهِ لبس المسيح البياضَ وقد يجعلونهُ مبدأً للاعمال وتاريخاً للشروط والقَبالات لانهُ بمنزلـة اول الآحاد اذ الاحد المتقدّم لهُ مختصّ باسمٍ أشهر وهو الفطر. والآحاد كلُّها معظَّمة عند النصارى لاتفاق السعانين والقيامة فيها كما ان السبوت معظَّمة عند اليهود لما ذُكر في التورية ان الله تعالى قد استراح فيهِ بعد الفراغ من الخليقة. وقد حكى بعض علماء الاسلام ان تعظيم الجمعة هو لفراغ البارئ عن خلق العالم ونفخهِ الروح في آدم... وبعد الفطر باربعين يوماً عيد السلأَقا (٢ ويتفق ابداً يوم الخميس وفيهِ تسلَّق المسيح مُصعدًا الى السماء من طور زيتا (٣ وامر التلاميذ بلزوم الغرفة التي كان أُفصحَ فيها ببيت المقدس الى ان يبعث لهم الفارقليط وهو روح القدس. وبعد السلاق بعشرة ايَّام وهو ابدًا يوم الاحد عيد البنطيقسطي وهو يوم نزول الفارقليط وتجلّي المسيح لتلاميذه (٤ وهم السليحون ثم اختلفت أَلسنتهم فتفرَّقوا ومضت كل فرقة الى موضع اللغة التي أُلهِمتْها وتكلَّمت بها (٥. وفي عشاء هذا اليوم يسجد النصارى الى الارض اذ لا يسجدون من لدن الفطر بل يصلُّون وهم قيامٌ لنصٍّ على ذلك وفي جميع ايَّام الآحاد ينطق بهِ آخر قوانين السنوذس الاول. واوَّل صوم السليحـين وهم الحواريون عند النصارى الملكانيَّة هو يوم الاربعاء بعد الفنطيقسطي بعشرة ايام وفطرهُ ابدًا يوم الاحد بعد ستة واربعين يوماً من اولهِ واليوم الثالث من ايَّام هذا الصوم وهو يوم الجمعة يسمى جمعة الذهب وذلك لان الحواريّين (٦ مرُّوا فيها على رجل مقعـد بيت المقدس يسأل الناس شيئاً فناشدهم الله بالتصدُّق عليهِ فقالوا لهُ: « ما معنا ذهب ولا فضة ولكن قُمْ واحمل سريرك وامضِ لأمرك. فهذا جلُّ ما نقدر عليهِ لك ». فقام مُعافًى وحمل سريرهُ ومضى لشأنهِ. واكثر هذه الاعياد قد رُسمت في جدول الصوم فاذا استخرج منهُ الصوم وُقف عليها ايضاً دفعة

١) قد سقط هنا من الاصل بعض الفاظ فجعلنا بين معكَّفين ما يحتاج اليهِ المعنى

٢) السُّلَّاقا لفظة سريانية (ܣܘܠܩܐ) يراد بها عيد الصعود ٣) طور زيتا على لفظها السرياني معناها جبل الزيتون ٤) قول البيروني: « ان المسيح تجلى لتلاميذهِ في يوم البنطيقسطي » معناهُ ان الروح القدس اثبت في ذلك اليوم بآياتهِ دعوة المسيح ولاهوتهُ

٥) هذا زعم ذهب اليهِ بعض النصارى وليس هو ثبتاً. وانما جاء فقط في سفر الاعمال ان الرسل تكلَّموا بألسنة شتَّى ٦) يريد بطرس و يوحنَّا. راجع سفر الاعمال الفصل الثالث

السمك الكهربائي وكهربائية الحيوان

بقلم الاديب شحاته خزام احد طلبة مكتبنا الطبي

الكهربائية الحيوانية

ان وصفنا السابق للسمك الكهربائي يؤدي بنا الى البحث عن الكهربائيَّة الحيوانيَّة عموماً وعمَّا يوجد منها في هذه الاسماك خصوصاً كما ألمعنا الى ذلك في صدر تلك المقالة

واعلم انَّ كثيرًا من نخبة العلماء قد طرقوا أبواب البحث في هذا الموضوع المفيد توقاً لاستطلاع حقائقهِ الجليَّة وللوقوف على سرّ تلك الخاصَّة الغريبة والمزيَّة العجيبة التي امتازت بها هذه الحيوانات المائيَّة ألا وهي قوَّتها للتفريغ الكهربائي. واول من نبَّه الافكار الى كُنهِ هذه الخاصيَّة موشنبروك (Muschenbrock) فانهُ سبق الجميع الى نسبة هذه القوَّة الموجودة في الاسماك الى الكهرباء. وتبعهُ الطبيعي وَلش (Walsh) فقابل بين كهربائيَّة هذه الاسماك وكهربائيَّة قنينة ليدن وبيَّن انَّ كل جسم قادر على تفريغ قنينة ليدن يُفرغ ايضاً كهربائيَّة الرعَّاد وما اشبههُ والعكس بالعكس. وممَّا اثبتهُ انَّ للاسماك المذكورة كهربائيَّتين سلبيَّة في بطنها وايجابيَّة في ظهرها تقومان مقام عضادتي (armatures) الآلة الكهربائيَّة اي خازنها (condenseur) وجامعها (collecteur)

ومذ ذاك الحين توفَّر عدد الباحثين في الكهربائيَّة الحيوانيَّة منهم حنَّا داڤي (J. Davy) بيَّن بالاختبار انَّ هذه الكهربائيَّة اذا أُجريت في دائرة نتج عنها لوائح كيماويَّة من الكهربائيَّة المغناطيسيَّة. ودرس غيرهُ كبكريل (Becquerel) وبرشيت (Breschet) شدَّة هذه الهزَّة الكهربائيَّة ووجهتها. غير انَّ المحدثين من الطبيعيين لم يكتفوا بوصف خواصّ هذه الكهربائيَّة حتى ارادوا ان يتبيَّنوا حقيقتها ويدركوا سرَّها وقبل ان نبدي بآرائهم رأينا ان نصف اجهزة هذه الاسماك الكهربائيَّة وخصوصاً الرعَّاد منها لانَّ اكثر الامتحانات انما جرت فيهِ دونها جميعاً لتوفُّر الرعَّاد في البحر المتوسط

يعود الفضل في وصف جهاز الرعَّاد الكهربائي للعلامة ريدي (Redi) الذي وقف عليهِ لاوَّل مرَّة في القرن الثامن عشر فأحكم وصفهُ. وهذا الجهاز عبارة عن عضوين متشابهين منبسطين على شكل كُلوتين موقعهما على كل من جانبي الرأس

والخيشومين. وهما يتركّبان من كُتلتين هلاميَّتين (gélatineux) كبيرتي الحجم يبلغ ثقلهما نحو ربع جرم السمكة ولكليهما غلاف متين ذو أَلياف. والكتلتان يتضمَّنان عدَّة مواشير (prismes) متساوية الشكل سداسيَّة الزوايا. وكلُّ موشور يتركَّب من خلايا عديدة منضودة باتساق. وبين موشور وموشور غشاء كهربائي ينتهي احد وجهيهِ بتشعُّب من الاعصاب. امَّا الخلايا ففي ضمنها مادَّتان احداهما محبَّبة يتفرَّغ فيها العصب والثانية عبارة عن سيَّال لا شكل لهُ يعلو الغشاء العصبي. وهذه المواشير يختلف وضعها ونوع وجهتها باختلاف اجناس السمك الكهربائي. وهي في الرعَّاد افقيَّة الوضع وكل غشاء من هذه الاغشية يتكهرب بكهرباء سلبيَّة من جهة التشعُّب العصبي وبكهرباء ايجابيَّة من الجهة الاخرى

وكذلك الجهاز الكهربائي كلُّهُ يتكهرب من احد طرفيهِ بكهربائيَّة مختلفة. فتكون الكهربائيَّة الايجابيَّة في ظهرهِ والسلبيَّة في بطنهِ. امَّا الانكليس الاميركي (la gymnote) فانَّ جهازهُ الكهربائي على شكل الطول فتكون جهة رأسهِ مكهربة بالكهربائيَّة الايجابيَّة وجهة ذنبهِ بالكهرباء السلبيَّة. ولهذا الجهاز الكهربائي عصبٌ او اعصاب على اختلاف الانواع توصل بينهُ وبين احد المراكز العصبيَّة. والمركز العصبي المناسب لهذه الاعصاب عبارة عن فلق تُدعى الفلق الكهربائي (lobe électrique) موقعهُ تحت الفلوق الثلاثة التي اختصَّت بها كلُّ الاسماك

ويستطيع الحيوان ان يُفرغ كهربائيَّتهُ متى شاء. واذا همَّ بذلك لا يكاد يظهر منهُ للعيان تأثيرٌ يدلُّ على انهُ يريد تفريغ جعبتهِ اللهمَّ الَّا رعشة خفيفة وحركة في زعانفهِ وهو عادةً يغمض عينيهِ عند رميهِ عدوَّهُ ببطاريَّتهِ. وربَّما اطلق قذيفتهُ دفعات متوالية ولكن اذا تواترت هذه الطلقات ضعف وفشل ولا يمكنهُ الضرب ثانيةً حتى يسترجع قوَّتهُ المفقودة. وهذه القوَّة لا تعود سريعاً الَّا اذا كان الماء مكشوفاً للهواء تنفذ فيهِ الريح

وممَّا يدلُّ على انَّ الحيوان يستطيع ان يضبط كهربائيَّتهُ ويطلقها متى شاء ان الاستاذ همبولد حاول امساك انكليس اميركي كهربائي فاخذ يخبط بين يديهِ زمناً طويلاً دون ان يُشعرهُ بهزَّتهِ الكهربائيَّة. وكذلك ترى هذه الاسماك اذا مسَّها احد بجسم لا ينقل الكهرباء كقطعة من الزجاج مثلاً أبت السمكة ان تُفرغ كهربائيَّتها كانها تحسُّ ان

قوَّتها تذهب سدًى في جسم لا يتأثر من ضرباتها. ومما اختبرهُ العلامة ماتيوشي (Mateucci) انَّ المركز الذي منهُ تنبعث هذه القوَّة الكهربائية موقعهُ في المخّ في الفلق الرابع السابق ذكرهُ وراء المُخيخ فلو هيَّجتَ هذا الفلق حصلت الضربات الكهربائيَّة وإن أزلتَهُ بطلت القوَّة الكهربائية كما تزول قوة العضلة اذا قُطع عصبها المحرّك لها. وكذلك اثبت انهُ لو قُطعت اعصاب الرعَّاد من احدى الجهات فسد الجهاز الكهربائي المتصل بهذا العصب. غير انَّ العصب المقطوع اذا أُثير في دائرة طرفهِ حصلت هزَّة كهربائيَّة. وكذلك تحقَّق العلماء انَّ بين الهزَّة الكهربائيَّة الصادرة من السمكة وايثار مركزها العصبي برهةً من الزمان فاذا حرَّك احد مثلًا في الرعَّاد الفلق الكهربائي او عصبهُ مرَّ نحو عُشر الثانية بين تهييجهِ وبروز قوَّتهِ

امَّا نتائج التفريغ الكهربائي في السمكة فهي كفاعيلهِ في الادوات الكهربائيَّة فاذا أُجريت هذه الكهرباء الحيوانيَّة في الدائرة الاصلية من ملفّ ذي مجرًى ثانوي اتَّقدت منها شرارةٌ بين طرفَي الدائرة. ومن غريب ما لحظهُ العلامة ماره (Marey) الذي اجهد ذهنهُ في درس خواصّ الرعَّاد ان كهرباء هذه الاسماك لا تؤثر في بعضها فاذا جعلت عددًا من الرعَّاد في بحيرة مع اسماك غيرها ربَّما قتلت رعَّادة منها بتفريغ كهربائها تلك الاسماك امَّا ذوات جنسها فلا يُصبنَ باذًى كأنهنَّ مدرَّعات في وجه هذه القوَّة الكهربائيَّة وكذلك لا تؤثر فيها الآلات الكهربائية البتَّة. وقد قاس الاستاذ ماره عدد الاهتزازات التي تصدر من الرعَّاد في كلّ تفريغ كهربائي فوجد انهُ يبلغ في الثانية ١٦٠ اهتزازًا واذا تكرَّر التفريغ قلَّ عدد الاهتزازات الى ان لا يتجاوز العَشر في الثانية

وقد توصَّل المسيو مورو (Moreau) الى نتائج أُخر بامتحاناتهِ التي اجراها في الرعَّاد. منها أنهُ لا نسبة بين قوَّة التفريغ وشدَّة التأثير فاذا هيّج احد هذه السمكة بضربة شديدة او بحركة لطيفة افرغت كهربائيَّتها بشدَّة واحدة في كلتا الحالتين

وقد وجد هذا المعلم انَّ السمك الكهربائي حاصل على قوَّتهِ هذه قبل ولادتهِ فانهُ استخرج من بطن بعض الاسماك صغارها قبل تمام النتاج فوجد لهذه الاسماك الصغرى قوَّة كهربائيَّة ظاهرة. واكتشف ايضًا ان شدَّة التفريغ الكهربائي في هذه الاسماك تختلف مع اختلاف الآثار الجويَّة كالبرد والحرّ. ومعظم قوَّتها يلوح في الدرجة ٤٥° فوق

الصفر من الميزان المئوي واذا سُمّمت السمكة الكهربائية بالاستريكنين اصابها الكُزاز (tétanos) فتفرغ اذ ذاك كهربائيّتها لادنى تأثير . وبخلاف ذلك يمكن تلطيف هذه القوّة ببعض المخدّرات كمركّبات الافيون وغيرها

(الشكل الاوّل) صورة الجهاز الكهربائي في الرعّاد ا: المخّ . ب بَ: المخّ المستطيل . ن: النُّخاع . د عصب الزوج الخامس الكهربائي ه هَ: عصبا الزوج الثامن الكهربائي . ف: عصب الحنجرة في اعلى قصبة الرئة . ج: الكلوة الكهربائية الشمالية بتمامها . جَ: كلوة اليمين الكهربائية مشرَّحةً مع بيان اعصابها . ح: خزانة الزعنف الاخير الاخير . ي: انابيب حسَّاسة تفرز المادَّة اللزجة

(الشكل الثاني) الخلايا التي منها يتركّب جهاز الرعّاد الكهربائيّ وبها تتّصل الاعصاب

والاختبارات السابق ايرادها قد أُجريت في الرعّاد خاصّة لكنها تصحّ ايضاً في

الانكليس الاميركي الذي خُصَّ بقوَّة كهربائية اشدّ من الرعَّاد . امَّا سمك اللماء والفترة والورنك فانهما الى الآن لم تُعرف حقّ المعرفة وكان العلماء ينكرون سابقاً وجود الكهربائيَّة فيها وينسبون اهتزازاتها الى قوَّة عصبيَّة مختلفة عن الكهرباء الّا انَّ المحققين من الحدثين كشفوا عن هذا السر تماماً ولم يبقوا ريباً في خواصها الكهربائية

*

بقي علينا بعد الفوائد السابقة ان نبحث عن تعليل هذه الظواهر العجيبة التي في الاسماك الكهربائيَّة وكشف النقاب عن حقيقة امرها . وهو لعمري مبحث خطير تصدَّى لهُ العلماء فذهبوا في شرحهِ مذاهب مرجعها الى ثلاثة آراء نعرضها هنا بوجيز الكلام

فالرأي الاول دافع عنهُ دوبوا ريمون (Dubois-Reymond) قال انَّ الجهاز الكهربائي في الرعَّاد والاسماك الجانسة لهُ هو اشبه بالمغناطيس الذي تتركَّب كل دقيقة من دقائقهِ من قسم ايجابي ومن قسم سلبي الّا انَّ العصب يفرز هاتين الكهربائيَّتين فيوجّه كلاًّ منهما الى جانب واحد فيصبح بذلك جهاز السمكة كالبطاريَّة المنضَّدة في المواشير فعند التفريغ يمتزج السلبي بالايجابي ومنها تحصل الهزَّة الكهربائيَّة . لكنَّ هذا الرأي مع ما فيهِ من لطيف المعنى ليس هو مبنيًّا على امر وضعي وانَّما هو مجرَّد حدس فلذلك لم يرضَ بهِ اليوم احد من العلماء

والرأي الثاني للطبيعي رانفيار (M. Ranvier) زعم انَّ جهاز الرعَّاد كخازن للكهربائيَّة (condensateur) وتتولد فيهِ هذه القوَّة من سيَّال يُجريه اليهِ الفلق الكهربائي . وهذه الكهرباء هي سلبيَّة امَّا الايجابيَّة فيذخرها بقوَّة الجوار (par influence) . ومن ثمَّ يحدث في الحيوان عمل كيماوي كما يحدث للمعدن اذا غُمس في مائع يحلّل دقائقهُ . وهذا الرأي الثاني منقوض بعدَّة براهين منها انَّ هذا الحيوان يتصرَّف بكهربائيَّتهِ كيف يشاء يُفرغها بمطلق وهمهِ . ولو ثبت قول رانفيار للزم ان الرعاد يُطلق قوَّتهُ الكهربائيَّة كلَّ مرَّة مسَّتهُ اليد او غيرها شاء ام ابى . وكذلك ينتج من قول رانفيار انهُ لو جُعلت دائرة تامَّة بين بطن الحوت وظهرهِ في آن راحتهِ لجرى فيهِ مجرًى كهربائي . والامر بخلاف الواقع فانهُ لا أثر لهذا المجرى . وكذلك لو كان جهاز الرعاد كما زعم خازناً للكهرباء التي تسيل اليهِ من الفلق الكهربائي لاقتضى الامر ان يبقى بعد قطع هذا الفلق باقيةٌ من الكهرباء في الجهاز . والحال انهُ

لا يبقى اثر لهذه القوَّة مذ يُقطع الفلق المذكور بل تبطل تماماً في ساعتها

امَّا الرأي الثالث فهو اقرب الى الحقيقة ارتآهُ العلامة الشهير دارسُنفال-d'Arson) (val مؤخرًا وقد جنح اليهِ اكثر العلماء. وهذا الرأي انما هو مستند الى امتحانات سبق اليها المسيو ليبمان. فانَّ هذا الاستاذ البارع كان اخذ قرصاً مجوَّفاً وضع فيهِ زئبقاً وجعلهُ فوق ماء ممزوج بالملح العادي فلحظ ان كلَّ تغيير ميكانكي في القرص يحدث اختلافاً في قوَّة الكهرباء بين الزئبق والماء المالح. فبنى دارسنفال رأيهُ في كهربائيَّة الرعَّاد على هذا القول فادَّعى انَّ الاغشية التي تعلو خلايا الجهاز الكهربائيّ يُصيب سَطحها تأثير يُحدث التفريغ الكهربائي. فان في هذه الخلايا مادَّة زلاليَّة متركِّبة من عنصرين اسفل فاعلى. فالعنصر الاسفل المدعو بروتوبلاسما اذ اثارهُ العصب تكهرب بكهرباء سلبيَّة. امَّا العنصر الاعلى فيتكهرب بكهرباء ايجابيَّة. ولمَّا كان عدد هذه الخلايا أُلوفاً مؤلفة ومنضمَّة الى بعضها بقطوبها المتجانسة صار مجموعها كمجموع بطاريَّة كهربائية شديدة التواتر ذات فعل عجيب. فكلما حرَّك الحيوان عصبهُ جرى من ذلك تغيير في عنصري الخلايا المذكورة واذا اصاب عدوَّهُ تمت الدائرة فافرغ في عدوّهِ طلقتهُ الكهربائيَّة. فترى من ثمَّ ان هذه الاسماك على قول المسيو دارسنفال لا تباشر تكوين كهربائيَّتها الَّا عرضياً في ساعة العمل فقط وفعلها اشبه شيء بفعل القوَّة العضليَّة في الحيوان. فكما انَّ عضلات الحيوان لا تبرز فعلها الميكانيكي الَّا عند العمل فعلى هذا المنوال تفرز هذه الاسماك سيالها الكهربائي عند حاجتها اليهِ فلا غرابة والحالة هذه ممَّا لتلك الاسماك من قوَّة التفريغات المدهشة اذ تتوفَّر لديها في آنٍ واحد كل شروط إفراز القوَّة الكهربائيَّة من حيث الكمية والتوتُّر بنسبة وافية

وقد ابتدع المسيو دارسنفال آلة ليؤيد رأيهُ بالاختبار. وذلك انهُ اخذ انبوبة من المطَّاط (الكاوتشوك) قسمها اقساماً عديدة وجعل بين كلّ قسم قطعةً من جسم نَخِر وبين كل قطعة كمّيَّة من الزئبق مع شيء من الماء المالح ثم شدَّ طرَفي المطَّاط وعلَّقهُ بجديدة عقفاء. فكان كل مرَّة ينتر المطَّاط بجفوة يحسّ بهزَّة كهربائيَّة في جسمهِ. ثم زاد على المطَّاط ثقلًا واجتذب المطَّاط من اسفل الى فوق فشعر بمجارٍ كهربائيَّة متماكسة

على ان المسيو دارسنفال لم يكتفِ بهذه الامتحانات بل شرع في درس الاعصاب في الحيوان عموماً وفي الانسان خصوصاً وبيَّن انَّ كل حركة في هذه الاعصاب تكيِّفها

بتكييف ما من حيث المفاعيل الكهربائية فضلًا عن المفاعيل الكيمويَّة والميكانيكية

فاستنتج من ابحاثهِ انَّ تولُّد السيال الكهرباني في كل جسم حيواني حيّ امرٌ جوهري يدخل ضمن احكام الظواهر الفيزيولوجية العامَّة وان هذه المجاري الكهربائيَّة مع كونها تظهر في بعض الحيوانات البـاردة الدم لاسيما الاسماك تُرى ايضاً وإن خفيفةً في كلّ الحيوانات عموماً ويمكن تدوين قوَّتها بآلة لطيفة تُدعى إلكترومتر

امَّا الكهربائيَّة التي توجد اصليًّا في تركيب الاجسام البشريَّة وتظهر فيهـا بعوامل مختلفة فمنها ما يقع تحت احكام الضوابط السابقة وينطبق عليها تماماً. ومنها ما لم يحدَّد الى الآن تحديدًا وافيًا فهو اذًا موضوع بحث وتنقيب لدى العلماء المحققين. وقد وجد اهل البحث انَّ فئة من الاشخاص قليل عددهم خصَّتهم الطبيعة بمزايا اضافية استلفتت اليهم الانظار لما قد حووهُ من خوارق الصفـات. فمن هؤلاء من تُصبح بشَرتهم احياناً مركزًا لبعض ظواهر كهربائية كتطاير الشرر من اجسامهم عند لمسها وحصول تفريغات متعددة على من حولهم الى غير ذلك ممَّا يحمل على الدهشة والاستغراب

ولقد روى المعلم ج. ويس (G. Weiss) انهُ اجتمع باحد هؤلاء الاشخـاص وتحقَّق انهُ تكهرب هو وثيابهُ بلمسهِ ايَّاه وبقي التكهرب مدةً حتى تلاشى شيئًا فشيئًا. غير انهُ نسب ذلك الى احتكاكهِ بجلد هذا الشخص. وشبَّه تلك الكهرباء بما ينشأُ من قبيلها عن الفرك في بعض انواع الجلود كجلد الهرّ وما شاكلهُ

وقال آخرون ان مصدر هـذا تأثير العناصر الجويَّة على بعض موادّ عضويَّة توجد طبيعيًّا او عرضيًّا في طبقـات الجلد وخصوصاً على سطحهِ الخارجي مع مواد اخرى غير عضويَّة كالاملاح والمياه وغير ذلك ممَّا يُرى في افرازات الغـدد الجلديَّة. الَّا انهم لم يقيموا البيّنات على صحة ما زعموا

وعلى كل حال فلا يخلو الامر وكل ما في هذا الكون من نظر وحكمة بالغة يقف امامها العلم حائرًا والعقول مفحمة. أجل فمهما أُتي الانسان من ذكاء ومعرفة يرى ذاتهُ عاجزًا ويعترف بتقصيرهِ عن ادراك كثير من الحقائق والاسرار الغوامض. فسبحانهُ تعالى رب الطبيعة باسرها ومبـدع العوالم بكمالها وخالق ما يُرى وما لا يُرى فهو وحدهُ عزَّ وجلَّ دون سواهُ بكل شيء عليم

حبيس بحيرة قدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

ولسوء الحظ حدث انهُ لمّا عاد رئيس الشمامسة المذكور شاهد انقلاباً عظيماً في استعدادت بطريركهِ لان رصيفهُ بطريرك القسطنطينيَّة استاء من مذاكراتهِ مع رومية وما زال يعمل على تغيير افكارهِ حتى استمالهُ الى ما أراد. ولا عجب في ذلك فان بطريرك انطاكية هذا كان سريع التقلب طائش الرأي لانهُ بعد ان وقَّع لاول مرَّة مجمع فلورنسة بواسطة معتمدهِ ايزيدور رئيس اساقفة كياف عاد فحرمهُ في مجمعين من الاساقفة انعقدا في اورشليم والقسطنطينيَّة (١. واذا كان قد سيَّر موسى رئيسَ الشمامسة الى رومية فانما قصد من ذلك مرضاة بعض الاساقفة التابعين لهُ واستمالة المقدَّم رزق الله اليهِ فكل ما عملهُ اذًا قد تحرَّى بهِ التسويف واغتنام الوقت

على انهُ تقبل بالاحترام رسالة البابا وبعد ان اطّلع عليها قال: « سنتذاكر في شأنها مع اخوتنا الاساقفة لان اقصى امانينا ان نرى الاتّحاد ناشرًا لواءهُ بين جميع المسيحيين »

وما كان منهُ هذا الكلام في الحقيقة سوى اسلوب ادبي لطيف للتخلُّص من البحث في مسألة الاتّحاد. وكان البطريرك المذكور كسائر الاشخاص الطاعنين في السن يتردَّد كثيرًا ولا يجزم بشيء. ولمَّا اجتمع الاساقفة لمداولتهِ خطب موسى في الجميع موضحاً المنافع الكثيرة الناجمة عن التقرب الى الغرب فلم يفُز بوطر

وكان من جملة ما ورد في خطابهِ قولهُ: « ان البابا لا يطلب منَّا تضحية ولا شيئاً آخر يضرّ بنا ويجحف بصوالحنا بل يريد ان نحافظ على عاداتنا القديمة وليتورجيتنا وسلسلتنا الاكليريكية. ثم انهُ يبقي لنا الطقوس التي باشرها اجدادنا على ممرّ الاعصار الماضية واللغة التي رفعنا بها في حالتي السرَّاء والضرَّاء أصواتَ الوطن الارضي نحو الوطن

١) المشرق (١: ٦١)

السماوي. وليس ذلك فقط بل يريد منّا ان نحفظ الكهنة والاحبار من دمنا وسلالتنا وصلوات لغتنا والاتحاد مع كنيسة انطاكية المقدسة والشركة مع اخواننا في العسر واليسر ولا يُرئس علينا قطعاً روساء غرباء او يفرض استعمال لغة مجهولة وطقوس جديدة غير التي كانت لاجدادنا. وان كانت رومية تريد ان ترى منّا تلامذةً للمسيح اعظم كمالًا فلا تلزمنا بجحود اصلنا ونسيان ماضينا. وغاية ما يطلبهُ منّا بيوس الثاني هو ان نعترف بما اعترف بهِ آباؤنا منذ اعصار طويلة اعني اوّلية خلفاء بطرس الرسول. على ان بطريركية انطاكية لا تدّعي بحمد الله ما تدعيهِ بطريركية القسطنطينية ولا تلقّب نفسها بالمسكونية فما الداعي اذًا الى اقتفاء آثارها وسلوك منهاجها

« واذا كانت رومية لم تولِّ علينا في الماضي روساء اجانب فلم تتصرَّف معنا مثل هذا التصرُّف بطريركية القسطنطينية لان بطاركة هذه الكنيسة اي كنيسة القسطنطينية لا تهتمّ الّا بمنافع اليونان وصوالحهم وقد ابدت لنا التجارب اننا كلّما حاولنا اقترابًا منهم عاد ذلك بمزيد الضرر على استقلالنا الديني والوطني ومن منكم لا يتذكر البطريرك ثيادورس بلسامون الذي نصبتهُ القسطنطينية على بطريركية انطاكية وما اثار من الحرب الشديدة على ليتورجيأتنا وعاداتنا (١ أفما كان الاجدر بنا ان نتعظ من هذا الامر وحدهُ ونتخذ الحيطة لانفسنا

« ولا يخفاكم اننا عشنا مع الغرب مدَّة اعصار طويلة على اتمّ وفاق وسلام وكانت تلك الأيام كما تعلمون افضل ايام تاريخنا بل يمكننا ان نثبت اننا ما انفصلنا قط انفصالًا تامًّا عنهُ او بالحري ان هذا الانفصال لم يعمّ البطريركيَّة. وماذا يا ترى غنمنا من وراء الانفصال أَو ليس التاريخ افضل شاهد على اننا لم نجنِ غير الخسران. اما ترون ان الانفراد ليس بكافل لسعادة صاحبهِ بل انهُ مجلبةٌ لفقدها. ام ليس الافضل ان يعتمد المرء على ذي سلطة قويَّة لا يريد لهُ غير الخير والعلاء. واذا اتحدنا مع الكاثوليك نصير مع محافظتنا على استقلالنا الخاص مرتبطين مع سائر العالم المسيحي وتمدّنا البابويَّة بمعاونتها الادبيَّة كما يمدنا الغرب كلهُ بعضدهِ ويمنُّ علينا بميلهِ وارتياحهِ »

وكان لهذا الكلام الذي فاه بهِ موسى رئيس الشمامسة وقع عظيم في الحاضرين حتى اقتنع بهِ كثيرون من الاساقفة وعضدوهُ لانهُ في القرن الخامس عشر لم يكن من

١) المشرق (٣: ٢٧١ و ٢٧٢)

وجود لاخويَّة القبر المقدس اليونانيَّـة فكانت بطريركيَّة القسطنطينيَّة لا تستطيع ان تتصرَّف بانطاكية كما تشاء وتزيد على مثل ما جرى بعد ذلك ممَّا عاد بالضرر العظيم على الكنيسة الملكيَّة

على ان هذه الكنيسة قد شعرت في أواخر القرن التاسع عشر بما يتهدَّدها من خطر ضياع استقلالها الديني فقامت من ثمَّ تستردهُ شيئاً فشيئاً وطلّقت حماية الفنار وانكرت وحدة الاصل بين اليونان والملكيَّة (١ وان كان قد حامى عن هذا الامر الاولون لاغراض لا تخفى

غير ان كل الادلَّة التي اتى بها الاساقفة الراغبون في الاتحاد لم تقوَ على اقناع ذاك الشيخ الجبان فكانت غاية ما عمـلهُ انهُ قرَّر وجوب الشكر للبابا بيوس الثاني على عواطفهِ الحسنة نحو الكنيسة الشرقيَّة. وكان يظن انهُ بهذه الطريقة يتحاشى الدخول في اساس مسألة الاتحاد دون ان يقطع العلائق مع رومية

وبعد ان قام موسى بما يجب عليـهِ في انطاكية كان اول خاطر خطر لهُ ان يزور شقيقتهُ راحيل التي طال عهد غيابهِ عنهـا فشخص الى طرابلس واستصحب شقيقتهُ الصغرى حنة وسار الاثنان الى قصر البترون وكان وصولهما اليهِ قبل رجوع زين وقرينتهِ ببضع ساعات من جزيرة البحيرة

ولو ان هذا الشقيق الشفيق وصل الى البترون قبل ذاك الوقت باسبوع واحدٍ لادَّى قدومهُ بلا ريب الى تجديد الاحزان على تلك القرينة المهملة. امَّا الآن وقد وافى بعـد امتزاج الزوجين فقـد شمل الفرح قصر البترون ولاسيما راحيل التي كانت قد دفنت الماضي في قبر النسيان وآلت ان لا تذكرهُ

وتحدَّث موسى مليًّا مع المقدم زين عن مدينـة رومية وسائر المدن الايطاليَّة التي زارها. وقد سألهُ المقدم عن البندقيَّة التي كانت سفائنها تأتي في مواقيت معيَّنـة الى طرابلس وبيروت (٢ وتقف بعض الاحيان في مياه أنفة البترون

وكان موسى قد مرَّ على مدينـة جنوة التي نشأت فيها أُسرة لبرياك قديمًا ولدى عودتـهِ من اوربَّة عرَّج على قبرس لمشاهدة آخر فرعٍ بقي من اسرتهِ التي هاجرت من

١) الارج الزكي والمشرق (٤: ٦٧٠ و ١١٢٤ الخ)

٢) راجع هيد: تاريخ تجارة الشرق والقلقشندي

سوريَّة الى تلك الجزيرة ولم يلبث المذكور ان توفي بعد سنوات قليلة غير تارك عقباً (١

وفي مروره على مانتوة لاقى مندوبي الجزائر اليونانيَّة ذاهبين الى رومية لاجل طلب حماية البابا. وتحدث ايضاً مع مندوبي دوق بورغنـديه. ولمَّا علم المذكورون ان موسى رئيس الشمامسة آتٍ من سوريَّة اخذوا يستعلمونهُ عن الاب يوحنا الذي كان اميرهم يشتاق الى سماع اخباره

ولمَّا عاد موسى الى رومية بمعيَّة الحاشية البابويَّة وصل اليها الامير توما احد امراء اليونان من سلالة ملوك پاليولوغ وكان فارًّا من وجه اعدائهِ وحاملًا ذخيرة نفيسة وهي رأس اندراوس الرسول (٢ فلمَّا وصل بالذخيرة المذكورة استقبلتها المدينة الازليَّة بما لا مزيد عليهِ من الاحتفالات والتكريمات. وقصارى القول ان موسى اطلع في كل محلّ مرَّ بهِ على نهضة الكنيسة الكاثوليكيَّة وسطوة البابويَّة وكان دائماً يقابل هذا النجاح والتقدم مع ما يراهُ في الكنائس المنفصلة من التأخر. ولم يكن امر كهذا يخفى على بصيرة وقَّادة كبصيرة موسى المذكور

وبعد ايام عزم المذكور على الذهاب الى بشراي لمواجهة المقدم رزق الله وصدَّهُ عن ذلك صهرهُ المقدم زين الذي اطلعهُ في الوقت نفسهِ على كل ما جرى من الحوادث في جبل اللكام وفي ناحية بحيرة قدس

٢٥

بعد ان مضت ايام قليلة على سفر مقدَّم البترون أُخرج الاب يوحنا من محبسهِ بأُبهة غير مألوفة

وكانت شواطئ البحيرة في ما مضى هادئة مقفرةً لا حركة فيها غير انها تحوَّلت في ذلك اليوم الى عكس ما كانت عليهِ فما كنت ترى غير رجال وخيـل ولا تسمع سوى صراخ وضجيج واوامر تصـدر الى الزعماء مصحوبةً بصليل السلاح وبريق السيوف والرماح والدروع المتلألئة تحت انوار الشمس. وكانت الزوارق والقوارب تتجه من كل انحاء البحيرة والسدّ وقرى قطينة وزمارية وكفرعبدة ذاهبة الى تلك الجزيرة الصغيرة

١) دوكانج: كتاب الأسَر

٢) پاستور

والتفت الاب يوحنا من نافذة كوخهِ فوقع بصرهُ الضعيف على جمع غفير يتماوج على ضفاف البحيرة وقوارب عديدة سائرة نحو الجزيرة بركابها فرابتهُ هذه الحركة وقلق مما شاهد من السلاح والجنود واخذ يحدّث نفسهُ قائلًا: «أترى هم آتون لينقلوني من سجني هذا الى سجن آخر؟ وهل تردّد راحيل والاب جرمانوس ايقظ ظنون جوسلين فرأى ان حالتي في منفاي لم تزل خفيفة محتملة فجزم بابعادي الى حيث اذوق مرارةً اشدّ؟» وتذكّر اذ ذاك بارتعاش ما قاسى من الجهد والمشقة في سفره من دير الصليب الى بحيرة قدس وما تكبّد من فظاظة البدو الذين ساقوهُ اليها

وبينما هو في هذه الافكار كانت القوارب قد وصلت الى شاطئ الجزيرة وفي مقدمتها زورق خرج منهُ اثنان اول الجميع وكان احدهما طويل القامة شاكَ السلاح يدلّ ظاهرهُ على انهُ زعيم تلك الجماعة نظرًا لما كان يحفّ بهِ من الاكرام والاعتبار. واما الآخر فكان اكبر سنًّا ومتردّيًا بملابس راهب. وما كان غير قليل حتى وصل المذكوران الى كوخ الاب يوحنا فبادر الاول وقبّل يديه باحترام وانطرح الثاني عليهِ فعانقهُ بانعطاف وكان الاول الامير رزق الله والثاني فرا غريفون

واول ما وقع بصر الامير رزق الله على ذاك الرجل البار خاطبهُ قائلًا:

نحمد الله اننا التقينا بك في آخر الامر

فقال ذلك الشيخ الجليل: ان الله سبحانهُ لم يسمح بموتي قبل ان يعزّيني بان ابارك ولدًا احبهُ وأُعانق رصيفًا قد طالما صحبتهُ في سبيل خدمة الخلاص

قال هذه الكلمات والتفت الى فرا غريفون وعانقهُ طويلًا وهو يذرف الدمع فعمل هذا المشهد المؤثر في كل من حضرهُ ولاسيما الامير رزق الله الذي لم يكن يقوى على تحويل بصرهِ عن وجه مثقّفهِ وغارس العواطف الشريفة فيهِ. وكانت الاوجاع التي قاساها الحبيس في السنتين الاخيرتين من حياتهِ قد خلّفت فيهِ آثارًا تدلّ على ما كان تأثيرها عليهِ فان لحيتهُ كانت قد ابيضّت كالثلج ومحيّاهُ قد استطال ودقّ وعينيهِ قد غارتا تحت الحجاج ورجليهِ قد خارتا فصار اذا مشى يتوكأ على العصا. غير ان صوتهُ لم يتغيَّر وظلّ محافظًا على ما فيهِ من لطف وحلاوة وكان اذا تكلّم أشعر دائمًا بما يكنّهُ ذاك الشيخ الجليل من نفس عالية وعواطف سامية

ولمَّا نظرهُ المقدم رزق الله على هذه الحال فاضت الدموع من مقلتيهِ ولم يستطع

كتمان ما جاش في صدرهِ من الغضب على الذين عذبوا هذا الاب القديس فقال:

يا لهم من برابرة كيف اساؤوا معاملتك. غير ان الاب يوحنا تظاهر بانهُ لم يسمع ما قيل لهُ فاستأنف الكلام ممسكاً بيد فرا غريفون والامير رزق فقال:

الشكر لكما كل الشكر اذ اتيتما لتغمضا عينَيْ هذا المنفيّ المسكين. الان استطيع ان اموت مطمئناً لاني رأيتكما وضممتكما بين ذراعيَّ. اللهمّ انك اوليتني سعادة عظيمة لم اكن استحقها

قال الامير رزق الله: لا تتكلّم هكذا يا ابي لان الله انما جمعنا حتى لا يفرّق بيننا ولقد علمتُ بكل ما قاسيتهُ من النكد والاوجاع ولمتُ نفسي كل اللوم على كوني لم اعرف كيف اتلافى كلّ ما حلّ بك ولست نادماً الّا على انك صددتني عن إنزال غضبي بالمنافق جوسلين ولا ريب انك تتذكر ذلك. غير اني عازم على تعويض الشرّ الذي لم استطع تداركهُ. واعلم ان محبّتنا البنويّة تعرف كيف تُنسيك مرارة الزمن الماضي. وفي الختام اقول لك ان يد الله العادل قد ثقلت على من كان يضطهدك

— أعلى جوسلين ؟ قل يا ابني هل حدث لهُ سوء ؟

— لم يَعد بين الاحياء

— هل مات ؟ وكيف ؟ هل عرف ضلالتهُ ؟ وهل استغفر الله والبشر ؟. ولا ريب انك يا فرا غريفون كنتَ حاضرًا فاخبرني هل عاند ما بذلتَ لهُ من النصائح حتى يُنيب الى الله

قال فرا غريفون: انهُ مات كما عاش دون ان يبدي أسفاً على الماضي ولقد حاولت كثيرًا ان أُغيّر قلبهُ الجاسي فذهب السعي باطلًا

وهنا قال الامير رزق الله: انَّ المشنقة قضت اخيرًا قضاء عادلًا على حياة مشحونة بالمآثم والجرائم

قال الحبيس متوجّعاً: ماذا تقول يا ابني هل مات جوسلين دون ان يندم على اساءاتهِ ؟ ثم خفض صوتهُ واخذ يقول في سرهِ: ولكن كم من مرة قدَّمت اوجاعي بل قدَّمت حياتي ايضاً لاستدرّ لهُ نعمة الاعتراف بذنبهِ قبل ان يقف امام منبر الديان الرهيب. كلا لا اظن انَّ عملي ذهب باطلًا ويلزمني ان اصلّي وابتهل من اجل هذا الضال الشقي

(الباقي للآتي)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

القسم الثاني

جغرافية لبنان وتعريف الامم التي سكنتهُ

١ اسم لبنان وسعة نطاقهِ في التاريخ

قد بلغ بنا تقصّينا لآثار لبنان الى تخومهِ الشماليَّة فرأينا ان نحطّ برهةً عصا التسيار لنبحث في قسم ثانٍ عن بعض احوال هذا الجبل الشهير ممّا يشمل تاريخهُ اجمالًا ويعمُّ شؤونهُ من حيث تقاسيمهِ الجغرافيَّة مع تعريف الامم التي سكنتهُ في سالف الاعصار. وهو امرٌ يفيدنا لادراك ما بقي علينا من وصف آثارهِ في جهاتهِ الأُخر

لا جرم ان القارئ اللبيب قد لحظ في خلال فصولنا السابقة انَّ اسم لبنان لم يُطلق في كلّ اطوار التاريخ على ثغور معروفة وربَّما اتسع او انحصر معناهُ على اختلاف الظروف وترعات الكتَّاب. فلحَسْر لثام الشبهات وازالة كلّ المعضلات رأينا ان نبيّن حدود لبنان في الازمنة الغابرة بما امكن من التدقيق

ليس من احد يجهل اليوم موقع لبنان ونواحيهُ الاربع وكلٌّ يعرف انَّ المراد بهِ تلك السلسلة الجبليَّة المتـدة بين البحر المتوسّط او بحر الشام والنهرين الشهيرين النهر الكبير والليطاني

بيد ان معنى لبنان لدى القدماء لا ينطبق على مفهومنا بهِ في عهدنا. واوَّل ما ينبغي استفتاؤهُ من كتب التاريخ الاسفارُ المقدسة فان هذا الاسم ورد فيها على صورة لَبْنون (לבנון) وهكذا عرفهُ ايضاً الفينيقيُّون. امَّا الاشوريون فيدعونهُ لَبنانو. وممّا يستفاد من الكتاب الكريم انَّ لبنان جبل شاهق فخيم في شمالي نهر الليطاني يحدّ ارض الميعاد من تلك الجهة

وقد تكرَّر ذكر لبنان في صُحُف العهد القديم وان كان هذا الجبل خارجاً عن

ملك اسرائيل. واكثر ما ورد اسمهُ في اوصاف الكتاب الشعريَّة كما اثبتنا ذلك في مقالتنا عن ارز لبنان (المشرق ٤ : ٩٣٠—٩٣٨). وذكروا بين خواصهِ الثلوج الغراء التي تكلل هامتهُ (راجع سفر ارميا ١٨ : ١٤) فبيَّنوا بهذه الاوصاف انهم ارادوا لبناننا دون سواهُ

ومما جاء ذكرهُ ايضاً في الكتاب الكريم وادي البقاع المخصب الذي يفصل لبنان عن جبل الشيخ وهو يدعى هناك « مدخل حماة » او « الطريق الى حماة (١» وهو اسم يطابق المسمى لانَّ سهل البقاع اشبه بطريق لاحبة تنفذ بين جبلين عاليين. وفي هذا الاسم ما يُشعر بخطر مدينة حماة وعظم شأنها وهي اول مدينة كبرى كان بنو اسرائيل يلقونها عند خروجهم من تخومهم الشماليَّة الشرقية. امَّا اليونان (٢ فيدعون البقاع باسم ماسياس (Massyas) او مرسياس (Marsyas) وربَّما دعوها ايضاً بسوريَّة الجوفة (Célésyrie) لانعطافها بين الجبلين على شبه الجوف (٣

ويؤخذ من سفر الملوك الثاني (٨ : ٨) ان لبنان كان غنيًّا بمعادن النحاس. والمرجَّح ان موقعها كان على العطف الشرقي من لبنان الحالي بازاء سهل البقاع

على ان اصحاب الصحف الكريمة لا يفرقون بين لبنان الغربي والشرقيّ فاطلقوا على كليهما اسم لبنان. وهو امرٌ يسهل ادراكهُ لانَّ الجبلين متشابهان تشابهاً تامًّا يسيران على خطين متوازيين الى وجهة واحدة وطولها واحدٌ على التقريب وهما يتركبان من صخور كلسيَّة متجانسة. ولا غرو انهما كانا في القرون الخالية جبلًا واحدًا ففصل بينهما حادث جيولوجي غيَّر هيئتهما فانخسفت بينهما الارض وليس وادي البقاع الَّا نتيجة هذه القارعة. ومن ثمَّ لا حرج على كتبة الاسفار المقدسة اذا اعتبروا هذين الجبلين كطود واحد وان كانوا لم يدققوا في تعريفهما كما يفعل اليوم الجغرافيون. وليس الامر كذلك في تعريف اسطرابون لهذين الجبلين فانهُ قد وهم وهمًا جسيمًا في بيان وجهتهما كما سترى

١) راجع سفر العدد ١٣ : ٢٢ و٣٤ : ٨ ويوشع ١٣ : ٥ الخ وحزقيال ٤٧ : ٢٠ الخ وعاموس ٦ : ١٤ الخ

٢) راجع تاريخ پوليب ك ٥ ف ٤٥ , ٤٦ , ٦١ وجغرافية اسطرابون ك ١٦ ف ٢ , ١٠ الخ

٣) راجع معجم الكتاب الاقدس لڤيكورو في المادة وجغرافية فلسطين القديمة لبول (Buhl) ص ٨٣

واوَّل من احكم الفصل بين الجبلين السابق ذكرهما كتبةُ اليونان فانهم قد افرزوا بينهما وخصُّوا احدهما باسم لبنان ودعوا الآخر انتيليبانوس (Ἀντιλίβανος, Antiliban) ومعناهُ الجبل القائم بازاء لبنان وكلا الاسمين شائع حتى ايامنا بين الكتبة. وممَّا يدلُّ على قِدَم اسم انتيليبانوس ان اصحاب الترجمة السبعينيَّة في القرن الثالث قبل المسيح نقلوا اسم لبنان العبراني الى اليونانيَّة باسم انتيليبانوس لمَّا رأوا انَّ مدلولهُ الجبل الشرقي لا لبنان الحالي. وذلك في خمسة اماكن من الاسفار الالهيَّة (١. وكذلك ورد في في النصّ اليوناني من سفر يهوديت (١ : ٧)

وان تصفَّحنا تآليف يوسيفوس اليهودي وجدناهُ متردّدًا في تعريف لبنان كانهُ لم يطَّلع على اصطلاح اليونان وهو يكتب في لغتهم. فتراهُ اذا ذكر جبل حرمون والجبال المجاورة لدمشق دعاها كلها باسم لبنان

وما لا ريب فيهِ ان كتبة العهد القديم اذا ما ذكروا لبنان وارادوا بهِ الجبل الموازي لهُ انَّما مرادهم فقط القسم الجنوبي من هذا الجبل المعروف اليوم باسم جبل الشيخ وذكرهُ كثيرٌ في التوراة. وقد دوَّنا في بعض مقالاتنا السابقة اسماء جبل حرمون عند قبائل سوريَّة وفلسطين فلا حاجة الى التكرار والى بيان صحَّة هذه الاسماء لئلاَّ نخرج عن الموضوع

امَّا اتّساع لبنان وحدودهُ فانَّ الكتاب المقدَّس لا يذكر غير حدّهِ الجنوبيّ اعني شمال نهر الليطاني. ومن ثمَّ لا بُدَّ من نقل نصوص قدماء اليونان لتعريف هذه الحدود

*

لعلَّ المؤرخ بوليب (٢ اوَّل من سبق فبيَّن بضبط وتدقيق تخوم لبنان. وهو يفصلهُ عن الجبل الشرقي فصلًا صريحًا ويذكر بين السلسلتين سهل البقاع ويجعل في هذا السهل مخرج نهر العاصي. وممَّن اجادوا في تعريف اتساع لبنان ديودور الصِقِلّي (٣ في القرن الاول قبل الميلاد قال انَّ لبنان يمتدُّ من صيداء الى جبيل وطرابلس وانَّ غابات الأرز تظلّل قمهُ (٤

١) تثنية الاشتراع ١ : ٧ ; ٣ : ٢٥ ; ١١ : ٢٤ يوشع ١ : ٤ ; ٩ : ١
٢) في كتابهِ الخامس (ف ٤٥,٥٩,٦٩) ٣) ك ١٩ ف ٥٨
٤) راجع المشرق (٤ : ٩٢٤)

امَّا معاصرهُ اسطرابون فانَّ في كلامهِ لبساً وابهاماً وهاك تعريب ما كتب قال: انَّ سوريَّة المجوَّفة واقعة بين جبلين تفصلهما على التقريب مسافة واحدة في طولها. وكلاهما يبتدئ قريباً من البحر امَّا لبنان فانَّ اوَّلهُ عند طرابلس وجبل ثيوبروسوبون (راس الشقعة.راجع المشرق ٥ : ١٠٧) وامَّا جبل انتيليبانوس فبدوهُ بقرب صيداء (كذا) وهما ينتهيان عند الجبال العربيَّة التي تُشرف على اقليم دمشق » وفي الفصل ذاتهِ قد اثبت اسطرابون انَّ منتهى لبنان عند رأس الشقعة وهو يروي انَّ اعالي لبنان كصنيّان وبوروما يأوي اليها قوم من اللصوص وقطَّاع الطرق. وكذلك يزعم انَّ هؤلاء الاوباش يملكون على البترون وجيغرتا ويسكنون الكهوف المشرفة على البحر وحصن الشقعة (١

فترى ممَّا تقدَّم انَّ اسطرابون يفرق بين لبنان والجبل الشرقي ويجعل بينهما سهل البقاع وكذلك لم يشذّ عن الصواب اذ دلَّ على حدود لبنان الشماليَّة وهو يجعلها تقريباً عند طرابلس لانَّ جبل عكَّار يُعَدّ ايضاً من لبنان فيتَّصل بهِ ويمتدّ بعض اميال الى النهر الكبير الذي يحجز لبنان عن جبال النصيريَّة . غير انَّ اسطرابون وهم وهماً جسيماً بزعمهِ ان كلا الجبلين يبدأ بقرب البحر عند صيداء وهو خطأ لا صحَّة لهُ في انتيليبانوس. وكذلك قد اخطأ بقولهِ انَّ الجبلين ينتهيان عند دمشق وهذا لا يصدق عن لبنان وقد ساء ظنَّهُ في الجبلين اذ وصف سيرهما من الغرب الى الشرق اي من البَحر الى داخل بلاد الشام وهما في الحقيقة يسيران من الشمال الى الجنوب فيجاريان سِيف البَحر

امَّا التفاصيل التي ذكرها اسطرابون عن لبنان ولصوصهِ فقد مرَّ ذكرها في محلِّها مع بيان ما صدق منها

وفي وصف بلينيوس (٢ للبنان ما هو اقرب الى حقيقة من سواهُ. وهو يجعل اول لبنان عند صيداء ثمَّ يذكر امتدادهُ شمالًا الى مدينة سيمرَّة القديمة اعني وراء مصبّ النهر الكبير بقليل حيث يبتدئ جبل برجيلوس وهو جبل النصيريَّة. وناهيك بهذه الافادة تدقيقاً وضبطاً. وكذلك لم يندَّ في وصفهِ لبنان وتمييزهِ عن الجَبل الشرقي وذكر البقاع وذكر العيون التي يتكوَّن منها العاصي

---

١) المشرق (٥:١٠٧-١٠٩)

٢) راجع تاريخهُ الطبيعيّ (ك ٥ ف ٧٨)

وممن ذكروا لبنان من قدماء النصارى اوسابيوس القيسري في كتاب الأعلام (Onomasticon) وتبعهُ القديس هيرونيموس وكلاهما يقول ان لبنان من سلسلة الجبال الغربيَّة المحاذية لبحر فينيقية اماَّ السلسلة الشرقيَّة من جهة دمشق فجبل انتيليبانوس اي الجبل الشرقيّ

فترى من ثمَّ ان القدماء في حدود القرن الرابع كانوا وقفوا على حقيقة موقع لبنان وافرزوهُ عن الجبل الذي هو قائم في وجههِ وبيَّنوا وِجهة امتدادهما. غير ان كتبَة القرون التالية عادوا فخلطوا بين الجبلين. ومماَّ افضى بهم الى هــذا اللبس التقاسيم السياسيَّة التي ادخلها ملوك الروم في ذلك العهد فاختلطت الاسماء وصارت الاعلام تدل على غير ما وُضعت لهُ سابقاً

فمن ذلك ان سوريَّة الجوَّفــة التي كانت تدلُّ في اول الامر على سهل البقاع ليس الَّا اضحت اقليًا واسعاً يمتدُّ شمالًا الى ما وراء انطاكية بحيث اضحت هذه المدينة قصبةَ لهُ. وكذلك لم يعد اسم فينيقية يُطلق على الساحل المنحصر بين لبنان والبحر بل صار يعني بلادًا متسعة تبلغ حدودها الى دمشق وحمص وتدمر

وعلى هذا المنوال تغلَّب اسم لبنان الشهير على جبل النصيريَّة المجاور اذ لا يفصل بينهما الَّا وادي النهر الكبير. فأُبطل اسم برجيلوس الذي خصَّهُ بهِ بلينيوس الكاتب واعتُبر كأنهُ لاحقٌ بلبنان

ومن غريب ما جرى وقتــئذٍ من التقلُّبات في تقسيم الايالات ان الاقليم المعروف بفينيقية اللبنانيَّة لم يضمّ في دائرتهِ لبنان الغربي بينما كان محتويًا على تدمر مع بعدها عن لبنان. وكفى بذلك دليلًا على انّ اسم لبنان لم يؤخذ بمعناهُ الاصلي او انَّهُ كان ادلَّ على جبل انتيليبانوس منهُ على لبنان لاسيَّما بعد ان جُعلت مدينة دمشق كعاصمة فينيقية اللبنانيَّة. ولذلك نرى في اعمال القديس صوفرونيوس الدمشقي انهُ دعا وطنهُ « المتوَّج بلبنان » (λιβανοστέφανος) ولعلَّ هذا اللقب حمل البعض على الظن بانهُ لبناني الاصل

وعُدَّت حمص قبل دمشق مدَّةً كقصبة ولاية فينيقية اللبنانيَّة فصار الاهلون يدعون الجبال الواقعة بازائها وفي شماليها باسم لبنان وهكذا شمل هذا الاسم جبال النصيريَّة. وفي تاريخ سوزومين (ك٣ ف١٥) نرى اسم لبنان مختصاً بالجبال المحاذية لمدينة افامية. واغرب من ذلك ان تاوفانس المؤرخ في اثناء كلامهِ عن المردَة اطلق اسم لبنــان على

كل جبال الشام الواقعة بين مصبّ نهر العاصي والقدس الشريف (١. وقد جرى بقيَّة المؤرخين البوزنطيّين على هذا الاصطلاح نخصُّ منهم بالذكر المؤرخ قدرينوس

*

ولمَّا ظهرت دولة العرب حفظ ملوكهم التقاسيمَ الجغرافيَّـة الجارية قبل عهدهم ولذلك ترى الكتبة السريان كابن العبري(٢ وجغرافيّي العرب يتأثرون اعقاب الروم في وصفهم جبل لبنان فربَّما اصابوا او اخطأوا كاسلافهم. فالمقدسي مثـلًا يقول في كتاب معرفة الاقاليم (ص٦٠) انَّ لبنان جبل ساحلي مشرف على صيداء وطرابلس. امَّا ابن الفقيه الهمذاني (ص١١٢) فانهُ يزعم « انَّ لبنـان بدمشق وانهُ متصل ببلاد الروم » يريد قيليقية. وبوصفهِ هذا اطلق اسم لبنان على جبل الشيخ وعلى كل الجبال الواقعة شمالي سوريَّة حتى اللكَّام وقسم من جبل طورس وهو تعريف واسع لم يخطر على بال كتبة الروم

وقال ابن جبير في رحلتهِ (ص ٢٥٦): « وراء المعرَّة جبـل لبنان وهو سامي الارتفاع ممتدّ الطول يتصل من البحر الى البحر وفي صفحتهِ حصون للملاحدة الاسماعيليَّة وجبل لبنان حدٌّ بين المسلمين والافرنج لانَّ وراءهُ انطاكية واللاذقيَّة وسواهما من بلادهم » فترى من قولهِ هذا انهُ ادخل في لبنان بلاد الاسماعيليَّة الواقعة في جبـل النصيريَّة بين اللاذقية وحماة وهناك كانت حصونهُ كمصياد والرصافة وخوابي وكهف والعُلَّيقة

ولياقوت في تعريف لبنان أقوال غريبة قال (٢: ١١٠ و ٤: ٣٤٧): « لبنان جبل مطلّ على حمص يجيءُ من العرج الذين بين مكة والمدينة حتى يتصل بالشام... ويمتد الى ملطية وسميساط وقاليقالا الى بحر الخزر » فيجعـل كل هذه الجبال جبلًا واحدًا تختلف اساميـهِ باختلاف الامكنة . واختصاصـهُ باسم لبنان يبتدئ في حلب وحماة وحمص

وقد ذكر شمس الدين الدمشقي في كتابهِ عجائب البرّ والبحر غير مرَّة اسمَ لبنان

١) راجع تاريخهُ في اعمال الاباء اليونان لمين (ج ١٠٨ ص ٧٣١)

٢) راجع تاريخهُ المدني بالسريانية (ص ٢٨٣)

وكلامهُ في الغالب مصيب الّا انهُ يجعل حدودهُ الشمالية الى اللاذقية ويعتبر لبنان كقسم من سلسلة عظمى اوَّلها في جنوبي بلاد العرب

امَّا ابن بطوطة (١ : ١٨٥) فيلوح من ظاهر كلامهِ انهُ يُطلق اسم لبنان على الجبل الممتد بين اللاذقية وطرابلس حيث وجد النصيريَّة فوصفهم. وكان النصيريَّة وقتئذٍ يسكنون ليس فقط الجبل المعروف باسمهم وجبل عكَّار بل ايضاً البلاد المجاورة لطرابلس والبترون حتى نواحي العاقورة وكسروان وذلك الى القرن الرابع عشر للمسيح كما سنبيّن الامر في مقالة آتية. ولهذا السبب قد امكن ابن بطوطة ان يدعو باسم لبنان كلَّ بلادهم (١

وأضبطُ العرب وصفاً للبنان الكاتب الشهير ابو الفداء صاحب حماة ولا غرو اذ كان اصلهُ من بلاد تجاور لبنان فانهُ في وصفهِ (ص ٦٨ و ٢٢٩) يميّز لبنان عن جبل دمشق وقد دعا طرف هذا الجبل الجنوبي باسم جبل الثلوج ويدعو باسم سنير طرفهُ الشمالي وهو أنتيليبانوس. وسنير احد الاسامي الواردة في التوراة يراد بهِ حرمون وأُطلق حسب رأينا على كل القسم الشمالي من هذا الجبل. وذلك امرٌ يُستنتج من كتبة العرب وهم شهود صدق على التقليد القديم

وقد جعل ابو الفداء لبنان بازاء جبل الثلج يمتد الى شرقي طرابلس فاذا تجاوزها عُرف بجبل عكار. وهو قول صواب جرى عليهِ ايضاً القلقشندي من بعدهِ. اما الجبل الواقع في شمال جبل عكار فان ابا الفداء يدعوهُ جبل اللكَّام (ص٦٨). وهكذا ايضاً قد جعل الاصطخري وابن حوقل حدود لبنان الشماليَّة بالقرب من مدينة حماة

هذه بعض نصوص نقلناها عن جغرافيّي العرب تبيّن ان هؤلاء الكتبَة اصابوا في كثير من اقوالهم عن لبنان وان وهموا في بعض الامور اخذوها عن كتبَة الروم دون ان يتحققوها بانفسهم لاسيا في ما يختصّ بتعريف حدود لبنان الشرقيَّة. فسبحان من تنزَّه عن كل خطاءٍ وعيب

(ستأتي البقيَّة)

---

١) راجع مقالتنا عن سكنى النصيرية في لبنان في مجلة الشرق المسيحي

مقالة
للشيخ يحيى بن عدي

في صحة اعتقاد النصارى في الباري جلّ وتعالى انهُ جوهر واحد ذو ثلاث صفات

عُني بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

قد اشتهر في ايّام المُطيع لله الخليفة العباسي رجل مسيحي من مشاهير النحلة اليعقوبية يدعى ابا زكريا يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا وُلد في تكريت وانتقل الى بغداد. قال ابن ابي أُصيبعة في كتاب طبقات الاطباء (٢: ٢٣٥): «واليهِ انتهت الرئاسة ومعرفة العلوم الحكمية في وقتهِ قرأ على ابي بشر متّى وعلى ابي نصر الفارابي وعلى جماعة أُخر وكان اوحد دهره ومذهبهُ من مذاهب النصارى اليعقوبية وكان جيد المعرفة بالنقل وقد نقل من اللغة السريانيّة الى اللغة العربية وكان كثير الكتابة ووجدتُ بخطهِ عدة كتب». وممّا جاء عنهُ في كتاب الاطباء للقفطي انهُ كان يكتب في اليوم والليلة مائة ورقة. وانهُ نسخ بخطهِ نسختين من تفسير الطبري وكتباً اخرى لا تحصى. وكان اوصى تلميذهُ ابا علي اسحاق بن زُرعة ان يكتب على قبرهِ هذين البيتين:

رُبَّ ميتٍ قد صار بالعلم حيًّا ومبقًّى قد مات جهلًا وعيًّا
فاقتنوا العلم كي تنالوا خلودًا لا تعدُّوا الحياة في الجهل شيًّا

وكانت وفاة يحيى بن عدي في بغداد في شهر آب سنة ٩٧٤ للمسيح ودُفن في بيعة مار توما بقطيعة الدقيق. وليحيى بن عدي تصانيف عديدة وتآليف عجيبة في الفلسفة وفروعها فُقد اكثرها

وقد وقفنا لهُ في مكتبتي باريس ورومية على بعض مصنّفات جليلة استنسخناها لفوائدها. فمن ذلك رسائل عديدة وجدناها في مكتبة باريس عن المعتقدات النصرانية نقتطف منها مقالة في التوحيد والتثليث نقلًا عن النسخة الخطيّة المحفوظة هناك تحت العدد ١٦٩ من الصفحة ٢١ الى الصفحة ٣٢ يرتقي عهد خطّها الى سنة ١٦٥٤

(21r) قال يحيى بن عديّ:

انّ غرضنا من هذه المقالة ان نبيّن (١ صحة ما تعتقد النصارى ان الباريْ جلّ

١) ليس هذا بيان بالبرهان لأنّ سرّ الثالوث الأقدس لا يمكن ابانتهُ بالعقل وانّما هو فقط ايضاح لتقريب إدراكهِ واظهار عدم استحالتهِ

وتعـالى جوهر واحد ذو ثلث صفات كلّ واحدةٍ منها غير الأُخريين في المعنى وانّ ذلك ليس بممتنع ولا مستحيل كما يظنّ البعض بايجـادنا ذلك في الاشياء المشاهدة والله نسترشد وبهِ نستعين وهو حسبنا هاديًا ومعينًا فنقول:

انّ من الاشياء المعاينة انّا اذا نصبنا مرآتَين على تقابُلٍ وجدنا في كل واحدة منهما صورة جميع ما يقابلها وكلُّ واحدة منهما تقابل نظيرتهـا ففي كل واحدة منهما اذن صورة نظيرتها. ومن البيّن ايضًا للعيـان انّا لسنا نجد في كل واحدة من المرآتين صورة الاخرى فقط دون جميع ما فيها من الغُرَر بل نجد في كلّ واحدة منهما صورة ذاتها وهي بعض الصور التي قد (21 [٧]) قبلتها فيجب ضرورةً ان تنعطف صورة كلّ واحدة منهما فتوجد في ذاتها

فاذا نحن تأملنا وجدنا لصورة ايِّ المرآتين احدى ثلاث احوال كلُّ واحدة منها غير الحالين الأُخرَيين: (احداها) الحال التي لها في وجودها عين وهي الصورة الموجودة في الحديد (١ وغيرهِ من الاجسام الصقيلة القابلة لصورة ما يقابلها. ومن البيّن ان هـذه الصورة بهذه الحال سبب وجود الصورة بالحالين الباقيتين

وذلك انّا لو توهّمنا ارتفاع هذه الصورة لما وُجدت الصورة التي في المرآة المقابلة لها. واذا لم توجد المقابلة لم تنعطف الصورة الى المرآة التي صدرت عنهـا فتوجد فيهـا. وليس بممتنع ان توجد الصورة التي في الحديد ولا تقابلها مرآة أُخرى ولذلك لا توجد صورة أُخرى غير التي في الحديد ولانها لا توجد في شيء مقابل لا تنعطف صورتهـا فتوجد فيها بالانعطاف وجودًا يخالف وجودها في الحديد. فقد ظهر انّ هذا الوجود سبب الوجودَين الآخرين اذ كان برفعهِ نتوهّم ارتفاعهما ومتى وُجدا وجب ضرورةً وجودهُ. وهذا الوجود مماثل لوجود الآب وهو علّة (٢ الابن والروح وهما معلولاهُ

وامّا (الحال الاخرى) فهي وجود هذه الصورة بعينها في المرآة المقابلة لها وهي في ذلك مماثلة لوصف الروح منبعثًا خارجًا من الاب

---

١) يريد بالحديد المرآة المصقولة وكانت قديمًا تصنع من الحديد المقسَّى اي الفولاذ المصقول قبل اكتشاف الطلاء الزئبقي

٢) العلّة هنا بمعنى المبدإ ليس بينها وبين معلولها ايّ اختـلاف كان لا في الجوهر ولا في القدم ولا في الكمال

والحال (الثالثة) وهي الحاصلة بالانعطاف في المرآة التي عنها صدرت وهي مقابلة لصفة الابن اذ لهُ المماثلة للاب من جهتين احداهما في الصورة والاخرى وجودهُ في ذات الاب وغير خارج عنهُ

فقد تبيَّن ان هـذه الصورة اذ هي صورة (22r) واحدة غير متكثّرة بهذه الثلث الصفات واختلفت صفاتها بها صارت ثلث موضوعات (١ معنى كلّ واحد منها غير معنى الآخرين. فانهُ ليس احد لهُ عقل ينكر انَّ الصورة التي شاهدها في الحديد لا خلاف بينها وبين الصورة المشاهدة في المرآة المقابلة لها وأنَّها هي والصورة المنعطفة عن المرآة المقابلة صورةٌ واحدة بعينها ولا يشك ايضاً في ان معنى كلّ واحدة من الاحوال الثلاث غير معنى الاخرَين وذلك انَّ كونها موجودةً في الحديد غير معنى كونها منعطفة من المقابلة الى ذاتها. ومعنى كونها منبعثة الى المقابلة الصادرة عنها حتى حصلت فيها غير معنى الأخريين. فقد ظهر اذن انهُ قد وُجدت الصورة الواحدة بعينها في ثلاث أحوال تتكثّر اذا اقترنت بها الصفات الثلاث فتكون الصورة في الحديد غير الصورة التي حصلت في المرآة المقابلة للمرآة التي هي صورتها وغير الصورة التي حصلت في المرآة التي هي صورتها لا بما هي صورة بل بما هي في الحديد وفي المرآة المقابلة ومنعطفةً الى المرآة التي هي صورة لها

فقد تبيَّن ووضح انها واحدة من حيث هي صورة وأنَّها اذا اقترنت بها الاحوال وان شئتَ فقُل الصفات صارت ثلاثة اشياء تتوحَّد من حيث هي صورة وتتكثّر بصفاتها

وهذا التمثيل وان كان لأنَّهُ محسوس أوضحُ من التمثيل بالعقل والعاقل والمعقول واقرب الى الفهم فان التمثيل بالعقل والعاقل والمعقول (22v) اشبه منهُ واولى فنحن لذلك نذكرهُ فنقول :

اذ كان كلُّ من يَعقل انَّما يَعقل بالعقل وكان العقل بعضَ الاشياء المعقولة فمن البيّن انَّ العقل نفسهُ انَّما يُعقَل بالعقل. ومن البيّن ان العقل ذات من الذوات الموجودة وان معنى

---

١) الموضوعات كالاقانيم توافق ما يدعوهُ اللّاهوتيون باللّاتينية suppositum وباليونانية ὑπόστασις

كونِهِ عقلًا لا يتضمّن معنى كونهِ عاقلًا او معقولًا وانَّ معنى كونهِ معقولًا غير معنى كونهِ عقلًا او غير معقول او عاقلًا. فظاهر لكل سليم العقل انهُ اذا كان هو الذي يعقل ذاتَهُ من قِبَل انَّهُ يعقل ذاتهُ يحصل لهُ معنى العاقل. ومن قِبَل انهُ هو الذي تعقلهُ ذاتهُ يكون معقولًا لذاتهِ فقد حصل لهُ ثلاث صفات مختلفات اعني انهُ عقل وانهُ عاقل وانهُ معقول وهو ذات واحدة. وذلك انَّ الذي هو عقل هو بعينهِ الذي هو عاقل ومعقول. فمن حيث انَّ اسمهُ «العقل» انما تسمَّى بهِ ذاتهُ مجرَّدةً من غير ان يضاف اليها شيء اخر هو علّة النعتين الآخرين اللذين يستحق ان توصف هذه الذات بواحدٍ واحدٍ منهما اذ انضاف معناهُ الى الذات المجرَّدة. فتوصف من حيث هي مصوِّرة لذاتها انها عاقلة ومن حيث هي متصوَّرة بانهـا معقولة. فظاهر اذن انَّ معنى العقل مجرَّدًا هو علّة النعتين الآخرين اعني معنى العاقل ومعنى المعقول اذ كان متى تُصُوِّر ارتفاعهُ ارتفع مع ارتفاعهِ المعنيان الآخران واذا وُجد واحد من المعنيين وجد معناهُ لا محالة فهو لذلك مماثل للاب اذ كان الاب علّة الابن والروح. ولانَّ معنى العاقل موجود (23r) للعقل غير خارج عنهُ فلذلك ذاتهُ غير مباينة لهُ وغير خارجة عنهُ وهو مماثل للابن اذ طبيعة الابن وطبيعة الاب واحدة. ومن قِبل انهُ معقول هو مماثل للروح اذ الروح خارج عن الآب منبعث منهُ كما ان المعقول من حيث هو معقول هو خارج عن العاقل ووارد اليهِ (١

فقد تبيَّنت ووضحت مماثلة العقل والعاقل والمعقول للاب والابن والروح من حيث ان جوهر العقل هو ذات العاقل وذات المعقول وهذه الذات الواحدة لا تتكثر من حيث هي ذات وانَّما توصف بثلاث صفات كل صفة منها غير الأخريين فتكثر تلك الذاتُ بصفاتها الثلاث لا من حيث هي ذات وانَّ ذلك مماثل لما تعتقدهُ النصارى في الباري جلَّ وتعالى من انهُ جوهر واحد غير متكثر بوجهٍ من الوجوه من حيث هو جوهر وانَّهُ ذو ثلاث صفات وإن شئت فقل ثلاث خواص. واذا انضمَّ ذلك الجوهر اليها صار المجتمع منها مخالفًا من قِبل صفتهِ او خاصّتهِ لا من قِبل الجوهر. وهكذا تبيَّن ما ذكرناهُ بمعونة الله وحسن تأييده ولهُ الحمد دائمًا

١) في قولهِ هذا ما يشير الى انبثاق الروح القدس من الابن كما ينبثق من الآب. والسريان اوَّل من صادقوا على هذه العقيدة في مجمع سلوقية والمدائن سنة ٤١٠ للمسيح فاقرُّوا جهارًا ان الروح القدس منبثق من الاب والابن كمن مبدإ واحد

حلّ شكّ في ذلك

قال يحيى بن عدي: ان قال قائل: هَبكم ساغ لكم ان تقولوا (٧23) ان الاب علّة للابن والروح لان منزلتهُ عندهما منزلة ذات العقل مجرَّدةً من معنى العاقل والمعقول وانَّ الذات المجرَّدة علّة لما قوامهُ منها ومن معنى آخر يضاف اليها فماذا ليت شعري حجّتكم في خصّكم الابن بتمثيلهِ بالعاقل دون المعقول والروح بالمعقول دون العاقل مع اعترافكم بانهما معاً في الجوهر والطبيعة والقدرة والمجد لا فضل لاحدهما على صاحبهِ في ذلك

(الجواب) انَّ الذي شهد عندنا بانَّ المماثل للابن هو العاقل دون المعقول هو ما ورد بهِ الانجيل من انَّ الابن هو المتأنس دون الاب والروح فوجب بذلك ان المماثل للابن انّما هو العاقل دون المعقول. وذلك ان الانسان يمكنهُ ان يصير عاقلاً للذات المجرَّدة فيُشبَّه بذلك الابن الذي مثّلناهُ بالعاقل للذات المجرَّدة وهذا معنى اتحاد الانسان بالاله الابن. واماً المعقول فانهُ يمتنع في الانسان ان يصيرهُ لانهُ يمتنع ان يصير الذات المجرَّدة ولذلك لا يمكنهُ ان يتّحد بها ولهذا السبب خصصنا الابن بتمثيلنا اياهُ بالعاقل دون المعقول والروح بالمعقول دون العاقل تمَّ القول

محادثة ثانية لغويّة

لحضرة الاستاذ رشيد افندي الشرتوني محرّر البشير ومدرّس الخطابة في كلّيّة القديس يوسف

قصدني هذه المرة شاب آخر غير الذي رويتُ حديثهُ لقرّاء المشرق في العدد السابق فقال: انما جئتك مستفيداً لا متعنتاً فقد طالعتُ خبر المحادثة التي دارت بينك وبين ذاك المكابر وعرفت مقدار ما نالك من المضّ بسبب إصرارهِ فاتيتك مستفهماً عن بعض الكلم وواعداً باني اسلّم بالحقيقة حالما تتبيَّن لي

(قلتُ) اسأل عمّا بدا لك والحمد لله على انهُ يسَّر لي هذه المرَّة اديباً مثلك

(قال) هل للكاتب ان يقول «جرحٌ بليغ وطعنٌ بليغ» فان حضرة الشيخ

ابرهيم اليازجي يخطِّئ هـذا الاستعمال قائلًا : ان البليغ هو الفصيح الذي يُوقع الكلام مواقعهُ وينكر استعمالَ البليغ بمعنى البالغ والشديد والمؤثر

(قلت) اعلم ايهـا الذكيّ ان حضرة الشيخ قد اعتاد ان يخطِّئ كلَّ ما لا يتناولهُ علمهُ او لا يجدهُ في ما لديهِ من كتب اللغة وانت خبـير ان كتب اللغة لم تُحط بكل الالفاظ فكم من كلمة جارية على ألسنة الفصحاء اذا بحثت عنهـا في المعجمات لا تجد لها اثرًا . فالواجب والحالة هذه ان يُسدَّ ما في المعجمات من النقص بتتبُّـع كلام الثقات من المؤلفين حتى اذا عثر المطالع على لفظـة تخلو منها المعجمات يبادر لاضافتها اليها

(قال) هذه هي الحقيقة بعينها فاذا كنتَ تعرف شاهدًا من كلام الثقات يصحِح استعمال البليغ بمعنى البالغ والمؤثر فالرجاء ان لا تضنَّ بهِ

(قلت) ان الشواهد على هذا الاستعمال كثيرة اكتفي منها بما سأوردهُ فان الامام الزمخشري صاحب الكشاف يقول في الصفحـة ٦٢٩ من الجزء الاوَّل: « الاستعصام بناء مبالغة يدلُّ على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد » أرأيت كيف يستعمل كلمة البليغ هنا بمعنى البالغ الشديد فمن يقول اذًا « جرحٌ بليغ او طعنٌ بليغ » لا يغلط ومن يغلِّطهُ فقد غلَّط الزمخشري معهُ

ثم ان الزمخشري نفسهُ يقول ايضًا في تفسيرهِ « ماء طهورًا » : « اي بليغًا في طهارتهِ »

وقال كذلك في الاساس: « أبلغتُ الى فلان فعلت بهِ ما بلغ بهِ الاذى والمكروه البليغ » . وجاء في لسان العرب عند تفسيرهِ « بلغتَ منَّا البُلَغين » ان عائشة ارادت انك بلغتَ منا كل مبلغ . . قال ابن الاثير : والاصـل فيهِ كأنهُ قيل خَطب بُلَغ اي « بليغ » ثم جمع على السلامة ايذانًا بان الخطوب في شدة نكايتها بمنزلة العقلاء الذين لهم قصد وتعمُّد »

وقال الامام البيضاوي عند تفسيرهِ « قولًا بليغًا » في الصفحة ٢١٦ من طبعـة لبسيك: « اي يبلُغ منهم ويؤثر فيهم أمرهُ »

(قال) يكفيني ما اوردتهُ من الشواهد على صحة استعمال البليغ بمعنى البالغ

والنافذ والشديد . بقي لي أن اسألك عن كلمة « امعن » هل يسوغ استعمالها متعديةً بنفسها فان حضرة الشيخ ابرهيم قد انكرها ايضاً

(قلت) قد سبق لي اثبات العكس في مجلة المشرق من نحو ثلاث سنين ومع ذلك لا بأس ان ازيد المسألة بياناً :

ان كل المعاجم القديمة اغفلت « أمعن » متعدياً بنفسهِ في مادتهِ ولكنها ذكرتهُ في غيرِ مادَّتهِ بهذا المعنى وممن ذكرهُ صاحب التـاج فقد قال في مادة « قطن » يذكر أبا سعيد يحيي ابن فرُّوخ: « وهو الذي تكلَّم في الرجال وامعنَ البحثَ عنهم ». وقال ايضاً في ترجمـة نطس : « كل من امعنَ النظرَ في الامور واستقصى عليها فهو متنطِّس »

وقد استعملها الحريري في مقامتهِ الحلوانيَّة حيث يقول « امعنتُ النظرَ في توسّمهُ » وقال الشريشي في شرحها: « اي بالغتُ وادمتُ النظرَ »

وممن استعمـل امعن متعدياً بنفسهِ العلامة النويري حيث يقول « امعن النظرَ وطلب الاستخارة » وكذلك والد الشيخ ابرهيم المرحوم الشيخ ناصيف يستعملهـا في باب التشبيه من كتاب عقد الجمان (ص ١٠٤) ونظنّ انهُ اخذ هذه اللفظـة عن القزويني فانَّ عقد الجمان كما يعلم الكلّ ما هو الَّا نسخة عن كتاب تلخيص المفتاح

(قال) ان الشيخ ابرهيم يستقبح استعمال همَّ بمعنى أهمَّ ويقول ان أهمّ المزيد هو افصح فهل وقفتَ على شيء من ذلك ؟

(قلت) ليس لنا الَّا ان نستوضح كتب اللغة في شان هذا الحرف فتناولنـا التاج فاذا بهِ يقول: « همَّهُ اذا احزنهُ واقلقهُ كأهمَّهُ » ثم اخذنا اللسان فرأيناهُ يقول : « اهمَّهُ الامرُ اقلقهُ وحزنهُ وهمَّـهُ السقم اذابهُ » وفتّشنا ايضاً في سائر كتب اللغـة وعددها فوق العشرة فلم نعثر على كلمة واحدة تشير الى ان اهمّ افصح من همَّ بل يستفاد منها ان اللفظين هما سواء في الاستعمال ليس لاحد منهما مزيَّة على الآخر بل ربَّما كان همَّ هو الافصح كما يؤخذ من كلام اللسـان اذ يقول : « قال ابو عبيد في باب قـلَّة اهتمام الرجل بشأن صاحبهِ « همُّـك

ما هنَّك ويقال هنُك ما أهمَّك » فقولهُ « ويقال ما اهمَّك » يُشعر بان الثاني اقلّ تداولًا وبالتالي أقلّ فصاحةً

(قال) اشكر لك واشكرك معًا على هــذه الفوائد وساعود اذا سمحتَ مرةً ثانية لاستفهامك عن مسائل أُخر

ثم ودَّعني وانصرف على امل الملتقى بعد اسبوعين .

مطبوعات شرقية جديدة

L'imprimerie Sino-européenne en Chine

Bibliographie des ouvrages publiés en Chine par les Européens au XVII^e^ et au XVIII^e^ siécles.

par H. Cordier, Paris 1901, pp. 74

مطبوعات الاوربيين الصينية في القرنين السابع عشر والثامن عشر

هذه قائمة غاية في الضبط والاتقان نشرها المسيو هـ. كورديه احد اساتذة « اللغات الشرقيَّة الحيَّة » في باريس وصف فيها كلّ المطبوعات التي تولى نشرها الاوربيون في مملكة الصين في القرنين السابع عشر والثامن عشر وعدد هذه المطبوعات يبلغ ٣٩٥ كتابًا في كلّ اصناف العلوم الدينيَّة والادبية وفروع علم الكلام والفلسفة والتاريخ والرياضيَّات والجغرافية والهيئة الخ. امَّا الاوربيون الذين اتوا بمثل هذه الاعمال الجليلة فهم المرسلون اليسوعيُّون وحدهم الذين سبقوا الجميع في ذلك العهد ودخلوا الصــين ونالوا الحظوى لدى ملوكها وبثُّوا فيها عقائد الدين الصحيح مع انوار العلوم جمعاء. وانشأُوا قبــل سنة ١٥٩٠ عدة مطابع صينيَّة في مياكو وغُوا وباكين صدرت منها هذه المطبوعات النفيسة التي اغنت العلوم وكانت اعظم شاهد على انَّ الدين الكاثوليكي ليس هو بعدوّ للمعارف البشريَّة بل كلاهما كفرَسي رهان يجريان في ميدان واحد ويسعيان وراء غاية واحدة هي مجد الله وخير الانسانيَّة. وقد ادرج المسيو كورديه في قائمتهِ صورًا تمثِّل هيئــة الطبع في ذلك العصر وتبين بنوع جليّ ما بلَّغ المرسلون هذا الفن من الحسن والدقَّة رغمًا عمَّا كان يحول دونهم من الصعوبات الجمة. واوَّل كتاب برز منشورًا بالطبع في الصينيَّة هو خبر

رحلة ثلاثة سفراء من ابناء ملوك اليابان المتنصِّرين الى رومية لابداء الخضوع للبابا غريغوريوس الثالث عشر . طبعهُ الاب دي سَند (de Sande) سنة ١٥٩٠ في مدينة مياكو بالصينيَّة واللاتينيَّة . فنثني على همَّة المسيو كورديه ونهنئ طلبة الآثار الصينيَّة لحصولهم على فوائد لا تحصى محصورةً في عددٍ قليل من الصفحات

رفيق المسافر

استخرجهُ من اليونانيَّة مع اضافات مهمَّة عبده يني بابادوبولس

طُبع في المطبعة الادبية سنة ١٩٠٢ (ص ٩٢٠)

قد اهدانا حضرة وكيل غبطة البطريرك الانطاكي على الروم في بيروت جناب الفاضل عبده افندي يني هذا المجموع الجزيل المنفعة الذي وُضع اصلًا في اليونانيَّة فعرَّبهُ حضرتهُ تعريبًا حسنًا واضاف اليهِ عدة فصول مفيدة . وقد تصفَّحناهُ بتأنٍّ واعتناء فوجدناهُ شاملًا لكل ما يحتاج اليهِ ذوو الطقس اليوناني من صلوات وتسابيح وفصول الرسائل والاناجيل وخدم كنائسيَّة لأيَّام الآحاد واعياد السنة الثابتة والمنتقلة مع جداول فصحيَّة وغير ذلك ممَّا يثبت صحَّة تسميتهِ « رفيق المسافر اذ هو بمثابة مؤنس لكل مسيحي مسافر في سحابة هذه الحياة الدنيا » . وهذا الكتاب يفيد ايضًا الروم الملكيين كما يدلُّ على ذلك اكتتاب غبطة البطريرك بطرس الرابع جريجيري ونيافة السيد ملاتيوس فكَّاك وغيرهما من افاضل الروم الكاثوليك في عددٍ من نسخهِ . فنشكر لمتولي طبع هذا الكتاب حسن مشروعهِ ونتمنى لكتابهِ رواجًا وقبولًا

ل . ش

خارطة بلاد ايران

ان منافع خطة بغداد الحديديَّة التي سبق لنا وصفها تشمل ليس فقط بلاد الدولة العليَّة بل الممالك المجاورة لها وفي مقدمتها بلاد العجم . ولا نشك في انَّ قراء المشرق يسرُّون اذا وقفوا على وجود خارطة كبرى تريهم رأي العيان تخوم تلك الدولة العظمى . وهذه الخارطة قد سعي بطبعها صاحب الدولة الامير فرمان فرما عبد الحسين وزير الحربية سابقًا في ايران وهي ملوَّنة تبلغ مترًا و ١٥ سنتيمترًا طولًا ومترًا و ٧ س عرضًا .

ولا نعرف خارطةً اكمل منها. ولكل اقليم منها حدود بألوان تفرزها عن اخواتها. وقد ضمَّنها صاحبها حفظهُ الله اسماء كل المدن والقرى المهمَّة حسب صورتها بالفارسية. واضاف اليها جدولًا لأعلام الامكنة بالحرف الاوربي في احد جوانبها يسهل على المطالعين وجود ما يطلبهُ منها. امَّا رسم القسم الطبيعي من هذه الخارطة فهو غاية في الاتقان لا يفوتك شيء من معرفة جبالها وانهارها الخ. وقد اعجبنا على نوع خاص رسم الخليج العجمي ومصبّ شط العرب مع ما يليهما من النواحي. فلا غرو ان من يطَّلع على هذه الخارطة يقرُّ لصاحبها المفضال بطول الباع في معرفة تلك البلاد القاصية التي هو احد اركانها وطالما شرَّفها باعماله الخطيرة ه. ل

شذرات

قصيدة تهنئة نظمها جناب المعلّم الاديب جرجي الخوري كرم احد اساتذة مدرسة الآباء اليسوعيين في الشيَّاح فرفعها الى قداسة امام الاحبار بمناسبة يوبيلهِ الفضي. مطلعها:

إفتح كنوزك فهي ملأى بالنعمْ وأفض من البركات ما يحكي الدّيَمْ

ومنها في صفة الحبر الاعظم:

ركنُ الكنيسة طالما عصفت حوا ليهِ الرياحُ من الطغاة وما أنثلمْ
حاشاك يا ربَّ القداسة فالبنا صخرٌ وهل صخرٌ يُدقُّ من النسَمْ
فالبحر ان هاجت عليهِ عواصفٌ لتحطُّ من غلوائهِ يزدَد عِظَمْ
والنسر يعلو في الفضاء تنزُّهًا وعلى الحضيض تدبُّ سوداء الرخَمْ
لو ناوأت سربُ البعوض تحرُّشًا علَمًا لتقهرهُ فما ضرَّ العلَمْ

ومنها: ولنحن ابناءٌ وانت ابٌ نتيهُ بذكرهِ امَّا الكنيسة فهي أمْ

واذا الخطوب تفاقمت ظلماتها فسناء عيدك كان فرَّاج الظلَمْ
عيدٌ وايَّة مقلةٍ مغتاظةٍ نظرت سناهُ ولم تعد تشكو الألَمْ
كرسيُّ رومة في علاك قلوبنا واليك نلجأُ حين تزدحم النِقَمْ

اسدٌ اذا بالكون اسمعَ صوتهُ رجَّت سهول الارض جمعا والقممْ
والانس في شفتيهِ والبركات بيــن يديهِ وهو مقدَّسٌ لفظاً وفمْ
فاذا تجهَّم عبَّس المعمور عن كدرٍ وان يبسم قداستــهُ بسَمْ
اوكيف لا يخشاهُ دهرك وهو قد ثبتت لهُ في كل نائبةٍ قدمْ
ان كان شيَّب رأسَــهُ عمرٌ ففي امر الديانة مثل شابٍ لا هَرمْ
كم خاض بحر المعضــلات فحلّها وكم استُشيرَ وكم قضى امرًا وكمْ
شهدت لهُ الدنيا على ترَعاتها والفضل ما شهدت بهِ كل الأُممْ
فاليك يا رب القداسة نلتجي واليك نفزع حينما البلوى تَعُمْ
سلْ ما تشاء فاننا طوعٌ بما ترضاهُ من مالٍ ومن جسدٍ ودمْ

وقد اهدانا ايضاً الاديب وديع شديد عقل قصيدة اخرى دعاها « بوقٌ من المشرق ينفخ الى المغرب » في مدح قداسة الحبر الروماني اولها :

نسيمَ الصَبا قلّي الصِبا وانفحي غربا الى حيث قلب الشرق قد عشق الغُربا

ومنها :

لاعتابهِ تسري الاماني ظوامئاً فتلقى لدى اعتابهِ منهلًا عَذبا
وبين يديهِ يخفض المجد رأسهُ ولكنَّهُ خفضٌ يزيد بهِ نَصْبا
بهِ عزَّ ايمان الصليب لأنَّهُ رآهُ لهُ ركناً غدا حجرًا صلبا

ومنها :

إمام الهدى انَّا بنوك ولم نزل بعونك كلَّ العمر نستهْون الصعبا
ايا اسدًا في خدر رومة رابضاً اذا كنت راعينا فهل نرهب الذئبا
نحيّيك عن بعد المزار وحبّذا لو استطاع كلٌّ من مواطنكم قربا
سلامٌ على التــاج الذي خرَّ دونهُ مَن التاجُ ميَّالٌ بهامتهِ عجبا
سلامٌ على ذاك الجلال الذي بــهِ يمثّل للابصار تألُّهُ الرّبا
ليهنئك ذا اليوبيل يا مَفزع الورى ويا كاشف البلوى ويا دافع الكربى
بهِ اهتزَّ كلُّ الكون فابتسم السما وشارك شرقُ الارض بالغبطة الغَربا

ابيات مجهولة لابن الفارض — افادنا جناب القانوني البارع جرجس افندي صفا ان لديه نسخة خطيَّة من كتاب ديوان ابن الفارض كتبها سنة ١٠٢٠ هـ (١٦١١م) اسماعيل بن سليمان بن اسماعيل البيجوري الازهري. فقابلها مع النسخة المطبوعة فوجد فيها اياتًا لم يروِها احدٌ من اصحاب الطبعات الشائعة وموضوعها التغزل بكمالاتهِ تعالى شأن ذلك الشاعر المبرِّز. وهي هذه:

قلبٌ أحبَّ سواك لا نال الُمنى ... وجنتْ عليهِ يدُ الصدود بما جنى
كيف التعوُّض عن هواك بغيرهِ ... ولنا اليك الفقر لا عنك الغنى
لا غرو ان يقضي بوصلك عاشقٌ ... وجد المات الذَّ شيءٍ يقتني
ان لم تمت روحي جوًى وتشوُّقًا ... فانا المسيءُ وقد وجدتك محسنا
يا من تجلَّى في الوجود لناظري ... فرأيتُهُ من كل شيءٍ احسنا
لمَّا دعاهُ هواك لبَّى طائعًا ... وتصوَّرتْ كلُّ الجوارح ألسنا
قد مسَّني ضرٌّ فان تكُ راضيًا ... لي بالضنا يا حبَّذا ذاك الضنا
صِلْ عاشقًا هجرَ الكرى وجفا الورى ... ورأى المحبَّة دينهُ فتديَّنا

المراصد الفلكيَّة التي يديرها اليسوعيون في العالم — للآباء اليسوعيين في العالم عشر مراصد فلكيَّة. ثلاثة منها في اوربَّة: الاوَّل مرصد كالوكشا (Kalocsa) في بلاد المجر يديرهُ الاب فيني (Fényi) من ارباب الفلكيَّات. والثاني في ستونيهرست (Stonyhurst) في انكلترَّة يُعدّ اليوم من اشهر المراصد الاوربيَّة وكثيرًا ما كلَّفت الدولة الانكليزيَّة ذويهِ بمهمَّات عظيمة نخصُّ منهم بالذكر الاب پري (Perry) الذي مات ضحيَّة ايثارهِ فدعاهُ مواطنوهُ شهيد العلم. وقد خلفهُ ابوان عاثلانهِ علمًا وعملًا وهما الاب سيدغريفس (Sidgreaves) والاب كورتي (Cortie). ولليسوعيين الفرنسويين في جزيرة جرساي اللاحقة بانكلترَّة مرصد حديث تولى انشاءهُ الاب مرقس ديشڤرنس (M. Dechevrens) الشهير باختراعاتهِ في الهيئة والرياضيَّات. وكان لليسوعيين سابقًا مرصدٌ بديع في رومية في باحة مدرستهم الرومانيَّة وهو المرصد الذي اشتهر فيهِ قوم من عظام الرجال نخصُّ منهم بالذكر الاب سكّي الذي نصبت لهُ الحكومة الايطاليَّة منذ عهدٍ قريب تمثالًا على نفقتها فتراهُ لابسًا ثوبهُ الرهباني وبيدهِ المجهر يراقب الشمس التي كتب عنها ما يخلِّد اسمهُ بين العلماء.

وهذا المرصد الروماني هو اليوم في ايدي دولة ايطاليــة . وللبسوعيين في اميركة اربعة مراصد الواحد منهــا حديث النشأة في مكسيكو يديرهُ الاب دي هيريديا الاميركي. والثــاني في جزيرة كوبا يتولى امرهُ الاب كوكويتي (Gaugoiti) الذي جازتهُ الحكومة الاميركيَّة على خدماتهِ الجمَّة التي ادَّاها لبحريَّة اميركة برصودهِ الجويَّة فانهُ خلَّص سفناً عديدة من الانواء والاعاصــير الهائلة اذ سبق واعلم ارباب السفن بمكانها ووِجهتها واخطارها . فصحَّت كل اعلاماتهِ بخلاف اعلامات صاحب مرصــد الحكومة الذي هوَّر المراكب بالهلاك فاضطرَّ ذوو الامر ان يفصــلوهُ عن وظيفتــهِ . والمرصد الثالث اعظم خطرًا واكبر شأنًا يديرهُ اليسوعيون في مانيل من اعمال الفيليبين . فان الدولة الاميركيَّة لمَّا احتلَّت هذه الجزيرة مؤخرًا ووقفت على اعمال هذا المرصد العجيب ليس فقط لم تُصغِ بسمعها الى من اشار اليها بنقض هــذا الصرح العلمي بل قضت في السنة الماضية بان يكون مرصد مانيل هو المرصد المركزي الوحيد في كل ارخبيل الفيليبين وجعلت تحت نظارتهِ سبعين مقاماً لمساعدتهِ على الرصود الفلكيَّة وعيَّنت راتباً سنويًا لمديريه يبلغ ٤٦,٥٠٠ فرنك . ومديرو هــذا المرصد اربعة يسوعيين لكلهم تآليف عديدة في العلوم الفلكيَّة وانَّما امتاز بينهم الاب ألغه (Algué) الاسباني قد اخترع حديثاً آلة غريبة لرصد الانواء البحريَّة مع ميزان الحركات الجويَّة (baro-cyclonomètre) وهو الذي اوفدتهُ الدولة الاميركيَّة في السنة الماضيــة الى المؤتمر الفلكي الذي عُقد في باريس . والمرصد الرابع في جورجتون تحت ادارة الابوين هاغن (Hagen) وريغ (Rigge) ولكليهما طرائق رصديَّة جرى عليها الفلكيون المحدثون لسهولتها . ومن مراصد اليسوعيين الفرنسويين في آسية مرصدان في الشرق الاقصى وكلاهما في مدينة زيكاواي . احدهما حديث للآثار الجويَّة (راجع المشرق ٤ : ٦٦٩) والثــاني قديم لهُ شهرة ذائعة في بحار الصين ويابان وكوريا (المشرق ٢ : ١٠٠٦) . ومن خدماتهِ الحديثة انهُ نجَّى الاسطول الالماني المرسل الى الصين من اهوال تلك البحــار بحيث استحقَّ مديرهُ ثناء الدولة الالمانيَّة وقد كتب اليهِ امير البحر بَندرمان في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩٠١ رسالةً يطريءُ فيها همَّتهُ ويشكر افضالهُ ويعدهُ بانهُ لا يسكت عن فضل المرسلين الكاثوليكيين حيثما سار — وللبسوعيين الفرنسويين ايضاً في افريقيــة مرصد فخيم في تناناريف تال مديراهُ الابوان كولين (Colin) ورُبله (Roblet) امتيازات

عديدة من لدن الحكومة مرَّ لنا ذكر بعضها (المشرق ٢ : ١٣١)

فما قول صاحب الضياء بعد هذا أفيدَّعي بعد « ان الجزويت عُرفوا بفنون التمويه» وانهم « يغرون العقول الضعيفة ويضلّلون الاذهان الواهية »

الخارطتان الاوليان لاميركة كان علماء الجغرافية يتأسّفون على ضياع الخارطتين الاوليين اللتين رسمهما وَلْدسيمولر في اوائل القرن السادس عشر. وقد اسعد الحظ الاب يوسف فيشر (J. Fischer) من اساتذة انسبروك اليسوعيين على وجودهما في مكتبة قصر قديم يدعى ڤولفغ للامير ڤلدبرغ الالماني. وقد اخذ رسمها بألوانهما ونشرهما بالطبع فكان لهذا الاكتشاف احسن وقع بين العلماء عموماً والاميركيين خصوصاً. والخارطة الاولى قد اصطُنعت في سنة ١٥٠٧ وفيها قد ورد لاول مرَّة اسم اميركة. والثانية هي خارطة بحريَّة تاريخها سنة ١٥١٦

مسابقة الحرير قرأنا في البشير انهُ : ورد من نظارة الاحراج والمعادن والزراعة الجليلة انهُ يجب ان تجري هذه السنة في مدينة بيروت وصور وطرابلس الشام واللاذقية مسابقة الشرانق الموضوعة لترقي صنعة الحرير داخل الممالك الشاهانية. ولمَّا كان الكثير من اراضي ولاية بيروت مغروساً باشجار التوت وتربية دود الحرير رائجة فيها ومدار ثروة البعض على حاصلات هذا الصنف أخذت الجريدة الرسمية تنشر التعليمات التي صدرت الارادة السنية بالعمل بموجبها وقد اذاعت منها في عددها الماضي خمس موادّ خلاصتها ان مسابقة الحرير تكون على الشرانق وكل ما يتعلق بتربية الدود وتبذيره وتربية نصوب التوت و بذاره والآلات العائدة على تربية نصوب التوت وغمائه

وينبغي ان تجري هذه المسابقة سنوياً في مكانين مختلفين وعند حلول شهر كانون الثاني من كل سنة يعين وقتها ومكانها ثم يذاع الامر بين الاهالي

وتؤلف لجنة وظيفتها ترتيب المسابقة وهيئة مميزة وظيفتُها تقدير الاشياء التي يؤتى بها وتقسيمها الى صنوف. وينبغي ان تكون اللجنة تحت رئاسة الوالي او المتصرف

وتؤلف من مأمور الفن في نظارة الزراعة ومأموري الفن والادارة لدى الديون العمومية المحلية ومن عضوين احدهما من مجلس الادارة والآخر من حجرة التجارة والزراعة. وكذلك الهيأة المميزة تؤلف تحت رئاسة الوالي او المتصرف من شخصين ينتخبهما مجلس الادارة احدهما ممن اشتغلوا بتربية بزر الحرير في المكان الذي فيهِ تجري المسابقة والآخر من ارباب المعامل من مأموري الفن في نظارة الزراعة والديون العمومية

اما الاشياء التي توضع في المسابقة فهي اولاً الشرانق وهذه ينبغي ان تكون من النوع الذي عيَّنهُ صاحبها قبلًا غير مخلوطة بنوع آخر من غير جنسها وان يتراوح ثقل كل قطعة منها بين كيلوغرامين وخمسة. ثانياً الآلات والادوات المستعملة في تربية الدود والتبذير. على ان الاشياء الموضوعة في المسابقة يجب ان تكون مصحوبة بشهادة تعطى مجاناً من ادارة الديون العمومية المحلية موضحة اسم المكان الذي حصلت فيهِ

اسئلة واجوبة

س سألنا احد ادباء المسلمين في الثغر هل كان اصل ابي الريحان محمد البيروني من بيروت كما رأى في بعض الجاميع

اصل البيروني

ج كلاً ليس البيروني من بيروت وانما ولد في مدينة خوارزم ونشأ فيها. اما بَيرون التي نُسب اليها فهي مربض بجوار خوارزم « قال السمعاني في كتاب الانساب: البيروني نسبة الى خارج خوارزم فانَّ بها من يكون من خارج البلد ولا يكون من نفسها يقال لهُ: فلان بيروني ست. . . والمشهور بهذه النسبة ابو الريحان المنجم البيروني ». والتشابه بين النسبتين « البيرونيّ » و « البيروتيّ » حمل المعلم البستاني في كتاب دائرة المعارف الى ان يجعل « البيروني » بيروتيَّ الاصل. وقد وجدنا ايضاً مثل هذا الخلط في كتب اخرى منها « مجلة بسَّاريون » في عددها الاخير (ص٨٣)

س وسألنا مستفيد من دير الكُرَيم: ١° هل يصحّ صرف غفران المذبح الانعامي الى الاحياء.

٢ هل يصحّ صرف هذا الغفران الى ميت غير الميت الذي تُتلى الذبيحة عن نفسهِ . ٣ هل يستطيع ربح هذا الغفران للموتى الكاهنُ الشرقي اذا لم يَتلُ القداس الطاهر متشحًا ببدلة سوداء المذبح الانعامي

نجيب على (الاول) ان غفران المذبح الانعامي مخصوص بالموتى لا يصحّ صرفهُ الى الاحياء . وهذا يؤخذ من ذات تعريف هذا الغفران الممنوح لاسعاف الموتى . ويلوح ذلك ايضًا من براءات الاحبار الرومانيين — نجيب على (الثاني) ان الامر منوطٌ بمشيئة الحبر الاعظم لكنَّ البراءات البابويَّة منذ زمن مديد لا تسمح بفصل الغفران عن نيَّة الذبيحة بحيث لا يجوز تخصيص الذبيحة باحد الموتى والغفران بآخر . وللمجمع المقدس جواب صريح اثبتهُ الاب الاقدس في ١٩ كانون الاول سنة ١٨٨٥ — نجيب على (الثالث) بالايجاب لانَّ الوشاح الاسود لا يُستعمل في الكنائس الشرقيَّة . واذا استعملهُ الموارنة فليس لهم قدَّاس مختصّ بالموتى . هذا وان الكاهن الغربيّ نفسهُ يمكنهُ ان يربح الغفران بالوشاح الابيض او الاحمر في الايام التي لا يجوز فيها لبس الوشاح الاسود

س سألنا حضرة الاديب س . ق . ا . من ادباء البلدة : هل جاء « اشفى » بمعنى « شفى » كما استعملهُ المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي في قولهِ :

كلُّ الجراحات مشفيها الدواء سوى جراحها اين حلَّت فهي مشفيها

وهل جاء « انعكف » بمعنى « عكف » كما ورد في المقامة العاصمية للمرحوم الشيخ المشار اليهِ حيث قال : انعكفت عليهِ اخلاط الزمر

ج لم نجد في كتب اللغة « اشفى » بمعنى « شفى » ولا « انعكف » بمعنى « عكف » ولعل جناب الشيخ ابراهيم اليازجي ابن الناظم يمكنهُ ان يفيدنا في الضياء عن صحَّة ما ورد في كتب والدهِ المرحوم

س وسأل من بعبدات المعلم فرنسيس توما صباغ : ما هو اللفظ الاصح الضمَّة والكسرة في مثل قولك : « كُلْ » و « مِلْ » ايكون لفظهما لفظًا صريحًا كلفظ الفرنج « koul » و « mil » او لفظًا مائلًا كلفظهم « kol » و « mel » وكذلك التنوين في « زيدٌ » و « زَيْدٍ » أيلفظان « Zaïdoun, Zaïdin » او « Zaïdon, Zaïden »

لفظ الضمَّة والكسرة

ج عندنا انَّ اللفظ الصحيح للضمَّة والكسرة هو اللفظ المُطبق الصريح وكذلك

تنوين الضمّ والكسر. فالصواب اذن ان تُلفظ « كُلٌ » و « زيدٌ » كما يلفظ الفرنج: « kol, Zaïdon » لا « koul, Zaïdoun » وكذا « مِلٍ » و « زيدٍ » فان لفظهما الصحيح « mel, Zaïden » لا « mil, Zaïdin » ولنا على هذا القول ادلّة كثيرة منها ان الضمّة والفتحة والكسرة مشتقة في الاصل عن حروف العلّة « ا و ي » والفرق بين الحروف والحركات انّ الحروف تُمدّ باللفظ دون الحركات. ولمّا كان لفظ حروف المدّ الصريح اقتضى الامر ايضاً ان يكون لفظ الحركات مثلها صريحاً فان « كُلْ » مثلاً اصلها « كُولْ » فاذا حذفت الواو بقيت « كُلْ » مشبعةً غير ممدودة. ولنا براهين أُخرى على قولنا لا يمكن ايرادها هذه المرَّة لضيق المكان ل. ش

س. وسأل جناب القانونيّ الفاضل طانيوس افندي ابو ناضر: من ايّة مادة يصطنع الكلس الفرنجيّ وما هي كيفيّة اصطناعهِ والادوات الصالحة لعملهِ

الكلس الفرنجيّ

ج الكلس الفرنجيّ هو الكلس الذي يزيد صلابةً في الماء (chaux hydraulique) وهو يتركَّب من الكلس العاديّ والصلصال (argile) بنسبة ٤ اجزاء من الكلس وجزء من الصلصال. والافضل في ذلك ان تُختار موادّ كلسيَّة ليّنة يسهل دقّها وتنعيمها كالتباشير مثلًا او الحوَّارى (marne) ثم يخلط بهِ الصلصال ويُجعل في رحىً افقيَّة مقعَّرة يدور حولها رحىً أُخرى عموديَّة. وبينما تدور الرحى يجري على المزيج ماء متواصل من حنفيَّة ويدوم الدقّ نحو ساعة ونصف حتى يصير كمعجون فيسيل من ثمّ الى أجوان متَّصلة ببعضها مدرَّجة فلا تزال المادَّة ترسب شيئاً فشيئاً الى آخرها امَّا الماء فيسيل صافياً من انبوب يُجعل في قعر الجرن الاخير. واذا امتلأت الاجران بقيت فيها الموادّ الى ان تصير لزجةً فتؤخذ منها وتُجعل في قوالب ثمّ تجفَّف في الشمس وربَّما وُجدت بعض الاراضي الكلسيَّة الغنيَّة بالصلصال لا يحتاج اصلاحها

* اصلاح بعض اغلاط وردت في السنة الرابعة من المشرق * ص ٦٥٦ س ٢٤ « سالمات » = ٨١٨ س ٣٢ « ابتناهُ » ص « ابتناهُ اجدادهُ » = ٨٢٤ س ١٦ « من نهر ابراهيم الى آخر المقاطعات الجنوبيَّة » ص « من طريق الشام الى طرابلس = ٩٠٥ س ١٩ « ايُّ التقليديّ » ص « ايُّ التقليديّين » = ٩٧٠ س ١٤ « مطلع احداها » ص « مطلعها » = ٩٨٦ س ١١ « النسخة الثالثة » ص « الثانية » = ١٠٣٣ س ١٥ « ولم يلحّ » ص « ولم يزل يلحّ » = ١٠٠٨ س ١٦ « عاش فيها » ص « فيهِ » = ١٠٥٩ س ٩ « الذي كنتُ » ص « الذين كنتُ » = ١٠٨٢ س ١٦ « لمَّا يجمعنا » ص « حينما يجمعنا »



انا سوسنة لبنان ووردة اريحا

المشرق

تاريخ الشهر المريميّ ومعناه

نبذة للاب اميداي لوريول اليسوعي

انّ التعبُّد للعذراء الطاهرة والدة الاله لَمِن المميّزات التي خُصَّت بها الكنيسة الكاثوليكيَّة اخذتهُ عن تقليد متواتر يتسلسل الى عهد الرُّسل. ولا غرو فانَّ المسيح اوصى بامّهِ على صليبهِ تلميذهُ الحبيب كما جعل والدتهُ أمًّا لهُ فتبادلت مذ ذاك الحين عواطف الاكرام وعوامل الحبّ بين الامّ والابن

على انَّ يوحنَّا الانجيليّ لم يكُ وقتئذٍ غير وصيّ للكنيسة يقوم مقامها ويمثّلها بشخصهِ الكريم كما أثبت ذلك جمهور الآباء والمعلّمين. ومن ثمَّ لمَّا اخذها التلميذ الحبيب الى خاصَّتهِ (يوحنَّا ١٩: ٢٧) دخلت ايضاً في خاصَّة الكنيسة فاضحت امًّا للمؤمنين تقوم بشؤُونهم وتشفع بهم وهم يقدّمون لها فرائض الابناء المخلصين. ولنا على ذلك شاهد صادق في اوَّل اجتماع الرُّسل والمؤمنين في العلّيَّة الصهيونيَّة اذ كانوا يلازمونها ويتوسَّلون بها الى الله ليرسل لهم روحهُ الاقدس (سفر الاعمال ١: ١٤) واليها اشار التلميذ الحبيب في سفر الرؤْيا (١٢: ١). قد رآها كآية عظيمة في السماء وهي «ملتحفة بالشمس وتحت قدميها القمر وعلى رأسها اكليل من اثني عشر كوكبًا»

فلمَّا وجدت الكنيسة منذ قرونها الأولى في الاسفار المقدَّسة ركنًا متينًا تسند اليهِ عبادتها لم تشأ بعد ذلك ان تفصل الابن عن امّهِ وعرفت انَّ اكرام الامّ مهما كان بليغًا يعود الى الابن ولا يخلُّ بشرفهِ البتَّة

ولو تتبَّعنا آثار التعبُّد لملكة السماء في تاريخ بيعة الله شرقًا وغربًا لاتَّسع بنا

الكلام وافضى بنا الى الاسهاب المملّ. وحسبنا القول انَّ لآباء الكنيسة الشرقيَّة الاوَّلين من الأوصاف والمدائح في مريم امّ الربّ ما لا يُبقي شكًّا في انتشار العبادة نحوها في تلك الاجيال القاصية. امَّا الغرب فقد اورثنا فضلًا عن اقوال ملافنتهِ دلائلَ أُخرى محسوسة على اعتبارهِ للبتول الجليلة وتعظيمهِ لامّ الخالق ألا وهي الصور البديعة التي رسمها نصارى رومة العظمى في الدياميس واكتشفها آل العاديَّات كالاب مركي اليسوعيّ والعلاَّمة الشهير ميشال دي روسّي فكان اكتشافها احسن تفنيد لمزاعم من قرَّف الكاثوليك بإحداث العبادة لمريم. وقد وُجدت هذه الصور في مدافن القرن الثاني والثالث للمسيح كمدفن فلاقية دوميتلاً من نسل القياصرة ومدفن البابا كليكستس ومدفن القديسة أغنس ترى فيها صور العذراء على هيئات شتَّى وفي حجرها ابدًا الطفلُ الالهيّ الذي اليهِ مرجع عظمتها وسموّ مقامها

فلا سبيل اذن الى الزعم بان عبادة العذراء من مبتدعات الكنيسة الكاثوليكيَّة بل الأحرى ان يقال انَّها متأصّلة في جذورِ العقائد النصرانيَّة مرتبطة بها ارتباطاً غير منفصم منذ نشأتها الأُولى

*

هذا وانَّنا لا ننكر انَّ هذا التعبُّد مع قدمهِ لم يبرز في كل الاعصار على منوال واحد بل ترى المؤمنين قد بحثوا في كلّ جيلٍ على طرائق جديدة لاكرام امّ المخلّص. وقد توفَّرت هذه العبادات في كلّ صقع واختلفت باختلاف الاماكن والازمنة واحوال الشعوب لاسيَّما بعد المجمع الافسسي سنة ٤٣١ حيث أبكم آباء الكنيسة فمَ نسطور المجدّف على امّ الله واصلتوا عليهِ سيف الحرم والقطع. وممَّا شاع مذ ذلك العهد في انحاء الغرب السلامُ الملائكي على صورتهِ المعروفة اليوم وهو ينسب الى البابا سلستين (٤٢٣—٤٣٢) جعلهُ كدستور الايمان الكاثوليكيّ في الأُمومة الالهيَّة. وبهِ يلحق تعبُّدان آخران نراهما اليوم منتشرين في كل المعمور يرقى احدهما الى اواخر القرن الحادي عشر وهو صلاة بشارة الملاك (التبشير) والثاني عبادة الورديَّة تُعزى الى القديس عبد الاحد في اوائل القرن الثالث عشر

وممَّا يهمُّنا اليوم البحث عنهُ صنفٌ آخر من التكريم للعذراء المجيدة يعود كلّ سنة في فصل الربيع نعني بهِ الشهر المريميّ فانَّ هذه العبادة التقويَّة قد اصابت بين المؤمنين

حظوى كبيرة فتراهم يقبلون على ممارستها ايّ إقبال حتّى لا تكاد تجد كنيسة ألّا وترنّ فيها كلّ مساء محامد مريم وتسابيحها مدّة شهر ايّار بتمامهِ

فيا تُرى متى نشأت هذه العبادة وما معناها ؟. ذانك سؤالان ربّما عرضهما علينا المستفيدون فاحببنا الجواب عنهما في صفحات مجلّة المشرق في بدء شهر نوّار المخصَّص بهذا التعبُّد المستحب فنقول:

قد ظنّ بعض الكتبة انَّ منشيء عبادة الشهر المريمي انّما هو احد اولياء الله الذين اشتهروا في اواسط القرن السادس عشر بنشر عبادة البتول بين المؤمنين وهو القديس فيليب دي نيري (١٥١٥—١٥٩٥) وكانت غايتهم من هذا القول ان يزيدوا هذه الطريقة المستحدثة اعتبارًا وغناء بنسبتها الى رجل مفضال من اصفيائهِ تعالى المبرّزين في الفضل والقداسة. لكنَّ الحقيقة اولى فانّنا لا نجد في اعمال البولنديين اثرًا لهذه العبادة بين مآثر القديس فيليب المذكور. وما يزيدنا ريبًا في ذلك انَّ تلميذهُ وكاتب ترجمتهِ الاب باكشي لم يُشِر الى الامر بتاتًا ولا نخالهُ يكون سكت عن ذلك لو كان صحيحًا

واوّل من سبق فذكر شهرًا يخصَّص لاكرام البتول عليها السلام انّما هو الاب حنا نادازي اليسوعي ألّف سنة ١٦٦٤ كتابًا صغير الحجم عدد صفحاتهِ ١٢٣ فطبعهُ في مدينة كولونية ووسمهُ بهذا العنوان: «المحبُّ لمريم وهو يتضمَّن ٣١ رياضةً تقويَّة لاكرام امّ الله مدّة شهر كامل». وكان وَضع هذا الكتاب في اللاتينيَّة ثمَّ نُقل الى الالمانيَّة سنة ١٧١١. وللاب المذكور تآليف عديدة في العبادة المريميَّة عرَّب منها الاب بطرس فروماج في القرن الثامن عشر كتابهُ «يسوع الحبيب ومريم المحبوبة». ومن تآليفهِ ايضًا كتاب آخر ضمَّنهُ فضائل العذراء الطاهرة واعمالها والتعبُّد لها لكلّ يوم من ايّام السنة سمّاهُ السنة المريميَّة

على انَّ تأليف الاب نادازي وان كان شاملًا لرياضاتٍ شهريَّة في خدمة البتول لم يختصّ بشهر دون آخر وعليهِ فلا يمكن اعتبار صاحبهِ كمنشئ عبادة الشهر المريمي الذي لا يقع اليوم ألّا في ايّار

امّا الفضل في تعيين هذا الشهر لاكرام والدة الله فانهُ يعود الى ابوين يسوعيّين آخرين صنّفا كتابين يستفاد منهما تعيين شهر ايّار او نوّار للتعبُّد لمريم ولا نعرف

لأنهما حقّ التقدُّم وهما الاب كسافير جاكوله (Fr - X. Jacolet) السويسريُّ الموطن وُلد سنة ١٦٨١ وتوفيّ سنة ١٧٤٦ والاب انيبال ديونيزي الايطـاليّ المتوفّى سنة ١٧٥٦ في ڤيرونة . امَّا الاوَّل فانَّهُ طبع سنة ١٧٢٤ في ديلنغن من اعمال المانية كتاباً دعاهُ « الشهر المريمي » او ترجمة البتول الطاهرة وفضائلها نقلًا عن آباء الكنيسة وهي مقسَّمة على عدد ايَّام شهر ايَّار لتكون دستورًا للمتعبدين لمريم في اخويَّتها في ديلنغن». وعدد صفحات الكتاب ٢١٦ بالحجم الصغير . وهـذا المصنَّف نُقل الى لغات شتَّى وعُرف باوَّل كتاب متضمن لرياضات الشهر المريميّ

امَّا الثاني فهو اصرح عبـارةً مضمونهُ التعبُّـد لمريم في شهر ايَّار الَّفهُ الاب ديونيزي فطبعهُ في زمن الكتاب السابق لكنَّ طبعتهُ الاولى فُقدت فلم يوجد منهـا نسخة معروفة وانَّما تُعرف الطبعة الثانية منهُ سنة ١٧٢٦ نُشرت بالايطاليَّة في پارمة والارجح انَّ الطبعـة الاولى سبقت تأليف الاب جاكوله . ومن ثمَّ فيكون اوَّل كاتب عن شهر ايَّار وتكريم العذراء في كلّ يوم من ايَّامهِ الاب ديونيزي . وهـذا الكتاب طُبع ايضاً غير مرَّة تحت اسم « پارتانيو ماريانو » وهو اسم مستعار دلَّ بهِ صاحبهُ انتماءهُ الى العذراء مريم

وهذان الكتابان مع تقدُّمهمـا لم يصيبا من الشهرة ما اصابهُ كتاب آخر الَّفهُ الاب فرنسيس لالوميا اليسوعيّ فطبعهُ في وطنهِ پالرمو سنة ١٧٥٨ ثمَّ كُرِّر طبعهُ مرارًا قبل موت صاحبهِ في الاستانة العليَّة ثمَّ انتشر بعد وفاتهِ انتشـارًا عجيباً ونُقل الى اكثر اللغات الاوربيَّة

وفي تلك الاثناء عصفت في فرنسة الثورة العظمى التي كادت تذهب بالدين كما قوَّضت اركان الملك وانتشرت منها الى نواحي اوربَّة فخمدت مدَّةً العبادة المريميَّة في شهر ايَّار حتَّى اذكى نارها الاب الفونس موزارگي اليسوعيّ بنشرهِ كتابهُ النفيس « الشهر المريمي » المطبوع اولًا سنة ١٧٨٥ . وكان لهذا الاب نفوذ كبير بين الكاثوليك خدم الكرسي الرسوليّ بنشاط عجيب ورافق بيوس السابع في منفاهُ الى فرنسة وتوفّي في باريس سنة ١٨١٣ . وكان حيثما يحلّ يحرّض المؤمنين على التعلّق بأهداب البتول الطاهرة والتماس حمايتهـا خصوصاً في شهر ايَّار لتسكن بشفاعتها الانواء التي كانت تساور الصخرة البطرسيَّـة . فلبَّى المؤمنون دعوتهُ وعادوا الى إكرام امّ الله بحرارة جديدة لم

تزل منذ ذاك الحين في نموّ دائم حتى شملت كلّ البلاد الكاثوليكيَّة قاصيها ودانيها. وممَّا افاد هذه العبادة شيوعًا انَّ الاحبار الرومانيين اثبتوها بسلطانهم الاسمى وفتحوا كنوز الغفارين الكنسيَّة فافاضوها على من يمارسها. وخصوصًا البابوات بيوس السابع سنة ١٨١٥ وغريغوريوس السادس عشر سنة ١٨٤١ وبيوس التاسع سنة ١٨٥٨

*

ولم تنحصر عبادة الشهر المريميّ في حدود قارة اوربَّة بل تجاوزتها مع الجيش الناقل للسلام اي المرسلين الكاثوليكيين فازدهرت في اميركة وآسيَّة حتى انتهت الى الشرق الاقصى. وكفى قولنا دليلًا انَّ اليسوعيين وحدهم طبعوا في عدَّة لغات غير اللغات الاوربيَّة كتبًا ضمَّنوها تعبُّدات الشهر المريميّ منها في الصينيَّة للاب زتولي (Zottoli) والملغشيَّة للاب اليو (Ailloud) والتاموليَّة للاب سان سير (Saint-Cyr)

وان قصرنا النظر على بلادنا الشرقيَّة وجدناها انَّها نالت ايضًا حصَّتها من التعبُّد المريميّ في شهر نوَّار. وكان اوَّل من دعا اليهِ في سوريَّة ذلك المرسل الغيور الذي لقبهُ اهل لبنان برسول بكفيا الاب سليمان استاف (Estève) شرع بهِ في سنة ١٨٣٦ فكان في كلّ يوم من ايَّام ايَّار يجمع المؤمنين في معبد البتول الطاهرة امام صورة سيِّدة النجاة التي سبق في المشرق (٤ : ٨١٧) ذكر تاريخها ومعجزاتها وكان يخطب اليهم في مناقب البتول الجيدة. فكلف اهل لبنان بهذه العبادة وادخلوها شيئًا فشيئًا في كلّ قرى جبلهم وكذلك انتشرت في المدن الساحليَّة وتخطَّت حدود الشام فعمَّت الاراضي المقدَّسة بهمَّة الآباء الفرنسيسيين وشملت بلاد ما بين النهرين والعراق بمساعي الآباء الكبوشيين والدومينيكيين والكرمليين

وممَّا ساعد على نشر هذه العبادة في ظهرانَيْ بلادنا كتب الشهر المريميّ العربيَّة صدر الاوَّل منها في مطبعة انتشار الايمان نحو سنة ١٨٣٨ وكان معرّبهُ حضرة القس لباوس المتيني احد افاضل الرهبان الموارنة البلديين ووكيلهم في رومة العظمى نقلهُ عن كتاب الاب موزرلي المذكور سابقًا وكُرِّر طبعهُ ثانيةً ثمَّ ثالثةً سنة ١٨٤٨

واوَّل شهر مريميّ شاع في سوريَّة ١٨٥٣ كان طبعهُ على الحجر ويختلف بعض الاختلاف عن كتاب الاب موزرلي كانَّهُ ملخَّص عنهُ في التأمُّلات. ومغاير لهُ في الاخبار

وفي السنة نفسها ابرزت مطبعة الآباء الفرنسيسيين في القدس الشريف الشهر الذي عرّبهُ الاب لبأوس المتيني. ونشرتهُ مطبعتنا الكاثوليكيَّة سنة ١٨٥٨ ثمَّ مطبعة الآباء الدومينيكين في الموصل سنة ١٨٧٦. وكرّر طبعهُ مرارًا في كلّ هذه المطابع

وقد طبعت في بلادنا شهور مريميَّة أُخرى منها في سنة ١٨٧٦ كتاب « اجتناء الاثمار من تكريس شهر ايَّار » للاب استفانس برساني عرَّبهُ من الايطاليَّة حضرة القس يوسف الشبابي الراهب الحلبيّ اللبناني الماروني وطبعهُ في المطبعة العموميَّة في بيروت. وفي السنة ١٨٩٢ تولَّى غبطة السيّد افرام الرحماني تعريب شهر آخر نقلهُ عن الافرنسيَّة ونشرهُ في مطبعة المرسلين الدومينيكيين في الموصل يتضمَّن تأملات في سيرة سيّدتنا مريم العذراء ومناقبها واوصافها (ص ٢٥٦ بقطع صغير)

وممَّا نُشر مؤخَّرًا كتاب الشهر المريميّ منقولًا من الافرنسيَّة بقلم الخوري بولس متَّى طُبع في مطبعة الأرز في جونية (ص ١٩٢). وتبعهُ حضرة الاب افرام الديراني احد مدبّري الرهبانيَّة الحلبيَّة فطبع في سنة ١٨٩٩ كتاب « سعادة المُغرَم في عبادة مريم » نقلًا عن الافرنسيَّة وهو عبارة عن ٣١ تأمُّلًا في حياة العذراء وفضائلها تُتلى مساء كلّ يوم من شهر ايَّار

وقد ايّد الله راقم هذه الاسطر على اتمام كتابٍ جاء كخاتمة الكتب السابق ذكرها وهو « الكوكب الشارق في مريم سلطانة المشارق » وصفهُ المشرق في عددهِ الرابع من السنة الجارية (ص ١٨٩). وممَّا نبَّهنا عليهِ في عنوان الكتاب انَّ استعمالهُ يناسب الشهر المريميّ ولذلك قد اضفنا اليهِ ملحقًا اودعناهُ ٣١ خبرًا لكلّ يوم من ايَّام هذا الشهر المبارك مع جدول للقراءات المناسبة. ويسرُّنا ما وجدنا من الاقبال عليهِ منذ صدورهِ نفعنا الله بشفاعة امّ النور ومورد النعم

*

هذا ولا نريد ان نختم هذه النبذة في تاريخ الشهر المريميّ دون ان نجيل الطرف لمحةً في معناهُ افادةً لمن يسألنا ما السبب الذي حدا بالبيعة المقدَّسة الى اختيار شهر ايَّار دون سواهُ فنقول :

انَّ شعائر الحبّ التي حملت المؤمنين في القرون السالفة على ان يخصّصوا بعض الدقائق

في كلّ يوم لذكر العذراء مريم في صلوة التبشير وساقتهم الى افراز يوم في كلّ اسبوع لاكرامها اعني يوم السبت. هي التي انهضت هممهم وحرّكتهم الى تخصيص شهر كامل بتمجيدها واستدرار نعمها السابغة. ولمّا لم يجدوا في فصول السنة شهرًا ابهى من شهر ايّار لبروز الطبيعة فيهِ بحلاها السندسيَّة وانوارها الزهيَّة فضَّلوهُ على سواهُ ليكون كعربون اخلاص ودادهم وكشارةٍ عن صدق اعتصامهم بحبل عبادتها الغرَّاء. لاسيَّما انَّهم يرون في هذه الزهور احسن مثال يصوّر لهم فضائل امّهم السمويَّة التي قالت في سفر نشيد الاناشيد عن نفسها « انا زهرة الحقل وزنبقة الاودية ». والحق يقال انَّ هذه الزهور العطرة تدعوهم بلسان حالها الى ممارسة الفضائل المريميَّة المشبَّهة بها كسوسن العفَّة وبنفسج التواضع وورد المحبَّة الى غير ذلك من المناقب البتوليَّة

ولنا في اصطفاء هذا الشهر على بقيَّة الشهور سببٌ آخر وهو انَّ هذا الشهر لما تجدهُ فيهِ الابدان من الراحة ونعومة العيش ربَّما اصبح خطرًا للنفوس وداعيًا الى اللاذ والشهوات قاتلة الارواح فاحبَّت الكنيسة ان يجد ابناؤها في رياضات الشهر المريميّ دواء ناجعًا لشفاء هذا الداء العُضال فيعدلون عن الآفات التي تتهدَّد خلاصهم

وتزيد على ذلك سببًا ثالثًا وهو انَّ شهر ايّار خلوٌ من الاعياد المريميَّة التي تُقام لذكر البتول في غيرهِ من الشهور فلم يشإِ ابناء مريم ان يمرّ عليهم شهرٌ دون اكرامها فاختاروا كل ايَّامهِ لذلك وأحرِ بهذا الشهر ان يُكرّس لمريم وهو قريبٌ من الافراح الفصحيَّة التي شملت العذراء المجيدة وقشعت عن قلبها غياهب الحزن لموت وحيدها وفلذة كبدها

فيحقُّ اذًا لجميع اولاد الكنيسة ان يقبلوا على ممارسة هذا الشهر العظيم لينعشوا في قلوبهم مع الحبّ لمريم روح البرارة والقداسة على مثالها ويبلغوا بشفاعتها في نيل السعادات الاخرويَّة ابعد شأو واقصى منتهى

الصابئة او المندائية

بقلم الاب الفاضل والباحث المدقّق انستاس الكرملي البغدادي

(تابع لما سبق)

اخلاقهم وآدابهم

اخلاق اهل هذه البدعة في منتهى الوداعة. وهم يمتازون بعدة فضائل منها العفَّة. ولذا تراهم يفرقون عن غيرهم من سيمائهم فان ملامح وجوههم تنطق بحسن آدابهم وبشاشتهم تُترجم عن نقاء سرائرهم ولسانهم يُفصح عمّا في ضمائرهم. ومن فضائلهم ايضاً محبَّة بعضٍ لبعض وهي فيهم على نوع لا يُشاهد الّا في الرهبان. وذلك انهم اذا احتاج الواحد منهم الى دراهم ولم يكن لهُ شيء نقدهُ اخوانهُ في الدين كلٌّ حسب حالهِ. واذا أُودع السجن واحدٌ منهم ذهبوا زرافات اليهِ وبذلوا ما في الوسع لاطلاق سراحهِ. وكذا قُلْ عن سائر الفضائل لكن منذ ان اختلطوا اختلاطاً عظيماً بسائر الأقوام من اهل البادية وغيرهم اندفعوا الى الكذب والسرقة وغير ذلك من المعايب لكن هذا ايضاً في افراد منهم لا في جميعهم

الزواج عندهم

قد ذكر حضرة الفاضل نيقولا السيوفي في كتابهِ عن زواج الصابئة أُموراً تُضحك الثكلى ممّا لا يُصدّق عاقل ان ما رواهُ يوجد عند أُمّة من أُمم الارض. ولهذا يحسن بنا ههنا ان نورد الحقيقة على ما شاهدناهُ عياناً لا على ما سمعناهُ وقد تحرّينا الاختصار بقدر ما في الامكان

اذا أراد الشاب المندائي التأهل (1) بعث رجلًا كامل السنّ او امرأة كاملة السن

1) وهنا يحسن بنا ان نعرّب كلام الفاضل الاديب المسيو نيقولا السيوفي وتأكد ان ليس لهُ من الحقيقة حظٌّ ابدًا. قال رحمهُ الله: « قبل ان يجاوب ابُ الابنة (رُسُل الشابّ) يستأذنهم بالخروج ملتمساً منهم ان ينتظروهُ ريثما يجيء. فيذهب الى غرفة أُخرى ليتشاور مع زوجتهِ بحضور ابنتهِ لكي يطلب منها رضاها ثم يعود الى الوَفد ليُعلمهم بالقبول وحينئذٍ يُعيّن الحضور مبلغ الصداق. وفي اليوم الثاني صباحاً تحمل عدة نساء من اقارب الخطيب العرُوض

الى بيت الابنة التى علقها الشاب ليتجسّس باسلوب لطيف قبول الابوين. فاذا تحقّق الرسول ان ليس هناك ما يمنع الطلب ينفذ الشاب في اليوم الثاني باسمهِ وباسم اهلهِ كَنزَفْرِيَّة (اي اساقفة) او رجلًا او رجلين من الصلحاء العقلاء ليخطبوا الابنة خطبةً بموجب الاصول المرعيَّة ويتّفق الفريقان على تعيين الصداق. وهـذا يختلف بين الـ ٥٠٠ فرنك وبين الالف. وربّما زاد او نقص عن هذا المبلغ. هذا اذا كان الطرفان صالحين ليس في اقاربهما شائبة في الجسم او في العرض والّا فالمبلغ قد يزيد زيادة فاحشة تعويضًا عن الشائبة. ومن المندائيّة من لا يقبـل المهر ابدًا اذا كان ثريًّا وبذلك ايضًا اشارة الى ان مناقب كريمتهِ لا تثمَّن بمال

وفي اليوم الثاني « في اي وقت كان (١ » ينقد الخطيب المبلغ الذي تمَّ الاتفاق عليهِ لوالد الخطيبة واذا لم يكن عندهُ ما يدفعهُ يكتب بذلك وثيقة يختمها جماعة من الشهود « سواء كانوا من اساقفة او كهنة او غيرهم من العوام »

هذا في الخطبة. واما في الزواج فتكون الرسوم على الوجه الآتي: لكن عليك قبل كل شيء ان تعلم انَّهُ لا يُعقد زواج ما لم يكن بحضور واحدٍ من الكَنزَفْرِيَة والّا فلا. واذا لم يُوجد في ذلك البلد واحد من هؤلاء الاساقفة يُسافر العروسان الى البلد القريب من بلدهم ممّا يكون فيهِ كَنزَفْرا. واذا كان العروسان من اعيان الصابئة يشهد التَمليك اثنان من الاساقفـة عوضًا عن واحدٍ. ويكون دائمًا مع الكَنزَفْرا عاقدِ المِلَاك اثنان من القسوس. واغلب ما يكون يوم العقد نهـار الاحد « وقد يكون في غير هذا اليوم من ايام الاسبوع » بخلاف ما ذكرهُ المرحوم نيقولا السيوفي. وفي اليوم المعيّن يأتي العروسان

اللازمة للعروس لعقد الخطبة. اما هذه العُروض فهي: حلقتان احداهما من فضَّة والثانية من ذهب وصينيَّة طافحة بالسكَّريات وثلاث حليّ من ذهب وكميَّة من الحنَّاء تحنّي بها النساء أرجل الخطيبة وايديها مع جميع البنات المدعوّات الى الخطبة ويَضَعْنَ الحلقتين في اصبعين من أصابعها ويعلّقنَ الثلاثَ الحُلى برأسها وبعد ذلك ينصرفنَ » اه التعريب. فهذا الكلام مختلَق من عين اصلهِ لأن التحنُّوء والتبرُّج والتزيُّن والتكحُّل والتحسُّن وما كان من هذا الباب محرَّم عندهم كل التحريم اذ ان المتحنّي يكون اول من يدخل النار من بين الاشرار. نعم قد أُبيح للصابئة في هذه السنين الاخيرة التزيُّن ببعض الحلى التي لا تزيد شيئًا في حسن المرأة امَّا التحنُّوء فهو ممنوع بتاتًا

١) قد اشرنا بالقُوَيْستَين « » الى ان كلامنا يخالف قول حضرة نيقولا السيوفي

النهر فيقدم احد الترامدة (اي القسوس) ويُعمِّد « هو وحده » العروس مرّتين وبعدها يتقدَّم الخطيب ويتعمّد كذلك. وبعد الاصطباغ ينزعان رَستَهما اي الحُلّة الدينيَّة ويلبسان لباس العرس. ومن النهر يذهبان « الى بيت الابن » لا الى بيت الترميدا وفيهِ قد أُعدّت الحَجَلة وفي داخلها كُلّة فتدخلها العروس. واما الخطيب فيذهب الى صريفةٍ (١ من عمل المندائيّة انفسهم ويقف حول الخطيب اثنان من « الترامدة » وفي صدر الصريفة يقوم الكنزفرا ويقرأ عليهِ مع الترمدة صلواتٍ كثيرة تدوم زهاء ثلاث ساعات. وبعد ان ينتهي خدمة الدين من تلاوة الصلوات يبعث الكنزفرا والدتهُ واختهُ (او من يقوم مقامهما من النساء الفاضلات التقيّات البعيدات عن الكذب) الى العروس ليتحقّقنَ بكارتها فاذا تثبّت النساء بتوليّتها هلهلنَ وان لم تُهلهلنَ عُرف انها على الخلاف وفي مثل هذه الحالة الاخيرة يُخيّر الخطيب في فسخ الخطبة او في تتمّة عقدها لكن لا تُعامل حينئذٍ العروس الّا معاملة الثّيب يعني لا يستطيع ان يُزوّجها الّا كنزفرا خصوصي للثّيبات. ومن مميّزات هذا الاسقف انّهُ لا يجوز لهُ ان يتولّى الذبح ولا ان يُعمِّد احدًا من ابناء طائفتهِ واسم هذا الكنزفرا : يَسُّكْ (ܦܣܣܟ)

واما اذا كانت العروس بِكرًا فتُتمّم سُنّة الزواج اي يُعيَّن حينئذٍ واحدٌ من الحضور يقوم بمنزلة الوكيل عن العروس. والمألوف في مثل هذه الظروف ان يقوم بهذه الوظيفة اب الابنة اذا كان في قيد الحياة والّا فواحد من اقارب احد الطرفين. ثم بعد ذلك يضع الكنزفرا ثلاث مرّات يَدَ هذا الوكيل في يد الخطيب ويقول لهُ : « أَتُعطي ابنتك الفلانيَّة لفلان ابن فلان ». وبعد الجواب بالقبول يلتفت الى الخطيب ويقول لهُ : « أتقبل فلانة ابنة فلان امرأةً لك ». وبعد الجواب بالقبول يقول الكنزفرا للوكيل : « بايّ مبلغٍ اعطيتَ ابنتك » ؟ — فيقول الوكيل : « بالف زوزي ودينار (٢. ثم يقول

١) الصريفة عندنا نحن العراقيين ازجٌ او بيت او كوخ يُعقد من السعَف اليابس ومنهُ اشتقاق اللفظة لان الصريفة السعفة اليابسة . ورُبما كانت من القصب وهذا من باب التوسُّع والتساهُل والغالب على هيئة الصريفة شكل الازَج

٢) الزَوْزي ܙܘܙܐ (zozi) هو غير الدينار وهو نوع من الدراهم القديمة لم يمكني ان اهتدي الى قيمتها الحقيقيَّة وكانت تستعمل في غربيّ بلاد فارس في المائة التاسعة للميلاد . واعلم ان اسئلة الزواج واجوبتها لا تختلف صُوَرها مهما كان المبلغ المتّفق عليهِ بين اصحاب العروسين وانما ذلك من قبيل التواطوء والاصطلاح الديني . فاحفظهُ

له الكنزڤرا: «وانت ماذا أعطيتهُ ؟». فيجيب الوكيل: «أعطيتهُ حمل جملٍ من الثياب الحريرية وحملًا آخر من ثياب الكتان وعشرة مثاقيل زعفران». وبعد هذه المحاورة ينزع الاب او الوكيل ثيابهُ الدينيَّة التي ذكرنا عنها انَّها تسمَّى عندهم «رَستَه» (ولبسها واجب على كل من يُباشر امرًا دينيًا مهما كان طفيفًا) وبعد ذلك «يبقى الاب بين الجمع الحاضر» او يخرج ان أحبَّ

واذا تمَّ هذا يُشرع بسُنَّة بركة الاقتران. واوَّل شيء يأتيه الكنزڤرا هو صلوات يُصلّيها في فناء الدار ومعهُ الترميدان والخطيب. ثم يذهب الموكب الى حجلة العروس فيتكئ الخطيب وظهرهُ على الكُلَّة التي فيها العروس وكذلك تفعل العروس من عندها بحيث يكون العروسان ظهرًا لظهرٍ فيتلو حينئذٍ الكنزڤرا صلواتٍ اخرى وفي اثنائها ينقر ثلاث نقراتٍ رأس العروسين الواحد بالآخر وهو يقول كل مرَّةٍ: «أنا ششبان هِيدُوِيْ» (ana cheuchban hidoï) اي انا عرَّاب كل واحد منكم». وبعد ان ينتهي من تلاوة هذه الصلوات يذهب الحضور الى محلّ آخر وهو عبارة عن مُشبَّكٍ من القصب وهناك يتلو الكنزڤرا صلوات أخرى على رأس الخطيب وبذلك تتم سُنَّة الزواج عندهم

وفي ذلك المشبَّك تُهيَّأ سبع طرائن (مفردها عندهم طريانة وهو نوع من الاناء المتَّخذ من الطين الحرّ) عليها خبز وسمك وبصل وجوز ولوز وربَّما كان عليها غير ذلك. وبعد ان يفرغ المَدعُوُّن من تناوُل الطعام يتأبط اب العروس خُبزتين ويأخذ بيدهِ إبريق ماء ملفوفًا بنسيج ابيض فيخرج بذلك الى خارجٍ وفي أثناء خروجهِ يُسقِط الخبزتين اللتَين كان قد تأبطهما بحيث تقعانِ خارجًا عن المشبك. ثم يعود بالابريق وحدهُ فيأخذهُ منهُ احد الترميدَين فيشمّر الخطيب ساعِدَهُ ويسكب الترميدُ ماء على يديهِ مرَّاتٍ عديدة ثم يُناولهُ الترميد جوزًا ولوزًا وزبيبًا لان المتزوج يكون الى ذلك الوقت صائمًا. اما الذي يُطعم العروس فهو ابوها ويقول لها حين يُناولها الطعام: «أخلَلْ تاها لا أخلِتْ لبَرْ منّي» ومعناهُ: «كُلي من هذا ولا تأكلي من غيرهِ». ثم بعد هذا يقرأ الكنزڤرا صلواتٍ فوق رأس الخطيب ويكون هذا وقتئذٍ جالسًا امامهُ وبعد تلاوة الصلوات يفرّ مَركَنتَهُ اي عصاهُ ثلاث فرَّات وبذلك يُشير الى ان العروسين اصبحا من هذه الهنيهةِ مُحسَنَين فيذهب الخطيب الى ماء جارٍ فيغتسل فيهِ.

وكذلك تفعل العروس غير انّها تغتسل في الدار ويبقى العروسان نجسين الى مدّة سبعة ايّام وفي اثناء ذلك لا يأكلان ولا يشربان مع احد من اهل البيت ولا يلمسهما احدٌ وتُسمَّى هذه الحالة عندهم: «صُرْتا» (sorta). وبعد انقضاء المدّة يتعمَّدان في النهر وبذلك يتطهران فيأكلان ويشربان مع اهل البيت. واذا مات في مطاوي هذه الايّام احد العروسين فالميْتُ يُعتبر «نجساً» ويتطهر من نجاسته في المَطَراتي. لكن لا يُعَدُّ ابدًا خارجاً عن عداد المندائيَّة كما صرَّح بذلك المرحوم نيقولا السيوفي. واماً ما ذكرهُ من التفصيل بعد نقر رأس العروسين فهو من الامور المصُوغة الموضوعة ليس لها من الحقيقة ادنى نصيب (١. ولعلّهُ ذكرها ليُضحك قرّاءهُ او ليُعظم حجم كتابهِ وربُّك فوق كل ذي علمٍ عليم (التتمَّة لعددٍ قادم)

نعمة ابن الخوري توما الحلبيّ الشاعر الناثر

بقلم حضرة الاب الفاضل القس جرجس منش المارونيّ الحلبيّ

صدر العدد الثالث من المشرق الاغرّ من السنة الجارية يحمل الى قرَّائهِ الكرام نشرَ ابن نعمة الخوري توما الحلبي احد ادباء القرن الثامن عشر فكان ذلك بعثًا لبعض ذوي البحث عن اخبار السلف على ان يتحرَّوا مواصلة التنقيب والتنقير عن بقايا اخبار هذا الرجل وآثارهِ

ولمَّا كنتُ قد حويت بين صُحفي المخطوطة ما بقي من تركتهِ العلميَّة رأيت ان اقوم بواجب محبة الوطن العزيز فأُتحف القوم بما وقفتُ عليهِ من ترجمتهِ ثم اتبع ذلك بنبذة من شعرهِ ثم انشر بعدئذٍ ما انبأ بهِ من احداث الروم الملكيين الكرام وليس لي من غاية سوى نشر مفاخر القدماء واثارة دفائن كنوزهم لئلا تغتال بقاياهم ايدي الدثار والضياع فاقول وعلى الله الاتكال

---

١) واماً امر الخرقة التي ذكرها فهذا صحيح في فرصةٍ واحدةٍ وهي: اذا كان قد شاع عن المرأة ما ينافي شرفها لتذكّي بذلك نفسها

١

ولد نعمة المذكور بمدينة حلب في اواخر القرن السابع عشر. وكان ابوهُ الخوري توما احد كهنة الملكيين نافذ الكلمة. سامي الكعب في قومهِ لِما حباهُ الله من الذكاء ودماثة الاخلاق. والراجح ان نعمة واباهُ لم يكونا من المعتقدين العقيدة الكاثوليكيَّة منذ مولدهما بل من المعترفين بها في مستهلّ العصر الثامن عشر الذي فيهِ كان ارتداد الملكيين في حلب الشهباء (١ كما يعلم الخبراء باحداث واحوال تلك الأيام

ولمَّا ترعرع الفتى شرع يدرس مبادئ العلوم برغبة عظيمة على ادباء مدينتهِ المحبوبة فاتقنها بوقت قريب. ثم أخذ يتعلّم الشرع والفرائض على الفقهاء الضليعين فاصاب منهما حظًّا وافرًا كما يُتحصَّل من الصكوك والوثائق العديدة التي انشأها. ثم حملهُ حبُّهُ للآداب على ان يتفرَّغ للاشتغال بعلم المعاني والبيان والبديع والشعر وغيرهِ من آداب اللغة العربيَّة الشريفة ففاز بالتحصيل وحفظ شيئًا كثيرًا من اشعار العرب ونوادرهم واخبارهم الى غير ذلك مما جعلهُ في الطبقة الثانية بين رجال العلم في ذلك العصر الانور الذي بزغت فيهِ شموس المعارف وراجت بضاعة الآداب في الشهباء كما اشار الى ذلك المشرق الاغرّ غير مرَّة

وقد اشتهر نعمة عند اصحابهِ بأدب النفس وعلوّ الهمة وثبات العزيمة واصابة الرأي وحسن العقيدة وقويم الايمان وطيب الاحدوثة. وكان مع ذلك عذب اللسان خفيف الشمائل فرغب ادباء البشر ووجهاؤهم من نصارى ومسلمين في مجالستهِ واعجبوا برقة محاضرتهِ

٢

ثم ان نعمة تأهل في ريعان الشباب فرزق اولادًا انجابًا لا يُعرف منهم سوى ثلاثة وهم توما وجبرائيل وانطون. امَّا توما وهو اكبرهم سنًّا فاخذ الآداب عن ابيهِ فادرك المرام ولا اعلم من اخبارهِ شيئًا سوى هجرتهِ الى مصر من العجز الذي احاق

١) قال العلَّامة الطيّب الذكر السيد جرمانوس فرحات ما حرفهُ: وفي زمانهِ «اثناسيوس الدبَّاس» عرف روم حلب الايمان الروماني وتمسك بهِ الكثيرون. وكان اثناسيوس يرى دخول هذا الايمان في رعيتهِ وهو يتغاضى عن ذلك. ورسم كهنة كاثوليكيين كثيرين وبواسطة رسامتهم انتشر الايمان المقدس كثيرًا. اه عن ديوان البدع

بهِ في رجب سنة ١١٦٩ هجرية (١ الموافقة لسنة ١٧٥٥ م فعاج باللاذقيَّة (٢ وبيروت. واليك ما قالهُ والدهُ نعمة في وداعهِ مرويًا بالحرف الواحد:

ولمَّا قضى التوديع فينا قضاءهُ وزفَّت مطايا البين رَكب الترحُّلِ
فقلتُ لصحبيَ ودمعيَ [قد] جرى قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

وقد افاد حضرة الاب لويس شيخو اليسوعي انهُ عثر عند احد وجوه بيروت على خبر رحلة من حلب الى اللاذقيَّة فبيروت فمصر كتبها بعض الحلبيين نثرًا ونظمًا وهو يظنها من قلم توما المذكور (المشرق ٥:١٠٣)

واما جبرائيل فنشأ على حبّ المعارف فكان لها ابنًا ربيبًا ولكنَّهُ لم يدرك الشباب حتى اصابهُ مرض ناهك تخوَّن جسمهُ مدة من الزمن فاوردهُ ورد المنيَّة في مقتبل العمر. فناح عليهِ والدهُ نعمة نوح الحمام وبكاهُ بمقل الغمام وقصَّد في رثائهِ القصائد العديدة منها قولهُ:

يا لقومي إعذروني ضاق بي وَسْعُ الفضا
يا لقومي ضاق ذرعي عيل صبري وقضى
يا لقومي ضاع رشدي فبِمَ ألقى القضا
يا لقومي غاب جبرا ئيلُ عني ومضى
غاب عن عيني فجفني بعدهُ لن يغمضا
خلَّف القلب بجمرٍ دونهُ جمرُ الغضا

الى ان قال:

هل ترى يحنو فيدنو بَرْقهُ إن اومضا
لا لعمري هل يُرجَى عَودُ امسٍ إن قضى
حكم الله بهذا فالرضى ثُمَّ الرضى
فلهُ الحمد على ما حكمهُ فيهِ مضى
ما تجلَّى في دياجي الليل نجمٌ ومضى

ولم اقف على شيء من آثار جبرائيل المذكور سوى العلم بمجموعة لهُ ذكر عنها نعمة والدهُ في جملة رسائلهِ انهُ اهداها لبعض اخدانهِ لئلا تُعيد عليهِ تذكار الشجون دون ان يصرح بمحتوياتها. واما انطون فلم اقف لهُ على شيء من الاخبار اصلًا

١) كذا جاء في مجموع نعمة فاوردتهُ بحروفهِ

٢) في المجموع المذكور رسالة وجهها نعمة الى ابنهِ توما عند وصولهِ الى اللاذقيَّة فيها من النصح الابوي في التدين وحسن التعامل ما ليس بعده زيادة لمستزيد

٣

انس نعمة بالبطريرك اثناسيوس الدبّاس فتزلّف اليهِ واطرأهُ الاطراء البالغ بالقصائد الغراء فادناهُ هذا البطريرك منهُ وجعلهُ كاتب اسرارهِ وواصلهُ بالصلات العديدة فحسنت معها حالهُ بعد الإملاق فصحبهُ حتى آخر حياتهِ. اما الرسائل التي كتبها نعمة عن البطرك المنوه بذكرهِ الى الاحبار الاعاظم والكردينالات والاساقفة والوجهاء وبعض سراة المسلمين فلم يبقَ منها سوى ثماني عشرة رسالة

وقد عهد اليهِ بتلك مهمة الكتابة استفاهُ جراسيموس ومكسيموس الحكيم وقومهُ الملكيون وغيرهم من الحلبيين على ما يظهر من مجموعهِ الذي اودع فيهِ كثيرًا من الرسائل والصكوك والوثائق وغيرها مما سيأتي ذكرهُ

وعند ما احتضر البطريرك اثناسيوس الآنف الذكر سعى عنده صاحب الترجمة وبعض وجهاء قومهِ ملتمسين منهُ ان يكاتب البطرك القسطنطيني في سيامة سلفسترس المشهور ففعل. فعاد هذا السعي عليهم بالوبال لما سامهم بهِ هذا البطريرك الدخيل من ضروب الاعنات وصنوف المحَن وانواع الفظائع حتى انَّهم اضطروا في سنة ١٧٤١ الى ممالأتهِ ومصافاتهِ على يد رجل يدعى موسى ابسطولي من مدينة باياس. ثم ما عتَّم الامر ان قاطعوهُ ونابذوهُ وتملصوا من شرّهِ بفرمان سلطاني سامٍ

ولا ريب في ان المترجم بهِ قد ترحل عن الشهباء مرتين الرحلة الاولى الى بعض مدن ارمينية كطوقات فلقي فيها الامرَّين فشكا ما لاقاهُ من غلظة اهلها وهجاها بقولهِ:

وبلدةٍ ما شاهـا ناظرٌ مع اهلها الّا وعنها نَفَرْ
كانّما الاسطبلُ تكوينُها واهلُها فيهِ جلوفُ البَقَرْ

والاخرى الى بعض مدن سورية كبيروت فادهشهُ ما صادفهُ من اكرام الوفادة عند الشيخ نوفل الخازن الشهير(١ الذي كان قنصل دولة فرنسة الفخيمة في ذلك العصر كما يظهر من رسالتين مثبتتين في مجموعهِ الواحدة وجّهها الى الشيخ المذكور اعترافًا بجميلهِ. ثم زايلها ميمّماً صيدنايا حيث وقف على اطلالها وقفة المتأمل الشفيق وانشد هنالك قصيدة المع فيها الى رسومها الدوارس متطرقًا الى اطراء مريم العذراء اشرف العالمين

وقد ابتلى الله نعمة في آخر حياتهِ بتجارب ومصائب عديدة احتملها بصبر عجيب

١) راجع ما ورد عن هذا الرجل العظيم في ص ٢٢٣ من تاريخ الطائفة المارونية

منها هجرة ابنهِ توما الى مصر . ومنها وفاة ابنهِ الآخر جبرائيل . ومنها امراض وعاهات تخوَّنت جسمهُ مدة حتى جرعتهُ كأس حَينِهِ . ومنها الإملاق فكان من اشدّ النوائب فاضطرَّ الى بيع ما ملكت يداهُ حتى كُتُبهِ فقال في ذلك قصيدة هاك منها ما يأتي :

يا ربِّ قد بعتُ كُتْبي فحسبيَ الذلُّ حسبي
بعتَ الصَّفِي (١ برخيصٍ ومثلـهُ المـتنبي
وَابْنَ هاني ويا ما هُنْتُ فيهِ وصحبي
كذا القـلائد لمَّا غلتْ قلائدُ كسبي
عقبانهـا (٢ بايَنَتْـني فبـان إفراط كربي
خريدة القصر (٣ اضحت عن قصر يدّي تنبي
والتفـتزانيُّ (٤ افـتى تصريفُهُ فعل خطبي
تعدادها زاد وجدي والمدّ يوجب ثلبي
فالصمت عن ذكر كتري اولى لتخفيف مـا بي
لا درَّ درُّ زمـانٍ فرّق بيني وكُتْبي
وليتـني لو تقضّى من قبـل بيعي نحبي
وكلّ هـذا لأنّي عصوتُ بالاثم ربّي
وفُقت اهـل المعاصي طرًّا بافراط ذنبي
فما ترى عدتُ القى من القصـاص المهبِ
او من يقيني منهُ والاثم يوجب عتبي
الّاك اذ انت ربّي وفي الخـلاص محبّي
اليك وجهّتُ وجهي يا ذا السميع الملبّي
فأنعم بتوبة عبـدٍ مـن الغواية مسبي
بجـاه بكرٍ بتولٍ شفيعتي يوم كربي
مني عليهـا سـلامٌ عن خالص الحبّ ينبي
من عبد رقٍ يرجّي من فضلها خير قربِ
فـذاك غاية سؤلي ومنيـتي وهو حسبي

٤

الغالب على الظنّ ان نعمة لم يترك بعدهُ سوى مجموعٍ خطيّ دعاهُ « عجالة راكب الطريق لمن رضي بتقليد التلفيق » وقال في مقدمتهِ عليهِ انهُ عُني بجمعهِ ليجعل رسائلهُ

١) يريد ديوان صفي الدين الحلّي

٢) اي كتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان

٣) خريدة القصر للعماد الاصفهاني

٤) اي كتاب المطوّل على التلخيص للتفتازانيّ

« دستوراً لاولادهِ يقتدون بها فيما يلتزمون بهِ واليهِ من نظائرها ». وقد اسعدني الحظّ ان اضمّ منهُ نسخة كاملة الى كتبي المخطوطة وهي النسخة التي وقف عليها جناب الاديب حبيب افندي الزيات. ويؤخذ من فاتحتها ان جامعها ابتدأ بجمعها في شهر محرَّم افتتاح سنة ١١٧٣ ﻫ (١٧٥٩ م). وليس في آخرها خاتمة تشعر بالفراغ من جمعها او نسخها في السنة السابق ذكرها خلافاً لما ظنّهُ البعض بل ترى فيها من الرسائل والقصائد ما يتصل عهدهُ بما وراء ذلك التاريخ الى سنة ١٧٦٧ م وهي في هذا لا تختلف عن نسخة مكتبة الآباء اليسوعيين الفضلاء (١. اما خطّها فيختلف في اولها عما بقي فيها وليس بجميل مُشرق بل يقتضي النصَب لاستخراج ما فيها من الأحداث وغيرها

اما المجموع فهو عبارة عن كتاب كبير الحجم في ٢٧٣ صفحة يحوي تسع وسبعين صورة من مناشير ووثائق وصكوك وعرائض (عرضحالات) واجارات ومعاهدات وبرآات وغيرها. وسبع وسبعين رسالة في سائر ابواب الترسل كالتهنئة والتعزية والشوق والعتاب والطلب والتوصية والاعتذار والشكر والنصح والثناء الى غيرها ممَّا انشأهُ صاحب الترجمة عن لسانهِ او لسان اهل طائفتهِ الملكيَّة وسواهم الى البابوات والكردينالات والاساقفة والسفراء والوجهاء وغيرهم من مواطنيهِ. وهذا يدلّ بلا ريب على ان ذلك كان من مهنتهِ الخاصة

وفي المجموع من انشائهِ رسالة مسهبة في مقدمة وسبعة فصول وخاتمة دعاها « خلاصة حبّ الفؤاد بنصح الآباء للاولاد ». وقال في مطلعها انهُ الّفها لنصح اولادهِ وارشادهم في الدين وحثّهم على الفضيلة وترغيبهم في الآداب وهديهم الى حسن التعامل مع البشر في متاجرهم ومعاطياتهم. وقد اكثر لهم فيها من النصح وضرب لهم الامثال وتمثل باقوال الحكماء والشعراء في هذا المعتمد

وممَّا جاء في هذا المجموع من تعريبهِ اربع برآات صادرة من الطيب الذكر البابا اكليمنضوس الثالث عشر في ابطال بطركيَّة السيد اغناطيوس جوهر وتنصيب السيد مكسيموس حكيم (٢. ثم من تعريبهِ ايضاً مقالة السيد اثناسيوس الدباس في

١) راجع المشرق (٥: ١٠٣)

٢) طالع ذلك في مختصر تاريخ الروم الملكيين ص ٥٣ وما يليها

الزاون اي الماء الحار الذي يصبهُ كهنة الروم في الكأس قبل التناول. وهو ردّ على السيّد افتيميوس مطران صور وصيداء. وهذه المقالة حسنة حريّة بالنشر لفوائدها

ثم يلي المجموع المذكور نبذة من شعرهِ تحوي نحوا من خمسين قصيدة في معانٍ مختلفة كالتهنئة والرثاء والمدح والذم والترسل والاستعطاف وما ماثل ذلك واكثرها في الرجال الافاضل كالبطريرك اثناسيوس الدباس والمطران جرمانوس فرحات وجراسيموس مطران حلب والخوري نقولاوس الصائغ والشماس عبد الله الزاخر والسيد مصطفى الجلبي والسيد مصطفى البتروني والياس فخر الطرابلسي وجرجس عائدة وغيرهم من مشاهير ذلك العصر ووجهائهِ

ولا بدّ من التنبيه على ان هذا المجموع لا يخلو من اغلاط لفظيّة ومعنويّة لا ندري الى من ننسبها أإلى الكاتب ام الى الناسخ فضلًا عما في بعض الرسائل من العبارات الركيكة والالفاظ العاميّة التي تحمل على القول بعدم رسوخ قدم المنشيء في الانشاء السامي. وعلى كلٍ فذلك لم يحطّهُ عن منزلتهِ في اعين معاصريهِ الخالين رحمةُ الله عليهم اجمعين

٥

كان بين صاحب الترجمة وبين بعض ادباء عصرهِ ومشاهيرهِ مراسلات يطول شرحها ويسأم من سَرْدها القرَّاء الكرام فأقتصر على رسالة منها وجَّهها الى العلَّامة الكبير السيد جرمانوس فرحات اذ كان بعدُ راهبًا. أُوردها تعريفًا بمنزلة منشئها المترجم بهِ من الانشاء وتاريخًا لصناعة الترسل في ذلك العصر الانور واشهارًا لمقام الموجهة اليهِ عند معاصريهِ لأنَّ ما فيها من الاوصاف والاطراء البالغ لم ارَهُ في غيرها من الرسائل العديدة. وهاك ما اخترتهُ منها مرويًّا بالحرف الواحد:

« جناب الاب الاقدس الانفس الاوحد الامجد الاديب الاريب الحسيب النسيب الاثير الاثيل البارع الفارع. انسان عين الزمان. نتيجة مقدمتي الدهر والاوان. البازغ في غسق الآداب بدرًا يدين لهُ قسّ وسحبان. والطالع في سماء الفضل شمسًا يكبو لديها النيّران (١... الحائز السبق في حلبة الفضائل والافضال. والمتسامي بسمو

١) كان بين كل فقرة من الفقرات التابعة ابيات شعريّة من معنى النثر اذا جُمعت تألف

سؤدده متون الكمال. اوحد العصر حزماً وعزماً ومقالا. وامجد ابنـاء الدهر سناءً وأخلاقاً وخلالا. . . مَن سما بسمو فضله السِماك وكيوان. واوضح عن مقدمتَي المجد نتيجة البرهان. فأُشير الى برّ محامده بالبنـان. وسارت بذكر ثناء مدحه الركبان. . . لا غرو فقد كان عن الفضل ناتجاً فغدا لهُ مُنتجاً. وعن الشرف الباذخ آخذاً فصار لهُ مدخلاً ومخرجاً. وتجارى في حلبة الفنون والآداب. فدان لهُ كلّ قوول ثم قطّب وتاب. اذ اتى بمـا لم تستطعهُ الاوائل. فانسى ذكر سحبان وائل. . . من حكمةٍ وذكاء دان لها ارسطو واياس. وأُلجئ كل منهما الى اليأس. ادرك بهما حقائق الموجود. في عالم الغيب والوجود. . . وفلسفةٍ تفلسف في اظهار خوافي دقائقها. وتعمّق في تحقيق كنه حقائقها. فكشف عن ابكار مخدَّرات معانيها نقابَها. وذلّل من شوامس مشكلاتها صعابها. . . ومنطقٍ سلب العقول بموجب قياسـه المستقيم. وأستُطلعت طوالع الانوار ضياء مسلسل نوره الوسيم. وتألفت الشمسيَّة (١ بارائه الشمسيَّة فاغنت عن الشمسية . . . وعلمِ لاهوتٍ تألَّه بهِ قلبهُ. واشتغل باعماله لبّهُ. فعرف بواسطته حقّ توحيـد الله بالذات. وتثليثه بالصفات. ماثل بهِ مار توما واوغسطين. وشابه سكوطو(٢ باثبات الحق اليقين. لهُ في كلّ وجهٍ من اوجه اصوله نظرٌ. وفي كل بحث من ابحـاث فروعه قولٌ مبتكرٌ. اطّلع بهِ على اسرار التنزيل. وغاص في لجّ يمّهِ فطلع بجواهر الاجمـال والتفصيل. . . وفقه ذمّةٍ دان لهُ دياتا ومالان (٣. واعترفا ان ليس لهما عنـدهُ في حلّ عقده يدان. اذ جاء فيهِ بما تعجز عن ادراكه الافهام. وميَّز بقسطاس دلائله فيما بين طريقتي الحلال والحرام. وقضى بموجب عدل عدالته على قضـاة الاحكام. وفصم عرى الظلم جازماً بحقيقة الصواب ما بين أئمة هذا الفن الأعلام. . .

ووعظٍ ضاهى فيهِ العسجديَّ الفم بالفاظه الدريَّة. واختراعاته الروحيَّة. ان ذهب ارجف فرائص النفوس. وان رغب اوضح أنْ لا عِطرَ بعد عروس. وان علّم اهدى

منها قصيدة قائمة برأسها فاضربتُ عنها ميلًا الى الاختصار واكتفاء باثباتها في ترجمة السيد الموجهة اليهِ التي سامثلها للطبع قريباً ان شاء الله تعالى

١) الشمسيَّة اسم كتاب في المنطق

٢) سكوطو احد أئمَّة اللاهوتيين من الرهبنة الفرنسيسيَّة

٣) كلاهما من معلمي الذمَّة

الى سبل الصلاح وترادفت نحوهُ اصوات الصارخين حيٍّ على الفلاح

ونحوٍ نحا اليهِ سيبويهِ منخفض الجناح. وحتم الزمخشريُّ بنصب فضلهِ على حال النجاح. ورفع ابن هشام ألوية تعمقهِ بهِ الى ارفع مقام. جازماً انهُ فيهِ الامام الهمام..

وصرفٍ انصرفت اليهِ افعال القلوب. وجاءت مصـادرهُ على اكمل وزن واحسن اسلوب. اعتلَّ لسلامتهِ التفتزاني. وانفصل ضميرهُ باتّصال تحريرهِ القاضي الارجاني...

وأدبٍ قد اقتطف من ازهار رياضهِ نضيرها. وارتشف من زلال لطائفهِ غديرها..

وبديعٍ قد شرب من رقيق الالفاظ بداهة المعنى البديع ضمَّت بين لطافتهِ ولطفهِ القافية. وتجانست انواع طرافتهِ وظرفهِ بالعلّة الوافية..

ونظمٍ لو حاولهُ النظام لاتال عقد نظمهِ وانهان. ولو شامهُ قُدامةُ لقدَّمهُ على الاقران. ان ضمَّ سلكهُ اراك الدرر المشبَّهة بالدراري. والغرر التي يستطلع بمسلكها كلّ عاصٍ وساري

ونثرٍ نُثرَت عندهُ قلائد العقيان. وولَّت الخريدة تجرّ ذيل الخجلان. وودَّت النثرة لو كانت لهُ نثاراً. والشعرى لو جُعلت لدررهِ شعـاراً. ان سجع علّم القمريَّ تغريد الالحان. واراك العندليب كيف يشجو على الاغصان...

وعلى كل حال فقد سما مذ سما متون الكمال. وانشى مذ نشا سواطع الفضل والعلم في كل مجال. فغدا محصلاً في العلوم قصب السبق في ميدانهـا. ومحرزاً في الفضائل القِدح المعلّى يوم رهانها... فعلا عن النعوت والاوصاف. عند كل من دخل في نعتهِ الى حيّز الانصاف

فلا برح بحر علمهِ وفضلهِ تيّاراً. ودرّ اهدائهِ وارشادهِ مدراراً. ولا زالت تهبّ شمائل شمائلهِ في سماء فضائلهِ. ولا انفكّت الفاظهُ ومعانيه تتسابق الى القلوب والآذان. حتى لا يُدرى ايّها السابق في مضمار البيان. ولا فتئت اياديه الحسان بالغة الى مدى ما يلحقهُ الاستحسان. ما بيَّض سوادُ اقلام البلغاء وجوهَ الطروس. وألّت ألسن المخلصين بصدق الوداد وهو عندهم اليمين الغموس. انهُ ما مثلهُ انيس مأنوس. وبعدُ فالباعث الخ»

انتهى ما اقتضبتهُ من هذه الرسالة وهي من اطول رسائل المنشىء المترجم بهِ واحسنها معنًى ولفظاً وسبكاً. وعلى هذه الرسـالة اجاب السيد جرمانوس فرحات بقصيدتهِ البائية المثبتة في ص ٦٤ من الطبعة الحديثة من ديوانهِ

هذا ما رأيتهُ في ترجمة نعمة الحلبيّ حريًّا بالذكر فاوردتهُ بالتدقيق البـالغ واناً

متأسف لاني لم اقف على سنة وفاتهِ مع كل ما بذلتهُ من جهد الطاقة في الاستقصاء عنها فلعلها سنة ١٧٦٧ التي فيها انقطعت اخبارهُ والله اعلم . رحمهُ الرحيم الرحمان وأمطر ضريحهُ صيّب الرحمة والرضوان

الكَمْپيلوغراف

آلة جديدة لرسم الاشكال الهندسيَّة

لمعة للاب ر . ش . اليسوعي

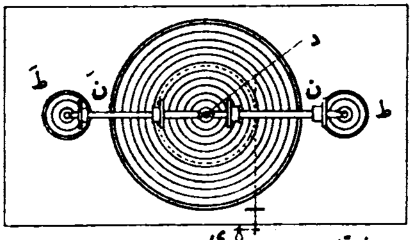
قال احد ارباب العلوم الهندسيَّة المحدثين : « انَّ الرياضيَّات أفخم بناء شيَّدهُ عقل البشر » . وهو قول صادقٌ لولا انَّ هذا الصرح الجليل لصعوبة مراقيهِ لم يدخلهُ سوى نوابغ القوم ممَّن خصَّهم الله بالعقول النيّرة والاذهان الوقَّادة .

على انَّ الرياضيَّات رغمًا عن علوّ مقامها اذا ما زاول فنونَها رجالٌ من ذوي الخبرة والحذق ربَّما اتت باعمالٍ عجيبة تخلب العقول وتأخذ بمجامع القلوب . وقد اجاد العرب في رسم الخطوط الهندسيَّة وضعوها على صور شتَّى واشكال متعددّة لا يتمالك ناظرها الَّا أن يُفتي بتقدُّمهم وبراعتهم في هذا الفنّ . وقد جمع بعض كبار المستشرقين ما وجدوهُ من هذه التصاوير الغريبة والخطوط العجيبة التي جرى عليها العرب في تركيب الفسيفساء والتطعيم والنقوش المختلفة . ولاحد هؤلاء العلماء المسيو ي . بورغوان (J. Bourgoin) كتاب بديع في بابهِ اودعهُ ١٩٠ صورة هندسيَّة نقلها عن نقوش عربيَّة قديمة وطبعها في باريس سنة ١٨٧٩ ودعاها « اصول الفنّ العربيّ » (Les éléments de l'art arabe) وكلّ هذه التصاوير مرجعها الى خطوط بسيطة اصطنعها العرب بالقاعدة والبيكار تروق العين مع اشتباكها وتداخل بعضها في بعض وهي مبنيَّة على خواصّ الاشكال المتعدّدة الزوايا من خمس الى ١٢ زاوية . ولكل صنف اقسام متعدّدة تنقسم اليها بهيئات بديعة . وكان العرب اذا رسموا هذه الخطوط يعمدون الى الاصداف او العاج او الحجارة المتلونة يركّبونها على الشكل الهندسيّ فتكون غاية في الحُسن . وقد ألحق المسيو بورغوان كتابهُ بعشر صور ملوّنة تظهر فيها الاشكال الهندسيَّة

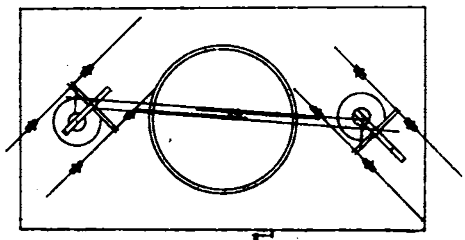
السابق نقلها بالوانها عن اعمال قديمة من الشَبَه والحديد والفسيفساء والخشب عثر عليها في الشرق لاسيَّا في القاهرة ودمشق



١



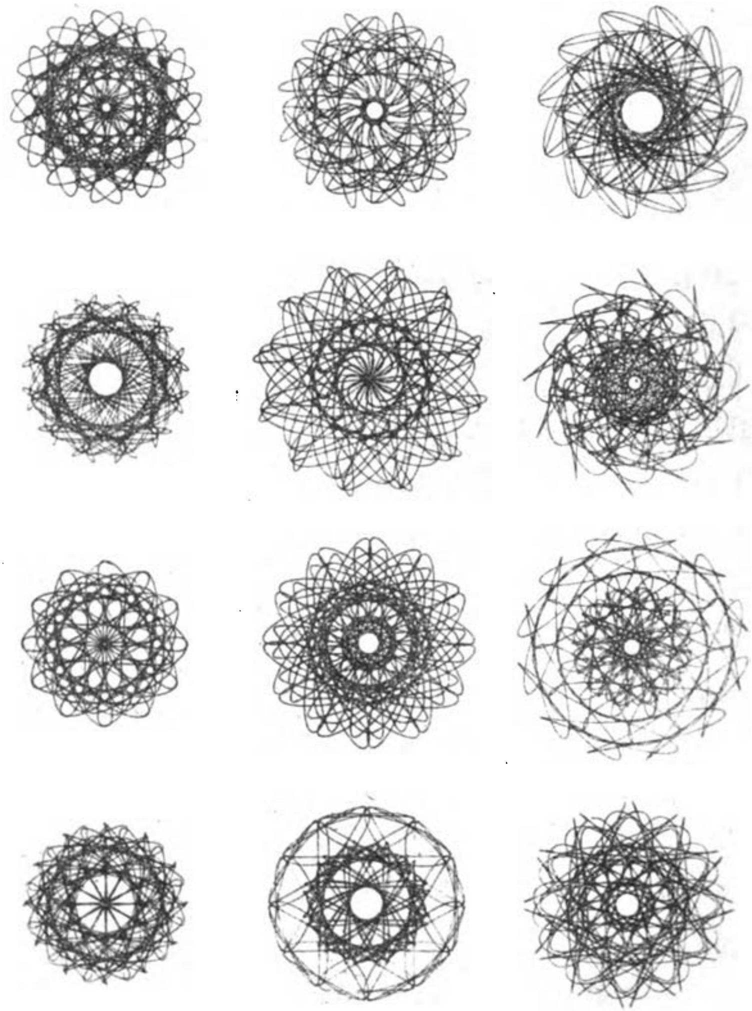
٢ المحرّك



٣ مبدّل الحركة

الشكل ١ . الكمبيلوغراف – الشكل ٢ . محرّك الكمبيلوغراف – الشكل ٣ . مُبدّل الحركة في الكمبيلوغراف

وقد جعلنا كلامنا السابق على الاشكال الهندسيَّة عند العرب كتوطئة لذكر آلة جديدة اخترعها الاب مرقس ديشڤرنس (M. Dechevrens) اليسوعيّ الذي ورد اسمهُ في العدد الاخير من المشرق (ص ٣٧٩). والاب الموما اليهِ من جهابذة العلوم الرياضيَّة والفلكيَّة احرز لهُ فيها فخرًا باذخًا. وكان سابقًا يتولَّى مرصد اليسوعيين في زيكاواي من اعمال الصين وتفنَّن فاخترع عدَّة آلات لرصد الآثار الجويَّة منها آلة دقيقة الصُنع اتّخذها مهندسو برج أيفل في باريس فجعلوها في اعلى قمَّتهِ لتدوين حركات الجوّ. ثمَّ استدعاهُ روساؤهُ لينشئ مرصدًا جديدًا في سنت هيليار (Saint-Hélier) من مصانع جزيرة جرساي الانكليزيَّة. وممَّا توفَّق الى ابتكارهِ قبل سنتين آلة تُعدُّ من آيات الله وعجائب المصنوعات قد دعاها « كمبيلوغراف » اي راسم الخطوط المنحنيَّة (انظر الشكل الاول)



اشكال هندسيَّة مرسومة بالكمبيلوغراف

واذا حاولنا وصف هذه الآلة بالاجمال قلنا انَّها عبارة عن مجموع ادوات الرسوم الهندسيَّة يُنال بهـا ما ينالهُ المهندس بالقلم والقاعدة والبيكار وبالآلات الاهليلجيَّة والسلجميَّة والبيضويَّة بحيث يصحُّ القول عنها انَّها تدوّن كلَّ الاشكال الهندسيَّة التى

يمكن اختراعها من ايّ درجةٍ كانت وكذلك ترسم كلّ الخطوط الجبريّة المنعطفة بسيطةً كانت او مركّبةً وربّما افضى تركيبها الى تشبُّك لا يمكن لأرباب الجبر والمقابلة حلّهُ بعمليّاتهم الجبريّة

ومن غريب امر هذه الآلة انّ صاحبها لا يحتاج الى صورة سابقة يرسمها اوّلًا ثم ينقلها بآلتهِ كما يُفعل بالپنتوغراف (Pantographe) وكذلك هو في غنًى عن الموادّ الهندسيّة الاولى التي تتركّب منها صور النظّارة المعروفة بالكاليدوسكوپ (kaléidoscope)٠ اما الكمبيلوغراف فانهُ يرسم بذاتهِ صورهُ بل يُبتدعها دون مثال سابق٠ ويكفي لصاحبهِ ان يجهزّ الآلة بأدواتها ويجعلها على هيئةٍ ما فتراها لساعتها تجري بقلمها وترسم الرسوم البديعة التي لم تخطر على بال مصوّر٠ واذا ابصرتَها عين الناظر في وقت العمل حسبت انّها تخطُّ خطوطها مشوّشةً دون قاعدة حتى اذا انتهت من العمل خرجت الصورة تامّة الأُهبة رائقة المنظر يمكن لارباب الهندسة ولاهل الطرازة والترصيع والنقش ان يتخذوها كمثالٍ لبدائع المصنوعات والفنون الجميلة

امّا عدد هذه الاشكال فيتجاوز كلّ احصاء٠ فانّ للاب ديشڤرنس آلةً تصوّر ١٠١٧ شكلًا هندسيًّا ويدخل تحت كلّ شكل عدّة اشكال ثانويّة لا يرى الرائي بينها تشابهًا الّا بعد النظر المليّ وقد رسمنا عددًا من هذه الصور تدخل في شكل هندسيّ واحد (اطلب الصفحة ٤٠٧)

*

وان طلب الينا القارئ ان نصف لهُ الكمبيلوغراف ونبيّن لهُ الى ايّ مبدإٍ استند مخترعهُ في تجهيزهِ اجبنا انّ هذه الآلة مبنيّة على مبدإٍ تركيب الحركات الاهتزازيّة القائمة الزوايا (composition des mouvements vibratoires rectangulaires) وهو يتركّب من قسمين جوهريّين من مُحرّك ومن مُبدّل الحركة

فالمحرّك (الشكل الثاني) عبارة عن كفّة (طارة) مستديرة افقيّة (د) تُدار بيدٍ (ي) وفي وجهها عدد من الدوائر المسنّنة٠ وعلى جانبي الكفّة طارتان صغيرتان فيهما ثلاث او اربع دوائر مسنّنة وفي الكفّة الكبرى جُرزان متحرّكان (bielles) ينقلان الحركة منها الى الطارتين الصغيرتين

امّا مُبدّل الحركة (الشكل الثالث) فالغاية منهُ ان يغيّر الحركة المتساوية في قطبَي

الطارتين الصغيرتين المتساوية الى حركة متذبذبة قائمة الزوايا (mouvement oscilla-toire rectiligne) وأن يجري بقلم رصاصي يقيّد حاصل الحركتين المتذبذبتين المذكورتين وهذا الحاصل يمكن تدوينهُ على ورق مثبت فوق الطارة الكبرى

وللكمبيلوغراف تجهيزان مختلفان الواحد بسيط تُنال بهِ الاشكال الناتجة عن تركيب حركتين او ثلاث حركات اثنتان منها قائمتا الزوايا والثالثة مستديرة متساوية. والتجهيز الآخر مركَّب تُنال بهِ كلّ الاشكال والصور الناتجة عن تركيب حركات مختلفة من الحركتين الى الخمس. وقد اسهبت المجلّات العلميَّة في بيان خواصّ التجهيزين معاً واثنت على سموّ مدارك صاحبهما

امّا خواصّ الكمبيلوغراف فهي عديدة منها اوَّلاً انَّها تصوّر على طريقة سهلة الاشكال المنسوبة الى العلّامة ليساجو (Lissajous) وكان هذا الطبيعيّ الشهير يرسم حركات دوزانين مصلّبين (diapasons croisés) فيبدّل حركاتها الاهتزازيَّة القائمة الزوايا الى حركات مستديرة او اهليلجيَّة او منحنية. وآلة الاب ديشڤرنس تفضل على آلة ليساجو من حيث توفُّر الاشكال وكمالها ودقَّتها

ومنها انَّها توسّع نطاق الجبر والمساحة اذ تولّد اشكالاً غريبة لم يفكّر فيها الرياضيُّون وهم اليوم يسعون في حلّ اسرارها المكنونة

ومنها انَّ اشكال هذه الآلة تصلح لجميع الفنون الجميلة والنقوش المستعملة في البناء والهندسة والفسيفساء والتطريز والتطعيم

ومن خواصّها ايضاً انَّهُ يمكن استعمالها في رسم الدوائر ذات المركز الواحد (cercles concentriques) وذات المراكز المختلفة (cercles excentriques) بتغيير وجهة بعض الادوات بلا كلفة ولا عناء

ومن خواصّ الكمبيلوغراف العجيبة التي وقف عليها الاب ديشڤرنس مؤخراً انهُ يمكنهُ ان يرسم كلّ الاشكال بهيئتين الواحدة سويَّة والأُخرى ناتئة بحيث ترى العين الخطوط كأنَّها مجسَّمة بعضها فوق البعض وذلك بتحوير خفيف في ادوات الآلة. وهي لعمري مزيَّة تزيد هذه الآلة حسناً وعائدةً. ولا يسعنا ان نختم هذه النبذة الَّا بشكر الخالق على ما اولى العقول البشريَّة من الذكاء فمكّنها من ايجاد مثل هذه العجائب الدالّة على قدرتهِ تعالى سبحانهُ فانهُ ربّ الجبروت المتعال وصاحب كلّ كمال

حبيس بحيرة قَدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تتمَّة)

ثم ان الاب يوحنا رفع بصرهُ الى السماء متوسلًا وكانت حركات شفتيه وهيأة عينيه الشاخصتين في العلاء تُشعر بانهُ يُصلّي بايمان عظيم وحرارة شديدة طالبًا من الحقّ سبحانهُ رحمةً ورأفة بمن عذَّبهُ ونكَّد عيشه. فيا لله ما كان اعجب منظر شيخ في الثمانين من سنه يبتهل من اجل جلّادهِ ومضطهدهِ

ولما شاهده الحضور على هذه الصفة اخذوا يأملون املهُ بل يوقنون مثلهُ ان الرأفة الالهيَّة حركت في الدقيقة الاخيرة قلب جوسلين على الانابة والندم علمًا منهم ان للرحمة والنعمة في بعض الاحيان أسرارًا خفيةً لا تبصرها عيون الناس لان الله عزَّ وجلّ قد يكشف نفسه عند آخر دقيقة من الحياة للنفوس التي كان معظم شقائها بجهلهِ فتكون آخر زفرة تصدر منها بمثابة نحيب يستدعي المغفرة من الذي يسبر اعماق القلوب

وهذا الامر عينه يحدث لالوف من النفوس التي تكون مديونة بالنعمة المذكورة لقوم مستترين من اهل التقى ونقاوة القلب ولا ريب ان الله تعالى لم يكن ليرفض هذه المنحة على حبيس البحيرة الذي كان يلتمسها دائمًا بصلوات وتضرعات متتابعة

ثم ان الامير رزق الله هتف قائلًا: عليَّ ان اعوض عما جرى. وعليك ايها الاب ان تترأس العمل فنتمم كلّ ما تأمر بهِ فنبتدئ بتجديد دير القديسة تقلا

— ما معنى كلامك فهل خرب الدير؟

— قد احترق بدسائس من قد طلبتَ لهُ رحمة المولى ورضوانهُ

— والرهبان ماذا جرى لهم؟

— تفرَّقوا تحت كلّ كوكب طالبين لهم ملجأً في جبل اللكَّام وجبل عكَّار

— والكنيسة والمكتبة اخبرني ماذا جرى لها؟

— قد اتلفتهما النار كما اتلفت سائر الدير

فلمَّا سمع الاب يوحنا هذه الكلمات الاخيرة تنهَّد متحيِّرًا وظهرت امائر الغم

والكآبة على ذاك الوجه الذي كان يحافظ دائماً على الهدوء والبشاشة لان البار المذكور وان كانت قد ماتت فيهِ جميع الاهواء البشريَّة من زمان مديد غير انهُ ما زال متعلقاً بالعلم وَلوعاً بهِ. ومع أنهُ كان قد نسي أُسرتهُ واوطانه ظلَّ كلفاً بدير القديسة تقلا فاهتمَّ اكثر من كل الروساء الذين سلفوهُ بان يجعلهُ مركزًا للعلم والتمدن الحقيقي في جبل النصيريَّة الذي يعرف الكلّ ما اختصَّ بهِ اهلهُ من الهمجيَّة والتوحش.وقد صرف عنايته بنوع خاص الى مكتبة الدير المذكور وجدَّ وكدَّ مدة طويلة من الزمان حتى جمع فيها عدداً من التآليف النادرة والتصانيف العزيزة المنال

وكان يرى ان للذين تعرضوا لاذاه اسباباً وعللاً تحملهم على ذلك لكنهُ لم يكن يخطر لهُ ببـال انَّهم يتصدون للكتب التي جمعها. ومما سبق بيانه ترى ان هذا الرجل العظيم وحيد دهره قد نظر ببصرهِ الثاقب الى علماء الزمان الحاضر الذين يجتهدون بقوَّة البحث والتنقيب في تحليل المشاكل التاريخيَّة لكنهم يتوقفون عنها لعدم وجود تصانيف يعوّلون عليها ولهذا فقد اجتهد مقـدَّماً في إعداد التصانيف المذكورة. غير انهُ خوفاً من ضياعها عُني بتكثير نُسخ الثمين منها وكان يظن انهُ بهذه الوسيلة قد ضمن بقاءهـا للعصور التالية ولم يخطر لهُ ببال انهُ سيندفع عليها غضب جوسلين ويُسلمها الى النار بواسطة طواغيته فمن ثم اصابه من الكآبة لدى علمه بحريقها ما لا يحيط بهِ وصفٌ

ودرى الامير رزق الله بما يمزّق قلبه من الآلام بسبب هذه الخسارة التي لا تعوّض فاحبَّ ان يصرف فكره عنها فخاطبهُ قائلاً:

هلمَّ نسافر الآن يا أبتِ. تعالَ نرجع الى لبنان الى هذه الارض التي تحتفي بنازليها وتحفُّهم بالاكرام. الى حيث ترى القلوب كلها مخلصةً لك. هلمَّ فاني محتاج الى مشوراتك ونصائحك تكميلاً للاصلاح الذي شرعتُ فيـهِ من زمان مديد. هلمَّ فعلِّمني هذه الصناعة الصعبة صناعة سياسة الناس وتدبيرهم...

— بل دعني أتعلَّم كيف أموت فقد مضى عليَّ خمسون سنة وانا اتمرَّس على هذه الصناعة وما اظنك تريد ان يلحق ادنى ضررٍ بالعمل الذي قضيتُ في انجاحهِ مثـل هذا الزمان الطويل. أَترك الشجرة حيث هي راقدة ولماذا كل هذا الاهتمام بالجسـد الترابي الحقير وبما ان دير القديسة تقلا قد خرب وانقطع الامل دون مشاهدة اخواني فيهِ فلم يعد من فائدة للسفر الذي تدعونني اليهِ. واذا كنتُ قد هجرت العالم في ايَّام

الشباب وعنفوان العمر فلا اشتهي ان اعود اليهِ وقد فني الجسم وانهدَّ الحيل . وبناء عليهِ لم يبقَ لي الَّا ان استعدَّ للسفر الابدي العظيم الذي قرب اوانه ودنا وقت حلوله

فاجاب فرا غريفون قائلًا: اننا جميعاً نأمل عكس ما تقول على انك اذا كنت مصمّماً على انفاق بقية العمر في الخلوة والوحدة فاي بأس عليك اذا اتيتَ الى جبل لبنان فاتخذتَ لك مقاماً إمَّا في وادي قنوبين او في وادي قديشا . هذا ما لم تتنازل لقبول الضيافة في محبستنا بمار سركيس بشراي فتوليني بذلك اعظم مسرَّة

امَّا الاب يوحنا فاجاب قائلًا : دعني يا اخي انتظر داعي العناية الالهيّة في المكان الذي انزلتني بهِ . واعلم ان جسدي الحقير لا يستأهل كلّ هذا الاهتمام . ثم انك تعلم ضعفه واسقامهُ فكيف يستطيع تحمُّل مشاقّ السفر

فقال المقدَّم: انَّا نحملك على اكتافنا بل في قلوبنا . قل كلمةً فنسافر

— اشكر لكم كل الشكر يا اولادي فاني غير مستحق لهذه المجاملة

— فقال فرا غريفون: ماذا نجاوب دوق بورغندية نسيبك فقد اوصاني في زيارتي الاخيرة لاوربة ان أُعلمهُ باخبارك

— قل لهُ ان الاب يوحنا قد مات لان موته صار منتظرًا من وقت الى آخر . وامَّا انتم يا اولادي الاعزاء فعودوا الى لبنان وحافظوا دائماً على وديعة الايمان وانزلوها منزلة أنفس الكنوز واعتبروها بتمام دقةٍ لاستقلالكم وحريتكم فقد طالما عادت على بلادكم بالعظمة والفخار . ترى ماذا يحل بكم لولا هذه الوحدة الثمينة الغالية . فمن اجل صيانتها بينكم لا تحجموا عن احتمال اكبر الضحايا . ولا تصيخوا الى دسائس الساعين في القاء الزؤان بينكم . يخاطبونكم عن الاستقلال الديني ونبذ التعلق بمركز الوحدة . . فاعلموا ان مصدر ذلك كلهِ الكبرياء والعجرفة والمبادىء التي تسوق الى الهلاك . واذا شئتم ان تتحققوا نتائجها المحزنة فانظروا فقط الى من حولكم وشاهدوا ما احدثتهُ في سائر الطوائف الشرقيَّة فتجزَّأت وتقسَّمت وفقدت الحياة الروحيَّة والعقليَّة وهيهات ان يتهيأ لها استرجاعها ما دامت على هذه الحال . واذا كان اللبنانيُّون قد تألفوا طائفةً فانهم قد توصلوا الى ذلك بانضمامهم الى رعاتهم المرتبطين اشد الارتباط بالكرسي الرسولي . ولو افترضنا انكم بقيتم منفردين ومتكلين على حيثيتكم الخصوصيَّة لما كنتم

شيئاً مذكوراً ولصرتم اشبه بقطرات قليلة ضائعة في اوقيانوس البشريَّة العظيم ولكنكم باتحادكم مع اخوانكم في المغرب تتقدمون بقوتهم

تذكروا ان رومية في ايَّامكم السود قد طالما عاملتكم نظير امّ رؤوف ولا يخفى عليكم ان الولد يشين نفسهُ اذا ما احزن قلب والدتهِ. انضمّوا اذًا حول رؤسائكم الروحيين والزمنيين اي حول بطريرككم الجليل مار بطرس (١ واساقفتكم اعوانه ومقدّمكم الباسل الامير رزق الله. اسمعوا نصائح فرا غريفون وفضائلهُ وبقاءهُ مدة خمس وعشرين سنة يشتغل فيها لصوالحكم بكل اخلاص (٢ تخوّلهُ الحق بان تكونوا لهُ اولادًا طائعين. الآن استودعكم الله ايها الابناء الاحباء وأُباركُكم من صميم قلبي».

ثم رفع يديه وعينيه الى العلاء.

وكان الامير رزق الله قد تأثّر كثيرًا من هذا الخطاب فصاح بجنوده فركعوا جميعاً كرجل واحدٍ وقبلوا بركة الاب يوحنا وهو يقول: بسم الاب... والابن... والروح القدس... امين.

وكانت هذه الكلمات آخر ما نطق بهِ فلم يستطع بعدها لا الامير رزق الله ولا فرا غريفون ان يزعزعا شيئًا من عزمهِ. وغاية ما امكنهما انهُ رضي بان يبقى لديه لاجل العناية بهِ احد اخوانهِ القدماء في الرهبانيَّة وهو الاب جرمانوس الذي مرّت اخبار اخلاصه لحبيس بحيرة قدس

خاتمة

انهُ قد مرّ على الحوادث التي سبق بيانها نحو من خمس وعشرين سنة وصار القرن الخامس عشر على وشك الانقضاء والزوال

وكان اكثر الذين مثّلوا ادوار هذه الرواية قد غابوا اثناء الفترة المذكورة عن ساحة الوجود. وكان الاب يوحنا حبيس بحيرة قدس اول من غادر الدنيا منهم لانهُ بعد مفارقة اعزّائهِ اللبنانيين لم يلبث طويلًا حتى ادرك نهاية المحن الارضيَّة مجيبًا داعي الله الذي استقدمهُ اليهِ ليكافئهُ على حياةٍ صرفها بالاوجاع والعذاب وخدمة البشر

١) سلسلة البطاركة (المشرق ١: ٣٥٠) ٢) المشرق ١٠. مقالتنا في فرا غريفون

باخلاص. وكما ان رجــلًا آخر عظيماً أتى بعده بنصف قرن اعني بهِ القديس فرنسيس كسافاريوس أتمّ انفاسه في جزيرة مقفرة اسمها سنسيان واقعة تجاه الصين هكذا الاب يوحنا اسلم روحه بهدوء في جزيرة بحيرة قدس غير انهُ كان أسعــد حظًّا من رسول الهند واليابان لانهُ مات بحضور الاب جرمانوس احد رفقائه القدماء في الرهبانيَّة

وظلّت وفاته مستترة غير معروفة نظرًا لما توالى من الحوادث الهامَّة في جبل لبنان فان الامير رزق الله حالما عاد من جبل اللكام أصابهُ داء غريب اعجز حيلة الاطباء في ذاك الزمان. وبما ان القوم في شرقنا يرون ان عظماء الدنيا لا يموتون كسائر البشر وان الامراض وحدها لا تقوى على ان تصرعهم مالوا الى القول بوجود سرّ في الداء الذي اصاب امير الطائفة اللبنانيَّة واخذ يسوقهُ بتدريج الى شفا القبر ولذلك كانوا في خلوتهم يتحدثون عن عبد المنعم ابن اخيهِ ويقولون بان لهُ يدًا في سقمهِ لكي يستبــد بالولاية بعده. على اننا لا نبحث الان في هل كانت اقوالهم صحيحة او فاسدة بل نقول انهُ بعد ان مضت بضع سنوات على حكومة المقدم رزق الله الموصوف بشجاعته واصـــالة رأيه وقويت آمال الرعية بحسن المآل وازدهار الاستقبال رزح المشار اليهِ تحت عبء المهمة التي وليها فكانت لوفاته رنَّة اسف شديد في جميع انحاء لبنان لاسيما لان الولاية أفضت من بعده الى ابن اخيه عبد المنعم (١ مقدم جبيل الذي مرَّ من اخباره ما هو كافٍ لاطلاع القرَّاء على سوء حاله فهذا ما كاد يتولى شؤون الجبل حتى عادت اليـــهِ القلاقل والاضطرابات المدنيَّة والدينيَّة بل اشتدّ الخوف ايضاً من استفحال امر اليعاقبة الذين كان يعضدهم لولا ان الاب يوحنا وفرا غريفون كانا قد خلّفا وريثًا لغيرتهما اعني بهِ جبرائيل ابن القلاعي الذي عاد وقتئذٍ الى لبنان فافحم المراطقة بسديد اقواله (٢. وهكذا حافظت الطائفة المارونيَّة هذه المرَّة ايضاً على وحدتها التي كثيرًا ما عمل الاعداء على نقضها بمساعيهم الخبيثة

وبعد وفاة حبيس بحيرة قدس وامير بشراي جاءت نوبة صديقهما فرا غريفون فان هذا الرسول المقدام لمَّا كان قد كُلِّف من قبل البلاط البابوي ودوق بورغندية بقضاء مهمَّة في بلاد العجم أبى ان يعتذر بكبر سنّهِ البالغ ٧٥ عاماً فركب البحر قاصدًا طيّتهُ

١) الدويهي : تاريخ الموارنة ٢) الدويهي والمشرق

ولكنهُ ما كاد يصل الى جزيرة قبرس حتى أُصيب بمرض الموت (١ فقضى هناك نحبهُ وافكاره متجهة الى لبنان الذي قد طالما احبَّهُ ووقف عليهِ اعزَّ سني حياتهِ واثمنها

على ان اللبنانيين لم ينسوا تذكار هـذا الرجل العظيم فان بطريركهم لما كتب في القرن السادس عشر الى البـابا لاون العاشر سأَلهُ ان يبعث اليهِ مرسلين يضاهون فرا غريفون في غيرته (٢

واما زين وراحيل فكانا يعيشان في قصر البترون بسلام ووئام محفوفين باولادهما وكانا قد انقطعا الى حسن تدبير الرعية التي سُلمت اليهمـا والعناية بايرادها موارد السعادة والهناء. فجاء خبر وفاة الاب يوحنـا أشبه بسحابة صيف طرأت على جوّ افراحهما الذي لم تعرُهُ منذ اتحادهما شائبة كدر ولا نزيد بهذا ان معرفتهما لجميل ذاك الرجل البار قد ثقلت عليهما أَو انهما ذهلا ما هما مديونان بهِ لعنايته الابويَّة بل المقصود ان الحزن هو كسائر العواطف البشريَّة لا يستتبّ لهُ دوام. والحق يقال انهُ لا شيء ينشف سريعاً مثل الدمع وان الانسان لا يقوى على تخليد أَحزانهِ ولو كان يؤكد أحياناً بالأقسام المحرَّجة انهُ لا ينساها

وكان الموارنة قد شرعوا في ذاك العصر يستوطنون جبـال كسروان محتلّين شيئاً بعد شيء. هذه الناحية التي كانت قد اوشكت ان تُقفر بعـد الحملة المشهورة على سكانها (٣ القدماء. وكان ذلك بداية لانتشارهم في جنوبي لبنـان حتى أدَّاهم الامر مع كرور الازمان الى احتلال قسم كبير منهُ

وكان النصيريَّة بعد طردهم من عكار وجبل لبنان قد تجمعوا في جبل اللكام واستأنفوا المعارك القديمة مع الاسماعيلية حتى انجلى الامر اخيرًا عن انتصارهم نظرًا لوفرة عددهم (٤ وكانت امائر الانحطاط على الاسماعيليَّة قد ظهرت من قبل ثم اخذت تزيد ظهورًا في القرون التابعة منذرةً بقرب تلاشيهم من سوريَّة

اما دير القديسة تقلا فبقي خرابًا لانهُ لم يجسر احد على تجديده من بعد اختطاف

---

١) المشرق

٢) تواريخ رهبنة مار فرنسيس

٣) تاريخ بيروت لصالح بن يحيى ومقالتنا في نصيرية لبنان (مجلة الشرق المسيحي)

٤) راجع مجلة الشرق المسيحي ثمَّ رحلتنا الى بلاد النصيرية ومجلة الابحاث

الاب يوحنا وكذلك قصر القليعة الواقع بالقرب منهُ اصبح مأوى للوحوش بعد وفاة جوسلين ولم يبقَ منهُ اليوم سوى طلل دارس (١

وقصارى القول انهُ في مدة ربع قرن من الزمان حدث تغيير عظيم في لبنان وسوريّة المتوسطة ولم يبقَ شيء ناجياً من التغيير سوى الطبيعة وحدها فان مياه بحيرة قدس استمرّت تتلألأ بلا انقطاع تحت سماء صافية الاديم زرقاء الاهاب

وكذلك ضفافها المخضلّة بالنبات ما فتئت حركة الحياة منتشرةً في أرجائها لان اسراباً كبيرةً من الجواميس ما برحت ترعى في منابت القصب الواقعة غربي البحيرة وهكذا الطيور ظلّت تغرد في الآجام المطيفة بمنعرجات العاصي. وكانت قبة تلّ نبي مند تظهر دائماً بيضاء بين الخضرة الكثيرة التي تكتنفها

اما جزيرة بحيرة قدس فازدادت وحشةً لان القوارب ما عادت تقربها من بعد وفاة الاب يوحنا فلم يكن يأتيها سوى قوم قلائل من الفلاحين من اهالي كفر عبده وسومارية يذهبون اليها في ايام البذار والغلال على ظروف ينفخونها لاجل ان يزرعوا ما فيها من الاراضي القليلة الصالحة للبذار

وكان في قمة التلّ بالقرب من الكوخ الحقير الذي اتخذه الاب يوحنا لسكناه ركام من الحجارة البركانيّة يعلوه صليب من الخشب ويظلّل الصليب بعض اشجار من الخلاف. وكان كل صباح ومساء يأتي الى هناك رجل مسنّ فيركع ويقضي الساعات الطوال متأملًا ومصلياً. ومتى همّ بالانصراف يسجد مقبّلًا تلك الحجارة السوداء. وكان الرجل المذكور طويل اللحية مبيض الشعر مرتجف القدم وهو الاب جرمانوس الذي سبق الكلام عليهِ في هذه الرواية وكان آخر رفقاء الاب يوحنا واوفى اصدقائهِ فكان كل يوم يأتي المحل المذكور على ما تقدم الوصف زائرًا ضريح صديقه ومصلياً عنده ومتوقعاً اليوم الذي يستطيع فيهِ هو ايضاً ان يرقد رقاده الاخير الى جانب معلمه وصديقه حبيس بحيرة قدس

(تمّت)

---

١) مجلة الشرق المسيحي

اغاني

أسرى البوير في جزيرة القديسة هيلانة

بقلم حضرة الكاتب الاديب شبلي افندي ملاط محرر جريدة النصير

لازمة

حيّا ترابَ الوطنِ من دمعنا كلُّ صبيبْ
حيث ثوى في الكفنِ كلُّ نسيبٍ وحبيبْ

نحن هنا في المأسَرِ نشكو عذاب المهجرِ
ومن عيونِ الخفَرِ يحفُّنا كلُّ رقيبْ

يقول ناموا عندما تودّعُ الشمسُ السما
فنذرف الدمع دِما بين صباحٍ وغروبْ

وكيف يغشانا الرقادْ ومهدُنا شوكُ القتادْ
وفي الحشى حزن البلادْ احرُّ من ذاتِ اللهيبْ

والموج يشكو للصخورْ بين انينٍ وزفيرْ
شكوى اسيرٍ يستجيرْ بالصخرِ والصخرُ صليبْ

الله ما من موطنٍ فكلُّنا ناهٍ غريبْ
وما لنا من مسكنٍ نأوي اليهِ في الخطوبْ

لازمة

هيا بناتِ الأُسْدِ واجززنَ معقوص الشعَرْ
والبسنَ كلَّ اسودِ والبَسنَ ما طال الدهَرْ

فما بناتُ العربِ في سالفات الحقُبِ
اشدَّ يومَ الحرَبِ منكنَّ عزماً او احرْ

فقد كتبنا للشعوبْ بالدم اهوالَ الحروبْ
ولم نجد فيهم مجيبْ للسلمِ والحقّ انتصرْ

والضيم تأباه صدورْ فيها دم العزِ يفورْ

فاترلْ على العزّ القبورْ فهيَ بهِ خيرُ مقرْ

ونحن آســادُ الاجمْ شمٌ عرانينِ الهمم
ونحن انواء الكرمْ وانجم الخُلـقِ الاغرْ

ونحن يوم الجلَـدِ بالبأس ابطال البشرْ
من كلّ ليثٍ اصيدِ بالحزم والحلم اشتهرْ

لازمة

ليس لنا غيرَ الرياحْ رُســل التشاكي والحنينْ
فإنْ سرت قلنا نواحْ وإن غدتْ قلنـا انينْ

فأبلغي عنّا الحبيبْ يا ريحُ اشواقًا تذيبْ
فانّنـا بينَ الوجيبْ في الاسرِ نشتاق المنونْ

ظلمٌ وهجرٌ وقيودْ نفيٌ وقتلٌ ووعيدْ
وكلّهُ يحيي العهودْ فينا لأَواْنا الحزينْ

فيـا نجومًا تطلعُ على اسودٍ تُصرعُ
قولي لهم ما نصنعُ قولِي لنـا ماذا يكونْ

ويا سمـاء تُشرقُ أمَا بنـا من يرفقُ
أما كفى مـا يُهرقُ من دمنا الغالي الثمينْ

ويا صناديد الكفاحْ معاشر العزم المكينْ
ألا رجـاء بالنجـاحْ والنصرِ والفتح المبينْ

ويا ضحايا في الرموسْ طوباكِ ما بين النفوسْ
لا تقلقي من الانيسْ فهو عويلٌ ونحيبْ

ويا ثرى تلك العظامْ رَحِّبْ بها فهيَ عِظامْ
فقد قضت وهيَ كرامْ ودونهـا صعب الظفرْ

ويا على تلك الرِممْ سـلام انفاسِ النسَمْ
ويا سقى دمعُ الديمْ من اهلنـا كلَّ دفينْ

محادثة ثالثة لغويّة

لحضرة الاستاذ رشيد افندي الشرتوني محرّر البشير ومدرّس الخطابة في كليّة القديس يوسف

جرت هذه المحادثة بيني وبين الشابين اللذين عرفهما القرّاء واسم الاول ثعلبة وهو مكابر عنيد اتخذ المواربة والمماحكة سلاحًا لنصرة شيخه. واسم الثاني عَقل وهو من الذين صفت اذهانهم وكرمت اخلاقهم ليس لهُ مطلب غير الحق واليك ما دار بيننا من الكلام:

(ثعلبة) ما كنت أُريد زيارتك اليوم غير اني اطلعت في المشرق على رواية ما جرى بيننا من الحديث في بعض المسائل اللغوية فجئتك عاتبًا على نشر مثل هذه الامور في مجلّة سيّارة

(انا) لا داعي لعتبك لانني لم أُسمِك وقد نشرتُ ما نشرتهُ خدمةً لبعض الكتبة لئلا يضلّوا باقوال شيخك وينخدعوا بزاعمه التي لا سند لها سوى رأيه القائل. ومع ذلك فانا مستعدٌ للتصريح باسمك في المشرق اذا عدتَ الى ما كنت عليهِ من المكابرة

(ثعلبة وقد احمرَّت عيناه) اطلب منك قبل كل شيء. ان تحترم الشيخ ولا تتجرأ على مقامه واذا ذكرتهُ فبخزْ فمك...

(انا) ارى انك عائد هذه المرّة بنغمة جديدة فاذا كان غرضك ان تنقلب هذه المحادثة الادبيَّة الى مشاجرة ومناقرة فما انا من اهلها فارجع الى حيث أتيت واكفني شرَّ لقياك

(عقل) ما هذه الَّا بادرة فرطت منهُ على غير قصد وقد دفعهُ اليها اعتقادهُ ان شيخهُ من اهل العلم باللغة فاسألك ان تغتفرها لهُ

(انا) ان من كان عاقلًا ينبغي ان يبني اعتقادهُ على أساس فان لم يفعل كذلك حُسب جاهلًا

(عقل) هذا هو الصواب بل هو شان كل امرئ لديهِ مسكة من عقل

(ثعلبة) لقد اظهرتُ ترَفًا في غير محله فاسألك ان تتجاوز عمّا فرط وتأذن لي ان اسألك عن بعض الكلم

(انا) اسأل عما بدا لك

(ثعلبة) هل يقال خَفَرتُ ذمّتهُ

(انا) نعم يُقال

(ثعلبة) اما قرأت المقالة التي كتبها العلامة اللغوي الشهير (!!!) الشيخ ابرهيم اليازجي في مجلة الضياء وفيها غلّط ابن معتوق في بيته المشهور الذي يقول فيهِ: « خفرتْ بسيفِ الغنج ذمَّةَ مغفري »

(انا) نعم قرأتها ورأيت ان هذا الشيخ الذي يدّعي بسطة العلم ويتطاول على جهابذة الشعراء ومشاهير اهل الانشاء قد غوى وضلّ فقد زعم انهُ لا يقال « خَفَر ذمّتهُ بل أخفرها وخَفَر بها » وهو زعم غير صحيح

(عقل) قد عرفتني انظر الى القول لا الى القائل ولا يتغلّب عليّ الّا البرهان فهل لك ان تثبت قولك بدليل

(انا) أليست كتب اللغة واستعمالات البلغاء هي الحكم الوحيد في هذه المسائل

(عقل) بلى ولكن هل من لغويّ يقول انهُ يجوز استعمال « خَفَر » متعدّيًا بنفسه الى الذمّة ونحوها

(انا) هذا ابن منظور الذي كان من ايمة اهل النحو واللغة يقول في كتابهِ لسان العرب المشهور : « خُفِرت ذمّتهُ فلان خُفورًا اذا لم يُوفَ بها ولم تتمّ وأخفرها الرجلُ وقال الشاعر :

فواعدني واخلف ثمّ ظنّي وبئس خليقة المرء الخُفورُ

وهذا من خفرتُ ذمّتهُ خفورًا »

(ثعلبة) وهل يصحّ الاعتداد بكلام رجل واحدٍ ؟

(انا) نِعمَ المماحكة خصلتُك واذا كان لا يرضيك ابن منظور وحده فاسمع ايضًا ما جاء في التاج في مادة خَفَر : « قال شمَرٌ خُفِرتْ ذمّةُ فلان خفورًا اذا لم يُوفَ

بها ولم تتمّ وأخفرها الرجل » فهل تكتفي بهاتين الشهادتين ؟

(ثعلبة) أُريد ان تأتيني بكلام مؤلف شهير او شاعر نحرير استعمل خفَر متعديًا بنفسه

(انا) ان اول شاهد هو بيت ابن معتوق الذي تقدم ذكره وكل احد يعلم ان لابن معتوق منزلة كبيرة بين الشعراء واهل الادب

(عقل)حانَ لك ان تعرف طبع ثعلبة فزده شهادة أُخرى ثمَّ خلهِ وشأنه قنع او لم يقنع

وكان بين يديَّ اذ ذاك نهاية الارب في فنون العرب للنويري فاخذت أُقلبهُ فقرأت فيهِ في الفصل المتضمن اخبار دولة بني عباد هذه العبارة : « كيف تتحدث القبائل عنا اذا قتلنا ضيفنا وخفرنا ذمّتنا »

اما ثعلبة فوجم غيظًا وكمدًا وودَّ لو ساخت بهِ الارض قبل أن يقرأ كلامًا يتضمَّن فضيحة شيخهِ . وأمَّا عقل فلمَّا رأى منهُ ذلك أخذ يطارحني بعض الاسئلة على الوجه الآتي :

(عقل) ان المقالة التي كتبها صاحب الضياء في الانتقاد على كتبة الجرائد قد جمعها احد الادباء وطبعها على حدة واليوم وافاني ثعلبة واهدى اليَّ نسخةً منها فقرأت في الصفحة ٢٦ منها ما نصهُ : « يقولون هذا الامر يحدو بي الى كذا اي يسوقني اليهِ فيعدون الفعل الى الشخص بالباء والى الامر بإلى والصواب تعديته الى الاول بنفسه لان اصلهُ من حدو الابل . . . الخ »

(ثعلبة) يا ليت الشيخ ابرهيم لم يكتب هذه المقالة فقد جرَّت عليهِ الوبال واسقطت منزلته عند العارفين فقد بينتَ لهُ فيها حتى الان نحو ستين غلطة مع أنها لا تزيد على ستين صفحة . وماذا يعمل مريدهُ اذا اراد الدفاع عنهُ واقوال اللغويين واستعمالات البلغاء متظاهرة على تخطئتهِ ؟

(انا) اتظن ان في هذه المقالة ستين غلطة فقط قوِّ قلبك وقل فيها مئة وستون بل اكثر من الاغلاط التي ارتكبها شيخك . وسأُوضح لك هذا كلهُ تباعًا وأنشر محادثاتنا في المشرق ليطلع عليها ايضًا من لهم اهتمام بهذه الامور

(عقل) ارى انك قد ذهلت الجواب على سؤالي

(انا) إِسمع ما جاء في لسان العرب: «حدا الابل وحدا بها زجرها خلفها وساقها» وقال صاحب التاج: «حدا الابل وحدا بها حَدوًا وحُداء وحِداء زجرها وساقها»

(عقل) تكفيني شهادة هذين اللغويين العظيمين فانهما يصرحان بان حدا تتعدى الى الشخص بالباء فزعم الشيخ ابرهيم اذًا مردود لا يصححهُ لا استعمال البلغاء ولا كتب اللغة

(ثعلبة) احكي لك الصحيح اني أُحب الشيخ

(انا) وانا كذلك احبهُ فان السيد المسيح أَمر ان نحب كل الناس حتى الاعداء. فكيف لا نحب الشيخ ؟

(ثعلبة) قلت لك قبلًا انك من الجزويت واكرر الان قولي لاني كيفما خاطبتك تضيّق عليَّ ابواب الجدال حتى تحصرني اخيرًا في مكان حرج لا يُستطاع فيهِ غير التسليم وهو مما يشقّ عليَّ

(عقل) بقيت كلمة واحدة احبُ ان استفهمك عنها وهي كلمة «صُفار» فان اليازجي غلّط مجير الدين بن تميم في استعمالها حيث يقول:

وما كان هذا لونها غير انها علاها لطول الانتظار صفارُ

وعدّ ذلك غريبًا من مثله لان مقتضاهُ ان يقول صُفرة وان الصفار لغة عاميّة

(انا) ان الشيخ قد حكم على هذه اللفظة كما حكم على غيرها عن قلة تروية وعدم تحقيق ولو راجع امهات اللغة لكُفي هذه الزلّة التي اضافها الى سائر زلّاتهِ فقد قال ابن منظور: «الصُفار صُفرة تعلو اللون والبشرة» وكثير من الكتبة والشعراء استعملوا ايضًا هذا اللفظ ومنهم الارجاني حيث يقول:

وما كان لون التبر ذاك وانما علاهُ لخوف الجودِ منك صفارُ

قلت هذا والتفتُ الى ثعلبة فرأيتهُ قد تغيّر لونهُ والدمعة تجول في عينيه من شدة غيظهِ ثم ودّعني وقال لن اعود الى جدالك مرّة أُخرى وتبعهُ عقل يسلّيهِ ويسألني ان يعود اليَّ بعد اسبوع لمسائل لغويّة

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ (لاحق بسابق ٥ : ٦٩)

فنّ الطباعة في الجزيرة والعراق

لم ينل فنّ الطباعة في الجزيرة والعراق ما نالهُ في الشام من النماء واتّساع النطاق وذلك لصعوبة نقل الادوات الطبعيَّة الى تلك البلاد القاصية. واكثر ما زها هذا الفنّ في مدينة الموصل وبها نفتتح تاريخ الطباعة في تلك الجهات

المطابع في الموصل

١ (مطبعة الآباء الدومينيكيين) اوَّل مَنْ اغنى قاعدة ديار الجزيرة بصناعة الطبع حضرات الاباء المرسلين من رهبانيَّة القدّيس عبد الاحد وكان حلولهم في الموصل سنة ١٨٥٦ وذلك بايعاز مجمع انتشار الايمـان الذي عهد الى الآباء الفرنسويين منهم بتدبير هذه الرسالة وكانت سابقًا في عهـدة الدومينيكين الايطاليين. فما استقرَّ قرار هؤلاء المرسلين الافاضل في حاضرة الجزيرة حتى فكَّروا في انشاء مطبعةٍ تساعدهم في القيام باعباء مأموريَّتهم الروحيَّة. ومن ثمَّ باشروا منذ السنة ١٨٥٩ في تعداد لوازم الطباعة وحاولوا اوَّلًا نشر بعض كريسات بالطبع الحجريّ لم تحقّق آمالهم

وكان اذ ذاك السيّد المفضال هنري امانتون قاصـدًا رسوليًا على ما بين النهرين. فاعجبهُ فكر المرسلين وكان رأى في بيروت رأيَ العيـان ما نالهُ اليسوعيُّون من المنافع الروحيَّة الجمّة بمطبعتهم الحديثة لنشر التعاليم الدينيَّـة وردّ التهم البروتستانيَّة. فاخذ يسعى في تحقيق امانيهم ولم يألُ جهده حتى فاز بالمرغوب. ففي سنة ١٨٦٠ اذ كان في باريس طلب الى جمعيَّة مدارس الشرق ان تخصّص لهـذا المشروع الخطير مبلغًا كافيًا. فلبَّت الى دعوته واعطتهُ ٦٠٠٠ فرنك صرفها في استجلاب مطبعة مع ما يلحق بها من الادوات واقتنى ايضًا حروفًا عربيَّة وسريانيَّة وفرنسيَّة من حروف دار الطباعة العموميَّة في باريس وحروفًا كلدانيَّة من مطبعة الانكليكان في اورمية من اعمال العجم

فنُقلت هذه الادوات بعد الجهد الجهيد الى الموصل وجُهّزت لها ردهةٌ خصوصيَّـة جُعلت فيها. وكان اوَّل مدير لهذه المطبَعة احد المرسلين الافاضـل الذي خدم تلك

الرسالة نحوًا من اربعين سنة بهمّة لا تعرف الملل وهو الحبر النبيل الذي يتولّى اليوم بغيرة مشكورة مهامّ القصادة الرسوليَّة في سوريَّة السيّد الجليل كُلس دوقال فانهُ تحفَّز اذ ذاك للعمل وجعل ثقتهُ في الله وباشر الامر باقدام

وقد وجد المدير المذكور مُساعدًا جديرًا بتنظيم المطبعة وإرشاد فعلتها في اخٍ فاضل من الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة يدعى يوسف كان اصلهُ من دياربكر ترهَّب عند الآباء الفرنسيسيين واحكم في مطبعة القدس الشريف صناعة الطبع. فارسل هذا الراهبَ روساؤهُ الى الموصل وبقي سنةً كاملة فيها يهندم مطبعتها ويعلِّم الشغل عمَّالها من صفّ حروف وسَبكها وطبعها بدقَّة وجلاء.

وكان اوَّل كتاب برز من تلك المطبعة كتاب رياضة درب الصليب سنة ١٨٦١ وفيها طُبع ايضًا عن نسخة رومة العظمى كتاب تحفة الزهور الذكيَّة. ثمَّ مختصر في الجغرافيَّة عرَّبهُ القس يوسف داود السريانيّ الموصلي. وقد لقي حضرات الآباء الدومينيكيين في هذا الكاهن المفضال احسن عضد لتأليف الكتب وتعريبها واصلاحها مدَّة نيّفٍ وعشرين سنة حتى رُقّي الى كرسيّ اساقفة دمشق. ولغبطة السيّدين الجليلين البطريركين اغناطيوس افرام رحماني وجرجس عبد يشوع خياط الايادي البيض في نجاح هذه المطبَعة الموصليَّة وترقيتها كما سترى في قائمة كتبها الوارد ذكرها

وفي سنة ١٨٦٢ عاد الاخ يوسف الراهب الفرنسيسي الى ديرهِ في القدس الشريف مزوَّدًا بشكر المرسلين وخلفهُ في نظارة المطبعة الاخ الدومينيكيّ ريموند ميزون (R. Mizon) كان ذهب في اثناء اقامة الاخ يوسف في الموصل الى مطبعة اورشليم واخذ عن اصحابها الافاضل فنون الطباعة حتى صار كفوءًا لاتقان اشغالها كافةً. فلمَّا عاد الى الموصل استلم ادارة المطبوعات فبلَّغها بعد سنين قليلة غايةً في الحسن والضبط استحقَّت ثناء ارباب الطباعة الشرقيَّة والغربيَّة معًا. وممَّن آزرهُ في عملهِ بعض صَنَعة الموصل نخصُّ منهم بالذكر رجلًا بارعًا يُدعى سليمان بذل نفسهُ في صوالح المطبعة وادَّى لها خدمات عديدة تُذكر الى اليوم فتشكر. ومن اعمالهِ انهُ اصطنع طرزًا جديدًا من الحروف واتَّخذ لها اُمهات وسبكها سبكًا حسنًا بحيث تقرُّ العين لنظرها

ولم تزل المطبعة الدومينيكيَّة مذ ذاك الحين تترَّقى مراقي النجاح وتستجلب من الادوات ما يزيد مطبوعاتها حسنًا. وكذلك جهزَّها اصحابها الكرام بمعامل لتجليد

الكتب وتذهيبها يعدّها كل من يراها من افخر معامل الديار الاوربيّة. وكان الفضل في ذلك الى الاخ دومينيك لوبيار (D. Loubière) الذي كان اتقن هذا الفنّ في مطابع البروبغندا الشهيرة

ولمّا صارت ازمّة الرسالة الدومينيكيّة في بلاد الجزيرة الى نيافة السيّد دوڤال خلفهُ في المطبعة حضرة الاب دوميني (Dumini) ثمّ حضرة الاب بُنْت (Bonte) الذي كان متوليًا شؤونها في تشرين الآخر من سنة ١٨٩٥ لمّا اسعدنا الحظ فزرناها ورأينا بالعيان فوق ما سمعناهُ عنها بالآذان. والاب بُنت هو اليوم رئيس دير رهبانيّتهِ في سعرت منذ السنة المنصرمة ولا نعلم من يدير المطبعة بدلًا منهُ. ودونك الان قائمة منشورات هذه المطبعة على حسب موادّها:

١ (الكتاب المقدّس واللاهوت والتعليم الديني) ١ً الكتاب المقدس يحتوي الاسفار الالهيّة كلّها في اربعة اجزاء تعريب الطيب الذكر القس يوسف داود (السيّد اقليميس داود مطران دمشق) بالقطع الربع (١٨٧١–١٨٧٧ . ص ٢٥٠٧) = ٢ً طبعة اخرى في ٦ مجلّدات (١٨٧٤–١٨٧٧ . ص ٢٨٠٦) = ٣ً العهد الجديد طبعة متقنة مع تصاوير (ص ٧٤٤) = ٤ً مزامير داود (١٨٩٢ . ص ٢١٢) = ٥ً الاناجيل المقدّسة الاربعة بقطع صغير (١٨٩٣ . ص ٥١٨) = ٦ً قصص الرسل (١٨٩٣ . ص ١٦٦) = ٧ً رسائل مار بولس (١٨٩٩ . ص٥٦٧) = ٨ً الدرّة النفيسة في بيان حقيقة الكنيسة للسيد قورلّس جنام بني (١٨٦٧ . ص ٣٢٢) = ٩ً رسالة المقدّمة والنتيجة في حقيقة عقد الخطبة وعقد الزيجة للقس يوسف داود (١٨٧٤ . ص٧٦) = ١٠ً مختصر صغير في التعليم المسيحي (طُبع طبعات متعدّدة . ص ٤٨ بقطع صغير) = ١١ً مختصر التعليم المسيحي (ص ١٩١ بقطع صغير طبع ست طبعات) = ١٢ً خلاصة التعليم المسيحي . هو التعليم المنسوب الى السيد امانتون عرّبهُ القس يوسف داود (١٨٦٣ . ص ٣٢ + ٢٥٤)

٢ (الخطب والكلندارات والقوانين) ١ً كتاب التراجيم السنيّة للاعياد المارانيّة لاليّا الثالث البطرك النسطوري المعروف بابي الحليم . عُني بطبعهِ وشرحهِ القس يعقوب (المطران ميخائيل نعمو) بقطع الثمن (١٨٧٣ . ص ٣١٢) . ولهذا الكتاب جزء ثان هو الآن تحت الطبع = ٢ً كتاب الخطب الباهرة والمواعظ الزاجرة للاب بولس سنيري اليسوعي . تعريب قدم نقحهُ القس يوسف داود (١٨٧٠ . ص٩٠٧ وطبع ثانية ١٨٨١ . ص٩١٣) = ٣ً كتاب المواعظ السديدة الاديبة في تثقيف المسيحي في طريقتهِ الدينيّة لهُ (١٨٩٣ . ص ٩٢١) = ٤ً نبذة من القوانين منقولة من المجامع المقدسة لفائدة الاكليروس السرياني الموصلي (١٨٧٢ . ص ٤٩) = ٥ً كلندار السنة لابرشية الموصل السريانية جمع بامر السيد جنام بني (١٨٧٧ . ص ٢٥٤) = ٦ً كلندار حسب طقس الكنيسة السريانية الانطاكية (١٨٨٧ . ص ١٤٤)

٣ (تراجم القديسين) ١ً سيرة القديسين تأليف القس يوسف داود (١٨٧٣ و ١٨٩٠

جزءان . ص ١٦٥٠) = ٢ً سيرة اشهر شهداء المشرق (١٩٠٠ . ص ٤٥٣) = ٣ً كتاب سيرة مار فرنسيس الاسيسي عرَّبهُ من الايطاليَّة احد الآباء الكبوشيين (١٨٦٤ . ص ٤٠٠) = ٤ً سيرة مار عبد الاحد منشىء رهبانيَّة الواعظين للاب لاڤي الدومينيكي (١٨٦٦ . ص ٣٨٢) = ٥ً الزهرات القدسيَّة المقطوفة من جنَّة مار عبد الاحد (١٨٦٧ . ص ٤٥٣) = ٦ً سيرة القديسة تريزة (١٨٦٧ . ص ٦٣٠) = ٧ً سيرة مار افرام جمعها احد قسوس السريان الكاثوليك (١٨٨٣ . ص١١٨) = ٨ً اسطاخيوس القائد الروماني (١٩٠٠ . ص ٣٢٤)

٤ كتب روحية وتأمُّلات) ١ً تحفة الزهور الذكيَّة للنفوس العابدة المسيحيَّة عن طبعة رومية (١٨٦١ . ص ٥٢٣) = ٢ً زوَّادة النفس التقيَّة في طريق الحياة المسيحيَّة (طبعة رابعة ١٨٨٧ . ص ٣٦٣) = ٣ً كتاب الحرب الروحية عرَّبهُ الاب بطرس فروماج اليسوعي (١٨٦٨ . ص ٤٠٨) = ٤ً كتاب يشتمل على تاملات يوميَّة للقديس الفونس ليكوري ترجمة جديدة للقس يوسف داود (١٨٦٠ . ص ٣٤٠) = ٥ً كتاب الواسطة العظيمة الخلاص لهُ (عن الطبعة الرومانيَّة (١٨٧٠ . ص ٣٥٣) = ٥ً المنتخبات الكمبيسيَّة في السيرة القدسيَّة . تعريب القس عبد الاحد جرجي (١٨٩٨—١٩٠٠ ثلاثة اجزاء . ص ١١٦٠) = ٦ً مجموع تساعيَّات لافضل اعياد السنة لاحد الآباء الكبوجيين (١٨٦٩ . ص ٢٨٠) = ٧ً الكينارة الصهيونيَّة لتسبيح العزَّة الالهيَّة . جمعهُ ونقَّحهُ القس يوسف داود (١٨٦٤ . ص ٤٣٥ ثم ١٨٩١ . ص ٣٧٣) = ٨ً شرح مختصر في الرهبنة الثالثة الدومينيكيَّة (ص ١٦) = ٩ً ملخَّص اخبار الرهبنة الثالثة (١٩٠٠ . ص ٢٦٠)

٥ (كتب تعبُّدات) ١ً كتاب رياضة درب الصليب (١٨٦١ . ص ٤٨) = ٢ مختصر رياضة درب الصليب (ص ٣٢) = ٣ً تروُّض في آلام ربنا يسوع المسيح لكل جمعة من الصوم الكبير (١٨٦٣ . ص ١٩) = ٤ً كتاب زيارة القربان الاقدس وزيارة مريم العذراء للقديس ليغوري . تعريب جديد للقس يوسف داود (١٨٦٩ و١٨٧٦ . ص ٣٢٠) = ٥ً شهر قلب يسوع الاقدس . (طبعة ثانية ١٨٨٣ . ص ٤٦٣) = ٦ً كتاب فرض سيدتنا مريم العذراء الصغير بحسب الطقس الدومنكي (١٨٦٤ . ص ١٦٨ ثم ١٨٨٩ . ص ٣٠٧) = ٧ً فرض السيّدة الصغير بحسب الطقس الروماني (ص ١٦٥) = ٨ً كتاب المتعبّد لمريم للاب بولس سنيري اليسوعي عرَّبهُ الاب بطرس فروماج ونقَّحهُ الخوري يوسف داود (١٨٧٠ . ص ٣٠١ ثم ١٨٩٦) = ٩ كتاب الشهر المريمي (١٨٩٢ . ص ٣٥١) = ١٠ً كتاب النزهة في الورود يمثّل ظهور السيدة في لورد عرَّبهُ عن الفرنسيَّة القس جرجس السرياني (١٨٩٣ . ص ٢٦٠) = ١١ً مصحف الورديَّة المقدسة (١٨٦٧ . ص ٣٥٣) = ١٢ً شرح مختصر في اخويَّة الورديَّة (طبعة ثانية ١٨٨٣ . ص ٤٨) = ١٣ً عبادة الورديَّة المؤبَّدة (١٨٨٠ . ص ٨٤) = ١٤ً طريقة سهلة للتأمُّل في اسرار الورديَّة المقدسة (طبعتهُ الثانية ١٨٨١ . ص ٦٤) = ١٥ً دستور الورديَّة المقدَّسة (١٩٠٠ . ص٦٨) = ١٦ً ثوب سيدتنا ذات الكرمل (١٨٨١ . ص ٣٠ ثمَّ كُرر طبعهُ) = ١٧ً ثلاثة ينابيع نعم للانفس المسيحية (١٨٨٠ . ص ٩٦)

٦ (كتب مدرسيَّة من قراءة ولغة) ١ً جداول كبيرة للقراءة العربيَّة = ٢ً مبادئ التهجئة لتدريس الصبيان (١٨٦٢ . ص ٣٢ طبعتهُ العاشرة ١٨٩١) = ٣ً كتاب التهجئة ومبادئ

القراءة = ٤ً امثال لقمان الحكيم الادبيَّة وطُرف من لطائف العرب الانسيَّة جمعها وضبطها بالشكل القس يوسف داود السرياني (١٨٧١ . ص ١٦٠) . ثم زيد في هذا الكتاب وقُسم قسمين وهما: ٥ً كتاب تعليم القراءة (طبعتهُ السادسة ١٨٩٢ . ص٧٣) = ٦ً وكتاب جنى الاثمار من لطائف الاخبار (١٨٧٦ . ص ١٧٨ . طبعتهُ الرابعة ١٨٩٠) = ٧ً كراريس التصانيف العربيَّة ويُعرف ايضاً بكرَّاسة الاشتقاق لهُ (١٨٨٢ . ص ٩٤) = ٨ً كتاب التمرنة في الاصول النحويَّة لهُ ايضاً (١٨٦٩ . ص ٢٠٩ + ١٦ ثمَّ طُبع ثانيةً سنة ١٨٧٥ في جزءين مجموع صفحاتها ٤١٠) = ٩ً كتاب التمرين على كتاب التمرنة لهُ (١٨٧٧ . ص ٢٤٤ . ثم كُرر طبعهُ باسم تدريب الطلّاب في اصول التصريف والاعراب (ص ٢٦٠) = ١٠ً تعليم الطلّاب اصول التصريف والاعراب للمعلم سليم سمعان (١٨٩٩ . ص ١٥٨)

٧ (الكتب الادبية) ١ً تنزيه الالباب في حدائق الآداب لجامعهِ القس يوسف داود (١٨٦٣ . ص ١٧٤) = ٢ً بديع الانشاء والصفات في المكاتبات والمراسلات للشيخ مرعي (١٨٦٦ . ص ١٤٦) = ٣ً كتاب كليلة ودمنة عني بطبعهِ وتنقيحهِ القس يوسف داود السرياني (١٨٦٩ . ص ٢٨٦ ثم كرر طبعهُ ١٨٧٦ و١٨٨٣ . ص ٢٣٠) = ٤ً فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لابن عربشاه وقف على طبعهِ القس يوسف داود (١٨٦٩ . ص ٥٢٠) = ٥ً كتاب الرموز ومفتاح الكنوز . عني بطبعهِ القس يوسف داود (١٨٧٠ . ص ١٢٣) = ٦ً رواية لطيف وخوشابا عرَّبها نعوم فتح الله سحَّار (١٨٩١ . ص ٨٣) = ٧ً احسن الاساليب لانشاء الصكوك والمكاتيب لنعوم فتح الله سحَّار (١٨٩٨ . ص ٢٤٠)

٨ (الكتب التاريخيَّة والجغرافية والرياضية) ١ً مختصر في التواريخ المقدَّسة (١٨٦٣ . طبعتهُ الرابعة ١٨٨٣ طُبع خمس طبعات . ص ٧٦) = ٢ً مختصر في التواريخ المقدَّسة على سبيل السؤال والجواب ألَّفهُ السيد المطران افرام رابولا رحماني السريانيّ (طبعتهُ الثالثة ١٨٨٣ ص ٢٢٩ طبعتهُ الرابعة ١٨٩١ . ص ٢٣٧) = ٣ الفصول الانسيَّة في التواريخ القدسيَّة للمعلم بيليز عرَّبهُ السيد المطران جرجس عبد يشوع خيَّاط الكلداني (١٨٦٨ . ص ٤٦٤ ثمَّ ١٨٧٦ . ص ٣٢١) = ٤ً مختصر تاريخ الكنيسة للمعلم لومون . عُني بتعريبهِ وتتمَّتهِ القس يوسف داود (١٨٧٣ . ص ٧٥٦) = ٥ً مختصر المختصر في تواريخ الكنيسة للقس يوسف داود السرياني (١٨٧٧ . ص ٢١٠) = ٦ً مختصر في التواريخ القديمة ألَّفهُ القس لويس رحماني (١٨٧٦ . ص ٢٨٣) = ٧ً مختصر في تواريخ القرون المتوسطة لهُ (١٧٧٧ . ص ٣٠٨) = ٨ً مدخل الطلّاب وتعلَّة الرغَّاب في اصول علم الحساب للقس يوسف داود السرياني (١٨٦٥ ثم ١٨٧٠ . ص ١٨٠ . طبعتهُ الرابعة ١٩٠٠) = ٩ً ترويض الطلّاب في اصول علم الحساب لهُ (١٨٦٥ . ص ٣٠٨) = ١٠ً مختصر صغير في الجغرافية تعريب القس يوسف داود (١٨٦١ . ص ٨٢ ثم ١٨٧١ . ص ١٨٠) = ١١ً كتاب الخلاصة الوفيَّة في علم الجغرافية تأليف القس يوسف يونان الموصلي الكلدانيّ (١٨٩١ . ص ١٥٨)

٨ (تعليم اللغات الفرنسيَّة والتركيَّة والسريانية والكلدانية) ١ً المسائل الفرنساويَّة للورَّاد العربية رتبها واستخرجها الى العربية الخوري يوسف داود السرياني (١٨٦٥ . ص ٢٥١) = ٢ً

غراماطيق نحو اللغة الفرنساويَّة لهُ (١٨٦٥ . ص ٣٦٨) = ٣ً الطريقة الجديدة لتعلم الفرنسيَّة وهو ستَّة اجزاء (١٨٩١ ثم ١٨٩٥) = ٤ً مبادئ القراءة في التركيَّة (١٨٩٠ . ص ٩٦) = ٥ً التحفة السنيَّة لطلَّاب اللغة الشمانية تأليف نعوم فتح الله سحَّار (٢٥٥ . طبعتهُ الثانية ١٨٩٤–١٨٩٥ . ص ٦١١) = ٦ً مكالمات تركيَّة عربية لهُ (١٨٩٦ . ص ٢٠٠) = ٧ً مبادئ القراءة السريانية للقس يوسف داود (١٨٧٤ و ١٨٧٩ . ص ١٠٧ ثم ١٨٩١ . ص ١١٥) = ٨ً كتاب اللمعة الشهيَّة في نحو اللغة السريانيَّة للسيد اقليميس داود مطران دمشق (١٨٧٩ . ص ٤٦٤ . ثم طبع في جزءين (١٨٩٨–١٨٩٩ . ص ٦٣٨ ولهذا الكتاب ترجمة باللاتينية بقلم المؤلف ص ٧٣٠) = ٩ً كتاب التهجئة بالكلدانية (طبعتهُ الثالثة ص ٤٨) = ١٠ً كتاب تصريف الاسماء والافعال الكلدانية (ص ٨٦) = ١١ً كتاب نحو اللغة الكلدانية للقس ارميا مقدسي (١٨٨٩ . ص ٢٢٩) = ١٢ً نحو اللغة الاراميَّة لهُ (١٨٩٨ . ص ٣٥٠) = ١٣ً دليل الراغبين في لغة الاراميين للقس اوجين منَّا (١٩٠٠ . ص ٨٧٣ = ١٤ً معجم مطوَّل للكلدانية القديمة والحديثة للسيد الجليل المطران توما اودو (١٨٩٨–١٩٠٠ في جزءين ضخمين . ص ١١٣٠) = ١٥ً منتخبات ادبية في اللغة الكلدانيَّة للقس ادّي صليبا ابرهينا (١٨٩٩ . ص ٢٢٠) = ١٦ً منتخبات اخرى للقس اوجين منَّا (١٩٠١) = ١٧ً كليلة ودمنة بالكلدانية الحدثة للمطران توما اودو (١٨٩٨ . ص ٢٧٣) = ١٨ً مجموعة امثال لداود قرة (١٩٠٠ . ص ١٤٠)

١٠ (الكتب السريانية الدينيَّة والطقسيَّة) ١ً العهد الجديد بالسريانيَّة في جزءين قطع صغير (١٨٩٨ . ص ١٥٢٨) = ٢ً التعليم المسيحي بالسريانيَّة (١٨٨٧ . ص ٥٢) = ٣ً كتاب المزامير (١٨٨٥ . ص ٣٥١) = ٤ً طبعة اخرى مع مقدَّمات وشروح للسيد اقليمس داود مطران دمشق (١٨٨٥ . ص ٣٦٤) = ٥ً فهرست المزامير التي تُتلى في الصلاة الفرضيَّة في ابرشيَّة الموصل السريانيَّة في مدار السنة (١٨٧٧ . ص ٤٣) = ٦ً كتاب الحسايات لمدار السنة الَّا زمن الصوم الاربعيني جمعها اقليميس داود (٨٧٩ . ص ٦٤٨) = ٧ً كتاب القنقيط جمعهُ ونظَّمهُ ونقَّحهُ السيّد المذكور (١٨٨٦ . في سبع مجلَّدات مجموع صفحاتها نحو ٤٠٠٠ صفحة) = ٨ً كتاب خدمة القداس بحسب ترتيب الكنيسة السريانيّة للخوري يوسف داود (١٨٦٨ . ص ٢٣٨ ثم ١٨٨١ . ص ٢٨٤) = ٩ً رسالة سريانيَّة في كيفيَّة التصرُّف في الدعاوي الزيجية لهُ (١٨٨٣ . ص ٣٦)

١١ (الكتب الكلدانية الدينية والطقسية) ١ً الكتاب المقدس حسب الترجمة المعروفة بالبسيطة ثلاثة اجزاء ضخمة (١٨٨٧–١٨٩١ . ص ١٨١٩) = ٢ً المزامير بالكلدانية (١٨٩٠ . ص ٣٠٧) = ٣ً تعليم مسيحيّ صغير بالكلدانية (طبعة ثانية ١٨٨٥ . ص ٣٦) = ٤ً تعليم المجمع التريدنتيني نقلهُ الى الكلدانية السيد توما اودو الكلداني (١٨٨٩ . ص ٦٩٠) = ٥ً كتاب صلوات صغير طبعة ثانية (١٨٨٨ . ص ١٦) = ٦ً كتاب صلوات مطوَّل بالكلدانية جمعهُ القس صليبا ابرهينا الكلداني (١٨٩١ . ص ٢١٠) = ٧ً كتاب الوردية المقدَّسة بالكلدانية العاميَّة (١٨٨٤ . ص ٩١) = ٨ً كتاب مرشد الكاهن للاب بولس سينيري اليسوعي نقلهُ الى الكلدانية القس داميان الكلداني ونقَّحهُ المطران توما اودو (١٨٨٢ . ص ٣٧١) = ٩ً كتاب ميزان

الزمان للاب نيارمبرج اليسوعيّ نقلهُ السيـد المطران توما اودو (١٨٨٤. ص ٤٣٣)= ١٠ مرشد المترشحين للدرجات الكهنوتية للكاهن الايطالي لويس توني نقلهُ المذكور (١٨٩٥. ص ٢٨٥) ١٢ (الكتب التركية الدينية) ١ رياضـة درب الصليب (١٨٩٢. ص ٢٨)= ٢ انجيل مار متى بالتركية نقلهُ اليها السيّد عبد يشوع خيّاط مطران آمد على الكلدان (١٨٩٤. ص ١٠٥)= ٣ خلاصة التعليم المسيحي بالتركية لهُ (١٨٩٣. ص ٢٣٥)

فترى من هذه القائمـة ما اتى بهِ الآباء الدومينيكيُّون من الخدم الجليلة في سبيل الدين والآداب افاض الله عليهم سجـال نعمهِ وايّدهم بروحهِ القدوس لمواصلة اعمالهم الشريفة لمجدهِ تعالى ولخير الوطن (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

الحبُّ والزواج

تأليف نقولا حـدَّاد

(طبع بالمطبعة العمومية بمصر سنة ١٩٠١. ص ١١٢+٧)

ليس من عادة المشرق ان يخوض في المسائل المتعلقـة بالحبّ والزواج وفي تعريف الكتب المؤلفة فيهما لانَّ اغلب هذه المصنَّفات انَّما المراد بهـا إثارة الشهوات البهيمية اكثر منها الكلام في امر خطير تعتدُّهُ الكنيسة كاحد اسرارهـا العظمى. والكتاب الذي نحن في صددهِ ليس هو من هذا القبيل فانَّ صاحبهُ تحرَّى البحث فلسفيـاً في شرائع الحبّ والزواج ومبادئهما الطبيعيَّة والادبيَّة وقد قسم كتابهُ الى قسمين مدار الاوَّل على الحبّ وحقيقتهِ وانواعهِ اماَّ الثاني فيتضمَّن ما يختصّ بالعزوبة والزواج ومـا يندرج في نطاقهما. واكثر ابحاث هذا الكتاب تدلّ على عقل صائب واعتدال في الحكم يستحقَّان الثناء. لكننا نأخذ على المؤلف بعض اقوال لا نراهـا صحيحة منها قولهُ (ص ٨) انَّ حبّ الرجل والمرأة «لم يكن يتجاوز التآلف البسيط في اوَّل الامر وانَّما تساكنا ليتعاونا على العمل لتحصيل الرزق» وزاد ايضاحـاً حيث قال (ص ٤٩): «انَّ اوَّل حبّ كان بين الرجل والمرأة وكان في بادئ امرهِ متردّدًا لا يكاد ينعقد حتى ينحلّ ثمَّ ينعقد فينحلّ وهلمَّ جرًّا تبعًا لحركة الشهوة الحيوانيَّة» وهو قول باطل يردهُ العقل والنقل. اماَّ العقل فلانَّنا نعلم انَّ الزواج ليس هو فقط للمساكنة

والمعاضدة بل هو خصوصاً لخير النّسل والقيام بتربيتهِ وهذا يستدعي ارتباط الزوجين بحبلٍ غير منفصم. امّا النّقل فانّنا نجدهُ في اوَّل سفر التكوين اذ خلق الله حوّاء واعطاها زوجة لآدم واضاف الكتاب الى هذا الخبر ما حرفهُ: « ولذلك يترك الرجل اباهُ وامّهُ و يلزم امرأتهُ فيصيران جسدًا واحدًا ». وكذلك نجد في الانجيل الطاهر قولهُ تعالى للفريسيين (متى ١٩ : ٨) : « انَّ موسى لاجل قساوة قلبكم أذن لكم أن تطلّقوا نساءكم ولم يكن من البدء هكذا » وهذان نصّان صريحان يردّان مزاعم صاحب الكتاب — ونأخذ ايضاً عليهِ انهُ جعل (ص ٧٨) على وجهِ الاطلاق « العزوبة مقاومةً للطبيعة » ولم يستثنِ عزوبةً محمودةً يختارها افاضل الناس كالكهنة والرهبان وغيرهم ممَّن يضحّي كلَّ ملاذ الجسد في سبيل الله ولخدمة القريب فانَّ هذه العزوبة ليست فقط غير منكرة بل مستحسنة قد حرَّض عليها المسيح في الانجيل المقدَّس (متى ١٩ : ١٢) ورسلهُ الابرار من بعدهِ (راجع الرسالة الاولى الى اهل كورنتس ف ٧) وقد اعتادتها الكنيسة منذ بدء تاريخها. ومن ثمَّ نرى افراطاً ظاهرًا في قول صاحب الكتاب عن قصر حياة الاعزاب حيث قال (ص ٨٠) « انَّ حياتهم مهما رتّبوا معيشتهم واجتنبوا الفحشاء اقصر من حياة المتزوج » وهو زعمٌ يفنّدهُ مجرَّد النظر الى الوف من الرهبان الذين لا يموتون الّا بعد أن شبعوا من الحياة رغماً عن اشغالهم المتواترة جسماً وعقلًا ل. ش

مطبوعات أُرسلت الى ادارة مجلة المشرق

١ برنامج الجمعية الخيرية المارونيَّة في سان باولو « برازيل » من ١٨٩٧ الى ١٩٠١ (ص ٣٢)

٢ السنة السابعة لجمعيَّة دفن الموتى البائسين لطائفة الروم الملكيين في بيروت (مطبعة الثبات ص ١٦)

٣ الاخلاق مجموع عادات. خطاب القاهُ في المدرسة الشرقيَّة للروم الكاثوليك في زحلة المعلم الاديب عيسى افندي اسكندر معلوف (١٩٠٢. ص ٤٩ بالمطبعة الادبيَّة)

٤ رواية جان وماري او النجاة بواسطة التوراة بقلم جرجي نقولا باز (المطبعة الاميركانية ١٩٠١. ص ٤٨)

٥ كتاب التحفة الادبيَّة في القراءة العربيَّة. طبعة ثانية لكتاب مرَّ وصفهُ في المشرق (٣ : ٣٤). وقف على ضبطهِ المعلم البارع رشيد افندي الشرتوني (المطبعة الشرقية ١٩٠١. ص ٨٨)

٦ دواثر السريانيَّة في لبنان وسوريَّة بقلم حضرة الاب الفاضل يوسف حبيقه البسكنتاوي مطبعة الارز (١٩٠٢. ص ١٠٩). وهي المقالة التي مرَّ شيء منها في المشرق (٤ : ١٢٠)

شذرات

خطبٌ جلل نُحيل قرّاءنا الى ما كتبهُ البشير في عددهِ الاخير عن الفاجعة العظمى التي أُصيبت بها في ليلة الخميس الماضي طائفــة الروم الملكيين بفقد كبير احبارهم وفخر ملّتهم المثلّث الرحمات غبطة البطريرك الجليل بطرس الرابع الجريجيري ولا يسع المشرق الّا ان يردّد اصداء حزن رصيفهِ. وقد اهدى بهذه النسبة طلبة مدرستنا الكليّة من الطائفــة الملكيّة اكليلًا بهيًّا حملوه امام نعش الفقيد وكان احدهم الاديب ميشال بيطار قد كتب عليهِ هذه الابيات:

نَشْرُ الطهارةِ عند موتك فاحا　　وأسير فضلك يوم بُعدك ناحا
يا نائيًا عنَّا سبيتَ قلوبنـا　　فالى سوى ذكراك لن ترتاحا
لا غرو إن مشت الزهور امامنا　　انَّ الزهور ترافق الارواحا

آثار جزيرة كريت ان متولي حفر الآثار القديمــة في جزيرة كريت المسيو إيڤنس لا يزال مواصلًا لابحاثهِ في قصر كنوس (Cnosse) حيث وجد آثارًا جليلة من شأنها ان تكشف عن احوال اليونان في الطور الاوَّل من تاريخهم. وممَّا عثر عليهِ كتابات عديدة بخطٍ يدعوهُ « الارامي الفينيقي » ويرتإي ان الكتابة المعروفة بالفينيقيَّة ليست هي للفينيقيين كما ظنَّ الاقدمون وانَّما اصلها من جزيرة كريت التي يدعوها الكتاب المقدَّس كفتور (כפתור) وانَّ اهلها وهم الفلسطينيون لمَّا هاجروا من بلادهم في القرن الثاني عشر واحتلُّوا سواحل بلاد الشام وفلسطين نقلوا هذا الخطّ وعلَّموهُ الفينيقيين الذين كانوا قبل ذلك العهد يكتبون بالخطّ الاشوريّ المعروف بالمساريّ كما يظهر من مكاتبات تلّ العمارنة وهذا الاكتشاف يؤيد قول المؤرخ ديودورس الصقليّ الذي اثبت انَّ اصل الكتابة الفينيقيَّة من جزيرة كريت

آثار شوشن نشر آخرًا حضرة العلاَّمة الشهير الاب شَيــل الدومينيكيّ مجموعًا ضخمًا ضمَّنهُ الكتابات القديمة التي وُجدت في شوشن عاصمــة العيلاميين. وهذه الكتابات ترتقي الى نحو ٣٠٠٠ سنة قبل المسيح وهي تنبئ بتمدُّن عجيب بلغهُ اهلها في ذلك العهد القاصي وكان هؤلاء من عنصر الساميّين كما بيَّن ذلك حضرة الاب شيل مستندًا الى الآثار العهيدة التي نشرها من رممها

أسئلة وأجوبة

س سألنا مستفيد ١ً عن بيتين وردا للشيخ ناصيف اليازجي من قصيدة :

رأيتُكَ تطلب الابحار جهلًا وانت تكاد تغرق في السواقي
اذا احرزتَ مال الارضِ طُرًّا فما لك فوق عيشك من تراقِ

٢ً وعن جملة وردت في صدر الجزء الرابع عشر من الضياء (ص ٤١٧) حيث جاء قول صاحبها « تُنوسي لبعد العهد بالفصيح وزوال صناعة القلم من بيننا ادهارًا » قال المستفيد : هل وردت لفظة « تراقٍ » في معجم من المعجمات المتداولة . وهل ذكرت هذه المعجمات « ابحار » و « ادهار » كجمع لبَحْر ودَهْر

ترقٍ — ابحار — ادهار

ج لم نجد في ما لدينا من المعجمات وزن تفاعل من « رَقِيَ » . امّا « ابحار » « وادهار » فهما على قول حضرة الكاتب البارع الاب يوحنًا مرتا جمعان قياسيًان لوزن فَعْل (المشرق ٢ : ٩٧٧) . امّا الشيخ ابرهيم فغلّط هذا القول وزعم انّ فَعْل الصحيح العين لا يُجمع على أفعال الّا في اربعة الفاظ شذّت . وعليهِ فنتعجّب كيف استجاز استعمال « ادهار » كجمع لدَهر بعد تخطئتهِ لغيرهِ من الكتبة

س وسأل ل . ه من أدباء البلدة هل يجوز حذف « أن » بعد فعل القسم فيُقال مثلًا « حلف لا يدخل » بدلًا من « حلف ان لا يدخل »

فعل القسم وحذف ان بعده

ج لم ينصّ على ذلك النحويّون في كتبهم لكننا وجدنا في كتب العرب ما يصوّبهُ فانّهم كثيرًا ما يحذفون « ان » بعد فعل القسم رغبةً في تخفيف الجملة ورشاقة التعبير . وناهيك ما جاء من ذلك في كتاب الاغاني لابن الفرج الاصبهاني قال في ترجمة زيد الخيل (ك ١٦ : ٥٠) : « وآلى اليّةً لا يرجع حتى يكسبهنّ خيرًا » وقال في ترجمة اسحاق الموصلي (٥ : ١٥) : « جاءني (اسحاق) يبكي ويحلف إن جرى عليهِ هذا تاب من الغناء » . وقال ايضًا (١ : ٦٣) : « اقسم لا يخرج من الحبس » . وقال (٨ : ١٠٣) : « امر عثمان كثيرًا ان يستحلفهُ (الشمّاخ) ما هجاهم » . وقال (٨ : ٢١) : « فحلف لا يزال يقوم ويقعد حتّى يرويها (اي الابيات) » . وفيهِ (٨ : ١١٦) : « ثمّ آلى ابوهُ لئن اقامت لا يساكن قيسًا » . وهلمّ جرًّا

ل . ش

المشرق

الرتبة البطريركية

نبذة في اصلها وتاريخها وحقوقها

للاب ميخائيل تامبزيه اليسوعي

انهُ لمن الامور المقرَّرة الثابتة انَّ السيد المسيح بانشائهِ كنيستهُ جعلها جماعةً منظورة تامّة الأهبة وجهَّزها بكل ما تختصُّ بهِ الالفة النظاميَّة من تعدُّد الاشخاص المرتبطين بالوحدة الساعين وراء غاية معلومة تحت قيادة سلطة شرعيَّة ترجع اليها كلُّ الافراد. ولذلك نراهُ عزَّ وجلَّ قد دعا كنيستهُ مرارًا باسم المُلك او المملكة او الملكوت (المشرق ٤: ٨٩٢). ويريد لهذا المُلك البقاء الدائم بحيث لا تقوى عليهِ ابواب الجحيم. وغنيٌّ عن الدليل انهُ لا مُلك بلا مَلك كما لا جسد بلا رأس. ولا بدَّ لهذا المُلك ان يكون مدبّرهُ واحدًا لئلا يصيب الجسم انقسام فيتمّ فيهِ قول الرب (لوقا ١١: ١٧): «انَّ كلَّ مملكة تنقسم على نفسها تخرب»

وكلٌّ يعلم انَّ هذا الرأس المنظور الذي اختارهُ الرب لتدبير كنيستهِ انما هو بطرس المدعو لذلك بهامة الرُسل الذي عليهِ بنى المسيح كنيستهُ كما يُجعل البناء على صخرة لا تتزعزع مهما صادمتها سورة الرياح واشتدَّت عليها الانواء.

على انَّ اختيار السيد المسيح لبطرس الصفا لم يمنعهُ عزَّ وجلَّ ان يصطفي لكنيستهِ روساء آخرين ادنى منهُ درجةً يذعنون لاوامرهِ ويساعدونهُ في مباشرة مهنتهِ العظمى. ولذلك نرى الرب لذكرهِ المجد بعد اختصاصهِ سمعان بطرس بالسلطان السامي على الكنيسة والرعاية العليا لقطيعهِ الناطق لم يهمل بقيَّة الرسل بل جعل لهم قسمًا صالحًا من سلطتهِ اذ ارسلهم الى العالم اجمع ليبشروا بالخلاص كلَّ الامم واعطاهم ان يحلّوا ويربطوا

ويعلّموا ويرشدوا. وكما انّ البـاباوات خلفاء بطرس في سلطانهِ الاعظم على الكنيسة فكذلك الاساقفة هم خلفاء الرسـل في تدبيرها معهُ كما يشهد على ذلك سفر الاعمال حيث ورد على لسان بولس لكبار كهنـة افسس ورُعاة كنائس آسيَّة: (٢٠: ٢٨) « انَّ الروح القدس اقامهم اساقفة ليرعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمهِ ». فبيَّن على وجه صريح انَّ للاساقفة الشرعيين حقوقاً في سياسة الكنيسة ورعاية المؤمنين

هذا مجمل ما ورد في الكتاب الكريم عن الرئاسة البيعيَّـة اعني سلطةً أُولى ساميةً تعمّ كل افراد الكنيسة وهي السلطة البابويَّة وسلطةً ثانويَّة تختصّ بقسمٍ قسم من قطيع المسيح تحت امرة الرئيس الاكبر وهي السلطة الاسقفيَّة

*

لكنَّ السيد المسيح الذي وضع اساس الكنيسة وعُني بتدبير نظامها بالاجمال ترك لرسلهِ ولخلفائهم ان يتمموا هذا النظـام ويزيدوهُ وثاقةً ومتانةً بانشاء مناصب أُخرى ورُتب جديدة يرونهـا مناسبةً لامتداد الكنيسة ونجاحها ولحسن رعاية اولادها حسب الازمنة والامكنة شأن المالك الكبرى التي يوفّر سلطانها مراتبَهـا وادارات امورها على قدر اتساعها وعلى حسب مقتضى احوالها التي تتقلّب فيها على كرور الدهور

والكنيسة ما كادت تخرج من العليَّة الصهيونيَّـة حيث اضرم الروح القدس بنارهِ الالهيَّة قلوب ذويهـا ونفخ فيهم روحاً جديدة حتى اندفعت كالسيل العرمرم الى كل انحاء العالم الرومانيّ بل تجاوزت بعد قليل تخوم سيطرة القيـاصرة فبلغت اقاصي الدنيا. لكنَّ الرسـل الذين عهد الرب اليهم شؤون كنيستهِ ما عتَّموا ان فهموا انَّ انتشار ملكوت الله يستدعي انشاء وسائط جديدة لجمع شمل الكنائس وارتبـاط بعضها ببعض ليسهل ارتباطها مع رئيسها الاعلى الذي جعلهُ المسيح نائباً لهُ على الارض. ومن ثمَّ رأى الحواريون انهُ لا بدَّ ان يُجعل بين الاساقفة اختلافٌ ما ليس في الدرجة التي هي واحدة ولكن في الرتبة والسلطة بحيث يكون بعضهم خاضعين للبعض فيصير للاساقفة رؤساء يتوسَّطون بينهم وبين حبر الاحبار واليهم يرجع الاساقفة في امورهم العاديَّة دون ان يضطروا في كلّ آن وحال ان يراجعوا المركز الاوَّل

والحقُّ يُقال انَّنا اذا تصفَّحنا اخبار البيعة منذ نشأتها رأينا انَّ الرسل لم يكتفوا

بان يسقّفوا على كل مدينة اسقفاً يقوم باعبائها بل اختاروا نخبةً من تلامذتهم جعلوهم في حواضر المدن وامّهات البلاد وفوّضوا اليهم بان ينشئوا في نواحي تلك البلاد كنائس اخرى يقيمون لها رعاةً يهتمّون بصوالحها الروحيّة و يرعون المؤمنين تحت حكمهم ونظارتهم. وتلك هي رتبة كبار الاساقفة التي يشير اليها الكتاب الكريم في اسفار العهد الجديد. فانّ الرسول يوحنّا الحبيب مثلاً يذكر في سفر الرؤيا (١ : ١١) اساقفة سبع عواصم كبرى كان جعلها كمراكز لمدنٍ أُخرى اصغر منها يدبّر كل منهم اساقفتها. وكذلك بولس رسول الامم يعهد الى تلميذهِ تيطس (رسالة تيطس ١ : ٥) ان يرعى جزيرة كريت ويرتب الناقص ويقيم لها رعاةً في كلّ مدينة. وكذا قُل عن بقيّة الرسل الذين جعلوا على اساقفة كلّ قطر رؤساء تكون بين ايديهم ازمّة الامور لنظام ذلك القطر وسياسة مؤمنيهِ ورعاتهم معاً

فصارت بذلك كل كنيسة مركزيّة مع الكنائس المنشأة بجوارها كالولاية المدنيّة لها رئيس اكبر بمثابة واليها ولها احكامها الخاصّة وتصرفاتها الآئلة لتدبيرها في شؤونها الروحيّة. وقد توفّرت هذه الولايات مع نموّ المؤمنين وهي كلّها مع كونها مستقلّة بالنسبة الى بعضها مرتبطة بالمركز الاعلى حيث رأس الكنيسة الاوّل وإمام احبارها الاعظم

امّا السبب الذي حدا بالرسل ان يجعلوا قصبات المدن كمراكز دينيّة فهو جليٌّ واضح وهو رغبتهم الملتهبة في ان ينشروا على جناح السرعة وبطريقة سهلة الايمان بالمسيح. فانّهم وجدوا هذه الحواضر كمنائر تسطع منها اشعّة النصرانيّة فيراها الجميع و يقبلون اليها ليستضيئوا بانوارها اللامعة ومنها تجري جداول الخلاص الى ضواحيها الواقعة تحت حكمها

*

على انّ بين الحواضر الكبرى التي شاع صيتها ابّان ظهور الدين المسيحي قد امتازت ثلاث مدن أجمع الكلُّ على سيادتهنَّ ورفعة شأنهنَّ ألا وهنَّ رومة العظمى قاعدة المملكة الرومانيّة. ثم الاسكندريّة سوق العالم المتمدّن ومخزن تجارتهِ. ثمّ انطاكية عاصمة الشرق. فكان الشرك ضرب اطنابهُ في هذه المدن الثلاث واقام لآلهة الوثنيّة هياكل واصناماً ظنَّ الناس ان سيبقى ملكها مخلّدًا

ولمّا كان ملء سلطة المسيح في يد سمعان بطرس وهو مؤيد بروحهِ القدُّوس

احبَّ كالقائد المقدام والاسد الضرغام ان يصلي الوثنيَّة حربًا عوانًا حيث عشَّش شيطانها وينزل حومة القتال حيث توفَّرت الاهوال فغشي الوغى وصدق العدوَّ الجهنَّمي الحملة في كلٍّ من هذه المدن الثلاث مباشرًا بانطاكية فوطّد فيها دعائم النصرانيَّة وبنى كنيسة الامم الأولى على اخربة الوثنيَّـــة. ثمَّ اقام على هذه الكنيسة احد تلامذته القديس إيوُديوس وجرى الى حربٍ أُخرى عبوس كانت تنتظره في سيِّدة المدن. فلم يفتأ ان اوقد نارها وجاهد كفَّارها وابلى البلاء الحسن في سبيـــل الحقّ حتى ظفر بالمرغوب وفاز بالمطلوب وثبَّت عرش سلطانهِ الروحي في أمّ المدن واتَّخذها سكنًا لهُ ولاخلافهِ من بعدهِ الى منتهى الدهور. ولم يبقَ بعـــد انطاكية ورومة الَّا الاسكندريَّة ليناجزها بطرسُ الصفا القتال فينكص فيها أعلام الوثنيَّة. ولمَّا كانت الشواغل تشغلهُ في رومة ولم تسمح لهُ ان يسير بنفسهِ الى تلك الحاضرة الكبرى ارسل اليها تلميذهُ مرقس فنال على يدهِ انتصارًا باهرًا لم تمكنهُ الاحوال من ان ينالهُ بذاتهِ

فهذا الانتصار المثلَّث الذي اصابهُ بطرس بنفسهِ او باحد تلامــذتهِ على ثلاث امَّهات العالم الرومانيّ كان السبب الداعي لأن تُجعل هذه المدن كراكز اوَّليَّة للسلطان الكنسيّ فادار الرسول الهامة كنيسة رومة بذاتهِ وجعل لكرسيِّها بوحيٍ من الله السبق فوق كل كنائس المسكونة. ثم أعطى للاسكندريَّة ولانطاكية سلطةً دون سلطتـــهِ تمثِل في عاصمة الشرق سلطتهُ الساميـــة. وخلاصة القول انَّ الاسكندريَّة وانطاكية صارتا بعد رومة مركز السلطة الدينيَّة لانَّ بطرس هامة الرسل بشَّر فيهما بالانجيـــل ورآهما لعظم خطرهما أنسب من غيرهما ليكونا في جهـــات الشرق كقاعدتين تنضم حولهما بقيَّة الكنائس الشرقيَّة وتعتصم بركنهما

وهذا الامتياز العظيم الذي صار للاسكندريَّة ولانطاكية بسبب بطرس الرسول يشهد عليهِ تاريخ الكنيسة القديم وربَّما اشار اليهِ الاحبار الرومانيُّون في رســالاتهم الى اصحاب هذين الكرسيين. فمن ذلك ما كتبهُ القديس اينوكنت الأوَّل سنة ٤٠٩م الى اسكندر اسقف انطاكية حيث يذكرهُ بالبند السادس من قوانين مجمع نيقية الذي اثبت لاساقفة الاسكندريَّة وانطاكية امتيازاتهم القديمة (τὰ ἀρχαῖα ἔθη) ثم يضيف الى ذلك: « فترى من هذا البند المذكور انَّ كرسيَّك لم ينل هذا الامتياز الفاخر لعظم شأن انطاكية بل الاحرى ان يقـــال انهُ فاز بهِ لانَّ انطاكية كانت الكرسيَّ الاوَّل

الذي جلس عليهِ هامة الرسل (١. وقال البابا القديس جيلاسيوس سنة ٤٩٤ في براءته الشهيرة عن كتب الاسفار المقدَّسة القانونيَّة وهو يذكر الكراسي العظمى وفي مقدَّمتها كرسيّ رومة: «والكرسي الثاني هو كرسي الاسكندريَّة لانَّ مرقس تلميذ بطرس قدَّسهُ باسم سيّدهِ الهامة... والكرسيّ الثالث في انطاكية وهو كرسي شريف لانَّ بطرس الرسول جلس عليهِ قبل ان يأتي مدينة رومة (٢. وقد كرَّر القديس غريغوريوس الكبير مرارًا في رسائلهِ الى اولوغيوس اسقف الاسكندريَّة انَّ بين اسقف رومة واسقفي الاسكندريَّة وانطاكية اتحادًا وثيقًا لانَّ هذين القامين قد عُني بانشائهما بطرس الرسول فزيَّنهما واعارهما شيئًا من سموّ رتبتهِ فصارت هذه الكنائس الثلاث كالحبل المثلَّث الذي لا ينقطع لها التقدُّم على جميع الكنائس (٣. وممَّا خصَّ بهِ كرسيّ الاسكندريَّة قولهُ (٤: «كما انهُ معلوم لدى الجميع انَّ القديس مرقس البشير ارسلهُ معلمهُ بطرس الرسول الى الاسكندريَّة هكذا قد جرى وفاق بين الكرسي

١) هذا نصُّهُ الاصليّ بالحرف: « Unde advertimus non tam pro civitatis magnificentia hoc eidem attributum, quam quod *prima sedes primi Apostoli esse monstratur* ». Migne PP. LL., XX p. 548.

٢) وهذا نصُّهُ عن مجموع الآباء اللاتينيين لمين (ج ٥٩ ص ١٧٠): « Est ergo prima Petri apostoli sedes Romana Ecclesia, non habens maculam, neque rugam, neque aliquid hujusmodi. Secunda autem sedes apud Alexandriam, beati Petri nomine a Marco ejus discipulo . . . consecrata est . . . Tertia vero sedes apud Antiochiam item beatissimi Apostoli Petri habetur honorabilis, eo quod illic priusquam Romam venisset, habitavit ».

٣) اعمال الاباء لمين (ج ٧٧ ص ٣٩٩) وهذا نصُّهُ بحرفهِ الواحد:

« Ipse (apostolorum princeps) sublimavit sedem in qua etiam quiescere et præsentem vitam finire dignatus est. Ipse decoravit sedem in qua evangelistam discipulum misit. Ipse firmavit sedem in qua septem annis quasi discessurus sedit ».

٤) راجع مجموع اعمال الاباء اللاتينيين لمين (ج ٧٧ ص ٩٤٣) وهذا قولهُ بالحرف:

« Sicut omnibus liquet quod beatus evangelista Marcus a Sancto Petro apostolo magistro suo Alexandriam sit transmissus, sic hujus nos magistri et discipuli unitate constringimur ».

الاسكندري والروماني شأن الوفاق الذي يجري بين التلميذ ومعلمهِ »

ولو تتبَّعنا تآليف الآباء لوجدنا كثيرًا من هذه الشهادات التي تبيّن انَّ كنيستي الاسكندريَّة وانطاكية انَّما خُصَّتا بامتيازاتهما لاجل الرسول بطرس الذي شرَّفهما بشخصهِ الكريم او بتلميذهِ مرقس. وممَّا يستلفت انظار المعتبرين انَّ هذه الشواهد قد وردت ايضاً على لسان الكتبة الذين انقطعوا عن طاعة كنيسة رومة كاليعاقبة والنساطرة والارمن وغيرهم وقد جمع قوم من الافاضل اقوالهم في كتب ضخمة نشروها بالطبع نخصّ منهم بالذكر السيّد اقليميس داود اسقف دمشق على السريان وغبطة السيّدين البطريركين اسطفان عازاريان وعبديشوع خياط. بل لنا في كتبة العرب على ذلك شواهد صادقة لا يشوبها ريب اثبتها المشرق في احد اعدادهِ السابقة (السنة الخامسة ص ٢١٧—٢٢٤) فانَّ قوماً من المشاهير كالمسعوديّ وابن خلدون والمقريزي ينسبون تقدُّم كرسيّ الاسكندريَّة وكرسيّ انطاكية على بقيَّة الكراسيّ لانتمائهما الى بطرس رأس الحواريّين

*

فممَّا سبق يمكن ان نستنتج قضيَّتين ثابتتين لا يستطيع احدٌ نقضهما الاولى انَّ الاسكندريَّة وانطاكية أضحتا من اوَّل المراكز التي أُقيم فيهما كبار اساقفة لعظم شأنهما وخطارة قدرهما. وفي ذلك لم تختلفا عن بقيَّة المدن الكبرى كقيساريَّة فلسطين وقورنثوس وقرطجنَّة التي اتخذها الرسل وخلفاؤهم كمراكز للدوائر الدينيَّة في سائر الاقطار لولا انهما كانتا اوسع نطاقاً وارفع مقاماً. والثانية انَّ هاتين العاصمتين امتازتا بشرفٍ لم يصبهُ غيرهما من الحواضر وهو انَّ كرسيَّهما انشأهُ بطرس الصفا نائب المسيح فقاسما كرسيَّ رومة في شيءٍ من علوّ مقامهِ

وكأنّي بالقارئ يتصدَّى لي هنا فيقول أحسنتَ ببيان اصل الكرسيَّين الاسكندري والانطاكيّ وتعريف عظم منزلتهما ولكن طاش سهمُك حيث زعمت انَّ هذين الكرسيَّين هما كرسيَّا رؤساء اساقفة والكلُّ يعلمون انهما كرسيَّان بطريركيَّان. والبطريرك فوق رئيس الاساقفة كما لا يخفى

أُجيب انَّ اسم البطريرك لم يشع في قرون النصرانيَّة الاولى للدلالة على رتبة كنسيَّة. وانَّما ورد في ترجمة الكتب المقدَّسة اليونانيَّة المعروفة بالسبعينيَّة دلالةً على ابناء يعقوب

الاثني عشر اي روءساء الاسباط الذين يُدعون زعماء القبائل (πατριῶν ἄρχοντες) ثم اطلقهُ اليونان على كبير الأُسَر العظمى الذي تنسب اليهِ فروع العيال. واستُعمل مجازًا للدلالة على الشيوخ والسادة

ولمَّا ظهرت النصرانيَّة بقيت لفظة البطريرك او البطرك على هذه المعاني كلّها (١ ولم تدلّ على رتبةٍ ممتازة في الكنيسة. وانَّما ورد اسم البطريرك بمعنى كبير الاساقفة وصاحب الكرسيّ العظيم لاوَّل مرَّةٍ في اعمال المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ على لسان الآباء في ادعيتهم للبابا لاون الكبير فانَّهم كرَّروا الدعاء قائلين: «ليحيَ لاون البطريرك زمنًا مديدًا» وفي عنوان العريضة التي قدَّمتها اساقفة الكنيسة الاسكندريَّة وشمامستها الى المجمع المذكور ما تعريبهُ: «عريضة مقدَّمة الى لاون الكلّيّ الطوبى والقداسة والى عظيم الاساقفة المسكونيّ وبطريرك مدينة رومة العظمى»

فاخذ اسم البطريرك مذ ذاك الحين يُطلق شيئًا فشيئًا على اصحاب الكراسيّ الرسوليَّة الاولى كالاسكندريَّة وانطاكية واورشليم بل على غيرها ايضًا مثل كرسيّ القسطنطينيَّة لما فازت بهِ هذه الكنائس من النفوذ والتقدّم والنجاح كما سترى

وان سألنا السائل: وايّ اسم كان في الاوَّل شائعًا بين المؤمنين للدلالة على اصحاب تلك الكراسيّ الكبرى. قلنا انهُ في القرون الثلاثة الاولى لم يُعرفوا باسم خصوصيّ. وانَّما يدعوهم البعض باسم «الاساقفة الاوَّلين» (ἐπίσκοποι πρῶτοι) والبعض يسمُّونهم «روءسا» (κεφαλαί) كما ورد في كتاب قوانين الرسل الذي يرتقي الى القرن الثالث. وقد اطلق عليهم مجمع قرطجنَّة الثالث اسم «اساقفة الكراسيّ الاولى» او «اساقفة المراكز الكبرى» وكان اهل افريقية يعرفونهم باسم «الشيوخ»

امَّا اسم «المتروبوليت» (μητροπολίτης) وهو «المطران» فانهُ ورد لاوَّل مرَّة في اعمال المجمع النيقاوي ومعناهُ «رئيس امّ المدن» وشاع هذا الاسم وامتدَّ. ولم يكن اختلاف يُذكر في السلطة بين مطران ومطران الَّا ان بعض المطارنة لعظم شأن الحواضر التي كانوا يسكنون فيها وخصوصًا لاجل انتساب كنائسهم الى الرسل كانوا متقلّدين

١) وردت لفظة البطريرك في الخطبة ٢٠ للقديس غريغوريوس الثاولوغس وفي اعمال القديس غريغوريوس النيصصي حيث شبَّه كلاهما الاساقفة اجمالًا بروءوس الاسباط

سلطانًا اعظم من غيرهم كما بيّنا سابقًا

ثم شاع في القرن الخامس اسم «رئيس الاساقفة» او «ارخيفسقوس» (ἀρχιεπίσκοπος) واستُعمل بمعنى المتروبوليت والمطران

ومن الاسماء التي وردت في اواخر القرن الرابع اسم الاكسرخس (ἔξαρχος) ومعناهُ القائد والزعيم وأُطلق ايضًا على اصحاب الكراسيّ العظمى كالمتروبوليت ورئيس الاساقفة

ثم جعل الكتبة يفرزون شيئًا فشيئًا بين هذه الرُّتب كلها فاختصُّوا الحبر الرومانيّ باسم البابا ومعناهُ ابو الآباء. ثم دعوا بطريركًا صاحبي كرسي الاسكندريَّة وانطاكية لانهما ينتميان الى بطرس ولخطارة مقامهما المدنيَّة. وأُطلق من بعدهِ على صاحب كرسي القدس الشريف لمآثر النصرانية في اورشليم وانتسابها الى الرسل. ثم أُجري هذا الاسم على صاحب كرسيّ القسطنطينيَّة بعد ان صارت مركز المملكة الرومانيَّة وان لم يكن هذا الكرسي من الكراسي الرسوليَّة

وجعلوا رتبة الاكسرخس فوق رتبة المتروبوليت. واعتبروا رئيس الاساقفة والمتروبوليت في درجة واحدة

هذه نبذة اولى روينا فيها ما يختصّ باصل المقام البطريركي وقدم اسمهِ. وفي مقالة اخرى ان شاء الله نلخص تأريخ انشاء البطريركيَّات وتعدُّدها مع بيان حقوق البطاركة وامتيازاتهم التي منحتهم ايَّاها الكنيسة (ستأتي البقية)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٣ ما تستفيد سوريّة من لبنان

بعد تعريفنا لِلُبنان وتطبيق اسمهِ مع اقوال المؤرخين لا نرى بدًّا من استلفات النظر الى فوائد هذا الجبل من حيث طورهِ الطبيعي

على أنّنا قد اشرنا الى هذا الامر في مقالاتنا السابقة (المشرق ٢: ١٠٢٦) واثبتنا انّ لبنان بالنسبة الى سوريّة كالنيل بنسبتهِ الى مصر اذ انهُ كحوضٍ عظيمٍ تتفجّر منهُ المياه التي تسقي النواحي المجاورة امّا على هيئة الامطار وامّا بطريقة المجاري المائيّة او بتكاثف الابخرة وسقوطها على صورة الندى. ولولا هذا الجبل لاضحت سوريّة اشبه بادية جرداء او رملة صلعاء تابعة لمفاوز جزيرة العرب التي هي متّصلة بها من جهتها الجنوبيّة الشرقيّة

وممّا سبق لنا ايضًا في وصف لبنان أنّنا قابلنا بين هذا الجبل المنيف وجبل الالب (المشرق ١: ٧٢١) فبيّنا ما خصَّ بهِ الله الطود السوريّ من المناظر الجميلة والمرافق العديدة فترى فيهِ الرُّبى المكلّلة بالغابات والغياض الزاهية بضروب الاشجار والنبات والاودية العليلة النسيم ذات الظل الظليل مع جداول مترقرقة وسيول جاحفة وشلّالات مزبدة وبحيرات كالمرايا الصقيلة الى غير ذلك من المحاسن الطبيعيّة التي زيّن بها الخالق تلك المشارف الزهيّة التي اطنب الانبياء في اوصافها وعدّدوا في الاسفار الكريمة معانيها والطافها

على انّ لبنان يورث سوريّة غير هذه المنافع ممّا يستلفت نظر ذوي العبرة. ولو تحرّينا تعدادها لكتبنا فصلًا رائقًا جديرًا بان يُنظَم في سلك فلسفة الجغرافيّة من شأنهِ ان يوسّع نطاق اهل الرويّة ويبيّن لهم عجائب الكون

وهذه الفوائد الجمّة التي تستفيدها سوريّة من لبنان على اربعة اصناف منها هدروغرافيّة وجيولوجيّة ومنها نباتيّة ومنها جويّة ومنها ما يرجع الى الامزجة والاجسام

*

١ لا حاجة ان نسترسل في الكلام عمّا يجدي لبنانُ القطر السوريّ من المنافع الهدروغرافية اذ انّنا وصفنا سابقًا ما يختص بمجاري المياه في لبنان (المشرق ٢: ١٠٢٦) وغاية ما نقولهُ هنا أنّنا لم نُغالِ في وصفنا المذكور وكفانا لتأييد مقالنا ان اكبر انهار سوريّة وهو العاصي ينبجس من لبنان فيجري الى شمالي سورية ويخصب نواحيهُ. وذلك ما حمل القدماء على انشاء مدن عظيمة في تلك الجهات كحمص وحماة وانطاكية ولولا هذا النهر لاصبح وادي العاصي قفرًا مقفرًا لا يأوي اليهِ سوى

قوم من عرب البادية. وهو بهِ جنَّةٌ غنَّاء يتقلَّب فيها الوفٌ وربوات من البشر في خصب دائم وعيش رفيه

وما قلناهُ عن وادي العاصي يصحُّ ايضاً في سهل البقاع وفي ساحل البحر من طرابلس الى صور فان هذه البطائح معروفة اليوم بوفرة خيراتها وريع مآتيها ونضارة حدائقها وإن ذلك الَّا من فضل لبنان الذي يرسل اليها مياه ينابيعهِ النميرة مع دسم تربتهِ التي تنحدر مع السيول وترسب في قاع الارض فتُخصبها وتسمّنها

ونزيد على ذلك انَّ التربة التي جرفتها المياه من مشارف لبنان هي التي صارت اليوم بطحاء فسيحة الارجاء زاهية الزروع تمتدُّ من طرابلس الى مصبّ النهر الكبير ولولا انَّ مجاري المياه تسحو هذا الطين اللزج من معاطف الجبل لكان هذا السهل جوناً تغمرهُ مياه البحر كما ترى في جهات اخرى. لانهُ من النواميس الثابتة تمام الموازاة والمقابلة بين السلسلة اللبنانية والشواطئ البحريَّة اي انَّ لبنان كلَّما امتدَّ نحو البحر كان رأساً داخلًا في المياه واذا اندحر استبطنتهُ المياه فصارت في بطنهِ خليجاً. امَّا هذه نواحي طرابلس فانَّ انهار لبنان وجبل عكار كابي علي والنهر البارد ونهر عكَّار وعلى الاخصّ النهر الكبير انحدرت اليها وملأَت بالتربة التي سفتها الجونَ الذي كان هناك وهو يُعرف حتى اليوم بجونَ عكَّار دلالةً على اصلهِ لكنهُ في الوقت الحاضر خَبْت منفسح ذو نعومةٍ وخصب

٢ وليس لبنان اقلّ فائدة من حيث الملك النباتيّ. فان ارباب الطبيعة يقضون العجب من سوريَّة لما فيها من اصناف النبات وضروب الاشجار. فانَّها تجمع بين نبات الاصقاع الشماليَّة ونبات الاقاليم المفرطة الحرارة في اواسط افريقية. والنباتيّ اذا تفرَّع لبنان وجد في اعاليهِ اعشاب الصرود التي لا تُرى الَّا في شمالي اوربَّة وقمم الالب. امَّا حشائش البلاد الحارَّة فهي نامية في سفح لبنان عند وطإ بحيرة الحولة وهناك من نبات البرديّ الذي لا يُرى اليوم الَّا في اواسط افريقية عند البلاد المجاورة لينابيع النيل. والى لبنان يعود الفضل من هذا القبيل لما يوجد من الاختلاف بين برد رأسهِ المحلّق في العنان المعتمّ بالثلوج وحرارة حضيضهِ البارز لانوار الشمس واشعَّتها الحامية فيسوغ للنباتي في سوريَّة ان يجمع في بضع ساعات من اشكال الاعشاب ما لا يجدهُ في غيرها الَّا بعد مشقَّة النفس والعناء الطويل

وهذا التباين العظيم بين نبات بلاد مختلفة لا يروق فقط عين الناظر اذ يرى الاشجار الجبليَّة كالسنديان والارز والاشجار الصحراويَّة كالنخل والبردي لكنهُ ايضاً يجدي الزارع نفعاً حيث يمكنهُ ان يستغني عن كثير من محصولات البلاد الاجنبيَّة. كيف لا وهو يجد في وطنهِ تربةً ملائمة لاصناف المزروعات والاشجار المثمرة وضروب الاخشاب وفي كلّ ذلك ايرادات طيّبة توفّر اسباب الغنى وتفتح ابواب الرزق لطالبيهِ. فيا ليت شعري كيف يسوغ لنا ان نتشكّى من فقر بلادنا وقحطها وفيها كل ما يلزم ليغني شعوبًا جمّة. ولو شاء اصحاب الثروة لرأوا انّ هذه البلاد يدرُّ منها اللبن والعسل كما في ايَّام بني اسرائيل لا ينقصها لذلك الّا رجال جدّ واقدام ممَّن لا يستنكفون من العمل ولا تثني عزائمهم المصاعب. فلا عزّ على بلادنا ثلاثون سنة حتى يصير لبنان اغنى من بلاد نزوج بغاباتهِ وتمسي السهول الساحليَّة اشبه ببطائح الهند وخطّ الاستواء

٣ وان انتقلنا الآن من ذكر النبات الى وصف الهواء إذن لوجدنا انَّ حظّ اهل سوريَّة لأسعد من سواهم لوقوع لبنان وسط بلادهم. وذلك ممَّا لحظهُ الكاتب الشهير ڤولناي (Volney) في اواخر القرن الثامن عشر قال: «انَّ بلاد الشام تجمع تحت سماء واحدة احوالًا جويَّة مختلفة وتدخر في اقطارٍ ضيّقة الارجاء ملذّاتٍ لا تُرى في غيرها من البلاد الّا متفرقةً على مسافات قاصية. ففي غيرها من الاصقاع ترى فصول السنة تفصلها الشهور وامَّا سوريَّة فيصدق القول فيها انَّ فصول سنتها لا تقسم بينها الّا بضع ساعات فقط. فان اثقلك توقُّد الحرّ في صيداء او طرابلس ايَّام القيظ فما لك الّا ان تمشي نحو ستّ ساعات فتجد في الجبال المجاورة هواء لطيفًا كهواء شهر اذار (١»

فهذا الاختلاف في درجات حرارة الجوّ الذي تغبطنا بسببهِ البلاد المجاورة للشام كبلاد الجزيرة ومصر انَّما اصابهُ القطر الشامي بواسطة لبنان ليس بامتداد عرضهِ الذي يبلغ نحو تسع درجات. ولا لاجل طولهِ البالغ ١١٠٠ كيلومتر بل لاجل ارتفاعهِ فوق سطح البحر. ولولا علوّ جبالهِ لما كان فرقٌ يُذكر بين شمالي سوريَّة وجنوبها فانَّنا نرى انَّ حالة الجوّ في غزَّة لا تختلف كثيرًا عن حالتهِ في الاسكندرونة وانَّ الحرّ في دمشق كما هو في حلب. لكنَّ الفرق العظيم انَّما هو بين السواحل ومشارف لبنان بحيث نجد في الجرد لطف هواء الاصقاع الشماليَّة

١) راجع رحلتهُ الى مصر وسوريَّة (ج ١ ص ٢٨١)

وممَّا يساعد ايضاً على تكييف الجوّ وتلطيف لهوات الحرّ هيئاتُ تركيب لبنان المختلفة واوديتهُ ووجهة تقاطيعهِ فان الارواح بهبوبها في بطون الارض وشجونهـا تغيّر احوال الهواء كما تؤثّر في السُّحب والامطار التي تحملها الرياح. وترى بخلاف ذلك بعض مُنعطفات لبنـان لحسن موقعها مصونةً من رياح الجنوب والشمال تنحدر الى البحر انحدارًا ليّنًا وهي امكنةٌ تهنأُ فيهـا العيشة للطف نسيمها وتشبه جنوبيَّ فرنسـة برطوبة هوائها

ولا عجب اذا لبنان اضحى بعد زمن قليل كمستشفى الاعلاء يتقاطرون اليهِ لعلاج ادوائهم كما يهرع اليهِ المصيفون لينجوا فيهِ من وقدات القيظ ويستبدلوا روائح المدن المستكرهة بالريح الطيّبة. امَّا الشتاء فيجد ذوو العاهات امكنةً في لحف لبنان يدفعون فيها بردهُ القارس ويقضون فصلهُ في مأمن من اذاهُ اذ يحميها لبنـان من نفح الرياح وشدَّة العواصف وهي تقوم لاهل بلادنا مقام مدينتي «نيس» و«كان» وسواحل فرنسة الجنوبيَّة التي يزدحم فيها شتاءً الاوربيُّون والاميركيُّون فرارًا من صبارَّة القرّ. فيا ليت شعري أليس خور جونية وما يُحدق بهِ من المزارع مقاماً شتويًّا يضاهي خَوْر نابولي. ألا ترى كيف ان ريفـهُ العجيب بارز لاشعَّة الشمس ولصفاء هواء البحر المُنعش وهو مع ذلك في حمىً من السموم والريح الشماليَّة. فلو شاء اصحاب الامر لجعلوا جونية محطًّا لذي الامزجة النحيفة ومنزلًا للنـاقهين. وهذه البلدة تفضـل من وجوهٍ عديدة وادي النيـل وضفَّتيهِ حيث المنـاظر قليلة والهواء يتقلَّب تقلُّبًا كبيرًا فبلي النهارَ المتوهّج الحرّ زمهريرُ الليل وصردهُ. امَّا في مواطئ لبنان فترى للآفاق محاسن متجدّدة من جبال شاهقة وبحار زاخرة وهواء رطبٍ قليـل الاختلاف. وهي لعمري منافع كبرى لا تخفى طويلًا على ذوي الخبرة

ولعلَّ منتقدًا يعترض علينا بقولهِ انَّ منعطف لبنان الغربيّ كثير الرطوبة لتكاثف الابخرة المتصاعدة من البحر في جوانبهِ. والرطوبة كما هو معلوم لا توافق مزاج كثيرين من الناس الذين يؤثرون على المقامات الرطبة الهواء المنازلَ اليابسة

أجل ولكن لا يخلو لبنان من منافع المراكز اليابسـة ايضاً وذلك في منعطفهِ الشرقيّ فاذا تسنَّمت اعالي هذا الجبل لا تلبث ان تبلغ بعد ساعات قلائل الى نواحٍ جافَّة الهواء لا يشوب سماءها غيمٌ ولا يقرب منها ندى البحر لتوسّط لبنان بينها و بينهُ

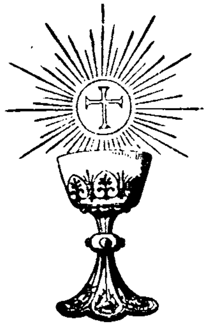
فانَّ لبنان يقسم بلاد الشام من حيث الهواء قسمين مختلفين احدهما ساحليّ نديّ الجوّ ليّن النسيم معتدل الهواء دون حرّ محتدم ولا برد شديد. والآخر شرقيّ بريّ تختلف فيهِ الانواء وتتوالى الفصول المتباينة وهو يجدي بعض الامزجة قوَّة وصلابةً. وعلى كل حال مهما افتى الناس في تفضيل الهواء اليابس او الرطب فان العناية الصمدانيَّة لم تحرم لبناننا من خواصّ الهوائين فيختار كلٌّ منهما ما يشاء

٤ ولهذا الاختلاف في احوال الهواء نفعٌ آخر وهو تأثيرهُ في بنية الجسم

وغنيٌّ عن البيان انَّ طريقة العيش في زماننا وكثرة الالتباك بالاشغال ومداولة الامور والتهافت الى رَشْف إناء الملذَّات كلُّ ذلك ممَّا يضعف بنية الناس ويفقر الدم ويحطُّ بالنسل. وهذه المضرَّات في الاقطار الحارّة الكثيرة الرطوبة كما ترى في مدننا الساحليَّة اوفرُ منها في سواها من البلاد لازدحام الناس في البيوت الضيّقة ولتراكم الاقذار في الاسواق وقلَّة تغيير الهواء. فاذا بقي اهل المدن على ذلك زمنًا قليلًا فسد لا محالة دمهم ونضب ماء حياتهم لولا انَّ اهل لبنان يهاجرون الى السواحل فيأتون بدمٍ جديد يسري في عروق الجمهور فينعش اجسامهم ويشدّد قواهم. وكما انَّ هؤلاء القادمين من مشارف لبنان يؤتون اهل الحضر دمًا جديدًا كذلك الاهلون اذا ما قضوا شهورًا من سنتهم في فصل الصيف فوق ربى لبنان تجدَّدت عزائمهم وتقوَّت أعصابهم فيعودون الى ديارهم وثيقي الاركان مضبوري الخَلْق تتدفَّق منهم مناهل الحياة

هذه بعض ملاحظات ابديناها لنفيد مواطنينا عن فوائد لبنان من حيث مقامهِ الطبيعيّ. فلا ريب انهُ لو فُقد لتلفت ايضًا معهُ اكثر ارفاق بلادنا وقفرت المواطن واصبحت التربة عقيمةً خاويةً لا تأتي بغلاَّتها فكانت اشبه بفيافٍ جرداء لا يُرى فيها سوى بعض تلال من الرمل خلوة من النبات لا ماء يجري فيها ولا انهار ترويها يسكنها قوم من صعاليك البادية يتنقَّلون فيها لطلب كلأ الربيع ثمَّ يرحلون عنها. وبوجيز القول انَّ بلاد الشام لولا لبنان كانت كالبوادي التي تجاورها من جزيرة العرب ونواحي تدمر واقفار ما بين النهرين في جنوبيّ حرَّان ونصيبين

(ستأتي البقيَّة)



نبذة تاريخية في عيد القربان الطاهر

بقلم الاخ يوسف كليس احد معلمي مدرسة الايتام في بيت لحم

لما كانت مجلة المشرق الغرّاء تتحف قرّاءها في كل عدد بما يحلو لذوي الذوق السليم رأيت ان اهديهم هذه النبذة لعلّها تحظى في اعين مطالعيها بالقبول نظرًا لما هي عليهِ من جليل الموضوع واهمّية معرفته لدى الخاصّة والعامّة وهي تنطوي على بحثٍ تاريخيّ لتلك الحفلة الشائقة التي تستدعي العالم المؤمن كلّ عام الى تقديم العبادة بنوع اخصّ للقربان المقدس نهار الخميس الواقع بعد الاسبوع الاوّل من عيد العنصرة مُستندًا بما توخّيتهُ على اقوال المؤرّخين الجديرة بالتصديق وعلى شهادات الآباء القديسين الذين لم يألوا جهدًا عن الإفاضة في هذا الموضوع . فاقول وبالله التوفيق

١ً قدميَّة هذا العيد

ان عبادة القربان المقدس هي غاية في القدم باشر بها المؤمنون مُذ رسم السيّد المخلّص لهُ المجد هذا السرّ وذلك امرٌ لا مُشاغبةَ فيهِ نظرًا لوضوحهِ ومحافظة الكنيسة عليهِ حسب ما تسلمتهُ من المخلص ومن رُسله الاطهار تدوينًا وتقليدًا وعلمًا وعملًا كما يتضح من قولهِ تعالى : (لوقا ١٩ : ٢٢) « اصنعوا هذا لذكري » ومن اعمال الرسل حيث يقول القديس لوقا (اعمال ٢٠ : ٧) :« وفي اول الاسبوع لما اجتمعنا نكسر الخبز » . وجاء في هذا السفر ايضًا (٢ : ٤٢):« ان المؤمنين كانوا مواظبين على تعاليم الرُسل

والشركة في كسر الخبز والصلوات ». وقد اشار الى ذلك رسول الأمم في مواضع جمّة منها قولهُ (١ كورنتس ١١ : ٢٦) : « كلما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب الى ان يأتي ». واما التقليد فبيّن ايضاً لان كُتب الآباء في القرون الأُولى مشحونة منهُ حتى انك لا تكاد ترى مؤلفاً في هذا الشأن خالت صفحاتهُ من الاسهاب الشافي فيهِ ونكتفي هنا بايراد قول الآباء الثلاثمائة والثمانية عشر المجتمعين في نيقية : « يجب ان نعتقد ان في المائدة المقدسة حمل الله الذي حمل خطايا العالم مذبوحاً من الكهنة ذبيحة غير دمويَّة ». وقول اغوسطينس في الفصل العشرين من الكتاب السابع في مدينة الله : « ان التقدمة التي يقربها الكاهن في العهد الجديد هي جسد الرب ودمهِ لان هذه الذبيحة نسخت جميع الضحايا التي كانت تُقرّب في العهد القديم »

واما العلم والعمل فظاهر ايضاً لان الكنيسة المقدسة مذ اجيالها الأُولى الى يومنا هذا دائبة في المحافظة على هذه العبادة طبقاً لما تسلّمتهُ علماً وعملاً من ايدي الرُسل الاطهار . ويشهد على هذا الاستعمال الجاري على اختلاف انواعهِ عند جميع الطوائف الكاثوليكيَّة وغير الكاثوليكيَّة ايضاً . بيد انَّ العيد السابق الذي كانت تحتفل فيهِ الكنيسة سنويًّا اكراماً لهذا السرّ العظيم واضراماً لمحبة قلوب المؤمنين نحوهُ لم يكن ليتخطَّى قبل الجيل الثالث عشر النهارَ الذي رُسم فيهِ اي يوم خميس الاسرار احد ايام الاسبوع العظيم كما هو شائع عند سائر الملل المسيحيَّة

٢ً الاسباب الداعية لنقل العيد واثباته بامر الاحبار الاعظمين

سمح ربُّ المجد بضَهْد الكنيسة وأنبأ بظهور الارطقات بيد انهُ قد وعدها بان ابواب الجحيم لن تقوى عليها لكونه هو بنفسهِ مقيماً فيها كل الأيام وحتى منتهى الدهر . ولذا فانت ترى ان لا حقيقة في الكنيسة الّا وناصبها الاراطقة ردحاً من الدهر مصوّبين نحوها سهام الكفر والقدح بها . على انَّ الكنيسة لم تكن لتخرج من معمعة كل جهاد الّا ويدها قابضة على علَم الغلَبة والظفَر

قام برانجر (١) في اواسط القرن الحادي عشر منكرًا وجود جسد المسيح حقيقةً

١) نشأ برانجر (Bérenger) في مدينة طور (Tours) وفيها تلقَّى العلوم الابتدائيـة . ثم

في القربان المقدَّس وهبَّ من بعده الألبيجيُّون (١ في القرن الثـاني والثالث عشر فنفثوا بين الملاِ سمَّ اضاليلهم في حقيقة هذا السرّ حتى كادت تستولي بهـا اكثر الاصقاع الاوروبيَّة لو لم تتعقّبهم الكنيسة وتستأصل شأفة تعاليمهم الفاســدة. فعندها توفّرت افراح المؤمنين بهذه النصرة وشرعوا يحتفلون لعيد القربان المقدَّس بأبّهة وجلال اعظمين

وفي اوائل القرن الثالث عشر أُوحي الى راهبــة فاضلة وَرِعة تدعى جوليانا (Julienne) من قرية رتيانا (Rétienne) في ارباض لياج (Liège) من اعمـال بلجكة بان تسعى عند الرؤساء الروحيين في تخصيص يوم آخر في السنــة عدا الجاري تعييده في الكنيسة مذ نشأتها ليتهيّأ للمؤمنين فيهِ تكريم جسد ودم مخلصنا الاطهرين تكريمًا اسنى وابهى ممّا كان جاريًا في الكنيسة حتى ذاك العهد. فاخذت هذه الطوباويّة وقتئذٍ تسعى في إتمام مشيئتهِ تعالى فأعلنت الامر اولًا الى الاب يوحنـا لوسان (Jean de Lausanne) قانوني كنيسة القديس مرتينوس في لياج. وهـذا بثَّهُ الى يعقوب بانطليون (Jacques Pantaléon) رئيس الشمامسة وغيره من الاشخاص الذين اشتهروا بالفضل والفضيلة. فاستصوب الجميع ذلك وحاز عنـدهم غاية القبول غير ان نتيجتهُ لم تبرُز حالًا من القوَّة الى الفعل لِما حال دون اماني جوليانا من المعاكسات كما يتصدَّى اعتياديًّا لمثل هذه العظائم في الكنيسة. الّا انهُ بعد مضيّ عشرين سنة اذن الله بانجاز ارادتهِ تلك بواسطة روبرتوس توروت (Robert de Torote) احد افاضل

سافر الى شارتر (Chartres) وبعد ان اتمَّ فيها دروسه عاد الى طور فاقيم استاذا في مدرسة القديس مرتينوس. ثم يمَّم انجر (Angers) حيث رقَّاه أُسقفها اوسابيوس برونوني الى درجة رئيس شمامسة وفيها نفث سمَّ اضاليله ضدّ حقائق الايمان: منها نكرانهُ وجود جسد المسيح حقيقةً في القربان الطاهر. وقد حرمت الكنيسة اضاليلهُ كلها بمجامع خمســة او ستَّة والرأي الاعمّ انهُ تاب اخيرًا عن كفره ومات في شركة الكنيسة

١) الالبيجيُّون (Albigeois) هم اراطقــة مانويّون مع بعض اختلاف وتبدُّل قد اتسموا بهذا الاسم نسبةً الى مقاطعتي البي وتولوز حيث بذروا زؤان اضاليلهم وكان اكثر هؤلاء من سكَّان لانغدوك السُفلى (Languedoc) الذين كانوا يتسمَّون قبلًا باسم ألبيجيين وقد حرمتهم الكنيســة في مجمع خصوصي في لومباز (Lombez) سنة ١١٧٦ وفي المجمع اللاتراني الثـالث المسكوني سنة ١١٧٩

اساقفة لياج. فهذا بعد ان تحقَّق في الامر وفحص عن رغبة جوليانا الصالحة فكَّر في صوابيَّة إقامة احتفال شائق لهذا العيد في يوم آخر ليتيسَّر للمؤمنين احتفاله بالافراح الكاملة والزيَن البهجة لان في خميس العهد تكون الكنيسة حادَّة على آلام المخلص وموته

ولمَّا كانت سنة ١٢٤٦ امر ان يحتفل بهِ في الخميس الثاني الواقع بعد عيد العنصرة وذلك في جميع انحاء ابرشيَّته وهكذا كانت تلك الابرشيَّة هي البادئة اولًا باحتفال هذا العيد السعيد ومنها استطارت شرارة حبّ هذه العبادة الاحتفاليَّة الى كثيرين من أُولي الوَرَع والتقوى في ابرشيَّات مختلفة الذين رغبوا الى الاكليروس والاساقفة وبواسطتهم الى حكم الكنيسة المقدَّسة في تعميم الحفاوة بهذا العيد في العالم الكاثوليكي اجمع. وفي ٨ ايلول سنة ١٢٦٤ اعلن الحبر الاعظم أُوربانوس الرابع الجالس حينئذٍ على كرسي بطرس رسالةً بعث بها الى جميع انحاء المعمور يحرّض بها المؤمنين كافَّة على الاحتفال بهذا العيد احتفالًا شائقًا في الاجل المذكور واومأ الى القديس توما الاكويني المعلم الملائكي الذي كان وقتئذٍ استاذًا في مدينة اورڤيات (Orvietto) ان يؤلف لذلك رتبةً خصوصيَّة ففعل وهي تُعَدُّ اليوم آيةً في بابها

وقد اضرمت نيران هذه العبادة قلوب الاحبار الاعظمين فاقبلوا على اعلاء شأنها وتوسيع نطاقها فامر الحبر الروماني اكلمنضوس الخامس في مجمع ڤيانة ان يُعمل بموجب رسالة اوربانس الرابع المذكورة محرّضًا الجميع على المباراة في تكريم ذاك العيد تكريمًا فائقًا. وحتم خليفته البابا يوحنَّا الثاني والعشرون بان يُجعل هذا العيد من الاعياد الممتازة في الكنيسة فاوجب تلاوة فرضهِ ورتبتهِ مدَّة الثمانية الأيام التابعة لهُ على ما هو جارٍ الآن في الكنيسة اللاتينيَّة وان يُطاف بالقربان الطاهر في الشوارع. والبابا مرتينوس الخامس قد زاد تلك الحفلة رونقًا فاوجب ان تقرع الاجراس وتُنشد الاغاني الروحيَّة بالالحان الشجيَّة لدن الطواف بهِ كما يُصنع بالاعياد العظيمة. وفي سنة ١٤٣٣ اصدر البابا اوجانوس الرابع براءة اثبت فيها ما امر بهِ خلفاؤهُ بخصوص ذلك ومنح غفارين عديدة وعظّم الحفلة اكثر تعظيمًا اذ امر جميع اساقفة العالم الكاثوليكي ان يغرسوا في قلوب رعاياهم هذه العبادة التي شدَّدت ازرها المعجزات الباهرة الصادرة عن هذا السرّ العجيب وقد

اسعدني الحظّ بان اظلّني هذا العيد سنوات متوالية في الديار الفلسطينيَّة فشهدتهُ في اورشليم وارباضها وخصوصاً في بيت لحم حيث يجري كل عام احتفال نادر المثال في الميتم الكاثوليكي لحضرة المفضال الاب بلُوني حيث ترى الوفا من المؤمنين يرتّلون الاناشيد في اللغتين اللاتينيَّة والعربيَّة آن الطواف بالقربان الطاهر في شوارع هذة البلدة مما يخفق لهُ كل قلب مسيحيّ بحركة حبّ صميم وايمان صادق ثابت لان مؤلف هذه الاناشيد هو القديس توما صاحب رتبة عيد القربان وقد أفرغ قصارى جُهَيداه في ان يكون عملهُ هذا آيلًا لإضرام جذوة المحبة في فؤاد المؤمنين وقد نقل منها الى العربيَّة السيد السعيد الذكر البطريرك يوسف اسطفان المديح الذي بدؤهُ « يا لسان المدح» (Pange lingua). ومنهُ جزء يُرتَّل في الكنائس اللاتينيَّة كل مرَّة تُعطى البركة بالقربان الطاهر وبدؤهُ « فلنوقّر سرّ حبّ » (Tantum ergo) فيا لها من معانٍ بديعة تسترقّ العقول وتقتادها صاغرةً لارادة الله العجيبة

٣ً في الغفارين الممنوحة لهذا العيد

ما تبلّجت انوار هذا العيد في الكنيسة الّا وقد اقبل الاحبَار الاعظمون على خزانة استحقاقات مخلّصنا فافاضوا على المؤمنين سجال النعم الروحيَّة لرحض ذنوبهم. منهم البابا أوربانوس الرابع فانَّهُ قد منح عدَّة غفارين لكل من حضر باصغاء وعبادة تلاوة الفرض الالهي المختصّ بذلك العيد سواء حضرهُ بكليَّتهِ ام باقسامهِ. والبابا مرتينوس الخامس قد منح ببراءة اصدرها سنة ١٤٢٩ غفران مئتي يوم لكلّ صلاة سحر ومثلها للقداس الطاهر ومائة يوم لصلاة الغروب وخمسين لكل من الساعات القانونية. وقد ضعّف البابا اوجانوس الرابع ما منحهُ البابا مرتينوس الخامس ببراءة رسوليَّة اصدرها في ٢٦ أيَّار سنة ١٤٣٣ فعلّق اربعمائة يوم غفرانًا لكل سحر ومثل ذلك للقداس ولصلوات الغروب الاولى والثانية ومائة وستين لكل من الساعات. وقد منح ايضاً غفران مئتي يوم لكل من حضر الطواف الاحتفالي بالقربان. ويمكن ان تقدَّم هذه الغفرانات جميعها إسعافًا للانفس المطهريَّة حسب براءة بنديكتوس الرابع عشر الصادرة في ١٣ ايلول سنة ١٧٤٩

٤ المكان الذي تمَّ فيهِ هذا السرّ

يُنبئنا التقليد وشهادات العلماء الباحثين المحقّقين ان العليَّة الصهيونيَّة هي الموضع الذي تمَّ فيهِ هذا السرّ العظيم وهو نفس المحلّ المعروف اليوم « بالنبي داود » وهو من اورشليم في الجهة الشرقيَّة وقديمًا كان يُعرف بكنيسة الاسرار وكنيسة الرُسل لان الرُسل القديسين هم اوَّل من قبل فيها الاسرار الالهيَّة وفيها مارسوها لاوَّل مرَّة بعد ان حلّ عليهم فيها الروح القُدُس. وقد ارتأى في القرن الرابع القديس فلبيانوس(١ البابا والقديس قبريانوس وغيرهما من العلماء ان في هذا الموضع عينه علَّم السيّد المسيح رُسلهُ منح السرّ التثبيت وهي الكنيسة الاولى نشأت في العالم ولذلك قد دعاها القديس يعقوب اخو الربّ في ليتورجيتهِ أم سائر الكنائس . قال وهذا نصّهُ :

ܡܩܪܒܝܢܢ ܠܟ ܐܠܗܐ ܕܒܚܬܐ ܗܕܐ ܕܕܚܠܬܐ ܘܠܐ ܕܡܐ ܚܠܦ ܕܘܟܝܬܐ ܕܐܝܟ ܩܕܝܫܬܐ ܗܠܝܢ ܕܫܒܚܬ ܒܓܠܝܢܐ ܕܡܫܝܚܐ ܒܪܟ ܘܝܬܝܪܐܝܬ ܕܝܢ ܚܠܦ ܨܗܝܘܢ ܩܕܝܫܬܐ ܐܡܐ ܕܟܠܗܝܢ ܥܕܬܐ (٢

وممَّا شهد بهِ القديس ابيفان (٣ وهو من آباء القرن الرابع ان ايدي الرومان لم تعبث بهذه العلّيَّة على عهد ملكهم طيطُس

وقد لبثت على هيئتها القديمة الى اوائل القرن الرابع ولمَّا قدمت القديسة هيلانة (٤ أم قسطنطين الكبير شيَّدت هناك كنيسةً عُظمى جميلة ذات طبقتين. ثمَّ رُمّمت هذه الكنيسة في القرن الثالث عشر . وذكر المؤرخون انّ هذا البناء الجديد كان مؤلفًا من طبقتين وهما كنيستان سُفلى وعُليا فالأُولى كانت ذات ثلاثة اسواق والثانية كان سقفُها معقودًا بالحجر على شكل قُبَّة شامخة ذات حنيَّة واحدة كبيرة منمَّقة بابدع النقوش والصُوَر الرامزة الى ما كان قد جرى فيها من العظائم

---

١) «Jesus postquam cœnavit cum discipulis suis et lavit eorum pedes chrisma conficere docuit ». Epist. 2 cap. I.

٢) وتعريبهُ : « انَّنا نقرِّب لك (أيُّها الاله) هذه الذبيحة المرهبة الغير الدمويَّة لاجل هذه الامكنة المقدسة التي مجدتها بظهور ابنك وخصوصًا لاجل صهيون المقدَّسة امّ الكنائس »

٣) راجع Quaresmius T. II, p. 121

٤) Nicéphore et Metaphraste, *voir* Quaresmius T. II, p. 122

وكان يقوم بامرها بعض رهبان من قانونيّ القديس اغوسطينوس الى سنة ١١٨٧. ويظهر ممَّا اخبر بهِ ويلبران اولدنبورغ (Willebrand d'Oldenburg) في رحلتهِ الى الاراضي المقدَّسة سنة ١٢١٢ انهُ كان في جبل صهيون دير فخيم عظيم البنـاء يقيم فيهِ لفيفٌ من السريان وكانوا يدلّون الزوّار على مكان الحجرة التي تمَّ فيها العشاء السرّي

وسنـة ١٢١٩ قدم الى القدس الرهبان الاصغرون بمعيّـة رئيسهم القديس فرنسيس مؤسّس الرهبنة المنتمية اليـهِ واقاموا في جبل صهيون قرب دير قانونيّ القديس اغوسطينوس المهجور. وسنة ١٢٢٧ سكنوا الدير المذكور وكان قد منحهم اياه الملك الكامل فسكنوهُ الى سنة ١٢٩٠ في ايَّام الملك الاشرف صلاح الدين خليل صاحب الديار المصريَّة. ثمَّ عادوا اليهِ برخصة الملك الناصر اخي الملك الاشرف وجعلهُ البابا اقليميس السادس في حراستهم ببراءتهِ الصادرة سنة ١٣٤٣ وبقي في حوزتهم الى سنة ١٥٥٩ فحوّل جامعاً وعُرف بجامع النبي داود الى اليوم

ترجمة العالم المأسوف عليهِ

يوسف حبيب باخوس

بقلم الاديب نجيب افندي فارس باخوس

اخذت مجلة المشرق الغرَّاء تنشر حيناً بعـد آخر تراجم البعض من رجال العلم في ديارنا الشرقيَّة الذين اشتهر فضلهم وبعد صيتهم. مدوّنةً من اقوالهم ما حسن وطاب ومَوردة من نفثاتهم ما ترتاح اليهِ نفوس الأُدباء طرباً. ممَّا حملنا الان ان نهدي اليهـا شذرة من الكلام على حياة من كان من اعظم نصراء اللغة العربيَّة ومن اعون اهلهـا على احيائها في البلاد المغربية. وهو العـالم الشهير والكاتب المُجيد المرحوم يوسف حبيب باخوس فنقول: «وصاحب البيت ادرى بما فيهِ»

ولد رحمة الله عليـهِ في بلدة غزير قاعدة كسروان في ٥ ايار من سنة ١٨٤٥ ولما بلغ اشده ادخلهُ والده مدرسة ماري عبـدا هرهريا في عرامون بجوار غزير الشهيرة في



الشاعر الناثر المرحوم يوسف حبيب باخوس

ذلك الحين فدرس فيها اللغة العربيَّة والايطالية واللاتينيَّة والسريانيَّـة والعلوم الفلسفيَّة والتاريخية وبرع في جميعها لاسيما في اللغة العربيَّة التي جعلها غاية همه ومرمى لسهمهِ

وكان حضرة رئيسه ومدرسوه الافاضل يُعجبون بتوقد فؤاده وحدَّة ذكائه وخصوصاً بغرابة حافظتهِ وسرعة خاطره (١. وبعد ان انهى دروسه في المدرسة المشار اليها درس الفقه وقوانين دولتنا العلية على الاب العـالم المأسوف عليهِ الخوري ارسانيوس الفاخوري (٢. ثم عُيّن مدرّساً للبيان في اللغـة العربيَّة في مدرسة عينطورا للاباء اللعازريين على عهد رئاسة حضرة الاب كوكيل الطيب الذكر. ولهُ في مدحهِ قصائد عديدة (وهي اول قوافيهِ) لم نقف الَّا على واحدة منها دفعها اليهِ بمناسبة عام ١٨٧٠ وهذا مطلعها:

ضياء العيـد من افق السلام تبدّى مُشرقًا في بدء عامِ

. . . .

ومنها في التخلص

جاءتك الليالي البيض حلّت فانسى حسنُهـا طيبَ المنامِ
وامّت رَبع اقوام كرام تدير عليهمِ كأسَ المـدامِ
مشعشعةً كأنَّ بهـا خلالًا تضاهي خلق كوكيل الهمامِ

ومنها في الختام:

---

١) اتفق ان الاب الشاعر الشهير المرحوم الخوري يوحنا رعد الغزيري نظم قصيدة فريدة في باجا ورفعها لغبطة البطريرك المثلّث الرحمات بولس مسعد يستغفرهُ ويستعطفهُ وهذا مطلعها:

ارفعْ سجوفك لمحةً لنواظري وأنِرْ بلحظك دجن وحشة خاطري

فاشتهر امر هذه القصيدة وتحدث بها ذوو العلم والادب فهاجت بهم الاشواق الى مطالعتهـا فطلبوا من ناظمها ان يسمح لهم باستنساخها فابى عليهم ذلك لانهُ كان شديد الحرص على كلامه. فسكنوا وفي قلوبهم شيء منها. ثم لم يمضِ حين من الزمان حتَّى عرضت لصاحب هذه الترجمة حاجة اوجبت مجيئهُ الى بيته في غزير فرغب اليهِ بعض اساتذتهِ وارفاقه ان يحتال في نسخ هذه المنظومة الرائعة. فوعدهم بذلك الَّا انهُ لم ينجح مسعاه بل ذهب احتيالهُ ادراج الرياح. اخيرًا طلب اليهِ ان يتلوها على مسامعه ففعل. ثم تناولها من يده وامعن فيهـا النظر مقدار خمس دقائق (كذا روى المرحوم يوحنا رعد) ثم اعادهـا اليهِ وتركهُ بقولهِ: «لقد قضي الامر». وفي المساء رجع الى المدرسة فاعاد على مسامع الاساتذة والطلبة ابيات تلك القصيدة برمّتها وعدد قوافيها يناهز السبعين. فتـأمل

٢) راجع ترجمتهُ في المشرق (٣: ٦١٤)

فلا زالت شموسك طالعاتٍ بافق السعد يا خير الكرامِ

وفي مدة وجوده في هذه المدرسة انصبَّ على درس اللغة الافرنسيَّة بمزيد الهمة والنشاط حتى حذقها ومهر فيها. وهناك ألَّف كتابه «الهدية السنيَّة لابناء المدرسة العازاريَّة» وهو مؤلف جزيل الفائدة قد ضمنهُ جلَّ القواعد الصرفيَّة والنحويَّة في اللغة العربيَّة جرى فيهِ مأمورًا على الخطة المتبوعة هناك في تعليم القواعد الافرنسيَّة وقد نشر بالطبع مرتين.

ثم ما لبث ان ترك مدرسة عينطورا وابحر الى الاستانة العلية لقضاء بعض المهامّ. فنال اذ ذاك حظوة في اعين رجال الدولة العظام وامتدح بعضهم بقصائد غرَّاء نذكر منها واحدة قد نظمها في مدح صفوت باشا وزير الخارجيَّة في ذلك الحين قال في مطلعها:

هي المراتب قد عزّت مبانيها والحزم والعزمُ طبعًا من مباديها
وذي المعالي فمَن دام الدّراك لها بالفخر فالجدُّ يُؤتيه معاليها
لا يدرك المجدَ الّا فارسٌ بطل ولا يؤمُّ المعالي غيرُ واليها
لا بدَّ للمجد من شهم ومن نبهٍ يُزهى بهِ المجد في عليائهِ تيها
كالفرد صَفْوتَ من تاهت بعزَّتهِ مراتب المجد دانيها وقاصيها
هو الوزير الذي شاعت مآثره في المجد لا يبرح التاريخ يرويها

ومنها: واقبلت شعراء العصر تنشدها وتستهلّ القوافي من معانيها

ومنها في الختام:

حمدًا وشكرًا لمولانا العزيز على إنعامهِ حين اعطى القوسَ باريها
سلطاننا المالك الدنيا بقبضتهِ مولى الخلافة ملجاها وكاليها
يا ربّ خلّدْ مدى الايام شوكتهُ واحفظ عدالتهُ وردًا لظاميها
يا ربّ نعّم رعاياه برأفته وغيث نعمته لا زال يحييها

ثم آب الى بيروت وعُيّن مدرّسًا للفصاحة العربيَّة في مدرسة الحكمة المارونية لسيادة مؤسسها المفضال المطران يوسف الدبس (اطال الله في ايامه) الذي قدرّه حق قدرهِ فاجلّه ورفع منزلته ولهُ في مدح سيادتهِ القوافي المتينة والمنظومات الرائعة. منها قصيدة في «حكمة النفس» قد سبق نشرها في هذه المجلة (١). ومنها قصيدة اخرى رفعها اليهِ في اليوم الحادي عشر من شهر شباط لسنة ١٨٧٢ بمناسبة تذكار ارتقائهِ سدَّة ابرشية

١) راجع المشرق (٣: ٣٢٢)

بيروت لم نقف الّا على ثلاثة ابيات منها مكتوبة بالقلم الرصاصي وهي :

حيّوا المعالي فبدرُ الحسن قد طلعا وكوكب السعد في افق الحمى لمعا
وبشّروا المجد من اعلا مراتبه واستبشروا انّ عام الحظّ قد رجعا
. . . .
وقام بالدين والدنيا بقبضتهِ ما إحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا

ومن قصيدة لهُ في بيان « محاسن اللغة العربيّة » رفعها لسيادة الحبر المشار اليهِ قال في مطلعها :

للشعر في خطرات الفكر آمالُ وللقصائد إعراض واقبالُ
وللعروض بحارٌ عمَّ طالبها طورًا نداها وطورًا خاب تسآلُ
وللمعاني اذا جادت بها درر يزينها النظم لا فعلٌ وفعّالُ
بياضا السحر من اسرارهِ انكشفت غوامضُ الحكم يروي سعدها الفالُ

ومنها :

نطوي وننشر من تدبيجها غررًا والطبق والجمع والتفريق إشكالُ
حلّت عقود معاليها بتوريةٍ حلت بها الذوق والتشبيه سلسالُ
عزّت فلا وصل الّا من مكارمها يرجى وبالفضل للآمال آجالُ
تلقي المدائح اسنادًا بمسندها وتُستَقلّ بها في الحمد اقوالُ
عن حسنها غرر الاشعار قد قصرت وصفًا وبالقصر إحسان وإجمالُ
أنعم بها فهي أعرابية سفرتْ واسعدْ بطلعتها فالسعد إقبالُ
تفرّدت بين ابكار اللّغى وعلتْ قدرًا وعزّت بها بالفخر اجيالُ
صحّت بإعلالها الأفهام واعتصمتْ حكمًا وفي صحّة الاحكام إعلالُ
وقد نحت نحوها الافكار وارتفعتْ بنصبها منصب التفضيل ابطالُ
تنازعتها معاني الوصف واشتغلتْ بنعت عاملها الموصوف اشغالُ

ومنها :

وكم رجالٍ افاض الدهر شهرتهم براية المجد في مضمارها جالوا
هيهات هيهات ادراكٌ لشوطهمِ فدون ذلك اخطارٌ واهوالُ
وكل علمٍ وفنٍّ ظلّ ينشدهم بدائع الشكر تقريظًا لما نالوا
لا زال يزهو سنام كلّما خطرت للشعر في خطرات الفكر آمالُ

وفي ٣٠ تموز سنة ١٨٧٩ دعتهُ الحكومة الايطالية بواسطة قنصلها في بيروت ليتولى تحرير جريدة عربيّة « المستقل » تُطبع في كالياري (Cagliari) في سردينيا (Sardaigne) من اعمال ايطالية شأنها ان تدرأ عن المصالح العربية وتدافع عن

حقوقها وابنائها . فاجاب الى هذه الدعوة بطيب الخاطر وغاية ما يتمنّاهُ وقوف النفس للدفاع عن حقوق امّتهُ العربية . وواقع الامر ان اعداد المستقل « الاولى » كما سيتضح لك ذلك ما تخطّت ولا تعدّت حدّ الافصاح عن مجد العرب الباسق السابق وعن امحاء ذلك البهاء في أُخريات الايام

فغادر هذه الاصقاع مريدًا اولًا رومة العظمى حيث حظي بمقابلة قداسة البابا لاون الثالث عشر المالك سعيدًا الذي رمقهُ بعين الرعاية والالتفات ومنحهُ وكلَّ أُسرته البركة الرسولية متمنيًا لهُ الفوز والنجاح في مهمته الجديدة

وبقي يتنقل في البلاد الايطالية من مكان الى آخر . متفقدًا ما فيها من جميل الآثار التي لم تقوَ عليها صروف الزمان (١ . وفي اثناء ذلك كتب رسالته المعنونة « عشرون يومًا في رومة » اتى فيها باطلى عبارة واجمل اسلوب على ذكر ما تحويه المدينة الابدية من الآثار التي تركها الاقدمون . وقد طُبعت منها مقالة نفيسة في وصف مشهد الالعاب القديم

ثم بدأ بتحرير « المستقلّ » وقبل الشروع فيهِ نشر اعلامًا هو بمكان من البلاغة اتى فيهِ على جل الغرض المقصود من انشاء هذه الجريدة . وهذا نصهُ بحروفهِ ملخصًا :

« ان بلادنا الشرقيَّة التي افل قمر سعدها من فلك المعارف والعلوم بعد ان رفعت لواءها في الخافقين قد اشرق عليها الان شفقٌ من مجدها الغابر يبشر ظلماتها بقدوم ملك النور واستفاقت من سباتها ثابتةً أمام وثبات القاهرين فاعرب عنها لسان حالها بانها هي الامة العزيزة التي انارت شمس شرقها وقتًا ما حنادس الاصقاع الغربية

« وان كوارث الزمان ونوازلها قد ذهبت بعظمتها الماضية التي اصبحت بياضًا على صفحات تاريخها وليس بوسع الجرائد العربيَّة ان تتصدّى لهذا التقاعد وتندّد بسوء الأحكام حتى اصبح امرها كوقائع قديمة يُنظَر اليها ولا يُنذهل منها . بيد اننا نعترف بالفضل لاكثر جرائدنا التي تقدمت على قدر الامكان ببيان هذا الخلل واصلاحه

« فبناء على ذلك قد عمدنا الى انشاء جريدة عربية اسمها « المستقل » اقترّت لها ثغور الانوار في باكورة هذا العام الجديد . فهي للغافلين منبّه ساطع . وللشاردين محتد

---

١) من ذلك دمار پومپاي (Pompéï) راجع المشرق ٣ : ٤٦١

جامع . تجوب فيافي البلاد العربية وصحراها . وتنشر ما انطوى من احوالها ومجراها . تصبو الى المناقشة الحسنة المرضية . وتأبى تراهتها شحناء التعصُّبات المِلّيَّة . املًا باحياء روح الاخاء بين متبايني الاحياء والاهواء . . .

« هذا وان ابواب المستقل مفتوحة للجميع على اختلاف مذاهبهم فيتلقّى بالترحاب جميع المراسلات التي ترد اليهِ ويبحث عن وقائع العرب السياسية والماليــة . ويعارض النظامات المخلّة والقوانين المذلّة . وسينشر وقتًا بعد آخر اخبـــار معتبريهم واشرافهم . شاكرًا ما لبعضهم من المليح . ومؤنبًا ما لغيرهم من القبيح

« يُنشر المستقل في كالياري (Cagliari) احدى مدن ايطالية وعاصمة سردينيا (Sardaigne) ويصدر نهـــار الاحد من كل اسبوع . ويسهر مؤسسوه على تقدمه وتعميم فوائده املًا بان يشبّ ويهرم فيغنم مسرّة القوم ومرضاتهم »

وفي ٢١ اذار من سنة ١٨٨٠ ظهر العدد الاوّل من المستقـــل . فاحسن الادباء استقباله وتهافتوا على الاشتراك بهـــذه الصحيفة التي عظم شأنها وانتشارها واشتهر امر محرّرها . ولعبت دورًا مهمًا في عالم الصحافة والسياسة . فتشاغلت بها الجرائد الاوربيّة لاسيًا الافرنسيّة وتحدثت عنها مرارًا عديدة كما اثبت ذلك رحمهُ الله في مقـــالة نشرها في اعمدة تلك الصحيفة نلخص منها ما يأتي :

المستقل وجرائد فرنسة

« نحن ممَّن ولع بقراءة الجرائد الفرنسويَّة وقد زاد شغفنـــا بها في هذه الأيام فاستلفتتنا واشغلتنا لما فيها من الآيات البـــاهرة والعبارات الطنَّانة . وما تصفحناها ألّا ورمقنا ذواتنا بعين العجب وطبنا نفسًا بتلك العظمة والمرتبة العالية التي رفعت اليهـــا مقامنا الذليل وما ذاك الّا فضل من المولى الكريم يؤتيهِ من يشاء . . .

« فهذا مستقلّنا جريدة عربيَّة تطبع في كاليـــاري تشاغلت بهِ الجرائد الافرنسيَّة فكبّرتهُ وعظمتهُ ونشرتهُ في جهات البسيطة الاربع وحملت اخبارهُ رُسل البرق من قطر الى قطر . فاستمالت اليـــهِ افكار القوم ليروا هل صدق الخبر فيما رواه . ام سمعُك بالمُعيدي خير من أن تراه . فثقلت موائد مكتبتنا بالرسائل البرقيَّة والتحارير المستطيلة التي وردت الينا من المانية وسويسرة وانكلترة وباريس واميركا ايضًا تقرظ حقارتنا وتطاب

الينا ان ندوّن اسماء اصحابها في عداد المشتركين بتلك الجريدة. . .»

ولهُ في تلك الصحيفة مقالات نفيسة في السياسة والعلم نقتطف العبارات الآتية من مقالةٍ لهُ عنوانها «السياسة في الشتاء»:

« جاء الشتاء واكمد وجه الافق وبرد الهواء وبدا الجليد في الاصقاع الشمالية من القارة الاوربيَّة وخيَّمت الغيوم فوق سماء قبليّها فاثّرت هذه الغرائب الطبيعيَّة بحركات السياسة فامسكتها وانقبضت لبرودتها. ولا غرو ان تطفأ تلك الفقاقيع التي نفختهـا حرارة الصيف اذا ما هبَّت بهـا ريح القطب الشمالي المتجمد وينحصر بعدها عنصر السياسة ويأوي الى كهوفهِ ويلجأ الى ربوعهِ يستظل بها من قساوة الشتاء. على انهُ يبقى لهُ امتداد وتأثير في افلاك الوزارات وآفاق الامارات حيث اذا خمـدت الحرارة فلا تهمد. واذا اشتعلت استترت وراء الهدو والسكينة ودمـاثة الاخلاق. ونفرت عن الجافاة والمقاواة فانها في فصل تلطف بهِ الاحاديث كلطف الهواء وتجمـل فيهِ مبادلة العواطف الودادية وتكثر فيهِ الاجتماعات والملاهي في نوادي الانس ومآدب الطعـام التي تعوّد الاخلاق الجاملة والايناس

« ما زالت السياسـة في اوربة تتقلَّب من حال الى حال: تنقبض ببرودة الوقائع وتتمدَّد بحرارتها. يكفهرّ وجه شمسها وتخيِّم غيوم افلاكها فتضرب بهـا اطناب الكهربائيَّة فتبرق وترعد بدون ان يسيل من حرارتها مطر الدم المدرار. وليتـهُ لا يسيل ابدًا. . . فلا يزال هذا البرق خلّبا

« وكل يرى ان الهيئة الحاضرة لم تكن غير ثابتة فقط بل انها تشفّ عن مستقبل يتوعَّدنا بالمصائب والنوائب. ونوازل الحروب وغوائلها. وما برح رجال السياسة يضربون دون هذه النتائج ستائر التورية والابهام ويظهرون لنا غير ما يقتضيهِ المقام. وطالما سمعنا خطبهم وقرأنا اقوالهم وكلها تبشر بالسلام والامان وتتغاضى عن الاشـارة الى الاستعدادات الحربيَّة والنفقات العسكريَّة التي ناءت بوقرها مناكب اوربة

« فاذا قرأنا في جرائدهم الوزريَّة فصلًا مهمًّا فلا نرى بهِ الَّا تمويه الوقائع. والافتتان بمغايرة ما سلم بهِ الجميع ويجهدون انفسهم لان يخفوا علينـا ما تهمنا معرفتهُ وننظر الى النظر اليهِ جليًا بعين مجرّدة مأوفة

« فما مرّ عصر كثرت فيهِ جناسات الفصاحة وبديعها كما فاضت في ايَّامنـا هذه

وربما لم يمهر احد في صناعة الكلام كما مهر فيها رجال عصرنا. فهم يستعيضون احياناً بالكلام عن السكوت. وبالسكوت عن الكلام. فيعتقدون غير ما يفوهون بهِ ويفوهون بضدّ ما يعتقدونهُ. واذا نادى احد رجال السياسة وقال: يا ايها الناس انتم في خطر من الحرب وشرّ غوائلها. صرخوا باعلى اصواتهم: «انهُ مجنون مغفّل لا المام لهُ بالسياسة واسرارها وان في الزوايا خبايا لا يعرفها الّا اهلها وابن بجدتها. وللاحكام ارباب يجيرون حقها ويخصهم وحدهم النظر في نظامها فانهُ وحيٌ أُنزل على قلوبهم». فعلينا ان نرضى بما نسمعهُ منهم فقط وكل ما بلغنا الى الان ينحصر بهذه العبارة الوحيدة التي صارت من قبيل اللازمة تتكرر في كل محضر وخطاب وهي: علائقنا حسنة مع الجميع ولنا امل كبير بدوام السلم...» (التتمّة للآتي)

فنّ الفوتوغرافية او التصوير الشمسي

للاب لويس دي انسلم (تابع لما سبق)

٢ تعريف الفنّ وطرائقهِ وادواتهِ

بحثنا في مقالة أولى عن تاريخ فنّ التصوير الشمسيّ والمبادئ الطبيعيــة التي يركن اليها. وهذه نبذة ثانية نبحث فيها عن اساليب هذه الصناعة ولوازمها والادوات المتخذة لإحكامها وتحسينها

اعلم انَّ للتصوير الشمسي فرعين كبيرين او طريقتين متشعّبتين: غاية الاولى رسم الصور السلبيَّة وغاية الثانية اصطناع الصور الايجابيَّة

١ الصورة السلبيَّة

تُصطنع الصورة السلبيَّة لتُرسم عليها عدَّة صور ايجابية. وهو امرٌ جوهريّ لا بُدّ منهُ لتوفير الصور على قدر ما يشاء المصوّر. ولولا الصورة السلبيَّــة لبقيت الصورة منفردةً لا يمكن تمثيل نُسَخها. وتدوين هذه الصورة السلبيَّة انَّما يكون على وجه مطلي بطلاء حسَّاس يُجعل ضمن الخزانة المظلمة فتتَّصل بسطح هذا الطلاء هيئة المنظورات

الخارجيَّة وذلك بان تنفذ اشعَّة هذه المرئيَّات المضيئة في ثقب ضيّق او تجتاز بعدسيَّات تُعرف بالشبجيَّــة (objectif) · فعلى حسب مرور الاشعَّة في الثقب او في العدسيَّة تنقسم الصناعة الفوتوغرافية الى فوتوغرافية بلا شبجيَّة وفوتوغرافية بشبجية

١ الفوتوغرافية بلا شبجية · لا تحتاج هذه الطريقة سوى الى ثقب دقيق حسن الدائرة يجعل في جدار الخزانة المظلمة المقدَّم · فالصورة المدوَّنة على هذه الطريقة تامةٌ مطابقة لهيئة المنظورات · امَّا كِبَر الثقب والزمن اللازم لعرض الطلاء للنور فكلاهما يُعرف بنواميس مقرَّرة في الرياضيَّات · غير انَّ هذه الطريقــة لرسم الصور بلا شبجية قليلة الاستعمال

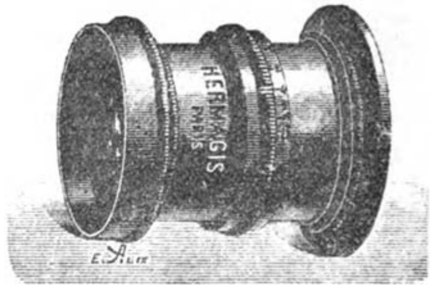
٢ الفوتوغرافية بشبجية · لا غنًى للمصوّر اذا جرى على هذه الطريقة الثانية عن ان يتَّخذ خزانةً مظلمة ثمَّ شبجيةً مع حاجز ثمَّ سِدادًا ثمَّ قائمًا ثمَّ مسدِّدًا

الخزانة المظلمة عبارة عن ركن أُفقي يجعل فوقهُ لوحان يجمع بينهما جلدٌ على هيئة المنفاخ لا ينفذ فيهِ النور ففي اللوح الاماميّ تجعل عدسة الشبجية امَّا اللوح الخلفي فيتركَّل فيهِ لوح من الزجاج الخشيب يجوز تقريبهُ او ابعادهُ فوق ركنهِ الى ان تظهر صورة المنظورات جليَّةً عليهِ · وعند العمل تُنزع هذه الزجاجة ويوضع بدلًا منهــا الإطار (châssis) المتضمن الصفيحة الحسَّاسة · وهذه الصفائح الحسَّاسة تجهَّز في غُرف خصوصيَّــة بعيدًا عن النور ثم توضع في هذه الاطارات بحيث لا يمسُّها النور والأَولى ان تجعل عليهــا ارقامٌ لئلَّا يسهو المصوّر فيستعمل البعض منها بدلًا من الآخر ·

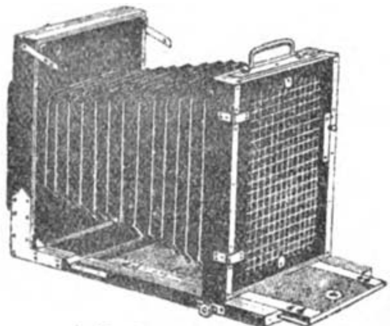
وهذه الاطارات على انواع شتَّى · فمنها ذات جرَّارات خشبيَّة تكون مربَّعةً مستطيلةً تُدخل الصفائح الحسَّاســة في جوانبها المعكنة وتُسحب عند عرض الصفيحة للنور · فاذا تأَثرت بهِ أُنزل الجرَّار فيغطيها · وهذه الاطارات تُنقل الى المعمل لتتمَّة العمليَّات وهي في الغالب مزدوجةً يُجعل لها جرَّار على كلّ من جانبيهــا وبين الجرَّارين مخزنان لتجعل فيهما صفيحتان حسَّاستان · ومنها ما تكون ذات ستــائر مَرِنة ويتَّخذ لذلك قطع رفيعة من الخشب تُغرَّى بعضها فوق نسيج من القماش لا يخرقهُ النور · ومنهــا ما تكون مستديرةً على شكل اللفّ وهذه الاطارات اكثر استعمالهــا مع الصفائح الحسَّاسة التي تُجهَّز على صورة جُليدات رفيعة تلتفُّ على بعضها وتُنشر في ســاعة عرضها للنور · فتُجعل الاطارات على قدر كل جُليدة ويُفرز بعضها عن البعض · ولهــذا



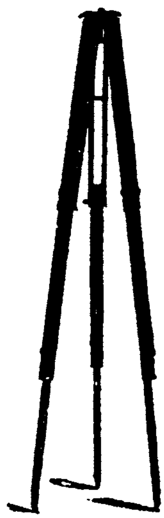
السداد



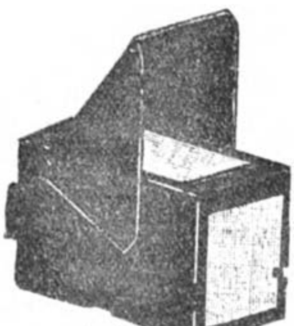
الشبجة



الخزانة المظلمة



القائم



المسدد

الملفّ ميناء يدلُّ في كل دورة على عدد الصور المتأثرة بالنور. كما انهُ يسمع لهُ رنَّة كل مرَّة ينجز الملفّ ويبتدئ ملفٌ آخر بدلًا منهُ

الشبحيَّة عبارة عن جهاز مركَّب من عدسيَّات والغاية منها ايصال صورة المرئيَّات الى الزجاج الغليظ ثم الى الصفيحة الحسَّاسة التي تُجعل في مكانهِ. وليس من شأننا هنا ان نصف خواصّ العدسيَّات وكيف تنفذ فيها اشعَّة المنظورات فتتصور معكوسة وراءها على حاجز. وذلك وفقًا لنواميس طبيعيَّة يفسّرها العلماء في كتبهم. وهذه العدسيَّات تُصطنع من عناصر بلوريَّة شفَّافة يدخل في تركيبها القلي (crown) او الرصاص (flint) والبعض يتَّخذون الآن لصنعها الزجاج المزوج بركن الباريوم فنالوا بذلك شبحيَّات غاية في الصفاء. وهذه العدسيَّات تُقسم الى قسمين قسمٌ يجمع الاشعَّة في مركز واحد (lentilles convergentes) وتكون على ثلاثة اشكال اما محدَّبة على الجانبين (bi-convexe) واما محدَّبة على احد الجانبين ومسطَّحة على الآخر (plan convexe) واماً محدَّبة على جانبٍ ومقعَّرة على الآخر (ménisque convergent) والقسم الآخر يختلف اتجاه اشعَّتهُ (l. divergentes) وهو ايضاً على ثلاثة ضروب: مقعَّر الجانبين (bi-concave) مقعَّر فمسطَّح (plan concave) ومقعَّر فمحدَّب (ménisque divergent)

ولتحديب هذه العدسيَّات وتقعيرها قوانين ثابتة وهي تتركَّب مع بعضها على طرائق شتى واذا كانت هذه العدسيَّات من صنفٍ واحد دُعيت بسيطة واذا رُكّبت اصنافها المختلفة دُعيت مركَّبةً. والمركَّبة ذاتها تُقسم الى قسمين فمنها ما تكون شبحيَّتهُ متناسبة (objectif symétrique) ومنها ما يكون غير متناسب (obj. dissymétrique). ولكل من هذه الاجناس العديدة تجهيزات خصوصيَّة تُعرف باسماء مخترعيها في كلّ بلدٍ

الحاجز (diaphragme) صفيحة معدنية في وسطها ثُقب مستدير يختلف كبرهُ. والغاية منهُ إلغاء الاشعَّة المضيئة التي في اطراف الشبحيَّة او ما كان منها بالغ الانحراف فالحاجز ينفي هذه الاشعَّة ويزيد الصورة حسنًا ودقَّة. ومن الحواجز ما لهُ عدَّة صفائح تختلف ثقوبها كِبَرًا فيختار منها المصوّر ما احبّ بضغطهِ على محرّكٍ يُجعل في خارج الشبحيَّة

وللحاجز في التصوير الشمسيّ دورٌ مهمٌّ وربَّما مكَّن صاحبهُ من تلافي الخلل في الصورة لاسيَّما اذا كانت المنظورات بعيدةً. الَّا انَّ استعمالهُ يقتضي وقتاً اطول على قدر صغر الثقب. فكلَّما كان ثقب الحاجز اصغر اضطرَّ المصور الى عرض الصفيحة الحسَّاسة زمناً اطول للنور. ومن ثم قد قرَّر ارباب العلم انَّ الوقت اللازم لعرض الطلاء الحسَّاس للنور يختلف في كلّ شبجية بعكس ثقب الحاجز او بعكس مربَّع قُطرهــا. وفي المؤتمر الاخير الذي عقدهُ كبار المصورين قد اثبتوا انَّ الحاجز القانوني هو الذي يناسب عُشر المستوقدة الاصلية في الشبجيَّة اي مركز حرارتها اماَّ بقيَّة الحواجز فينبغي على مجهّزيها ان يصغِّروا ثقوبها بحيث يتضاعف دائماً وقت العَرْض بنسبة ٢،٤،٨،١٦ الخ وحتموا بان تدوَّن هذه الارقام على كل حاجز ليقيسها المصوّر على الحاجز القــانونيّ ويستعمل منها ما رآهُ موافقاً لغايته

فترى من قولنا السابق انَّ للشبجيَّة والحاجز امرًا كبيرًا في التصوير الفوتوغرافيّ. وان رضي طالب هذا الفنّ برأينا اشرنا عليهِ ان لا يدَّخر وسعاً في الحصول على شبجيَّة حسنة وان تـكلَّف عليها مبلغاً كبيرًا. فانَّ الشبجيَّة اذا كانت جيّدة مستوفية الشروط امكن صاحبها رسم صورٍ متقنة وان كان قليل الخبرة بالصناعة. فساء اذن عملًا بعضُ طلبة الفنّ اذ يصرفون الدرهم عن يد سخيَّــة ليحصلوا على آلة محكمة الصُّنع جميلة المنظر وهم يغضُّون الطرف عن الشبجيَّة ولها الشأن الأكبر والاثر الاخطر في التصوير. وقد امتازت في أيامنا الشبجيَّات التي اخترعها غُرس (Goërz) او زَيْس (Zeiss)

السداد (obturateur) آلة تُحجب بها الشبجيَّة وهي لا تُـكشَف الَّا في ساعة عرض الشبجيَّة للنور لتتأثَّر بهِ الصفيحة الحسَّاســة. وكشفها لا يتجاوز بضع ثوانٍ. والمصوّرون يعيرون السداد بالًا اعظم منذ اتخاذ الصفائح المطليَّة بالهــلام والبروم (gélatino-bromure) لشدَّة تأثُّرها بالنور. فان لم يُراعِ المصوّر امرها بالسداد تلفت الصفائح. والسدادات اماَّ جانبيَّة (obturateurs latéraux) تـكشف عن الشبجيَّة من احدى الجوانب ثم تسـدُّها . واماَّ مركزيَّة (obt. centraux) وتـكشف عن الشبجية من مركز البصر او بازالة شقَّة تمرُّ بهذا المركز وهي تُسدّ بالحركة المخالفــة. وقد اخترع قومٌ من العلماء ضروبًا عديدة من السدادات كغاريّ (Guerry) وماراس (Mairesse) وكروس (Krauss) وغيرهم. اماَّ هيئاتها فمنهم من يختار السدادات

المستديرة لحسن خواصّها النظريَّة . ومنهم من يؤثر السدادات المستطيلة لتوفُّر اشعَّتها . وعلى كل حال لا بدَّ للمصوّر ان يُسرع في فتح هذه السدادات وسدّها لئلا يتأثّر جانب من الصفيحة المطليّة اكثر من الآخر . ولاستدراك هذا الضرر يفضّل البعض اتخاذ صمامة ينزعها المصوّر بيدهِ عن فوهة الشبحية ثم يعيدها فتتأثّر الصفيحة كلُّها بوقت واحد

القائم (pied) ما يُجعل فوقهُ آلة التصوير ويكون امَّا ثابتاً كما ترى في معامل المصورين وامَّا خفيف الحمل ينقلهُ المصوّر معهُ . وهذا الصنف يكون عادةً مركبًا من ثلاث شُعب يمكن فكّها وضمّها الى بعضها بعد استعمالها . واكثر استعمال القائم في الادوات غير البديهيَّة . امَّا الادوات التصويريَّة الصغرى البديهيَّة (instantanés) فلا حاجة لها الى قائم وانَّما يكتفي صاحبها ان يمسكها بيدهِ

المسدّد (viseur) هو جهاز صغير لاحق باداة التصوير يمكّن المصوّر من معرفة سعة المنظورات الخارجيَّة . وهو نافعٌ جدًّا للاداوات البديهيَّة ليعرف المصوّر متى يجتاز الشبح في ساحة الشبحيَّة . ولا بُدَّ منهُ اذا كانت محمولةً باليد حيث المصوّر لا يمكنهُ ان يسدّد المرمى بواسطة الزجاجة الغليظة . والمسدّد في الغالب لا يتركّب الَّا من عدسيَّة مقعَّرة من الجانبين او من موشور خصوصي . وربَّما كان المسدِّد على شكل خزانة مظلمة صغيرة الحجم او غير ذلك من الهيئات المسهّلة لنظر الصورة

(الباقي للآتي)

خمريَّات نصرانيَّة

اهدانا جناب الفاضل الوجيه بشاره افندي يارد مجموعاً كُتب منذ نحو مئة سنة فيهِ عدَّة قصائد في معانٍ مختلفة منقولة عن شعراء اقدمين . امَّا اسم الجامع فلم يُذكر والمرجَّح انهُ احد ادباء الروم الملكيين . وفي آخر هذا المجموع خمريَّات نقلها عن كتبةٍ نصارى لم يذكر اسمهم استرسلوا في وصف المدامة واستطردوا الى ذكر الخمرة المقدَّسة في القربان الطاهر . فاحببنا ان نثبت نُتفاً من اقوالهم لعلَّ احد قرَّائنا يرشدنا الى معرفة اصحابها ل . ش

قال بعضهم

عُجْ حيث تُسْمَعُ اصواتُ النواقيسِ في جانب الدير تحت الليل بالعيسِ
وحُطَّ جانب يوحا ثم صاحبهِ يوشا وتوما ثم سركيسِ (١
مستخبرًا عن كُمَيْت اللون صافيةٍ قد عتَّقتها أُناس في النواويسِ (٢
مرَّ الزمان عليها فهي تُخبِر عمَّا كان من آدمٍ بلَ قبل ابليسِ
صفتْ وراقت ورقَّت فهي ذات سنًا تجلُّ في الوصف عن عيب وتدنيسِ
ترى الرهابين جُزعًا من إمامتها اذا بدت بين شماسٍ وقسيسِ
تتلى الأناجيلُ تعظيمًا اذا برزت لها باشرف تسبيحٍ وتقديسِ
لو ذاق منها غزالُ السرب مضمضةً لَما تهيَّب قهر الأسدِ بالخيس (٣

وقال آخر

إرتحْ لراحٍ غدت في الكأس تبتسمُ وأغنم سُلافتها فالراحُ تُغتنمُ
قالوا هي النارُ قلتُ الماء تُلهبها والنارُ ليست مع الامواه تلتئمُ
فقيل روحٌ بلا جسم فقلتُ لهم أنى تقطِبُ احيانًا وتبتسمُ
فقيل بل جوهرٌ فردٌ فقلتُ لهم أَلجوهرُ الفردُ شيءٌ ليس ينقسمُ
ماءٌ هواءٌ سماءٌ شُهبها حَبَبٌ نورٌ ونُورٌ ونارٌ حين تضطرمُ
حمراء طالعة صفراء فاقعةٌ بيضاء ساطعةٌ تعنو لها الامم
تحيا بها رممٌ ينشا بها كَرَمٌ تجلى بها ظُلَمٌ يبرا بها سقمُ
في سخطها نِقمٌ في بسطها نعمٌ ما شانها قدمٌ بل زانها قِدَمُ
ما أُلبست زردًا يومًا طلائعُها الَّا وولَّت جيوش الهمّ تنهزمُ
قد هام طالبها مذ سام خاطبها لو رام كاتبها وصفًا ابى القلمُ

---

١) يريد بيوحا القديس يوحنَّا. واما يوشا فهو كيوسي او يوسف (راجع انجيل مرقس ٦:٣). والمراد هنا كنائس يكرَّم فيها هؤلاء القديسون

٢) النواويس الاسراب والمقابر حيث كانت قديمًا كنائس النصارى

٣) الخيس غابة الاسد. يريد انَّ شارب هذه الخمرة السريَّة يضحي اشدَّ من الأُسد

خمرية من كتاب دعوة القسوس (١

لقد غفلتْ خطوب الدهر عنّا وقد ظمئت الى الصهباء روحي
وقد حضرت ومَن نهوى فبادرْ وروِّ جوانحي بدم الذبيحِ
فلو كانت حراماً ما أُبيحت لمن يختارُ شرب دم المسيحِ
ولا داوى بها ربُّ البرايا بليَّة آدمَ المُلقى الجريحِ
ولا اوصى الرسول بها جهاراً وحلّل شربَها امرُ السَّليحِ (٢
فان بادرتَ فُزت بكلّ شكرٍ وحصَّلتَ السرور مع المديحِ
وان اخَّرتَ دعوَتنا لأمرٍ خسرتَ جزاكَ من صنع المليحِ

وقال ايضاً

ايا من غدا ذخري لكل ملمَّةٍ تلمُّ ولا زيدٌ سواهُ ولا عَمْرُو
هلمَّ الى الراح التي كان صانها لنا دون خَلق الله في دنّها العُمْر (٣
فبادر الى راحٍ تجد فيها راحةً وشمّر اليها قبل ان ينفذ العمرُ

ولهُ ايضاً

أُشدد ذيولك في عرى الزنّار واعجل الى دنٍّ طُلي بالقار
واكشفْ تجد شمس الضحى محجوبةً قدماً مدى الأيَّام والاعصار
نورٌ يفوق سناء كلّ طريفةٍ من ساطع الاضواء والانوارِ
سرٌّ أسرَّ بهِ الى تبّاعهِ ربُّ العقولِ وكاشف الاسرارِ
قد قلتُ لمَّا أبرزت في كأسها تعس الذي باعَ الضيا بغبارِ
مالوا الى الدينار قلتُ عدِمْتكم أدَمُ المسيح يُباعُ بالدينارِ
قد كان قبلهم يهوذا بائعاً دمهُ بنَزْرٍ النَّزرِ للكفَّارِ

ولهُ ايضاً

نورٌ بكفّك ام شهابُ النارِ جمرٌ تضرَّمَ ام نُضارٌ جارِ
شمس الضحى في الكاس ام فجرٌ تبسَّمَ صبحهُ من تحت ليل القارِ
هذي التي مزج المخلصُ كأسها في يوم عيد الفِصح للاطهارِ

---

١) لم نجد ذكرًا لهذا الكتاب في ما لدينا من التواريخ ٢) السَّليح والسَّليح من السريانيَّة ܫܠܝܚܐ الرسول ٣) العُمْر سريانيَّة معناها الدير والكنيسة

هذي التي جلّت بها أنوارها عن سائر الاشجار والاثمارِ
صفراء لكن حمرةٌ في خدّهـا من لطم اخمص أرجل العصّارِ
لمّا رمتْ منها الكثيفَ تجوهرت وتلاعبت بلطائف الافكارِ
وكذا النفوس اذا رمتْ شهواتِها فازت بعلم غوامض الاسرارِ

ولهُ ايضاً

أمِطْ عن سناها الختمَ طال بها العمرُ فما صانها ألّا لاربابهـا العُمْرُ
فقد جئتُكَ يا راهبَ الدير خاطباً لها راغباً فيهـا وان كَثُرَ المهرُ
فقـال اريد المهر تبرًا فانّما لترجعُ صِفرَ الكفِّ ان ظهر الصُّفرُ
فقلتُ إذنْ قُمْ للعُقار مبادرًا أُكيِّلْ لكم تِبرًا يُكيِّلْ لنا خمرُ
وقلتُ لهُ خبِّرْ حقيقةَ امرها فقـد بان لي من سرّ انوارها خُبرُ
فقال هي الراحُ المسيحيَّةُ التي جلا امرَها ربّي كما اشتهر الامرُ
اذا أُترعت في كأسها وتلألأت يخال بها جمرٌ وليس بها جمرُ
مشعشعةٌ يزهو على البدر نورها كأنَّ سناها في جبينك يا بَدرُ
معطَّرة اعطافهـا فكـأنّما م استُعير لها من جنَّة العَدَنِ النَّشرُ
تناولها سمعانُ ثمَّ تداولت يمرُّ بهـا عصرٌ ويدركها عصرُ
الى ان وجدنا في المذابح من سنـا تجوهُرها سرًّا فبان لنـا السرُّ
فكان لها خدرُ الدنان فاصبحت براحاتنا تُجلى والبابنـا الخدرُ

ولهُ ايضاً

هذي هي الراحُ لا شبهٌ لجوهرها ولا يماثلهـا باللُّطفِ مشروبُ
قد قال سيّدنا والكأس في يدهِ هذا دمي لخلاص الخلق مسكوبُ

وبعد هذا خمريَّةٌ تنسب الى ميخائيل بن حاتم قال انّها من بحر السلسلة وهذا مطلعها:

زاد شوقي لشرب راح كوْوسي بالسيئة او بصُبح شموسي

يصف فيها الشاعر كثيرًا من عادات زمانهِ عند تقرُّبهم الى القربان الاقدس من اعترافٍ بذنوبهم وابتهالاتٍ الى الله. ويدخلها كثير من الالفاظ اليونانيَّـة المعرَّبة « كخر يسطوس» و« آجيوس » و« ايسوس » و « طوبَثروس » و « تاووس » غير انَّ هذه القصيدة لا يكاد يُستخرج منها بيت صحيح. امَّا صاحبها ميخائيل بن حاتم فلا نعلم لهُ خبرًا وقد ختمها بهذا البيت:

قال ميخائيل حاتم المديح فيهـا زاد شوقي اشرب راح كوْوسي (كذا)

سوء العاقبة

بقلم الاديب نجيب افندي مشعلاني

في سنة ١٨٦٥ كانت في احدى قرى لبنان ارملة فاضلة تقيَّة لم يبقَ لها على الارض الّا ولد صغير اسمهُ يوسف عطفت عليهِ وصرفت قصارى جهدها في تربيتهِ الى ان ترعرع وبلغ اشدَّهُ. ثم اعتراها مرضٌ عضال اشرفت بهِ على الموت فدعت ولدها ووحيدها واجلستهُ بجانب فراشها ثم امسكت يدهُ وقالت: « بنيَّ وحشاشة كبدي تراني على وشك مزايلة هذه الدنيا الفانية لالتقي بابيك وابائي في جنَّة الخلود فلم اشأ ان افارقك دون ان أُوصيك وصيَّتي الاخيرة اطلب اليك الّا تردَّها عليَّ فاموت مسرورةً »

فلم يسمع الشاب كلام والدتهِ حتى هطلت الدموع من شؤُونهِ وكادت تخنقهُ العبرات. فلمَّا سكن جأشهُ اقسم لأمهِ الأَيمانات المحرَّجة بانهُ سيقوم بوصاتها ويسير على مشورتها. فاخذت امهُ تستحلفهُ بالله على التمسك بعرى الايمان الكاثوليكي الذي ورثهُ عن اجدادهِ ورضعهُ مع حليبها منذ نعومة اظفارهِ. ثم حضَّتهُ على ان يتخذ لهُ رفيقةً عاقلة صالحة يقضي وايَّاها سنيهِ بالسلام وخوف الله لانَّ المرأة الصالحة على ما جاء في الاسفار الالهية نصيبٌ حسن دونهُ كل كنوز الدنيا. وقالت: « ايَّاك يا بُنيَّ ان تنظر الى ثروتها وتضرب الصفح عن ادبها فتكون كجهَّال هذا العصر يسأَلون عن جهاز الابنة (الدوته) ولا يبحثون عن اخلاقها وتُقاها فتسوء احوالهم ويترحون كأس هنائهم ».
ثم اخذت مسبحتها وأهدتها لابنها كحرز يقيه فيُصلّي بها ويتذكر كلامها

ولمَّا اشتدَّت وطأة الداء على الوالدة المسكينة رغبت الى ولدها ان يأتيها بكاهن فقدم الكاهن وزوَّدها بالاسرار المقدَّسة واسلمت روحها بهدوء وسكينة بين ايدي خالقها وفي غد ذاك النهار واروها اللحد مأسوفًا عليها وبقي الولد غائصًا بعدها في بحر الوجع وهو يبكيها بكاء مرًّا لكنهُ كان يعزّي نفسهُ بذكر فضائلها ويجدّد مقاصدهُ بان لا ينكث ابد الدهر ما وعدها بهِ

ويوسف هذا لم يكن مثريًا ولا محتاجًا وانَّما كان يأكل خبزهُ من عرق جبينهِ. فمرَّت عليهِ بضعة شهور وهو يزاول الفلاحة فيرتزق منها. لكنَّ شيطان المال لم يلبث ان

يستفزُّ قلبهُ ويلعب بافكارهِ فطمح بصرهُ الى بعض مواطنيهِ رآهم ذهبوا الى اميركة بثيابهم اللبنانيَّة فعادوا لابسين « البنطالون والقميص المكويّ ». فاخذتهُ الغيرة منهم وامسى لا يحلم الَّا في اميركة حتى تغلَّب عليهِ هذا الفكر وباع اكثر ما اورثهُ ابوهُ من الارزاق ثم اعترف وتناول القربان الاقدس وشدَّ مسافرًا الى اميركة مطمح آماله

. . . .

مضى على يوسف ستَّة اشهر وهو في ضواحي سان فرنسيسكو يتجوَّل في القرى المجاورة ليبيع بعض العروض جعلها رأس مالهِ. وكان مع ذلك مداوماً على واجباتهِ الدينيَّة يتقدَّم على كلّ مواطنيهِ بالورع واستقامة المسلك ولا يهمل صلاة الورديَّة فيتلوها كل يوم لاجل راحة والدتهِ بذات المسبحة التي تسلَّمها من يدها ساعة وفاتها

فبينما كان يسير يوماً وصندوقة امتعتهِ على ظهرهِ والمسبحة في يدهِ يصلي اذ التقى باحد السوريين اسمهُ غنطوس توطَّن اميركة منذ سنين فابتدرهُ يوسف بالسلام وبعد ان تصافحا قال لهُ غنطوس: ما الذي بيدك يا يوسف

— هذه مسبحتي ورثتها من والدتي فاقضي الوقت بصلاتها

— ما هذا ألعلَّك ناسك ؟

— اما كل كاثوليكيّ يتلو المسبحة فلمَ تتعجَّب مني ؟ وانت ألا تصلّي ؟

— أنا ؟ وهل تظنني اتيت مثلك حديثاً من لبنان لاصدّق بهذه الخرافات النسائيَّة. اني قد عاشرت العالم المتمدّن وعرفت انَّ المال وحدهُ يشرّف الانسان. فدع عنك هذه الخزعبلات واياك ان تتظاهر بالصلاة امام الاميركيين فانهم يعدُّونك جاهلًا غير متمدّن ويهزأون بك. واجعل اهتمامك بجمع الاموال اذ لم تأتِ اميركة سوى لهذه الغاية فهذه نصيحتي اليك اريد بها صالحك ليس الَّا

فلمَّا سمع يوسف هذا الكلام وكان خوَّار القلب ضعيف العزيمة اطرق ساعةً الى الارض ثمَّ القى بمسبحة امّهِ في دغل الغيضة وشكر صديقهُ شكرًا حميماً على نصيحتهِ وواصل سيرهُ الى حيث نوى ومذ ذاك الحين لم يعد يصلّي الَّا نادرًا بل اتصل بعد زمن قليل الى اهمال كل فرائضهِ الدينيَّة ولم يبقَ لهُ من همّ الَّا حشد الاموال باي طريقةٍ كانت الى ان جعل الخبث دينهُ والمكر ديدنهُ

صرف يوسف ثلاث سنوات في اميركة وجمع في مطاويها مبلغاً وافرًا من

الدراهم مكّنهُ من العود الى وطنهِ مرتديًا « بالبنطلون والقميص المكويّ » اللذين حنّت اليهما نفسهُ الأمّارة. لكنهُ ما اقام في قريتهِ بضعة اسابيع حتى استنكف من اهلها العائشين بالهدوّ والقناعة فلم تلذّ لهُ الاقامة بينهم في قرية حقيرة صغيرة وقد اعتاد ضوضاء المدن الكبار. وزادهُ نفورًا من قريتهِ انّ سكّانها كانوا من ذوي التقى يعتصمون بحبل الدين ويجدون فيهِ قوّة وسلوانًا بل كنزًا ثمينًا لا يساوى بهِ حطام العالم باسرهِ. وكانوا كلهم يلومون يوسف على قلّة دينهِ ويذكّرونهُ بما كان عليهِ اباؤهُ من التقوى امّا هو فكان يحسبهم جميعًا جهلاء ويعتبر نفسهُ فريد عصرهِ عقلًا وذكاء. وعليهِ فانهُ ترك قريته واتخذ بيروت سكنًا لهُ

وصل بيروت حيث اغواه الشيطان وسوّل لهُ ان يعيش بالبذخ والاسراف واللعب والمقامرة فاتلف بوقت قصير معظم ثروتهِ حتى تخوّف الفقر والذلّ فشرع يفكّر في وسيلة ينجو بها من هذه الورطة ويداوم على ما اعتادهُ من المقامرة والملاهي فلم يجد سبيلًا لاصلاح امورهِ غير الاقتران بفتاة مثرية. وكان هذا الامر سهلًا لما عُرف بهِ سابقًا بين اهل بيروت من الغنى والجاه. وكان اذا ذكر وصية والدتهِ الاخيرة يقول: انّ عقل اميّ ساذج قديم ولم تكنْ تعرف شيئًا من امور التمدّن أَوَ ليس الشبّان مثلي يقترنون بذوات المال والجمال فما يضرّ بي ان اقتدي بهم ؟

ولم يمضِ زمن طويل حتى ظهر فكر يوسف الى حيز الوجود فاقترن بفتاة تربّت بالغنج والدلال بين القصف واللهو لم تعرف من الآداب الّا اسمها ومن الدين الا قشرتهُ. بيد انّ والدها كان ذا ثروة طائلة فخصّ ابنتهُ بقسم جزيل من مالهِ جعلتهُ بعد اقترانها بين يدي زوجها ثمّ جعلت تبذرُ مالها هي من جهة وزوجها من جهة أُخرى حتى افنيا ما لديهما بعد سنين قلائل

وكان الله رزقهما في تلك الاثناء ولدين ذكرًا وانثى فذهب الاوّل الى اميركا لمّا بلغ الخامسة عشرة من عمرهِ وانقطعت اخبارهُ عن والديه حتى لم يعرفا أَهو من الاحياء ام من الاموات. وتزوّجت الثانية برجل تقي متوسّط الحال عاشت معهُ باتمّ الهناء

ثمّ رأى يوسف ما ادّاهُ اليهِ اسرافهُ وخاف ان يشتهر امرهُ في بيروت فيسقط في اعين معارفهِ. وكانت امرأتهُ مع ذلك لا تزال تلحّ عليهِ وتطالبهُ بمطالب جديدة. ولمّا لم تتمكّن من الحصول على رغائبها من لبس اثواب جديدة وركوب عربات ورشف كاس

الملذّات ساد القلق بينها وبين رجلها فنغّصت عيشهُ ونغّص عيشها حتى خيّل انّ جهنماً أوت الى منزلها وفي آخر الامر عوّلا على ان يعودا الى قرية يوسف ليعتني ببعض بقايا ارزاقٍ لم يبعها عند سفرهِ الى اميركة

فعاشا هناك نحو سنة خاملَي الذكر منفردين في بيت صغير بعيدٍ عن القرية حتى اذا كان احد ايّام شهر حزيران دخل عليهما شابٌ جميل الطلعة حسن البزّة يناهز الثالثة والعشرين من سنّهِ وطلب اليهما ان يبيت عندهما في تلك الليلة فرّحبا بهِ واحسنا استقبالهُ . فاخبرهما انهُ عابر طريقٍ اتى حديثاً من اميركة وانهُ راجع الى وطنهِ في شمالي لبنان . ثم تطرّق الشاب الغريب الى وصف اميركة وغناها واراهما اخيرًا ما جمع من المال فبُهتا لسعة ثروتهِ وبالغا في اكرامهِ

فلمّا جنّهمُ الليل بسطا للشاب فراشاً في غرفة كانت على سطح الدار واوى كلٌّ الى فراشهِ . امّا المرأة فانّها لم تستطع رقادًا واخذت تفكّر في غنى ضيفها ثم تذكرت ماضيها وتمثّل لخيالها كيف كانت زهرة بنات مدينتها وزينتهنّ اصبحت اليوم فلاّحة متروية في هذه القرية الخاملة وبعد الغنى اصبحت بالفقر المدقع وعثل هذه الافكار كان الشيطان يجربها حتى اخيرًا وثبت من فراشها وذهبت الى بعلها وقالت لهُ : قم فالى متى انت ترقد والى متى احتمل عيشتك الفقريّة . الموت ولا الفقر لقد بددت اموالي وصيرتني نظيرك فلاحة خاملة . وشرعت تسبّه وتشتمه وتلعن الساعة التي عرفتهُ بها . امّا بعلها المسكين فانهُ كان برجوعهِ الى وطنهِ عاد الى فطرتهِ الاولى من السذاجة ولكي يسكن روع امرأتهِ اخذ يلاطفها ويترضاها . امّا هي فابت الا تزيدهُ شتماً ولعناً واخيرًا قالت لهُ : خُذْ هذا السكين واذبح هذا الغريب لنأخذ ما معهُ من الدراهم ونعود الى سالف حياتنا المدنيّة

فارتعش الرجل عند ما سمع هذا الكلام وقال لها : ويحكِ لا ترهبين من الله أهذا حقُّ الضيافة . كيف نلطّخ ايدينا بدم شابّ غريب ائتمننا على حياتهِ ومالهِ . وان كان صوت ضميركِ لا يردعكِ افلا تخافين من عقاب الحكومة فلربّما . . .

— عليَّ باخفاء الامر لانهُ ما من احدٍ من سكان القرية نظرهُ داخلًا علينا فهيّا واذبحهُ والّا . . .

وكانت تارةً تتهددهُ وطورًا تتملقهُ وتصور لهُ لذة الغنى والثروة حتى اقتنع امّا

تخلصاً منهــا واماً طمعاً بنوال امواله واخذ السكين من يد امرأته وتوجه حيث يرقد الشاب واذ تقدَّم اليهِ ليتمم مقصده الخبيث خانه قلبـه ورقّت عواطفه وتأسف على نضارة شبابهِ ورجع الى امرأتهِ معتذرًا لها وقائلًا: حرام علينا ان نسفك دماً ذكيًا وهذا الشاب لم يعمل معنا شرًا. اشفقي على شبابهِ وهو في ربيع العمر... فاحتدمت المرأة غضباً وقالت لهُ بتهكم: انك لَنذل جبان ليس عندك من عزم الرجال شيء.. واخذت منهُ السكين وذهبت الى فراش الشاب وبقلب صخري تقدمت اليهِ وذبحتهُ ذبح الشاة واخذت ما كان معهُ من الدراهم وجاءت الى زوجها متعجرفة وقالت لهُ: قم يا ايها النذل واحمل هذه الجثة واتبعني...

ففي اليوم الثاني لم يدرِ احد من القرية ما كان قد جرى من الاثم في ذاك المنزل الجهنمي الّا انهُ عند اصيــل النهار وقفت عربة امام المنزل المذكور وخرجت منها ابنتهما التي اسرعت وعانقت ابويها بسرور وهنَّأتهما بوصول اخيها من اميركا واخبرتهما كيف انَّهُ مرَّ بها وقال انهُ قصد التنكر عليكما ليرَى ان كنتما تعرفانهِ. فعندئذٍ عرف المنكودا الحظ ان الذي قتلاه ليلة امس كان حشاشة كبدهما ووحيدهما...

محادثة رابعة لغويّة

لحضرة الاستاذ رشيد افندي الشرتوني محرّر البشير ومدرّس الخطابة في كلّيّة القديس يوسف

انجز عقل وعدهُ ورجع اليَّ بعد ثمانية ايَّام وبيده المقالة التي كتبها صاحب مجلة الضياء في الانتقاد على كتبة الجرائد وهذا خلاصة ما دار بيننا من الحديث:

(قال) رأيتُ في كلامك لفظة عَشَم بمعنى أَمَل والحـال ان صاحب مجلة الضياء ينتقد على كتبة الجرائد استعمال هذه الكلمة بالمعنى المذكور ودونك نص كلامه (في الصفحة ٦٣) «ويقولون لهُ في هذا الامر عشَم اي امل وانمــا العشَم في اللغة بمعنى الطمَع واستعماله بمعنى الامل عاميّ» فهل لهذه الدعوى صحة؟

(قلتُ) ان تفريقه بين الطمع والامل في هذا المقــام هو غلط محض لان اللغويين كلهم متفقون على ان الطمع والأمل مترادفان فهم يفسرون الطمع بالرجاء والرجاء بالامل فيكون الطمع والامل بمعنى واحدٍ

(قال) أُريد ان تذكر لي كلامهم بحرفيته فانَّهُ أدعى لثقتي

(قلت) طلبك صوابي. وجئتُ بلسان العرب فرأينا فيهِ ما نصهُ: «طمع فيهِ طمَعًا وطماعَةً وطماعيَةً فهو طَمِعٌ وطَمُعٌ رجاهُ». ثم فتحنا كليات ابي البقاء فقرأنا فيها: «الرجاء بالمدّ الطمع في ما يمكن حصولهُ ويُرادفهُ الامل». واخيرًا تناولنا اللسان مرَّةً ثانية فرأيناه يفسِر الامل بالرجاء ونص كلامه: «الأمل والأَمْل الرجاء»

(قال) كفاني ما قد ذكرتَ عن هذه المسألة فارغب اليك ان تفيدني عن امور اخرى في مقالة هذا الرجل

(قلت) ما هي ؟

(قال) انهُ يُغلّط الكتبة (ص ٣٦) في استعمال «رحوم» ويدعي ان الصواب رحيم

(قلت) انهُ يجازف كثيرًا حتى لا تكاد ترى لهُ في هذه المقالة حكمًا صائبًا. ومن المعلوم ان اللغوي يتعيَّن عليهِ ان يعتمد في مباحثه على علماء اللغة ومعجماتها غير ان صاحبنا هذا اذا صح ان يسمَّى لغويًا لا يعتمد الّا على حكم نفسه فيقود بعض المغرورين بمعارفه الى الضلال

(قال) انك تتكلم بالحق ولقد كنت أنا نفسي من جملة المخدوعين فاشكر لك كل الشكر على اظهار حقيقة حاله وبيان قدره فانك بهذه الوسيلة تخدم اللغة خدمة صحيحة

(قلت) اتمنى ان اكون مفيدًا لابناء هذه اللغة العزيزة

(قال) ثق ان جميع الذين لهم اهتمام باللغة يطالعون ما تنشرهُ في المشرق بلذةٍ وينتفعون منهُ. ولو كنتَ تدَّعي دعاوي باطلة دون ان تعززها بالشهادات الكثيرة لما وقع كلامك عندهم هذا الموقع ولكنك تُسند كل شيء الى قائله وهذا هو المطلوب في مثل هذه الامور

(قلت) دعني ارجع الى الجواب على مسألتك الاخيرة وأُوضح لك غلط صاحب الضياء

(قال) كلي مسامع

(قلت) ان ابن منظور يقول في اللسان ان رحوماً ورحيماً هما سواء ونص كلامهِ: « رحيم فعيل بمعنى فاعل كما قالوا سميع بمعنى سامع وقدير بمعنى قادر وكذلك رجل رحوم وامرأة رحوم »

وعلى فرض ان استعمال هذه الكلمة غلط فلماذا ابقاها صاحب الضياء في ترجمة الكتاب المقدس يوم اتخذهُ الجزويت لتصحيح العربيَّة ففي تثنية الاشتراع مثلًا (٤: ٣١) « لان الرب الهك اله رحوم » ومثل ذلك ايضاً في غيره من الاسفار فهل كان المذكور في ذلك الزمان اقلّ علماً من اليوم ؟

(قال) انهُ يغلِط الكتَّاب ايضاً في قولهم « سلعة مُباعة » قائلًا ان الصواب « مبيعة »

(قلت) ان قولهم « سلعة مباعة » يعنون بها معرَّضةً للبيع فلا وجه اذًا لتخطئتهم. قال صاحب اللسان: « أباعهُ عرَّضهُ للبيع قال الهمذاني

فرضيت آلاء الكميت فمن يَبِعْ فرساً فليس جوادنا بمباعِ

اي بمعرَّض للبيع »

وجاء في كتاب المزهر ما نصهُ: « قال ابن دريد في الجمهرة سألتُ ابا حاتم عن باع وأباع فقال سألت الاصمعي عن هذا فقال لا يُقال اباع فقلت قول الشاعر فليس جوادنا بمباعِ فقال غير معرَّض للبيع »

(قال) ما قولك في هاته

(قلت) هي اسم اشارة دخلتهُ هاء التنبيه

(قال) أعلم هذا ولكن اسمع ما يقول صاحب الضياء عنها: « ومن تهافت كتَّاب الجرائد في النقل ما اولع بهِ اكثرهم من استعمال لفظة هاته في مكان هذه ذهاباً الى انها افصح منها وما هي بالفصحى ولا الفصيحة وهذه معلقات العرب بل قصائدها التسع والاربعون وهذه دواوين شعرائهم من مثل عنترة والنابغة وحاتم وعروة ابن الورد والفرزدق وجرير وغيرهم... هل تجد في ذلك كله لفظة هاته... ولقد قلّبنا كثيرًا من صحف الكتاب في كل عصر من أعصار الاسلام فلم نجد هذه اللفظة في شيء من كتب المتقدمين... »

(قلت) كل هذا جعجعة من غير طحن بل كلمات فارغة لا تفيد حقيقةً فان

المتقدمين كما استعملوا « هذه » استعملوا « هــاته » ايضاً . ولو لم تكن واردةً على ألسنتهم لما دوّنها اصحاب المعجمات لانهم نقلوا الينا كلام العرب وممن استعملها النابغة الذبياني في قوله :

ها ان تهْ عذرة ان لم تكن نفعت فانّ صاحبهــا قد تاهَ في البلدِ

وروى بعضهم « تا وتي » في مكان « ته » ولو كان الوقت متسعاً للتنقيب والمطالعة لزدتك ايضاحاً واتيتك بعددٍ من الشواهد على استعمال هذه الكلمــة في شعر المتقدّمين

ثمّ افترقنا على وعد ان نتباحث في مرةٍ آتيةٍ عن كُتُب اللغة وما فيها من النقص

مطبوعات شرقية جديدة

Studie zur syrischen Kirchenlitteratur der Damascene

von Edouard Sachau, SS. 29, 1899

بحث في الآداب الكنسيّة السريانية الجارية في بلاد دمشق

هذا البحث نشرهُ الدكتور ساخو من مشاهير علماء عصرنا بالآداب السريانيّة في جملة اعمال المكتب العلمي في برلين قبل سنتين ثم طبعــهُ منفردًا . وهو يتضمّن وصف ٢٨ كتاباً بالسريانيّة اقتنتها المكتبة الملكيّة في برلين من دمشق ونواحيهــا وخصوصاً من دير عطيّة شمالي دمشق على طريق السائر منهــا الى تدمر . واغلب هذه الكتب مخطوطة في القرن الخامس عشر للمسيح في قارا ومعلولة ومدارهــا على الفرائض والصلوات والرُتب الكنسيّة التي يستعملها الروم الملكيّون من كاثوليــك وغيرهم في جميع فصول السنة كالاكطويخس والسواعي والتريودي والمعزّي والطروباريات والقاشمات والقناديق والانتيفونات . فانتهز الدكتور ساخو هذه الفرصــة ليبحث عن آداب اللغة السريانية الكنسية التي كانت جارية قديماً بين الملكيين في انحاء دمشق فبيّن اصلها وشيوعها وخواصّها اللغويّة ووجوه موافقتها لكتب السريان كالموارنة واليعاقبة وما تختلف بهِ عنها . وبحث عن كتابة هذه المخطوطات وعارضها بالخطّين السريانيين الغربيّ والشرقيّ واظهر اختلافها عنهما من وجوهٍ شتّى . وقصــارى القول انّ الدكتور ساخو ايّد ما

سبق لنا مرارًا قولهُ عن الروم الملكيين واصلهم ولغتهم في بلاد الشام (راجع مقالتنا في خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ص ٩٧—١٠٧). وقد الحق كتابهُ باربع صفحات من المخطوطات التي وصفها وهي مرسومة بالتصوير الشمسي

ARABISCH, PERSISCH UND TURKISCH
dargestellt von Dr Hans Stumme, Leipzig 1902, SS. 62.

العربيّة والفارسيّة والتركيّة

بينما نرى بعض الكتبة الاجانب يتسعون اتساعًا مفرطًا في بيان صرف ونحو اللغات العربيّة والفارسيّة والتركية فلا يدعون فصلًا الّا يستصفون موادهُ ويستنزفون دقائقهِ نرى غيرهم يسعون بحصر فوائد هذه اللغات بصفحاتٍ قليلة ليسهل حفظها ويُتوصَّل الى فوائدها بوقت قريب. وهو الامر الذي توخّاهُ الدكتور ه. ستومه احد اساتذة كليّة ليپسيك وخلف العلّامة الفاضل البرت سوسين في تدريس اللغات الشرقيّة. وقد جرى في الكتاب الذي اهدانا منهُ اليوم نسخةً على طريقة مبتكرة تُمكّن طلبة اللغات السابق ذكرها من اتقانها على وجهٍ قريب المنوال فاثبت بقواعد قصيرة اجماليّة ابواب كل لغة بافرادها مع ذكر اللهجات الشائعة بين العامّة وما تختلف بهِ عن لغة الأُدباء. وللمؤلف جداول واصطلاحات في تفصيل الابواب توفّر عليهِ الاسهاب في الشرح وكذلك قد اختار اصنافًا مختلفة من الحروف ليتبادر النظر بسرعة الى القواعد الاصليّة ويفرزها عن الملاحظات الدقيقة. وهذا التأليف باللغة الالمانيّة نحضُّ المستشرقين على دراستهِ لحسن تنسيقهِ ووفرة مادّتهِ مع صغر حجمهِ

FARABIS TRAKTAT «UBER DIE LEITUNG»
aus d. Arabischen übersetzt
v. G. Graf Seminar-Präfekt in Dillingen a. D.

يسرُّنا انّا نرى افاضل المستشرقين في المانية وفرنسة وايطالية وانكلترة مقبلين على مجلّتنا يثنون على ما يجدون فيها من المقالات فطورًا يلخّصونها وطورًا ينقلون عنها شذرات يستحسنونها. لكنهم يرتاحون بالخصوص الى ما يجدون فيها من الآثار القديمة في الآداب واللغة والحكمة واللاهوت واليوم قد ارسل الينا حضرة الدكتور جرج غراف

مدير الدروس في مدرسة ديلنغن ترجمة كتاب السياسة للفارابي الذي اثبتناهُ السنة المنصرمة في اعداد المشرق (٤: ٦٤٨ و ٦٨٩) فنقلهُ حضرتهُ الى الالمانيَّة وصدَّرهُ بمقدَّمة مفيدة لتعريف مقام الفارابي وخطارة مصنَّفاتهِ الفلسفيَّة. فنثني على همَّة الدكتور ونتمنَّى لترجمتهِ الحظوى في اعين محبّي الآثار الشرقيَّة ل. ش

شذرات

مندارِيّ يسوعيّ افادتنا اخبار الصين الاخيرة انَّ امبراطورة الصين والامبراطور ابنها منحا الاب بكير (Becker) اليسوعيّ رتبة مَنداري من الطبقة الثانية مع امتياز ريشة الطاوس جزاءً لهُ على الخدمات العظمى التي اداها للدولة الصينيَّة في تشيلي بعد دخول الدول المتحالفة اليها وهي نعمةٌ لم ينلها حتَّى الآن غير افراد قليلين من الاجانب في الشرق الاقصى

لفائف ورق القهوة لا يزال الاطباء يندّدونَ بالتبغ وبالمدخّنين بهِ لما في هذا النبات من الموادّ السامَّة التي تحقّقوا سوء تأثيرها في بنية الجسم وفي القوى العقليَّة. فبحث المسيو برَّال (Barral) عن نبات يجمع خواصّ التبغ دون مضرَّاتهِ يمكن التدخين بهِ فبعد الامتحانات العديدة وجد ورق القهوة اصلح ما يكون لذلك فانَّ فيهِ كل الخواصّ الكيمويَّة المناسبة للتدخين دون مادَّتهِ السامَّة. فاصطنع منهُ لفائف للتدخين (سواجير) فوجدها لذيذة الطعم طيبة الرائحة لما تتضمَّن من الموادّ الآليَّة كالازوت والبوطاسة والصودا وفيها الحامض القَهَويّ (acide cafétannique) وهو ترياق لسمّ النيكوتين وفيها ايضاً الكلس والمغنيسيا والسيليس وكلُّها عناصر مفيدة لا تؤذي. وقد ادَّى تحليلهُ لمئة قسم من ورق القهوة فوجد فيهِ ٨ اقسام من الرطوبة و ٨٢ قسماً من الموادّ الآليَّة و ١٠ اقسام من الموادّ المعدنيَّة

المسيو ڤكتور شربونيل هو كاهن كاثوليكي خلع عنهُ ربقة الدين فمرق منهُ وتمذهب بمذهب الضلال ثمَّ ارخى العنان لشهواتهِ بالسفاح الممقوت وخالف سُنن التمدُّن بمباشرة البراز ونشر الفتن فطردتهُ حكومة بلجكة ومدُن عديدة في فرنسة من تخومها. وهذا الرجل الكبير الفضل يشرّف اليوم اليسوعيين بكتاباتهِ الممتازة!!! وعنهُ اخذ صاحب الضياء مقالةً زيَّن بها صدر

العددين الاخيرين من مجلّتهِ. فنعم المؤلف ونعم الناقل. وهي المقالات يصحّ القول فيها:

« فلم تكُ تصلح الّا لهُ ولم يكُ يصلح الّا لها »

قصيدة سريانيّة اهدانا حضرة القس الفاضل يوسف حبيقة قصيدةً من نظمهِ في السريانيّة دعاها نغمات الاوتار السريانيّة في مديح شهر ايّار والحث على العبادة المريميّة فيها احد عشر دورًا هذا مطلعها:

ܢܘܗܪܐ ܕܡܪܝܡ ܫܦܝܪ ܐܝܬ ܡܢ ܟܠ ܣܕ̈ܪܝܢ ܫܦܝܪ ܐܝܬ
ܡܛܠ ܕܒܟܠܗܘܢ ܡܫܪܬܗ ܘܒܟܠ ܚܘܒ̈ܐ ܡܙܟܐ ܐܝܬ
ܡܢ ܟܠ ܢܘܗܪ̈ܐ ܐܝܬ ܙܗܝܐ ܘܡܢ ܟܠܗܘܢ ܡܩܕܫܐ ܐܝܬ
ܘܒܚܘܒ̈ܐ ܕܢ ܡܬܐܘܡܐ ܐܝܬ ܘܐܝܟ ܒܬܘܠܬܐ ܕܪܘܡܐ ܐܝܬ

المنديل السليماني يذكر القرّاء انّنا في السنة الثالثة من المشرق (ص ١١٠٣) سُئلنا عن سبب تسمية العذراء في الفرض السرياني بمنديل سليمان ܣܘܕܪܐ ܕܫܠܝܡܘܢ فاجبنا انّ للفظة « ܣܘܕܪܐ » معنى الستر والحجاب فيكون المعنى انّ البتول كانت بولادة ابن الله بمنزلة السرّ الحاجب لجلالهِ تعالى في هيكل سليمان. ثمّ افادنا حضرة القس يوسف حبيقه (المشرق ٥: ١٤٤) انّ الآباء المصنفي الفرض الالهيّ اشاروا بهذا المنديل الى آيةٍ في سفر الامثال (٣٠: ٤) ورد فيها: « مَن جمع الامواه في منديل ». فدوّنّا هذا الشرح شاكرين. واليوم قد قرأنا في العدد الاخير من الروضة رسالة من حدتون لحضرة الخوري الفاضل نعمة الله نصّار يرجّح فيها كون المنديل المذكور انّما هو منديل جمع فيهِ موسى المنّ الذي جعله في تابوت العهد. واستدلّ على ذلك بما ورد في الفرض السريانيّ من نسبة هذا المنديل لموسى (ܣܘܕܪܐ ܕܡܘܫܐ) كنسبتهِ الى سليمان. وهو شرح ثانٍ نثبتهُ دون الجزم بهِ

مشاهير حمص قرأنا في العدد ١٨٩١ من النشرة الاسبوعيّة (٢٤ نيسان ١٩٠٢) ان حمص لم يخرج منها احد من المشاهير الّا اليغابالس الكاهن الوثني الذي صار بعدئذٍ امبراطورًا على رومة ثم الدكتور صموئيل تندايل ولسن (كذا) المولود في حمص سنة ١٨٥٨ وهو اليوم رئيس كليّة ماريفيل في ولاية تنسي من اعمال اميركا. فاخذنا العجب من قولٍ كهذا يدلُّ على جهل صاحبهِ ويبخس حقوق مدينة حمص مع ما اشتهر فيها من كبار الرجال. ولو حاولنا سرد اسمائهم لطال بنا الكلام ونكتفي بما يحضرنا الآن بديهًا. ١ً البابا انيكيتوس. ٢ً القديس غلاقتيون الشهيد. ٣ً القديسون

يليان وديودورس ورومانوس صاحب الاناشيد وسمعان سالوس وابراهيم الناسك والقديسة مترونة وغيرهم كثيرون من اوليـاء الله والشهداء. ٤ً الفيلسوف الكبير لنجينوس صاحب زينب (راجع المشرق ١: ٩٢٢). ٥ً قومٌ من ائمّة العلماء والفقهاء والكتبة كهليودور وأُليان واوسابيوس بيطاقوس الخ. ٦ً الامبراطور الشهير اسكندر ساويرس وامهُ الامبراطورة جوليا ماما مع عدَّة امراء من سلالة الدولة الرومانيَّة المعروفة بالسوريّين وانتماء اكثرهم الى حمص. هذا فضلًا عن جمهور من فضلاء السريان والعرب الذين شرّفوا تلك المدينة بمناقبهم الغرّاء. فكيف كتبت النشرة ما كتبت ولم تذكر من مشاهير حمص سوى رجلين احدهما شرير لا يعرف لهُ التاريخ الّا مآثمهُ وفجورهُ والثاني مجهول لم نسمع لهُ ذكرًا حتى الآن

المستشفيات في الغرب وصلنا والمجلّة ماثلة للطبع العدد ٢٤ من المنار (٢٧ نيسان ١٩٠٢) فقرأنا فيهِ شكايةً فظيعـة على الكنيسة الغربية نراها محض افتراء وهذا قولها بالحرف (ص ٣٧٦ و ٣٧٧):

« ان الكنيسة الغربيَّة كانت تظهر في جميع ادوارها مقصّرة في سبيل الخير حذاء اختها (يريد الكنيسة الشرقية) وذلك من كون عمّالها كانوا يصرفون تلك القناطير المقنطرة من الدينار على البذخ وقلّما كانوا يتحوّلون بانظارهم نحو اخيهم البائس ولاسيّما الابرص... فاننا (اي فرنسة) اينما كانت تعثر بابرص كانت توافي بهِ الى الكنيسة حيث بعد تتميم فروض الجناز على جثّتهِ الحيَّة في الحال تستولي ورثتهُ على ميراثهِ... ويأتي الكاهن ويقذف ذاك المنكود الحظّ برجلهِ قائلًا: اذهب خارجًا... ومثل هذه المعاملات كانت منتشرة ايضاً في تلك الأيام في انكلترّا..»

ونحن نردّ على هذه التهم في عدد آخر ان شاء الله

المعرّف والمعترف اطّلعنا في العدد الاخير من المحبّة الصادر في ٢٧ نيسان ١٩٠٢ (ص ٢٤٠) على فصل محفوظ التوقيع من الشويفات تلب فيهِ صاحبهُ صيت احد الكهنة الكاثوليك برواية خبرٍ من شأنهِ ان يزيل عواطف الحبّ والائتلاف التي تزعم المحبّة انَّها تسعى في توثيقهـا بين الطوائف. فان كان الامر صحيحاً (ولا نخالهُ) كان الاحرى ان يُرفع الواقع الى اسقف الكاهن المذكور ليجازى على طمعهِ لا ان يُنشَر على اشهاد الملاِ كما فعلت المحبة فاثارت بذلك الشحناء على دعاة الدين

اسئلة واجوبة

س سألنا الاديبان خليل ابو عقل من دمشق وفرح يوسف سعيد من بغداد: ١ً هل جهنم

نار مادّيَة ام غير مادّيَة ؟ ٢ً هل يمكن حمل النصوص الواردة عن ذلك في الاسفار المقدَّسة على المجاز ؟ ٣ً هل اثبتت الكنيسة كون نار جهنم مادية ومتى ؟. ٤ً هل الذي لا يؤمن بهذه الحقيقة يُعدّ كاراتيكيّ . ٥ً كيف يمكن نارًا مادّيَة ان تعذّب جوهرًا غير مادّي كالنفس

جهنَّم ونارها

ج نجيب على (الاوّل والثاني) انَّ نصوص الكتاب الكريم التي ورد فيها ذكر نار جهنَّم اكثر من أن تُحصى وكلُّها تصف النار وصفًا لا يمكن حملهُ على المجاز بل على نار مادّية هيوليَّة تعذّب نفوس الهالكين بعذابات حسيَّة لا نقوى على ادراكها . وكذلك قضى جميع آباء الكنيسة شرقًا وغربًا وجمهور اللاهوتيين واقوالهم شهيرة لا حاجة الى ايرادها . غير انَّ وجود نار مادّيَة في جهنَّم لا يحوج الى القول بان خواصّ هذه النار كخواصّ نار عالمنا الهيولية من حيث اللهيب والنور والجمر وغير ذلك من اعراض النار ليس من جوهرها . ولعلَّ هذه النار من صنف الكهرباء او غير ذلك ممَّا لا يتصوَّرهُ عقل بشر . نجيب على (الثالث والرابع) ان الكنيسة لم تثبت هذه العقيدة في مجامعها . ألا انَّ ذلك لا يسمح للمؤمن بان ينكر هذه الحقيقة وهي موجودة صريحًا في الكتاب المقدَّس . ومعلوم انَّ العقائد الكاثوليكية ليست كلُّها مثبتة من المجامع وكثيرٌ منها في الكتاب المقدَّس او في التقاليد الكنسيَّة الراهنة . وهذه الحقائق لا يمكن جحودها دون خطاٍ مُميت وان لم يُقطع ناكرها كاراتيكي من جماعة الكنيسة . نجيب على (الخامس) انَّهُ ليس بمستحيل على الله ان يتَّخذ جرمًا هيوليًّا لعذاب جوهر غير مادّي كالنفس ويكفينا لاثبات ذلك انَّ جسدنا المادّي يفعل بنفسنا غير المادّيَة والعكس بالعكس

س سألنا س . ق . ا . هل يجوز استعمال « بارح » بمعنى « برح »

برح وبارح

ج قد نكر الشيخ ابراهيم اليازجي في مقالتهِ عن لغة الجرائد استعمال بارح بمعنى برح . على انَّ المعلّم الاديب اللغويّ رشيد افندي الشرتوني والامير الفاضل شكيب ارسلان قد خطَّأَاهُ في ذلك (راجع المشرق ٢ : ١٠٦٧ و ٣ : ١٢٥ واقرب الموارد) وان لم يرضَ الشيخ بهذه الشواهد ذكرنا لهُ قول والدهِ الطيّب الذكر المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي حيث قال :

بارحتُها وتريل الشوق في كبدي اقام يهرق دمعًا رُشَّ كالعَنَمِ

المشرق

شهادات عربيَّة في المزارات الفلسطينيَّة

لحضرة الاب الفاضل الخوري يوحنا مرتا المرسل الرسولي في بطريركيَّة اورشليم اللاتينيَّة

الفصل الاول

نبذة من كتاب البرهان للقديس بطرس السبسطيّ في اماكن شتَّى

كان القديس بطرس اخا القديسين العظيمين باسيليوس وغريغوريوس نيصص. وفي اواخر القرن الرابع اي نحو سنة ٣٨١ سُقِّفَ على مدينة سبسطية من اعمال ارمينية الصغرى. وكان اخوه القديس غريغوريوس قد ندبهُ الى تصنيف كتاب دحضاً لهرطقة إونوميوس الملحد (١. والذي يؤخذ من النسخة المقتطفة عنها النبذة الآتية انهُ قد لبَّى دعوة اخيهِ فوضع تأليفًا نفيسًا سمَّاهُ « كتاب البرهان » أمعن فيهِ البحث عن وحدانية الله تعالى ووجوهرهِ وعن تقاليد الكنيسة واسرارها وخدماتها المتنوعة وما شاكل ذلك من المواضيع المهمَّة مفندًا في أضعافها بالحجج اللامعة والبراهين الساطعة اضاليل الجاحدين لتجسُّد ابن الله وظهورهِ في العالم. ولعلَّ نسخةً او اكثر من هذا الكتاب بلغتهِ الاصلية لا تزال مكنونةً في زوايا احدى المكاتب الى الآن

ومهما يكن من ذلك فلا شكَّ ان كتاب البرهان قد نُقل الى اللسان العربي وان كان المترجم فيما أعلمُ هيَّ بن بيّ او غُفــلًا (٢. والدليل عليهِ ان نسخةً من ترجمتهِ

١) راجع ما قالهُ البولانديُّون في اعمال القديسين في اليوم التاسع من كانون الثاني

٢) ورد في لسان العرب: « شاعرٌ غُفْلٌ غير مُسمًّى ولا معروف والجمع أغفال وشعرٌ غُفْلٌ.

العربية كانت محفوظة في القرن السابع عشر بمدينــة رومية في مكتبة القديس بطرس في الجبل الذهبي كما اكّد ذلك العلاّمــة الماروني النقاب الشهير ابرهيم الحاقليّ الذي عثر على تلك النسخة وفحصها واقتطف منهـا نبذةً نراها من الاهمية بمكان لعدّة وجوه. فانّ حانك بردتهـا القديس بطرس في تضاعيف وصفـهِ كنائس الاراضي المقدسة يشهد ايضاً برئاســة القديس بطرس الرسول اذ يدعوهُ «رأس الحواريّين» ويصرّح بان السيد المسيح تناول العشاء الاخير في عليّة كنيسة صهيون وانهُ «اكل فصح النـاموس يوم فصح اليهود» فمن ثمَّ رسم السرّ الالهيّ تحت اشكال الفطير لا الخمير. ثم يطلعنا على وجود كنائس في بعض المزارات (١ الفلسطينيّة لم يَقُمْ الى الان دليل قاطع على وجودها في القرن الرابع ككنيسة زكريّا والرُّعاة ونهر الاردنّ والجدل وجنّاسر والكرسي وناثين وطور تابور وموضع الغنم اي بركة بيت حِسْدا في اورشليم الى غير ذلك من الفوائد التي لم نستفدها من مصنِّفٍ قبلـهُ. ولمّا كانت هذه الدرّة المكنونة جديرة بان يُتحف بها قرّاء مجلّة المشرق المنيرة ولاسيا المنقبين عن آثار فلسطين اوردتُها هنا نقلًا عن كتاب العلاّمــة الحاقليّ الموسوم «با... الاسكندري» (٢. قال صاحب كتاب البرهان:

لا يعرف قائلهُ» ومثلهُ في القاموس والتاج. الّا ان قولهم «شاعرٌ وشِعرٌ» عتيل كدأب بعض اللغويين في مواضع لا تحصى والدليـل عليهِ ما نقلهُ في الموارد «وكتاب غفل لم يُسمَّ واضعهُ». فلا مانع اذًا من ان يقال «معرج غفل» وان لم تنصّ عليهِ المعاجم

١) «المزارات» جمع مزارٍ وردت في معجم فريتاغ ونقلهـا عنهُ كألوف عادتهِ. وهذا الجمع وان اغفلتـهُ كلّ الامهات فهو عربيٌّ وجدتْ لان مذكر غير العاقل يجمع قياساً بالف وتاء كما سابينهُ ان شاء الله فيقـ وطاسات وشَبُّور (بوق) وشبُّورات واعتقاد واعتقادات ومنترهٌ ومنترها لجمهور النحاة الذين قصروه على السماع

٢) «Eutyc... iarcha Alexandrinus . . . Auctore Abrahamo Ecchellensi Maronita e Libano. Roma 1661 pp. 234 — 236.

انظر ايضاً فهرس الكتاب حيث ذكر الحاقليّ نسخة «كتاب البرهان» التي ظفر بـهـا في مدينة رومة

« تشهد كنيسة الناصرة (١ من جليل الاردن (٢ ببشرى جبرائيل رأس الملائكة مريم بالحبل بالمسيح :

« وتشهد كنيسة زكريا من كورة ايليا (٣ بقدوم مريم الى نسيبتها اليصابات .

« وتشهد كنيسة بيت لحم بمولد المسيح فيها من مريم العذراء في مغارة (٤ .

---

١) روى نكيفورس كليستوس في تاريخهِ الكنسي ان القديسة هيلانة قد شادت في الاراضي المقدسة نيفًا وثلاثين كنيسة من جملتها كنيسة الناصرة . واستبعد بعضهم هذا العدد لكني لست اراهُ بعيدًا عن الصحَّة لان القديسة هيلانة وان لم تتمكن من تشييد كل هذه الكنائس حين اقامتها الوجيزة في فلسطين فليس يبعد انها امرت او اذنت بعمارتها وجادت هي وابنها الملك قسطنطين بالنفقات اللازمة . نعم ذكر القديس ابيفانيوس ان اليهود كانوا يمنعون النصارى والسَّمَرة من السكنى في بعض اماكن الجليل ولا سيما طبرية وصفورية والناصرة وكفرناحوم لكنهُ قد روى ايضًا ان يهوديًّا من اشراف طبريَّة اسمهُ يوسف كان قد تنصَّر فانعم عليهِ الملك قسطنطين بلقب قومس (comes) . ولما استأذن الملكَ في بناء الكنائس في مدينة طبريَّة وصفورية وكفرناحوم وسائر مدن اليهود وقراهم لم يأذن لهُ في ذلك فقط بل امدَّه على الاثر بالمال الدثر (مجموع الاباء اليونان طبعة مين ج ٤١ ص ٤١٠ و٤٢٦ و٤٢٧) . ويحتمل ان باني جميع كنائس الجليل المذكورة في كتاب البرهان او اكثرها هو هذا القومس الطبرانيّ الذي نظمتهُ الكنيسة في سلك قديسيها وتعيد لذكره في ٢٢ تموز

٢) قال اوسابيوس والقديس ايرونيموس في « الانوماستِكون » وهو معجم الاماكن العبرانية : « الجليل اثنان احدهما يسمَّى جليل الامم يُتاخم الصوريين حيث اعطى سليمان عشرين مدينة لحيرام ملك صور في سبط نفتالي . والاخر يمتدُّ حول طبريَّة وبحيرة جنَّاسر في سبط زبولون » وهو الذي يسميه كتاب البرهان « جليل الاردن » وكانت الناصرة من اعمالهِ . وربما اطلق المتقدمون اسم الجليل على ما في عبر الاردن والبحيرة . قال اشعيا النبي (٩ : ١) ومتَّى (٤ : ١٥) « عبر الاردن جليل الامم » وصرَّح اوسابيوس القيسراني و بروكوبيوس الغزّي وغيرهما في شرح هذه الآية ان الارض التي في عبر الاردن يقال لها ايضًا ارض الجليل . وجاء في الترجمة السبعينيَّة (اشعيا ٣٣ : ٩) لفظة « جليل » عوض « باشان » وقد استعملها بهذا المعنى يوسيفوس فلاڤيوس والتلمود الذي جعل بانياس وجامَلا (Gamala) من اعمال الجليل . وكلاوديوس بطلميوس (في القرن الثاني للمسيح) قد نظم مدينة يُولياس (Bethsaida Julia) في مدن الجليل مع كونها من اعمال « الجولان » في عبر الاردن (Relandi Palaestina, I. 2, c. 10)

٣) دعيت اورشليم « ايليا » باسم ايليوس ادريانوس ملك رومة . والقرية التي زارت فيها مريم العذراء نسيبتها اليصابات هي « عين كارم » كما سيأتي بيانه في تتمة هذه الشهادات

٤) وفي هذه المغارة عينها سجد ملوك المجوس للطفل يسوع كما نصَّ عليهِ القديس ايرونيموس . وانبأنا اوسابيوس القيسراني وغيره من المؤرخين ان القديسة هيلانة وابنها قسطنطين قد بنيا على

« وتشهد كنيسة الرعاة قريباً من بيت لحم ببُشرى الملاك الذي بشَّر الرعاة (١ .
« وتشهد كنيسة نهر الاردن بعمودية المسيح في ذلك النهر .

المغارة التي وُلد فيها مخلصنا الالهي كنيسة بديعة الجمال . ووصفها الشريف محمد الادريسي كما كانت في زمانهِ (اي سنة ١١٥٠م) بقولهِ في كتاب نزهة المشتاق : « كنيسة حسنة البناء متقنة الوضع فسيحة مزيّنة الى ابعد غاية حتى انهُ ما أُبصر في جميع الكنائس مثلها بناء . وهي في وطاءٍ من الارض ولها باب من جهة المغرب وبها من اعمدة الرخام كلٌّ مليحة وفي رأس الهيكل من جهة الشمال المغارة التي ولد بها السيد المسيح وهي تحت الهيكل وداخل المغارة المذود الذي وجد بهِ » . وكانت هذه الكنيسة في القرن الخامس عشر خاصة رهبان القديس فرنسيس مع مزاراتها والدير المعظم المحدق بها . فلمَّا رأوا ان سقفها استرمَّ استأذنوا جلالة السلطان بترميمهِ فصدرت الاوامر السنية على يد « مير ازبك » آذنة لهم بذلك فجلبوا حينئذٍ من مدينة البندقية على سفينتين خُشباناً لم يرَ الاورشليميون اغلظ ولا اطول منها . فتبرَّع اذ ذاك ملك انكلترة بمقدار وافر من الرصاص فتسنَّى لاولئك الرهبان الاجلَّاء تجديد سقف الكنيسة داخلًا وظاهرًا على غاية الاتقان سنة ١٤٨٠ كما افاده الشاهد العياني حضرة الاب فرنسيس سُرْيانو الذي تقلَّد غير مرَّةٍ الرئاسة العامة على الاراضي المقدسة (Il trattato di Terra Santa e dell'Oriente di Frate Francesco Suriano. *Milano*, 1900, pp. 116 e 112) وبعد اصلاح الكنيسة بنحو اربع عشرة سنة وصفها القاضي مجير الدين الحنبلي في « كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل » بقولهِ : « كنيسة محكمة البناء بها ثلاثة محاريب مرتفعة احدها موجَّه الى جهة القبلة الشريفة والثاني الى جهة الشرق والثالث الى جهة الصخرة الشريفة وسقفها خشب مرتفع على خمسين عموداً من الصخر الاصفر الصلب غير السواري المبنية بالاحجار وأرضها مفروشة بالرخام وعلى ظاهر سقفها رصاص في غاية الاحكام وهذه الكنيسة من بناء هيلانة والدة قسطنطين كما تقدم وفيها مكان مولد عيسى عليهِ السلام وهو في مغارة بين المحاريب الثلاثة وللنصارى فيها اعتقاد ويرد اليها من بلاد الافرنج وغيرها الاموال لها وللرهبان المقيمين بالدير المجاور للكنيسة » (ص ٤١٤) . واما « مير ازبك » الذي نوَّه بذكره الاب سُرْيانو فقد ذكرهُ مجير الدين غير مرَّةٍ بهذه العبارة « الامير ازبك امير كبير » (ص ٦٧٧ و ٦٧٨)

١) نقل نكيفورس المؤرخ ان القديسة هيلانة شادت في ذلك الموضع ثلاث كنائس على اسم الملائكة ومريم العذراء والقديس يوسف خطيبها . واغفل كنيسة الرعاة (* . وقال ايضاً الادريسي المذكور انفاً : « اذا خرجت من بيت لحم نظرت في الشرق منهُ كنيسة الملائكة الذين بشروا الرعاة بولادة السيد المسيح » . ومع ذلك فلا ريب في وجود كنيسةٍ ثمَّ على اسم الرعاة كما افادنا « كتاب البرهان » والقديس الاسقف أرْكولف ومئات من الزوار من القرن ٧ الى ١٩ . قال القديس اركولف (نحو سنة ٦٧٠) انهُ تردَّد الى زيارة قبور الرعاة الثلاثة داخل كنيستهم القائمة حيث بشرهم الملاك في جانب برج « عِدر » اي برج القطيع (تكوين ٣٥ : ٢١) الذي مسافتهُ عن

*) ولعلَّ كنيسة الرعاة هي كنيسة الملائكة (المشرق)

« وتشهد كنيسة المجدل (١ قريباً من طبريّة باخراج المسيح سبعة شياطين كانوا في مريم المجدلية.

« وتشهد كنيسة جنّسر (٢ بان المسيح بارك هناك خمس خبزات وحوتين فاشبع منهم خمسة آلاف رجلًا (كذا).

بيت لحم نحو ميل لجهة الشرق. ولمّا زار الاب ريكولد الدومينيكي نحو ١٢٨٨ محل الرعاة وهو « في الميل الثالث » عن بيت لحم وجد فيهِ « ردمًا عظيماً لكنائس بُنيت هناك تذكارًا للرعاة »

١) زعم بعضهم ان مريم المجدلية وُلدت في حدود مدينة عكّاء كما رواه فلبراند من ألدنبرج (سنة ١٢١١). والصحيح ان المحل المنسوبة اليهِ هو قرية المجدل التي تبعد عن طبريّة نحو ثلاثة اميال الى الشمال. فيها وُلدت مريم المجدلية كما نصّ عليهِ تاودوسيوس (في القرن ٦) والنُفَل اللاتيني الذي نشره دي فوكوي في «كنائس الارض المقدسة Les Eglises de Terre Sainte» ويوحنا من فيرزبرج وتاودوريكس (سنة ١١٧٢) وغيرهم. قال الاب الدومينيكي بروكارد (نحو سنة ١٢٨٣): «المجدل قرية مريم المجدلية ورأيت فيها بيتها ودخلتهُ». وفيها اخرج المسيح السبعة الشياطين من المجدليـة (لوقا ٨: ٢) كما صرّح بهِ القديس بطرس السبسطي ورابان موروس في حياة القديسة والراهب ايفانيوس المعروف بالمقدسي ودانيال الزائر الروسي (سنة ١١٠٧) وغيرهم وذهب جماعة من الشرّاح ان هذه القرية هي التي عناها متّى الانجيلي (١٥: ٣٩) بقولهِ: «واتى الى تخوم المجدل» كما في بعض الترجمات. الّا انّ نسخ اليوناني والترجمات قد اختلفت في لفظها فقيل فيها « مَجدلا ومَجدَلان ومَجدَن ومَجدَم ومَجيدا » كما في طبعة (Tischendorf) ومما يُستدرك بهِ على هذه الطبعة « مَجدو » كما في السريانية البسيطة و« مَغدوا » كما في الدياطاسرون المنسوب لطاسيانوس (ed. Ciasca) و« مغدو » كما في ترجمة ابن العسّال التي وجدناها في القدس الشريف. فمن ثمّ ذهب بعضهم الى ان متّى الانجيلي لم يعن وطن مريم المجدليـة وانما اراد مكانًا آخر في عبر الاردن يقال لهُ اليوم « ماماد » وهو عن بحيرة طبرية نحو اربعـة عشر كيلومترًا الى الجنوب. خصوصاً وبين « ماماد » وبين البحيرة محل يسمّى « الدلهميّة » التي يقارب لفظها « دلمانوتا » الواردة في انجيل مرقس (٨: ١٠) انظر ترجمـة (Dalmanutha) للاب المدقق فان كاسترن اليسوعي في معجم التوراة الفرنسيّ الساعي بنشرهِ الاب العلّامة الشهير فيكورو

٢) ارض جنّاسر (متّى ١٤: ٣٤) بقعـة غربي البحيرة تُعرف اليوم « بالغُوَير ». قال تاودوسيوس المشار اليهِ: « من المجدل الى العيون السبعة حيث عمّد السيد المسيح الرسل ميـلان وهناك اشبع الشعب بخمسة ارغفة وسمكتين ». ووافقـهُ على ذلك ابيفانيوس المذكور وصاحب النُفَيـل الذي عنوانهُ « ذكر اديار الله » (Com. de Casis Dei) وطائفة من حجّاج الارض المقدسة الذين يلقبون ذلك المحل بلفظة يونانية « ابتابغون » معناها « سبعة عيون » وعرّبها الاهالي منحوتةً فقالوا فيها الى يومنا « الطّابغه ». ولكن يؤخذ من انجيـل يوحنّا (٦: ١و٩) ان هذه الاعجوبة قد جرت في عبر بحيرية طبرية. واماّ العيون السبعة او « الطّابغه » فالظاهر انما المكان

« وتَشهد كنيسة كفر نحوم قريباً من بحر طبريّة بان المسيح ابرأ فيها رجلًا يابس اليد (١ .

« وتشهد كنيسة بانياس من الحُوله (٢ ان الامرأة المستحاضة اثني عشر عاماً قد برئت من نذفها .

« وتَشهد كنيسة الكرسي في بحر طبريّة (٣ بانهُ ابرى المجنون الذي يُسمّى

الذي اشبع فيهِ المسيح اربعة آلاف رجل سوى النساء والصبيان بسبعة ارغفة ويسير من السمك (متّى ١٥ : ٣٤) كما حكاه نكيفورس المؤرخ . والذين جعلوا مكانَ الارغفة الخمسة غربيّ البحيرة انما اغترُّوا فيما يلوح لي بمشاكلة الاعجوبتين

١) جرت هذه الاعجوبة يوم السبت في مجمع اليهود (متّى ١٢ : ٩ ومرقس ٣ : ١ ولوقا ٦ : ٦) الذي كان في كفرناحوم (لوقا ٤ : ٣١) . وهل هذه المدينة هي « خان منية » ام « الطابغة » ام « تلْحوم » اراء للعلماء اصحّها عندي رأي الذاهبين الى انها « تلحوم » وهي في الضفّة الغربية على ثلاثة اميال عن مصبّ الاردن في البحيرة

٢) مدينة بانياس معروفة في الانجيل « بقيصريّة فيلبس وهي من اعمال الحُولة » . قال شمس الدين المقدسي المعروف بالبشاري (٤١٤ هجرية) « ولدمشق ستُّ رساتيق : الغوطة . حوران . البثنية . الجولان . البقاع . الحولة » . ذهب جماعة من العلماء ان الحولة منسوبة الى « حُول » ابن ارام المذكور في سفر التكوين (١٠ : ٢٣) « وبنو أرام عوص وحول وجاثر وماش » . والبحيرة التي بين بانياس وبحيرة طبريّة تُعرف الآن « ببحر الحُولة » ويقال لما حولها « ارض الحولة » . واسم هذه البحيرة في سفر يشوع بن نون (١١ : ٥ و٧) هو « مياه ميروم » وعرفت عند القدماء ببحيرة « سموكُون » كما في يوسيفوس الذي ذكر ايضاً Oὐλάθα « حولة » مع بانياس في العاديّات اليهودية (١٥ : ١٠) والمرأة التي ابرأها المسيح (متّى ٩ : ٢٠) كانت من بانياس واسمها « مَرْيوسا » او « فيرُونِكا » كما قيل . وكانت قد شادت في وطنها كنيسة واقامت تمثالًا ليسوع المسيح شكرًا وتخليدًا لما انعم بهِ عليها كما افاده اوسابيوس القيسراني وسوزومين وتاودوسيوس والمؤرخ يوحنا ملالا (مين ٩٧ : ٣٦٧) والقديس يوحنا الدمشقي (مين ٩٤ : ١٣٧٠ الخ)

٣) قال الفيروزابادي في ترجمة كرمي : « والكرميُّ قرية بطبرية جمع عيسى عليهِ السلام الحواريّين فيها وأنفذهم الى النواحي » . وزاد صاحب التاج : « وفيها موضع كرسي زعموا انهُ صلوات الله عليهِ جلس عليهِ » . وهذا الموضع الى يومنا في عبر البحيرة يُعرف بالكرسي او كرسا وهو معرّب « جرجيسا » المنسوبة اليها بقعة الجرجسيين (متّى ٨ : ٢٨ ومرقس ٥ : ١ ولوقا ٨ : ٢٦) كما نصَّ عليهِ طائفة من الاباء منهم اوريجانس واوسابيوس القيسراني والقديس ايرونيموس ويوحنا اسقف اورشليم وبعض الزوَّار كيوحنا من فِرْزبرج والفُغل اللاتيني في تصنيف دي فوكوي المتقدم ذكره

كردوس (١ .

« وتشهد كنيسة نائين من الفلجة (٢ بان المسيح اقام فيها ميتاً وحيداً لامرأة ارملة .

« وتشهد كنيسة طور تابور بان المسيح صعد على ذلك الجبل ومعهُ ثلاثة من تلاميذه فيهم بطرس رأس الحوريين ويعقوب ويوحنا ابني زبدى وتجلّى بين اياديهم (٣ .

١) كان اسم المجنون الذي ابراه السيد المسيح λεγιών (مرقس ٥ : ٩) او λεγεών (لوقا ٨ : ٣٠) لفظة يونانية عرّبها المترجمون فقالوا فيها « لغيون » كما في الدياطاسارون المذكور (ص ٤٥) او « لاجيون » او « لاجاون » او « لجيون » كما في ترجمة ابن العسّال وحواشيها ونسخة توما ابن الصائغ التي وجدتُها في القدس الشريف . « واللجيون » عند الرومانيين عبارة عن جيش من ستة آلاف رجل . ففسرها مترجم « كتاب البرهان » بلفظة « كُرْدوس » وهو الكتيبة او قطعة من الخيل او القطعة العظيمة منها كما في المعاجم العربية

٢) الفلجة التي كانت نائين في رستاقها لم ارَها مذكورة في غير كتاب البرهان . فلعلّ اهالي فلسطين (وكانت السريانية لغتهم في القرن الرابع وقبلهُ) قد ابدلوا اسم الفلجة من نهر « فيشون » (سفر القضاة ٤ : ٧ و ١٣) اي نهر « المقطع » الذي يخرج في ارض « إكسال » بقربة من طور تابور آخذاً الى نائين ثم ينحرف الى المغرب فالشمال مخترقاً مرج ابن عامر حتى ينصبّ في البحر المتوسط بجانب مدينة حيفاء . فمن خواصّ هذا النهر ان مياههُ لا تداوم الجريان الّا في جزئهِ الادنى . واما جزؤهُ الاعلى ذو النواحر والسواعد فيستمرّ يبساً في اكثر فصول السنة ولا يجري فيهِ الماء الّا عند هطلان الامطار فكأنَّهُ نصف نهر او قطعة منهُ . وعليهِ فليس ببعيد انَّ الفلسطينيين قد سمَّوهُ قبل الهجرة بنهر الفلجة التي معناها . بالسريانية « جزء وقطعة ونصف » ثم لقبتهُ العرب بنهر « المقطّع »

٣) ليس بطرس السبسطي اول من نصَّ على ان طور تابور هو جبل التجليّ . فقد سبقهُ اليهِ اوريجانس في القرن الثالث والقديس كيرلّس الاورشليمي في الرابع . وشهد بصحّة هذا التقليد القديس ابرونيموس والقديس بروكلس تلميذ القديس يوحنا فم الذهب والقديس غريغوريوس اسقف تافر وتاودوسيوس المذكور وانطونيوس من بياشنسا وانستاسيوس السيناويّ والقديسون اركولف وڤليبالد والمكرّم بيدا ويوحنا الدمشقي وقزما الاورشليمي مع عدد لا يُحصى من الزوّار والمؤرخين ومفسري الكتاب المقدس . واثبتهُ السنكسار الروماني وسنكسارات الطقوس الشرقية وصلواتها . ولا تجد دليلًا كتابياً او شاهداً تاريخياً « يمكنهُ ان يستأصل او يقوّض اركان هذا المذهب » كما صرّح بهِ العلامة الشهير ادريانوس ريلاند (Palaestina Illustrata, l. 1, c. 51). فلا عبرة اذاً بقول طائفة من الشُرّاح وغيرهم في هذه القرون الثلاثة الاخيرة (وقد مال الى مذهبهم ريلاند المذكور) ان المسيح لم يتجلَّ على طور تابور بل على جبل « حرمون » اي جبل الشيخ او موضع آخر في نواحي بانياس

« وتشهد الكنيسة التي يقال لها موضع الغنم في ايليا ان المسيح دخل ذلك الموضع وفيهِ جماعة مرضى وفيهم رجلٌ مقعدٌ منذ ثمان وثلاثين سنة فابرأهُ المسيح (١ .

« وتشهد كنيسة القيامة في ايليا وموضع تلك الجلجلة المقدسة بان المسيح خلص ذرّيّة آدم باحتماله الصليب.

« وتشهد غرفة صهيون المقدسة ايضاً بان المسيح دخل على تلاميذهِ وهم فيها من بعد قيامتهِ وابوابها مغلقة .

« وتشهد كنيسة جبل صهيون المقدس بان المسيح اكل فصح الناموس في غرفتها يوم فصح اليهود (٢ »

انتهى كلام القديس بطرس السبسطي

الصابئة او المندائية

بقلم الاب الفاضل والباحث المدقّق انستاس الكرملي البغدادي

(تابع لما سبق)

دفن الموتى عندهم

اذا اراد المندائي ان يموت(٣ ينزعون عنهُ ثيابهُ ويُريقون على رأسهِ ماء فاترًا اذا كان في الشتاء وماء بحرارتهِ الطبيعية اذا كان في غير وقت الشتاء ويغسلون جسمهُ من فوق الى اسفل. ومنهم من يأخذ المحتضر الى ماء جارٍ في نهرٍ او جدولٍ او ساقيــة ويغسلونهُ

١) سيأتي الكلام على كنيسة موضع الغنم وما يليها من الكنائس الاورشليمية في فصــل على حدة سنعقده لمدينــة اورشليم ومزاراتها

٢) لم يتأتَّ الى الآن للباحثين عن الآثار الفلسطينيــة الوقوف على شهادة قبل القرن الخامس تصرّح بان « الغرفة الكبيرة » (لوقا ٢٢ : ١٢) التي اكل فيها يسوع المسيح الفصح الاخير كانت في « جبل صهيون ». وعليهِ فتصريح القديس بطرس بذلك هو في غاية النفاسة

٣) هذا من تعبير العرب الانيق الخاصّ بلغتهم. فانهم يقولون: « اراد الحائط ان يقع » اذا مال. و« فلان يريد ان يموت » اذا كان محتضرًا وهو من باب اضافة الفعل الى ما ليس فاعلًا في الحقيقة عن المزهر (١ : ١٥٨) وهذا النوع من التعبير شائع ذائع في بغداد ولم يذكرهُ من اصحاب المعاجم العربية الّا صاحب التاج

غسلاً نعماً ثم « يَبْرُخ » اي يُبارِك ويُسبِّح . واذا كان لا يستطيع ان ينطق بشيء من عندهِ يُلقِّنهُ احد « الإشكَنْدات » وبعد ذلك يُلبَس الرستَة (١ ثم يُعـاد الى فراشهِ ليستعدَّ للموت

هذا واذا فاجأ الموتُ المريضَ او مات على غرَّة بدون مرض فلا يُغسَل لان الغسل موضوع عندهم لمن بهِ حياة والّا فان كانت النفس قد فارقتهُ فالغسل عندهم لا يُفيد فائدةً لانهم يزعمون ان الجسم بلا نفس عبارة عن تراب مجموع او طين مجبول ولمّا كان الماء لا يُنظِّف الطين وان غُسل مرارًا بل يبقى طيناً فكذلك تكون حالة الانسان بعد موتهِ . والذي يتولَّى غسل المحتضر « الإشكَنْدا » وهو بمنزلة الشماس عند النصارى واذا كان المحتضر من الاناث فيتولَّى غسلها « إشكَنْدة » من جنسها

واذا مات الصابئ وُضعت جثَّتهُ على فراش بحيث يكون رأسهُ مقابلاً أَوَاثر (اي نجمة القطب) ورجلاهُ مقابلتين الجنوب . ثم يُهيَّأ لهُ نوع من الحصير يكون صنعها على هذا الوجه : يؤخذ سبع حُزَم من البَرْدِيّ فتوضع متباعدة الواحدة عن الاخرى بحيث تكون بشكل حصير وكافيةً للفّ الجثَّة بهـا . ثم تُشدُّ هذه الحزم بخيوطٍ متَّخذة من خوص النخل المفتول . وبعد ذلك تُلَفّ الجثة بها ثم توضع على نعش يُسَوَّى كما يأتي : تُؤخذ ثلاث جرائد من جرائد النخل متفارقة الواحدة عن الاخرى ويُمدُّ عليهـا قصب مقدارًا كافياً فيوثَق بالجرائد . وبعد ان يتمَّ هذا كلهُ توضع الجثة على هذا النعش البسيط وبينما اهل البيت يُهيِّئون ما يحتاج اليـهِ لدفن الميت يذهب واحدٌ من اقاربهِ او من اصدقائهِ ينعاهُ للترميدا ويطلب منهُ ان يأتي ويحمل السِدْرَا وراءهُ . فيجيء الترميدا « بالدَرَفْشا » وهو علَم ابيض مُتَّخذ من القزّ فيغرسهُ في ارض البيت (والارض في دُور

١) امّا تفصيل الرَسْتة او الحُلَّة الدينية فليس محلّها هنا . وما ذكره حضرة الاديب نيقولا السيوفي يغلب عليهِ الوهم والخطأ وقلة التحقيق والتدقيق في مندرجات كتابهِ . وقولهُ « ان الرستة عندهم من منشأ إلهي ومصدر انجيلي (ص ١٢٦) » هو كلام موضوع . وعندهم ان الرستة اتى بها « هيقل زيوا » من « آلما دنهورا » ليقطعوا عليها ثيابهم الدينية . وذكر حضرة السيوفي ان الرستة هي بمنزلة الكفن للصابئة المحتضرين وحُلة الكهنة في قضاء امور الدين » قلنا بل هي الحلة الدينية بوجه الاطلاق يلبسها جميع المندائية من رجال ونساء من صغار وكبار في الامور الدينية وفي ايام الاعياد المشهودة

الصابئة غير مُبلّطة) ثم « يَبنِي رَهْمَهْ » اي يُصلّي صلاة يطلب بها رحمةً من الله لنفس الفقيد واذا انتهى من الصلاة يدنو منهُ إشكندا فيضع يدهُ بيد رئيسهِ ويتلو صلاةً (١. ثم يجرّ يدهُ ويذهب الترميدا ويحمل الدرفشا والسدرا ربّما هو او غيرهُ ثم تُحمل «الطريانة» (وهي المواقد) ثم يتهيّأ الموكب للذهاب الى المقبرة

وفي مطاوي ذلك يتقدَّم اربعة من الحلاليّة (اي الاشكندات) من الذين قد اشتهروا بصلاحهم فيسوّون « مَندِلتَة » وهي عبارة عن قصبٍ يغرزونهُ في الارض على رَزْدَقٍ واحدٍ ثم بعد ذلك يقسمونهُ ثلاث قسم ويربطون كل قسمةٍ بخيطٍ من خيوط الخوص او البرديّ او نحو ذلك لكن بدون ان يقطعوهُ . وتكون هذه المندلتة بعيدة عن جثة الميت بعداً كافياً يُمكّنهم من ان يجولوا حولها . ثم يتقدَّم هؤلاء الاربعة الحلالية ويحملون نعش الميت رافعيهِ فوق رؤوسهم وهم يمشون الواحد وراء الواحد ولا يجوز لهم ان يمشوا غير هذه المشية ثم يعبرون بهِ فوق تلك المندلتة . امَّا الرابع من حاملي النعش فمن بعد ان يجوز المندلتة مع اصحابهِ يعود على عقبهِ ويقف وراء المندلتة فيضع عليها طيناً ويقطعهُ بسكينٍ قطعاً مستديراً ثم يختمهُ بخاتم منقوش عليهِ صُور اربعة حيوانات: حية واسدٌ وعقرب وزنبور (٢ . وعند وضع الخاتم يطلب لنفس الميت الصفح والغفران (٣

ثم يرفع الخاتم ويذهب فيلحق بحاملي الميت الثلاثة فيكون رابعهم الى ان يصلوا الى محلّ الدفن فيُنزلون الميت من على رؤوسهم ثم يتقدَّم صاحب الختم ويمسك بيدهِ مسحاةً ويسحي من مكان الدفن ما يملأُها ويقول ما قالهُ عند ختمهِ المندلتة ثم يُلقي ملء المسحاة الى وراء كتفهِ الايسر من فوقهِ . ثم يخطو خطوةً ثانية وثالثة ويفعل ما فعل في المرَّة الاولى وبذلك يكون قد عيَّن القبر ومكان الدفن وحدودهُ . وبعد ان يكمل هذا يتقدَّم الحفَّارون فيحفرون القبر بموجب الحدود المذكورة والترميدا من بعيدٍ يقرأُ في

١) وهذا منطوق الصلاة : « بِيْ وَاشكَا أَمرْ وْأَشتمَا أُشرِي إِيْتَسْفَدْ مْشَبْتَتَنْ نِهْوِيْلَخْ أَدْبَاوْرَا وْسِيْمَاخَا مْهَرْقَانَا وْمْشَوْزْبَانَا بْشْرَا رَبَّا رَبَّا دْنْهُورَا وْبْدَوْرَا تَاقْنَا . مْشَبَّنْ هَيِّي »

٢) فالحية رمز الى الأُور والاسد الى أَشْدُوم والزنبور رمز الى كَاف وكَافان . والعقرب رمز الى سركي وسركاني

٣) وهذه صلاتهُ بالحرف : « بُشْمَيْهَنْ دْهَيِّي رَبِّي لَوْفَا وَرْوَاهَا دْهَيِّي شَاوَقْ هَطَايِي نِهْوِيلِي لْهَازَا نِشِمْتِي أَبِلَنْ بَرْ أَبِلَنْ وَهَازَا مَسقتَا شَاوَقْ هَطَايِي نِهْوِيلِي

السدرا رَبّا وامامهُ الدرفشا وبعد ان يُحفر القبر يُنزل الميت في الحفرة ويكون وجههُ ناظرًا « أوَاثر » ورجلاه متجهتين نحو الجنوب وحينما ينتهي الترميدا من صلاتهِ في مثل هذه الحفلة يُلقى على الميت ترابٌ بقدر ما يُغطيهِ ثم يعود الى القراءة فيتقدم الحاضرون الى دفنهِ بالتمام ويدنو صاحب الختم ويختم القبر عند رأسهِ ويكون ذلك في التراب نفسهِ

ثم يرجع جميعهم الى بيت الميت فيغتسل الحلاليّة وكلُّ من كان معهم وكذلك يغسلون جميع الادوات التي كانت معهم الّا الترميدا فانهُ لا يفعل ذلك لانهُ لم يشاركهم بمس الميت. وبعد ان يعود الحلاليــة من النهر يُهيّأ الطعام والنساء اللواتي يطبخنهُ يَلبسنَ الثياب البيض لانهنَّ يعملنَ عملًا دينيًا. وعند ما يتناول الحضور الطعام يأمرهم الترميدا فيأخذون لقمة بايديهم فيقرأ الرئيس « لوفاني » وهي نفس الصلاة التي ذكرناها عن خاتم القبر . وفي مطاوي القراءة يكون الآكلون قعودًا لا وقوفًا وهم يكرّرون ما يُلقى على مسامعهم وبعد ذلك يسترطون اللقمة المذكورة. وتدوم الوضيمة اربعين يومًا ولو كان المدعوُّ واحدًا لا غير وكان الطعام شيئًا لا يُذكر وهو ما يُرى في الفقراء. والسبب في ذلك هو لان المسافر في طريق الاخرة يبلغهُ شيء من ذلك على يد «پتاهيل» والّا فان لم تُمدّ سُفرة عن روحهِ يُنقطع بهِ فيقف دون طيّ الطريق وعلى هذا الوجه ينال بعض العذاب

ويزعم الصابئة ان نفس الميت تتردّد بين القبر ودارهِ مدّة ثلاثة ايام وفي اليوم الثالث يُفضّ الخاتم وتُنزع « المندلتة » وعندئذٍ تبتدئ نفس الميت بالسفر ويدوم ٤١ يومًا وبعد هذه المدّة تصل الى سور المطراتي وهو سور عظيم من حديد. وبعد ان تتعدّاهُ تُرى امام الأور وهو من الروحانيين الراجعين الى مملكة الظلمة وهو واسع الفم فاغرهُ غير انهُ يُسدّ سدًّا محكمًا حينما يَرى نفس صالحٍ وينفتح شدقاهُ كلَّ الانفتاح اذا رأى نفس طالحٍ فيبتلعهُ . (قلتُ) وهذا عندهم بمنزلة الدينونة

وقد ذكر حضرة الاديب نيقولا السيوفي ان اصحاب الميت لا يزورون احدًا في مدة الشهرين الاولين من موت الفقيد (ص ١٢٥) فهذا كلام لا اصــل لهُ. وندب الميت عندهم ممنوع كلَّ المنع الّا ان وجودهم بين العرب ادخل هذه العــادة. والمفروض في دينهم ان يطلبوا من بعض كهنتهم ان يذهبوا الى قبر المتوفّى ليقرأوا عن نفسهِ أورادًا من اسفارهم الدينيّة ترويحًا لنفسهِ في رحلتــهِ الأُخرويّة فيدفع اصحاب الفقيد لهؤلاء الكهنة اجرة مبلغها ليرة او اكثر

هذا ملخَّص ما يجري في مذهب هؤلاء القوم من سُنن دفن موتاهم

واذا كان المتوفي من اكابر ملّتهم فكثيرًا ما يُسجلون تاريخ موتهِ ويذكرون لمعةً من ترجمتهِ. امّا التاريخ المستعمل عندهم فهو تاريخ الهجرة لا غير ويحسبون الشهور حسابًا شمسيًا. وما ينقص السنة الهجرية ليساوي السنة الشمسيَّة يزيدونهُ مرَّتين في السنة في المرَّة الاولى يزيدون خمسة ايام وشيئًا بين الشهر الثالث والرابع وخمسة ايَّام بين الشهر الثامن والتاسع. وهذا ما سمَّاهُ العرب الاقدمون بالأَزدِلاف وكُتَّاب العصر بالتحويل (١. وقد اكَّد لي بعض المحقّقين من اصحاب هذه النحلة ان المندائية كانوا في بادئ الامر يؤرخون وقائعهم بتاريخ ولادة يوحنا المعمدان لكن لاسبابٍ عديدة أبدلوهُ بتاريخ الهجرة. غير اني لم اعثر الى هذا اليوم في كتبهم على تاريخ يؤيد هذا القول والذي وجدتهُ في ما يُربي على ثلاثين كتابًا او دَرْجًا تاريخ الهجرة لا غير وهكذا يرى الفاحص لكتبهم الموجودة في باريس ولندن ولا يجد اثرًا لتاريخ آخر سواه (٢

---

١) لم يذكر هذين اللفظين اصحاب المعاجم وقد ذكرهما صاحب شفاء الغليل (ص ٢٨)

٢) الظاهر ان المرحوم نيقولا السيوفي لم يكن يُحسن قراءة اللغة المندائيـة وبحجّةٍ اقوى لم يكن يفهمها. فانهُ قال في كتابهِ (ص ١٩١) انهُ لم يسأل استاذه عن التاريخ المتخذ عندهم وبالتـالي لا يعرفهُ. فلو كان يحسن القراءة لطالع كُتب المندائية الموجودة في باريس فان التاريخ فيها صريح واضح ولنا على ما نقولهُ دليلٌ ثانٍ وهو ان ما نقلهُ من الصابئيَّة الى الافرنسية يغلب عليهِ الخطأ والغلط والظاهر انهُ ما كان يترجم الّا ما كان يقولهُ أُستـاذه إنْ صحيحًا وان خطأً بغير تمحيص كلامهِ وتلخيص المعنى منهُ. واليك دليل ثالث وهو ان في العبارات تقديمًا وتأخيرًا ممَّا لا يجوز فعلـهُ ولو كان الكاتب يعقل ما يعمل لما فعل. وفي هذا كفاية لتعرف أنَّ الشيخ ابرهيم اليازجي أخطأَ في البيان (ص ٣٢٨) حيث قال: «ولا ريب ان ما جاء في هذا الكتـاب هو اصحّ ما كُتب عن اولئك القوم لانهُ بجملتـهِ مرويٌّ عن واحد من ابناء كهنتهم المترشحين للكهنوت بعد ما صبأ الى دين النصرانية. وغالب ما فيهِ مؤيد بالنصوص من كُتبهم نفسها منقولة بلسانهم وحرفهم ممَّا عُني المؤلف بدرسهِ لاقتباس الحقيقة من معدنها»

(قلنا) ان الشيخ ابرهيم مخدوع للاسباب التي مرَّ ذكرها. وازيدهُ افادةً انّي اجتمعتُ بهذا المندائي المتنصّر في السنة المنصرمة فعلمتُ انهُ رجل محتال. ولمَّا ذكَّرتهُ بما لقن تلميذه المرحوم نيقولا السيوفي اخذ يضحك من الخديعة التي خدعهُ بها ليمتصّ شيئًا من دَرّ كيسهِ

ثمّ ان كل من لهُ إلمام باللغة المندائية لا بل باللغة الإرميـة يرى ان ليس في كتاب حضرة نيقولا السيوفي شيء مأخوذ من نفس كُتب أصحاب هذه البدعة. لا بل نقول ان للمؤلف «لم يرَ»

هَتك سرٍّ غريب

الصابئة كاليزيديّة لا يلبسون الازرق من الثياب (راجع مقالة [اليزيديّة بهذا الخصوص في المشرق ٢ : ٥٥١) وقد حاول كثيرون من كتّاب الافرنج والعرب معرفة سبب ذلك . اما العرب فانهم هم ايضاً يكرهون كل الكراهية هذا اللون لكنهم لا يعرفون سبب نفورهم منهُ مع انهُ مريح للابصار بهج للخواطر والافكار والنصوص في ذلك عديدة قال الزمخشري (١ « ان الزرقة ابغض شيء من الوان العيون الى العرب لان الروم اعداؤهم وهم زرق العيون . ولذلك قالوا في صفة العدوّ : اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين » . وقد كنوا عن النصال والاسنّة « بالزُرْق » . قال اميرُ الشعراء :

أيقتلني والمشرفيّ مضاجعي ومسنونةٌ زُرْقٌ كانياب أغوالِ

وقالوا ان سبب هذه الكناية ما في لونها من الزرقة . وقالوا : العدوُّ الازرق هو في الاصل الخالص العداوة من زُرْقة الماء وهي صفاؤهُ وخلوصهُ . وقيل معناهُ : الشديد العداوة لان زرقة العيون غالبة في الروم والديلم وبينهم وبين العرب عداوة شديدة

هذا ملخَّص ما جاء عند لُغويِّي العرب من الكلام الموسوم بالزُرْقة والمؤوَّل هذه التأويل ولا بدع اذا رأيتها غير مقنعة . ثم اذا كان العرب يكرهون هذا اللون فلمَ يُعلِقون الخرز الازرق باعناق اولادهم حفظاً لهم من الاصابة بالعين بل ولمَ يُعلّقون هذا

كتاباً من كتبهم وانَّما رأى كُتَيِّبا بلغتهم وهو عبارة عن مجموع صلوات وجيزة بلغتهم وحرفها يكون مع كل صابئ . ومن البيّن ان هذا المعلم لم يرد ان يتكلَّف هناه فتح كُتَيِّبهِ لنسخ العبارات التي دفعها الى تلميذه وقد كتب ما كتب مماً كان قد حفظهُ على ظهر قلبهِ حفظاً ضعيفاً . ويُرى ذلك مماً كتبهُ إذ انَّهُ مشوَّه اقبح التشويه وتلفيق أغلب تلك العبارات يشهد بان معلمهُ لم يكن يفهم ما يقول وهو الى اليوم لا يعرف الّا الشيء النزر . وقد كتبنا هذا كلهُ لا غضاً من حضرة المؤلف نيقولا السيوفي بل إحقاقاً للحقّ وازهاقاً للباطل ان الباطل كان زهوقاً لاننا في موقف علمٍ وتحقيق لا في موقف تدليس وتوهيم . وعليهِ فالكتاب لا حظ لهُ من العلم شيئاً بل هو عبارة عن سِفر جَمَع تلفيقات رجل منداني جاهل احتال على رجلٍ عاقلٍ بهذه الوسيلة المستهجنة. وهو فوق كل ذي علمٍ عليم

١) راجع الكشّاف (٢ : ٣٤) والنهاية لابن الاثير في المادّة

الخرز على شيء عزيز عندهم او نفيس في عينهم. قل لي بحياتك ألمْ ترَ انهم يُعلقون الخرز الازرق بالابنية الجديدة وانواع السُفُن والزوارق والقفف ونحو ذلك. فلا شك ان هناك سرًّا غامضًا محجوبًا عن عيون العوامّ. وبالاخصّ ان العرب مولعون بلبس الثياب الزرقاء فكيف اذن يسوغ الجمع بين الحبّ والبغضة بين الائتلاف والنفور ؟ إنْ هذا الّا من اغرب الامور

اما الافرنج فقد بَثُّوا آراء بهذا الخصوص كلها غرائب. وقد ذكر منها شيئًا حضرة الفاضل نيقولا السيوفي في كتابهِ. منهـا ما نقلهُ (في ص١٩٣) عن معجم ديني للابيل (١ برتران ما معرّبهُ: ويكره الصابئة الازرق كراهيةً غريبـة لانهم يزعمون ان اليهود لمّا عرفوا من كتبهم ان عماد يوحنا يفني شريعتهم ألقوا في الاردن كميـة وافرة من النيل ليفسدوا ميـاه ذلك النهر. وغاية هذا الفجار (٢ كانت منع يوحنا المعمدان

١) الأَبيل. هي اللفظة التي اخترناها لترجمة كلمة abbé. وهذا الحرف الفرنسيّ مأخوذ من اللاتينية abbas وهي مقتبسة من اللغة العبرية الارَمية أَحًا ومعناها «الأب» غير ان الافرنج قد خصَّصوا لفظة «أبًا» برئيس الدير وبكل من انقطع لخدمتهِ تعالى من اي طبقةٍ كان من طبقات خدمة الهيكل. وبهذا المعنى فنَقَل لفظة «أبيل» الى هذا المعنى المُحدَث ممَّا ينطبق على هذا الوضع فان معنى الأَبيل عند العرب: «رئيس النَّصارى (ولم يُعيِّنوا درجتهُ من الرئاسة فمعناهُ اذًا مطلق) و . . . و . . . الخ». وقالوا انهُ مشتقّ من أَبَلَ أي نَسَكَ. قال عديّ بن زيد الشاعر النصرانيّ:

انني واللهِ فاقبلْ حلفي بأبيلٍ كلَّما صلَّى جأر

والكلمة وان يجوز القول بانها مشتقة من العربيةّ الّا انها على الاصح ارَميـة الاصل تعريب كلمة ܐܒܝܠܐ والذي يدفعنا الى هذا القول تصريح البعض بذلك وكثرة اللغات فيها وهي: الأَيْبُليّ بضمّ الباء والأَيْبَلي بفتحها والهَيْبَليُّ بقلب الهمزة هاء والأَبُليّ بضمّ الباء وايْبَل كصيقل وانكرهُ سيبويه وقال: ليس في الكلام فَيْعَل والايْبُل كأَيْنُق والإيبِليّ بفتح الهمزة وكسر الباء وسكون الياء» اه بتصرُّف عن التاج. ومنهُ ترى انَّ ما قالهُ في هذا الصدد حضرة الاب ه. لامنس (كتاب الفروق ص ٣٩٥) فيهِ نظر

والاصل في لغات الايبِليّ «الابيل» والبقية تفرُّعات بخلاف ما يقولهُ لغويُّو العرب. ومن كلامنا هذا ترى اننا جعلنا لفظة père الفرنسية مقابلًا لها في العربية لفظة «أب» ولكلمة abbé كلمة «أبيل» وهذا التدقيق في التعريب يطلبهُ اليوم علم الانتقاد دفعًا للَّبس ونفيًا للشُبهات

٢) المراد بالفجار هنـا ما يقابلهُ بالافرنسيَّة كلمة (profanation) او (sacrilège) اي انتهاك حرمة الشيء المقدس. وقد اطلق عليها البعض لفظة «التدنيس والتلطيخ والتنجيس» كما نرى ذلك في ترجمات الكتاب الكريم الى العربية لكن معاني هذه الالفاظ واسعة وعندنا ان الذي عرفهُ

عن تعميد يسوع المسيح لولا ان الله ارسل ملاكاً فاستقى ماء من ذلك النهر قبل ان يتدنَّس . قال تيڤنو(Thèvenot) هذا هو راي العامَّة (من الصابئة) امَّا السبب الحقيقي لهذه الكراهية فهو انهُ يدخل في تركيب هذا اللون شيء من رجيع الكلب والكلب عندهم من الحيوانات النجسة . اه (قلتُ) وهذا كلهُ اختلاق محض

ونقل (في ص ٢٠٠) عن الفارس لِكْلَامَا (T. M. chevalier Lycklama) ما معناهُ : « والصابئات يلبسنَ لباس عربيَّات الاصقاع التي يَسكُنَّها لكن لا يتَّخذنَ الاسود ولا الازرق . والاسود بالخصوص (كذا . والاصح الازرق لان الصابئة من رجال ونساء قد يتخذون الاسود كما رأيتهُ بعيني) مكروهٌ في عيونهنَّ كل الكراهية . وهنَّ لا يتخذونهُ لا في الفرح ولا في الحزن » . اه

اما السبب الحقيقيّ فهو عريق في القدم وهذا الاعتقاد بالازرق لا يوجد الّا عند الامم الساميَّة الارومة . اما سائر الاجيال فلا تعتقد بشيء من ذلك . واذا وجد عند بعضهم ممَّا ليسوا بساميّي السلالة فانهم اقتبسوهُ من هؤلاء لمجاورتهم اياهم . وهذا السبب هو ان الساميين يعتقدون بان اللغة الاصلية كانت سامية والصابئة يقولون الى يومنا هذا ان لغتهم كانت لغة آدم وانَّ هذه هي توقيفيَّة (اى ليست اصطلاحية بل من وضع الله عزَّ وجلَّ وهو« ملكا دنهورا »عندهم وانهُ علَّمها لآدم بواسطة هيقل زيوا) وان معنى الالفاظ تُشير الى مفعول الشيء او مزيتهِ التي امتاز بها او وصف حالتهِ او

العرب بالمعنى المطلوب هو كلمة « الفِجار » . ومنهُ عندهم « ايَّام الفِجار » قال في القاموس : « ايام الفجار بالكسر اربعة أفْجِرَة في الاشهر الحُرُم وكانت بين قُرَيش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان وكانت الدبرة على قيس فلما قاتلوا قالوا : « قد فَجَرْنَا » وبالفرنسية Nous avons profané les mois sacrés او nous avons commis un sacrilège pendant ces mois saints. وزاد التاج : « فسُمِّيت لذلك فجارًا وهو مصدر فاجر مفاجرةً وفجارًا : ارتكب الفُجور اه . قلتُ : فيكون قد جاء هذا الباب هنا لغير المُشَارَكة كما جاء مثل ذلك كثير في كلام العرب . كقولهم : « قاتلهم الله » اي قتلهم الله . « وعافاك الله » اي اعفاك . وقابلتُ فلانًا ودانَيتهُ وشارفتُ وباعدتُ وجاوزتُ وسافرتُ وناولتُ وضاعفتُ الخ الخ . فيكون هنا معنى « فاجر » بمعنى « فجر » الّا ان معنى الفجور انعقد بناصية المعنى المشهور ولا يجوز تحويلهُ عن مجراه المألوف . وما بقي علينا الّا ان نتخذ « الفِجار » وفعلهُ « فاجر » بمعنى دنَّس الاشياء الحُرُم لانهُ معروف بهذا المعنى عند العرب

ذكر فعله او تأثيرهِ الخ. واصول كلمة الازرق تعني الفناء والهلاك والتبدُّد والتشتُّت وعليهِ فمعنى «الازرق» في الاصل «المُفني» ثم نُقل الى هذا اللون لايقاع هذا الفناء وما كان من معناهُ بمن ينظر الى هذا اللون. وعليهِ فاذا لبسوا الازرق فكأنهم يطلبون الفناء لمن ينظر اليهم كأنَّ لسان حالهم يقول: عسى هذا اللون الذي تراهُ يكون لك ازرق اي سبب فناء. ومعنى هذا الاصل موجود في اللغة الارَميَّة ايضاً فان معنى (ازهد) بدَّد وشتَّت وافنى. وكذا قُل عن اللغة العبريَّة والحبشيَّة. الَّا انَّ هذا المعنى مفقود في الاصل العربي وقد بقي محفوظاً في فُروع هذه المادَّة ممَّا ذكرَهُ فُويق هذا من ذلك مثلًا: «العدوّ الازرق» فانَّ معناهُ عندنا العدوّ المبدّد المشتِّت المفني الذي لا يُبقي ولا يَذَر».

ومعنى ما يضع العرب والاعراب من الخرز الازرق على اولادهم وكلّ شيء عزيز لديهم انهم يتمنون للفناء والهلاك لمن يُريد ان يُوقع السوء بالموسوم بتلك الوسمة الزرقاء. لمَّا الصابئة فانَّهم لا يُحبُّون الدعاء بالشرّ ولا يتمنّون ضرراً لاحدٍ فهم اناس ودعاء يُحبون للسلامة والراحة وعليهِ فلا يجوز لهم اتخاذ الازرق لباساً ويُشيرون بالزرقة ايضاً الى «الروهاية» (اي رُوحاية) وهي عندهم من الروحانيات الشرّيرات الفاتكات بالناس. ولذا تراهم اذا ارادوا منع فتكها بهم وضعوا في بعض سُنن دينهم قطعة ثوب ازرق معلقاً في محلٍ معيَّن من البيت حتى اذا جاءت الروهاية يكون الضرر واقعاً بها غير قادرة على إحداث شيء مكروه بساكني البيت. والَّا فان لم يكن هناك قطعة من هذا الثوب الازرق ففتكها بهم عظيم هذا هو سرّ الازرق فاحفظهُ

(الخلاصة) الصابئة في الاصل عُبَّاد الكواكب ثم لمَّا اشرق نور النصرانيَّة ارادوا ان يجمعوا في ديانتهم بين الخرافات الوثنيَّة والمعتقدات النصرانيَّة فلم يُصبحوا لا نصارى ولا وثنيين بل أذرِيين وهو معنى الاسم الذي يتَّسمون بهِ اي المندائيَّة لكنهُ لا يجوز ابدًا ان يُقال عنهم انهم فرقة من النصارى لانهم لا يعتقدون بشيء من دينهم وبالخصوص لا يعتقدون بالوهية المسيح. هداهم الله الى الايمان الصحيح. اللهمَّ امين

(اصلاح اغلاط طبعيَّة وقعت في مقالة الصابئة) المشرق ٣: ص ٤٨٧ س ١٠٩ «اذا نضب» ص «اذ نضب» = ٢٥:٤٨٨ «ونيدغل» ص «ونيرغل» = ١:٤٨٩ «المؤرخين» ص «المؤرخون» = ١٥:٦٨٠ «وفي ذكرها هذا» ص «وفي ذكر هذا» = ١٢,٩:٦٨١ «الالاهة» ص «الالاهة» = ٢:٦٨٢ «فليس» ص «ليس» = ٢٨:٦٨٣ «نقحمهم» ص «نفحمهم» = ٢٠:٧٨١ «الثلثمائة» ص «ثلثمائة» = ١٩:٧٨٢ «وسعين» ص «وسبعين»

المشرق ٤: ٥٥٢: ٢٢ « وأوشي » ص « وأَوْشى » = ٥٥٤: ١٢ « بجلْذانْ » ص « بجلذانَ » = ٦٨٥: ٢٢ « الى التصريح » ص « لا يحتاج الى التصريح » = ٦٨٧: ١٢ « ينقَلْب » ص « ينقَلِب » = ٦٨٨: ١٩ « زُيوا . . . وشُبّاً » ص « زِيوا . . . وشَبّاً » — ٢٢ « ثلثـاني » ص « ثليثاني » = ٦٨٩: ٢ « الكُتر » ص « الكُترا » = ٧٨٠: ٢٤ « المقامـة » ص « المقاومة » = ٧٨١: ٢٦ « بالفرنسة » ص « بالفرنسيَّة » = ٧٨٣: ٤ « الى القِدَم » ص « الى العَدَم » — ١٤ و ٢٢ « في شرقهِ » ص « في شرَفهِ » — ٢٦ « واغصانهِ » ص « واعصابهِ » = ٧٨٤: ١٢ « المختلفة » ص « المختلقة » = ٩٢٥ و ٩٢٦ كلام الكُترا في هـذه الصفحة ملخَّص ليس تاماً = ٩٢٥: ١٢ « يمدّون » ص « ويمدون » = ٩٢٦: ١٢ « يظهر الدجال في الدنيا ويقيم . . . » ص « يظهر الدجَّال ثم بعد ذلك انوش فيقيم الدعوى على المسيح ويسلمهُ » = ٩٢٨: ٢ « جارٍ ما كان » ص « مهما كان » = ١١٢١: ٥ هسس (تحذف) — « بهثة » ص « بهثة » ١١٢٢: ٤ « النَّشَر » ص « الشَّبر » ١١٢٣: ٢٦ « شواعر » ص « شعائر » = ١١٢٤: ١ « الحمل » ص « الجمل »

ترجمة العالم المأسوف عليهِ

يوسف حبيب باخوس

بقلم الاديب نجيب افندي فارس باخوس (تتمَّة)

وكانت تربط صاحب الترجمة والمرحوم بطرس بك كرم روابط الالفـة الشديدة والمحبة الاخويَّة فكانا يتراسلان عن بعد المزار بالاشعار. يبثّ كل منهما للآخر ما فيهِ من زائد الاشتياق وصافي الوداد. فمن قصيدة انفذها اليـهِ المرحوم بطرس بك الى كالياري مطلعها:

آن الرحيل وجيشُ الصبر منهزمُ   لا دمع يجدي اخا البؤسى ولا نَدَمُ

ومنها: فما اصطبـاري وقلبي هائم قلقٌ   وما احتيالي ونار الحب تضطرمُ

لو لم اعلّل بلُقيا يوسفٍ املًا   ما كنت ارجو حياة بعد بُعدكمُ

ومنها: لهُ الفصاحة دون الخلق قد خلقت   لهُ المعـاني بثغر الدرّ تبتسمُ

حوى الجمال وقد حاز الكمال فما   وصف يُحيط بما قد نال او قلمُ

فاجابهُ بما يأتي:

أعيدوا وصالي فهو بعض عوائدي   ولا تنكروا عهدي بتلك المعاهدِ

معاهد لم يبرح من القلب وَجْدُها / وما برحت تعلو وتغلو لقاصدِ
سقاها الحيا صبحاً وتُسقى ربوعُها / مليًّا وما المشتاق طيبُ المواردِ
نظرتُ على بعدٍ اليها ففاتني / على القرب ظبيٌ فاتني بالجامدِ
وعزَّ عليَّ الوصل فيمن اعزُّهُ / فكيف اصطباري والزمان معاندي
على ذا قضى الدهرُ الخؤون باهلهِ / فما شرعهُ غير الجفا والتباعدِ
تسير بنا الدنيا الى حيث لا نشا / وتصمي لياليها سهامَ المكايدِ
وليس الفتى من يلتقي الدهرَ عابساً / فذو الحزم يَلقى دهرهُ غير حاقدِ
كتمتُ الهوى صبراً فباحت مدامعي / بسرّي وسالت من جفونٍ سواهدِ
وان انكرت دار الاحبَّة لوعتي / فآياتُ شوقي والغرام شواهدي
أهيم اذا ناح الحمام لوجدها / ويطربني وجدي بمصر الاماجدِ
واذكر ما هبَّ النسيم صبابةً / تعلّلني بالصبرِ والصبرُ جاحدي

ومنها: وأصبر فالصبر الجميل وديعة / لاهل الهوى والحلم خير معاضدِ
واسأل ريح الصبح تحمل صبابتي / الى بطرس المقدام عينِ الفراقدِ

ومنها ايضاً:

تظلُّ مطايا الحمد قاصدة لهُ / ويحلو بهِ للناس نظم النشائدِ
خليلي اذا ما فرّق الهجرُ بيننا / فمن عهدنا بالحبِّ لست بجائدِ
وحقك لا اسلو على البعد موعداً / سعدتُ بهِ والحظ كان مساعدي
ولا نظرت عيني لغيرك منةً / ولا في سوى جدواك رنَّت قصائدي

ولهُ ايضاً في مديح بطرس بك المذكور قصائد عديدة نذكر هنا بعض قوافيها. فمن منظومة اخرى انفذها اليهِ ايضاً من كالياري قال في مطلعها:

ابت نفسي سُلوًّا في بعادي / وقد قصرتْ يداها عن سدادِ
وهل يلقى الفتى بالدهر رشداً / وقلب الدهر مجموع الفسادِ
فلا وصلٌ يدوم ولا سرورٌ / ولا فرحٌ يمرّ بمستمادِ
كأنّا قد خُلقنا لافتراقٍ / تراقبنا النوائب كالاعادي
وما عهد الفتى بالقرب عهدٌ / وما بالوصل تجربة الودادِ
ولكنَّ الفتى مَنْ جرَّبتْهُ / صروفُ الدهر بالمحن الشدادِ
وفخر النفس مجد واصطبار / تدوس بهِ لظى شوك القتادِ
بعيشكِ يا رياحُ الصبح قصّي / سلامي وانشدي شوق الفؤادِ

ومنها: فيا دار الاحبة كم يُداني / خيالك مقلتي وقت الرقادِ
وكم اذرفت من وجدي دموعاً / وسارت مهجتي مع كل حادِ
ساصبر يا فؤادُ على بعادي / وارضى نارَ وجدك خير زادِ
واسقي من جفوني ارض شوقي / ليروى من دموعي كل صادِ

سئمت الدهر والايام حتى كرهت بقاء عيشي والتمادي
وضنت بقيّةً بالروح عفوًا عسى ألقى جا كرم البلادِ
عسى القى الفتى مَن ساد مجدًا وقام بهِ طريفًا عن تلادِ

ومنها: اذا ناديتُ بطرس في بعادي سمعتُ الدهر جدواه ينادي
فدتك الروح من خلٍّ وفيٍّ وكم فدَّتك مثلي روحُ فادِ
اخاف عليك من حسد الاعادي لوجه منهُ ضوء الصبح بادِ
واخشى ان تخاصمني عليكم بدور الأُفق او أُسد البوادي
فيا شمس الضحى لي فيكِ مثلٌ لميعُ حسامهِ للعين هادِ
تسابق خيلهُ خيل المنايا اذا ما أُسرجت يوم الطرادِ
ويعلوها فتىً لمَّا نراه نرى جبلًا علا متن الجوادِ
اذا جادت يداهُ بالعطايا حسبت البحر بحرًا من جوادِ
تبارك من برا باللطف شخصًا تقاد لهُ العلى ايَّ انقيادِ

ومنها في الختام:

اناشدهُ سطورًا قد حوتها طروس القلب لا طرسُ المدادِ
يذكرني اوافيت التهاني ويوعدني صباحًا بالمعادِ
وما احظى من الدنيا بحظٍّ سوى وعد بوصل واتعادِ
وفخر النفس اقناع وصبر وما فخر يقوم بلا جهادِ

قال ايضًا رحمهُ الله وقد انفذها الى سعادة البك المشار اليهِ من تونس:

على رسم ذياك الحمى والمنازل سلامٌ يُهادى بالضحى والاصائل
سلام ويا ليت الرياح تحمَّلت اليها فؤادي والهوى كان حاملي
وقفت جا وجدًا وقه وقفة انازعها روحي ووجديَ قاتلي
بكيت وابكيت الرسومَ صبابةً ورقَّ لحالي خُلَّتي وعواذلي

ومنها: خليليَّ ايامُ الشباب قصيرة وما هي الَّا دولة بالتداولِ
ينغصها الاحباب بالهجر والنوى وتقطعها الآمال قطع المراحلِ
وما وَصْلنا الَّا اجتماع لفرقةٍ نودع بدرًا آفلًا إثر آفلِ

ومن ابياتها:

ابى الله ان انسى على البعد عهدهم واسلو ولو كان الوفاء ماطلي
وبالله تنساني يميني اذا سلا فؤادي ودادَ الشهم فرع الافاضلِ
أسائل عنّي ناظري وهو ساكن فؤادي ويا ليت الفؤاد مواصلي

ومنها في الختام:

فلا فتئت اوصافك الغرّ موردًا يخفُّ اليها للعلى كلُّ ناهلِ

« عودٌ على بدء » وبعد ان مرَّ على تحريره للمستقلّ نحو السنتين غادر كالياري قاصدًا باريس مدعوًّا من قبل الحكومة الافرنسيَّة لتحرير جريدة عربيــة ايضاً تُعرف « بالبصير » فوصلها في اليوم الثالث من شهر ايار لسنة ١٨٨١

وعند وصوله الى محطة السكة الحديدية احسن استقبــاله بعض الكتبة ومحررو الجرائد الذين اظهروا مزيد الارتياح والسرور للتعرف بعــالمٍ شرقي اشتهر امره في بلادهم « واعطي موهبة تنميق الالفاظ فسحر الالبــاب بعباراتهِ الطنَّانة » كما ذكروا ذلك مرارًا في بعض جرائدهم

وعندما تقلّد تحرير البصير وادارته نشرت تلك الجريدة العبارات الآتية:

« لا يخفى على احدٍ ان كل بداءة صعبة وان في العجل آفة العمل وان دون اشهار الكتب والجرائد في بلاد اجنبية عقبــات ومصاعب كثيرة. ولهذا قد ظهر العددان الاولان من جريدتنا وعبارتهما مشوَّشة قاصرة عن جهدنا ومرغوبنا وفيهما اغلاط كثيرة من مرتبي الاحرف الاعجميين الذين يصورون الاحرف ولا يزكنون معناها ويظنونهــا علامات موسيقية او اشكالًا وخطوطاً عرضيــة. اما الآن فنعلن لقرَّائنا في المغرب والمشرق باننا لا نألو جهدًا في سبيل تحسين جريدتنا واصلاح شأنها وحالها وتوسيعها وتكبيرها لتتجمل بحلة نقيَّة تؤهلها الى الانتظام في محفل الجرائد العربية التي حازت قصبات السبق. ولنا من الهمة ما يتكفل لنا بالوصال الى متمنَّانا ويجعل الوعد كالنقد. وقد تداركنا اصلاح الشوائب التي اشرنا اليها بان استدعينا الى رئاسة تحرير جريدتنا الشاب الاديب العالم والكاتب الماهر الحازم يوسف افنــدي باخوس المقيم في ايطالية فلبى دعوتنا بالقبول والرضى وعلمنا من تلغرافاتهِ الاخيرة انهُ يصل الى باريس غدًا ام بعد غدٍ. وقد عرف قراء جريدتنا في المغرب ما لمحرر جريدة المستقل السابق من البراعة وسهولة الانشاء والمعارف الفلسفية والمنطقيــة وسيعلمون ايضاً بان الاستقبال يحقق هذه الآمال. واننا ممَّن يقول قليلًا ويفعل كثيرًا »

ثم لم يلبث ان اصاب « البصير» من النجاح ما قد اصاب « المستقل » في ايطالية. وكنا نود ان نأتي هنا على ذكر بعض عبــارات من مقالاتٍ نفيسة نشرها في اعمدة تلك الجريدة انما يمنعنا عن ذلك ضيق المجال

وهنا نذكر بعض ابيات من منظومة رفعها لبعض اصدقائهِ من المستعربين ذوي الرفعة والمكانة يهنئهُ بعيده . قال في مطلعها :

جنيك عصر الجد ام جئنا الجدُ بعصرك معترًا فطالعهُ السعدُ
وما شرف الايام الّا باهلها فصورتها من رسم افعالهم تبدو
مجال لاقدام الرجال وفضلهم يصاحبهم في نيله الكدُّ والجهدُ
وقد يترقى المرء مجدًا بجدّه ويدرك ما لا يدرك الجد والجدُّ
وليس الفتى من يلتقي الدهر عن قلًى ودون مساعي عزمهِ الخلف والضدُّ
فما طلبُ العلياء سهلًا وانما حلاوتها صبر وعلقمها شهدُ
وعهدي بها لا تخلف الوعد والوفا وليس لها من غير صاحبها عهدُ

ومنها : تجلت بهِ فخرًا وجلّ مقامها وطابت بهِ نفسًا فايامها رغدُ
عرفنا بهِ فضل الرجال ودأبهم فما دأبه الّا الفضيلة والزهدُ
نعدّد ما بين الكرام صفاتهِ وننشدها فخرًا وليس لها عدُّ

ومنها ايضًا :

بها جلّ آمالي وغاية مقصدي فما خاب في عليا مكارمها قصدُ
اسير مدى الايام مستصحبًا بها أرافقها رشدًا فيسعدني الرشدُ
فما عرفت الّا لها النفس منّةً ولا ذكرت فضلًا ولا عمّها رفدُ

ومنها في الختام :

جنيك هذا العيد انك عيده وافراحهُ بالحظّ والعزّ تمتدُّ
فلا برحت اوصافك الغرّ مقصدًا تزيّنها العليا ويسعدها الجدُ

وقد عرفت اذ ذاك الحكومة التونسية ما كان لمقالات محرر البصير وكتاباتهِ من النفع والوقع في نفوس ابنائها وذويها وما اتاه رحمهُ الله من الجدّ والجهد في سبيل احياء روح اللغة العربية في تلك الاصقاع الغربية فمنحتهُ وسام كومندور من طبقة « نيشان »(١) وذلك في ١٥ تموز لسنة ١٨٨١

وبقي متوليًا ادارة البصير وتحريره الى ان اصيب بمرض عضال فاشار عليهِ الاطباء بالعود الى وطنه . فعاد اليهِ وقد تخوّن جسمهُ النحول والهزال حتى لم يعد ينجح بهِ دواء ولا يرجى لهُ شفاء . فاستأثر بهِ الله في شرخ الشباب ونضارة العمر غير متجاوز السابعة والثلاثين من سنّهِ . فبكى عليهِ ذوو الادب والمعارف الذين كانوا يتوسمون بهِ حسن الاستقبال ودُفن في ضريح خاصّ في غزير قد علّق عليهِ تاريخٌ نظمهُ المرحوم الخوري

(١ Commendeur de l'ordre de « Nichan »

الشاعر ارسانيوس الفاخوري الذي نُشرت ترجمة حياته في هذه المجلّة الغرّاء: (١

ابنــاء باخوس غدوا في لوعة اذ يوسف ذاك الفتى هجر الحمى
شهم امامٌ بل اديب فاضــلٌ فبفضله شرقًا وغربًا رنّما
لبنانَ اولى عزةً وتفاخرًا فلقومه منــهُ نواه كلّما
ولفقده اسى اخوه فارس بتفجعٍ واسال دمعًا عَنْدما
كفُّوا البكا ثمّ الاسى يا آله اذ روحهُ لالهه قد سلّما
فحبــاهُ ملكًا في السماء مؤبدًا متمتعًا فيما عليــهِ انعما
سعدًا ومجدًا ارخوا حاوٍ جا بالعزّ اضحى وارثًا ملك السما (١٨٨٢)

وكان رضوان الله عليهِ شهمًا ذكيًّا متضلعًا في العلوم الفلسفيَّة والتاريخيَّة وخطيبًا مصقعًا وشاعرًا مجيدًا لهُ شعر اعذب من الماء الزلال واغرب من السحر الحلال. سريع الخاطر طلق اللسان لطيف المعاشرة يطرب الالباب ويسكر العقول(٢ بل تعشق كلامه الطباع وتلذُّ بهِ الاسماع يشهد لهُ بذلك كثير من ذوي الادب والعلم في الديار الشرقيَّة والغربيَّة الذين كانوا يعجبون ويطربون بكلامه الدرّي

ولهُ مع بعض محرري الجرائد في ذلك الحــين ولاسيما مع محرر "الجوانب" المناقشات الحسنة والمجادلات اللطيفــة التي تشف عن دهاء ودراية في الامور واتساع في العلوم. رحمهُ الله رحمةً واسعة ومتّع الوطن بامثالهِ

اقدم التصاوير

للاب لويس شيخو اليسوعي

اذا اصاخ احدٌ بسمعهِ الى اقاويل دروين واشياع التحويل ظنَّ ان الانسان كان

---

١) المشرق ٣: ٦٠٦

٢) قالت الپال مال غازت في ذلك الحين: « ان سحر الالفاظ هو صناعة اتقنها ومهر فيها ابناء المشرق وقد برع فيها المسيو باخوس براعة عظيمة وهو شاب قد اشتهر امره واصبح يعدّ الان من شيوخ الكتبة المتعمّقين». هذا وانا نضرب صفحًا عن الجرائد الشهيرة التي مدحت كتاباته ومقالاتهِ بخصوص المسألة التونسية مدحًا فائقًا وعرّبت بالحرف اكثر هذه المقالات النفيسة ونشرتهــا في اعمدتها لاسيَّما الجرائد الباريسية. وقد قدرتهُ معظم الجمعيّات العلمية الشرقيــة في اوربا حق قدرهِ وعيّنتهُ من اعضائها

في اوّل امرهِ في حالة من الهمجيَّة تشبه احوال العجماوات في اكثر امورها غير انَّهُ ترقَّى شيئاً فشيئاً حتى بلغ ما نعهدهُ فيهِ من الكمال

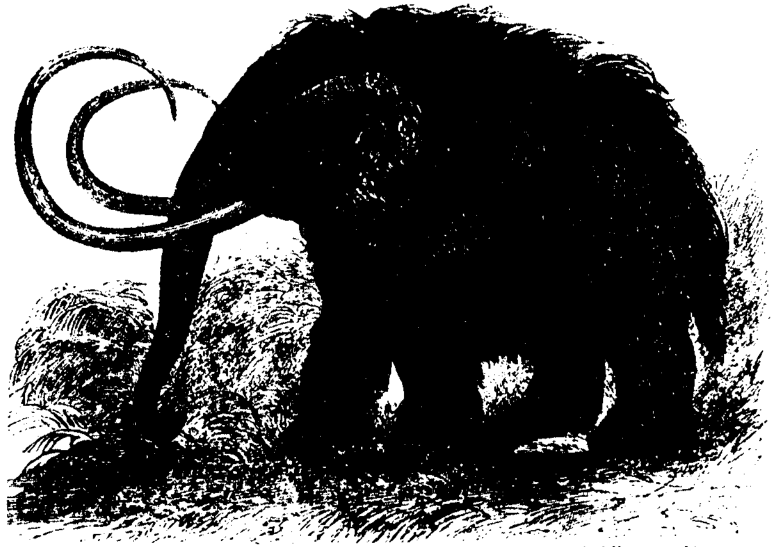
على انَّ هذه المظانّ اذا سُبرت بمعيار العقل وعُرضت على مقياس التاريخ لم تصدق في اشياء عديدة. وربَّما وجدنا في بعض الشعوب تقهقراً عظيماً بعد بلوغها اوج عزّها. وما يقال في الامم يصحُّ في الفنون والصنائع التي فُقد منها الكثير ممَّا لم يبقَ منهُ الَّا النزر القليل. وقد أُيد هذا الامر اصحاب العاديات المصريَّة والبابليَّة الذين اكتشفوا في طبقات الارض السُّفلى من الاعمال الصناعيَّة ما لم يجدوه في الطبقات الوسطى والعليا فاستدلُّوا بذلك على انَّ القوم الاوَّلين بلغوا من الترقّي والتأنُّق ما عجز عنهُ اخلافهم

ومن جملة هذه العاديَّات التي سبقت طور التاريخ تصاوير عجيبة وجدها العلماء في الكهوف والمغاور التي أوى اليها الاجداد الاوَّلون. وكان اصحاب البحث عثروا في مطاوي الجيل المنصرم على عدَّة قطع من العاج او القرن او العظم حُفرت عليها نقوش وتصاوير تمثّل في الغالب حيوانات او بعض الحليّ والادوات ولكلّها من الدقَّة في الرسم ومن الشَّبه بالصور الاصليَّة ما يقضي بالعجب. واكثر ما وُجد من هذه الآثار في وادي نهر ڤازار (la Vézère) في جنوبيّ غربيّ فرنسة تراها اليوم معروضةً في متاحف العاديَّات وكان وجودها في اعماق الارض وطبقاتها السافلة. والعلماء يقدّرون أنها بليغة في القدم وان عمرها لا يقلّ عن ثمانية آلاف سنة. وهو لعمري عهد عهيد يرقي هذه الآثار الى زمن البشر الاوَّلين

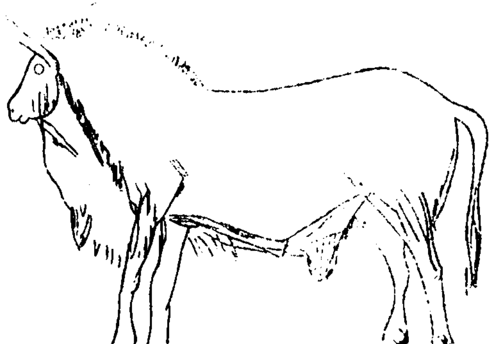
غير انَّ اكتشاف هذه القاطيع الصُغرى الغريبة التصاوير لم يكن سوى مقدَّمة لاكتشاف آخر اعظم شأناً وهو اكتشاف تصاوير كبرى نُقشت في جدران الأسراب والاغوار نقشها البشر في الاطوار الاولى السابقة لزمن التاريخ

واوَّل من وقف على شيء من هذه النقوش الاستاذ الاسباني دي سَوْتولا (Sautuola) لقيها سنة ١٨٧٥ في مغارة مظلمة من بلدة «الطميرة» قريباً من مدينة سَنْتاندر ولمَّا فحصها فحصاً مدقَّقاً وجد انَّها صور بقر وحشيّ (bison) وكانت مطليَّةً بالمغرة. فما مرَّ على هذا الاكتشاف ثلاث سنوات حتى وجد المسيو شيرون (Chiron) اشكالًا مثلها في مغارة شابو (Chabot) من مقاطعة غار (Gard) من اعمال فرنسة

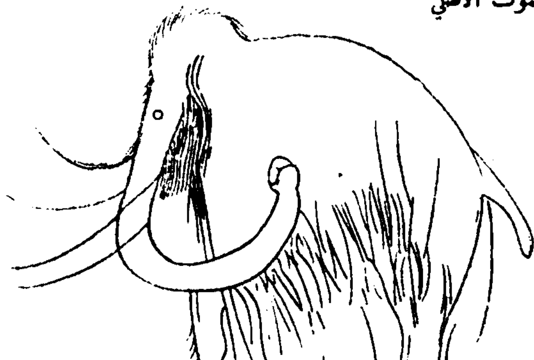
وكانت هذه التصاوير خشبيةً فلم يُعِرها العلماء بالًا الى ان اكتشف صدفةً المسيو



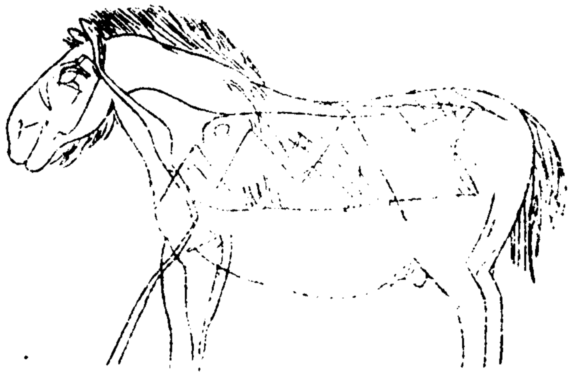
صورة المموث الاصلي



بقر وحشي



رسم المموث القديم



فرس قديم مع لبدته

ريڤيار (E. Rivière) سنة ١٨٩٥ في وسط مغـارة مستطيلة على بُعد مئة متر من مدخلها تصاوير أُخرى ظاهرة الرسم حسنة الدلالة والبعض منهـا محلّى بالُمغرة تمثل بقرًا وحشيًا وايل الشمال (renne) واصنافًا من الخيل القديمة (équidés) والمغارة المذكورة تُدعى لاموث بقرب ضيعة اسمها داز ايزي (des Eyzies) في مقاطعـة دوردوني الفرنسيَّة. وشفع هذا الاكتشاف اكتشاف آخر في مقاطعة جيروند في مغارة تدعى بار نُنيار (Pair non Pair) دخلها المسيو دالو (Daleau) فلحظ فيهـا ١٤ صورة محفورة حفرًا متقنًا في جدران الكهف

غير انَّ اعظم اكتشاف من هذه النقوش العاديَّة جرى في ١٠ ايلول من السنة الماضية على يد الأبيل برويل (l'abbé Breuil) والدكتور كاپيتان (Dr Capitan) فانَّهما توغَّلا في غارٍ طولهُ ٢٣٥ مترًا يُدعى كُمبارِلّ على جوار مغارة لاموث السابق ذكرها. وهذا الكهف ضيّق يختلف عرضهُ بين متر ومترين اما علوّه فربّما كان واطئًا لا يُمكن عبوره الّا بان يزحف الداخل على بطنهِ زحفًا. فلمَّا توسَّطا المغارة على مسافة ١٢٥ مترًا من مدخلها وجدا على جانبيهـا صورًا كبرى مرسومة على طول مئة متر. والبعض منها يغطّيهِ طلاء من الماء المتحجر الذي يتحلّب من المغارة

وهذه التصاوير عبارة عن ١٠٩ صور منقورة في الصخر بعضها نقرًا خفيفًا وبعضها بليغًا بحيث يمكن الناظر ان يراها من بعيد. ومن هذه النقوش ما لا يمثّل سوى رأس الحيوان. وهي تختلف كبرًا فمنها ما يبلغ مترًا وبضعة سنتيمترات

اما الحيوانات التي هي منقوشة في هذه المغارة فاكثرها من الحيوانات التي فُقدت منذ اعصار عديدة نخصُّ منهم بالذكر المُموث (Mammouth) وهو صنف من جبابرة الفيلة القديمة التي لم يُعرف منها غير بقايا من عظامهـا وُجدت في سيبارية في وسط الجليد او في اعماق الارض وهو حيوان يبلغ علوّه نحو ثمانية امتار. ومن صور المُموث في المغارة ١٤ صورة وكلها تدلُّ على انَّ هذا الحيوان كان بعدُ حيًا في عهد المصوّر نقشهُ في كل اطوار حياتهِ فترى لهُ خرطومهُ الجسيم ونابيهِ الضخمين وعليهِ شعر كثّ عند فكّيهِ وفوق رأسهِ وتحت بطنهِ مما يفرزهُ عن الفيل الحاليّ (انظر صورتهُ ص ٥٠٤)

ومن الحيوانات المرسومة في هذه المغارة ضروب من الخيـل يبلغ عددها ٢٣ صورة تامّة ما خلا صور رأسهِ منفردًا. ولهذه الافراس خواصّ تختلف عن افراسنا ببعض

الاختلاف فنها ما هو ارفع قدًّا ومنها ما يُرى ذنبهُ اجرد إلّا في طرفهِ الاسفل ومنها ما يشبه البغل وبعضها كالفرس الحاليّ إلا انّهُ اعرض فماً

ومماً يدلُّ على انّ الخيل في ذلك العهد كانت اهليّة مسخّرة لاشغال الانسان انّ البعض منها يُرى في هذة الصور موسوماً باللجام وعلى ظهر بعضٍ منها غطاء من اللبد ليركب عليهِ الفارس (انظر صورتهُ ص ٥٠٤) . وعلى لبان هذه الخيول او اعجازها علامات يظنُّ البعض انها حروف ويرجح غيرهم انّها سمات تدلُّ على اصحابها

ومن الحيوانات المصوّرة في هذه المغارة ستّ صور من البقر منها ما يشبه البقر الوحشيّ ومنها واحدٌ لا يعرف لهُ شبيه بين اجناس البقر إلا انّهُ دقيق الصنع محكم التصوير (انظر صورتهُ ص ٥٠٤)

ومنها الايل الشماليّ والتيوس البرّيّة المختلفة الشكل منها صنفٌ متوسّط بين الايل والغزال أُتقن تصويرهُ وزيد عليهِ خطوط بطِلاء اسود

وكلُّ هذه الصور لها هيئات مختلفة فبعضها منتصب وبعضها رابض . ومنها ما يظهر راكضاً موجفاً في سيرهِ . الّا انّها لا تُرَى مواجهةً بل على احد جانبيها

امّا الادوات التي اتّخذها المصوّرون لحفر هــذه التصاوير فهي ادوات الظرّان واحجار الصوّان . والعجيب من امرها ان اصحابهــا بلغوا هذه الدقّة والاحكام مع صعوبة حفرها بمثل هذه المقاريض . وتصويرها يدلُّ على براعة غريبة في اصحابها

امّا قِدَم هذه الصور فلم يتمكّن العلماء من بيانهِ . وقد ظنّ مكتشفوها انّ عهدها يترقّى الى نحو عشرة آلاف سنة قبل المسيح . وهو حدسٌ لا سند لهُ متين . وعلى كلّ حال يسوغ القول انّ هذه الصور عريقة في القدم لان مصوّريها لم يرسموها عن سمع بل عن عيان . وقد فُقدت هذه الحيوانات منذ أُلوف من السنين . وكذلك الامكنة التي وجدت فيها تعرّف قدمها اذ انّ قسماً كبيرًا من هذه المغــاور مطمورٌ بموادّ كلسيّة وحوّاريّة تُعرف خاصّة بالطور المغدلاني (époque magdalénienne) سبق عهدها المسيح باكثر من ستّة آلاف سنة

فترى من هذا الوصف ما يترتب على هذا الاكتشاف من الاهميّة لتعريف التأريخ البشري وقدم الصناعة بين الناس وترقيهم في الحضارة واماكن سكناهم . وان قيل انّ هذا العهد لا يوافق ما جاء في التوراة عن زمن التكوين كرّرنا ما قلناه في هذه المجلّة

غير مرّة ان التوراة ليس لها تاريخ خاصّ وللعلماء في ذلك آراء متباينة لم تجزم الكنيسة بصحّتها فمن ثم ان اقتضى القول بان هذه التصاوير نُقشت منذ اثنتي عشرة سنة فلا بأس من التسليم بهِ . ونحن نعلم حقّ العلم ان كلام الله ثابت لا يستطيع ان ينقضهُ علم بشر

المستشفيات في المغرب

نظر للاب لويس شيخو اليسوعيّ

انّ من الباطل ما يكتسي بثوب الصدق ويتزخرف بزيّ الحقّ فتنخدع بشبهاتهِ عقول الجمهور الذين لا يحكمون في الغالب الّا استنادًا على الظواهر . امّا الذي كتبتهُ احدى الجرائد المحلِّيَّة بحقّ الكنيسة الغربيَّة بخصوص المستشفيات (راجع المشرق ٥ : ٤٧٩) فانهُ خالٍ حتى من شبه الصحّة . ولو اردنا نقض هذا القول لما احتجنا الى براهين عديدة وادلّة غامضة وكفانا ان نشير باليد الى المآوي والمآتم والمستوصفات والمارستانات التي انشأتها الكنيسة الغربيَّة ليس في بلادها فقط بل في كل مدينة من اقطارنا الشرقيَّة

على انَّ هذا الكاتب تستَّر وراء التاريخ القديم ظنًّا منهُ ان حجّتهُ تكون اوقع في النفوس واثبت في الاوهام فكتب (ص ٣٧٦) : «ان الكنيسة الغربيَّة كانت تظهر في جميع ادوارها مقصرة بسبيل الخير حذاء اختها وذلك من كون عمَّالها كانوا يصرفون تلك القناطير المقنطرة من الدينار على البذخ وقلّما كانوا يتحوَّلون بانظارهم نحو اخيهم البائس ولا سيَّما الابرص» . فانَّ مثل هذا القول لا يسلّم بهِ كاثوليكيّ ولو اردنا تفنيدهُ لاستدعى مقالات معدَّدة لنبيّن انَّ الكنيسة الغربيَّة لم تقصِر مطلقًا في اي سبيل كان من سُبل الخير بل تسارعت في كلّ ادوارها الى جميع المشروعات المبرورة . ولكن لمَّا حصر المناظر قولهُ في ذكر المستشفيات والبُرص حسبنا هذه المرَّة ان نخوض معهُ في هذا الميدان ونبيّن لهُ انَّ للكنيسة الغربيَّة من المآثر في ذوي البأساء ما يجللها بشملة الفخر ويخلّد لها في تاريخ الانسانيَّة ذكرًا فريدًا لا يناصبها فيهِ غيرها

*

سمعت الكنيسة من فم عروسها الالهيّ قولهُ تعالى (متى ٢٥ : ٣٤—٤٠) :« رثوا الملك المعدّ لكم . . . لاني كنت غريباً فآويتموني وعرياناً فكسوتموني ومريضاً فعدتموني . . . فكلّما فعلتم ذلك باحد هؤلاء الصغار فبي فعلتموهُ » فلم تدع هذه الكلمة تذهب ادراج الرياح . وما حلَّ الروح القدس على التلاميذ حتى صرفوا همّهم الى علاج الأبدان كفعلهم بالارواح حتى انَّ كلًّا منهم كان يستطيع ان يقول مع رسول الامم (٢ قور ١١ : ٢٩) :« من منكم يَضعُف ولا اضعف انا » : او يكرّر قولهُ (١ قور ٩ : ٢٢) : « صرتُ للضعفاء ضعيفاً لاربح الضعفاء » . وهذا روح الشفقة على البائسين والمرضى قد بثّهُ الحواريون حيثما حلّوا في اربع خوافق السماء فعمّت اعمال الرحمة كلّ انحاء المعمور حتى صار اسم المسيحيّ مرادفاً لصانع المبرّات وكان الوثنيّون انفسهم يشيرون الى المؤمنين بالبنان ويفرزونهم عمّن سواهم اذ يرونهم يتنافسون في تضحية ارواحهم لخير القريب نفساً وجسداً

ولكن متى يا ترى اخذ النصارى في انشاء مقامات خصوصيّة يقومون فيها بخدمة ذوي العاهات وهل كان ظهور المستشفيات في الشرق كما زعمت تلك الجريدة او في الغرب ؟

وهنا لا بُدَّ أن ننبّه القرّاء انَّ الفرق الذي وضعهُ هذا الكاتب بين الكنيسة الغربيّة والكنيسة الشرقية لا طائل تحتهُ اذ انَّ هذه المقابلة تقسم كنيسة المسيح الى قسمين متباينين والمسيح كما لا يخفى على الكبير والصغير لم ينشئ الّا كنيسةً واحدة تحت رأسٍ واحد ومن ثمَّ كلُّ ما جرى من الاعمال المبرورة في بلاد الشرق لا بُدَّ ان ينسب للكنيسة الواحدة كما تُنسب اليها الاعمال الجارية في بلاد الغرب وبلاد الجنوب وبلاد الشمال وذلك الى عهد الانفصال المشؤوم الذي حصل في القرن التاسع . فان ثبت اذن انَّ المستشفيات ظهرت اولًا في بلاد الشرق او في بلاد الغرب فالفضل في كلا الحالتين الى كنيسة المسيح الواحدة الجامعة المبنيّة على الصخرة البطرسيّة (١

١) وما نقولهُ هنا عن المستشفيات يصحُّ ايضاً قولهُ عن القديسين كالقديس يوحنّا فم الذهب والقديس باسيليوس والقديس كيرلُس فانّهم ليسوا قديسي الكنيسة الشرقيّة ولا الغربيّة وانّما هم قدّيسو الكنيسة الواحدة التي لا خلاص خارجاً عنها

فبعد هذه المقدَّمات نقول انَّ المستشفيات كما نراها في عهدنا لم تُعرف في القرون الاولى للنصرانيَّة . على انَّ هذا لا يخلُّ بشرف الكنيسة في شيء . لان المسيحيين الاوَّلين لم يجدوا حاجة الى ابتناء مقامات خصوصيَّة لتمريض الاعلَّاء . وانَّما بلغت محبَّتهم للقريب منزلةً رفيعة حتى انَّ كلَّ بيت نصرانيّ كان منزلًا للغريب ومأوى للمريض . لاسيَّما انَّ الاضطهادات التي كان يثيرها عبدة الاصنام لم تسمح لهم ببناء امكنةٍ خاصَّة للمرضى دون ان يعرّضوا هذه المقامات للاخطار المتواصلة

واذا كان هذا الامر صحيحاً عن النصارى بالاجمال فانهُ اصحُّ واوضح في الاساقفة الذين كانوا يجعلون على مقربةٍ من دارهم الاسقفيَّة بيتاً للغرباء قياماً بوصيَّة الرسول حيث قال (تيطس ١ : ٧—٨) « ينبغي ان يكون الاسقف... مضيفاً للغرباء ». وهذا المنزل كانوا يدعونهُ باسم يليق بالغرباء والمرضى معاً (Xenodochium). وهي العادة كانت تعمُّ رُعاة الكنيسة في الشرق والغرب على سواء كما يؤْخذ من كلام القديس ابيفانيوس اسقف قبرس سنة ٣٥٥ في كتابهِ عن الارطقات (١ قال بعد ذكره المنزل (ξενοδοχεῖον) الذي اقامهُ الاسقف اوستاتيوس اسقف سيستية (سيواس) : « وقد اعتاد الاساقفة ان يشيّدوا مثل هذه المآوي ليجعلوا فيها الكسحاء والعواجز (λελωβημένους καὶ ἀδυνάτους) ويقدّموا لهم ما يحتاجون اليهِ » . فقولهُ « اعتاد الاساقفة » يبين انَّ هذه العادة كانت تشمل اساقفة الغرب والشرق . وقولهُ « ليجعلوا فيها الكسحاء والغرباء » يدلُّ صريحًا على انَّ هذه المآوي كانت مستشفيات للمرضى اكثر منها منازل للغرباء

ومماً يؤيد قولنا عن عموم هذه المارستانات بين نصارى الغرب والشرق معاً ما ورد في ترجمة يُليان المارق قيصر رومة انهُ كان يحرّك همم الوثنيين بذكر مستشفيات النصارى في كلّ مكان ويحملهم على المنافسة والاقتداء بهم في تمريض العَجزى والاعلَّاء على اختلاف اديانهم . وهو كلام حريٌّ بالاعتبار يدلُّ منطوقهُ على كنائس النصارى دون فرقٍ بين الشرق والغرب

وان رغب احدٌ غير هذه الشواهد العموميَّة اتيناهُ بحجج لا تصحُّ الَّا في كنائس الغرب وخصوصاً كنيسة رومة امُّ الكنائس ومعلّمتهنَّ وقدوتهنَّ في كلّ عمل صالح قال العلاَّمة الفارس غائيتان موروني صاحب معجم العلوم التاريخيَّة البيعية (ج ٤٩

١) راجع الارطقة ٧٥ مجموع الاباء اليونان لمين ج ٤٠ ص ٢٦٣

ص ٢٦٨) في مقالةٍ لهُ مطوَّلة عن المستشفيات: «ان ثالث الاحبار الرومانيين بعد بطرس الرسول الهامة وهو كليتوس او اناكليتوس (٧٩—٨٥) لمَّا فشا الطاعون في عهد طيطس الملك جعل دارهُ الاسقفيَّة بيعةً للمؤمنين وألحق بها مستشفى للمطعونين وانَّ في رومة جماعة من الرهبان يُدعون حاملي الصليب (Crociferi) ينسبون انشاء فتهم اليهِ».وعليهِ فانَّ كنيسة رومة تكون سبقت كل الكنائس في بناء المستشفيات. وقد وجدنا في ترجمة البابا المذكور ما يثبت قول موروني وهو من العلماء المدقّقين الذين يُعَدُّ كلامهم حجَّةً

ومن الشهادات على اعتناء الكنيسة الرومانيَّة بالمرضى والسقماء ما ورد في اعمال القديس الشهيد لورنسيوس الشماس الرومانيّ المستشهد سنة ٢٥٨.فانهُ لمَّا اراد المغتصب ان يسلب من يدهِ اموال البيعة وطلب منهُ ان يدلَّهُ على كنوز الكنيسة وعدهُ لورنسيوس بذلك وفي اليوم التالي جمع الفقراء والعجزى والزمنى وجميع ذوي العاهات الذين كان يهتمُّ بهم الشهيد باسم الحبر الروماني كسيستوس فاراهم المغتصب قائلًا: «دونك كنوز الكنيسة فهؤلاء هم مالها ومُلكها» فكان كلام الشهيد سبباً لأن يُحكم عليهِ بالموت الزؤام

ومن الشهادات المقرَّرة على قدم المستشفيات في رومة العظمى ما كتبهُ القديس هيرونيموس احد ملافنة الكنيسة اللاتينيَّة وكتبتها المبرّزين عن السيّدة الشريفة فابيولا الرومانيَّة انَّها في سنة ٣٨٠ للميلاد اقامت على نفقتها دارًا واسعة جعلتها مخصوصةً بالمرضى ليس الّا.فسبقت بهذا الاختصاص كلَّ المؤمنين وانقطعت الى خدمة هؤلاء البائسين لم تدع شيئًا من اعمال الرحمة دون ان تباشرها حبًّا بالله (١

وفي هذا القرن الرابع اشتهر ايضًا في مدينة پرتو (Porto) القديس پمّاخيوس وفي مدينة اوستية (Ostie) القديس غلّكان وكلاهما من شرفاء الرومان خصَّصا انفسهما لتمريض المعتلّين وذوي الاسقام

وان قال قائل انَّ المستشفيات ظهرت في الشرق على عهد قسطنطين الكبير فلا نماريه في ذلك واَنّنا لعالمون ان قسطنطين زيَّن عاصمة ملكهِ بالمستشفيات ولكن يجدر

١) وهذا قولهُ بالحرف:- Prima omnium νοσοκομεῖον instituit in quo ægrotantes colligeret de plateis et consumpta languoribus atque inediâ miserorum membra foveret.

بنا القول انَّ قسطنطين لم يكن شرقيًّا وعليهِ فانَّ الفضل للملكِ غربيٌّ في ابتناء المستشفيات الاولى في الشرق

وكذلك تاودوسيوس الكبير الذي كان اسبانيَّ الاصل فانَّهُ عمَّر المارستانات في القسطنطينيَّة وجهَّزها على طراز ملكي. وكانت زوجتـهُ الملكة فلكيلاَّ وهي ايضاً اسبانيَّة الاصل تعود المرضى في مقاماتهم وتخدمهم بايديها. والكنيسة اليونانيَّـة تعتبرها كقديسة وتقيم لها عيدًا في كلندارها

وان سأل السائل وفي ايّ زمن كان ظهور المستشفيات في فرنسة اجبنا انَّ لدينا نصوصاً صريحة تثبت انَّ المستشفيات سبقت في غالية عهد فتوحها على يد الفرنك وقبل تنصُّر ملكهم كلوويس بنحو مئة سنة . فان التـاريخ يثبت ان نصارى ريمس (Reims) كانوا اقاموا في ارباض مدينتهم مستشفىً كبيرًا سنة ٣٨٠ .

ولما تنصَّرت قبائل الفرنج اسرع ملوكهم الى مؤاساة المرضى وتمريضهم في مآوٍ خاصَّة شيَّدوها لهذه الغاية منهم الملك شِلْدبرت (Childebert) الذي اقام في مدينة ليون سنة ٥١٢ مستشفى دُعي « نَزْل الله » (Hôtel-Dieu) وشاع هذا الاسم في غيرهـا من المدن حتى انَّ المارستانات عُرفت بهِ. وكانت تُدعى ايضاً بيت الله وبيت الرحمـة وبيت المحبَّة الى غير ذلك من الاسماء التي بقيت حتى زماننا وهي تنطق بلسان حالهـا عمَّا جُبل بهِ الفرنسيُّون من الحبّ نحو البائسين

ولا يقولنّ المناظر انَّ هذا المقام كان مفردًا. فليسمع شهادة كاتب عاش في ذلك العصر وهو الاسقف غريغوريوس من طور (Tours) اوَّل مؤرخ الفرنج. قال: « وبقرب كل دار اسقفيَّة يقام منزل للمرضى يعتني الاساقفة بذويهِ من اصحاب العاهات ». وقد ذُكر مستشفى مدينة أَرل من اعمال فرنسة اقامهُ القديس قيساريوس (S^t Césaire) سنة ٥٤٢ وجعل عليهِ قوماً من اهل البرّ كانوا يُعنون بحاجات المرضى. وممَّا سبق اليهِ هذا القديس انهُ اقام في قاعة المرضى هيكلًا تُقدَّم عليـهِ الذبيحة فيحضر الاعلاَّء القداس الطاهر دون ان يقوموا من فراشهم

وفي هذا القرن السادس نفسهِ اوحى الله الى القديسة رَدْغُندة ابنة ملك تورنج بان تجعل بلاطها مأوى للسقماء ففعلت وباشرت بنفسها كل اعمـال الرحمة الجسديَّة فصارت آيةً لكل مواطنيها وقدوة صالحة حذا حذوها الكثيرون

وفيه ايضاً ذكر غريغوريوس من طور اقدم مستشفى يعرف في باريس رآه هذا المؤرخ سنة ٥٧٧ وهو مستشفى القديس يليان الفقير. وهو المقام الذي اهدتهُ الحكومة الفرنسوية لطائفة الروم الملكيين في عهدنا ليجعلوه مدرسةً يهذّبون فيها المرّشحين منهم للكهنوت.



مستشفى نزل الله في باريس المنشأ في القرن السابع للمسيح

صورة مستشفى الراهبات في باريس

واوَّل رهبانيَّة ظهرت في النصرانيَّة غايتها تمريض المعلولين انَّما كانت في فرنسة وهي رهبانيَّة الاغسطينيَّات الممرّضات (Sœurs Augustines Hospitalières)

انشأها القديس لندري (St Landry) اسقف مدينة باريس في القرن السابع وقد قمنَ مذ ذاك بمهنة التمريض الى زماننا دون انقطاع فيكون قد مرَّ عليهنَّ منذ نشأتهنَّ ١٣٠٠ سنة . وفي الصفحة السابقة صورة قديمة تمثِّل تلك الرواهب في خدمتهنَّ

وما لبثت فرنسة حتى رأت بعد حين ملوكها العظام كاپين وكرلس الاكبر يبذلون الدينار عن يد سخيَّة لتشييد المآوي والمارستانات . وهنا لا حاجة الى الاسهاب لانَّ تلك الجريدة تسلّم لنا (ص ٣٧٦) بانَّ ذاك الزمان « كان زمن الاستنارة بالعلوم والمعارف » وانَّ « المسيحيين الاتقياء المهتمين بخلاص انفسهم بذلوا ما عزَّ وهان » في سبيل المشروعات الخيريَّة وخصوصاً المستشفيات . لكنَّنا تعجَّبنا من قولها « الَّا انَّ الكنيسة بوقت قريب صارت اكثر الاحيان تتقاعد عن تتميم واجباتها هذه الشريفة »

فننشدها الله اين رأت انَّ الكنيسة تقاعدت عن اتمام واجباتها بعد عصر كرلوس الاكبر . او ليس الاولى ان يقال انَّ الاعمال الخيريَّة اجمالًا والقيام بامور المرضى خصوصاً بلغ غايةً لم تبلغهُ الآمال والهمم . فانَّ مجمع « إكس لاشابال » بعد وفاة كرلوس الاكبر بسنتين امر كلَّ الكنائس بان تفرز قسماً من واردات أوقافها للمستشفيات

وفي مطاوي القرون الثلاثة التابعة لعهد كرلوس الاكبر أُنشئت تلك الرهبانيَّات العظمى التي يستحق تاريخها ان يُكتَب بحروف الذهب على صفحات قلوب كل البشر لما اتاه من الاعمال الجبَّاريَّة والمشروعات الشريفة الوفُ مؤلفة بل مئات الوف من الرجال او بالحري من الملائكة اللابسين زيَّ الجسد ممَّن آثروا تضحية حياتهم في سبيل المسقومين على اختلاف اجناسهم واديانهم. فانَّ من لهُ ادنى إلمام بالتاريخ لا يجهل انَّ نيِّفاً وعشرين جمعيَّة من الرهبان والراهبات ظهرت في تلك الاثناء اذهلت العالم بما اتتهُ من آيات المحبَّة ومعجزات الايثار في خدمة القريب . ولو اردنا ان نصف كلَّ هذه العجائب لأدَّى بنا ذلك الى تسطير مجلَّدات ضخمة ومن ثمَّ يقضي علينا المقام ان نجتزئ بالعرض القليل

ولكن لا يليق بنا ان نسكت عن تلك الجمعيَّات الرهبانيَّة التي انشأها مسيحيو الغرب في بلادنا . فان المؤرخين كلهم لسان واحد ليثنوا على همَّة اصحابها ويطرئوا بذلهم ارواحهم في تمريض المرضى . واوَّل هذه الجمعيَّات هي رهبانيـة القديس يوحنَّا الاورشليميّ انشأها القديس جيرَرْد في القدس الشريف في اواخر القرن الحادي عشر

يعرفهم كتبة العرب باسم الاسبتلار ويكرّرون الثناء عليهم. وكان هؤلاء الرهبان يُعنون بكل المرضى من اي طائفة وملّة كانوا ويخدمونهم مجّاناً وكانوا اذا كلّموهم يسمّونهم باسم السيّد ويقدّمون لهم المآكل الطيّبة لا يذوقون منها الّا الفضلات. وكانوا يأكلون خبز الشعير ويطعمون مرضاهم البرّ ويقدّمون لهم طعامهم في آنية من فضّة. وما مرَّ على هذه الرهبانيّة نصف قرن حتى حصلت كل من مدن سوريّة على مستشفى يديره هؤلاء الافاضل

وماذا نقول عن الرهبان الالمان المعروفين بالتوتونيك فأنهم نافسوا رهبان القديس يوحنّا الاورشليمي في ايواء الفقراء وتمريض الاعلّاء مدّة ٣٠٠ سنة

وهنا نضبط عنان القلم عن وصف المستشفيات وذكر الرهبانيّات التي لا يضمّها احصاء ممّا ظهر في عالم الوجود من القرن الرابع عشر الى القرن التاسع عشر. فانّ الكنيسة لم تدع سقماً الّا وخصّصت بهِ رجالًا فعُنيت بكلّ المنكوبين من اطفال ولقطاء ويتامى وشيوخ وحوامل وزمنى وعبيد ومطعونين وصمّ وعميان فان مجرّد ذكر اسماء الرهبانيّات التي نشأت في الاصقاع الاوربيّة مذ ذاك العهد لا يشملها غير مصحف كبير الحجم

*

بقي علينا ان ننتقل الى ذكر البُرص فنبيّن انّ ما نُسب الى الكنيسة الغربيّة من الشدّة والجفاء نحو هؤلاء البائسين ليس بصحيح

وقبل جوابنا لا نرى بدًّا من تقديم ملاحظة وهو انّ البَرَص كان في اوربّة قليل الانتشار قبل القرن العاشر فمن ثمَّ رأى ذوو الامر من اصحاب الدنيا والدين ان يتّخذوا الاحتياطات اللازمة لئلا يفشو هذا الداء ويسري بين الاصحّاء. ومن ثمَّ لا حرج على دعاة الدين وعلى اولياء الامر اذا تسبَّب عن ذلك بعض ضرر لهؤلاء البائسين لاسيّما بعد ما اوصى بهِ الله موسى الكليم في حقّ البُرص وافرازهم عن الشعب

امّا الرتبة التي وصفها المناظر واراد ان يستنتج منها سوء معاملة الكنيسة للبرص فهي رتبة مقدّسة تُشبه رتباً اخرى من جنسها كرتبة الرماد ورتبة لبس الاسكيم وغير ذلك ممّا اتّخذتهُ الكنيسة لتقدّس نفوس ابنائها بروح التوبة والانابة

ومع ذلك فهيهات ان نسلّم بان الكنيسة الغربيّة لم تُعنَ بامر المبتلين بالبرص ولنا

على ذلك ادلّة صريحــة . فانّ ابا التاريخ الفرنسيّ غريغوريوس من طور[١] يذكر انّ الاسقف اغريقولا اقام منذ اواخر القرن السادس مستشفى للبرص (ædificato leprosorum xenodochio) في مدينة كافاليون وشيّد لهُ كنيسةً كبرى . وقد ذكر في محل آخر انّ منازل البرص كانت تُجعل خارجاً عن المدن فدلّ بذلك على شيوع مآوي البرص في فرنسة

وكان آباء مجمع اورليان الخامس قد استلفتوا قبــل ذلك بنحو خمسين سنة انظار الاساقفة الى البُرص ليراعوا شؤونهم ويقوموا بأودهم . وكذلك مجمع ليون سنة ٥٨٣ اوصى الاساقفة ان يهتمّوا بهؤلاء البائسين . ولعلّ هذه الجريدة ارادت التلميح الى هذا المجمع لمّا قالت (ص ٣٧٦) « انّ سنة ٥٨١ القى مجمع غالية على عاهل الاساقفــة ملاحظة ومساعدة البائسين والبُرص والضعفاء الذين في ابرشيّاتهم »

غير انّ البَرَص لم ينتشر في اوربّة الّا في اواخر القرن الحــادي عشر . وممّا لا يسعنا الضرب عنهُ انّ اول رهبانيّة منتظمة أُنشئت لعلاج البُرص انّما كان منشئها رجلٌ افرنسي يدعى بويان رويار (Boyant Royer) وكان انشاؤها في مدينة القدس فانهُ احتــلّ اورشليم فرأى فيها منزلًا للبُرص كان يُعنى بهِ بعض رهبــان القديس باسيليوس لكنّ احوالهُ كانت غير راضية . فخصّص اولًا نفسهُ لخدمة البرص ثم جمع بعض المثرين من الفرنج من ذوي التُقى فرمّم المنزل ووسّعهُ وجعلهُ على اسم القديس لعــازر الذي اقامهُ المسيح من القبر . وتبعهُ في عملهِ المبرور فرسان من الأُسر الشريفــة ففرض عليهم قانون القديس اغسطينوس . وزادوا على نذورهم الرهبانيّة نذرًا رابعًا ان ينقطعوا الى تمريض البُرص . ومن قوانين هذه الرهبانيّة انّهم كانوا يجعلون رئيسها الاكبر من المصابين بالبرص . وقد امتدّت هذه الرهبــانيّة امتدادًا عجيبًا في الشرق والغرب معًا . وما انتهى القرن الثاني عشر حتى بلغ عدد منازل البرص في فرنسة وحدها ١٩٠٠ مقام . وتجاوز في سائر اوربّة ٢٠٠٠٠ وكان ملوك فرنســة يفتحون كنوزهم بكل سخاء لهؤلاء المنكوبين نخصّ منهم بالذكر لويس السابع ولويس التــاسع المعروف بالقديس الذي كان يخدم البُرص بيديهِ ويحملهم على مناكبهِ وهكذا فعــل بالمطعونين في يافا فاثّر مثلهُ في جميع الاشراف والاعيان

١) راجع مجموع اعمال الآباء اللاتينيين ج ٧١ ص ٨٩٣

أقنع المناظر بعد هذا ؟ او يزيد أن نتقصَّى في البحث عن تاريخ القرون التابعة فننشر لهُ ذكر ألوف من اولياء الله كان اعظم همّهم مساعدة الضعفاء وخدمة المرضى كاغناطيوس دي لويولا وكاميل دي لاليس ومنصور دي بول وبطرس كلاڤر بيد أنّنا نضرب صفحاً عن تعداد ذلك لئلا يظهر من خلال كلامنا اننا ننسب تلك الجريدة الى جهل ما يعرفهُ صغار المكاتب. وكفانا ان نسرّح الابصار في ايّامنا الى كل اقطار المعمورة وهي تشهد انّ ثمانية اعشار المستشفيات في العالم تقوم بها الكنيسة الكاثوليكيَّة امّا مآوي البُرص فان القليل ممّا بقي منها في زماننا هو في ايدي المرسلين الغربيين. وجرائد العالم المتمدّن طافحة حتى يومنا هذا من الثناء العاطر على الاب داميان رسول البُرص وشهيد محبَّتهِ في علاجهم في جزيرة مولوكاي وقد اقام لهُ ذوو النخوة تمثالاً في لوڤان. وشيَّد الانكليز على اسمهِ مارستاناً في لندرة. وكذلك قد اثنى غير مرّة كتبة البروتستان انفسهم على مستشفيات البُرص التي يديرها اليسوعيون في مدغسكار وبُمباي من اعمال الهند

هذه عجالة نكتفي بها هذه المرَّة خاتمين الكلام بالدعاء الى الله ان يكافئ كل اصحاب الاعمال الخيريَّة ويزيد في عددهم لمجده تعالى ولشرف الانسانيَّة

فتاوي الضياء واوهامهُ اللغويَّة

لحضرة الاب العالم اللغويّ المتفنن انستاس الكرملي البغدادي

· من طالع الضياء ووقف على الاجوبة اللغويَّة والنحويَّة التي يُجيب عنها وانعم النظر في الانتقادات التي ينتقد بها نصوص ائمة اللغة المتقدمين والمتأخرين ورأى ما في كلامهِ من القوارص واللواذع يقول في نفسهِ ان هذا الشيخ هو الإمام الاوحد الذي تأتمهُ المتقدمون عن بُعد والبحر الزاخر الذي يغترف منهُ المتأخرون. واذا زدت على ذلك كون القارئ غير مطلع على كُتُب الائمة او ليست بيده فهناك الطامَّة الكبرى والرزية العظمى. واذا اضفت الى ما تقدّم سُكوت خصومهِ عن المجاوبة لما يرون في كلام الشيخ من القول المستهجن فما احرى بالغرور ان يكون تامًّا في مُطالع الضياء. غير ان لكل

شيء طورًا فاذا تجاوزهُ المرء انقلب عليـهِ وبالًا. فهيًا بنا الآن لننظر في بعض فتاوي الضياء ولنقابلها بكلام ائمة الأعلام لتتثبت هل هي منطبقة على اقوالهم او مخالفة لها. هذا وبيدي آخر عدد وصل اليَّ من الضياء وهو العدد ١٢

قال في جوابهِ الاول ص ٣٧٤: «وهذا البناء (بناء حَبُبَ) شاذٌّ في المضاعف لم يُسمع فيما ذكروا الَّا في هذه الافعال الثلاثة» اي (لَبُبَ وحَبُبَ وشَرُرَ). قلتُ: وهذا اول وهم من اوهامهِ فقد جاء غير هذه الثلاثة قال في التاج في مادة «د م م» ما نصهُ: ودممتُ كشمَمْتَ وكَرُمت. الاخيرة نقلها ابن القطَّاع عن الخليل. قال شيخنا فيـهِ ان يونس قال: «لَبُبَ» بالضمّ لا نظير لهُ كما مرَّ غير مرَّة انتهى. اي مع ضمّ العين في المضارع فانهُ هو الذي حكاه يونس. وفي المصباح انهُ شاذّ ضعيف. قال ومثلهُ شَرُرْتَ تَشُرُّ فهي ثلاثةٌ لا رابع لهـا. وزاد ابن خالويهِ عَزُزْتِ الشاةُ تَعُزُّ. ومرّ للمصنف في ف ك ك وقد فككتُ كعلِمتُ وكَرُمت فتكون خمسة. فتأمل ذلك.» انتهى بحرفهِ عن التاج. فمن هُنا ترى ان الشيخ قد وهم في قولهِ: «لم يُسمع... إلا في هذه الافعال الثلاثـة». نعم ان بعض الائمة قد وهموا ايضًا هذا الوهم لكن لم يكن يومئـذٍ لاولئك العلماء دواوين كما في ايدي الشيخ ولذا فان عذرهم مقبول بخلاف ما يمكن ان ينتحلهُ الشيخ من الأعذار

وقال: «واما الزامها فكّ الادغام... فهو غلط» قلتُ: ان صاحب اقرب الموارد لم يصرّح بفكّ الادغام بل قال: «حَبُبَ اليهِ صار حبيبًا لهُ. ولا نظير لهُ إلا لَبُبَ وشَرُرَ» فاراد بمثل هذا القول مُظهرًا الفكّ ليقف الباحث على صيغة الباب وقد سبقهُ الى مثل هذا التعبير التـاج في مادة «ل ب ب» ويونس النحوي كما رأيتَ فُويق هذا اذ قال: «لَبُبَ بالضم لا نظير لهُ»

وقال سائل الشيـخ: «اني لم اجدهُ (اي سَرُرَ) في موضعهِ من الكتاب (اي اقرب الموارد) قلتُ: افليس هذا برهانًا قاطعًا في حدّ ذاتهِ ليبيّن للسائل ان قد وقع في هذه الكلمة خطأ طبع. فلو لم يكن كذلك اما كان ذكر المؤلف تلك اللفظة في مظنَّتها. وهل من شيء اسهل على الصفَّـاف من الوهم بين السين والشين او من نسيان وضع النُقط الثلاث على الشين لكن «في رأس الشيخ خُطَّة» تقف دونهـا كل حجّة

وقال: « واما قولهُ الشي. المِلذّ فصوابهُ اللاذّ وانما المُلذّ من ألفاظ العامّة كما يقولون هذا امر مُسرّ » اه. قلتُ: جاء في كتاب غريب الحديث: « ألَذهُ تسبَّب للذَّتهِ نادر ». وعليهِ فالمِلذّ من النوادر وليس استعمال النوادر من الخطأ بشيء فان جماعةً من ائمة الادباء قد ألفوا كتباً وسموها بالنوادر واستعمالها غير محظور على احدٍ. ثم ان النادر هو على ما نصّ عليهِ الصبَّان (٤ : ٩٧) « ما خالف القياس وكثر استعمالهُ » اه بحرفهِ. وعليهِ فيكون استعمال الذّ اكثر من استعمال لذّ. فانظر الى علم هذا الرجل وكيف فشّ وطب ضغنانه.

واما « مُسرّ ». فيجوز استعمالهُ رباعياً ايضاً لان اغلب الافعال الواردة على وزن أفعل بمعنى فعل الثلاثي لم يذكرها اللغويون استناداً لما نُقل عنهم في المزهر قال (٢ : ٢٠٦): وكان الكسائيُّ يقول: قلّما سمعتُ في شيء فعلتُ الّا وقد سمعتُ فيهِ افعلتُ » اه. وبالخصوص اذا كان لهُ مرادف لمعنــاهُ على هذا الوزن كما هو الامر في « اسَرّ » فانهُ يُنظَّر بأفرَحَ فاستعمالهُ جائز كلَّ الجواز. راجع الكشاف للزمخشري (١ : ٤٧٤)

واما انتقادهُ على « خير الشاء وشرّتهم » فالصحيح في هذه العبارة انّ الهاء وقعت من « خير » . وسياق المادة يظهرها اجلى ظهور الّا انّها خفيت على ضعف بصر الشيخ. اذ يقول المؤلف حفظهُ الله: « الخيرة الكثيرة الخير الفاضلة من كلّ شيء. يقال خير الشاء وشرّتهم ». أوَ ليس التمثيل يكون على اللفظة التي تقدَّم ذكرها. فاذا وقع بعض خطأ في الكتابة فلا يكون من المؤلف بل من الصفَّاف. واماً وضع ضمير العاقل لغير العاقل فهو من خصائص لغــة العرب قال في المزهر (١ : ١٦٠) « ومن سُنن العرب ان تجري الموات وما لا يعقل في بعض الكلام مجرى بني آدم كقولهِ في جمع ارض: ارضون. وقال تعالى: كل في فلك يسبحون » اه بحرفهِ. ومنهُ ايضاً لغة اكلوني البراغيث. فتأمل

واما ما جاء في مادة ق ر د ح :« قردح الرجل: اقرَّ بما يُطلب اليهِ او منهُ وتذلَّل « وتصاغر كي لا تحترق » (اللسان) » فلو نظر الشيخ الى الذيل الذي ذُيّل بهِ المؤلف كتابهُ (ص ٥٠٦) لرأى تصحيح العبارة بحذف « وتصاغر كي لا تحترق« اللسان)»

ومما تقدَّم تتحقّق امرًا لا يشوبهُ ريب وهو ان في صدر هذا الشيخ مراجل يَنزُ فيها الحقد وكلّما ازّت فيهِ اندفع الى التخطئة على غير هُدًى فتنقلب تلك التخطئة وبالًا عليهِ

هذا وقد رأيت مبلغ تحذلق صاحب الضياء عند تعرُّضهِ لمن هو اعلى منهُ علماً في

جمع شتات اللغة وتأليفها لكن يا تُرى هل هذا الرجل معصوم من الخطأ في ما يكتب لكي يتعرّض لما يُحرّرهُ اكابر العلماء والكتبة . كلّا وايم الحقّ فانهُ لا يصدر عددٌ من اعداد مجلّتهِ إلا وفيهِ اغلاط نحويّة او لغويّة او بيانيّة او علميّة . فمن هذه الاغلاط كلمة « البَخت » فلا يكاد يصدر عددٌ من مجلتهِ إلا وفيهِ هذه اللفظة المستهجنة وربّما جاءت غير مرّة في العدد الواحد . ففي العــدد الاخير وردت مرّة في (ص ٣٧٨) اذ قال : « سيئة البخت » . قال الموفّق البغدادي في ذيل الفصيح بخصوص هذه الكلمة : قول العامــة « هَمْ فَعَلتُ » مكان « ايضاً » و « بَسْ » مكان « حسب » وكذا « بخت » مكان « حظّ » كلهُ مولَّد ليس من كلام العرب (عن المزهر بحرفهِ ١ : ١٤٨) . وقال في شرح الطُرّة : « عن الاخفش انهُ قال لتلامذتهِ : جَنِّبوني ان تقولوا . . . ليس لفــلان بخت » . فاحفظهُ

وكثيرًا ما يستعمل الضياء كلمة « عَرَبة » بمعنى مَركَبَة او عجَلة وهي تركيّة الاصل ودون هاتين اللفظتين فصاحةً . قال ابن بطوطة في رحلتهِ في كلامهِ على بلاد التُرك ما نصهُ : « وهم يسمون العَجَلة : عَرَبة بعين مهملة وراء وباء موحدة مفتوحات » . قلتُ وقد ذكر ذلك لا لاستحسان اللفظة بل لتسمية الشيء بما يُسمّيهِ اهل تلك البلدان . كما ان من يسافر في بلاد الافرنج يقول : « وهم يسمون العَجَلة ڤواتور مثــلًا . » وليس معنى ذلك استحسان اللفظة والدليل على ذلك ان الفُصحاء من الكتبة لم يستعملوها البتة

وكثيرًا ما يستعمل الضياء لفظــة « زوجة » فقد وردت مرّتين في (ص ٣٧٨) ومرّة في (ص ٣٧٩ الخ) فاسمع الان ما قال عنهــا ابن قتيبة في ادب الكاتب : « زوجة الرجل . والاجود : زوج . . . وزوجة قليلة اه (ص ٢٢٨)

وقال في (ص ٣٨١) « كانت اودعت فيها حليها » . والافصح « كانت اودعتها حليها . »

وقال في (ص ٣٦٦) « وتُمسح الكتب التي انتابتها الهوام ويُكرّر ذلك على مرّتين » . فقولهُ « على مرّتين » من التعبير السوريّ العاميّ المستهجن ممّا لم ينطق بهِ احدٌ من الفصحاء ولا يُخرَّج تخريجًا لغويًا ولا معنى للاداة « على » في هذا التعبير . والاصحّ « ويكرّر ذلك مرّتين » ومثل هذا التعبير ورد في (ص ٣٢٩) اذ قال : « ويكرّرهُ على دفعتين » . والاصح : « يكرّرهُ دفعتين »

وقال في (ص ٣٧٦) «ولا بأس هنا من التنبيه الى انَّ بعض كتبتنا يضيف في مثل هذه الصورة الاخيرة كقولهم: ظلّ ظليل حضرة الامير فيضيفون الظلّ الى الحضرة مع اعتراض الوصف بينهما. ولم يكد يُسمع مثل ذلك قبل هذه الأَيام الّا نادرًا كقول ابن النحاس:

الجود بحر وهو در يتيمهِ والمجدُ بيت وهو فيهِ قوامُ

اي وهو درَّةُ اليتيم...» اهـ. فانظر حرسك الله هل رأيت مثل هذا التنظير او الشاهد. فانهُ اراد شاهدًا على اعتراض الوصف بين المضاف والمضاف اليهِ فاورد شاهدًا لا يؤيد مدَّعاهُ. ثم ان اعتراض الوصف بين المضاف والمضاف اليهِ ممَّا قد منعتهُ العرب. واماَّ تأخير ضمير المضاف الى النعت وجَعْل هذا بمنزلة المضاف اليهِ ثم ضمّ الضمير اليهِ ممَّا قد اجازتهُ العرب وعلى ذلك شواهد كثيرة. فهل لمثل هذا الرجل بعد ذلك يحقّ التبجُّح والتطاول بعد ان رأيناه قد ارتكب عدّة اغلاط في كريريسة تكاد لا تكون شيئًا بجانب اقرب الموارد. فما قول المنصفين. وهل يحق لهذا الرجل بعد ذلك ايضًا ان يتصدَّر في مجلس اهل اللغة المبرّزين. هذا امرٌ يحكم بهِ كل من كان خالي الغرض بين الناطقين بالصدق المبين. والله لا يضيع أجر المُحقين

كُتبي المخطوطة

بقلم جناب القانوني الفاضل جرجس افندي صفا

كُتبي الفقهيَّة (تتمَّة لما سبق ص ١٦٠)

٧ ومن الكتب المخطوطة التي حصلتُ عليها شرح الفصول في الفرائض للشيخ سبط الماردينيّ المتوفَّى في راس القرن العاشر للهجرة. وهو مشهور لهُ التآليف المعتبرة في اكثر العلوم لاسيَّما الحساب والجبر والهيئة والفرائض. وكان شافعي المذهب

٨ نظم الجامع الصغير في الفقه وهو كتاب مخطوط قديمًا مضبوط النقل سهل العبارة ولم يُذكر فيهِ اسم المؤلف واضحاً ولكن يظهر انهُ الامام نجم الدين النسفي وقد جاء في كشف الظنون (٢: ٥٥٨) انهُ نظم الجامع الصغير تأليف الامام محمَّد بن الحسن الشيبانيّ الحنفيّ المتوفّى سنة ١٨٧هـ (٨٠٣م). وكانت وفاة النسفيّ سنة ٥٣٧ هـ

(١١٤٢م) واسمهُ نجم الدين ابو حفص عمر بن محمّد ولد في نسف سنة ٤٦١ (١٠٦٩م) كان اماماً فاضلًا اصوليًّا صنّف قريباً من مئة مصنّف في الفقه والحديث والأدب والتاريخ. وكانت وفاتهُ في سمرقند. قيل انهُ اراد ان يزور الزمخشري في مكّة فلمّا قدمها وصل الى دارهِ ودقّ الباب. فقال الزمخشري: من هذا. فقال النسفيّ: عُمَر. فقال الزمخشري: انصرفْ. فقال نجم الدين: عُمَر لا ينصرف. فقال الزمخشري: اذا نُكّر صُرِف. وابيات هذا الكتاب نحو ١٢٠٠ فمن نظمهِ من باب البيوع:

فديتُك فاسدٌ بَيْع المراعي ... كذا استئجارها من كل راعي
كحوتِ حظيرةٍ القيتَ فيهـا ... وقدرتَـا تدوم على امتناعِ
وجاز اذا يُنال بغير صيدٍ ... وخُيّر فيهِ عند الاطّلاعِ
اذا وهب الطريق وباع يجزي ... وذانِكَ في المسيل على الضياعِ
وقد حُبس المبيع على فسـادٍ ... لدى المبتاع حتى الارتجاعِ

وقال ايضاً:

من ابتاع ما لم يلقَهُ في زمانهِ ... لهُ الفسخ لا التنفيذ قبل عيانه
ولو قبضَ العينَ الرسولُ معايناً ... فليس كرأي العين من قهرمانهِ
ويثبت للاعمى خيارٌ اذ اشترى ... ورؤيتهُ في جسّهِ ببنانهِ
او الشمّ او ذوقٍ ويعقوب قال ذا ... يضاهي بصيرًا ان يقف بمكانهِ
واخراجهُ عن ملكهِ البعضَ ملزمٌ ... كذاك خيار الشرط عند وزانه
وفيهِ اذا امسى تقرّر بيعهُ ... كذلك يُمضيه انقضاءُ زمانهِ

٩ شرح الكنز للشيخ شمس الدين القادري الحنفيّ ابن سليمان ابن محمّـد الاريحاوي المشهور في الديار المصريّة بالحلبيّ يقول في آخرهِ انهُ «فرغ من تأليفهِ في اوّل ربيع الاوّل سنة ١١٣٤هـ (١٧٢٢م) في الجامع الازهر» وهو شرح جليل بقدر حجم شرح الملتقى للداماد

١٠ العناية في شرح الهداية. الهداية كتاب جليل في فروع الفقه الحنفيّ لشيخ الاسلام برهان الدين علي المرغينانيّ المتوفّى سنة ٥٩٣ هـ (١١٩٧ م) والعنـاية شرح حسن على الهداية لاكمل الدين محمّد بن محمود البـابرتي الحنفيّ المتوفّى سنة ٧٨٦ هـ (١٣٨٤م)

١١ غاية البيان. وهو شرح آخر للهـداية لقوام الدين امير كاتب ابن امير عمر الاتقاني الحنفيّ المتوفّى سنة ٧٥٨ هـ (١٣٥٧ م)

١٢ خلاصة مجمع الفتاوى. وهي نسخة قديمة مضبوطة عليها هوامش بخطّ عاصم افندي المشهور مترجم قاموس الفيروزابادي وشرحهِ الى التركيَّة

١٣ كتاب كشف المروط عن محاسن الشروط للامام ابي محمَّد الحسن ابن الشيخ عمر بن حبيب. وهي نسخة قديمة كُتبت سنة ٨٣٠ هـ (١٤٢٧م) تحتوي على كيفيَّة كتابة الصكوك والمحاضر والسجلَّات والالقاب وغير ذلك

١٤ كتاب حيل الخصَّاف. وهي نسخة يغلب عليها الضبط. وقد وجدتُ هذا الكتاب مطبوعاً حديثاً في بعض مطابع مصر ولكنَّهُ مشحون بالغلط بحيث لا يكاد يُستخلص منهُ مسئلة. امَّا الخصَّاف فانَّ اسمهُ احمد بن عمر بن مهير كان عارفاً بمذهب ابي حنيفة وصنَّف للمهتدي بالله كتاب الخراج. فلمَّا قُتل المهتدي نُهب الخصَّاف وذهبت بعض كتبهِ. من ذلك كتابٌ عملهُ في مناسك الحجّ ولهُ كتاب الحيل وكتاب الوصايا وكتاب الشروط الكبير والصغير وكتاب المحاضر والسجلات وكتاب ادب القاضي وغير ذلك. وكان يخصف النعال فيأ كل من صنعتهِ فاشتهر بالخصَّاف كما ذكرهُ الذهبيّ في اعلام النبلاء. كانت وفاتهُ سنة ٢٦١ هـ (٨٧٥ م) وقد قارب الثمانين

١٥ شرح منظومة ابن وهبان لابن الشحنة. ومتن هذه المنظومة هو في فروع الحنفيَّة. وهي قصيدة رائيَّة تبع فيها صاحبها ترتيب الهداية اوَّلها :

بداءتُنا لله بالحمد أجدَرُ وما ليس مبدوءًا بهِ فهو ابترُ

الى ان يقول في المقدمة :

وبعدُ ففي علم الفروع مسائلٌ غرائب في الكتب الضخامة تسفرُ
على مذهب النعمان ذي العلم والحِجى الـ امـام العظيم الشان في ما يقرّرُ
فافردت منها ما تيسَّر نظمـهُ لعلّيَ في نيل العلى اتبحّرُ
ولم اذكر المذكور في كل كتبنا وما كان من قيـد مفيدٍ سأذكرُ
وربَّ مكانٍ زيد فيهِ رواية فاوضحتُ أولاها وما هو اشهرُ
وها انا في المقصود اسعى بعـونهِ وقدرتهِ فهو المعين المقدّرُ

ويقول في آخرها :

تجلَّت فجلَّت كل ريبٍ وريبـةٍ وحلَّت فحلَّت كلّ مـا يتعسَّرُ
كستها المعاني حُلَّة الحسن مذ غدتْ عن الحشو الفًا بالحياء تُسـتَّرُ
فان ترَ تقصيرًا فبالفضل مُدَّهُ فاني قصير الباع والعمر اقصرُ

قال الشارح : وكأنَّ الناظم استشعر قصر مدتهِ فكان كذلك فانهُ مات من ابناء الاربعين. واسم ناظمها ابو محمَّد عبد الوهَّاب بن احمد بن وهبان الدمشقيّ كان ضليعاً في علم الفقه اخذه عن الائمة واخذهُ عنهُ علماء الشام فبلغ فيهِ رتبة الكمال. وولي قضاء حماة وكان مشكور السيرة إماماً في العربيَّة. وشرح درر البحار في المذهب الحنفيّ للامام محمَّد بن يوسف القونوي ومات ابن وهبان قبل القونوي باشهر وذلك سنة ٧٦٨ هـ (١٣٦٦). اما شارح منظومة ابن وهبان فهو قاضي القضاة عبد البرّ بن محمَّد الحلبيّ ثم القاهريّ الشهير بابن الشحنة وهو حفيدٌ لمحبّ الدين محمَّد بن الشحنة صاحب تاريخ روضة المناظر في اخبار الاوائل والاواخر. ومن تصانيفهِ الرسائل الاشرفيَّة في الالغاز الحنفيَّة كانت وفاتهُ سنة ٩٢١ هـ (١٥١٥م). امَّا نسخة شرحهِ على منظومة ابن وهبان فانها خُطَّت سنة ٩٧٢ هـ (١٥٦٥ م)

١٦ ادب القضاء للقاضي محيي الدين ابي عبَّاس احمد ابن قاضي القضاة وصدر الدين ابي اسحاق ابراهيم الحنفي يحتوي على مسائل مهمَّة متفرّقة كُتب سنة ١٠١٤ هـ (١٦٠٥ م)

١٧ النُّتَف الحسان لابي بكر محمَّد بن موسى الواسطي اصلهُ من فرغانة وكان من قدماء اصحاب الجنيد والثوري واحد علماء مشايخ القوم لم يتكلَّم احد في اصول التصوُّف مثلهُ واستوطن مدينة مرو وكلامهُ عندهم ليس بالعراق منهُ شيء. لانهُ خرج منها وهو شابٌ ومشايخهُ احياء. ووفاتهُ كانت في مرو سنة ٣٢٠ هـ (٩٣٢ م)

١٨ كتاب مجامع الحقائق وجوامع الرواثق في اصول الفقه. ذكرهُ الحاج خليفة في كشف الظنون ولم يذكر صاحبهُ. وهو كتاب يشتمل على غرر مسائل الاصول

١٩ الدرر والغرر وهي نسخة قديمة غاية في الضبط — ٢٠ شرح المختار للفتوي — ٢١ متن التنوير — ٢٢ شرح الوقاية لابن ملك ناقص المقدّمة — ٢٣ شرح الوقاية لصدر الشريعة — ٢٤ ترجيح البينات للغانم — ٢٥ رسالة للشرنبلاني في الابراء — ٢٦ حاشية الفصولين. لم يذكر اسم مؤلفها — ٢٧ شرح فرائض الملتقى للطرابلسيّ وهو شرح نفيس مطوَّل — ٢٨ اصطلاحات الفقهاء. مجهول المؤلف — ٢٩ الاشباه والنظائر — ٣٠ ثلاثة كتب في اصول الفقه — ٣١ الفتاوى الخيريَّة

وجميع هذه الكتب مخطوطة (١ وكلّها في فقه المذهب الحنفي. وسنأتي على بيان سائر الكتب غير الفقهيّـة في قطعة غير هذه ان شاء الله

مطبوعات شرقية جديدة

1 Ocerk Morfologii ebreisko - tataskago narecia,

Vsev. Miller, *Moskba,* pp. 56, 1901

اصول اللغة العبريّة التاتكلجيّة

2 OCERK LITERATYRNOI DEATELINOSTI KAZANSKIKH Tatar-Mokhammedan za 1880-1895,

Socinenie Nikola Achmarin, *Moskba* pp. 58, 1901

نبذة في آداب التتار المسلمين في قازان وتآليفهم منذ سنة ١٨٨٠ الى ١٨٩٥

3 BALHVAR I IODASAF, GRYZINISKII TEKST, IZDAL A. KHAKHANOF, Moskba, pp. 32 1902

بلهوار ويوداساف باللغة الغروسينكيّة

هذه كتب ثلاثة باللغـة الروسيّة أُرسلت الى ادارة المشرق يتضمّن (الاوّل) منها قواعد لغة شائعة بين احدى القبائل الخاضعة لحكم الدولة الروسيّـة. وهي لغة متركبة من لغتين ساميّة فعجميّة. وكان الاستاذ ميلّر سبق فعرّف خواصّهـا (راجع المشرق ٤: ٥٤١) وهو اليوم قد ألّف لها كتابًا لضبط قوانينهـا من صرف اسمائها وافعالها وتركيب جملها. والكتاب (الثاني) غايتهُ تعريف اللغة التاتريّة التي يتكلّم بها المسلمون في قازان. ولهم فيها تآليف مختلفة منها شعريّة ومنها نثريّة في مواضيع شتّى فبحث عنها الاديب نيقولا اخمارين ووصف خصوصًا الكتب التي نُشرت في هذه اللغة من السنة ١٨٨٠ الى ١٨٩٥. فجاء وصفًا مفيدًا لم يَفُتهُ شيء من احوال هذه اللغة التاتريّة. وامّا الكتاب (الثالث) فهو بحث جديد عن رواية كثر فيها القيل والقال منذ

١) وعندي من الكتب المطبوعة في هذا العلم ما هو غنيٌّ عن الذكر كالفتاوى الهنديّة طبعة بولاق بعضها مصحّح بنظارة الشيخ محمّد قطّة وبعضها بنظـارة الشيخ نصر الهوريني وكحاشية ابن عابدين طبعة بولاق. وكجامع الفصولين. والبحر الرائق وشرح الداماد على الملتقى مع شرحه للعلائي شارح التنوير. وكالمنظومة الحبيّة وفتاوي علي افندي وتنقيح الحامديّة الخ

خمسين سنة وهي « رواية برلعام ويواصاف » المنسوبة للقديس يوحنا الدمشقي . فانَّ الاستاذ خاخانوف قد اكتشف على نسخ جديدة منها في لغة سلاقية تدعى غريزِ نسكيَّة وهذه النسخ مخطوطة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر واسم الرواية هناك « بلهوار ويوداساف » فنشرها الاستاذ المذكور في اصلها وترجمها الى الروسيَّة واضاف اليها عدَّة حواشٍ زيادةً للفائدة . ولا نشك في انَّ العلماء يتلقّون هذا الكتاب بمزيد الرغبة ليستعينوا بهِ على تعريف اصل هذه الرواية وبيان خواصها

حبيس بحيرة قدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

عرَّبها المعلّم البارع رشيد افندي الشرتوني محرّر جريدة البشير

هي الرواية التي فكَّهنا بها ألباب قرَّاء المشرق بسرد اخبارها السارَّة . ولمَّا كان العدد الغفير منهم سألوا نشرها على حدة لم ترَ مطبعتنا الكاثوليكيَّة بدًّا من اجابة الطلب فطبعت الرواية المذكورة في كتاب مستقلّ يشتمل على ٢٥٠ صفحة ظهر في الاسبوع الماضي . وقد جعل المؤلف الرواية المذكورة بمنزلة درس لتاريخ سوريَّة في القرن الخامس عشر وعلى الخصوص تاريخ لبنان . اما الاشخاص المهمون الذين يدور عليهم محور الكلام فكلهم من الذين جاء ذكرهم في التاريخ وجميع ما هو مبسوط من تفاصيل احوالهم مأخوذة عن اصدق المصادر المتعلقة بالعصر المحكي عنهُ كما ترشد الى ذلك الاسانيد والشهادات التي عُلّقت على اسفل الصفحات . وعلى ذلك يرى كل احد ان الكتاب جامع بين فائدة التاريخ ولذة الرواية ممَّا يحملنا لتحريض القرَّاء على اقتنائهِ ولاسيما الذين يهتمون بتهذيب الاحداث لان الطلبة الموكلين اليهم يجدون في مطالعتهِ لذَّة وفائدةً معاً كما سبق القول . وفي الختام نتمنى من الكتبة ان ينهجوا هذه الطريقة ويختاروا من تاريخ الاوطان مواضيع لما يريدن انشاءهُ من الروايات لان ذلك اجمل واغزر عائدة

كُتب أُرسلت الى ادارة مجلة المشرق

1 Dr G. Gabrieli; *Gesu Cristo nel Corano,* Roma, 1901
2 » » *Alcuni Confratelli Arabi del Consalvo Leopardino,* Napoli 1901
3 M. P. Guigues: *Pilules mercurielles bédouines.*

شَذَرَات

قصر بلشصَّر — هو القصر الذي ابتناه نابوبولاسار ابو نبو كدنصّر ملك بابل في اواسط القرن السابع قبل المسيح · وفيهِ جرت تلك الحادثة الفاجعة التي ورد ذكرها في الفصل الخامس من سفر دانيال النبيّ لمَّا انتهك الملك بلشصَّر حرمة القدسيَّات فظهرت يدٌ خفيَّة كتبت على الجدران ما يتهدَّدهُ من النكبات. وهذا القصر كان استولى عليهِ الدمار منذ قرون عديدة فلم يبقَ لهُ اثر معلوم. وقد اسعد الحظ البعثة الالمانيَّة التي باشرت منذ بضع سنوات الحفر في اخربة بابل على اكتشاف هـذا القصر العجيب تحت الاطلال المتراكمة فوقهُ. فكان لهـذا الخبر وقع حسن في الدوائر الاوربيَّة اماًّ دارسو الاسفار المقدَّسة فقد تلقَّوا هذا النبأ بمزيد الفرح لانَّ في اكتشاف هذا القصر برهانًا جديدًا على صحَّة سفر دانيال النبيّ الذي حاول بعض الملحدين انكارهُ في عهدنا

روايات الضياء — كان الضياء حتى الآن يدوّن في آخر كل اعدادهِ فكاهات او روايات لا يتجاوز اكثرها عالم الاوهام. وكثيرًا ما أُودعت هذه التخيُّلات من الاوصاف العشقيَّة والتغزُّلات الخلاعيَّة ما يندى لهُ جبين الادباء خجلًا. على انَّنا ضربنا الصفح عن تقريع صاحب المجلَّة في هذا الشان لعلمنا أن لا سماع لمن تنادي. ولكن لا يسعنا السكوت عن الرواية المثبتة في العدد الاخير (١٥ أيَّار ص ٥٣٥ — ٥٤٤) فانَّها محلاَّة بمظاهر التاريخ وليس فيها من التاريخ ذرَّة. فان كلّ ما سُطر هناك عن شرلمان وبيبين والحبرين الاعظمين زكريَّا الاوَّل ولاون الثالث كذب لا نصيب لهُ من الصحَّة. ولو عددنا ما في هذه الرواية من الاغلاط التاريخيَّة لتجاوزت عشرين غلطة فظيعة: ١ً ليس الملك بيبين ملكًا دخيلًا بل هو ملك شرعيّ اختارهُ اعيان فرنسة وشعبها ٢ً لم يعمل البابا زكريَّا شيئًا لتمليكهِ وانَّما افتى فقط بشرعيَّة ملكهِ ٣ً الملك الذي اقيم بيبين بدلًا منهُ لا يدعى كلوتير بل شلدريك الثالث ٤ً لا اثر للحرب التي وصفها الضياء لمحاربة كلوتير ٥ً ليس لبيبين اخٌ يدعى كرلوس ٦ً لا اثر في التاريخ لهذه الفظائع التي نسبها الضياء لبيبين وجنودهِ ٧ً لا صحَّة لملك كرلومان على فرنسة وانَّما ملك على بلاد اوسترازيَّة من سنة ٧٤٣ الى ٧٤٧ ٨ً كان

پيپين ملكًا على بلاد نُسترية ثمَّ ملك بعــد ان تخلّى اخوهُ كرلومان عن الملك على فرنسة والمانية ٩ً لم يكن مقــام پيپين في باڤارية ١٠ً لا اثر للدير الذي زعم الضياء انَّ پيپين بناه في قمّة جبل راتسبون ١١ً لا يوجد بين ملوك بريطانيا ملك باسم كرنيول ١٢ً امرأة پيپين برتا ليست ابنة كرنيول بل ابنة شاريبرت دوق لان ١٣ً لا نعرف للملك پيپين وزيرًا اسمهُ كارين وعليهِ فتكون كل القصَّة كاذبة من عين اصلها ١٤ً لم يتزوَّج پيپين بامرأة غير برتا ١٥ً البابا لاون الثالث الذي زعم الضياء انهُ ابن پيپين من برتا ابنة كارين هو رومانيّ الاصل والوالدين ١٦ً لا يُعرف لپيپين الَّا ولدان كرلوس الاكبر (شرلمان) وكرلومــان ١٧ً لا اثر لقصَّة اللجام المسروق والحكم شرل على السارق. الخ الخ. فالعار كل العار على رجلٍ يختار مثل هذه الروايات ليفكّهِ بها قرَّاءهُ ويبذر في عقولهم بذر الكذب والتشنيع على الدين

مطبعة دير الشوير قرأنا في المنار الاخير (ص ٤١٠) ردًّا لاحد ابناء الرهبنة الباسيليَّة البلديَّة الشويريَّة على جناب عيسى افندي زريق يبطل فيها قولهُ عن اختلاس مطبعة دير الشوير من دير البلمند. وفي هذا الردّ ما يُشعر بان الآباء اليسوعيين لم يساعدوا عبد الله زاخر بانشاء المطبعة. وقد بيّنا خلاف ذلك في المشرق (٣: ٣٦٠ و٧١٨) فليُراجع

الطقوس القديمة قدم بلادنا موءخرًا الدكتور كدرنغتون من لندن. وهو من علماء الانكليز المولعين بحب الطقوس الشرقيَّة القديمة. وكان درسهُ لهذه الطقوس سببًا لاهتــدائهِ الى الكنيسة الكاثوليكيَّة. وغاية سفرهِ ان يبحث عن الرتب بحثًا نعمًا ويبيّن اصولها وما يتّفق منها بين الكنائس وما يختلف. ولمَّا سمع ان اصحاب مدرسة الكريم كلفون بالبحث عن الطقوس القديمة نزل عندهم ضيفًا مكرَّمًا فاخذ عنهم بعض افادات مهمَّة. ويسرُّنا بهذه النسبة ان نفيد القرَّاء انَّهُ يوم عيد العنصرة قد اقام غبطة السيّد البطريرك مار الياس الحويك قدّاسًا احتفاليًا جرى فيهِ على مقتضى الرتب القديمة كما نصَّ عليها العلَّامة الدويهي في كتاب منارة الاقداس. وقد قام بالخدمة حضرة الاب ابراهيم حرفوش احد اساتذة الكريم الافاضل وشمامسة مدرستهم العامرة. فنثني على همَّة الجميع ونتمنَّى ان يسعى اصحاب كل الطقوس الشرقيَّة في احياء ما دثر من رتبهم الجليلة

أسئلة وأجوبة

س سألنا من عندقت جناب الاديب ابرهيم افندي عبد الجليل ما هي قوانين اشتراك الكهنة بالتقديس وهل يجوز للكهنة الموارنة ان يقدسوا ايأن شاؤوا ودون الملابس الكهنوتيَّة وهل يجوز لهم ان يأخذوا حسنة القداسات اذ لم يقدسوا قداساً كاملًا وهل يجب عليهم ان يتناولوا كلهم جسد الرب

اشتراك الكهنة بالتقديس

ج قد مرَّ في المشرق (١: ٧٧٦—٧٨٦) مقالة مطوَّلة في هذا الشأن فلتُراجع. امَّا ما يجوز للكهنة الموارنة من هذا القبيـــل فهو مدوَّن في المجمع اللبنانيّ (الطبعة الجديدة ص ٢٢٨) حيث ورد ما نصَّهُ :

« نأمر ونحتم اولاً بانهُ متى اراد عدَّة من الكهنة ان يقدسوا معاً وجب عليهم ان يتشحوا بالملابس المقدسة ويتلوا كل الليترجية بصوت جهير او منخفض وفقًا لما نصَّ في منـــارة القداس بلا اغفال شيءٍ منها. . . ثم يتناولوا جسد الرب ودمه واحداً واحداً طبقًا للمرسوم في كتاب منارة القدَّاس. ونعلن ان المقدسين معاً على هذا الوجه يوفون فرض التلاوة سواء كان عن الاحيـاء او عن الاموات ويوفون ايضاً الحسنات التي اخذوها جذه الحجَّة. على انَّنا لا نسمح لهم بتلاوة القداس متحدين ايأن شاؤوا بل فليقتصروا على ذلك في الاعياد الاحتفاليـة او في جنَّاز الموتى اذ الجثة حاضرة او في تذكارهم السنوي ومن اهمل شيئًا جوهريًّا او تجرَّد من الملابس الكهنوتية فليعلم انهُ لم يقدس قداساً كاملًا ولم يوفِ الصدقات التي جمعها بحجة القداس او ان يقدس ويتناول على حدةٍ بحسب الاصول »

وقد جرت العادة ان يكتفي الكهنة بالبطرشيل بدلًا من الحلَّة الكهنوتيَّة التامَّة. ولعل الرؤساء تساهلوا ايضاً في امور اخرى كالتقديس في بعض ايَّام الاسبوع غير الاحد الَّا انَّنا لم نجد نصًّا صريحًا على ذلك

س سألنا احد الافاضـــل من معلّمي مدرسة الحكمة الزاهرة من هو اورياما الذي يتكرَّر ذكرهُ في كتاب الشهر المريميّ للاب موزارلي

اوريا ما

ج هو الاب توما اورياما (Th. Auriemma) اليسوعيّ وُلد في نابولي سنة ١٦١٤ وتوفي فيها سنة ١٦٧١ لهُ تآليف روحيَّة عديدة منها كتاب معنون « العبادة لمريم العذراء مؤيدة بالامثال واخبار الصالحين » وعنهُ اخذ الاب موزا رلي اخباره لاكثر ايَّام الشهر المريميّ

ل. ش

المشرق

المارتينيك

مصابها وتاريخها

للاب مرقس بربيه اليسوعيّ احد اساتذة كليَّة القديس يوسف

كان ارباب الفراسة يسرّحون الابصار في عالم السياسة في غرَّة الشهر المنصرم فلا يجدون في سمائهِ ما يعكرّ صفو الهناء العامّ. فكانوا يستروحون نسمات السلم القريب بين بريطانية العظمى والبوير في جنوبيّ افريقية ويشاطرون الهولنديين افراحهم لما نالتهُ ملكتهم المحبوبة وِلهلمين من الشفاء المرغوب ويحيُّون أعلام المسرَّة والبهجة الخافقة في اسبانية وانكلترة ايذانًا باعياد تتويج ملكيهما الاعظمين. امَّا فرنسة وروسيَّة فكان السياسيُّون يهنّئوهما بقرب تجديد محالفتهما الضامنة لدولتين كبيرتين اسباب الانس والولاء. فبينما كان الجميع يؤملون انقشاع آخر سحابة تكدّر افق السياسة اذ سُمع هزيم رعد قاصف ارتجفت لصوتهِ الاجشّ فرائص الكون ألا وهو خبر المارتينيك ومصابها الجلل

فانَّ بركانًا هائلًا تُشرف فوهتهُ على مدينة سان پيار كان يظنُّ الكل انَّ نيرانهُ انطفأت منذ نصف قرن ثار بغتةً والقى في عنان الجوّ كمية بالغة من الدخان الكثيف والابخرة والرماد والحُمَم البركانيَّة المصهورة فوقعت كلُّها من علٍ على المدينة الرائعة قبل ذلك في بحبوبة الهناء فاحرقتها وطحنتها طحنًا في برهة بضع دقائق ولم تبقِ من مبانيها العامرة الَّا آثارًا تشهد بما لحقها من سوء الدمار. امَّا اهلها فلوى بهم الدهر ولم ينجُ منهم

غير افرادٍ لا يتجاوزون عدد الاصابع فذهبوا فريسة حظّهم المنكود في النيران المضطرمة وكان للبركان دويٌّ عظيم يُسمع على مسافات بعيدة يخال لسامعهِ انَّ الساعة قد قامت وأزف يوم الله الرهيب. ودام ذلك ايّاماً متوالية والرعب سائد على اهل الجزيرة حتى اضطرّوا ان يُخلوا عنها هاربين لا يلوون على الاعناق

ولكي يقف قرّاؤنا على عظم الداهية التي ابتلى الله بها جزيرة المارتينيك عموماً وحاضرتها سان پيار خصوصاً اسرعنا الى تسطير هذه العجالة جمعنا فيها من الافادات التاريخيّة والاوصاف الجغرافيّة ما رأيناهُ جديرًا بالتفات مواطنينا

*

انَّ جزيرة مارتينيك احدى جزائر الانتيل الشهيرة التي موقعها في الاوقيانوس الاتلنتيكيّ. وهي من جملة الانتيل الصغرى تمييزًا لها عن الانتيل الكبرى التي تشمل جزائر كوبا والجامايك وجمهوريّة هايتي وبرتوريكو وهي تُعرف ايضاً بجزائر كرائيب باسم سكّانها الاوّلين. والانتيل الصغرى وافرة العدد تملكها اربع دول: فرنسة ولها جزيرتا غوادلوب والمارتينيك. ثم انكلترة ومن جزائرها سان ڤنسان وسنت لوسي ودومينيك وسان كريستوف. ثمَّ هولندة ثم الدنيمرك

امّا المارتينيك فيحدُّها شمالًا جزيرة سنت لوسي وشمالًا غربيًا جزيرتا غوادلوب وجزيرة دومينيك وموقعها من العرض الشمالي ١٤° ٢٦´ امّا طولها فهو ٦٣° ١٢´ وتكسير مساحتها ٩٨٧ كيلومترًا مربعاً. وهي عبارة عن سلسلة جبالٍ عالية تنقسم الى قسمين او شبهي جزيرةٍ يجمع بينهما برزخ. والعناصر المتركبة منها هذه الجبال كلُّها بركانيَّة. واشهر هذه البراكين الجبل الاقرع الذي يبلغ ارتفاعهُ ١٦٥٠ مترًا الّا ان نيرانهُ الباطنيَّة كانت خامدةً منذ سنة ١٨٥١

وفي لحف هذه الجبال سواحل ذات هيئات جميلة منها صخريَّة مجدبة تنفذ فيها الجُوَن والخلجان ومنها ذات تربة خصبة تمتدُّ على مسافات بعيدة فيها البساتين الغنَّاء والغياض الدَّغلة وضروب الاشجار المثمرة كالموز والاناناس والعنباء وانواع المزروعات لاسيَّما قصب السكر والتبغ والمانيوق والبنّ ولبنِّها شهرة مستفيضة. وكان لاهلها مقاطن عدلوا منذ سنين قليلة عن استغلالها وكذلك قد اهملوا ورع شجرة الكاكاو. وهواء جزيرة المارتينيك طيّب معتدل الحرارة عند شواطئ البحر لهبوب الرياح المتواصلة. امّا داخل

الجزيرة فانهُ شديد الحرارة وتغلب فيهِ على الاهلين الحمّى الصفراويّة التي تفتك بهم فتكاً ذريعاً لاسيّما بعد فصل الامطار في تموز وآب

وللمارتينيك والٍ عامّ يحكم عليها وهي تُقسم الى ايالتين فور دي فرانس وسان پيار وهما مدينتاها الكبيرتان. والاولى مركز الحكومة لها مرفأ واسع في مأمن من الرياح والانواء. امّا سان پيار فهي مركز التجارة ومورد الثروة تقدم اليها السفن من كل البلاد. وعدد سكّان الجزيرة اليوم نحو ١٨٠٠٠٠ منهم ١٠٠٠٠ اوربيُّون بيض و ٥٠٠٠٠ خلاسيُّون والباقون سودان كانوا سابقاً عبيداً ثمَّ حُرّرت رقابهم سنة ١٨٤٨

*

وكان اكتشاف هذه الجزيرة سنة ١٤٩٣ مرَّ بها كريستوف كولُمب واصحابهُ يوم عيد القديس مرتينوس فدعاها باسمهِ مارتينيك الّا انهُ لم يتلبَّث فيها بل تمّم مسيره الى بلاد اوسع منها. فبقيت منسيَّة الى سنة ١٦٣٥ حيث نشر فوقها العلمَ الفرنسيّ تجّاران افرنسيّان اسمهما لوليف (L'Olive) ودوپلسي (Duplessis) وسار اليها والي جزيرة سان كريستوف پيـار بيلان (P. Belain) المعروف بسيور دينَمبوك (Sieur d'Esnambuc او Denambuc) وحاول استعمارها الّا ان سكّانها الهنود الكرائيب كانوا قوماً مغاوير فتصدّوا للفرنسويين وقاتـلوهم حتى أيسوا من غلبتهم فسالموهم وتوقّلوا جبال الجزيرة فعاشوا في غاباتها الكثيفة عشائر منفردةً يرتزقون بالصيد

وكانت جزيرة المارتينيك في اوّل الامر كملك خاصّ لشركة افرنسيَّة تُدعى شركة الجزائر الاميركيَّة ثم تولتها شركة أُخرى تُدعى شركة الهند الغربيّ الى ان أُلحقت سنة ١٦٧٥ باملاك دولة فرنسة وجُعلت سنة ١٧١٧ حاضرةً لجزائر الانتيل الفرنسيَّة

وفي سنة ١٧٦٢ انتزعها الانكليز من ايدي فرنسة وملكوها الى سنة ١٧٨٣ فأُعيدت الى اصحابها وفقاً لمعاهدة ڤرسايل. ثمَّ توالت الحروب بين الدولتين في تلك البحار واستولى الانكليز على جزيرة المارتينيك اربع مرّات حتى تقرَّر ملكها لفرنسة في سنة ١٨١٨ فثبت فيها قدمها دون منازع ولم يعد الانكليز مذ ذاك الحين يطمحون اليها بالبصر

وللديانة الكاثوليكيَّة في تاريخ استعمار جزيرة المارتينيك آثار طيّبة تنطق بفضل المرسلين الذين بشّروا فيها بالايمان. فانَّ واليها دينمبوك رأى أن اقوى عامل على نجاح

هذه المستعمرة ان يدخلها المرسلون ليروّضوا طبــاع اهلها ويهتمُّوا بشؤون المستعمرين الروحيَّة. وكان الكردينال دي ريشليو عيّن لهذه الرسالة بعض افاضل الرهبان من ابناء القديس دومينيك فابحر اربعةٌ منهم لإنجاز هذا العمل الشريف سنة ١٦٣٥ لكنَّ الظروف حالت دون رغبتهم فاجتازوا امام الجزيرة ونصبوا على ساحلها راية الصليب المقدس ثم واصلوا سيرهم الى جزيرة غوادلوب فتوطَّنوها

واوَّل من اسعدهُ الحظ على بثّ الانوار الانجيليَّة في تلك الجزيرة الآباء اليسوعيُّون دخلوها سنة ١٦٤٠ فغلحوا كرم الرب حتى كافأها الله بعد زمن قريب بثمار جنيَّة. وعاد الآباء الدومينيكيُّون فاشتغلوا مع الآباء اليسوعيين وتوفَّرت على يدهم نعم الخلاص في جزيرة المارتينيك وقد اشتهر منهم راهبــان فاضلان ماتا برائحة القداسة الاب پيار پول (بطرس بولس) المتوفَّى سنة ١٧٢٧ والاب مَرْتِل (Martel) المتوفَّى سنة ١٧٤٠ باشرا من الاعمال العجيبة ما لا يفي بتعدادهِ القلم

ولمَّا أُلغيت الرهبانية اليسوعيَّة سنة ١٧٧٤ اصاب المارتينيك ما اصاب كثيرًا من الرسالات الكاثوليكيَّة فانَّ الفعلة قلُّوا يومًا بعد يوم حتى اصبح اهلها في اسوإ حال. لكنَّ الله لم يهملهم تمامًا فعُني بهم مدَّةً ابناء القديس فرنسيس ثمَّ عقبهم آباء جمعيَّة الروح القدس مع عدد من الاخوة المدرّسين والراهبات ولجميعهم اليوم في تلك الانحاء المدارس العامرة والمستشفيات والمياتم وغير ذلك من اعمال الرحمة. وممَّا يجدر بنا ذكرهُ انَّ المرسلين اوَّل من سعى بتحرير العبيد في جزيرة المارتينيك سنة ١٨٤٨ فاستحقُّوا بذلك ثناء الاهلين الذين طالما رزحوا تحت عبء الرقّ بين ايدي البيض

*

قلنا ان احدى حاضرتَيْ المارتينيك مدينة سان پيار فلمَّا كانت الرزيَّة الاخيرة قد دهمت خصوصًا هذه المدينة فلا نرى بُدًّا من ذكرها مع وصف البليَّة التي مُنيت بهــا

كانت هذه المدينة في اوَّل امرها حصنًا ابتناهُ السيور ديَنمبوك سنــة ١٦٣٥ عند نهرٍ يدعى روكسلان (Roxelane) ليمتنعوا فيهِ من غارات الهنود. ثم صار الحصن بعد زمن قليل محطًّا للسلع التجاريَّة ومرسًى للسفن الواردة من اوربَّة الى ان اضحى بتمادي الزمان مدينةً عامرة لم يقلّ عدد سكّانها في السنة الماضيــة عن ٢٥٠٠٠ فضلًا عمَّن يسكنون في ارباضها. وكانت المدينة تُقسم الى ثلاثة اقسام الحصن والمركز والمرفأ.

وحول المدينة عدَّة قرى يرتزق اهلها بزرع قصب السكَّر على انَّ سوقهُ كانت كسدت كثيرًا منذ اخذ الاوربيُّون يستخرجون السكَّر من الشمندر

اما هيئة المدينة فانَّها على شبه نصف دائرة وابنيتها بيضاء يركب بعضُها متن بعض على شكل الدرجات لها المنظر الجميل مع ما يحدق بها من الاشجار الباسقة والرياض النضرة وفوق رأسها شمالًا الجبل الاقرع الذي دُعي بذلك لقحطهِ الَّا انَّ الاعشاب والنباتات كانت منذ عدَّة سنين تزين صَلَعَهُ بخضرتها. وكان السيَّاح لا يقدمون على سان بيار الَّا يفرعون قمَّتهُ لتقرَّ عينهم من اعلاهُ على مناظر بهجة تأخذ بالابصار وتخلب القلوب

على انَّ هذا الجبل هو الذي اصبح اليوم علَّة خراب سان بيار وآفتها الكبرى. فانهُ من اعماقهِ لفظ تلك القذائف التي دمَّرت المدينة ونسفت مبانيها

وليس هذا البركان جديدًا بل كثيرًا ما انذر الاهلين بالويلات في الاجيال السابقة بيد انَّ غليانهُ كان هدأ وحركتهُ سكنت زمنًا طويلًا حتى ظنَّ الناس انَّ الجبَّار رقد رقادًا ابديًّا. ولكن ساء ظنُّهم فما كان نومهُ الَّا غرارًا

فلمَّا كان ١٦ أيَّار من سنة ١٨٥١ اذ افاق من سِنتهِ فثار ثائرهُ وسُمع لهُ في بطن الارض زمجرة ملأت الناس هلعًا فتزلزلت الجزيرة ومادت ابنيتها متمايلةً كالثمل السكران وانفجرت القذائف وامتدَّ الرماد في الجوّ ثمَّ انبسط على الحضيض من مدينة سان بيار الى لحف جبل كَرْبت (Carbet) وهو اشبه بكفن سُجّي بهِ الموتى. وكانت الابخرة المتصاعدة من اغوار البركان تكاثفت في الجوّ وتزلت على جوانب الجبل كالسيل العرم فازالت ما كان فيهِ سابقًا من الاشجار وجرَّدتهُ عن نباتهِ بتاتًا حتى صار كارض صلعاء ودُعي مذ ذاك الحين بالجبل الاقرع. وفي الوقت ذاتهِ ظهر في مشارف الجبل بحيرة واسعة رائقة المياه كأنَّها المرآة في صفائها. امَّا الاهلون فكانوا يهيمون في وجوههم مذعورين لا يعرفون ما يحلُّ بهم ويذوقون الموت الوانًا وتمكَّن منهم الهلع أيَّامًا الى ان تلطَّف الله بعبادهِ وصمت البركان وانقشعت سحائب الرماد فعاد السلام الى قلوب السكَّان وأفرخ روعهم

واخلد اهل سان بيار الى الدعة مذ ذاك العهد حتى نسوا انَّ عدوَّهم لهم بالمرصاد

وربّما اشعرهم حيناً بعد حين ببعض الهزّات (١ كانهُ يفيدهم بلسان حالهِ انهُ لم يمت وانهُ ينبغي لهم ان يسهروا لئلاَّ يدركهم ربّ البيت في ساعة لا ينتظرونهُ فيها · بيد انَّهم اصمُّوا الآذان ولم يبرحوا يسعون وراء دنياهم الّا الصالحين منهم حتى ألبسهم البركان ثوبًا من نيرانهِ · فغاية ما نتمنّى ان يكون هذا الوقيد اضرم في قلوب المنكوبين نار حبهِ تعالى فمحّص عند انفاسهم الاخيرة ذنوبهم وطهّر ادرانهم فنجّاهم من نيران اخرى لا ينطفئ سعيرها

وان سأل السائل وكيف جرت هذه القارعة اختصرنا لهُ هنا ما كتبهُ احد شهود هذه الرزيئة الكبرى المفجعة قال ما تعريبهُ : في الأيّام الاولى من شهر أيّار احسّ اهل مدينة سان پيار باهتزازات متعدّدة لم يحصل منها ضررٌ كبير الّا انّ هذه الزلازل كانت تتكرّر بوقت قريب فقلق السكّان لتواترها لاسيما اذ بلغهم انّ بعض المعامل القريبة من فوهة البركان طغت اليها موادّ بركانيَّة فابادتها واهلكت كثيرين من عمّالها · وفي اثناء ذلك كان الناس يسمعون في قلب الارض دويًا كصوت هدير الرعد تقشعرّ لهُ الابدان · ولكن ما كان ليدور على خلدهم انّ هذه الاصوات تنذرهم بفاجئة قريبة · وكان والي المارتينيك المسيو موته (Mouttet) لمّا بلغهُ انّ اهل سان پيار في قلق اسرع قدم الى مدينتهم ليطيّب قلوبهم واوفد رجالًا ليفحصوا الجبل الاقرع والحمأة المحرقة التي سالت من جوانبهِ فما رجعوا الّا بعد شقّ النفس وكادوا يذهبون فريسة النيران · وفي اليوم السابق للمصاب اشتدّ الزلزال في حوالي الجبل الناريّ وتقطّعت القلوس البرقيَّة الممتدَّة بين المارتينيك والجُزُر الأُخر · غير ان كل هذه الظواهر المخيفة لم تكن الّا مقدّمةً للطامَّة الكبرى التي حلّت في صباح اليوم الثامن من أيّار

فلمّا كان ضحى النهار نحو الساعة الثامنة اذ قذف البركان بغتةً كميَّة لا تُحصى من

١) وقد ثبت سابقًا لذوي الاعتبار انّ جزيرة المارتينيك معرَّضة للزلازل التي انتابتها مرارًا عديدة.ولعلّ النيران البركانيَّة المطمورة في جوفها هي التي علّتها · ومن الآفات التي اصابت غير مرَّة جزيرة المارتينيك الاعاصير الهائلة التي دهمتها واودت بقسم من سكّانها نخصُّ منها بالذكر العاصفة الشديدة التي حدثت سنة ١٨٩١ فاخربت جانبًا كبيرًا من فور دي فرنس ونسفت نحو اربعين قرية عامرة · ومن غريب الامور انّ لاهل المارتينيك تقليدًا شائعًا بينهم انّ جزيرتهم سوف يلحق بها الدمار بانفجار بركان الجبل الاقرع

التراب والدخان فحُجبت عين الشمس واظلم الجوّ وصارت البلدة كأنها في ليل حالك. ولم يمرّ على هذا بضع ثوانٍ حتى ظهر في الدُّجن المكفهرّ شبه عواميد من النار خرجت من البركان وانحطّت فوق مدينة سان پيار فصارت شعلةَ لهيب. وعقب ذلك سقوط قطع كبرى من الحجارة المصهورة فدام سقوطها نحو ربع الساعة. وكان ينزل على المدينة وجوانب الجبل مقدار كبير من الطين الحالك اللزج وهو يغلي غلياناً. وكانت الابخرة سامّة من الحامض الكربونيك والحامض الكبريتيّ منتشرةً في الهواء تخنق من يستنشقها. قال نوتيٌّ اسمهُ جان لويس پرودان احد الانفار القليلين الذين تمكّنوا من الخلاص:

«سمعنا اوَّلًا صوت انفجار هائل كانهُ صوت مدافع عديدة أُطلقت في وقت واحد. ثم رأينا إعصارًا من الدخان والنار خيَّم فوق رؤُوسنا كجبل عظيم. وكان الدخان كثيفاً ساماً يحرق اكثر من النار عينها وكان اذا أُصيب بها احد سقط ميتاً على الفور. ثم رأينا غيمة من النار اكبر من عمود الدخان فاحتلَّ على البلدة واحرقها كلها. امَّا انا فلم اجد حولي غير الموتى. ولمَّا وصلتُ بعد الضنك والعناء الى ساحل المدينة وجدت اخلاطاً من الرجال والنساء والصبيان يهيمون في وجههم ويولولون لكنَّ الدخان ادركهم فتساقطوا كالذُّباب وماتوا. ولم يَدُم انفجار الدخان والنار الَّا ثلاث دقائق امَّا المدينة فلعب فيها لسان النار ثلاث ساعات»

وقد أُصيبت بهذا الطوفان الناري السفن الراسية في مرفأ المدينة. ولم يخلص منهُ إلا سفينة انكليزيَّة تُدعى رودام لتسارع البحَّارين الى قطع اناجرها الحديديَّة واحماء مراجلها بالبخار الشديد إلا انَّ كثيرين من اصحابها أُصيبوا بجروح بليغة اذاقتهم مرّ العذاب وقتلتهم وشيكاً. وكانت سفينة اخرى تُدعى إِنسك مارّة على خمسة اميال من البلد فغطَّاها الرماد رغمًا عن بعدها. امَّا عدد القتلى فقريب من اربعين الفًا لم ينج من سان پيار إلا نحو عشرين شخصاً ومن جملتهم سجينٌ كان في مطمورةٍ لقي في حبسهِ نجاتهُ

على انَّ الاخبار الواردة بعد هذا المصاب لا تزال مقلقةً. واكثر اهل الجزيرة الناجين كان التجأوا الى فور دي فرنس والى جهات الجنوب ابتعادًا من العدوّ لكنَّ الخوف آخذٌ بمجامع قلوبهم ولا يزالون يلحّون على اصحاب الامر فيطلبون منهم ان ينقلوهم الى جزائر غيرها. ولا غرو فانَّ القذائف البركانيَّة تسقط قريباً من فور دي

فرنس وتتهدَّدها بالدمار. وما قلناهُ عن سان پيار قد نال ايضاً غيرها من جزائر الانتيل كجزيرة سان ڤنسان وجزيرة سان توما وغيرهما إلّا انَّ عدد القتلى في هذه الاماكن قليل بالنسبة الى قتلى المارتينيك

فبعد هذا الوصف لا يسعنا إلّا ان نرفع الى الله اكفَّ الضراعة طالبين من مراحمهِ تعالى رحمةً واسعة لهؤلاء المنكوبين. وبينا نحن ندوّن هذه الاسطر اطلعنا على رسالةٍ حرَّرها احد التجّار لاخٍ لهُ في مرسيلية هذا تعريبها: انَّ القوم منذ اوَّل هذا الاسبوع يتقاطرون الى الكنائس ويقضون صلب نهارهم في الصلاة واعمال التوبة. والكهنة يفرغون جهدهم في تعزيتهم وحملهم على الرجاء في ألطاف الباري. وفي مساء امس (٦ ايّار). فتح الكهنة كلَّ كنائس المدينة فبات الناس فيها يصلُّون ويثابرون على الاسرار ويسمعون ارشادات الواعظين فكانت اصوات عويلهم ممتزجة باصوات هدير البركان الذي يقذف من فوهاتهِ المتعدّدة دخاناً ونارًا. . . ان قُضي علينا بالموت فلنا الثقة برحمتهِ تعالى»

وفي الختام نحيّي اولئك المرسلين رجال الله الذين صرفوا آخر ساعات حياتهم في سبيل اخوتهم لا يبالون بخلاص انفسهم وهم يفتحون ابواب السماء لجماهير التائبين يهيّئونهم للاقاة ربّهم ثمَّ نطلب من قرّائنا ان يذكروا في صلاتهم اخوتهم كاثوليك المارتينيك وان امكنهم ان يسعفوا بمالهم الباقين منهم فلا يبخلوا عليهم بصدقتهم لان الله لا يضيع اجر المحسنين

نظرٌ في الانتقاد

على الكلم اليونانيَّة في اللغة العربيَّة

لحضرة الاب العالم اللغويّ المتفنن انستاس الكرملي البغدادي

وهو مختصر عن مقالةٍ طويلة كتبها حضرتهُ منذ سبعة اشهر فلم تسمح لنا كثرة المواد من نشرها. . وهذا النظر جواب على انتقاد حرَّرهُ حضرة الكاتب الفاضل الخوري ميخائيل حويس في المشرق (٤: ٧٢ و ٢١٤)

١ً الدَقْشة والدُقَيش. انكر حضرة مناظري عجمة هاتين الكلمتين واثبت عربيتهما. واوَّل دليلٍ اتى بهِ هو: «لانَّ مدلول الاولى منهما غير مدلول الثانية في المعنى».

فهذا كلام لا يؤيّد النتيجة المطلوبة. واماً من ان مدلول الاولى اي الدقشة « دودة من طائفة الحشرات بقـدر الاصبع وهي رقطاء تتغلّل في العشب والكلإ » فيردهُ جمهور اللغويين. قال صاحب القاموس: الدقشة بالفتح دويبة رقطاء اصغر من القطاة او طائر ارقش. وقال في التاج: الدقشة بالفتح: دويبة رقطاء اصغر من القطاة هكذا في النسخ وفي اللسان والتكملة اصغر من العظاءة (قلتُ: وفي الاصل المطبوع « القطاة » وهو من خطأ الطبع) وقيل هي دويبة رَقْشاء. وذِكر الفتح مستدركٌ (هكذا في الاصل والاصح على ما يظهر لي « وذكر الضمّ » اي الدُقشة بضم الاول مستدرك على القاموس لانهُ لم يذكر الضمّ وهي تصحيف الدُقسة بالضمّ والفتح لانَّ من العرب من يجعل الشين سيناً وقد ذكر صاحب المزهر شيئاً كثيرًا من ذلك ١ :٢٦٧) او طائر ارقش اغبر أَرْيقط وتصغيره الدُقيش وبهِ كنَّوا قالهُ ابن دريد. وقال ابن منظور: الدقشة بالفتح دويبَّة رقطاء اصغر من العظاءة وقيل هي دويبة رقشاء او طائر ارقش. فانت ترى هؤلاء الائمة من بعد ان عرفوا الدقشة بكونها دويبة كالعظاءة زادوا على ذلك بقولهم: « او طائر ارقش » وبهذا المعنى صرّحنا بانها معرّبة ولم ننكر ابدًا بكون الدقشة ايضاً دويبة اذ لم نتعرَّض لذلك فليراجع كلامنا (المشرق ٢ :٣٤٦)

٢ً الدسّاس والدِبْساس. انكر عليّ حضرة منـاظري تعريب الدسّاس عن الدبساس: « لان مدلول صفات كل منهما لا ينطبق على مدلول صفات الاخرى » . . . ومن ذلك يؤخذ ان الكلمة العربية إن لم تكن بمدلول الكلمة الاصلية « بصفاتهـا » فليست معرَّبة وهذا كلام تناقضهُ طائفة كبيرة من الالفاظ التي اقرَّ العرب الفصحاء بعجمتها وهي مع ذلك لا تدلُّ على المعنى الاصلي. فان لفظة الكبريت مثلًا هي معرَّبة بمعناها الحقيقي لكنهم اخرجوها ايضاً من باب المجاز الى معنى الياقوت الاحمر ومن باب الوهم الى معنى الذهب قال رؤبة:

هل يعصمنّي حلفٌ سختيتُ   او فضة او ذهب كبريتُ

قال ابن الاعرابي: ظنَّ رؤبة ان الكبريت ذهب. قال شيخنا: « وخطئ فيهِ لان العرب القدماء يخطئون في المعاني دون الالفاظ (عن التاج بحرفهِ). راجع ايضاً المشرق (٢ :٨٤٧). أفسمع حضرة مناظري هذا الكلام الاخير لشيخ في العلم كبير. وعليـهِ فانهم لمَّا نقلوها الى صفات دسَّاس هذا اليوم اخطأوا في معناهـا دون لفظها. وانهم

حذفوا الباء كما حذفوا مثلها من الاحرف الذلق في كثير من الالفاظ الاعجميَّة. واذا اراد الوقوف على امثلة من ذلك فليطالع آخر كتاب الفرائد الدريَّة في اللغتين العربيَّة والانكليزيَّة للاب يوسف حوَّاء اليسوعي. امَّا من انهُ يستدل على عربيَّة اللفظة من اشتقاقها من الدسّ فهذا لا اعتبار فيهِ. فانك لو استقريت بعض الالفاظ الاعجميَّة وادّعاء العرب بعربيتها لوجود بعض المشابهة في الاشتقاق لمتَّ ضحكًا وقد ذكر المشرق بعضًا منها مثل النوتيّ من ناتَ وابليس من بلس والخندريس من خدر العروس وعيسى من العيس واطرابون من الطرب !!! (التاج)

٣ً الباذق. قد ذهب حضرة مناظري الى انَّ هذه اللفظة من اصل فارسي. وبذلك يقول قول لغويّي العرب في فارسيَّة اصلها وانا لا امنعهُ عن ذلك. الَّا ان استنادهُ على قول العرب ليس بامرٍ ذي بال لان العرب قد تخطئ في ذكر الاصل ومعرفتهِ. فان صاحب التاج ذكر ان القنصل لفظة سريانيَّة وهي روميَّة. وقال صاحب محيط المحيط: «حِرْباء معرَّب خُرْبا بالفارسيَّة ومعناهُ حافظ الشمس». وهي في هذه اللغة آفتاب پَرَست اي حافظ الشمس او ساجدٌ لها. وهي ليست سريانيَّة كما ظنَّها صاحب البرهان القاطع بل عربيَّة محضة. وقالوا: البابوس فارسيَّة وهي سريانيَّة. وقالوا: المنجنيق فارسيَّة وهي يونانيَّة وهلمَّ جرًّا

امَّا من انهُ انكر عليَّ كون الوعاء او الظرف مثل الكاس مثلًا لا يُسمَّى آلة فهذا ممَّا استغرب بناهُ غاية الاستغراب. لان الشيء قد يكون ظرفًا او وعاء ولا مانع من ان يكون ايضًا آلة. واليك الشواهد على ذلك: المكحلة والمدهن والمسعط وغيرها فانَّها ظروف ومع ذلك فان العرب ذكرتها في باب اسم الآلة وصرَّحوا بكونها آلات او ادوات. وقال في التاج: «ويُمكن ان يُقال الوعاء آلة للحفظ» (في مادة ق ل م)

٤ً العِرْبَدّ قد اورد حضرة مناظري الفاضل كلامًا طويلًا ليفهمنا ان العربدّ عربيَّة غير اعجميَّة واستدل على ذلك بانهُ حذف الباء الموحدة لزيادتها فصارت «عرد» ثم قال: ترى ان الكلمة صارت بعيدة الشبه عن الكلمة اليونانيَّة بعدًا شاسعًا (بل بعد الثرى عن الثريَّا) كما تراها في الشكل ἑρπετός اه. لكن من كلَّفهُ بحذف الباء ولماذا هذا العناء. والَّا لو اراد ان يثبت اعجميَّة اللفظة وعربيتها على هذا الوجه من القطع والصلم فيرى العجب العجاب. ولنذكر لهُ مثلًا واحدًا فان حضرتهُ لا ينكر على

عجمة لفظة الانجيل. فاذا حذف الهمزة والياء لزيادتهما بقي منهـا «نجل» ثم حذف النون واللام لانهما من الاحرف الذُلق بقي بيدنا «ج» فعنـد ذلك ترى ان الكلمة صارت بعيدة الشبه عن اليونانيَّة εὐαγγέλιον وكذلك قُل عن جميع الالفاظ المعرَّبة اذا تصرَّفنا بها هذا التصرُّف

٥ً الدِمَص. لمَّا كتبتُ اصـل تلك الكلم العربيَّة لم اراجع كتابًا واحدًا للمستشرقين واليوم قد طالعتُ بعضاً من تلك الاسفـار تمحيصاً للحقيقة فرأيتهم رأيًا واحدًا بان الدمص يوناني الاصل وبذلك كفـاية للمحققين. ومما يدلُّك على ان العرب تلقَّوا هذه اللفظة مباشرةً عن اليونان لا عن السريان انهم كتبوها بالصاد لا بالسين كما في الإِرَميَّة. فلوا كانوا قد اتخذوها عن السريان للفظوها لفظهم وكتبوها كتابتهم كما يؤيد ذلك ما دخل من الفاظ هذه اللغة في اللغة العربيَّة وقد ذكر منها جانباً صاحب كتاب اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانيَّة (الطبعة الثانية ص ١٨٨—١٩٠). واما انهُ يجوز كتابتها بالسين فنحن لا نرى رايهُ: ١ً للاسباب المتقدم ذكرها التي اوضحت لنا انها ليست ارمية. ٢ً لاننا وان سلَّمنا بأنها ارمية فلا يُجيز لنا هذا ان نَرجع اللفظة الى اصلها بعد ان نقلتها العرب الى الصورة المعهودة: اذ انهم قد عرَّبوا الفاظاً بوجهٍ من الوجوه مع معرفتهم الاصل كل المعرفة ومع ذلك فانَّهم غيَّروها تغييرًا بعَّدها عن اصلها وان كان ذلك الاصل موافقاً للاوزان العربيَّة وحروفها. ألا ترى ان صاحب المزهر يقول (١:١٣٦) : «ومما اخذوهُ من النبطية: المِرْعِزَّى والمرعزَّاء واصلهُ مرمزى. والصيق: الغُبار واصلهُ زيقاء. والجُدَّاد: الخيوط المعقَّـدة واصلهُ كدادى». اه فانك ان انعمت النظر في هذه الكلم ترى انهُ كان يمكن للعرب ادخال هذه الالفاظ على ما هي في اصلها لان حروفها تُقابل حروفهم واوزانها كاوزانهم ومع ذلك فانَّهم لم يفعلوا ولم يُجوّزوا استعمالها على اصلها ولم يذكر اللغويُّون تلك الالفاظ في ابواب اصولهـا بل في ابواب معرَّباتها. وعليهِ فلا يجوز لحضرة مناظري الفاضل ان يستعمل تلك الالفاظ على اصلها لاشتهارها بصورة اخرى عند الناطقين بالضاد

واما تعرُّضهُ لكلمة «مُدماك» وذهابهُ الى أنها من اصل إِرَميّ وانَّها تعريب «مدماس» (بالسين) فلم نتوفَّق الى العثور على ما عثر من الاصل الارمي. وقولهُ: «ليس في اصـل هذه الكلمة (اي مدماك) شيء يؤيد عربيتهـا» ففيهِ نظر لانَّ

المدماك مأخوذ من دَمَك الحبل اي فتلهُ وقد نقلت العرب اموراً كثيرة عن خصائص الحبل الى خصائص البناء او ما اشبه البناء لما بين الواحد والآخر من الرابط في معنى الامتداد وتداخل الشيء بالشيء . فمن ذلك معنى الحبل نفسهُ فان معناه الاصلي : « هذا الذي يُفتل من الخيوط ونحوها ويُربط بهِ » ثم نُقل الى معنى الرمل المستطيل (كأنهُ على هيئة الحبل) من باب المجاز. وكذلك قالوا شدَّ البناء كما قالوا شدَّ الحبل . وقالوا نقض البناء هدمهُ ونقض الحبل حلّهُ والمعنى فيهما يرجع الى امرٍ واحدٍ وان اختلف التعبير عنهُ . وقالوا تناقض البناء وتناقض الحبل . وانتقض البناء والحبل وانتكث الحبل والبناء الى آخر ما هناك من الامثال العديدة التي نضرب عنهـا صفحاً خوف الاطالة

٦ً العَرَق . انكر عليَّ حضرة الخوري البَرّ تعريب العَرق عن ὄρχος وفضّل على ذلك اخذها من العِرْق من باب المجاز لكن أَيَغرُبُ عن ذهنهِ الوقّاد ونظرهِ النقّاد ان المجاز « لا يكون إلّا باللفظ عينه » فلو كان من العِرق لقالوا عِرْقاً بالكسر لا عَرَقاً بالتحريك . ولو راجع أُمّهات اللغة في هذا الباب لما عارضنا بهذا الجواب . امّا استنادهُ على شهادة الاب لامنس فقد اجبنا عن ذلك في المشرق (٢ : ٨٤٧)

٧ً الفَلَج . لم نرَ في دواوين اللغة الارميَّة ان ܦܠܓܐ تعني الفلج العربيَّة بمعنى النهر الصغير والذي جاء فيها انَّها بمعنى الشقّ والفَلْق او نحو ذلك . وامَّا مشابهة « فَلَجَ » العربيَّة للاصل ܦܠܓ الارمية فلا تدفعنا الى القول بان الواحدة مأخوذة من الاخرى . فهذه النتيجة مخطوءة اذ قد يُعكس القول ايضاً . امَّا الحقيقة فهي ان اللغات السامية تتشابه في الفاظٍ كثيرة بدون ان تكون الواحدة اصلًا للثانية او بالعكس بل يُقال : ان اللفظة ساميَّـةٌ لا غير . ولا تقل ابدًا بانها عربية او ارمية او عبرية او حبشية لان هذه اللغات كلهـا جمعاء اذا اتفقت في مشابهة الصورة الواحدة باللفظ والمعنى كما في فَلَجَ مثـلًا استنتجنا من ذلك انهنَّ اخوات وانهنَّ بنات امٍ واحدة مفقودة وان تلك المشابهة فيهنَّ حادثة من الاصل الواحد وعن رجوعهنَّ اليهِ ليس الّا . ولا يُقال ان العربيَّة من الارميـة او الارمية من العربيَّة إلا اذا كانت تلك اللفظة لا توجد بذلك المعنى في سائر اخواتهـا والامر ليس كذلك في مادة ف ل ج . وعليهِ فكما ان الفَلَج بمعنى النهر تُوجد بالعربيَّة والعبريَّة والحبشية ولا توجد بهذا المعنى في الارمية نستنتج من ذلك انها اذا استُعملت

بمعنى النهر في هذه اللغة الاخيرة فقد أُخذت من احدى اخواتها . ومثــل ذلك الفِلْج او الفالَج بمعنى مكيال ضخم فانهـا لا توجد بهذا المعنى في العبريَّة والحبشية بل توجد في الارمية فقط وعليهِ ففي العربيَّة الفِلج والفالَج بمعنى هذا المكيال دخيــل واصلهُ من السريانيَّة وبذلك صرَّح لغويو العرب . وان كان « يجوز » لنـا ان نقول ان الفلج بهذا المعنى ايضاً عربيٌّ كما انهُ يجوز لنا ان نقول ان فُلْجا بمعنى النهر ارميٌّ وان لم يُستعمل بهذا المعنى الى اليوم على ما وصلت اليهِ ايدينـا من الكتب . وسبب هذا التجوُّز في القول هو « اللُحمَة في الاصل » وكما انهُ جاز لاصحاب لغةٍ من هذه اللغات الاخوات تفريـع المعنى على الاصل الموجود عندهم يجوز ايضاً لاصحاب اللغات الاخوات الأُخَر ان يحذوا حذوهم لان الاصل واحد وعليهِ فيجوز لهم نفس التفريـع الذي فرَّع عليــهِ اخوانهم . فتدبَّر . وقد اشبعنا الكلام في هذه المادة لان نظائرها كثيرة والقول في التعليل واحد

والذي حصَّلناه من انتقاده على هذه اللفظة ان الفلج بمعنى النهر « من موافقات اللغات » لا من « المعرَّبات كما ذهبنا اليهِ اولًا . اذ انَّ اغلب اللغات تتَّفق في ان مادة « ف ل » ومبدلها « ب ل » تدلُّ على المائية ثم زادت كل لغــةٍ حرفًا او حرفين على الحرفين السابقين تفنُّنًا في اللفظ او طلبًا لمعنى توهَّموهُ في الزيادة فالعرب قالت « فلج » واليونان قالوا πέλαγος والحبش والعــبران قالوا פלג واللاتــين flumen او fluvius والفرنسيس fleuve والسنكريت « پْلُو » وهلمَّ جرًّا ثم جاء الابدال فقالوا البَلَل والوَبل والبَوْل وكلها مع مشتقاتها تدلُّ على المائية وهكذا نرى في سائر اللغات السامية . ومن مشتقات اللفظة اللاتينيةُ pluvia والفرنسيةُ pluie بمعنى المطر . ومن ذلك ايضاً vallis اللاتينية و val, vallée, vallon الفرنسية الخ الخ

٨ً الفالِج . بمعنى الداء المعهود هي سامية الاصل . ويجوز لك ان تقول ايضاً انها معربة عن اليونانيَّة اذا كانت بمعنى الداء المذكور لأنَّ العرب كثيرًا ما تحذف صــدر الكلمة المعرَّبة وتُبقي عجزها او تحذف طائفة من حروفها الاولى وتُبقي منها الحروف الاخيرة طلبًا للخفَّة في اللفظ . وكثيرًا ما تعكس هذا الحذف . (راجع المشرق ٢ : ٨٤٢)

واما قول حضرتهِ : « ان اللغويين قد اضطربوا في تحقيق هــذه المادة » الى آخر كلامهِ فليس « دليلًا كافيًا » للقول بانها معرَّبة بل مثل هذا الاضطراب كثير في اللغة

العربية الصحيحة وهذا ناجم عن اختلاف لغات القبائل لا عن اعجمية اللفظ . نعم قد جاء مثل هذا الاضطراب في طائفة من الحروف بمنزلة دليل من الادلة الشاهدة بعجمة اللفظة لا بمنزلة « دليل كافٍ » يُشير وحده الى تلك العجمة وبين الكلامين بَوْنٌ بيّن كما تتحققهُ عند ادنى تدبُّر. واما قولهُ: « اما كلمة فالج فقد صرّح ابو عُبيد وغيرهُ ممن عُني بجمع ما تكلمت بهِ العرب من الكلام الاعجميّ كالجواليقيّ والخفاجيّ وغيرهما انَّها مأخوذة عن السريانية من كلمة « فالغا » وعرَّفوها بانها قفيز » الخ . فنجيب عنهُ:

١ً ان الذي صرَّحوا بعجمتهِ هو الفالَج بفتح اللام لا بكسرها والفِلْج بكسرٍ وكلاهما بمعنى المكيال . ومن احدى هاتين اللفظتين اشتقوا الفعل « فَلَجَ الجزية » اي فرضها . هذا الذي صرَّح بهِ ابو عُبيد وذكرهُ صاحب التاج . ولم نرَ « احدًا » صرَّح بعجمة الفالِج بمعنى الداء . اما عجمة الفِلج او الفالَج للمكيال فلم ننكرها وان كان يجوز لنا انكارها (راجع كلمة فلج) لا بل وقد انكرها سيبويهِ . قال السيّد المرتضى: « قال سيبويهِ : الفِلج : الصنف من الناس . يُقال : الناس فِلجان اي صنفان من داخلٍ ومن خارجٍ . وقال السيرافيُّ . الفِلجُ الذي هو النصف والصنف مشتق من الفِلج الذي هو القفيز » فالفِلج على هذا القول عربيّ لأنَّ سيبويهِ انَّما حكى الفِلج على انَّهُ عربيّ غير مشتقّ من هذا الاعجمي . » كذا في اللسان : انتهى بحرفهِ . ٢ً اين رأى ان الخفاجيّ قال ان الفالَج بمعنى المكيال هو معرَّب فالذي قالهُ هذا نصُّهُ : « فَلَجَ الجزية فَرَضَها معرَّب . ولم يَزِد شيئًا . امَّا كتاب الجواليقي فليس بيدي لأُراجع كلامهُ واتثبت نقل صاحبي عنهُ

٩ً الأُمّ . قد بيّن لنا حضرة الخوري حُوَيس ان للام بمعنى جلدة الدماغ وجهًا في العربيّة من باب المجاز . لكننا كثيرًا ما نرى العرب يؤولون مثل هذه التآويل الفاظًا كثيرة اعجميّة محضة ويدّعون بعربيتها مع بينونة عجميتها وقد مرَّ بك مثل هذا الكلام في مادة الدسَّاس . ومناسبةً لهذا المقام نذكر لفظةً واحد تُشبهُ هذه الكلمة من جهة التصرُّف بعربيتها وتأويلها وهي كلمة « أَلياس » اسم النبي الشهير . قال في شفاء الغليل (في ص ٩) ما نصُّهُ : الياس اسم نبي واسم جدٍّ للنبي صلعم غير عربي . وقيل عربي وزنهُ فعيال من الالس وهو الخديعة واختلاط العقل (!!!) او أَفعال من رجل أَليس اي شجاع لا يفرّ . وقيل سُمّي بالياس ضدّ الرجاء ولامهُ للتعريف وهمزة وصلٍ قال قصيّ :

إنّي لدى الحرب رخيٌّ اللَّبَبِ أُمهتي خندفُ وألياس أبي

وسُمِّي السل: داء اياس وداء الياس لان الياس مات منهُ (كذا). ذكرهُ السهيليّ.
(قلتُ: والذي عندي انهُ من اليأس لان المسلول لا يُرجى لهُ شفاء ومثل اليأس الاياس بمعناهُ) ثمَّ انهُ لا يضرّ المعرَّب كونهُ موافقاً للفظٍ عربيّ كسكّر فانهُ معرَّب. وان كان عربيّ المادَّة بمعنى اغلق. اه

فانت ترى في بعض التآويل من التكلُّف والتعسُّف والتمحُّل ما لا يخفى على العاقل عند أدنى تأمل

منتخبات

من ديوان الدكتور شاكر بك الخوري

وقفنا على ديوان الدكتور البارع شاكر بك الخوري فوجدنا فيهِ من القصائد الحسنة ذات المعاني المبتكرة والابيات العامرة ما كان لنا اقوى دليل على أنَّ الدكتور لا يطبّب فقط الابدان بل يطيّب ايضاً الارواح بطُرَف شعرهِ المطبوع فاحببنا ان نفكّه بشيء منهُ ألباب قرّاء المشرق

فمن ذلك ما قال من قصيدةٍ في مدح المثلَّث الرحمات البطريرك حنَّا الحاج عند ما نال الوسام العثماني الاول في مقابلة ما تبرَّع بهِ على دار المعجزة في الاستانة

ان تُوِّج الرأسُ فالاعضاء نائلةٌ ما نالهُ من رفيع المجد والشانِ
لا يفلحُ المرء يوماً في وظيفتهِ ما لم يكن فيهِ طبعاً شرطُها الباني
شرط الرئاسة قلبٌ لا يخاف اذًى ولا يُبالي بتهديدٍ وعدوانِ
عقلٌ لشهوات نفسٍ عاقلٌ ابدًا قساوة ثمَّ لينٌ بعضَ احيانِ
طَرْفٌ على كل امرٍ ساهرٌ يقظٌ وغضَّهُ عن مُسيء بعض ازمانِ
ولا يضيّع امرًا وقت منفعة ولا يحرّك امرًا وقت خسرانِ
هذي رئاسة دنيا لا تبالي بها ونحن نتبعها حفظاً لوجدانِ
لكن سياسة دينٍ انت تابعها هي سياسة احسان وغفرانِ

ومنها:

احسنت حبًّا باحسان بلا غرض لمذهب او لجنس او لأوطانِ
لا فرق عندك ان اعطيت ذا عوزٍ ما بين ابناء سوريّا وسودانِ

ان كنت بطرك دينٍ عند طائفةٍ فبالمروّة بابا كلِّ انسانِ

ولهُ من قصيدةٍ قالها عند ما جلس على الكرسي البطريركي غبطة السيد البطريرك مار الياس الحويك المشهور بالزهد والتقى والعفة

تزهَّدَ في متاع الارض حتَّى تراهُ كأنهُ فيها الغريبُ
ومن قفل الجيوبَ لزهد دينٍ اليهِ اليومَ تنفتح القلوبُ
علا فوق الثرى حتى الثريَّا بنفس حرّةٍ لا تستهيبُ
سوى ما كان ضدّ الله امرًا وما متضررٌ منهُ القريبُ
لفضلٍ نال هذا العرش حقًّا ولم يمنحهُ ايَّاهُ النصيبُ
وفكرُ الكل متفقٌ عليهِ وفكرُ الكل متفقًا مصيبُ
وشعبٌ واحد لم ينتخبهُ الى هذي الاريكة بل شعوبُ
فكنَّا قبل ان خُضنا حديثًا على خلَف ليحيي(١ مذ يغيبُ
اشار الكل مع شكر اليكم واول شاكرٍ هذا الطبيبُ
اذا سألت قداستكم لماذا اشير اليكمُ فانا المجيبُ
اذا الجنديُّ وافى عن بعيدٍ الم يعرفهُ من زينٍ رقيبُ
فانتم قد لبستم ثوب طهرٍ وذا ثوب البطاركةِ المهيبُ
بهذا الثوب قبلًا قد عُرفتم وليس لعرفهِ امرٌ عجيبُ
فلا لون الحرير ينوب عنهُ ولا يعتاضهُ البرد القشيبُ
تحلُّ البطركيَّة أينَ حلَّت فليس سواه جلباب رهيبُ

ومنها:

نشرتم طيبكم شرقًا وغربًا وليس لفضلكم ابدًا غروبُ
ولا في قولكم اقوال ريب ولا في صيتكم امرٌ يشوبُ
حوى صدقًا وزهدًا ثم علمًا وحبَّ الله صدرُكم الرحيبُ
اذا أُلفيتُ اربعةً سواكم نظيرَكمُ فعن هجوي اتوبُ

وقال عندما نال غبطتهُ نيشان القبر المقدَّس:

لمَّا رأى القبر المقدَّس قلبَكم في كل ليلٍ طائفًا في انسهِ

---

١) يريد المثلَّث الرحمات البطريرك يوحنَّا الحاج سلفهُ

وافــاه بالامس لردّ زيارةٍ ويرى قداسة قلبــهِ في نفسهِ
فزها على صدرٍ يفيض طهارة فكأنهُ لم يفترق عن قدســهِ
وكان الامضاء: قديمًا شاكر الخوري حديثًا شاكر البطركْ
واحيــانًا لمطرانٍ اذا قاسمتني شكركْ

ولهُ في ابنتي الامير سليم بن منصور الشهابيّ واسمهما سلمى واسما وكانت امهما تدعى نورًا. وفي الابيات اشارة الى الامير بشير الكبير الشهابيّ:

تشاورت الفضائل في سماها لتُرسل بعضها للارض قسما
فقد اخذت شهابَ الجوّ سلكًا يضمُّ الارضَ والعلياء ضمًّا
وقد كان الشهاب لنا بشيرًا يبشِّر ارضنا عدلًا وحلما
ولمَّا بات منصورًا عليها فاضحى والدًا والنورُ امًّا
لذا دُعيت بإسم بني شهابٍ وقد اخذت لها في الارض حكما
وقد اعطت لذي عقلٍ سليمٍ ليُعطي الكلَّ ألقابًا وأسما
فسمَّى الظَرْفَ والإدراك سلمى وسمَّى العلم والآداب أسما
فسلمى من عيوب الارض سلمى واسما من سماء الجوّ أسمى

ولهُ في شابٍ اسمهُ فؤاد قصفتهُ المنية في مقتبل العمر وهو ابن وحيد بين سبع اخوات. وكان ذا حسب ونسب وعلم وعمل فقال الدكتور يعزّي والدهُ قصيدةً هذا مطلعها:

ان كان قصد رثائي أن اعزّيكا فلم اجد كلمةً بالقصد تأتيكا
فكلُّنا عند ذا في موقفٍ حرجٍ فالصمتُ احسن شيءٍ من معزّيكا

وقال في ختامها:

ان شئتَ في هذه الدنيا معالجةً في ذا المصاب فلن تلقى مداويكا
فالله اقوى معزٍّ في مصائبنا فهو الوحيد الذي عنَّا يعزّيكا

وقال في حادثةٍ اخرى مثل السابقة بيتًا مفردًا ارسلهُ الى والد الفقيد:

انَّ الذي ابكاكَ قد ابكاني فمن الذي منَّا يعزّي الثــاني

وتوفيت امرأة رجلٍ من اصحابهِ اسمهُ يوسف وكان اسم المتوفَّاة مريم وهي سيّدة فاضلة معروفة بفضلها وعفافها فكتب هذه الابيات تحت صورتها:

تخاصمَتِ السما والارض حتى تنالكِ هــذه او تلك قسما
فضَّلتِ المماتَ على حياةٍ لكي لا تجعلي في الكون خصما

فأعطيتِ السما نفساً تذكّت كما ابقيتِ في ذي الارض جسما
لعفّة مريمٍ جدّدتِ ذكرًا يعطّرنا كما أحييتِ إسْما
فلن ينساكِ يوسفُ حيث أحيا لحسن جمالكِ المشهورِ رسما

ولمّا كان معرض شيكاغو سنة ١٨٩٣ أُقيم لكرستوف كولومب تمثال جميل وطلب اصحابهُ ابياتاً في كلّ اللغات تُكتَب تحتهُ فقال الدكتور شاكر واشار الى اسم كولومب ومعناهُ الحمامة وعرّض بحمامة نوح وبالروح القدس الذي حلّ على المسيح على شكل حمامة :

قد كنتَ حيًا يا كُلمْبُ حمامةً أغنتْ شكاغو عن حمامةِ نوحِ
واليوم فيها قد حللتَ ولم تكن من قوم نوحٍ بل حمامة روحِ
فجميع ألسنة الورى أنطقتها شعرًا على تمثالك الممنوحِ

وقال من مديح لبعض الوزراء نال وسام النسر الاسود وكان سابقاً حصّل عدّة نياشين بحيث اذا عرضها على صدرهِ غطّتهُ لكثرتها :

تسابقتَ في أوْج المعالي مع النَّسر فقصّر عنك فاستراح على الصدرِ
سماءٌ غدا ذا الصدرُ اذ هو قد حوى هلالًا ونسرًا مع بَها الانجم الزُّهرِ
وما انا ممَّن يرصد الصدر ظاهرًا ولكنْ رصدي ما حواهُ من الكبرِ
اذا كان ظهرُ الصدر جمعُ جواهرٍ فباطنهُ جمعُ الشهامة والطهرِ

وقال يذكر صفات الشعر ويذمُّ الذين يسرقون اقوال غيرهم ويكثرون المديح بلا داع ويكرّرون المعاني المبتذلة :

فغيري يقول الشعر عن فكر غيرهِ ويعتبر التقريظ فرضاً لمن وُلُّوا
وينسب للممدوح ما ليس عندهُ ولو كان اعمى العين زيَّنها الكحلُ
ولكنَّ شعري وهو فكري مترجمٌ فؤادي ولم يذكر صفاتٍ لمن يخلو
وما هو عندي مهنة او بضاعة سوى مقصدٍ للجدّ يسترهُ الهزلُ
لذلك لا اخشى بيان حقيقةٍ ولو غضب الموصوف وانقطع الحبلُ
وما حسنهُ الّا حقيقةُ ما بهِ ولا بحرهُ مرٌّ ولا وزنهُ ثقلُ
ولا يحدثنْ للسامعين تثاؤبًا ولا يدَعِ الحضَّار ان سمعوا ولُّوا
ولا الشمس والاقمار والظبيُ والقنا ولا عنترٌ او حاتم لهُ دخلُ
افضّل كَسْر الشعر مع حسن سمعهِ على نظم موزونٍ لسامعهِ قتلُ

ولستُ بنظمي مادحاً من احبُّـهُ ولا هاجياً بل قائلًا ما هو الشكلُ
فشعريَ للموصوف مرآةُ خلقـهِ يُري صورة الموصوف فهو لهُ ظلُّ
لذلك ان ابديتُ هجواً ومدحـةً فكن واثقاً فيما اقولُ ومـا اجلو

وتشكَّت اليهِ امرأة بعض الوجهاء من قصيدة قيلت فيها وكان ناظمها قد بالغ في الاوصاف اذ شبَّهها بالبدر والشمس وما شاكل ذلك فقال الدكتور بديهاً :

ما شبَّهـوكِ بالبدور لنورهـا ما انتِ حقًّا للشموس ضيـاءُ
لكن لبعد منالها ووصالها فهي وانتِ بالنوال سواءُ

فكان سرور السيّدة بهذين البيتين اكثر منها بقصيدة الناظم رغماً عن اسهابها في الوصف

ومن فكاهاتهِ ما قالهُ في امير يُدعى حافظاً كان عيّاً لا يحسن الجواب لكنَّ الدكتور شاكراً باحثهُ مدّة فكان يجيبهُ حسناً فتعجب الناس من ذلك. فقال :

اميرٌ حافظٌ ابدًا صموتٌ وقد عدوهُ من بُكمِ الزمانِ
وقد انطقتُـهُ لمَّا رآني فظنُّوا انَّني بلعام ثانِ

وقال في رجل يدعى يونس طلب من بعض الوجهاء ان يتوظَّف عندهُ :

أيا من نجلُ لهُ مجلسا أيونس تختارهُ مؤنسا
ألا تذكرُ الحوت مع هضمهِ عقيب الثلاثة قا (١ يونسا

ولهُ في احد اصدقائهِ يدعى شكري كان نسبهُ الى المبالغة في بعض اقوالهِ :

نعم انَّ شعري في الانام حقيقـةٌ فلا احدٌ في الكون يسطو على فكري
ولستُ لغير الحقّ يوماً بشاكرٍ وان قلتُ غير الحقّ فليلعنوا شكري

وكتب تحت صورة سيّدة تُدعى مريم تصوَّرت ببزَّة الحرب على شكل المرّيخ اله اليونان :

لبستِ لبس إلاهٍ قد كان في الروم يُكرَمْ
فنحنُ ابناءُ قومٍ لنا عبادة مريم

وكتب تحت صورة سيّدة أُخرى تصوَّرت على هيئة الجنّ بشباكٍ على جسمها :

مهما اشتبكتِ بسرٍّ هل تُخفي شمساً شباكُ
وان لبستِ كجنٍّ ما انتِ الّا مـلاكُ

١) اراد « قاء » فخفف

وجرى لهُ خصام مع رجلٍ من احدى أُسر لبنان الشريفة يدعى شبلًا فارسل الى اهلهِ هذين البيتين :

لكم يا بني السادات في الناس رفعةٌ فما احدٌ من فوقها ابدًا يعلو
فانتم اسودُ الغاب في حومة الوغى فاعلاكمُ سبعٌ وادناكمُ شبلُ

واتاه رجلٌ مفرط السمن فجلس على مقعد دارهِ فانكسرت خشبتـهُ المعروفة بالجحش ثم اعتذر بان الجحش ركيك فقال مازحًا :

سمينٌ قد علا ديوانَ داري فكسّر جحشهُ وبغى اعتذارا
فقال يخور جحشُك قلتُ كلاً فانَّ الجحش لم يحمل حمارا

وكان في ليلة ساهرة مع قوم يتناشدون الاشعار اذ ملُّوا وطلبوا الورق ليلعبوا فساء ذلك الدكتور شاكرًا فقال :

ولقد حفظتُ عن المسيح وصيةً اي قولهُ لا تحقدوا بل اصفحوا
وعصيتهُ في طرح نظمي بينكم يا ليتني لم اعصِ في لا تطرحوا

يريد قول الرب : لا تطرحوا جواهركم امام الخنازير

واتاه رجلٌ كان عرفهُ في مصر يبيع التبغ وادَّعى انهُ صار لهُ هناك اعتبار كبير وان الكلَّ يكرمونهُ فقال الدكتور:

تقول بمصرٍ قد غدوتُ مكرمًا فما عندنا شكٌّ بفوزكَ والنَّصرِ
لقد ذكر التاريخُ من قبلك لنا بانَّ اخاكَ الثورَ يُعبَـدُ في مصرِ

ودخل على رجل يحبّ المقامرة فكلَّمهُ في شيء وهو يلعب. فلمَّا انتهى اللعب وخسر الرجل قال : انَّما خسرت لانَّ الدكتور شاكرًا ألهاني عن التروّي اللازم فقال عن لسانهِ :

الهيتني يا شاكرًا ما هكذا فعلُ الصديقْ
فاجبتهُ اني الذي يلهي الحمار عن العليقْ

وقال في احد الكهنة من بيت الاسود (والاسود الحيَّة) تخرَّج في مدرسة الآباء اليسوعيين :

رجالُ ايشوعَ اضحوا اعجوبةً في المساعي
لو ارشدوا اليوم ذئبًا لاصبح الذئب الراعي
وخيرُ سعيٍ اتوهُ تغيير نَسل الافاعي

وللدكتور الشاعر فكاهيَّات أُخرى كثيرة سينشرهـا قريبًا في مجموع ديوانهِ الذي دعاهُ « مجمع الحشرات » وفي ما اقتطفنا منها دليل للقرَّاء على ما لصاحبهـا الاديب من طلاقة اللسان وجودة المعاني وسلاسة التعبير

الاديار القديمة في كسروان

دير ماري شليطا مقبس ودير مار يوحنا حراش

لحضرة الاب الفاضل ابراهيم حرفوش المرسل اللبناني (لاحق بسابق)

حالة دير مار شليطا من سنة ١٦٤٠ الى ١٦٨١

البردوط سركيس محاسب الرئيس الثاني على مار شليطا والعلامة الدويهي

خلف القسَّ حنا محاسب باني دير ما شليطا ورئيسَهُ الاوَّل ابنُ اخيه البردوطُ سركيس محاسب بن خليل محاسب وكان لبس الاسكيم الرهباني منذ نعومة اظفاره تحت ادارة عمه القس حنا الرئيس الاوَّل وتولَّى على الدير قبل موت عمه بخمس سنوات اي سنة ١٦٣٥ استنادًا الى كتابة محرَّرة على هامش كتاب من كتب المكتبة. ولم يُرزق الدير قطّ حظًّا رُزِقَهُ ايَّام رئاسة سركيس فازهر بالفضيلة والعلم ونجح في الماديّات. الَّا ان الفخر الاثيل الجديد بالذكر الذي فاخر بهِ الاديار هو حلول الدويهي في ربوعه ولذا يجدر بنا ان نستطرد الكلام الى ذكر مآثر شخصين جمعتهمـا العناية في هذا الدير في عصر واحد فنتكلم اولًا عمَّا فعلهُ البردوط سركيس في جانب ماديات الدير وادبياتهِ ثم ننتقل الى آثار علامتنا الدويهي في مار شليطا وهذه الآثار ايضًا منها ماديَّة ومنهـا ادبيَّة. فالمادية اخصها بناء محلٍ لسكنى البطاركة وبناء مار عبدا القائم على شاطئ نهر الكلب والحاقهُ بدار مار شليطا مقبس كما يشير الى ذلك في تاريخهِ (صفحة ٢٥٠). اما الآثار الادبيَّة فهي قداسة السيرة والمثل الصالح امام جمهور الدير وهذا تدلنا عليهِ ترجمتـهُ التي وعدنا مرارًا بنقلها عن تاريخ الازمنة المحفوظ في مكتبتنا دير الكريم. ومن مآثرهِ ايضًا من هـذا الباب انهُ نفخ في صدور سكان هذا الدير روح محبـة العلم فحدا بهم الى نسخ الكتب وعزَّز المكتبة بان احضر اليهـا مجلَّدات عديدة بقي منها حتى الآن قسم كبير رغمًا عن طوارق الحدثان وتلاعب الايدي بهذه الكنوز التي جهل قيمتها اهل بلادنا في عصرِ مدّ الجهـل سرادقهُ فوق روُوسهم . ثم نلحق ذلك بايراد بعض كتابات صدرت من ديوانهِ عثرنا عليها بين اوراق الدير

ولنبدأ الان بذكر ما فعلهُ البردوط في جانب مادّيات الدير وادبياتهِ. قال الدويهي

في معرض كلامهِ عن البردوط (صفحــة ٢٤٩ من تاريخهِ المطبوع): « واقتنى للدير عقارات كثيرة ». والحق يقال ان صكوك المشترى الموجودة حتى الآن في الدير تحقق ما تقدم ففي سنة ١٦٤٦ اشترى عقاراً للدير من خليفة بن الغبالي من قرية بطحا المجاورة لقرية غسطا. وسنة ١٦٥٧ اشترى الاراضي المجاورة لجهة الدير الغربيَّة من اولاد رزق ابن المقدَّم من درعون. ولمَّا ان رأى سكَّان كسروان فضيلة سركيس ورهبانه وما ينجم عنهم من الخير اخذوا يتسابقون في وقف ما يملكونه لوجه الله الكريم حبساً على الدير ففي سنــة ١٦٤٢ وقف ابو سلامه عويظا من قرية دلبتــا كامل املاكه فيها على الدير على يد المطران اسحاق الشدراوي ومن الشهود يوحنــا ابن المطران المذكور والخوري حنا من اصنون(١. وعثرتُ بين اوراق الدير على وصية امرأة من بيت محاسب صوَّرت لي بنوع حسي فلسي ارملة الانجيل وهذه الوصية كتبها البردوط بخطّ يده ننقلها هنا بحرفها الواحد بياناً لطريقة الانشاء في ذاك العصر

« وصية ام عبد الله بنت الخوري حنا محاسب »

« انا الخوري سركيس خادم دير مار شليطا كنت حاضر على هذه الوصية وكان حاضر ايضاً زوجها ابو عبد الله وسلفها ابو سليمان سميا وصهرها ادريان وحماهم وصَّت ان العريشة القاربة التي فوق عين الجرن (٢ تكون لدير مار شليطا في قداديس. ووصت في عريشة مرواح تكون اختها « الحجَّة رفقة » تتصرف فيها وتتقدس لها. ووصت ايضاً في حملين ورق وشبّوق زعرور على دالية قاربة يكونوا لابنتها العمياء. ووصت ايضاً ان اولاد اخوها يقدسوا لها ٤٠ قداس واولادها لا يستحقوا عند اولاد اخوها حق من حقوق الشرع. وهذا الذي صار قدامي وكتبت هذه الوصية في هذه الورقة بعد موتها بعشرين يوم وكتبناها لاجل خلاص ذمتهــا وذمتنا. كُتبت في ١١ يوم من شهر ايلول ١٦٥٥ ربانيَّة »

ومَّما فعلهُ ايضاً في جانب مادّيات الدير تجديده بناء الكنيسة. قال الدويهي (ص٢٤٣):
« سنة ١٦٧٢ لمَّا وقعت كنيســة مار شليطا مقبس جددها الخوري سركيس على يد البنَّاء القس جرجس الاميوني (٣ »

وتاريخ هذا التجديد ملصوق على جدار الكنيسة الغربيّ على يمــين الداخل من بابها الغربيّ باحرف سريانيَّة:
« ܫܢܬ ܡܫܝܚܐ ١٦٧٢ ربأن تجدد هذا الهيكل المبارك في ايام سيدنا البطرك الانطاكي

١) قرية من قرى الزاوية لجهة الجنوب الغربي من زغرتا
٢) هي العين التي يستقي منها اهل غوسطا حتى ايَّامنا
٣) ان في تاريخ الازمنة الخطي المحفوظ في مكتبتنا بعض اختلاف بشأن نسب القس جرجس

اما ما فعلهُ البردوط بشأن الادبيات في ديره فنقول ان ما كتبهُ عنهُ الدويهي (في الصفحة ٢٤٩ من تاريخهِ) اكبر دليل على حسن حالة الدير من حيث الفضيلة والسيرة النسكية قال الدويهي عنهُ: «كان رجلًا دينًا عابدًا سمحًا فأدخل سيرة النسك في

والشيخ ابو نوفل واولاده المكرمين وبعناية ابن المحاسب الخوري سركيس وكان البنّا القس جرجس» نورده هنا نقلًا عن الصفحة ٣٣٢ «ثم ان الكنيسة هبط قبوها وعاد القس سركيس فجددها في سنة ١٦٧٢ مسيحية على يد القس جرجس البنّاء الذي في الاصل كان من اميون من بيت العازر ثم لبس اسكيم الرهبنة على يد القس يوسف بن اصاف وتبع الكنيسة الرومانية» انتهى

ومما نعرفهُ عن هذا القس الماهر بصناعتهِ في ذاك العصر ان الدويهي استخدمهُ في كل البنايات التي سعى بانشائها. تشهد على ذلك كتابة علقها بشأن عمار دير مار سركيس اهدن راس النهر ودير مرت مورا ودير سيدة حوقا عثرت على هذه الكتابة في آخر تاريخ الازمنة الخطي في مكتبة الاب اغناطيوس المعادي في قرية مراح الزيات نوردها بحروفها بيانًا لتاريخ هذه الاديار ونشرًا لبعض حسنات الدويهي التي يعجز عن وصفها وتعدادها الواصفون

ܐܣܛܦܢܘܣ ܦܛܪܝܪܟܐ ܘܐܦܣܩܘܦܐ ܡ (١

« فلمّا كان تاريخ سنة ١٦٩٠ في التشارين كان تجديد مجلس دير مار سركيس اهدن راس النهر وذلك ان العمارة القديمة كانت على قناطر في التحتى والعليا وبعد ما ترعزعت رمّمها ابن عمنا المطران بولس المرحوم مرتين. وبعد منهُ سكن في الدير ابن اخينا الخوري ميخائيل ردم قناطره في زمانه ثم بعد مدّةٍ من الزمان القناطر رفست الحايط الغربي وانشق السقف ثبت مدةً لا احد يسكنهُ ولا يعرفهُ ولا يعدلهُ حتّى دثر اساسه فوضعنا يدنا عليهِ وعزلنا القناطر كلها واقمنا حايط متين في الوسط وعمرنا قبـوين في السوق الجواني قدام كل كنيسة قبو وفوق منهم قلالي والسوق البراني على خشب واقمنا الحائط الغربي من الارض وطالع وكانوا معلمين اربعة من رشميا والمتكلم عليهم ولدنا القس جرجس البنّا الماروني اصلـه من قرية اميون في الكورة ودورنـا طاحون وكل دائرتها خير ما كانت اولًا ثم اننا رفعنا ابن عمنا القس جبرائيل الى درجة المطرنية وصرفناه فيهِ. وكذلك سنة ١٦٩١ عنـد ما ترهب ابو مخائيل انطونيوس من اصنون مسكنا يده وعمرنا لهُ دير مرت مورا فكان كلهُ خراب ما عدا الكنيسـة وعمرنا السوق الشمالي والخزانة التي بين الكنيسة والشير اقبية فوق منهم عليتين. اسأل الحق سبحانهُ وتعالى يرزقنـا شفاعة هؤلاء القديسين ودعاء الكهنة والرهبان الذين يخدموهم

«ثم حدث ان هبط حايط سيدة حوقا البراني الذي هو داخل الدارة وبادرنا الى محبية المعلمين في اصلاحها وكان ذلك في ايام اخينا المطران يوسف سليمان المترؤس على الدير المذكور كانت سنين صعبة بسبب عزلة بيت حماده من الحكم وتغيّر الدول سبحان من يغيّر ولا يتغير. ثم في سنة ١٦٩٥ اندعوا اولاد عميره على بساتين دير راس النهر في قرية زغرتا وكنا نحن غايبين فدفعنا لهم ٣٠ غرش وابطلنا دعوتهم قدام اولاد الضيعة وكتبوا لنـا حجة ان ما لهم حق ولا مستحق في

---

١) هذه الميم(ܡ) مقطوعة من كلمة ܡܫܟܝܢܐ اي الحقير. وعليهِ فليصلح ما جاء في الحاشية ٢ من الصفحة ٣٠٢

بلاد كسروان . . . وكتب بخطّ يده مجلدات عديدة وكانت لهُ هيبة وكرامة عند جميع الناس حتى صار قدوة صالحة لكل الرهبان»

ومن المعلوم انّ مَثل الرئيس يؤثّر في المرؤوسين وممّا كتبهُ الدويهي عن الرئيس ينبئنا عن حالة مرؤسيه فكانَ سركيس ورهبانه الافاضل يقضون النهار مشتغلين في حراثة الارض على مثال النسّاك الاقدمين ويأتون مرارًا الى الكنيسة لقيام الفروض الالهية يسبحون ربّهم قسماً كبيرًا من الليل محاربين الجسد المتمرّد. وفي ايّام الاحاد والاعياد كنت تراهم مشتغلين بنسخ الكتب تشهد لذلك العبارة المعلقة على اكثر كتب المكتبة التي نسخها رئيسهم البردوط مع رهبانهِ وهي بحروفها: «وانكتب هذا الكتاب ايام الاحاد والاعياد»

وقد بحثنا بحثاً حثيثاً في المكتبة لعلّنا نهتدي الى تلك المجلدات العديدة التي نسخها سركيس كما قال الدويهي فلم نعثر الّا على ما يلي فكأن الايادي تناقلتها الى حيث لا نعلم وذهبت فريسة عدم الاكتراث والحرص. وهاك فهرست ما نسخهُ البردوط حسب تاريخه

سنة ١٦٣٤ نسخ منطق يوحنا الدمشقيّ . عثرت على هذا الكتاب في قرية جران عند الخواجا فارس طنّوس الخوري المعادي وفي آخرهِ ما يلي:

«الله يرحم يد خطّت وسطرت يا قاري الخط بالله قول امينو (امين). تمّ كتاب يوحنا الدمشقي القس العظيم بعون الله وحسن توفيقهِ كان الفراغ من نسخته بشهر اب بخمسة وعشرين سنة اعحج ١٦٣٤ ربانية في ايام سيدنا البطرك حنا المدناني (١ الجالس على كرسي دير الست السيدة مرت مريم قنوبين وفي ايام سيدنا المطران اسحاق الشدراوي وفي ايام سيدنا المطران جرجس ابن عميرا وفي ايام سيدنا المطران يوسف العاقوري وفي ايام سيدنا المطران يوسف البلوزاني القاطنين في دير قنوبين يرحمنا الرب في بركة صلواتهم. وكمل هذا الكتاب على يد الخاطئ الحقير الراهب سركيس ابن الحاسب من قرية غوصطا الله يحرسهُ من كلّ شرّ شيطاني امين . وقبل تلك السنة بسنة جات الاجربي (٢ في البحر الى ابن معان (معن) وجا كجك احمد من الشام وحرقوا بلاد الشوف والحمد لله وحده امين. وهذا الكتاب لا ينباع ولا ينشرا لان انكتب فيهِ في ايام الحدود والاعياد الربانية وكل من يجاسر يبيعهُ ام

دير راس النهر ولا بشيء من رزقه ساحل جبل تحريرًا في سنة ١٦٩٣

١) لعلّهُ اراد سنة ١٦٣٣ لانّ في سلسلة البطاركة للعلامة السمعاني التي طبعها القس يوحنا نطين وفي سلسلة البطاركة للعلاّمة الدويهيّ (المشرق ١ : ٣٥٢) ورد ذكر وفاة يوحنا مخلوف في ١٠ كانون الاول سنة ١٦٣٣

٢) يريد الاجربة جمع جراب . قال في القاموس : هي السفينة الفارغة

يشتريه يكون محروم من الله ومن جميع القديسين لكن ينمار محبة الى المحبين حتَّى يقروا فيهِ ويردُّوهُ الى موضع اخذوه وبعده بالسريانية : ܐܫܬܠܡ ܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܒܪܟܐ ܡܠܦܢܐ ܠܬܐܘܠܘܓܝܐ ܘܠܦܝܠܘܣܘܦܘܬܐ ܫܢܬ ܐܠܦ ܘܫܬܡܐܐ ܒܝܘܡܝ ܥܡܝ (١ ܟܘܪܝܐ ܝܘܚܢܢ ܘܒܝܘܡܝ ܕܟܘܪܝܐ ܐܒܪܗܡ ܘܐܚܐ ܕܝܪܝܐ ܓܘܪܓܝܣ ܘܐܠܝܐ ܡܥܡܪܝܢ ܒܕܝܪܐ ܕܡܪܝ ܫܠܝܛܐ(٢ » انتهى

وسنة ١٦٣٩ نسخ الانجيل عربيًا باحرف سريانيَّة وعبارته سخيفة للغاية وفي آخره عبارات سريانيَّة يستدل منها على اسماء المعاصرين من بابا وبطريرك واساقفة وكهنة ورهبان سكان الدير المذكور ثم كتابة عربيَّة بما معناه « وكان المعتني بكتابة هذا الانجيل (اي قدَّم لوازمهُ من حبر وورق) ابراهيم ابن طانيوس من قرية اهدن »

وسنة ١٦٤١ نسخ اسفار الانبياء واسفار الملوك وسفر طوبيا بالعربيَّة. وفي آخر الكتاب ما يلي (بحروفهِ) :

اذا لم تكن تقرا وانت فاهمو فموتك اخير من حياتك دائمو

نهارك بطأل وليلك نائمو وعيشك في الدنيا كعيش البهائمو

هذا ما عثرنا عليهِ من الكتب المخطوطة بيد هذا الفاضل ونأسف على فقدان باقيها ثم انَّنا لا نرى بدًّا من نشر فضل شخصٍ خصَّهُ الدويهي بعبارة ثناء في تاريخهِ وهو القس جرجس افرام الباني الناسخ الشهير في مكتبة مار شليطا وهاك عبارة علامتنا : « وكان رفيق البردوط سركيس في التعب والرهبانيَّة القس جرجس ابن افرام الباني ». والحق يقال ان هذا الراهب يستحقّ ان يذكر اسمهُ على صفحات المشرق فقد خلف في المكتبة مجلات عديدة لم تزل حتى الآن في الدير رغمًا عن تلاعب الايدي بهذه المخطوطات نذكرها هنا تباعًا ثم ننتقل الى ذكر كتب اخرى نسخها غيره من الرهبان سكان الدير. اما الكتب التي اتى بها العلامة الدويهي الى المكتبة فانَّنا نأتي على ذكرها بعد سرد ترجمتهِ. وهاك فهرست الكتب التي نسخها القس جرجس افرام الباني

سنة ١٦٥٠ نسخ وهو بعد شدياق كتابًا عنوانهُ « شرح تعليم الكاهن ورتبته ودرجته في بيعة الله » ولا ذكر للمؤلف وممَّا يتبادر اليهِ التصوّر ان واضعه احد تلامذة مدرستنا المارونيَّة في رومية. وهاك بعض هذا الكتاب : الفصل ١ في معنى اسم الكاهن.

---

١) معناها هنا عمي الخوري حنا

٢) اي تمَّ هذا الكتاب المبارك الحاوي تعليمًا لاهوتيًا وفلسفيًا سنة ١٦٣٤ في ايَّام عمّي الخوري يوحنا وايَّام الخوري ابراهيم والاخوة الرهبان جرجس واليًا الساكنين في دير مار شليطا

ف ٢ في بيان فرق الكهنة (اي وجه الفرق بين كهنة العهد الجديد والعتيق) . ف ٣ في تفسير دستور (سلطان) كاهن نصراني الخ . والكتاب مقسوم الى خمسة كتب

سنة ١٦٥١ نسخ كتاباً عنوانهُ « الكمال المسيحي تصنيف الكردينال ريشليو امير من امراء فرنسة وحوى ٤٦ فصلاً » كذا بالحرف . وفي آخر الكتاب ما يلي :

كمل هذا الكتاب في نهار الاحد في عيد القديس انطونيوس ١٧ من ك ٢ سنة ١٦٥١ وكان كمالهُ على يد انسان خاطي غشيم يدعى باسم شدياق جرجس ابن افرام المرحوم من جبل لبنان من القرية المعمورة بان وكان كماله في الدير المعمور مار شليطا مقبس عمال بلاد كسروان على زمان قدس سيدنا ماري اينوشنسيوس وعلى زمان وكيله في الشرق مار يوحنا بطرك الموارنة وفي ايَّام ساداتنا المطارنة اولًا المطران اسحاق الشدراوي والمطران ايلياس الحدناني والمطران يوسف الحصاراتي والمطران بولس الصمراوي والمطران جرجس البشعلاني (حبقوق) والمطران يعقوب الرامي والمطران مخايل الحصروني والمطران يعقوب العنتاري وفي ايَّام معلمي الخوري سركيس رئيس الدير المعمور وايَّام اجاني الكهنة الخوري مخايل والقس عازر والقس حنا والقس صافي والقس بطرس والقس نجم والخوري جرجس والقس ايلياس والشدياق يوحنا ابن حبيش

ويلي ما تقدَّم :

هذا كتبتهُ يدي والخط يشهد لي اني ساتركهُ يوماً وارتحلي (ارتحل)
يا ساكن الدار لا تنسا الرحيل ابدًا وكل ساكن دارٍ سوف يرتحلي (يرتحل)

وقد اعتاد النساخ كتابة مثل هذه العبارات المؤثرة . ففي آخر الانجيل العربي الذي عرَّبهُ الشيخ يعقوب الدبسي الحلبي وجدت هذه العبارة لناسخ الكتاب وهو زخرَّيا بن مرقس الكاتب الملكي (كذا يدعو نفسه) والكتاب في مكتبة طائفتنا في حلب قال : « اليد التي رسمت اقوالك تنبسط لغفرانك والراس الذي انحنى في كتابتك يرتفع يوم اتيانك والعينان اللتان قوَّمتا الفاظك تبصران مجد ملكوتك » انتهى . وهذا الكتاب مثال جميل للخط النسخي الكامل الصفات

وسنة ١٦٥٢ نسخ كتاباً عنوانهُ « نبدأ باسم الله وحسن توفيقهِ نكتب اخبار حياة القديسين وبعض من حياة سيدنا يسوع المسيح » . وفي آخر الكتاب : « كمل تفسير حياة القديسين الذي اعيادهم مأمورين من اب الآباء وراس الاحبار العظيم بابا رومية في جميع المسكونة وهم المذكورين في الاشهر » . وهذا الكتاب عبارة عن مختصر سنكسار رتَّبهُ احد تلامذة رومية (١ ومنهُ ينتج انهُ كان للسنكسار في طائفتنا نسخ عديدة

١) ان اول من ادخل عندنا السنكسار الروماني هو ابن القلاعي . ففي تاريخ الازمنة الحطي

قبل ان جمعهُ ورتبهُ السعيد الاثر المطران جرمانوس فرحات وتُرى حتى الآن في دير سيدة طاميش المسودّة بخط يد هذا الاسقف. وقبل ان سعى المطران جرمانوس بهذا العمل المفيد كنت ترى في اخر فرض كلّ من القديسين حياة صاحب العيد. ومما يُظن ان احد تلامذة رومية سعى اولًا بجمع شتات السنكسار فضمهُ الى مجلد واحد وزاد عليهِ تذكارات مأخوذة عن سنكسار الكنيسة الغربيَّة. واقدم كتاب من هذا النوع بعد هذا الكتاب الذي وجدتهُ في مار شليطا السنكسار الذي نسخهُ القس اندراوس ابن الخوري آصاف وهو في مكتبة دير مار عبدا هرهريا نُسخ سنة ١٦٦٠ تحت نمره ٣٨٧ وقد فُقدت اوراقه الاولى وفي آخره حياة ماري اغناطيوس مؤسس الرهبنة اليسوعية. وفي مكتبة حلب نفسها يوجد نسختان للسنكسار وعنوان النسخة الواحدة «سنكساري حسب الشرقية» والاخرى «سنكساري غربي». الا ان هذا السنكسار الاخير لم يدرج في الطائفة كما يستدل من كتابة عثرتُ عليها في غوسطا ملصوقة على كتاب رسائل بولس الرسول المطبوع لاول مرة في قزحيا: وهذه الكتابة يظهر منها فائدة تاريخيَّة مهمَّة عمَّا جرى على الكوديكس او فهرست الاعياد من التقلب في طائفتنا الى ان رتَّبهُ اخيرًا البطريرك يوسف التيان وهو المعول عليهِ في ايامنا (١. وهذه الكتابة هي للبطرك يوحنا الحلو وها كها بالحرف:

«فليكن معلومًا عند الجميع انهُ اذ كان تقسيم فصول رسائل ماري بولس هذه طبعت حديثًا في قزحيا لم يطابق اعياد طائفتنا المارونيَّة حسب ترتيب السنكساري الدارج عندنا بل انهُ مطابق السنكساري اللاتين الذي ترتَّب في مدينة حلب اولًا في انهُ يدرج في الطائفة لكنهُ ليس فقط لم يسلك في الطائفة بل قد تحرّم استعمالهُ في المجمع الذي انعقد بزمن سالفنا البطرك سمعان عواد الصالح الذكر في دير مار انطونيوس بقعاته(٢ بموجب رأي مطارين الطائفة وعلمائها وارادوا بان تستمرّ الاعياد والتذكارات في موقعها حسبما هي معينة في السنكساري القديم الذي تهذب اعرابه من المطران جرمانوس فرحات الصالح الذكر لما كان راهبًا في دير مار اليشع. ولهذا السبب قد سبق سالفنا

في مكتبتنا صفحة ٣٠٨ لما يعدد الدويهي مؤلفات ابن القلاعي يقول هذه العبارة بالحرف «ونقل الاستنكسار الروماني الى العربي»

١) قابل بين كلندار الطبعة الاولى للشحيم في رومية وبين كلندار الطبعة الاولى لكتاب قداسنا الخ وبين الكلندار الذي وضعهُ البطرك يوسف اسطفان ٢) عقد سنة ١٧٥٦

البطرك يوسف تيان المحترم ورتب تقسيم فصول الانجيل على ايام الاشهر حسب هذا السنكساري المار ذكره كما هو مطبوع في كتاب قنداق القداس الذي طُبع في قزحيا. ولكي يكون تقسيم الرسائل مطابقًا تقسيم الاناجيل التزمنا رتبنا هذا الفهرس الشهري لان الفهرس القمري مطابق للسنكسار القديم فلا يلزم تغييره. حُرّر في ١٧ تموز سنة ١٨١٩ مكان الختم الحقير يوحنا بطرس

البطريرك الانطاكي

فهذا ما توصلنا اليهِ من معرفة تاريخ التقلُّبات التي جرت على الكلندار بوجه الاختصار والتغييرات التي جرت على السنكسار قبل ان رتبهُ المطران جرمانوس. غير ان المجمع اللبناني يشير الى ضرورة تأليف لجنة للنظر بامر هذا السنكسار وغيره من الكتب الطقسيَّة واصلاحها وكل يعلم ما في السنكسار من الشبُهات والروايات التي يقتضي اسنادها الى اقوال المدققين والمؤرخين الموثوق بهم كالبولنديين وغيرهم

وسنة ١٦٥٣ نسخ القس افرام المذكور كتاب مقتطف الاسرار ليوحنا الحويشي المعمدان الحصروني الدومنيكي الماروني (انظر تاريخ الدويهي). وفي آخر الكتاب ان القس ايلياس احد رهبان الدير كان بدأ بنسخه ومات قبل ان ينجزه فكملهُ القس جرجس افرام الباني

وسنة ١٦٥٧ نسخ كتاب مواعظ المطران يوسف حليب العاقوري

سنة ١٦٥٨ نسخ مواعظ ابن القلاعي واول عظته بدءوها كما يلي: «يُقرأ يوم حد السبعين وهو أحد الريسة. والشاهد الاولون يصيرون اخرين». وكنت اودُّ الاطالة في وصف خواصّ هذا التأليف بيانًا لطريقة الانشاء في عصر ابن القلاعي الّا انّني عدت بعد مدة الى المكتبة فلم اجد الكتاب هناك... ونسخ في هذه السنة لاهوت العلامة ناقرا وهو مترجم بقلم احد تلامذة رومية

وسنة ١٦٦٠ نسخ كتاب شرح الاعتراف ولعلهُ لابن القلاعي ايضًا فان الدويهي في تاريخهِ (صفحة ١٥٣) يشير الى ان ابن القلاعي وضع كتابًا في هذا المعنى

وفرارًا من الاطالة نقول انهُ يوجد لهذا الناسخ عدا ما تقدَّم مجلدات أُخرى روحية اكثرها ممَّا ترجمهُ تلامذة رومية لافادة الموارنة نضرب عن ذكرها صفحًا. هذا ما عدا الكتب التي يحتمل أنَّهُ نسخها للعلامة الدويهي عند اشتغاله بالتأليف في هذا الدير. ومن

المعلوم ان عددًا عظيمًا من هذه المجلدات قد استصحبه السمعاني معهُ الى رومية وقسم آخر منها تناقلتهُ الايدي . فرحمة الله على فضلاء الرهبان

امّا ما نسخهُ باقي سكان الدير من الكتب فهو دون النزر وليس من وراء سردهِ افادة الّا اننا نخص بالذكر منهم راهبًا فاضلًا قضى مدةً في هذا الدير ثم انتقل الى ريفون مع ابن عمته المطران يوسف مبارك الرئيس الاول على دير تلك القرية وكتب هناك عدة كتب وهو الخوري عون نجيم الغسطاوي وسنتكلم عن الكتب التي نسخها في مقالتنا على دير ريفون

هذا ما امكننا التوصل اليهِ من حالة الدير في رئاسة البردوط سركيس . وفي عدد آخر نوجّه الابصار الى شخص الكمال السعيد الاثر البطريرك اسطفان الدويهي الذي نزل هذا الدير وشرّفهُ باعمالهِ الخطيرة (الباقي للآتي)

كفن السيد المسيح

في مدينة تورين

نظرٌ للاب لويس شيخو اليسوعي

ها قد مرَّ اربع سنوات مذ طرق اسماعنا خبر عجيب دوى لهُ عالم العلم والدين معًا . بشّرتنا الجرائد والنشرات العلمية انَّ احد مشاهير المصوّرين رسم بالتصوير الشمسي نسيجًا كان يزعم الكاثوليك استنادًا الى تقليدٍ قديم انَّهُ ذخيرة كفن المسيح وكان على النسيج آثار دارسة لشخصٍ يصعب تمييزهُ فاذا بالصورة الشمسيَّة بيَّنت صورة بديعة تمثّل المسيح كما سُجّي ساعة وضعهِ في قبرهِ . فلم تزل مذ ذاك اليوم تتناوب في المجلّات مقالات العلماء فنهم من يُفتي بصحّة الكفن ومنهم من ينكر وينسب هذه الصورة الى بعض المصوّرين في القرون المتوسّطة وطال الجدال وكثر القيل والقال

وكنّا نحن في اثناء ذلك نرصد حركات المناظرين لنميّز الغثَّ من السمين ولذلك سكتنا حتى الان لئلا نُلقي بقرّائنا في دركات الضلال والبهتان ريثما تبوخ نيران الخصام ويهدأ قسطل المجادلين فيعود بينهم السلام . واليوم رأينا هذا الامر لم يعُد محصورًا في

دوائر الصحافة بين اهل الجرائد بل اعارتهُ الندوات العلميَّة بالَا فاخذ الأعلام من ارباب العلم يتباحثون في شأنهِ ويرون فيهِ من العجائب ما لا يمكنهم ضرب الصفح عنهُ. فمن ذلك انَّ المكتب العلميّ الفرنسويّ ادرج في مجلَّتهِ الشهريَّة مقالةً خطيرة في هذا الصدد. فلا نُدحة بعد ذلك من ان نوقف قرَّاءنا على حقيقة الامر جارين في ذلك مجرى العلم دون تطرُّف. ومراعاةً لايضاح المقصود نذكر اوَّلًا تاريخ هذا الكفن ثمَّ نبحث ثانيًا عن الصورة التي يمثّلها

١

يفيدنا الانجيل الطاهر (متى ٢٧ : ٥٩ ومرقس ١٥ : ٤٦ ولوقا ٢٣ : ٥٢) انَّ يوسف من الرامة طلب من بيلاطس جسد السيد المسيح بعد موتهِ على الصليب واشترى كتَّانًا نقيًّا ولفَّهُ فيهِ قبل ان يضعهُ في القبر. وزاد القديس يوحنا (١٩ : ٣٦) ان «نيقودمس جاء ومعهُ حنوط من مرّ وصبر نحو مئة رطل» وانهُ اجتمع ويوسف «فاخذا جسد يسوع ولفَّاه في لفائف كتَّان مع الاطياب على حسب عادة اليهود في دفنهم». ولمَّا قام المسيح لذكرهِ السجود وجاء بطرس ويوحنَّا ليريا القبر (يوحنا ٢٠ : ٦ و٧) وجدا فيهِ «الاكفان موضوعةً والمنديل الذي كان على رأسهِ غير موضوع مع الاكفان بل ملفوفًا في موضعٍ على حدتهِ»

فلسائل ان يسأل ماذا حلَّ بكفن المسيح (او باكفانهِ كما يقول يوحنا) بعد قيامة الرب؟ أنقول انَّ العذراء مريم والرسل والمؤمنين الاوَّلين ألقوا هذه الذخائر الثمينة فلم يكترثوا لها فاخذتها ايدي الضياع؟ لا لعمري فانَّ من يعلم حرص قدماء المؤمنين على حفظ الذخائر المقدَّسة واجساد الشهداء لا يستطيع ان يسلّم بمثل هذا التغافل في ما يختصُّ بذخائر ابن الله الكلمة المتجسد ورب الشهداء. فلا بُدَّ اذن ان نقول انَّ كفن المسيح بقي سالمًا مصونًا بكلّ تُقًى واكرام بين ايدي نصارى اورشليم الذين اخفوهُ كما اخفوا بقيَّة ادوات آلام المسيح لمَّا خرجوا من المدينة المقدَّسة قبل فتحها على عهد طيطس سنة ٧٠ فبقي الكفن محجوبًا عن العيان الى زمن الملكة هيلانة أُمّ قسطنطين الكبير. والتاريخ يفيدنا عنها انَّها بحثت عن الصليب وعمَّا ينوط بآلام ابن الله حتى فازت بمطلوبها وقد وزَّعت منها على الكنائس قسمًا واخذت القسم الاكبر الى القسطنطينيَّة. فلا شكَّ انَّ الكفن المقدَّس من جملة هذه الذخائر التي اصابتها هيلانة فاغنت بها كنيسة الله

ولكن اين يا تُرى نُقل هذا الاثر الجليل هل ابقتهُ هيلانة في جملة ذخائر القدس الشريف او اخذتهُ معها الى حاضرة ملك ابنها فزيَّنت بهِ احدى بيع القسطنطينيَّة ؟

هنا مشكل كبير لا يمكننا فكُّهُ وازالة كلّ شبهاتهِ لقلَّة الآثار التاريخيَّة التي بلغت الينا ولعلَّ الاصحّ ان نقول ان كفن السيد المسيح ليس كفنًا واحدًا بل اكفانًا عديدة كما يؤخذ من آية يوحنا التي ذكرناها آنفًا. وفي قول الحبيب «كما هي عادة اليهود في دفنهم» دليل آخر على كثرة الاكفان لأنَّنا نعلم انَّ اليهود كالمصريين في ذلك العصر كانوا يكثرون اللفائف والاكفان لتسجية موتاهم

وما لا مرية فيهِ انَّنا نجد في اواسط القرن الرابع عشر ثلاث كنائس في فرنسة تتفاخر كلٌّ منها بذخيرة كفن المسيح. الاولى كنيسة كادوين (Cadouin) في اقليم شمپانية. والثانية بيزنسون من امّهات المدن الفرنسويَّة. والثالثة ليراي (Lirey) في اقليم پريغُرْد ليس بعيدًا عن مدينة تروا (Troyes)

وهذه الاكفان الثلاثة كان فرسان الفرنج أتوا بها من المشرق فانَّ كفن كادوين نُقل اليها من انطاكية وكان وُجد فيها سنة ١٠٩٨ لما كان يحاصرها قوام الدولة كربوقا وهو لم يزل مكرَّمًا في كنيسة كادوين منذ القرن الثاني عشر وقد حجَّ اليهِ كثيرون من ملوك فرنسة واعيانها ووقفوا عليهِ الاوقاف الدارَّة. وهو عبارة عن قطعة من النسيج طولها متران و ٨١ سنتيمترًا وعرضها متر و ١٣ س. وهي من صنف الانسجة المستعملة في مصر لدفن الموتى

والكفن الثاني هو كفن بيزنسون كان اوَّلًا في القسطنطينيَّة ففي سنة ١٢٠٤ حصل على هذه الذخيرة الثمينة اوتون دي لاروش فارسلها الى رئيس اساقفة بيزنسون فبقيت هناك مكرَّمةً معظَّمةً الى زمن الثورة الفرنسويَّة ففُقدت مع ما فُقد آنئذٍ من ذخائر اولياء الله وكان هذا الكفن من الكتّان طولهُ متران و ٦٠ س وعرضهُ متر و ٣٠ س وعليهِ صورة السيد المسيح في قبرهِ

والكفن الثالث هو كفن تورين الذي عليهِ مدار كلامنا. أتى بهِ احد اعيان فرنسة غدفريد دي شرني (G. de Charny) من فلسطين وكان اهداهُ اياهُ اوغون الرابع ملك قبرس شكرًا لهُ عن الخدم الجليلة التي ادَّاها اليهِ في حروبهِ فشيَّد غدفريد كنيسة كبرى لهذه الذخيرة في ليري على مسافة ثلاثة اميال من مدينة تروا وجعلها فيها

١٣٥٣ . لكنّ البعض شكّوا في صحّتها واخذوا يناصبون اصحابها ويتهدّدونهم بالحرم اذا عرضوها لاكرام المؤمنين ودام النزاع الى سنة ١٤٦٧ حيث سمح البابا بولس الثاني بعد الفحص القانوني بعرضها لاعين الجمهور ليقدّموا لها فرائض الاكرام

وكانت الذخيرة المقدّسة صارت وقتئذٍ في يد حنّة دي لوسينيان ابنة حنا الثاني ملك قبرس . ولمّا كانت حنة المذكورة امرأة دوق دي سابوديا اخذت معها كفن المسيح الى مدينة شمبيري من اعمال سابوديا فصار مذ ذاك الحين في ملك دوقة سابوديا وملوك سردينية توارثوهُ ابًا عن جدّ الى زماننا . ونُقل هذا الكفن الى عدّة امكنة وكان حيثما حلّ تعظمهُ الجماهير الجمهرة وتحجُّ اليهِ الامراء وكبار الدولة والزوّار لتتبرّك بنظرهِ

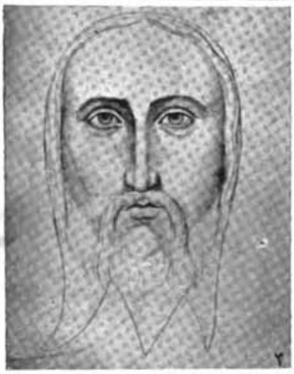
ولمّا كانت سنة ١٦٩٤ انجز الملك فكتور اميداي الثاني بناء فاخمًا اعدّهُ في تورين قريبًا من بلاطهِ الملكي وملاصقًا للكنيسة الكاتدرائيّة فنُقل كفن المخلص بحفلة عظيمة وروق بهيّ ووُضع في صوان من الفضّة وجُعل الصوان فوق المذبح الذي تحت القبّة وأُقفل بثلاثة اقفال يحفظ مفاتيحها كلٌّ من قداسة البابا وجلالة الملك واسقف المدينة . وهو لا يُخرج من صوانهِ الّا مرّةً في نحو كل عشرين سنة بحضور الاكليروس واعيان الدولة وجمّ غفير يتقاطر الى هذه الحفلة من كلّ انحاء اوربّة

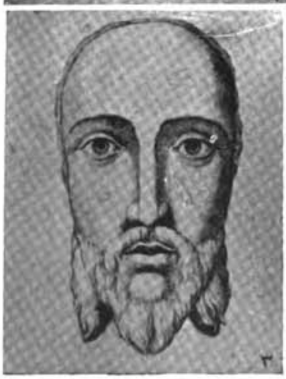
وهذا الكفن المقدّس من الكتّان الناعم الدقيق النّسج لم يدخل فيهِ شيء من الصوف او مادّة أُخرى ويضرب لونهُ الى الصُفرة لقدم عهدهِ وطولهُ اربعة امتار وعشرة سنتيمترات في عرض مترٍ و ٤٠ س . وعلى جوانبهِ آثار حريق حدث سنة ١٥٣٢ فالتهمت النار ما حولهُ وذهبت بصوانهِ المعدني ولم تمسّ الّا اطراف الكفن المقدّس باعجوبة ظاهرة حملت اعداء الدين على القول بانّ هذا الكفن ليس هو من الكتّان بل من لفيف الاميانت (amiante) الذي لا يحترق بالنار وهو زعمٌ يردُّهُ مجرَّد النظر الى نسيجهِ الذي هو من الكتان الخالص كما سبق

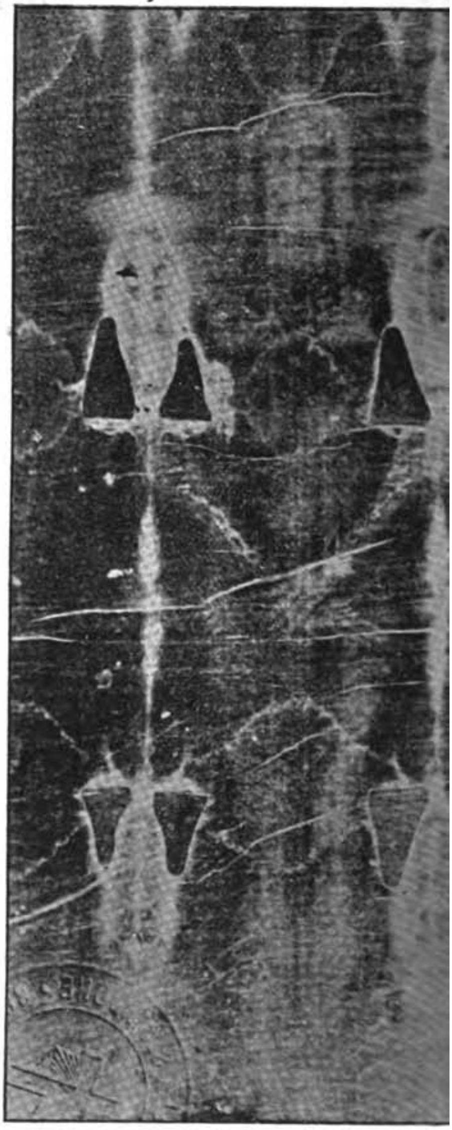
٢

وممّا يستلفت انظار الناظر الى هذا الأثر انهُ يُرى عليهِ شبحان كشبحي انسان ميت تمثّلان وجههُ وظهرهُ من رأسهِ الى قدميهِ . وصورة الوجه تقابل صورة الظهر . وهذه الصورة كانت تظهر بجلاء اعظم قبل اربعمائة سنة كما ورد وصفها في روايات المؤرخين









فن السيّد المسيح في تورين كما ظهرت بالتصوير الشمسي. وهي تمثّل وجه الربّ دون ظهره.
لكفن اثر حريق سنة ١٥٣٢ ‏ ١ وجه السيّد المسيح مكبّر عن كفن تورين. ٢ صورة
يح المنسوبة الى ابجر ملك الرها ٣ صورة السيّد المسيح المعروفة بصورة ڤيرونيكا

على انَّ تقادم عهدها قد محا كثيرًا من دقائق الصورة حتى يصعب تمييز تقاطيع الجسم بعضهـا عن بعض الّا الوجه الذي كان يظهر منهُ شبه وجه انسان اذا تأمّلهُ الناظر بانعام النظر

وكان الذين يشاهدون هذه الصورة لا يدرون اصلها وفصلها وطريقة رسمها وحقيقة تدوينها على الكفن الّا ان الكاثوليك كانوا يزعمون انّها رسمٌ عجيب لجسد المسيح لمّا كُفِّن في هذا الكتان الذي لفَّهُ فيهِ يوسف الراميّ بعد ان انزلهُ عن الصليب. وكان غيرهم يؤكدون انَّ هذه الصورة لاحد المصوّرين في القرن الثالث عشر او الرابع عشر ويسندون قولهم الى رسالة احد الاساقفة الذين ناصبوا صحَّة هذه الذخيرة في القرن الرابع عشر

فتلك كانت حالة كفن تورين والناس بين مصدّق ومكذّب اذ حدث في سنة ١٨٩٨ حادث حارت لهُ العقول واندهشت الالباب وحدَتْ بأكثر العلماء على القول بصحَّة هذا الكفن. وكان هذا النسيج المقدَّس عُرض في ذلك العام في معرض أُقيم في تورين للمصنوعات التقويَّة ثم دُعي المؤمنون لاكرامهِ مدَّة ثمانية ايَّام فخطر على بال اعضـاء اللجنة ان يأخذوا رسماً شمسيًّا من هذا الاثر القديم ظنًّا منهم ان شبحيَّة التصوير بواسطة الاعمال الكيمويَّة تمثل في الزجاجة الفوتوغرافيَّة دقائق لم تشاهدها العين. فاستدعوا لهذا الشأن رجلًا ذا شهرة ذائعة في التصوير ومعرفة العاديَّات وهو الكافليار پيا (Pia) الايطالي فعرض اوَّلًا صورة الكفن للنور امام صفيحة حسَّاسة مدَّة خمس دقائق فلم يجد الصورة طبق مرامهِ. فكرَّر ثانية العمل ورسم الصورة على زجاجة كبيرة طولها ٤٠ س في عرض ٦٠ س وعرض الصفيحة للنور مدَّة ثُلث الساعة. فلمَّا اراد اظهارها بالعوامل الكيمويَّة اذا بصورة عجيبة تمثِّل شخص المسيح الكريم على هيئة الهيَّة اخذت بمجامع قلوب كل الذين رأوها. ومن غريب الامور انَّ صورة الصفيحة الزجاجية لم تكن صورة سلبيَّة كما يجري عادةً في الرسوم الفوتوغرافيَّة التي تبيّن اسود ما هو ابيض في الاصـل والعكس بالعكس بل كانت الصورة ايجابيَّة وهو اعظم دليل على انَّ الصورة المرسومة في الكفن كانت هي سلبيَّة. فاستدلُّوا بذلك على انَّ صورة السيِّـد المسيح كانت تصوَّرت في نسيج الكفن على مثال التصوير الشمسيّ اعني ان الاقسـام الناتئة في جسد المسيح كانت سوداء في الكفن والاقسام الغائرة كانت بيضاء. وادرك العلماء كيف انَّ الذين

وصفوها سابقاً لم يمكنهم ان يدركوا سرّ تصويرهـا تماماً. ومن ثمَّ التزم الكافليار پيا لينال صوراً ايجابيَّة ان يتَّخذ صفيحة ثانية نقلت الى تصوير سابيّ الصورة الايجابيَّة التي نالهـا اولًا. وعلى هذه الصورة السلبيَّة رسم رسوماً متعددة ايجابيَّة كما فعلنا نحن لتدوين هذه الصورة في مجلّتنا. على انَّنا لم ندوّن الّا نصفها اعني الوجه دون الظهر وقد طبعنا في جانبها صورة الرأس مكبَّرة مع صورتي رأس المسيح المنسوبتين الواحدة لملك الرها ابجر والثانية للقديسة فيرونيكا ليقابل القرّاء بين هذه الصور الثلاث

وكأني بالقارئ يوقفني عند هـذا الحدّ فيسألني وكيف حصلتْ هذه الصورة في الكفن المقدَّس؟ أليست هذه الصورة عمل مصوّرٍ بارع رسمها على هذا النسيج ؟

قلنا ان هذا الزعم التجأ اليه البعض لينكروا صحَّة الكفن المقـدَّس إلا انَّ هذا القول قد بطل اليوم بعد ظهور الصورة بواسطة الفنّ الفوتوغرافيّ. ولبطلانهِ اسبابٍ (الاول) منها ان هذه الصورة كما قلنا صورة سلبيَّة ولم يخطر حتى الان على فكر مصوّر ان يصوّر مثالهُ على هذه الطريقة. فايّ مصوّر يا ترى اذا اراد رسم شخص يصوّر الغائر من صورتهِ ناتئاً ابيض والناتئ منهـا مسودًّا غائرًا. فلو صنع ذلك مصوّر لعُدَّ صنيعهُ ضربًا من الهزل. والسبب (الثاني) انَّ في هذه الصورة المرسومة على كفن تورين من الدقَّة ومراعاة مناسبة الاعضاء واحوال الربّ في موتهِ ما لا يمكن لقلم بشريّ ان يرسمهُ فان ملامح وجه المخلّص جامعة لعواطف قلبهِ الالهيّ ساعة وفاتهِ فيلوح فيها من الهيئة والجلال والرفق والوداعة والحزم ما لا يليق الَّا باله. فترى المسيح كانهُ راقد ينتظر ساعتهُ ليقوم ثانية ويحيي العالم بقيامتهِ. ولو افترضنا ان مصورًا صوّر هذه الصورة كما زعموا لتحتَّم علينا القول انَّ هذا المصوّر كان آيةً في زمـانهِ غلب اكبر المصورين شهرةً دون ان يعرف باسمهِ احد. لا بل وجب القول ان هذا المصور كان يحرز من العلوم ما يندر وجودهُ حتى في يومنا مع تقدُّم الصناعة. فمن ذلك انَّك ترى نقط الدم السائلة من راس المخلّص ليست كما كان المصورون يصورونها سابقاً اعني متساوية اللون بل تراها كما هي في الواقع ناصعة الحمرة في الجوانب باقعتُها في الوسط. وكذلك آثار المسامير ليست هي في الكفَّين كما كان يظن القدماء بل في الزندين. وذلك الصـواب لان جسم المصلوب لا يثبت على الصليب لو عُلّق بمسامير في كفَّيهِ. وكذلك آثار الصدر والبطن في الكفن تدلُّ تماماً على حالة جسم المصلوبين من انتفاخ الصدر وتقعُّر البطن

ومن هذه الآثار الدالّة على انَّ هذه الصورة ليست لمصوّر ان جرح جنب المسيح ليس موقعهُ على يسارهِ كما يصوّرهُ المصورون بل على جنبهِ الايمن لانَّ الجنديّ لو اراد طعن قلب الربّ من جانبهِ الايسر لما استطاع ذلك فاقتضى الامر ان يطعن جنبهُ الايمن ومنهُ نفذت حربتهُ الى قلب المخلّص فجرى الدم والماء كما ذكر يوحنا البشير

ومنها ايضاً ان اثر السياط الرومانيّة وثمارها (اطرافها) في جسم المسيح عند جلدهِ ظاهر على الكفن بدقّة عجيبة لم يبلغها حتى الآن احد من المصورين حتى انّهُ يُستَدلّ على تركيب هذه السياط من اثرها الباقي في الكفن

اما تناسب اعضاء المخلِّص في الكفن فامر يقضي بالعجب فانَّ الاقيسة بينها محفوظة بضبط لا يمكن لاحد ان يدركها

فكلُّ هذه الادلّة وغيرها كثيرة لا يسعنا هنا تعدادها تبيّن صريحاً انَّ الصورة ليست عمل مصوّر كما أجمع اليوم على ذلك كلّ المحقّقين

فتُرى ما هي اذن هذه الصورة ؟ أتكون آيةً من آيات الله لعبادهِ ؟ او يمكن تعليلها بعلّة طبيعيّة

بينما كنّا في انتظار الجواب على هذا السؤال اطّلعنا على عدّة كُتب ومقالات لقوم من العلماء كالعلّامة رابواسون (Raboisson) وارتور لوث (A. Loth) وهنري بيدو (H. Bidou) وكُلسون (Colson) وڤينيون (Vignon) وغيرهم وكلّهم لسان واحد على انَّ هذا الصورة ليست لمصوّر بشري لكنَّهم يعزونها الى سبب طبيعيّ

فبعضهم يزعمون ان هذه الصورة حدثت في الكفن بقوّة الكهرباء التي ظهرت آثارها في ساعة وفاة السيد المسيح كما اخبر الانجيليون اذ تزلزلت الارض وتفتّحت القبور. وهم يؤيدون قولهم ببعض أخبار حدث فيها مثل هذه التصاوير بقوّة كهرباء الجوّ وقت الزوابع وحلول الصاقعة. غير ان هذا الشرح ليس بمقنع لان الزلزال الذي حدث ساعة موت الفادي ليس بحادث كهربائيّ ولا نجد آنئذٍ اثرًا للصواعق والانواء بل كانت الشمس ساطعةً الى ان كُسفت كما روى الانجيليون

وزعم غيرهم ان الحنوط الذي وضعهُ نيقوديموس على جسد الربّ وكان متركبًا من المرّ والصّبر وصنوف الاطياب (يوحنا ١٩ : ٣٩ و ٤٠) امتزج بدم المسيح الطريّ فاثّر في الكفن ورسم صورة الجسد. وهو تعليل غريب ليس لهُ نصيب من الصحّة لان مثل

هذه الصور تكون غايةً في الخشونة سيئة التصوير. وقد سبق على خلاف ذلك ان صورة المسيح في الكفن دقيقة جدًّا محكمة الصنع

ولهذا الحادث العجيب تعليلٌ ثالث شاع اليوم بين العلماء واكثرهم جانحون الى تصويبهِ نخصُّ منهم الاستاذين كلسون وفينيون واصحاب هذا الرأي يذهبون الى ان صورة الكفن هي اول تصوير شمسيّ حدث في العالم. قالوا ان الكتّان الذي لُفَّ بهِ جسد المسيح كان تأثَّر من المرّ والصبر فصار بمثابة الصفيحة الفوتوغرافيَّة المهيَّأة للتصوير حسّاسًا قابلًا للآثار. فلمَّا وضع جسد المسيح الطاهر في هذا الكفن اخذ رسم صورة الجثة لا بقوّة النور كما تتأثَّر الزجاجة الحسَّاسة اذا عُرضت بازاء صور المحسوسات ولكن بقوَّة الابخرة المنبعثة من جسد المسيح. والذين ارتأَوا هذا الرأي ايَّدوا قولهم باختبار عجيب فانَّهم اخذوا نسيجًا طلوهُ بالصبر وجعلوهُ بازاء يدٍ ورأسٍ من الجص نقعوهما بمزيج الامونياك فظهرت بعد مدَّة صورتهما على النسيج وهم يزعمون انَّهُ كان ينبعث من جسد المسيح ابخرة من الامونياك نجمت من العرق الذي كان يترشَّح منهُ

لكن اصحاب هذا الرأي يشترطون لرسم هذه الصور شروطًا عديدة يزعمون انَّها كلَّها تمت بعنايةٍ الهيَّة في دفن المسيح. فمن ذلك انهُ ينبغي ان يكون الجسم صحيحًا لا اثر فيهِ من الفساد ويستنتجون من ذلك ان جسد المسيح لم يبقَ زمنًا طويلًا في القبر ولم يؤثر فيهِ الفساد

قلنا هذا الراي لو صدق كان لنا اقوى حجَّة على صحَّة الاناجيل المقدَّسة ورواياتها الاربع عن آلام المسيح وعن دفنهِ وعن قيامتهِ المجيدة. فنشكر الله على نعمةٍ خوَّلها عصرنا فألقم الحجر افواه الملحدين الذين ينكرون اليوم الوحي وكلام الله المنزل وينسبون الاناجيل الى اختراعٍ بشريّ

على انَّنا نجد ايضًا في هذا الراي الثالث امورًا يصعب ادراكها. فمن ذلك قول الانجيليّ يوحنا (٢٠: ٧) انهُ كان على رأس السيد المسيح الشريف منديل فكيف يا تُرى لم يظهر اثر هذا المنديل في الكفن بل كيف ظهر الوجه والمنديل يغطّيهِ ؟ ثم يظهر من رواية الاناجيل ان جسد المخلّص كان ملفوفًا بالكفن فكيف لم يبقَ في هذا الكفن اثر جانبي الجسد واحديدابهُ ؟ هذا ان لم نَقُل انَّ اللفائف كانت تحول دون تصوير الجسد

هذه بعض مشاكل تمنعنا من التسليم بهذا الراي دون استثناء الى ان تنجلي لنا الحقيقة. ولعلَّ القول بان هذه الصورة من معجزاته تعالى اصحّ واصدق كما يرتإي كثيرون من الكاثوليك والله على كلّ شيء قدير

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٣ انهار لبنان: منافعها واسماؤها

منافع انهار لبنان جغرافيًا واقتصاديًا

ذكرنا غير مرّة غنى لبنان بينابيع المياه وما يترتَّب على ذلك من القوائد الهدروغرافيَّة فنقول الآن انَّ من اعتبر هذه الجبل ورأى هيئتهُ وموقعهُ فهم ان قربهُ من البحر لا يسمح للانهار الجارية منهُ ان تتَّسع أحواضها اتساعًا كبيرًا. والاحرى ان يقال ان اغلب انهار لبنان سيولٌ لا تتجاوز مسافة سيرها بضعة كيلومترات وهي تنحدر من مشارف الجبل وتندفع دفعةً واحدة الى البحر. وليس بين هذه الانهار نهر واحد يمكن زورقًا ان يجري فيهِ لكثرة انحراف هذه الانهار وما يتخلَّلها من الصخور في مسيرها. ونحن لا نذكر في هذا الباب من انهار لبنان الّا ما لم ينضب ماؤهُ في فصل القيظ مباشرةً من الشمال الى الجنوب (١. وكذلك ضربنا صفحًا عن بعض التفاصيل الجغرافيَّة التي تصلح لاحداث المدارس ليس في ذكرها كبير امر

١ً النهر البارد شمالي طرابلس على مسافة بضعة كيلومترات منها. وهو الفاصل بين لبنان وجبل عكار = ٢ً نهر ابي علي وهو المعروف بنهر قاديشا (٢ = ٣ً نهر ابراهيم = ٤ً نهر الكلب = ٥ً نهر بيروت = ٦ً نهر الدامور

وليس لهذه الانهار كلها من الجدوى سوى انَّها تسقي بعض السهول الساحليَّة

١) انَّ نهر العاصي يستمدُّ اكثر مياههِ من لبنان لكنَّ مسيلَهُ خارج عنهُ

٢) لا نذكر نهر الجوز قرب البترون لانَّ ماءهُ ينقطع في فصل الصيف

فتخصب تربتها في مجاريها المختلفة الطول. وربَّما كان هذا الخصب الناجم عن مياهها بليغًا . ولو اراد اهل بلادنا لانتفعوا من هذه المياه لغاية أُخرى وذلك بان يجعلوها كمحرِّك لادوات كهربائيَّة يتَّخذونها لمعاملهم ولذلك سمَّى البعض قوَّة المياه في تحريكها بالفحم الابيض يريدون انَّها تقوم مقام البخار ومواقد الفحم الحجريّ . ولمَّا كان مهبط هذه المياه شديدًا وكميتها وافرة لا غرو أن ينجم عنها قوَّة تناسب خيولًا بخاريَّة عديدة كافية لتحريك ادوات ضخمة

على اننا نرى في مجاري هذه الانهار خللًا فان مصبَّها يتَّسع اتساعًا كبيرًا وذلك لما تأتي بهِ المياه من التراب المجروف ولما يدفعهُ البحر الى الساحل من الرمل فتتكوَّم هذه الموادّ في وجه النهر بحيث لا تقوى مياههُ على خرقها فتتدفّق جوانبهُ وتسيل المياه ذات اليمين وذات الشمال على مسافة واسعة . وربَّما استنقعت هذه المياه فتحدث عنها حُمّيات ملاريَّة خبيثة . وهذا الانحراف في مجاري الانهار قد لحظهُ العلماء في البحار التي يضعف فيها المدّ والجزر . لكنَّ هذا الخلل يسهل استدراكهُ بان يُحفر للنهر مسيل عند مصبّهِ . وكذلك تُنصب اشجار الاوكالبتوس على ضفافهِ لتزول بها وخامة الهواء

وفي مقالتنا السابقة بيَّنا ان النهرين البارد وابا علي بما سحباهُ من التربة من اعالي لبنان طمَّا جَون عكَّار وكوَّنا سهل طرابلس المعروف بجودة مزروعاتهِ . ولعلَّ نهر بيروت اتى بما هو اغرب فعلًا منهما

فكلٌّ يعرف ان مدينة بيروت مبنيَّة على شبه جزيرة يتَّصل بها البحر شمالًا وغربًا وجنوبًا غربيًّا . وقد ارتأى بعض العلماء ان مركزها انَّما كان في سالف الزمان جزيرة تحدق بها المياه من كل جهاتها (١ فصارت مياه نهر بيروت والجداول المجاورة لهُ كوادي غدير ووادي شويفات تأتيها بالطين والتربة حتى ملأَت البوغاص الذي كان في جهة بيروت الجنوبيَّة الشرقيَّة بينما كانت الرياح الغربيَّة تحمل اليها رمالها فاصبحت بيروت متَّصلة بالبرّ وجرى لها ما جرى لمدينة صور لمَّا ابتنى لها اسكندر ذو القرنين سدًّا عظيمًا وصل بينها وبين البرّ فتراكمت الرمال على هذا السدّ فصارت شبه جزيرة بعد ان كانت المياه تكتنفها من كل اطرافها . ولا عجب فان انتشار الرمل على سواحل سوريَّة امر ظاهرٌ فترى الرمل يتقدَّم دون انقطاع . وممَّا شهد على صحَّتهِ الثقةُ ان معدَّل امتداد الرمل

١) راجع كتاب ريتر (ص ٤٣٠)

في كل سنة بين مدينتي غزَّة ويافا يبلغ مترًا على التقريب

هذا وان اهل بيروت كانوا يتَّخذون قديمًا ألواء الرمل سكنًا لهم ويزرعون فيها المزارع لان التربة التي يغطيها هذا الرمل طيّبة دسمة . والدليل على سكنى الاهلين فيها ما يجدهُ الحافرون من الخزف وقطع الزجاج القديم والمعادن والنواويس . والرملُ قد نشر عليها كلّها رداءهُ وهو لا يزال يجري الى الامام . ومن يلحظ حركتهُ المتواصلة يتأكد بانهُ في مدَّة ربع قرن قد اخفى عن العيان املاكًا متَّسعة لبعض الوجهاء فالتهمها . ومنذ عهد قريب قد وجد البعض آثار بلدةٍ توارت تحت ألواء الرمل . وممَّا أثبتهُ الشاعر نونُّس (١ عن الطريق التي يسير فيها السائر عند خروجهِ من بيروت ميمّمًا صيداء انَّها « رمليَّةٌ تظلِّلها الاشجار ودوالي الكروم » على انَّ الشاعر لم يذكر التلال الرمليَّة التي تتخللها في يومنا هذا فتجري في وسطها وذلك دليلٌ على انَّ الرمل لم يَسْطُ عليها بعد . ومن الثابت المقرّر انَّ العوامل الطبيعيَّة لا تزال تذرّي هذه الرمال فتجرف مياه البحر وتنسفها الرياح حتى نكاد نرى حركتها رأي العين فما قولك بعملها على كرور الادهار لاسيَّما اذا اضفتَ الى هذه العوامل ظواهرَ أُخر خارقة العادة كالزلازل والاهتزازات الارضيَّة التي ربَّما رفعت بحضيض الارض ومسيل الاودية . وفي سواحل فينيقية من آثار هذه الزلازل ما هو مشهور (راجع مقالتَيْنا عن الزلازل في المشرق ١ : ٣٠٣ و ٢ : ٩٧٠)

وممَّا يشهد على ما اصاب بيروت ونواحيها من الطوارئ الجيولوجيَّة انَّ هذه المدينة كانت في سالف الزمان مزدانةً بعدَّة جزائر لا نرى اليوم منها اثرًا . فانَّ الشاعر اليوناني نونُّس (٢ اشار اليها في جملة وصفهِ لبيروت فدعا هذه المدينة « الجميلة الجزائر εὔνησος » وهي لعمري شهادة حسنة اتى بها شاهدٌ عين سكن بيروت ردحًا من الدهر لم يفتْهُ شيء من احوالها . وقد جاء في خارطة لاتينيَّة يرتقي عهدها الى القرن الثاني عشر رسم جزيرتين متوسّطتين في الكبر قريبتين من بيروت (٣ . وكذلك ورد في تواريخ الصليبيين انَّ الرهبان المعروفين باسم پريمنتراي (Prémontrés) كانوا

١) راجع كتاب شعره Dionysiaques, ch. 41, v. 40 - 45

٢) راجع الكتاب السابق ذكره (Chant 41, v. 15)

٣) راجع المجلَّة الفلسطينية الالمانية (Z D P V, XVIII)

يسكنون ديرًا موقعهُ في جزيرة على مقربة من بيروت (١. وفي هذه الشواهد ما يدلُّ على انَّ هذه الجزر غير الصخور الثلاثة او الاربعة التي نراها اليوم عند راس بيروت او عند مصبّ نهرها

ولكن متى توارت هذه الجزائر؟ ليس لنا في ذلك نصّ صريح ومن المرجَّح انَّها انخسفت في الزلزال الذي ذكرهُ المقريزي في تاريخ المماليك (٢ في تاريخ سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م) حيث قال ان سبع جزائر بين عكَّة وطرابلس غاصت في لجج البحر. وقولهُ هذا يطابق الآثار التاريخيَّة التي لم تعُد تذكر فيما نعلم الجزائر المجاورة لبيروت بعد القرن الثالث عشر

والنهران الاخيران اللذان يجريان في جنوب لبنان هما الاوَّلي وهو نهر صيداء ثم الليطاني الذي يحدُّ لبنان في جنوبيهِ وهو نهر صور. ولكلا النهرين علاقة مع المدينة التي يجاورها وقد اغناها بمنافعه الجمَّة الاقتصاديَّة. ونهر الاوَّلي يجري في منعطف لبنان الغربي ولا يتجاوز طولهُ ٤٥ كيلومترًا اما الليطانيّ فينفذ في وسط هذه السلسلة ويتخلَّلها. ومنبعهُ في البقاع بين الجبلين الغربيّ والشرقيّ وطول مجراهُ ١٥٠ كيلومترًا. وخطرهُ عظيم من حيث الزراعة والاقتصاد لانهُ ليس فقط يفتح طريقًا في خلال الجبل كما يفعل الاوَّلي ولكن ايضًا لانَّ هذه الطريق توصل ساحل مدينة صور بسهول فيحاء وبطائح غنَّاء كالبقاع وغوطة دمشق ووادي العاصي. ولا غرو ان تجار صور من الفينيقيين قدّروا هذه المنافع قدرها ونهجوا هذه الطريق رغبةً في الارباح البالغة

امَّا وادي الاوَّلي فهو دون وادي الليطاني شأْنًا وخطرًا الَّا انهُ اغنى منهُ واخصب وفي مسيرهِ على ضفَّتيهِ مسالك وطرق تُفضي الى البقاع الى عدَّة قرى كان الاهلون يقضون فيها فصل الصيف ويتاجرون بغلَّاتها كما يفعل اهل صيداء في ايَّامنا في القرى الواقعة قرب الباروك وجنوبيّ جزّين

ولولا الاوَّلي والليطانيّ لَما وُجدت صور وصيداء فان بُناتهما اختاروا مصبّ هذين النهرين لما كانوا ينتظرونهُ منهما من العوائد التجاريَّة وهو الامر الذي جعل لهاتين الحاضرتين شأْنًا تجاريًا لم تبلغهُ بيروت وجبيل لخلوّهما من نهرين يجديانهما من المنافع ما احرزتهُ صيداء وصور بنهريهما

(ستأْتي البقيَّة)

---

١) راجع المجلَّة ذاتها (ج ١٠ ص ٣١٠ وج ٢١ ص ١١٦)

٢) راجع Quatremère : *Sultans Mamlouks, I, 1ère partie*, p. 145

الالتقاء الفاجع

للاديب نجيب افندي مشعلاني

كانت احدى قرى لبنان حافلةً بالسكّان زاهيةً بالعمران وكان اهلهـا راتعين في بحبوحة الهناء وهم من القوم الوسط لا يعضّهم الفقر بنـابهِ ولا يبطرهم الغنى بتوفُّر اسبابهِ. يعيشون وهم راضون وبما قسم الله لهم قنعون وكان للدين بينهم السهم الاعلى والحظُّ الاوفى يجرون على وصاياه ويكرمون اربابهُ. وكان اذا تأمل احد امرهم غبطهم على صفاء عيشهم ورخاوة بالهم يرى السلام مخيّماً على قريتهم والانس ضارباً اطنابهُ في ظهرانيتهم

ولمّا كان اصيل احد ايّام أيار من سنة ١٨٨٤ كان اهل القرية مجتمعـين في الكنيسة لاقامة فرائض العبادة نحو البتول الطاهرة في شهرها المبارك. فلمّا انهوا صلاتهم خرجوا فجلسوا برهةً تحت السنديانة العظمى التي تظلّل باحة كنيستهم يتجاذبون اطراف الحديث. وبينما هم يتباحثون في شؤونهم اذ دخل في حلقتهم كهلٌ متزيٍّ بزيّ الاوربيين فابتدروهُ بالسلام ورحّبوا بهِ. وكان الرجل احد ابناء القرية كان هاجر الى اميركا وقضى فيها نحو خمس سنوات فعاد وفي جيبهِ بضعة آلاف من الدولار اكتسبها بعد شقّ النفس وباع في تحصيلها دينهُ ولم يَصُن ماء وجههِ

فاستخبره الحضور عن احوالهِ واستطلعوا طلعهُ فاخذ يقصُّ عليهم رحلتهُ الى اميركا الشماليّة ويصف لهم ما شاهد من عظائم العالم الجديد وحريّتهِ المطلقة ويرغّبهم في عظم ثروتهِ وكثرة خيراتهِ. قال: كنتُ نظيركم اعمـل في ارزاقي متحمّلاً عرق القربة لانال ما يكفيني وعيلتي وها انا اليوم بعد سنين قليلة صرفتها في كندا وافر النعمة البس الثياب الفاخرة واعيش عيشة رخاء وقريباً ابني الابنية الشاهقة واشتري الارزاق الواسعة فاذوق من هناء العيش ما لم يَدُرْ على خلدي سابقًا

ما انهى الراوي كلامهُ حتى غلت في قلوب السامعين مراجل الطمع ونفث فيهم شيطان المال بسمّهِ الذعاف فذهب كلٌّ الى منزلهِ وهو يحلم بالغنى العاجل ولسان حالهِ يقول: «ما ضرَّ بي ان اتغرَّب بضع سنوات عن الوطن ثم اعود اليهِ مثرياً فارتاح من مشاقّ الزراعة وتعب الارزاق »... وهكذا تبلبلت خواطرهم واضطرب بالهم ومـا زال

الحثّاث يستفزُّهم بمكرهِ ويوسوس اليهم بخداعهِ حتى شرعوا يسافرون افواجاً من ابن عشر السنوات فما فوق. ولم تمضِ سنة على هذه الحادثة حتى خلت القرية من السكّان ونعق فوقها الغربان فتشتّت شمل اهلها ولم يبقَ منهم الّا النسوة والاطفال والعجزى. امّا ارزاقها التي كانت زاهية نامية تأتي اصحابهـا بالخيرات الدارّة فانّها علاها الشوك والقرطب فاصبحت في حالة من الخراب والدمار ليس وراءها غاية

وكان بين الذين عمدوا الى المهاجرة رجل يدعى عبد الله قزما. فهذا قبل سفرهِ ذهب الى الاب يوسف كاهن قريتهِ ليودّعهُ ويتزوَّد ببركتهِ. وكان الاب رجلًا قديساً يعزّهُ الكل ويجلّونهُ لسموّ فضلهِ. فلمّا وقف على قصد عبد الله تنهّد الصعداء ثم سألهُ:

— أتسافر وحدك ام تأخذ معك عيلتك ؟

— لا بل أسافر وحدي يا ابتِ

— انّ هذا عملٌ لا يليق بالمسيحيين . فكيف تنطلق وتترك امرأتك وصغارك دون عضد ولا مساعد ؟

— انني اعهد اليك الله بانني اعود اليهم بعد سنة او سنتين

— هذا قولٌ سمعنـاهُ من غيرك وها قد مرَّ عليهم سنون عديدة وهم حتى الآن نازحون عن الاوطان تاكثون بالأيمان. فناشدتك الله إلّا ان تبقى في بيتك او تصحب عيلتك معك. فانّ هجرك لبنيك وزوجتك ممّا ينافي الدين والآداب أفلا ترى ان الملاك لمّا ظهر ليوسف البارّ لم يوصهِ بان يخلّص الصبيّ وحدهُ بل قال [له]: « خذ الصبيّ وامهُ واهرب الى مصر » كانهُ تعالى اراد ان يعلمنا انهُ لا يجوز للمرء ان ينفصل عن عيلتهِ وهو رأسها. فبئس الجسم الذي ينفصل عنـهُ رأسهُ . . .

غير انّ عبد الله الذي كان يطيع سابقاً مشورة رجل الله كباقي اهل قريتهِ اضحى هذه المرّة عقوقاً لانّ الطمع كان ضرب على بصرهِ واصمّ سمعهُ فلم يصغِ الّا الى صوت مطامعه

ومن ثم شدّ صاحبنا مسافرًا وترك امرأتهُ سعداء وصبيًّا لهُ يناهز الخامســة من عمرهِ يدعى فارساً وابنةً ترضع تدعى مرتا على امل انهُ يعود بعد سنةٍ او سنتين

. . . .

تسع سنوات قد انقضت وعبـد الله في الولايات المتّحدة. وكان في اثناء السنين

الاولى يُرسل مرّةً بعد أُخرى الى قرينتهِ بعض دريهمات تستعين بها على قضاء حاجاتها لكنَّ هذه الصلات قلّت شيئاً فشيئاً حتى انقطعت تماماً كما انقطعت اخبارهُ عن امرأتهِ فخيّل لها بانهُ قد مات

وعندئذٍ لم يبقَ لسعداء من امل إلا في ولديها ترجو انهما يقومان بأودها لكنّها بدلًا من ان تُحسن تربيتهما وتزرع في قلبهما بذر الفضيلة والادب كانت تربيهما بالغنج والدلال ولا تردُّ عنهما محرَّماً وكانت ترغبهما في حطام الدنيا وتنفخ في صدرهما روح الطمع فنشأ الولدان على الجهل والعناد وشبّا على ركوب المعاصي لا يهمّان إلّا الى جمع المال واكتسابهِ بايّ وسيلةٍ كانت

ففي ذات يوم دعت سعداء فارساً ولدها وقالت لهُ: ترى يا بنيّ الى اي حالةٍ من الضيق حطّ بنا الدهر امّا ابوك فلا علم لنا باموره منذ ستّ سنوات وما ادرانا ان كان حتى الآن في قيد الحياة. فهلمّ يا بنيّ ارسلك الى حيث محطّ الآمال ومورد الثروة فاذهب الى اميركة لعلّك تغتني وتغنينا معك. اذهب ولا تعودنَّ الّا غانمًا

فما سمع الولد هذا الكلام حتى طار عقلهُ فرحاً وهو يظنُّ ان اميركة وراء لبنان وانهُ اذا وصلها كفاهُ ان يفتح فاهُ ليشبع من ذهبها

فبعد اسبوعٍ خرج فارس مع احد المهاجرين. وابحر الى نيويرك فلمّا وصلها ولم يهدِهِ احد الى منزل والده اضطرَّ الى ان يجول في ساحات المدينة يطلب عملًا يرتّزق بهِ. وقرع ابوابًا جمة ليستخدمهُ احدٌ عندهُ او يعطيهُ بضاعةً يحملها في ارباض البلد فيبيعها باجرة معلومة. لكنهُ لم يجد مَنْ يعيرهُ اذنًا صاغية خوفًا منهم ان يأتمنوا على مالهم رجلًا من النصّابين. فبقي على ذلك مدّةً حتى انفق آخر فلس كان في كيسهِ. فاحوجهُ الامر الى ان يدخل في خدمة احد السوريين مجانًا على شرط ان يعطيهُ قوتهُ اليوميّ. ولذلك لم يكسب مدّة سنتين شيئاً من الدراهم يبعث بها الى والدتهِ. وكانت هذه المسكينة تتقلّب ليلًا مع نهار على جمر القتاد

فلمّا طال انتظارها ولم تسمع لابنها خبرًا ارتابت بوصوله سالمًا فعمدت على ارسال ابنتها مرتا الولد الوحيد الذي بقي لها لتتسلّى بهِ عن فقدان زوجها وولدها. فسافرت مرتا واصابها في اميركة ما اصاب اخاها واستخدمت نظيرهُ بما تسدُّ بهِ رمقها

. . . .

كيف نصف يا تُرى ما ألمّ بسعداء التعيسة الحظّ من الحزن والغمّ عند ما رأت نفسها منفردةً ليس لها من يفكّر في امرها او يرثي لشقائها . ولمّا كان قلبها منذ زمن مديد ملتصقًا بالارض لا تعرف من الدين الّا قشرتهُ لم تجد في العبادة الصحيحة ما تُلطّف بهِ اوجاعها . . . وممّا كان يزيد نار وجدها اضطرامًا انها كانت ترى بعض المهاجرين يعودون من الغربة راجين وهي تزداد فقرًا وشقاء تهدُّ ركنها الاشجان وتُطير همومُها الرقاد عن الاجفان . . . الى ان عيل صبرها فباعت دارها وسافرت لتلحق بزوجها وولديها . . . .

ولمّا ألقت المركب مراسيها في ميناء نيورك وجدت سعداء احدى صديقاتها كانت اتت لملاقاة احد اقاربها فرحّبت هذه بسعداء ودعتها الى بيتها فقصدتا شارع واشنطون حيث يسكن اكثر السوريين وكان طريقهما امام مجلس الحكومة حيث ازدحم جمٌ غفير اكثرهم من السوريين وقد علت جلبتهم وكثر لغطهم فساقهما الفضول ان تتنسما الاخبار . وبينما هما تستحفيان عن الامر واذا بباب المجلس قد فُتح فسكت الجمع كأن على رؤوسهم الطير فتقدّم القاضي وبيدهِ شقّةٌ تلاها بصوت جهوريّ : قد حُكم بالاعدام على فارس بن عبد الله قزما السوريّ لقتلهِ مخدومهُ ووليّ نعمتهِ طمعًا في سلب مالهِ وحُكم على مرتا اختهِ بسجن عشر سنوات لسرقتها حليّ معلمتها . . .

فما كاد يتمّ القاضي حكمهُ حتى رأى الجمهور رجلًا وامرأةً سقطا مغشيًّا عليهما فنُقلا على آخر رمقٍ الى المستشفى . ولمّا افاقا وكلاهما بين حيٍّ وميت واذا بعبد الله قزما بازاء امرأتهِ سعداء عرفها وعرفتهُ فصرخا صرخةً عظيمةً وسقطا جثّتين هامدتين نُقلتا في يوم واحد وقبرتا مع جثّة ابنهما بعد شنقهِ . امّا مرتا فانّها ماتت بعد حين في السجن ايسًا وكآبةً

مطبوعات شرقية جديدة

اسرار البلاغة في علم البيان

تأليف الامام عبد القاهر الجرجاني

عُني بطبعهِ وتصحيحهِ السيّد محمّد رشيد رضا في مطبعة الترقّي (سنة ١٣٢٠ ص ٣٥٧)

اهدانا الكاتب الفاضل منشئ مجلّة المنار في مصر السيّد محمّد رشيد رضا نسخةً

من هذا الكتاب الجليل الذي سعى بنشرهِ وتعليق حواشيهِ . وهو مصنَّف كنَّا وقفنا على نسخةٍ منهُ مخطوطة وجدناها قبل بضع سنوات في الشهباء . فتمنَّينا لو يباشر طبعهُ احد الادباء . فحقَّق الله اليوم امانيَّنا وقرَّت عيننا بمشاهدتهِ مطبوعًا طبعًا متقنًا بحرفٍ مشرق وورق جيِّد صفيق نقلًا عن نسخة كانت مصونة في احد بيوت العلم في طرابلس الشام بعد مقابلتها على نسخةٍ أُخرى في بعض دور الكتب السلطانيَّة في دار السلطنة السنيَّة . ومن مزايا هذا الكتاب أنَّهُ من أقدم ما وضعهُ العرب في فنّ البيان وعنهُ اخذ السكَّاكي . وقد اشتهر مؤلّفهُ في القرن الخامس للهجرة وتوفّي سنة ٤٧١ (وفي كشف الظنون انّ وفاتهُ سنة ٤٧٤) ولهُ عدَّة مؤلفات منها كتاب دلائل الاعجاز وشرح الايضاح والعمدة في التصريف . وقد اشتهر من كتب الجرجاني كتابهُ اسرار البلاغة الذي نحن بصددهِ ضمَّنهُ كلّ ما يختصّ بعلم البيان كما شاع اليوم عند العرب فبحث بحثًا مدقّقًا في المجاز والاستعارة والتشبيه والتمثيل وما يلحق بهذه الابواب . ولهُ فصولٌ ذيَّلها بها كشؤون المعاني والاخذ والسرقة وعدَّة افادات وملاحظات تدلُّ على سعة معارف صاحبها وغوصهِ على اسرار الكلام . جازى الله خيرًا ناشر هذا الكتاب ومتَّع بفوائدهِ اهل الادب

الامومة عند العرب

نقلها عن الجرمانيَّة بندلي صليبا الجوزي

طُبع في قازان سنة ١٩٠٢ . ص ٦٦

هو كتاب قد وضعهُ بالهولنديَّة احد اساتذة كليَّة ليدن اسمهُ ج . ڤلكن ثمَّ نُقل الى الالمانيَّة ومنها الى العربيَّة . وغاية صاحبهِ ان يبيّن انَّ الزواج الشرعيّ لم يكن معروفًا في الزمن القديم في المجتمع الانسانيّ وانَّما كان النكاح اشتراكيًّا . وهذه لعمري قضيَّة غريبة حاول الاستاذ ڤلكن ان يبرهنها بمثال بعض همج الشعوب الذين كان السفاح بينهم شائعًا ثمَّ خصَّص القول بالعرب في الجاهليَّة وجعل ما يُذكر عنهم من باب الشذوذ كالقاعدة الاصليَّة . وذلك ممَّا يبخس في حقوق قدماء العرب لا نسلّم بصحتهِ وكفانا ان ننقض هذا القول بما قالهُ النعمان للملك كسرى فاثبتهُ ابن عبد ربّهِ في كتاب العقد الفريد . قال النعمان وهو يريد فضل العرب على سواهم من حيث الحسب والنسب :

« واماَّ انساب العرب واحسابها فليست امَّة الَّا وقد جهلت اصولها وكثيرًا من اوَّلها الى آخرها . حتَّى انَّ احدهم يُسأَل عمَّن وراء ابيهِ دنيا فلا يعرفهُ وليس احد من العرب الَّا يسمّي

آباءهُ ابًا فابًا احاطوا بذلك احسابهم وحفظوا بهِ انسابهم فلا يدخل رجل في غير قومهِ ولا ينتسب الى غير نسبهِ ولا يدَّعي الى غير ابيهِ » ل. ش

شَذَرَاتٌ

⊰ تقدُّم الكثلكة في الصين ⊱ انَّ ما نال الكثلكة في الصين قبل سنتين من المحن لم يوقف حركتها البتَّة بل كان سببًا لنموّها. وقد اطَّلعنا على قائمة الذين تنصَّروا في السنة المنصرمة فاذا هو يبلغ نيِّفًا واربعين الفًا فضلًا عن ٧٥٠ اراتيكيًّا اهتدوا الى الايمان. وقد عمَّد المرسلون من اطفال الصينيين ١٣٢,٧٩٠. واليوم عدد الكهنة في مملكة ابن السماء ٧٢٠ من المرسلين الغربيين و٦٣٢ من الكهنة الوطنيين يساعدهم ٢٤٧٤ معلمًا وللكاثوليك في الصين ٥٠٢٣ كنيسة او معبدًا و ٤٢ مدرسة اكليركيَّة و ٢٨١٢ مدرسة للاحداث و ٢٩٩ ميتمًا و ١٠٤ مستوصفات و ٦٧ مستشفى او مأوى للبرص

⊰ رأس الكنيسة ⊱ قرأنا تحت هذا العنوان فصلًا بقلم باسيل جباره من حماة حاول صاحبهُ ان يبيّن انهُ ليس للكنيسة رأس منظور وانَّ السلطة في الكنيسة هي للمجمع المسكونيّ. وهو قول غريب تنقضهُ آيات الانجيل الصريحة وتردُّهُ اقوال القديس يوحنا فم الذهب التي اوردها الاب رينو في المشرق (٥ : ٧٦) راجع ايضًا مقالات الاب راي (المشرق ٣ : ٢ ثمَّ ٤٤٢ و ٤ : ٨٠٧)

⊰ جبَّار مصري ⊱ الجو الى فرنسة منذ عهد قريب شابٌّ مصريّ اسمهُ حسن علي اصلهُ من قرية في ضواحي القاهرة وعمرهُ ٢٧ سنة. وهو جبَّار يبلغ طولهُ متران و ٣٢ سنتيمترًا. وهو من عيلة كلُّ افرادها جبابرة فانَّ اباهُ يبلغ مترين و ٤ س وامهُ مترًا و ٩٦ س. ولهُ امرأة طولها متر و ٨٥ س ولدت لهُ ابنًا عمرهُ اليوم اربع سنوات وطولهُ متر و ٢٥ س

⊰ علاج جديد للسلّ ⊱ قد عالج الدكتور ج. كيسر (G.Kaiser) من ڤينّا ميكروب السلّ بالاشعَّة الزرقاء. فاتَّخذ لذلك حمَّامًا لونهُ بازرق متيلين اجاز فيهِ الاشعَّة المنبعثة من قوسٍ كهربانيّ ثم انفذ هذه الاشعَّة في جسم رجلٍ مسلول. فما مرَّ على نفوذها في مسامّهِ نصف ساعة حتى تلف كلّ ميكروب السلّ. وقد لحظ

الدكتور المذكور خواصّ أُخر للاشعَّة الزرقاء منها تخدير الاعضاء كما يفعل الكلوروفورم او الاثير

قنابل لاطفاء الحريق — قد اصطنع بعض العلماء قنابل يضمّنونها ١٥٠ سنتيمترًا مكعبًا من ايوسلفيت الصودا ومثل ذلك من الامونياك السائل مع ٥٠٠ جزء من الماء. فاذا حدث حريق رموا بهذه القنابل فوق النار فتنفلق وينطفئ بضمونها الحريق

آلة منبّهة على الحريق — هي آلة جديدة وُضعت في فرنسة تتركَّب من زجاجتين كرويَّتين تُجعل في السُّفلى منهما وفي كميَّة من الزئبق وسطهما عنق ضيّق يتَّصل بجانبَيه سلكان من البلاتين. فاذا صار حريق في المكان تمدّد الزئبق وارتفع الى المضيق عند السلكين فيوصل بينهما وللحال يُسمع صوت جرس دقّاق متَّصل بهما فينتبه صاحب البيت الى الخطر

الالكتروتيپوغراف — هي آلة عجيبة اخترعها المسيو مراي روزار (Meray - Rozar) في نورنبرغ وعرضها في باريس امام لجنة فحصتها واتالتهُ جائزةً عنها. وهذه الآلة تكتب وتصبُّ الحروف وتصفُّها وتصلح اغلاط الطبع في وقت واحد وهي في الساعة تصفُّ ٥٠٠٠ حرفٍ يحركها الكاتب باصابعهِ كما يدقّ اللاعب بالبيانو. وهي تدور بالكهرباء

الخيل العربيَّة — قد اثبت المسيو پول مينين (P. Mégnin) في مجلَّة الطبيعة الفرنسويَّة ان الخيل الانكليزيَّة التي تُتَّخذ للسباق في انكلترة عربيَّة الاصل. وهذه الجياد تتسلسلُ من فحول اشتراها الانكليز منذ مئتي سنة في الشام والعراق واليمن ونجد. واشهر هذه الفحول جواد اقتناهُ في جهات تدمر الانكليزي دارلي فدعاهُ باسمهِ « دارلي العربيّ ». فوجد اهل بريطانية فيهِ من الصفات ما رغَّبهم في استجلاب غيرهِ ومذ ذاك الحين لم يعد الانكليز يسابقون الَّا بالخيل العربيَّة. وقد اشتهر نسل فرس يدعى « غدلفين العربيّ » اهداهُ باي تونس الى لويس السادس عشر فابتاعهُ الانكليز واولدوه خيلًا مطهَّمةً منها المهر المدعو « إكلپس » وهو اوسع الفحول الانكليزيَّة شهرةً. وقد ألَّف المسيو پول دي فلومنت (P.de Flaumont) كتابًا ضخمًا كلهُ في وصف هذا الفرس وما نالهُ من الجوائز في ميادين السباق

نتيجة مهاجرة اللبنانيين الى اميركة — مما قرَّرهُ الدكاترة المتخرّجون في مكتبنا الطبيّ في موتمرهم السنويّ الاخير انَّ اربعة اخماس العائدين الى لبنان بعد مهاجرتهم الى اميركة مصابون بالسلّ والامراض الزهريَّة · فلله ما اوخم نتائج هذا التغرُّب وان بقيت الحال على مجراها فسد الدم اللبنانيّ قبل عشرين سنةً · امَّا فساد الدين والادب فحدّث عنهُ ولا حرج

اسئلة واجوبة

س سُئلنا من بغداد ما هو كتاب «تعاليم الجزويت الخفيَّة» الذي ذكره الضياء (ص ٤٣٩) ورجَّح صحَّتهُ

تعاليم الجزويت الخفيَّة

ج هو كتاب طُبع اوَّلًا في كراكوفيا سنة ١٦١٢ في اللاتينيَّة غايتهُ التشنيع على الرهبانيَّة اليسوعيَّة بنسبة تعاليم سريَّة فاسدة الى ابنائها · امَّا مؤلف الكتاب فالارجح انهُ راهب طُرد من الرهبانيَّة لسوء سيرتهِ سنة ١٦١١ اسمهُ جيروم زاوروسكي فعمد الى الانتقام من اليسوعيين بوضع هذا الكتيّب كما يثّر اليوم صاحب الضياء من الجزويت · وما كاد هذا الكتاب يظهر حتى رذلهُ الاساقفة الكاثوليك برمّتهم وحرَّم قراءتهُ مجمع التفتيش في رومية سنة ١٦١٦ بل اقرَّ اعداء اليسوعيين انفسهم انَّ الكتاب كذبٌ محض ولما طُبع في بيروت قبل بضع سنوات امرت حكومتنا السنيَّة بضبط نسخهِ لما تحقّقت من كذبهِ · وعلى كل حال اننا نتعهَّد لصاحب الضياء بسبقٍ قدرهُ ٥٠٠٠ فرنك نؤدّيها اليهِ اذا امكنهُ ان يثبت ان لليسوعيين تعاليم سريَّة كما تُرى في هذا الكتاب او في غيرهِ · وان عجز عن ذلك لا نطلب منهُ الَّا مئة فرنك يعطيها لاحد المستشفيات في مصر

س سُئلنا الى ايّ سند قد استند المشرق في جوابهِ عن بطلان زواج رجلٍ استرخص من السيّد البطريرك ان يتزوَّج بابنة عمّ لهُ تُدعى انيسة فتزوَّج باختها حنَّة دون مراجعة غبطتهِ

بطلان الزواج

ج السنَد في ذلك اتّفاق كل ارباب الذمَّة دون استثناء وفتاوى عديدة للكرسي الرسوليّ في هذا الشأن · امَّا السَّبب فانهُ ظاهر لأنَّ رخصة الرئيس مبنيَّة على طلب المسترخص فلا يجوز للمسترخص ان يتصرف بالرخصة الَّا حسب منطوق صاحبها ل · ش

المشرق

تفكهة الاذهان

في تعريف ثلاثـة اديان

لحضرة الاب العالم والباحث المتفنن انستاس الكرملي البغدادي

ان من تفقَّد اديان الشرق نعماً يقف عندها منذهلًا مما يرى من كثرتها واشتباك شُعَبها وهي قد ضربت اطنابها فيهِ منذ عصور طوالٍ خَوالٍ. ومع ما تشاهد من تعدُّدها وتنوُّعها لا تجد من قام بوصفها وذكرها من ابناء هذه البلاد فوفَّى حقَّها من التفاصيل التي تجدر بها. واذا وقفتَ على من طرقوا هذا الباب في المائة المنصرمة من الناطقين بالضاد وجدتَهم كلهم صحفيِّين اي قد اخذوا علمهم عن الصُّحُف لا عن استاذ او خبير او شيخ او ما ضاهى ذلك. واغلب كتبة هذه الصحف الأجناب وهؤلاء انَّما يكتبون عن اهالي قواصي البـلاد كتابةً ينقصها التبحُّر والاستقصاء اذ انهم يدوّنون كل ما يتلقَّونهُ عن فم هذا وذاك فيجمعون بين الغثّ والسمين وبين القضّ والقضيض وليس لهم وقتٌ يتفرَّغون فيهِ للغور في الحقائق والغوص في بحارها الزاخرة لاستخراج لآلئها الفاخرة. وما ذلك الَّا لانهم يأتون هذه الربوع بمنزلة السيَّاح والروَّاد او الرحَّل ولا تَرِد على هذا القدر ويكاد لا يقيمون بين ظهراني اصحاب تلك البلاد الَّا بقدر نَغبة طائر او طرفة ناظر بالنسبة الى ما يجب عليهم ان يمكثوا لمثل هـذه الامور الخطيرة. الَّا انهُ يشذُّ عن هذه القاعدة ما تخطّهُ ايدي المرسلين فانهم لا يتحرَّون بحثاً الَّا ويدقّقون فيهِ النظر

ويمعنون في استقصاء حقيقتهِ وينهجون فيهِ نهجاً قويماً . ومن العجب اننا لم نرَ من العجم والعرب من تعرَّض للكلام عن ثلاثة اديان قد ضربت بجرانها في ولاية الموصل وهي ديانة الصارليَّة والباجوران والشبَك مع انها من الغرابة بمنزلة رفيعة . هذا واني وان لم اطأ تلك الديار الَّا اني شافهت واحدًا من ابناء تلك الاقطار وقد طوى بين أظهرهم ٢٥ سنة متعاطياً مع اصحاب تلك الشيع ضروب الاشغال فوقف على دِخلة امرهم ولذلك تحفَّيتُ في السؤال عن اصحاب تلك النّحل وبادرت في تدوينها حتى اذا اطَّلع عليها قوم من سكان تلك الاصقاع ممَّن لهم فيها معرفة واسعة يزيدها تفصيلًا ان رآها ناقصة ويقوّم قناتها ان رأى فيها اودًا ولهُ من القرَّاء الشكر الجزيل والاجر الجليل

١ الصارْليَّة (Les Ṣarlyeh)

١ً (تعريفهم وموطنهم) الصارْليَّة بصادٍ في الاول بعدها الف ويليها راء ساكنة ثمَّ لام مكسورة فياء مشدَّدة جيلٌ من الناس لهم ديانة خصوصيَّة بهم لا يدين بها غيرهم وهم مبثوثون في ارجاء الموصل وفي انحاء بعض البلاد الفارسية ممَّا يلي تخوم بلاد الدولة العلية . امَّا القرى التي توطَّنوها في ولاية الموصل فهي قرية « تلّ لبن » و« بَساطْليَّة » و« وكَبَرْلي » و« خراب السلطانة » وكلها متجاورة واصل هؤلاء الناس من بلاد ايران

٢ً (لغتهم) ان لغتهم خليط من الكردية والفارسيَّة والتركيَّة . والصارليَّة الذين يسكنون بجوار الموصل يُحسنون ايضاً التكلم بالعربيَّة

٣ً (ديانتهم) ليس الصارليَّة فرقة من فرق الاديان الكبرى بل هي شيعة قائمة برأسها واصحابها يوحّدون الله ويؤمنون ببعض الانبياء ويقولون بالعواقب الاربع اي بالموت والبعث والجنة والنار . وهم لا يصومون ولا يصلُّون ولا يسمحون بشيء من ذلك لمن يروم تحرّي هذه القرُبات والطاعات . ومن غريب امرهم ان الجنَّة عندهم تُباع وتُبتاع والمتصرّف ببيعها شيخٌ واحد ليس لهُ خطير بعدهُ في الفرقة كلها جمعاء ويعقبهُ في هذا الكعب الاعلى ابنهُ البكر بعد وفاة والده . والبيع يكون بالأذرع وبموجب الموطن الذي يريد الواحد ان يكون فيهِ في العلّيين ولا تقلّ قيمة الذراع عن مائة بشلك (والبشلك ربع مجيدي) امَّا زمان هذه السوق فهو أبَان الحصاد . فيأتيهم الشيخ ويعرض

عليهم الجنة فيأتيهِ الواحد مثلًا ويشتري ذراعاً او ذراعين او غير ذلك حسب حالهِ من الثروة ثمَّ ينقدهُ المبلغ من ساعتهِ فيكتب الشيخ صكًّا يقول فيهِ: « قد بعت فلان بن فلان من الجنة كذا من الاذرع وقد قبضت الثمن نقدًا ». ثم يختم الكتاب بخاتمهِ ويسلّمهُ بيد المشتري. واذا اراد الصارليُّ ان يوسّع ملكهُ في الآخرة فلا باس من ذلك بشرط ان يفعل هذا الفعل في الموسم من قابل وان لا يشتري شيئًا بنسيئةٍ. امَّا الصك فيحافظ عليهِ صاحبهُ ولا محافظتهُ على حياتهِ. وعند موتهِ يوضع في جيبهِ حتى اذا وافى دار الخلود يقدّمهُ للبوّاب المعروف باسم « رضوان » فللحال يدخلهُ ويُجلسهُ في المحل المبتاع بدون حِجاج او نزاع

وعلّة تسميتهم بالصارليَّة « على ما يزعمون » ان اللفظة مأخوذة من قولهم: « صارت (الجنة) لي (بالابتياع) » فنُحتت وقيل للواحد « صارلي » وللجمع « صارليَّة » وغير خافٍ ما في هذا الزعم من الخطأ والوهم لانهم ليسوا من ابناء العرب ليحسنوا هذا التصرُّف باللغة وانّما هم من ابناء فارس والتسمية فارسية مرتجلة غير اني لم اقف على معناها

ومن شعائر دينهم ان هذا الشيخ يوافي قومهُ مرَّة ثانية في رأس السنة القمريَّة فيعمد كلُّ رجل « متزوّج » صاحب امرأة حيَّة الى ذبح ديك فيطبخهُ مع ارز او قمح او طعام آخر ممَّا ليس فيهِ مرق وبعد ذلك يأتي بهِ الى الشيخ فيضعهُ هذا على سُفرة طويلة والديكُ وراء الديك الى ان يتمّ العدد فيأتي الرجال ومعهم نساؤهم فيجلس الرجال على الشق الواحد والنساء على الشق الآخر وقبل ان يبدأُوا بتناول العشاء يقوم الشيخ فيعظهم ثم يصلي على الطعام ويُباركهُ وبعد ذلك يأخذون بالاكل. ويسمون هذا الغداء « اكلة المحبَّة » واذا فرغوا من ملء بطونهم ينهض الشيخ فيقول: « ان هذه الليلة هي ليلة عظيمة ومن عرف امرأتهُ فيها فالمولود يكون مكرَّماً عندهُ تعالى ورفيع المنزلة » وبعد ان ينتهي من مثل هذا الكلام يأمر باطفاء السرُج والأنوار وحينئذٍ تجري امور بينهم يأنف القلم من تسطيرها. الّا انهم يزعمون ان ما يرويه الناس عنهم هي اكاذيب مختلقة لا حقيقة لها ولا سند. وهم يسمون هذه الليلة « ليلة الكفشة » واللفظة مشتقة من كفش بالفاء اي قبض ومسك وسبب التسمية واضحة

ولا يجوز للشيخ عندهم ان يحلق شاربهُ او لحيتهُ ولهذا ترى لحاهم اطول من

لحية التيس واذا أراد الركوب او السفرَ طواها طيّات وجعلها في كيس لهُ لهذه الغاية ولا ينشرها الّا عند إلقائهِ العصا

وهم يبيحون الطلاق. والإضرار عندهم شائع. وصداق الابنة ويبلغ بعض الاحايين الف بشلك يأخذهُ ابوها

اما كتابهم الديني فلم استطع ان اعرف عنهُ شيئًا الّا انهُ فارسي العبارة

٤ً (صناعتهم) لا صناعة لهم الّا الفلاحة وتربية الغنم والمواشي

ب الباجوران (Les Badjoran)

١ً (تعريفهم ومحلّ وجودهم) الباجوران بباء في الاول يليها الف بعدها جيم حركتها بين الفتحة والضمة ثم واو ساكنة يليها راء مفتوحة فالفٌ فنونٌ جيلٌ من الناس لهم دين خصوصي بهم يسمونهُ : « اللّاهيّ (Allâhy) » وهم منبثّون في القرى المجاورة لولاية الموصل. ومن هـذه القرى « عُمَرْ كان » و« تيراخ زيارة » و « تلّ يعقوب » و « بَشْبيتا » وغيرها. ومن هؤلاء من هم منتشرون في بلاد ايران وبالاخصّ في القرى المتاخمة للبلاد العثمانية. واصل نشأتهم من البلاد الفارسية ايضاً

٢ً (لغتهم) ان لغتهم وان كانت مزيجًا من اللغات الثلاث المعروفـة في تلك الاصقاع اي الفارسية والكردية والتركية الّا انها لا تشبه بشيء لغة الصارليّة وان كانت هذه ايضاً مركّبة من نفس هذه اللغات الثلاث كما مرَّ بك. والباجوران الموجودون في البلاد العثمانية يحسنون التكلم ايضاً بعربية تلك الديار

٣ً (دينهم وبعضٌ من شعائرهم) قد علمتَ ان لهم دينًا خاصًّا بهم لا يدين بهِ غيرهم وهم يسمونهُ « اللاهي » ولُباب معتقدهِ انهم يوحدون الله ويحبّون الانبياء الّا انهم يعظّمون اسماعيـل تعظيماً دونهُ تعظيم سائر الانبياء ويستحلّون شرب المسكرات حتى ان ائمّة مذهبهم لا يستنكفون منها. ورؤساءهم كثيرون وبكل رئيس منوطة عناية ست أُسر او سبع ومنها تجري عليـهِ ارزاقهُ. ولا يحقّ لهُ ان يسترزق من العيال التي ليست تحت رعايتهِ. والصوم عندهم حرام وهم لا يعرفون الصـلاة ابدًا. الّا ان لهم حفلة دينيّـة غريبة في بابها تجري في بعض اعيادهم. وهي انهُ يوم يزور فيهِ الرئيس رعيّتهُ يعمد الرجل الى سَلق سبع بيضـات من البيض الغريض ابن يومهِ ثم

تُجمع بيوض جميع تلك البيوت وتُجعل في الدار التي ينزل فيها الرئيس فيأخذ هذا بتقشير البيض واحدةً واحدة وبعد ذلك يُخذْعل بسكين كل واحدة منها سبع خذاعيل و يجعلها في وعاء واحد ثم يشرب الحضور مسكرًا وبعد ذلك يصلّي الرئيس على البيض وهي الصلاة الوحيدة الموجودة عندهم ثم يقول ما معناه ُ:« هذا البيض هو قربان اسماعيل فلا يجسرنَّ الواحد منكم ان يدنو منهُ ويتناول شيئًا من ذلك ما لم يقرّ جهارًا بالاثم الذي اجترحهُ وبالدنايا والخطايا التي ارتكبها » فحينئــذٍ يعترف كل واحدٍ من الجلوس بالخطيئة التي ركب مطيَّتها من سرقة وقتل وزنى وحِنْث وتجديف وكفر الخ وبعد ذلك يتقدَّمون الى تناول الطعام

ومن فرائض دينهم نَدْب الحسين في ايَّام العاشوراء وفي بدء تلك الايام يأخذون عدَّة اولاد يجرحونهم بمــديةٍ فوق المرفق من الجانب الإنسي ويجولون بهم في البيوت ليتذكَّروا احزان الحسين واوجاعهُ ثم يصرف السَّكن هؤلاء بأُمنطقٍ مهما كانت وبالاخصّ ينفحونهم بشيء من الحبوب والقطاني فيأتي بها هؤلاء الى بيت معلوم وفي النهار التاسع تُطبخ معًا جميع تلك الاطعمة ويسمون الحاصل من هذا الطبخ « شَشًا » فيوزّعون منهُ على جميع الدور من المتمسكين بعروة دينهم

والطلاق عندهم جائز كما انَّ الإضرار (تعدُّد الزوجات) عندهم جارٍ

امَّا كتابهم الديني فليس لهُ ذكر بين الناس

٤ً (صناعتهم) لا مهنة لهم سوى الزرع وتربية الضرع على حدّ ما يفعــل الصارليَّة المتقدم ذكرهم

ج الشَبَك (Les Chabac)

١ً (تعريفهم وموطنهم) قد جاء ذكر الشبك استطرادًا (في المشرق ٢ : ٣٩٥ في الحاشية في الكلام عن اليزيديَّة) وهم جيل من الناس من عُنصر كردي لا يُعرف لهم دين خصوصي وهم منبثُّون في قرى عديدة منهـــا :« عليّ رشّ »و « يَنكيجا » و « خَزْنة » و « تَلَّارة » وقرى اخرى عديدة في اطراف جبل سنجار ومنهم من هم منتشرون في بلادِ ايران على تخوم البلاد العثمانية

٢ً (لغتهم) تختلف عن لغتي الجيلين المذكورَين وان كانت هي ايضـًا خليط من الكرديَّة والفارسية والتركيَّة ويعرف اصحابها ايضًا اللغة العربيَّة

٣ً (ديانتهم وعوائدهم) يوحّدون الله ويحبّون عليًّا محبّةً عظيمة ويسمونهُ « عليّ رشّ » ولا يعرفون صوماً ولا صلاة بل يكرهون من كان منهم يفعل ذلك كل الكراهية وفي اغلب الاحيان يشاركون اليزيديّة في بعض حفلاتهم الدينيّة وفي زيارة مزاراتهم (راجع المشرق٢ : ٣٩٥) . ولهم عادة دينيّة قبيحة منكرة وهي انهم يجتمعون في ليلة يعيّنها الرئيس في كل سنة عند مدخل مغارة عظيمة سرّيّة يحيونها في الاكل والشرب والقصف واللهو تُعرف عندهم « بليلة الكفشة » كما سماها الصارليّة ويختمونها بارتكاب اشنع المنكرات ويحضر تلك السنّة الذكور والاناث من صغار وكبار (راجع ايضاً المشرق ٢ : ٧٣٢ وكتاب القاضل ڤيتال كينه ص٧٧)

ومن عوائدهم ان الرجال منهم اذا تناولوا الطعام يقبضون باليد اليسرى على شواربهم ليرفعوها لكي لا تتلوَّث بالطعام وباليد اليمنى يأكلون ولا يجوز لهم البتّة حلق شواربهم او لحاهم وجميع الملل تكره الشبك وقد اصطلح المسلمون في تلك الديار على تسميتهم بالعُوج جمع أعوج لاعوجاج مذهبهم واذا خاطبوا الواحد منهم نادوهُ : « يا أعوج »

٤ً (صناعتهم) الفلاحة وتربية المواشي

خاتمة في فصول عامة بين اصحاب هذه الاديان الثلاثة

ان هذه الاجيال الثلاثة وان تباينت اديانها واختلفت مذاهبها الّا ان بينهم جامعة واحدة تجمع اصحابها وتأخذ برقابهم وتسوقهم جميعاً الى عنصر واحد وهو العنصر الكردي في الاصل وعلى الاغلب وان كان بينهم عدد عديد من الفرس . وهذه الرابطة هي ملامح الوجه وتقاطيعهُ فانك ترى الباجوران والصارليّة والشبك كالكرد مفتولي الخلق شديدي العَضل طوال النجاد لطيفي الأطراف سُمر البشرة قُنْي الانوف يغلب على عيونهم الدُبسة (لون بين السواد والحمرة) وعلى شعورهم السواد . واسنانهم بيضاء برّاقة متناسقة متضامّة وافواههم واسعة وصدورهم رحبة وغير ذلك من الفصول المميّزة للاكراد وبالخصوص يغلب على اخلاقهم الجَنَف والعُنُف والهمجيّة والعُنجهيّة على نوع لا تُرى الّا في الاكراد وشرٌّ من ذلك انها معقودة بالحقد والضغينة اللتين تخفيهما المداهنة وتظهرهما الغِرّة حتى انهُ :

يلقاك والعسل المصفّى يُجتنى من قولهِ ومن الفعال العلقمُ

من الجروم الى الصرود

(فكاهة)

للمعلم الاديب يوسف افندي فاخوري احد اساتذة المدرسة البطريركية الزاهرة

يبروتُ جوّكِ في الشتاء جميلُ وهواء ثغركِ في الربيع بليلُ
وزلالُ مائك في الخريف يروقنا ورياض ارضكِ بالقلوب تميلُ
وطباعُ اهلكِ يا مدينة رقّةٌ واللطف إرثٌ والوفاء سليلُ
من كلّ اروع لا ينهنهُ عزمَهُ يومَ النوائب في الامور جليلُ
فيكِ المدارسُ والمعاملُ والتجا رةُ والصناعةُ والكرام قبيلُ
وبكِ الحياة يلذُّ عذب مياهها تصفو وتعذب والهناء زميلُ
لكنَّ صيفك كالجحيم بنارها وشعاعُ شمسك كالوقيد شعيلُ
عرَقٌ كماء النهر منّا هاطلٌ وعلى النحور من الخدود يسيلُ
وغبار سُبلكِ في الفضاء محلّقٌ وعلى الرؤوس من الغبار سبيلُ
والناس تطلب من مياهك رشفةً وبجرعةٍ من مائك التشميلُ
والثلج لا يروي الغليل وانَّما بالثلج زاد من العطاش غليلُ
والليـــل تحييهِ البراغيث التي تأبى الرقاد ولا تزال تجولُ
والبقُّ ضيفٌ بالمنازل قاطنٌ تبًّا لهُ كم ذا المضاف ثقيلُ
والبرغشُ الوخّاز رام ترالنــا وحُماتهُ ما مسّهنَّ فلولُ
والصرصرُ المكروه صوت صريرهِ قطن الديارَ وقربهُ مملولُ
نبغي الدفاع ولا دفاعَ بوسعنا يولي انتصارًا والعدوُّ نحيلُ
ألِف التهجُّدَ جفنُنا في ليلنا والليل إن أرِق الانام طويلُ
والناس من حرّ النهار تكاسلوا طلبوا المقيل وما اليهِ وصولُ
كرِهوا الطعام ولا طعام دون شر بِ زلالِ ماءٍ طيبهُ معسولُ
فلتلك احوالٌ تحطُّ من القوى فيُداهم الجسمَ القويَّ نحولُ
ان كنتَ تبغي صحّةً ومسرَّةً فهوا الصرودِ السقمَ عنك يزيلُ

فالماء عذبٌ رائقٌ ذو لذةٍ والحظُّ فيها للمقيم خليلُ
لله درُّكِ يا صرودُ فثغركِ الـ م شتر البهيُّ يقال عنهُ جميلُ
كم من مريض امَّ ارضَكَ طالبًا برء السقام فبدا بكِ المأمولُ
سبحان ربّكِ فالجروم مفيدةٌ وقت الشتاء وبها الهنا مبذولُ
في الصيف منفعة الصرود غزيرة تحيي القوى وبها يفاد عليلُ
انَّا لندري بالإله مدبّرًا هذا الملا ولنا الضمير دليلُ
لا شكَّ ربكِ ذا التغيّرَ مبدعٌ فهو الالهُ وبالإلهِ اقولُ

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٣ انهار لبنان: منافعها واسماؤها

اسماء انهر لبنان قديمًا وحديثًا

قلنا انَّ اول أنهر لبنان شماليًّا نهر البارد. والمظنون انهُ هو النهر الذي دُعي قديمًا بروتُس (Bruttus او Brutus) وان اشتقاقهُ من اصل ساميّ

ثم اننا نجهل الاسم الذي عُرف بهِ عند القدماء النهر الثاني اي ابو عليّ. كما اننا لم نجد في كتب العرب سبب هذه الكنية او الرجل الشهير الذي اعارهُ اسم ابي عليّ

امّا نهر ابراهيم فقد مرَّ ذكرهُ في مقالة سابقة (راجع المشرق ٢ : ٧٠٢ و ٣ : ٢٩٠) حيث اثبتنا ما يختصّ باسمهِ القديم ادونيس (اي تمّوز) وباسمهِ الحديث

وكذلك لا حاجة الى تكرار ذكر نهر الكلب وتعريف اسمائهِ وقد سبق لنا في ذلك فصل مطوَّل (راجع المشرق ١ : ١٠٨٧)

وان تخطَّينا الى نهر بيروت وجدنا ان اسمهُ مشبوهٌ بهِ وان كان الرأي الشائع انهُ هو نهر ماغوراس الذي ذكرهُ بلينيوس في تاريخهِ الطبيعي (ك ٥ ف ١٧) فجعلهُ في

جوار بيروت. وفي قولهِ هذا نظر اشرنا اليهِ في اول مقالاتنا عن آثار لبنان (المشرق ١ :١٠١٦)

ومما حمل العلماء على القول بانَّ ماغوراس هو هو نهر بيروت ان بلينيوس جعلهُ على مقربة من بيروت وليس لهذه المدينة نهر آخر الَّا النهر المنسوب اليها فضلًا عن اننا نعرف الاسماء القديمة التي أُطلقت على الانهر الواقعة جنوبيَّ بيروت وشماليَّها ما عدا اسم نهرها

على انَّ بعض العلماء شكُّوا في ذلك وظنُّوا ان مقصود بلينيوس بنهر ماغوراس انما هو نهر الدامور لانهُ في وصفهِ لمدن الساحل مباشرةً من الجنوب الى الشمال ذكر ماغوراس قبل بيروت كأَنهُ جعلهُ جنوبي هــذه المدينة وهو كما لا يخفى في شماليها. ولمَّا كان بلينيوس ضرب صفحًا عن ذكر الدامور ظنوا انهُ دعا هذا النهر باسم ماغوراس

هذا الرأي لا يخلو من شبه الصحَّة بيد اننا نفضــل القول بان بلينيوس لم يُراعِ النظام الطبيعي فقدَّم ذكر النهر على ذكر المدينة بدلًا من ان يؤخرهُ. ومثل هذا التقديم والتأخير كثير في كتب القدماء. او يُقال انَّ هــذا الامر جرى على يد النسَّاخ سهوًا منهم. ومن ثمَّ فانَّ الرأي الاصحّ عندنا ان ماغوراس هو نهر بيروت ليس نهر الدامور. فعسى العلما ان يجدوا كتابة تؤيد رأينا وتزيل كلَّ شبهة عن نصّ بلينيوس وهو الكاتب الوحيد الذي ذكر اسم ماغوراس

هذا وان نهر الدامور قد تكرَّر في كتب القدماء وهم يدعونهُ تاميراس وقد عرفــهُ المؤرخ پوليبيوس باسم داموراس (Δαμούρας) والمشابهة بين الاسم القديم والحديث ظاهرة. وكذلك لا شبهة في تعريف اسم « الاوَّلي » القديم. فان الكتبة قد دعوهُ بُستِرينوس (Bostrenus)

بقي آخِر انهــار لبنان جنوبيًّا وهو الليطاني فان في تعريف اسمهِ القديم مشكلًا عظيمًا ولعلَّ القدماء لم يتعرَّضوا لذكرهِ وقــد شاع اليوم عند الكتبة المحدثين ان الليطاني هو نهر لاونتيس (Leontès) او نهر الاســد (Λέοντος πόταμος) الذي ورد اسمهُ في بعض تآليف اليونان فحُرِّف الى الليطاني. وكنَّا نحن ايضًا جنحنا الى هذا القول (راجع المشرق ١ :١٠٨٨) لما فيهِ من شبه الحقيقة. لكنَّ في هذا الرأي عقبات كما سترى

فلنباشر اولًا بذكر الاشياء المقرَّرة التي لا يُختلف في صحَّتها

من المعلوم ان اسم هذا النهر حاليًا الليطاني ويُدعى عند مصبّهِ بالقاسميَّة. وعلى الاصحّ انهُ عُرف بذلك لمزار هناك يُدعى النبي قاسم. وزعم البعض ان القاسميَّة مشتقَّة من القَسْم كانَّ النهر قاسمٌ بين صور وصيداء او بين بلاد الشقيف وبلاد بشارة وهو رأي باطل لا سند لهُ والدليل على بطلانهِ انهُ لا يُطلق عليهِ هذا الاسم الّا تحت قلعة الشقيف لمَّا يلتوي عن سيرهِ الجنوبي فيجري الى البحر. فلو كانت نسبتهُ الى قَسْم البلدين لصدق الاسم عن كل مجراهُ الجنوبي لا عن مصبهِ فقط. ثمَّ ان هذا الاسم معروف منذ بضعة اجيال ذكرهُ خليل الظاهري في كتابهِ زبدة كشف الممالك والمقريزي في تاريخ المماليك (١

امَّا اسم الليطانيّ فانهُ قد ورد في اوصاف البلدان لكتبة العرب على صورة « ليطة » فكذا دعاهُ شمس الدين الدمشقي (ص١٠٧) وابو الفداء في حاشية على تقويم البلدان وقبلهما الشريف الادريسي في كتاب نزهة المشتاق (٢. ويروى ايضًا في بعض النسخ « لنطة » بدلًا من ليطة. وليس لليطاني ذكرٌ في جغرافيي العرب غير هؤلاء الثلاثة. ولا عجب فان العرب قلَّما كتبوا في أنهر لبنان فلا تكاد تجد من اسمائها في تآليفهم سوى ثلاثة او اربعة

وان بحثنا عن الليطاني في مصنَّفات سابقة لعهد مؤلفي العرب اي قبل القرن الثاني عشر وجدنا كتبة اليونان والرومان اقل صراحةً من العرب. ولعلهم ضربوا عنهُ صفحًا. وانما نستثني منهم اسطرابون الذي اشار الى الليطاني اشارة صريحة حيث قال: « ويجري قرب صور نهر » بيد انهُ لم يُفدنا عن اسمهِ شيئًا. وان استطلعتَ بقيَّة المؤلفين كسكيلاكس وبمبونيوس ميلا وبلينيوس وبطلميوس لا ترى لهم كلمةً عن هذا النهر كما انهم لا يذكرون البتَّة نهر الزهراني الذي يجري جنوبي صيداء

قلنا ان كتبة اليونان لم يذكروا الليطاني. أجل لكنَّ بعضًا منهم ذكروا نهر لاونتوس (Λέοντος πόταμος) فلمَ لا يكون هـذا النهر هو الليطاني فيكون جرى على الاسم

(١ Quatremère : *Sultans Mamlouks*, II, 1 partie, p. 174

(٢ راجع طبعة غلدميستر ص ١٣

اليوناني بعض تحريف لمّا نُقل الى العربيّة. نجيب اننا لم نكن لنتردّد في تصويب هذا القول لولا ان بطلميوس (ك ٥ ف ١٤) جعل هذا النهر بين بيروت وصيداء وهذا لا يوافق الليطاني كما لا يخفى. وكذلك نرى تشويشاً عظيماً في ما كتبهُ هؤلاء المؤلفون في « لاونتوس » التي نُسب اليها هذا النهر فهم يقولون انهُ كان في ساحل فينيقية مدينة تدعى لاونتوبوليس ومنهم من يجعلها بين بيروت وصيداء جنوبي نهر الدامور. وهو رأي اسطرابون الجغرافي. امّا بلينيوس فيزعم ان موقع لاونتوبوليس بين بيروت ونهر الكلب. وفي جغرافيّة سكيلاكس ان هذه المدينة جنوبي صيداء. وهذه كلها آراء متضاربة واقوال متباينة لا يستفاد منها شيء صريح في امر اسم الليطاني عند اليونان امّا لاونتوبوليس فسيأتي ذكر موقعها قريباً

ومن غريب الامور ان الاسفار الالهيّة لم تنوّه باسم الليطاني مع انّهُ كان على الرأي الارجح احد حدود الاراضي المقدسة (١. فترى ممّا سبق ان تعريف موقع هذا النهر واسمهُ وتاريخهُ القديم لمن المعضلات التي استغلق بابها على الباحثين في مجاري المياه اللبنانية

ولكن دعنا ننظر لفكّ هذا المشكل في الكتابات التي سبقت عهد بني اسرائيل فلعلّنا اذا رقينا في سلّم الادهار وقفنا على حقيقة الامر كما ان مياه الانهار تزيد صفاء اذا قربت من مخرجها

واعلم انهُ قد ورد في الكتابات المصريّة الهيروغليفية اسم اقليم يدعى « رطنو » و « رتنو » و « رتينو » موقعهُ شمالي فلسطين وحيث اليوم سهل البقاع الذي فيهِ يجري الليطاني. ثم انّ الراء في اللغة المصريّة من الحروف الذُّلق التي كثيرًا ما تُبدل باللام فتكون « رطنو » و « لطنو » عبارة عن اسم بلدٍ واحد (٢. ومن ثمّ فليس بمستبعد أن يكون اسم الليطاني اشارة لهذا القطر ومعناهُ « النهر الجاري في بلد لطنو » فقيل اختصارًا « ليطاني » كما نقول نهر بيروت ونهر عكّار دلالةً على البلد الذي يجري فيهِ هذان النهران

---

١) راجع المجلة الكتابية سنة ١٨٩٣ (ص ٢٣)

٢) راجع في مجلة اللاهوت الكاثوليكي (Zeitschrift f. kathol. Theologie, 1902, p. 402) بحثًا حسنًا في ما نحن بصددهِ للدكتور شندا ترَيل كلّيتنا قبل عامين

وعلى رأينا ان هذا الشرح اقرب الى الحقيقة في تعريف اصل اسم الليطاني القديم. امّا اسمهُ اليوناني فلا سبيل الى توفيقهِ على ما كتبهُ اليونان بخصوص نهر لاونتوس. والله اعلم

(ستأتي البقية)

الرتبة البطريركيّة

نبذة في اصلها وتاريخها وحقوقها

للاب ميخائيل تاميزيه اليسوعيّ (لاحق بسابق ص ٤٣٣)

في فصل اوّل توخّينا بيان اصل الرتبة البطريركيّة في الكنيسة فاظهرنا ببراهين عقليّة وادلة نقليّة ان المسيح لذكرهِ السجود لم ينشئها بنفسهِ اذ لا اثر لها في الانجيل الطاهر وانّما وضعها الرسل وفي مقدّمتهم بطرس الصفا لما وجدوا في وضعها من الوسائل الضامنة لحسن سياسة الكنيسة وترقية شؤونها. ولم تكن هذه الرتبة في الاصل الّا سيطرة بعض الكنائس المنشأة في حواضر المدن على كنائس أُخر اخذت عنها الايمان او وقعت في حيّزها فصارت تحت حكمها. وانّما امتازت بين هذه المراكز مدينتان كان لهما بعد رومة من الخطر وعظم الشان ما لا يختلف فيهِ اثنان وهما الاسكندريّة وانطاكية اختارهما هامة الرسل فجعلهما كرسيّين ممتازين نالا من سمو مقامهِ رفعةً وجلالًا لم ينلهما غيرهما من الكنائس المنتمية الى الرسل

وقد خُصَّ اصحاب هذين الكرسيين باسم يفرزهم عمَّن سواهم فدُعوا بطاركةً منذ النصف الاوَّل من القرن الخامس. وقد أُطلق هذا الاسم اولًا على الاحبار الرومانيين (١

١) سبق في المشرق (٥: ٤٣٩) ان اسم البطريرك ظهر لاول مرَّة في اعمال المجمع الخلقيدوني وقد وجدناهُ قبل هذا العهد بقليل في المؤرخ سقراط المتوفى سنة ٤٤٠ ذكرهُ دون تخصيصهِ باصحاب الكراسي الاربعة (راجع اعمال الاباء اليونان في المجلد ٦٧ ص ٥٧٩) ثمَّ لقب بهِ نسطوريوس المبتدع (ك ٧ ف ٣١). وكان القديس غريغوريوس النزينزي استعملهُ سنة ٣٨٢ في خطبتهِ الوداعية لشعبهِ اشارة الى كبار الاساقفة اجمالاً (راجع اعمال الاباء لمين ج ٣٦ ص ٤٨٦). وقد خصَّصهُ القديس كيرلس الاسكندري بالحبر الروماني قبل المجمع الخلقيدوني في خطبةٍ لهُ اثبت

ن شاع اسم البابا فصار خاصًّا بنوّاب المسيح على الارض لسيادتهم على الكنيسة وبقي اسم البطاركة للكرسيَّين اللذين دون الكرسي الروماني مرتبةً اعني كندريّة وانطاكية. هذه خلاصة مقالتنا الاولى

يد اننا نرى اليوم ان الرتبة البطريركيّة ليست محصورةً بالكرسي الاسكندري رسي الانطاكي بل توفّر عدد الذين يُرقَون الى هذا المقام الرفيع فتُرى كيف حصل ؤلاء على هذه المنزلة الخطيرة وكيف نالت كراسيّهم هذه الامتيازات السامية

علم ان اول من حظي بالرتبة البطريركيّة بعد الاسكندريّة وانطاكية صاحبا سيَّين الاورشليمي والقسطنطيني. امّا توصّلهما الى ذلك فانهُ يستدعي بعض ح فنقول مباشرين بذكر القدس الشريف

*

(البطريركيّة الاورشليميّة) لمّا اختار الرب مدينة صهيون فقدّسها ببشارتهِ مه وموتهِ وقيامتهِ اضحت اورشليم امّ الكنائس النصرانيّة والسابقة لهنّ جميعًا اذ رج الرسل ليطوفوا في اقاصي المسكونة وينشروا ملكوت الله

كنّ نبوّة المسيح عن هذه المدينة لم تلبث ان تتمّ بالحرف (لوقا ١٩ : ٤٢—٤٤) ذ لم تعرف وقتَ افتقادها احاط بها اعداؤها بمترسةٍ وضيّقوا عليها وهدموها غير ، فيها حجرًا على حجر. فصارت مذ ذاك الحين قاعًا صفصفًا لم يأوِ اليها الّا بنات وينعب فوقها الغربان. امّا المتنصّرون من بنيها فكانوا بوحي منهُ تعالى خرجوا من وعبروا الاردن وسكنوا بلدةً تدعى بِلّا (Pella) وكان لهؤلاء النصارى اسقف م خلف يعقوب اخا الرب في تدبير شؤونهم . ولمّا كان هؤلاء المتنصّرون من

رن العذراء مريم ام الله قال: « ولنا شاهد حقّ عن ذلك في الاب الاقدس ورئيس اساقفة ة كلها سلستينوس بطريرك رومة العظمى »

Μάρτυρα παρέχωμεν ἀξιόπιστον... τὸν ἁγιώτατον καὶ ἀρχιεπίσκοπον τῆς οἰκουμένης Πατέρα τε καὶ πατριάρχην Κελεστῖνον τὸν τῆς μεγα λεως Ῥώμης

راجع اعمال اباء اليونان المجلد ٧٧ ص ١٠٢٩) وفي هذه الشهادة احسن ردّ على من نسبوا رئاسة الى الكرسي الرسوليّ

اصل يهودي حفظوا قسماً كبيرًا من السنن الموسويَّة التي اعتادوها قبل تنصرهم فغلبت عليهم الشيع ومرقوا عن الدين المستقيم

وبقيت اورشليم في حالتها من الخراب حتى اعادها ادريانوس الملك الى عالم الوجود في اواسط القرن الثاني للمسيح وجعلها مستعمرة رومانية ودعاها ايليا (Ælia) فاسرع النصارى وتواردوا الى سكنى المدينة المقدسة. وكان اكثرهم من المتكلمين باليونانية فاتخذوا لهم اساقفة يتكلمون بلغتهم وجعل قطيعهم ينمو شيئاً فشيئاً وينحاز اليهِ قوم من المتكلّمين بالسريانيَّة. لكنَّ هذا الكرسي بقي خاملًا مجهولًا تحت رئاسة كرسي قيساريَّة فلسطين الى ان قشع نور النصرانيَّة ظلام الوثنية وامتدَّ تعليم المسيح في كل الاقطار فاضحت اورشليم مطمحاً لنظر المؤمنين يحجّون اليها من كلّ اوب لاسيما بعد ان وجدت فيها القديسة هيلانة صليب المسيح وذخائر آلامهِ وشيَّدت الكنائس الملكيَّة المعدودة من افخم المباني الدينيَّة. فصار لاساقفة اورشليم من جرَّاء ذلك شرفٌ دونهُ شرف اصحاب الكنائس الكبرى. فرأى آباء المجمع النيقاوي ان يُثبتوا للقدس الشريف ما نالهُ في اعين النصرانيَّة من العزّ والفخر فجعلوا لصاحبهِ المحل الاول في الجامع بعد صاحبي الاسكندريَّة وانطاكية لكنهم لم يُحدثوا شيئاً في امر استقلالهِ وابقوهُ تحت ادارة كرسي قيساريَّة فلسطين

على انَّ هذه الحالة لم تدم زمناً طويلاً فحدث بين اساقفة اورشليم وقيسارية منازعات في الرئاسة ليس من شأننا ان نعدّدها في هذه الخلاصة. ومماً زاد النفور وذات البين انَّ اشياع آريوس كانوا غووا اصحاب كرسي قيساريَّة فاوقعوهم في حبائلهم نخصُّ منهم بالذكر اوسابيوس القيسري صاحب التاريخ وخلفهُ اقاقيوس. وكان على خلاف ذلك اساقفة اورشليم رجالًا ذوي فضل وفضيلة زيَّنوا عصرهم بمناقبهم الجليلة كالقديسين ماكاريوس (٣١٢) ومكسيموس (٣٣٠) وكيرلُس (٣٥٠—٣٨٩) وكانوا يتلهَّبون غيرةً صيانة وديعة الايمان ويناصبون اهل الضلال رغماً عماَّ لحق بهم من المحن والاضطهادات ولمَّا رأوا ان مطارنة قيسارية يشايعون الاريوسيين تصدَّوا لهم وطلبوا من آباء الجامع الخصوصيَّة التي عُقدت في القرن الرابع ان يطلقوا سراحهم فيكون كرسي اورشليم مستقلّا ليس لصاحب قيساريَّة عليهِ سلطة دينيَّة لاسيما ان اورشليم كرسي يعقوب اخي الرب واعظم مدن النصرانيَّة بمآثرها القديمة

على ان هذه الاعتبارات كلها لم تفز بالمرغوب وبقي الكرسي الاورشليمي تحت حكم قيسارية حتى سُقّف يوفينال وتولى زمام رعيّة القدس الشريف. وكان يوفينال رجلاً مقداماً ذا سطوة ونفوذ لا يُحجم في سبيل رغائبه عن الوسائل التي يراها كافلةً بالنجح والفوز فيلتجئ الى التملّق حيناً وحيناً الى الصلات والعطايا ويتقرّب تارةً الى الامراء والحكّام وطوراً الى اصحاب البدع. فلم يزل يفتل في الذروة والغارب حتى حمل تاودوسيوس الملك على ان يحرّرهُ من كرسي قيسارية ويجعلهُ رئيس اساقفة على ثلاثة اقاليم فلسطين. غير ان مكسيموس بطريرك انطاكية اقام عليهِ الحجة وتعرّض لهُ في سبيل مساعيهِ امّا يوفينال فلم يكن ممّن ينكصون على الاعقاب فصانعهُ وداهنهُ وخاتلهُ وراوغهُ حتى نال رضاهُ بشرط ان يدع تحت حكم الكرسي الانطاكي اقليمي فينيقية والبلاد العربية. ولمّا كان المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ أحفى الآباء وبرّح بهم في الالحاح حتى صادقوا على تقديم كرسيهِ وجعلوهُ كرسيّاً بطريركيّاً مستقلّاً عن انطاكية. لكن مكسيموس الانطاكي ندم على ما فرط منهُ وكتب الى الحبر الاعظم القديس لاون الكبير ليوقفهُ على حقيقة الامر. فما بلغ علم البابا هذا التفصيل حتى ابطل بحكمهِ السامي كلّ ما صار في المجمع بهذا الشان وامر بان يجري الكلّ على مقتضى قوانين مجمع نيقية واخذ على نوّابهِ في المجمع لمصادقتهم على مطامع يوفينال دون اطلاعهِ على ماجريات الامر

الّا ان يوفينال اصمّ سمعهُ دون اوامر البابا مستنداً الى رأي الاباء الذين رماهم في حبائلهِ ولم يزل مذ ذاك الحين يتصرّف في اعمالهِ تصرّف البطاركة ويدّعي بحقوقهم وكذا فعل من بعدهِ خلفاؤهُ على الكرسي الاورشليمي. امّا الاحبار الاعظمون فلم يقرّوا بقانونيّة هذا العمل وما فتئوا يعتبرون كرسي بيت المقدس كاحد الكراسي الشرفيّة التي ليس لها سلطان على سواها من الكنائس وجروا على ذلك الى ان عُقد المجمع المسكوني الثالث عشر وهو اللاتراني الرابع سنة ١٢١٥ فاصلحوا الفاسد وثقّفوا العوج ومنحوا حقوق البطريركية لصاحب بيت المقدس

*

(البطريركيّة القسطنطينيّة) بينما كان اصحاب الكرسي الاورشليميّ يسعون في حلّ ربقة قيسارية ويبرهنون عمّا لكنيستهم من الخواصّ لينالوا لها ضرباً من الاستقلال

ظهرت في بلاد ثراقية مدينة صُغرى استوقفت بموقعها انظار ملوك رومة فاتخذوها تختاً لملكهم. ألا وهي مدينة بوزنطية التي احتلّها قسطنطين الكبير وجعلها حاضرة مملكته التي اظفرهُ الله بها بعد قهر اعدائهِ. ولم يكُ قبل ذلك العهد مقام بوزنطية من حيث الدين اعظم من مقامها من حيث الرتبة المدنيَّة فاننا لا نرى صحَّة لما زعمهُ البعض انَّ القديس اندراوس بشَّر فيها بالانجيل وسقَّف عليها بعض تلامذتهِ. وانَّما التاريخ الصادق لا يذكر لبوزنطية اسقفاً قبل مطروفانيس القديس الذي تولّى رعاية هذه الكنيسة سنة ٣١٥ (راجع قول المسعودي في المشرق ٥: ٢١٩) ولهذا السبب لم يورد آباء المجمع النيقاوي ذكرًا لصاحب الكرسي البوزنطي ولم يفرزوهُ عمَّن سواهُ من الاساقفة وهو اذ ذاك تحت حكم رؤساء اساقفة هِرقلة (Héraclée)

وكان دخول قسطنطين مدينة بوزنطية سنة ٣٢٩ م فما احتلَّ ربوعها حتى تغيَّرت احوال البلدة الخاملة وصارت بعد زمن قليل امّ المدن وعاصمة الدولة الرومانيَّة دون منازع فدُعيت لذلك رومية الجديدة. وكان خلفَ وقتئذٍ مطروفانسَ في كرسيهِ القديسُ اسكندر ثمَّ قام بعدهُ سنة ٣٤٢ القديس بولس الذي جاهد في سبيل الله وقاوم البدعة الاريوسيَّة فنقم عليهِ المبتدعون ونفوهُ مرارًا من كرسيهِ لاجل الايمان وحاولوا زرع الزوان في كرم الرب. وكان اكبر همّ هؤلاء الدخلاء ان يعظِّموا سلطتهم ويوسّعوا دائرة نفوذهم. وقام بعد القديس بولس اساقفة دونهُ قداسةً وصلاحاً بل أجراء يرعون انفسهم كما يقول حزقيال وينهبون قطيع الله منهم مقدونيوس الاراتيكي واودكسيوس وديموفيلوس المبتدع فلم يرضوا بان يكون كرسي القسطنطينيَّة دون الكراسي الرسوليَّة المجاورة لهُ كافسوس وازمير وقورنثوس وتسالونيقية وقيساريَّة. ومن ثمَّ افرغوا كنانة جهدهم في شق عصا الطاعة لهِرقلة وصاحبها. وما اكتفوا بذلك حتى اعتلاهم التطاول فدفعهم الى تنكيس هذه المراكز وحطّ درجتها

وقد ساعدتهم على ذلك الظروف اذ وجدوا في بعض ارباب السلطة عضدًا وازرًا لترويج غاياتهم فاقنعوهم بان يجعلوا القسطنطينيَّة مركزًا للدين كما اتخذوها حاضرةً للمملكة. وقد وافقهم على ذلك خصوصاً الملكان الاريوسيَّان قسطنطيوس ووالنس رجاء ان يزيدا مقرّ السلطنة جاهاً وعظمةً فرخَّصا لاساقفة القسطنطينيَّة بان يلقّبوا انفسهم باساقفة رومية الجديدة

وكان اساقفة المملكة لا يزالون يتردَّدون الى عاصمة الدولة ليعرضوا على الملك شؤون رعاياهم ويستمدُّوا منهُ النعم والهبات فكانوا اذا اعتاص عليهم الامر التجأوا الى شفاعة اساقفة القسطنطينيَّة وتوسَّلوا الى الملك بوسيلتهم فزاد على هذا النمط مقامهم وترقَّعت مرتبتهم واخذ كثيرون يستعطفونهم ويعظمونهم ويلقبونهم بالألقاب الفخيمة لحاجتهم اليهم في تنفيذ امورهم الزمنيَّة

وممَّا اضاف الى مقام اساقفة القسطنطينيَّة رفعةً وشرفًا مجامع سنويَّة كانوا يعقدونها في مدينتهم تُدعى مجامع بلديَّة (συνόδοι ἐνδημοῦσαι) وهم يتصدَّرون فيها. ولمَّا كان عدد وافر من الاساقفة لا يزالون في هذه العاصمة لاشغالهم المدنيَّة كانوا يحضرون هذه المجامع فتزيد بحضورهم رتبة الاسقف المتقدم عليها

وكذلك كان ملوك القسطنطينيَّة يحوّلون الى اساقفة مدينتهم بعض الدعاوي الدينيَّة والمدنيَّة معًا ليحكموا فيها حكمًا فصلًا فيضطرّ الاساقفة الى مراجعتهم وقبول حكمهم وكلّ ذلك كان يجعل الكرسي القسطنطيني في منزلة خطيرة ويمهد لاصحابهِ السبيل الى ان يطمحوا ببصرهم الى الرئاسة والتسلُّط

على ان هذا روح الطمع لم يعمل في قلوب بعض رجال الله كانوا اتخذوا الفضيلة دأبًا والتواضع ديدنًا كالقديسين العظيمين غريغوريوس النزينزي المعروف بالتاولوغس ويوحنَّا فم الذهب ويا حبَّذا لو حذا كثيرون من خلفائهما حذوهما في نزاهتهما وتجرُّدهما عن التجخُّف

وممَّا ذلَّل لهم الصعاب انَّ آباء المجمع الثاني وهو القسطنطيني الاول سنة ٣٨٢ احبُّوا ان يعظموا الكرسي القسطنطيني ويزيدوا في مقامهِ تزلُّفًا لشخص الملك. ومن ثمَّ وضعوا في ذلك خمسة قوانين باغراء نكتاريوس خلف القديس غريغوريوس فمنحوا صاحب القسطنطينية امتيازات خارقة العادة لم تحقَّ لهُ سابقًا. ولكنَّ هذه القوانين لم يثبتها الاحبار الرومانيون بل لم يعرفوها كما صرَّح بذلك القديس لاون الكبير في رسالتهِ الى اسقف القسطنطينيَّة اناطوليوس الذي استند اليها لتذكية نفسهِ لدى عظيم الاحبار في القرن الخامس فكتب اليهِ لاون: « امَّا قوانين المجمع القسطنطيني الخمسة التي اشرتَ اليها فان الكنيسة الرومانيَّة لم تطَّلع عليها ولم تقبلها وعليهِ فلا قوَّة لها لاثبات دعواك »

وكان قبل اناطوليوس جلس على كرسي القسطنطينيَّة رجل آخر رذلت الكنيسة تعاليمهُ وقطعتهُ من شركتها ألا وهو نسطوريوس الاراتيكي فهذا كان سعى علانيةً في تخويل كرسيهِ الامتيازات والانعامات ليزيد بذلك استقلالًا ويبذر اضاليلهُ في القلوب دون ان يتصدَّى احدٌ لعملهِ الذميم

وهكذا بقيت احوال الكرسي القسطنطيني الى ايَّام المجمع الرابع المنعقد في خلقيدونية يحاول بعض اصحابهِ الترفُّع والفخفخة بينما كان غيرهم على خلاف ذلك لا يطلبون سوى مجدهِ تعالى وخير النفوس ولا يتعدَّون طورهم في الرئاسة يكتفون بما اكسبتهم الظروف من النفوذ والكلمة الراجحة. وقد اشتهر بعد يوحنَّا فم الذهب القديسون سيسينيوس وبروكلس وفلابيانوس وقد دار بينهم وبين الباباوات رسالات تشهد لهم بالفضل وتظهر اعتبار الكرسي الرسولي لاشخاصهم وفضائلهم وتشعر بان الاحبار الاعظمين صادقوا على بعض امتيازاتهم. وكذلك قد ذكر اصحاب سيرة القديس يوحنَّا فم الذهب اعمالًا تدلُّ على ان القديس قضى في شؤون بعض كنائس تراقية وبُنطوس والاناضول وباشر فيها احكامًا شتى وسيطرةً ما ولكنَّهُ يرجَّح ان دعاوي هذه الكنائس رُفعت الى قضائهِ بارادة اصحابها الذين اختاروا القديس كحكم يفضُّ مشاكلهم على نوع حبي

الَّا ان الخطوة العظمى التي خطاها اساقفة القسطنطينيَّة في ترويج مطامعهم انَّما كانت في آخر المجمع الرابع كما سبق القول. وذلك ان الاساقفة كانوا اجتمعوا في خلقيدونية سنة ٤٥١ وعددهم ينيف على ٦٠٠ فحرموا اوطيخا ورذلوا قولهُ في انَّ للمسيح طبيعةً واحدة وشهدوا لرئاسة الكرسي الروماني شهادةً جليلة فانهم اذ سمعوا رسالة لاون الى آباء المجمع صرخوا بصوت واحد: « ان بطرس تكلم بفم لاون » ثم ارسلوا اعمال المجمع بعد انتهائهِ الى الحبر الرومانيّ ليثبتهُ بسلطانهِ الاسمى (βεβαίωσίν τε καὶ συνκαταθέσιν)

الَّا ان مئتين من هؤلاء الاساقفة اجتمعوا يومًا على غير علم القصَّاد الرسوليين وبانفراد عن بقيَّة الآباء ووضعوا قانونًا لتقديم الكرسي القسطنطيني على الكرسيَّين الاسكندري والانطاكي مستندين في هذا العمل الى قانون المجمع السابق ذكرهُ الذي لم يصادق عليهِ الاحبار الرومانيُّون. فلمَّا علم القصَّاد الرسوليُّون بما جرى خفيةً وبعزلةٍ عن بقيَّة اعضاء المجمع

احتجُّوا على الاساقفة الذين اتوا مثل هذا العمل المنافي لقوانين المجامع واخبروا البابا لاون بما حدث. فأبطل الحبر الروماني ما أُبرم في هذه الجلسة الخفيَّة من الاحكام لانهُ رآها مجحفةً بحقوق الكرسيَّين الاسكندري والانطاكي ومضادَّة للمجمع النيقاوي بل لام قصَّادهُ اذ تساهلوا فسمحوا لاناطوليوس ان يجلس في المجمع فوق صاحبي هذين الكرسيَّين وكتب للملك مرقيان وللقديسة بولخاريا قرينتهِ مشدّدًا النكير على ما فعلهُ اناطوليوس واشياعهُ دون رضى الكرسي الرسولي (١. فاضطرَّ اناطوليوس الى ان يستميح عذرًا من لاون البابا ويرذل ما جرى في المجمع مدَّعيًا انَّ الامر صار بسعي قسم من الاكليروس دون مشيئتهِ (٢. ولذلك لم تدوَّن اعمال هذه الجلسة في اكثر نسخ اعمال المجمع الخلقيدوني ليس فقط في النسخ اللاتينيَّة بل ايضًا في النسخ اليونانية كنسخة يوحنَّا الانطاكي والنسخ العربيَّة كنسخة يوسف المصري فلا ترى في هذه النسخ البند الثامن والعشرين الذي خوَّل الكرسي القسطنطينيّ هذه الامتيازات الفريَّة المشتبه فيها (٣

امَّا خلفاء اناطوليوس فكانوا يتقلبون مع الرياح فمنهم من يرضى بحكم لاون فلا يتجاوز حدودهُ كجنَّاديوس القديس ومنهم من يستند الى الاعمال المزيَّفة التي سبق ذكرها كاقاقيوس الذي ناصب الكرسي الرسولي وضلَّ عن سواء السبيل ومات في غرورهِ سنة ٤٨٨. وممَّن استغواهم روح الطمع يوحنا المعروف بالصوَّام فانَّهُ شرع ان يلقّب نفسهُ بالبطريرك المسكوني فكتب اليهِ القديس غريغوريوس الكبير يونّبهُ على استعمال مثل هذه الالقاب المشعرة بالجاه والفخفخة بينما هو نائب المسيح وخلف هامة الرسل لا يسمي ذاتهُ سوى « عبد عبيد الله ». الَّا ان اصحاب القسطنطينية لم يكونوا ليضبطوا عنان طمعهم بل لم يزالوا يسعون في توسيع نطاق سلطتهم بما امكنهم من افانين الحيل في جهات إلِّيرية والبلغار والصرب والروس. وكان احبار الكنيسة مع ذلك يعاملونهم معاملة الاب الشفوق ويراعون جانبهم ممتثلين بعمل الرب (متى ١٢:

١) راجع هذين الكتابين في مجموع الاباء اللاتينيين لمين (في المجلد ٥٤ ص ١٠٠٠ و١٠٣٩)
٢) مكتوب اناطوليوس في المجموع السابق ذكره (ج ٥٤ ص ١٠٨٤)
٣) راجع التاريخ الكنسي لدولنغر وتاريخ المجامع لهفيلي (ج ٣ ص ١٢٣)

٢٠) الذي لم يكسر القصبة المرضوضة ولم يطفئ الكتّان المدخن بل ربّما طالبوا عن حقوقهم امام الملوك ودافعوا عن المظلومين منهم كما فعل البابا نيقولا الاول بالقديس اغناطيوس لمّا غصب كرسيّهُ فوطيوس. وهذا التعطُّف في ائمة الاحبار حملهم على ان يتسامحوا على تمادي الزمان بالرتبة البطريركية لاصحاب الكرسي القسطنطيني رجاء منهم ان يزيدوا تعلقاً بالوحدة ولا ينفصلوا عن حظيرة المسيح الواحدة وراعيها الواحد. الّا ان شيطان الشقاق غلب اخيرًا على بطاركة القسطنطينيّة فحاد بهم عن المناهج وقد هدى الله مع ذلك البعض منهم حيناً بعد حين فاقرُّوا بسلطة الكنيسة الرومانية نخصُّ منهم بالذكر ذلك الشيخ المفضال والبطريرك الجليل يوسف الثاني الذي مات في فلورنسة ميتة الابرار بعد أن اقرَّ جهارًا بايمانهِ وصادق على كل تعاليم الكنيسة الرومانيّة هو واساقفتهُ اللهمَّ الّا واحدًا منهم مرقس الافسسي

وما قلناهُ عن الكرسي الاورشليمي والكرسي القسطنطيني يؤيدهُ كتبة العرب انفسهم فان المقريزي (راجع المشرق ٥ : ٢٢٤) وابن حوقل (ص٢٢٠) والاصطخري لم يذكروا القسطنطينيّة في جملة الكراسي البطريركية. والمسعودي (ص٢١٨) وابن حوقل (ص٢٢٠) يرويان ان كرسي بيت المقدس لم يكن من اركان النصرانية وانما احدثوهُ لتعظيم بيت المقدس

*

وهنا لا بُدَّ ان نضيف ذيلًا الى ما سبق لتعريف بقيَّة البطريركيَّات فاول ما ظهر منها البطريركيَّة او الجاثليقيَّة النسطوريَّة لمَّا انفصل اصحابها في القرن الخامس عن الكنيسة الكاثوليكيَّة ونبذوا طاعة البطريرك الانطاكي الذي كان اسقف المدائن تحت حكمهِ

وفي هذا الجيل الخامس ظهرت البطريركيات اليعقوبيَّة واوَّلها البطريركيَّة الاسكندريَّة القبطيَّة التي تنتمي الى ديوسقورس المبتدع. والثانية البطريركية السريانيَّة الانطاكيَّة وصاحبها ساويرس الدخيل. والثالثة البطريركيَّة الارمنية التي خرجت عن وحدة الايمان سنة ٥٥٠ (راجع المشرق ٣ : ٥٠) وجعلت كرسيّها بعد مدَّةٍ في اجمياظين. ثمَّ انقسمت هذه البطريركية الى خمس بطريركيَّات وهي اجمياظين وأغتمار عند بحيرة وان (١١١٣) والقدس الشريف (١٣١١) وسيس في قيليقية (١٤٤١) والقسطنطينية (١٤٦١)

وفي القرن السابع ظهرت البطريركية المارونية الانطاكية (راجع سلسلة البطاركة الموارنة للدويهي في المشرق ١: ٢٤٧ الخ)

ولمَّا رجع الملكيُّون والكلدان والسريان والارمن والقبط الى طاعــة الكرسي الرسولي خصَّهم الاحبار الرومانيُّون بكراسي بطريركية فللملكيّين والسريان انطاكية وللقبط الاسكندريَّة وللكلدان بابل وللارمن قيليقية

وكذلك للكنيسة الرومانية ثلاث بطريركيَّات شرفيــة وهي انطاكية والقدس والاسكندريَّة يرتقي عهدها الى ايام الصليبيّين. الَّا ان كرسي القدس قد عاد اصحابهُ فتولَّوا ادارتهُ منذ خمسين سنة على عهد الطيّب الذكر يوسف ڤالركا

ولها اربع بطريركيات أُخر صغرى الاولى في البندقية أُنشئت سنة ١٤٥١. والثانية في لشبونــة أُنشئت سنة ١٧١٦. والثالثة في غوا من الهند الشرقية منشــأها سنة ١٨٨٦. والرابعة في طليطلة أُنشئت حديثًا للهند الغربية سنة ١٨٩٨

وقد وجد في الكنيسة الكاثوليكيَّة مدةً بعضُ بطاركة كبطرك اكويلية في القرن الثامن وبطرك الحبش في القرن السادس عشر. وكذلك في الكنائس المنفصلة بطركيَّة ايك (Ipek) وذلك من سنة ١٣٥١ الى سنــة ١٧٦٥ حيث أُلغيت بمساعي بطريرك الفنار وبطركية كرلوفيتس أُنشئت سنة ١٨٤٨ في النمسا

فممَّا تقدم ترى ان البطريركية ليست رتبة الهية وانَّما الكنيسة انشأتها وتصرَّفت فيها كيف شاءت ولذلك ترى عدد البطريركيات في الكنيسة الكاثوليكية وحدها تناهز العشرين نال اصحابها من فضل الاحبار الرومانيّين هذه المنزلة الرفيعــة والمقام الجليل. وفي مقالة أُخرى نبيّن ان شاء الله ما هي حقوق البطريركيَّات وامتيازاتها مع بيان سلسلة اصحابها (ستأتي البقيَّة)

المالية العثمانية

للاديب يوسف افندي ف. ضاهر

بين ماليَّات الدول التي تستوقف النظر في تحسنها السريع نعدُّ ماليَّة الدولة العلية التي توصَّلت في مدَّة عشرين سنة الى درجة من اليسر يرتاح اليهــا الوطنيُّ الصادق

ويشتهي بلوغها كثير من الامم. ولا يسعنا عند الالماع الى هذا اليسر الّا الإقرار بفضل جلالة مولانا السلطان الاعظم وذلك لمّا وكل في سنة ١٨٨١ الى ادارة الديون العمومية توزيع اقساط مالية الدولة العلية وفوائدها كما ستراه

١٨٧٥–١٨٨٢

في ٦ تشرين الاول سنة ١٨٧٥ اي قبل جلوس الذات الشاهانية اعزّها الله على الاريكة السلطانية صدر في جرائد الاستانة اعلامٌ مفادهُ انّ في برنامج الدولة عجزًا يبلغ ٥ ملايين من الليرات العثمانيــة . فهذا الخبر القى القلق في افكار حاملي السندات العثمانية وخصوصاً لان فقرة ثانية كانت مضافــة على الاعلام مؤداها ان في مدة ٥ سنوات اولها ٦ تشرين الاول سنة ١٨٧٥ لا يُدفع من الأقساط والفوائد على الدينَين الخارجي والداخلي الّا نصفها واماً النصف الثاني فيعوَّض عنهُ بسندات جديدة تكون فائدتها السنويَّة ٥ بالمائة وكانت قيمة الفوائد والاقساط اذ ذاك ١٤ مليون ليرة عثمانية او ٣١٩ مليونًا من الفرنكات

لكن هذه الحال لم تتجاوز مدَّتها اواسط سنة ١٨٧٦وبقيت على ذلك حتى أُبرمت معاهدة برلين ومنها اصل ادارة الديون العمومية. فان في البند الـ ١٨ تمام الصراحة بهذا الصدد. فهكذا كانت بداءة إدارة الديون العموميَّــة العثمانيَّة سنة ١٨٧٨ وكان من نتيجة حسن التدبير اداء اكثر من ٢٠٠ مليون من الفرنكات لحاملي سندات الدين الخارجي في مدة ٥ سنوات (١٨٨٨—١٨٩٢) ومذ ذاك الحين لا تزال المالية العثمانية في نجاح مستمرّ والبيان في حربها الاخيرة مع اليونان دون عقد قرضٍ ودفعهــا فوائد جديدة للسكك الحديديَّة الحديثة

وفي ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٨٧٩صدرت ارادة سنية قاضية بتعيين ١,٣٥٠,٠٠٠ ليرة عثمانية لدفع اقساط الدينين الداخلي والخارجي وفوائدهما خاصةً منها ١,١٠٠,٠٠٠ ليرة بالمصارف العثمانية التى كانت المساعدة على اداء كوبون ١٨٧٥—١٨٧٦ وعلى تحسين امور الدولة ثمَّ جرى بعض التعديل في ادارة الديون العمومية ووُزّعت الايرادات على هيئــة خصوصية لضمانة اموال الدائنين . فخصّص اذ ذاك للفوائد والأقســاط

١) كان معظم استنادنا في كتابة هذه المقالة على فصــل نشره المسيو ادمون تيري رئيس تحرير « الاقتصاد الاوروبيّ »

١,٨٧٠,٠٠٠ ليرة عثمانيــة بدلًا من ١,٣٥٠,٠٠٠ واختصت المصارف العثمانيــة بـ ٥٩٠,٠٠٠ ليرة بدلًا من ١,١٠٠,٠٠٠

فدُعي دين المصارف العثمانية سنة ١٨٨١ « القرض الممتــاز » واضحت سنداتهُ وعددها ٣٧١,٣٦٣ المصــدرة سنة ١٨٨٢ بسعر ٤١٥ فرنكًا وفائدة سنويَّة ٥ بالمائة يجري تسديدها بسعر اصدارها الاسمي في مدة ٢٤ سنة انتهاؤها سنة ١٩٠٦. واما اقساط هــذا الدين وفوائده فامست مكفولة بتخصيص المفروض لها من الايرادات وقيمتهُ ٥٩٠,٠٠٠ ليرة عثمانية كما تقدَّم. لكن هذا الدين تحوَّل سنة ١٨٩٠ الى قرض ممتاز بفائدة ٤ بالمائة يسدَّد في ٤١ سنة اي في ١٣ ايلول سنة ١٩٣١ وقيمتهُ الاسميَّة ٨,١٧٠,٠٠٠ ليرة عثمانية. فبواسطة هذا التحويل امست القيمة الواجب دفعها اقساطًا وفوائد ٤٣٠,٥٠٠ ليرة بدلًا من ٥٩٠,٠٠٠ وفي ١٤ ايلول سنة ١٩٠٠ كان الباقي من سندات هذا القرض ٣٤٣,٨٦٢ سندًا

وفي الارادة السنية المؤرخة في ٢٠ كانون الاول سنة ١٨٨١ والمعروفة في عالم المالية باسم ارادة محرَّم صار فصل الخطاب. ومنطوقها الاتفاق بين الدولة العليــة ومدائنيها على تصفية الدين كما سيجيءْ

وفي هذا المقام يجدر بالذكر ما لاقتــهُ ادارة الديون العمومية من عناية جلالة المتبوع الاعظم ووزرائهِ الفخام لقضاء مهمتها وبهذا تنطق علنًا ادارة الديون نفسها

واما ارادة محرم فانها شملت القروض العشرة التي عقدتها الدولة منــذ ١٨٥٨ الى ١٨٨١ ولم تستثنِ سوى الاربعة القروض المضمونة بمخصَّصات مصر وتضمينات الحرب الروسية والدين السائر

بيان القروض التي شملتها الارادة السنية

بتاريخ ٢٨ محرَّم سنة ١٢٩٩ (٨ و ٢٠ كانول الاول سنة ١٨٨١)

السنة	فرنكات	سعر الاصدار	الفائدة
١٨٥٨	١٢٥,٠٠٠,٠٠٠	٧٦	٦
١٨٦٠	٥٥,٩٣٠,٥٠٠	٦٢ ١/٢	٦
١٨٦٢	٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠	٦٨	٦
١٨٦٣—٦٤	٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠	٧٠	٦

السنة	فرنكات	سعر الاصدار	الفائدة
١٨٦٥	١٥٠,٠٠٠,٠٠٠	٦٦	٦
١٨٦٩	٥٥٥.٥٥٥,٥٠٠	٦١	٦
١٨٧٢	٢٧٨,١٥٥,٠٠٠	٩٨ ١/٢	٩
١٨٧٣	٦٩٤,٤٤٤,٥٠٠	٥٩ ١/٢	٦
الدين العمومي	٢,٢٣٩,٨٢٧,٢٥٠	مختلف	٥
السكك الحديدية	٧٩٢,٠٠٠,٠٠٠	٤٣ ٣/٤	٣

ومما تمَّ الاتفاق عليهِ بين مندوبي كل من الدولة العليَّة ودائنيها جعل سعر وسط للاسعار التي أُصدرت بهـا هذه القروض واضافة ١٠ بالمائة تعويضاً عن الفوائد الغير المدفوعة منذ ١٨٧٦

فهكذا امسى مجموع القروض في آخر سنة ١٨٨١ بعد تحويلها واضافة ١٠ بالمائة تعويضاً عن الفوائد المتأخرة ١١٦,١٣٥,٠٦٢ ليرة عثمانية. واذا اضفنا اليها:

١° الاربعة القروض المضمونة بمخصَّصات مصر وقدرها ٣٩٤,٩٧٧,٠٠٠ فرنك
٢° القرض الممتاز ٥ بالمائة وقدرهُ ١٨٥,٦٨٢,٠٦٠ «
٣° تضمينات الحرب الروسية وقدرها ٨٠٢,٥٠٠,٠٠٠ «
٤° الدين السائر وقدره ٣٧٥,٠٠٠,٠٠٠ «

بلغ مقدار الدين ١٩٤,٤٣٩,٩٦٦ ليرة عثمانية

فمجموع هذا الدين الناهز مقدار الغرامة التي غرمت المانية بها فرنسة وحسبتهـا بعدها غير ناهضة لم يؤثّر في الدولة العثمانية بل تركها في مصافّ المديونين القائمين حقّ القيام بما يقتضيهِ عليهم الواجب

فلاجل استهلاك هـذا الدين الحوّل خصَّصت الدولة العلية قسماً من ايراداتها ووكلت الى ادارة الديون العمومية المؤلفة من ٧ اعضـاء امر جبايتها حسب منطوق المادة الثامنة من ارادة محرم. وفي المادة السادسة عشرة ملخص امتيـازات مجلس الادارة وهي:

« ان المجلس مكلّف بادارة الايرادات المخصصة دون تداخل من قبل الحكومة التي تستبقي حقها في المراقبة بواسطة مندوب لهُ الحق في صوت شوروي لا غير

« والمجلس لهُ الحق في ادخال الاصلاحات التي يرى فيها الملاءمة دون ان يمسّ

الشرائع الموجودة ودون زيادة في الضرائب على الرعايا العثمانيـين ولهُ الحقّ ايضاً ان يتصرَّف كيفما شاء باستثمار الدخان والملح بواسطة الرجي وذلك باستشارة الحكومة قبلًا

« ان الحكومة لا حقّ لها بالغاء ضريبة من الضرائب الممنوح استيفاؤها لحاملي السندات الّا اذا نالت موافقة اكثريَّة المجلس. لكن هذا اذا تمَّ وقوعهُ لا يعفيهـا من وضع ضريبة اخرى تقوم مقام الضريبة الملغاة »

والايرادات الممنوحة لاستهلاك الدين المحوَّل تتألف بموجب ارادة محرَّم من حصر الدخان والملح ومن رسم التمغة ومن الضرائب على المشروبات الكحوليَّة وعلى صيـد السمك ومن اعشار الحرير في بعض مدن السلطنة ومن جزيتَيْ بلغارية والروملي الشرقيَّة ومن مكوس التنبـاك ومن الزائد من ايرادات جزيرة قبرس ومن ايرادات الجمارك الممكن الحصول عليـها من وراء تحوير المعاهدات التجاريَّة. ولتسهيل جباية هذه الايرادات التي مُنحت لادارة الديون العمومية تعهدت الدولة العليَّة بامداد الادارة بقوة شرائع السلطنة

﴿ حصر الدخان (الرجي) ﴾ تشكَّلت هذه الشركة برأس مال قدرهُ ٤ ملايين و ٤٠٠ الف ليرة عثمانيـة وقد أُصدر ٤٠ بالمائة من رأس المال بأَسهم قيمة الواحد منها ٢٠٠ فرنك واما مـدَّة امتيازها فثلاثون سنة تنتهي في اول كانون اول سنة ١٩١٣ وتدفع لقاء امتيازها مبلغ ٧٠٠ الف ليرة عثمانية سنويًا وتجعل قسماً من ارباحها مختصاً بادارة الديون العموميَّة وبالحكومة وبالمؤسسين. وقـد وزَّعت على المساهمين في العشر السنوات الاخيرة حُصَصاً يبلغ موسطهـا ١٥,٤٠ عن كل سهم وقد بلغ سعر السهم الواحد من اسهمها سنة ١٩٠٠: ٣١٣ فرنكًا و١٢ سنتيماً

﴿ حصر الملح ﴾ تستثمر ادارة الدين نفسها كل مالح السلطنة وقد عيَّنت سعر الكيلو من الملح مأخوذًا من المالح ١٥ بارة فكان ايراد الملح ٦١٨,٠٢٩ ليرة عثمانيـة سنة ١٨٨٢—١٨٨٣ و ٧٥٥,٦٩٣ ليرة سنة ١٨٩٢—١٨٩٣ و ٨١٤,٢٧٠ سنة ١٨٩٨—١٨٩٩ وقد تسنى للادارة تصدير قسم من الملح الى البلقان والهند الانكليزيَّة وشواطئ البحر الاحمر

﴿ المشروبات الكحولية ﴾ يتعلق بادارة الديون العموميَّة رأساً استيفاء الضريبة على

هذه المشروبات فبعد ان كانت ايراداتها ١٧٨,٨٦١ ليرة عثمانية سنة ١٨٨٢—١٨٨٣ بلغت ٢٦٥,٠٦٨ ليرة سنة ١٨٩٨—١٨٩٩

﴿ التمغة ﴾ تلاقي ادارة الديون اكبر المصاعب في جباية هذه الضريبة ومع هذا فانها توصلت الى ايراد يوازي اكثر من ثلاثة اضعاف ايرادها السابق. فبعد ان كان محصول التمغة سنة ١٨٨١ لا يتجاوز ٨٣ الف ليرة عثمانية بلغ سنة ١٨٩٩—١٩٠٠ ٢٣٥,١٦٨ ليرة

﴿ اعشار الحرير ﴾ بلغت هذه المكوس وهي كناية عن ١٠ بالمائة على محصول الشرانق في كافة السلطنة ٩٠,٧١٩ ليرة عثمانيـة سنة ١٨٩٩—١٩٠٠ بعد ان كانت ١٨,٩٥٢ سنة ١٨٨٢ — ١٨٨٣ وسبب هذه الزيادة تجدهُ في نموّ صناعة تربية دود الحرير وخصوصاً في بروسة وازميد حيث بلغت كمّيَّة الشرانق ٦,١٤٦,٦٢٠ كيلوغراماً سنة ١٨٩٩—١٩٠٠

﴿ مصائد الاسماك ﴾ تتولى الادارة جباية الرسوم على المصائد التي في السلطنة حتى على تلك التي أُعطيت ضمانة لقرض قدرهُ ٣٠٥ ملايين مارك عُقد في المانية سنة ١٨٨٨ وايراد الادارة الخصوصي من المصائد كان ٢٢,٦٣٦ ليرة عثمانية سنة ١٨٨٢—١٨٨٣ واما سنة ١٨٩٩—١٩٠٠ فبلغ ٤٧,٥٤٤ ليرة

﴿ الاموال المقرَّرة ﴾ يُطلق هذا الاسم على جزيتَيْ الروملي الشرقيَّة وبلغارية وعلى الزائد من ايرادات قبرس وعلى ايراد التنباك واخيرًا على كل الايرادات المتأتية عمَّا تؤدّيه ولايات بعض البلاد كسريا والجبل الاسود واليونان. فهذه الاموال كلها بلغت من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٩٠٠ : ٥,٣٢٩,٧٢٣ ليرة عثمانية

وقد بلغت الايرادات جميعها من اموال مقرَّرة وغير مقررة في سنة ١٨٩٩—١٩٠٠ ما قدرهُ ٢,٥٩٧,٨٧٩ ليرة عثمانية واذا اسقطنا منهـا مصاريف السنة نفسها وقدرها ٤٤٣,١٧٧ ليرة بقي ايراد صافٍ يبلغ ٢,١٥٤,٧٠٢ من الليرات العثمانية

*

لا يجمل بنا عند الكلام عن مالية الدولة ان نمسك القلم عن ذكر السكك الحديديَّة التي باتت من دواعي توفُّر العمران في الممالك المحروسة وهي على قصر خطوطها لم تقصِر في تثمير رؤوس المال التي صُرفت في سبيل انشائها ولا في تكثير الثروة في

الاماكن التي صارت ممرًّا لقطاراتها. والدولة العلية لم تدخر وسعاً في عضدها بالضمانات الكيلومترية التي لا بدّ منها في البداءة. وكل يوم نرى طلباً لمدّ خطوط جديدة كان اهمها في هذه الاونة الاخيرة خط بغداد الذي افاض في الكلام عنهُ حضرة استاذنا الاب هنري لامنس في المشرق (٥ : ٢٤١)

فبموجب البيان الاخير الذي وضعهُ المسيو الكسيس راي مدير السكة الحديدية في سلانيك ونشر البشير بعضهُ في عددهِ ال ١٥٢١ نرى ان طول الخطوط الجاري استثمارها بلغ ٤,٥٠٥ كيلومترًا سنة ١٩٠٠ بعد ان كان ٤,٢٣٩ كيلومترًا سنة ١٨٩٦ وان الخطوط المتمتعة بضمانة كيلومترية كان طولها ٢,٢٧٠ كيلومترًا سنة ١٩٠٠ اي بزيادة ١,١٩١ كيلومترًا عن سنة ١٨٩٦ وهي زيادة جديرة بكل اعتبار

وقد بلغ الدخل القائم للسكك الحديدية ٣٥,٨٨٦,٠٠٠ فرنك سنة ١٩٠٠ واما الضمانات الكيلومترية التي دفعتها الدولة في السنة المذكورة فكانت ١٨,٧٥٥,٠٠٠ من الفرنكات بدلًا من ١٤,٧٥٠,٠٠٠ فرنك سنة ١٨٩٦

ومجموع الايراد كان سنة ١٩٠٠ كما يأتي:

السكك الشرقية	١٠,٠٣٢,١٦٢	فرنكًا
سلانيك استانة	١,٨٢٥,٦٣٢	〃
سلانيك موناستير	١,٦١٠,٤٩٦	〃
سكك الاناضول	١١,١٧٦,٠٠٠	〃
سكة ايدين	٧,٠٢١,١٢٥	〃
بيروت الشام حوران	٢,٢١٩,٢٩٤	〃
يافا والقدس	٧٢٨,٨٥٢	〃
سكة مرسين	٥٢١,٩٢٥	〃
سكة مودانية	٢٥٤,٢٤١	〃

وبما ان خطّ بيروت الشام حوران لهُ اقرب علاقة بنا نحن السوريين نستميح القراء عذرًا في اشباع الكلام عنهُ دون سواهُ

لم يخطر ببال منشئ هذا الخط ان الخسارة ستلحقهم بدلًا من الربح. وكانوا قد بنوا املهم على ارباح طريق المركبات القديمة بين بيروت والشام التي كان تأسيسها سنة

١٨٥٧ ولم يتثبطوا عن انشاء الخط وطولهُ ٢٥٠ كيلومترًا دون ضمانة كيلومترية وكان ذلك سنة ١٨٩١ . لكنهم ما كان اشد خيبتهم بعد الامتحان فانَّ آمالهم لم تتحقق

وفي ٢١ حزيران سنة ١٨٩٣ طلبت الشركة امتيازًا آخر بانشاء خط طولهُ ٥٥٠ كيلومترًا يُوصل الشام بحمص وحماة وحلب ثم بالفرات وقد تعهَّدت الدولة بدفع ضمانة كيلومترية قدرها ١٢,٥٠٠ فرنك تُؤْخذ من اعشار الوية حوران وحماة وعكا واللاذقية والشام وطرابلس الشام

لكن الخسائر التي لحقت الشركة من وراء استثمار خط بيروت الشام حوران حملتها على طلب تأجيل العمل في خط الشام فبيره جك مدة ٥ سنوات ابتداؤُها اول سنة ١٨٩٧ متعهّدة بالعود الى الاشغال بموجب شروط الاتفاق المعقود سنة ١٨٩٣ اذا ثبت ان ايراد الاعشار المختصة بضمانة الخط الثاني كافٍ لضمانة ١٢,٥٠٠ فرنك عن كل كيلومتر

واما الشركة فانها لمَّا عجزت عن القيام بفوائد واستهلاك سنداتها التي اصدرتها سنة ١٨٩٢ لانشاء ال ٢٥٠ كيلومترًا الغير المضمونة وُضعت تحت التصفية في ١٨ حزيران سنة ١٩٠٠ وهكذا بعد اتفاق صادق عليهِ مجلس التجارة في باريس صفَّت الشركة كافة ديونها واعطت حاملي سنداتها القدماء سندات جديدة فائدتها ١٥ فرنكًا في السنة . لكن الشركة الجديدة التي اتخذت اسم الشركة العثمانية للخط الحديدي بين بيروت والشام وتمديداته لا تضطر الَّا الى توزيع الصافي من ايرادها سنويًا على السندات الجديدة

وبموجب اتفاق أُبرم في ١٥ ايار سنة ١٩٠٠ فُوّض الى الشركة بناء الخط بين رياق وحماة حالًا وطولهُ ١٩٢ كيلومترًا ولهذا الخط منحت الدولة ضمانة كيلومترية قدرها ١٥ الف فرنك وهذه القيمة يمكن اسقاطها الى ١٢,٥٠٠ فرنك اذا اتصل هذا الخط بخط بغداد بعد وصولهِ الى حماة

واماَّ السندات الجديدة فعددها ٨٨,٥٤٣ سندًا ممتازًا بفائدة ٤ بالمائة

والضمانة التي ذكرناها آنفًا تؤْخذ من اعشار الالوية التي اتينا على ذكرها وقد وُكل الى ادارة الديون العمومية جباية هذه الاعشار وتوزيعها بحسب الشروط المقرَّرة . والمأمول ان هذا الخط الجديد سيكون من ورائهِ فائدة كبرى تنسي الخسائر التي جرَّ اليها الخط القديم

واماً سكة بغداد والسكة الحجازيَّة فانهما سيكونان ايضاً من اعظم العوامل على انفساح العمران وزيادة الثروة في القطر السوري. فهذان الخطان لا يلبثان بعد تمامهما ان يفوقا في اهميَّتهما كافة الخطوط القديمة

نقف عند هذا الحد من الكلام عن مالية الدولة العليَّة وعن بعض نتائج الاعمال الصائبة التي اتتها حكمة جلالة مولانا السلطان الاعظم التي امست حاجزاً متيناً في وجه العاذلين من ذوي المآرب العمياء. وكفانا برهاناً اسعار القراطيس العثمانية في آونة كهذه ترى فيها الدول المعقود لها لواء الثروة والانبساط في الثقة المالية تقهقراً محسوساً في قيمة اوراقها. فان قيمة دين الدولة المحوَّل بعد ان كان ١١٦,١٣٥,٠٦٢ ليرة عثمانية سنة ١٨٨١ امسى ٩٤,٧٠٩,٣٠٨ ليرة سنة ١٩٠١ واماً اسعار القراطيس فبعد

س ف س ف س ف

ان كانت ١٥,٨٠و١٤,٥٠و١٤,٥٠ سنة ١٨٨٥ للثلاثة الابواب التي لم يتمّ استهلاكها اضحت ٥٠,٨٠و٢٧,٦٥و٢٥,١٠ سنة ١٩٠١

فمن هذه الارقام يستدلُّ على ان الدولة العليَّة باتت بحكمة الذات الشاهانية ايَّد الله شوكتها في مأمن من العسر المالي الذي مدَّ رواقهُ فوق كثير من الممالك التي تدعي بكثرة اقتصاديّها وحنكة رجالها. واذا جرى التحوير الذي عزم جلالة السلطان الاعظم على ادخالهِ في جباية الاموال الخارجة عن ادارة الديون العمومية عظم املنا في المستقبل وتأكدنا ان السكك الحديدية وبالحري هاته العروق الحيَّة في جسم السلطنة سيزداد بها العمران والثروة وتدرّ على الخزينة الايرادات التي يسميها الاقتصاديون غير منظورة ما يدعونا الى الثقة بازدياد عزّ الدولة وفلاح رعاياها ومتانة ماليَّتها. وفَّقها الله الى ما فيهِ خير البلاد

زهرة لبنان

في ترجمة راهب كفيفان

لحضرة الاب الفاضل الجليل نعمة الله الكفري الرئيس العام على الرهبانية المارونية البلدية

طالما سمعنا ان زهرة القداسة التي كانت في القرون النصرانية الاولى زاهيةً نامية في الاصقاع الشرقيَّة ذبلت بعد ذلك وذوى رونقها كأنَّ ريح البدع لفحت فجفَّفتها.

على انَّ الدين الكاثوليكي بعد انتعاشهِ في اقطارنا مدَّة القرون الاخيرة لم يخلُ من نفوس طاهرة سامية الفضل نمت في تربتهِ الخَصِبة فعطَّرت باريج فضائلها اوطاننا العزيزة. وقد رأى لبنان من هذا القبيل عجائب قرَّت لمنظرها عيون سكانهِ فمجَّدوا الله في قديسيهِ

وممَّن امتاز بين هؤلاء الافاضل رجلٌ بارٌّ لا يزال يذكرهُ بالخير كلُّ من عرفهُ وقد شاع اسمهُ في كل انحاء لبنان حتى ان الناس لا يدعونهُ منذ نيف ونصف قرن الّا قديس كفيفان. ولمَّا كان الله قد اتاح لنا ان نشاهدهُ مدَّة ونرى فضلهُ رأيَ العيان فعجمنا عودهُ وسبرنا غورهُ وأنسنا من برارتهِ وصلاحهِ ما لم يسطَّر الّا في تراجم اوليائهِ تعالى احببنا ان ندوّن على صفحات مجلة المشرق لمعةً من سيرتهِ لئلا يبقى هذا المصباح المنير محجوبًا تحت المكيال بل يُهتدى بنورهِ وقصارى بغيتنا ان تبعث هذه الاسطر في قلوب الجمهور الرغبة في اقتفاء آثارهِ

*

ولد الاب نعمة الله بن جرجس كسَّاب في قرية حردين من معاملة البترون سنة ١٨٠٨ ودُعي اسمهُ في المعموديَّة يوسف وكان ابواهُ من اتقياء الناس ارشداهُ الى الفضيلة بالقول والمثل منذ نعومة اظفارهِ وقد وجدا في قلب ولدهما تربةً حسنة معدَّة لقبول بذر التقى وزرع الكمال. فنشأ الولد وكل جوارحهِ مائلة الى العبادة وامور الآخرة فكان يحب العزلة عن اترابهِ ويحيد عن ألعابهم و يرتاح الى الاعمال الروحيَّة لاسيَّما حضور الذبيحة الطاهرة

وكان في ذلك الوقت عدد المدارس قليلًا لا يرضع افاويق العلوم الّا قسم صغير من الاحداث. وكان للرهبان البلديين في دير حوب ليس بعيدًا من تنُّورين مدرسة للصغار تُدرس فيها المبادئ فارسل ابو يوسف ولدهُ اليها ليتخرَّج فيها على القراءة فما فتئ ان اتقنها في اللغتين العربيَّة والسريانية

فانتدبهُ حينئذٍ والدهُ الى مساعدتهِ في اشغالهِ من حراثة ارزاقهِ والقيام بمهامّ بيتهِ فكان الولد طوع بنانهِ مثابرًا على الشغل بنشاط عجيب غير انهُ كان يسمع في باطنهِ صوت الله يدعوهُ الى الترهُّب. فلمَّا تحقَّق دعوتهُ تعالى هجر كل الامور العالمية وترك كلَّ ما لهُ ليتبع الرب وكان بلغ اذ ذاك السنة العشرين من عمرهِ

فذهب الشاب الى دير قزحيا وطلب الانتظام في سلك الرهبانيَّة البلديَّة. وكان يترأسها في ذلك العهد رجل ذو فضل غزير وهمَّة قعساء وهو الاب اغناطيوس بُلَيبل الذي دبَّر شؤون هذه الرهبنة مدة نحو ثلاثين سنة فبلَّغها الى مقام رفيع ادبيًا وماديًا. فاجاب الى ملتمس الطالب لما تفرَّس في ملامحهِ من حسن الطويَّة وسذاجة الطباع ودعاهُ في الرهبانيَّة باسم نعمة الله وعُرف مذ ذاك الحين بنعمة الله الحَرديني

فما دخل الاخ الجديد في عداد المبتدئين حتى جعل نُصب عينيهِ مثال المسيح ليطأ مواقع قدميهِ ويتسم بسيماهُ فكان منذ اول ايامهِ مرآةً لكل الفضائل وقدوةً لجميع اخوانهِ. وكان قلبهُ يأنس الى مناجاتهِ تعالى حينًا بالصلاة العقلية وحينًا بالصلاة اللفظية يحيي الليالي بتمامها في الكنيسة وكانت محبَّتهُ لسرّ القربان الاقدس عظيمةً يقضي بازائهِ ساعات طوالًا لا يبتعد عنهُ الَّا بامر رؤسائهِ. وكان اذا خرج يقف في اروقة الدير غافلًا عن حواسهِ مشغولًا بهذيذ القلب يتنهَّد كأنهُ يبغي تبريد حرقة قلبهِ. وهكذا صرف المبتدئ الفاضل سنتي التجربة بممارسة كل اعمال الصلاح فالبسهُ الاب مكاريوس وادي شحرور رئيس دير قزحيا الاسكيم الرهباني سنة ١٨٣٠

ثم أُرسل الاخ نعمة الله بعد ذلك الى دير مار قبريانوس كفيفان في بلاد البترون ليقتبس في مدرستهِ العلوم اللازمة للدرجة الكهنوتية المقدسة فباشر دروسهُ فيها مدةً بغيرة عظيمة الَّا ان نشاطهُ في حفظ الرسوم الرهبانية كان اعظم وقد ادَّى بهِ تدقيقهُ في صيانة القوانين الى الوسواس حتى اضطرَّ الامرُ رؤساءهُ ان يفصلوهُ عن الدرس ويرسلوه الى دير مار موسى الحبشي في المتن لترويح النفس. ولمَّا كان الاخ راهبًا مطيعًا جرى بكل سذاجة على اوامر آبائهِ الروحيين فنجا من الوساوس التي اقلقتهُ وامكنهُ ان يعود الى دروسهِ بهمَّة جديدة فتقدَّم فيها على جميع اخوتهِ حتى ان الرهبان الدارسين معهُ كانوا يقصدونهُ ليستفيدوا من شروحهِ ويتلقَّنوا منهُ ما فاتهم من دروس المعلّم. وكان مع ذلك يزاول الخياطة بامر رؤسائهِ ولا يُهمل شيئًا من فرائض الدير ورياضات الحياة النسكية

ثم انهى دروسهُ وقدَّم عنها فحصًا اجاد فيهِ واكتسب ثناء الفاحصين فرُقّي الى درجة الكهنوت بوضع يدي الحبر الجليل المطران سمعان زوين النائب البطريركي بامر غبطة السيد البطريرك يوسف حبيش وتمَّ ذلك سنة ١٨٣٣ وكان للاخ نعمة الله من العمر ٢٥ سنة

فتقدَّم المرشح لهذه الرتبة العظمى وقبلها بنقاوة سماويَّة وتقوى فائقة واخذ مذ ذاك اليوم يعيش وهو بالملاك اشبه منهُ بالانسان فكان جلّ عنايتهِ ان يمارس الاسرار المقدسة على مثال اولياء الله بحرارة ونشاط وعبادة ووقار. ولم يكتفِ لذلك بان يبالغ في مباشرة الاعمال التقويَّة وممارسة الفضائل الرهبانية بل كان يستعدّ لتقدمة الذبيحة الطاهرة استعدادًا بالغًا بالتأملات والقراءة الروحية وزيارة القربان الاقدس. ومن جملة هذه الاستعدادات انهُ كان يعترف يوميًا بخطاياهُ وقد واظب على ذلك ما امكنهُ الى نهاية حياتهِ مع ان مرشديه لم يجدوا فيهِ على الغالب مادَّةً كافيةً للحلّ

وكان لا يشرع في تقريب القربان الّا اذا انتهى منهُ اخوتهُ القسوس وحضر قداديسهم فيتولّى هذا العمل العظيم عند ضحى النهار. وكان يقضي في ممارستهِ نحو ساعة كاملة وهو في اثنائهِ يتلهَّب حبًا بربّهِ تلوح على وجههِ امائر الفرح وتظهر في كل شخصهِ سمات التقى والورع. وكان اذا فرغ من خدمتهِ جثا على ركبتيهِ امام القربان يشكر ويهذّ في مناجاة ربّهِ ويتلو الوردية المقدسة كاملةً إمَّا وحدهُ واما في صحبة اخوتهِ الرهبان وذلك بصوت جهور يتدفَّق رقةً وتخشعًا مع دالَّة عظمى بنويَّة نحو مريم ام الله. وكان يبقى طاويًا الى الظهر لا يذوق لماظًا حتى في ايام الآحاد والاعياد. فمن ثمَّ يكون قضى صائمًا مدة كهنوتهِ كلها اي خمسًا وعشرين سنةً بتمامها

*

وفي حياة الاب نعمة الله التي قضاها في الرهبانيَّة بعد كهنوتهِ ثلاثة اطوار امتاز فيها كلّها بسموّ فضلهِ وعظم فضائلهِ. فالطور الاول يشمل قسم حياتهِ التي صرفها مرؤوسًا في ديورة رهبانيَّتهِ. والطور الثاني يحتوي زمان مدبّريَّتهِ. والطور الاخير يتضمَّن رئاستهُ على الرهبان الدارسين في دير كفيفان

كان رجل الله يحب ان يبقى خاملًا تحت طاعة رؤسائهِ لا يفكِّر سوى في امر خلاصهِ دون ان يتحمَّل عبء المسؤوليَّة عن نفوس غيرهِ. وقد اشتهر في ذلك الوقت بمحبَّتهِ للشغل. فانهُ مع براعتهِ في الخياطة كان اتقن فنّ تجليد الكتب. وكان يزاول هذه الصناعة حتى بعد انتخابهِ الى وظيفة مدبّر في رهبانيَّتهِ. وكان اذا حصل على شيء من شغل يدهِ حملهُ الى رئيسهِ ليتصرَّف بهِ في شؤون الرهبان وان سمح لهُ الرؤساء بان يصرف شيئًا منهُ كان يبتاع صورًا وآنيةً وحللًا كهنوتيَّة يوزّعها على كنائس الديورة



صورة الرهبان المبتدئين في دير كفيفان
حيث يحفظ جسم البارّ الاب نعمة الله الحرديني

ليزيد بذلك رونقها وتنمو عبادة المؤمنين للقربان الاقدس

ومما امتاز بهِ هذا البارّ محبّتهُ للعيشة الاشتراكيّة وتجرّدهُ عن روح العالم فانهُ كان لا يحيد عمّا يسنّهُ القانون لجمهور الاخوة بل يجري عليهِ بكلّ تدقيق. وكان يداوم السكنى في اديرة الرهبانية دون ملل لا يرتاح الى معاشرة العالميين لئلا يعدلوا بهِ عن اعمالهِ التقويّة واتقان رياضاتهِ الروحيّة. امّا اهلهُ واقاربهُ فكان كفر بهم كفرًا تامًّا لا يفتكر فيهم الّا بصلاتهِ وبعد ترهُّبهِ لم يدخل بيت ابيهِ سوى مرة واحدة بامر الطاعة وذلك لمّا انتهى من امتحانات الابتداء وذهب لمباشرة الدروس بعد زمن قليل من ترهبهِ. وهي الدفعة الواحدة التي فيها رقد خارج ديرهِ. ولم يرضَ ان يقبل شيئًا من اهلهِ وكانوا اذا اتوهُ بشيء. واكرهوهُ على اخذهِ وزّعهُ على اخوتهِ برضى الرئيس بل كان يودّ لو نسيهُ اقاربهُ وكان لا يدعهم يزورونهُ الّا نادرًا جدًّا ودون مرامهِ فيصرفهم بوجيز الكلام معرضًا عن اللحم والدم وعائشًا كأنهُ مات للدنيا ومن فيها

وكان بقدر ما يفرّ عن العالم ويبتعد عن اصحابهِ يزيد حبًّا نحو اخوانهِ. ولم يطلب في محبتهِ لهم غير وجه الله ويخدم الجميع بلا استثناء. وكثيرًا ما كان يحتمل نفسهُ من المشاقّ ما يخفّف بهِ عن عاتق الغير ولكن بفطنة واتضاع. وكانت محبتهُ لجميع اخوتهِ دون محاباة او ميل بشري. الّا انهُ كان يحب ان يجتمع بالذين يراهم دائبين على التقى ناهجين لسبيل العبادة الحارة لاسيّما البسطاء والسذّج لما يجد في حديثهم من الوسائل للتقدم في طريق الكمال مع ارتياحهم للمباحثات في الامور الروحيّة

امّا نذورهُ الرهبانيّة فيشهد كل من عرفهُ انهُ تمّمها بكل دقّة. فانّ طاعتهُ لرؤسائهِ بلغت الى حدّ يندر وجودهُ عادةً في الرهبان فانهُ كان يعتبر صوت رؤسائهِ كصوت الله لا يكاد يشعر بارادتهم حتى يتسارع الى اتمامها وكان معظم خوفهِ ان يخلّ فيها بشيء. وان زهيدًا

وكان حبهُ للفقر يسطع في كل شخصهِ فانهُ كان يختار مطلقًا ما هو الادنى في الدير لقوتهِ وكسوتهِ وفراشهِ ولا يبقي عندهُ الّا الاشياء التي لا غنى لهُ عنها ويتجرّد عن سواها ولو كان كتابًا. وكان اذا انتقل من دير استأذن الرئيس في نقل الحاجات الزهيدة التي يُسمح التصرّف بها عادةً للرهبان. وكان يأبى ان يأخذ معهُ ولو قلمًا من قصب دون اذن رئيسهِ. وكذلك كان اذا دخل ديرًا جديدًا اطلع الرئيس على ما يكون معهُ لاستعمالهِ الخاصّ

اما عفّتهُ فالاحرى ان تُنعت بعفَّة ملاك مجرَّد عن الجسم. فانهُ حرصاً على هـذه الفضيلة السامية السريعة العطب كان يهرب من كل سبب مهما يراهُ بعيدًا ليتجنَّب كل ما من شأنهِ ان يسلبهُ شيئاً من بهاء الطهارة. وقد بلغ بهِ حبهُ للعفَّة ان لا يرفع عينيهِ الى من خاطبهُ فيجاوبه مطرقاً محتشماً. اماَّ النساء فكان لا يخاطبهنَّ البتَّة بل كان يفرُّ من ملاقاتهنَّ واذا رآهن عن بُعد مال عن الطريق وان لم يسعهُ ذلك اطرق بنظرهِ الى الارض وربَّما نزل عن مركوبهِ ان كان مسافرًا لئلا يقع نظرهُ على وجه امرأة. وكان لا يسمح لواحدةٍ منهنَّ ان تقبِّـل يدهُ لاكرام كهنوتهِ بل كان يرفض ذلك على الرجال انفسهم لاسيما الاحداث غاية ما امكنهُ. وكان رحمهُ الله لا يكتفي بذلك بل احاط سوسن عفَّتهِ بسياج الاماتة وشوك التقشفات لم يدع شيئاً مما اعتادهُ القديسون ليصونوا نفوسهم في نقاوتهـا وبرارتها كالصوم والسهر وقهر الذات. ولذلك كنت ترى جسمهُ دائماً مهزولاً شاحب اللون مع انهُ كان صحيح البنية مفتول الخَلق. وقد ادَّى بهِ افراطهُ في قهر جسدهِ الى ان اعتلَّت معدتهُ فصار يقذف في الغالب ما كان يتناولهُ من الطعام. ولعلَّ ذلك نتج لهُ من اكلهِ الطعام البارد المتخلّف عن طعام الرهبان . ومن اعمالهِ الشفقة صبرهُ الجميل على الامراض والاوجاع والبلايا والمصائب التي امتحنهُ الله بهـا فكان يقاسي هذه المحن بالتسليم التام لمشيئتهِ تعالى دون حزن ولا غمّ. وكذلك كان لا يسمع منهُ احد تذمرًا من جرَّاء الحرّ والاشغال المضنكة. وكان في زمن الشتاء يتأذَّى كثيرًا من البرد لاستمرارهِ في الكنيسة ليلاً ونهارًا حتى حصل لهُ ورم في رجليهِ وكان مع ذلك لا يريد ان يوقد نارًا او يستعمل غير الكسوة العاديَّة الَّا انهُ كان اذا اشتدَّ عليهِ البرد يصطلي قليلاً بنار اوقدها غيرهُ من الاخوة

*

ولماَّ رأى الرهبان ما بلغهُ الاب نعمة الله من سموّ الكمال كانوا يرغبون لو تقـلَّد زمام تدبيرهم وتولى رئاستهم. غير انَّ تواضعهُ كان يحملهُ ان يفرّ جهدهُ من كل اكرام وكل ثناء بشري. وكان اذا عُهدت اليهِ وظيفة تجلب لهُ بعض الشرف سعى ما امكنهُ ليُعفى منها ولا يقبلها الَّا بامر الطاعة. وكان اذا خاطبـهُ احد بشأن الرئاسة العامَّة ويشعرهُ بانهُ سيُنتخب اليها استنكف من ذلك وقال: الموتُ ولا الرئاسة. واذ قدَّم لهُ بعضهم البرهان على انّ الله يريد منهُ ذلك لخير الرهبانيَّة اجاب: كلا بل ان مشيئة الله

ووالدته ان لا اصير رئيساً . ولما قيل لهُ: وأنَّى تعرف ذلك؟ اجاب على الفور: ان البتول مريم قالتهُ لي. ومن الاقوال المسموعة من فيهِ: اني اسأل الله أَلّا اموت وانا حاصل على وظيفة

وقد استجاب الله طلبهُ في ما يخصُّ الرئاسة العامَّة لكنهُ لم يستطع ان ينجو من رتبة المدبِّريَّة فانَّ اصوات اخوتهِ الرهبان وقعت عليهِ في ثلاثة مجامع ليقوم باعباء هذا المنصب فلم يرَ بدًّا من الاجابة الى امر الله. وما ساعدهُ على قبول ذلك انهُ رأى في هذا المقام وسيلةً لانعاش روح الكمال بين اخوانهِ لما كان في قلبهِ من الغيرة على حفظ الرسوم الرهبانيَّة

ومن ثمَّ كنت تراهُ يفرغ الجهود في معرفة الواجبات التي تفرضها عليهِ وظيفتهُ فاذا ادركها سعى في تتميمها بكل حرص ودقَّة وكان لا يحابي وجه احد فيجري مع الجميع كما ترشدهُ الى ذلك ذمَّتهُ. وكان يبدأُ بنفسهِ ليكون للجميع قدوةً صالحة فيسير على سُنن الرهبانية في دقائق فرائضها كما في واجباتها الرؤوسية بل كان يحمّل ذاتهُ احمالًا لم يفرضها على غيرهِ لانهُ على قدر ما كان صارماً على ذاتهِ كان شفوقاً على القريب

وقد ظهرت في اثناء ذلك غيرتهُ العجيبة في خلاص النفوس فانهُ كان يجدُّ في ان يقتني الجميع عبادةً حارَّة وفضيلة راسخة ويرشد اخوتهُ الى ذلك بكلامهِ وامثالهِ. وكان على حسب امكانهِ يجمع السذَّج والاولاد ليلقّنهم قواعد الدين ويهديهم الى طريق الخلاص. امَّا الفقراء منهم فكان يتصدَّق عليهم بما يُسمح لهُ وذلك بشفقةٍ ظاهرة ومحبَّة عظمى كأنَّهُ يخدم المسيح في شخصهم

ومن آثار غيرتهِ ما فعل لنشر العبادة لمريم العذراء وكان تعبدهُ لها عظيمًا فائقًا. وقد أحبَّ البتول الكليَّة القداسة حبًّا بنويًّا بل كان هائمًا بهذا الحب مغرماً بهِ. ولذلك كان اسمها المبارك على شفتيهِ بلا انقطاع يستغيث بشفاعتها ليلًا ونهارًا ويشخص الى صورها المقدسة ويتنفَّس الصعداء كأنَّهُ يريد ان يخرج من سجن الجسد ليتمتَّع برؤيتها في دار الخلود. وكان كلَّما دخل قلّايتهُ او خرج منها سجد امام ايقونتها وحيَّاها بسلام الملاك وكان يكرّم بنوع خاصّ سرَّ الحبل بها البريءْ من الدنس وذلك حتى قبل تثبيت الكنيسة لهذه العقيدة سنة ١٨٥٤. وقد جازتهُ البتول من اكرامهِ لهذا السرّ بان منحتهُ أن يموت في الاسبوع المخصص لذكرهِ

وكما انهُ كان خادماً مخلص الخدمة لمريم كان لا يزال يلهج بمدائحها ويتكلّم عنها ويحرّض الجميع على عبادتها لاسيّما الاشتراك باخويّة قلبها الاقدس التي كان هو منتظماً في سلكها. وكان يجتهد في توسيع نطاق هذه العبادة بتوزيع اوراق الاشتراك التي كان يرسلها اليهِ الاباء اليسوعيُّون. وقد انشأ هذه الاخويّات في اديرة رهبانيّتهِ بموجب الاذن الممنوح لهُ في ذلك. ومن آثار تعبـدهِ لمريم اشتراكهُ بثوب سيّدة الكرمل وتلاوتهُ للوردية المقدسة كما مرَّ ومطالعتهُ اليوميَّة لكتاب امجاد مريم للقديس الفنس دي ليكوري حتى انهُ لم يكن ينفصل عنهُ ويجعلهُ في الليل بالقرب من وسادتهِ ويجد بقراءتهِ حلاوةً تفوق شهد العسل. ومنها ايضاً صيامهُ في كل سبوت السنة وفي بيرامونات اعياد العذراء وفي الشهر المريمي وكان في الغالب لا يقتات في تلك الأيّام الّا بالزيت او بالخبز وبعض البقول

ولم يكن تعبُّدهُ لقلب يسوع الاقدس اقلَّ حرارة فانَّهُ اشترك ايضاً بشركة هـذا القلب الالهي وسعى بنشرها جهدهُ. وهي العبـادة التي كانت تحملهُ الى اكرام سرّ القربان حيث قلب الرب لا يزال يخفق حبًّا بالبشر فكان لا يكاد يبتعد عنهُ ليلًا ونهارًا اذ كان هناك كنزهُ الثمين. وقد اكتسب من عبادتهِ هذه اتحادًا عجيباً مع الله فيمشي بحضورهِ اينما سار بل لم تكن الاشغال الزمنيـة لتصدّهُ عن الوقوف امامهُ عزّ وجلّ والتأمل في صفاتهِ الالهية. وكان ذلك يلوح على شخصهِ كلهِ فمن يرى هدوءهُ وصمتـهُ ويسمع تنهّده وزفراتهِ في صلاتهِ عرف للحال انَّ افكارهُ وحديثهُ في السماء

*

وقد خدم الاب نعمة الله الحرديني رهبانيَّتهُ بوظيفة أُخرى غير المدبّريّة اوجبت لهُ شكر اخوتهِ الحميم وذلك انهُ اختير ليدبّر شؤون الرهبـان الدارسين في مدرسة دير كفيفان وذلك مدَّة مجمعين اي ست سنوات فقام بهذا الامر احسن قيـام. فكان يعتني بتهذيب هؤلاء الشبان وتعليمهم ليكونوا يوماً اهلًا لمساعدة القريب وكان وليُّ الله يحرّضهم على ذلك ويعطيهم فيهِ المثل بانكبابهِ على الدرس وقد مهر خاصَّةً في علم اللاهوت الادبي فيحلُّ بذكاء ما عُرض عليهِ من المشاكل. وكان يعلّم مرؤوسيهِ ألّا يضيعوا وقتهم بما لا فائدة فيهِ وكان هو لا يدع فرصـةً من الزمان تذهب سدًى من دون عمل روحي او زمني

ألّا ان حرصهُ على نموّ الدارسين في الروح كان اعظم منهُ على تقدُّمهم في الدرس لعلمهِ بانَّ العلم ينفخ ومحبة الله تبني (١ كور ٨ : ١) فكان يغرس في قلوبهم كل الفضائل الرهبانية ويتقدمهم في ممارستها حتى انهُ كان لهم انموذجاً حيًّا في كل امثال الصلاح· وقد انتشرت ريَّا قداستهِ بينهم بل عند العامَّة ايضاً حتى انَّهُ ضُرب بها المثل فكانوا يقولون « انَّ فلاناً مثــل الحرديني » او « حَرْدن فلان » اي صار قديساً مثل الاب نعمة الله

ولمَّا رأى الله ان عبدهُ نضج كثمرة صالحة آن قطوفها اراد ان يجازيه عن حياتهِ الطاهرة بنقلهِ الى دار الابرار فلمَّا كانت اوائل شهر كانون من السنة ١٨٥٨ وهو في دير كفيفان تغلَّب عليهِ الداء المعروف بذات الجنب وكان قد بُلي بهذا المرض قبل ذلك فاضحى فيهِ داء مزمناً عجز الاطباء عن شفائهِ الّا انهُ قوي بسبب الريح الشماليَّة واستفحل حتى اضطرَّ المريض ان يلازم الفراش فتناوبت عليهِ ادوارهُ حتى أحسَّ بان اجلهُ قد قرب فاخذ يُعدّ نفسهُ للاقاة ديَّانهِ فطلب الاسرار المقدسة وقبلها كلّها بعبادة عظيمة وتسليم تامّ للمشيئة الالهيَّة وقد اسعد الله الفقير كاتب هذه الترجمة ان يحضر ميتتهُ الصالحة مع حضرة مرشدهِ الاب دانيال البشرَّاني وبعض الاخوة· فتأثرنا جميعنا ممَّا رأينــاهُ في هذا الرجل البار من عواطف الحب اليهِ تعــالى· وكان يستغيث بالبتول الطاهرة ويطلب معونتها في ساعة النزاع· ولمَّا كانت الحمَّى قد اشتدَّت عليهِ حتى يغيب عن وعيهِ كنَّا نسمعهُ يكرّر صلاتهُ المعتادة « فليكن مباركاً الحبل بمريم العذراء البريء من الدنس » وكان اذا انتبه يلتفت الى ايقونتها ويلتمس شفاعتها المشفَّعة حتى انهُ يمكن القول بانَّهُ اسلم روحهُ الطاهرة بين يدي هذه الام الحنونة· وكان ذلك في اليوم ١٤ من شهر كانون الاول سنة ١٨٥٨ نصف ليل الثلثــاء في أيَّام رئاسة الاب لورنسيوس الشبابي على الرهبانيَّة· وكان رئيساً على دير كفيفان الاب نعمة الله التولاوي

ودُفن رجل الله بعد جنَّاز حافل حضرهُ جمهور رهبان الدير وبعض الكهنة والمؤمنين وكان الجميع يتباركون بتقبيل يديه وقد اخذ بعض الرهبان نُتَفاً من شعرهِ وقطعاً من ثيابهِ كذخائر جرى بواسطتها عدَّة حوادث غريبة ان لم نقل معجزات باهرة· امَّا جسدهُ فبقي بعد دفنهِ مدة تحت الثرى لم يصبهُ الفساد ثمَّ أُخرج باذن الرؤساء وجُعل في تابوت خصوصي وُضع حذاء الكنيسة حيث يزورهُ كثيرون من كل مقاطعات لبنان ويستشفعون

بهِ الى الله لنوال الشفاء من اسقامهم ونعماً اخرى شتى

وهنا كنّا نودّ ان نعدّد الآيات التي جرت على يد هذا البار لاننا نعرف منها نحو خمسين آية يطول بنا الكلام لو ذكرناها بالتفصيل . ويمنعنا من ذكرها انَّ الكرسي الرسولي لم يتولَّ حتى الآن الفحص عنها رسميًّا

(المشرق) وقد طلبنا من حضرة الاب المفضال صاحب هذه الترجمة ان يُرسل الينا خبر معجزتين او ثلاث مع شهادات لاناس ثقات فلبى دعوتنا واختار من هذه الآيات ثلاثًا الحقها بامضاء رجال افاضل لا يُشكّ في شهادتهم . فالمعجزة (الاولى) حدثت سنة ١٨٦٣ مع رجل من طائفة الروم الاورثذكس من قرية بتغرين اسمهُ موسى صليبا بقي مكفوف البصر مدَّة عشر سنوات ونيّف فذهب الى ضريح الاب نعمة الله وطلب من الله الشفاء من دائهِ بشفاعتهِ فظهر لهُ رجل الله ومسَّ بيديهِ عينيهِ فشفاهُ شفاء تامًا وقد عاين هذه المعجزة كل رهبان الدير ويشهد فيها كل اهل المتن والقاطع الذين عرفوا هذا الاعمى زمنًا طويلًا وممن وقّعوا على خبر هذه المعجزة حضرة القس مبارك المتيني الرئيس العام سابقًا على الرهبانيَّة البلديَّة والملفان بعلمي الفلسفة واللاهوت وجناب الياس نصَّار شيخ قرية بتغرين وجناب موسى حنا صليبا مختارها وخوريُّها حضرة الخوري سمعان المرّ والخوري موسى صليبا من كهنة الروم الاورثذكس والخوري يوسف الكرزل خادم بنابيل وغيرهم كثيرون . والمعجزة (الثانية) تمت سنة ١٨٧٨ في رجل مُقعد كسيح عُقلت رجلاهُ الى الوراء بحيث لم يمكنهُ ان يتحرَّك بهما مطلقًا وكان اسمهُ ميخائيل كفوري من طائفة الروم الكاثوليك وهو من مزرعة وطا الجوز بين المروج والمتين وقد اقرَّ كل اطباء بيروت والجبل انَّ شفاءهُ مستحيل فزار ضريح راهب كفيفان فاتاهُ في نومهِ وبرأهُ فقام في الصباح معافًى شهد ببرئهِ اكثر من مئتي شخص في مقدمتهم الحبر المفضال السيد فلابيانوس كفوري رئيس اساقفة حمص وحماة ومنهم كهنة اجلاء كالخوري يوسف كفوري الاب العام على رهبنة مار يوحنا الشوير والخوري بطرس ابي سليمان المتيني وكيل مطران بيروت والقس مبارك المتيني السابق ذكرهُ والخوري سمعان نجّار. ومنهم اطباء كجناب الوجيه شديد افندي عقل والشيخ ابي امين بشير الجميّل من بكفيا ومنهم رجال افاضل كيوسف افندي شديد الصباغ وناصيف الياس الشوير ودريشا النجار. والمعجزة (الثالثة) اجراها الله على يد وليّهِ سنة ١٨٦٩ وقد تمت في شخص احد الكهنة

الافاضل اذ كان دارساً في دير القطارة وهو حضرة الاب بطرس قيطو اللبناني كان مصاباً بداء النقطة اخذ قليلًا من تراب ضريح الاب نعمة الله الحرديني متبرّكاً بهِ فاذ وافتهُ يوماً نوبة دائهِ وظنّ الحاضرون انها تكون القاضيــة اذ ظهر لهُ رجل الله وشفاهُ تماماً وعاين شفاءه الاب الفاضل الخورفسقوفس ارسانيوس الخوري رئيس مدرسة مار يوحنا مارون حاليًّا وحضرة القس مبارك المتيني المار ذكرهُ. والذي نال هذه النعمة هو اليوم في بيروت يقصّ الآية على كل من يريد تفاصيلها ويشكر لله ما منّ بهِ عليهِ بشفاعة احد اوليائهِ. ولدينا غير هذا من المعجزات التي جرت مع متاولة ودروز وغيرهم. وفي ما اثبتنا كفاية ونحن نتمنى ان يطلب الرهبان البلديون من الكرسي الرسولي ان يعهد الى من يوثق بهم فحص حياة رجل الله واعمالهِ الصالحة ومعجزاتــهِ المقرَّرة لكي يثبتوا بنوع قانوني برارتهُ

صناعة النجارة في المشرق

بحث تاريخيّ وعمليّ (لاحق بسابق راجع الصفحة ٨٦)

للاديب يوسف افندي غنَّام ثابت

٣ النجارة الشرقية في القرون المتوسطة

لقد اثبتنا في مقالتنا السابقة تقدُّم النجارة في الاعصار الاولى وسنعمل النظر الان في القرون المتوسطة الى غاية عهدنا هذا ونبسط الكلام في فنونها الدقيقة وكيفيَّة العمل فيها فيما بعد ان شاء الله تعالى

نقول ان للمجدّ الباحث عن آثار النجارة في القرون المتوسّطة شواهد عيانيَّة ورسوم عديدة وكتابات تاريخيَّة مجيدة. فامَّا الرسوم والكتابات فهي عبارة عن مجموعات كبيرة وتآليف تاريخيَّة ومجلات علميَّة كثيرة يتحرَّى نشرها جماعة من ذوي الفضــل والعرفان من نخبة الرجال وكبار العلماء الاوربيين في هذا الزمان والشواهد العيانيَّــة هي الآثار الباقية في البلاد وسنأتي بذكرها بعد الفراغ من وصف الرسوم والتآليف المشار اليها التي تأخذ بألباب كلّ من يجيــل فيها طرفهُ فلا يعود يتمالك عن مديح الرجال الفطاحل والمستشرقين الافاضل الذين قاموا بهذه الاعمال المأثورة بل يزيد على كلامنا اطراء ووصفاً اذا ما رأى اتقان طبع هذه المجلدات الضخمة وشاهد ألوانها المتعددة الزاهية

وحسن ورقها النقي الصقيل وجودة رسمها اذ لا ترى العين صورة ألّا بُهِتت من رُوعها. وزد عليهِ انّ كلاًّ من هذه الكتب يحتوي عددًا وافرًا من الصور التي تمثّل لنا رسوم ادقّ ما وجد من الفنون الشرقيَّة على اختلاف انواعها ومن جملة ما تتضمَّنهُ رسوم عديدة من سائر اشغال التجارة كالخيط والفسيفساء (الموزاييك) والحفر النافر والنقش العربي الناعم وفنون الشبكيَّات المخروطة والتخريم بالمنشار والتطعيم بالخشب الملوَّن والترصيع بعرق اللؤلؤ والاسلاك المعدنيَّـة الى غير ذلك من الفنون التي يفتخر بها صنَّاع بلادنا ويعلون قدرًا على من سواهم لما حوتهُ من الهندسة الرائعة التي تأخذ بالابصار وتفتن الالباب وتقضي بالعجب العجاب

وممَّا يُطرأ من مزايا هذه المجموعات والرسوم الغرَّاء تحرّي اصحابها ذكر البـلاد والامكنة والمتاحف التي تحتويها وأُخذت منها هذه الرسوم وتاريخها الى غير ذلك من الفوائد الجليلة التي تنبئنا بانّ النجارة دامت زاهية على كرور الاعصار. ولكي يدرك القارئ جلالة قدر هذه التآليف ونفاستها مع علوّ مقام الرسوم والفنون الشرقيـة عند الاوربيين وشغفهم بها نذكر هنا بعضًا منها واوّلها تأليف بريس داڤان في النقش العربيّ (Prisse d'Avesnes : *La décoration arabe*) يُباع بالف فرنك ولهُ مختصر يُباع بمئة وخمسين فرنكًا وقد اشتهر ايضًا تأليف كولينو دي بومنت في الزّيَن العربية (Collinot de Beaumont : *Les ornements arabes*) ثمنهُ مئة فرنك وتأليف بورغوان في اصول الصناعة العربيَّة (J.Bourgoin : *Les éléments de l'art arabe*) وتأليف غايه (Al. Gayet) في صنائع العرب وغير ذلك ممَّا يطول شرحهُ

فللهِ درّ هؤلاء الرجال ما اعلى كعبهم كيف عرفوا ان يزيّنوا العلم بالعمل وجنوا ثمرة اتعابهم وخلدوا لنا ذكر مهرة الصنَّاع واشغالهم البديعة بحيث لا تمحوهُ كرور الاعصار. وعليهِ فقد وجب هنا على كل شرقي طُبع على معرفة الجميل والفضل واحبَّ المعارف والفنون ان يسدي ابهى الشكر ويرفع اجل المديح والثنـاء لمقام المستشرقين العلماء ويحمد هممهم العالية الشماء اذ لا يزالون يعنون بحفظ آثار بلادنا وصيانتها في متاحفهم او نشرها بالطبع في مضامين مصنَّفاتهم ومجلَّاتهم العلميَّـة التي انشأوها للبحث عن الآثار الشرقيَّة

فهذا برضٌ من عدّ اقتبسناهُ بعد تقليب بضع صفحـات من التآليف الغراء المشار

اليها التي جمعتها ادارة المكتبة الشرقيَّة في كليَّة القديس يوسف الزاهرة الناشرة اضواء مصابيحها في بلادنا الشرقيَّة وهو كافٍ لاثبات غرضنا

٤ في آثار النجارة القديمة في بلادنا

لمَّا كانت آثار البنايات الرفيعة الشان متعددةً في بلادنا وكثيرٌ منها ممَّا سلم من العوادي المتلفة لم يزل ماثلًا ينطق لسان حالهِ بما نروم وكانت اغنى البلاد بهذه الآثار مدينة الفنون السوريَّة والتحف الخطيرة دمشق الشام رأينا ان نقدم ذكرها على سائر البلاد. فاذا ما دخلنا الفيحاء وتناولنا القلم هبطت علينا آيات البلاغة وجرى الحبر كالسيل على القرطاس وتمثَّلت لنا صور المعاني وبدت كالخرائد الحسان قائلةً: «صِفنا فتخلِّد لنا ولك على الدهر ذكرًا طيبًا يدوم مدى الازمان»

فاول ما يخالج قلبنا الشوق والحنان اذا حللنا ربع دمشق الى زيارة جامعها الاموي وقد ألمعنا الى بعض وصفهِ فيما سبق ففي هذا الجامع الطالع في سماء الصنائع كالكوكب اللامع ترى فنون النجارة الشرقيَّة الدقيقة بانواعها كالفسيفساء والخيط والنقش على تعدد انواعهِ والمقرنص والشبكيَّات (الشعريَّات) والتطعيم بعرق اللؤلؤ والاسلاك المعدنيَّة وكل ذلك مصنوع باتقان بديع وهندسة رائعة وهندام واحكام لم يبقِ لآخر من مزيد

ثم اذا بحثت عن البيوت القديمة فيها التي حوت شيئًا من هذه الآثار فاول ما يُنعت لك بالاوصاف الجميلة الغراء بيت عبد الله اسعد باشا العظم وهو عبارة عن بناء كبير واسع الارجاء فيهِ مئات من الغُرف وقد ازدان بعضها بمحاسن كثيرة من طُرف هذه الصناعات الشرقيَّة التي نحن بصددها. وكذلك يوصف بمثل هذه الغرر بيت شمعايا اليهودي. وعلاوةً على ذلك ان في هذا البيت قاعةً فسيحة صُفِحت جدرانها بالخشب المزيَّن بضروب الفنون وممَّا امتاز فيها الترصيع باللؤلؤ فهو بالغ حدَّ الاعجاز واجمالًا فان اشغالها تعدُّ في اعلى مكان من البراعة والتفنن ولا مزيد عليها مهما سخت النفس وجادت على العملة بالعطاء. واعلم ان هذين البيتين من اقدم بيوت دمشق وجميع السيَّاح الاوربيين يتهافتون الى زيارتهما ويخرجون معجبين مفتونين ببراعة الدمشقيين الاقدمين وحذاقتهم

وممَّا يزيد هذه الاشغال حسنًا على حسن ويجعلها تفوق كل فنّ براعة توشيتها بالذهب الابريز وحسن صبغها بالالوان الزاهية المتناسبة الاشكال الحسنة الادماج بحيث تأخذ روعةً من البهاء والجمال لا ضريب لها

هذا وقد اقتصرنا عن وصف باقي مباني دمشق الفخيمة ومساجدها البهيَّة القديمة غير اننا نقول انهُ لم يخلُ جيل او يمرّ عام دون ان يشاد فيهِ في حاضرة دمشق الشام بناء رفيع الذكر يزدان بمحاسن النجارة الشرقيَّة واذ كان تعدادها ممَّا يبعث على الملل فنكتفي بذكر اقونسطاس الكنيسة المريميَّة للروم الاورثذكس وهو قديم جدًا والكنيسة البطرسية للروم الكاثوليك الَّا ان الاشغال في هذه الكنيسة هي حديثة العهد قام بها الاستاذ البارع جرجي بيطار الذي تغني شهرتهُ عن مدحهِ. والآن نكتفي بما ذكرناهُ عن دمشق وان كان يسيرًا وفي املنا ان نعود اليها مرَّةً ثانيـــة ونلقي نظرنا على اسواقها لنصف مصنوعاتها الحديثة ونطريْ بالمديح والثناء من يستحق ذلك من صنَّاعها

ومن المدن التي اذخرت لها اسماً جليلًا في الصناعة مدينـــة حمص وهي من اعرق المدن في القدم بهذه الاصقاع وقد قام فيها على توالي الاعصار عدة بنايات انيقـــة قد اقتضت لها من اشغال النجارة ما يليق بتلك المباني. ولنا في هذه المدينة اثر بديـع صبر على آفات الزمان لا يسعنا الاضراب عنهُ وهو اقونسطاس كنيسة مار يوحنَّا المعمدان للروم الاورثذكس . وهذا الاقونسطاس جامعٌ لضروب الصناعة الخشبيَّة الدقيقة بانواعها تام الهندسة والاتقان لا يستطيع احد في هذا العصر ان يتقلدهُ وممَّا قد تفرَّد فيهِ هذا الاقونسطاس هو ان سائر تصاويرهِ مصنوعة من الخشب ومحفورة فيهِ حفرًا نافرًا وموشَّاة بالذهب والالوان البديعة المشرقة لكنَّ يد الدهر قد ابلت هذا الأثر النفيس فنُزع من الكنيسة المذكورة منذ سنتين واستبدل باقونسطاس آخر جديد لا يماثل الاوَّل في اتقانهِ الفائق. وقد قيل لي ان الاقونسطاس السابق كان لقدمهِ اصبح لا تفعل فيهِ النار. ولا اعلم ما في هذا القول من الصحَّة

ولننوّه بهذا المقام بذكر حلب ومحاسن بناياتها ومساجدها العريقة في القدم ولاسيما قلعتها وابوابها ونوافذها وجسرها النقَّال البديع الصنع منـــذ القديم. امَّا بلاد مصر والاستانة والصعيد والمغرب والاندلس والعراق والهند فانها كلها تحتوي شيئًا كثيرًا من هذه التحف نكتفي بالاشارة اليها خوفًا من الاطالة واكتفاء بما هو مشهور عن براعة اهلها في الصنائع والفنون

ولنؤب الان الى مسقط الرأس لبنـــان ونشكر للاب هنري لامنس الذي عرَّفنا بمقالتهِ آثار لبنان بكثير من مبانيهِ الشائقة وكنائسهِ القديمة التي بنيت بازمان متتالية

فاغنانا عن ذكرها . ومما يُروى عن آل تنوخ ومعن في قريتي اعبيه وصليما وقصبة دير القمر ومبانيهم الفخيمة يظهر ان هذه البنايات كانت متقنة جدًا وتاريخ بنائها لا يقل عن ستمائة سنة وبالضرورة ان نجارتها كانت من طرز تلك المباني

وقد عرفنا ايضاً من تاريخ بيروت لآل تنوخ الذي نشره حضرة مدير هذه المجلة ان بعضاً من الامراء التنوخيّين كانوا من حذّاق العملة في صناعة النجارة ولهم فيها آثار بديعة عدّد بعضها ونعت محاسنها صالح بن يحيي صاحب التاريخ المذكور . وقد اشتهر بينهم : الامير عز الدين جواد بن علم الدين سليمان المتوفَّى سنة ١٣٥٧ واخوهُ الامير ركن الدين وكان هذا ايضاً كاتباً بارعاً . والامير زين الدين صالح ابن ناصر الدين المتوفَّى سنة ١٣٧٧ . والامير بدر الدين موسى ابن الامير زين الدين صالح وهذا كان بارعاً في الصياغة فضلًا عن النجارة وقد اخذ هـذا الفن عن عزّ الدين جواد وكان يطبع الفضة طبعاً (بصماً) ويرصعها بالميناء . ومن تعريف صالح بن يحيي لاشغال هؤلاء في النجارة نستدل على ان امراء القرون السالفة لم يأنفوا من مزاولة الصنائع بل يفتخرون باتقانها

ومن الاماكن التي حوت في لبنان شيئاً من النجارة يستحق ان يُنظم في تُحَف الصناعة اقونسطاس كنيسة مار الياس شوَيا وخصوصاً سراية بيت الدين التي شيّدها الامير بشير الشهير في اواخر القرن الثامن عشر وعليهِ فلننعم بها النظر قليلًا ونتأمل في مشهدها البديع الفتان لانَّ صاحبها قد اعتنى فيها اعتناء فارطاً فظهرت ابدع سراية أُنشئت في هذه الاقطار ليس يوجد نظيرها في بلاد الشام بحسن البناء والنقوش والزخرفة وقد قام في بنائها اشهر المعلمين الذين استدعاهم الامير اليها من حلب والشام وسائر بلادنا ففي هذه السراية كانت اشغالٌ بديعة من النجارة استرسل الشعراء في وصفها فقد كانت بعض سقفاتها من الخشب محفورة حفرًا بديعاً ومموَّهةً بالذهب على انهـا كلها لم تدُم مديدًا بسبب العوادي الطبيعيَّة التي تعتري الخشب ولاسيا اذا كان مغطىً بطبقة ثخينة من التراب وتنهال عليهِ الامطار . غير ان هذه الآثار لم تمحَ كلها بل يوجد منها شيء كثير في السراية الداخلية المعروفة بسراية الحريم ومقصف الامير امين وشيء يسير في مقصف الامير قاسم وهذان المقصفان هما عبارة عن دارين كبيرتين تملّكهما سيادة المثلث الرحمات المطران بطرس البستاني وفي احداهما كرسي ابرشية صيداء ودير القمر . وفي نفسنا ان نعود الى وصف بيت الدين بمقالة مستقلة ونبيّن فيها اشياء كثيرة لا يسمح لنا المقام بذكرها هنا

وان سرَّحنا الآن ابصارنا في بيروت وجدنا انَّ اكثر عاديَّاتها الخشبية قد ذهب بها الزمان. واهمّ ما وقفنا عليهِ من اعمال النجارة القديمة بعض ابواب ذات طرز قديم جدًّا تعرف عند اهل الصناعة بالحشَّاة والحجّرة وخزائن في البيوت لا تخلو من بعض الزخرفة

امَّا كنائسها فلا تخلو ممَّا يستحق الذكر منها كنيسة النبي الياس للروم الكاثوليك فانَّنا اذا وقفنا بازاء بابها الكبير وجدناهُ محفورًا ذا عروق حسنة وفي داخل الكنيسة مذبحان بديعان قد أُسندا على عمد الكنيسة وهما جميلان جدًّا أُحكمت هندستهما لكنْ صانعهما لم يتقن حفرهما كثيرًا . وكذا قُلْ عن منبر الخطابة وسلّمهِ. اما اقونسطاسها البديع فلا نتعرَّض لوصفهِ لكونهِ مصنوعاً من الرخام وبعض الاحجار الملوَّنة . ومنها كنيسة ماري جاورجيوس للروم الارثذكس وهي تحتوي من الآثار الخشبية البديعة ما لا يُرى في غيرها من ذلك وهو اقونسطاسها المقدس الذي قام بصنعهِ المعلم وهبه النجار الدمشقي والد مطران طرابلس على الروم المتوفَّى منذ نيّف وعشرين سنة(١ وتاريخ صنع هذا الاقونسطاس معروف ممَّا كُتب عليهِ بالعربية واليونانية ايضاً: « قد كمل هذا التمبلن والاقونسطاس سنة ١٧٨٣ مسيحية في شهر اذار في رئاسة المطران كير مكاريوس ووكالة الشيخ يونس نقولا...»

فهذا الاقونسطاس قد حوى من فنون النجارة ابدعها واروعها منظرًا كالحفر الجميل والتخريق النحيف والمشبكات اللطيفة والقرنص الملوكي الفخيم والتاجات الجميلة وجميع فنون هذه الصناعة الشرقية الحائزة اعلى طبقات الكمال والجمال والاحكام في مقابلة الرسوم بعضها لبعض ولا سيَّما في براعة التمثيل وفخامة المنظر وجلالتهِ بحيث جاء لائقاً بالمقام الديني الشريف وهو مزدان برسوم عديدة مسيحية تنبئ بسموّ عقل وحذاقة صانعهِ واتّساع معارفهِ وتضلعه بالهندسة والصناعة وكنَّا حاولنا ان نأخذ رسم هذا العمل البديع لننشرهُ في المجلَّة ونجعلهُ كمثال لصنَّاع بيروت يحذون حذوهُ ويقتبسون من هندستهِ الشرقية فحالت دون مرغوبنا عوائق لم نكن لننتظرها والله موفّق لكل خير (ستأتي البقيَّة)

---

١) قد اخبرني بهذا جناب الخواجا ديمتري طرزي التاجر الشهير بالمصنوعات الشرقية عموماً والنجارة خصوصاً. وممَّا افادني ايضاً: « ان الروم كانوا يعتبرون سابقاً ولا يزالون الاقونسطاسات والهياكل الخشبية ذات العرف الطيب اكثر من الاقونسطاسات المصنوعة من الرخام والاحجار الجميلة » راجع ايضاً مقالة الاب لامنس في الأرز واستعمالهِ قديماً في المعابد والمباني الفخيمة (المشرق ٤: ٩٣٠)

مطبوعات شرقية جديدة

الدرر الغوالي من حياة المطران جرمانوس الشمالي

لجامعها الخوري بشاره الشمالي

طبع في المطبعة الشرقية في الحدث (لبنان ١٩٠٢ . ص ١٩٧)

لا نُطيل الكلام في وصف هــذا الكتاب النفيس وقد وعدنا جامعهُ بان يضمّن خلاصتهُ في مقالة يحرّرها لقراء المشرق . وحسبنا اليوم ان نقول انَّ هذا التأليف يمثّل لنا على احسن طريقة ترجمة حياة احد الاحبار الافاضل الذين شرّفوا الطائفة المارونيَّة باعمالهم المبرورة وفضائلهم السامية وهو الطيّب الذكر المطران جرمانوس الشمالي . وفي هذا الكتاب عدَّة حوادث تفيد التاريخ الديني في بلادنا مدَّة نصف القرن الاخير فضلًا عمَّا أُلحق بهِ من نظم المرحوم ومراسلاتهِ . فنثني على همَّة الجامع ونتمنى ان قراءة كتابهِ تبعث في قلوب كثيرين الرغبة في اقتفاء آثارهِ أثابهُ الله وطيَّب ضريحهُ

التحفة العاميَّة

حرّرت بقلم « زيد » (طبعت في سان باولو برازيل ١٩٠٢ . ص ١٠٤)

يأنف اغلب الكتبة من استعمال اللغة العاميَّة لنشر افكارهم وترويج مقاصدهم على انَّ لهجة العوام في بعض الاحيان اقرب الى نوال المرغوب واقوى فعلًا في القــلوب فانَّ الادباء يجدون فيها تفكهة للارواح اما الجمهور فيرى صورة حياتهِ اليوميَّة وكلامهِ المطروق وامثالهِ المعتادة فتؤثر فيهِ اقوال الكاتب ومضامين تحريراتهِ . والتحفة العاميَّة من هذا القبيل اودعها صاحبها الاديب شكري افندي الخوري تفصيل رحلة احد السوريين يدعى فنيانوس الى سوريَّة عائدًا اليها من اميركة مع ما أُصيب بهِ في سفرهِ ثمَّ في قريتهِ من صنوف البلايا التي حملتهُ على ان يهاجر الديار ثانيةً ويكرّ راجعًا الى الغربة . وفي الكتاب من اوصاف العادات اللبنانيَّة في الدين والمعاش والزواج والجنازات والمحاكم ما تستطاب قراءتهُ . وفي آخر هذا التأليف ذيل في تاريخ الجرائد في البرازيل كنَّا وددنا ان لا يبالغ الكاتب في الثناء على بعض منها مع سوء طريقة كتبتها . فكيف يمكنهُ مثلًا ان يقول عن جريدة « البرازيل » انَّ خطَّتها معتدلة مع ما نرى فيها من المقالات البذيئة والتشنيع على الادباء وارباب الدين

ل . ش

شذرات

❊ الحاكم في انكلترة ❊ رفع الاب ڤون اليسوعي شقيق الكردينال ڤون رئيس اساقفة وستمنستر الى محكمة لندن قضيّة على جريدة بروتستانيَّة اسمها « روك » طعنت في الرهبان اليسوعيين واصفةً اياهم بعدم الوطنيَّة ومخالفة الشرائع وعدم الاخلاص لحكومة البلاد فصدر الحكم من المحكمة المذكورة بتغريم الجريدة المحكي عنها بمبلغ ثمانمائة ليرة انكليزيَّة بدل عطل وضرر. فما قول الضياء في ذلك

❊ المثرون في الولايات المتحدة ❊ ورد في جريدة « نيويرك هرلد » انَّ في الولايات المتحدة ٣٨٢٨ شخصاً ممَّن تربي ثروتهم على المليون من الدولار. ولو جُمع غناهم لبلغ مجموعهُ ١٦ مليارًا من الدولار اعني انهم وحدهم حاصلون على خُمس ثروة الولايات المتحدة التي تبلغ ٨١ مليارًا. ونصف هؤلاء الاغنياء يملكون كل واحد اكثر من خمسين مليون فرنك. واغناهم المثري رُكفِلّر (Rokfeller) محتكر الزيت تبلغ ثروتهُ مليارين!

❊ كفن مصري قديم ❊ قد وجد المسيو غايه (Gayet) في مدينة انطينوية اجساماً لقدماء المصريين البعض منها محنَّطة والبعض يابس لم يمسَّهُ الفساد لجفاف الارض التي دُفنت فيها. وكانت احدى هذه الجثث ملفوفة في كفن عليهِ صورة الميت. فوجد العلماء باكتشافهِ دليلًا جديدًا على صحة كفن السيد المسيح في تورين

❊ السمك المغنّي ❊ من عجائب الكون السمك المغنّي الذي يوجد منهُ في بحيرة باتيكالوا في جزيرة سيلان. وقد كتب الاب اليسوعي هرمان كوخ فصلًا عنهُ اوردتهُ مجلة التمدُّن الكاثوليكي. وقد اخبر هذا المرسل انهُ سمع اصوات هذه الاسماك فكانت تخال لهُ كاصوات اجواق من الموسيقيين او اصحاب آلات الطرب فتُسمع تارةً خفيفة رخيمة وتارةً ضخمة كاصوات هدير الحيوانات. وهي تقترب حيناً وحيناً تبتعد وكان مع الاب كوخ يسوعيَّان آخران خبيران بالموسيقى فدوَّنا هذه الاصوات بالعلامات الموسيقيَّة. ومن عجيب الامور انهم لم يمكنهم ان يعرفوا جنس هذه الاسماك وكيفيَّة غنائها ولعلَّ هذه الاصوات تخرج من زعانفها ليست من افواهها .

❊ تقدُّم علم الجراحة ❊ كان فنُّ الجراحة لا يتعدَّى سابقاً العمليَّات

الخارجيَّة في اعضاء الجسم. غير انَّ الجرّاحين منذ سنين قليلة لم يروا ان يقفوا عند هذا الحدّ وكثيرًا ما فتحوا الجسم واجروا في باطنهِ العمليَّات الغريبة فاتوا بنجاحٍ يجاوز املهم. وقد افادتنا المجلَّات الطبيَّة الاخيرة انَّ عدة امراض اصابت القلب شفيت مؤخرًا بحذق الجرّاحين. وقد رُوي عن بعضهم انَّهم فتحوا الصدر وكشفوا تمامًا عن القلب وبعد ان ازالوا منهُ بالمشرط مدَّتهُ وخراجاتهِ عادوا فخاطوهُ ثمَّ خاطوا الصدر

جوابنا على ڤكتور شربونيل — تعجَّب صاحب الضياء من كوننا لم نجب على مقالة ڤكتور شربونيل الَّا بسطرين. ولكن ساء ظنهُ اذ لم نحاول الجواب عليهِ مطلقًا لاننا نجلُّ مجلَّتنا عن الجواب لمثلهِ. وانَّما اكتفينا بتعريف هذا الكاتب ليتحقَّق الناس انَّ هذه الثمرة بنت تلك الشجرة

الابن ينشا على ما كان والدهُ . ان العروق عليها ينبت الشجرُ

امَّا اذا احبَّ الشيخ صاحب الضياء ان نجيب على مقالة شربونيل جوابًا مطولًا فلا بأس ولكن بشرط ان ينشر جوابنا في مجلَّتهِ. فسوف نريهِ نيِّفًا ومئة وخمسين غلطة او تزويرًا في هذه التحفة التي متَّع بها قرَّاءهُ

أسئلة وأجوبة

س سُئلنا هل طُبعت الكتب الاتي ذكرها بفهارس موسَّعة وهي: الكامل لابن الاثير والكامل للمبرّد وكتاب الحماسة والكنز المدفون والمستظرف

فهارس بعض المطبوعات

ج طُبع الكامل لابن الاثير في ليدن مع فهارس للاعلام وترجمة لاتينيَّة سنة ١٨٥١—١٨٧٦ طبعهُ تُرنبرغ. ولهُ طبعة أُخرى في جملة تواريخ الصليبيين مع ترجمة افرنسيَّة وفهرست. وكذلك الكامل لابي العباس المبرّد قد طُبع طبعة حسنة مع فهارس مطوَّلة في ليبسيغ (١٨٦٤ — ١٨٩٢) طبعهُ رَيت (Wright). وقد نقل فريتاغ الشهير كتاب الحماسة الى اللاتينيَّة مع شرحها للتبريزي وختم طبعتهُ بفهارس متقنة. امَّا الكنز المدفون والمستظرف فلا نعرف لهما غير الطبعات الشرقيَّة دون فهارس وافية

س وسأل جناب الاديب سعد العلم من بترسبورغ في اميركة هل يصحّ القول بان شفاعة العذراء مريم مقبولة عند الله بحيث تغيّر حكمهُ تعالى

شفاعة العذراء مريم

ج معلوم انهُ ليس في الله عزَّ وجلَّ تغيير البتَّة وانَّ احكامهُ ثابتة منذ الابد والى منتهى الدهر . لكننا نعلم ايضاً بنوعٍ مقرَّر ان شفاعة اولياء الله عموماً والبتول العذراء خصوصاً مقبولة لدى الله بحيث يمنح تبارك وتعالى من النعم ما لم يكن منحهُ لولا هذه الشفاعة . امَّا الموافقة بين هذين الامرين المتباينين فمبنيَّة على علم الله السابق الذي منذ الابد قضى بانهُ يمنُّ في الزمان على عبادهِ بسوابغهِ اذا ما توسَّطت البتول والاولياء بينهُ وبينهم . ومن هذا القبيل يصحُّ القول بانَّ شفاعة البتول تغيّر احكام الله والاولى ان يقال انَّ هذا التغيير يصيبنا نحن ليس الله الذي لا يطرأ عليهِ ادنى تغيير

س وسأل من الناصرة حضرة الاب الفاضل الخوري طوبيا الدحداح . ١ هل يجوز للكاهن اللاتيني ان يقدّس على مذابح الموارنة اذا كانت البلاطة ثمَّ خالية من ذخائر القديسين او كانت من خشب . ٢ هل يجوز لهُ او للكاهن الماروني ان يقدّسا على مذابح الروم الكاثوليك حيث يستعاض عن البلاطة بالانديميسي (وهي قطعة من قماش الكتان ابيض مكرَّسة بالميرون وفي وسطها ذخائر القديسين) . ٣ هل يجوز للكاهن الرومي الكاثوليكي ان يقدّس على مذابح اللاتين والموارنة دون الانديميسي . ٤ هل الضرورة تجيز لاحد كهنة الطقوس المذكورة مخالفة طقسهِ

القدّاس على مذابح طقوس مختلفة

ج نجيب على (الاول) انهُ لا يجوز للكاهن اللاتيني ان يقدّس على مذابح الموارنة اذا كانت خاليةً من ذخائر القدّيسين . الَّا اذا نال رخصةً بذلك وقد سمحت رومية بهذا لبعض المرسلين . و(على الثاني) انَّ المجمع المقدَّس قد اجاب سلبيًّا على مثل هذا السؤال سنة ١٧٢٦ فلم يُجز للكاهن اللاتينيّ بتقدمة الذبيحة على الاندميسي وانَّما قد رخَّص الكرسي الرسولي لبعض المرسلين بالتقديس عليهِ . امَّا الموارنة فلم نجد نصًّا في المجمع اللبناني وفي منارة الاقداس يسمح لهم باقامة القدَّاس على الاندميسي . و(على الثالث) انَّ الكاهن الروميّ الملكيّ لا يمكنهُ ان يقدّس على مذبح اللاتين دون الاندميسيّ . على ما جاء في بعض اجوبة الكرسي الرسولي . و(على الرابع) انَّ عند الضرورة ينبغي مراجعة الاسقف ل . ش

سؤالات طقسية مرفوعة من احد كهنة الموارنة الى ذوي الامر

١ هل يعوَّل على قنداق الشحيم الملق على الطبعة الاولى في روميـة ام على قنداق الشحيم المطبوع في بيروت موخرًا ام على قنداق منصور الحكيم ام على العوائد المخالفة للقنداق بانواعهِ =
٢ سؤال عامّ بشان منارة القداس هل يعتمد على منارة الاب اسكندر القبرسي المضافة على كتاب القدّاس المطبوع سنة ١٧١٦ ام على غيرها من المنارات ومن المقرَّر بعد البحث ان منارة الدويهي تخالف منارة القبرسي فهل يعوّل في ما فيهِ اختلاف على منارة الدويهي



غبطة السيّد الجليل
كير كيريون كيرلّس الثامن جحا
بطريرك انطاكية والاسكندريّة واورشليم وسائر المشرق

المشرق

النُّجْح الضَّامن
بغبطة السيِّد البطريرك كيرلُّس الثامن

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

ما كاد الله تعالى يستأثر بعبدهِ بطرس الارض لينقلهُ الى دار الخلود حتى لطف بطرس السماء بقطيع الفقيد وشفق على يُتم كنيستهِ فاقام لاخوتنا الروم الكاثوليك الافاضل يوم عيدهِ الميمون راعياً صالحاً وأَبًا غيورًا يعدُّونهُ خير خلف لمن سلف ألا وهو صاحب الغبطة السيد الجليل كير كيريون كيرلُّس جحا رئيس اساقفة حلب وسلوقية وقورش. فدقَّت البشائر وعلت اصوات الفرح واخذ الجميع يهنّئون نفوسهم اذ حصلوا على مثلهِ بطريركًا اشارت اليهِ القلوب قبل ان تتَّفق على انتخابهِ الاصوات. امَّا نحن فنتقدَّم لغبطتهِ ولكل طائفة الملكيين تهانئنا الخالصة ونرفع الى ابي الانوار اكفَّ الضراعة ليؤيد مختارهُ بيمينهِ القادرة ويقرن بالنجح صوالح اعمالهِ ويبلّغهُ اقاصي آمالهِ لمجد الله الاعظم وخير الكنيسة الكاثوليكيَّة فيعدَّ للرب شعباً كاملًا ويتمّم رغبة ابي المؤمنين في توثيق عرى الاتفاق بين الاخوة وجمع القلوب في عواطف الحبّ ووحدة الايمان لتكون عمَّا قليل حظيرة واحدة وراعٍ واحد

*

ولمَّا كان غبطة البطريرك الجديد هو الثامن من اسمهِ على كرسي انطاكية الرسولي وطلب الينا بعض ادباء طائفة الروم الكاثوليك ان نسطّر لهم ملخص تاريخ الذين

سبقوا عهدهُ بهذا الاسم اجبنا بطيب الخاطر الى طلبهم لاسيَّما أنَّنا رأينا اختلافاً كبيرًا في القوائم التي سُردت فيها سلسلة بطاركة انطاكية فترى البعض لا يذكرون الَّا ستَّة اشخاص اشتهروا باسم كيرلُس والبعض خمسة او اقلّ. فراجعنا الكتبة الموثوق بهم في هذا الامر كالبولنديين في المجلَّد الرابع من تموز حيث عدَّدوا بطاركة انطاكية من كاثوليكيين ويعاقبة وغيرهم وراجعنا ايضاً الشرق المسيحي للوكيان وتاريخ بارونيوس المطوَّل. ومن كتب الشرقيين التي اعملنا فيها النظر كتاب التواريخ المليَّة في شرح احوال البطريركية للقس يوحنَّا العجيمي وكتاب الخلاصة الوافية في تاريخ بطاركة انطاكية للخوري ميخائيل بريك الرومي الاورثذكسي. فقابلنا بين هذه التآليف كلها واستخلصنا منها ما يأتي مع فوائد اضفناها اليها

﴿ اسم كيرلُس ﴾ اوَّل ما ظهر اسم كيرلُس في القرن الاوَّل للميلاد استعملهُ الرومان واشتقُّوهُ من اليونانيَّة كيريوس (Κύριος) بمعنى الرب والسيد فصاغوهُ على مثال الاعلام المصغَّرة فصار كيرلُس اي السيد الصغير. كما قالوا « Plautillus » و « Domitilla » في تصغير « Plautus » و « Domitia ». وفي تواريخ شهداء النصرانيَّة عدَّة من الابرار الذي دُعوا باسم كيرلُس اعظمهم في سوريَّة كيرلُس الشمَّاس البعلبكيّ الذي مات في سبيل الايمان القويم على عهد يليانوس المارق قتلهُ الوثنيُّون في بعلبك بعد ان مثَّلوا بهِ واذاقوهُ الموت الوانًا. وقد شرَّف هذا الاسم رجالٌ تفتخر بهم النصرانية لا يزال ذكرهم حيًّا في الكنيسة منهم كيرلُس الاورشليمي الذي ناصب شيعة آريوس مدَّة نحو اربعين سنة فردَّ سَورتها وكبح جماحها وتوفي سنة ٣٨٩. ومنهم كيرلُس الاسكندريّ الذي دافع عن وحدة الاقنوم في المسيح وعن الامومة الالهيَّة فكسر شوكة البدعة النسطوريَّة وافاز الايمان الكاثوليكي بانتصار باهر كان موتهُ سنة ٤٤٤. ومنهم رسول الصقالبة القديس كيرلُس الذي ارجع الى الايمان في بلاد القلاخ والبغدان واللان وكرواتيا ودلماتيا شعوبًا عديدة بشَّرهم بالانجيل مع اخيهِ ميثوديوس في القرن التاسع. وكانت وفاتهُ في رومية فامر البابا ادريان الثاني بان يُدفن في القبر الذي كان اعدَّهُ لنفسهِ. وهؤلاء القديسون الثلاثة المدعوُّون باسم كيرلُس قد احيا ذكرهم البابا لاون الثالث عشر المالك سعيدًا في الكنيسة الغربيَّة وامر بان تُنظم اعيادهم في سلك المتقدمين بين اولياء الله

﴿ بطاركة انطاكية المعروفون باسم كيرلُس ﴾ انطاكية اوَّل كرسيّ بطريركي جلس عليهِ اسقف باسم كيرلُس وكان ذلك في اواخر القرن الثالث. خلف الاسقف تياوس في رئاسة مدينة الله انطاكية في السنة الرابعة للقيصر پروبوس اي السنة ٢٨٠ وهو البطريرك التاسع عشر منذ جلس بطرس هامة الرسل على الكرسيّ الانطاكيّ. وقد جعلهُ الخوري ميخائيل بريك العشرين في الرتبة وذلك لانهُ اقحم بطريركاً دعاهُ مكاريوس بين دمتريانوس البطريرك الخامس عشر وبولس السميساطيّ الاراتيكيّ ولم نجد ذكرًا لمكاريوس المذكور في تاريخ اوسابيوس وفي السلاسل البطريركيَّة التي راجعناها. وكان كيرلُس الاوَّل رجلًا بارًا ادرجت الكنيسة اسمهُ في سجلّ القديسين وتذكرهُ في اليوم ٢٢ من تموز وجاء في السنكسار الرومانيّ انهُ اشتهر بعلمهِ وقداستهِ. وفي تاريخ العجيميّ انهُ « كان رجلًا بسيطاً جدًّا وغيورًا وذا خصال حميدة وفضائل وافرة ودبَّر الكنيسة بمثل صالح ». ولا مراء انهُ جاهد في سبيل الايمان وتحمَّل محناً شتَّى على عهد ملكَيْ رومة المغتصبَيْن ديوقلسيان ومكسيميان. وقد نقل بارونيوس عن مُنبريسيوس انهُ مات في الحبس. الَّا ان اوسابيوس المؤرخ لم يدوّن هذا الامر في تاريخهِ مع انهُ عاش في زمانهِ ليس بعيدًا عنهُ. امَّا تاريخ وفاتهِ فقد اختلف فيهِ الكتبة والارجح انهُ توفّي سنة ٣٠٠ بعد ان دبَّر الكرسيّ مدَّة عشرين سنة

ولم يظهر اسم كيرلُس على الكرسي الانطاكي بعد وفاة كيرلُس الاوَّل حتى اواخر القرن الثالث عشر. قال المؤرخ اليونانيّ پاخيمراس: « ولمَّا توفي إرسانيوس (وهو البطريرك المئة والرابع عشر) انتخب اساقفة الشام لهُ خلفاً كيرلُس (وهو الثاني باسمهِ) وكان رئيس اساقفة صور. امَّا اهل قيليقية فاختاروا ديونيسيوس اسقف مدينة پُمپيوپوليس من اعمال قيليقية » وكان ذلك سنة ١٢٨٧ للميلاد فجرى نزاع بين المنتخَبَيْن لم يخمد اوارهُ الَّا سنة ١٢٩١ بوفاة كيرلُس الثاني فصار تدبير الكرسيّ في يد ديونيسيوس الى وفاتهِ سنة ١٣٠٦. وكيرلُس هذا لم يذكرهُ الخوري بريك في تاريخهِ بل لم يذكر احدًا من البطاركة الذين خلفوا ايريثاوس الاوَّل الى اغناطيوس الثاني وهم اثنا عشر بطريركاً في جملتهم كيرلُس الثاني وكيرلُس الثالث وانما ذكر فقط بطركاً يدعوهُ اثناسيوس ولا ذكر لهُ في غيرهِ من المؤرخين (١

١) وقد انتبه الخوري ميخائيل بريك الى هذا الخلل فكتب في تاريخهِ بعد ذكر اثناسيوس .ما نصُّهُ

ثم خلف ديونيسيوسَ السابقَ ذكرهُ كيرلُس آخر الثـالث باسمهِ سنة ١٣٠٦. وقد ذكرهُ المؤرخ الروميّ نيقيفورس كالستوس وهو من كتبـة القرن الرابع عشر على انَّ بعض اصحاب الانتقاد لا يثقون بقول نيقيفورس ويظنُّون انهُ خلط بين كيرلُس الثاني والثالث. وقد جاء في سلسلة بطاركة انطاكية العربيَّـة التي نشرها السمعانيّ ان خلف ديونيسيوس كان يُدعى كيريانوس لا كيرلُس والله اعلم. واماَّ اخبار هذا البطريرك فمجهولة

ورابع البطـاركة الانطاكيين الذين عُرفوا باسم كيرلُس جلس على الكرسي البطريركيّ سنة ١٦١٨ وهو على حساب لوكيان البطريرك المئة والخمسون وفي سلسلة العجيميّ المئة والثامن والعشرون. وفي تاريخ الخوري بريك المئـة والتاسع والثلاثون. وقد خلف في البطريركيَّة اخاهُ اثناسيوس الثالث المعروف بابن الدبَّاس وكان اثناسيوس كاثوليكيًّا شهد بذلك نيقيفورس مِليسَّان مطران جزيرة نكسوس والاب حنَّا غوتيار المرسل اليسوعيّ وكلاهما عاش في ايَّامهِ (١. وقد جاء في مجلَّة كنائس الشرق (ج ٢ ص ٤١٢) ان اثناسيوس عقد مجمعاً في دمشق سنة ١٦١٧ فصادق مع اساقفتهِ على القضايا الخمس التي تحدَّدت في المجمع الفلورنتيني. وزاد القس يوحنَّا العجيميّ في تاريخهِ (ص ٣١٠) انهُ اتفق واياهم على ان يرسلوا قاصدًا من قبلهم الى البابا الروماني لكي يطلبوا الشركة لكنهُ لم يستمرّ زمنًا مديدًا في الكرسي. ولمَّا خلفهُ اخوه كيرلُس الرابع اقتفى آثارهُ وعضد الايمان الكاثوليكيّ وقد تعرَّض لهُ في سلطتـهِ بعض اخصامهِ. قال صاحب مختصر تاريخ الروم الملكيين (ص ١٩): « انَّ البعض من اضداد كيرلُس كان قد انتخب السيّد اغناطيوس مطران صيداء فوقع وقتئذٍ الشقاق بين البطريركين وكان اغناطيوس غنيًّا لكنهُ لم يكن محمود الصفات وقد تحزَّب لهُ الامراء من آل معن فاضطهد كيرلُس وجعلهُ يكابد نفقات جزيلة وقيل انهُ وافق على قتلهِ فقُتل». وقد جرى ذلك سنة ١٦٢٨ لكنّ اغناطيوس لم ينتفع من اثمهِ زمنًا طويلًا فقُتل ايضاً بعد ثلاث سنوات. قال القس يوحنَّا العجيمي في التختيكون (ص ٣١٠): « وكيرلس هذا كان كاثوليكيًّا

بالحرف: (ومن بعد هؤلاء لم عدنا وقفنا على تاريخ لبطاركة انطاكية لا في الكتب ولا في التواريخ الافرنجية ولا في الروميّ ولا العربيّ وكان انتهاؤهم الى ايَّام فتوح الملك الظاهر لمدينـة الله. ومن ذلك الحين عُدمت اخبـارهم بالكليَّة لعدم ظهور مؤرخ جديد يتبع تواريخ علماء الملَّة المسيحيين وكل ذلك لكثر الهم والغمّ والعسر والضيق الذي اصاب بني المعمودية سببهُ كثرة خطاياهم »

١) راجع مجلَّة اصداء الشرق (Echos d'Orient. IV p. 274)

مثل اخيهِ اثناسيوس وكان دائماً ينادي ضدَّ الانشقاق » وقد سمع الله دعاءهُ لانَّ خلفاءهُ افتيميوس كرمه الثاني وافتيثيوس الاوَّل الصاقزلي ومكاريوس الثالث جاهروا بمعتقد الكنيسة الرومانيَّة ونما عدد المؤمنين حتى ان الاب بسُّون اليسوعيّ دوَّن في كتابهِ سوريَّا المقدَّسة (ص٧٢) انَّ عدد الكاثوليك في دمشق وحدها كان بلغ سبعة آلاف نفس

كيرلس الخامس رُقي الى الكرسيّ الانطاكي سنة ١٦٧٢ فدبَّره الى اوائل سنة ١٧٢٠ وقد لقي في ناوفيطوس مطران حماة وفي اثناسيوس الرابع خصمين أَلدَّين ناصباهُ وفصلاهُ مدَّة عن كرسيهِ لكنَّ الله اظفرهُ باعدائهِ فساس رعيَّتهُ بحزمٍ ودراية . وقد اثنى على هذا البطريرك الشهير دمتريوس پروكوپيوس فنعتهُ « برجل رسولي سامي القداسة ذي معارف واسعة بارع باللُّغتين العربيَّة واليونانيَّة ضليع بتفسير الكتاب الالهي ومبشِّر نشيط لكلمة الله » امَّا انتماؤهُ الى السدَّة الرومانيَّة فقد وصفهُ الاب ناخي رئيس رسالة اليسوعيين السوريَّة في أيَّامهِ (١ قال: « انهُ ارسل الى البابا اقليميس الحادي عشر صورة ايمانهِ مع عصاة الرعاية دلالةً على خضوعهِ التام لنائب المسيح سنة ١٧١٧ ». وفي ايَّامهِ علا منار الكثلكة في بلاد الشام واشتهر كثيرون من الاساقفة والكهنة المستقيمي الايمان. قال صاحب التواريخ المليَّة: « وقد تظاهر كيرلُّس جدًّا في اواخر سني رئاستهِ في رفض الانشقاق وفي الاتحاد مع الكنيسة الرومانيَّة وما كان يكلّ عن الوعظ والتعليم لشعبهِ وكان عنده كهنة كثيرون ذوو ايمان حارّ وغيرة ومعرفة لم يكلُّوا عن التعليم والكرز بامر البطريرك الصالح ويثبتوا الجميع في الاعتقاد بالرأي المستقيم ». وقد شهد لهُ ايضاً الخوري ميخائيل بريك حيث قال بعد ذكرهِ استعفاء اثناسيوس الرابع: « ثم انَّ المغبوط كيرلُّس دبَّر الشعب حسناً ورعى رعيَّة المسيح بهدوّ وكان صاحب سعد وجاه امام الحكَّام وطاعت لهُ البلد وجميع الابرشيَّة وعمَّر الكنيسة وزيَّنها وسعى بالحكمة والتدبير وكذلك عمَّر القلاَّية ولهُ اتعاب كثيرة مع المسيحيين ورفع عنهم مظالم شتَّى وهو مشكور للغاية (٢ »

امَّا كيرلس السادس فهو سارافيم طاناس ابن اخت المطران افتيميوس مطران صيداء

---

١) راجع الرسائل البانية (Lettres édifiantes I, 87)   ٢) جاء في مجلَّة اصداء الشرق (٥ : ٣٣٠) ان كيرلُّس أَلَّف « كتاب الدمع المسجوم على انشقاق الروم ». لكنَّ هذا غلط فانَّ الكتاب المذكور من تآليف الاب فروماّج اليسوعي. وكذلك ورد هناك (ص ٣٢٨) انَّ كيرلُّس الخامس جمع في طرابلس مجمعاً لتعزيز الايمان الكاثوليكي وسند قولهُ هذا الى تاريخ القس يوحنا العجيمي وقد راجعنا هذا الكتاب فلم نجد اثرًا للمجمع المذكور

واكبر انصار الكثلكة في زمانهِ. وكان هذا قد درس في مدرسة مجمع انتشار الايمان في رومية واحرز ثقة الكرسي الرسوليّ الذي وكل اليهِ بعض المهمَّات في ايام كيرلُّس الخامس. فلمَّا توفي في حلب اثناسيوس الرابع خلفُ كيرلُّس الخامس سنة ١٧٢٤ اختار الاساقفة المجتمعون في دمشق ساروفيم المذكور(١. الّا انَّ احد كهنة البطريرك اثناسيوس يدعى سلبسطرس لم يرضَ بهذا الانتخاب وادَّعى لنفسهِ البطريركيَّة استنادًا الى وصية البطريرك المتوفى فذهب الى القسطنطينيَّة وطلب من المجمع القسطنطيني ان تُعهد اليهِ البطريركية ففعلوا. ومذ ذاك اليوم قُسمت الطائفتان قسمًا نهائيًا فصار لكل منهما راعٍ. امَّا كيرلُّس السادس فاثبتهُ حبر الاحبار سنة ١٧٢٩ ومنحهُ البابا بنادكتوس الرابع عشر درع الرئاسة سنة ١٧٣٧ فسعى على غاية امكانهِ في نشر الايمان الصحيح وقد عانى من المشقَّات والمحن ما يكلُّ عن وصفهِ قلم الّا انَّ الله قرن بالنجح مساعيهُ وانمى رعيتهُ ولم تزل مذ ذاك اليوم حبَّة الخردل تكبر وتقوى حتى صارت اليوم دوحةً باسقة الاغصان وارفة الظلال تسرُّ مدينة الله. وكانت وفاة كيرلس السادس سنة ١٧٦٠ الّا انهُ تنزَّل عن كرسيهِ قبل ذلك بسنة

امَّا كيرلس السابع وهو آخر من عُرف بهذا الاسم قبل البطريرك الجديد فانهُ انتُخب في غاية كانون الاوَّل من سنة ١٧٩٤ وكان اسمهُ كيرلُّس سيَّاج وكان مطرانًا على حوران بيد انهُ لم يجلس على الكرسي البطريركي الّا سنتين ونصف سنة فتوفي في ٢٥ حزيران ١٧٩٦ ودُفن في عينتيت حيث توفي. قد وصفهُ صاحب مختصر تاريخ طائفة الروم الملكيين بكونهِ « سليم القلب لا غشَّ فيهِ متواضعًا محبًا للجميع » .

فترى ممَّا سبق انَّ الذين دبَّروا الكرسي الانطاكي باسم كيرلُّس كلُّهم ممَّن امتازوا بالفضل واستقامة الايمان فشرَّفوا الكرسي الذي تولَّوا ادارتهُ وزيَّنوا بيعة الله بفضائلهم. ولا شكَّ ان البطريرك الجديد يزيد اسم كيرلُّس رفعةً وجلالًا ويبقي على طروس التاريخ من اعمالهِ ذكرًا طيبًا فانَّ لنا في ماضيهِ احسن ضمانةٍ لمستقبله حقَّق الله امانينا وحفظ شخصهُ الكريم سنين عديدة لخير الكنيسة وفخر الوطن

سقيًا لطائفةٍ غدا نبراسها كيرلُّس المفضال وهو الثامنُ
حبرٌ بهِ روض الكنيسة قد زها وجلوسهُ الميمون نجحٌ ضامنُ

٢) قد ظنَّ لوكيان في كتاب الشرق المسيحي (٢ : ٧٧١) ان ساروفيم وكيرلس مختلفان وهو خطأ

نشيد

لجمعيَّة مار منصور دي پول

من تأليف الشاعر المجيد المرحوم نيقولا نقَّاش

وقفنا على هذا النشيد الذي ألّفهُ القانونيّ الشهير والكاتب النحرير المرحوم نيقولا نقّاش سنة ١٨٦٣ وهو لم يُطبع في ديوانهِ. فاحببنا نشرهُ في نسبة عيد شفيع الجمعيَّة وهو القديس الجليل مار منصور دي پول الواقع تذكارهُ في ١٩ تموز

١ بشرى لمجمع المؤمنين هذا هو الكنز الثمين
هذا هو الملجا الحصين لكلّ آتٍ مستجير

اللازمة

يا مار منصور الشهير اشفع لدى المولى القدير

دور

٢ نجمٌ بأفلاكِ السما فوق الكواكب قد سما
ولهُ الاله تبسَّما واقامهُ شمساً تُنير

٣ فهو الرحوم الرامقُ والى المراحم تائقُ
وبفضل ربّك واثقُ وبصدق موعدهِ خبير

٤ بحرٌ طمى في حِلمهِ حبرٌ سما في علمهِ
من أمنهِ من سِلمهِ تلقى القنوطَ غدا البشير

٥ انت العزاء عن الهموم انت الوديع لدى العموم
بل انت يوحنَّا الرحوم ملجا المعنَّى والفقير

٦ فوق المنابر مذ بدا قد خلتُ بحرًا مزبدا
ارشادهُ المروِي الصدا يلجُ المسامعَ كالنفير

٧ فهو المعزّي للذليل وهو المداوي للعليل
يا قدوة الصبر الجميل بالسجن والشتم الغزير

٨ جمع الارامل واليتيمْ في كنفهِ العالي مقيمْ
كالامّ يأتيهِ الفطيمْ مع كل صعلوكٍ حقيرْ

٩ يا سعد بيروت التي باهت بذي الجمعيَّةِ
اعضاؤُهــا كالنخلةِ ورئيسهــا بدرٌ منيرْ

١٠ هيَّا اقتفوا آثارهُ هيَّا اقطفوا اثمــارهُ
واستنشقوا ازهــارهُ من روضهِ الزاهي النضيرْ

١١ هيَّا لقــد سدتُم على اقرانكم بين المــلا
وفخاركم لقــد اعتلى وبهِ ارتضى الربُّ الكبيرْ

١٢ صدقاتكم كنزٌ عظيمْ بخزائن المولى الرحيمْ
ولكم بها مجدٌ عظيمْ في خدرهِ السامي المنيرْ

١٣ اتعابكم تاجٌ ثمــينْ يهديهِ ربّ العالمــينْ
فاستبشروا يا عابدينْ وتذكَّروا قول البشيرْ

١٤ انتم بني جمعيَّتي ألعــارفين سريرتي
وبيَ اقتدوا في سيرتي وانا لكم نعم النصيرْ

اصل رهبانية الكَرْمَل[١]

ومآثرها للعذراء مثال القداسة الأكمل

لحضرة الكاتب الفاضل الاب انستاس الكرملي

تمهيد

لا يغرب على متصفح الامور الدينيَّة الكاثوليكيَّة ان الشرق معدن عبادة مريم العذراء عليها اشرف السلام وفي الشرق أُقيم اول معبد على اسمها الكريم ومن الشرق

١) قد ضبط لغويُّو العرب لفظة الكرمل على وزن زِبّرِج اي بكسر الاول والثالث وسكون الثاني ونصوصهم في ذلك واضحة نكتفي منها بما قالهُ ياقوت في معجمهِ وهذه عبارتهُ: « كِرْمِلُ بالكسر ثم السكون وكسر الميم ولامٌ هو حصن على الجبل المشرف على حيفا بسواحل بحر الشام وكان

تفجَّرت اشعَّة الحبل بها بلا دنس اصلي · هذا هو الرأي المشهور في هذه ثلاثة الامور امَّا كيفيَّة انتشارها وعلى يد مَن كان هذا الانتشار وفي اي عصر ابتُدئ بهِ فيكاد الاغلب يجهلهُ · وعليهِ فيحقّ لقراء المشرق الذين تعوَّدوا التكحُّل باثمد حقائقهِ ان يقفوا على اوائل هذا التعبد ودقائقه

١ قدم التعبُّد للعذراء

اول كلام جاء بخصوص العذراء كلام مُجمل رمزيّ ورد في التنزيل العزيز في سفر الخلق بعد سقطة آدم في الخطيئة وهذا نصهُ : أَجعل عداوةً بينكِ (اي بين الحية وهي صورة الشيطان) وبين المرأة وبين نسلكِ ونسلها فهو يسحق رأسكِ وانتِ ترصدين عقبهُ (سفر التكوين ٣ : ١٥) ومعنى هذا الكلام انهُ عزَّ وجلَّ جعل عداوة بين الشيطان والانسان وبين نسل ذاك وهذا وان يسوع المخلص المولود من المرأة اي مريم العذراء يسحق راس اللعين بنابتهِ اياهُ مائتاً على خشبة الصليب · هذا هو راي جمهور الآباء القديسين · الَّا انك لا ترى من هذا النص شيئاً ينوّه بالعذراء تنويهاً جليًّا الى ان جاء ذاك النبي العظيم ايليا الحيّ فابرز عبادة العذراء من حيّز الرمز والابهام الى عالم الصراحة والتبيان وذلك ان الخضر[١] كان يُقيم على جبل الكرمل وكان قد جمع تحت امرهِ طائفة من التلامذة يتخرجون عليهِ في الطريقة النسكية[٢]. وتلك الطائفة هي جرثومة رهبانية الكرمل والمراد بالطريقة النسكية يومئذٍ ان النبيَّ التَّشبيَّ واصحابهُ كانوا قد انقطعوا اليهِ تعالى بالصلاة والتبتُّل على ما نصَّ عليهِ آباء الكنيسة كالقديس باسيليوس والقديس غريغوريوس النصيصيّ والقديس هيرونيموس والقديس افرام والقديس اثناسيوس واضرابهم من الائمة المعدودين · وفي ذات يوم « صعد ايليا الى راس الكرمل وخرَّ الى الارض وجعل وجههُ بين ركبتيهِ وقال لغلامهِ : اصعد وتطلَّع نحو البحر . فصعد وتطلَّع وقال : ما ارى شيئاً · فقال لهُ : ارجع سبع مرَّات · فلمَّا كان في السابعة قال : ها سحابة صغيرة

قديمًا في الاسلام يُعرف بمسجد سعد الدولة ». اه الَّا اننا نفضّل على ذلك وزانهُ على جَمْفرَ اي بفتحتين عوض الكسرتين لان لفظهُ هذا يقرب من لفظهِ في اصله العبريّ وهو ايضاً اللفظ المشهور على السنة الناس والوارد في الترجمة اليسوعية بهذا الضبط . وانك لا تجهل بان الاجود في ضبط الاعلام الرجوع الى اصلها والتقرُّب منهُ

١) الخضر من اسماء ايليًا النبيّ . والبعض يطلقهُ على اخنوخ والبعض يريدون بهِ القديس جرجس الشهيد ٢) راجع سفر الملوك الرابع الفصل الثاني

قدر راحة رجُل طالعة من البحر » (بحرفهِ عن ٣ سفر الملوك ١٨: ٤٢—٤٤) . فمن تُرى ذاك النشيءُ (اول ما ينشأُ من السحاب) . قلتُ: إنْ هو الّا صورة مريم على ما احقّهُ المفسّرون بل وصورة الحبل بها بلا دنس اصلي لانهُ على حدّ ما ينشأُ السحاب ويرتفع من عباب البحر بدون ان يتخذ ثقلهُ وأُجاجهُ كذلك نشأَت العذراء من صلب آدم المفسود بالخطيئة والمثقّل بها بدون ان ينالها من ذلك شيءٌ البتَّة

هذا هو السر الذي أُوحي بهِ الى النبيّ التَّشبيّ وقد كشفهُ لخليفتهِ وخرّيجهِ ورئيس ابناء الانبياء بعدهُ النبي أليشع ومنهُ فشا الخبر الى كافّة السلالة النبويّة الكرملية التي شيَّد النبي ايليا قواعدها ووطّد وطائدها وقوّى سواعدها بما ابقاها الى ايام المسيح متخذةً اسماء مختلفــة حسب ظروف الزمان ومقتضَياتهِ (١ حفظاً لتلك العقيدة التي وصلت اليهم من مؤسسهم الاعظم

اجل اننا لا نجهــل ان جماعة من الكتبة انكروا على الكرمليين تقليدهم هذا واصلهم من السلالة النبويّة المذكورة في التنزيل العزيز الّا ان الكنيسة قد اثبتت هذا التقليد الوسيم واقرّتهُ بوجهٍ لا يحتمل بعدهُ مكابرة ولا مشاجرة وذلك ان البابا بندكتس الثالث عشر امر في ٢٦ حزيران سنة ١٧٢٥ باقامة تمثال للقديس ايليا واوقفهُ في صدر التماثيل المنصوبة لاكرام مؤسسي الرهبانيَّات في كنيسة القديس بطرس في رومة العظمى وقد كتب عند رجلهِ ما معناهُ: « اقامتهُ رهبانيــة الكرمل باسرها لمؤسّسها القديس ايليا النبي ». وهذا هو نصهُ اللاتيني:

---

١) بعد ان دعاهم الكتاب الكريم غير مرة أبناء الانبيــاء في سفر الملوك سماهم ارمياء « ريكابيين » (ارميــا ٣: ٢ , ٣ , ٥ , ١٨) وذكرهم صاحب الزبور باسم « حَسيديم » او « حَسيدِيون » فعربتها الترجمة اليسوعية « بالاصفياء » غير انها ذكرتها بصورتها العبرية في سفر المكابيين الاول (٢: ٤٢ ثم ٧: ١٣) وفي سفر المكابيين الثاني (١٤: ٦) ومعناها الرحماء والاتقياء والصُلَّاح . واطلق عليهم يوسيفوس وفيلون وبلينيوس والقديس ايفانس في مواطن شتَّى من تآليفهم اسم « الأسَّانيين » اي الأســاة على راي مشهور . وعرفهم العرب باسم المغتسلة او المغتسلين او النُسَّاك (راجع مجاني الادب ١: ٢٩٢ ثم ٧: ١٧٥) وكان عددهم في عهد المسيح اربعــة آلاف ناسك على ما نقلهُ فيلون وكان موطنهم عين جدي والكرمل وما جاورهُ وحوالي بحيرة لوط وجوار اورشليم وكانوا يتخذون البسةً بيضاء ويكثرون من الاغتسال ويمتنعون عن الزواج ولا يتخذون عبيداً ويحيون لياليهم بالتهجد والنواشئ (قربات الليل)

Universus ordo Carmelitarum fundatori suo Sancto Eliæ prophetæ erexit.

هذا هو اصل عبادة العذراء في الشرق العزيز وهو يرتقي الى المائة العاشرة قبل المسيح والفضل في ذلك عائد كما رأيت الى النبي ايليا العظيم. وهذا هو اصل اكرام حبل العذراء بلا دنس اصليّ. ذلك هو التقليد الذي تلقَّيناهُ عن السلف اثابهم الله ونحافظ عليهِ محافظةً دونها محافظتنا على حياتنا

وبعد ان شرَّفت العذراء هذا العالم بولادتها الزكية وخفقت على المعمور راية الدعة والسكينة والبشارة العظمى ببزوغ اشعَّة وجهها الكريم كان سلفُ الكرمليين اول من عظَّمها واكرمها و بالغ في حفاوتها. ولذلك كثيرًا ما كانت تختلف الى جبل الكرمل مع يسوع والقديس يوسف فتفتنهم بكلامها عن الله وتخلب عقولهم بما أُنزِل على شفتَيْها من تدفق العذوبة والرقَّة والنعمة (المزامير ٤٤ :٣). ولذلك كان اجداد الكرمليين اول من آمن ايضاً بالاله يسوع بعد الرسل والتلامذة واول من اقام للعذراء معبدًا بعد انتقالها الى السماء بالنفس والجسد. هذا والكنيسة المقدسة قد اثبتت ايضاً هذا التواتُر واجلَّتهُ واحلَّتهُ محلًّا رفيعاً. ومصداقاً لذلك أُورد لك بالحرف المعرَّب ما جاء في كتاب الفرض الروماني في اليوم ١٦ من شهر تموز وهذا نصهُ: «ان كثيرين من الناس الذين كانوا اقتفوا آثار النبيَّيْن ايليا وأليشع وكان قد اعدَّهم القديس يوحنا المعمدان لمجيء المسيح لمَّا أُطلِعوا بحقيقة الوقائع اهتدوا الى الايمان عند سماعهم الرسل ورؤيتهم الخوارق. ولما كانوا قد وقفوا نفوسهم لأكرام العذراء الطوباوية بنوع خصوصي شرَّفتهم البتول مرارًا عديدة بتجاذب اطراف الكلام معهم واقاموا لها معبدًا على جبل الكرمل في الموطن الذي رأى ايليا تلك السحابة التي هي صورة العذراء المبجَّلة. وكان هؤلاء يجتمعون كل يوم في ذلك المعبد الجديد ويكرمون فيهِ العذراء بالسُنن الدينيَّة والادعية والمديح اذ يعتبرونها الشفيعة الوحيدة لرهبانيتهم ولذلك دُعوا بأُخوة الطوباوية مريم العذراء سيدة الكرمل (١. ولم يُثبِتْ لهم الاحبار العظماء هذا

١) ان تلقيب العذراء بسيدة الكرمل يرتقي الى صدر النصرانية وذلك ان نُسَّاك هذا الجبل كانوا قد وضعوا في المعبد الذي ألمنا اليهِ صورة مريم ماسكة بين ذراعيها يسوع الطفل وهذه الصورة اشتهرت فيما بعدُ بعجائبها العديدة ونُقلت الى نابلي لاسباب لا محلَّ لذكرها ههنا

اللقب فقط بل جادوا بالغفرانات على كلّ من يلقّبهم بهِ » . اه

٢ العيدان الكبيران عند الكرمليين

هذا وان كان الكرمليون يكرّمون العذراء على مدار السنة ألَّا انَّهم كانوا قد اقاموا يومًا يطلقون فيهِ عنان عبادتهم لها ويزيدون في اكرامها وكانوا قد وسموهُ بسمة الافراح . ألا وهو اليوم التاسع من كانون الاول (وهو الذي جعلوه في اليوم الثامن منهُ عند اتخاذهم الطقس الروماني والتنازل عن طقسهم الخصوصي الذي كان يضاهي كل المضاهاة طقس الكنيسة الاورشليمية) الذي ارصدوهُ لاكرام الحبل بها بلا دنس اصلي ولكون العذراء شفيعة الرهبانية . ثم ان هذا العيد انتقل من اديرة الكرمليين الى ما حواليها من الكنائس . وكان



تمثال سيدة الكرمل العجائبي وجبل الكرمل وديراهُ

اوّل من انشأ رتبتهُ خارجًا عن اديرة هؤلاء الرهبان القديس اندراوس الاقريطشي المتوفَّى سنة ٧١٢ . وهذا العيد ادخلتهُ الكنيسة الرومانية بين عداد اعيادها في المائة التاسعة وجعلتهُ في اليوم الثامن من كانون الاول مناسبةً ليوم ولادتها في ٨ ايلول (راجع المشرق ١ : ٤٧) . وبقي الكرمليون على جعل هذا العيد من اعظم اعيادهم السنويَّة كما تشهد بذلك تواريخهم في جميع القرون الى المائة الثالثة عشرة . اما سبب اتخاذهم عيدًا ثانيًا جعلوهُ في اليوم ١٦ من شهر تموز فهو هذا :

في سنة ١٢٤٥ كان رئيس الكرمليين العام سمعان استوك وفي مدة رئاستهِ كان

قد اسعر بعض المُفترضين نار اضطهاد عظيم نكايةً في جميع ابناء الرهبانية وكادت تمحقهم عن بكرة ابيهم لولا ان هذا القديس تداركها بسامي قداستهِ وذلك ان سمعان كان يبتهل الى الله واثقاً بهِ كل الثقة بانهُ ينشلهُ من جميع المحن وكان يُصلي ايضاً الى العذراء طالباً منها ان تجود على الذين تسمَّوا «باخويتها» بآيةٍ تُبيّن بها انها «أُمهم» ايضاً وتُبدّد عنهم مدلهمَّات الشدائد وكان قد نظم لهذه الغاية نشيداً لاتينيًّا أودعهُ ارقَّ عواطفهِ واحرَّ لواعج فؤادهِ وهذا معناهُ:

«يا زهرة الكرمل يا ايتها الكرمة المزهرة يا بهاء السماء يا ايتها البتول الوالدة الوحيدة يا ايتها الامُّ الوديعة انتِ التي لم تعرفي رجلًا جودي يا نجمة البحر بامتيازاتٍ على الكرمليين». وبقي مثابرًا على هذا التوسل والتخشُّع والتخضُّع حتى نال بغيتهُ وذلك ان هذا القديس كان في اليوم ١٦ من شهر تموز سنة ١٢٥١ قد سبق تباشير الصباح على مألوف عادتهِ للتفرُّغ للصلاة فخُطف بالنفس انخطافاً عميقاً رأى فيهِ ان السماء قد انفتحت وظهرت مريم محتاطة بزُمر الملائكة وقد احدق بها نورٌ سماوي وبين ذراعيها يسوع الطفل... وكان بيدها ثوب الرهبانية او الصدار

فالتفتت نحو عبدها الامين وقالت لهُ: «خذ يا ولدي العزيز هذا الثوب ثوب رهبانيتك بمنزلة علامةٍ مميّزة لاخويتي وآية الانعام الذي نلتُهُ لك ولاولاد الكرمل فكلُّ من يموت لابساً هذا الثوب لا يتألم في نيران جهنَّم فهو علامة خلاص ووقاية في المهالك ورهن سلام وحماية دائمة الى نهاية الدهور». هذا ولمَّا رجع القديس الى نفسهِ شعر بدافع يدفعهُ الى نشر هذا الانعام الجليل حبًّا بخلاص النفوس وكتب الى جميع اديرة رهبانيتهِ كتاباً يروي فيهِ تفاصيل الواقعة بدقائقها ويعدهم بانفراج الازمة داعياً الجميع الى الشكر لهذه العذراء الوالدة وحاثًّا اياهم الى ان يخلّدوا هذا الانعام الوسيم في الرهبانية كلّها وامر لهذه الغاية جميع ابنائهِ ان يلبسوا هذا الثوب (الصدار) بدون ان ينزعوهُ عنهم وان لا يعتبروه من الآن وصاعدًا كما في ما مضى من الزمان بل بمنزلة ثوب مقدّس. ومنذ ذاك الحين نشأت اخويَّة ثوب العذراء وقد اغناها الاحبار العظماء بغفرانات وانعامات عزيزة جليلة. ثم اراد القديس سمعان ان يُقام في كل سنة عيد في اليوم السادس عشر من شهر تموز يُحتفل فيهِ كل الاحتفال بذكر «مريم العذراء سيّدة الكرمل»

واخذ من ثمَّ الكرمليون يقيمون هذا العيد كل سنة في جميع كنائس الرهبانية

الى اواخر القرن السادس عشر فامر الحبر الاعظم الكردينال بلّرمن اليسوعي (Bellarmin) ان يدقق النظر في قراءات القومة الثالثة من صلوات الليل التي يتلوها الكرمليون في فرضهم. ومن بعد ان فحصها هذا الكردينال واجازها ووقع عليها اثبتها مجمع الطقوس المقدَّس في ٢٠ حزيران سنة ١٦٠٩ وذَيلها الكردينال پينلّي (Pinelli) رئيس المجمع يومئذٍ باسمهِ وذلك من قبل البابا بولس الخامس الذي امر فعمّم هذا العيد في الكنيسة كلها

٣ اعاجيب ثوب العذراء

امَّا الآيات والعجائب التي اجترحها الله بواسطة هذا الثوب وبشفاعة مريم امهِ فتكاد لا تُحصى بل لا تمضي سنةٌ من السنين الّا وقد حدث من هذا القبيل ما يقوم منهُ كتابٌ برأسهِ. إلّا اننا نجتزئ بذكر اعجوبتين لا غير واوكّدهما بيمين مغلّظة عند الحاجة وان كنتُ لا اطلق على كلّ منهما اسم الاعجوبة الّا طبقًا لبراءة أُربانس الثامن اي اني لا أُصرّح بكونهما خارقتين للطبيعة الّا اذا نطقت بهِ الكنيسة. فاقول:

الاعجوبة الاولى وقعت لهذا الحقير كاتب هذه السُطور وذلك اني اذ كنتُ صبيًا قد اتَّبعتُ العادة الجارية في دار السلام من تعلُّم السباحة في دجلة في ايام القيظ وقد علمتَ في المشرق (٤: ١٠١٩) ان الطريقة المألوفة لتعلُّم السباحة في اقطار العراق ان يُشد على الحقوين كَرَبٌ او كربان او ثلاثة او غير ذلك لكي يستطيع المتعلّم ان يعوم بها. وهي كما لا يعزب عليك بمنزلة الفلّين الذي يتَّخذه الافرنج في بلادهم لمثل هذه الغاية. حتى اذا أتقن الرجل هذا الفنّ وتمكّن من ان يعوم السابح من نفسهِ ألقى عنهُ كَرَبَ الكرَبِ. وهذه هي علامة ختم السباحة. وقد يقع للمتعلمين ان الحبل الذي يُربط بهِ الكرَب ينقطع في اثناء السباحة لكثرة ما يُجزَق ويُوَتَّر فيغرق عند ذلك صاحبهُ اذا لم يكن بجانبهِ مُنقذٌ ينقذهُ. وعليهِ فبينما كنتُ ذات يومٍ اتعلّم السباحة على هذه الطريقة وكان اخوتي جالسين على شاطئ دجلة ينظرون اليَّ ليرشدوني الى كيفية القاء الذراع وتحريك الساق في السباحة وكنتُ قد قطعتُ مسافةً عظيمة من النهر وهم يشجعونني بالفاظ الحماسة انقطع لي الحبل فجأةً فصرختُ باخوتي الذين كنتُ قد بعدتُ عنهم فلم يستطيعوا ان يُغيثوني. وبعد ان تيقَّنتُ غرقي وتثبّت عجز اخوتي عن انقاذي استغثتُ بالعذراء مريم واسلمتُ نفسي بيديها شاعرًا بدنوّ الاجل. وبينما كنتُ

اسمع اخوتي يبكونني وينذبونني خارت قواي لكثرة ما عالجتُ من طُرق النجاة والنفس عزيزة غصتُ في الماء بعد ان ابرزت اشارات اليأس والقنوط واستسلمتُ لامره تعالى. غير انهُ لم يمضِ زمانٌ طويلٌ الّا ورأيتُني عند حافة النهر وقد وصلتُ اليها من تحت الماء من دون ان يشاهدني اخوتي. فكان عجبهم لذلك عُجاباً وقالوا لي: ان العذراء هي التي انقذتك من هذا الغرَق بواسطة الثوب الذي انت لابسهُ. وبالحقيقة ان هذا الثوب كان على صدري عاملًا بما كانت تُوصينا بهِ والدتُنا المبرورة رحمها الله اذ كانت تشدّد علينا بلبس الثوب وتلزمنا بان لا نخلو منهُ البتة. ولا طَرْفة عين. واقرارًا بهذا الفضل للعذراء مريم اوقفتُ نفسي لخدمتها وتجندتُ في الجندية المسمّاة باسمها وعليهِ فانني اكرّر الشكر لهذه البتول الطاهرة القديرة على رؤوس الملا واحضّ الجميع ان يتوشحوا بهذا الثوب الكريم اذ لا ضرر من لُبسهِ

امّا الاعجوبة الثانية فهي انّ خالي سليمان اوغسطين جبران رحمهُ الله كان من مَهرة الصُنّاع الذين يُزاولون إصلاح الاسلحة والبواريد وكان قد اتاهُ يوماً اعرابيّ وبيدهِ بندقيّة محشوة رصاصة كبيرة الحجم. ولمّا كان هذا الرجل من أجلاف اهـل البادية وقد وقع خللٌ طفيف في بارودتهِ ولم يستطع بنفسهِ ان يُصلحهُ جاء خالي وقال لهُ: « انظر حرسك الله ما في هذه البندقيّة وأصلحهُ اصلحك الله ». غير ان الاعرابي سها عن ان يقول لهُ ان البارودة محشوة فاخذ الاستـاذ يُقلّبها ذات اليمين وذات الشمال تارةً يقلّبها ظهرًا لبطنٍ وطورًا يجعل أسفلها اعلاها وأُخرى ينظر الى خشبتها وآونةً يفحص انبوبتهـا ليتثبّت موضع الخلل منها وبينما هو على هذه الحالة وهو يعالج زناد البارودة وقد حوّل الانبوبة الى صدره أطلق الزناد (وهو لا يعلم انها محشوة) فاندفعت الرصاصة اسرع من لمح البصر وضربت صدرهُ فوقع على الارض صريعاً. فأغلق مَن في السوق دكاكينهم وحوانيتهم وجاؤوا خالي ظانّين انهُ ميتٌ لا محالة. لكن لمّا نزعوا عنهُ ثيابهُ رأوا ويا لها من رؤية عجيبة مذهلة انّ الرصاصة قد تعلّقت بثوب العذراء كما لو كان احدٌ قد الصقها بمادة غرويّة قويّة. ولمّا فحصوا ثيابهُ تحقّقوا ان قباءهُ وصُدرتهُ وثوبهُ قد ثقبتها الرصاصة ثقباً على قدر حجمها الّا انّها لم تخرق ثوب العذراء. وانّما الخال وقع صريعاً على الارض لشدّة الصدمة التي صدمتهُ في صدره

وهذه الآية أثّرت ايَّ تأثيرٍ في البلد واشتهرت اي اشتهار حتى ان كثيرين من

المتظاهرين بالكفر والزندقة وقلة الدين ادعاء في نفوسهم انَّهم من اهل هذا العصر الجديد الذي يفتخر بالتخلُّص من ربقة الدين ويهزأ بالسنن الدينيَّة والطاعات والقربات لبسوا هذا الثوب بعد ان تحقَّقوا بنفوسهم ورأوا بابصارهم الرصاصة معلقة بالثوب لانَّها بقيت اياماً عديدة على هذه الحالة وقد حفظها رئيس الرسالة سابقاً في موضع خصوصي

هذا ولو اردتُ ان اورد جميع الآيات والاعاجيب والخوارق التي وقعت في البلاد بواسطة هذا الثوب لقلتُ قول القديس يوحنا البشير ناقلًا الكلام عن مريم: «واشياء أُخر كثيرة صنعتها مريم العذراء لو انَّها كُتبت واحدةً واحدةً لَما ظننتُ ان العالم نفسهُ يسع الصحف المكتوبة» «فمن استطاع ان يفهم فليفهم» والسلام على من رأى الحقَّ فاهتدى

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٢ سُكنى لبنان في قديم الزمان

انَّ لبنان من احفل ولايات الدولة العليَّة بالسكَّان فان معدَّل أهليهِ يبلغ ٦١ نفساً في كل كيلو متر مربَّع. وهو لعمري عددٌ بليغ لا تتجاوزه الَّا ولاية دار السلطنة وجزيرة ساموس. فانَّ معدَّل قاطني الولاية الاولى هو ١٦٢ شخصاً في كل كيلو متر مربَّع امَّا ساموس فاهلها ١١٣ نفساً في الكيلو متر. الَّا انهُ لا يجوز المقابلة بينهما وبين لبنان لانَّ ولاية دار السعادة تشمل الاستانة العليَّة وهي كما لا يخفى من حواضر المدن واكثرها سكناً فيزداد بعدد اهلها معدَّل اهل الولاية التي هي داخلة فيها. وكذلك ساموس فانَّها جزيرة كثيرة الخيرات حسنة التربة ليس فيها جبال عالية فلا عجب اذا تقاطر اليها الناس ليستوطنوها. امَّا لبنان فعبارة عن سلسلة جبال عالية كثيرة الصخور قليلة الخصب ومع ذلك ترى مصانعهُ وقراهُ متقاربة كثيرة الاهلين بحيث يصحُّ القول انهُ لا يوجد في قطر آخر جبل يربو عدد سكَّانهِ على سكَّان لبنان

على انّ الامر لم يكن كذلك في سالف القرون فانّ لبنان طالما كان قفرًا مقفرًا لا يأوي اليهِ الّا كواسر الوحوش ولبيان ذلك ها نحن نبحث في هذا الشأن لنرى كيف احتلّ لبنانَ سكّانهُ اوّلًا قبل عهد النصرانيَّة ثم ثانيًا في زمن الرومان واخيرًا منذ دخول الموارنة فيهِ وهي اطوار ثلاثة توافق احوال هذا الجبل الثلاث من حيث السكن فنمت الاهلون الى ان بلغ عددهم الى ما نراه اليوم

*

اعلم انهُ ممَّا لا يختلف فيهِ اثنان ان جبل لبنان كان في الاعصار الغابرة قليل السكن ولا غرو فانَّ وَضع هذا الجبل وهيئتهُ واحوالهُ الطبيعيَّة والجغرافيَّة ممَّا يمنع عن توارد السكَّان اليهِ. فانَّ مشارفهُ العليا صرودٌ لا يمكن سكناها لبردها ليس فقط في فصل الشتاء لكن ايضًا في بقيَّة السنة. وهي المنطقة التي تعلو فوق ١٨٠٠ متر من سطح البحر. فان القسم الواقع فوق هذا الخط يُعرف بالجرود لانَّ ارضهُ جرداء كثيرة الصخور لا ينبت فيها الزرع الّا ضاويًا وبعد عناء ومشقَّة. وتزيد على ذلك انَّ لبنان كلَّهُ لم يقم قطّ بمعاش اهلهِ لاسيَّما في عهدنا مع تزاحم السكَّان فيهِ. وليس هذا ناجمًا عن تغافل اللبنانيين وتكاسلهم لانَّ كل الكتبة لسان واحد على همَّة قطان هذا الجبل وملازمتهم العمل ومواظبتهم على الفلاحة. وفي جانب آخر ليس للبنان مناجم معدنيَّة يمكنهم الارتزاق بمرافقها تعويضًا عمَّا ينقصهم من الغلاَّت. وكذلك ترى اسباب التجارة قليلة في لبنان لا يُعبأ بها لانَّ الطرق التجاريَّة لا تخترقهُ فتغنيهِ قوافل التاجرين. بل الاحرى ان يُقال انَّ جبالهُ كسدٍّ قائم في وجه الامم الواقعة على عِطفَيه فترى بينهما فرقًا كبيرًا من حيث الهواء والنبات وكلاهما يختلف في وجهي لبنان. واذا استقريت التاريخ وجدت سياسة شعوبهما متباينة يعيش كلُّ شعب على حدةٍ معتزلًا عن الآخر مع كونهم ينتمون كلُّهم الى عنصر واحد

وممَّا يشهد على صعوبة السكنى في لبنان انك لا تجد في خلال جبالهِ سوى مسالك حرجة وشعاب ضيّقة لا تُقطع الّا بالجهد الجهيد. امَّا السُّبل التجاريَّة اللاحبة التي كانت القوافل تسلكها فانَّها كانت تمرُّ شماليّ لبنان وجنوبيَّهُ فتعطف في وادي النهر الكبير او تُجاري سيرَ نهر الليطانيّ والطريق الاولى هي التي اغنت طرابلس في الزمن القديم امَّا الثانية فكانت مجلبةً لثروة صور العظمى. وبعكس ذلك لم تُصب بيروت

مقاماً كبيرًا في التجارة اذ كان يفصل بينها وبين دمشق والبلاد الداخليَّة سلسلتان من الجبال المرتفعة الى ان فُتحت طريق الشام قبل سنين قليلة ثمَّ أُنشئت السكَّة الحديديَّة فانتصر الانسان بكدّ جبينهِ على ما اقامتهُ الطبيعة في وجههِ من العراقيل والعوائق

هذا واذا تصفَّحنا اقدم ما سطَّرهُ المؤرخون عن لبنان وجدناهم يصفون هذا الجبل مغشّى بغاباتٍ كثيفة. ويوافق هذا الوصف ما ورد في الاسفـار المقدّسة واقدم الآثار الاشوريَّة. وقد دامت هذه الحالة قرونًا متواترة كما يشهد على ذلك مؤرخو اليونان والرومان الذين اثبتنا نصوصهم مرارًا في المشرق في مطاوي كلامنا عن الارز (٤: ٩٣٠) وفي المقابلة بين لبنان وجبال الالب (١: ٧٢١). ومن عجيب الامور انَّ هؤلاء الكتبة لا يذكرون البتَّة شيئًا من قرى لبنان وانَّما يعدّون فقط المدن الفينيقيَّة الواقعة على ساحل البحر. نعم انَّ بعض المستشرقين استشفُّوا من وراء اسم «امّيا» الوارد في مراسلات تلّ العمارنة (المشرق ٣: ٧٨٩) قريةَ «اميون» الَّا انَّ الامر ليس بمقرَّر فضلًا عن ان اميون واقعة في سهل منبسط طيّب التربة قليل الارتفاع وليست هي في وسط لبنان

واوَّل ما ورد من اسماء الدساكر اللبنانيَّة في اساطير المؤرخين انَّما جاء في جغرافيَّة اسطرابون اعني قبل تاريخ الميلاد بزمن قليل بعد ان فتح بمپيوس بلاد الشام. ألا وهي اسماء ثلاثة حصون او قل بالاحرى ثلاثة عشوش للُّصوص تدعى جيغرتا وسنّان وبرومة (المشرق ٢: ٥٠٧) ومواقع اخرى مثلهـا اكثرها قريب من البحر. وممَّا يستدلُّ من مجرَّد ذكر هذه الحصون انَّ سكنى الجبل كانت محفوفةً بالاخطار لا يتوطَّنهُ الَّا قليل من السكَّان. وسنعود الى ذكر هؤلاء اللصوص عند كلامنا عن الايتوريين وهم قوم من عرب حوران امتزجوا بالعنصر اللبنانيّ

امَّا الكتابات القديمة فهي عزيزة جدًّا في لبنـان وكلُّ ما وجد منها لا يتجاوز اوائل التأريخ المسيحيّ وقد اكتُشف معظمُها قريبًا من الساحل ليس بعيدًا من جُبيل وبيروت وهذا دليل واضح على قلَّـة سكَّان لبنان قبل المسيح. ولنا ايضًا على قولنـا برهان آخر في ما نراه من الاخربة القديمة في لبنان فانَّك قلَّما تجد بينها من الآثار السابقة لعهد النصرانيَّة وكذلك النقوش المحفورة على الصخور فهي كلُّها من عهد الرومان اللهمَّ الَّا نقوش وادي بريسا قرب الهرمل (وسيأتي ذكرها)

ومع كلّ هذه الشواهد انَّنا نرجّح كون لبنان لم يخلُ من بعض المراكز الاهليَّة

كان موقعها في وسط الجبل اتخذها الاقدمون في بعض الوديان والبطائح الحسنة التربة الكثيرة المياه السهلة الزراعة (١. وكذلك كنت ترى في خلال الغابات منازل للحطّابين كانوا يعدّون فيها الخشب لاسيّما الارز الذي كان القدماء يقبلون عليه لتجهيز مبانيهم ومنهُ كان الفينيقيّون يعمّرون سفنهم واساطيلهم (٢. ولعلَّ بعض القرى التي تُعدّ من اقدم دساكر لبنان كاهدن وبشرّاي ابتدأت على هذه الصورة فكانت في اوّل امرها كمصانع لتحطيب الارز وغيرهِ من الاشجار الجبليَّة العظمى. وقد اوردنا في ما مرَّ كتابات يونانيَّة وُجدت في اهدن ترتقي الى التاريخ المسيحي ومنها يجوز القول بانَّ القرية سبقت عهد النصرانيَّة. امَّا بشرّاي فانَّ اشتقاق اسمها على رأي البعض من اسم الالهة عشتار دليل كافٍ على قدمها

ومن القرى التي نرجّح قدمها الهرمل الواقعة على منعطف لبنان الشرقيّ. ولا غرو فانَّ موقعها في بطحاء مخصبة غزيرة المياه ممَّا يستدعي الى استعمارها وبقربها وُجدت صفيحتان فيهما كتابات اشوريَّة قديمة نشير اليها قريبًا

ومن الامكنة التي نزلها الناس في غابر الاعصار بعض المقامات التي اتخذها الاهلون كناسك دينيَّة منها اليمّونة وقفرا ودير القلعة ومشنقة. فانَّ هذه المحلّات وان لم يرد ذكرها قبل ايّام الرومان فانَّ اصلها فينيقيّ محضٌ لا محالة

وعلى هذه الصورة اضحى لبنان شيئًا فشيئًا معدًّا للسكن. فانَّ الاهلين ضربوا اطنابهم اوَّلًا قريبًا من المدن الساحليَّة وفوق رُبى لا يتجاوز علوُّها من ٤٠٠ متر الى الف متر حيث الهواء لطيف والرزق مضمون. ثمَّ اخذ لبنان يُجرَّد من احراجهِ الكثيفة الدغلة لمتاجرة الاهلين بخشبها فصار الناس يفلحون الاراضي التي نُزعت عنها الادغال ويشيّدون المباني للسكن وكان ذوو الثروة من اهل الساحل يتوقّلون في فصل القيظ مشارف لبنان ترويحًا للنفس وطلبًا للراحة بعد ما تجشَّموه من الاسفار الشاقَّة

*

فاخذ من ثمَّ القطين يتوغّلون في لبنان فازداد عددهم ونموا خصوصًا بعد الفتح الرومانيّ. وقد اسلفنا فوصفنا ما نجم عن دخول الرومان في سوريَّة من المنافع الجمَّة

---

١) وممَّا زُرع فيها الجَفْنة فان هوشع النبيّ ذكر في كتابهِ (١٤ : ٨) خمر لبنان واطراءهُ

٢) راجع ما سبق لنا في المشرق في هذا الخصوص

(المشرق ٢ : ٢١٤ و ٣١٤ و ٤٣٧) فانّ تملُّكهم رفع بها الى اعلى مقامات العمران والتقدُّم . فهم الذين قصُّوا اجنحة الفتن ومدُّوا أَروقة السلام فوق كل الاهلين على اختلاف اجناسهم . ومن اعمالهم المشكورة انهم استأصلوا شأفة اللصوص الذين كانوا تحصَّنوا في لبنان فدكُّوا معاقلهم واعادوا الأَمن الى السكَّان (المشرق ٥ : ١٠٩) . فراجت اسواق التجارة واضحت المدن الساحليَّة محطًّا للقوافل ومركزًا للمعاملات لاسيَّما جبيل وبيروت وصور فانتشرت منها هذه الحركة الى ضواحي لبنان المجاورة لها . وممَّا زاد في خصب الجبـل ما ابتناهُ الرومان من القنيّ لجلب مياه لبنـان من عيونها فكان ذلك من ادعى الوسائل لنشر الحضارة وتلطيف الهواء في مدن الساحل . ومنها ايضاً السكك الرومانيَّة التي كانت تستدير سائرةً حول لبنان . واحدى هذه السكك كانت تخترق الجبل في عرضهِ سائرةً الى جنوب العاقورة ومنها الى بعلبك (المشرق ٢ : ٣١٤) . ولمَّا كان لبنان لم يزل بعدُ مزدانًا بغاباتهِ سعى الرومان باستثمارها ووضعوا لذلك قوانين مملوءَة حكمة اشرنا اليها سابقًا

ولا عجب اذا رأينا لبنان في ايَّام الدولة الرومانيَّة تغيَّرت احوالهُ وترقَّت شؤونهُ والى ذلك العهد تنتمي عدَّة كتابات منها يُستدلُّ على وجود قرى وضياع او بالاحرى مزارع ودساكر . ومن غريب امر هذه الكتابات انَّهـا لا تحتوي عَلَمًا لمكان واقعٍ في قلب لبنان . ومجمل ما تتضمَّنهُ اعلامٌ شخصيَّة فقط

وفي ذلك العهد استبدل الرومان المعابد الفينيقيَّة الصغرى بهياكل فخيمة يدبِّرها عدد غفير من السَّدَنة وارباب الدين فكان يتقاطر اليها الزوَّار زرافاتٍ ومنهم من كانوا يختارون تلك الامكنة لسكناهم فأُنشئت عدَّة قرًى حول هذه المقامات الدينيَّـة . وكان لهذه الهياكل ارزاقها وغاباتها المقدَّسة واوقافها وكرومهـا . ومعلومٌ انَّهُ لا نُدحة للقيام بكل هذه الاملاك من عملة وفلَّاحين يستثمرونها(١) . فلا غرو ان ضيعًا كثيرة ظهرت على هذه الطريقة الى حيز الوجود نخصُّ منها بالذكر قرية دير القلعـة التي كان يحجُّ الى هيكلها اهل بيروت ويقضي فيها مستعمرو الرومان فصل الصيف

والى هذا الزمان ننسب ما اكتُشف في امكنة عديدة من الآثار الزراعيَّة وادوات الفلاحة كالمعاصر والاجران والرحيّ الضخمة (المشرق ٥ : ١٠٧) والنواويس ومدافن لا

١) راجع القاموس العاديَّات اليونانيَّة والرومانيَّة لساغليو (Saglio) ك ٩ص ١٥٠١

يُستقصى عددها منقورة في الصخور وكان الرومـان كلفين بغرس الكروم فبعثوا همَّة الاهلين على فلاحتها فما عتَّمت صنوف الخمر اللبنانيَّة ان اشتهرت في العالم الرومـانيّ فعُرفت بالخمور البيروتيَّة (راجع بلينيوس ك ١٤ ع ٩،٧ وك ١٥ ع ١٨،١٧). ومن ادلَّة الزراعة انَّك ترى بين اليمُّونة وبعلبكّ كتابات عديدة تحدُّ الاملاك وتفرز بينها. وفي امكنة اخرى كتابات غيرها منها لاتينيَّة ومنها يونانيَّة يُستفاد منها تعدُّد السكَّان وتوفُّر المنازل. وهذه الكتابات قد اثبتناها في مقالاتنا في مطاوي كلامنا عن كل محلّ بمفردهِ فلتُراجع. ولدينا غيرها ايضاً سنثبتها ان شاء الله عند بحثنـا عن القرى الواقعة في المنعطف الشرقيّ من لبنان حيث نشأت قرى عامرة بعضها في جوار بعلبكّ وبعضها في ضواحيّ زحلة كفرزل ونيحا وجديتا. وممَّا يجـدر بنا ذكرهُ انَّ كلَّ هذه الكتابات والعاديَّات لا تتجاوز القسم المتوسط من لبنان اعني الى نحو ١٠٠٠ متر من سطح البحر وفي وذلك دليل على انَّ القسم الاعلى لم يُتَّخذ بعد للسكنى وانَّما كانت الغابات تكلّلهُ كما في القرون السالفة

*

وفي اثناء ذلك ظهرت النصرانيَّة ففتح ظهورها بابًا جديدًا للتمدُّن والحضارة في لبنان. فانَّ المستعمرات الرهبانيَّة التي ذكرناها سابقًا (المشرق ٤: ٢٦٣) اتَّخذت لبنان منزلًا لاعمالها النسكيَّة وقد اختارت لذلك اقفر ما وجدتهُ من الاودية فصار النسَّاك يُجيلون فيها يد الحراثة. حتى اضحت هذه المناسك بعد قليل مراكز لضياع عديدة كما جرى في اوربَّة حيث ترى مدنًا كثيرة كانت في اوَّل امرها ديورة للرهبان أوى اليهـا القوم فصارت مع تمادي الأيَّام بلادًا واسعة

ولكن لا يسعنا السكوت عن امرٍ يذهلنا ايّ انذهال وهو قلَّة الآثار النصرانيَّة في لبنان قبل القرن السابع فانك لا تكاد تجد اثرًا واحدًا منها يمكن نسبتهُ الى النصارى بلا رَيب مع كثرة العاديَّات الوثنيَّة الموجودة في انحاء الجبل. وكذلك ترى من الكتابات اليونانية واللاتينيَّة قسماً صالحاً وهي كلُّها لعبدة الاصنام اللهمَّ الَّا خمس او ستّ منها باليونانيَّة. فيا ليت شعري ما السبب في ذلك. أليس هذا دليلًا على ما لاقتهُ النصرانيَّة في سبيلها من العراقيل لمَّا حاولت ان تنشر تعاليم الخلاص بين اهل لبنـان. ولنا في تعليل ذلك سبب آخر وهو انَّ الفوز الاخير الذي نالهُ الدين النصراني في لبنان انَّما كان

على يد قوم من الارامیین لیس من اليونان ولذلك لا تجد من الكتابات اليونانيّة النصرانيّة الّا النزر القليل

فان تخطّينا الآن الى ذكر تاريخ لبنان في القرن السابع وجدنا هذا الجبل قد دخل في طورٍ جديد بظهور المَردة والموارنة الذين لعبوا دوراً مهمّاً في طوارئه المختلفة. وكان قبلهم لم يُفلَح منهُ الّا ساحلهُ ووسوطهُ بعد تجرّدها من غاباتها اماً لبنان الاعلى والجرد منهُ فانهُ لم يزل قفرًا خالياً من السكّان حتى أوى اليهِ الموارنة فاضحى معمورًا حافلًا بالقطين كبقيّة نواحي لبنان. وسنبيّن ان شاء الله قريباً كيف تركّبت الامّة المارونيّة الّا انّنا نقدّم على هذا البحث فصلًا آخر في شعوب لبنان القديمة وسكّانهِ الاوّلين

(ستأتي البقيّة)

مآثر العراقيين ودواثر البابليين السابقين

لجناب الدكتور الفاضل نابليون ماريني البغداديّ

(المشرق) هذه المقالة كملحق لما كتبهُ حضرة الدكتور البارع في المشرق العام الماضي تحت عنوان «ما ورثهُ اهل العراق عن الاشوريين والكلدانيين» (المشرق ٤: ٩٣٨؛ ٩٨٦؛ ١٠١٧؛ ١٠٧٢)

لو نُشرَ البابليون من قبورهم وتأمّلوا ما هم عليهِ اليوم خلفاؤهم العراقيّون من العوائد والصنائع والفنون الخ. لقالوا «من أشبه اباه فما ظلم وما انتم أيها الاحياء الّا ابناؤنا ولذا يحقّ لنا تملّك البلاد عملًا بالسُنّة العامّة ان الاشياء تُنزع من الوكيل اذا عاد الاصيل». فممّا أشبه بهِ المتأخرون الاقدمين الإضرار اي تعدّد الزوجات فقد كان الاشوريون والبابليون جارين على هذه العادة وفقاً لشريعتهم وهي اليوم سنّة اهل العراق اللهمّ الّا النصارى منهم

وكان يحقّ على الوالد في ذلك الزمان عند تزويجهِ بنتهُ ان يجهّزها باثاث البيت والحوائج الخ. وفي متحف لوفر الفرنسي عاديّة مشهورة باسم حجر الموسيو ميشو فيها مسطور ما اعطاه والدٌ لابنتهِ من الجهاز والظاهر انهُ كان من الواجب على العروس ان تأخذ معها سند جهازها مختوماً بيد والدها كي لا ينكر عليها زوجها ما حملتهُ اليهِ من الاثاث والفرش (١

(١ راجع تاريخ لونرمان Lenormant: *Histoire ancienne des peuples de l'Orient*. T. V, pp. 84 et 98.

واذا رُزقت المرأة ولدًا حملتهُ على ظهرها او على صدرها وذهبت بهِ لقضاء حاجاتها في السوق او في البيت. وفي متاحف اوربة جملة عاديَّات تمثل نساء حاملات اولادهنَّ على اظهرهنَّ كما تراهنَّ اليوم في شوارع المدن (١

وكان الاشوريون والبابليون اذا عمدوا للاكل وضعوا الصينية على كرسي وقعدوا حواليها متربّعين مثل العرب وقد طوَوْا ارجلهم تحتهم ومنهم من كان يأكل على مائدة عالية ويجلس على كرسي مثل الافرنج وهو يتناول الاكل بالمشكّ والملعقة (٢

وفي غير ساعات الاكل اذا جالسوا صديقًا تربعوا أريكةً الواحد بازاء الثاني حتى ان ملكهم ذاته يقعد هذه القعدة في قصره الملكي في خلوتهِ مع اهل بيتهِ. وفي المتحف البريطاني صورة ملكة اشورية هي وصلة من حيطان قصر الملك اشور بانيبال ذاته جالساً على اريكة مرتفقاً مرافق ناعمة ماسكاً بيده الواحدة زهرة ورافعاً بيده الثانية كاساً ليشرب والملكة جالسة بازائهِ على كرسي ذي مسندٍ للظهر وارجلها واقعة على مائدة وماسكة بيمينها مروحة وبشمالها كاساً لتشرب وفي اذنيها اقراطٌ كبيرة وفي رقبتها طوق من الحجارة الكريمة وحواليها الجواري مهتمّات بخدمتها بنشاط لا مزيد عليهِ

وكان من عوائدهم ايضاً ان يبنوا الدار ثلاثة اقسام: قسم يختص بسكنى الحرَم وقسم موقوف للرجال والقسم الثالث مرصود للعبيد والجواري والمطبخ. هذا ما تحققهُ العلماء المستشرقون عند حفرهم قصر نينوس (٣

وكانت النساء لا ينزلنَ الى المطبخ لمساعدة الخدام او لمناظرتهم بل يرخينَ لافكارهنَّ عنان التيه والتخيُّلات الفارغة كما هي العادة اليوم. قال الموسيو پرو (Perrot): «لو اصلحتُ مثلًا قصر نينوس اصلاحاً تامًّا على ما هو مخطوطاً لتمكَّنَتْ ايُّ عائلة شرقيَّة كانت من السكنى فيهِ بدون ان نُلحق بالبناء تغييرًا البتة. وكانت البغضة بين النساء القديمات لا تطفأ نارها الَّا بالتفريق بينهنَّ. وكُنَّ يتسترنَ كل التستر ولا يسمحنَ لاي غريبٍ كان ان ينظرهنَّ ولا يجوز لهنَّ الخروج الى ظاهر البيت وكانت اعين ازواجهنَّ تتبع آثارهنَّ اينما توجّهنَ وكيفما تكلّمنَ ان فوجئنَ بمكالمة شخصٍ او عبدٍ مكالمة يُشكُّ فيها فالقتل يكون جزاؤها الوحيد. واذا عزمت احدى النساء على الأثنار

١) راجع الكتاب نفسهُ Idem T. V, p. 98
٢) Idem T. V, p. 124
٣) Idem T. V, p. 28

من ضرّتها يسهل عليها ذلك اذ تجد دائماً في قربها من يُنقِذ مبتغاها على الفور (١

ومن عوائدهم ايضاً الاجتماع والتنزّه عند ابواب سور المدينة وعند ابواب الدار اذ كان القدماء يبتنون وراء باب الدار او وراء باب المدينة مصطباتٍ (وبلسان العرقيين دكّاتٍ واحدتها دكّة) للجلوس عليها اذا قصدوا محادثة صديق او التنزه للتفريج عن القلب وعليهِ فكانوا يذهبون كل يوم بعد انتهائهم من شغلهم الى سور المدينة ويتربَّعون على مصطبات ابوابه حيث يلتقون زرافاتٍ يقضون هناك ساعاتٍ متواليةٍ في استنشاق النسيم او لمعاطاة الاشغال او للنوم او للاستخبار عن ماجريات ذلك النهار

هذا وقد سردنا بعضاً من عوائد البابليين والاشوريين المهمة نقلاً عن كتب المؤرخين وكلُّ عراقي في عصرنا هذا بعد تصفُّحهِ ما كتبناه لا يتمالك ان يعترف بوجود تلك العوائد وهي جارية مجراها بدون ان يطرأ عليها ادنى تغيير. فلا حاجة اذن الى تكرارها واثباتها بانها لم تزل دائرة بين اهل العراق في جميع اطرافهِ لا يُستثنى منها الّا عادة واحدة وهي الاجتماع والتنزه عند ابواب سور المدينة فان الزمان قد ارخى عليها ستر الامحاق. ويبس جزرها حتى في اغلب مدن العراق. الّا في الموصل واطرافها كما يؤكدهُ لنا النَقَلة الحذاق. قال المسيو ڤكتور پلاس (Victor Place). «شاهدت مرأى العين مرّات عديدة حاكم الموصل محتاطاً بحاشيتهِ يقضي امور الخلق عند باب السور المفتوح من جهة نهر دجلة». والمسيو ليَرْد (Layard) يؤكد لنا ان في سميل (بلدة واقعة في شمالي الموصل) يذهب شيخ اليزيدية الى باب المدينة الكبير ليقضي بين ملتهِ. قال الموسيو پرو: «وعلى هذا الاثر كان البابليون يسيرون في قاعدة مملكتهم ومن ذلك اسمها باب إيلو (Bab-ilu) اي باب الله ومعناه باب العدل حيث تُقضى الاشغال طبق ارادة الالهية من باب تسمية الشيء باسم الاهمّ منهُ. ومن هذا قولهم للدولة العليّة الباب العالي (٢». اه

وكانت العادة ايضاً جارية عند الاشوريين وعليهِ كان المساكين والمتظلمون وطالبو بعض النعم ينتظرون عند باب القلعة او عند باب القصر مرور الملك او واحدٍ من الوزراء

١) راجع Perrot et Chipiez : *Histoire de l'Art dans l'Antiquité* T. II page 440.

٢) راجع كتاب پرو Idem. T. II, p. 187 et 188.

صاحب نفوذ ليعرضوا عليهِ قضاياهم . وكان يتتبعهم القاعدون عن الشغل لاستماع الاخبار وتجسسها . اقول ولهذا السبب ترى اسوار المدن القديمة وابواب قصورها مزيَّنة باجمل النقوش البديعة تدلُّ على مهارة فنّ دقيق وصناعة عجيبة كلُّ ذلك اكراماً للملك ولعظماء الدولة الذين تعوّدوا المرور بتلك المواضع . وفي التوراة ما يغنينا عن ذكر ما جاء به المستشرقون والاشوريون فقد ذُكر فيها انهُ : « جاء الملاكان الى سدوم عشاء وكان لوط جالساً بباب مدينة سدوم (سفر تك ١٩ : ١) » . وفي موضع آخر : « فاجاب عفرون الحثي ابراهيم على مسامع بني حثٍ أمام كل من دخل باب مدينتهِ . . . فوجب حقل عفرون الخ . . . مُلكاً لابراهيم بمشهد بني حثٍ وجميع من دخل باب مدينتهِ . . . (تك ٢٣ : ١٠ و ١٨) » . وفي موضع ثالث : « وصعد بوعز الى باب المدينة وجلس هناك فاذا بالوليّ الخ . . (راعوت ٤ : ١ و ٢) » . فلا ريب اذاً فيما قرَّرناه وهو ان الناس كانوا يتقاضون عند باب المدينة او عند باب الدار او عند باب القصر والشاهد الاخير بهذا الصدد ما جاء في سفر أستير اذ كانت وقتئذٍ امرأة احشورش الملك اذ قيل ان المحاورة العنيفة التي دارت بين هامان ومردكاي حدثت تحت باب قصر الملك المذكور

(العائلة والعشيرة) اذا سألت اليوم اعرابياً عن اسمهِ اجابك على الفور ان اسمي عباس واسم والدي خليل ثم يردفهما باسم العشيرة المنتمي اليها وباسم شيخها كل ذلك يحفظهُ عن ظهر قلبهِ ويدرسهُ منذ صغرهِ وربَّما سها عن تعليم اصول ديانتهِ واكتفى بما يعرفهُ عن قومهِ . والاعرابي او الكردي العراقيّ يحبُّ شيخه او اميره محبَّة تقضي بهِ مراراً الى اقتدائهِ بنفسهِ وتفوق محبة ولده لعلمه ان الشيخ يُنزله منزلة عزيزةٍ

ويوجد الآن في العراق عدد وافر من العشائر تائهة في البراري تعيش تحت الخيم يتنقَّلون من مطرح الى مطرح كل عائلة تلحق رئيسها والرؤساء تلحق شيخها . ومن ذا الذي سكن البرية ولم يدخل تحت راية واحدة من الشيوخ ؟ ومن واجبات كل عشيرة ان تحافظ على شرفها وتدافع عنهُ بالنفس والنفيس وعلى كل فردٍ ان يؤدّي الاكرام والاحترام الى شيخهِ وان يساعدهُ بمالهِ واولادهِ في اي وقت اراد وعليهِ ايضاً ان يزور في المواسم قبور مشايخهِ المتوفّين وعلى كل واحد من اي عشيرة كان ان يصغي الى كلام شيخهِ ويطّلع على خفايا واسرار تلك العشيرة ويميز اعداءها من اصحابها

واياك اياك من ان تهين اعرابياً ما مهما كان مسكيناً او فقيراً بل ولا امرأتهُ ولا

ولده ولا ماله. وان قتلتَ الشخص المهان فلا يتركَنّك مرتاحاً والدهُ ولا اخوهُ ولا واحد من عشيرته واذا أحوجت الحال تتبَّعك شيخهُ مع قومهِ ويثّر منك ولو بعد اربعين سنة وفي العراق مثلٌ دارج يقول: ان الاعرابي ياخذ بثـاره ولو بعد اربعين سنة من مرور الحادثة. واذا ضاق الزمان بواحدٍ التجأ الى شيخهِ وظلَّ يأكل ويشرب في بيتهِ حتى يقوم من سقطتهِ

وهكذا كانت الامور جارية عند الاشوريين والبابليين ونستشهد هنـا بكلام فرنسوا لنورمان اذ يقول: « من العجب العجاب وجود الالفة المكينة بين اعضاء عائلة او عشيرة اشورية كانت او بابليَّة. فاولئك الاعضاء يتّحدون اسماً وجسماً ويصبحون يداً واحدة وذلك ليلزموا الغير على احترام عهودهم واشخاصهم من عبدهم حتى رئيسهم. فالهيئة الاجتماعيَّة البابليَّة اذن كانت منقسمة الى عشـائر وعائلات وعلى كل عضوٍ ان يحفظ اسم جدّ عائلتهِ او عشيرته وان يطيع رئيسهُ طاعة حقيقة وكان نظـام اولئك البابليين وترتيبهم يضاهي عشيرة من عشائر حضر العرب الحالية الغنيَّة وعلى الاعضاء من ايّ عشيرة كانوا ان يذكروا اولًا اسماءهم الشخصيَّة فاسم آبائهم فاسم العشيرة المنتمين اليها (١. »

(العبوديَّة) لقد بلغ الاشوريون والبابليون من رفيع التمدن درجة زاهرةً زاهية يعترف لهم بها العلماء المستشرقون الواقفون على آثارهم. ومع كل ذلك لم يخلوا قطّ من نقيصة باهظة ثقيلة بحق الانسانيَّة. ألا وهي العبوديَّة. كان اولئك القـدماء يبيعون ويشترون العبيد بيضاً كانوا او سوداً وهم الاسرى الذين تجلبهم ملوكهم في كل سنـة إثرَ انتصاراتهم. ولقد سبق منا القول ان الملك كان يوزّع الاسرى على كل عشيرة وامير كلٌّ حسب استحقاقه. واذا زاد العدد المحدود في بيوتهم عرضوا البقيـة من اولئك الاسرى للبيع بالمزايدة. وكان في كلٍّ من مدنهم وارباضهم محل خصوصي لذلك يذهب اليهِ الراغبون في مشترى العبيد. وعلى قدر ما يكون العبد الاسير جميل المنظر سَهُل على سيده بيعهُ وكانت الشريعة تسمح للبابليين ان يتزوجوا البنات الاسيرات بلا مانع ولا رادع. وربّما كان كلام هيرودوتس عن بيع البنات على وجه الاطلاق هو خاصّ عندهم ببيع الاسيرات منهنّ وليس بيع البنات البابليات الحقيقات (راجع المجلّد الثاني من كتابهِ)

(١ Lenormant T. V, p. 86 et 87

وفي متاحف اوربّة للعاديّات نصّ بمشترى وصيفة عُدّت من جملة نساء المبتاع ودونك مؤداه: « لقد اشتريت الأمة المسماة طاوة حسينة (Tawat Hasina) بقيمة تساوي ستّة عشر درهمًا من الفضة على يد امرأة مصريّة اسمها نيتكريس التي اهدت تلك الوصيفة الى ابنها تاكوس بفرصة زواجهِ وذلك لكي تكون من جملة نسائهِ (١

وفي تلك الأيام كانت قاعدة تجيز للواحد ان يستبدل عبده بعبدٍ آخر والشاهد على ذلك ان العلّامتين اوپير ومنان قد وقفا على نصّ عاديّة بهذا المعنى ومن يشكّ فيهِ فليراجع كتابهما الصفحة ٢١٢ (٢

وممّا زاد في الطين بلّة هو ان الاشوريين مع ارتقائهم في التمدن كانوا يعاملون الاسرى العبيد معاملة الكلاب. من ذلك انّهم كانوا يعلّقون في رقاب العبيد قطعة من الفخّار اسطوانية الشكل مكتوب فيها اسم العبد واسم سيده واغرب من ذلك انهم كانوا يدوّنون الغاية التي لها اتخذه سيده حتى اذا أبق العبد استردّه للحال صاحبهُ

والآن في متاحف العاديّات البريطاني سبع عشرة اسطوانة من الفخّار الصلب كلها مثقوبة وفيها محفورة اسماء نسوان والغاية التي لاجلها اتُخذنَ ومن المؤكد ان تلك النساء كُنّ بابليات الجنس قد سُبينَ الى بلاد اشور بعد افتتاح سرجون بلاد بابل اذ كان ملكها مردوخ باليدين (Marduk- pal-iddin) وهاك نصّ واحدةٍ منها: « المرأة هالة (Halat) اشتراها مارنزيه (Marnarih) في شهر شباط من السنة الحادية عشرة من تملك مردوخ باليدين ملك بابل ». وظلّت هذه العادة الخشنة (اي تعليق اسم العبد الخ) جارية حتى عند الرومانيين ولم يزل بعض القطع منها محفوظة في متاحف اوربّة » اه

هذا وكان من اللازم اللازب على مشتري العبيد ان يتسلّم من البائع ورقة البيع وان يوقّع فيها اسماء عدّة شهود حذرًا من التقلّب في الصفقة. وكانت الشريعة تسمح للعبد ان يحرّر نفسه بان يدفع مبلغًا من الدراهم. والبرهان على ذلك ان الموسيو لنورمان قد وجد في عاديّة ما مؤداه: « لقد دفع (اي العبد) دراهمَ تحريره (٣ »

---

١) راجع Oppert et Menant : *Documents juridiques*, p. 223

٢) راجع الكتاب الصفحة ٢١٢ (*Id.* p. 212)

٣) F. Lenormant : *Etudes Accadiennes* T. III p. 6

قلنا فُوَيق هذا ان البنات المستعبَدات كنَّ يصبحنَ نساء حقيقيــات لسيدهنَّ وعليهِ فكثيرًا ما كان العبيد يفوزون ايضاً بدرجات ساميةٍ في الهيئة الاجتماعيَّة البابليَّة الاشوريَّة وذلك امَّا لجهالهم الطبيعي او لذكائهم الغريب او لخدمةٍ يقضونها بمهارة عجيبة او اخيرًا لتضلُّعهم من بعض العلوم او من بعض الصنائع كما توصَّل دانيال اليهودي الى درجة حاكم على احدى مقاطعات بابل في عهد الملك نبوكدنصَّر والملك بلشاصَّر

ومن الامور الجارية في ذلك العصر هو ان العبد يؤجَّرهُ سيده لمدَّة معلومة وذلك بان يدفع المستأجِر مبلغاً كافياً من الدراهم.وتفكهةً للقرَّاء ناتي بترجمة سند يتعلَّق بمشترى أمةٍ اسمها اربيل صرَّاك (Arbail-Sarrak): «خاتم بَلْ آهي صُو (Bel-ahi-su) ابن مردوخ أَبوى (Marduc-abua) صاحب المرأة المباعة وهي اربيل صرَّاك جارية المذكور بل آهي صُو·ان كِصر اشور (Kicir-Assur) الُمزارع ومن حاشية الملك قد اشتراها من بَل آهي صُو بقيمة فضةٍ تساوي اليوم ٣٣٧ فرنكاً·ان هذه المرأة قد بيعت والفضة قد دُفعَت امَّا فسخ هذا السند والرجوع عن المبيع فهما غير قابلي الوقوع· وفي اي وقتٍ يرغب بَلْ آهي صُو واولاده واحفــاده في فسخ هذا السند يجب عليهم حينئذٍ ان يردُّوا الفضَّة المثل عشرة امثال وعلى هذه الصورة يبطل السنــد وينحلّ التملُّك·وكان الشاهدون على ذلك سبعة عشر شخصاً·حُرّرَ في اليوم الثاني من شهر شباط في عهد الوالي سِتْسار اشور امام الرئيس كسرنبو (Kicir-Nabu) اهـ (١)»

وظلَّت العبوديَّة جارية مجراها القديم حتى في أيَّام الخلفاء العباسيين لا بل في ايَّام سلطاننا الحالي السلطان الاعظم عبد الحميد خان الذي امر بازالة النخاسة·فاسألك ناشدتك الله ألَم تحضر في قوقاس سوقاً يعرضون فيها بالمزايدة بناتٍ وصبياناً·أوَ ما جُبتَ بلاد العراق او قرأتَ ما يفعل اكراده وأعرابه لَّما يشنُّون الغــارة على اعدائهم أنَّهم بعد انتهائهم من الغزو يجرُّون وراءهم ما عدا الاسلاب والغنائم جماعاتٍ من البنات والصبيان يعرضونها للبيــع او يستعبدونهم او يَتبنّونهم ولذلك ترى كثيرين من اولئك الاسرى يصبحون بعد مرور الأيَّام وكرور الاعوام حكاماً او رؤساء قوم او نحو ذلك

واذا بحثت عن السبب الذي يتناقص لهُ عدد الصبَّــة واليزيديَّة والنساطرة ترى

---

(١) راجع Wai, III, pl 46, n° 1 = Oppert et Menant: *Document juridiques* p. 201

بَيع ما يوسرون منهم هو من الاسباب العظيمة الموجبة لذلك النقصان

وفي بغداد والبصرة وسائر العراق قواعد تُفرض على بيت احد العروسين ان يقدّم جارية سوداء او حبشية تمشي وراء جهاز العروس لكي تخدمها فيما بعد. واذا كان العروس هو الذي يهدي تلك الوصيفة فيجوز لهُ ان يتزوّجها. وعلى المشتري ان يتسلّم من البائع ورقة الجارية فيها مسطور اسمها ولقبها (كقولك انها زنجيَّة او حبشيَّة او مصريَّة الخ) وقيمة مشتراها وعمرها الخ. وينتهي السند بعدة خواتم للشاهدين ولم يزل سعر العبيد على تلك الحالة كما كانت في القديم اي من الخمسة عشرة ليرة الى الخمسين بحسب اصل الامة فان سعر الحبشيَّة هو اغلى من سائر الاسعار وادناها الزنجيَّة

وعلى العبد ان يخدم سيّده طول حياتهِ ولكن كثيرًا ما تراه يهرب تحت جنح الليل فيخسر حينئذٍ سيده العبد وسعره اذ الحكومة لا تقبل شكوى على العبد كما ان كثيرًا ما نرى العبد الامين يخدم في بيت صديق لسيده ولا يجسر السيد استرجاع عبده غصبًا عنه حذرًا من ان يُلحق ضررًا ببيتهِ وكم وكم من الجاريات اللواتي سرقنَ سيدهنَّ او حرقنَ بيته نكايةً بهِ

هذا واذا مرض واحد من البيت ينذر مرارًا السيد او السيدة تحرير عبدهما بعد شفاء عزيزهما فاذا تمَّ ذلك سلّما الى العبد ورقة التحرير مع ورقة مشتراه واطلقاهُ في حال سبيلهِ. واذا اراد وجيهٌ ان يُجيزَ صديقه او عميله أهداه عبدًا او جاريةً كما كان يجري عند البابليين

قلنا فُوَيق هذا اذا حظيتِ الامَة عند سيدها تزوَّجها اذ تُجيز لهُ الشريعة بذلك واذا رزقهُ الله منها ولدًا ورث هذا مع ابن الحرّة على السواء ولهذا السبب كثيرًا ما تصادف في عراقنا عبيدًا عائشين بكل سعةٍ ورفاهيةٍ او حاصلين على املاكٍ فسيحة او متوظفين في وظائف متعددة او اخيرًا فائزين بدرجاتٍ رفيعة في الهيئة الاجتماعيَّة ويحسنون التكلم ويحفظون كسائر الشعوب المتمدنة (البقيَّة لعددٍ آخر)

الالفة البشرية

اطَّلعنا على خطاب نفيس من قلم حضرة العالم المدقق المنسنيور يوسف العلم الوكيل الاسقفي في بيروت تلاهُ مساء ٢٨ حزيران في دائرة غرفة القراءة لاخوية القديس مارون فوقع منَّا موقعًا حسنًا واحببنا نشرهُ في المجلَّة لنفاستهِ وهذا هو بنصهِ:

لقد خُلق الانسان أليفًا مؤالفًا

انَّني رأيتُ بهذه المقالة ان أُبيّن لكم يا معشر الادباء الكرام ان الالفة بين الناس طبيعيَّة وان الخالق جلَّت حكمتهُ قد خلق الناس للالفة لمقاصد منهُ شريفة عائدة الى خيرهم وكمالهم في هذه الدنيا وهي تقضي بهم الى السعادة الخالدة الى الله مرجعهم ومن ذلك نتطرَّق الى بيان كون الجمعيَّات والشركات والاخويَّات والمحافل الادبيَّة وما اشبه من المجتمعات الخصوصيَّة التي تتألف من افراد من خيار الناس لمقاصد خيريَّة عموميَّة كمقاصد جمعياتكم النبيلة هي مكمِلة الالفة البشريَّة او بعبارة اخرى هي الالفة الكاملة

*

لقد زعم البعض ان الانسان وُجد في اصلهِ معتزلًا متوحّدًا في حالة همجيَّة هي اشبه شيء بحالة حيوان البرّ او وحش القفر لا بل أوجدوهُ في حالة احطَّ منهُ اذ تصوَّروه وصوَّروه ضاريًا مفترسًا لا عيشة لهُ الَّا بمراعي شهواتهِ كالبهائم ولا شغل لهُ الَّا بمناصبة ابن جنسهِ والبطش بهِ على حين انَّ الوحوش الضارية لم توجد في هذه الحالة العدائيَّة لبعضها فالآساد او الذئاب مثلًا لا يبطش بعضها بالبعض الآخر والَّا لبادت منذ أمدٍ بعيد. وها نحن نرى الاطفال الصغار الرضاع تكذّب تصوُّرات هؤلاء بما يبدونهُ لبعضهم من التقارب والتحاب من ذات طبعهم بحيث لو اردتَ فصل الواحد منهم عن اخيهِ لوجدتَ فيهم تمنُّعًا وصعوبةً

ثم انَّهم بهذه الصورة التي احبُّوا ان يصوروا فيها الانسان لم يُبقوا على نفسهِ الشريفة التي تترفَّع عن هذه المنزلة الدنيَّة البذيَّة. فهو السيد العظيم المتسلِّط على هذه الموجودات كالطيور والاسماك والحيوانات وسلطتهُ هي من العلاء من لدن الله تعالى لقولهِ (مز ٨: ٧) « وعلى اعمال يديك سلطتهُ الغنم والبقر وجميع حيوان البرّ ». لكنَّهم لفساد افكارهم

جعلوها اشرف منـه وهذه سفاسف منهم ساقطة لا يُعبأ بها وما اشبهها بالحكايات والخرافات او هي تخيُّلات وهميَّة لم يوردوا عليها من بيّنةٍ ولا حجّة. وها ان تواريخ جميع الامم لم تورد شيئاً عن حالة الانسان هذه الوحشيَّة الفرديَّة الذميمة. نعم ذكرت التواريخ تقدُّم الالفة في امَّة دون امَّة وتفاوت شعبٍ عن شعبٍ آخر فيها باستكمال اسباب المعيشة ونظامهـا لكن لم تُفِد تلك التواريخ ان الطائفة البشريَّة وُجدت افرادُها كلٌّ منهم معتزلًا متفردًا عن الآخر لا يألفهُ ولا يراعيهِ لا بل لا شغل لهُ الَّا بمناصبتهِ ومحاربتهِ حربًا عوانًا متصلة لا هدنة فيها ولا صاح. على أنهُ لو فُرِض وجود بعض البشر على تلك الحالة فذلك من الشوارد النوادر وعلى النوادر لا تُبنى قاعدة ولا قياس وهو كمن يُولد اصمَّ أبكم او ذا عاهة. واذا بحثنا عن حقيقة شرودهِ وجدنا السبب وعند معرفة السبب بطل الاعتراض على هذا المبدأ الذي لهُ من الادلَّة اللامعة والحجج الساطعة ما لا يُعَدّ ولا يُحصى وكلها تؤيد كل التأييد كون الانسان من طبعهِ وُجد أليفًا مؤالفًا او كون الالفــة وجدت بين الناس من اصلهم. ونحن نكتفي الآن لضيق المقام بايراد بعضها فنقول :

١ (اوَّلًا) ان الانسان بمجال دخولهِ هذا الكون طفلًا صغيرًا نراهُ يحتاج كلّ الاحتياج الى وسائط ووسائل خارجيَّة لوقايتهِ وحياتهِ بخلاف الاسماك والطيور والحيوانات العجماء. فان الطبيعة تؤتيها ما يلزم لوقايتها ومعيشتهـا فالانسان اذًا مولود وموجود للمخالطة والالفة من ذات الطبيعة. قال القديس توما فيلسوف النصرانيَّة الشهير: « انهُ طبيعيٌّ للانسان اكثر جدًّا من جميع الحيوانات ان يكون حيوانًا اليفًا سيــاسيًّا عائشًا بين جماعةٍ. ودليلهُ حاجاتهُ الطبيعيَّة فان الطبيعة قد اعدَّت لباقي الحيوانات غذاءها وكساءها وصوانها كالجلد والصوف والمخالب والبراثن والقرون والاظـافر او على الاقل كالاسراع الى الفرار والنجاة بخلاف الانسان فالطبيعة لم تُعطهِ شيئاً من هذه بل أعطتهُ بدلًا منها فهمًا مع معاونة يديهِ لتحصيل هذه اللوازم. ولكن لا يكفي انسان واحد لتحصيل هذه كلها لان الانسان الواحد غير كفوءٍ من نفسهِ لان يحيــا اذ انهُ وحدهُ لا يكفي لتحصيل حاجات المعيشة. وزد عليهِ انَّ باقي الحيوانات غُرِسَ فيها من طبعها ان تحسّ بما ينفعها وما يضرُّها فالنعجة مثلًا تنفر طبعًا من الذئب لانهُ عدُوها وبعض الحيوانات تحسّ بان عشبةً كذا هي دواء شافٍ لها او انها ضروريةٌ لا لحياتها بخلاف

الانسان فانهُ يتوصل الى معرفة ضروريات حياتهِ ولوازم معيشتهِ بمفرداتها الّا بالالفة لانّ الواحد لا يستطيع الوصول الى معرفة كلٍّ من هذه اللوازم والى تحصيلها باستعمال ما عنده . فترتَّب عليهِ ان يعيش بين كثيرين يساعد احدهم الآخر على تحصيل لوازم المعيشة متشاغلًا كلٌّ منهم بكل منها »

وها نحن الموجودين هنا نرى مصداق ذلك فينا فالملابس التي نلبسها من صوف وكتان وحرير وجوخ مثلًا كم اقتضت من الاعمال والعمّال فالحرير مثلًا كم اقتضى من الاشغال كغَرْس توتٍ في الارض وحراثتهِ وملاحظتهِ مدّةً لقيامه ثم استجلاب بزر الدود ثم تربيتهُ ثم شغلهُ في المصانع والمعامل ثمَّ . . . ثمَّ . . . الى ان صار يصلح للّبس . ومنهُ الطعام الذي نأكلهُ فاننا نسعى اولًا في طلب البذار ثم في شغل الارض لزرعهِ فيها . والحارث الذي يزرعهُ يحتاج الى محراث وهذا يحتاج الى نجارة وحدادة واشياء أُخر لربط ادوات الحراثة . والزرع في الارض يحتاج الى نظارة وملاحظة ثمَّ حصاد . وهذا يحتاج الى ادوات وفعلة وبعد الحصاد الدراس وهذا يحتاج ايضًا الى مثل ذلك . ثم الى الطحن والطحن يلزمهُ مثل ذلك . وبعد الطحن يلزمهُ عجن وخبازة وكل هذه تحتاج الى ما تعرفونه . واذا انتقلنا من الخبز الى باقي الوان الطعام الذي نأكلهُ وجدناها مثل الخبز في كثرة حاجاتها وحساباتها . واذا قمنا عن الطعام الى السرير الذي نرقد عليهِ وجدنا الامر كذلك . ومثلهُ البيت الذي نسكنهُ . ومثلهُ الفرش والاثاث والرياش التي تزينهُ فلو عددنا بتدقيق كل ما لزمها من الوقت والشغل والمتشاغلين والبيع والشراء حتى توصلت الينا لاقتضى ذلك وحدهُ كثيرين كما يعرف كلٌّ منا

واذا نظرنا الى ما يختص بنا من لوازم العقل او النطق لتخريجهِ وتفقيهِ في المعارف والعلوم ايَّةً كانت رأينا ان ذلك قد استلزم اتعابًا وانصابًا اشدَّ كما استلزم ايضًا اجيالًا وأحقابًا . فكم وكم من الناس تشاغلوا في امر اللغة التي نعرفها من جمع كلماتها وتفسير عباراتها واشاراتها وضبط حركاتها وربط قواعدها وبيان مواردها خلا الذين وضعوا اوضاعها وحاكوا بضاعتها وصاغوا متاعها وانشأوا معاهدها واقاموا محاتدها فانَّ طول المدى بيننا وبينهم يحول دون معرفة ما لاقوا من المشاقّ وصرفوا من الأيام والاعوام في مدّهم امامنا بحرًا من لغتنا العربيَّة الشريفة التي ترفُّ باجنحتها على اكثر اللغات في تقادم عهدها وعراقة مجدها وغزارة موادّها وتفنُّن ابائها واجدادها حتى لو قضى الواحد عمرهُ

في مطالب غناها ومباحث خبرها ومبتداها لفاتهُ منها امورٌ شتّى ومات وفي قلبهِ شيء من حتّى. وما لنا وهذا التطويل وكفى اللبيب منهُ اشارة فلنعد الى موضوعنا وفيهِ قال المعلم فيكتور كوزين: «لست ارى قولكم بانَّ الانسان ليس هو من طبعه اليفاً الّا تخيُّلًا ووهماً. قولوا لي ايُّ امتحان سوَّل لكم ان تقضوا عليهِ بانهُ من طبعهِ غيرِ ميّال الى الالفة؟ لا بل ايُّ امتحان ادَّى بكم الى الريب في ذلك؟ نعم ان الاختلاف في الاعصار والامصار والاصول والفصول قد البس هيئة الالفة ملابس مختلفة وصوَّرها في صور واشكال متباينة الّا ان مبدأها واحد وما زال كذلك. ولو فرضنا ان قد غشيهُ طارىءٌ من افات الالفة ذات وقت الا انهُ لم يلبث ان عاد باسرع ما يمكن الى مهد جمالهِ زاهياً زاهرًا»

٢ ان الطبيعة ميَّزت الانسان عن غيرهِ من الحيوان بقوة النطق والكلام ولكن ايُّ فائدة من وراء ذلك بدون الالفة أيقدر الانســان من ذات نفسهِ ان ينطق بلغة او تراه يخاطب خياله. ان الكلام انما هو لتأدية افكاره الى غيره فاذا لم يكن مترتباً من طبعهِ للالفة لم تكن عطيَّة الطبيعة هذه الخصوصيَّة لهُ الّا سدًى لا نفع منها. قال كبير فلاسفتنا الاكويني: «لمَّا كانت الطبيعة قد وهبت الانسان نعمة الكلام وليس الغرض منهُ إلا المواصلة بين الناس في ما يفيد وما لا يفيد وما يحسن وما لا يحسن الى نظير ذلك ولمَّا كانت الطبيعة لا تعمل شيئًا عبثًا لزم من ذلك ان الاختلاط بين الناس هو من الطبيعة وهذا الاختلاط بَنى البيت ثمَّ المدينة»

٣ ان في الانسان وجبلَّتهِ اميالًا مغروسة تميــل بهِ الى مشاركة غيره بما لديه فالعالم مثلًا يحب ان ينشر علمهُ ومعارفهُ بين الناس كما يحب اذا كان في غم او فرح انَّ يشاركوه ويشفق عليهِ لو غادروه وشأنه. وهكذا لو رأى الانســان غيره مسرورًا او حزيناً فانهُ لا يتمالك من التأثر معهُ وبالاحرى لو رآهُ في طامَّة كبرى فلا يتمالك من المبادرة الى معاونته امَّا بيديه وامَّا بماله او على الاقل بلسانهِ. وهذا النوع الاخير اي المساعدة بالكلام كثيرٌ ورائج عند الكثيرين لا بل الاكثرين لكنهُ اذا لم يكن صاحبهُ قادرًا على غيره كان مقبولًا والّا فلا. قال يعقوب الرسول: «ما الفائدة ايهـا الاخوة اذا رأى احدكم اخًا او اختًا عريانين وليس لهما طعام يوم وقال لهما اذهبا ادفئا واشبعا ولم يعطهما شيئًا»

٤ ان في الانسان استعدادًا للترقي والتكمُّل ألا انَّ استعدادهُ هذا لا يفيدهُ شيئًا من دون الالفة وهذا الاستعداد هو في الانسان دون باقي الحيوانات. فالحمار مثلًا منذ آدم حتى الآن والى منتهى الأيام لا يزال على ما كان وقس عليهِ باقي الحيوانات. واماَّ الانسان فلِما هو عليهِ من التهيوء للترقي من ذات طبعهِ قد ترقَّى وما زال يترقَّى وما ذلك إلا لوجودهِ بين جماعات قد استجمعت قوى مختلفة واقتسمت بينها الاعمال فقام كلٌّ منها بما هو اهلهُ. وما توصَّلوا اليهِ من الاختراعات والفنون والاكتشافات في احد الاجيال الغابرة تركوه بعدهم فتوارثه اهل الجيل التالي فتداولت الاجيال آثار اولئك الرجال وهكذا ما برح الانسان يتدرَّج في مدارج المعارف والكمال ولولا ذلك لبقي الانسان على حالة واحدة

لا يخفى عليكم يا معاشر الادباء الفضلاء ان الناس هم بمنزلة قطع او اجزاء لمجموع الطبيعة بكاملها فلا يظهر ما عندها ولا يعرف ما هي قديرة عليهِ اذا ما اخذنا كلًّا منهم على حدتهِ ولكن عند تاليفهم وضمّهم معًا جملةً نعلم عظمة مقدرتها فهم والحالة هذه اشبه شيءٍ باعضاء جسم لا يتبدَّى لهُ عمل ولا جمال الا باستجماع كل اعضائهِ. قال فم الذهب قولًا خليقًا بان يكتب بماء الذهب. « ان الله تعالت حكمتهُ لمَّا شاء ان نكون متحدين مرتبطين بالفةٍ كاملة لم يخلقنا فقط من أبٍ واحد بل جعل فينا ايضًا افتقارًا الى بعضنا. وعليهِ جعل في كل من الارضين حاصلات وغلَّات ليست في غيرها حتى انَّ البشر في كل المعمور يتبادلون ويتقايضون ما عندهم من الحاصلات فيرسل اهل هذه البلدة ما زاد عنهم من حاصلاتها الى البلدة الاخرى ويستأْتون بدلًا منها ما يعوزهم من حاصلات تلك وبهذا تحصل بينهم المعاملات والمواصلات. وفوق هذا ان حكمة الله جعلت سرًّا عجيبًا في البشر وهو ان لا يكون احدهم عليمًا وخبيرًا في كل الامور بل اعدَّت هذا لأنْ يكون تاجرًا وذاك فلكيًا الى غير ذلك من تقسيم الطبيعة على افراد الناس بحيث لا ينفكُّ احدهم مفتقرًا الى الآخر ولا ينقطع بينهم رباط الائتلاف والحبّ » اه. قال شيشرون الفيلسوف الشهير: « ان يد الطبيعة لقَّحت في كبدنا حبّ الالفة » اه

٥ واماَّ الائمَّة المتأخرون فقد توسَّعوا في هذا البحث وبسطوه. ومنهم فيلانجاري القائل: « انَّ بارئ الطبيعة لو لم يخلق الانسان للالفة لأتى أمرًا مخلًّا في اجلّ اعمالهِ فما

تُرى كانت الفائدة من إعطائه عقلًا لا يتفتَّح ولا يتخرَّج الَّا بالمعاشرة والمخالطة ؟ ولماذا اعطاهُ قوَّة بها يطبّق تصوراتهِ على الفاظ واصطلاحات تؤديها الى فهم الغير ؟ ولماذا لم يعطِ كلّ الناس درجةً متساوية من القوَّة والعمل والفهم ؟ ولماذا زرع في قلوبهم بذار الرحمة والرأفة باقرانهم وجعلهم يتطلبون ارتياحهم وامتداحهم ويتوخون رضاهم وثناءهم ؟ لا بل لماذا جعل بينهم الغيرة والمنافسة فان هذه الانفعالات المغروسة في جبلّة الطبيعة لا بل في الطينة الآدميَّة لم يكن لها موقع لو لم يكن الانسان من اصل طبعه معدًّا للالفة والاختلاط مع الناس » اه

سبحانك اللهمَّ من حكيم قدير ربطت البشر بعضهم ببعض بهذه الروابط القويَّة لا بل قيدتَهم بهذه السلاسل العجيبة المسبوكة بحاجاتهم وعواطفهم واستكمال عقولهم ومعارفهم . . . امَّا نحن معاشر النصارى فانك لم ترضَ لنا بهذه القيود الطبيعيَّة بل جعلتَ لنا من وجهٍ الشرف والمجد قيودًا ادبيَّة ذهبيَّة لا بل سماويَّة الهيَّة اذ أمرتَ بان تكون الالفة والمحبَّة بيننا شعارًا لنا بكوننا تلاميذك واولادك لاننا كلنا اخوة متساوون في العماد والايمان والكنيسة ومعدُّون لوراثة ملك واحد في السماء . فتكون المحبة والحالة هذه بيننا وهي اقوى رباط للالفة شريفةً روحانيَّة لا ارضيَّة حيوانيَّة . هذا فضلًا عن كون كلتا المحبَّتين مترتبتان علينا من وجهين من حيث كوننا اناسًا لابسين الطبيعة البشريَّة ومن كوننا مؤمنين بك وبانجيلك المقدَّس الذي قد تفضَّل علينا بان رسم لنا هذه الرسوم اللطيفة للالفة التي هي اشرف من عمل موسى في جانب بني اسرائيل . فانَّ وصايا الله كانت منقوشة من يد الطبيعة على صفحات لحميَّة في قلوبهم لكن لمَّا غشيَتْها غشاوة هبطت على عيونهم عاد فرسمها لهم وسطَّرها باحرف كبيرة على الواح حجارة . غير أنَّ عملك في جانبنا والحق احق ان يقال هو اجلّ واشرف واحلى والطف . فهناك نساعد الفقير بحسب مبادئ الطبيعة قضاء لرغائب فينا او مآرب لنا اذ قلنا ان الانسان ميَّال الى الالفة لافتقاره الى ابن جنسه او لعاطفة نحوه من نفسهِ انتظارَ ان يعاملهُ بالمثل وامَّا هنا في الشريعة الانجيليَّة المقدَّسة فاننا نبذل الاحسان الى الانسان كأننا نبذلهُ الى شخص السيد المسيح لهُ السجود والتسبيح وهو تعالت جودتهُ يحاسبنا بهِ يوم الحساب العام تجاه الملائكة والانام ويعطينا بدل الواحد مائة لا بل اضعاف الاضعاف

اقول اخيرًا انهُ لقد ثبت ممَّا قدَّمنا انَّ الانسان وُلد للالفة ووجد لها والالفة

خُلقت لهُ ولكن يردُ علينا ثلثة سوءالات كانها اعتراضات : (الاول) كيف تعلّم الانسان في بدء وجوده لغةً واين كانت الالفة يوم وُجد اوَّل انسان ليتعلم منها لغةً هي اوَّل اللغات ومُرضعها ؟ . (الثاني) وان كان الناس وُجدوا للالفة والالفة خُلقت معهم ليكونوا موءالفين ومتآلفين فلماذا لم تكن الارض بينهم بالتساوي حفظاً لميزانيَّة الالفة او لماذا لا يتقاسمونها الان بالسَّواء دفعاً للخصام والقتال الحاصل بينهم بسبب عدم المساواة وهذه كلها آفات على الالفة التي اجهدت نفسك في بيان اركانها وتوضيح دليلها وبرهانها . امَّا الاعتراض (الثالث) وهو الاهمّ والاعمّ فهو ان كانت الالفة وُجدت للناس والناس وجدوا لها فلماذا نرى بينهم التباين العظيم في ما سوى ذلك من خيور الطبيعة وعطاياها وحظوظها وبلاياها وبعبارة ثانية لماذا نرى هذا غنيًّا سريًّا مع ما هو عليهِ من نواقص المعارف ونقائص الاعمال وذاك على ما فيهِ من سموّ المدارك وحسن المسالك في اسوأ حال يركض الحظُّ من امامهِ اكثر ما يركض هو وراءهُ

أهيبُ بالحظ لو ناديتُ مستمعاً والحظ عنّيَ بالجهال في شُغُلِ

فلو وجد التوفيق لهذا الامر بين الناس بان تكون الخيرات في هذه الدنيا بحسب استحقاقهم من جهة جدّهم وفضلهم وعقلهم لكانت الالفــة بينهم دون خصام ولا تذمُّر فلا نعود نسمع زيدًا يقضي ايامهُ واعوامهُ متذمّرًا من معاكسة الدهر لهُ واينما رأيتهُ وجدتهُ متشــكّيًا من قلَّة حظهِ من الناس لانهُ يرى عَمرًا وهو احطُّ منهُ في كل ذلك بعكسه موفَّقاً ناجحاً متقدماً . فهذه الاسئلة الثلثة تعارض مبادئ الالفة التي تكلمنا عليها على ما يظهر لطارحيها وهي لا تخلو من اهميَّة النظر فيهــا ولاسيَّما هذا الاخير المتعلق بتباين الحظوظ وتعاكس الطوالع فان فيهِ والحق يقال ما يقضي بالحيرة والدهشة لما في مطاويه من الغموض والاشكال حيث نرى هذا ذكيًّا تقيًّا مكدًّا مجدًّا ومع هذا نراه خاوي الوفاض بادي الانفاض وهو يصرخ مع الشاعر قائــلًا :

ارومُ بسطةَ كفٍّ استعين بها على وفــاء حقوق للعلى قِبَلي
والدهر يعكس آمالي ويقنعني من الغنيمة بعد الكدّ بالقَفَلِ

ويزيدهُ في وغر صدرهِ من معاكسة دهرهِ ما يراه في جارهِ وهو قليل العقل والفضل ومع ذلك هو حسن الحال كثير المال لا تسع اهراوءهُ ما يأتيهِ من الغلال

اقول ان الجواب على هذه الاسئلة يروقكم وفيهِ تتمَّة الفائدة من خطابنــا في

الالفة وهو من المباحث التي تدور عادةً في مجالس النـاس فيشوق كلاً الوصول الى معرفة دخيلة الامر منها . لكن لسوء الحظ قد عاكسني الوقت الآن فلم يبقَ لي منهُ ما يفي بالمطلوب الّا انهُ وعدني بفرصة أُخرى ان شاء الله فارجو قبول العذر والاخذ بوعدهِ ولكن عدت فاسترحمتهُ طالباً منهُ هنيهةً للجواب على السؤال الاوَّل دفعاً لما عساه يخالج صدور هؤلاء السائلين الثلثة من الخالة في المطل حتى اذا نال الاول منهم مطلوبه عاد الآخران على ثقة من الوعد . فاقول جواباً على (السؤال الاوَّل) وهو كما تقدَّم كيف تعلَّم الانسان الاول في بدء وجوده لغةً هي مرضع لباقي اللغات وهل وجدت الالفة قبلهُ حتى يتعلَّم منها الكلام وهل يولد الآن احدٌ من الناس ينطق بلغـة دون ان يتعلَّمها والجواب هو ان اصدق تاريخ للكون البشري وهو الكتاب المقدَّس قد افادنا ان الله تعالى جلَّ جلالهُ وتسامى كمالهُ قد خلق الانسان الاوَّل كاملاً مستوفيًا كل ما كان لازماً من المعارف لادارة المعيشة لانسانيَّة : ولمَّا كان معدًّا لأن يكون ربَّ عائلةٍ عظيمة اعطاه من العمر جانباً عظيماً ٩٣٦ سنة ليعلِّم اولادهُ ونسلهم ما كان لازماً لحياتهم وذكر هذا الكتاب العزيز ان آدم سمَّى كلًّا من الحيوانات باسمائها وكان كما سمَّاهُ وبهذه العبارة اشار الى انهُ كان يعرف لغةً وكان يعرف ايضاً طبائع تلك الحيوانات وخصائصها والَّا لما كان كلّ حيوان كما سماهُ . ثمَّ ذكر ان الله لم يستحسن ان يكون آدم وحدهُ بل خلق لهُ معيناً واليفاً وهي حواء . قال فيلسوفنا الشهير مار توما : « ولمَّا كانت الاشياء في البـدء أُبدعت من الله لا لتوجد في انفسها فقط بل لتكون مبادئ لغيرها ايضاً صدرت على حالٍ كاملة لتقـدر ان تكون فيها تلك المبادئ . والانسان يقدر ان يكون مبدأً لآخر لا بالتوليد الجسماني فقط بل بالتعليم والتدبير ايضاً . ولهذا كما أُبدع الانسان الاوَّل كاملاً في البدن ليقدر حالاً على التوليد كذلك أُبدع ايضاً كاملاً في النفس ليقـدر حالاً على تعليم غيرهِ وتدبيرهِ . وليس لاحد ان يعلّم ما لم يكن هو عالماً ومن ثمَّت أُبدع الانسان الاوَّل عالماً بجميع الاشياء التي من شأن الانسان ان يتعلمها وهي جميع تلك الاشياء الموجودة بالقوة في المبادي الاولى البينة بانفسهـا اي جميع ما يقدر الناس ان يعرفوه بالقوَّة الطبيعيَّة . ثم انَّ تدبير الانسان لحياتهِ وحياة غيرهِ لا يقتضي فقط ما يمكن معرفتهُ بالقوَّة الطبيعيَّة بل معرفة ما لا تصل اليهِ المعرفة الطبيعيَّة ايضاً من حيث ان حيوة الانسان متَّجهة الى غاية فائقة الطبع كما اننا لا بدَّ لنا في تدبير حياتنـا

معرفة عقائد الايمان وعليهِ فالانسان الاول قد بلغ من معرفة هذه الامور الفائقة الطبع مقدار ما كان لازماً لتدبير الحياة الانسانيَّة باعتبار تلك الحال ». ثم زاد هذا العلاّمة على هذا الكلام فقال : « انَّ آدم وضع اسماء لجميع الحيوانات واسماء الاشياء مناسبة لطبائعها فاذن كان آدم يعلم طبائع جميع الحيوانات وبجامع الحجّة كان يعلم جميع الاشياء الأُخر » انتهى قول هذا الفيلسوف

وممّا تقدَّم عرفتَ ان آدم الجدّ الاول للجنس البشري خُلق من الله متعلماً لغةً وكل ما كان لازماً لادارة المعيشة وها ان بكرَي اولاده قاين وهابيل اتخذا لمعيشتهما صناعة الزراعة ورعاية المواشي وتربيتها وهذان الفنّان هما الاولان للمعيشة البشريَّة وعليهما مدار التجارة والمعاملات وهما مصدر الثروة والاستغلال. ثم ذكر الكتاب عن ابن قاين المدعو اخنوخ انهُ بنى مدينةً ثم ذكر عن يوبل انهُ كان يضرب بالعود والمزمار وهو فن الموسيقى الذي يطرب الخواطر ليس من الانسان فقط بل من الحيوانات ايضاً. وها انَّ الاقدمين كثيرًا ما ذكروا عن رعاة المواشي ضرب العود والمزمار إشعارًا بما قدمنا من ان هذا الفن الشريف وهو الفن الموسيقيّ قد وجد منذ الاول مع الانسان الاول. ثم ذكر الكتاب ان توبال قاين وهو اخو يوبل المذكور كان الضارب لكل آلة من حديد ونحاس وذهب وهذا العمل الكبير يستلزم علم كشف المعادن والمناجم ولا تخفى اهميَّة هذا العلم ونقول بالاجمال اذا نظرنا الى الشعوب القدماء كالمصريين والفينيقيين والاسرائليين والاشوريين والفرس واليونان وغيرهم من امم الشرق المتأصلة في القدامة وجدنا الفنون والصنائع والاختراعات والعلوم باجمعها كانت زاهيةً زاهرة عندهم وكثيرٌ منها باد معهم وبعض ما تبقّى من آثارهم لا نعرف ونحن في عصر النور كيف عملوه . . .

فكيف يسوغ والحالة ما ذكر ان نحطّ بالانسان الى المنزلة السافلة التي اراد البعض ان ينزلوهُ فيها خالياً عاريًا من كل علم وادب وفهم كانما هو بهيمة ترعى في البراري والقفار على حين انهُ هو السيد العظيم الحكيم الذي وحدهُ قدر ان يعرف كل ما في هذه الخلائق والكائنات ارضيَّة وسماويَّة من الغوامض والاسرار ومن المنافع والاضرار. فقد هبط بطون الارضين فعرف خزائنها وغاص في أعماق البحار واستخرج درّها ودفائنها وجاب هذه الكرة التي هو عليها فعرف طبائع وخصائص كل ما فيها من نبات وجماد وحيوان ودبيب وطائر. ثم طار محلِّقًا ببصرهِ في الجوّ فوقه الى الكواكب السمويَّة

كالشمس والقمر والنجوم فعرف مدارها وادوارها وعدَّد ساعات ليلها ونهارها فاستخلص من كل مباحثهِ هذه ما عاد عليهِ بجزيل النفع في تدبير حياتهِ ورفاهيتهِ حتى لو قدرنا ان نعدّ ما عملهُ الانسان من اختراعات واكتشافات وفنون وصنائع لا تقتضي ذلك منّا اعواماً ومجلّدات ضخاماً وكل هذا دليل ساطع كالشمس وسط النهار على ان الانسان لم يوجد قط كما احبُّوا ان يوجدوه بهيمة ترعى عُشب الارض. فلو رفعنا الانسان من هذا الكون لخلنا الارض عادت ثانيةً «توه بوه» كما قال الكتاب اي خاوية خالية والسرُّ بالسكّان لا بالمكان

امَّا انتم يا معاشر الادباء ارباب هذه الاخويات والجمعيات الكريمة فلقد استجمعتم والحقُّ شاهد لكم من منافع الانسانيَّة ومحاسنها اسماها واسناها اذ اخذتم من عواطف البشريَّة اشرفها واحلاها وهي عاطفة الرأفة والحنان وعلى هذه القاعدة الذهبيَّة بنيتم معاهد اخوياتكم وجمعياتكم فتفانيتم في محبة القريب وتفانيكم هو حياة وعمران. وبذلتم بجانب المسكين الدراهم دون التفات الى ذهـــاب اموالكم اعتقادًا منكم بان هذه التجارة كلها ارباح. ثم ان كانت الالفــة للانسان مورد تهذيب ونجاح فالجمعيَّة موءلفة من نخبة شبَّان ادباء علماء ذوي حميَّة واريحيَّة ومهزَّة نفوس عزيزة ابيّة ومكارم اخلاق ومقاصــد نجاح وتراق هي اولى بذلك. وهوءلاء انتم تعلمون ان جميع العلوم والفنون والصنائع ما ترقّت بالحقيقة الّا بالشركات الخصوصيَّة. ومن المعلوم الثابت: ان القوَّة بالاتحاد. وهذه الممالك العظيمة ما تألفت الّا من بلدان والبلدان تألفت من مدن والمدن من بنايات. وهاكم هذه القاعة التي انتم فيها ما قامت الّا من موادّ ضُمَّت الى بعضها فتماسكت وتلاحمت فألفت معهدًا للاداب من اهل المشيب والشباب. وهذه دعائم الجسور واسانيد القصور فانَّها لا تكون قويَّة الا ان تُضمّ الى بعضها متشابكة متماسكة حتى اذا صُدم احدها من جهةٍ صدمة تلقَّت كلها تلك الصدمــة فلا توءثر فيها. وهذه جحافل الدول التي تحمي روءوس الملوك وتيجانها وتردّ الغارات عن رعاياها وبلدانها فان قواها انما هي بالاتحاد. وما لنا وهذه المشابهات والمقايسات وكلٌّ منا لنفسه اقوى دليل اذ نحن ضمن هذه غرفة القراءة التي باتت مجتمعاً للاداب والمعارف الحميدة جامعة في خزائنها جانباً غير قليل من التآليف المفيدة كما قد جمعت من الادباء والخطباء وذوي المكارم النبيلة والمعارف الجزيلة جانباً جلوساً على كراسيها وفيها اذن اجتمع من

من العلماء والخطباء ضدان متكلم وصامت وناطق وساكت. وللتوضيح اقول ان اصحاب التآليف المنضودة في هذه الخزائن يعلموننا وهم صامتون فنحن في وسطها مخاطبون ومتخاطبون ومتكلمون ومكالمون ومن تراهُ يخاطب معلمةً ومعلمةُ يكالمهُ ولا يستفيد. واي مجلس خيرٌ من مجالس العلماء الادباء. واي وقتٍ اثمن من هذه المواقيت التي احرى ان تدعى يواقيت. واي شيءٍ احبّ لديك من ان تفيد وتستفيد. فلست ارى والحالة هذه الّا ما ترون من ان هذه الغرفة التي هي مجموعة جمعياتكم صارت كمدرسة عالية لنا الّا انها لا تُطالب عن اجرة التعليم الا بالرضى والدعاء الحميم فسعدًا لكم يا ذويها وشكرًا لكم يا منشئيها. اه

عواقب الطمع

بقلم الاديب نجيب افندي المشعلاني

كان جَبْر مطبوعًا على البخل حريصاً على جمع المال فاغرًا فاه نحو الدراهم اتّخذ ممُّون لهُ الهًا فلم يعبد سواهُ وكان مع ذلك فظّ الطباع سيّئ الاخلاق اذاق زوجهُ ضروب الآلام فعجّل ساعة موتها فماتت وهي في ربيع عمرها تاركةً لهُ ابنةً صغيرة تدعى «لطيفة» كانت سلّمتها قبل وفاتها الى راهبات المحبّة ليقمنَ لديها مقام امّها. فاعتنينَ بتربيتها ايّ اعتناء اذ توسّمنَ فيها دلائل الذكاء والميل الى الفضيلة. فشبّت لطيفة على التقوى ورسخ الدين في قلبها وكانت مع ذلك صناع اليدين ماهرة في كل الاشغال محبوبةً من جميع معلّماتها واترابها

فلمّا انهت دروسها وعادت الى بيت ابيها تولّت كل اعمال الخدمة وقامت بامور البيت قياماً ضُرب بهِ المثل بين كل اهل القرية. وكان الجميع يشيرون اليها بالبنان ويدعونها بالملاك لتقواها وحشمتها ومثابرتها على الاسرار. امّا ابوها فكانت لطيفة تبذل وسعها لتستميل قلبهُ وتزرع فيهِ بذر النزاهة والاستقامة

وكان جبر في اوّل امرهِ قد تأثَّر من سجايا ابنتهِ فقدّرها حق قدرها الّا انّ سوء طبعهِ ما لبث ان تغلّب عليهِ فنوى ان يجعل كريمتهُ كآلةٍ لسدّ مطامعهِ. ففي احد الأيام دعاها اليهِ وقال لها: انكِ يا لطيفة ذكيّة الفؤاد متوقّدة الذهن فيكِ من الخصال الحميدة ما يندرُ وجودهُ في غيركِ وانّما ذلك لا ينفعنا فتيلًا وها انا منتظرٌ منكِ اكثر ممّا سبق

— وماذا استطيع على فعلهِ ولم افعلهُ لسعادة والدي وراحتهِ . فمُرْ يا ابتاهُ وانا اليك أطوع من بنانك

— الرأي عندي يا ابنتي ان تسافري الى اميركة فتستعملين هناك ذكاءكِ ونباهتكِ لكسب المال

فما كادت الفتاة تسمع كلام والدها حتى امتُقع لونها وتلعثم لسانها ولم تفه ببنت شفة

— لمَ لا تجيبيني أليس كلامي صوابًا ؟

— ما كنتُ اتوقَّع مثل هذا الكلام منكَ والدي

— ولِمَ ذلك أفلا نرى بناتٍ كثيرات يذهبنَ الى اميركة فيُحرزنَ الغنى لاهلهنَّ ؟

— لكنَّ الله لم يخلق النساء للاسفار والتجوُّل بل خلقهنَّ ليُسعفنَ الرجال في اعمال البيت . ثمَّ اعتبر ابتِ ما يتهدَّدني من المضارّ الادبيَّة اذا ما سافرتُ وحدي . ام كيف ترضى بان تبتعد عنك ابنتك وهي في شرخ الشباب لا عضد لها ولا مُسعف ؟

— هذه كلها حجج باطلة واهية تلتجئين اليها لتستري كسلكِ

— وهل رأيتَني قطّ متقاعدةً متقاعسة عن تتميم واجباتي ؟ . . .

— مهما فعلتِ لا اكترث لهُ ان كنتِ لا تسعين وراء المال

— وما لنا وحشد الاموال ولدينا من فضلهِ تعالى ارزاقٌ يكفينا رَيعُها للقيام بمعيشتنا بسعةٍ وهناء . ثم انَّ الافراط في طلب المال خطيئة لمسيحيين مثلنا

فلمَّا سمع جبر كلام ابنتهِ احتدم عليها غيظًا وشرع يشتمها . ومذ ذاك الحين جعل يعاملها اسوأ معاملة ويعارضها في كل اشغالها وينسب الى الرناء تقواها ويتَّهمها باشنع تهمات حتى نكَّد عيشها ونغَّص عليها ايَّامها . وكانت لطيفة مع ذلك صابرةً على هذه المحن تتحمَّل مُضضها بالتؤدة وثبات الجنان اقتداء بفاديها الالهيّ وعملًا بارشادات معلماتها الفاضلات . الَّا انَّ اباها لم يزل يضايقها ويعاكسها حتى اضطرَّت اخيرًا الى السفر بعد ان طلبت مشورة ابيها الروحي الذي حرَّضها على الثقة بالله والاتكال على مراحم البتول والتجاء الى الصلاة في ساعة التجربة والبلاء

. . . .

في اصيل احد ايَّام حزيران من سنة ١٨٨٩ القت السفينة البخاريَّة « برازيل » مراسيها في مرفإ ريوجانيرو فخرج الركاب الى البرّ وكان في جملتهم بعض السوريين

المهاجرين لاقاهم الى المركب اصدقاؤهم فساروا بالوافدين الى بيوتهم. امَّا لطيفة وكانت من جملة المُبحرين فلم تجد احدًا ينتظرها فتوكَّلت على الله وحملت صندوقتها. وذهبت الى اسواق المدينة على غير هُدًى حتى رأت باب كنيسة فعنَّ لها ان تدخل وتشكر الله على وصولها بالسلامة وتطلب نعمتهُ ليصونها في غربتها من كل الاخطار

وبعد ان صلَّت طويلًا بحرارة همَّت بالخروج لكنَّها قالت في نفسها: «اين امضي وايُّ بابٍ اطرق وانا غريبة الدار واللسان وعمَّا قليل سيرخي الليل سدولهُ فاولى بي ان ابقى هنا وارقد تحت رواق الكنيسة على الحضيض تحت كنف أُمي السماويَّة فهي تظلّلني بجناحيها فآمن بشفاعتها من طوارق الحدثان. ثم سدَّت رمقها بكسرةٍ من الخبز وجعلت صندوقتها وسادةً ورقدت عند باب الكنيسة تحت تمثال للبتول يزين وجه الباب...

وعند الصباح حضرت الذبيحة الطاهرة وصلَّت صلواتها المألوفة ثمَّ خرجت وهي تبتهل الى الله ليسهّل لها طريقها ويرعاها بعينهِ الساهرة. لكنها اذ لم تك تعرف الشوارع ولا تفهم اللغة لتستهتدي الى سبيلها وقفت متحيّرة امام باب الكنيسة محتارةً فلمح منها ذلك رجل فاضل سوريّ فتحنَّن عليها وتقدَّم اليها قائلًا: «انتظريني هنا ريثما اسمع القداس فاقودكِ الى منزل تسكنينهُ وادبّر لكِ شغلًا ترتزقين منهُ...». ثم فعل كما قال ودبّر للمسكينة منزلًا واشترى لها «كشَّة» وهو العمل الوحيد للسوريين في تلك الجهات وسلَّمها بضاعةً وبعد ما علَّمها طريقة البيع تركها وشأنها

كانت لطيفة وهي في المدرسة تسمع معلماتها يصفنَ لها ضوضاء العالم وشروره الجمَّة فما مرَّ عليها زمن قليل حتى شاهدت الامر بالعيان فلزمها ان تخوض في هذا البحر العجَّاج وتختبر ما يكنُّهُ في غورهِ من المخاطر والاهوال. لكنَّها تذكرت وصيَّة مرشدها الاخيرة فلاذت باهداب البتول الطاهرة وتدرَّعت درع الصلاة واخذت تلازم مهنتها الشاقَّة لتسدَّ رمقها وتربح بعرق جبينها شيئًا من الدراهم ترسلهُ الى والدها. وكانت مع ذلك تتحايد كلَّ ما من شأنهِ أن يرميها في حبائل العدوّ ويجلب لنفسها الدمار

ألَا انَّ ابليس خزاهُ الله سوَّل لبعض الشبَّان ممَّن نضب ماء الحياء من جبينهم ان يوقعوها في اشراكهم. وكان منهم شابٌ يدعى تاصيف وقعت لطيفة في عينهِ موقع الاستحسان فاخذ يترصَّدها وينصب لها المكايد الى ان التقى بها ففاتحها بهواهُ على انَّ الفتاة العفيفة نفرت منهُ وولَّت الادبار وانتصرت عليهِ بمعونة الله ولم ينجح فيها لا الوعد

ولا الوعيد. فلمّا رأى خيبة مسعاهُ اصلاها مذ ذاك حربًا عوانًا واذاقها مرّ العلقم

وليست هذه الحرب الوحيدة التي نشبت على لطيفة بل تناوبتها سهام التجارب حتى عيل صبرها وكتبت الى والدها تخبرهُ بما اصابها في غربتها من العذاب والمراثر وتتأسف على تلك الأيام التي قضتها في المدرسة وفي دار ابيها حيث يخيّم السلام وراحة الضمير. فلمّا وصل كتابها الى ابيها ولم يرَ فيهِ ما كان يؤملهُ من المال كتب اليها يوبّخها توبيخًا شديدًا على تقصيرها حتى زاد في طين شقائها بلّةً وفي طنبور بلاياها نغمةً

وكان في الدار التي تسكنها لطيفة صبيةٌ تباريها عمرًا وتخالفها اطوارًا فدخلت عليها على اثر وصول كتاب والدها فوجدتها غائصةً في بحر الغمّ والكدر فلمّا اطّلعت على سبب حزنها جعلت تزفّ اليها من النصائح او بالحري من وساوس الشيطان ما اضاق ذرعها وكسف بالها لاسيّما اذ سمعت تلك الفتاة تدعوها الى خلع ثوب الاحتشام ونبذ الحياء والخجل والتردُّد الى محلّات الملاهي زاعمةً انّها تحصل بذلك على مال اوفر من مال قارون...

امّا لطيفة فما طرق هذا الكلام مسامعها حتى تميّزت غيظًا وطردت من غرفتها تلك التي تجاسرت فعرضت عليها مثل هذه المشورة وقالت لها: « اعلمي اني اوثر الموت جوعًا من ان اعمل بنصيحتكِ التي تؤدي بي الى اهانة الله. فالادب والاحتشام هما افضلُ لديَّ من اموال الارض بكمالها والتقوى عندي كنز لا توازيهِ كنوز الدنيا برمّتها ». قالت هذا واقفلت بابها ولم تعد تنظر الى زميلتها البتّة

. . . .

في اصيل يومٍ من ايام تموز من سنة ١٨٩٢ بعدما تعبت لطيفة النهار كلَّهُ ولم تبع شيئًا بل اشتدّت عليها مضايقة ناصيف ومن هم على شاكلتهِ دخلت حجرتها وغلقت بابها وجثت امام ايقونة البتول وهي تذرف الدموع وتصلّي بحرارةٍ كي تقيها شرّ هؤلاء الأبالسة. وفيما هي على هذه الحال اذ فُتح باب غرفتها بغتةً ودخل منهُ والدها. فعندما رأتهُ تحوّل دمع حزنها الى دمع فرح وهرولت مسرعةً لتعانقهُ فابتدرها بضربةٍ القتها على الارض وقال لها: « اتيتِ الى هنا حتى تتنسّكي كان الاحرى بكِ ان تذهبي وتسكني المغاور. وبدلًا من ان تكدّي وتجتهدي لكسب المال اراكِ تقضين الوقت جزافًا في الصلاة فلا حيّاكِ الله ولا بيّاكِ » . . . .

مرَّ على جبر بضعة ايام في المدينة تعرَّف باثنائها على ناصيف فتصادقا وتحالفا « انَّ الطيور على اشكالها تقعُ ». ثمَّ طلب ناصيف من صديقهِ ان يسمح لهُ بالاقتران بلطيفة لقاء مبلغٍ من المال انقدهُ اياهُ في الحال فما رأى جبر المال في يدهِ حتى وعدهُ حالًا قبل ان يستشير ابنته بذلك وقبل ان يفحص عن حالة هذا الشاب وآدابهِ كأنَّ الابنة متاع يهبها او يبيعها لمن يشاء. ولم يمضِ ايام طوال حتى اصبحت لطيفة زوجةً لناصيف مع ما كانت تعرفهُ من قلة آدابهِ ومن قبح سيرتهِ وسوء سلوكهِ. ففرح الوالد بهذا الاقتران لانهُ تملَّص من ابنتهِ التي كانت على عاتقهِ حملًا باهظًا. ثمَّ تركها وتوغَّل في داخليَّة البلاد حيث اكترى لهُ بيتًا منفردًا وجعل همَّهُ حشد الاموال فجمع مبلغًا وافرًا اودعهُ احد المصارف

امَّا ناصيف فعندما اصبحت لطيفة في حوزتهِ اجبرها على حمل « الكشَّة » والتجوُّل وهو ألف الخان ومعاقرة الخمرة مع اصدقائهِ الذين هم على شاكلتهِ

. . . .

مضت سنتان على هذا الاقتران المشؤُم ذاقت لطيفة باثنائهما العذاب الوانًا ومن سوء المعاملة اشكالًا وهي وديعة كالحمل صابرة طائعة تتذكر نصائح معلماتهـا فتتبعها حرفًا بحرف وبالنتيجة انها كانت مثال المرأة المسيحية في كل تصرفاتهـا وسلوكها مع رجلها الذي كان يعاملها معاملة السيد لعبدهِ. حتى اخيرًا مرضت مرضًا ثقيـلًا فقصد ناصيف ان يودعها في احدى مستشفيات البروتستنت لكي يتخلص من الاعتناء بها الَّا انَّها لم ترضَ بذلك وتوسَّلت اليهِ بكل ما لديها من القوة حتى يقودها الى مستشفى راهبات المحبَّة اللواتي درست عنـدهنَّ حتى تتمكَّن من الحصول على الاسرار المقدَّسة قبل مفارقتها دار البوار لأنَّها شعرت بدنو اجلها وان أيَّام غربتها اوشكت ان تنتهي امَّا هو فما زال اصمَّ اخرس كأنَّ قلبهُ قد قُدَّ من صخر فعمد على جرّها عنوة ان ابت وفيما هي تتوسل اليهِ والدموع تسيل على خديها واذا بشيخٍ جليل دخل عليها فتفرست فيهِ لطيفة وعرفتهُ انهُ ذاك الذي استقبلها يوم وصولها وكان دأبه عمل الخير مع البائسين فعرف ما حلَّ بها وجاء ليغيثها بما لديهِ من الوسائط. ولمَّا وقف على حقيقة الامر انتهر زوجها واوصلها الى منزل راهبات المحبة واودعها هناك وذهب بعد ما اوصى بهـا الرئيسة

فلمّا حلت لطيفة هذا المنزل الملائكي سكن روعها وتبدَّد عنها كلّ قلق واضطراب واستنشقت نسيم الراحة والسلام. امّا الراهبات فبعد ما وقفن على قصتهـا اندهلنَ من صبرها وبالغنَ في الاعتناء بهـا الّا ان الله شاءت حكمتهُ ألّا يدع هذه النفس الملائكيّة في هذه الدنيا الشقية وفي ١٥ آب من سنة ١٨٩٤ اسلمت روحها بهدوء وسكينة بين يدي خالقها بعد ما تزودت بزاد الراحلين واقتبلت المسحة المقدّسة فدفنتها الراهبات بكل وقار واحترام

امّا تاصيف فانهُ بعد ما صرف آخر فلس في اللهو واللعب قصد حماهُ لعلّهُ يتمكن من المعيشة معهُ وعقبي وصولهِ تلقى خبر مكتوبًا يُخبَر بهِ بان المصرف الذي اودعهُ مالهُ قد اشهر افلاسهُ. فحلَّ هذا النبأ على جبر حلول الصاعقة وضاقت الدنيا لديهِ واظلمت الشمس بعينيهِ واخذ يشتم ويسبّ ويلعن ويرغي ويزبد حتى مُسَّ بجنون... وفي الليل بينما كان تاصيف راقدًا قام جبر واخذ قليلًا من البترول واوقد النـار في البيت فالتهمتهُ عن اخوته وكان حظهما في اخرتهما كحظهما في الابدية

مطبوعات شرقية جديدة

KUSEIR ‘AMRA, ETC,
Topographische Reisebericht von D^r A. Musil
I. Theil, mit 2 *Plaenen u.* 20 *Abbild., Wien,* 1902

قصير عمرة

سبق المشرق (١: ٦٦٥ و٤: ٧٦٥) فذكر مرارًا ما اكتشفهُ الدكتور موسيل نزيل كليّتنا قبل ثلاثة اعوام من الآثار النفيسة في بلاد موآب جنوبيّ البحر الميت وشرقيّهُ. وها هو اليوم قد نشر في مجموع اعمال المحفل العلميّ في فيئنّة الجزء الاوّل من اخبـار رحلتهِ الى تلك البلاد القاصية في غاية أيّار من سنة ١٨٩٨ وفي ٩ تموز ١٩٠٠ وقد تفقد عدّة قصور قديمة لم يكد العلماء حتى الآن يعرفون اسمها فضلًا عن جسمها كقُصَير عمرة والازرق والخراني والموقّر وقصر الحمّام وقصر الطوبى وقصر باير

واعظم هذه القصور شأنًا قصير عمرة وهو عبارة عن بناية فخيمة تجمع بين مزايا الصروح الملكيّة والحصون. وفي داخل هذا القصر الجليل قاعات فسيحة على جدرانها

نقوش بديعة تمثّل صور رجال وحيوانات وشجر وادوارًا من حياة اهل البادية كالصيد والقنص والجريد. وقد اخذ الدكتور موسيل رسم هذه الصور فاثبتها في كتابهِ وفيها من الدقة ما لا يأتي بهِ الَّا مصوّر بارع. امَّا اصحاب هذه الآثر الفاخرة فكنَّا ارتأينا في المشرق (١: ٤٨٤، ٦٣٠) استنادًا الى وصف الدكتور العلاَّمة انهُ من المحتمل ان تكون هذه الابنية من اعمال الملوك الغساسنة الَّا ان هذا الرأي الذي دوَّنهُ الدكتور في رحلتهِ (ص ٤٧) يظهر لنا الآن ضعيفًا لاسيَّما انَّ حضرة الرحَّالة قد وجد بين الاخربة كتابة كوفيَّة باسم الخليفة العبَّاسي احمد المستعين بالله. ولا بدَّ للحكم الفصل في هذا الشأن من مراجعة هذه الآثار وفحصها فحصًا نعمًّا. وقد سار الدكتور ثالثةً الى هذه القصور فزارها مع مصوّر بارع وتثبَّت ما لم يمكنهُ حتى الآن الوقوف على صحَّتهِ

اما خطر هذه الاكتشافات فيبدو لكل ذوي العبرة. وقد اثنى على صاحبها جمهور العلماء وبنوا عليها آمالًا طيّبة. ولا يسعنا نحن الَّا ان نضمَّ صوتنا الضعيف الى اصواتهم ونشكر صديقنا على عظم همَّتهِ ونتمنَّى ان يتحفنا قريبًا بما بقي من اخبار رحلتهِ. ونطلب اليهِ الَّا يحرمنا في قسم كتابهِ الثاني من خارطةٍ توقفنا على الامكنة التي زارها ومواقع القصور التي اكتشفها ه. ل

شذرات

عاديَّات جديدة مكتشفة في مادبا لم ينسَ قرَّاؤنا الفسيفساء العجيبة التي اكتُشفت قبل بضع سنوات (المشرق ١: ٢١٣) في مادبا وهي التي تمثّل بلاد فلسطين ومعابد اورشليم. واليوم قد افاد الخوري اللاتيني الفاضل الاب منفريدي خبر اكتشاف آخر ذي شأن وهي قطع عديدة من الفسيفساء وجدت في آذار من السنة الجارية في شرقيّ جنوبيّ المدينة موقعها في محلّ كنيسة مادبا القديمة المبنيَّة في القرن السادس للمسيح وهذه الكنيسة كانت على اسم ايليا النبيّ تُدعى باسمهِ ايليانيَّة (Elianée). وهذه الآثار تمثّل عدّة تصاوير من نبات وحيوان ومنها ايضًا ثلاثة اشخاص على هيئات مختلفة وهناك كتابة يونانيَّة تذكر كنيسة اخرى على ذكر الرسل واسم الاسقف سرجيوس وذلك في تاريخ ٤٧٣. والمظنون انَّ هذا التاريخ يوافق تاريخ بُصرى الذي بدؤهُ سنة ١٠٨ للمسيح

-﴿ بارود بلا صوت ولا دخان ﴾- شاع انَّ الكولونل الفرنسيّ همبرت اخترع بارودًا حربيًّا لا يُسمع لاطلاقهِ صوت ولا يُرى لهُ دخان وقد اختبر الامر على عيان لجنةٍ شكَّلتها الحكومة لفحص البارود المذكور فاستحسنت الاختراع ومنحت صاحبهُ امتيازًا مؤذنًا بصلاحيتهِ للحرب

-﴿ عاديَّات كتابيَّة ﴾- جاء في العدد ٤٦٧ من جريدة المعلومات ما حرفهُ:

« ورد على دار السعادة بعض اوراق قديمة كانت محفوظة في الجامع الامويّ في الشام لها مساس بالتاريخ فنها ٢٥ صفيحة مزامير و١١ صفيحة توراة الاسفار الخمس ونُسخ كثيرة من التوراة والانجيل مكتوبة باللسان السوريّ القديم ومنها قطع مترجمة الى لغة سوريا وفلسطين وهذه تدلُّ على انَّ السامريين كانوا يسكنون الشام و٧٨ قطعة من المزامير مكتوبة بالحروف اليونانيَّة باللغة العربيَّة وهي تمثّل صورة تلفُّظ الكلام العربيّ قبل انتشار الدين المحمَّدي ومن هذه ١١٧ صفيحة مكتوبة فيها صورة دعاء نصارى سوريَّة وهذه الصُحُف محفوظة في قبَّة الخزينة من الجامع الامويّ واهمّ هذه الاوراق قسم مكتوب بالفرنسويَّة القديمة وهو من عهد محاربات الصليبيين »

(قلنا) اننَّا اشرنا في المشرق (٥ : ٤٧) الى هذا الاكتشاف المهمّ الذي اطَّلع عليهِ المسيو فيوله العلاَّمة الالمانيّ. وقد بلغنا انَّ الحضرة الشاهانيَّة طلبت هذه الاوراق الى الاستانة وفي نيَّتها حفظها الله ان تهديها الى جلالة امبراطور المانية. ولنا في هذا الاكتشاف كلام نثبتهُ عند سنوح الفرصة. وممَّا لا ريب فيهِ انَّ القطع اليونانيَّة التي تمثّل اللفظ العربيّ لم تسبق عهد بني اميَّة

-﴿ اقدم التصاوير ﴾- ذكرنا في العدد ١١ من سنتنا الجارية (ص ٥٠٢) التصاوير القديمة التي اكتُشفت حديثًا في مغاور دردوني (Dordogne) من معاملات فرنسة. وقد توفق المسيو كپيتان والابيل برويل الى اكتشاف مغارة أُخرى هنالك في أيَّار الماضي وهي مغارة فون دي غوم (Font de Gaume) وجدا فيها على مسافة عشرة امتار من مدخلها صورًا مرسومة في جدرانها على طول ١٢٠ مترًا تمثّل الحيوانات السابقة لعهد التاريخ في فرنسة كالمُموث والبقر الوحشي والأيل. وبعض هذه التصاوير ملوَّنة بالاحمر باوكسيد الحديد والسيليس او بالاشقر بالمغرة والمنغانيس وعلى اكثرها غشاء من الكلس المتحجر قد تكوَّن فوقها من تحلُّب الماء في المغارة وهو احسن ضامن لقدم هذه التصاوير وارتقائها الى اعصار لا يعلم عددها الَّا الله

اسئلة واجوبة

س سألنا احد ادباء البلدة ١ً هل يقدَّم على اسم « استانة » ال التعريف ام لا. ٢ً ما اصل الهاء في « امّهات » جمع « امّ ». ٣ً ما اصل لفظة « الهوينـا ». ٤ً كيف يُفسَّر قول العامَّة للرجل « رجَّال »

لغويات

ج نجيب على (الاوَّل) انَّ العادة قد جرت بادخال ال التعريف على « استانة » على طريقة الاسماء المعرَّبة فيقال الاستانة العليَّة. وعلى (الثاني) انَّ جمع « امّهات » لامّ من الجموع الشاذَّة واصلها سريانيَّة « ܐܡܗܬܐ ». وعلى (الثالث) انَّ الهُوَيْنا تصغير هُونى او هَوْنى موءنث الاهوَن كما نصَّت عليهِ المعاجم. وعلى (الرابع) انَّ « الرُّجَّال » أصلها « الرَّجَّال » اي الماشي فأُطلقت على الرجل. كما يقول اهل مصر للرجل « الرَّاجل »

س وسأل الاديب اسكندر افندي صافي هل هيرودس طالب قتل المسيح هو نفس هيرودس قاتل يوحنَّا المعمدان والساخر بالمسيح في آلامهِ

هيرودس

كلاَّ انَّ هيرودس طالب قتل المسيح هو هيرودس الكبير توفّي السنة الرابعة للميلاد. امَّا قاتل يوحنا المعمدان والساخر بالمسيح في آلامهِ فهو سادس ابنـاء هيرودس الكبير ويدعى هيرودس انتيباس وقد مات في المنفى. ولهُ ابن اخ يُدعى هيرودس اغريباس وهو قاتل يعقوب الرسول ابن زبدى ل. ش

س س سألنا حضرة الخوري الفاضل ميخائيل زلحف هل يُعدُّ اراتيكيًّا من نكر انَّ المسيح لم يتجسَّد لخلاص غير المؤمنين

تجسُّد المسيح لخلاص غير المؤمنين

ج انهُ لمن عقائد الايمان التي اثبتها المجمع التريدنتيني انَّ الله لا يريد فقط خلاص المختارين. وكذلك انهُ من العقائد الكاثوليكيَّة المثبتة في دستور الايمان النيقوي انَّ المسيح تجسَّد لخلاص المؤمنين. اما القول بان الله يريد خلاص كل البشر من مؤمنين وغير مؤمنين وانَّ المسيح تجسَّد ومات لهذه الغاية فهو رأي راهن مقرَّر في الكنيسة الكاثوليكيَّة وعند جمهور اللاهوتيين كما يظهر من القضيَّة الخامسة التي رذلها اسكندر الثامن وهي « ان المسيح بذل نفسه ضحيَّة لابيهِ ليس فقط لاجل المختارين بل ايضاً لاجل كل المؤمنين ولاجلهم فقط » ومع هذا فانَّ ناكر تجسُّد المسيح لاجل غير المؤمنين لا يستوجب وصمة الهرطقة لانَّ الكنيسة لم تثبت هذا التعليم كعقيدةٍ من الايمان ي. غ

المشرق

سلوان الاسرى في ايوان كسرى

لحضرة المحقّق والعلّامة المدقق الاب انستاس الكرملي

(المشرق): هذه المقالة لاحقة بمقالة الاب انستاس التي عنوانها «الطائر الخفّاق على اطلال العراق (المشرق ٤: ٣٠٧ ; ٣٨٥):

(أ) «المدائن» اسم يشمل مدنًا متقاربة بعضها من بعضٍ على بعد سبعة فراسخ لنازل دجلة. قال صاحب مراصد الاطلاع: «المدائن جمع مدينة. وانّما سُمّيت بذلك لأنّها كانت مدنًا (١ كل واحدةٍ منها الى جنب الاخرى. فاوّلها: «المدينة العتيقة» (٢. ثم مدينة «الاسكندريّة». ثم «طَيْسَفُون» (٣. ثم «أسفانبرُ» (٤. ثم «الروميّة» واسمها بالفارسيّة (٥ «لوسفون» (٦. وعرّبوه على «الطَيْسَفون» (٧ «والطَيْسَفُونَج» (كذا). وقيل هي سبع مدائن بين كل مدينةٍ والاخرى مسافة بعيدة او قريبة وآثارها واسماؤها باقية (٨ وهي: «أسفانُور» (٩. و«وَهْ أرْدَشير» (١٠. و«هيبو

١) كذا في طبعة ليدن وهو الصواب. وفي الطبعة الهندية الحجرية (ص ٣٤٢) جاء «مدن»

٢) وفي الطبعة الهنديّة: العقيقة وهو خطأ

٣) وفي الاصل: ظيسفون بالظاء المثالة الموحدة. وهو خطأ. وضبطها في طبعة ليدن طَيْسَفُون

٤) والرواية الصحيحة الفصيحة: أَسْبَانَبرُ كما في البرهان القاطع وغيره او أَسْفَانَبر بفاء بدل الباء فصُحِّفت اسبانبر او اسفانبر. وفي تقويم البلدان اسبانبر

٥) كذا والاصحّ باليونانية　٦) وفي طبعة ليدن «كوسفون» والاصحّ قطيسفون او كتيسفون Κτησιφῶν　٧) كذا بالفٍ ولامٍ والاصحّ تركهما

٨) اي باقية الى عهد المؤلف الذي توفّي سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م)

٩) كذا والاصح «أسفابور او أسبابور» كما صرّح به صاحب دائرة المعارف في مادّة «أسبانبر»　١٠) كذا والاصحّ ان يقال: «وَهْ اردشير» بالراء كما حقّقهُ الافرنج عن المظان التي يرجع اليها. وفي طبعة ليدن «بَه اردشير»

سَابُورُ » و« دَرْزَ بِيدَانُ » و« وَهْ جَنْدَبُوخُرَةَ » و« نُوتَابَاذُ » و« كَرْدَاقَادُ » (١ . فعُرِّب أسفا نُورُ على أسفانيرَ . وعُرّب درز بيدان على درديجان . وعُرّب وَهْ جَنْدَبُوخُرَةَ على روميَّة . وعُرِّب السادس والسابع على اللفظ . فلمّا ملك العرب ديار الفرس وأختُطَّت البصرة والكوفة انتقل اليهــا الناس عن مُدُن المدائن وسائر مدن العراق . ثم اختطّ الحجّاج واسطاً فصارت دار الامارة . ثم اختط المنصور بغداد وانتقل الناس اليهــا . ثم اختطّ المعتصم سامرّا فاقام الخلفاء بها بُرهةً ثم رجعوا الى بغداد . والمدائن في وقتنا هذا بُلَيــدَةٌ صغيرة (٢ في الجــانب الغربي من دجلة وهي « نهرَشــيرُ » (٣ واهلها روافض كلهم . وكانت درديجان (٤ قريةً فوق هذه بقريب من فرسخ وقد خربت الآنَ . وفي الجــانب الشرقي « الايوان » (٥ وقبرُ سلمان (٦ الفــارسيّ وحُذَيفَة بن اليمان (٧ يقصدهما الناس في كل سنةٍ للزيارة في شعبان (٨ وبالمشهدين ناسٌ مقيمون بهِ كالقرية » . اه كلام الحموي . وقال في معجم البلدان : « لم أرَ احدًا ذكر لِما سُمِّيت بالجمع . والذي عندي فيهِ ان هذا الموضع كان مسكن الملوك من الاكاسرة

---

١) وجاءت هذه الاسماء في طبعة ليدن : هنبو شابور وذرزبيذان وَبه جنديوخسره وبنونياباذ و كرداباذ . ويُروى « كُرْدبنداذُ » في كتاب فتوح البلدان للبلاذريّ (ص ٢٧٥) .

٢) قلتُ : كذا كانت في وقت المؤلف امّا اليوم فان هذه البليدة ايضًا قد اضمحلّت وصارت في خبر كان وعفت آثارها ولم يبقَ منها باقٍ

٣) كذا والاصح « بَهُرَشِيرُ » بباء موحدة تحتية في الاول بدلًا من النون الموحدة الفوقية كما جاء في الكامل لابن الاثير (٢ : ١٩٧) وجاء في فتوح البلــدان « بَهُرَسِيرِ » بسينٍ مهملة بدلًا من الشين المثلثة . وفي طبعة ليدن « بَهُرَسِيرِ »

٤) وفي طبعة ليدن « دَرْزيجان »

٥) الايوان . بأل وهو ايوان كسرى من باب الغلبة وبدون أل وهو على ما قالهُ صاحب التاج : « شبه ازج غير مسدود الوجه . وهو اعجمي » . قُلتُ وهذه الكلمة مستعملة عنــدنا جدًا المعنى الى يومنا هذا . ولا تخلو دار عندنا من ايوان وهو غير الديوان

٦) تولى سلمان الامر على المدائن وفيها توفي سنــة ٣٦ ﻫ (٦٥٧ م) في اواخر خلافــة عثمان

٧) صحابي . اسم ابيهِ حسل ويقال حُسَيل ابن جردة بن عمر بن عبد الله القيسي . وقيــل اليمان لقب جدّه جردة بن الحراث . قال الكلبي : « اصاب دمًا في قومهِ فهرب الى المدينة وحالف بني عبد الاشهل فسمّاه قومهُ اليمان » توفي سنة ٣٦ ﻫ (٦٥٧) م)

٨) قلتُ : وهذه الزيارة جارية الى يومنا هذا

الساسانيّة وغيرهم. فكان كل واحد منهم اذا ملك بنى لنفسهِ مدينةً الى جَنبِ التي قبلها وسمَّاها باسمٍ. فاولها المدينة العتيقة التي بناها زاب الملك ثم مدينة الاسكندريَّة ثم طَيسَفُون من مدائنها. ثم اسفانير ثم مدينة يُقال لها روميــة فسُمّيت المدائن بذلك. . . ». وقد ورد رأيٌ آخر في سبب تسمية المدائن بلفظ الجمع. قال في التاج: المدائن مدينة كسرى قرب بغداد على سبعة فراسخ منها سميت لكبرها (١

١) وممَّا تقدم ترى خطأ مصحّح كتاب تاريخ بابل واشور او مؤلفهِ. اذ قال ص ٣٦: « وتُعرف اراضي اكتريفون وسلوقية وما في جوارهما بالمدينتين او المدائن » فقولهُ «بالمدينتين» لفظة يجهلها العرب فضلًا عن الأعراب. ولم تُذكر في كتاب. وانمـا قال هذا اخذًا عن كتاب الأغراب. واماَّ تسمية طَيسفون (على رواية العرب والفرس) او قُطَيْسفون (على التصحيح) باكتريفون فمًّا لا يُغفَر لمصحّح الكتاب. ولو كان قد عبث بلفظةٍ واحدة لهان الخَطْب وصغر. لكنَّهُ تصرًّف بالاعلام تصرف المفسّر للاحلام. يؤولها حسب مقتضيـات الاحوال او الايام. فمن تلك الالفاظ « هيكل بملوس » ويريد « هيكل بعل » وقد وردت مرارًا في الكتاب المذكور. « ونينوس» ويريد « نون » و« البرثيّين » في « الاشكانيين او الاشغانيين او الاشمانيين ». بعين مهملةٍ. « ودلّاس » ص ٣٢ في « ديالَى » كما نصَّ عليهِ صاحب مراصد الاطلاع. « والسقلاويَّة » ص ٣٣ في « الصقلاويَّة ». و« وردانوس» ص ٣٤ في « اردوان ». « وفيروس » ص ٣٥ في « فيروز». « وسرير ايوان كسرى (؟ — !!!) او سرير كسرى » ص ٣٥ ناقلًا بهـذه الالفاظ العربية (Arc de Chosroès) الافرنجية. والشائع على الالسنة والذائع بين الشيعة والسنَّة: « طاق كسرى او ايوان كسرى » كما هو مشهور وعن السلف مأثور. وقال ص ٣٣: « وفي وسطـهِ قنطرة ». وليس هناك قنطرة بل ساباط. وقال ص ٣٨: « واور اليوم خراب تام ويعرف موقعهـا بالمناور » كانهُ رأى الكلمة الافرنجية (mogayer) ثم اعمل الفكرة في ما عسى تكون هذه اللفظـة العربية الاصلية المنقول عنها هذا اللفظ الافرنجي او المفرنج فقال في نفسهِ: لا جرم انَّها « المغـاير » لكن الافرنج يصحِّفون الكلم العربية ويحرفونها كما يفعل العرب بالالفـاظ الاعجمية او انَّ « المغاير » من اغلاط العوام كما هو مشهور عندهم. والرواية الصحيحة الفصيحة هي « المناور » فكتبها كذلك. لكن ساء ظنُّهُ. ونكب عن الصواب زَنُّهُ. والاصحّ ان الكلمة هي « المقيَّر » ولمَّا كان اهل الجيل يلفظون القاف كافًا فارسية قالوا فيها: « المكيَّر » وليس من طريقة ثانيـة لكتابة هذه اللفظة العربية بالحروف الفرنجية. ومعنى « المقيَّر » المطلي بالقار او القير وسبب التسمية ان تلك الخربة قد اسودَّ اديمها من مرور الزمـان عليها فصارت كانها مطلية بشيء من القار. وقال ص ٣٨: « وأُورفا ». والاصح كتابتها بدون واو اي « أُرفا ». وقال ص ٣٩: « ان مدينة أرَك هي المعروفة اليوم بورقاء او ارقاء » وقد وقع لهُ في اعادة الاسم الافرنجي الى نصابهِ العربيّ ما وقع لهُ في لفظة المقيَّر والمشهور عنـدنا في العراق: « وركه » بكافٍ وهاء في الاخر. اما اشتقاق « العراق » من

هذا ما جاء في كُتب العرب عن سبب تسمية المدائن بلفظ الجمع . امّا الحقيقة فان المدائن تشمل ايضاً سلوقية او سليقية كما نصَّ عليه مؤرخو الافرنج المحقّقون وكما جاء ذلك في كُتب تواريخ النساطرة ايضاً . وربّما نزلوا منزلةً واحدةً المدائن وسلوقية وطَيْسَفُون (المسمّاة ايضاً عندهم كالآبا) وأسبانَبِر وكوخي ومحوزة . وذلك من باب اطلاق الجزء على الكل . ولتقارب تلك المدن بعضها من بعض . وفي المدائن هذه كان يُقام بطرك الكلدان النساطرة ويُقيم فيها . وبيعة المدائن الكبرى كانت تُدعى كوخي . وهي شهيرة في تاريخ النصرانيّة

(ب) « سلوقيَة » ويقال فيها سليقية . واللغة الاولى اشهر وافصح واصحّ . مدينة شهيرة من اعظم مدن العراق كانت بجوار طيسَفون وقد طارت شهرتها في الآفاق في الاشغانيين (الفرثيين عند الافرنج) في القرون الاولى من التاريخ الميلاديّ . وكانت سلوقية مدينة زاهية بناها سلوقُس نيقاطور (ambitiosum opus Seleuci Nicatoris) واقعة على ضفة دجلة اليُمنى (او الغربيّة) اما طيسفون فكانت واقعة تجاهها على العدوة اليسرى . وقد تكلّم بلينيوس (ك ٦ ف ٢٦) عن سلوقية بما معرّبهُ : « سلوقية وتُلقَّب بالبابليّة (اي العراقيّة) هي اليوم حُرّة مستقلّة . ويعيش فيها اهلها عيشة المقدونيين (Macedonum more) . ويُقال ان اهلها يبلغون زُهاء ٦٠٠٠٠٠ نسمة . وهيئة رسمها هيئة عُقابٍ [١] ناشرةٍ جناحَيها (aquilæ pandentis alas) » . وتخيّتَ

ورقاء . والاصحّ : « وركه » فتدعهُ يعالج فيهِ لعلهُ يفضي الى ذلك بمرّ العصور وكرّ الدهور . وقال ص ٤٠ : « وامّا أ كّد فوقها . . . وهي التي يقال لها نيبور » والمشهور « نُفَّر » وهو الاسم الشائع . امّا نيبور فمنقول عن (Nippur) ولو قال نِفُّور لكان اقرب الى الاصل . وقال ص ٤١ : « ومن مدن بابل التي كشفها المتأخرون مدينة صفيرة » وليس هناك موضع معروف بهذا الاسم وانما المدينة المذكورة هي « سِنقَرة » فتصحفت عليه . ونقف عند هذا الحد من التصحيح خوفاً من احداث الملل في القارئ وانما ذكرنا ما ذكرنا مصداقاً لكلامنا وأتينا بهِ بمنزلة مثال يقاس عليهِ ما بقي من الاعلام المذكورة في ذلك الكتاب

١) قد رأيتَ اغلب الكتبة في هذا العصر وبالاخص المعرّبين منهم والمترجمين يخلطون العقاب بالنسر فيسمون النسر عقاباً والعقاب نسرًا ويصفون هذا باوصاف ذاك ويصفون ذاك باوصاف هذا . وينقلون لفظة (aigle) الفرنسية او (eagle) الانكليزية او (aquila) اللاتينية

سلوقية اي نحو جنوبها كان نهر مَلْكا وقد اندرس آثارهُ في هذه الأيام. وكان يصب في دجلة وكان على بعد اربعة فراسخ من نهر عيسى المعروف اليوم بنهر الصَّقْلَاوِيَّة

ولمَّا استحوذ ڤارُس (Verus) على سلوقية رَوَى أمياُنس مرشلّينُسُ ما يأتي:

«لمَّا اخذ نُوَّاب القيصر ڤارُس هذه المدينة رفعوا منها أفلُّون الجمَّم (Apollon-

---

او ἀετός اليونانية الى كلمة «نسر» العربية. وينقلون لفظة (vautour) الفرنسية او (vulture) الانكليزية او (Vulturius و Vultur) الرومية او γύψ اليونانية الى كلمة «عقاب» العربية. وهو غلط ظاهر يرتكبهُ كل يوم اصحاب الجرائد عند تعريبهم «وسام العقاب الاسود (l'aigle noir de Prusse) فيسمونهُ «وسام النسر الاسود» وهذا الخطل لم يسلم منهُ كاتبٌ واحدٌ من المحدثين بخلاف كتبة العرب القدماء فانهُ لم يرتكبهُ واحد منهم. امَّا الادلة على ان العقاب هو (aigle) وان النسر (vautour) فكثير. منها الاتية:

١ ان ἀετός اليونانية جاءت بمعاني العقاب العربية. فمعنى اللفظة اليونانية المذكورة: كل مرتفع عالٍ لم يَطُل جدًا مثل المسنَّم وقمَّة البيت الخ. والعقاب الراية ايضًا وهذان المعنيان هما ايضًا من معاني العقاب العربية

٢ قالوا حجر العقاب وهو aétite ἀετίτης وقول المحدثين حجر النسر هو من باب التوسُّع والتسمُّح والتساهل في اللفظ لا من قبيل التحقيق والتدقيق والصحيح والفصيح

٣ ان الفلكيين من العرب سمَّوا «العقاب» من صور السماء ما يسمّيه الافرنج في هذا اليوم (l'aigle)

٤ قال العرب عن العقاب: «انهُ سيّد الطيور والنسر عريفها» وكذا قال الافرنج: (l'aigle est le roi des oiseaux)

٥ وقالوا عن العقاب: «انهُ حادُّ البصر. ومنهُ المثل: «ابصر من عقاب» وكذلك قال الافرنج: (avoir des yeux d'aigle)

٦ ان الفاصل بين هذين الجارحين هو كون وصف كل منهما غير وصف الاخر. قال الدميري: «النسر ذو منسر وليس بذي مخلب وانما لهُ اظفار حداد كالمخالب» اه. قلتُ: وهذا هو المميز الاعظم الذي يفصلهُ عن سائر الجوارح وبالاخص عن العقاب او فراخ العقاب. وعليهِ يعتمد علماء الطير من الافرنج وغيرهم من الجهابذة. وقال الدميريُّ ايضًا في وصف النسر: «وهو حادُّ البصر يرى «الجيفة» من اربعمائة فرسخ وكذلك حاسَّة «شمّهِ» في النهاية. لكنهُ اذا شمَّ الطيب مات لوقتهِ. وهو اشدُّ الطير طيرانًا واقواها جناحًا حتَّى انهُ ليطير بين المشرق والمغرب في يومٍ واحد. واذا وقع على جيفةٍ وعليها عقبان. (قلتُ: والعقبان لا تأكل الجيف بل الاحياء وانما هذا وهم منهُ. او لا وَهْمَ فيهِ وانما قال ذلك ليبين ما يصير اليهِ قتيل العقبان). تأخَّرت ولم تأكل ما دام يأكل منها. وكل الجوارح تخافهُ وهو «شرِه نَهِم رغيب. اذا وقع على «جيفةٍ» وامتلأ منها

(Apollon ونقلوه الى رومة فوضعهُ السدنة في هيكل أُفلُّون البلاطينيّ comèe)
(palatin) ويُروى انهُ من بعد أن اخذوا ذلك التمثال وحوّقوا المدينـة شرع الجند ينقبون في هيكلٍ فعثروا على دَخلٍ (foramen angustum) ففضُّوهُ رجاء ان يقعوا على كنزٍ دفين فاذا هم امـام هوَّة لا يُعرف قعرُها ولم تُفتح الى ذلك الحين لانَّ

لم « يستطع الطيران » حتَّى « يثب وثباتٍ » يرفع بها نفسهُ طبقةً بعد طبقةٍ في الهواء حتى يدخل تحت الريح وربَّما « صادهُ الضعيف من الناس » في هذه الحالة . . . وليس في سباع الطير « اكبر جثَّة منهُ » . اه فانت ترى ان ما وضعناهُ بين قُوَيسَتَين لا ينطبق بشيءٍ منـهُ على وصف العقاب او (aigle) بل كانهُ يطابق ما يسميهِ الافرنج بكلمة (vautour) . فاحفظ ذلك كلهُ واعمل بهِ ولا تغفل عنهُ

٧ً وقال القزويني في وصف العقاب . « من صغار جوارح الطير » وصغار الحيوان كالارنب والثعلب . . . قال اصحاب القنص : ان العقاب لا يروع الصيد ولا يعاني ذلك بل يكون على المرقب الاعلى اذا رأى شيئًا من الجوارح قنص صيدًا انقضَّ عليهِ فالجارح ينجو بنفسهِ ويترك الصيـد للعقاب . وهذا يزيدك ثقةً بان العقاب هو غير النسر وهذا ليس بذاك

٨ً وقال العلَّامة المذكور عن النسر ما نصُّهُ : « النسر طائر يقال لهُ بالفارسية « كَرگَس » يأكل « الجيف » حتَّى لا يقدر على الطيران » . اه وقولهُ « كَرگَس » لا يبقى شبهة في انهُ (vautour) . وكذلك قولهُ يأكل الجيف حتَّى لا يقدر على الطيران . فهو كلام لا يصحُّ في العقاب اي (aigle)

٩ً اننا قد رأينا العلَّامة الفاضل المسيو دي مورگان لمَّا اراد كتابة اسماء الحيوان والطير في بلاد فارس . أمر باحضار ما يمكن الحصول عليها (كما قالهُ لنا مشافهةً) ثم سأل عن اسمائها الفارسية فذكرت لهُ فدوَّنها في كتابهِ الشهير هكذا : (J. de Morgan. — Mission scient. en Perse. T. I. p. 38) وقد ذكر « العقاب » (falco chrysaetos, aigle) وذكر « الكركس » هكذا : (neophron percnopterus, vautour)

١٠ً واليوم لا زال العرب والاعراب في ولايتنا يسمُّون النسر ما يسمّيهِ الافرنج (vautour) ويسمون العقاب ما يسمّيهِ الفرنسيس (aigle) . قلتُ : وكان اهتدائي الى هذه الحقيقـة بواسطة مصطلح بلدتنا الزوراء بلذة التحقيق والتدقيق

هذا ومن العجب ان الشيخ ابرهيم اليازجي قد وقع في هذه المهـواة او هذه المنواة مع ما اعتادهُ من تخطئة الاقدمين والمحدثين من العلماء . فقد ارتكب هذا الغلط في كتاب بابل واشور ص ٣٤ س ١ وفي مجلَّة الطبيب لسنة ١٨٨٤—١٨٨٥ ص ١٤٨ وما يليها وفي غير ذلك ممَّا تولى طبعهُ او تصحيحهُ . فلو اشتغل في تمحيص كتاباتهِ من هذه الاوهام لافاد الادباء اكثر من افادتهِ لهم بالتعرُّض لنوابغ الكتبة ومشاهير الشعراء بما لا طائل تحتهُ . وقد قيل

لا تَنْهَ عن خلق وتأتيَ مثلهُ عار عليـكَ اذا فعلتَ عظيمُ

الكلدان كانوا قد احكموا سدّها بوسائط خفيّة . فانبعث منهـا جوهرٌ وبائيّ (labes primordialis) سبّب أمراضاً عضالة ونشر اجنحة وبالهِ من تخوم بلاد فارس الى نهر الرّين في بلاد غالية وذلك منذ عهد ڤارُس الى عهد مرقس انطونينُس (١ اه

وقد خربت سلوقية قبل الفتح الاسلامي ولهذا لم يذكرها العرب بين المدن التي يُطلق عليها اسم المدائن . وهي التي محت اسم بابل في زهوها . كما ان طَيسفون محت اسم سلوقية وبغداد محت اسم طيسفون . وكان المعتصم اراد محق اسم بغداد ببنائهِ « سُرّ من رأى » لكن خاب مسعاهُ

(ج) « طَيْسَفون » ويُقال فيها طَيسفون كما سمّاها الطبريّ هي مدينة حاضرة اكاسرة الفرس بناها الاشكانيون وجعلوها مباءةً لسطوتهم ونفوذهم . وكانت في حالةٍ زاهية في العهد الذي كانت بابل لا بل وسلوقية ايضاً قد خربتا . وممّا يحسن ذكرهُ ان جميع الوسائل التي بذلها الرومانيون من كراسُوس (Crassus) الى يوليانُس المارق (Julien l'apostat) ذهبت ادراج الرياح بازاء طيسفون . امّا اوّل من بناها فلا يُعرف بالتحقيق وكان في مكانها حصنٌ حصين عظيم كان الاشكانيون يشتّون فيهِ في زمان سطوتهم في العراق لصفاء الجوّ هناك . وكان بجوار الحصن سلوقية المذكورة . ثم اخذ الناس يبنون حول الحصن البناء بعد البناء طلباً للامانة بمجاورتهم لقصر الملك او تملّقاً لهُ وتزلّفاً منهُ . وما زالت الحـدائق والدور والمصانع والقصور تُبنى على كرور العصور حتى قام أردان (Vardane) من ملوكهم فحسّن المدينة وزاد في بهائها ورونقها حتى نسب البعض اليهِ بناءها وهو وهمٌ ظـاهر وقع فيهِ صاحب كتاب بابل واشور (ص ٣٤) وبعد ذلك تأتّى بها فيروز الملك (ومعنى اسمهِ الملك المظفّر) (Pacore) وحصّن اسوارها وزاد في سكّانهـا وسمّاها باسم يوناني طيسفون (Κτησιφῶν) وجعلها من ازهى مدن بلاد فارس (٢ (Persidis effecit specimen summum) وطيسفون هو اسم الحصن القديم المذكور فُوَيق هذا . وفي القرن الثالث للمسيح بنى سابور ذو الاكتاف الايوان الشهير (عن المستطرف ٢ : ١٢٧) ثم رمّمهُ بعـد خرابهِ كسرى انوشروان

١) راجع : Amm. Marcell. XXIII, 6

٢) راجع : Amm. Marcell. XXIII, 6

فأُضيف الى اسمهِ حتى صار يُعرف باسم « ايوان كسرى انو شروان » (المستطرف) او « ايوان كسرى » . كما ورد ذلك في كتبٍ عديدة من مؤلفات العرب

وكان بحذاء طيسفون مدينة أُخرى يُسمّيها الافرنج كوش (راجع كتاب جبّنس (Gibbons) في هذه المادة) وسمَّاها العرب بَهُرَسِير (الكامل لابن الاثير ٢ : ١٩٧) بمنزلة ربضٍ لطيسفون . ويصلها بهـا جسرٌ كبيرٌ متّخذ من السفن كما هو اليوم جسر بغداد . وكان سور طيسفون منيعاً غاية المناعة عليهِ الابراج والقلاع . ومما كان يزيد حصانتهُ مياه دجلة من جهةٍ والآجام والمستنقعات من الجهات الاخرى حتى اصبحت طيسفون كانها جزيرة قائمة في وسط العبـاب . وقد استحال على الاعداء الدُنوّ من اسوارها اذ دون البلوغ اليها خرطُ القتاد وانهيالُ نبال الفرسِ العداد

ولما كانت طيسفون مبنيَّة على شاطئ دجلة من الجانب الواحد لزم لهـا بالضرورة بناء سدٍّ متين في وجه المياه وهذا ما يسمّيهِ اهل العراق بالمسنَّاة وبالفرنسيَّة (quai) غير انهُ لما كان الماء لا بُد منهُ فاهل العراق يبنون سلَّماً بين كل عشرة امتار تقريباً للشاربة والواردة . وفي وجهِ المسنَّاة تُدَقُّ حلقٌ متينة من الحديد او يُبنى مع الآجرّ قطع عظيمة من الرخام الاسود يُجعل رأسهُ المثقوب بارزًا الى الخارج بمثابة الحلَق تُربط اليها السفن او زوارق اصحاب القصور . ولمَّا كانت طيسفون وُصلَةً بين الشرق الاقصى والهند وبلاد فارس من جهةٍ وبين بلاد الروم ومصر من الجهة الاخرى فكنت ترى يومئذٍ مشارع طيسفون غاصَّة بالسفن وبها من خلق الله ما لا يُحصى عدُّهُ ومن كل امةٍ وجيل ما لا يبلغ الطرفُ حَدَّهُ

وما زالت طيسفون من العزّ والزهو بمناط الثريَّا حتى ظهرت أعلام الاسلام تخفق في بطون الاودية وعلى رؤوس الأعلام الى ان تقدَّمت الى حاضرة الاشغانيين ففُتحت في صفر سنة ١٦ هـ (٦٣٧ م) على يد سعد بن ابي وَقَّاص

امَّا الغنائم التي غنمتهـا المسلمون فحدّث عن البحر ولا حرج . وقد ذكر ابن الاثير في الكامل (٢ : ١٩٩) بعضاً منها . من ذلك «عَيْبتانِ» في احداهما خمسة اسيافٍ . وفي الاخرى ستة أسيافٍ وادراعٌ . منها : درع كسرى ومغافرهُ ودرع هِرَقْل ودرع خاقان ملك الترك ودرع داهر ملك الهنـد ودرع بهرام جوبين ودرع سياوخش ودرع النعمان استلبها الفرس أيام غزاهم خاقان وهرقل وداهر . وامَّا النعمان وجوبين فحين هربا من كسرى .

والسيوف من سيوف كسرى وهرمز وقُبَاذ وفيروز وهرقل وخاقان وداهر وبهرام وسياوخش والنعمان » (اه عن ابن الاثير بحرفهِ) . ومن تلك الغنائم ايضاً « القطيف » وهو : « بساط واحد طولهُ ستون ذراعًا وعرضهُ ستون ذراعاً مقدار جريبٍ (والجريب يُساوي مسحةً مساحتها هكتار) كانت الاكاسرة تُعدُّهُ للشتاء اذا ذهبت الرياحين شربوا عليهِ . فكأنهم في رياضٍ فيهِ طرق كالصور . وفيهِ فصوصٌ كالانهار ارضها مذهبة . وخلال ذلك فصوص كالدر وفي حافاتهِ كالارض المزروعة والارض المُبقلة بالنبات في الربيع والورق من الحرير على قضبان الذهب . وزهرهُ الذهب والفضة وثمرهُ الجوهر واشباه ذلك . وكانت العرب تسمّيه القطيف . فلما قدمت الاخماسُ على عُمرَ نفلَ منها من غاب ومن شهد من اهل البلاء . ثم قسم الخُمس في مواضعهِ . ثم قال : « أشيروا عليَّ في هذا القطيف » فمن بين مشيرٍ بقبضهِ . وآخر مفوّض اليهِ . فقال لهُ عليّ : « لم يجعل الله علمك جهلًا ويقينك شكًّا انه ليس لك من الدنيا الّا ما اعطيتَ فأمضيتَ او لبستَ او اكلتَ فافنيتَ وانك ان تُبقِهِ على هذا اليوم لم تعدم في غدٍ من يستحق بهِ ما ليس لهُ » . فقال : « صدقتني ونصحتني » فقطعهُ بينهم (!!!) . فاصاب عليًّا قطعةٌ منهُ فباعها بعشرين الفًا وما هي باجود تلك القطع » . اه بحرفهِ عن الكامل

وما زالت طيسفون (التي يسمّيها اغلب العرب بالمدائن كما رأيت من باب تسمية الجزء باسم الكلّ) في انحطاطٍ واضمحلال حتى لم يبقَ منها اليوم الّا شيء من ذلك الايوان الشهير . ونصفهُ في عدد آخر ان شاء الله (الباقي للآتي)

مآثر العراقيين ودوائر البابليين السابقين

لجناب الدكتور الفاضل نابليون ماريني البغداديّ (تابع لما سبق)

(الصنائع) لا غرو اذا قلتُ من الواجب على العراقيين الحاليين تأدية الشكر الى البابليين عما اورثوهم من الارزاق ما يقوم باودهم منذ اجيال مديدة وعليهم ايضاً ان يذكروا فضلهم في كل آن إذ ان عيشة السواد الاعظم منهم متوقفة اليوم عمّا أخذوه عن اولئك القدماء من الصنائع والمعارف والفنون الخ

ان العالَمَين الحديث والقديم يعترفان بفضل النمارق ومنافعها في فصل الشتاء ولقد طالما أمعن الاوربيون نظرهم لينسجوا على منوالها فلم يرجعوا عنهـا بغير خُفَّي حنين. هوذا تجار الفرنجة لم ينقطع حبلهم الى يومنا لابتياع النمارق وخصوصاً العتيقة منها قصد الربح. وهذه الطنافس هي شغل نساء الأكراد او نساء العجم ورجالهم يبعثون بها الى بغداد والبصرة وسائر البلاد العراقيَّة لتُباع في فصل الشتاء. وكذا كان جاريًا قديمًا وهو ان النساء البابليات وحدهنَّ كنَّ يشتغِلنها والشاهد على ذلك ما ذكرهُ لنورمـان في كتابهِ وهو: « انَّ النساء ينسجنَ الثياب الملكيَّة والسجادات (النمارق) ذات التصاوير المفتنة الالباب التي أصبحت في أيامنا أمثلة يُنسج عليها (١) »

واغرب من الخرقـة الملاءة (وبلسان العراقيين الإزار) وهي تُصنع من الحرير وحدَهُ المختلف الالوان او من الحرير والقصب ولقد طالما اجتهد الاوربيّون في حلّ معضلة نسجها فلم يتوفقوا الى معرفتها. فالبغاددة وحدهم يدركون كنهها وكيفية شغلها ويُرسَل من الملاءت الحريرية السوداء اللون كميَّة وافرة الى حلب والى الشام والموصل والى جميع مدن العراق

واعجب من الملاءة الشالات المشهورة بتصاويرهـا العديدة ونقوشها الفريدة ما يخلب العقول وهي شغل ايادي الرجال كلُّها من الصوف

واذا دخلت بيوت بغـداد او مررت بمخازنها يقع نظرك على نارجيـلات من الفولاذ الفاخر منزَّل فيهِ الذهب والفضة وليس من جامع او مأذنة الّا وفيهِ الطاباق المطلي بالدهان الازرق والعراقيون يسمُّونهُ (الطاباق الكاشي) والمراد منهُ ترويق المحلّ او كتابة آية من الآيات او لتخطيط تاريخ موضع مهمّ او ما شابه ذلك. واليوم في العراق عيال عديدة تتعيَّش من صنعة نقش الانسجة بالقصب ولا يخلو بيت عراقي الّا وتجد في صندوقهِ شيئاً منقوشاً بالقصب وخصوصاً جهاز العروس والطفل المولود جديدًا والعباءات الخ

وقد ادّى بنا البحث والتنقير الى ان نقول ان الصابئة قد حافظوا بالتدقيق على فنّ

---

(١) راجع تاريخ لنورمان (Lenormant,: *Hist. anc. des peuples de l'Orient*. T. V, p. 32)

الصياغة الذي ورثوه عن الكلدانيين اجدادهم . فأنهم مشهورون باشتغال الميناء السوداء والنقش والتصاوير في اي معدن رغبتَهُ ولهم اليد الطولى في تلك الصنعة وكفى الخاتم شرفًا ان يكون من صنع الصابئة وهو لا يكون مرتفع القيمة الّا اذا كان من شغلهم

والعراقيون قاطبةً يستعملون اليوم في منازلهم لشرب الماء وتصفيتهِ وتبريدهِ اوعيةً من التراب الاحمر المشوي بالنار ومنها تُتَّخذ الاقداح والاحباب والجرار والأباريق الخ. والبغاددة ايضاً يحكمون جيدًا صنع الخوابئ المدهونة بالطلاءْ الازرق ولهم الباع الطولى في اصطناع القناني والقناديل والمعاضد والخواتم والخرازخ كلها من الزجاج المطبوخ وينسجون في بغداد الثياب من القطن المغزول او من الصوف او من الحرير مخلوطاً بقطن مغزول . وينسجون ايضاً العباءات من الصوف وحده او من الوَبَر مخلوط بالقصب

وشهرة الكوفيات لا يمّحق من ذاكرة الاوربيين لدقّة شغلها البديع وكل ما ذكرناهُ عن الصنائع والفنون محصور كل صنفٍ منها بعائلة او بطائفةٍ واحدة يعلّمها الآباء اولادهم ويتوارثونها أبًا عن جدّ بنوع ان تلك العائلة او تلك الطائفة تعيش في الرغد منذ اجيال عديدة لا يسابقها في ميدانها نافخ نار . ولا يجاريها غيرها في سوق الاسعار . الّا انّ هناك الطامّة الكبرى اذا اخذت اعضاء تلك العائلة بالتناقص يومًا بعد يوم واندثرت آثار اعمالها . فلا يعود للصناعة التي امتازت بها ان يقوم لهـا قائم ويكون قد حكم عليها الدهر بالانمحاق من سفر الوجود . فالصابئة مثلًا طائفة كانت في القرون السابقة رافلةً باثواب العزّ والافتخار وحازت في عهد الخلفاء العباسيين مجدًا مؤثّلًا وعزًّا واقتدارًا حتى لا يصدَّق انهُ ضارعها طائفة من الطوائف في عهد الخلفاء . وكان عددها يومئذٍ يربو على المئات من الالوف اما الآن فلا يُعدّ اصحابها الى ما يفوت الألفين

فلنتأمل الآن مليًا لنرى هل كان الاشوريون والبابليون يتعاطون الصنائع المارّ ذكرها وما الشاهد على ذلك قال الموسيو لنورمـان عن الطنافس والانسجة الصوفيّة وغيرها : « ان انسجة الصوف والكتان التي تشتغلها معامل بابل كانت قد حازت اعتبارًا بلغ الدرجة الاولى من الاهميّة كما انهُ في استحضار الأقبية (جمع قباء) والطنافس لم يسبقها اليهِ احد من قبل . وكانت المعامل حينئذٍ توجد في بابل وفي سائر بلدان المملكة حتى نفس الارباض . ومَنْ ذا الذي يقف على دقّة تلك الانسجة وزخرفتها ولا يعترف

بلباقة نُسّاجها وبذوقهم السليم واغرب من ذلك ان النساء وحدهنّ كنّ يشتغلنها في اوقات الفراغ. واماَّ الفرس خلفاء الكلدانيين فقد حافظوا بكل تدقيق على نفس تلك العوائد والصنائع والمنازل (١)»

وقال فيلوستراتوس عن البابليين فيما يتعلق بالتطريز بالقصب: «لا عجب اذا يُحسن البرابرة جيدًا نقش التصاوير المختلفة الاشكال على الانسجة. بل العجب كلّ العجب من وضع القصب خلال الانسجة طبقًا لرغائب الطالب». وقال الموسيو اوجين منتس (E. Muntz): «... بالحقيقة ان لفظة الانسجة البابلية وبالاخص اللُحف البابليَّة اي التي يذكرها دائمًا الشعراء. اللاتينيُّون بلفظ «Babylonica peristromata» تفوق كل وصفٍ»

وكان عشَّاقها برومية يبتاعونها بثقلها ذهبًا فانَّ متلُوس سِيپيُون (Metellus Scipion) دفع ما يساوي اليوم ١٦٨٠٠٠ فرنك لمشترى مُتّكاٍ ثُلاثي بابلي (triclinaria babylonica). ودفع الملك نيرون لنفس هذه الانسجة مبلغًا يساوي اليوم ٨٤٠٠٠٠ فرنك» قال لنورمان: ظل الشرق الى يومنا هذا المكان الوحيد الحائز الصناعة والتطريز والنقش الذي تركتهُ ممالك اشور وبابل بعد اندثارها كلّ ذلك مما يثبت ويؤيد تقاليد اولئك الشعوب المتمدّنة. فان انسجة ذلك العصر المطرزة بالقصب المشتملة على التصاوير المبهجة والالوان الطبيعيَّة جعلت شهرة اصحابها تغني عن وصفهم في كل اقطار العالم (٢)»

وقال المؤلف نفسه في موضع آخر ما فحواه: «ان القدماء كانوا يحكمون احسن الاحكام تنزيل الذهب والفضة على الفولاذ حتى ان هذه الصناعة في الازمنة المتوسطة احرزت شهرةً عظيمة لمدينتي الشام وبغداد وان سكانهما كانوا يحسنون ايّ احسان الترصيع والشغل بالمينـاء والحفر على الحجر وتجهيز الزجاج. فكل هذه الفنون كان يتعاطاها الكلدانيُّون وكان الفعلة ايضًا يعجنون ويشوون التراب الاحمر لصنع الطاباق والاوعية الفخاريَّة (٣)»

وترى في المتحف البريطاني اوعيةً من الفخار كالجرار والخوابئ والاقداح والزُّرَن

١) راجع الكتاب ذاتهُ Idem T. V. p. 103 et 107

٢) Idem T.V, p. 106 et 109 ٣) Idem T.V, p. 110 et 111

(الزُرْنَة تصحيف سُورنا الفارسيَّة ويُراد بها آلة من آلات الطرب) والبرَادات الدقيقة الرقبة الطويلتها والعريضة الاسفل وُجدت في قبور الكلدانيين. قال الموسيو اوپير: « يوجد في شمالي بغداد رَبَضٌ باسم موسى الكاظم يسكنهُ اناس هم من بقايا الكلدانيين لهم صنائع فائقة كالنقش والتطريز والصياغة وخصوصاً الحفر على الحجر الصلب والبعض منهم قد احرزوا درجة سامية من المهارة من ذلك اني وقفتُ على بعض العاديَّات المزوَّرة فألفيتها تضاهي كل المضاهاة العاديات الحقيقة فكثيرًا من الرُّوَاد البسطاء يخدعون بها (١ »

قال لنورمان عن الطاباق المطلي بالازرق: « ان جميع منقوشات قصور نينوى مدهونة بالوان باهرة ولا يزال موجودًا منها قطع تزيّن متاحف اوربة. وتلك الصناعة كانت منتشرة في بابل اكثر ممَّا كانت في نينوى غير ان صور نينوى المحفورة لم تكن ملونة بدهن خصوصي كما كانت صور بابل بل كلها من الطاباق المدهون بالميناء . . . »

ويشاهد اليوم الرائد في جهات بابل قطعاً عديدة من الطاباق المطلي بالازرق منتشرًا على التلال ممَّا يدل على ان الكلدانيين كانوا يكثرون من استعماله. قال ديودورس (ك ٢ ع ٦ و ٨) : « كان يُشاهد على جدران بابل التي بناها نبوخذنصر الملك اصباغٌ مختلفة الالوان تمثل انواعاً من الحيوانات »

وقال حزقيال النبي (٢٣ : ١٤ و ١٥) في معرض كلامهِ عن اورشليم: « . . . انَّها رأت رجالًا منقوشين على الحائط صور كلدانيين منقوشة بالمغرة متحزمين بمناطق على احقائهم وعلى رؤوسهم عمائم متهدّلة ولجميعهم مرأى ثُلاثيين وشبه بني بابل الكلدانيين في ارض مولدهم » (٢

ولم يَسعْ المؤرخ الكلداني بيروز عن ذكر الطاباق المطليّ لَمَّا تكلم عن هيكل بَلْ او بَعْل الذي كان مزيَّناً بعدة صور خرافيَّة عجيبة المنظر(٣

وهاك ما قال لنورمان عن الخوابيّ المدهونة: « قد اكتفى (اي القدماء) بنقش

(١ J. Oppert : *Expédition scientifique en Mésopotamie*, T. I. p. 130

(٢ Bérose, *fragments* T. 4

(٣ Lenorment. T. V, page 348

حوالي لم الخوابي بادهان تمثّل زهورًا او خطوطاً لا معنى لها واشكالًا بيضيّة الهيئة ومعرفتهم بهذه الصنع ضعيفة جدًا. فهذا الامر اذن هو الشائبة الوحيدة التي تبيّن أنّهم لم يتوصلوا الى اصلاحها البتّة كما فعل اليونان الذين فاقوهم بهذا الفنّ » . اه

الاديار القديمة في كسروان

لحضرة الاب الفاضل ابراهيم حرفوش المرسل اللبنـاني (لاحق بسابق)

رأينا قبل ان نواصل كلامنا عن الحوادث التي جرت في دير مار شليطا بايام رئاسة البردوط سركيس محاسب رئيسهِ الثاني ان ننشر ترجمة اشرف ضيفٍ حلَّ في هذا الدير وهو علّامتنا اسطفان الدويهي الذي لا يزال ذكرهُ حيًا في مار شليطا وليس في مكتبتهِ كتابٌ واحد الّا وقد خطّت يدهُ الكريمة فيهِ عبارةً او اصلحت غلطاً. فلا غرو اذا اثبتنا هنا ترجمة حياتهِ منقولة عن تاريخ الازمنة المحفوظ في مكتبتنا دير الكريم ندوّنها بحرفها الواحد:

ترجمة الدويهي نقلًا من تاريخ الازمنة

« ان هذا المغبوط منذ نعومة اظفارهِ اسلمهُ والداه الى المدارس واكتساب العلوم ثم لزود حسن عملهِ أُرسل الى رومية لمدرسة الموارنة التي ابتناها البابا غريغوريوس فتهذّب بالعلوم اللاتينيَّة واحكم الفصاحة والبلاغة والعلوم النحويّة والمنطقية والطبيعية والرياضية واللاهوتية حتى لم يكن أعلم منهُ في بني عصره غربًا وشرقًا واحذق باليونانية والرومية والعبرانية وافصح بالسريانية. وانهُ لمّا كان متوسطاً بالعلوم صدفهُ وجع في عينيه حتى ما عاد يقدر ان يقرأ فحزن لذلك معلمهُ البادري ترالامورس ينسنساس(١ لما كان يظهر من قداستهِ وطهارة حياتهِ ولانهُ كان نامي بالعلوم كنمو السوسان فنزل الى الكنيسة بالمدرسة وجثا على ركبتيهِ امام ايقونة امّ الخلاص وطلب منها. فيا للعجب حالًا بشفي غير انهُ

١) في هذا الاسم تصحيف. وجاء في مقدَّمة تاريخ الطائفة المارونية انهُ كان يدعى تريلا بنسنسوس

نذر لها نذرًا لم يعلم به احد حينئذٍ ففرح الجميع بشفاء اسطفانوس. وبعد ما اكمل كافة العلوم اخذ يطوف مدارس ومكاتب رومية وينسخ كل شيء يجد مذكور فيهِ الموارنة. ثم انهُ اراد الرجوع الى جبل لبنان بلدهِ فايست منهُ الرهبان انهُ يدخل في رهبنتهم فلم يعلموا الى ما كان الله داعيه اليهِ لانهُ حين وصولهِ قبل وضع يد القسوسيَّة ثم البردوطية وارسل منذرًا الى حلب فاخذ يعظ الشعب ويعلم ويتلمذ في سائر الطوائف حتى انهُ صار كالمصباح في بيعة الله (١

١) عثرت في مكتبة طائفتنا في حلب على كتابة معلقة على آخر كتاب غره ٨١١ نسخ سنة ١٩٨٢ يونانية سنة ١٦٧١ للمسيح وهذا الكتاب يحوي فرض مار رومانوس ومار ايلياس ومار جرجس ومار تدَّاوس وهذه الكتابة تشهد لما فعلهُ الدوجي في رسالتهِ الى حلب وهاك الكتابة بالحرف: «تم وكمل هذا الكتاب وذلك بايام رئاسة راس الرؤساء والاَّجات المتوج باعلام الشرف والكرامات المعلم الفاضل والعالم العامل الفيلسوف الروحاني فم الذهب الثاني الراشد لرعيتهِ غاية الارشاد المناضل في سبيل الحق والسداد. السريع بالجواب في معرفة الجدال. الوارد لمتحنيهِ اوراد الرجال الابطال. الهادم منازل افكار الضالين بواضح المقاييس والبراهين. الذي تعليمهُ جوهر محيي النفوس. السعيد بالله البطريرك الانطاكي ماري اسطفانوس. السالك في آثار الاباء القديسين المقيم في الدير المعروف بقنوبين. كان سابقًا كاهنًا جهذه الكنيسة يكرز وينهى عن الاضرار للخطأة العذاب المؤبد وجنة الخلد للابرار. ولم يُسمع عندنا مثل كرزه التالي لشروح البيعة السعيدة الحاوية لمثل هذا الكنز الحافظ لكتب العتيقة والجديدة. فانهُ شخَّصها بالآراء المقبولة عند جميع الطوائف واظهر لهم بيّنات يأمن فيها الخائف من الخائف. ولوَّح بتلويحات جها اذرف عيون الخطأة وابكاها. وصرَّح بتصريحات ادمى جها قلوب العصاة وانكاها. وبذر حبات المحبة الالهية في اراضي القلوب وبيَّن انَّها تستر العيوب. فيا لمعجزات وعظهِ كم احيت من نفوس كان الحَوْب قد اماتها. ويا لآيات خطبهِ كم فكَّت قلوبًا من اسر ذنوبها باصوات نغماتها. ويا لعجائب تعليمهِ كم جذبت اليها عقولًا بدقائق جذباتها. ويا لغرائب تقويمه كم ردت اعوجاج طبائع الى مطبوعاتها. فانهُ لم يرَ نصًّا الَّا شرحهُ ولا مشكلًا الَّا اوضحهُ. ولا معنى مقفلًا الَّا فتحهُ. فطوباه من امام لم يدع عيوبًا برعيتهِ الَّا وبادر بازالتها من اذهانهم. وهنيئًا لهُ من راعٍ صالح لم يدع ذرةً من الفضيلة الَّا الزمتهم تعاليمه باكتسابها ولا غادرة صغيرة من الرذيلة الَّا منعتهم مواعظه عن ارتكابها. فنسأل السيد المسيح الموصوف بالاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس ان يديم علينا رئاسته وينعم علينا بفهم معاني ما اوردهُ والعمل بما ذكرهُ امين

ويلي هذه الكتابة دعاء للمطران جبرائيل البلوزاني ووصف فضائلهِ ثم تقاريظ لكهنة عصر الناسخ في حلب ومديح معلمهِ الخوري يوحنا الحصروني وهاك اسماء الكهنة: الخوري يوسف الشاب الخوري شحاذه القس فرج الله. هؤلاء التجار الروحيين (مديح) وفي الاخر اسم الناسخ:

« فلموضع قداسته طلبت الطائفة الى السيد البطريرك ماري جرجس(١ ان يقيمهُ مطرانًا فاجاب سؤالهم وقسمهُ (٢ اسقفًا وارسلهُ الى جزيرة قبرس. وبعد قليل من قسمته حدث انَّ في غيابهِ انتقل الى ملاقاة ربّه البطريرك جرجس البسبعلاني في مار شليطا مقبس. ومن زود الطاعون ما قدر السادات المغبوطون المطارين المحترمون ان يجتمعوا لاقامة بطريرك. اما اسطفانوس فلم يبلغهُ خبر انتقال البطريرك غير انهُ كان تمم تدبير مرعيتهِ (٣ القبرسيَّة وترل في قوف (٤ الى طرابلس فوصل بيومهِ فوجد اتفاقًا مكاريَّة الكرسي بالمدينة المذكورة فحمَّل حوائجه وتوجَّه الى دير قنوبين فوجد هناك المطران جرجس حبقوق(٥

« والخاطي الخرطش طالب ممَّن وقف على هذه الاحرف الذميمة الرحمة والمغفرة معروف باسم يوسف ابن الشماس جرجس ابن يوسف وفي تلك السنة جماعتنا الموارنة اشتروا حوش الوقف الكائنة في قفا الكنيسة بناية الوكلاء الساعين بالخير وانجمعت دراهمها من الطائفة جمعة المولى المكرَّم والسيّد المعظم الاب الجليل المطران جبرائيـل. الله يديم قداسته. واتفق ان ثمن الحوش قدره موافقًا لتاريخ سنين المسيح الموجود بهذا الكتاب (يعني ١٦٧١) والمجد لله وعلينا رحمته الى ابد الابدين امين. اهـ

١) البسبعلي

٢) لا يزال الاقباط حتَّى يومنا يستعملون لفظة «التقسيم» ويريدون بها الرسامة

٣) سريانية اي رعيته

٤) مركب صغير عند الملاحين

٥) ان المطران جرجس حبقوق عمّر كثيرًا واتصف بصفة جليلـة وهو انهُ لم يكن يدخل ديرًا ولا يطالع تاريخًا الّا كتب عليهِ ما كان يعلمهُ من الحوادث ومن جملة ما اتحفنـا بهِ هذا الاسقف كتابة مهمة علقها على تاريخ الازمنة للدويهي الموجود في مكتبتنـا وهذه الكتابة بختمه وختم المطران ميخائيل بلوزاني وهي تنبئنا عن حالة البطريركية قديمًا قبل انعقـاد المجمع اللبناني اذ ترد لنا سيرة البطاركة الذين عاش في ايامهم من البطريرك حنـا مخلوق الى جرجس البسبعلي وهذه الكتابة هي معلقة على الصفحة ٣٢٥

واظن ان هذه الكتابة كان كتبها حبقوق على كتاب اخر غير كتاب تاريخ الازمنـة فلمَّا جُلِّد التاريخ ضُمَّت اليهِ بدليل ان هذه الكتابة لا محلَّ لها في هذا التاريخ وليست بموضوعة في محلّ يناسب لتاريخ الحوادث المسطورة حيث لُصقت. والكتاب صفحاتهُ منمـرَّة بقلم رصاص بارقام عربية وهذا التنمير حديث. اخيرًا نقول ربَّما كان ناسخ التاريخ ترك بعض اوراق بيضًا دون ان يسطر عليها شيئًا كما جرت العادة عند كثيرين فلق حبقوق هذه الكتابة على الاوراق البيضاء من الكتاب وهاك الكتابة بحروفها:

والمطران جبرائيل (١ والمطران بولس واخبروه عن نياحة البطريرك وفي الغد قدموه الى هذه المرتبة العالية وهي البطريركية الانطاكية وكتبوا الى بقيّة المطارين وارسلوا عرفوا نادر الخازن قنصل بيروت الماروني. واما القديس اسطفانوس فانهُ





ܓܘܪܓܝܣ ܡܣܟܝܢܐ	جرجس الحقير	ܓܒܪܐܝܠ	جبرائيل
ܒܫܡܠܢܝܐ ܡܝܛܪܦܘܠܝܛܐ	البشملاني مطران	ܡܝܛܪܦܘ	مطران حلب
ܕܥܩܘܪܐ	العاقورة	ܕܚܠܒ ܡܣ	الحقير

وَجه تحرير الاحرف هو اني انا المطران جرجس حبقوق البشملاني اشهد واتكلم عن ما كانوا سالكين ساداتنا البطاركة الذين سلفوا قبلنا وعلى زماننا ونفهم جيدًا تدبيرهم وسلوكهم مع بعضهم بعض. اولًا بحق البطرك المرحوم يوحنا ابن مخلوف كان رجل جيد سالك بتقوى الله ومهتم في عمار دير الكرسي قنوبين وجدّد لهُ ارزاقًا كثيرة في ارض الزاوية زيتون لم تنضبط اصوله وطاحون وتوت وغيرهم. وكان ساعي هو ومطارنه ايضًا في خلاص الرعيّة ومتفقين في محبة الله وكان ابن اخته المطران عبد الله متوكل بدايرة دير الكرسي بالقليل والكثير. وعند ما قضى اجله البطرك حنا الى رحمة باريه تخلف عوضهُ في الكرسي جرجس ابن عميرة بطركًا وبعث لرومية القس ميخائيل الحصروني حتى يجيب لهُ تثبيت من قدس الحبر الاعظم من غير شور مشايخ الشعب ومكاتيبهم. وعند ما وصل القاصد لرومية فكان هناك ثلاثة مطارين من الموارنة وهم المطران سركيس ابن الرز والمطران جرجس ابن مارون من اهدن والمطران اسحاق الشدراوي كانوا في قضا بعض مصالح لذاتهم فابن الرز كانت رَوْحته بسبب تثبيت اخوه البطرك يوسف وسكن هناك وعند ما عرفوا في المرسال قالوا لهُ: اين مكاتيب حضرة المشايخ بيت الخازن وبيت حبيش وباقي اعيان الطايفة. فقال لهم الحق ولم قدر ان ينكر قايلًا: ان البطرك ما شاور لاحد لا لبيت الخازن ولا لغيرهم. فقالوا لهُ:

١) هو جبرائيل البلوزاني الذي خلف الدويهي سنة ١٧٠٤ واستمر سنة وثلاثة اشهر ومات بعد وصول التثبيت اليهِ بشهر اي في اول ت ١ من شهور سنة ١١١٧ هجرية كما وجدت على هامش كتاب في مكتبة مار شليطا

احضر الشماس يوسف الحصروني وقسمهُ قسيساً وارسلهُ الى رومية لتقبيل الاعتاب الرسولية ودمي الطاعة لقدس الحبر الروماني كالعادة واصحبهُ مطارين الطائفة واعيانها

ما يمكن ان يتم لك حال اذ لم تجي مكاتيب المشايخ بيت الخازن وبيت حبيش فالتزم انهُ عاود فارغ خايب من التثبيت لعند بطركه . وعند ما تحقق جرجس ابن عميرة ان لم يصير لهُ تثبيت بطركية على ملة الموارنة الّا برضا المطارين والاعيان المذكورين اضطر انهُ اجتهد اجتهاداً جزيلًا على حضرة المشايخ بيت الخازن وبيت حبيش وطيلع منهم مكاتيب ومن المطارين الموجودين عنده في بلاد الشرق وسفّر جم القاصد ثانياً الى رومية حتى جاه التثبيت . وبعد جلوسه بقليل على كرسي البطركية صار عليه ضنك من جانب دولة طرابلس وكان متولي ضبط ايالة طرابلس محمّد باشا الارنوطي وكان كاخيته مصطفى باشا ابن الصهيوني فطلبوا البطرك ابن عميرة يحضر امامهم . وعند ما حضر في صراية طرابلوس صار بينه وبين الكاخية حديث فسقط بعثرة منهُ كما قال سليمان الحكيم لولده : « يا ابني اياك من عثرة اللسان فان عثرة الرجل تبرا وعثرة اللسان لم تبرا » فلاجل تلك الكلمة حط عليهِ ابن الصهيوني ولم يزل يفتح لهُ منـاقب مثلًا ويكلفهُ حتّى بلصهُ بثلاثة عشر الف غرش أسَديَّة وكل هذه الحصارة والبلص ما اعتلمنـا ولا سمعنا انهُ كلف المطارين ولا اعيان الشعب من ذلك درهم الفرد بل من مال الكرسي تكلّف ذلك . وكانوا في زمـان بطركيته المطران اسحق الشدراوي وكان لهُ اولاد وسكّنهم في زوق مصبح وجدّد لهم رزق وحارات (١ وغير ذلك من ماله وكان متسلم رعية ويهتم في خلاص النفوس لانهُ كان معلم ثقيل وصنف الفراماطيق المطبوع برومية المعروف بالاسحاقي وعند وفاته اولاده تولوا على متخلفاته ولم احد عارضه بشيء لا بطرك ولا غيره . وكذلك كان المطران يوسف العاقوري في زمان ابن عميرة وعمّر دير مار حنا حراش في بلاد كسروان وكان متسلم رعية ومن ماله عمّر الدير المذكور وهو في الرعية . وكذلك المطران يوسف البلوزاني كان يدور في الرعية كل زمـانهِ . وعند وفاته اولاده تولوا على متخلفـاته لان هولاء المطارين كان لهم اولاد (٢ وتولوا على الميراث كما ذكرنا والذي لهُ دير كان رزقه وميراثه لديره كما هو واضح الشي الى الان . والبطرك ابن عميرة لاجلِ ازدراهُ في الرهبان والعشيرة التي كانت بدير الكرسي فلّوا من حواليـه ما فضل الّا كاهن يسمّى رزق الله من عين البارده من بلاد عكّار وراهب لا غير . وكان المطران عبد الله المتوكل على زمان البطرك حنا ابن مخلوف باقي في الحياة فضيّق على ابن عميرة بسبب الحزينة فما امكنهُ ان يظهر ذلك للبطرك ابن عميرة لانهُ كان غير اهلها من عجزه . كانوا شمامسته يتعانوا الرباب وآلة الطرب . لاجل ذلك المطران المذكور

١) يوجد على راية زوق مصبح حارة تدعى حارة المطران ليومنـا هذا تُشاهد من طريق العربة المؤدي الى عينطورا مقابل دير البشارة للروم الكاثوليك

٢) يريد انّهم ترملوا ثم ارتقوا الى المقامات البيعية . علّقنا هذه الحاشية لفهم الغربيين فان الشرقيين يعلمون عوائد بلادنا بشأن زواج الكهنة

بمكاتيب التوسل الى قدس الحبر الاعظم ماري اينوشنيوس ١٠ (١ طالبين من قدسهِ ان ينعم عليهم ويثبت لهم اسطفانوس المذكر. فلمّا وصل القاصد الى رومية قبلهُ الحبر الاعظم احسن قبول. وفرح كثيرًا بمكاتيب السيد البطريرك والمطارين والطائفة وانعم عليهِ بدرع كمال الرئاسة. ورجع القاصد بغاية السرور ووصل الى بين اقدام السيد البطريرك وقرأوا منشور البركة والتثبيت المرسول من الحبر الاعظم بحضور المطارين واعيان الشعب. واخذ البطريرك المذكور في تهذيب الكهنة وقسمتهم وفي السعفة ببنيان الكنائس

اخفى المال عن البطرك وجاب القس سمعان التولاني وأمّنه على ذلك وقال لهُ: «امانه برقبتك لا تظهر لاحد هذا السرّ لبعد موت هذا البطرك» اعني بهِ ابن عميرة الذي قام بعده البطرك يوسف العاقوري ابن حليب

ولمّا جلس على كرسي البطركية اخذ معهُ اولاد قرياقوس من درعون من كسروان القس عازر واخيه القس جبرائيل وابن عويضا الياس وانا لله عبد الذي في ما بعد عاد رسمني مطران وجدّد رهبان وكهنة غيرنا في الكرسي واظهر لهُ القسيس سمعان بعض من المال الذي كان خازنه المطران عبد الله على زمان ابن مخلوف. فبعث البطرك يوسف لرومية طبع شحيم صغير وغراماطيق وكان رجل سخي في عمار الكنائس والديورة وقضى اجله. وقام عوضه مطران حوقا ابن الصفراني بطركًا وكان رجل راهب خير طاهر سالك بتقوى الله وحرّص المطارين على دايرة الكرسي وعمر الكرسي على زمانه جدًا جدًا جدًا. وبعث الى رومية طبع كتب صلوة الاعياد ومن طهارته وصفاوة نيته كانوا الرعايا عامرين جدًا وخلّف بعد موته دراهم انوجدت نحو الفين قرش وزيت الف قلّة وسمن من غلّة البقرات الذي كان اقتناهنّ للكرسي نصف قنطار وقمح يخرجوا من الغلّة العتيقة لنصف السنة الجديدة. وعند ما كنّا نعاود نحن المطارين من الرعايا ونعطيه بطركيته التي نلمّ لهُ اياها من الرعايا كان يعطي لكل احد منا كم قرش من كيسه ويقول لنا: اذكروني في صلواتكم وقداديسكم. الله الوكيل ان هذا صار منهُ وقضى اجله بمحبة الله ومحبة الاخوة وما تكدّر على احد يوم وعاش عيشة الاخيار وانتقل الى منزل المصطفين الابرار. وقام من بعده جرجس من سبعل بطركًا وكان رجل لبيب في لغات الترك وغيرها وكان ذو تدبير جزيل وساس الرعية احسن سياسة وعاش في البطركية ثلاثة عشر سنة وصار عليهِ تكاليف من الحكام وظهر عليهِ دراهم وطفر وجاء الى كسروان وتوفى بمار شليطا وكل هؤلاء البطاركة كانوا على زماني انتهى

(قلنا) ان في هذه الكتابة ما يحمل على العجب فاننا نرى جرجس حبقوق يذم جرجس عميره البطريرك الشهير الذي اثنى عليهِ الدويهي في تاريخهِ ثناء عاطرًا ولعلّهُ حملهُ على ذلك غرض في النفس والله اعلم

---

١) الحادي عشر

ورتّب طائفته واستقامت لهُ الامور. ثم انهُ لزود غيرتهِ على طائفتهِ اخذ بتصنيف كتب عديدة يوضح بها اصل طائفتهِ ونسبتهم ودوام اتحادهم بالكنيسة الرومانيـة وجاوب واحتجَّ عن طائفتهِ الى كل من تكلَّم بحقها جوابات صادقة وحجج ثابتة وجمع في ذلك كتباً عديدة. وفحص كتب القديسين ومصاحف المؤرخين بحثاً مدققاً فلم يجد انهُ كان رجل اسمهُ مارون اراتيكي اصلًا لانهُ كان كل تصنيفه لابراء عرض طائفتهِ وتكذيب الذين تجنَّوا عليها بالكذب وعن قداسة الاب العظيم قدره مار مارون. ثم انهُ صنَّف الكتاب الملقب بالمنارة وهو عشر كتب في قداس الموارنة ورتبتهم وقد نقلهم الى اللغة اللاتينية القس بطرس بن مبارك الغوسطاني الذي لفضلهِ كان ترجمان عند الكرندوكا(١ وهو طلب اليهِ ان يطالع لهُ كتب اسطفانوس كوكب الشرق البطريرك فطالعهم للاتينيَّة وامر بطبعهم لاتينيًا (٢ . وصنَّف كتب عديدة غير هذه من جملتهم انهُ جمع هذا الكتاب الذي هو تاريخ عن امور الشرق من تاريخ اوَّل الهجرة الى زمانهِ ثم انهُ عاش عيشة الابرار وناله تجاريب كثيرة حتى انهُ قضى اغلب رياستـهِ في الاختفاء من جور الاعداء بالمغر والوديان. وان الله تعالى منحهُ موهبة الآيات والجرائح حتى انهُ يوم كان في بكفيا بلد الدروز وهو عمَّال يقدس اتفق ان رجل لهُ ولد شارف الموت فاتى واخذ تراب من بين رجلين هذا الجليل وهو عمَّال يقـدس واخذ التراب وذوَّبهُ في ماء واسقاه المريض فحالًا قام من سرير اوجاعهِ. وفيما بعد صُيّر اسقفًا وهو باقٍ الى اليوم يعرف بالمطران فيلبوس ابن الجميل. ثم اتفق ان وهو في بكفيا صار قيظ عظيم فعمل زيَّاح وصلَّى فقبل الله صلاته وانحدر المطر حالًا. واعجوبة أُخرى ان امرأة تكلمت

١) يريد امير توسكانة قزما الثالث

٢) وهمَ كاتبُ الترجمة ان كل مؤلفات علامتنا طبعت في اللاتينية وجلُّ ما نعرفهُ ان الاب بطرس مبارك كان طلب الى علامتنا الدويهي ان يتكرم عليهِ بملخص حياتهِ ليصدّر بها مؤلفاتهِ التي ازمع على طبعتها كما يستفاد من صورة التحرير الذي عثر عليهِ حضرة الاب العالم الحوري بطرس شبلي عند الخواجا فارس طنوس الحوري في قرية جران ارسله الدويهي للاب بطرس مبارك اجابة لطلبه لخص فيهِ حياته وعدد مؤلفاته ولكن لا نعلم أَتمكَّن من طبع مؤلفات علامتنا كلها ام لا . وهاك فهرست المؤلفات التي يعددها الدويهي في هذا التحرير بالحرف :

قدامه بحق امرأة اخرى فقال لها القديس «ان لسانكِ طويل الله يسكتكِ» فيا للعجب

«ܐ ܦܢܩܝܬܐ (١. ܒ: ܣܘܦܪ ܕܬܓܪܐ (٢. ܓ: ܟܬܒܐ ܕܡܬܥܢܝܢܘܬܐ (٣. ܕ: ܟܬܒܐ ܕܩܘܪܒܢܐ (٤. ܘܒܫܡ لرومية . ܗ: ܟܬܒܐ ܕܐܢܐܦܘܪܐ (٥. ܘ: ܡܦܠܓܢܘܬܐ ܕܐܪ̈ܐܙܐ (٦. ܙ: ܡܥܒܕܢܘܬܐ ܕܦܘܠܚܢ ܥܕܬܐ

---

١) ان في مدرسة عين ورقة شرطونية نُقلت عن الشرطونية التي صحَّحها العالم الدوجي وفي اولها هاتان الكتابتان علقهما الناسخ الماهر الخوري انطونيوس شهوان ننقلهما بحروفهما:

١ً كتاب الشرطونية الذي بخط يد البطريرك ارميا العمشيتي كان محفوظاً في دير مار سركيس راس النهر الذي في قرية اهدن والبطريرك اسطفان الدوجي جعل عليـهِ اعتماده واجتهد في مقابلته على الشرطونية التي نسخها الخوري مرقص لمناوس اسقف عرقا وعكار سنـة ١٦٢٢ يونانية الموافقة لسنة ١٣١١ مسيحية وعلى الشرطونية التي نسخها الخوري ابراهيم الباني سنة ١٨٠٦ يونانية (١٤٩٥ م) وعلى التي كتبها حبقوق الادنيتي سنة ١٨٩٢ يونانية (١٥٨١ م) وغيرها

٢ً وهذه الكتابة الثانية: «انا الخوري انطونيوس العبد الخاطي خادم قرية غوسطا نسخت هذا الكتاب عن النسخة التي قابلها ونظمها واصلحها العالم العلَّامة المشهور بالعلم والعمل ماري اسطفان الدوجي البطريرك الانطاكي رحمهُ الله. وقد جمع كتاب الشرطونيات الموجودة في الطائفة قديمةً وحديثة ونظر فيها نظرًا متعمقاً واصلح ما اختلَّ فيها من طول الزمان وغلط الكتَّاب بحضور علماء واساقفة مشهورين بالعلم والفضل واخذ من الجميع نسخة واحدة واثبتها وامر باشهـارها واستعمالها دون غيرها كما يذكر في اول الشرطونية التي نسخها بيده المطران يوسف ابن مبـارك الغوسطاوي الريفوني عن النسخة المذكورة. وانا نسخت هذه الشرطونيـة عن خط المطران يوسف المذكور بعناية حضرة سيدي ومعلمي المحترم المطران يوسف اسطفان الغوسطاوي تلميذ المدرسة الرومانية وهي من ماله لنفسهِ. حُرر في انتصاف شهر آب سنة ١٧٥٥ مسيحية:

(قلتُ) والمجمع اللبناني قد امر بالتعويل على شرطونية علَّامتنا وحبذا لو اشهر هذا الكتاب بالطبع ليسهل على الراسم والمرسومين اتقان الحركات الطقسيَّة الى غير ذلك ممَّا يحمل على اجلال الطقوس فان النسخة الواحدة الخطيَّة تقضي بان يقرأ جـا الحبر الراسم والكهنة والمرسوم والمرتِّلون الخ

٢) هي رتبة قصّ الشعر وتلبيس الراهب مطبوعة في ذيل قانون الرهبان

٣) هو كتاب التكريسات وشرحها

٤) هو عبارة عن التبريكات والصلوات التي ضمَّ بعضها الاب اسكندر القبرسي الى كتاب القداس الذي طبعهُ سنة ١٧١٦

٥) عثرنا على نسخة من كتاب النوافير في مكتبة مار شليطا واكثرها بخط يد المؤلف سنصفها عند كلامنا على المكتبة

٦) هو كتاب توزيع الاسرار

ان الله سمع صفيَّهُ عاجلًا وانربط لسان تلك المرأة الى ان ماتت (*

« وعمل عجائب كثيرة في حياتهِ وبعد مماتهِ جميعها مذكورة في سيرتهِ المطبوعة في كتبهِ لاتينيًا. ومن جملة العجائب التي فعلها بعد موتهِ انهُ كان رجل مريض من زمان كثير في قرية بلوزا يسمَّى بطرس كبيش فطلب الى قرايبه بان يحملوه ويأخذوه الى المغارة حيث دُفن البطريرك لكيما يطلب شفاعته ويشفيه. فحملهُ اهله الى المغارة الخارجة عن الدير حيث مدفن البطاركة موضع تنسَّكت القديسة مارينـا وهناك تركوه طريحًا ودخلوا الدير ليتغدوا. اما المريض فاخذ يستغيث في القديس حينئذٍ ظهر لهُ متوشحًا بثوب الحبريَّة متوجًا بتاج الرئاسة منعكفًا بدرع السلطنــة على منكبيهِ بصورة شريفة . ففاحت للحال روائح لذيذة واخذ ذاك يستغيث بحرارة فخاطبه البطريرك بهذه الالفاظ العذبة قائلًا: يا بطرس كبيش ما هو مرادك م. اجابهُ: يا سيدي اريد ان اشفى. فقال لهُ: المسيح يشفيك. وغابت عنهُ الرؤيا فحالًا نهض واخذ يمشي مستويًا مع انهُ كان جاء محمولًا ودخل الدير واخذ ينادي علانيةً فلمَّا شاهـدوه الذين جابوه محمولًا تعجبوا ومجدوا الله

---

١) وممَّا سجلَّات البابيـة (٢ ومكاتيب البطاركة وارباب الدولة ومن غير الكُتُب البيعية التي جمعناها عمال تتعب على كتاب الشرطونية والتكريسات والمناثر. وايضًا الاباء اصحاب النوافير المقبولة. وايضًا في سلسلة بطاركة الطائفة المارونية ودوام المحادم مع الكنيسة الرومانية (٣ وهي ضـدك وايضًا في التواريخ التي من بدء الهجرة الى وقتنا هذا. وايضًا جمعنا جميع روس اقلام اليوت السريانيـة وفككناه على موجب الشعر السرياني ». فهذه هي مؤلفات علامتنا كما يستفاد من هذه الفقر في كتابه المرسل الى البادري بطرس مبارك اليسوعي ولكن نظن انهـا لم تترجم كلها ولم تطبع كلّها

*) ان في ايراد الاعجوبة على هذه الصورة نظرًا فالبطريرك سمعـان عواد اورد هذه الاعجوبة ولكن لم يصرّح باسم الشخص الذي جرت معهُ والاصح ان فيلبوس الجميـل هذا هو فيلبوس البكفاوي مطران لوسطرا الذي نرى توقيعه بين تواقيع آباء المجمع اللبنـاني الذي رقي الى البطريركية بهذا الاسم سنة ١٧٩٥ وتوفي سنة ١٧٩٦ قبل ان يصل اليهِ درع التثبيت وقد رأينا في دير السيدة في شويًا درع هذا البطريرك موضوعًا ضمن اطار

---

١) في المكتبة المذكورة نسخة منهُ ايضًا سنصف حلاها

٢) الباباوية

٣) في مكتبة ديرنا نسخة من هذا الكتاب اكثرها بخط يد المؤلف

الجميع واتفق ان هناك كان موجود بادريه اثنين فرنسيسكانيين فلم يصدقوا ذلك حتى انَّهم ادخلوا الذي كان مريضاً الى الكنيسة وحلّفوه على الجسد والصليب والانجيل المقدسين

« ثم انهُ لما اهانهُ اعني اهان البطريرك المذكور الشيخُ عيسى الرافضي بلغ الخبر الى الامير حصن الخازن فوجَّه عسكرًا ووجه اخاهُ الشيخ ضرغام الدين لسمو حسن سيرته وشرفه تشرف وارتقى رئاسة الكرسي الانطاكي وسبب توجههم كان حتى يجيبوا البطريرك من ذلك الطرف (١: « فلماً طلعوا من قنوبين وصلوا الى مقبرة البطاركة التي ذكرناها وصلي هناك وطلب قائلًا: اللهمّ اسألك ألا تجعل لي موتة الّا هنا عند اخوتي. وكان يوم توجههم شتاء كثير لانهُ كان زمان الشتاء فتوهَّم العسكر من الوحل والتبلُّل فقال لهم البطريرك المذكور: « قووا امانتكم فانَّ اليَّا ربط المطر ثلاثة سنين وستة اشهر ونحن بقوَّة ذاك الذي سمع دعاء اليَّا نمنع المطر وما بيصير مطر حتى نوصل لقرية غزير ». وهيك جرى انهُ ما صار شتا حتى وصلوا لغزير مع انهُ كان يصير الشتا في مواضع

١) عثرت في مكتبة شويًا على كتاب سرياني بخط المطران بطرس مملوف الغوسطاوي الذي رقام الدويهي الاسقفية سنة ١٦٧٤ وفي هذا الكتاب سُردت حادثة مجي الدويهي الى كسروان مع حوادث اخرى اتحفنا بها هذا الاسقف ننقلها هنا ضناً بها من الضياع والكتاب عبارة عن شرطونية يحوي تقديس البيعة وتقديس الطبليت وتقديس الميرون الخ وبعد تقديس الطبليت ما يلي: «وكان الفراغ من ذلك سنة ܐܚܥܕ (١٦٧٤) ريان في ܚܡ ٢٨ آب في دير قنوبين في القلاية المعروفة بالغال (١ في ايام سيدنامار اسطفانوس الذي كان حينئذٍ في كسروان وكان حاكم الجبة ناس دولة(؟) وكان اغا في اهدن وكان متكلم قدامه الشيخ ابو كرم ابن صهيون الهدناني وكان محبوس في طرابلس الشيخ احمد حماده وكان سرحال حاكم بلد جبيل والبترون ولم يكن يقدر يعمل شيء لان كانت ابنتـه وزوجها ايضاً محبوسين في طرابلس ولموا مال الجبة تلك السنة للدولة وما احد تعارضهم وكان الشيخ ابو نوفل طول الله عمره حاكم كسروان وارسل اخذ الى عنده البطرك مار اسطفانوس لانهُ فزع لئلا يقوم الحاكم يمسكه وينكسر ناموسه. وصلوا على كاتب الاحرف مطران بطرس مخلوف الغوسطاوي الكسرواني والله يرحم من يترجم علينا». وفي آخر رتبة تكريس الميرون يذكر انهُ انتهى من الكتابة بايام البطرك اسطفانوس ويضيف هذه العبارة بالسريانية:

ܘܗܘ ܐܣܪܡܢܝ ܐܦܝܣܩܘܦܐ ܠܩܘܦܪܘܣ ܒܫܢܬ ܐܚܥܕ ܠܡܫܝܚܐ ܡܢ ܝܪܚ ܬܡܘܙ

اي « وهو الذي رسمني اسقفاً على قبروس سنة ١٦٧٤ من شهر تموز »

١) يظهر انهُ لم يكن سوى هذه الحجرة في قنوبين مماً يغلق بالغال في ذاك الزمان بل كانت الاقفال من خشب وهي ما يسميها العامة بالسكَّرة او الساقوطة ومفتاحها من خشب

كثيرة غير طريقهم. وهذه ايضاً اعجوبة عظيمة وقد شهد لها الشيخ ضرغام الذي كان مع البطريرك اسطفانوس وشهادته تكررت منهُ اذ صار بطريركاً وكل الذين كانوا مع البطريرك المذكور

(هنا يورد كاتب الترجمة اعجوبة وطا البربارة في جبيل رواها سمعان عواد ولذا عدلنا عن تسطيرها هرباً من الاطالة) «وبعد ان جاء البطريرك المذكور اسطفانوس الى كسروان كتب الباشا ضابط طرابلس الى الامير احمد ابن معن بسبب عودة البطريرك وارسل بيورلدياً ليطيّب خاطر البطريرك. حينئذٍ عاد للرجوع الى قنوبين وهناك هجع مجموع الابرار وكان مولده في ايار وارتقاؤهُ كرسي البطريركيَّة في ايار وكان انتقاله في ايار رحمنا الله بصلواتهِ المستجابة وطلباتهِ المستطابة امين استقام في البطركية ﺣ (٣٤) سنة الّا ﻣ (١٧) يوماً». انتهت الترجمة

ولا نرى بُدًّا ان نلحق هنا ذكر ما احدثهُ الدويهي في دير مار شليطا من البنايات قال في تاريخهِ المطبوع (ص٢٤٣) بعد ذكرهِ حادثة تجديد كنيسة الدير: «وبجانبها (اي الكنيسة) من الشمال بنينا داراً لسكنى البطاركة اذا عرض توجّههم الى ذلك الجانب»

وقد اثبتنا في ما سبق انَّ اوَّل من اشترى محلًا لسكنى البطاركة في مار شليطا هو البطرك يوسف حليب العاقوري وانَّ المحلّ كان يُدعى حارة مار بطرس ولمَّا رأى علاَّمتنا انَّ ظروف الزمان تقضي عليهِ وربَّما قضت على خلفائهِ ان يغادروا كرسيَّهم قنّوبين عمد الى بناء محلّ للبطركيَّة في مار شليطا وألحق بها بناية اخرى وهي دير مار عبدا على شاطئ نهر الكلب

غير انَّ في عبارة الدويهي الواردة آنفاً «بجانبها من الشمال» نظرًا ونظنّ انَّها غلطة طبع والصواب «من جهة الشرق» والدليل على ذلك التقليد واسم المحلّ المعروف حتى الآن باسم حارة مار بطرس وهذا البناء شرقيّ الكنيسة. وهكذا ورد ايضاً في النبذة التاريخية في المقاطعة الكسروانيَّة (ص ٩٥) نقلًا عن الدويهي قال: وبلِصْقها (اي بجانب الكنيسة) من الجهة الشرقيَّة عمرنا حارة لسكنى البطاركة اذا توجَّهوا لذاك الجانب». ومما لا ريب فيهِ انَّ العمار المبني على سطح خزانة الكنيسة اي السكرستيَّا هو مع السكرستيَّا والقبو المجاور لجهة الشمال والحجرة القائمة على سطح

هذا القبو كلُّ ذلك من بناء الدويهي فاذا مرَّ احد وراء جدار الكنيسة الجنوبي ورفع طرفه عند الزاوية الشرقيَّة رأى كوة صغيرة تصل بالجنوب كان النور يدخل منها الى حجرة من حقّ بجهده وجده في خدمة العلم والطائفة ما نرتلهُ عن الآباء في صباح صلوة السبت: « ܘܣܡܝ ܥܝ̈ܢܝܗܘܢ ܡܢ ܩܪܝܢܐ ܕܟܬܒ̈ܐ » اي عميَتْ عيونهم من المطالعة في الكتب. ومن هذه الحجرة الحقيرة كان يغني الخلف بمؤلفاتهِ العديدة ومن هذه الحجرة كان يعمر بمثلهِ وسيرتهِ الملائكيَّة سكان الدير (البقيَّة لعددٍ آخر)

الرتبة البطريركيَّة

نبذة في اصلها وتاريخها وحقوقها

للاب ميخائيل تامبزيه اليسوعيّ (تتمَّة لما سبق ص ٤٣٣)

انَّ الرتبة البطركيَّة من المنشاءات الكنسيَّة ترتقي اصولها الى عهد الرسل وكانت باديَ ذي بدء مختصَّة بالكرسيَّين الاسكندري والانطاكي لما بينهما وبين كرسي رومية الاوَّل من العلائق غير المنفصمة اذ اختارهما بطرس هامة الرسل ليجعل فيهما تلميذيه مرقس واڤوديوس لينوبا عنهُ في الديار المصريَّة وما يتَّصل بها من الاقطار وفي البلاد الشرقيَّة الى حدود الشرق الاقصى. ثم تعدَّدت البطركيَّات في توالى القرون بطرائق مختلفة منها شرعيَّة قانونيَّة بمصادقة الكرسي الرسولي ومنها وَربة فاسدة مخالفة لقوانين الجامع ورضى ابي المؤمنين وحبر الاحبار. تلك حقائق قرَّرناها في مقالتينا السابقتين وقد بقي علينا لاستيفاء هذا البحث الهامّ ان نفحص عن امرين آخرين تكون بهما تتمَّة مقالتنا اعني اتساع السلطة البطركيَّة وحقوقها

(اتساع سلطة البطاركة) انَّ نطاق سلطة الكراسي البطركيَّة كان متَّسعا جدًّا في القرون الاولى للنصرانيَّة بحيث يمكن القول انَّ الكنائس باجمعها سواء انشأها الرسل او لم ينشئوها كانت منوطةً باحد الكراسي البطركيَّة الثلثة اعني رومية والاسكندريَّة وانطاكية هذا فضلًا عمَّا كان للحبر الروماني من السلطان والرئاسة العموميَّة المعطاة لهُ

من السيد المسيح نفسهِ على كنيستهِ جمعاء. فكان صاحب رومية بقوَّة سلطتهِ البطريركيَّة يتولَّى شؤُون كل كنائس الغرب وشمالي افريقية وكنائس ثراقيــة والليرية وبنطس. وكان لصاحب الاسكندريَّة سلطة على مصر كلها ثم على ليبيــة وبلاد المدن الخمس (Pentapole) وبلاد الصعيد الى اقاصي الحبش مع اليمن اما صاحب الكرسي الانطاكي فكانت سلطتهُ البطريركيَّة تمتــدُّ الى كل بلاد المشرق وكانوا يفهمون بالمشرق الخمسة عشر اقليماً التي قسم اليها ڤسبسيان الملك البلاد الخاضعــة للدولة الرومانيَّة في المشرق وكانت تشمــل هذه الاقاليم شرقيّ جزيرة العرب وفلسطين وسوريَّة وفينيقية وقيليقية وقبرس وما بين النهرين والعراق الى بلاد فارس. ومن الكتبة من يضيف الى هذه البلاد بلاداً أُخرى خارجة عن حكم دولة رومية كالعجم والارمن والكرج والهند والصين. غير انَّ الآثار التي لدينــا لا تنطق صريحاً بهذا الامر لاسيَّما انَّ النصرانيَّة لم تنتشر في تلك البلاد انتشاراً يُذكر الَّا في القرن الرابع او الخامس اعني بعد انحطاط الكرسي الانطاكيّ. وما لا اختلاف فيهِ انَّ هــذا الكرسيّ كان اعظم الكراسيّ البطريركيَّة اتســاعاً حتى انهُ كان يخضع لصاحبهِ في وقت عزّهِ نحو مائتي اسقف او مطران

على ان هذا الكرسي اخذ في التقهقر منذ القرن الرابع بظهور الكرسيَّين الاورشليميّ والقسطنطينيّ فان الاوَّل فصل عن كرسي انطاكية اقاليم فلسطين الثلاثة امَّا الثاني فلم يزل يتعدَّى طورهُ ويوسّع دائرة نفوذهِ حتى امتدَّت سلطتــهُ الى اقاليم آسيَّة الصغرى وثراقية وبنطس والارمن والكرج واليونان حتى بلغ عدد رؤساء الاساقفة الذين تحت حكمهِ خمسةً وستين مطراناً وعدد اساقفتهِ سبعمائة

وزاد تقلُّص ظلّ انطاكية لخروج المبتدعين عن طاعتهــا لمَّا انتشرت الهرطقات الكبرى كالنسطوريَّة واليعقوبيَّة والمنوثليتيَّة ثم توالت عليها النكبات من زلازل وحروب فتحتها ملوك العجم ثم العرب فانتكث حبلها وصــارت بطريركيَّتها الى درجة من الانحطاط ذهبت برونقها السابق وعزّها الباسق

وكانت هذه البطريركيَّات تشمل في القرون الاولى للنصرانيَّة أُمماً عديدة تختلف اصلًا وجنساً ولغةً من يونان وسريان وارمن وكلدان واقبــاط يخضعون كلهم لاسقف واحد تحت ولاية رئيس اساقفة ثم بطريرك ثم حبر اعظم بدرجات متلاحقة نظاميــة

فجاءت الهرطقات وبلبلت هذا النظام العجيب فصار للمدينة الواحدة عدَّة اساقفة كما صار لانطاكية وللاسكندريَّة وللقسطنطينيَّة ولاورشليم عدَّة بطاركة بحيث لم يعد حكم هؤلاء المنصَّبين في الغالب حكماً محليًا (juridiction territoriale) كما ترى في الكنيسة الرومانيَّة بل حكماً شخصيًا (juridiction personnelle) يمتدُّ الى طائفة دون أُخرى والى اشخاصٍ دون سواهم في المدنية او الولاية الواحدة

(حقوق الرتبة البطريركيَّة) رأيتَ ممَّا سبق ان الرتبة البطريركيَّة ليست الَّا نيابةً عن الكرسيّ البطرسيّ انشأها هامة الرُّسل في حاضرتي الدولة الرومانيَّة اعني الاسكندريَّة وانطاكية ليقوم صاحبا هذين الكرسيَّين بشؤون الكنائس الواقعة في جوارهما لبعدها عن نظارة امام الاحبار وعنايتهِ الخاصَّة

فمن هذا المبدأ يتَّضح جليًا ان منشئ هذه البطريركيَّات هو ايضاً الذي خوَّلها حقوقها لان سلطة النائب كما لا يخفى سلطة مستعارة تتَّسع او تنحصر على حسب مشيئة واضعها. وعليهِ لا يمكنَّا ان نُسلِّم برأي من يزعم انَّ الكراسي البطريركيَّة مستقلَّة يستطيع اصحابها ان يتصرفوا بسلطتهم كيفما شاؤوا دون مراجعة رأس الكنيسة المنظور الذي اليهِ وحدهُ سلَّم المسيح قيادة خرافهِ ونعاجهِ وعليهِ بنى كنيستهُ لئلا تقوى عليها ابواب الجحيم

ولذلك قد شبَّه القديس قبريانوس في كتابهِ عن وحدة الكنيسة بيعة الله بشجرةٍ فقال (ع ٤ و ٥) ان بطرس الرسول كجذر الكنيسة والاساقفة الباقين كفروعٍ ناجمة عن هذا الجذر الوحيد . ولذلك قد دعا الكرسيّ الرومانيّ « كرسيّ بطرس والكنيسة الرئيسيَّة التي منها صدرت كل الوحدة الكهنوتيَّة ». وكذلك قال غريغوريوس النيصصي (راجع مجموع اعمال الآباء اليونان ج ٤٦ ص ٣١١): « ان المسيح لم يُعطِ للاساقفة مفتاح النعم السماويَّة الَّا على يد بطرس ». وقد اثبت المشرق (٥ : ٧٦ , ١٣٣) نصوصاً كثيرة للقديس يوحنا فم الذهب تبيّن هذه القضيَّة بياناً لا يبقي بعدهُ ريباً لمستريب

وليس كلامنا هذا نظريًا فقط بل واقعيًا تؤيدهُ اعمال الكرسي الرسولي فانَّنا نرى خلفاء بطرس يثبتون اصحاب الكراسيّ البطريركيَّة او ينفونهم عنها على حسب ما يرون انتخابهم شرعيًا او لا. فانَّ القديس داماسوس مثلًا في الشقاق الذي حصل في انطاكية بسبب انتخاب اسقفين وهما بولينوس وملاطيوس حكم لملاطيوس ونفى بولينوس.

كما روى الامر القديس باسيليوس الكبير (في رسالتهِ الـ ٢١٤). وهكذا فعل البابا يوليوس الاوَّل قبل مجمع سرديقية لمَّا علم ان بعض اساقفة مصر اختاروا لكرسيّ الاسكندريَّة غريغوريوس فكتب لهم كتابًا مطوَّلًا يوبّخهم فيهِ « على انَّهم تعدَّوا القوانين المقدَّسة التي تقضي بان يُلغى كل حكم لا يرضى بهِ الاسقف الروماني ». وقد روى القديس اثناسيوس العظيم والمؤرخان سقراط وسوزومين هذا القول وصادقوا عليهِ. وكذلك ورد في اعمال المجمع الخلقيدوني على لسان قاصدي الكرسيّ الرسوليّ بسكازينوس ولوشنسيوس « انَّ لاون اثبت بحكمهِ اسقفيَّة مكسيموس على الكرسيّ الانطاكي ». وان كان ذلك صحيحًا صادقًا في الكرسيَّين الرسوليَّين الاسكندريّ والانطاكي فهو اصح في الكرسي القسطنطينيّ الذي لا يرتقي الى عهد الرسل كما بيَّنا ذلك وقد ذكر البابا القديس بونيفاسيوس الاوَّل انَّ تاودوسيوس الكبير ارسل سنة ٣٨٢ الى رومية وفدًا يطلب من البابا داماسوس ان يثبت بسلطتهِ العليا انتخاب نكتاريوس على كرسيّ القسطنطينيَّة. وكذلك ورد في رسالة القديس لاون الى مرقيان الملك: « انَّ اناطوليوس اسقف القسطنطينيَّة نال رتبتهُ بنعمة رضاي »

وهذا التثبيت لا يزال جاريًا حتى الآن في الكنيسة الرومانيَّة الاورثذكسيَّة فلا تعدُّ بطريركًا شرعيًا الَّا الذي كان انتخابهُ قانونيًا وصادقت على تنصيبهِ بان توسل اليهِ درع السلطة ايذانًا باتحادهِ مع الكرسيّ الرسولي وخضوعهِ لسلطانهِ الاسمى. واذ ثبت لك ذلك فاعلم انَّ الحقوق التي منحها الكرسيّ الرسوليّ للكراسيّ البطريركيَّة هي على صنفين منها شرفيَّة ومنها ولائيَّة

فمن الحقوق الشَّرَفية انَّ البطاركة كان لهم التقدُّم في المجامع العموميَّة فكان البطريرك الاسكندري يتقدم على بقيَّة البطاركة بعد صاحب رومية او نوَّابهِ ثم الانطاكيّ ثم الاورشليميّ كما اتَّفق على ذلك آباء المجمع النيقوي. ولمَّا نقل قسطنطين عرش المملكة الى القسطنطينيَّة ادَّعى اساقفتها انَّ لهم التقدُّم على اصحاب البطريركيَّات الأُخر الَّا رومية زعمًا منهم انَّ القسطنطينيَّة هي رومية الجديدة فلكرسيّها المقام الاوَّل بعد رومية العتيقة. لكنَّ الاحبار الرومانيين لم يزالوا يدافعون عن اسبقيَّة الاسكندريَّة وانطاكية مدَّة قرون عديدة حتى رضوا اخيرًا بتقديم الكرسيّ القسطنطينيّ على غيرهِ في المجمع اللاترانيّ الرابع سنة ١٢١٥

ومن حقوق البطاركة الشرفيّة ايضاً ان يُحمل امامهم صليب ذو عارضتين يشير الى سموّ درجتهم . وكان سابقاً يتقدّمهم هذا الصليب انّى ساروا وحيثما رحلوا الّا في رومية العظمى مركز ائمّة الاحبار والمدن التي يقيم فيها نوّابهُ

وقد منح ملوك الروم بطاركة القسطنطينيّة والاسكندريّة خصوصاً امتيازات أُخرى تعظيماً لدرجتهم كركوب الخيل المطهّمة والعجلات المزخرفة يصحبهم الحرس الشرفيّ ويفضّون الدعاوي وكان بطريرك الاسكندريّة مستقلاً في احكامهِ لا يخضع لولاة مصر بل للملك رأساً . وكان بطريرك القسطنطينيّة يتوّج الملك بعد ان يتبوأ عرش السلطنة الى غير ذلك من الامتيازات التي اختلفت على اختلاف الازمنة والاحوال

امّا الحقوق الولائيّة التي حازها البطاركة فكانت اخطر شأناً واعلى قدراً اهمّها سلطتهم على المطارنة الذين في ايالاتهم والبلدان الواقعة في دائرة البطريركيّة فانّهم كانوا يمنحون الرسامة القانونيّة لكل مطران جديد اتّفق على اختيارهِ اساقفة الاقليم واكليروسهُ وشعبهُ . وكان للبطريرك ان يُبطل هذا الانتخاب اذا وجدهُ منافياً للقوانين الكنسيّة او يثبتهُ بوضع يدهِ على المختار . وكان اذا رأى الامر موافقاً يمكنهُ ان يفوّض الى غيرهِ رسامة المطران امّا لاجل الحروب واما لاجل الاضطهادات او لاسباب أُخرى شرعيّة . وكذلك كان البطاركة لدواعٍ مقرَّرة يختارون في بعض الاحيان مطارنةً لم ينتخبهم الاساقفة والاكليروس

امّا الاساقفة فكان وضع اليد عليهم مختصاً بالمطارنة فيرسمونهم بعد ان يقع عليهم اختيار الاكليروس والشعب الّا انهُ كان يتحتّم على المطارنة بان يعلموا البطريرك بانتخابهم ويطلبوا رضاهُ . ولنا على ذلك شاهد في ما كتبهُ القديس اينوكنت الاوّل لاسكندر بطريرك انطاكية في اوائل القرن الخامس قال : وكما انك بسلطتك الفريدة ترسم المطارنة هكذا ينبغي عليك الّا تسمح بان تُقام اساقفة دون اذنك ومعرفتك(١) .

هذا وان بطاركة الاسكندريّة كانوا يرسمون بذاتهم ليس فقط مطارنة مصر بل واساقفتها ايضاً جريًا على عادة قديمة

---

(١) راجع مجموع الاباء اللاتينيين لمين (ج ٢٠ ص ٥٤٨) وهذا كلامهُ بالحرف :

« Arbitramur ut sicut Metropolitanos auctoritate ordinas singulari, sic et cœteros non sine tuo permissu conscientiaque tua sinas episcopos procrnari. »

ومن حقوق البطاركة ايضاً انّهم كانوا يجمعون المجامع الاقليميّة فيدعون اليها مطارنة واساقفة الولايات التي تمتدّ اليها سلطتهم. وكانوا يسنُّون في هذه المجامع السُّنَن وينشئون القوانين الدينيّة ويجدّدون العقائد لكنّ اعمال هذه المجامع كانت تُرسل الى الاعتاب الرسوليّة لتنال التثبيت من الكرسيّ الرومانيّ ولولا مصادقة الاحبار الاعظمين عليها لعُدّت بلا مفعول. ولذلك نرى البابا يوليوس الاول يوبّخ اشياع آريوس اذ تجاوزوا القوانين (παρὰ κανόνας ποιοῦντες) فعقدوا دون رخصته مجمعاً في انطاكية (١

ومنها ايضاً ان البطاركة كانوا يحكمون في الدعاوي الخاصّة برؤساء اساقفتهم فيتبيّنون الشكاوي التي يقيمها عليهم الاساقفة ويفحصون ما نُسب اليهم من الاضاليل الدينيّة الى غير ذلك من الامور المهمّة فيحكم البطرك في صحّة هذه الاحتجاجات او بطلانها فيعزل المطران او يبرّئ ساحتهُ. الّا انّ مثل هذه الدعاوي لم يَسُغْ للبطاركة الفحص عنها الّا بان يعقدوا لذلك مجلساً قانونيًّا. وعلى كلّ حال كان المطارنة يستطيعون ان يرفعوا الدعوى الى مرجع اعلى فيلتجئون الى حكم المجمع المسكوني او الى السدّة البطرسيّة التي يُعَدُّ حكمها فصلًا باتًّا

ومن حقوقهم انّهم كانوا يأخذون العُشر من المطارنة كما كان المطارنة يأخذونهُ من الاساقفة والاساقفة من الكهنة والرهبان

هذه اخصُّ حقوق البطاركة عموماً وكان لهم غير ذلك من الحقوق يختصُّ بها بطرك دون آخر ورد ذكرها في التاريخ لا يسعنا التفصيل عنها في هذا البحث الموجز. الّا انّنا نقول في الختام انّ الهرطقات بانتشارها في المشرق وبفصلها الكراسيّ البطريركيّة عن مركز الوحدة وامّ الكنائس قد ذهبت برونق الرتبة البطريركيّة وكسفت نورها مدّة

---

١) راجع المؤرّخ سقراط (ك ٢ ف ١٧) وهذا نصُّهُ اليونانيّ :

« τοῦ ἐκκλησιαστικοῦ κανόνος κελεύοντος μὴ δεῖν παρὰ γνώμην τοῦ Επισκόπου Ρώμης κανονίζειν τάς εκκλησίας »

وقد ذكر سوزومين المؤرّخ هذا الامر في تاريخهِ (ك ٣ ف ١٠) واثبت هذا المبدأ صريحاً بقولهِ « انّما لشريعة مقدّسة انّ كلّ ما يصير بدون رضى اسقف رومية هو باطل »

« εἶναι γὰρ νόμον ἱερατικὸν, ἄκυρα ἀποφαίνειν τὰ παρὰ γνώμην πραττόμενα Ῥωμαίων Επισκόπου »

اجيال عديدة الى ان اعادها الله الى بهائها القديم ومنحها الكرسي الرسولي حياة جديدة وهاك تتمّةً للفائدة سلسلة بطاركة الطوائف الكاثوليكية في الشرق منذ استقلت بطريركيّاتها وننقل هذه السلسلة عن تقويم البشير من السنة ١٨٩٧ مع تصحيح ما وقع هنالك من الاغلاط تابعين في ذكر الطوائف حروف المعجم

١ بطاركة الارمن الكاثوليك

(راجع المشرق ٣:٤٩; ١٥٠)

اسماء البطاركة	تاريخ انتخابهم	تاريخ وفاتهم
١ بطرس ١ ابراهيم	٢٦ ت ٢ ١٧٣٩	١ ت ١ ١٧٤٩
٢ 〃 ٢ يعقوب	١٤ ت ١ ١٧٤٩	١٥ ايّار ١٧٥٣
٣ 〃 ٣ ميخائيل	٢٣ حزيران ١٧٥٣	٥ ت ٢ ١٧٨٠
٤ 〃 ٤ باسيليوس	١ ك ١ ١٧٨٠	٦ شباط ١٧٨٨
٥ 〃 ٥ غريغوريوس ١	١١ ايّار ١٧٨٨	١٧ حزيران ١٨١٢
٦ 〃 ٦ غريغوريوس ٢	٢٣ حزيران ١٨١٢	٢٢ ايلول ١٨٤٠
٧ 〃 ٧ يعقوب ٢	٣٠ حزيران ١٨٤١	٦ شباط ١٨٤٣
٨ 〃 ٨ غريغوريوس ٣	٧ تموز ١٨٤٣	٨ ك ٢ ١٨٦٦
٩ 〃 ٩ انطون حسون	١٤ ايلول ١٨٦٦	(تنزّل) ٣ ك ١ ١٨٨٠
١٠ 〃 ١٠ اسطفان عزريان	٤ آب ١٨٨١	٢ ايّار ١٨٩٩
١١ 〃 ١١ عمانوئيل	٢٣ تموز ١٨٩٩	

٢ بطاركة الروم الملكيين الكاثوليك

منذ فصلهم البابا بنادكتوس الرابع عشر عن الروم الارثذكس

راجع اخبارهم في المشرق (٢:٢٨٥ و ٥:٥٢٩)

اسماء البطاركة	تاريخ انتخابهم	تاريخ وفاتهم
١ كيرلس ٦ طاناس	٢٠ ايلول ١٧٢٤	١ ك ١ ١٧٦٠
٢ مكسيموس ٢ حكيم	١ آب ١٧٦٠	٢٧ ت ٢ ١٧٦١
٣ ثاودوسيوس ٦ دهان	٢٦ ك ١ ١٧٦١	١٨ اذار ١٧٨٨
٤ اثناسيوس ٥ جوهر	٢٢ نيسان ١٧٨٨	١١ ت ٢ ١٧٩٤
٥ كيرلس ٧ سيّاج	٣٠ ك ١ ١٧٩٤	٢٥ حزيران ١٧٩٦
٦ اغابيوس ٢ مطر	٣١ آب ١٧٩٦	٢١ ك ١ ١٨١٢

اسماء البطاركة	تاريخ انتخابهم	تاريخ وفاتهم
٧ اغناطيوس ٤ صرّوف	٩ شباط ١٨١٢	٥ ت ٢ ١٨١٢
٨ اثناسيوس ٦ مطر	٣ آب ١٨١٣	٨ ت ٢ ١٨١٣
٩ مكاريوس ٤ طويل	٢٩ ت ٢ ١٨١٣	٣ ك ١ ١٨١٥
١٠ اغناطيوس ٥ قطّان	١٦ حزيران ١٨١٦	٩ شباط ١٨٣٣
١١ مكسيموس ٤ مظلوم	٢٤ اذار ١٨٣٣	١٠ آب ١٨٥٥
١٢ اكليمنضوس ١ بحوث	١٩ اذار ١٨٥٦	تنزّل في ٢٤ ايلول ١٨٦٤
١٣ غريغوريوس ١ يوسف	٢٩ ايلول ١٨٦٤	١٣ تموز ١٨٩٧
١٤ بطرس ٤ جريجيري	٢٨ شباط ١٨٩٨	٢٤ نيسان ١٩٠٢
١٥ كيرلس ٨ جحا	٢٨ حزيران ١٩٠٢	

٣ بطاركة السريان الكاثوليك

منذ انتظام سلسلة كاثوليكية متواصلة

اسماء البطاركة	تاريخ انتخابهم	تاريخ وفاتهم
١ اغناطيوس ١ ميخائيل جروه	١٤ تموز ١٧٨٣	١٤ تموز ١٨٠٠
٢ 〃 ٢ 〃 ضاهر	٤ ايّار ١٨٠٢	تنزّل في ايلول ١٨١٠
٣ 〃 ٣ سمعان زوره	٢ ك ٢ ١٨١٤	〃 〃 ١ حزيران ١٨١٨
٤ 〃 ٤ بطرس جروه	٢٥ شباط ١٨٢٠	١٦ ت ١ ١٨٥١
٥ 〃 ٥ انطون سمحيري	١ ك ١ ١٨٥٢	٢٠ حزيران ١٨٦٤
٦ 〃 ٦ فيلبوس عركوس	٢١ حزيران ١٨٦٦	٧ اذار ١٨٧٤
٧ 〃 ٧ جرجس شلحت	٢١ ك ١ ١٨٧٤	٨ ك ١ ١٨٩١
٨ 〃 ٨ جنام بنّي	١٢ ت ١ ١٨٩٣	١٣ ايلول ١٨٩٧
٩ 〃 ٩ افرام الثاني الرحماني	٩ ت ١ ١٨٩٨	

٤ بطاركة القبط الكاثوليك

انشأ البابا لاون الثالث عشر هذه البطريركيّة حديثًا وعهد شؤونها الى غبطة البطريرك كيرلس مقار في ١٩ حزيران ١٨٩٩

٥ بطاركة الكلدان الكاثوليك

راجع اخبارهم في المشرق (٣: ٨١٧ و٨٧٨)

اسماء البطاركة	تاريخ انتخابهم	تاريخ وفاتهم
١ شمعون ٦ سولاقا (آمد)	٢٨ نيسان ١٥٥٣	استشهد ١٥٥٥
٢ عبد يشوع ٤ الجزري (آمد)	١٥٥٥	١٥٦٥
٣ ياباﻻها ٢ (آمد)	١٥٦٥	١٥٨٠

اسماء البطاركة	تاريخ انتخابهم	تاريخ وفاتهم
٤ شمعون ٧ دنخا (اورمية)	١٥٨٠	١٦٠٠
٥ شمعون ٨ (اورمية)	١٦٠٠	١٦٢٥
الياً ٦ (آمد)	١٥٩١	١٦٣٧
٦ شمعون ٩ (اورمية)	١٦٢٥	١٦٥٦
الياً ٧ (آمد)	١٦٣٧	١٦٦٠
٧ شمعون ١٠ (اورمية)	١٦٥٦	١٦٦٣
الياً ٨ (عاد الى النسطوريّة وتبعهُ خلفائهُ)	١٦٦٠	١٧٠٠
٨ شمعون ١١ (اورمية)	١٦٦٣	١٦٨٠
٩ يوسف ١ الآمدي	١٦٨١	تنزّل ١٦٩٤
١٠ 〃 ٢ التلكيفيّ	١٦٩٤	١٧١٣
١١ 〃 ٣ الكركوكيّ	١٧١٣	١١ ك ٢ ١٧٥٧
١٢ 〃 ٤ لعازر الهندي	١٧٥٧	١٧٨١
١٣ يوحنا هرمزد	١٧٨١ (تثبّت سنة ١٨٣٠)	١٣ آب ١٨٣٨
١٤ نيقولاوس زيّا	٢٢ نيسان ١٨٣٩	تنزّل ١٨٤٥
١٥ يوسف ٥ اودو	٣٨ تموز ١٨٤٧	١٤ اذار ١٨٧٨
١٦ ايليا ١٢ عبو اليونان	٢٦ تموز ١٨٧٨	٢٧ حزيران ١٨٩٤
١٧ عبد يشوع ٥ خيّاط	٢٨ ت ٢ ١٨٩٤	٦ ت ٢ ١٨٩٩
١٨ عمانوئيل يوسف ٦ توما	٩ تموز ١٩٠٠	

٦ بطاركة اللاتين

منذ نصبهم الكرسيّ الرسولي على كرسي اورشليم

اسماء البطاركة	تاريخ انتخابهم	تاريخ وفاتهم
١ يوسف ڤالركا	٤ ت ١ ١٨٤٧	٢ ك ١ ١٨٧٣
٢ منصور براكّو	٢١ اذار ١٨٧٣	١١ حزيران ١٨٨٩
٣ لودوفيكوس پيافي	٢٨ آب ١٨٨٩	

٧ بطاركة الموارنة

ذكر الدويهي في تاريخ سلسلة بطاركة الطائفة المارونية ستّة وثلاثين بطريركًا من عهد مار يوحنا مارون المتوفّى سنة ٧٠٥ الى انتقال الكرسيّ البطريركيّ من دير سيدة ميفوق الى دير قنّوبين لكنّهُ لم يذكر تواريخ انتخابهم ووفاتهم الّا ثلاثةً منهم وهم ارميا العمشيتي (١٢٠٩–١٢٣٠) وجبرائيل الحجولي المستشهد سنة ١٣٦٧ وداود يوحنّا المتوفّى سنة ١٤٠٤ ولذلك عدلنا عن ذكر اسمائهم فسردنا هذا الجدول مباشرةً بيوحنّا الجاجي

اسماء البطاركة	تاريخ انتخابهم		تاريخ وفاتهم	
١ يوحنا الجاجي		١٤٠٤		١٤٤٥
٢ يعقوب بن عيد الحدثي		١٤٤٥	٨ شباط	١٤٥٨
٣ بطرس بن حسّان الحدثي	١٧ شباط	١٤٥٨	١٢ ت ١	١٤٩٢
٤ شمعون بن داود الحدثي	٢١ ت ١	١٤٩٢	٢٧ ت ٢	١٥٢٤
٥ موسى بن سعاده العكّاري	٩ ك ١	١٥٢٤	١٩ اذار	١٥٦٧
٦ ميخائيل بن حنّا الرزّي	٣١ اذار	١٥٦٧	٢١ ايلول	١٥٨١
٧ سركيس بن حنّا الرزّي	٣٠ ايلول	١٥٨١	٢٥ ايلول	١٥٩٧
٨ يوسف بن موسى الرزّي	٤ ت ١	١٥٩٧	٣٠ آب	١٦٠٨
٩ يوحنّا بن مخلوف الاهدني	حزيران	١٦٠٩	١٥ ك ١	١٦٣٣
١٠ جرجس بن عميرة الاهدني	٢٧ ك ١	١٦٣٣	٢٩ تموز	١٦٤٤
١١ يوسف بن حليب العاقوري	١٥ آب	١٦٤٤	٣ ت ٢	١٦٤٨
١٢ يوحنّا بن بوّاب الصفراوي	١٣ ت ٢	١٦٤٨	٢٣ ك ١	١٦٥٦
١٣ جرجس بن الحاج رزق الله السبعلي	١ ك ٢	١٦٥٧	١٢ نيسان	١٦٧٠
١٤ اسطفان الدويهي	٢٠ ايار	١٦٧٠	٣ ايار	١٧٠٤
١٥ جبرائيل البلوزاني	١٢ ايار	١٧٠٤	٣١ ت ١	١٧٠٥
١٦ يعقوب بن عوّاد الحصروني		١٧٠٥	٩ شباط	١٧٣٣
١٧ يوسف ضرغام الخازن	٢٤ شباط	١٧٣٣	١٣ ايّار	١٧٤٢
١٨ سمعان عوّاد الحصروني	١٦ اذار	١٧٤٢	١٢ شباط	١٧٥٦
١٩ طوبيا الخازن	٢٨ شباط	١٧٥٦	١٩ ايّار	١٧٦٦
٢٠ يوسف اسطفان	٩ حزيران	١٧٦٦	٢٢ نيسان	١٧٩٣
٢١ ميخائيل فاضل	١٠ ايلول	١٧٩٣	١٧ ايار	١٧٩٥
٢٢ فيلبوس الجميّل	١٢ حزيران	١٧٩٥	١٢ نيسان	١٧٩٦
٢٣ يوسف التيان	٢٨ نيسان	١٧٩٦	تنزل ٨ حزيران	١٨٠٩
٢٤ يوحنا الحلو	٨ حزيران	١٨٠٩	١٢ ايار	١٨٢٣
٢٥ يوسف حبيش	٢٥ ايار	١٨٢٣	٢٣ ايار	١٨٤٥
٢٦ يوسف الخازن	١٨ آب	١٨٤٥	٣ ت ٢	١٨٥٤
٢٧ بولس مسعد	١٢ ت ٢	١٨٥٤	١٨ نيسان	١٨٩٠
٢٨ يوحنا الحاج	٢٩ نيسان	١٨٩٠	٢٤ ك ١	١٨٩٨
٢٩ الياس بطرس الحويك	٦ ك ٢	١٨٩٩		

سفير كرمليّ حافٍ

بقلم حضرة العلّامة المتفنن الاب انستاس الكرملي

ممّا ورد آخرًا في اخبار تتويج ملك اسبانية الشاب ان معتمد شاه العجم الخارق العادة قال عند تقدمته التهانئ باسم مولاهُ ما معناهُ: « انفذ الشاه عباس الاكبر في صدر المائة السابعة عشرة الى الملك فيليب الثالث سفيرًا ليعقد عُرى الاخاء بين الدولة الشرقية القديمة دولة كيخُسْرُو ودارا وبين الدولة الغربيَّة دولة ريكاريد وشرلكان »

وقد ادرجت صحف مدريد هذا الخطاب ودار الكلام عليهِ في محافل واندية العالم كلهِ اجمع . اما الامر الذي لم يَفُه بهِ احدٌ فهو ان هذا السفير الاول لشاه العجم الى الجلالة الكاثوليكيَّة كان واحدًا من رهبان الكرمليين الحفاة واليك تفصيل ذلك: في ٦ تموز سنة ١٦٠٤ أخذ ثلاثة من الرهبان الكرمليين الحفاة بمغادرة المدينة الازليَّة ليُقيموا في بلاد فارس رسالةً . وكان قد انفذ هؤلاء الدعاة البابا اقليميس الثامن لا بمنزلة مرسلين فقط بل ايضًا بمنزلة وفد سفارة من قبل الكرسيّ المقدس مقابلةً لوفد السفارة الذي وجَّههُ شاه فارس سنة ١٦٠٠ الى رومية للتسليم على الحبر الاعظم

وكان مع المرسلين رسائل توصية من عاهل الرومانيين ومن سفير اسبانية في رومية وهو المركيس دي ڤِلّنا ومن جمهوريَّة البندقيــة . وما عدا ذلك زوَّدهم ملك پولونية بكتبهِ عنــد مرورهم ببلادهِ لانهم اضطروا اوانئذٍ ان يسافروا على طريق التيرول و بوهيمية و بولونية وروسية

ووقع لهم في مطاوي شقّتهم الف واقعة ممــا يطول شرحها هنا ويضيق نطاق المجلّــة عن ايراد تفاصيلها اذ دام سفرهم هذا ثلاث سنوات ونصف سنةٍ ولم يَمْثُل المرسلون بحضور شاه العجم الّا في اليوم ٢ من شهر ك ٢ سنة ١٦٠٨ عقب إلقائهم عصا الترحال في اصبهان ببضعة ايام وكان ذلك المثول على ابدع مثــال واحسن طراز . ولمّا حضروا بين يدي جلالتهِ رحّب بهم احسن ترحاب وتلقى الالطاف والهدايا بصدرٍ ثَلجٍ وعينٍ قريرةٍ وشملهُ الفرح اعظم شمول عند اطلاعهِ على الوسائل الرسميَّة التي أُنفذت على ايديهم

فاحسن على المرسلين بدارٍ قوراء وجنَّة اريضةٍ فيحـاء غيباء واذن لهم بتبشير نصارى دولتهِ بالديانة القويمة الكاثوليكيَّة بكل حريةٍ وجعلهم تحت جناحهِ الملكي. الَّا انهُ طلب من مقدَّم الوفد ان يعود من فورهِ الى اوربة ليهدي الى الحبر الرومـاني والى سائر الملوك الذين يُمثلهم عبارات الوداد والاخلاص والفضل طالباً منهم مكاتفتهم عند حلول الرزايا

هذا وقد حان الآن ان نُوقِف القارئ الكريم على هؤلاء الرهبـان الذين كان يتقوَّم منهم الوفد المذكور. فكان زعيمهم الاب بولس سيمون من اسرة ريفـارولا الكريمة الشريفة في جَنوة. وكان قد انخرط في سلك الرهبانية الكرملية سنة ١٥٩٥ وبعد ان جهر بنذرهِ رحل الى اسبانيـة طلباً للفلسفة واللاهوت. ولمَّا اتمَّ دروسهُ قفل راجعاً الى ايطالية فاوعز اليهِ الرؤساء في بناء دير نابولي. ثم من هنـاك سافر الى بلاد فارس

امَّا الراهب الثاني فكان اسمهُ الاب جان دي سنت أليزه (الاب يوحنا المنسوب القديس أليشع) وكان مولدهُ في اسبانية وترهَّب في دير بلَد الوليد (Valladolid) ثم انطلق الى ايطالية سنة ١٦٠١ فأُرسل الى دير نابولي ومن هُناك بُعث الى رسالتهِ بلاد العجم فسُقِّف على لاتين اصبهان سنة ١٦٣٠

امَّا الراهب الثالث فهو الاب ڤنسان دي سان فرنسوا (الاب منصور المنسوب الى القديس فرنسيس) وكان مسقط راسهِ اسبانية وجهر بنذرهِ في رومـة سنة ١٥٩٩ ولمَّا كانت السِنُّ قد حنكتهُ بل وزاد في حُنكتهِ وحكمتهِ تبحُّرهُ في العلوم ومزاولتهُ الفضيلة اصبح اهلًا لان يُقلَّد احسن قلائد الخطط العالية ولذا غدا بمنزلة ثالثة الاثافي للَّذين صمَّما على طيّ البلاد والفيافي

وعليهِ فلمَّا كان الشاه قد عهد بالسفارة الى زعيم هذا الوفد كان المقصودُ من هؤلاء الثلاثة الابَ بولس سيمون. فرجع للحال الى بلاد الافرنج قاطعاً بلاد تركية على طريق بغداد دار السلام وحلب الشهباء لزيارة الملوك الذين نوَّهنا باسمائهم

وفي تلك التضاعيف كان قد استوى على عرش الاحبار الرومانيين البابا بولس الخامس فرحَّب بالاب بولس سيمون واشار عليهِ ان يُعنى حالًا بالشؤون التي عُهدت الى عنايتهِ من دينيةٍ وسياسية. وقبل ان يواجه هذا الاب فيليپ الثالث زوَّدهُ البابا برسالتهِ

وكذلك فعل كلٌّ من الكردينال رئيس اساقفة طُلَيطلة ودوق لارمة ورؤساء الكرمليين الحُفاة في اسبانية . فلما وصل الاب سيمون الى مجريط ذهب توًّا الى البلاط الملكيّ وأبلغ صاحب الجلالة الكاثوليكيَّة ما نَدَبَهُ إليهِ شاه العجم داعيًا إياهُ الى تحصيل الخير للديانة وللنفوس في تلك الديار الشاسعة وذلك بان يُرضي الشاه بما يكون من وسعهِ ومقدرتهِ

وبعد ان انهى مهمتهُ أحسن إنهاء عاد الاب بولس سيمون الى رومة سنة ١٦٠٩ وبعد زمانٍ انتُخب رئيسًا عامًّا للرهبانية كلها ثم قلِّد تلك الرئاسة ثلاث مراتٍ وكانت دائمًا معقودة النواصي بالصلاح والفلاح وكانت وفاتهُ وهو في الرئاسة العامة سنة ١٦٤٣ في رومية العظمى

فهذا هو السفير الذي ذكرهُ امس صاحب السموّ ميرزا رضاخان في اعياد تتويج الملك الفونس الثالث عشر. امّا اليوم فلم نعد نرى الرهبان يُقلَّدون مثل هذه المهامّ. او الامور العظام. التي قاموا بها احسن قيام

فيا لشؤم الطالع تبدّلت الاحوال. وتفاقمت الاهوال. واصبح الرهبان. في هذا الزمان. هدفًا لسهام المفسدين واهل الطغيان. وهم يتتبعونهم في كثير من البلدان. كأنَّ مثل هذه الاعمال من آثار التمدُّن الحديث. الذي نفخ فيهِ الخنّاس روحهُ الخبيث. وقانا الله من شرهِ الذي يندفع اليهِ اندفاع الحثيث. اللهمَّ كنْ لنا خير مغيث

عيد التجلّي في الكنيسة الارمنيَّة

لحضرة الاب الفاضل دير نرسيس صائغيان البغداديّ

بين الاعياد التي تقيمها الكنيسة الارمنيَّة بأبهة عظمى وحفلات شائقة يوم عيد تجلّي الربّ على جبل الطور. فانَّها تُعدّ هذا النهار بين اعظم اعياد كلندارها السنويّ وتخصُّهُ باعتبار ممتاز وللارمن في هذا اليوم عادات خصوصيَّة واصطلاحات مِلّيَّة حدت بي الى تسطير هذه النبذة تفكهةً لقرَّاء المشرق

*

قلتُ لا سند لرأي بعض كتبة الارمن اذ رقّوا عيد التجلّي الى عهد الرُّسل فان التواريخ الكنسيَّة لا تثبت البتَّة هذا القول. واذا تصفَّحنا تآليف الائمَّة لا نكاد نجد ذكرًا لهذا العيد قبل القرن السابع بل الثامن ايضًا ولعلَّ بعض الكنائس الخاصَّة قد احتفلت بهِ احتفالًا خصوصيًا منفردًا او بالاحرى أنَّها كانت تقيم لهُ تذكارًا في بعض الاماكن كجبل الطور مثلًا حيث شيَّدت القديسة هيلانة كنيسةً اكرامًا لسرّ التجلي وتخليدًا لذكر هذه الآية العظمى امَّا الكنيسة الكاثوليكيَّة فأنَّها لم تعمّم الاحتفال بهذا العيد الّا في القرون المتوسطة (١

على أنَّنا نستثني من هذا الحكم كنيستنا الارمنيَّة التي سبقت جميع الكنائس واقامت لسرّ التجلّي عيدًا مليًا ورد ذكرهُ لاوَّل مرَّة في قوانين مجمع ڤاغرشاباد الذي عقدهُ سنة ٤٢٦ القديس اسحاق الكبير البطريرك المنتمي الى أُسرة القديس غريغوريوس المنوّر (راجع المشرق ٣: ٥٠). وليس القديس اسحاق بمنشئ هذا العيد وانما يُستدَلّ من قرينة كلامهِ ان الارمن كانوا يحتفلون بهِ من ذي قبل والرأي العام ينسب انشاءهُ الى القديس غريغوريوس رسول الارمن ومنصِّرهم

ولكن تُرى ماذا حدا بهذا الإمام العظيم الى وضع عيد لم تجرِ عليهِ الكنيسة قبلهُ. قلتُ: انَّ لفي ذلك سرًّا حاول البعض اماطة القناع عنهُ فأدَّت بهم نتيجة ابحاثهم الى القول بانَّ القديس غريغوريوس وجد بين الارمن قبل إنارتهم بضياء النصرانيَّة عيدًا حافلًا يقيمونهُ لاكرام آلهة الزور فلمَّا صرفهم عن دينهم الباطل تخوَّف من انَّ الغاء حفلات هذا العيد السنويَّة تُضحي سببًا لعودتهم الى الشرك فاستبدل العيد الوثني بعيد آخر مسيحي جعل فيهِ افراحًا عمومية بهيجة واثبت فيهِ من العادات السابقة ما لم ينافِ الآداب النصرانية وقد اتَّخذ لذلك عيد تجلي الرب لما في ذكرهِ من البهجة والمسرَّة

وانْ سألت الآن عن هذا العيد الذي كان قدماء الارمن يحتفلون بهِ قبل عهد

---

١) ان هذا القول يصحُّ عن العيد فقط لا عن الآثار التي تمثّل تجلي الرب كالفسيفساء والنقوش و التفاسير الانجيليَّة فانَّ بعضًا منها يتَّصل بالقرن الرابع. وقد جاء ذكر عيد التجلي في نسخ الميناون القديمة التي كُتبت قبل الجيل العاشر. وكذلك ورد ذكر عيد التجلي في سنكسار ڤَنْدلبرت في اواسط القرن التاسع (المشرق)

القديس غريغوريوس اجبتك انَّ الامر ذو شبهة فان موءلفي القرن العاشر والقرن الحادي عشر زعموا انَّ العيد الذي أبطلهُ منصِّر الارمن انما كان عيد الزُّهرة. واستندوا في تأييد قولهم الى اسم عيد التجلي وهو في الارمنية Վարդավառ (ڤَرْتَڤار) ومعناهُ « زهيٌّ بالورد » اشتقُّوهُ من لفظتين « Վարդ » وَرْد و « Վառ » زهيٌّ منير. قالوا انَّما دُعي بذلك لانَّ الورد من رموز الزُّهرة فكان القوم في اعياد هذه الالهة يتكلّلون بالزهور ويزيّنون تماثيلها بالورد ولذلك كانت الزُّهرة تُدعى عنـدهم « ذات اصابع الورد » Վարդամատն (ڤرتامادن) فيلقبونها بهذا اللّقب دلالةً على اختصاص الورد بها. هذا ما قالهُ هوءلاء ولا نعلم ما في قولهم من الصحّة لاننـا لم نجد لهُ سندًا في التاريخ القديم ولعلّهُ رأي ذهبوا اليهِ وتوخوا لهُ شرحًا قريبًا من الصواب مقبولًا من العقل

على انَّنا لا نرى في هذا التفسير ما ينفي الشبهات لان هذا العيـد المنسوب الى الزُّهرة لم يرد لهُ اثرٌ في التاريخ. ومن ثمَّ اخذ اهل التنقير وذوو الانتقاد يبحثون عن عيدٍ آخر كان الارمن يعظمونهُ ويقيمون فيهِ الافراح وينثرون الورود والازهار. فوجدوا عيدًا يناسب ايَّ مناسبة عيد التجلي وعاداتهِ ألا وهو عيد رأس السنة عند الارمن او النيروز (١ وهم يدعونهُ ناڤازرت Նաւասարդ او امانور Ամանոր وكان يقع عندهم في الغالب في شهر آب او اواخر تموز

وكان اوَّل ظهور هذا العيد على رأي الموءرخين في عهد الملك فاغَرْش الثـاني (١٩٥—٢١٠م) انشأَهُ اجابةً لطلب الأُسرة الملكيَّة وحبًّا بالجـاه وامر بان لا يدخر فيهِ رعاياهُ شيئًا من اسباب الفرح في كل انحاء مملكتهِ

---

١) كانت السنة الارمنيَّـة شمسيَّة مركبة من اثني عشر شهرًا لكل شهر ٣٠ يومًا يضيفون اليهـا خمسة ايَّام فتضحي مركبة من ٣٦٥ يومًا وفي القرن الثـاني عشر ادخل حنًّا الشماس († ١١٢٦) السنة الكبيسة امَّا اسماء الشهور عندهم فهي هوري (Հոռի) سهمي (Սահմի) دري (Տրէ) كاغوتس (Քաղոց) اراتس (Արաց) ميهكان (Մեհեկան) أرِك (Արեգ) اهيكان (Ահեկան) ماريري (Մարերի) مركتس (Մարգաց) هروديتس (Հրոտից) ويدعون الخمسة الايام الاضافية هِنك (Հինգ) او أڤيليتس (Աւելեաց)

وكان اذا اسفر صباح العيد تدقّ الافراح فيقدم الملك مع كل حاشيتهِ الى قرية تُدعى باكثان اي قرية الآلهة حيث أُقيمت لآلهة الوثنيّة تماثيل كبيرة في جملتها صنم للمشتري المضيف(١ (Jupiter hospitalier) فيخرج الكهنة الى استقبالهِ وهم لابسون الحلل الفاخرة وعلى رؤُسهم البراقع ثمَّ يقدّمون البخور العطر لآلهتهم ويقرّبون القرابين ويذبحون الذبائح فيوزّعون لحومها على الغرباء الذين كانوا يأْتون زرافات بل الوفًا مؤلفةً لحضور العيد. وكانوا اذا انتهوا من مناسكهم الدينيّة يصرفون الساعات الطوال في الرقص والقصف وضروب الملاهي. وكانت قرية باكثان كروضة غنّاء فيها العيون النميرة والحدائق الغبياء وبقربها جبل يُدعى شاهابيقان (وهو فرع من جبل تساغُتس المعروف اليوم بعَلَا داغ) تظلّلهُ الغابات الفنواء فيلتئم الشعب هناك ويحضر الالعاب ويسمع اصوات آلات الطرب المشنّفة للآذان كالنفير والابواق والطبول. وكثيرًا ما كان يأْتي الحفلات شعراء بلاد كغتان المفلقون فينشدون الاناشيد ويردّدون على مسامع القوم اخبار الغابرين من بني هَيك وابطالهم ومآثرهم. ومن عادات ذلك النهار ان البعض كانوا يغتسلون في احواض المياه فيرشُّ بعضهم بعضًا ومنهم من يتّخذ الفوّارات فيُفير المياه على صور شتى وكان كثيرون ينثرون الورد وهو في تلك الجهات ذكيّ الرائحة بهيُّ المنظر وغيرهم يعطِرون القوم بالماورد. ومنهم من يُطيرون الحمام في الجوّ او يركضون الغزلان الى غير ذلك من الملاهي التي بقي آثار منها حتى يومنا في عيد التجلي

ولمَّا ظهر القديس غريغوريوس ازال من هذا العيد القديم مسحتهُ الوثنيّة وحوَّل افراحهُ الى افراح مسيحية تسرّ الخاطر وتبهج الناظر دون ان تلحق بالنفس ضررًا وتشين القلب بوصمة. فصار الارمن في ذلك اليوم يتهادون الورد ويزينون بالزهور بيوتهم وموائدهم ويتشاغلون بتطيير الحمام ويرشُّون المياه بعضهم على بعض. وقد بقي لهذا النهار اسمهُ القديم عيد « الورد البهيّ » (فارتفارت) حتى بعد نقلهِ الى يوم عيد التجلي. وفي اسمهِ التركيّ ايضًا دليل آخر على ذلك فان الاتراك يدعون العاب هذا العيد « غول دونماس » اي تكليل الورد

*

١) ان عبادة المشتري للضيف كانت شائعة بين الشعوب القديمة لاسيما الاثينيين والرومان فيعيّدون لهُ الاعياد ويشيّدون الهياكل وكانت غايتهم في ذلك تعزيز الضيافة ورفع منارها

فصحَّ اذن ان العيد الذي الغاهُ القديس غريغوريوس المنوّر ليقيم بدلًا منهُ عيد التجلي انّما كان عيد النيروز الذي كان الارمن يحتفلون بهِ منذ عهد ڤاغرش الثاني . هذا القول رويناه عن صاحب تاريخ الارمن ورميناهُ على عواهنهِ دون الجزم بصحتهِ وعندنا ان ڤاغرش الثاني ليس هو بمنشئ هذا العيد وانّما جدّدهُ واولاهُ رونقًا بهيجًا وحلّاهُ بمظاهر تأخذ بالعيون وتخلب الالباب. واما اصل العيد فيضيع في مجاهل الاعصار ولا غرو انهُ كان يمثل حادثًا عظيمًا وواقعةً جليلة ابقت في قلوب اهل تلك الاقطار ذكرًا مخلدًا لا يمحو اثرهُ كرور الادهار

وان سألت ما هو هذا الامر الخطير الذي اراد الارمن احياء ذكرهِ بهذه الحفلة السنويّة أحلناكَ الى الفصل الثامن من سفر التكوين حيث روى موسى انتهاء الطوفان وكيف خرج نوح من تابوتهِ فحلَّ هو وبنوهُ في جبال اراراط ووطئ بلاد الارمن واستعمرها . فناشدتك الله هل امكن ذرّية نوح ان تضرب صفحًا عن هذا الامر الجلل وتنسى حادثًا كهذا ? لا لعمري بل الاحرى ان يقال ان نوح بعد نجاتهِ من الطوفان جعل يوم خلاص الجنس البشري وحصولهِ على خلقةٍ جديدة كتذكار مؤبد يشكر فيهِ الآدميّون لهُ عزَّ وجل نعمتهُ السابقة اذ انقذهم من مياه العرمرم . فلم يكتفِ بان يصعد المحرقات لعزّتهِ تعالى بل اراد ان يجدد بنوهُ ونسلهم من بعدهم ذكر هذه المنة العظمى لاسيا ان الله قبل تفرقهم اتخذ عهدًا جعلهُ بينهُ وبينهم ووضع قوس الغمام كعلامة رحمتهِ نحوهم . فلا جرم اذن انَّ نوحًا واولادهُ اقاموا في كل سنة ذكرًا لصنيعة الله اليهم وان كان هذا العيد شمل كلّ بني نوحٍ افليس الاولى بان يُقال انهُ اقيم برونقٍ اعظم وابهة خصوصيَّة في نفس البلد الذي تمَّ فيهِ امر نجاتهم اعني في ارض الارمن

ولكن ما هو هذا العيد الذي فرضهُ نوح على ذرّيتهِ وهل بقي منهُ أثر بعد توالي الاعصار وانتشار الشرك وعبادة الاصنام في بلاد الارمن . جوابنا انَّ عيد ڤارتڤات او هو هو عين العيد الذي توارثهُ الارمن عن اجدادهم الاوَّلين لذكر الطوفان ولنا ادلّة على ذلك في العادات الجارية في مثل هذا اليوم فليت شعري ما معنى تطيير الحمام الذي كان يجري عليهِ قدماء الارمن في ذلك اليوم اليس هو اشارة الى حمامة نوح التي ارسلها من التابوت ?. وكذلك تسيير الغزلان فانّنا نرى فيهِ تلميحًا الى الحيوانات التي اطلق نوح سراحها من فلكهِ . وكذلك ايضًا رشُّ المياه فانَّ فيهِ رمزًا الى الطوفان

وامطارهِ الهاطلة. ويؤيّد ذلك ما ذكرهُ قدماء المؤرخين من اليونان وغيرهم عن الطوفان الذي يعزونهُ الى دوكاليون وما هو الّا طوفان نوح شوّهوا ذكرهُ بخرافاتهم. وقد اخبر لوسيان احد كتبة القرن الثالث انَّ اهل منبج كانوا يقيمون في كل سنة ذكرًا لهـذا الطوفان فيُجرون المياه في هياكلهم ويجمعونها في حوض وهم يزعمون ان دوكاليون انشأ هذا العيد لتخليد ذكر الطوفان. ونرى اليوم عادة الرشّ جارية عنـد نصارى العراق لكنها مألوفة عندهم في يوم آخر وهو يوم عيد صعود الربّ فيدعونهُ لذلك عيد الرشيش او خميس الرشاش وقد جاء ذكر هذه العادة عند الكلدان منذ عهد خلفاء بغداد (راجع نبذة في ذلك لحضرة الاب انستاس الكرمليّ في المشرق ٣:٦٦٨) ونحن لا نشكّ انَّ اهل العراق والجزيرة اخذوا هذه العادة عن جيرانهم الارمن فنقلوها من عيد الى آخر

وللارمن تقاليد أُخرى قديمة تذكّرهم بالطوفان وبسفينة نوح منهـا ما ورد ذكرهُ في المؤرّخ المصري ابيدان في القرن الثالث قبل المسيح وفي تاريخ اسكندر پوليستور في القرن الاوَّل قبل الميلاد وفي عاديَّات يوسيفوس اليهودي فيقولون انَّ آثار سفينة نوح كانت باقيةً الى عهدهم. وممَّا يتناقلهُ الارمن أبًا عن جدّ انَّ نوحًا بنى عند خروجهِ من التابوت مدينـة ناخشافان (ومعناها المنزل الاوَّل) وقد روى يوسيفوس هذا التقليـد ودعا مدينة نوح الاولى باسمٍ يونانيّ يوافق معناها الارمنيّ فسمَّاها اپوباتيريون (Ἀποβατήριον) اي مربط السفن ومحطّة ركَّابها

فترى انَّ حادث الطوفان لم يبرح قطّ من ذاكرة الارمن حتى قبل عهد النصرانيَّة فهل من عجب بعد ذلك ان يكونوا خلّدوا ذكرهُ في عيـد سنويّ جدَّد بعدئذٍ افراحهُ الملك ڤاغرتش وزاد في بهجتهِ. ولمَّا سطعت انوار النصرانيَّة لم يرَ القديس غريغوريوس رسول الارمن بُدًّا من حفظ هذا العيد ولكن نفى عنـهُ كلَّ ما كان يشتمّ فيهِ من رائحة الوثنيَّة وجعلهُ مخصوصًا بسرّ تجلي الرب. ولهذا السبب نرى في هذا العيد ما يشير الى اصلهِ القديم

ولا تزال الكنيسة الارمنيَّة حتى يومنا هذا تحتفل بهذا العيد احتفالًا بهيجًا لا نظير لهُ في الطوائف الأُخر وهي تنظمـهُ في سلك اعظم اعيادها السنويَّة وتعدُّهُ من جملة الاعياد الخمسة الكبرى المعروفة باسم داغاڤار (Տաղաւար) وهي الغطـاس

والفصح والتجلّي وانتقال العذراء وعيد الصليب. ومما تختصّ بهِ هذه الاعياد ان يتقدَّمها اسبوع صوم استعدادًا لذكرها وتدوم حفلاتها أيّامًا وهي كلّها منقولة الى ايّام الآحاد امّا عيد التجلّي فيُحتفل بهِ في الاحد السابع بعد الفنطيقسطي ويعيَّد بهِ ثلاثة ايّام واليوم الثاني منهُ بطالة وفي بيرامونهِ يجوز اكل البياض لانَّ فيهِ يقع ذكر تابوت العهد الذي هو رمزٌ عن كنيسة المسيح. والارمن في هذا العيد يطلقون العنان للمسرّات. ومن العادات الجارية اليوم في بعض الامكنة ان يطوف المؤمنون في الكنيسة ويرشُّهم الكاهن بماء الورد. وكثيرون يخرجون الى البرّيَّة ويرتشفون كؤوس الافراح وتجري ألعاب شتّى كالجريد وركض الخيل والبهلوان والرقص. ويقام سوق للحمام ولذلك يدعو الاتراك هذا العيد « سوق الحمام » (كوكرين باتايري) وللشعب عاداتٌ أخرى يطول ذكرها اكتفينا بالبعض منها تنويهًا بعظم هذا العيد وتأييدًا لما رويناهُ في الصفحات السابقة. والسلام

مطبوعات شرقية جديدة

ܟܬܒܐ ܕܨܠܘܬܐ ܫܚܝܡܬܐ ܕܥܕܬܐ

ܠܥܕܬܐ ܩܕܝܫܬܐ ܕܣܘܪܝܝܐ ܩܬܘܠܝܩܝܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ

الصلوات القانونيَّة لكنيسة السريان الكاثوليك الانطاكيَّة

طبع في الشرفة سنة ١٩٠٢ ص ٥٧٤ بقطع صغير

من مآثر غبطة السيد الجليل والعلاَّمة الشهير اغناطيوس افرام الثاني بطريرك السريان الكاثوليك اعادة طبع الفرض القانونيّ لكهنة طائفتهِ. وكان هذا الكتاب طُبع في رومية العظمى مرَّة اولى سنة ١٦٩٦ بهمَّة الطيّب الذكر اثناسيوس سفر مطران ماردين ثمَّ كرّر طبعهُ سنة ١٧٨٧ على يد القسيس الياس فتح الله الدياربكري الذي اضاف اليهِ فرضًا خصوصيًّا ليوم الاحد نقلًا عن الآباء وكان الكهنة قبل ذلك يتلون في الآحاد فرض يوم الاربعاء. ثم طُبع ثالثةً سنة ١٨٥٣ وزيد عليه صلوات أخرى بالكرشونيَّة مع كلندار السنة وهذه الطبعة الاخيرة كانت قد نفدت فاحبَّ غبطة

البطريرك المفضال تجديد طبعها فجعلها باكورة منشورات المطبعة البطريركيّة في دير سيّدة الشرفة. ولهذه الطبعة الجديدة مزايا عديدة على الطبعات السابقة منها صغر حجمها ونضارة طبعها بالحرف السرياني الباريزيّ الجميل ومنها اصلاح ما وقع في الطبعات السابقة من الاغلاط. وقد تكلّف غبطتهُ جازاهُ الله عناء كبيرًا بمراجعة هذه الصلوات على النُسخ المخطوطة القديمة وضبط تسابيحها المنظومة. وقد صدَّر الكتاب بقائمة الاعياد المنتقلة من سنة ١٩٠٢ الى سنة ١٩٣٥ وبقلندار الاعياد الثابتة. وألحقهُ في آخرهِ (ص ٥٠١ الى ٥٧٤) بصلوات مختلفة كاناشيد جميلة لمار ربولا اسقف الرها وتذكارات للرسل والشهداء والمعترفين وغير ذلك من الفوائد ولا بدع انَّ الاكليروس السرياني سيتلقّى هذا العمل بمزيد الشكر لكبير احبارهِ المقدام كما سيثني على غبطتهِ كل محبّي الآثار الدينيّة الشرقيّة ويتمنّون لو يتحفهم قريبًا بشيء من الكنوز العلميّة التي جمعها من اقطار شتّى

الدنيا في باريس

لاحمد زكيّ بك سكرتير ثاني مجلس النظار (ص ٢٧٢)

كتبنا في المشرق (٣: ٦٢٥) نظرًا عن معرض باريس والعجائب التي جمعها فيهِ العالم المتمدّن في غرَّة القرن العشرين. غير انَّ ذلك النظر كان مجملًا اودعناهُ خلاصة اقاويل الصحفيين عن هذا المشروع الخطير بل آية العقل البشريّ. ومن اراد الوقوف على طرائف هذا المعرض وبدائعهِ بالتفصيل فعليهِ بمطالعة ما كتبهُ الاديب البارع والكاتب الضليع احمد زكي بك في هذه الرسائل التي نشرها اولًا كملحقٍ لمجلّة طبيب العائلة ثمَّ جمعها في كتاب مستقلّ. ومن خواصّ هذا الكتاب انَّ قارئهُ لا يشعر بملل لما فيهِ من الاوصاف الحيَّة ورقَّة التعبير والتفنُّن في أساليب الكتابة مع ما تضمَّنهُ من الرسوم والتصاوير بحيث يرافق شاهدُ السمع شاهدَ العين ويتأثَّر بمشاعرهِ ولا يشكّ انَّهُ يرى رأي البصر ما وصف الكاتب من المشاهد فيردّد تقريظ الشاعر البليغ علي باشا رفاعة لهذا الكتاب حيث قال فاجاد:

اذا فاتك استطلاع دُنياك والَّذي ... تَضَمَّنَهُ في افق باريس معرضُ
فخذ بدلًا هذا الكتاب فانَّهُ ... يمثِّل ما قد فاتنا ويعوّضُ

قاموس الجغرافية القديمة بالعربيّ والفرنسيّ

للمؤلف الاديب السابق ذكرهُ

طُبع في المطبعة الاميركيّة الكبرى سنة ١٣١٧-١٨٩٩ (ص ٩٥)

هذا القاموس عبارة عن لائحة لمعجم جغرافيّ كبير يُعدُّهُ حضرة البك مؤلف كتاب « الدنيا في باريس » وفي نيَّتهِ ان يضمّنهُ كلّ ما يمكنهُ من الاعلام الجغرافية القديمة مع ذكر لفظها بالفرنسويّة وما يوافقها اليوم من الاسامي الشائعة على ألسنة النَّاس فضلًا عن تطبيق بعضها على بعض والاشارة الى مآخذها وكيفيَّة اشتقاقها وانتقالها وهو عمل اثير يتمنَّى كلُّ عالم خروجهُ قريبًا الى حيّز الوجود. ومن اطَّلع على هذا الملخَّص يرى ولا محالة انَّ صاحبهُ مستعدٌّ لمثل هذا الأثر النفيس الذي من شأنهِ ان يخلّد لهُ اسمًا طيّبًا بين كلّ ادباء الشرق. والحقُّ يقال انَّ هذا القاموس مع صغر حجمهِ يتضمَّن من الفوائد ما لا يُحصل عليهِ الَّا في كتُب عديدة. ومن ثمَّ فلا بأس اذا وقع فيهِ بعض اغلاط اذ الكمال لله وحدهُ ل. ش

Le Monténégro et le St - Siège

PAR LE MARQUIS D. MAC SWINEY DE MACHANAGLASS

Rome 1902, p. 93

الجبل الاسود والكرسي الرسولي

لا يجهل احد ما خصّ الله بهِ امام الاحبار ورأس الكنيسة الجامعة البابا لاون الثالث عشر من علوّ الهمم وسعة النظر في تتمَّة المشروعات الجليلة التي باشرها منذ ربع قرن. فان المعاهدات العديدة التي عقدها مع اكثر الدول تنطق بسموّ مداركهِ وتنبئ بحكمتهِ العجيبة فلا تراهُ يضحّي شيئًا من المبادئ الموكول اليهِ حفظها الَّا انهُ يعرف يتقلّب مع ظروف الزمان واحوال الشعوب لخير البلاد وخلاص العباد. ولنا على هذا القول شاهد جديد في هذا الكتاب الذي ألَّفهُ احد حجَّاب الاب الاقدس المركيز « ماك سويناي » وقد بيّن فيهِ حسن سياسة الحبر الاعظم في المعاهدة الاخيرة التي أُبرمت في العام الجاري بين الكرسيّ الرسوليّ وصاحب الجبل الاسود الامير نيقولا. وقد رخَّص قداستهُ للكاثوليك الذين في تلك الامارة ان يستعملوا في رتبهم الدينيَّة اللغة السّلافونيَّة وان

كانوا كلهم يتبعون الطقس اللاتيني. وهذا التسامح في الطقوس لا يُخلُّ في شيء بالعقائد الكنسيَّة كما لا يخفى وانَّما تساهل بهِ الحبر الاعظم لما وجد في اهــل تلك البلاد من الولوع بلغتهم القديمة ومن الرغبة في توطيد العواطف المليَّة. وهذا ما دفع ايضاً قداستهُ في حلّ مشكل آخر كثير المصــاعب يختصّ بمستشفى القديس ايرونيموس في رومية العظمى وباوقافهِ فتمّ الوفاق على رضى الجانبين. وفي هذا الكتاب تفاصيل عديدة عن كل ذلك نحيل اليها القارئ. فلا مراء انهُ اذا اطَّلع عليها يثني على صاحب هذا التأليف ويقرُّ بطول باعهِ في المعارف التاريخيَّة والسياسة الدينيَّة ه. ل

شَذَرَاتٌ

انتقاد — ارسل الينا حضرة العالم اللغويّ الخوري بولس حويس نبذةً حسنة ضمَّنها ملاحظات وانتقادات ردًّا على نظر حضرة الاب انستاس الكرملي (ص ٥٣٦) في انتقادهِ السابق على الكلم اليونانيَّة (٤: ٧٣). على انَّنا ضربنا عن نشرها صفحاً لئلاَّ ينشأ عن هذا الجدال سأم للقرَّاء فنشكر لكاتب المقالة ونستميح منهُ عذرًا

اقدم سفينة في العالم — هي سفينــةٌ اكتُشفت آخرًا في اخربة داشور طولها تسعة امتار في عرض مترين يرتقي عهدها الى نحو ٤٥٠٠ سنة. وألواحها مضمومة الى بعضها كسفن زماننا وهي مقلفطة بالزفت ولها سارية كانت تعلَّق عليها القلوع وكان يمكن دفعها ايضاً بالمقــاذيف. امَّا خشب هذه السفينة فلم يُذكر جنسهُ ولعلَّهُ من الارز وهو وحدهُ يصبر زمنًا طويلًا كهذا

الماس الصناعيّ — لا يختلف الماس الصناعيّ عن الماس المعدنيّ في شيء. الَّا انَّ هذا يستخرج من المعادن وذاك يُنــال بتبلور الكربون. الَّا ان معامل الماس الصناعيَّة لم يمكنها حتى الآن ان تجهّز منــهُ الَّا قطعاً صغيرة وذلك بعد الجهد الجهيد وقد اكتشف العلاَّمة الكيمويّ المسيو موسّان طريقة لتجهيز قطع كبيرة منهُ بتذويب الحديد وضغطهِ بعد احمائهِ باشعَّة رنتجن وتبليغهِ الى حرارة غريبة

السريان في الهند — هم النصارى المعروفون بنصارى مار توما كانوا قديمًا من الكلدان ثمَّ ادخل اليعاقبة بينهم اضاليل اوطيخا وابدلوا طقسهم بطقس

سرياني يُدعى ايضاً طقساً ملبارياً. وقد رجع قسم من هؤلاء النصارى الى الدين الكاثوليكيّ على يد المرسلين اللاتينيين وقد اقام لهم البابا لاون الثالث عشر اسقفين كلدانيين لرعايتهم وعددهم يبلغ الآن كما ورد في احصاء هذه السنة ٣٢٢٥٩٦ . امَّا اليعاقبة الباقون منهم فعددهم ٢٤٨٧٤١

ملك جيبور ✤ كان الملك ادوار السابع دعا لحضور حفلة تتويجهِ في ايَّار كلّ ملوك الهند الخاضعين لسلطة انكلترة . فممَّن لبَّوا دعوتهُ ملك جيبور وهو من لفّ البراهمة الكبار المعدودين من نسل آلهة الهند. ولا يخفى انَّ للبراهمة رتباً وعادات غاية في الغرابة لا يمكنهم ان يجروا بموجبها الَّا في بلادهم كالاغتسال في نهر الكنج والسجود للاصنام وغير ذلك ممَّا يطول شرحهُ. وقد اراد ملك جيبور في كل سفرتهِ ان يمتثل مراسيم دينهِ مهما اقتضى الامر من النفقات فجهَّز لهُ ولحاشيتهِ سفينة تجاريَّة بثمن عشرة آلاف فرنك ثم احتلَّها مع ١٢٥ شخصاً من مذهبهِ ونقل الى السفينة كلّ ما يحتاج اليهِ لمناسكهِ الدينيَّة واتَّخذ حوضاً ملأهُ من ماء الكنج للوضوء والاستحمام والشرب اليومي مدَّة سفرهِ. وجعل اصنام آلهة في احدى القاعات الكبرى ليقرّب لها القرابين المفروضة. واتَّخذ طبَّاخين يعدُّون لهُ المآكل المحلَّلة للبراهمة يغتذي منها هو واصحابهُ بعد تقدمة قسم منها للآلهة وهي على زعمهم تأكل وتشرب كبني البشر وقد صرف لنفقات سفرهِ نحو مليونين ونصف من الفرنكات

علاج الاحتراق ✤ اذا بُلي جسمك بحرق فعليك بمزيج من الماء مشبع بالحامض البكريك (acide picrique) فتضمدّ بهِ الجرح. والاولى ان يتَّخذ لذلك القطن ويجوز استعمال هذا الحامض على شكل ذرور منعَّم. فلا يلبث الوجع ان يخمد ومن خواصّ هذا الحامض انهُ لا ضرر في استعمالهِ فضلًا عن انهُ منافٍ للعفونة امَّا تحضيرهُ فانَّ تجعل منهُ عشرة غرامات او ١٢ غراماً لكلّ ليتر من الماء بعد غليانهِ. ويصفَّى الماء بعد بردوهِ

ضماد الجراحات ✤ اذا اصابك جرحٌ بمديةٍ او موسى فخذ محلولًا من حامض السعتر واغسل بهِ الجرح فللحال تشعر كأنَّ العضو المجروح حُرق بنار الَّا انَّ هذا الوجع يخمد بعد طرفة عين وينقطع سيلان الدم من الجرح

اسئلة واجوبة

س سألنا من بزمّار حضرة الاب سكياس جريان ١٠ ما هو الطقس الاوَّل في الكنيسة وبايّ لغة كُتب ٢٠ كم هي الطقوس التي تُقام باللغة السريانية ٣٠ هل يوجد في مصر سريان يعاقبة ومن اي جيل دخلوا هناك ٤٠ هل عيد دخول المسيح للهيكل وتبريك الشمع فيهِ قديمان في الكنيسة

مسائل طقسيَّة

ج نجيب على (الاوَّل) ان الطقس الاوَّل في الكنيسة هو طقس القديس يعقوب وكُتب في السريانيَّة. ودونك ما كتبهُ آخرًا الاب ڤاليه الصعوديّ في معجم اللاهوت الكاثوليكيّ (ص ١٤٠٢): «انَّ الطقس السريانيّ هو مصدر كل الطقوس واليهِ ترجع بقيَّة الطقوس المعروفة كالطقس الاسكندري والبوزنطيّ والروماني والغاليقاني. ولا غرو افليس سوريَّة هي مهد النصرانيَّة او ليست اللغة السريانيَّة اوَّل لغة استُعملت فيها» (١. راجع ايضًا مقالات الطيّب الذكر اقليميس داود المعنونة بالقصارى وكتاب منارة الاقداس للدويهيّ واصول الدين النصرانيّ للابيل العلاَّمة دوشان (Duschesne) — نجيب على (الثاني) انَّ الطقوس التي تقام باللغة السريانية هي طقس الموارنة والسريان الكاثوليك واليعاقبة والطقس الملباري. وكذلك الطقس الكلدانيّ لانَّ الكلداني هو سريانية الشرقيين — نجيب على (الثالث) انَّ الاقباط احد فروع اليعاقبة كالارمن الغريغوريين. ولكن ليس اصلهم سريان وان كان قد هاجر بعض سريان سوريَّة الى مصر فاختلطوا بالاقباط — نجيب على (الرابع) ان عيد دخول المسيح الى الهيكل من اقدم اعياد الكنيسة وقد ورد ذكرهُ في آثار القرن الرابع. امَّا تبريك الشمع فيهِ فينسب الى القديس جلاسيوس البابا في اواخر القرن الخامس (راجع بارونيوس في تاريخ ٤٩٦ وكتاب مارتان في آداب الكنيسة القديمة (ف ١٥ ع ٢) ل. ش

(١) وهذا نصّ كلامه: « La liturgie syrienne est la source de toutes les autres et les types si connus depuis: alexandrin, byzantin, romain et gallican, peuvent tous aisément s'y rattacher. A cela rien d'étonnant; la Syrie n'est-elle pas le berceau du Christianisme? et la langue syriaque ne fut-elle pas la première usitée?....» *Diction. de Théologie catholique.* (p. 1402)

المشرق

إزدهار الديانة الكاثوليكية في انكلترة

بقلم الاب يوسف جباره اليسوعي

ان انتشار الكثلكة ونفوذها العجيب في انكلترة لامر شغل الخواطر في الجيل
. حتى لهج بذكرهِ كل من أتبع سَيْر السياسة وخُطَطها وانزلهُ من الاهميَّة منزلًا
ينا

هذا ما حملنا على الخوض في ميدان هذا الموضوع فتقصَّينــا حالة الكنيسة
اثوليكية في مملكة الانكليز منذ ضرب فيها الاصلاح اطنابهُ وتتبَّعنا آثارها الى ان
ت صدر الجيل التاسع عشر فبدت لنا وعلى مفرقها اكليل مجد وفخار ضفرتهُ ايدي
ية الالهية مكافأة لها لما تجرَّعتهُ من كؤوس الهوان مدة اجيال طوال

ولا يجهل لبيب ان الكنيسة قد تقلَّبت في تلك الامصار منذ ذاك العهد بين
ن زعزع ورخاء وجازت طورين طور اضطهاد وهناء . فالطور الاول تضمَّن السنين
تصرَّمت منذ نشأة الاصلاح وقد كانت لها تلك الايام ايام ضنك وامتهان انتهى
فهـا في ٣٠ نيسان سنة ١٨٢٩ حيث فاز الكاثوليكيُّون الانكليز بسهم الحرّيَّة
ستقلال الديني . والطور الثـاني تبلَّج فجرهُ في غرَّة تلك السنة السعيدة على اثر
محلال دجن الظلم فافترَّ ثغر شمس الحرّيَّة وتألق ضياء العدل سنة ١٨٣٣ يوم نجمت
كة الأكسفورديَّة وبلغ سناؤهُ درجة الكمال سنة ١٨٥٠ في اليوم التاسع عشر من
اذ أُعيدت الهيئة الكنسيَّة الى نصابها . فحينئذٍ سطع الحق فجذب باشعَّتهِ الفتَّانة

ـة عظيمة من الانكليكانيين الى سُنن الرشاد وبار سِفر الاصلاح في

د

مَن ثنى طرفهُ الى كلامنا بطويَّة لا تشوبها قذى الاغراض تجلَّت لهُ آية الحق

قولنا محلّ الرضى. وغاية ما تحرَّينـاهُ في عجالتنا هذه خير الانفس واياهُ نر

ا خير نصيب فنقول:

' مشاحة انَّ الكنيسة الكاثوليكية في انكلترة سائرة على قدم النجاح متر

ج الفلاح. وبياناً لذلك فلنرقَ سلَّم العصور التي عبرت ولنطَّلع من ذراها على

عليهِ انكلترة في ذيَّاك الزمان وما آل اليهِ امرها في ايامنا هذه

ليس غرضنـا في هذه المقالة الَّا البحث عن شؤونها الدينية مبينين ما احر

ة من التقدم بينا الاصلاح آخذ في التقهقر والانحطاط. والكلّ حتى الانكليكاني

م صوت واحد في اعلان ما يساور ذلك المذهب من عوامل الخراب

جل انَّـهُ لأمرٌ ظاهر كالشمس في رائعة النهار انَّ الكثلكة حلَّت في ب

يز مدة ثلاثة قرون متوالية محلّ الذلّ والهوان فلا غرو اذا غاض معينها او

ل السادس والسابع والثامن عشر ولا بدع اذا لم يبق من ذلك البحر الط

اول قلائل تؤمُّها الكاثوليكيون الأُمناء للارتواء من عذب مواردها

كنت تراهم مع ذلك مطارَدين منفردين في دورهم ولم يبلغ عددهم سن

حسب التقاويم الراهنة في انكلترة جمعاء الَّا ١٦٠,٠٠٠ نفس تولَّى قيـاد

ة اربعة نوَّاب رسوليين واربعمائة كاهن ابتعـد سوادهم عن مخالطة المدن وأت

في ساحاتها لما كانوا يلاقونهُ من الخسف

امَّا المعابد فكانت في غاية النُّدْرة تحسبهـا بيوتاً اعتياديَّة قد اختفت في ز

وتوارت في ظلالهـا. واذا ما حملت الجرأة كاهناً فنصب صليباً على باب كنيس

ت الشرطة تبادر وتزيلهُ خوفاً من إثارة نقع القلاقل

الآن ادخل معي ايها القارئ العزيز احدى تلك الكنائس الحقيرة فتشاهد

من الحلى التي أَلِفتها أخواتها في زمن نضارتهـا وعنفوان امرها كأنَّها زهرة

ع ان تتبلَّج انوارها من اكمامهـا خوفاً من يد خَصْمٍ تذهب برائع جمالها و

ينمُ بفضلها فيقضي عليها بالفناء. لا تُقام فيها حفلة من حفلات الدين الَّا خ

نذراً كأنهُ حُتم على الكاثوليكي ألّا يرفع علناً يد الضراعة الى رب البائسين ويجاهر صلاة لربّ العالمين

ذلك لانَّ الانكليكان كانوا جاهلين حالة الكاثوليكيين غير واقفين على حقيقة حالتهم. وهذا ما اثبتهُ احد المهتدين الاوَّلين المستر أوكلي (Le chanoine Oakele في مقالة لهُ وهو حرٍ بكل ثقة لكونهِ قد ربي في خدر الاصلاح وارضع اهتدائهِ رعاياهُ لبان هذه المزاعم. فقال في جملة ما قال: « انَّ ابناء وطننا كانوا حينئذٍ أعلم بعوائد المصريين واليونان منهم بعوائد الكاثوليك العائشين في بلادهم. كان كثيرون منهم يقضون العمر الطويل ولم يتلفَّظوا قط باسمهم ولم يجيلوا قدح الفكر في امرهم »

وما من احد يقدر ان يطلعنا على شؤون الكنيسة في ذلك الزمان مثل العلامة نيومن فقد وصفها في احدى خطبهِ كما رآها مرأى العين وهو حدثٌ فشابٌ فكهلٌ قال لا فُضَّ فوهُ: « لم يبقَ في انكلترة عام وُلدتُ للكنيسة الكاثوليكيَّة نظام او قوام لم يبقَ ألّا عدد قليل من اعضائها المتشبثين باذيال الديانة القديمة. فكنت تراهم يجوبون البلاد حليفي الصمت ذليلين فضلات اناس « كاثوليكيين رومانيين » قد درسوا وطُمست اعلامهم. كان مواطنوهم يظنُّونهم رجالًا قاموا باعباء مهمة بشريَّة ليس ألّا ... لم يكن لهم في زعم الناس هيئةٌ ما تمثّل عائلة المؤمنين الكبرى المنبثَّة في اقطار المسكونة بل كانوا عصابةً لا ينسدُّ عن الحصر عددُها كانهم حجارة واطلال ابقاها طوفان الاصلاح المنهدم من ذيَّاك الصرح الشاهق الذرى. فكنت تصادف تارةً طائفةً من الارلنديين الصعاليك رائحة وغادية في آونة الحصاد وتارةً فئةً منهم نزحوا عن اوطانهم ليقضوا ايامهم في اطراف العاصمة الكبرى كسباً لمعاشهم وسدًّا لفاقتهم. وأُخرى كنتَ تشاهد في الشوارع شيخًا وقورًا معتزلًا عن المارّة متفرّدًا بزيّهِ وعليهِ تلوح مخايل النبل وتسمع المارّة يومئون اليهِ قائلين: « لحقٍّ انهُ من عائلة عريقة في الشرف وهو كاثوليكي روماني ». واحياناً كان يبدو لك بناء قام على طرز قديم ظاهرهُ وضيع حقير احتجب وراء جدران الظلام وفي مقدَّمتهِ باب حديدي تليهِ شجرة سرو او شربين وكانت المارّة تقول عند روْيتهِ ها هنا اقام كاثوليكيون رومانيُّون ». ولكن ما من احد كان يدري مَن هم وأيَّة حرفة كانوا يتعاطونها بل ما معنى اسم « كاثوليكيّ » الوارد على شفاههم ... وبالحقيقة لم

لانكليكانيين باحوال الكاثوليك ليخرج عن هذه الدائرة الضيق
لذلك كانت العين لا تقع على كاثوليكي الّا في الازقّة المنفردة او
البيوت المهملة او في البراري المقفرة بمعزل عن الناس مجاوريهم ويستطلعو
ء ستر مظلم او من وراء غمام كالح. واخيرًا استحال ذلك الجفاف لي
السخاء أحنَّهم على ابناء جلدتهم ضلوعًا على تخفيف بلاياهم وضمّ متفرّ
انهم لم يُولوهم هذا المعروف الّا لعلمهم بان مبادئهم الرومانيَّة الواه
وى على اجتذاب عاقل الى فئتهم وليقينهم ان هؤلاء العفاة الاذلاء ا
لحكومة بعين الرأفة وشدَّت ازرهم يبادرون الى جحد عقائدهم ويأنفو
« ١).

ت حياتهم في الطور الاول. قضوا اجيالًا ثلاثة وهم يُعامَلون كأنه
دهم أعداء. عاشوا وليس لهم رغبة الّا في حفظ وديعة ايمانهم وقض
ان ذوى في قلوبهم غصن كل امل بنشر الكنيسة من لحدها الزّمن
المشهد الناطق بما عاناهُ الكاثوليكيون في اثناء الطور الاول. والآ
ـ عن محيًا الطور الثاني ولنرنُ قليلًا الى بديع محاسنهِ. ففيهِ قد قام
رمسها فشتَّان ما بين يومها وامسها. نهضت اساقفتها ورؤساؤها الروحي
لذلّ ونفض اعضاؤها غبار الموت قامت متسربلة بحلّتها الملكية فط
وسهم اجلالًا واوسعوها ثناء زادها رفعةً وكمالًا

ابناء الكنيسة الانكليزيون في بدء الجيل التاسع عشر زهاء ٦٠,٠٠٠
نوّاب رسوليين ونحو اربعمائة كاهن كما قلنا آنفًا ,الان اصبح لهم هي
قد نظامها وهي تتألف من كردينال رئيس اساقفة وخمسة عشر اسق
وتسعمائة كاهن في انكلترة وحدها دون ارلندة وسكوتلندة
ثوليكيين فقد اربى على عشرة ملايين ونصف في بريطانية العظمى وسا
م ١,٥٠٠,٠٠٠ في انكلترة و٣٥٦,٠٠٠ في سكوتلندة و٥٤٩,٩٥٦,
حسب احصاء سنة ١٨٩١) والباقي في البلاد الخاضعة لسلطتها

ewman's occasional sermons : the 2d. spring, (prêché à Oscott. 13 Juil

وان اردتَ ان تقف على عدد رؤساء اساقفتها واساقفتها ونوّابها ورؤسائها الرسوليين
ك جدولًا نقلناهُ عن الدليل الكاثوليكي الانكليزي لسنة ١٩٠١ (١:

		كراسي رؤساء اساقفة	كراسي اساقفة	كراسي نوّاب رسوليين	كراسي رؤساء رسوليين
طانيا العظمى	انكلترا وبلاد الولش (٢	١	١٥	•	•
	سكوتلندة (٣	٢	٤	•	•
	ارلندة	٤	٢٣	•	•
ستعمرات كلترا ونوابعها	في اوربّة	•	٢	١	•
	في آسية	٧	٢١	٨	٥
	في افريقية	•	٢	٩	٦
	في اوسترالية	٥	١٣	٢	•
	في اميركة	٨	٢٢	٦	١
	في زيلندة الجديدة	١	٣	١	•
	مجموعها	٢٨	١٠٥	٢٧	١٢

ولا تسلْ عن كنائسها ومعابدها إن عموميّة وإن خصوصيّة. فقد تكاثرت تكاثرًا
يلًا حتى يخال للجائل في اكناف انكلترة انهُ في عاصمة الدين الكاثوليكي ومعقل
ان المسيحي. فيوجد فيها ١٥٣٦ كنيسة ومعبدًا فتحت ابوابها للعامة وان اضفتَ الى
ا العدد البليغ بقيــة المعابد ومقامات الصلاة الخصوصيّــة لأناف مجموعها على
لفين عدًّا

وما قولك في الرهبانيات والجماعات الاكليريكيّة التي ازهرت في تربة المملكة
كليزيّة وعطّرت بعبير فضلها وفضائلها الارجاء السكسونيّة؟ بل ماذا يقول يا تُرى
يكوس الثامن وذووهُ فلعمري لو أُتيح لهم ان يرجعوا زمنًا يسيرًا الى عالم الوجود فرأوا
حاضرة الاصلاح ومنجمهِ الحرّيّة من جهةِ البندكتيين والكرمليين والدومنكيين

(١ The catholic directory (*Oates and Burns*)

(٢ لانكلترا ايضًا رئيس اساقفة واسقفان لها كراسٍ لَقَبية وشرفية « of titular sees »
يذكرهم الدليل في جدولهِ العام

(٣ في سكوتلندة يوجد رئيس اساقفة واربعة اساقفة في ابرشياتها الست و ٤٦١ كاهنًا و٥٠٥
تبــةً معبدًا

والفرنسيسيّين والسيسترسيين (Cisterciens) واليسوعيين والمريميين وخدّام مريم البرية من كل دنس ورهبان الفداء والآلام والقديس فيلبس النيري (الاوراتوريين) ثم من جهة اخرى راهبات قلب يسوع الاقدس والقديسة اورسُلا وسيدة صهيون وراهبات المحبة والكرمل والدومينيكيّات والفرنسيسيّات وهلمّ جرًّا أوَلا يوقنون ان الكنيسة قد عادت الى عزّها السابق ايّام منح الحبر الاعظم هنريكوس المذكور لقب «محامي الايمان» ؟ أوَ لا يظنون ان دواليب الاحقاب قد ادبرت فاحلّتهُ صدر تلك الاجيال الذهبيّة التي شرّفها القديس اغسطينوس رسول انكلترة بعجائبهِ ومآثرهِ الباهرة فلقّبت الأممُ المملكةَ الانكليزيّة «تربة الملائكة» ؟

وليس مرادنا الآن تعداد ما فيها من الرهبانيّات المختلفة النزعة الدائبة في بث عوارف الانجيل المقدس الباذلة كنانة جهدها في تثقيف العقول مؤثرة العناء على الراحة في سبيل الخير والاحسان بل حسبنا ان نذكّر القارئ انهُ يوجد في وستمنستر حيث مقر رئيس اساقفة انكلترة احدى وعشرون رهبانيّة وجماعة للرجال وثلاث وخمسون للنساء فكيف بنا لو استقصينا وصف الرهبانيّات اللائذة بكنف انكلترة في الخمس عشرة ابرشية الباقية. ومن اراد ان يطلع على اسمائها فليتصفّح الدليل الانكليزي الآنف الذكر فالصيد كلّهُ في جوف الفرا. وقد امتازت ابرشية سلفورد عمّا سواها بكثرة مدارسها ووفرة الكاثوليكيين فيها فقد قرأنا في ذلك التقويم انهُ يوجد فيها ٢٦٣,٠٠٠ كاثوليكي و ٥١,٨١٩ طالبًا عكفوا على اقتباس العلوم والصنائع في مدارسها العديدة. ودونها ابرشيّة لفربول. كان الكاثوليكيون فيها يوم جُدّدت الهيئة الكنسيّة ٢٠٠,٠٠٠ نفس واليوم اصبحوا ٣٣٠,٠٠٠. وكانت كهنتها ١٢٠ فغدت اليوم اكثر من ٤٠٠ وكنائسها ومعابدها كانت ٨٦ والآن بلغت ١٧١ وازداد عدد الدعوات الرهبانيّة ازديادًا عجيبًا

وما حارت الابصار فيهِ ووقفت البصائر عليهِ هو امر الاهتداءات المتواترة التي ذكرها الكردينال ڤون في كتاب مطوّل بعث بهِ الى حضرة الاب راجي (Ragey) فنشرهُ في مقدمة تأليفٍ لهُ وضعهُ في شؤون الكنيسة في انكلترة. قال رئيس اساقفة وستمنستر ان الاهتداءات تبلغ كل شهر ٦٠٠ شخص حتى لا تكاد ترى عائلة انكليزية لم يرتدّ منها عضوٌ او اكثر الى حجر الكنيسة الكاثوليكيّة. ولا يحسبنّ القارئ اولئك المهتدين خرجوا من صفوف رعاع الشعب وسقطهِ. فقد أطلعنا على حسب

بهم الكردينال ويسمن منذ نصف قرن (١ قال: ان الارتدادات لا تزال آخذةً في
دياد وتحيط دائرتها بكل المقامات حتى ما علا منها وتسامى رفعةً في الهيئة الاجتماعيّة.
ما ملأ كأس فرحنا الى الاصبار وقد رأينا مرأى العين عددًا ليس بقليل من طلّاب
رس العليا قد رجعوا الى ديانة اجدادهم وقد اسعدني الحظ بقبول كثيرين منهم
حضن الكنيسة المقدسة...»

وهاك دليلًا آخر ينبئك بما نالتهُ الكنيسة من النجاح الغريب في انكلترة. كان
اثوليك منذ نكبة الاصلاح حتى اوائل القرن الغابر أُبعدوا عن المناصب الدوليــة
اتب الرفيعة بل ساموهم بادئ بدء خسفًا. والآن كم حالت الاحوال وتقلّبت الملوك
جال. ذكر لهذه السنة « الدليل الانكليزي الكاثوليكي » لانكلترة وارلندة ٧٧
ًا في ندوة العوام (House of Communs) و ٣٣ في ندوة الامراء (H. of
Lor و ١٨ في مجلس الملك الخاص (Privy council of Great Britain) و٤١
(Peers) و ١٥ لوردًا شرفيًا و٥٢ بَيـرُونًا (Baronnets) و ٢٦ فارسـًا
(Knigh . (راجع The C. Directory, p. 70 etc.)

ولو اوردنا تفصيل قائمة المهتدين في العصر الماضي سنةً فسنةً لاستغرقت اسماؤهم
بهم المنيفة صفحات عديدة من هــذه المجلّة. وقد ظهرت في كراسٍ دعاهُ صاحبهُ
داف رومية » (Rome's Recruits)

واليك اسماء بعض من ولجوا حظيرة الكنيسة الكاثوليكيّة منذ ١٨٤٢ الى ١٨٥٠
المؤرخ دي مادون في كتابهِ الموسوم « بانتشار الكثلكة في انكلترة » ما نقلناهُ
ه الحرفيّ: « جحد مذهب الاصلاح سنة ١٨٤٢ برنار سميث (Bernard Smith)
كربرث (Wackerbarth) وهما من خدمة الدين البروتستاني ولباج رنوف (Lepage
Reno وبيدن (Biden) وجونسون (Johnson) وجرنت (Grant) وادوار دوغلاس
(l'honorable Edouard Dougl وكلهم خرّيجو اكسفورد. وسَنكي (Sankey)
ي انهى دروسهُ في كلّيّة دوبلين. والسيدات الشريفــات إليوت (Miss Eliot)

(1 The religious and social position of Catholics in England, by H. E. cardinal Wiseman (adress delivered to the catholic congress of Malin August 18

غلادستون (Miss Gladstone) اخت الوزير الشهير وبركينس (Miss Perkins)
بيتور (Miss Pittor) وكرو (Miss Crew) وحليلة الكونت دي كلار a comtesse
de Clare

وفي سنة ١٨٤٣ اهتدى جرج تلبوت (Talbot) الذي عُيّن فيما بعد حاجباً لقدا
لبابا بيوس التاسع (camérier) وكثيرون غيرهُ لهم الذكر المستفيض في انكلترة ولك
يجهل حالهم اصحابُ وطننا كففنا البنان عن سرد اسمائهم. وفي سنة ١٨٤٥ كثر
لاهتداءات كثرةً فائقة. ففيها تمسّك بعروة الكثلكة العلاّمة نيومن فتلا تلاوهُ في زم
نليل ثلاثمائــة شخص اغلبهم من خدمة الدين البروتستاني ومن طلاّب الكليّ
لاكسفورديّة الحائزين على الشهادات العالية كورد (Ward) وأوكلي (Oakeley)
وفريدريك وليم فابر (Faber) الكاتب الضليع المتفنّن وادوار بروون Ed. G-K.
Broune وألبــاني كريستي (Albany Christie) ودلغرنس (Dalgairns) وها
جرّا. ومن مهتدي سنة ١٨٤٩ اللورد ملبورن وسير بثرست (Sir Bathurst). وس
١٨٥٠ كانت سنة نعمة لكثيرين من الاشراف ففيهــا اعتنق الديانة الكاثوليك
لكونت دي روسكمون (Cte de Roscommon) والفيكونت فيلدين (Fielding)
رباكنهال (l'honoarble Pakenhal) والبارون ستروتزك (Strutzeck) وحليلة اللو
نولي (Lady Foly) ولنوكس (Lady Lenox) والكونتس ايدا أهن أهن Ctesse
Ida Hahn Hahn واللورد مونسال (le très-honorable W. G. Monsell)
واللورد نيجال كندي (Nigel Kennedy) وحليلة اللورد كاڤنديش (Cavendish)
وفيلدين (Lady Fielding) والكونتس دي پيپ (Ctesse de Pepe) والكونتس
دي ارندل والكونتس سري (Ctesse d'Arundel et Surrey)... «(١)

هذا وان شمس الهدى والايمان لم تسطع في سماء انكلترة وحدها بل عمّت منائ
لاسيّما على اثر الحركة الاكسفورديّة العالم الانكليزي كلّهُ. وتأييداً لقولنا هذا هاك م

(١) راجع L'abbé de Madaune : *la Renaissance du catholicisme en Angleterre* p. 387. — Thurau d'Angin : *La renaissance catholique en Angleterre*. T. I p. 321 etc ..

ره ُ الكاتب الاديب ويليم لونغ في التيمس الكاثوليكى في ١١ شباط سنة ١٩ (١ :

« ليعلم مواطنونا انّ الحبر الاعظم لهُ في بلادنا من الجنود الكاثوليكيين ١٣,٠٠٠,٠٠٠ لهم النفوذ العظيم في الشؤون الاداريّة والملكيّة حتى انهُ لا تُسَنُّ سنَّة يجري كبير امر في أمّتنا بدون رضاهم وقبولهم. لعمر الحق ان نموّ الكثلكة في ايات البريطانيّة بلاد الحرّيّة والعدالة لهو اعجوبة من اعاجيب الدنيا

« ففيها (كما قلنا) ١٣,٠٠٠,٠٠٠ من الكاثوليكيين و٦,٠٠٠ كنيسة و٩٣ اسقفاً ١٢,٣١ كاهناً و٣,٢٤٨ اخاً راهباً (Frères) و ٢٥,٧٠٠ راهبة و١,٠٠٠ مدرسة ى و ٤,٠٠٠ مدرسة صغرى و ١,٢٠٠ جمعيّة احسان. والاهتداءات قائمة الان فيها قدم وساق. ففي السنة المنصرمة دخل كنيستنا ٤٠,٠٠٠ ابروتستانيّ وهذه السنة رنا باثمار غزيرة نادرة. فليكن هذا الكلام لذوي الاصلاح عبرةً وبصيرةً ٠٠٠»

وهنا يجدر بنا ان نلحق بما تقدَّم من احوال الكاثوليك في انكلترة وتوابعها ما للكثلكة في الولايات المتّحدة في اميركا اذ تُعَدّ من العالم الانكليزيّ من حيث ها ولغتها. ولقد تصفّحتُ جدولاً في حالة الكثلكة رسمهُ هوزرمان (Hauserman, 9, rue de Bagneux, Pa فعثرت على ما يلي: كاثوليكو الولايات في الاقاليم بعة عشر ٩,٩٠٧,٤١٢ الجمعيّات الخيريّة ٥٣٤. الياتم ٢٥١. المدارس ١١,٥٧١. رس الاكليريكيّة ١٠٢ الطلاب ٩٥٦,٧٨٤ رسالات ذات مدارس ٣,٥٨١ هنة القانونيون ٢,٧٥٦ الكهنة العالميون ٨,٣٣٨ المطارنة ٨٠ رؤساء الاساقفة . فعلى الكاتبين عهدة ما كتبناهُ. — والكردينال موران في خطبتهِ المذكورة قيَّد في ايات المتحدة عدد الكاثوليكيين فكان سنة ١٨٩٩: ١٢ مليوناً

ولكنت تقدّر هذا التقدّم قدرهُ لو علمت انهُ كان يوجد في اميركة في بدء ل التاسع عشر اسقف واحد لا غير ونحو ٣٠ كاهناً و ٤٠٠٠٠ كاثوليكي لاغير (٢

(١ W. S. Long 508 Vine-Street, Camden, New Jersey, America

(٢ The catholic Times, 22 September 1899. Lecture given by cardinl Moran, Syd

الصلوات القانونية في الكنيسة الكلدانية

لحضرة الفاضل القس ادّي صليبا ابرهينا الكلداني

ان كتب الفرض الكلدانيّ خمسة وهي : المزامير. وقـدام وَدْباتر. والكرّا
والكشكول. والحذ ر. وهذه الكتُب الخمسة مقسومة بتنسيق عجيب على مدار الس
بغاية النظام والموافقة بعضها يوميّ وبعضها دوريّ

١ً ان كتاب المزامير الذي هو اساس الفرض وركنهُ مقسوم لدى السري
الشرقيين الى عشرين تسبحة يدعونها هلاّلا (ܗܘܠܠܐ) كلّ منها يشمل مرميثين
اكثر والمرميث (ܡܪܡܝܬܐ) قسم من الصلاة يتركَّب من ثلاثة او اربعة مزامير. و
وُضع في بدء كل مرميث صلاة مختصرة وبعد الآيتين الأُولَيَين من كل مزمور قان
يضاهي النافذة (oraison jaculatoire) وقد أُلحق بالمزامير هلاّل آخر يتضمَّن ثلا
مراميث. فالمرميث الاوَّل يحوي تسبحة موسى المسطورة في سفر الخروج (ف ١٥
وتسبحة اشعيا (ف ٤٢). والثاني يشمل قسماً من تسبحـة موسى المكتوبة في س
التثنية (ف ٣٢). والثالث يتضمّن تتمّة هذه التسبحة

والكنيسة الكلدانيَّة تتلو الآن كتاب المزامير كلَّهُ اكثر من مرَّة في الاسبوع
لانّها في بداءة صلاة كلّ مساء من الاسبوع تتلو مرميثَين. وفي صلاة كل ليـل م
الاسبوع ثلاثة هلاّلات . وفي صلاة كل صبح عشرة مزامير بنوع انّها تتلو في كل ي
من أيَّام الاسبوع تقريباً خمسين مزموراً. وفي الصيام الكبير تزيد عدد المزامير اذ ا
في صلاة كل يوم منهُ تتلو اكثر من ثمانين مزموراً. وكانت تتلو قبلاً اكثر من ذل
فانّها في بداءة صلاة كل سحر من الاسبوع كانت تصلي سبعة هلاّلات. وفي كلّ يو
من أيَّام الصوم الكبير اثني عشر او ثلاثة عشر هلاّلا

٢ً وكتاب قدام ودباتر (ܩܕܡ ܘܒܬܪ) (قبل وبعد) يحوي الصلوات القانو
اليومية الاسبوعيَّة التي تقال مساء وصباحاً ما عدا الصيام الكبير. فالتي تقال مساء مقسو
الى قسمين. القسم الاوَّل منها يسمَّى (ܩܕܡܝܬܐ) (الاولى) والقسم الثاني (ܐܚܪܝܬ
(الاخيرة). فاذا كانت الصلوة في يوم الاحد تبتدئ بالكود (الخورس) الاول فذل

سبوع كلهُ يسمَّى (ܩܕܡܝܐ) فيُتلى فيهِ القسم الاوَّل. وان كان ابتداء الصلاة في الكورد
ني وهو يُسمَّى ايضاً بالكورد الاسفل فذلك الاسبوع يُسمَّى ܐܚܪܝܐ فيقال فيهِ
م الاخير. وتختم صلاة الصبح والمساء بتلاوة قالٍ من قالات الشهداء (ܩܠܐ
ܕܣܗܕܐ) وهي اغاني تسبيحيَّة لاكرام الشهداء تاليف القديس ماروثا اسقف ميافارقين
٣ً والكَزْا (ܟܙܐ الكنز) يحوي جميع صلوات الاعياد الغير المنتقلة. وهو
تعمل الآن برمَّتهِ عند النساطرة. اما الكلدان الكاثوليك فوضعوا لهم كتاباً آخر
ترتيب البطريرك يوسف الثاني (١٧١٢) والطقوس الموجودة فيهِ مأخوذة من الكَزْا
بير ومنها بقلم يوسف الثاني. والصلوات والعونيثات والتسابيح التي يحويها الكَزْا
قة بتنسيق عجيب لكنَّها طويلة كثيراً فانَّهم كانوا يحيون ليالي الاعياد بالصلوات
نيات. والكَزْا يبتدئ من عيد الميلاد وينتهي بعيد الصليب
٤ً والكشكول يحوي صلوات الليل من الأيَّام الاشحيميَّة وهي على مدار السنة
ا الَّا الصوم الكبير. وفيهِ عونيثة (ܥܘܢܝܬܐ أُنشودة) مخصَّصة لصلاة كلّ رمش
مدار السنة والكشكول لفظة فارسيَّة معناها قدح الكدّي يجمع فيهِ رزقهُ. وقيل
لك لان جميع الصلوات والعونيثات المُدرجة فيهِ مستعارة من كتابَي الحذر والكَزْا
٥ً وكتاب الحذر يتضمَّن فرض آحاد السنة كلها مع جميع الاعياد المنتقلة
يام الكبير. ومعنى الحذر (ܚܘܕܪܐ) المدار لأنهُ يحوي الصلوات التي تُتلى في
السنة. وهو عينهُ عند النساطرة وعند الكاثوليك مع هذا الفرق وهو ان هؤلاء
رين حذفوا كل ما يُنشق منهُ ريح الهرطقة
وان الحذر في الجيل السابع نُظِمت ورتبت جميع اجزائهِ في الدير الاعلى بجانب
صل وهو المسمَّى دير مار جبرائيل ومار ابراهيم وهما من تلاميذ مار اوجين القديس.
ن الذي نظمهُ ورتبهُ مار يشوعياب الحديابي الذي تسنَّم كرسي البطريركيَّة سنة
٦ وتوفي سنة ٦٦٠. وهو لم يستحدثهُ وليس ايضاً في اصلهِ وجوهريتهِ من تصانيف
اطرة بل عريق في قدميتهِ. فانهُ كان منذ الجيل الرابع تامًّا كاملًا في جميع اجزائهِ
هريَّة. وقد حتم الآباء في المجمع الذي عقدهُ مار اسحق جاثليق المدائن ومار ماروثا
ف ميافارقين سنة ٤١٠ بأن تتَّخذ جميع كنائس الشرق فرض كنيسة المدائن
امَّا نظام الحذر فبديع عجيب. ولله درّ الذين نسقوهُ. فانَّهم بدقَّة عقل صائب

د والهامات سمويّة وحركات تقويّة واثارات قدسيّة سعوا بنظمهِ وتقسي
، ممتازة اي الى اسابيع السبّار والميلاد والى سابوع الدنح والصوم والقيا
ظ وايليا والصليب والى اسابيع تقديس البيعة. فاسابيع السبّار أربعة
ܣܘܒܪܐ) معناهُ البشارة. فجميع العونيثات والمداريش التي تقال في هـ
يعة تذكّرنا ما قيل من النبوّات على ربّنا يسوع المسيح والامور التي صار
وحين ميلادهِ مثل التبشير بميلاد يوحنا المعمدان والتبشير بتجسد الكل
؛ اوّل عونيثة يبتدئ بها الفرض الكلداني وهي تقال في مساء اوّل ا
:« يا راعي اسرائيل انصت (مزمور٧٩: ٢) اني اسبح كلام الله (٥٥:
وجود قبل العالمين (٥٦: ٢٠). ليس من الملائكة اخذ البتّة بل اخذ
، واتى بنعمتهِ الى ناسوتنا لكي يُنقذ جنسنا من الضلال »
عيد الميلاد ويليهِ اسبوعان يسمّيان باسبوعَي اليَلْدا (الميلاد) وفيها تـ
ام اعيننا كل ما جرى من ميلاد يسوع الى حين عمادهِ مثل مجيء المجو
؛ عزّ وجلّ وقتل الاطفال وختانة المسيح وتطهير امهِ النقيّة وغير ذلك
يسة في مساء اوّل احدٍ من اليَلدا: « اعظّمك يا ربي الملك (مزمور ١٤٤:
يا الله كذلك تسبحتك (٤٧: ١١) اللهمَّ من يُضارعك (٨٢: ٢) ذ
ورة الله الذي لا يُرى (قولسايس ١: ١٥) يا ربّ الكلّ مع انك
مذت بمحبتك صورة عبدٍ ولم تخلُ الوهيتك ولا كذبت بناسوتك بل انـ
يعتين ابن واحد حقًّا دون ريب. في العلى من الآب دون امّ وفي العمق
بٍ. انما بذلك أنبأ الانبياء وبذلك وعظ الرسل وكذلك علّم الآباء
ظنا الله ورحمنا بصلواتهم وايمانهم »
الصلوات والتراتيل التي تقال في سابوع الدنح تحوي ما صنعهُ يسوع في
ث الاخيرة من حياتهِ ولاسيما الاسرار التي كملت في نهر الاردن. والبـ
:« اذكر بيعتك التي اقتنيتها منذ القديم (مزمور ٧٣: ٢). أخربت الا
٦: ٩). لكي تُعرف على يد الكنيسة حكمة الله المتنوعة (افسس

لم نأتِ هنا الّا بذكر العونيثات التي تقال في الآحاد الاولى من السابوع

قد اوحيتَ قدماً يا مخلصنا اقانيم الوهيتك المجيدة الى كنيستك التي اتحدت بك
ة والايمان الممنوحَين بالمعموديّة. وبيدها اوضحت الى الحشود الروحانيّة معرفة سرّ
ث التامّة. احفظ يا ربّ بنعمتك الايمان الذي اودعتها اياهُ ببشارتك مُديماً اياهُ
صمة »

يأتي سابوع الصوم الكبير. فمنذ ابتدائهِ الى احد الشعانين تتكلم فيهِ الكنيسة بالهام
عن صيام ربّنا يسوع المسيح وغلبتهِ وانتصارهِ على الشيطان وعن محاسن الصوم
لهِ. ثم منذ احد الشعانين الى العيد الكبير تخاطبنا بنوع عجيب عن دخول المسيح
اورشليم بالعزّ وفصحهِ وآلامهِ المرّة وموتهِ الزؤام وسرّ الفداء. وهاك عونيثة تتغنّى
في الاثنين الاوّل منهُ: « مبارك الآتي باسم الربّ (مزمور ١١٧: ٢٦) مجيئاً يجيء
يا (١٢٥: ٦) كي يثبت ارجلنا في طريق السلام. ها ان الصوم البهي اتانا نظير
. فليزيّن كل واحد منا نفسهُ كما تتزيّن المدينة. اذ نطهّر القلوب من دنس الآثام
تطهّر الاسواق. ونقيم العقل الرائق رئيساً على الافكار كعلى الحشود. وعوض المشاهد
اعب نُقرّ العيون بالكتب الروحية التقويّة. لنصدح كلّنا بالعفة والقداسة قائلين:
ب ارحمنا »

وفي سابوع القيامة تنشدنا قيامتهُ المجيدة العجيبة وانتصاره على الموت... ومنذ
السلاّق فصاعداً تقرأ علينا صعوده الى السماء ممجّداً مظفّراً. فتتغنّى بهذا النشيد في
. الكبير: « فرحٌ في كل الارض (مزمور ٤٧: ٣) لتمتلئ الارض كلها من مجدهِ امين
مين (٧١: ١٩). ها اني ابشركم بفرح عظيم يكون لكل العالم (لوقا ٢: ١٠). قد
لأت كل المسكونة فرحاً ورجاء وخلاصاً. فان الضلال قد امضّها زمناً مديداً. امّا
ن فقد صادفت مدبّراً صالحاً اذ ان الراعي السماويّ ردّ الاغنام الضالّة وان المقاتل
ليس) يتشكّى ويقول: قد سُحِقتُ وتلاشت كل قوّة سلطاني. فان المسيح قد قام
بين الاموات وأضاء العالم باسرهِ »

ثم لما كان بعد صعود ربّنا يسوع المسيح الى السماء قد حلّ روح القدس على
اريين وصيّرهم أناساً جدداً فامتلأت عقولهم من الحكمة السمويّة وتفرّقوا في
ان ونشروا الانجيل في كل قطرٍ ومصرٍ فالكنيسة في سابوع الرسل تكلّمنا بنوع
يب عن حلول الروح القدس عليهم وانتشارهم في كلّ العالم وانذارهم الامم واليهود

بالتعاليم الخلاصيـة والمحن التي اصابتهم والمعجزات التي اقترحوها وتنصّر الامم على ايديهم الى غير ذلك. وهاك عونيثة تقولها في مساء احد الفنطقوسطي وهو اوّل احد من سابوع الرسل: « اعظّمك يا الهي وملكي (مز ١٤٤ : ١). اضاءت بروقة المسكونة (٩٦: ٤). لانارة الجالسين في الظلمة وفي ظلال الموت (اشعيا ٩ : ١). روح الرأفة والرحمة. لقد بزغ في المسكونة الروح الفارقليط. ولاجل ذلك امتلأ كل العالم من النعمة. فها ان خطايا الناس تُترك وتُغفر لهم في المعموديّة وافعوعم المحتاجون رجاء صالحاً وامتلأ الاغبياء حكمةً عظيمة وشفي المرضى. وترجّى الاموات الحيوة. فلذلك نسجد لك غير مرتابين ايّها الروح القدس مع الاب والابن ملتمسين اليك ان تخلّص انفسنا »

ثم لمّا كان الذين يؤمنون بالمسيح مضطرّين ان يتنزّهوا من كثافة الانسان العتيق فينقطعوا الى التوبة سائلين الله الصفح والغفران ففَرْض سابوع القيظ ليس هو الّا منهاجاً للتوبة يجعلنا ان نتوغّل في التأمّل بعواقبنا الاخيرة فنذكر ما ارتكبنا من السيئات ونندم عليها من صميم الفؤاد طالبين منهُ عزّ وجلّ الرحمة والمغفرة وهو رحوم غفور. وهذا السـابوع يُسمّى ايضاً بسابوع ܥܢܝܢܝ (اغسلني) وذلك لان مطلع عونيث الجمعة الاولى منهُ يبتدئ بقوله: « اغسلني يا رب بدموع التوبة. فنصلي فيهِ منسحقين على خطايانا قائلين: « يا رب لا توبخني برجزك (مزمور ٦ : ٢) صرتُ مثل الإناء التالف (٣٠ : ١٣) حياتي الى الجحيم دنت (٨٧ : ٤). لماذا يُعطى النورَ الاشقيـاء والحيوة الذين هم في مرارة النفس (ايوب ٣ : ٢٠) يا رب الارباب اغفر لي. يا رب اني لم استفد لا من حياة هذا العالم من جراء خطاياي الكثيرة ولا من حياة العالم العتيد من جراء الاوزار التي استظهرتْ عليّ. ويلاه اني ساقف في يوم الدينونة وعلى وجهي الخزي وانا مرتجف الفرائص ومتنهّد الصعداء الى ابد الابدين دون ان افوز بالنجاة. فبمراحمك يا ربّ استغيث فاصفح لي خطاياي في ظهورك وارحمني »

ثم يأتي سابوع اليأ وما يقال فيهِ من الصلوات والعونيثات والتسبيحات يصوّر قدام اعيننا كيف انهُ بعد انتشار الانجيل في كل العالم ورجوع الامم الى الدين الحق في زمانٍ مخفيّ عنّا لا يعرفهُ الّا الله وحدهُ يصير انتهاء العالم فالدينونة العامة وقبيل ذلك يُرسل ايليّا الغيور وبغيرتهِ ورجزهِ يلاشي جميع حيل الدجّال ابن الهلاك فيخزيه ويخجله وتظهر حينئذٍ بمجد عظيم لا يوصف علامةُ ابن الانسان وهي صليبهُ الذي افتدانا عليهِ فيبيد

ـمأل ويهلكهُ . فلاجل هذا سمّي هذا السابوع بسابوع اليأ وفيهِ امرت الكنيسة ان
. عيد الصليب المقدس . واليك عونيثة تقولها الكنيسة في مساء الاحد الاوَّل منهُ :
ـوم الله ويبدّد جميع اعدائهِ (مزمور ٦٧ : ٢) لا تبلغ الشرّير يا ربّ مُناه ُ (١٣٩ :
ليرتدّ اثمهُ على رأسهِ (٧ : ١٧) لان الاثيم تمخَّض وحبل زورًا وولد غشًّا (٧ : ١٥) .
هذا نعلم انهُ الزمان الاخير . حينئذٍ يظهر ذلك الاثيم الذي يبيدهُ الربّ بروح فمهِ
ـتس ٢ : ٨) . ان القاتل (ابليس) يتوقع خفَى الزمان الاخير لكي يُلقي شبكتهُ
ـيد الناس . والفخاخ التي استعملها قدماً لسقوط آدم بها يحتال لاولادهِ باذلًا السمي
ـن يجذب اليهِ العالم بزيّ السلام والامان . ولو امكنهُ لاغوى المنتخبين ايضاً . لكنهُ
ـي فقط لا تكمل ارادتهُ بل ان سلطانهُ ايضاً يتلاشى فيُدان قدام جميع الخلائق
ـزم عليهِ قضاء مخيف . وهذا الحكم تصدرهُ انت يا رب المدعو آدم الثاني . ان جميع
ـن احتذوا بآثار الكفّار يخجلون ويفضحون . هكذا تدين يا رب الكلّ جميع الذين
ـفرون بك . فالمجد لك . »

اخيرًا بعد ان يكون ربّنا يسوع المسيح في انتهاء العالم قد خرج كجبار مقتدر
ـامل عزّة ربوبيتهِ ومجدهِ وقد انتصر على الخطأة انتصارًا قاطعاً فالقاهم جميعاً في نار
ـنم ليصعد الى السماء بالصالحين الطاهرين بطلعة منيرة ذات عزّة جليلة فعروسهُ
ـكنيسة المقدَّسة (اعني القديسين والمؤمنين الصادقين) تخرج لاستقبالهِ باصوات التهليل
ـلة ترانيم السرور ومتغنية باناشيد التهانئ والحبور وهذه عروسها الصادق يأخذها
ـبعدها الى السماء ويُدخلها الخدر ويجلسها عن يمينهِ فتكون جالسةً معهُ على مائدة
ـمدة ويكون مأكلها ومشربها مأكلهُ تعالى ومشربهُ فتفوز بسعادةٍ تامّة ثابتة لا
ـزع منها اصلًا وهي لا تبرح تبجّلهُ تعالى وتمجّدهُ رافعةً اصوات الابتهاج والتهليل مع
ـهات الملائكة القديسين . فما نتلوه في اسابيع تقديس البيعة الاربعة من الصلوات
ـلداريش والتسابيح يبيّن لنا كل هذا بنوع عجيب بديع . ولاجل ذلك قد امرت الكنيسة
ـلادها ان في مساء اوَّل احد من تقديس البيعة (وتسمَّى هذه الاسابيع الدخول
ـضاً) يدخلون من الرواق الى الهيكل بطوافٍ وزيّاح عظيمَين حاملين الصليب والانجيل
ـع بخور وشموع وهم يرتلون تراتيل السرور ويسبّحون تسابيح الحبور . وهاك فقرة مما
ـشدون : « لندخل الى مساكنهِ ولنسجد عند موطئ قدميهِ (مزمور ١٣١ : ٧) ادخلوا

ابوابهُ بالاعتراف ودياره بالتسبيح (٩٩: ٤) ندخل هيكلك بالاعتراف ونغني لك مجداً في قدسك. ولتهتف افواهنا قائلةً: مبارك عزّ الرب لان سماء السموات ممتلئة منك والملائكة تسجد لك في العلى. فانك انقذت كنيستك من نير الضلال وجعلتها ينبوعاً للشفاء ودعوتها الى خدر الملكوت المملوءَ سعادةً لا توصف. فافرحي وتهلّلي بعرسكِ ايتها البيعة العروس المزيّنة. واجتذلي بالعروس الحقّ يسوع ملك المجد وربّ جميع المخلوقات. ارفعي أيتها الابواب رؤوسكِ قدّام صليب المسيح فيدخل معهُ حشدنا ايضاً فنسجد للابن الذي خلصنا وفي الهيكل المقدس نترنّم تعظيماً لشأنهِ قائلين: عظم صليبك وحكمة سامٍ عالٍ. ائتنا بيتك يا ربّ لنستظلّ بظلهِ فنستريح»

وتنشد ايضاً في الاحد الرابع من تقديس البيعة وهو الاخير من السنة: «يا جميع الامم صفِّقوا بالايادي (مزمور ٤٦: ٢) صفّقي باليدين وسبّحي ايتها الكنيسة الملكة. وافرحي واجذلي يا بنت النور. فانَّ كل مجدكِ يأتيكِ من بيت ابيكِ وانتِ مزينة بالعفّة يا ايتها الممتلئة رونقاً ونضارة. ان شفتي العروس الذي خطبكِ متّسمتان بسمة الرحمة والرأفة. وقد اعتزّ بهاؤهُ ومجدهُ على العُتُن الذين كانوا يبغضونكِ. ووضع تعالى على رأسكِ اكليل مجدٍ وهو الذي ضفرهُ ورصّعهُ بالحجارة الكريمة. وبنى اسواركِ باللؤلؤ وجعل ابوابكِ بلّوراً وحيطانكِ يشباً وثيابكِ ذهباً خالصاً كما تنبأ عنكِ النبيّ بالروح. فان جميع الملوك مع تيجانهم احنوا رؤوسهم وسجدوا لعاقد التيجان وماسح الاحبار ألا وهو العروس المجيد الذي خطبكِ لهُ. فادّي لهُ المجد بدلًا من بنت صهيون التي بخست مجدهُ وسجدت للعجل. فاسجدي انتِ لهُ ومجدّي واعترفي وقولي: المجد لك

« تقول البيعة للمدعوّين: ان الله دعاني الى وليمتهِ فأدخل الخدر معهُ. ان العرس السماويّ ملأني من رائحتهِ الذكيّة. فها ان قدّيسيه يعانقونني انهُ مسح راسي بدهنهِ المطيَّب واروى قلبي من كأسهِ الحيّ... يسوع لي وانا لهُ. سُرّ بي فلبسني ولبستهُ. وقبّلني من قُبلات فمهِ وساقني الى خدر الملكوت »

هذا هو ترتيب الفرض الكلدانيّ وهو لعمري أفضل ارثٍ تسلّمناهُ من اولئك الجهابذة المتلألئين في الاجيال الاولى من آبائنا القديسين أخصّهم مار شمعون برصباعي والحكيم الفارسيّ ومار يعقوب النصيبينيّ ومار افرام ومار ماروثا وغيرهم كثيرين من الذين عاشوا قبلهم وبعدهم لاحتوائهِ باسلوب عجيب بديع على حياة الكنيسة

سلكها منذ خلقة العالم الى انتهائهِ لا بل من الازل الى ابد الابدين وفيهِ مع ذلك
ضروب البديع ورقة المعاني وسموّها ما يفوق كل الوصف. ومما يمتاز بهِ انهُ في
ءة كل عونيثة وصلاة وباعوثة آية او اكثر مأخوذة من الكتاب المقدّس تطابقها تلك
نيثة. ويحتوي ايضاً على ما يحرّك التقوى ويرفع قوى النفس الى محبة الله وتعظيمهِ
العواطف الخشوعيَّة والآداب الانجيلية والاحكام الالهيَّة فضلًا عن انَّهُ يتضمَّن
لم عقائد الكنيسة الكاثوليكيَّة الرسوليَّة مثل الخطيئة الاصليَّة وحريَّة ارادة الانسان
رورة نعمة المسيح واسرار العهد الجديد والصلوات لاجل الموتى واستعمال الصور في
نائس والاكرام الواجب لذخائر القديسين والالتجاء اليهم وتمتعهم الحالي برؤية الله في
ء وفضل مريم البتول على جميع القديسين ودوام عذابات جهنَّم واستحالة جوهر
و والخمر الى جسد ودم المسيح وسلطان الكهنة على حلّ الخطايا وضرورة الاعتراف
ايات قدّام الكهنة ورئاسة الحبر الروماني على الكنيسة كلها الى غير ذلك ممَّا
نا تعلُّقًا بهذه الطقوس القديمة التي تجري من مناهلها صافية حتى ايَّامنا فتروي نفوسنا
يها الى الحياة الابديَّة

مؤلف كتاب دفع الهمّ

للاب لويس معلوف اليسوعي

ان سمح لي حضرة الخوري الفاضل الاب قسطنطين الباشا (الذي أغتنم هذه
مة لأسدي اليهِ شكري عن نشره هذا الكتاب النفيس) وحضرة الاب لويس
و الذي اتحفنا في المشرق (٥ : ٣٣٧) بمعلومات ضافية عن اليَّا النصيبيني وتآليفه
يمة القدر اتينا بذكر امر اظن فيهِ بعض الشان لتقرير مَن مِن ابن العبري ام من
هو مؤلف كتاب « المعونة على دفع الهمّ »

ورد في المشرق (ص ٣٤١) : « اما قول حضرة القس قسطنطين الباشا ان النسخة
بكانية المحفوظة تحت عدد ١٨٠ ترتقي الى نحو القرن الثاني عشر فلو صحَّ لازال
شبهة . . . » لان في ذلك يكون كما لا يخفى دليل لا ريب من ورائهِ ان المولف هو
الذي ولد سنة ٩٧٥ م

والحال اني اطلعت من بضعة ايام في المكتبة البُدْلانيّة في اكسفُرْد (Marsh 44) على نسخة من كتاب دفع الهم اظنها اقدم نسخ هذا الكتاب امتازت بامرين (احدهما) انّها صرَّحت باسم مؤلف الكتاب ونسبتهُ لاليّاً مطران نصيبين. وقد ورد في صدر المقدّمة:

« بسم الله الرحمن الرحيم وبهِ نستعين تمّمْ بالخير »

(ثم بحبر احمر): « نبتدئ بمعونة الله تعالى ونكتب كتاب المعونة على دفع الهم تأليف مار اليّا مطران نصيبين قدّس الله روحه ونوّر ضريحه »

« لما كانت الهموم بقدر المهموم والفرح والسرور بقدر النعم كانت همومك ادام الله توفيقك وافرة . . . . »

و(الآخر) ان النسخة ترتقي الى القرن الحادي عشر سنة ١٠٥٥ م قبل وفاة ابن العبري (١٢٨٠) بمئتين وخمس وعشرين سنة . وذلك ما اثبتهُ مؤلف فهرست المكتبة المذكورة استناداً على ما ورد في خاتمة الكتاب كما يلي:

« فرغ من نسخه اضعف العباد راجي عفو ربّه يوم المعاد اصلان بن الرومي الحلبي عفا الله عنه وعن والديه . . . وذلك في سنة الف وخمسة (كذا) وخمسين مسيحية نهار السبت في اواخر شهر أيّار المبارك »

وهو على ظني ما حمل البعض من العلماء على ترك القول بان ابن العبري مؤلف الكتاب وعلى أخذهم بنسبتهِ الى مطران نصيبين

فان اكتفينا بتاريخ نسخة أكسفرد برهاناً على ان الكتاب هو لاليّاً فما السرّ يا ترى في كون البعض من ارباب الاطلاع على المخطوطات العربيّة نسبوا الكتاب لابن العبري وكيف تعليل ما اوردهُ حضرة الاب لويس شيخو في المشرق (ص٣٤١) من الاعتبارات المميلة الى هذا القول

ايحسن يا ترى في عين العالمين للذين خاضا في هذا المبحث واللذين استميحهما عفواً عن تطفلي على مساعدتهما في فكّ هذا المشكل ان نقول ان اليّا هو مؤلف الكتاب الذي بقيت منهُ النسخ المحفوظة في المكاتب وان مقصده اوّل الامر كان كما ذكر في مقدمته ان يجعل مؤلَّفهُ على ثلاثة اجزاء لم ينجز منها سوى الاوّل وهو ما وصل الينا وان ابن العبري اتى على هذا الكتاب وزاد عليهِ ما ينطبق على مقصد اليّا

سيبيني فاخذ القوم ينسبون الكتاب اليهِ ويذكرونه في عداد تآليفه من باب ادخال
ل في حكم الاكثر ؟ فكرٌ خطر فرأيت عرضه علَّهُ يصادف عند ارباب القول
لا

وان شئتَ المقابلة بين النسخة البُدْلانيَّة وما سواها فدونك في آخر الباب الثامن ما
ي القطعة المذكورة من هذا الكتاب في المشرق (ص٣٤٢) نرويه بحرفهِ الواحد:

وقيل العاقل لا يحاول شيئًا من اموره الَّا بالمواطاة من ذوي الراي فلا تسرع فيها بمشاورتهم
ري بمعرفتهم. وقيل على المستشار الاجتهاد بنفسه يبذل في الصدق والنصيحة. وقيل من كتم
ب مرضه طال دواه ومن استبداء برايه فقد تعرض الخطاء بجهده وقيل لا ظهيرًا اوفق من
ورة. وقيل اذا كنت مستشيرًا فعليك بذي الراي والنصيحة فانهُ لا يكتفي براي من لا ينصح
صيحة لمن لا عقل لهُ. وقيل المشورة في الامر قبل وقوعه من اسباب الظفر. وقيل من اعجل
اء عقوبة رجلًا استشير بهِ وكان من رأي المشير الطمانية ومن رأي المشار التغرير بهِ. وقيل
ستشير جايعاً ولا سخيرًا ولا خايفاً ولا كثير بغير امرك فان من فرط هذه الاحوال عادت
وقيل من استشار بك في امر فقد اشرك فيهِ. وقيل من استبداء برايه هلك ومن شاور الرجال
كها في عقولها. وقيل لا روية لعجول ولا راحة للحسود ولا مودة للحقود ولا تدبير لمن
شرّه ولا مروة للكذوب ولا صلاح مع سوء النية. وقيل الطبيب الحاذق اذا مرض يحتاج
طبيباً يعالجهُ والعاقل اذا وقع امر يحتاج الى حازم يستشير به. وقيل انفع الاشياء العاقل مشاورتهُ
والتجربة بالمودة واضرّ ما هو الكسل واتباع الهواء. وقال عبد الله بن مروان: لأن اخطأت
شير احبُّ اليَّ من اصيب واستبداء برأيي. وقال عبد الله الحارثي فشاورهُ في اخيهِ ان يوليهُ
اء فشار عليهِ بهِ ثم اجتمع عبد الله مع ابا بكر فقال لهُ ابا بكر: اترى لي القضى سبيل. فقال:
عرف زياد الملك فقال لعبد الله: يا هذا انكرت عليَّ اولي ابا بكر القضي واشرت عليهِ ان لا
قال: ما ناقصت نفسي يا ايتها الامير لكن استشرت بي فنصحتك واستشار بي فنصحتهُ

ومن هذا ترى ان نسخة اصلان ابن الروميّ مشحونة بالاغلاط وانها تقوم برهانًا
دًا على ما قالهُ حضرة الاب لويس شيخو « كم تختلف الروايات وكم يصعب الوقوف
الصحيح منها »

(حاشية للاب لويس شيخو) انَّنا نشكر حضرة الاب لويس معلوف على نبذتهِ هذه المستملحة
نَّا لا نزال في شكٍّ عن صاحب كتاب دفع الهمّ وذلك لاسبابٍ: (اوَّلها) انَّنا لم نجد حتَّى
كتابًا عربيًا لقدماء النصارى مؤرخًا بتاريخ الميلاد قبل القرن الرابع عشر وانَّما الكتُب
رانية قبل هذا العهد هي مؤرخة بتاريخ الشهداء او تاريخ اليونان او تاريخ العالم. ومن ثمَّ
انَّ تاريخ نسخة أكسفرد مصحَّف او مغلوط او مزوَّر. (ثانيها) انَّهُ قد اخذنا العجب من
رة اغلاط هذه النسخة مع قِدم عهدها ونرى عادةً النسخ القديمة القريبة العهد لمؤلفيها اصحّ

من سواها واضبط . (ثالثها) اننا في ريب من اسم الناسخ « اصلان بن الرُّومي » وهو لا يشبه في شيء اسماء النصارى . فنطلب الى حضرة الكاتب ان يبحث عن نسخة أُخرى او يزيدنا علماً بهذه النسخة وورقها وخطّها وغير ذلك مما ينفي الرّيب ويميط قناع الشكّ وله الشكر سلفاً

سلوان الاسرى في ايوان كسرى

لحضرة المحقق والعلّامة المدقق الاب انستاس الكرملي (تابع لما سبق)

(د) « ايوان كسرى او طاق كسرى » الاسم الاوَّل هو اسمهُ عند العرب في سابق الزمان . والاسم الثاني هو اسمهُ في هذا اليوم وقبلهُ ايضاً . وقد ذكرنا في كلامنا عن طَيْسَفون كيفيَّة بناء الايوان وعلى يد مَن وقد ذكر الثعالبي في كتاب ثمار القلوب كلاماً مشبعاً عن هذا الايوان . وكما ان الكتاب غير مطبوعٍ أحببنا نقل كلامهِ . قال :

« ايوان كسرى . يُضرب بهِ المثل للبناء الرفيع العجيب الصفة المتناهي الحصانة ولانهُ من عجائب ابنية الدنيا ومن احسن آثار الملوك وهو بالمدائن (اي بطيسفون) من بغداد على مرحلةٍ . بناهُ كسرى ابرويز في نيِّفٍ وعشرين سنة . وتأنق في تأسيسهِ واتقانهِ وتحسينهِ . فلمَّا تمَّ كان من خصائصهِ الثاني عشرة التي لم يُعطَها ملكٌ قبلهُ . وقيل بناهُ انوشروان . (والصحيح في كل ذلك ما اسلفنا ذكرهُ في طيسفون) وهو الذي بنى الباب ايضاً . وانشدني المرزبانيّ لنفسه :

قلتُ لمَّا رأيتهُ في قصورٍ مشرفاتِ الابواب والايوانِ
هَبْكَ كسرى كسرى الملوك انو م شروان باني الابواب والايوانِ
ايَّ شكرٍ ترجوهُ مني اذا لم تقضِ لي حاجتي وتعدل شاني

وذكر ابن قُتَيبة في كتاب المعارف انَّ بانيهُ سابور ذو الاكتاف . ومن وصفهِ : ان طولهُ مائة ذراع في عرض خمسين ذراعاً في سمك مائة ذراع (وكذا قال ايضاً الابشيهيّ (٢ : ١٢٧) وهو متَّخذ من الآجرّ الكبار والجصّ (قلتُ : وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان (١ : ٤٢٥) ان طول الآجرَّة نحو ذراعٍ في عرض اقلّ من شبر) وثخن الازَج خمس آجرَّات وطول الشُّرَف خمسة عشر ذراعاً (وزاد على ذلك الاصطخريّ في مسالك الممالك قائلاً : وليس في مباني الاجرّ ما هو أبهى ولا اتمُّ حسناً منهُ) ولمَّا بنى

صور مدينة السلام أحب ان ينقض ايوان كسرى ويبني بنقضهِ الابنية فاستشار خالد
برمك في ذلك فنهاهُ عن نقضهِ فقال: « يا امير المؤمنين انهُ آية الاسلام. فانهُ اذا
الناس علموا أنَّ مَن هذا بناؤُه لا يزيل أمرَهُ الَّا الانبياء وهو مع هذا مُصلَّى علي
ابي طالب رضي الله عنهُ والمؤونة في نقضهِ وهدمهِ اكثر من الانفاق بهِ » . فقال
صور: « يا خالد أبيتَ الَّا ميلًا الى العجم ». وأمر بهدمهِ. فهُدِمَت منهُ ثُلمَةٌ فبلغ
رف عليها مالًا كثيرًا. فأمر بالاضراب عن هدمهِ وقال: « يا خالد قد صرنا الى
ك ». فقال: « انا الآن أشير بهدمهِ ». قال: « فكيف ». قال: « لئلَّا يتحدَّث الناس
ك عجزت عن هدم ما بناهُ غيرك ». فتركهُ على حالهِ. فكان المأمون يقول: قد حبَّب
هذا الكلام ان لا ابني الَّا بناء جليلًا يصعب هدمهُ. قال الجاحظ: « قال قاسم
ار: رأيتُ ايوان كسرى كأنَّما فرغت منهُ الايدي أقلَّ من امس ». قال المبرّدُ:
ذاكر حذيفةُ وسليمان أمرَ الدنيا. فقال سليمان: ومن اعجب ما تذاكرنا صعودُ
ب العامريّ سريرَ كسرى. وكان اعرابيًّا من عامرٍ يرعى شُوَيهاتٍ لهُ. فاذا كان
ل صيَّرها الى عَرَصةِ ايوان كسرى وفي العرصة سرير رخامٍ فتصعد غُنيماتهُ الى
رير وكان كسرى كثيرًا ما يجلس عليهِ ». وممَّن ضرب المثل بايوان كسرى ابن
ميّ وغيرهُ. وقال البحتري من قصيدة :

وكأنَّ الايوان من عجب الصنْـ م ـعة حورٌ جَنَبْنَ أرعنَ موسى
كذا وفي روايةٍ اصحّ:
حوبٌ في جَنْبِ أرعَنَ جلْسِ
لم يعبْهُ إنْ بُزَّ مِنْ بُسُطِ الديباج م واستُلَّ من ستور الدِمَقْسِ
مُشمَخِرٌّ تُطوَى لهُ شُرُفَاتٌ رُفعتْ في رؤوسِ رَضوى وَقُدْسِ
ليسَ يُدرَى أصُنْعُ إنسٍ لجنٍّ سكنوهُ ام صُنْعُ جِنٍّ لإنسِ
غير أنّي اراهُ يشهدُ ان لَمْ يَكُ بانيهِ في المُلُوكِ بِنكْسِ

انتهى كلام الثعالبي. (قلتُ): وممَّن ذكرَ الايوان ابن الحاجب (في معجم
دان لياقوت ١ : ٤٢٦) وهذه ابياتهُ:

يا من بناهُ بشاهقِ البنيانِ أنَسيتَ صُنْعَ الدهر بالإيوانِ
هَذِي المصانعُ والدساكرُ والبنا وقصور كسرَّانا انوشروانِ
كتب اللَّيالي في ذرَاها أسطُرًا بيدِ البلى وانامل الحدثانِ

ان الحوادث والخطوب اذا سطت أودت بكل موثَّقِ الأركانِ

والايوان ليس اسم القصر كما توهَّمهُ صاحب الهلال في رواية « فتاة غسَّان » بل هو اسم الايوان فقط كما يدل لفظهُ على معناهُ . امَّا القصر فكان يُسمَّى بالقصر الابيض او ابيض المدائن (راجع كتاب فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٦٢) او ابيض كسرى (اطلب ابن الاثير ٢ : ١٩٧ و ١٩٩) . وكان بين الايوان ودجلة بساتين غنَّاء وحدائق اشجارُها غيباء حتى اذا وصلتَ الى النهر وقفتَ على المسنَّاة وانت في دهشٍ وعجبٍ ممَّا تراهُ . واذا اطلقتَ طائر بصرك الحائر يحوم حول حيطان القصر فلا يمكنُ ان يقع على موضع الَّا ويزينهُ رسمٌ او حفرٌ او كتابة (راجع حسن المحاضرة ١ : ٣ والمقريزي ١ : ٣١) . وعلى جانبي الباب الاكبر المطلّ على المدينة قائمتان عليهما تمثالان كبيران متماثلان متواجهان بصورة ثورٍ أُشوريّ كبير مجنَّحٍ وبراس انسانٍ طويل اللحية وعلى مفرقهِ تاجٌ ملكيّ (عن مؤلّفي الافرنج في وصفهم لايوان كسرى) . واذا اردت دخول الايوان مررت على ارضٍ تُدهشك بعجيب ما تطأهُ من الصور . فان الطريق مزيَّنةٌ بانواع الحصباء الملوَّنة تمثّل مشاهدَ ومعاركَ ومذابحَ وفيها انواعُ الناس بازياء مختلفة ومن اممٍ شتَّى . وهناك فرسان وركبان وملوك بتيجان على مراكب وعجلات ومن حولهم بعض من حاشيتهم . وامامهم اساورة يَذأَلون على خيلهم طالبين صيد الاسود ومتأثرين حُمرَ الوحش التي كانت يومئذٍ في العراق وما بين النهرين . وكل هذه الصور متقنة الوضع ومحكمة الصنع كأنَّها من خَلق الطبيعة . ومن اعظم الطرق التي كانت تتشعَّب حول القصر وداخلهِ النَهجُ المؤدّي من باب القصر الاعظم الى الايوان يصطفُ فيهِ عادةً حرسُ كسرى قائمين حولهُ سماطين عند دخولهِ قصرهُ . وفي زاويةٍ من زوايا الحديقة بناء فخيم تُقصَر فيهِ الفيلة الداجنة والسباع المضرّاة

واذا رافقتَ كسرى الى الايوان ودخلت الازَج منهُ وجدت الايوان المذكور مبنيًّا على ساباطٍ سقفهُ واحدٌ كما يتحقَّقهُ من يرى اثرهُ الى هذا اليوم . وفي داخل الايوان عمدٌ من الرخام المنقوش وفي صدرهِ عرش كسرى مرصَّع بالجواهر والحجارة الكريمة يجلس عليهِ الملك عند عقدهِ المجالس ومن حولهِ جماعات من الناس على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم وخططهم على نمطٍ عجيب وكانت طبقات خاصَّتهِ ثلاثًا : الاولى الاساورة وابناء الملوك وكان مجلس هذه الطبقة عن يمين الملك على نحوٍ من عشرة اذرع وهم

نة الملك وندماؤهُ ومحدّثوهُ من اهل الشرف والعلم. وكانت الطبقة الثانية على
دار عشرة اذرع من الاولى وهم وجوه المرازِبة وملوك الكوْن (ويُروى: الكور)
قيمون بباب الملك والمرازِبة وهم الأَصبهبَذِيّة مِمّن كانت ممالكة الكون (الكور)
ايامه. والطبقة الثالثة كانت رُتبتها على قدر عشرة اذرع من حدّ مرتبة الطبقة الثانية.
مل هذه الطبقة المضحكون واهل البطالة والهزل. غير انهُ لم يكن في هذه الطبقة
الثة خسيسُ الاصل ولا وضيع القدر ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول او القِصَر
مؤوفٌ ولا مرميٌّ بأُبنةٍ ولا ذي صناعةٍ دنيئةٍ كابنِ حائكٍ او حجّام ولو كان
م الغيبَ او حوى كلّ العلوم مثلًا (عن مروج الذهب ١: ٢٨٤ وفي طبعة باريس
١٥٣—١٥٨)

ومن فوق راس الملك قبّة عجيبةٌ قد نُزّلت فيها نفائس الحجارة والمعادن تنزيلًا
اً وفي داخلها مِروحةٌ من ريش النعام وعلى الملك ستارةٌ مُوكّلٌ بها رجلٌ من ابناء
ساورة يقال لهُ « خُرَّم باش » فاذا غاب هذا الرجل وُكِّلَ بهِ آخرُ من ابناء الاساورة
وي التحصيل وسُمّي بهذا الاسم وهذا الاسم عامٌّ لمن رتّب في هذه المرتبة ووقف
ا الموقف وتفسير ذلك: « كُنْ فرحًا ومسرورًا » (عن المسعودي ١: ٣٠٧). ويُرى
حيطان الايوان رسومٌ مُلوّنةٌ وزخارفُ مختلفةٌ وصورٌ تمثّل آلهةً جبابرةً وسباعًا
ربةً كاسرة ومشاهدَ حروبٍ جديدةٍ وغابرةٍ (عن القزويني ص ٣٠٤ من طبعة
وتنكن) ومن هذه التصاوير والنقوش صورة انوشروان مُرمّم الايوان وغيرهِ ممن
دّمهُ في سالف الزمان من ملوك آل ساسان أو من سلاطين دُوَلٍ أُخرى رفيعةِ الشأن
من ياقوت ١: ٤٢٦ بتصرّفٍ في البَسْط). وفي أعلى الحائط ووسطهِ وأسفلهِ أبياتٌ
رية باللغة الفَهلَويّة والدَّرّية والفارسيّة والخوزيّة ومكتوبةٌ باحرفٍ سريانيّة وهي
روف التي كان يكتُبُ بها الفرسُ قبل الاسلام. وفي سقفِ الايوان تصاويرُ مختلفةٌ
هيئة السماء بنجومها وكواكبها وافلاكها وبروجها مُنزّلة في قبّةٍ زرقاء لازورديّةٍ
لحجارة الكريمة والذهب الابريز والفِضّةِ الخالصة وكنتَ اذا رقيتَ الى سطح الايوان
يت شراريف مزخرفة بانواع الصور المحفورة فيها حفرًا دقيقًا متقنًا كانّ انهار الحياة
ندفق فيها تدفقًا ولا ينقصها الّا التنفّس لتُشاطرك الوجود وما يلحقهُ من توابعهِ. وهذه
شراريفُ تُطِلُّ على نواحي القصر الاربع وطول كل شرّافةٍ على ما قالهُ الابشيهي

(٢ : ١٢٧) خمسة عشر ذراعاً . ولمّا اراد الخليفة نقض هذا القصر ابتدأ بهدم شرافةٍ واحدةٍ وحسب ما انفق عليها فوجد ان نقضها يتكلّف بقدر بنائها (عنهُ وفي تلك الصفحة)

وباب الايوان كبيرٌ قد نُقش على عتبتهِ العليا صورة الشمس مذهَّبة وكانت إلهةَ الفُرس في ايَّام مجوسيَّتهم . والى كلٍّ من جانبي الباب تمثال اسد كانهُ يحاول المشي وعيناهُ تتقدَحان شراراً والاسدان منحوتان من الرخام محلّيان بالذهب الابريز وفي موضع العَيْنَين منهما زُمُرُدَتان زَرْقاوانِ بديعتا الشكل . واماً عتبتهُ السُفلى فمتَّخذةٌ من الرخام المانع (ملخَّص بتصرّف عن جورج سميث وروُلنصن وچِسْني وغيرهم من موُرخي الافرنج وآثاريّيهم)

وخلاصة القول في هذا الشان . انَّ منظر هذا الايوان . العجيب الاتقان . هو من غريب ما جاءت بهِ عقول ابناء الزمان . حتى انهُ حيَّر الاذهان . في كل عصرٍ وآن . وعدَّتهُ العامَّة من تلك البنيان . التي هي من صنع الجان . لا من الانسان . كما رواهُ ابن خلدون في مقدَّمتهِ (ص ٣٠١ من طبعة بيروت ١٨٨٦)

هذا ما كان عليهِ الايوان قبل ظهور الاسلام ولمّا فتح العرب طَيسفون أحرقوا جانباً عظيماً من هذا القصر البديع فاخرجوا منهُ من الذهب على ما نقلهُ الابشيهيّ الف الف دينار (٢ : ١٢٧) ثم تصرَّف بما بقي منهُ الخليفة المنصور على ما اسلفناهُ في صدر هذه اللمعة بحيث انهُ لم يبقَ منهُ الى هذا اليوم الّا ما يشهد بصدق وجود مثل هذا الاثر العظيم الجليل في غابر الزمان

الى هنا انتهى ما نقلناهُ عن كتبة العرب بخصوص ما جاء عن هذه المدن الشهيرة التي اصبحت اليوم في خبر كان . امّا الافرنج فلم يعرفوها ولم يتكلموا عنها الّا في هذه القرون المتأخرة وقد اصبحت اليوم كتبهم اعزّ من انف الاسد . الّا ان يدي قد وقعت على بعض ما كتبهُ هؤلاء الاجانب فأُسرع في تعريبهِ واتحاف اصحاب المشرق بهِ ليطّلعوا على آراء اولئك الكتبة في تلك السنين وكيفية تدوين الافرنج لكل ما يسمعونهُ ويرونهُ فيروونهُ على علاتهِ

واوَّل من نبَّه افكار الاوربيين على هذه الاطلال الدارسة هو بياترو دلّا قالّي (Pietro della Valle) وهذا كلامهُ : « وبعد ان سرنا في البلد نصف ساعة وجدنا ضالّتنا

ا وهي أخربة بناء قديم يعتبره جهلة اليهود هيكل بخت نصّر الذي وضع فيهِ تمثال
هب وأمر الناس بالسجود لهُ على ما هو مذكور في التنزيل العزيز. وهو في الظاهر
يخلو من شبه من جهة الموطن لان الكتاب يقول: أُقيم التمثال في سهل وهو وان لم
ن قريباً من بابل فهو على الاقل في قطر بابل الذي رُبّما كان ممتدًا الى هنا. غير اني
دتُ امرًا فريًا ان تُرى رسومهُ باقيةً الى عهدنا هذا مع قدم ذلك البناء المشهور
سي انهُ لم يُبنَ من الحجارة. فسألتُ حينئذٍ المسلمين وعليهم اعتمد في مثل هذه
روف اذ انهم اوسع علماً من اليهود فقالوا لي ان هذا البناء يُسمَّى « طاق كسرى »
رواق قيصر (كذا بحرفهِ). وعلى قولهم انهُ بُني في الموطن الذي كانت فيهِ طيسفون
ك المدينة التي رفع دعائمها ملوك الفرس من الدولة الاخيرة وكانوا قد حذوا حذو
مانيين في تسمية ملوكهم « بالقياصرة » (كذا. والكاتب في وهم ظاهر والاصح
ملوك الفرس كانوا يسمون بالاكاسرة وملوك الروم بالقياصرة كما هو مشهور) وعلمتُ
ذلك الطلل كان معروفاً في التاريخ وفي كتب البلدان الفارسية. وسوف ابذل ما في
قة للوصول اليها والحصول عليها ». قال فردينان هيفر (Ferd. Hoefer) بعد ايراد
ا النص: « ومن ثم يجوز لنا ان نستنتج هذه النتيجة الظاهرة وهي ان مدينة طيسفون
نت في ذلك الموطن في زمان حروب ملوكنا العظام لملوك الفرس او الملوك الاشكانيين
يع كتب التاريخ التي تتكلم عن هذه الحروب تذكر هذه المدينة الذائعة الاسم.
ى ما تقدّم ازيد هذه النتيجة الثانية وهي انَّ سلوقية كانت في ذلك المكان ايضاً
اسطرابون يشهد شهادةً بينة ان طيسفون ليست الّا ربضاً لسلوقية وانَّ بانيها من
ك الاشكانيين وقد شيدوها في نيّة ان لا يزاحموا تلك المدينة بما في بلاطهم من
م والحشم ولكثرة ما يلزم لهم من المنازل لايواء جيش الاسكيثيين الذين كانوا
ونهم دائماً حينما كانوا يأتون ليشتُوا في هذه الاقطار نظرًا لحرّ أديمها لأنهم كانوا
يقون في جرجان او في همدان. وان هذا الربض ازداد سكانهُ مع مرور الزمان
سع نطاقهُ لاقامة أُناس فيهِ وكان عددهم ايَّ عددٍ حتى انَّ هذا الربض اصبح
ينة زهراء »

وزاد المؤلف قائلًا: وعليهِ فان كان ما اوردناهُ لا يعدو طور الحقيقة فمن المؤكد
ت الراهن ان سلوقية وطيسفون كانتا مدينتين متجاورتين وحواليهما مدن أُخرى

اصغر منهما ولهذا سمّى العرب هذه البقعة المشتملة على العاصمتين وعلى تلك المدن الصغيرة « المدائن » كأنَّ هاتين المدينتين ولواحقهما اعتبرت لتجاورهنَّ مدينةً واحدةً فسمّيت باسمٍ واحدٍ مجموع اشارة الى ما فيها من التجمُّع والتضامّ. وفي هذا الصدد قال أَغثياس (Agathias) وهو من مؤرخي اليونان في القرن السادس) متكلماً عن كسرى: ان جيوش الكروب داهمتهُ ووساوس النفس ساورتهُ لقنوطٍ وقعَ في صدرهِ اثر اندحار عسكرهِ على مقربة من قطرهِ فنقلهُ اليهِ خدَمُهُ على اياديهم قبل دَبْرهِ. ومن هذا يتَّضح ان هذا الكاتب قد لُبس عليهِ امر هاتين المدينتين حتى انهُ عدَّهما شيئاً واحداً. وما عدا هذا الدليل فان سِفر القديسين الروماني يذكر في اليوم ٢١ من نيسان عيد القديس سمعان اسقف طيسفون وسلوقية معاً. وهذا ما يدعم مقالنا ويؤيد رأينا. وما يدعوهُ عرب يومنا هذا بالمدائن قد تُرجم بطيسفون في كتاب بلدان فارسيّ هو في المنزلة الاولى عند اهالي العجم. وصاحبهُ كاتبٌ بارع على ما نُقل اليَّ ولعلَّ سبب تسمية المدينتين بطيسفون وحدها لأنها هذه كانت قد عفَت آثارَ الاولى وبقيت هذه حيَّة بعد موت تلك وكما ان هاتين المدينتين كانتا متجاورتين وكانتا معتبرتين بناء واحدًا اعتُبرت سلوقية من بلاد ما بين النهرين او الجزيرة على ما رأيتهُ مؤيدًا في كتاب مختصر في تخطيط البلدان. واتصورَّ انها كانت على الضفَّة اليمنى نحو شَطْر دجلة في غربهِ الاقصى أمَّا طيسفون فبعكس ذلك كانت واقعة على الضفَّة اليُسرى ونحو شطرهِ الشرقي الذي أُقيم فيهِ ايوان كسرى » اه

(البقية للآتي)

الخطّ العربي

نخبة من كتاب صُبح الاعشى في كتابة الانشاء للقلقشندي

عني بنشرها الاب ل. شيخو اليسوعي (تابع لما سبق ص ٢٧٨)

الفصل الثالث عشر

في هندسة الحروف ومعرفة اعتبار صحتها ونحن نذكرها على ترتيب الحروف

الأَلف قال الوزير ابو علي ابن مقلة: وهي شَكل مركَّب من خطّ منتصب يجب ان يكون مستقيماً غير مائل الى استلقاء ولا انكباب. (قال) وليست مناسبةً لحرفٍ في طول ولا قصر

قال الشيخ شرف الدين محمد ابن الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام : وهي قاعدة
حروف المفردة وباقي الحروف متفرّعة عنها ومنسوبة اليها
ثم الذي ذكرهُ صاحب رسائل اخوان الصفا في رسالة الموسيقى عند ذكر حروف
جم استطرادًا : ان مساحتها في الطول تكون ثماني نقط من نقط القلم الذي تُكتَب
ليكون العرض ثمن الطول . والذي ذكرهُ الشيخ شرف الدين محمد ابن الشيخ عزّ الدين
عبد السلام انها مقدَّرة بستّ نقط . والذي ذكرهُ زين الدين شعبـان الاثاري في
بتهِ : انها مقدَّرة بسبع نقط فما زاد على ذلك كان زائدًا عن مقدارها وما نقص كان
صًا عنهُ . قال ابن عبد السلام : وتكون النقطة مربَّعة . (قال) ويكون ابتداؤها
طة وآخرها بشَظيَّة . قال ابن مقلة : واعتبارها ان تخطّ الى جانبها ثلث الفات او اربع
ت فتجد فضاء ما بينهمـا متساويًا . قال ابن عبد السلام : وتكون تلك الالفات
طوطة الى جانبها مناسبات لها في الطول متساويات الرؤوس والاذناب

باء قال ابن مقلة : هي شكل مركب من خطَّين منتصب ومنسطح . (قال) ونسبتهُ
الى الألف بالمساواة . قال ابن عبد السلام : ويكون المنتصب طولهُ بمقدار ثُلث
ـر خطِّهِ . (قال) ويبدأ اوَّلهُ بنقطةٍ وكذلك آخرهُ ان كان مرسلًا فان كان معطوفًا
كن بسنّ القلم اليسرى . والمستدير فيهِ مثل المنتصب . ولكن يكون المنتصب ارجح
المستدير بنزرٍ يسير . وتكون السنَّة المبتدأ بهـا مترجحة في الطول على آخرها
طوف . قال ابن مقلة : واعتبار صحتها ان تزيد في احد سنَّيها الفًا فتصير لامًا . وزاد
عبد السلام في ايضاحهِ فقال : ان تزيد المنتصب تكملة الف بحيث يكون طول
تهِ كطول المنسطح لا اطول ولا اقصر . (ثم قال) وهذا الحرف وما يجري مجراه من يمنة
يسرة وكل ما كان كذلك فينبغي ان يُمال القلم فيهِ نحو اليسرة قليلًا . ولا يخفى انّ
. والثاء في معنى الباء في ذلك جميعهِ

الجيم قال ابن مقلة هي شكل مركَّب من خطَّين منكبّ ونصف دائرة وقطرها
مساوٍ للالف . وابدل ابن عبد السلام المنكبّ بالمنسطح . ثم قال : والمنسطح
ثلثي الف من خطهِ وربَّما يكون انقص بنقطة . (قال) ومساحة نصف الدائرة كالف
صف الف من قلم الكتابة ورأسها يكون من يسرةٍ الى يمنةٍ على استقامة تقريبًا .
لما كان كذلك ينبغي ان يمال برأس القلم فيهِ الى اليمنة قليـلًا يبدأ باوَّلهِ بشظيَّة

بالسنّ اليمنى من القلم وآخر تعريجها بالسنّ اليسرى منهُ . قال ابن مقلة : واعتبار صحّتها ان تحط عن يمينها وشمالها خطَّين فلا ينقص عنهما شيئًا يسيرًا ولا يخرج . وقال ابن عبد السلام : واعتبار صحة رأسها ان تكتبهُ من يُسرةٍ الى يمنةٍ على استقامة تقريبًا. (قال) وحسنها ان تخفضها من الجهة اليمنى قليلًا وميزانها ان تسطِّر سطرًا ويؤخذ عليهِ من يسرة الى يمنة مقدار ثلثي الف من قلم الكتابة بحيث لا يرتفع اوَّلها عن آخرها الَّا يسيرًا ولا آخرها عن اوَّلها بل تكون منسبكة فيهِ واعتبار نصف الدائرة ان تقابلهُ بنصف آخر فيصير دائرة. (ثم قال) وليقصد ان يجعل رأس الجيم سواء آخذًا ابتداء الدائرة في جسد ثلث الراس منسبكًا فيهِ بحيث يكون الثلث ضلعًا واحدًا . ولا يخفى انَّ الحاء والخاء في معنى الجيم في جميع ما تقدَّم

الدّال قال ابن مقلة : هي شكل مركَّب من خطين منكبّ ومنسطح مجموعهما مساوٍ للالف . وجعل ابن عبد السلام منها شكلًا آخر مركَّبًا من ثلاث خطوط منكبّ ومنسطح ومستدير (وكانهُ يريد الدال المجموعة). ثم قال : فالمنكبّ طولهُ بمقدار نصف الف خطهِ لا غير وكذلك المنسطح وابتداء اوَّلها بنقطة وآخرها ان كان مرسلًا بقطَّة وان كان معطوفًا بسن القلم اليسرى. قال ابن مقلة : واعتبار صحّتها ان تصل طرفيها بخط فتجد مثلَّثًا متساوي الاضلاع . ولا يخفى ان الذال في معنى ما تقدَّم

الرّاء قال ابن مقلة : وهي شكل مركَّب من خطّ مقوَّس هو ربع الدائرة التي قطرها الف وفي رأس سنَّةٍ مقدَّرة في الفكر . قال ابن عبد السلام : وتبدأ اوَّلها بنقطة وآخرها ان كان مرسلًا فبسنّ القلم اليمنى وان كان معطوفًا فبسنهِ اليسرى . قال ابن مقلة : واعتبار صحتها ان يصلها بمثاها فتصير نصف دائرة . ولا يخفى ان الزاي في معناها

السين قال ابن مقلة : وهو شكل مركَّب من خمسة خطوط منتصب ومقوّس ومنتصب ومقوّس ثم منتصب . قال ابن عبد السلام : ومساحة راس السين من اول سنّ منها الى ثالث سن كثلثي الف خطهِ . (قال) ومساحة قوسها ان كان معطوفًا مساحة الف من خطهِ وان كان مرسلًا مساحة الفين من خطهِ وطول كل سنَّةٍ مثل سدس الف خطهِ تبدأ اوَّلها بنقطة امَّا آخرها فان كان مرسلًا فبسنّ القلم اليمنى وان كان معطوفًا فبسنِهِ اليسرى . (قال) واذا ابتدأت بالسنَّة وطلعت الى الثانية فخذ الى الثالثة من اعلاها ليصير بياض من اسفلها فانك متى اخذت راس السنَّة من اسفلها صار اسفلها

طحاً ويكون البياض بين السنَّات على السويَّة في البياض. قال ابن مقلة: واعتبار
تها يعني صحة راسها ان تمرّ باعلاها واسفلها خطين فلا يخرج عنها شيء. ولا ينقص.
يخفى ان حكم الشين ايضاً كذلك

صاد قال ابن مقـلة: هي شكل مركَّب من ثلاثة خطوط مقوَّس ومنسطح ومقوّس. قال ابن عبد السلام: وابتداؤهُ بشظيَّة امَّا انتهاؤهُ فان كان مرسلًا
ن القلم اليمنى وان كان معطوفاً فبسنهِ اليسرى. (قال) ومساحة راس الصاد في الطول
لثي الف خطهِ ومساحة قوسها ان كان معطوفاً مساحة الف الكتابة وان كان مرسلًا
حة الفين من قلم خطهِ. قال ابن مقلة: واعتبار صحتها ان تجعلها مربعة فتصير متساوية
ايا في القدار. وقال ابن عبد السلام: اعتبار صحتها ان يكون اعلاها كراء معلقة
سطح كباء. والقوس كنون ويكون رأس النون مشرفاً على آخرها. ولا يخفى ان
اد كذلك

طاء قال ابن عبد السلام: هو شكل مركَّب من ثلاثة خطوط منتصف ومقوَّس ومنسطح يبدأ اوَّلهُ بنقطة وآخرهُ بنقطة. (قال) ومساحة صنو الطاء في الطول
ي الف خطِّهِ. قال ابن مقلة: واعتبارها كاعتبار.. (بياض في الاصل). وقال ابن عبد
لام: اعتبار صحتها ان يكون المنتصب كالف من خطهِ في الانتصاب والطول والمقوّس
كراء معلقة والمنسطح كباء مرسلةٍ. ولا يخفى ان حكم الظاء في ذلك كالطاء.

عين قال ابن مقلة: وهو شكل مركب من خطين مقوّس ومنسطح احدهما نصف الدائرة. وقال ابن عبد السلام: هي شكل مركَّب من ثلثة خطوط
س ومنكبّ ومنسطحٍ تبدأ اوَّلها بشظية وآخر تعريجها بسن القلم اليسرى والتعريجة
ف دائرة. ومساحة القوس كالف وثلث من قلم الكتابة. ومساحة الراس في الطول
لثي الف خطهِ ويصوَّر من رأسها راس صاد. قال ابن مقلة: واعتبار صحتها كاعتبار
م. وقال ابن عبد السلام: اعتبارها ان تخطّ عن يمينها خطاً من اعلاها الى منتهى
يجها فلا يقصر ظهر القوس عن يسارها يسيرًا بنقطة تكون سدس الف خطّهـا
غير. ولا يخفى ان الغين في الحكم كذلك

فاء قال ابن مقلة هي: شكل مركَّب من اربع خطوط منكبّ ومستلقٍ ومنتصب ومنسطح. قال ابن عبد السلام: تبدأ اوَّلهُ بنقطة وتأخذهُ على سطر الى جهة

اليسار ثم تأخذ المستلقي الى ان تنتهي الى قبالة المنسطح بحيث يصير كالدال المقلوبة ثم تأخذ من حيث انتهيت الى ان تلصق بالمنسطح فيبقى مثلثاً متساوي الاضلاع مساحة ضونهِ نقطة بمقدار ثلث الف خطهِ. ثم ان كان معطوفاً ختمتهُ بسنّ القلم وان كان مرسلًا فبقطتهِ. قال ابن مقلة: واعتبار صحتها ان تصل بالخط الثاني منها خطا فيصير مثلثاً قائم الزاوية

القاف قال ابن مقلة: هو شكل مركب من ثلاثة خطوط منكبّ ومستلق ومقوّس. وقال ابن عبد السلام: هو مركّب من اربعة خطوط رأسها كرأس الفاء سواء بجميع ما تقدَّم. وإرسالها كالنون على ما سيأتي ذكرهُ. فان كان آخرها معطوفاً فبسن القلم اليسرى وان كان مرسلًا فبسنهِ اليمنى. (قال) ومساحة ضوء القوس من اولهِ الى آخرهِ ان كان معطوفاً كألف قلم الكتابة وان كان مرسلًا كالفين. قال ابن مقلة: واعتبار صحتها كاعتبار النون وسيأتي ذكرها

الكاف قال ابن مقلة هو شكل مركّب من اربعة خطوط منكبّ ومنسطح ومنتصب ومنسطح. وقال ابن عبد السلام: وهو مركّب من اربعة خطوط مستلق ومنسطح طولهُ مقدار ثُلث الف من قلم الكتابة ومنكبّ طولهُ مقدار ثلث الفِ من خطّهِ ومنسطح طولهُ مقدار الفين من خطهِ بفضّل منتهى المنسطح ما بين المنسطحين. (قال) ولك ان تزيد الاسفل على راس الكاف بمقدار ثلث الف الكتابة بسبب ما يتصل بهِ فيصير فضاء ما بين ما اتصل باخرهِ الى راس الكاف مثل القضاء الذي بين المنسطحين. (قال) ولا يجوز ان تُكتب مختلسة اذا لم يتصل آخرها بحرف بل اذا كانت آخر كلمة تُكتب منتصبة قائمة لا غير وتكتب اذا كانت منتصبة كاللام على ما سيأتي بيانهُ. (قال) ويبدا اوّلها بشظية فاذا انتهت الى اتصال رأسها بالمنسطح تشير بتَدويرها دون تحديدها. قال ابن مقلة: واعتبار صحتها ان ينفصل منها باآن. قال ابن عبد السلام: يعني مستقيمة ومقلوبة

اللام قال ابن مقلة: هي شكل مركب من خطين منتصب ومنسطح. قال ابن عبد السلام: فالمنتصب الف والمنسطح باء. فان كان معطوفاً فبسنّ القلم اليسرى وان كان مرسلًا فبقطتهِ. قال ابن مقلة: واعتبار صحتها ان تخرج من اوّلها الى

ها خطاً يماس الطرفين فيصير مثلثاً قائم الزاوية . (قال) ويكتب على الانواع
لاثة التي تكتب عليها الباء

جم قال ابن مقلة : هي شكل مركب من اربعة خطوط منكب ومستلق
ومنسطح ومقوّس . وقال ابن عبد السلام : مركب من اربعة خطوط منكب
وّس ومستلق بتقويس ومقوّس كالراء يكون ربع دائرة فان كان آخرهُ منتصباً فهو
لوضع والطول مثل الف من خطهِ غير مائل الى استلقاء ولا انكباب . تبدأ اوّل
بشظية وآخرها بشظية . (قال) ومساحة ضونها مثل ثلث الف خطها وهو مستطيل
تدير كالبيضة منصبّ الى جهة اليمين . قال ابن مقلة : واعتبارها كاعتبار الهاء وسيأتي

ون قال ابن مقلة : هو شكل مركب من خط مقوّس هو نصف الدائرة وفيهِ
سنّة مقدَّرة في الفكر . قال ابن عبد السلام : تبدا اوّلهُ بنقطة وآخرهُ ان كان
لًا فبسنّ القلم اليمنى ومساحة ضونهِ كالفين من قلم خطهِ . قال ابن مقلة : واعتبار
تها ان يوصل بها مثلها فتكون دائرة

اء قال ابن مقلة : هي شكل مركب من ثلاثة خطوط منكبّ ومنتصب
ومقوّس . وقال ابن عبد السلام : من ثلاثة خطوط منكبّ ومنسطح ومستلق
اوّلها بنقطة وآخرها رسالة بسنّ القلم اليمنى طول المنكبّ كطول نصف الف
خطهِ وطول المنسطح كثلث الف من خطهِ وطول المستلقي كنصف الف قلم
و . قال ابن مقلة : واعتبار صحتها ان تجعلها مربعة فتتساوى الزاويتان العلياوان
كتساوي الزاويتين السفلاوين . وقال ابن عبد السلام : اعتبار صحتها ان تجعل ردّتها
ثلثيها فاذا كل وضعها اجعلها مربّعة فتتساوى الزاويتان العاليتان والزاويتان
فلتان

او قال ابن مقلة : هي شكل مركَّب من ثلاثة خطوط مستلق ومنكبّ
ومقوّس . وقال ابن عبد السلام : هي مركبة من اربعة خطوط رأسها كرأس الفاء
ويسها كالراء وهو ربع دائرة تبدأ اوّلها بنقطة وآخرها ان كان معطوفاً فبسنّ القلم
رى وان كان مرسلًا بسنهِ اليمنى

لام الف قال ابن عبد السلام : هي شكل مركب من ثلاثة خطوط منكب
ومنسطح مستقيم ومستلق. طول المنكبّ كطول الف من قلم الكتابة

وطول المنسطح كثلثي الف الكتابة وطول المستلقي كطول الف الكتابة تبدأُ اوّل المنكب بنقطة وكذلك المستلقي . (قال) واعتبار صحتها ان يكون ثلثها من اسفلها والثلثان من اعلاها وان تخطّ من راس اللام الى راس الألف خطًا مستقيمًا وان تخط من اعلاها الى اسفلها خطًا فلا يقصر عنها ولا يخرج . (قال) ومنها نوع آخر مركب من ثلاثة خطوط منكبّ ومستدير يقارب الفًا ومستلقٍ يقابل طرفهُ طرف المنكب

الياء قال ابن مقلة : هو شكل مركب من ثلاثة خطوط مستلق ومنكبّ ومقوّس . قال ابن عبد السلام : وهي كالنون وتبدأ اوّلها بشظّية رأسها كذلك مقلوبة طول المستلقي منها كنصف الف من خطهِ وكذلك المنكبّ على ما تقدّم في الدال . (قال) والمقوّس ان كان معطوفًا فساحتهُ كالف من خطهِ وآخرهُ بسن القلم اليسرى وان كان مرسلًا فساحتهُ كالفين من خطهِ وآخرهُ بسن القلم اليمنى . (قال) ومنها نوع كرأس الكاف المستلقي والمنسطح سواء . قال ابن مقلة : واعتبارها كاعتبار الواو (البقيَّة لعددٍ آخر)

فنّ الفوتوغرافية او التصوير الشمسي

للاب لويس دي انسلم اليسوعي (تابع لما سبق)

في مقالتنا السابقة باشرنا بوصف الطريقة للحصول على الصور السلبيَّة التي بواسطتها تنال الصوَر الايجابيَّة وتُعدَّد فذكرنا ان هذه الصور يُمكن رسمها بشبحيَّة او دون شبحيَّة وتوسَّعنا في وصف الشبحيَّات وما يلحق بها

وقبل ان ننتقل الى ذكر صور الايجابيَّة رأينا ان نذكر شيئًا عن الادوات الفوتوغرافيَّة وعن التحضيرات الحسَّاسة المتَّخذة في تجهيز الصور السلبيَّة

تقسيم الادوات الفوتوغرافية

انَّ الادوات الفوتوغرافية بلغت اليوم عددًا لا يفي بهِ احصاء فنرى لكل صاحب فنّ اداةً تختلف عن اختها في بعض تركيبها . ولو اردنا وصف الادوات الشائعة حتى الآن لطال بنا الحديث دون ان نجدي القارئ نفعًا . وانَّما نقول اجمالًا انَّ هذه الادوات على ضربين ضربٌ منها يشمل ادوات المعامل وادوات السياحة والضرب الآخر يختصّ بالادوات اليدويَّة التي شاع استعمالها منذ سنين قليلة

اماَّ الضرب الاوَّل فهو الذي وصفنا سابقاً تركيبهُ واقسامهُ (راجع المشرق ص ٤٦٠ — ٤٦٤). ومن التحسينات الحديثة التي أُجريت فيهِ انهُ جُعل في خزانتهِ المظلمة حاجز ثالث متحرّك توضع فيهِ الشبحية اذا اراد المصوّر تكبير الصورة الاصلية او تصغيرها. وكذلك يُجعل لهذه الادوات مقياس مائي على شكل انبوبة افقيَّة لتكون الاداةُ على سواء التربة. وربَّما كانت الزجاجة الغليظة في هذه الادوات مقسمة على اشكال ترابيع صغيرة سنتمتريَّة وعلى قطبيها تقاسيم ملمتريَّة وهذا مماَّ يساعد المصوّر على رسم صور معلومة الكبر. وكذلك ادوات السيَّاح لا تختلف عن ادوات المعامل الَّا في هيئتها بحيث يمكن ان تطوى وتُضمّ بحجم صغير يسهل نقلهُ في السفر

اماَّ الادوات اليدويَّة. فعلى قسمين منها ما هو على شكل علب مكعَّبة ومنها ما هو على صورة نظاَّرة مزدوجة (jumelle)

(الادوات الفوتوغرافيَّة المكعَّبة) احسنها ما كان فيها المسدِّد في مقدَّمة الاداة. اماَّ موخّرها فيُسند الى صدر المصوّر. ويكون السداد والشبحيَّة ثابتين تصونهما اطراف الاداة. ولا بدَّ من المسدّد لتعريف حدود الصورة. والأَولى اتخاذ اطارات ذات ستائر او على شكل اللف (راجع ص ٤٦٠)

وهذه الادوات على ضروب شتّى فمنها ما يُستعمل للصور الطبيعيَّة فقط ولا يحتاج الى تسديد وتدعى الادوات الذاتيَّة الحركة (appareils automatiques) وهي مبنيَّة على مبدإ المستوقدات المنضمَّة (foyers conjugués). واذا اراد احد استعمالها للصور المتوسطة في القرب فعليهِ بشبحيَّة ذات بورة قصيرة. وكذلك تقرّب صور المرئيَّات باستعمال الحواجز لكنَّ الصورة تفقد شيئاً من جلائها. وعلى كل حال لا يجوز استعمال هذه الادوات للصور القريبة. واحسن ما جُهّز من هذا الصنف اداة كوداك (Kodak) ونظاَّرة كربنتياي (la photo - jumelle Carpentier) ومصوّر ريشرد (vérascope Richard) وراسم بازين ولوروا (stéréocycle de Bazin et Leroy)

ومن هذه الادوات ما يصلح للمسافات البعيدة والقريبة معاً وذلك بان يُجعل لها جهاز خصوصي يجوز مدّهُ او ضمُّهُ على حسب غاية المصوّر. اماَّ قياس المسافات فيعرف بالاختبار بالنظر الى صورة المرئيَّات على الزجاج الغليظ او بالحساب. غير ان الخطأ في كلتا الحالتين ليس بمأمون اماَّ لسرعة العمل واماَّ لصعوبة تقدير المسافة ومن هذا القبيل

اداة ايرماجيس (vélocigraphe Aermagis) ونظارة ماكنشتين (jumelle Mackenstein) وزيون (Zion) وجو (Joux) وبالياني (Ballieni)

ومن احسن هذه الادوات اليدويّة ما فيهِ شبحيّتان متشابهتان الواحدة تحدّد الصورة التي يريدها المصوّر والثانية لتأثير الصفيحة الحسّاسة. وهذه الادوات تتدارك كل خلل وتمكّن المصوّر من معرفة الصورة وتسديدها الّا انّها اغلى من سواها وقد جعل البعض بدلًا من احدى الشبحيّتين مرآة او موشورًا يعكسان الصورة الخارجيّة على الزجاج الغليظ. ومن هذا الصنف كينغراف المسيو فرنساي (kinégraphe de M^r^ Français) وخزانة المسيو لُمب وديسودي (Lombe et Dessoudeix) وفوتوسكوب روس (photoscope Ross) او نظّارة ديروغ (Derogg)

(الادوات الشبيهة بالنظّارات) هذه الادوات يدعوها الانكليز «الكشّافات» (detectives) تشبيهاً لها بالشُرط السرّي المعروف بهذا الاسم الذي يتجسّس الامور دون ان يشعر بهِ احد فكذلك هذه الادوات فان الذي يراها يعدُّها نظّارة مزدوجة وهي في الحقيقة اداة فوتوغرافيّة. الّا انّها بدلًا من العدستين قد جُهّز فيها شبحيّتان فاذا صوّر المصوّر شيئاً نالَ صورتين لمرأى واحد. واذا اظهرتَ هاتين الصورتين وجعلتهما ايجابيّتين تراهما في النظّارة نانتتين بارزتين على احسن منظر وابهى مثال. واحسن اداة من هذا الشكل نظّارة غورس زَيْس (Goërz-Zeiss) بعد اداة كربنتياي (Carpentier)

التحضيرات الحسّاسة

لتحضير الصفائح الحسّاسة طريقتان: الاولى طريقة الغمس وذلك ان تأخذ محلولًا من الكولُوديون او الالبومين فتمزج بهِ قلويات من الكلور او البروم او اليود فتمدّها على الصفيحة ثم تغطس هذه الصفائح في محلول ازوتات الفضّة فينتج من هذه العمليّات طلاء حسّاس يتركب من كلورور الفضة او برومورها او يودورها وهي كلّها اجسام شديدة التأثّر بالنور

والطريقة الثانية طريقة الطلاء وذلك بان تتّخذ املاح الفضة وتمزجها مباشرةً مع الكولوديون او الهلام. ثم تطرح عنها الازوتات القلويّة وتصبّ المحصول على الزجاج او السِلُّلويد. واستعمال هلام برومور الفضة قد كثر الآن حتى انسى الطرائق الاخرى.

فا بقي من تلك الطرائق طريقة استحضار الصفائح بالالبومين لانَّ صورها شفَّافة
سم على الزجاج وتصلح للفانوس السحريّ وللنظَّارات. وكذلك يستعملون طريقة
كولوديون الرطب لِما فيهِ من الدقة والشفوف ولسهولة استحضارهِ. واليوم تجد
صفائح محضرةً تُباع باثمان متهاودة. وقد تستحضر بعضُ المعامل كل يوم بهلام البرومور
٣٠٠٠٠٠ صفيحة طولها ١٣ سنتيمترًا في عرض ١٨ س. وهُلام البرومور احسن
ن غيرهِ يعمل فيهِ النور عملًا سريعًا

وان اردت اظهار الصورة الخفيَّة (développement) فعليك باجسام محلِّلة
réducteur) كالحامض العفصي وسولفات الحديد واوكسالات البوطاس والهدروغينون
لايكونوجان وربَّما استُعملت اجسام ممانعة (retardateurs) كالحامض الليمونيّ
لحامض الفرميك او الطرطري وبرومور البوطاسا في كميَّات معلومة

وبعد اظهار الصورة ينبغي اثباتها (fixage) لتحليل الاملاح الفضيَّة التي لم يحلّلها
ور ويُتَّخذ لذلك محلول هيپوسولفيت الصودا بنسبة عشرين في المئة. وتُغمس الصفيحة
هذا المحلول الى ان تتوارى منها كلّ آثار كَمِدة بيضاء حليبيَّة. ثم تُغسل الصفيحة
ع بقايا هيپوسولفيت الصودا. وهذا الغسل يكون محكمًا ولولا ذلك لتلفت الصورة
سلبيَّة. والبعض يتَّخذون محلولًا من الشبّ لتجميد الهلام (الجيلاتين) وصيانتهِ من
فساد. ثم تنشَّف الصفيحة في الهواء بعيدًا عن الغبرة وبدرجة معتدلة من الحرارة لئلا
ذوب الهلام. وذلك ربَّما دام من ست ساعات الى ١٢ ساعة. ومن اراد تنشيف
صفائح بسرعة كفاهُ ان يجعلها من خمس دقائق الى عشر في مغطس من الكحول
ميتيليك (alcool méthylique) في درجة ٩٠ من الحرارة ثم يمسحها

واعلم ان الصور السلبيَّة ربَّما كانت غميقة او بائرة وذلك ينتج عن زيادة العمل
و نقصهِ عند اظهار الصورة فان شئت ان تخفِف شدَّة الوانها اغطسها في حمَّام من
بكلورور الزئبق ثم اجعلها في الماء الممزوج بالامونياك حتى تتساوى الالوان. وبخلاف
ذلك ان اردت ان تزيد الالوان نصوعًا فاجعل الصفيحة في مزيج من سيانور البوطاسا
والحديد مع هيپوسولفيت الصودا بنسبة خمسة في المئة

(اصلاح الصورة السلبيَّة) ربَّما احتاج المصوّر الى اصلاح الصورة السلبيَّة امَّا
لازالة ما لعلَّهُ يكون طرأ على الشبحيَّة من الخلل وامَّا لفساد في الاصل يريد المصوّر

ان يتداركهُ. وتصلح الصورة السلبيَّة بقلم رصاصي رفيع او بفُرْشة خفيفة او بميل او ابرة على مقتضى الحال. ولذلك اطار يُقال لهُ اطار الاصلاح تودع فيهِ الشبحيَّة وبازاء الشبحيَّة مرآة تعكس عليها النور لتعريف امكنة الفساد

(الصفائح الجلديَّة) انَّ صفائح الزجاج تناسب الصور الفوتوغرافيَّة لكونها شفافة الَّا انَّ هذه الصفائح اذا توفَّرت زاد ثقلها وصعُبَ نقلها فضلًا عن انَّ الزجاج سريع العطب كبير الحجم. فاخترع ارباب الصناعة طريقة لنزع الصور عن الزجاج وذلك انَّهم طلوا الزجاج بالكولوديون قبل ان يجعلوا فوقهُ الطلاء الحسَّاس فهذا الاستحضار مكنهم من نزع الصورة السلبيَّة فتراها كقشرة من الورق الشفَّاف. وهذه الصفائح الجلديَّة قد اخذ التجَّار يبيعون منها قطعاً مهيَّأَةً للتصوير على شكل ملفّ او على صورة صفائح رقيقة يجعلون تحتها أغشية من الورق او الكولوديون ولاسيَّما من السِلُّولويد

(الضوء الاحمر) لا ندحة للمصوّر من الضوء الاحمر اذا اراد اظهار الصورة السلبيَّة. امَّا بقيَّة الانوار فانَّها تحلُّ الاملاح الفضيَّة وتفسد الصورة ولذلك لا يتمُّ اظهار الصورة الَّا في غرفة مقفلة لا ينفذ فيها الَّا النور الاحمر

(الفوتوغرافيَّة الفاجئة) هي التي تصوّر الصورة ببرهة من الزمان (على سرعة لمحة العين) وذلك في ايّ حالة وُجدت الصورة وعلى ايّ حركة صدرت منها. مثال ذلك تصوير حصان يركض او طائر يطير او انسان يسقط. واصلح ما يُتَّخذ لهذه التصاوير السريعة صفائح مطليَّة بهلام البروموز وتجهز الادوات بسداد خفيف الحركة جدًّا كسداد ترتو پيكار (Tortow - Pickart) الذي يسمح للمصوّر بان يأخذ الصورة في زمن يساوي ١/٨٠ من الثانية. الَّا انَّ هذه التصاوير السريعة ينقصها شيء من الجلاء والدقَّة

٢ الصورة الايجابية

قلنا (ص ٤٥٩) انَّ التصوير الشمسي يتركب من صورتين سلبيَّة فايجابيَّة. فكلامنا السابق انَّما كان محورهُ على الصورة السلبيَّة فبقي علينا ان نبيّن كيف تنال الصورة الايجابيَّة وتتوفَّر. ولذلك طريقتان طريقة تدعى فوتوغرافيَّة وهي التي يستخدم فيها النور لكل صورة من الصور الايجابيَّة. وطريقة ميكانيكيَّة لا يُلتجأُ فيها الى النور

لاصطناع لوحة تُرسم عليها بعدئذٍ الصور بطبعة حجريَّة او غيرها

١ (الطريقة الفوتوغرافيَّة) اذا اردتَ نقل الصورة السلبيَّة الى صورة او صوَر ايجابيَّة
ل فوق الصورة السلبيَّة ورقًا حسَّاسًا مستحضرًا بالاملاح او بالهلام او بزلال البيض
كون الصور بهِ ادقّ وانعم. واذا جعلت هذا الورق على الصورة السلبيَّة ضغطت عليهِ
غط بحيث يكون الوجه الحسَّاس ماسًّا لتلك الصورة وكلاهما فوق زجاجة اعتياديَّة.
رض هذه الزجاجة لنور الجوّ فلا يلبث الورق الحسَّاس ان يمثّل الصورة السلبيَّة
بيًّا اي ان القسم الاسود منها يكون ابيض والعكس بالعكس

وهذه الصورة الايجابيَّة تُغسل اولًا مدَّة بضع دقائق لتُنزع عنها بقايا نيترات الفضة. ثم
شر المصوّر بتلوينها (راجع ص ٢٦٧) اي ابدال لونها القرميدي الذي يفسدهُ النور
عة ارجوانيَّة جميلة وذلك بان يجعلها في حمَّام من محلول كلورور الذهب ممزوجًا باملاح
ية من البورات او الحامض (acétates) او كربونات الصودا الخ. واذا جعلت
ورة في هذا الحمَّام فالأولى ان تحركها من كلّ جهاتها. ثم يتبع المصوّر عملهُ هذا بعمل
ث وهو اثبات الصورة وينجز الامر بوضعها مدَّة تختلف بين عشر دقائق الى ١٥
قة في مركَّب من هيبوسلفيت الصودا ليتحلَّل ما بقي من كلورور الفضة. وفي آخر
ر تُغسل الصور غسلًا محكمًا لازالة آثار الهيبوسلفيت. ولولا هذا الغسل لافسدت
ةُ بقايا هذا العنصر الصورة الايجابيَّة

والبعض يعمدون الآن الى املاح البلاتين لينالوا بها صورًا كبيرة الثمن وغاية في
سن يرسمونها على الورق او على الخشب او على الاقمشة او العاج. وغيرهم يتَّخذون
لاح الحديد لينالوا بها صورًا زرقاء على ورق ابيض او بيضاء على ازرق. وغيرهم
خذون الحامض العفصي لرسم صوَر سوداء على اصل ابيض

امَّا طريقة الفحم المنعَّم المدقوق فتُحدث صورًا نهايةً في الحسن والاتقان وذلك
تجعل دقائق الفحم في هلام ممزوج بالبيكرومات (gélatine bichromatée)
كون الصور المرسومة فيهِ مختلفة الدقَّة على حسب شدَّة تأثير النور او خفتهِ في هذا
نصر الطبيعي توافق الصوَر الاصليَّة في كل هيئاتها. وكان العلاَّمة بوتڤين (Poitevin)
تدى الى هذه خصائص البيكرومات منذ سنة ١٨٤٥ ولم يزل المصوّرون يحسنون

هذه الطريقة حتى بلغوها اوج الكمال. منهم المسيو ارتيغ (Artigue) الذي تعدُّ صوره كآيات من الحسن والجمال

٢ (الطرائق الميكانيكيَّة) تأخذ لذلك صفائح مصقولة من الحجارة او التوتيا تطليها بطلاء حسَّاس من الحُمَّر او الهلام او زلال البيض مع البيكرمات ثمَّ تعرض الصفائح لنور الشمس وتحلّل الاقسام التي لا يصيبها النور في محلّلات معلومة ثم تجعل الحبر على هذه الصور بموجب طرائق الطبع الحجريّ (photolitographie) والبعض لا يحتاجون الى نقل الصورة السلبيَّة على الحجر بل يحملون تحت هذه الصورة زجاجة او صفيحة أُخرى معدنيَّة يطلونها بطلاء من الهلام المزوج بالبيكرومات ويعرضونها للنور فالحبر المدّهن (encre grasse) لا يلصق الَّا بالاجزاء التي اصابها النور فتجعل الصورة السلبيَّة على اداة مطبعيَّة وتُرسم عليها الصور كما تطبع اوراق الطبع. وهذا الفنّ يُدعى الطباعة النوريَّة (phototypie)

واذا اردت ان تجعل الصورة ناتئة فتنقلها اوَّلًا على التوتيا او معدنٍ آخر بواسطة الحُمّر او الهلام المزوج بالبيكرومات ثم تعمد الى الحوامض كالحامض النيتريك او غيره فتسكبها على المعدن المذكور وهي تأكل منهُ ما لم يُصب بضوء النور فتحفرهُ وهذه الطريقة تُدعى فنّ الطباعة الناتئة (impression en relief) . وعلى عكس ذلك لك ان تجعل الصورة نفسها محفورة بخلاف ما يُحدق بها (impression en creux) بحيث تَعمل الحوامض في الصورة دون المعدن الذي يكون عادةً من النحاس. وفي كل هذه الفنون يتَّخذ الحبر المدَّهن وتُستعمل الادوات الطبيعيَّة . وكان وودبرى (Woodbury) اخترع طريقة أُخرى لحفر الصورَ في المعادن فكان يتَّخذ الرصاص ويحفر فيهِ شبه القالب بحيث اذا مسَّهُ الحبر يزيد او ينقص سوادهُ حسب عمق الحفر. وهذه الطريقة كانت تدعى النقش بالنور (photoglyptie). والبعض يتَّخذون التوتيا لرسم الخطوط الشديدة الدقَّة يحفرونها على هذا المعدن بالعوامل الكيماويَّة بعد تصويرها (photozincographie) . وكل هذه الفنون تُعرف اليوم باسم عام وهو الطباعة الشمسيَّة (héliogravure) او (photogravure) (ستأتي البقيَّة)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٥ الامم البائدة في لبنان

انَّ بين الامم التي سكنت في سالف الازمنة مشارف لبنان واوديتهُ شعوبًا دثر
مهم وباد اسمهم. ومنهم من خلّفوا لهم ذكرًا كبني كنعان والفينقيين والآراميين
تلّوا ربوعهُ وتوالوا في سكناه فصارت سلالتهم كنواة هذه الشجرة الكثيرة
رع والعنصر الاصلي لسكان لبنان الحاليين. وليس في خاطرنا ان ندوّن هنا
طير هذه الامم فانَّ ذلك يقتضي كتابًا ضخمًا يخرج بنا عمّا تحرّيناهُ من الخطّة في
تابة وانّما نبحث فقط عن بعض هؤلاء الشعوب الذين يهمّنا ذكرهم ممّن
سوا على لبنان فاستوطنوهُ كلّهُ او قسمًا منهُ ردحًا من الزمان ثم درسوا امّا
اجرة الى غيرهِ من الاقطار وامّا بفتوح الفتّاحين او باختلاط بعض بقاياهم بالعناصر
ردة الى لبنان

وهذا النظر العمومي مع قصرهِ كافٍ ليحيط قرّاؤنا علمًا باخلاط القبائل والامم
ى الذين يتركب منهم اهل لبنان وفي بحثنا هذا نتتبّع آثار شعبٍ فشعبٍ على
ب توالي الازمنة وكرور الاجيال

١ الحثيون

لم يكن ذكر الحثيين مستفيضًا بين العلماء قبل اواسط القرن الماضي. وغاية ما كنّا
م من امرهم ما ورد من اخبارهم في الاسفار المقدّسة. فانَّ ابراهيم الخليل عقد معهم
ا ذكرهُ سفر التكوين (ف ٢٣ ع ١٠ — ٢٠ وف ٢٥ ع ١٠). وكذلك قد اتّخذ
و بن اسحاق امرأتين من بني حثّ (تك ٣٦: ٢) ومن نسلهم كان اوريّا الحثي
ع بتشابع احد قوّاد جيوش داود. هذا الى اشارات أُخرى عديدة يلمّح اليها الكتاب
كريم ويؤخذ منها ما كان عليهِ الحثيون من عظيم الشان وكبير الامر. على ان
ض الكتبة لم يأنفوا من انكار هذه الامور او الارتياب في صحّتها وذلك لأنهم

لم يجدوا في غير الاسفار المقدَّسة ما يؤيد صدقها. وكانوا يزعمون انَّهُ ليس بين المؤرخين كاتب واحد ذكر الحثيين

وقد شاء الله ان تشهد الاكتشافات الحديثة لصحَّة ما ورد في كتبهِ المنزلة وهاك بيان الامر: كان بلغ علماء العاديَّات منذ اوائل القرن التاسع عشر انَّ في مدينة حماة صفائح من الحجارة الضخمة عليها كتابات تشبه بعض الشبه الكتابات الهيروغليفيَّة المصريَّة وهي تختلف عنها. ولم يتسنَّ لاحد من الآثاريين ان يفحصها فحصاً مدققاً الى عام ١٨٧٢. فلمَّا تفرَّغوا لقراءتها في تلك السنة اخذ الدهش منهم كل مأخذ اذ تحقَّقوا انَّ الكتابات المذكورة للحثيين وانْ هي الَّا الآثار الاولى التي تنبئ عن دولتهم العظمى التي اُمحي ذكرها (١. فجعل العلماء يمعنون النظر في آثار تلك الأمَّة ويبحثون عن دفائن أُخرى توقفهم على اسرارهم فما كذَّبوا ان اكتشفوا بعد زمن قليل عدَّة آثار ازالت كل الشبهة فوجدوا العاديَّات الحثيَّة متعدّدة في حلب الشهباء. وفي سهل عمق شرقي انطاكية وقريباً من الاسكندرونة وفي مرعش وجرابس على ضفَّة الفرات وفي جهات أُخرى من بلاد الاناضول. وكانت هذه العاديَّات امَّا كتابات منفردة وامَّا كتابات مع بقايا ابنية فخيمة او تماثيل او نقوش منقورة في الصخور او خواتيم وغير ذلك ممَّا اطلع اصحاب النَّقد على تمدُّن واسع قائم بذاتهِ. فمذ ذاك الحين دخل الحثيُّون في نطاق التاريخ ولم يعد احد يشكُّ في وجودهم

ثم واصل العلماء ابحاثهم فاعملوا رائد النظر في كتابات المصريَّة القديمة والكتابات الاشوريَّة لعلَّهم يجدون فيها ما يزيدهم علماً بهذا الشعب المجهول. فما كذب ظنُّهم بل اطَّلعوا على افادات عديدة تبيَّنوا منها اموراً لا تحصى بخصوص الحثيين ودولتهم. ولحضرة الاب دي كارا اليسوعيّ فيهم مقالات مهمَّة نشرها تباعاً في مجلَّة الآباء اليسوعيين الايطاليَّة «التمدُّن الكاثوليكيّ» احرزت لهُ ذكرًا مستفيضاً بين المستشرقين. ومع كل ما كُتب عنهم في هذه السنين الاخيرة لا يزال العلما يجهلون اشياء كثيرة من اخبارهم واسرار تاريخهم وسيبقى الامر كذلك ريثما لم يسعد الحظّ احدًا من ارباب

---

١) راجع كتاب العلَّامة رَيْت W. Wright: *the Empire of the Hittites* ثم الكتاب The city and the land

العلم على قراءة الكتابة الحثيَّة التي لا تزال مجهولة. ولا نظن احدًا يقوى على قراءتها
حتى يجد كتابةً بلغتين حثيَّة وغيرها تكون كمفتاح لها كما جرى لشمپوليون عند ما
فكَّ اسرار اللغة المصريَّة بواسطة حجر رشيد (راجع المشرق ٣: ٨٩٢)



صورة احد غُزاة الحثّيين (عن اثر قديم)

ولكن من كان يا ترى هؤلاء الحثّيون ما اصلهم ما فصلهم؟ نجيب انَّ الحثيين
ليسوا من اهل الشام وانَّما قدموا الى سوريَّة من جهات الشمال. امَّا عنصرهم فالرأي
الشائع حتى الآن انَّهم ليسوا من بني سام(١. وممَّا ثبت من امرهم انَّهم كانوا تولّوا

١) راجع ما كتبهُ في هذا الشان العلّامة مسپرو في تاريخهِ القديم (٢: ٣٥٣) ثم دي لنتشير
(De Lantsheer) في كتابهِ عن اصل الحثّيين ولغتهم ثم جنسن في كتابهِ عن الحثّيين والارمن
وهو يزعم ان الحثّيين قبيلة ارمنيَّة

منذ القرن السادس عشر قبل المسيح البلاد الواقعة في شمالي سوريَّة بين نهرَيْ عفرين والفرات. ثم تقدَّموا حتى سطوا في القرن الرابع عشر على وادي نهر العاصي وسهل البقاع حتى جنوب فلسطين في جوار مدينة حبرون حيث اجتمع بهم ابراهيم الخليل وبنوهُ من بعدهِ

وكانت في ذلك العهد حاضرة ملكهم في سوريَّة مدينة قدَس التي يظنُّ العلماء انَّ موقعها كان في المحلّ المعروف اليوم باسم تلّ مند عند بحيرة قطينة قريباً من حمص(١ ولا نريد هنا ان نبسط الكلام في الحثيين وانَّما غايتنا ان نذكر ما كان لهم من العلائق مع لبنان

وان سألتَ هل احتلَّ الحثّيون هذا الجبل ؟ أجبنا انهُ ليس لدينا اثرٌ صريح ينبيْ بهذا الامر ولا غروَ لأنَهُ كما قلنا سابقًا لا نعلم الَّا النزر القليل من تاريخهم واتّساع دولتهم. ونرجّح كونهم ضبطوا على الاقل جهات لبنان الشماليَّة ولعمري كيف يقبل العقل انَّ امَّة قويَّة رجالها مغاوير حروب اتّخذتْ لها عاصمةً مدينة قدَس لم تمدَّ ظلَّ سطوتها على شمالي لبنان وليس بينهما الَّا قاب قوسين اعني سهلًا ضيقًا فقط. ولو افترضنا انَّ لبنان في زمانهم كان عبارة عن غابات كثيفة كيف اهمل الحثّيون امرهُ وفي وسعهم ان يستثمروا خشب ارزهِ الفاخر ويستخدموهُ لمبانيهم الكبرى وعمائرهم (٢

وعلاوةً على ما تقدَّم لا يمكنّا ان نسلِّم بانَّ الحثّيين تغاضوا عن احتلال وادي نهر الكبير الذي يفصل لبنان عن جبل النصيريَّة وهم يعلمون انَّ هذا الوادي طريق للامم الفاتحة وذلك يظهر من تاريخ الفراعنة انفسهم اذ انَّ رعمسيس الثاني لمَّا اتى لمقاتلة الحثيين سارَ الى محاربتهم مارًّا بهذه الطريق

فلا بُدَّ اذن من القول انَّ الحثيين بعد ان استولوا على البقاع ملكوا ايضًا عطف لبنان الشرقي والمسالك التي تفضي الى لبنان الغربي. وممَّا يؤيد هذا الرأي ان سهول البقاع المتوسطة كانت في تلك الازمنة القاصية عبارة عن مستنقعات مائيَّة لا يمكن

---

١) راجع مقالتنا المنونة Notes épigraphiques et topographiques sur l' Emésène, p. 46

٢) راجع مقالتنا في ارز لبنان (المشرق ٣: ٩٧٤)

استيطانها فلزم اذن الحثيين ان يسكنوا الجهات المرتفعة فوق تلك البطاح

على انّنا نرى دلائل أخرى باقية الى عهدنا تحملنا على ترجيح هذا الامر وهي اسامي عدّة امكنة في سوريّة تُدعى « حتّا » او « كفر حاتا » فارتأى العلماء انّ هذه الاسماء اشارة الى احتلال الحثّيين في بلاد الشام لانّ « حتّا » او « ختّا » هو اسم الحثّيين نفسهُ. فان صدق هذا القول ولعلّ فيهِ شيئاً من الصحّة أفليس لنا ان نقول عن القرى الموجودة في لبنان باسم « حتّا » او « كفر حاتا » انّها آثار باقية من زمن الحثّيين. بيد انّ هذا القول ليس بقاطع لأنهُ يُمكن اشتقاق « حتّا » من لفظة سريانيّة « سوا‎ا » التي معناها « الحديثة » او « الجديدة » ويؤيد ذلك انّ قرى لبنانيّة عديدة تدعى ايضاً « حدَث » و « مُحَيدثة » ونظنّ « حتّا » اقرب الى السريانيّة منهما. ولحضرة الخوري الفاضل بطرس شبلي كلام حسن في هذا الشأن اثبتهُ في المجلّة الكتابيّة (Revue biblique, 1901, p. 587)

ومن الاسماء اللبنانيّة الكثيرة الورود اسم « شغور» او « شاغور » كعين شاغور في حمّانا وغيرها. وكذلك « جسر الشغر » او « جسر الشغور » في ولاية حلب. وقد ثبت الآن انّ شاغور كلمة حثيّة الاصل وهي فيها « ساغورة » (١

هذه آثار جمعناها هنا للاستدلال على اقدم الشعوب البائدة في لبنان وهي كما ترى خفيفة الّا انّ أملنا وطيد ان الاكتشافات المستقبلة سوف تطلعنا على ما هو اقوى منها حجّةً وادلّ بياناً والله على كل شيء عليم (ستأتي البقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Bibliographie des ouvrages arabes ou relatifs aux arabes publiés en Europe de 1810 à 1885 *par V. Chauvin*, 6ᵉ *fasc.* pp. 204, *Liège* 1902.

قائمة الكتب العربيّة او المتوطة بالعرب التي نشرت بالطبع في اوربّة من سنة ١٨١٠ الى ١٨٨٥ (الجزء السادس)

سبق تعريف هذا الكتاب واطراؤهُ مراراً في المشرق. وهذا القسم السادس ليس

١) راجع مقالة لحضرة الكاتب ا. سندا تزيل كلّأتنا سابقاً كتبها في مجلّة Mitteil. d. vorderosiot Gesellschaft, 1902, p. 19

هو دون اخوتهِ من النفاسة والفوائد. وفيهِ تتمّة ابحاث المؤلف عن حكايات الف ليلة وليلة وما طرأ على كل قصّة منهـا من الاختلافات في النسخ المخطوطة والطبعات المتعدّدة وفي الترجمات الى لغات العالَمين ممّا يطلق لسان المديح على جامع هذه القوائم العجيبة في بابها المنبئة بعلم نادر واطّلاع واسع حتى انهُ يكفي الباحث مراجعة هذه القوائم ليعرف كل ما كُتب عن كتاب الف ليلة وليلة بل عن كل قصّة منها حتى المقالات التي خصّصتها المجلّات والجرائد لهذه الاقاصيص المشهورة. ولا غرو اذ كلّل مكتب العلوم الكتابيّة في باريس هذا التأليف واجازهُ بجائزة سنيّة فانّهُ بالحقيقة آية من آيات الجدّ والشغل المتداوم في سبيل المعارف البشريّة ه. ل

AL-MOSTATRAF
traduit pour la 1re fois par G. Rat
Tome second, Paris, E. Leroux, in - 8 pp. 820.

انّ بين الكتب الادبيّة الجامعة لاحوال العرب وحكمهم وآدابهم وتواريخهم قد امتاز كتاب المستطرف في كلّ فنّ مستظرف للامام شهاب الدين الابشيهيّ ضمّنهُ صاحبهُ من اقوال الحكماء وطُرف البلغاء وحكايات الفكهاء وافانين الشعراء ما ندر وجودهُ في غيرهِ. فلمّا اراد الاستاذ اللغوي الاديب غستاف رات احد اعضاء الجمعيّة الاسيويّة الافاضل ان يوقف بني جلدتهِ على احوال الشرق وآدابهِ استخار هذا الكتاب ونقلهُ الى الفرنسيّة. وكان قبل ثلاث سنوات انهى القسم الاول منهُ (راجع المشرق ٢ : ٧٦٥) واليوم قد انجز القسم الآخر فاهدانا منهُ نسخةً سرّحنا فيها النظر وقابلنـا بعض شذراتها مع الاصل فوجدناها امينةً في النقل مع مراعاة حسن الذوق الفرنسيّ. فنثني على همّة الناقل ونهنّئهُ عمّا نالهُ من الجوائز والامتيازات من قبل الجمعيّات العلميّة في باريس والمانية وتونس. وكنّا وددنا لو ألحق المترجم هذا القسم الثاني بفهارس لموادّ هذا الكتاب فكان استحقّ بذلك ثناء مخلّدًا يُضاف الى فضل ترجمتهِ

مختصر التعليم المسيحيّ في الكنيسة والطوائف

لاحد الآباء اليسوعيين طبعة ثانية مهذَّبة ومصحَّحة ١٩٠٢ (ص ٩٢)

قد عرَّبهُ من الافرنسيَّة حضرة الخوري الفاضل جرجس فرج صفير

انّ اقبال المدارس الكاثوليكيّة على هذا المختصر المفيد حمل مؤلّفهُ الفاضل على

يُعيد طبعهُ بعد تهذيبهِ وتصحيحهِ . فجاء كتاباً كثير الجدوى يشتمل مع صغر حجمهِ
لباب التعاليم اللاهوتيَّة في كنيسة المسيح وعلاماتها المميّزة لها ثم على خلاصة تاريخ
واقف الشرقيَّة مع جداول لاعيادها واصوامها وغير ذلك من الفوائد التي يحتاج اليها
مهور لاسيَّما احداث المدارس . وقد وقع في هذه الطبعة ايضاً بعض اغلاط يسهل اصلاحها
طبعة أُخرى . واكثرها في القسم التاريخي وفي تعريب الاعلام مثلًا ص ٤٦ « فرومانوس »
صواب « فرومَنسيوس » وص ٤٨ « اندرنوبل » والصواب « ادرنه » ص ٤٨ و ٥٣
روتن » و « الروتيون » والصواب « الروثان » وص ٥٧ « اليــذابت » والصواب
يصــابت » و ص ٥٨ « كوتاتس » والصواب « كوتانس » وص ٦٠ « فاجافاران »
صواب « دير الزعفران » وص ٦١ « بوخايس » و « بوسنا » و « والجرجيُّون » والصواب
ترش » و « البشناق » و « والكرج » و ص ٦٦ « المبسويستا » والصواب « المصيصي »
ص ٧٤ « الصوم النيقاوي » والصواب « صوم نينوى » . وكذلك ليس بصحيح انَّ
كلدان والسريان يتناولون القربان على الشكلين (ص ٥٣) . وقد وجدنا في اصوام
واقف بعض اختلافٍ مع ما ورد في تقويم البشير ل . ش

شَذَرَاتٌ

حادثــة المرتينيك نظم الاديب يوسف افندي مشحور
يدة حسنة بهذا العنوان نقتطف منها بعض اياتها مع ابداء الشكر لناظمها

خطبٌ دها فاراعَ الكونَ والاُمما ... وراحَ يُجري دموعَ العالمينَ دِما
عدا فاودى بقومٍ لا عدادَ لهم ... سطا فاردى بلاداً اصبحت رمما
بالامسِ كانت ديارُ الحيّ زاهرةً ... وثغرهم برغيــدِ العيشِ مبتسما
وأهلُها في رياض العزّ مرتعهم ... لا يحسبونَ حسابَ الدهرِ ما كتما
واليومَ اصبحَ وجهُ الأرضِ مُضطرِباً ... والنَّاسُ في هَلعٍ ماذا الَّذي دهما
هل صادمتهم جيوشُ الخصمِ تُسعرهم ... حرباً وقيدُ لظاها يُشبهُ الضرما
أم هل سيولُ مياهٍ قد طغت فبَلَت ... تلكَ الديارَ بلاءٍ أورثَ الغُمَما
يا سائراً في ربوعِ المرتينيكِ أمِلْ ... عنها رِحالَكَ إنَّ الخطبَ قد عظُما

صوتٌ مهولٌ ورَعْدٌ لا مثيــلَ لهُ ... قد ضَعضع ٱلسَهْلَ والوِدْيانَ والقِمَما
زَماجِرٌ وهديرٌ ثمَّ قَعْقَعَةٌ ... وَلَاوِلٌ ودُموعٌ حاكَتِ الحُمَما
والأَرْضُ ساخَتْ بمن يَعْلُوها سابحةً ... على بحارٍ لهيبٍ جمرُهُ أحتَدَما
عجيجُ بُركانِ ذاكَ ٱلأَقرعِ أحتَدَمت ... نيرانُهُ تَنشرُ الوَيلاتِ والنِقما
أطوادُ دَجْن علت من فوقِ قمَّتِهِ ... هوتْ فدمَّرت الاديارَ والنَّسما
وظلَّ يَقذِفُ منهُ الجمرَ في حُمَمٍ ... بئسَ التحمُّمُ يا أهلَ الحمى بهما
جهنّمٌ فتحت ابوابَ هوَّتِهـا ... كأنَّما قد غدا الديَّانُ مُنتَقِما
في بُرهةٍ لم تَرِد عشرًا دقائقُها ... عشرونَ ألفًا وعشرٌ مثلها رُدِما
مصيبةٌ تصدعُ الألبابَ رؤيتُها ... رزءٌ خطيرٌ صداهُ أسمع الصما
لوقعهــا اشتعَلت كلَّ القلوبِ اسًى ... هزَّت نوادي ملوكِ الأرضِ والعظما
قامت ملوكُ الملا تبدي مساعدةً ... تذكَّروا القولَ إنَّ « الطوبى للرحما »
وأجذلوا البَذْلَ في شأنِ الذينَ غدَوْا ... هدفًا لوقعِ سهامِ الدَّهرِ حينَ رَمَى
وكانَ أوَّلهم ذاكَ الذي اضطرمت ... في صَدْرهِ جمرَاتُ الحبِّ مضطرِما
ذاكَ الهزبرُ سجينُ الفاتيكانِ ومَنْ ... مِنَ العرينِ تراهُ راعيَ الغَنَما
اجفانهُ لأنينِ المبتلينَ بكت ... وقلبهُ لمصــاب المرتينيكِ دَمَا
قالَ الرسولُ فمن يَشقى ولستُ أنا ... أشقى ومَن يُبتلى منكم ولستُ انا
هذا الذي جودُهُ للنَّاسِ قاطبَةً ... مثلُ السَحابِ ومثلُ البَحْرِ حينَ طما
ألطافهُ سارتِ الركبانُ تنشِدُها ... للعالمينَ وفيهِ المدحُ مُنسَجِما . . .

شهادة روسي اورثدكسي في الكنيسة الرومانيَّة — أطلعنا على مقالة للكاتب الروسي البــارع روزانوف ظهرت في ١١ كانون الاول الشرقيّ في اعظم جرائد روسيَّة « نوفيه فراميه » (الزمن الجديد) تحت هذا العنوان « السماوي والارضي » أتسع فيها على سلطة البابا الكنسيَّة واثبت انَّ الحبر الروماني وحدهُ يمكنهُ ان يسند الى الانجيل سلطتهُ المطلقة على كل النصرانيَّة . وممَّا قالهُ : « ان كنيسة المسيح كهرم شاهق العلوّ ينتهي الى نقطة وما هذه النقطة سوى سلطة بابا رومية الذي يملك على كلّ البناء فهو الراعي كما قال الرب يرعى الخراف والنعاج . وليست رعايتــهُ هذه من نفسهِ بل

ليت لهُ من المسيح كما أُعطي اليشاع رداء اليًا النبي · ونتعجَّب كل العجب كيف
قفتنا نقضوا اساس البيعة بنكرانهم على نائب المسيح سلطتهُ فحرَّفوا معنى الانجيل
نت الصفـاة وعلى هذه الصفاة سابني كنيستي » زاعمين انَّ هذا القول لا يتضمَّن
لةً تفرز بطرس وخلفاءهُ عن بقيَّة البطاركة والاساقفة وجعلوا ينسبون الى بابا رومية
لمة والكبرياء في تأييد سلطتهِ السامية وهم لم يأنفوا من ان يدَّعوا لانفسهم
لانًا لم يُعطَوهُ ويقيموا ذواتهم مقام البابوات لعمري لقـد ضلُّوا سواء السبيل
لونا معهم ». فليسمع اخوتنـا الروم قول كاتب نحرير من كتبتهم وليحكموا
كما صوابيًا

-﴿ شكر ﴾- سرَّنا انَّ جريدة « المعلومات » استحسنت مقالة المشرق
ص ٥٢٩) في تاريخ المرتينيك ومصابها فاثبتت منهـا قسماً في احد اعدادها الاخيرة
٤٧٠) فنشكرها على ذلك. ولكنَّنا كنَّا وددنا لو اشارت رصيفتنا الى المجلَّـة
نقلت عنها

-﴿ تصحيح ﴾- افادنا العلاَّمة الجليل الدكتور مِهرن مدرِّس العربيَّة
كليَّة كوبنهاغ انَّ ترجمة الكامل لابن الاثير الى الفرنسيَّة التي ذكرناهـا في المشرق
:٦٢٣) لا تحتوي الَّا قسماً من هذا التأليف. وهو امر صحيح فاتنا التنبيه عليهِ.
ذلك استلفت انظارنا الى ترجمـة كتاب الحماسة بالشعر الالمانيّ للمعلّم روكرت
Rücke) وفي آخرها فهارس حسنة

-﴿ آلة جديدة لتدوين الانواء والصواعق ﴾- اخترع الابوان اليسوعيَّان
ف فني (J. Fényi)مدير المرصد الفلكيّ في كالوتشا من اعمال المجر والاب حنَّا
ريبر (J. Schrieber) آلةً غاية في اللطف والدقَّة اثنت عليها المكاتب العلميَّة
كبرى. والآلة المذكورة عبارة عن ملفَّات معدنيَّة وابر ممغنطة ودولايب متعدِّدة تُعرض
الهواء فتدوِّن من تلقاء نفسها كلَّ حركات الانواء والصواعق على مسـافة نحو مئة
يلومتر من دائرتها وتنذر بها بواسطة اجراس تلغرافيَّة

-﴿ سسل رودس والكنيسة الكاثوليكيَّة ﴾- نشرت المجلَّة الانكليزيَّة
كبرى المدعوَّة الراصد (the Spectator) ومجلَّـة المجلات الانكليزيَّة مقالة عن
سل رودس ذكرت فيهـا اعتبار هذا الرجل المسمَّى ملك جنوب افريقية للكنيسة

الكاثوليكية وهذا تعريب كلامهِ بالحرف: قال في مأدبة حافلة « اني اجلُّ اجلالًا كبيرًا الكنيسة الكاثوليكية الرومانيَّة وعلى ظنّي انَّها الديانة الوحيدة في العالم التي تطابق تعاليمها المبادئ المنطقية ولو مكَّنتني الفرصة لاحببت ان انضمّ الى عداد الرهبان اليسوعيين. او يعرف احد منكم اليسوعيين؟ اما انا فقد اجتمعت بكثيرين منهم في بلاد رودزية فوجدتهم فئة عجيبة تستحق كلَّ اعتبار وقد اخذ العجب مني مأخذهُ لمَّا تعرَّفت بهم حتى اني اكشف قبعتي احترامًا امامهم اجمالًا وافرادًا. وليس اعتباري لهم لما يفعلون او يقولون فقط. وانَّما اجلُّهم خصوصًا لما هم متحلُّون بهِ من الصفات. فانَّ معرفتي لاشخاصهم ذلك ما اثَّر فيَّ هذا التأثير البليغ ». (قلنا) اين يا ترى هذا القول لرجل كسسل رودس من سفاسف بعض اصحاب الاغراض في بلادنا يرمون الجزويت بتُهم فريَّة كلُّها زور وبهتان

أَسْئِلَةٌ وَأَجْوِبَةٌ

عجائب الدنيا السبع — لغز كريت

س سألنا الاديب حنَّا يوسف باسيل: ١ً ما هي عجائب الدنيا السبع عند القدماء. ٢ً ما هو لغز كريت

ج ١ً قد اختلف العلماء في تعريف عجائب الدنيا السبع وانَّما الاصحّ انها التالية: جنائن بابل المعلَّقة واسوارها. ثم اهرام مصر. ثم تمثال المشتري في بلاد اولمپة. ثم صنم رودس. ثم هيكل ديانة في افسس. ثم ضريح موزول ملك كارية في هليكرناس. ثم منارة الاسكندريَّة. والبعض يحسبون منها غير ذلك كتمثال ميزفة في اثينة وتمثال ابولُّون في جزيرة ديلوس. وحصن رومة المعروف بالكاپيتول. ولغز اكريت وغير ذلك. ٢ً امَّا لغز كريت فهو عبارة عن اسراب واسعة تنفذ مقاصيرها العديدة في بعضها بحيث لم يمكن احدًا الخروج منها اذا دخلها. وفي خرافات اليونان انَّ باني هذا القصر العجيب اسمهُ ديدال فدُعيت هذه الاسراب باسمهِ وانَّ البطل ثيساوس افلت منها بعد ان قتل فيها تنّينًا يدعى المينوتور

اصل بعض الفاظ دارجة

س وسأل بعض الادباء ما اصل هذه الالفاظ الدارجة: مشوار وكويّس وشوب

ج نظنّ انَّ المشوار بمعنى التنزه منقولة مجازًا عن العربية مِشوار وهو ميدان تُعرض فيها الخيل اقبالًا وادبارًا. وكويّس تصغير كَيِّس على الشذوذ. امَّا شَوْب فسريانية (ܫܘܒܐ) ومعناها الحرّ والسّموم ل. ش

المشرق

المناجم المعدنيَّة في الدولة العلية

نظرٌ للاب لويس شيخو اليسوعي

طالما طرق مسامعنا ذكر المناجم الغنيَّة التي وقفت عليها الدول في انحاء المعمور وقد نقلت الينا الجرائد انهُ ما لبثت اللجنات ان تشكلت لاستثمارها وربحت منها الارباح الفاحشة التي اغنت البلاد وسوَّلت طرائق جديدة يرتزق منها العباد فكم تمنَّى حينئذٍ اهل الوطن لو ساقت اليهم المقادير الثروة رخيصةً مأمونة باكتشاف مثل هذه المناجم على مقربة منهم لينالوا ارباحها ويقتلوا الفقر بسلاحها

على انَّ هؤلاء الذين يرمون بلادنا بالفقر وينسبونها الى الجدب والقفر لو انصفوا وجدوا انَّ الاقطار الخاضعة للدولة العليَّة قد خصَّها الله من هذا القبيل بما لا تحتاج معهُ الى المهاجرة الى الاراضي القاصية والطموح الى ثروة غريبة. وبياناً لذلك قد احببنا ان نجمع في هذه الخلاصة ما يؤيد قولنا عمَّا اودعهُ الخالق في بطن بلادنا من المناجم والمعادن لعلَّ تعدادها يحمل ابناء الوطن على الغيرة في استخراج دفائنها

١ ﴿ الذهب ﴾ اوَّل ما تطالَ نحوهُ الاعناق ويطمح اليهِ بصر المرتادين الذهب فهل يا تُرى حُرمت منهُ بلادنا. أجبنا انَّ نشرة المكتب التجاري الافرنسيّ في الاستانة في عددها الصادر في ٣١ آب من سنة ١٨٩٨ بحثت في هذا الامر فبيَّنت انَّ مناجم الذهب ليست نادرة في الولايات الشاهانيَّة. ثم تتبَّعت الآثار التاريخيَّة ونقلت ما كتبهُ في هذا الصدد قدماء المؤرخين والسيَّاح المحدثون فاثبتت انَّ قريباً من ازمير منجماً

ذهبيًّا وكذلك في بيتام في ولاية انقره وفي بلاد الجزيرة بجوار الموصل(١ . والقدماء لسان واحد في انَّ بلاد العرب تتضمَّن ذهبًا ابريزًا . وفي الاسفار المقدَّسة (٣ ملوك ف ١٠) انَّ ملكة سبأ اليمنيَّة قد اهدت سليمان ذهبًا كثيرًا جدًّا . وحتى يومنا هذا نجد في رِحَل الفرنج ما يؤيد ذلك . وفي الدردنيل ذاتها في استيره من متصرفيَّة بيغا معدن من الذهب نالت شركة انكليزيَّة من الباب العالي الرخصة بتعدينهِ فباشرت العمل منذ ثلاث عشرة سنة برأس مالٍ يبلغ ١٨٠٠٠٠٠ ليرة انكليزيَّة . وكذلك يوجد مناجم ذهب في سنجق نجده في جبل بلغار داغ . بل لم تخلُ سوريَّة من مناجم الذهب على ما ورد في الكتب القديمة (٢ لكنَّ آثارها قد درست فلم يُعرف مكانُها

٢ ﴿ الفضَّة ﴾ قد اشار الجيولوجيُّون الى عدَّة مناجم فضيَّة في الممالك الشاهانيَّة . منها منجم في سوريَّة قريبًا من مرعش لم يتولَّ احد الى يومنا تعدينهُ . وفي ولاية انقره معدن فضي استرخص قومٌ من الانكليز والالمان باستثمارهِ ولم يباشروا العمل حتى الآن . وقد جاء في تقارير طُبعت بالانكليزيَّة سنة ١٨٩١ و ١٨٩٥ انَّ في ولاية بروسه وفي طيريبولي قريبًا من طرابزون وفي إزمير بجوار ارضروم آثار فضيَّة تنبئ بوجود مناجم منها في هذه الامكنة . وكتب بعض رحَّالة الانكليز انَّهم وجدوا في اليمن معدنًا فضيًّا لا يسمح اهل البادية بتعدينهِ(٣ . ويؤخذ من جوابٍ حديث لنظارة المناجم في الدولة العلية : انَّ المستخرج منذ ٣ سنوات من الفضة ١٤٩٤٢ كيلو غرامًا قيمتها ١,٢١٣,٨٠٤ فرنكات فضلًا عمَّا استُخرج من الذهب وهو يبلغ ٤٦ كيلو غرامًا قيمتها ٩١٨٤٧ فرنكًا

هذا ما يختصّ بالفضَّة الصرفة وفي البلاد المحروسة مناجم من الفضَّة المختلطة بالرصاص . منها ما ذكرهُ العلَّامة كوينه في كتابهِ « سوريَّة ولبنان وفلسطين » قال (ص ٢٨ و١٥٣) انَّ في الجبل الاقرع الذي موقعهُ بين الاسكندرونة وانطاكية واللاذقيَّة حجارة من الرصاص الفضي تدلُّ على وجود منجم منهما . وفي بقيَّة ولايات دولتنا العليَّة مناجم عديدة من الرصاص المخلوط بالفضَّة لو حاول اصحاب الجدّ والعمل جنى ارباحها لحصَّلوا منها مبالغ وافرة واكثرها في ولايات آطنه وآيدين وانقره وبروسه ودياربكر وقونية ومعمورة العزيز وسيواس وطرابزون ووان وفي متصرفيَّتي بيغا وازميد وفي

١) راجع مقالة سكَّة بغداد (ص٢٤١) ٢) راجع المجلَّة الشهريَّة النمسويَّة ع ١٠ من السنة ١٨٨٠ ص ١٦٣—١٦٥ ٣) راجع كتاب آسية تركيا لڤينال كوينه ج ٣ ص ٧٠٤-٨٤٨

جزائر رودس وساموس وامروز وساقز. وقد نالت بعض الشركات العثمانيَّة او الاجنبيَّة الرخصة بتعدين قسم من هذه المعادن الَّا انَّ اكثرها لا يزال مهملًا كمناجم آطنه ومناجم معمورة العزيزة وكلُّها غنيَّة بالمعدن وفي رصاصها كميَّة وافرة من الفضَّة. وقد قدَّر اخيرًا مهندسٌ روسيٌ خبير بالمعادن اسمهُ تشيتشاتشف انَّ الفضَّة التي يمكن استخلاصها من معادن تركية تبلغ ٧٣٠٠٠٠ كيلوغرام في السنة. وهذه لعمري ثروة طائلة تغني بلادًا واسعة وجماهير غفيرة لو أُخرجت من ركازهـا الى عالم التجارة

٣ ﴿ الرصاص ﴾ منهُ معدن في ولاية آطنه يستخرج منهُ سنويًا ما يبلغ ارباحهُ نيفًا ومئة الف فرنك. هذا فضلًا عن الرصاص المختلط بالفضَّة الذي سبق ذكرهُ في الفصل السابق وكميَّتهُ وافرة جدًّا

٤ ﴿ النحاس ﴾ كثيرٌ في تركية منهُ معادن غنيَّة في ولايات بروسه ووان وقسطموني وبتليس وانقره وديار بكر وفي طرابزون ومتصرفيَّتي بيغا وازميد وفي جزائر ساقز ومدلّي وساموس وفي جبل طورس. واكثر هذه المعادن ليس من يقوم بامرها الَّا معدن ارغانة في ولاية ديار بكر وقد وكلت دولتنا العليَّة الى مهندسين اوربيَّين اسمهما توبيني وداليجيو تعدين هذا المعدن على حسابها وهما يسعيان بتنظيف النحاس ثمَّ يرسلانهِ الى الاسكندرونة مع القوافل ليُنقل الى مدينة ليڤربول. ومعدَّل ما يُستخرج سنويًا من هذا المعدن نحو ٨٠٠ طنّ يبلغ ثمنها ٨٠٠٠٠٠ فرنك. ولولا بُعد هذا المنجم عن البحر لكانت ارباحهُ ثلاثة اضعاف ذلك (راجع ص٧٧١). وفي سوريَّة آثار مناجم النحاس في شبه جزيرة سينا. وقريبًا من حلب جبل يُدعى جبل النحاس لوجود هذا المعدن فيهِ ويزعم البعض انَّهم استدلُّوا على وجود شيء منهُ في جبل الاقرع عند انطاكية

٥ ﴿ الحديد ﴾ في بلاد الشام ولبنان اكثر منهُ في سائر ولايات الدولة العليَّة. ولذلك ترى ذكرهُ في كل كتب الاقدمين من يونان ورومان وعرب. وكان الاهلون يستخرجون الحديد من معادنهِ وينقلونهُ الى بيروت ومنها الى بقيَّة البلاد. ومنهُ كميَّة وافرة في لواء طرابلس وفي بلاد حوران بقرب عجلون وفي جبل الاقرع. وكذلك جبال زيتون في ولاية حلب فانَّ فيهـا معدنين حديديين يُتَّخذ حديدهما لكل ادوات الفلاحة وللاسلحة. وفي مرعش ايضًا حديد جيّد. الَّا انَّ اجود حديد الشام حديد لبنان ترى منهُ كثيرًا في وادي نهر الكلب يصطنع منهُ اهل بيت شباب ادوات مختلفـة ومنهُ

منذ القرن السادس عشر قبل المسيح البلاد الواقعة في شمالي سوريَّة بين نهرَي عفرين والفرات. ثم تقدَّموا حتى سطوا في القرن الرابع عشر على وادي نهر العاصي وسهل البقاع حتى جنوب فلسطين في جوار مدينة حبرون حيث اجتمع بهم ابراهيم الخليل وبنوهُ من بعدهِ

وكانت في ذلك العهد حاضرة ملكهم في سوريَّة مدينة قدَس التي يظنُّ العلماء انَّ موقعها كان في المحلّ المعروف اليوم باسم تلّ مند عند بحيرة قطينة قريباً من حمص(١ ولا نريد هنا ان نبسط الكلام في الحثيين وانَّما غايتنا ان نذكر ما كان لهم من العلائق مع لبنان

وان سألتَ هل احتلَّ الحثّيون هذا الجبل ؟ أجبنا انهُ ليس لدينا اثرٌ صريح ينبئ بهذا الامر ولا غروَ لأنَّهُ كما قلنا سابقًا لا نعلم الَّا النزر القليل من تاريخهم واتساع دولتهم. ونرجّح كونهم ضبطوا على الاقل جهات لبنان الشماليَّة ولعمري كيف يقبل العقل انَّ امَّة قويَّة رجالها مغاوير حروب اتَّخذت لها عاصمةً مدينة قدَس لم تمدَّ ظلَّ سطوتها على شمالي لبنان وليس بينهما الَّا قاب قوسين اعني سهلًا ضيقًا فقط. ولو افترضنا انَّ لبنان في زمانهم كان عبارة عن غابات كثيفة كيف اهمل الحثّيون امرهُ وفي وسعهم ان يستثمروا خشب ارزهِ الفاخر ويستخدموهُ لمبانيهم الكبرى وعمائرهم (٢

وعلاوةً على ما تقدَّم لا يمكنّا ان نسلّم بانَّ الحثّيين تغاضوا عن احتلال وادي نهر الكبير الذي يفصل لبنان عن جبل النصيريَّة وهم يعلمون انَّ هذا الوادي طريق للامم الفاتحة وذلك يظهر من تاريخ الفراعنة انفسهم اذ انَّ رعمسيس الثاني لمَّا اتى لمقاتلة الحثيين سارَ الى محاربتهم مارًّا بهذه الطريق

فلا بُدَّ اذن من القول انَّ الحثيين بعد ان استولوا على البقاع ملكوا ايضاً عطف لبنان الشرقي والمسالك التي تفضي الى لبنان الغربي. ومما يؤيد هذا الرأي ان سهول البقاع المتوسطة كانت في تلك الازمنة القاصية عبارة عن مستنقعات مائيَّة لا يمكن

---

١) راجع مقالتنا المعنونة Notes épigraphiques et topographiques sur l'Emésène, p. 46

٢) راجع مقالتنا في ارز لبنان (المشرق ٣: ٩٧٤)

استيطانها فلزم اذن الحثيين ان يسكنوا الجهات المرتفعة فوق تلك البطاح

على اننا نرى دلائل أُخرى باقية الى عهدنا تحملنا على ترجيح هذا الامر وهي اسامي عدَّة امكنة في سوريَّة تُدعى «حتَّا» او «كفر حاتا» فارتأى العلماء انَّ هذه الاسماء اشارة الى احتلال الحثيين في بلاد الشام لانَّ «حتَّا» او «ختَّا» هو اسم الحثيين نفسهُ. فان صدق هذا القول ولعلَّ فيهِ شيئًا من الصحَّة أفليس لنا ان نقول عن القرى الموجودة في لبنان باسم «حتَّا» او «كفر حاتا» أنها آثار باقية من زمن الحثيين. بيد انَّ هذا القول ليس بقاطع لأنهُ يُمكن اشتقاق «حتَّا» من لفظة سريانيَّة «ܚܕܬܐ» التي معناها «الحديثة» او «الجديدة» ويؤيد ذلك انَّ قرى لبنانيَّة عديدة تدعى ايضاً «حدَث» و«مُحَيدثة» ونظنّ «حتَّا» اقرب الى السريانيَّة منهما. ولحضرة الخوري الفاضل بطرس شبلي كلام حسن في هذا الشأن اثبتهُ في المجلَّة الكتابيَّة (Revue biblique, 1901, p. 587)

ومن الاسماء اللبنانيَّة الكثيرة الورود اسم «شغور» او «شاغور» كعين شاغور في حمَّانا وغيرها. وكذلك «جسر الشغر» او «جسر الشغور» في ولاية حلب. وقد ثبت الآن انَّ شاغور كلمة حثيَّة الاصل وهي فيها «ساغورة» (١

هذه آثار جمعناها هنا للاستدلال على اقدم الشعوب البائدة في لبنان وهي كما ترى خفيفة الّا انَّ أملنا وطيد ان الاكتشافات المستقبلة سوف تطلعنا على ما هو اقوى منها حجَّةً وادلّ بيانًا والله على كل شيء عليم (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Bibliographie des ouvrages arabes ou relatifs aux arabes
publiés en Europe de 1810 à 1885
par V. Chauvin, 6e *fasc.* pp. 204, *Liège* 1902.
قائمة الكتب العربيَّة او المنوطة بالعرب التي نشرت بالطبع في اوربَّة
من سنة ١٨١٠ الى ١٨٨٥ (الجزء السادس)

سبق تعريف هذا الكتاب واطراوهُ مرارًا في المشرق. وهذا القسم السادس ليس

١) راجع مقالة لحضرة الكاتب ا. سندا تزيل كأيّتنا سابقًا كتبها في مجلَّة Mitteil. d. vorderosiot Gesellschaft, 1902, p. 19

هو دون اخوتهِ من النفاسة والفوائد. وفيهِ تتمَّة ابحاث المؤلف عن حكايات الف ليلة وليلة وما طرأ على كل قصَّة منها من الاختلافات في النسخ المخطوطة والطبعات المتعدّدة وفي الترجمات الى لغات العالَمين ممَّا يطلق لسان المديح على جامع هذه القوائم العجيبة في بابها المنبئة بعلم نادر واطّلاع واسع حتى انهُ يكفي الباحث مراجعة هذه القوائم ليعرف كل ما كُتب عن كتاب الف ليلة وليلة بل عن كل قصَّة منها حتى المقالات التي خصَّصتها المجلّات والجرائد لهذه الاقاصيص المشهورة. ولا غرو اذ كلّل مكتب العلوم الكتابيَّة في باريس هذا التأليف واجازهُ بجائزة سنيَّة فأنهُ بالحقيقة آية من آيات الجدّ والشغل المتداوم في سبيل المعارف البشريَّة ه. ل

AL-MOSTATRAF
traduit pour la 1re fois par G. Rat
Tome second, Paris, E. Leroux, in - 8 pp. 820.

انَّ بين الكتب الادبيَّة الجامعة لاحوال العرب وحكمهم وآدابهم وتواريخهم قد امتاز كتاب المستطرف في كلّ فنّ مستظرف للامام شهاب الدين الابشيهيّ ضمَّنهُ صاحبهُ من اقوال الحكماء وطُرف البلغاء وحكايات الفكهاء وافانين الشعراء ما ندر وجودهُ في غيرهِ. فلمَّا اراد الاستاذ اللغوي الاديب غستاف رات احد اعضاء الجمعيَّة الاسيويَّة الافاضل ان يوقف بني جلدتهِ على احوال الشرق وآدابهِ استخار هذا الكتاب ونقلهُ الى الفرنسيَّة. وكان قبل ثلاث سنوات انهى القسم الاوَّل منهُ (راجع المشرق ٢ : ٧٦٥) واليوم قد انجز القسم الآخر فاهدانا منهُ نسخةً سرَّحنا فيها النظر وقابلنا بعض شذراتها مع الاصل فوجدناها امينةً في النقل مع مراعاة حسن الذوق الفرنسيّ. فنثني على همَّة الناقل ونهنّئهُ عمَّا نالهُ من الجوائز والامتيازات من قبل الجمعيَّات العلميَّة في باريس والمانية وتونس. وكنَّا وددنا لو ألحق المترجم هذا القسم الثاني بفهارس لموادّ هذا الكتاب فكان استحقّ بذلك ثناء مخلَّدًا يُضاف الى فضل ترجمتهِ

مختصر التعليم المسيحيّ في الكنيسة والطوائف

لاحد الآباء اليسوعيين طبعة ثانية مهذَّبة ومصحَّحة ١٩٠٢ (ص ٩٢)

قد عرَّبهُ من الافرنسيَّة حضرة الخوري الفاضل جرجس فرج صفير

انَّ اقبال المدارس الكاثوليكيَّة على هذا المختصر المفيد حمل مؤلفهُ الفاضل على

ان يُعيد طبعهُ بعد تهذيبهِ وتصحيحهِ . فجاء كتاباً كثير الجدوى يشتمل مع صغر حجمهِ على لباب التعاليم اللاهوتيَّة في كنيسة المسيح وعلاماتها المميّزة لها ثم على خلاصة تاريخ الطوائف الشرقيَّة مع جداول لاعيادها واصوامها وغير ذلك من الفوائد التي يحتاج اليها الجمهور لاسيَّما احداث المدارس. وقد وقع في هذه الطبعة ايضاً بعض اغلاط يسهل اصلاحها في طبعة أُخرى . واكثرها في القسم التاريخي وفي تعريب الاعلام مثلًا ص ٤٦ « فرومانوس » والصواب « فرومَنْسيوس » وص ٤٨ « اندرنوبل » والصواب « ادرنه » ص ٤٨ و ٥٣ « الروتن » و « الروتيون » والصواب « الروثان » وص ٥٧ « اليـــذابت » والصواب « اليصـــابت » و ص ٥٨ « كوتانس » والصواب « كوتانس » وص ٦٠ « فاجافاران » والصواب « دير الزعفران » وص ٦١ « بوخايس » و « بوسنا » و « والجرجيُّون » والصواب « بحرش » و « البشناق » و « والكرج » و ص ٦٦ « المبسو يستا » والصواب « المصيصي » و ص ٧٤ « الصوم النيقاوي » والصواب « صوم نينوى » . وكذلك ليس بصحيح انَّ الكلدان والسريان يتناولون القربان على الشكلين (ص ٥٣) . وقد وجدنا في اصوام الطوائف بعض اختلافٍ مع ما ورد في تقويم البشير ل . ش

شَذَرات

حادثــة المرتينيك نظم الاديب يوسف افندي مشحور قصيدة حسنة بهذا العنوان نقتطف منها بعض ابياتها مع ابداء الشكر لناظمها

خطبٌ دها فاراعَ الكونَ والامما ... وراحَ يُجري دموعَ العالمينَ دِما
عدا فاودى بقومٍ لا عدادَ لهم ... سطا فاردى بلاداً اصبحت رمما
بالامسِ كانت ديارُ الحيّ زاهرةً ... وثغرهم برغيــدِ العيشِ مبتسما
وأهلُها في رياض العزّ مرتعهم ... لا يحسبونَ حسابَ الدهرِ ما كتما
واليومَ اصبحَ وجهُ الأرضِ مُضطرباً ... والنَّاسُ في هَلَعٍ ماذا ٱلَّذي دهما
هل صادمتهم جيوشُ الخصمِ تسعرهم ... حرباً وقيدُ لظاها يُشبهُ الضرما
أم هلْ سيولُ مياهٍ قد طغت فبلَتْ ... تلكَ الديارَ بلاءً أورثَ الغُمَما
يا سائرًا في ربوعِ ٱلمرتينيكِ أَمِلْ ... عنها رِحالَكَ إنَّ الخطبَ قد عَظُما

صوتٌ مهولٌ ورَعدٌ لا مثيـــلَ لهُ ... قد ضَعضعَ ٱلسَهلَ والوديانَ والقِمَما
زَماجِرٌ وهديرٌ ثمَّ قَعقَعَةٌ ... وَلَاوِلٌ ودُموعٌ حاكَتِ الحُمَما
والأَرضُ ساخت بمن يَعلُوها سابحَةً ... على بحارِ لهيبٍ جَمرُهُ أحتدَما
عجيجُ بركانِ ذاكَ ٱلأَقرَعِ أحتدَمت ... نيرانُهُ تَنشُرُ الويلاتِ والنِقَما
أطوادُ دَجنٍ علت من فوقِ قِمَّتِهِ ... هوتْ فدمَّرت الاديارَ والنَسَمــا
وظلَّ يَقذِفُ منهُ الجمرَ في حُمَمٍ ... بئسَ التحمُّمُ يا أهلَ الحمى بهما
جهنَّمٌ فتحت ابوابَ هوَّتِهـــا ... كأنَّما قد غدا الديَّانُ مُنتقِما
في بُرهةٍ لم تَزِد عشرًا دقائِقُها ... عشرونَ ألفًا وعشرٌ مثلَها رُدِما
مصيبةٌ تصدعُ الألبابَ رؤيتُها ... رزءٌ خطيرٌ صداهُ أسمعَ الصمما
لوقعهـــا اشتعَلت كلّ القلوبِ اسًى ... هزّت نوادي ملوكِ الأرضِ والعظما
قامت ملوكُ المَلا تبدي مساعدةً ... تذكّروا القولَ إنَّ «الطوبى للرحما»
وأجزلوا البَذلَ في شأنِ الذينَ غدَوا ... هدفًا لوقعِ سهامِ الدَّهرِ حينَ رَمى
وكانَ أوَّلهم ذاكَ الذي اضطرمت ... في صَدرهِ جمراتُ الحبِّ مضطرما
ذاكَ الهزبرُ سجينُ الفاتِكانِ ومَن ... مِنَ العرينِ نراهُ راعيَ الغَنَما
اجفانهُ لأنينِ المبتَلينَ بَكت ... وقلبهُ لمصـــابِ المرتينيكِ دَما
قالَ الرسولُ فمن يَشقى ولستُ أنا ... أشقى ومَن يُبتلى منكم ولستُ انا
هذا الذي جودُهُ للنَّاسِ قاطبَةً ... مثلُ السَحابِ ومثلُ البَحرِ حينَ طما
ألطافهُ سارتِ الركبانُ تنشِدُها ... للعالمينَ وفيهِ المدحُ مُنسَجما...

شهادة روسي اورثذكسي في الكنيسة الرومانيَّة اطَّلعنا على مقالة للكاتب الروسي البـــارع روزانوف ظهرت في ١١ كانون الاول الشرقيّ في اعظم جرائد روسيَّة « نوڤيه فراميه » (الزمن الجديد) تحت هذا العنوان « السماوي والارضي » اتَّسع فيها على سلطة البابا الكنسيَّة واثبت انَّ الحبر الروماني وحدهُ يمكنهُ ان يسند الى الانجيل سلطتهُ المطلقة على كل النصرانيَّة . وممَّا قالهُ: « ان كنيسة المسيح كهرم شاهق العلوّ ينتهي الى نقطة وما هذه النقطة سوى سلطة بابا رومية الذي يملك على كلّ البناء فهو الراعي كما قال الرب يرعى الخراف والنعاج. وليست رعايتـــهُ هذه من نفسهِ بل

أعطيت لهُ من المسيح كما أعطي اليشاع رداء اليّا النبي . ونتعجّب كل العجب كيف اساقفتنا نقضوا اساس البيعة بنكرانهم على نائب المسيح سلطتهُ فحرّفوا معنى الانجيل « انت الصفــاة وعلى هذه الصفاة سابني كنيستي » زاعمين انَّ هذا القول لا يتضمَّن سلطةً تفرز بطرس وخلفاءهُ عن بقيَّة البطاركة والاساقفة وجعلوا ينسبون الى بابا رومية العظمة والكبرياء في تأييد سلطتهِ السامية وهم لم يأنفوا من ان يدَّعوا لانفسهم سلطانًا لم يُعطَوهُ ويقيموا ذواتهم مقام الباباوات لعمري لقــد ضلُّوا سواء السبيل واضلونا معهم » . فليسمع اخوتنــا الروم قول كاتب نحرير من كتبتهم وليحكموا حكمًا صوابيًا

⊱ شكر ⊰ سرَّنا انَّ جريدة « المعلومات » استحسنت مقالة المشرق (ص ٥٢٩) في تاريخ المرتينيك ومصابها فاثبتت منهــا قسمًا في احد اعدادها الاخيرة (ع ٤٧٠) فنشكرها على ذلك . ولكنَّنا كنَّا وددنا لو اشارت رصيفتنا الى المجلَّــة التي نقلت عنها

⊱ تصحيح ⊰ افادنا العلاَّمة الجليل الدكتور مِهرن مدرّس العربيَّة في كليَّة كوبنهاغ انَّ ترجمة الكامل لابن الاثير الى الفرنسيَّة التي ذكرناهــا في المشرق (٥ : ٦٢٣) لا تحتوي الَّا قسمًا من هذا التأليف . وهو امر صحيح فاتنا التنبيه عليهِ . وكذلك استلفت انظارنا الى ترجمــة كتاب الحماسة بالشعر الالمانيّ للمعلّم روكرت (Rückert) وفي آخرها فهارس حسنة

⊱ آلة جديدة لتدوين الانواء والصواعق ⊰ اخترع الابوان اليسوعيَّان يوسف فني (J. Fényi) مدير المرصد الفلكيّ في كالوتشا من اعمال المجر والاب حنَّا شريبر (J. Schrieber) آلةً غاية في اللطف والدقَّة اثنت عليها المكاتب العلميَّة الكبرى . والآلة المذكورة عبارة عن ملفَّات معدنيَّة وابر ممغنطة ودولايب متعدّدة تُعرض في الهواء فتدوّن من تلقاء نفسها كلّ حركات الانواء والصواعق على مســافة نحو مئة كيلومتر من دائرتها وتنذر بها بواسطة اجراس تلغرافيَّة

⊱ سسل رودس والكنيسة الكاثوليكيَّة ⊰ نشرت المجلَّة الانكليزيَّة الكبرى المدعوَّة الراصد (the Spectator) ومجلَّــة المجلاّت الانكليزيَّة مقالة عن سسل رودس ذكرت فيهــا اعتبار هذا الرجل المسمَّى ملك جنوب افريقية للكنيسة

الكاثوليكية وهذا تعريب كلامهِ بالحرف: قال في مأدبة حافلة « اني اجلُّ اجلالاً كبيرًا الكنيسة الكاثوليكية الرومانيَّة وعلى ظنّي انَّها الديانة الوحيدة في العالم التي تطابق تعاليمها المبادىء المنطقية ولو مكَّنتني الفرصة لاحببت ان انضمَّ الى عداد الرهبان اليسوعيين. او يعرف احد منكم اليسوعيين؟ اما انا فقد اجتمعت بكثيرين منهم في بلاد رودزية فوجدتهم فئة عجيبة تستحقّ كلَّ اعتبار وقد اخذ العجب مني مأخذهُ لمَّا تعرَّفت بهم حتى اني اكشف قبعتي احترامًا امامهم اجمالًا وافرادًا. وليس اعتباري لهم لما يفعلون او يقولون فقط. وانَّما اجلُّهم خصوصًا لما هم مجمَّلون بهِ من الصفات. فانَّ معرفتي لاشخاصهم ذلك ما اثَّر فيَّ هذا التأثير البليغ ». (قلنا) اين يا ترى هذا القول لرجل كسسل رودس من سفاسف بعض اصحاب الاغراض في بلادنا يرمون الجزويت بتُهم فريَّة كلُّها زور وبهتان

اسئلة واجوبة

س سألنا الاديب حنَّا يوسف باسيل: ١ً ما هي عجائب الدنيا السبع عند القدماء. ٢ً ما هو لغز كريت

عجائب الدنيا السبع — لغز كريت

ج ١ً قد اختلف العلماء في تعريف عجائب الدنيا السبع وانَّما الاصحّ انها التالية: جنائن بابل المعلَّقة واسوارها. ثم اهرام مصر. ثم تمثال المشتري في بلاد اولمپية. ثم صنم رودس. ثم هيكل ديانة في افسس. ثم ضريح موزول ملك كارية في هليكرناس. ثم منارة الاسكندريَّة. والبعض يحسبون منها غير ذلك كتمثال مينرڤة في اثينة وتمثال ابولُّون في جزيرة ديلوس. وحصن رومة المعروف بالكاپيتول. ولغز اكريت وغير ذلك. ٢ً امَّا لغز كريت فهو عبارة عن اسراب واسعة تنفذ مقاصيرها العديدة في بعضها بحيث لم يمكن احدًا الخروج منها اذا دخلها. وفي خرافات اليونان انَّ باني هذا القصر العجيب اسمهُ ديدال فدُعيت هذه الاسراب باسمهِ وانَّ البطل ثيساوس افلت منها بعد ان قتل فيها تنّينًا يدعى المينوتور

س وسأل بعض الادباء ما اصل هذه الالفاظ الدارجة: مشوار وكوَيّس وشوب

اصل بعض الفاظ دارجة

ج نظنّ انَّ المشوار بمعنى التنزه منقولة مجازًا عن العربية مِشوار وهو ميدان تُعرض فيها الخيل اقبالًا وادبارًا. وكوَيّس تصغير كَيِّس على الشذوذ. امَّا شَوْب فسريانية (ܫܘܒܐ) ومعناها الحرّ والسَّموم

ل. ش

المشرق

المناجم المعدنيَّة في الدولة العليَّة

نظرٌ للاب لويس شيخو اليسوعي

طالما طرق مسامعنا ذكر المناجم الغنيَّة التي وقفت عليها الدول في انحاء المعمور وقد نقلت الينا الجرائد انهُ ما لبثت اللجنات ان تشكلت لاستثمارها وربحت منها الارباح الفاحشة التي اغنت البلاد وسوَّلت طرائق جديدة يرتزق منها العباد فكم تمنَّى حينئذٍ اهل الوطن لو ساقت اليهم المقادير الثروة رخيصةً مأمونة باكتشاف مثل هذه المناجم على مقربة منهم لينالوا ارباحها ويقتلوا الفقر بسلاحها

على انَّ هؤلاء الذين يرمون بلادنا بالفقر وينسبونها الى الجدب والقفر لو انصفوا لوجدوا انَّ الاقطار الخاضعة للدولة العليَّة قد خصَّها الله من هذا القبيل بما لا تحتاج معهُ الى المهاجرة الى الاراضي القاصية والطموح الى ثروة غريبة. وبياناً لذلك قد احببنا ان نجمع في هذه الخلاصة ما يؤيد قولنا عمَّا اودعهُ الخالق في بطن بلادنا من المناجم والمعادن لعلَّ تعدادها يحمل ابناء الوطن على الغيرة في استخراج دفائنها

١ ﴿ الذهب ﴾ اوَّل ما تطالُ نحوهُ الاعناق ويطمح اليهِ بصر المرتادين الذهب فهل يا تُرى حُرمت منهُ بلادنا. أجبنا انَّ نشرة المكتب التجاري الافرنسيّ في الاستانة في عددها الصادر في ٣١ آب من سنة ١٨٩٨ بحثت في هذا الامر فبيَّنت انَّ مناجم الذهب ليست نادرة في الولايات الشاهانيَّة. ثم تتبَّعت الآثار التاريخيَّة ونقلت ما كتبهُ في هذا الصدد قدماء المؤرخين والسيَّاح المحدثون فاثبتت انَّ قريباً من ازمير منجماً

ذهبيًّا وكذلك في بيتام في ولاية انقره وفي بلاد الجزيرة بجوار الموصل(١ . والقدماء لسان واحد في انَّ بلاد العرب تتضمَّن ذهبًا ابريزًا . وفي الاسفار المقدَّسة (٣ ملوك ف ١٠) انَّ ملكة سبأ اليمنيَّة قد اهدت سليمان ذهبًا كثيرًا جدًّا . وحتى يومنا هذا نجد في رِحَل الفرنج ما يؤيد ذلك . وفي الدردنيل ذاتها في استيره من متصرفيَّة بيغا معدن من الذهب نالت شركة انكليزيَّة من الباب العالي الرخصة بتعدينهِ فباشرت العمل منذ ثلاث عشرة سنة برأس مالٍ يبلغ ١٨٠٠٠٠٠ ليرة انكليزيَّة . وكذلك يوجد مناجم ذهب في سنجق نجده في جبل بلغار داغ . بل لم تخلُ سوريَّة من مناجم الذهب على ما ورد في الكتب القديمة (٢ لكنَّ آثارها قد درست فلم يُعرف مكانُها

٢ ﴿ الفضَّة ﴾ قد اشار الجيولوجيُّون الى عدَّة مناجم فضيَّة في الممالك الشاهانيَّة . منها منجم في سوريَّة قريبًا من مرعش لم يتولَّ احد الى يومنا تعدينهُ . وفي ولاية انقره معدن فضي استرخص قومٌ من الانكليز والالمان باستثمارهِ ولم يباشروا العمل حتى الآن . وقد جاء في تقارير طُبعت بالانكليزيَّة سنة ١٨٩١ و ١٨٩٥ انَّ في ولاية بروسه وفي طيربيولي قريبًا من طرابزون وفي إزبير بجوار ارضروم آثار فضيَّة تنبئ بوجود مناجم منها في هذه الامكنة . وكتب بعض رحَّالة الانكليز انَّهم وجدوا في اليمن معدنًا فضيًّا لا يسمح اهل البادية بتعدينهِ(٣ . ويؤخذ من جواب حديث لنظارة المناجم في الدولة العلية : انَّ المستخرج منذ ٣ سنوات من الفضة ١٤٩٤٢ كيلو غرامًا قيمتها ١,٢١٣,٨٠٤ فرنكات فضلًا عمَّا استُخرج من الذهب وهو يبلغ ٤٦ كيلو غرامًا قيمتها ٩١٨٤٧ فرنكًا

هذا ما يختصّ بالفضَّة الصرفة وفي البلاد المحروسة مناجم من الفضَّة المختلطة بالرصاص . منها ما ذكرهُ العلاَّمة كوينه في كتابهِ « سوريَّة ولبنان وفلسطين » قال (ص ٢٨ و١٥٣) انَّ في الجبل الاقرع الذي موقعهُ بين الاسكندرونة وانطاكية واللاذقيَّة حجارة من الرصاص الفضي تدلُّ على وجود منجم منهما . وفي بقيَّة ولايات دولتنا العليَّة مناجم عديدة من الرصاص المخلوط بالفضَّة لو حاول اصحاب الجدّ والعمل جنى ارباحها لحصَّلوا منها مبالغ وافرة واكثرها في ولايات آطنه وآيدين وانقره وبروسه ودياربكر وقونية ومعمورة العزيز وسيواس وطرابزون ووان وفي متصرّفيَّتي بيغا وازميد وفي

---

١) راجع مقالة سكَّة بغداد (ص٢٤١) ٢) راجع المجلَّة الشهريَّة النمسويَّة ع ١٠ من السنة ١٨٨٠ ص ١٦٣—١٦٥ ٣) راجع كتاب آسية تركيا لڤيتال كوينه ج ٣ ص ٧٠٤—٨٤٨

جزائر رودس وساموس وامروز وساقز. وقد نالت بعض الشركات العثمانيَّة او الاجنبيَّة الرخصة بتعدين قسم من هذه المعادن الَّا انَّ اكثرها لا يزال مهملًا كناجم آطنه ومناجم معمورة العزيزة وكلُّها غنيَّة بالمعدن وفي رصاصها كميَّة وافرة من الفضَّة. وقد قدَّر اخيرًا مهندسٌ روسيٌّ خبير بالمعادن اسمهُ تشيتشاتشف انَّ الفضَّة التي يمكن استخلاصها من معادن تركية تبلغ ٧٣٠٠٠٠ كيلوغرام في السنة. وهذه لعمري ثروة طائلة تغني بلادًا واسعة وجماهير غفيرة لو أُخرجت من ركائزها الى عالم التجارة

٣ ﴿ الرصاص ﴾ منهُ معدن في ولاية آطنه يستخرج منهُ سنويًّا ما يبلغ ارباحهُ نيفًا ومئة الف فرنك. هذا فضلًا عن الرصاص المختلط بالفضَّة الذي سبق ذكرهُ في الفصل السابق وكميَّتهُ وافرة جدًّا

٤ ﴿ النحاس ﴾ كثيرٌ في تركية منهُ معادن غنيَّة في ولايات بروسه ووان وقسطموني وبتليس وانقره وديار بكر وفي طرابزون ومتصرفيَّتي بيغا وازميد وفي جزائر ساقز ومدلّي وساموس وفي جبل طورس. واكثر هذه المعادن ليس من يقوم بامرها الَّا معدن ارغانة في ولاية ديار بكر وقد وكلت دولتنا العليَّة الى مهندسين اوربيَّين اسمهما توبيني وداليجيو تعدين هذا المعدن على حسابها وهما يسعيان بتنظيف النحاس ثمَّ يرسلانهِ الى الاسكندرونة مع القوافل ليُنقل الى مدينة ليفربول. ومعدَّل ما يُستخرج سنويًّا من هذا المعدن نحو ٨٠٠ طنّ يبلغ ثمنها ٨٠٠٠٠٠ فرنك. ولولا بُعد هذا المنجم عن البحر لكانت ارباحهُ ثلاثة اضعاف ذلك (راجع ص٧٧١). وفي سوريَّة آثار مناجم النحاس في شبه جزيرة سينا. وقريبًا من حلب جبل يُدعى جبل النحاس لوجود هذا المعدن فيهِ ويزعم البعض انَّهم استدلُّوا على وجود شيء منهُ في جبل الاقرع عند انطاكية

٥ ﴿ الحديد ﴾ في بلاد الشام ولبنان اكثر منهُ في سائر ولايات الدولة العليَّة. ولذلك ترى ذكرهُ في كل كتب الاقدمين من يونان ورومان وعرب. وكان الاهلون يستخرجون الحديد من معادنهِ وينقلونهُ الى بيروت ومنها الى بقيَّة البلاد. ومنهُ كميَّة وافرة في لواء طرابلس وفي بلاد حوران بقرب عجلون وفي جبل الاقرع. وكذلك جبال زيتون في ولاية حلب فانَّ فيها معدنين حديديين يُتَّخذ حديدهما لكل ادوات الفلاحة وللاسلحة. وفي مرعش ايضًا حديد جيّد. الَّا انَّ اجود حديد الشام حديد لبنان ترى منهُ كثيرًا في وادي نهر الكلب يصطنع منهُ اهل بيت شباب ادوات مختلفة ومنهُ

ايضاً مناجم حسنة في الكفير قريباً من حاصيباً وفي جوار ميروبا. واكثر هذا الحديد لا ينتفع منهُ احد خوفاً من النفقات التي تلزم لتعدينهِ ولنقلهِ. ولا شكَّ انَّ شركة منتظمة تربح من القيام بهذا الامر ارباحاً عظيمة لو باشرتهُ على الطريقة الجارية بين المعدّنين الاوربّيين . لانَّ الحديد في اكثر هذه المعادن مختلط بعناصر أُخرى فيُقتضى تجريدهُ منها

٦ ﴿ الزئبق ﴾ موجود خصوصاً في ولاية آيدين. ففي سنة ١٨٩٤ وُجد منهُ معدن في اوده مش فنال تاجوان ارمنيّان من ازمير الرخصة باستثمارهِ. وفي سنة ١٨٩٨ اكتُشف منهُ معدن آخر اهدتهُ الذات الشاهانيَّة لصاحب الدولة جواد بك من مستشاري الدولة. وادَّعى قومٌ انَّهم وجدوا زئبقاً في لبنان وهو خبر شاع مدَّةً ولم يقف احد من العلماء على صحَّتهِ

٧ ﴿ الفحم الحجريّ ﴾ هو اليوم احد كنوز العالم التجاريّ لولاهُ لما اغنتنا اغلبُ اكتشافات العلماء فتيلاً. وما يُنفق منهُ في السنة لو جُمع لفات اهرام مصر ارتفاعاً واشبه الجبالَ علوًّا. ولم يشأ الله ان يحرم بلادنا من منافعهِ الجمَّة. وقد وجد اهل البحث والمهندسون انَّ اكثر ولايات تركيَّة تحتوي على مناجم فحميَّة نخصُّ منها بالذكر ولاية قسطموني فانَّ لها معدناً شهيرًا في هرقلة على مسافة ١٥٠ كيلو مترًا من الاستانة العليَّة. وهذا المعدن معروف منذ سنة ١٨٥٠. تولَّت حفرهُ شركة انكليزيَّة ثم صار الى ايدي شركة فرنساويَّة تهتمُّ اليوم بتعدينهِ وحكومتنا السنيَّة لا تستعمل غير هذا الفحم لمراكبها وهو ارخص من الفحم الانكليزي يباع الطنُّ منهُ ٢١ فرنكاً اعني ستَّة فرنكات اقلّ من الفحم الانكليزي ولا يُنكر مع ذلك ان الفحم الانكليزي اجود وقد بلغ ما يستخرج منهُ في السنة نحو ١٥٠٠٠٠ طنّ. ومن الولايات الغنيَّة بالفحم ولاية آيدين فيها مناجم فحم حجريّ عديدة يستثمر واحدًا منها انكليزيّان اسمهما ماك اندرس وفُرْبسْ في سوكه ويبلغ ما يستخرجان من الفحم في السنة ٥٠٠٠٠ طنّ. وقد نال افرنسيّان امتيازًا بتعدين منجمين آخرين في كاغاتش وطربلي في الولاية ذاتها. وانعقدت شركات عثمانيَّة لاستخراج الفحم من كاقاجاق وبرغمه وميلاس وتازلّي ومنتشا. وفي ولاية بغداد منجم شهير للفحم في جبل حمرين على مسافة ٩٠ كيلومترًا من دار السلام في شماليها الشرقيّ. وفي ولاية الموصل قريباً من ضفَّة الفرات منجم

فحمي شهير لم يمسَّهُ احد حتى الآن وكذلك في ولاية قونية ومتصرفية الزور. وقد اكتشفت آخرًا شركة سكّة الاناضول الالمانيَّة مناجم فحميَّة في ولاية انقره ستتولى حفرها عمَّا قليل. وفي سوريَّة لا يخلو الفحم الحجريّ لاسيَّما في اياس قريبًا من خليج الاسكندرونة وفي بادية حلب على جنوبها الشرقيّ وفي جهات انطاكية وفي حوران. امَّا لبنان ففيهِ منجم فحميّ واسع شرقيّ صيداء يبتدئ عند قرية المراح ويمتدُّ الى عين زحلتا ويتَّصل بشغرة وبرته مارًّا بجبل نيحا. وكذلك في حيطوره منجم آخر منحت الدولة امتيازهُ الى مدَّة ٩٩ سنة لصاحب السعادة المركيز موسى دي فريج. وكذلك في قضاء المتن عند قرنايل وفي المروج وترشيش. وفي وادي نهر بيروت مناجم أُخرى من الفحم الحجريّ استخرج منها الانكليز كميَّة وافرة من الفحم على عهد محمَّد علي وابراهيم باشا. فترى انَّ الصناعات والفنون اذا بلغت في بلادنا ما بلغتهُ في اوربَّة واميركة سوف يلقى ارباب الهمَّة مساعدًا كبيرًا لترويج مساعيهم في الفحم الحجري المكنون في اعماق الارض

٨ ﴿ البترول ﴾ هو ايضًا احد اسباب الثروة في زماننا. وقد كتب الله لبلادنا الشرقيَّة منهُ قسمًا حسنًا لم يُنتفع باكثره حتى الآن كمناجم ولايات وان وارضروم وبتليس. وفي ولاية بغداد منابع غزيرة توجد في الحلَّة عند الفرات وهي تصبُّ في احواضٍ واسعة كميَّة كبرى من النفط والبترول والغاز تُنقل الى دار السلام. وكذلك في ولاية الموصل منابع أُخرى من البترول في شرغتش على ضفَّة دجلة وفي توز قورملي في سنجق كركوك. وقد وصف في المشرق (٣ : ١١٦) حضرة الاب الفاضل اديّ ابرهينا صليبا منبع نفط بابا كركور الذي يعتاض بهِ اهل تلك البلاد عن غاز البترول الَّا انَّ هذه المناجم لم يُعتنَ بامرها وزيتها لا يُصفَّى

٩ ﴿ القار ﴾ كثير في الشام وفلسطين تجد منهُ عيونًا نابعة في قضاء صيداء قريبًا من عين تاجورة وفي قضاء صور في عين ابل وايديب وحوَيقة. وفي لواء عكَّة وفي ولاية حلب ليس بعيدًا من انطاكية. وكذلك لا يجهل احد انَّ القار كثيرًا ما يطفو فوق مياه بحر لوط فتقذفهُ الامواج الى الساحل. وعلى شواطئ هذا البحر اطباق من القار وجدها الرحَّالة ترسترام في عين ترابه وفي عين جَدي. وقريبًا من الموصل قيَّارة شهيرة وصفها ابن بطوطة في رحلتهِ (راجع مجاني الادب ١ : ١٦٧). واشهر من هذه المنابع كلها آبار حاصبيا وهي كثيرة غزيرة المادَّة واغلبها في رأس النبع قريبًا من

الحاصباني فينظَّف محصولها في مياه الاردن ثمَّ يُنقل الى صيداء او بيروت ويُباع في المانية والنمسا منهُ في كل سنة بنحو ٣٠٠٠٠٠ فرنك

١٠ ﴿ الكبريت ﴾ يحتوي منهُ بحر لوط كميَّة وافرة ولو بحثت شركة عن طريقة استخراجهِ لحصلت على ارباح طيّبة . ويوجد مناجم كبريتيَّة في ولايتي آيدين وازمير

١١ ﴿ البروم والكلور ﴾ يمكن استخراجهما ايضاً من بحيرة لوط

١٢ ﴿ الخروم ﴾ من المعادن الثمينة التي يتنازعها التجار الخروم (chrôme). ومعادنهُ كثيرة في الدولة العليَّة في سالونيك وفي ولايات ازمير وقونية وبروسة وآدنه وفي متصرفيَّة بيغا . واكثر هذه المناجم مكتشفة حديثاً تستثمرها شركات انكليزيَّة . وقد بلغ في السنين الاخيرة ما استُخرج من هذه المعادن نحو ٢٥٤٥٠ طناً حصَّل منها اصحاب امتيازها نحو ١٣٥٠٠٠٠ فرنك . وثلاثة ارباع صادراتهِ تُباع في المانية . وفي بلاد الشام مناجم من الخروم تُرى في قضاء اللاذقيَّة ومنها ايضاً في نواحي اسكندرونة وحلب وقد تولَّى امرها قوم من الانكليز فربحوا ارباحاً طائلة

١٣ ﴿ التوتيا ﴾ معادن التوتيا في يارتشين من ولاية بروسه حصل احد العثمانيين على رخصة تعدينها الى مدَّة ٩٩ سنة . ومنها ايضاً في جزيرة ساقز يتولَّى استخراج معدنها شركة دوليَّة . وكذلك يوجد بعض معادن توتيا في جزيرة ساموس تشكَّلت لجنة لتعدينها جعلت رأس مالها ٢٠٠٠٠٠٠ فرنك

١٤ ﴿ النيكل ﴾ جاء في كتاب العالم الافرنسي ڤيتال كوينة « سوريَّة ولبنان وفلسطين » (ص ٢٨ و١٥٣) ان جبل الاقرع المجاور لانطاكية يتضمَّن شيئاً من هذا المعدن

١٥ ﴿ الاثمد ﴾ وهو حجر الكحل . معادنهُ كثيرة منها في سلانيك ومنها في جزائر ساقز ومدلّي وساموس وفي ولايات انقره وبروسه وقسطموني . وبعض هذه المعادن مهملة . وغيرها قد اخذت الشركات الاجنبيَّة تستحصل فوائدها . ويستخرج من معادن آيدين وحدها نحو ٨٠٠٠ طنّ من الاثمد في السنة . وتصدر ازمير الى انكلترة سنويا من هذا المعدن ما يساوي ١٥٠٠٠٠ فرنك . وفي اسكندرونة وانطاكية معادن من الاثمد لم يُعرف قدرها . والاثمد في الغالب مختلط بالكبريت والرصاص فلا بُدَّ من استخلاصهِ منهما

١٦ ﴿ البورق ﴾ اول من اكتشف معادنهُ العلاَّمة الفرنسيّ ديمازور (Desmazures) سنة ١٨٦٦ في كراسي من ولاية بروسه. وقد وُجد منهُ بعد ذلك معادن أُخرى في دمير كابو وسلطان تشاير عدَّنها قوم من الفرنسويين من ليون تحت ادارة المهندسين پرادل وڤيال (M M. Pradel et Vial) فكانوا يستخرجون في كلّ سنة اكثر من ١٠٠٠ طنّ من البورق. وهذه الشركة قد امتزجت بالشركة الانكليزيَّة التي تعدّن معادن كراسي ويوجد معادن أُخرى من البورق لم تعدَّن حتى الآن منها في ولاية الاستانة العليَّة وفي ولايتي وان وارضروم وفي شمالي سوريَّة. ويلحق بالبورق ملح البارود او النطرون منهُ معدن كبير في ولاية قونيه

١٧ ﴿ الزرنيخ ﴾ يُعرف منهُ خمسة مناجم في بلاد الدولة اقدمها منجم سلانيك لكنهُ الآن مهمل. وفي سنة ١٨٩٥ اكتشف رجلان من اعيان ازمير على منجم آخر في ولاية آيدين في مرسلّي ودليلار فنالا الرخصة الرسميَّة بتعدينها لتسع وتسعين سنة. وفي سنة ١٨٩٦ نال فؤاد باشا من وزراء الذات الشاهانيَّة معدنًا من الزرنيخ وُجد في غولباشي في ولاية قونية فعهد امرهُ الى بعض العمَّال وفي الولاية ذاتها منجم آخر منهُ في بوردور. ويوجد الزرنيخ ايضاً في ولاية الموصل وفي انحاء سيواس

١٨ ﴿ السنباذج ﴾ من المعادن المرغوبة في تركيَّة السنباذج (émeri) يتنازع في اقتنائهِ الانكليز والاميركيُّون والالمان يشترون الطنّ منهُ بمئة فرنك الى ١٢٥ فرنكًا وهم يستعملونهُ خاصةً في صقل المعادن وجلاء الحجارة الكريمة. ووجود السنباذج على الغالب في ولاية آيدين تستخرج منهُ شركات فرنسويَّة وانكليزيَّة وغسويَّة اكثر من ١٠٠٠ طنّ. وفي ولاية بروسه ايضًا معادن منهُ لم يُعنَ بها احد

١٩ ﴿ الشبّ ﴾ يوجد منهُ في ولاية انقره وفي جوار « قرا حصار شرقي »

٢٠ ﴿ الكهرباء ﴾ في قضاء صيداء منها شيء كثير على منعطف جبل نيحا بين برتة وحيطوره واكثرها اسود اللون ومنها اصفر ايضاً. ويُذكر عن الفينيقيين انَّهم كانوا يعرفون الكهرباء ويستخرجونها من بلادهم

٢١ ﴿ الاميانت ﴾ وهو المعدن المعروف اليوم بحجر الفتيلة الذي لا تعمل فيهِ النار يُعرف منهُ منجمان الواحد قريب من بروسه نال امتيازهُ عزّت افندي من وجوه مدينة اوشاك فتنازل عن حقوقهِ لشركة انكليزيَّة تستثمرهُ. والثاني في ناحية باتاز في

بلغارداغ لم يستفد منهُ احد. وقد وُجد منهُ آخرًا في ولاية وان وفي حكاري ومكس

٢٢ ﴿ الطباشير ﴾ كثير في سوريَّة لاسيَّما بلاد الجليل في الناصرة والكرمل وفي جهات نابلس وفي انحاء انطاكية

٢٣ ﴿ الرخام ﴾ يقرب رخامُ بلاد الدولة العليَّة من رخام ايطالية واليونان في حسنهِ واشكالهِ ومقالعهُ في كل الولايات الشاهانية وان قصرنا النظر الى سوريَّة وحدها وجدنا فيها كل اشكال الرخام من احمر ووردي واسود وازرق واصفر وسماقي ومحبَّب (granit) ومقالعهُ الشهيرة في نواحي دمشق وحلب وفي جبل جرماق في قضاء صفد

٢٤ ﴿ الحجارة الكريمة ﴾ متعددة في البلاد المحروسة كفانا دليلًا على ذلك ما ورد في الاسفار المنزلة عن اصنافها الشائعة في الشام وفلسطين كالياقوت والماس والعقيق والزمرد واللؤلوء واللازورد واليَشب امَّا اليوم فلا يلقى المفتشون الَّا بعضًا منها اخصُّها البلُّور (ومنهُ في لبنان) واليَشب والياقوت. ويوجد الفيروز في جزيرة سينا في مرارة حاول الانكليزي مكدنلد تعدينهُ

٢٥ ﴿ المَنغنيسا ﴾ الممالك الشاهانية غنية بهذا المعدن. منهُ كثير في ولايات ازمير وسلانيك وطرابزون وانقره وقونيــة وسيواس وبروسه. تبلغ ايراداتهــا نحو ٢٠٠٠٠٠٠ فرنك في السنة

٢٦ ﴿ الملح ﴾ سواء كان معدنيًّا او غير معدني من اعظم موارد الربح في بلاد الدولة السنيَّة. يستخرج منهُ في السنة اكثر من ٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠ كيلو تستثمرهُ ادارة الدين العمومي فتربح منــهُ عشرين مليونًا من الفرنكات. على انَّ في بلادنا ممالح عديدة ليس من يقوم بتعدينها فلو انتُفع بهــا لكان محصول الملح ضعف ما تقدَّم ذكرهُ (راجع المشرق ٥: ٦٠١)

هذا نظر اجمالي في معادن بلاد الحكومة السنيَّة ولا شكَّ انهُ فاتنا ذكر كثير منها. ولكن في ما اوردنا كفاية ليعرف القرَّاء العثمانيُّون انَّ مواطنهم تجاري اغنى الدول في معادنها لا ينقص الَّا اصحاب همَّة واقدام يجدُّون الارض فيستخرجون من دفائنها ما اودعهُ الله فيها من الكنوز الثمينة. ولنا الأمل الوطيد انَّهُ اذا مُدَّت الخطوط الحديديَّة المنويّ بسطها يتسارع ذوو الثروة الى تعدين هذه المعادن والبحث عن غيرها ممَّا لم يُطَّلع بعد عليهِ. ولا غرو انَّ دولتنا العلية تنشط رعاياها على ذلك لعلمها

بما وراء نخوتهم من الفوائد الجمَّة والمنافع المالية. حقَّق الله الآمال فانَّهُ على كلِّ شيءٍ قدير

عفوٌ في سخاء

بقلم الاب شرل ابيلا اليسوعيّ

١

. . . .

واذ كانت تتململ على فراشها ونار الحمّى تضطرم في احشائها دخلَ عليها رجلٌ كانَّ الارض انشقَّت فابرزتهُ من المغاور الجهنميَّة قد فارَ فائرهُ وهاجَ هائجهُ. فحملق اليهـا بعينين تتوقَّدان نارًا. فعرفت حنَّة انَّهُ مالكٌ بيتها. امَّا هو فابتدرها بالسبِّ والشتيمة قائلًا:

— الى مَ أُطيل اناتي عليكِ يا شقيَّة وحتَّامَ تهتضمين حقوق الناس؟

فاجابت: سكِّن الجأش مولاي. ألا تراني طريحة الفراش قد امضَّتني الادواء؟

— كفاكِ تروغين روغان الثعبان. لا تتوهَّمي انَّ تمارُضكِ يجديكِ نفعًا. عليـك بدفع كراء البيت والَّا فاني طاردكِ لا محالة

— مهلًا الى المساء علَّ ولدي يوسف يعود من بيروت بدراهم

— حسبكِ تسويف الى الآن. فلقد طالما وعدتِ وما انجزتِ

— ولكن . . .

— ادفعي ما عليكِ والَّا فأرض الله واسعة

— رحماكَ سيدي انَّ الشمس مالت الى الغروب. أفأَبيت في القفر؟

— بيتي في جهنَّم واذهبي مع الابالسة

قال ابراهيم هذا واخذ يركلها برجلهِ حتى ادَّاها الى خارج البيت فوقعت على جانب الطريق مغشيًّا عليها من الألم. وانصرف ذلك الرجل القاسي وهو يبرق ويرعد على الارملة التعيسة

٢

وكان خليل بعل حنَّة اشتهر بفضلهِ وتقواه في قريةِ ح. توفّي من بضع سنوات

ولم يترك لزوجته الّا يسيرًا من المال. فاعتصمت بحبل الصبر وجعلت تكدّ وتتعب جادَّةً وراء ما يقوم بمعيشة ولدها صارفةً عنايتها في تخريجهِ في الادب والتقوى. فشبَّ يوسف ونشأ على المبادئ القويمة تنمو فضيلتهُ مع نموّ جسمهِ حتى شرع في معاضدة والدتهِ يساندها في اتعابها ويخفّف عن عاتقها ثقل العناء

على انَّ الدهر لم يكن ليتغافل عن انسان فما كاد يفترّ لها ثغرًا حتى غادرها كالحَ الوجه. فانَّهُ ما بلغ يوسف السابعة عشرة من عمرهِ الّا واعترى امهُ مرض عُضال الزمها الفراش واقعدها عن العمل. فلم يبقَ الّا ولدها ليقوم باودها فكان ينحدر كل صباح الى بيروت فيشتغل تحت ادارة نجّار ويعود المساء حاملًا لامهِ ما استنضَّهُ من الرزق ولذلك نجد تلك المرأة في ضيق ليس بيدها ما بهِ تسدُّ فم ذاك اللئيم

٣

وكان الليل قد نشر اجنحته فافاقت حنَّة من غشيانها وادارت الطرف حولها فاذا هي في بيتها وابنها يوسف جاثٍ امامها تتنازع فؤاده الاحزان وعيناه مغرورقتان بالدموع. فصاحت: بُنيَّ بنيَّ. فاكبَّ على رأسها وقبَّلها قائلًا: « ما اعقب هذه الحال منك يا امَّاه ». فقالت: « جور اللئام يا بنيّ ». واخبرتهُ بالقصَّة. فتضرّم عندئذٍ قلب يوسف غيظًا وصاح: « وحقّ حبّكِ لأهدرنَّ دَمهُ ». وعمدَ الى مديةٍ واراد الخروج. فردعتهُ مناديةً

— عُدْ ولدي. لا يجدر بالمسيحيّ الانتقام من احدٍ

— انما حُرّمَ الثأرُ من الناس. وما هذا الّا ضارٍ قُدّ كبده منَ الجلاميد

— ارعوِ بنيَّ. ليس الوقت للانتقام الساعة. كفاني ما قاسيتهُ من هـذا الرجل. فانهُ اجهز عليَّ وقرّب مني ساعة الحتف... او اه اقتريد وبالي وبالّا بان اراك تتخطّى سنَّة الله حاقدًا منتقمًا... اذهب ولدي وأتني بالاب مبارك فاني اشعر بالروح مني قد قاربت الاجل

وعقيب تزوّدها الزاد الاخير زاد الابرار التفتت الى يوسف واوصتهُ بان يتشبَّث باهداب تقوى الله ومحبتهِ ثم استحلفتهُ ان يعفو عمَّن ادنى اليها وقت الممات. وكانت اذ ذاك صورة المصلوب بين يديها فقالت لابنها مشيرة اليها: احفظها بعد موتي ذخيرةً من امّك واذا ما أُوغِرَ صدرك حنقًا على عدوّك فاذكر كلام المصلوب القائل: « ابتي اغفر لهم لأنَّهم لا يدرون ما يعملون ». ثم قضت نحبها متزغةً باسم يسوع ومريم

٤

مضت على تلك الوفاة عشر سنوات كان يوسف في اثنائها قد حذق حرفة التجارة ونأى عن البلاد السوريّة واتى عاصمة مصر حيث جمع من المال قسماً ليس بيسير

على انَّ المحن اذا ما دهمت قلب امرئٍ مسترسلٍ الى ارادة الله من شأنهـا ان توطّد دعائم الفضيلة. وذاكَ يوسفنا كان مع ما هو عليهِ من خفض العيش مثابرًا على القيام بواجباتهِ الدينيَّـة محافظاً على وصية امهِ فامسك الله بيده ووفقـهُ الى ما يؤول الى سعده

فبينما كان عشية يوم في اواخر آب سائرًا على طريق الجزيرة بالقرب من نهر النيل ترويحاً للنفس من مهامّ اعمالهِ اذ رأى رجلًا على الشاطئ قد طوّق عنقه بطرف حبل وربط حجرًا ثقيلًا بالطرف الآخر وهو يتأهَّب للوثوب الى النهر والنيل اذ ذاك في اوان فيضانهِ. الَّا انَّ يوسف لم يلبث ان عرف كنه مقاصدهِ الوخيمة وما كان الَّا كلمح البصر حتى هجم عليهِ وجرَّهُ قهرًا الى جانب الطريق بعيدًا عن هوّة الهلاك. فتفرّس فيهِ فاذا هو رجل يناهزُ الاربعين الَّا انَّ انياب الضرّ قد خلّفت على ملامحهِ آثارها فهو مهزول شاحب اللون عليهِ امارات اليأس. ولمَّا جذبهُ اليهِ يوسف كانت اخذتهُ دهشة شديدة عقلت لسانهُ عن الكلام ولكن عادَ من دهشته اذ حدّد فيهِ البصر منقذه فصاح: « دعني يا هذا فلا بُدّ ان اسلِم روحي الى الهلاك فيفنى معهـا عيشٌ نسجتهُ النكبات ». واسرعَ عائدًا الى النهر. فانقضَّ عليهِ يوسف بيده والزمهُ مكانهُ قائلًا:

— ارعوِ يا اخي. ألا تعلم انَّ نوائب الدنيا لا يعقبها في الآخرة لاهل اليأس الَّا ما هو شرٌّ منها ؟ ألا ترهب نارًا لن يُطفأ سعيرها ؟ ثق بالله فانَّ رحمتهُ عظيمة

— ليس من سبيل لرحمة الله الى من لم يرحم عباده. فاني طالما . . .

— انَّ التوبة تُمهّد لرحمة الربّ سبيلًا

وجعل يوسف يلاطفهُ ويعظهُ حتى لان قلبهُ فانقاد الى نصائحه ورضي بان يؤوب معهُ الى المدينة. وبينما هما سائران قصَّ الرجل على يوسف قصته فعلمَ انهُ لبناني المنشأ برح الوطن طمعاً بالاصفر الرنّان لكنهُ حبطت مساعيه فكانت الدراهم تذهب عيونها منهُ يوماً فيوماً حتى صفرت راحتهُ ولم يبقَ لهُ ما يسدّ بهِ رمق اطفالهِ فآل بهِ ذلك الى ما آل. فسألهُ يوسف. ومن اي ناحية من لبنان انت ؟

— فاجابه: من قرية ح·
— أفلا تعرف احدًا من مواطنيك يعينك على الفقر ؟
— سمعت انّ نجّارًا من ح· يُدعى يوسف قد اتى مصر. وهو مُكثر مُوسر. ويُمكنهُ الاخذ بيدي. غير اني لا يسعني التماس عضده
— ولِمَ ؟
— قد اسأتُ المعاملة الى امه

فما سمع ذلك يوسف الّا شعر بلهيب نارٍ يسعر في قلبه وصاح: « ويلك يا قاتل امي » وهمَّ بقتلهِ خنقًا...

ولكنَّ يدًا خفيّةً اوقفت باعه وكأنَّهُ سمع صوتًا سريًّا يردّد عليهِ القول: « ابتِ اغفر لهم لأنّهم لا يدرون ما يعملون »... فاطرق الى الارض هنيهة ثم قال: « اني عفوت عنك كما عفت امي »

قال هذا وابرز لهُ ريالًا من جيبهِ قائلًا: « خذ هذا وسدّ بهِ رمقك وعد اليَّ غدًا فاتكفّل بامرك »

واذ ذاك شاهدت امّ يوسف في نعيم الابرار ملاكًا يخلّد في سفر الله جزاء جود المحسن اجرًا وجزاء عفوه عن عدوّهِ اجرين

سلوان الاسرى في ايوان كسرى

لحضرة المحقّق والعلّامة المدقق الاب انستاس الكرملي (تابع لما سبق)

(وصف الايوان) وقد وصف ما بقي من هذا الايوان جماعة من روّاد وسيّاح الافرنج في القرن الثامن عشر منهم پياترو دلّا قالّا الار ذكرهُ قال ما معرّبهُ: « كان هذا القصر في موطنٍ يُوافق احسن الموافقــة لقبول الملوك الاشكانيين الذين كانوا يجيئون من تلك الاصقاع. فاعلم اذن يا هذا ان ايوان كسرى هو الايوان الذي سمّاهُ بعض الكتبة زورًا « طاق سلمان پاك » (١ لمجاورة قبر هــذا الوليّ لذلك الايوان الشهير

١) وفي الاصــل سليمان بك Soliman - bey وهو خطأ. ومعنى سلمان پاك: سلمان الطاهر

وهو بناء من الآجرّ مشدودٌ بجصٍ حسن وجدرانهُ ثخينةٌ سامكة وصدرهُ الناظر الى الشرق مزخوف ايُ زخرفٍ من اعلاهُ الى اسفلهِ بنوافذ وأُطر وكناديج وسَهَواتٍ وكُوًى ورواشن متقنة الصنع متَّخذة من هذا اللَّبِن المشويّ بالنار وسمك الحائط ١٠٤ اقدام وكان يوجد في ذلك القصر على ما تبيَّن لي ثلاثة اسواق تشبه اسواق كنائسنا ولم يبقَ منها الَّا صحن الوسط وهو باقٍ الى هذا اليوم وطولهُ ٦٢ قدماً وعرضهُ ٣٣ قدماً وقد قستُ كل ذلك بتدقيق ليس عليهِ من مزيد وان كابدتُ لهذه الغاية عرق القربة لوعورة الارض وخشونتها. وليس عند المدخل باب عظيم في الوسط كما يُرى في مثل هذه الابنية لكن صحن الوسط مع ما فيهِ من العلو والعرض مفتوح من قُبل بحيث الواقف في الخارج يرى كل شيء من اسفل الجدران الى أعلى العَقْد وهذا ما حدا ساكني ذلك القطر الى ان يسمُّوهُ باسم «الطاق» لان انفتاح العقد العظيم عند صدر البناء يُشبه طاقاً عظيماً. ويُرى في داخل البناء عند اقصاهُ على الوراء وفي الوسط عينهِ بُوَيب يُناظرُهُ على هيئة طاق ويجاورهُ بويبان يشبهانهِ وهما مفتوحان في الجانبين للدخول في الجناحَين وهما الآن خَرِبان وقد خرِب ايضاً جانب من الطاق ومن الحائط الذي في الوراء ولا حاجة لي في ان اصفهُ لك بما ان مُصوّري قد رسم تمام الرسم صورتهُ كانك تراهُ عن بعدٍ

«وبقرب هذا البناء اراني البعض محلاً كلُّهُ انقاضٌ ركامٌ ويدّعي اليهود انهُ كان جُبّ الأُسد او محلًّا خصوصيًّا لحبس السباع وانهُ المحلّ الذي أُلقي فيهِ دانيال. واظنّ هذا من الحقيقة على جرفٍ هارٍ. لاننا نعلم كلّ العلم من مؤرخي بلاد فارس ان العاصمة طَيسفون كانت في هذا الصُقع وكما انَّها كانت عظيمة باذخة زاهية فلا يتعجبنَّ المرء اذا رأى كثيَّة من البنيان اصبحت في خبر كان ولم يبقَ منها الَّا اخربة هائلة العظم تدل على أنها كانت في سابق الزمان عظيمة بدون ان يقدر ان يتحقق ما كانت عليهِ اصولها في غابر الاوان. ثم بعد ذلك سرنا الى الامام لنشاهد مزار سلمان پاك (١

«وهذا المزار المبنيّ من الآجرّ القديم شيَّدهُ المسلمون لهذا الامام وهو لا يخلو من تأنُّقٍ وان صغيرًا. وبعد ان تجوَّلنا في تلك السهول مدَّة من الزمان رأينا اخربة عديدة

بالفارسية وهو سلمان الفارسيّ الصحابي المشهور وكان قد تولّى الامر على المدائن وفيها توفّي ودفن سنة ٣٦ هـ (٦٥٧ م) في اواخر خلافة عثمان

١) راجع الحاشية السابقة

متبعثرة ومتفرّقة شذر مذر وكلها من موادّ تشبـه موادّ بابل اي من لَبِنٍ مشدودٍ بقصب كانهُ الثمام الخشن ورأينا ايضاً اخربة اسوار المدينة ويظهر منها انّها كانت عظيمة غاية العظم

« ولهذه الجدران بعض آثار تكاد تندرس لانها اليوم عبارة عن جُثًى يكثر فيها الابارق ويبلغ محيطُها مسافة عظيمة من هذه الاغوار سواء كان ذلك من جهة النهر التي كنّا فيها وهي ضفّتهُ الشرقيّة وسواء من الجهة المقـابلة بحيث ان النهر كان يجري متسلسلًا في وسط الحاضرة او قُل في وسط المدينتين المتّحدتين كما أَلمعتُ اليـهِ فُوَيق هذا . وان كانت طائفة من ساكني هذا الصُقع (وهم على ما يظهر لي أغرٌ واجهل من ان اعتمدهم) يُحاولون ان يدفعوني الى ان اقول بان دجلة كان يجري في عتيقٍ آخر في ذلك العهد العهيد

« ومهما كانت عليهِ تلك العاصمة اوانئذٍ فمن المثبت انّها كانت في نهاية العظم ووراء ما هو مألوف . وهذا ما يمكن ان يحققهُ كل امرئٍ من موقعها ومن بقايا اطلالها وانقاضها . ووجدنا على جدّة النهر جدراناً أُخرى مبنيَّة من طاباق حسنٍ مُحرَقٍ في الاتون وقد شُدّت بالقار عوضاً من النُورة ويظن بعض الكتبة انها بقايا ابنيةٍ سَميرام الملكة الشهيرة فالتقطتُ كجاري عادتي شيئاً من تلك القطع التي كان القيرُ ملصقاً بها واودعتها علبةً بعد ان لففتها بالقطن كانها عِلق نفيس فأضحك هـذا الامر غير مرَّةٍ جماعةً من الاغرار ممّن كانوا يقطنون تلك الربوع ولم يستطيعوا ان يُؤوّلوا اسباب تطالُنا الى معرفة تلك الآثار وبعد ان صمّت آذاننا لكثرة ما شُحنت اصدافها من قوارصهم ولواذعهم اتينا سفينتنا ثم صعدنا الى بغداد . وكان اصحابنا يجرُّوننا جرًّا بالحبل شاقّين صدر الماء شقًّا » . اهـ (١

وبعد ما يربي على قرن زار تلك الانقاض أدوار إيڤ (Edouard Yves) فقال: « لا يعرف الترك ولا العرب شيئاً من امر هذه الاخربة وهم يجهلون اذا كانت تلك الآثار تدل على هيكلٍ او قصرٍ . وقد قال لنا الاسقف انهُ كان هناك في سابق الزمن هيكل على

(١ راجع Pietro Della Valle : *Voyages*, 2°. p. *Paris*. 1661 in-4, pag. 64 — 68.)

اسم الشمس وكان طول صدر البناء الباقي من ذلك الايوان في عهد هذا الانكليزي ٣٠٠ قدم وكان عرض طاق الوسط ٨٥ قدماً في ٣٠٠ ارتفاعاً وكان طول الساباط المعقود من الشرق الى الغرب ١٥٠ قدماً وتشبه الرواشن التي تُرى على الصدر الذي ينظر اليك عند الدنوّ منهُ رواشن الاديرة القديمة في بلاد الافرنج. وقد قال بكِنْغام في كتابهِ المترجم بـ «Travels in Mesopotamia» (المجلد ٢ ص ٥١٩) ما معرَّبهُ: «ان هذا البناء يظهر لمن يراهُ عن بُعدٍ مظهر ديرٍ وَسْتْمِنْسَر ما خلا صوامع نواقيسهِ القوطيَّة. امَّا الصدر الغربي فقد وقعت عليهِ ايدي الحدثان فعبثت بهِ ويوجد تحت الرواق اعشاش حمام وعقعقٍ وعصافير وطيور أُخرى. ويمكن لكل امرئٍ ان يأوي اليهِ قيد تكبُّد الشمس للفلك ومن الجانب الجنوبي يُرى بين هذا البناء ودجلة قبر ومَسجد أَبي حُذَيفة ابن اليمان (١ ولعلَّها هي الاخربة المسمَّاة في رسم الكولونل جِسْني (Chesney) باسم «Mushoffer» وعلى الضفَّة المقابلة لهُ يوجد مطحنة بارود «اسمها باروت قابي» (٢ وقد أُقيمت لباشا بغداد

«وفي جوار طاق كسرى تمتدُّ الاخربة الى عدَّة اميال ويكثر فيها الآجرّ والملاط أَيَّة كثرة حتى انهُ لا يمكن ان يخامر الشكُّ احدًا في انَّها أطلال دارسة لمدينة كانت قائمة هناك وان لم يبقَ منها جدار شاخص ومما يؤخذ من الافادات التي افادنا بها الرواة عن امتداد وسعة طيسفون نستنتج دليلًا بيّنًا يدفعنا الى الظنّ انَّ ثمَّ كان موقع تلك الحاضرة الزاهية التي اشتدَّ ساعدها في سالف الزمان

«وقد علم ايف من رأْي مبثوث في القُطر ان طاق كسرى ليس من بناء ملكٍ وطني من فارسي او اشكانيّ او تركيّ (كذا) بل ان الذي شاد ذلك الصرح ملك من الافرنج قهر تلك البلاد. فاخذ التخرُّص ايفًا ودفعهُ الى القول بانَّ باني طاق كسرى هو اسكندر المقدوني او احد نوَّابهِ. وذهب آخر الى انهُ من المناسب للصواب ان يُقال ان ذلك البناء شادهُ واحدٌ من الملوك الرومانيين ولعلهُ طرايانس لما يُرى فيهِ من طرز البناء الروماني. ومما يؤيّد هذا الراي ان اللفظة «كسرى» تدلُّ في الظاهر (على راي ادوار

---

١) وفي الاصل قد كُتب هذا الاسم بهذه الصورة: Haud Effey (؟) وهي خطأ

٢) وفي الاصل Purite Kaune (؟) وهو غلط

إيف) على معنى «قيصر» اكثر مما تدلّ على معنى «خُسْرُو» (كذا ولا يخفى ما في هذا الكلام من الجراءة والتهوُّر والخلط والخبط)

«ويُعلِّق اهل البادية بهذا الصرح خرافاتٍ واحاديث موضوعة مأثورة عن السلف كما هو دأبهم وديدنهم في مثل الابنية التي يجهلون اصلها. من ذلك انّهم يقولون ان في طاق كسرى كان مقام الملك كسرى انوشروان وكان قد امر باتخاذ سلسلة تُدَلَّى في الطريق ثم خرق لها في قصره خرقاً يوصل السلسلة الى مجلسه وقت خلوته وجعل براس تلك السلسلة جرساً. حتى اذا جاء المتظلِّم ووقف وراء القصر من خارج حرَّك السلسلة فيعلم به الملك فيتقدَّم باحضاره وازالة ظلامته (١ فجاء ذات يوم حمار وحرَّك السلسلة وتظلَّم بلسان اعجم من سوء تصرُّف سيده فامر الملك باحضار الرجل وعاقبهُ عقاباً شديداً. — ومن ذلك ايضاً انهُ جاء يوماً انوشروانَ ثعبانٌ واهدى الملك حبة بطيخ (ومن هذه الحبَّة جاء بطيخ الارض كلها) ثم حبَّة ريحان ومنهُ اسمهُ بالفارسيَّة شاهسفرم او شاهسبرم اي الريحان الملكيّ

«وعلى بعد ميل ونصف من شرقي الرواق جثوة من الانقاض كانَّها مسنَّاة قديمة وهي مربَّعة واوجهها تُناظر الشرق والغرب والشمال. ودجلة يغمر الجهة الرابعة وسمك هذا العرم ٤٠ قدماً في ٣٠ ثخناً وكل جانبٍ من جوانبها طولهُ ميل واحد تقريباً. ونظن ان هذه الاطلال كانت في سابق الزمان قلعة منيعة تحصن المدينة العظمى (طيسفون) وفي الانقاض المجاورة تُرى مسكوكات قديمة كثيرة (٢» اهـ

وكانت زيارة ايڤ لطاق كسرى ونواحيه في ٢٨ ايَّار سنة ١٧٥٨. اما نيابُهر فقد قدم العراق لكنهُ لم يزر هذه الاخربة. اما الرحَّالة بوشان (Beauchamp) فقد مرَّ بهِ في ك ٢ سنة ١٧٨١ ولم يتكلم عنهُ الَّا النزر القليل ويسميهِ طاكست او عرش كاست وهذه حروفهُ: «the - Cascet *ou* trône de Cascet» وقال بخصوص هذه الكلمة «انَّها تركية الاصل وهي في هذه اللغة مركبة من طاق وكسرة - El-Tak «Kesere» ومعناها «الطاق المكسور» (كذا) ويؤخذ من الكلام المأثور عن السلف

---

١) قلت: يروى هذا عن انصاف هرمز لرعيتهِ (راجع مجاني الادب ٤: ١٢١)

٢) راجع .Ed. Yves.: *Voyage from England to India. London 1773*)
in - 4°. p. 290 etc.

ان هذا الطاق كُسر عند زلزلة حدثت في اوّل الاسلام. اهـ (١

وبعد سنين قلائل تفقّد تلك الاخربة اوليفيه (Olivier) وكتب عنها ما يأتي:
«اذا نبارح بغداد ونتّبع ضفّة دجلة اليسرى انحدارًا نجوز بعد مسير ثلاث ساعات ديالى وهو نُهير بكبر نهر المرن (في فرنسة) واذا واصلنا السّير مدّة ساعتين ونصف نصل اخربة طيسفون وفيهـا ذلك البناء العظيم المعروف باسم «طاق كسرى» أو «ايوان كسرى» وقد جاء وصفهُ في مجـلّة العلماء ورسمهُ في كتاب رحلة ايف. وهذا الصرح مبني بالاجرّ المحرق وهو على بعد ربع ساعة من دجلة وطول صـدرهِ من جهة الشرق ٢٧٠ قدماً في ٨٦ سمكاً وفي وسط البناء رواق او عقد عظيم عرضهُ ٧٦ قدماً وغورهُ ١٤٨ قدماً وسمكهُ ٨٥ قدماً وثخن جدران العقد ٢٣ قدماً وثخن جدران صدر البناء ١٨ قدماً وفي الطبقة الاولى من مستقبَل هذا الصرح ستة ابواب غير نافذة وبابان نافذان وهناك اربعة صفوف من الرواشن متقاربة بعضها من بعض وكأنّها كانت كناديج تماثيل ويكاد يكون غورها قدماً واحدة. وللصف الذي يعلو الابواب مباشرةً رواشن أصغر بكثير من سائر الرواشن ولا يُرى ان واحدة منها كانت نافذةً وهذا ما يدفعنا الى التكهُّن بان النور لم يكن ينفذ الى داخل المقاصير من باب الصدر من البناء. وقد لعبت ايدي الحدثان بأعلى الصرح وكذلك فعلت في مقدّم العقد. امّا جوانبهُ فقد تطاولت عليهِ ايدي الدهر كل التطاول حتى انّها لبست ثياب البلى وتعطّلت ممّا كان فيها من الزخارف والحلى. وتأكّدْ ان هذا البناء قسمان الواحد في شمالي العقد والثاني في جنوبهِ وكلاهما هُدِم. ويُظنّ انهُ قد بقي منهما بعض الآثار الدالّة على صحّة هذا القول. وفي الصدر الغربي من هذا الصرح بعض بقايا جدران تنفث دلائلهُ في صـدر الباحث ما يدفعهُ الى ان يقول بان هذا العقْر كان يمتدّ بعدهُ الى نحو تلك الجهة. والراي المعوَّل عليهِ في هذه البلاد ان معنى «طاق كسرى» هو بمعنى ما يقارب قولك: «رواق خُسرُو»

ومهما يكن من هذا الشرح فانهُ لم يظهر لنا ان هذا البناء كان هيكلًا للشمس كما ظنّهُ جمهور من الناس. بل انهُ اطلال قصرٍ واسع شيّدهُ الملوك الاشغـانية في

(١ Beauchamp : *Mémoire sur les Antiquités Babyloniennes.* — Journal des Savants 1790 page 797.

طيسفون وقد اقاموا فيهِ طالما كانوا سادة تلك الاصقاع وقد ضارعوا في ذلك ملوك الفرس الذين كانوا ينزلون شطرًا من السنة « السُّوس » و« بابل » ويقضون الشطر الآخر في « همذان ». امَّا الطاق الباقي بصحتهِ تقريباً الى هذا اليوم فالارجح انهُ كان ايوان هذا القصر وقد اوجبت حرارةُ القيظ وضعهُ على ما هو. ولا يمكن ان يختلج في صدرك ان ثخن جدرانهِ واستقبالهُ للشرق لم يكونا من الدواعي الى كَسْر الحرّ فيهِ. وكان ذلك العقد يقوم مقام سرداب او بهو معقود وغائر بعض الغور في الارض كما يفعلهُ اليوم البغداديون في فصل الصيف. فكان من الواجب ان يكون لقصر الملوك سرداب ينطبق كل الانطباق على ما كان يُرى في اصحابهِ الملوك من الزهو والترَف. وعليهِ فكان من باب التحتُّم والافادة ان تكون ارفه ردهة القصر واوسعها ذاك الايوان. والارض التي يُظنّ ان طيسفون بُنيت عليها تمتدُّ الى نحو من ميلَين» (التتمَّة للقادم)

القس عبد المسيح لبيان الحلبيّ

لحضرة الاب الفاضل القس جرجس منش الحلبي المارونيّ

عرّف المشرق قرّاءَهُ الكرام بطائفة من ادباء الوطن وفضلائهِ فخلّد بذلك ذكر رجالٍ عظامٍ خدموا في حياتهم الآداب والمعارف فنالوا لدى الخاصّة الحظوى والاعتبار السامي. وما مبتغاهُ « بلّغهُ الله مناهُ » الّا احياء مآثرهم ومفاخرهم قبل اندراسها وحثّ الاعقاب على ان يجروا على آثار اولئك الجدود الافاضل فحبّذا العمل وحبّذا الغاية المرومة

وكان المشرق الاغرّ لا يفتر اذ ذاك عن استنهاض الهمّة لتحرّي البحث عن امثال اولئك الادباء الذين شادوا لهم في زمانهم صرحاً رفيعاً من العلوم او اصابوا بسموّ مداركهم مقاماً رفيعاً بين العموم. فنشّط ذلك فاتر العزيمة الى مواصلة التنقير عن آثار افاضل الوطن العزيز فوُفّقت للوقوف على نتفٍ من اخبار هذا القس عبد المسيح

العلّامة المشهور في كتاب معنون « بتاريخ كنائسي » (١ فتحرّيت جمعها ونشرها تعريفاً بفضلهِ واعترافاً بخدمتهِ آداب اللغة السريانيَّة وكتب الطقسيَّات المارونيَّة التي نسبها البعض الى غيرهِ دون بحث ولا تروٍّ وهذا اوَّل ما دعاني الى نشر هذه الترجمة فاقول وعلى الله الاتكال في كل الاحوال

١

ولد عبد المسيح بن بطرس لبيان في حلب الشهباء في مطلع الربع الاخير من القرن السابع عشر من اسرة فاضلة برحت بشراي (٢ احدى قرى لبنان وتوطنت المدينة المذكورة مع من توطَّنها من النازحين اللبنانيين في مطاوي القرن السادس عشر. واما الآن فقد انقرضت هذه عائلة لبيان ولم يبقَ منها بقيَّة فسبحان الحيّ الباقي

ولمَّا دخل عبد المسيح في ريعة الشباب آنس من نفسهِ ميلًا الى العلوم والآداب فانتظم في سلك طلبة الكتَّاب الماروني الذي كان يوم ذاك مشهوراً فتعلَّم فيهِ مبادئ اللغتين العربيَّة والسريانيَّة. ثم تدافع الى نيل اربهِ من اللغة الاخيرة وابتغى لنفسهِ سلعة سريانيَّة وملكة لغويَّة ففاق ومهر في فنون السريان وبزَّ اهل زمانهِ طرًّا في آدابهم

ثم اتصل بكوكب الشرق (٣ الخوري بطرس التولاوي البتروني العلَّامة الشهير فدرس عليهِ الفلسفة واللاهوت النظري والادبي ففاز بالتحصيل لانهُ رحمهُ الله كان بارع الفهم سريع تناول المعاني جيّد الحفظ جليداً على الدرس والمطالعة. وقد شهد لهُ بهذا كثير من معاصريهِ

وبقدر تقدمهِ في السنّ كان يزداد تقدُّماً في التديُّن والتورُّع والصلاح فكنت تراه يبكِّر الى البيعة فيقضي فيها قسماً من نهارهِ مستحرًّا بالصلاة والعبادة او قائماً بجانب الهيكل يخدم الكهنة ويساعدهم في اقامة الطرائق (الرتب) الدينيَّة بحشمة وإخبات تقرُّ لهما ابصار الحضور. فانتشر عنهُ من نفحات التقى والفضل والرسوخ في المعارف ما حبَّبهُ الى السيد ميخائيل البلوزاوي مطران حلب على الموارنة (٤ فاستقدمهُ

١) اودع هذا الكتاب مؤلفهُ المجهول تاريخاً مسيحيًّا من عام ١٧٠٠ الى عام ١٧٤٠ وليس في يدي منهُ سوى قسم يسير

٢) كذا قال صاحب الترجمة في ذيل بعض مخطوطاتهِ

٣) بهذا لقَّبهُ معاصروهُ بالاجماع على ما روى صاحب التاريخ الكنائسي

٤) تولّى اسقفيَّة حلب في سنة ١٧٠٤ وتنزَّل عنها سنة ١٧٢٥

الى جبل لبنان المبارك وهناك سامهُ كاهناً في العشر الثاني من الدهر الثامن عشر فظهر القس عبد المسيح كاهناً جليلاً غيُورًا خدم الرعيَّة والآداب خدمةً نصوحاً فنـال صيتاً صيّتاً واحدوثةً طيّبة يردّدها العارفون الى هذه الأيّام

وما عاد القس عبد المسيح الى الشهباء حتى اقبل على حراثة كرم الرب والسعي في مهامّ الكهنوت بغيرة لا تعرف ما الكلل ونهضةٍ لا تدري ما الملل. فعرف لهُ الاسقف والشعب هذه المزيّة فاقاموهُ وكيلاً على دخل كنيسة القديس الياس المارونيّـة فقام باعباء الوظيفة احسن قيام وانمى ريعها وضبط حساباتها بكل اجتهاد وامانة شأنهُ في كل عملٍ وامرٍ الى ان تنزَّل عنها للقس رزق الله الدويهي (؟) في ١٩ تموز احد شهور عام ١٧٢٥ على ما قال صاحب التاريخ الكنائسي المذكور آنفاً

ثم تولّى ايضاً مهنة تدريس اللغة السريانيّة مدّة معتبرة في الكتّاب الماروني السابق الذكر فاحسن فيهِ التعليم والتوقيف واجاد في الالقاء والتثقيف فحاز بعض تلاميذهِ قصب السبق بهذه اللغة واشتهروا في زمانهم بمعرفة آدابها

وفي ٢ ايّار من عام ١٧٢٤ قدم الشهباء القاصد الرسولي السيد جبرائيل حوّاء ترويحاً للنفس ومشاهدةً لاخوانهِ واقاربهِ فسوّلت لهُ النفس ان يتعاطى بعض الشؤون الطائفيَّة التي ليس من شأنهِ تعاطيهـا بل من شأن الاسقف المكاني فهبّ لمعارضتهِ ومعاكستهِ جرجس ابو موسان (١ احد المقلقين المفسدين وتمكن من ان يحمل المطران المذكور على ان يزايل الشهباء مهاناً فبرحها في ٦ اذار سنة ١٧٢٥ وفي قلبهِ حزازات. فاغتنم هذه الفرصة حساد القس عبد المسيح وشرعوا يقلقون مدّعين عليهِ بانهُ كان ممّن شايع وبايع على ذلك العمل الشنيع. والحق يُقال انَّهُ رحمهُ الله لم يكُ لهُ فيهِ ضلع او تشيُّع اصلاً. ولكن اعداءَهُ الاغرار ما انفكوا يقلقون حتى تمكَّنوا من ابعادهِ الى جبل لبنان فانتهى اليهِ في ١٦ من تموز احد شهور سنة ١٧٢٥ ففحص دعواهُ البطريرك يعقوب عوّاد بكل تدقيق فرآهُ «مسكيناً ولهُ تعب في الرعيَّة» (٢ فبرّأ ساحتهُ من

١) «في سنة ١٧٢٥ ورد امر من الدولة العليَّة في ضبط رزق جرجس موسان وهذا كان ضربة من الله لانهُ هو الذي سعى بطرد ابن الحوّاء من حلب». انتهى عن تاريخ مخطوط للرهبانية اللبنانية يُرجح انهُ من تأليف القس ارسانيوس حكيم الذي تسقف على الشهباء سنة ١٧٦٢

٢) عن التاريخ الكنائسي بالحرف الواحد

تلك التهمة الشنعاء وامرهُ بالعود الى وطنهِ مكرَّماً مبجَّلاً فكبت كل حسَّادهِ كبتاً مبيناً

وقبل ان يعود الى الشهباء قابل اسقفهُ الجديد العلَّامة الخالد الذكر السيد جرمانوس فرحات الشهير فرحّب بهِ وطيَّب خاطره واصحبهُ بكتاب منهُ الى رئيس الكهنة القس جبرائيل حوشب ووكلاء الكنيسة يأمرهم بهِ" ان لا يعارضوهُ في شيء لانهُ فقير ومديون وان يردّوا لهُ الكالور (١ الذي انقطع عنهُ مدَّة غيابهِ (٢ ثم قفل بعدئذٍ الى حلب فوصل اليها في ٧ ايلول من السنة المار ذكرها فرحاً مسروراً

٢

ان قلَّة ذات يد القس عبد المسيح حملتهُ على ان يتعاطى منذ شبابهِ مهنة النسخ التي كانت معتبرة في ذلك العهد وثابر على تعاطيها الى آخر حياتهِ. فترك بعدهُ كثيراً من الكتب التي خطَّتها يمينهُ الطاهرة في اوقات متباينة وقد رأيت لهُ منها نحو مئة كتاب ولم تنحصر مخطوطاتهُ في الشهباء فقط بل انتشر قسم منها في انحاء لبنان وبيروت.وقد طُبع عنها قدَّاس رسم الكأس وكتاب منارة الاقداس وغيرهما فشهد الطابعون في خطّهِ بانهُ من احسن الخطوط السريانيَّة ولا بدع فخطّهُ جامع بين الحسن والرونق والتناسب والتفنُّن كما روى كلٌّ من طالع مخطوطاتهِ

ولمَّا قدم الشهباء المثلَّث الرحمات السيد جرمانوس فرحات السابق الذكر قدَّر المترجَمَ بهِ حقَّ قدرهِ وقرَّبهُ اليهِ ورفع شأنهُ وجعلهُ من اعضاء مجلسهِ العلميّ (٣ ونشَّطهُ الى التأليف ونسَّخهُ مؤلفاتهِ والكتب الطقسيَّة وكان يواصلهُ عن اتعابهِ بالصلات المتتابعة فتحسَّنت معها حالهُ بعد الفاقة والإملاق

فكان القس عبد المسيح في تلك الاثناء يقصِّد القصائد ويزاول مهنة النسخ ويثابر على التعليم والتثقيف ويلازم التحبير والتأليف في اللغة السريانيَّة فألَّف ثلاث عشرة صلوة طقسيَّة امتازت بحسن السبك وجودة المعنى والتفنن في الاساليب الشعريَّة

---

١) الكالور او الكارور كلمة ارمنيَّة حرَّفها العامَّة وارادوا بها دخل الكهنة او مرتَّبهم

٢) عن التاريخ المذكور بحرفهِ

٣) سترى شرح ذلك في ترجمة السيد السابق الذكر

فعدَّها غير واحدٍ من العلماء من الطبقة الاولى في الصلوات الطقسيَّة المارونيَّة

وهاك اسماء ما خلَّفهُ من الآثار العلميَّة: ١ً صلوة احد الوردنيَّة (مساء وستار وصبح وساعة ثالثة) قال انهُ انتهى من تأليفها في غرَّة تشرين الاول من سنة ١٧٢٦ للمسيح = ٢ً صلوة عيد جميع القديسين (مساء وستار وصبح) قال انهُ انجز تأليفهُ في اواخر تشرين الاوَّل من السنة المذكورة = ٣ً صلوة عيد القديس جاورجيوس (١ (مساء وستار وصبح) قال انهُ اتمَّ تصنيفها في ٢٠ نيسان من السنة المار ذكرها = ٤ً كتاب الحسَّايات التي تُتلى في ستَّار (٢ اسابيع الصوم والعجائب والشعانين والحواريين(٣ قال انهُ انجز تعريبها من السريانيَّة في اواخر حزيران من السنة عينها = ٥ً صلوة الاحد الاوَّل بعد العنصرة (مساء وستار وصبح) قال انهُ انهى نظمها في اواخر نيسان من عام ١٧٢٧ = ٦ً صلوة الثالوث الاقدس (مساء وستار وصبح) قال انهُ اتى على تأليفها في اواخر أيَّار احد شهور العام الآنف الذكر = ٧ً كتاب الصلوات (العطورة) الغير المنظومة في الشحيم (٤ اتمَّ ترجمتها من السريانيَّة بامر المطران جرمانوس فرحات الشهير (٥ في ٨ آب سنة ١٧٢٨ = ٨ً صلوة الاحد الجديد وعيد مار توما الرسول (مساء وستار وصبح) قال انهُ انتهى من تصنيفها في اوائل تشرين الاوَّل من عام ١٧٢٩ = ٩ً كتاب حسايات الشحيم (٦ انجز تعريبها عن السريانيَّة (٧ في ١٩ نيسان من سنة ١٧٣٠ = ١٠ً صلوة عيد الحبل بلا دنس (مساء وستار وصبح) قال: كان التجاز من تأليفها في ١٣ آب من عام ١٧٣١ = ١١ً صلوة شرف مريم العذراء (مساء وستار وصبح) قال انهُ اتمَّ تصنيفها في اواخر نيسان سنة ١٧٣٣ = ١٢ً

١) هي غير صلوة مار جيورجيوس المثبتة في كتاب الفنقيط الصيفي
٢) امَّا حسايات المساء والصبح فمن ترجمة العلَّامة الطيّب الذكر المطران جرمانس فرحات
٣) اطلعتُ على هذا الكتاب بخط مترجمهِ وهو من تعريب المطران المذكور
٤) طالعتُ هذا الكتاب بخط مترجمهِ القس عبد المسيح فلم ارَ ذكرًا للخوري انطونيوس شهوان القسطاوي كما يُرى في بعض النسخ المخطوطة بلبنان فاقتضى التنبيه
٥) هذا الكتاب من تعريب المطران المذكور
٦) الكتاب مصحَّح بقلم المطران الآنف الذكر
٧) اطلعتُ على هذا الكتاب بخط مترجمهِ في مكتبة جناب الشهم الماجد رزق الله بن شكري ايوب الماروني

صلوة عيد مار مارون الناسك (١ (مساء وستار وصبح) قال انهُ انتهى من نظمها في ١٨ تموز من سنة ١٧٣٣ = ١٣ً صلوة عيد القربان الاقدس (٢ (مساء وستار وليل وصبح وساعة ثالثة) قال انهُ انجز تأليفها في اواخر أيَّار من عام ١٧٣٩ = ١٤ً كتاب السواغيت (٣ اتمّ تعريبها عن السريانيَّة في اواخر تموز من سنة ١٧٣٥ = ١٥ً صلوة الستار لمعترفٍ ما (٤ ألَّفهـا في اوائل حزيران من عام ١٧٣٩ = ١٦ً صلوة رسولٍ ما (مساء وستار وصبح) قال انهُ اتى على تصنيفها في اوائل أيَّار سنة ١٧٤٠ = ١٧ً صلوة عيد مار الياس النبي (مساء وستار وليل وصبح وساعة ثالثـة) قال انهُ انجز تأليفها في اوائل تموز من عام ١٧٤٠ = ١٨ً صلوات ستَّة استعداد الميلاد (٥ نسخها الشدياق فرنسيس بن الياس فتح الله الماروني سنة ١٧٦٠ = ١٩ً صلوة مار ميخائيل وجبرائيل اصلح عبارتها واضاف اليها بعض صلوات من صلوة شرف العذراء واتمّ ذلك سنة ١٧٣٠ = ٢٠ً صلوة الاحد الاوَّل من الصوم اصلح عبارتها ايضاً والحان الستار من نظمهِ كما يظهر بالمقابلة

هذا ما رأيت لصاحب الترجمة من التآليف الغرّاء وقد طالعتها كلها مخطوطة بيمينهِ الطاهرة ما خلا صلوات اسبوع استعداد الميلاد كما علمت سابقًا والذي يظهر لي ان الاجل لم يفسح لهُ مجالًا لتبييضها او نسخها . ولا بُدَّ لك من ان تعلم انهُ رحمهُ الله لم يراعِ فيما ألَّفهُ من الصلوات الَّا فخامة الكلمات وتوافق الجناسات وانسجام السجعات وما اشبه ذلك من المحسِنات اللفظيَّة التي وسموها بالفنون البديعيَّة فجاءت عبارتهُ لا تخلو من المعاني الجليلة غير فاقدة الاساليب الرفيعة

ولا بدع فانهُ كان ابرع اهل السريانيَّة في عصرهِ وادقّهم علماً بمواضع الالفاظ وارحبهم فهماً برونق التأليف . فاذا نظرت الى كلامهِ كلمةً كلمةً حسبتها جواهر يشبُ

١) عزا البعض هذه الصلوة للبطريرك العلامة يوسف اسطفان المتوفَّى سنة ١٧٩٣

٢) هي غير الصلوة التي الفها المطران جرمانس فرحات المذكور مرارًا

٣) هذا الكتاب يحوي ترجمة نحو ١٠٠ سوغيت من سواغيت الاعياد الاحتفالية لكنَّ ترجمتهُ ركيكة لان صاحب الترجمة لم يكن ماهرًا في اللغة العربيَّة

٤) أمَّا صلوة المساء والصبح فمن نظم القس الفاضل عطا الله زنده الحلبي

٥) وهم البعض ان هذه الصلوات للمطران الفاضل يوسف اسطفان المتوفَّى سنة ١٨٢٣

بعضها بعضاً . كيف لا وهو البليغ الذي لم تكسر الفهاهة معنًى خلج في صدرهِ والفصيح الذي لم تحجب اللكنة خاطرًا دارَ في خلدهِ . فأيّما خاطر خطر له وايّما معنى تصوّره ُ ابرزه ُ كاسياً بحلّة البيان والجناس والبديع وتلك غايةٌ قلّ من انتهى اليها احد من معاصريهِ

ثم طعن هذا الاب الفاضل في أيامهِ فعانى مشاقّ الشيخوخة مع اتعاب التأليف والنسخ بمزيد الصبر وملازمة التجلُّد . وما زال يعدّ نفسهُ للاقاة ربّهِ الى ان فاضت اليهِ تعالى في ٣١ من اذار احد شهور عام ١٧٤٢ للمسيح فعظم المصاب فيهِ على آداب اللغة السريانيَّة التي اعاد اليها الفخر والمجد وافل بافولهِ كوكبها المنير ومن عجبٍ ان يأفل الكوكب في اللحد

فلئن بكتهُ أسًى يحقُّ لها او لا ففي سعةٍ من العذرِ
فلمثلهِ جرت العيون دماً ولمثلهِ جمدتْ فلا تجري

وكان على ما افاد معاصروهُ قويَّ البنيَّة ربعة القوام سهل الاخلاق رحب الصدر ثَقوب الرأي يقظ الفؤاد مكرّم الجانب متوقّد الذهن حسن البيان فصيح اللسان بليغ الكلام كثير المحفوظ حازماً مقداماً عالماً عاملاً شاعرًا مفلقاً نبيغاً . رحمهُ الله عداد حسناتهِ وافرغ عليهِ شآبيب عفوهِ ومرضاتهِ

تباين الحظوظ بين الناس

لحضرة المنسنيور يوسف العلم النائب الاسقفي

خطاب تلاه في غرفة القراءة لاخويَّة القديس مارون في ٣١ تموز سنة ١٩٠٢

انّنا في كلامنا السابق « في الالفة البشريَّة » (١ في هذه الغرفة البهيَّة وعدنا بالجواب على اعتراضين أوردهما المخالفون حرصاً على الالفة : (اوّلهما) لماذا لم تكن الارضون مقسومة بين الناس قسمةً متساوية حفظاً للالفة بينهم او لماذا لا تُقسم الآن بالتساوي دفعاً للنفار الذي يحصل بينهم من عدم تساويهم في اقتسامها . (ثانيهما) لماذا تباين الناس

١) راجع المشرق (٥ : ٦٥٤)

في الحظوظ تبايناً مبيناً على حين قد خُلقوا من اصلهم للالفة فانهُ لا يلائم مبدأ الالفة على زعمهم ان يُرى هذا غنياً سريّاً معما هو عليهِ من نواقص المعارف ونقائص الاعمال وذاك على ما فيهِ من سموّ المدارك وحسن المسالك في اسوإ حال لا قيمة لهُ ولا قدر وكأني بهِ يقول:

وكم اخطرُ في بالٍ ولا اخطرُ في بالِ

فلو وُجد توفيق بين الناس في هذا الامر بان تكون خيور هذه الدنيا لهم بحسب استحقاقهم من جهة فضلهم وعقلهم وجدّهم لاستتبَّت الالفة بينهم. فانجازاً للوعد وحبًّا بتتمّة الفائدة من كلامنا على الالفة البشريّة ولواحقها اقول الآن

الردّ على الاعتراض الاوّل في اقتسام الارض المتساوي بين الناس

ان الاعتراض الاوّل ليس من ورائهِ كبير امر ولا هو من المشاكل لكن احبّ ان يتعلّل بهِ بعضٌ من اخوان البطالة والطيش سدًّا لمطامعهم من ثروات الاغنياء بدون ان يُتعبوا انفسهم في عمل على حين انّ الانسان ترتّب عليهِ منذ اوائل عهده تحصيل معاشهِ من تعب يديه وعرق جبينه متشاغلًا في تقليب هذه الارض التي كانت اوّلًا للجميع مشاعاً لكن لمَّا اخذوا يتكاثرون فيها غشي كلٌّ قسم منهم قسماً منها وشغلهُ فملكهُ. وهكذا بالتدريج الى ان صارت كلُّها مملوكةً وهذا مطابق للعقل والعدل والتاريخ

فلو أحيينا الآن حبًّا بخاطر اصحاب هذا الاعتراض ردّها الى اصلها وقسمناها على الاهلين فاخذ هذا قسمهُ وشغلهُ وبالغ في العناية بهِ وتدبّر في أمر معاشه فصـار غنياً مثرياً امَّا ذاك فعمل بالعكس على ما نرى الآن بامّ العين في العيال الغنيَّة فان بعضاً منها يأخذ قسمهُ ويزيده بجدّهِ وادارتهِ والبعض الآخر لا يلبث ان يبدّد نصيبه من بيت والدهِ تبديد الابن الشاطر المضروب مثلهُ في الانجيل الكريم فيلزمنا عند ذلك ان نعيد القسمة كل يوم ولكن من دون فائدة لا بل يجرّنا ذلك الى تشويش نظام الكون وتوريط اهل الكسل في غيّهم

هذا فضلًا عن حجّة ثانية ترد علينا من وراء هذا الاقتسام المطلوب وهي لو انّنا قسمنا ارضاً بين قبيلتين فنمت الواحدة منها بعد القسمة حتى صار عددها عشرة آلاف نسمة مثلًا. وامَّا الثانية فلم يكثر عددها بل تناقص ومن ثمّ لم يبقَ توازن بين القبيلتين في العدد فكيف يكون العمل . . .

انهُ لا توفيق في هذا المبحث الّا بما رسمهُ الكتاب العزيز وهو ان الاغنياء عليهم ان يوزّعوا من فضَلاتهم على المساكين مستخدمين لهم في اشغالهم وعلى المساكين ان ينفعوا الاغنياء في اجتهادهم وخدمتهم في مصالحهم فهذه هي قاعدة الاقتصاد المسيحي وهو مطابق للعدل والعقل . قال فم الذهب : « وما مثَلُ هؤلاء واولئك الّا مثَل البطن والاعضاء فان البطن حقُّهُ ان يتناول الطعام لكن لا لحفظهِ برمَّتهِ لنفسهِ بل لتوزيعهِ على الاعضاء حتى اذا لم يوزّعهُ وترك الاعضاء تذوب جوعًا وتضوُّرًا قامت كلّها عليهِ واوقعت بهِ . فعلى هذا النحو تُحفظ الالفة بين الناس بأن يُساعد الاغنياء الفقراء باموالهم ويساعد هؤلاء اولئك مبتعدين عن دكّات البطالة وحانات اللهو متشاغلين في امورهم فيصحّ لنا ان نقول حينئذٍ ما قالهُ احد الائمة العقلاء وهو ان معاهد الالفة الحقيقية انَّما هو الدين القويم وان النصراني الصحيح هو الفيلسوف والمقتصد الحكيم » اه

الردّ على الاعتراض الثاني في تباين الحظوظ بين البشر

واماّ الاعتراض الثاني بتباين الحظوظ فالجواب عليهِ يوجب علينا ان نأتي اوّلًا على ذكر شيء من امور العناية الصمدانيَّة ولستُ اظنّ انَّ بينكم من يشكُّ في وجود هذه العناية وشمولها لهذه الموجودات باجمعها وهو يعرف ويعتقد ان الله تعالى هو الخالق لهذه الموجودات وانَّها لم توجد من نفسها وان بينهُ وبينها نسبةً تستدعي منهُ حفظها والعناية بامرها على انَّ الصانع الحكيم لا يعنيه فقط إحداث عمل من صناعتهِ بل يعنيه ايضاً الاهتمام ببقاء ذلك العمل وصيانته . وايُّ مهندسٍ عاقل يبني جسرًا مثلًا ولا يُعنى بامر بقائهِ ودوامهِ . وايُّ ساعاتي لا يهمُّهُ دوران الساعة التي ركَّب ادواتها وهاكم النظام الغريب في مدار هذا الفلك الفسيح فانهُ اعظم دليل على وجود العناية . فكيف استوت يا ترى هذه الكواكب العديدة المختلفة الاجرام كل هذه المدَّات المديدة في مركزها دون تقلقل وكيف استمرَّ دورانها كل هذه الاجيال الطوال دون اختلال ولا اعتلال وكيف لم تختلف قطّ ايَّامها ولياليها عن ترتيبها منذ عهد ابداعها وكيف حُفظت هذه الموازنة فيها لولا العناية . وزد عليهِ ان هذه الكائنات عديدة ومختلفة ذات خصائص وطبائع متباينة فلا بُدَّ ان تكون مربوطة بنظام وترتيب وان كان هنالك نظام وترتيب لزم ان تكون بداءة وغاية ووسائط تؤدّي الى الغاية وهذا كلهُ يستلزم وجود عناية لان سَوق الاشياء الى غايتها لا يتمّ بدون عناية مَن خلقها لتلك الغاية

ذا لا يتمّ بدون معرفة الماضي والحاضر واستدراك المستقبل ومَنْ تُرى يعرف
ضي والحاضر والمستقبل غير الله

وما لنا وهذه الاستدلالات ونظام هذا الكون لا يُتصوَّر قيامهُ بدون حكمة
سية وقدرة الهيَّة ونحن كلُّنا مسيحيُّون بنعمة الله ونعتقد وجود عناية في الله بخلائقه كلها
هُ هو الذي ابدعها وهو الذي يحفظها ويدبّرها . وهذا الكتاب المقدَّس فانهُ اهمّ
يخ لاعمال العناية الالهيَّة حيث ابان لنا تصرُّفات العناية منذ البداءة في حقّ آدم ونوح
رهيم وموسى وداود وغيرهم كثيرين في جميع حركاتهم وسكناتهم بما بذلت لهم من
سائل وقيَّضت لهم من التدابير العجيبة لا بوجه الاجمال بل بالخصوص . فايُّ عاقلٍ
لع تاريخ هؤلاء ولا يرى ظاهرًا ان هنالك عناية سمويَّة ساقت نوحًا الى عمل فلكٍ
سا بِهِ هو وعائلته من غائلة الطوفان . وان تصرُّفات يوسف في ظهراني اخوته وفي
سه وفي قصر فرعون لم تكن من باب الخبطة والاتفاق . وان اعمال موسى في جانب
ون وشعب اسرائيل لم تكن من وجه الاتفاق والصدفة بل كانت كلها مرتَّبة
ظَّمة ومنسوقة ومسوقة ترمي الى غايات مخصوصة واغراض معيَّنة . وهذا الانجيل
ُ قد ابان لنا بعبارة صريحة عناية الله في جانب خلائقهِ كلها كاشراق الشمس وانزال
ر وكالطيور في غذائها وقوتها وطيرانها وهبوطها وكاعشاب الحقول في كسائها من
ور الزهيَّة اثوابًا لم يلبسها سليمان الحكيم في ريعان مجدهِ وعزَّتهِ السنيَّة . واما في
نا نحن مخلوقاته الناطقة فان عنايتهُ فائقة ومتناهية بحيث أتت بما لم تأتِ بهِ امٌّ من
نهات من احصاء شعور رؤوسنا محافظةً علينا

يقول البعض انَّنا اذا نظرنا الى تصرُّفات العناية وجدنا فيها احيانًا اعمالًا لا تخلو
المغامز والمعايب الغير اللائقة كرمي يوسف مثلًا في الجبّ والحبس وبيعه من اخوته
ء موسى في الماء وهربهُ الى البرّيَّة لرعاية غنم حميهِ الى غير ذلك من الاحداث التي على ما
ر لا تُشعرنا بان عناية الله كانت ساهرةً على اولئك الرجال تدبّر امورهم بضبطٍ
قيق . وهكذا قل في الاحداث العموميَّة كالخطيئة الاصليَّة التي جلبت المضارّ على
ر وبروز الهرطقات في الكنيسة المقدَّسة ونظائر ذلك فكيف تكون العناية والحالة
ه مستوفية كامل مقتضياتها من الدقَّة والضبط في تصرُّفاتها

اقول ان الجواب على هذا يدعونا الى استيضاح بعض قواعد عامَّة وهي اولًا ان

اجزاء الكون واطرافه باجمعها مترابطة متشابكة ببعضها حتى اظنّ انك لا تقدر ان تعرف جزءًا منها دون غيره بل بالاحرى من دون ان تعرف الكل . وبموجب هذه القاعدة متى رأيت حدثًا جللًا ورمت ان تحتكم فيهِ يلزمك قبلًا ان تعرف وقوع هذا الحدث في ايَّة حلقة من حلقات السلسلة المربوطة بها اطراف هذا الكون وان تعرف ما العلاقة بين حلقةٍ وحلقة اي ما لذاك الحدث من النسبة الى الحوادث الماضية والحاضرة والآتية. فان بعض الحوادث لا يُتوصَّل الى معرفة حقائقها ولواحقها ومندرجاتها ومتعلقاتها الَّا بعد مرور اجيال فكيف يمكنك والحالة هذه ان تحكم في امرٍ لست ترى منهُ الَّا شيئًا طفيفًا وقد تمرُّ الاجيال عليهِ ولا تزال اشياء منهُ غامضةً عليك. « عرفت شيئًا وقد فاتتك اشياء ». كما قال المعلم بسكال . قال القديس اغوسطينوس : « ان قدرت ان تعلم كل شيء من هذا الوجود فاحتكم وسبّح بحمد ربّك واما اذا لم تقدر ان تعلم الَّا اشياء طفيفة جدًّا فكيف تتجرأ ان تحتكم في الكلّ والكلّ كبير وعظيم جدًّا ». وقال فم الذهب : « ان شئت ان تحكم حكمًا قويًا في الامور فانتظر نهايتها . فما قولك برجل ينسب الفلاح الى الجهل والغباوة لانهُ يراهُ يبذر بذارهُ في الارض فيظن انهُ يتلفها بذلك اليس هو احقُّ منهُ بالملامة والتقريع اذ لا ينتظر ايَّام الحصاد فيرى السنابل حوامل والحبَّة الواحدة توفَّرت فصارت ثلاثين وستين ومئة فكذلك لا يمكنك ان تدرك اعمال الخالق وتحكم فيها لقصر فكرك فانتظر النهاية يَنجلِ لك كلُّ شيء . »

وبناء عليهِ لا يسوغ لنا ان ندين العناية العلويَّة ولا ان نعيب تصرفاتها فيما لو تسامحت احيانًا بوقوع ما لا نراهُ نحن ملائمًا كمعصية آدم مثلًا فانّنا اذا لم نُراعِ كل ما يلزم مراعاته ونعتبر كل ما يلزم اعتباره من كل جهة ضللنا في الحكم واخطأنا. ولكن متى لاحظنا جيّدًا ان الله قد انعم على الانسان باجلّ هبة واشرف نعمة وهي الحريَّة الَّا ان الانسان تصرَّف بحريتهِ واساء في تصرفهِ واما الله جلَّت حكمتهُ فاستخرج من هذا الشرّ خيرًا لنا ومجدًا لاسمهِ وذلك بتجسُّد ابنهِ يسوع المسيح الذي رفع الطبيعة البشريَّة الى اشرف مكانة وجعلها عن يمين الله في السماء وصيَّرنا نحن اولاد آدم ورثةً معهُ في ملك مجدهِ ومجَّد اباهُ مجدًا لا يعادلهُ مجد فكان الخير اعظم بكثير من شرّ تلك المعصيَّة ومن ثمَّة كان حكمنا على عنايته تعالى غير مصيب

تقول ولماذا اعطى الله الانسان هذه الحريَّة وتركهُ وشأنهُ يعمل ما يشاء . اجبتُ

لله انما قصد في اعطائهِ الحرّية للانسان امرين خير الانسان ومجد اسمهِ عزَّ وجلّ
نسان الذي لا يحسن التصرّف بحريتهِ يكون هو الذي اختار خسارة خيره وجلب
الضرر بهواه ورضاهُ واماَّ الله جلّ وعلا فانهُ لا يدع مجد اسمهِ ان يلمَّ بهِ اذى اذ
عند ذلك في جانب هذا الانسان مقتضيات العدل ويستبقي شرفه سالمًا غير
س. وعليهِ فالشرور التي نراها نحن لقصر عقلنا غير ملائمة في حقّ العناية الصمدانيّة
يكون كذلك في نفسها عند الله اذ لا لوم على العناية ولا ذنب والله بسامي تدبيرهِ
الغاية المرتّب لها هــذا الوجود في كل الاحوال ولا يكون خاسرًا الّا الانسان
ما احبَّ ان يتصرّف بحريتهِ تصرّفًا حسنًا بل اختار برضاه ان يخالف النظــام
وع لهُ من ترتيب العناية

واماَّ قولك: «ولماذا ترك الله الانسان لحريتهِ يعمل كلّما يشاء» فالجواب عليهِ هو
له تعالت حكمتهُ قد احبّ ان يكون الانسان انسانًا واماَّ انت فكأنك تحب ان
ن الانسان حيوانًا اعجم لا بل جمــادًا. الله جلَّ جلالهُ احبّ ان يكون للانسان
في اعمالهِ ويتحلّى باشرف مزيّة وانت تريد ان تنزع عنهُ هذا الفضــل وتلك
. قل لي بحقك ايُّ فضلٍ كان للانسان في اعمالهِ لو كان يأتيها اضطرارًا واجبارًا
ون رضى ولا حرّية ولا اختيار. وهل كان يترتّب لهُ عليها ثواب ام كان يترتب
منها عقاب. وما كانت الفائدة من الشريعة التي تأمرهُ بالخير وتنهاه عن الشرّ ان
يس لهُ حرّية في اعمالهِ. وايُّ عدلٍ كان في المحاكم التي تقضي على ذلك الجاني
دام او بعقوبة زجرًا لهُ ولغيرهِ عن ارتكاب المعاصي. لا بل ما كانت الفائدة من
ن نفسها لو كان الانسان عديم الحرّية والاختيار في اعمالهِ. ولعمر الحقّ انهُ ليتولّانا
ب عند ما نرى مثل هؤلاء قد انكروا عليهِ الحرّية وهو يشعر بها من ذات
. فمن حاول ان يعرّي الانسان من اشرف هبة نالها من مراحمهِ تعالى قد احبَّ مسخهُ
لا يكون انسانًا وبعبارةٍ ثانية قد احبَّ إبطال هذا الكون الادبيّ بجملته لانهُ اذا
كن للانسان حرّية صحيحة لم تكن فائدة من وجود الاحكام والاديان فتأمل

ان من عرف شرف الحرّية وفضلها عرف حكمة العناية الالهيّة في رعاية جانب
الحرّية في الانسان فان الاكرام الذي يؤدّى لله تعالى من انسان واحد من الناس عن
حرّية واختيار لهو اعظم من الاكرام الذي يتقدَّم لهُ تعالى من جميع الخلائق العجماء

لان هذا التكريم من هذه الخلائق هو حاصل لله من نفسه اي حاصل من الخلائق بلسان حالها لا من علمها ورضاها بخلاف التكريم الذي يناله الله من الانسان فانهُ تكريم صحيح حقيقي لانهُ صادر عن حرّية ورضى واختيار فهو والحالة هذه اشرف وافضل مما لا يُقاس لصدوره من خليقة تريد ان تكرّم خالقها وان تحبه وان تعبده برضاها وحرّيتها واختيارها وهذا الفرق ظاهر لا يحتاج تبياناً ومن انكرهُ كان كمن لا يفرق ما يلقاه من اميال بنيه عمّا يلقاه من اميال مواشيه. قال المعلّم الملكيّ: «اذا زالت الحرّية من الانسان زال معها منّا الاختيار وزال الاغراء والتحريض والامر والنهي والاقتصاص»

هذا ولا تقوم الحرّية في الاقتدار على عمل كل شيء من خير او شرّ ومليح او قبيح بلا قيد ولا حدّ فان هذه الحرّية المطلقة العنان التي لا تُقيَّد في اعمالها ليست هي الحرّية الصحيحة المنظَّمة لانّ قوام الحرّية انما هو في اقتدارها على عمل ما لا ينهى عنهُ العقل وترك ما لا يحسن عملهُ اي في اختيار ما ترسمهُ الشريعة لاننا لو اطلقنا للحرّية العنان لعمل كل شيء خارجاً عن الشريعة وفي دائرة الشريعة لاقينا من وراء ذلك ما لا نريد بل لاقينا المُحال. وذلك لو أبحنا لزيد مثلًا ان يعمل كل شيء لزمنا ان نبيح لعمرٍو مثلهُ عمل كل شيء. وهذا محال اذ يعود عمرو ضدًّا لزيد لا بل يعود الباقون كلهم ضدًّا لهُ اذ نكون ابحنا لهُ كل شيء ولهم ابحنا كل شيء. فكيف التوفيق بينهم والحالة هذه أليس هذا التوفيق من المحال

فالشريعة اذًا هي صوان الحرّية وحماها لان الذي يعمل بحسب الشريعة لا يقدر ان يمسَّهُ احد فيمنعهُ عن عمله او يجبرهُ عليهِ لان الشريعة ملجأهُ وحماه. قال شيشرون قولًا بديعاً في هذا الخصوص: «انّا اذا ما تقيّدنا بالشريعة صرنا احرارًا». فالحرّية اذًا لا تقوم باطلاق العنان لها في اعمالها بل في اختيارها هذا العمل او ذاك اي في امكانها ان تعمل ما يُراد عملهُ وان تترك ما لا يُراد عملهُ. فلو ترك الله الانسان وشأنه في استعمال حرّيته في كل شيء. لما تبقّى لهُ الى ملامته سبيل وكان مثَلُهُ مثل ربّ بيتٍ ترك عبيده يعملون ما يشاؤون فعملوا ما لا يريد فاذا لامهم عليهِ وهو لم يضع لهم دستورًا يمشون عليهِ في خدمته كان لومهُ لهم في غير محلّه لا بل كان ظلماً تعالى الله عن ذلك

السرّ في تباين الحظوظ

فلنأتِ الآن بالجواب على السؤال الاخير بخصوص تباين الحظوظ بين الناس ومداره

امران (اوّلها) تباين المواهب والحالات (ثانيهما) اشتراك خيور الدنيا بين الاخيار والاشرار

وقد طالما طرح هذا السؤال في الاعصر الخوالي وكثيرًا ما ترى الناس يكررونهُ وهو لماذا نرى الاخيار في سوء حال والاشرار في حسن حال وعلامَ اولئك الفضلاء العقلاء يشقون وهؤلاء الجهلة السفها ينعمون. ان الجواب على تباين المواهب والحالات بين الناس لا يخفى على من طالع مقالتنا السابقة في « الالفة البشرية » (راجع المشرق ٥:٦٥٤) حيث اثبتنا ان العناية الالهيَّة قد وزَّعت مواهبها بين البشر ضنًّا منها على حفظ الالفة ليكون الواحد مفتقرًا الى الآخر كما وزعت في الارضين غلّاتها لتحصل المواصلات والمعاملات وكلها وسائل للالفة وابرام حبالها

امَّا الآن فعلينا ان نبحث بحثًا مدققًا في تباين الحظوظ بين الناس وكثيرًا ما بحث عنهُ قبلنا اعلام العلماء واقطاب الايمّة لانهُ من المشكلات المعضلات اذ نعلم حقيقةً من جهةٍ ان عناية الله شاملة الجميع وانهُ يحب الابرار ويبغض الاشرار لانهُ صالح وقدوس فمن الواجب اللازب ان يوفّق الابرار الى كل خير ويتعقَّب الاشرار بكل ضير. الّا اننا من جهة أُخرى نجد الامر احيانًا كثيرة على خلاف ذلك فتأخذنا الدهشة والحيرة حينئذٍ من ماجريات العناية على هذه الصورة. وهذه خيور الدنيا تنحصر في اربع صحَّة وثروة ووجاهة وحياة فاذا نظرنا الى الصحَّة مثلًا نرى ذاك اللص الشرير مالكًا منها جانبًا عظيمًا اذ نجدهُ صحيح الجسم قوي البنيَّة ونرى هذا العابد المتهجد ضعيفًا نحيفًا:

كهلال الشكّ لولا انهُ أنّ عيني عينهُ لم تتأيِ

وهكذا الثروة فان ذاك الجاهل الكافر شبعان متموّل وهذا الفاضل العاقل جوعان متسوّل. وكذلك الرفعة والوجاهة فانك ترى ذاك المعوجّ الذي لا يعرف الاستقامة والعدل سائدًا متوجهًا يقول ويطول وهذا المستقيم المنصف مرفوت معزول لا يطلب صعود درجة من الرفعة والمناصب حتى تتلقاهُ عقبات ومصاعب. وهكذا الامر من جهة الحياة فانك تجد ذلك القاهر الغادر يعيش عيشًا رغيدًا مديدًا وهو يُميت كثيرين بظلمهِ وغدرهِ وترى ذاك المحسن الكثير المبرّات الذي احيا كثيرين بحسناتهِ وصدقاتهِ تغتالهُ المنيَّة قبل ميقاتهِ وراثيهِ ينشد حولهُ:

ولكنَّ المصيبة فقد حرٍّ يموت لموتهِ خلقٌ كثيرُ

هذا ثمَّ انّنا في طورٍ آخر نجد العكس في كل ما ذُكر فاننا نرى بعض الاشرار يقصفهم الله في ريعان عمرهم وبعضهم يصبحون لا يملكون شروى نقير بعد ما كانوا من اصحاب الثروات الطائلة. وآخرين منهم استولت عليهم مواكب الامراض والعاهات حتى صاروا عبرةً لمن اعتبر. وكذلك الاخيار فاننا نرى منهم اصحّاء متعافين واغنياء متمولين واصحاب وجاهة ومكانة. ومنهم من يعيشون عمرًا طويلًا حتى يشبعوا من السنين وهم اصحاب ثروة وسطوة ورفعة ومقدرة كابرهيم وايوب وداود وغيرهم. فكيف السبيل والحالة ما ذكرنا الى معرفة دخيلة الامر من تصرُّفات العناية الالهيَّة في هذه الخيور وتوزيعها بين الاخيار والاشرار بصورة ملتبسة غامضة لا بل فيها من الملابسة والمغالطة ما لا يخفى اذ ليس لها قاعدة ولا قياس نبني عليهِ حكمًا مطَّردًا

فلنذهب والحالة هذه الى المعلّم السماوي الذي انار العالم كله بنور تعليمهِ عسانا نجد عنده فتوى أو قولًا فصلًا لهذه المشاكل. فانَّهُ تعالى اسمهُ حضر عنده ذات يوم (لوقا ١٣) قوم يخبرونهُ بالذين سقط عليهم البرج في سلوام. واباده وكانوا ثمانية عشر. ثم اتى اليهِ قومٌ غيرهم اخبروهُ عن الذين قتلهم بيلاطوس من اهل الجليل وخلط دماءهم بذبائحهم وكان اولئك المخبرون يظنُّون ان تلك البلايا حلَّت بهؤلاء واولئك لفرط شرّهم فقال لهم السيد المسيح: «اتظنون ان هؤلاء واولئك اكثر شرًّا واثمًا من جميع الساكنين في اورشليم كلَّا فان لم تتوبوا انتم فكذلك تهلكون». هذا ما قالهُ معلمنا الالهي بخصوص البلايا واما توزيع النعم فقال فيهِ (لوقا ٤: ٢٧): «برصٌ كثيرون كانوا في عهد اليشاع النبي فلم يطهر الَّا واحد منهم وارامل كثيرات كنَّ في ايّام إيليَّا النبي فما انتفع منهُ الَّا واحدة منهنَّ من صَرْفت صيدا»

ثم اننا نرى معلِّمنا هذا السماوي يوضح لنا في محالَّ أُخرى ان بعض البلايا تحلُّ بالناس عن ذنب وبعضها عن غير ذنب. فان المقعد الذي شفاهُ هو لهُ المجد قال لهُ (يوحنَّا ٥: ١٤): «لا تعُدْ تخطي لئلاَّ يصيبك اشرُّ». والاعمى شفاهُ وسألهُ رسلهُ (يوحنَّا ٩: ٢) عن سبب عماه ان كان معهُ او من أبويهِ لذنوبٍ أتوها فقال لهم: «لا هو ولا ابواه اذنبوا ولكن ليتمجد الله» اذ عمل منهُ اعجوبةً فاستحقت لهُ الشكر والتمجيد

فوالحالة هذه كيف يستقيم لنا حكم في تصرُّفات العناية الالهيَّة سواء كان في توزيع الخيور او في انزال الشرور الَّا بان نقول انَّ هذه البلايا وهذه الخيرات تصيب

الابرار والاشرار معاً لغاياتٍ سامية يقصدها تعالى. وان سألت عن هذه الغايات اجابك القديس اغوسطينوس بدقّةٍ عند كلامهِ عن الحادثين المذكورين آنفًا فقال: « انَّ الله لا يسمح في هذه الدنيا بجميع الاخيــار ان تلمَّ بهم المصائب ولا بجميع الاشرار ان يكونوا ناعمي البال خالين من البلايا ولا يأمر بهؤلاء ان يتعذَّبوا ولا باولئــك ان يتنعَّموا. على انهُ متى تنعَّم جميع الاخيار تهافت الناس على عبادة الله طمعاً في نعيم الدنيــا لا على رجاء الخيرات الابديَّة ولو تسامح بان يكون جميع الاخيار متعذبين متضايقين في هذه الدنيا لأدَّى ذلك الى شكوك وتقاويل اذ يُقال: « هوذا حبُّ التقوى يُدلي الى جبّ البلوى ». وكذلك لم يأمر بجميع الاشرار ان يعذَّبوا بهذه الدنيا فرارًا من اقبال الناس على حبّ الفضيلة عن خوف وفزع ولا بان يتنعَّم كل الاشرار هُنا حذرًا من اعتبار الناس ان عمل السيئات مأْتى للحسنات. لكنَّ جلَّت حكمتهُ ترك تصرُّفات عنايتهِ الالهيَّة تتراوح بين الاخيــار والاشرار في البلايا والمصائب كما تركها تتراوح بينهم ايضاً في النعم والمواهب. فلا يفرح الناس بأجل ذيَّاك الشقي اعتقادًا منهم بان العدل انزل بهِ المنايا اقتصاصاً منهُ حتى يحزنوا لرؤيتهم هذا التقي يشربُ الكأسَ نفسها فتلتبس عليهم المسألة ولا يعرفون من طرفيها شيئاً وكيدًا الَّا انَّهم لا يرتابون في ان الله يحب اولياءهُ الابرار وقد اعدَّ لهم نعيم الملكوت جزاء كافياً عن اتعابهم واحتمالهم في هذه الدنيا لا هبةً منهُ واحسانًا اذ لا بُدَّ لهم من احتمال البلايا والنوائب » اه

ولمَّا سُئل القديس يوحنَّا فم الذهب لماذا الاخيار في سوء حال والاشرار في حسن حال اجاب بقولهِ: « ليس الامر كذلك على وجه الاطلاق لان بعض الاشرار يبتليهم الله وبعضهم خالون من البلايا وكذلك الاخيار فان بعضهم يتنعَّمون وبعضهم يشقون. وان سألت عن السبب قلتهُ لك وهو ان الله قد يتغاضى في هذه الدنيا عن بعض الاشرار ولا يتعقبهم لتعلم انَّ في الآخرة دينونة. واماَّ تعقُّبهُ للبعض الآخر منهم هنا فلتنبيه الغافلين الى التوبة والصلاح ومثلهُ توفيقهُ لبعض الاخيار احيانًا فانهُ لتحبيب الفضيلة الى الناس واماَّ عدم توفيقهِ للبعض الآخر من الاخيار فلتعلم ان عندهُ غير هذه الدنيا وهنالك يجازي الجميع على اعمالهم الجزاء التام المتوجب لهم » اه. قال المعلِّم روسُّو: « لو لم يكن عندنا بيّنة على عدم ميتوتة النفس الَّا مذلَّة البار وعزَّة المنافق في هذه الدنيا لكفى بذلك دليــلًا لنا على عدم الريب فيها فان الخلل العظيم الحاصل في النظام العام يدعوني

الى البحث عن حقيقتهِ فاقول بعدئذٍ لنفسي لا ينتهي كل شيء معي عند نهاية حياتي من هذه الدنيا اذ انهُ عند الموت يصير تنظيم كل شيء ».ثم رجع لم الذهب وقال: « لا يخلو بارٌ من شر كما لا يخلو شريرٌ من برٍ فلو ان الله عاجل الخطأة بالعقاب لباد جنس البشر لكنهُ قد يعاقب بعضهم هنا اقتيادًا لهم الى التوبة فان لم يتوبوا عاقبهم في الآخرة ايضاً وبعضهم لا يُستحسن عقابهم هنا بل مع الشياطين في الآخرة وذلك لفرط فجورهم وشرورهم واماً اذا استعمل مع بعض الاشرار الكابرين حلمهُ ورأفتهُ فذلك لانهُ تعالى ما احبَّ ان يحرمهم من الخيرات الحاضرة ولو أنهم احبُّوا ان يحرموا انفسهم من خيرات الآخرة ».ثم ختم كلامهُ احسن ختام بان قال: « انهُ لا يليق بنا قطعاً ان نسأل هذا السؤال وهو لماذا الاخيار في شقاء والاشرار في رخاء انما قلتُ ذلك من بعد ان اعلمنا الله بتلك النعيم العظيم وعذاب الجحيم الأليم » اه

لقد تبيَّن لنا يا معاشر الادباء الكرام ان مسألة الحظوظ في هذه الدنيا من اسرار العناية الازليَّة لا تدركها مداركنا البشريَّة وكم من اسرار في الطبيعة لم نتوصل الى ادراكها فلا يهمنا اذًا ان نبحث بعد في هذه المسألة بل يكفينا اعتبار امرين: (اولهما) ان الله يحبنا كثيرًا لانهُ هو الذي خلقنا كرمًا منهُ ومنَّةً وهو مهتمٌ بنا ولا اهتمام الامهات باولادهنَّ وهو تعالى قد احصى شعور رؤوسنا دلالة على مبالغتهِ في الاهتمام بنا وما من والدة فعلت كذلك بولدها . فلو انهُ تعالى جودهُ رأى ان الحال التي ترتاح اليها انت أيها اللبيب من غنى وصحّة او طول حياة او رفعة مقام الى غير ذلك توافق خير نفسك لما ضنَّ عليك بها وهو قد بذل ابنهُ الوحيد لاجلك . . . (ثانيهما) ان الله عادل يجازي كل واحد حسب اعمالهِ لكن الجزاء التـام لا يكون الّا في الآخرة . فانظر اذًا الى نفسك وما استحقَّت باعمالها فان طلبت المكافأة في هذه الدنيا عن حسناتك فلم لا تطلبها عن سيئاتك وان قلت بعد: لماذا انا غير موفَّقٍ وغيري موفَّقٌ حال كوني افضل منهُ واعقل واكفأ ? قلتُ لك: وهذه المواهب التي تدَّعيها من فضل وعقل وكفاءة انَّما هي من الله وهي فيك وليست فيهِ . ان الله سوف يجازيك بحسب استحقاقك في مكان المجازاة وزمانها وذلك في السماء بعد هذه الحيـاة فان طلبت جزاءك في الحاضرة هنا عاكست نظام الله وكان الجزاء غير وافٍ باستحقاقك ان خيرًا وان شرًّا . هذا فضلًا عن كون هذه الحياة هي زمن الجهاد المرتَّب على الجميع فكيف بك تطلب الاكليل

نهاية جهادك. وهذه امّك الكنيسة المقدّسة التي اقامها السيد المسيح وقد شراهـا
الكريم وما زال معها وفيها مقيم فانّهـا قد لاقت وما زالت تُلاقي من ضروب
طهاد وعواصف الكفر وطغيان الفساد ما لا يخفى على من يطالعون تاريخها تظيرك
احد اولادها أفما ينبغي ان تتشبه بامّك في احتمال شيء من المكاره ولو بمعاكسة
ر لك لتصير اهلاً لنوال ذياك المجد العظيم في جنّات عدن « وجنّات عدن بالمكاره
ر ». وهذا معلّمنا الالهي الذي نهج لنا الطريق بعمله وتعليمه أما يلزمك ان تمشي
آثارهِ وحسبُ التلميذ ان يكون مثل معلمهِ. وهؤلاء رسلهُ وانصارهُ الذين ساروا
خطواتهِ قدّامك وهؤلاء المسيحيون الحقيقيون الذين عاشوا في الايمان والرجاء لم
يهمّهم شيء من احوال الدنيا بل كانوا قاصرين كل اجتهـادهم واهتمامهم على
الخيرات المقبلة فما شأنك وهؤلاء كلّهم

فترى ممّا سبق انّ تباين الحظوظ في هذه الدنيا من جملة الامور الغامضة التي اخفتها
العناية الربّانيّة لمقاصد منها سامية كما اخفت علينا يوم موتنا وساعتهُ لنعيش في
والتحفّظ منتظرين في كل هجعة مجيء ربّ البيت لنفتح لهُ ونؤدّي الحساب عن
. فكذلك اخفى علينا سبحانهِ وتعالى ادراك اسرار عنايتهِ في توزيع خيراتهِ بين
لحين والطالحين. الآن يُشرق شمسهُ على الاخيار والاشرار معاً ويسكب غيثهُ على
ر والفجّار دون فرق ولا تمييز ويدع القمح والزؤان ينبتان معاً الى اوان الحصاد ولا يفرق
سمك الجيّد والرديّ الذي جمعتهُ الشبكة حتى يتمّ نظام عالمنا هذا الذي سبق
به. ولولا ذلك لاضطُرّت العناية ان تبلبل كلّ يوم هذا النظام وتأتي في كلّ
بعجائب غرائب فتسقي مثلاً حقل رجلٍ صالحٍ دون حقل جارهِ الطالح وتنزل
على ارض الرجل الشرير وترحم الرجل البارّ وكلاهمـا متجاوران متلاصقان في
واحدة وكذلك اذا حلّ زلزال تخرب طابق رجل السوء وتضرب عن طابق رجل
وهلمّ جرًّا وفي كل ذلك من التشويش ما لا يُطـاق. فالاولى اذًا ان نقول مع
س اوغسطينوس: « انّ توزيع الخيور والشرور سرٌّ حفظتهُ الحكمة الازليّة لنفسها.
خيرات الدنيا وويلاتها مختلطة مشتركة بين البشر والله سبحانهُ لم يفرق في توزيعها
لاخيار والاشرار ولكن في الآخرة ليس الامر كذلك فانّ خيورهـا انما هي
ار وحدهم كما انّ شرورها للاشرار فقط »

فلنسجدنَّ خاضعين لتدابير العناية الالهيَّة ولنحذرنَّ من التنقيب عنها ولنقبل بكل طيبة خاطر ما تقسمهُ لنا من خيرٍ وشرٍّ ولنواصل سفرنا في بحر هذا العالم كيف ما جرت الرياح طالبين الوصول الى تلك الخيرات المعدَّة للاخيار وحدهم والنجاة من الويلات المعدَّة للاشرار وحدهم وذلك في العالم الآتي

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٥ الامم البائدة في لبنان

٢ اليونان

انتقض حبل الايثوريين في الشام (ولبنان معها) بتغلُّب الفراعنة على سورية. ثم تبعهم ملوك اشور الكلدانيُّون وخلف الفرسُ الاشوريين. وكلُّ هذه الدول بعد كسرتها تركت من آثارها شيئاً في بلادنا ولا بُدَّ ان يكون تخلَّف من تلك الامم بعض بقايا امتزجت باهل فينيقية امتزاج الماء بالراح حتى لم يَعُد يمكن افراز هذه العناصر الغريبة عن الاهلين الاصليين. وكان لبنان في عهد كل هذه الدول قليل السكَّان للاسباب التي ذكرناها في مقالاتنا السابقة وان كان عدد المهاجرين اليهِ لم يزل يزداد يوماً فيوماً بتزاحم السكَّان وحراثة الآكام الواقعة عند منعطف الجبل

ولمَّا كانت اواخر القرن الرابع ظهر ذلك البطل الصنديد والملك العظيم اسكندر ذو القرنين المقدوني فكان اوَّل ما تطالَّ اليهِ عنقهُ البلاد السوريَّة وكان يملك عليها وقتئذٍ داريوس ملك الفرس فزحف اليهـا بجنودهِ بعد ان غلب اعداءهُ في سهول قيليقية قريباً من مدينة ايسُّوس فما مرَّ عليهِ بضعة اشهر حتى فتح سواحل فينيقية وخضعت لهُ دمشق ولم يقم في وجههِ الَّا صور فحاصرها مدَّة الى ان اخذها عنوة في تمُّوز من سنة ٣٣٢

وكان في اثناء محاربة الاسكندر لصور قد اغتال بعض اجلاف اللبنانيين قوماً من اصحاب الملك فقتلوهم. فسار الاسكندر بقسم من عسكرهِ الى لبنان فلم يلقَ في

هِ عدوًّا ثم وصل الى البقاع والجبل الشرقيّ فعاد بعد عشرة أيَّام غانمًا ظافرًا

وما لبث ذو القرنين بعد فتح صور حتى أخضع بلاد فلسطين ومصر ثمَّ سار الى
صي المشرق ففتح ما فتح ومات بعد عشر سنوات في بابل سنة ٣٢٣ ق م

فصارت سوريَّة من بعدهِ الى احد قوَّادهِ سلوقوس نيقاطور فتملَّكها وأُلحق لبنان
فصار هذا الجبل تحت حكم السلوقيين الى أيَّام الرومان

وهنا مبحثٌ مهمّ لم نكن لنتعرَّض لهُ لولا انَّ بعض المحدثين استندوا الى حجج
ية ليؤيدوا زعمهم الباطل

ودونك القضيَّــة المطلوب بيانها هل يا تُرى لمَّا استولى اليونان على جبل لبنان
ب العنصر اليونانيّ العنصرَ الفينيقيّ بحيث يصحُّ القول انَّ اليونان من الامم التي
وطنت لبنان

نجيب على هذا القول بالاجمال أنّنا بيّنّا غير مرَّة انَّ العنصر المتغلّب على سوريَّة في
اليونان كان العنصر الآراميّ لا اليونانيُّ (راجع المشرق ٣: ٢٦٨). فان صدق ذلك
سوريَّة عمومًا فهو اصدق واحقّ عن لبنان خصوصًا فانَّ آراميَّة سكَّانهِ في أيَّام الدولة
انيَّة اوضح من النهار

وكأَنّي بالمعترض يستوقفني هنا ليردّ على هذا القول بدليلين على زعمهِ مقنعين اوَّلهما
ء اعلام الامكنة وثانيهما الكتابات اليونانيَّة في لبنان

نجيب على الاعتراض الأوَّل أنَّنا اذا استثنينا بعض امكنة من سواحل فينيقية او
مستعمرات اليونان (راجع المشرق ٣: ٢٧٠) لا نكاد نجد اسم قرية في لبنان
تق من اليونانيَّة بل اكثر الاسماء ان لم نقل كلها آراميّ محض مع بعض اسماء عربيَّة
ث عهدًا وترى المعابد الكبرى نفسها كدير القلعة وأفقا التي فُقدت اسماؤها الآراميَّة
نعرف لها اسمًا يونانيًا. امَّا المدن الساحليَّة التي بدل اليونان اسماءها الآراميَّة فانَّها
ت بعد حين الى اسمائها الاصليَّة

امَّا الاعتراض الثاني المستند الى الكتابات اليونانيَّة التي وُجدت في لبنان فانهُ يظهر
ل وهلة اقوى حجةً وادلّ بيانًا ولكن اذا سبرناهُ بعيــار الانتقاد وجدناهُ واهنًا
لاعتراض السابق ولا يثبت البتَّة زعم المحتجّ

لا ننكر وجود الكتابات اليونانيَّة في لبنــان وقد اسعدنا الحظّ باكتشاف كثيرٍ

منها ابرزناها الى عالم الوجود في المجلّات الاوربيّة. ولكن مجرَّد وجود الكتابات اليونانيّة في محلٍّ ما لا يدلُّ على كون اهل هذا المكان من اليونان. نرى اليوم في لبنان عدّة كتابات تركيّة او افرنسيّة على بعض المباني المستحدثة فهل يستنتج احدٌ من هذه الخطوط انَّ اهل لبنان من العنصر التركيّ او الفرنسيّ ؟ وكذلك في لبنان عاديّات وكتابات لاتينيّة كثيرة من عهد الرومان فمن يا تُرَى زعم لاجل ذلك انَّ اهل لبنان كانوا رومانيين. وغاية ما يُستدلُّ من الامر انَّ الرومـان ملكوا لبنان او انَّ بعض أُسرات منهم احتلّت بعض انحاء الجبل لترويح النفس كما يفعل اليوم كثير من الاوربيين فكذلك الكتابات اليونانيّة انّما تدلُّ على انَّ اللغة الرسميّة كانت في ذلك العهد لغة اليونان وانَّ بعض وجهاء اللبنانيين جنحوا الى آداب اليونان ولغتهم كما يتفرنج اليوم ابناء الوطن فلا يتكلّمون بغير الفرنسيّة ولا يكتبون الّا بها

فدليل الكتابات وحده لا يجدي اذن نفعًا لبيـان عنصر امّةٍ ما اللهمَّ الّا بان يضاف الى ادلّة أُخرى تاريخيّة وضعيّة تزيل الشبهات. وقد لحظ ذلك احد علماء عصرنا وهو نُلدكه الشهير (١ قال: « انّهُ لا يجوز الاستناد على مجرَّد وجود كتابات في احدى اللغات او عدم وجودها للقول بان اهل ذلك البلد كانوا من ذلك العنصر او لا ». مثال ذلك مدينة بيروت التي لم يُلقَ فيها حتى الآن كتابة فينيقيّة افيسوغ ان نقول انّها لم تكن فينيقيّة ؟ كلّا. وكذلك لبنان ساء من زعم ان اهلهُ كانوا يونان او رومان لوجود كتابات قديمة فيهِ من عهد هاتين الدولتين

وعلاوةً على ما تقدّم انّنا نرى الكتابات اليونانية المكتشفة في لبنان مشحونـةً بالاغلاط مشوَّهة بالتصحيفات غير تامّة المعاني وكلُّ ذلك دليل على انَّ النسّاخ والحفّارين كانوا يرسمون الالفاظ رسمًا ماديًّا وهم لا يدركون معانيها (راجع المشرق ٤ : ٦٤٦)

وان قال قائلٌ انَّ اعلام الاشخاص المرسومة على هذه الآثار يونانية اجبنـا مع اكبر علماء التاريخ اليوناني وهو العلّامة الشهير مُمسِنْ (Mommsen) في تاريخهِ (٢ : « انَّ اغلب هذه الاسماء ليست يونانيّة او اذا كانت يونانية ترى معها الاسم الفينيقيّ او الساميّ الذي كان يُعرَف بهِ الشخص ». وفي هذا القول بيّنة واضحة على انَّ اليونانيّة

١) راجع المجلة الاسيوية الالمانيّة ZDMC, 1885, p 333

٢) راجع Rom. Gedichte V, 453

لم تكن سوى مسحةٍ ظاهرة وزيّ خارجيّ تزّيا بهِ اهل لبنان حبًّا بالجاه وتشبهًا بمتأدبي ذلك العصر

ولعلَّ المعترض يزيد على ما سبق اعتراضًا ثالثًا بقولهِ: « ان قيام معبودات اليونان مقام آلهة فينيقية والشام دليل على تغلُّب اليونان » . اجبنا ان هذا البرهانَ والحقَّ على طرفي نقيض . فانهُ لا يوجد بلدٌ حافظ اهلهُ على معبوداتهِ القديمة مثل لبنان والشام فانَّ الدين الآراميّ والفينيقيّ صبر على كل التقلُّبات السياسيَّة الى ان غلبتهُ النصرانيَّة. وكلُّ ما يمكنّنا ان نسلّم بهِ من هذا القبيل انَّ بعض اسماء الآلهة الفينيقية برزت على صورة يونانية في لفظها . وكذلك اطلق الكتبة اليونان واصحاب الامر على هذه الالهة اسماء يونانية فدعوا هذا « جوبتير » وذاك « ابولون » امَّا الاهلون فحافظوا على اسماء آلهتهم بكل حرص حتَّى انَّ المؤرخ مُنسن السالف ذكرهُ بيَّن في تاريخهِ (ج ٥ ص ٤٥٢) ان اهل سوريَّة لم يختلطوا باليونان الّا اختلاطًا ضعيفًا واثبت ذلك بأنهم حافظوا على اديانهم الخصوصيَّة في حلب وافامية وحمص وتدمر. وكذا قل عن دير القلعة حيث شاعت عبادة بعل مرقد . وهذا البعل كان مشهورًا وقد ورد اسمهُ في الكتابات اليونانيَّة على لفظ « جوبتير » لا لكونهِ الهًا يونانيًّا بل مراعاةً للدولة اليونانية واستجلابًا لخاطر اليونان والرومان استدرارًا لعطاياهم وهم يحجُّون اليهِ . ولعلَّ سدَنة بعل مرقد سمُّوهُ ايضًا بهذا الاسم دلالةً على امانتهم للسلطة الرومانية واعتصامهم بحبلها . ولذلك ترى بعل بعلبك وبعل دير القلعة ملقَّبين في الكتابات بالقاب جوبتير رومية العظمى المعروف « بجوبتير كابيتولان » فيُدعيان مثلهُ الالهَ السامي الاعظم (Jupiter optimus maximus) وكذلك ترى إلهةً ساميَّة ملقَّبة باسم إلهة الرومان « جونون الملكة » (١ (Juno regina)

وقد رسمنا هنا صورة تمثال جوبتير بعلبكّ الذي اكتشفهُ حضرة الاب رترفال في دير القلعة لترى كم يختلف الإله الفينيقي عن الإله الرومانيّ في الصورة والهيئة (انظر الصورة في الصفحة التالية)

واذا عدلت الى هيكل افقا وجدت كذلك عبادة عشتاروت الفينيقيَّة مستترة

(١ Beitrage z. alten Gesch. II, 196



تمثال المشتري (بعل) البعلبكي في دير القلعة

برداء الإلهة الزُّهَرة اليونانية وان كانت كل واحدة مختلفةً عن الاخرى. وذلك يظهر من شعارها الذي لا يشبه في شيء شعار إلهة اليونان

وما قلناهُ عن العنصر الآرامي في لبنان يصح ايضاً عن لغتهم الدارجة فانّها كانت الاراميّة. وهو رأي المؤرخ الشهير مُمسن اذ قال (ص٤٥٢): «اني اظنّ انّ اللغة الآراميّة كانت اللغة السائدة دون غيرها في لبنان على عهد قياصرة رومية». وان نسب احد هذا الكاتب الى الغلوّ والمبالغة ورأى انهُ بخس حقوق اليونانيَّة في الشام تصدَّى لهُ احد ائمَّة العلماء المبرزين وهو نلدكه الالمانيّ الذي ليس فقط يوافق وطنيَّهُ مُمسن بل وجد انهُ مقصّر في حقوق الآراميَّة وقد اتى مصداقاً لقولهِ بحجج تثبت شيوع الآراميَّة بحيث لا يبقى بعدها ريب (١

(١) راجع ZDMG, 1885, 332-351

ثم ولو سلّمنا بان اللغة اليونانيّة طمست في لبنان آثار اللغة الآرامية فلا ينتج من انّ اصل اللبنانيين يونانيّ. وليست اللهجة وحدها كافية لتعريف الاصل. وانّما ذلك دليل يقتضي تأييدهُ بدلائل أُخرى تجلي الحقيقة وتوضحها. فانّ التاريخ ينبئ بوجود امم عديدة تكلّمت بلغة غير لغتها الاصليَّة. فانّ اللاتينيَّة مثلًا درجت بين شعوب شتّى لم يكن بينها ادنى علاقة. وقس عليهِ العربيَّة وغيرها

وخلاصة القول انّ العنصر اليونانيّ كان دائمًا في لبنان عنصرًا زهيدًا لا يُعبأ بهِ. ونستميح القارئ عذرًا على أنّنا اطلنا القول في هذه القضيَّة التي لا يختلف فيها اثنان بين علماء العاديَّات (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Variétés sinologiques, nº 20

La stèle chrétienne de Si-ngan-fou

3me *partie, par le P. H. Havret s. j. Chang-hai* 1902 p. 92

الكتابة النصرانيَّة المكتشفة في سِنغَنفو

وصفنا في العدد الثاني من سنتنا الجارية (ص ٩١) كتابًا حديثًا وضعهُ الاب هَفرت اليسوعيّ فنشرهُ في شنغاي من حواضر الصين ولمَّا انتهى من طبعهِ فجأتهُ المنيَّة وكانت وفاتهُ ضربة لازبة على الدروس الصينيَّة التي كان يُعدُّ المرحوم من فحولها المبرّزين. وما زاد المستشرقين تأسفًا عليهِ أنّهُ لم ينجز كتابًا مطوَّلًا باشر بطبعهِ بحث فيهِ بحثًا مدقّقًا عن كتابة شهيرة اكتُشفت في بلاد الصين في اواسط القرن السابع عشر في مدينة سِنغَنفو مكتوبة بالصينيَّة والسريانيَّة يرتقي عهدها الى القرن الثامن للمسيح وهي من آثار النساطرة الذين اتوا بلاد الصين فبشَّروا بالايمان المسيحيّ وعمَّروا كنائس لنحلتهم. وهذه الكتابة انتشر خبرها في اوربَّة فاسهب العلماء في وصفها فمنهم من صدَّق ومنهم من كذَّب وقد ذكرها السمعاني في مكتبتهِ الشرقيَّة. فاب هفرت اعاد النظر في هذه الكتابة ورسمها رسمًا جديدًا وانتقد كلّ ما كتبهُ عنها العلماء وبين صحّتها بحيث لم يُبقِ ريبًا لمستريب وكتابهُ اكمل واصدق ما وُضع في هذا الشأن وكان قد ابرز من عملهِ جزئين

مطوَّلين والعلماء في انتظار القسم الثالث وهو خاتمة الكتاب حين لبّى دعوة ربهِ فنال جزاء اعمالهِ . على انَّ المرحوم وان لم يكن اعدَّ للطبع الجزء الاخير من كتابهِ كان وضع منهُ قسماً مهمًّا . فاحبَّ اخوتهُ المرسلون اليسوعيُّون أنْ ينشروا هـذا القسم على علّاتهِ لكثرة ما يتضمَّنهُ من الفوائد من جملتها الكتابة السريانيَّة وكنَّا طبعناها في مطبعتنا الكاثوليكيَّة في بيروت وارسلناها للاب هفرت ليضيفها الى كتابهِ . ومع هذه الكتابة ترجمتها الحرفيَّة وصورة لفظها فعسى هذا الاثر الاخير من قلم الاب هفرت يحمل العلماء ان يذكروهُ بالخير ويستمطروا ديم رحمتهِ تعالى على صاحبهِ طيّب الله ضريحهُ

Die Drusenschrift: Kitab Alnoqat Waldawair

كتاب النقط والدوائر (١٩٠٢ . ص ١٥ + ٩٦)

herausgeg. mit Einleitung, Facsimile u. Anhængen versehen V. D^r Christian Seybold.

كتاب النقط والدوائر من الكتب المعتبرة التي ألَّفها الموحّدون وكان العلّامة دي ساسي في وصفهِ الجامع لكتب هذه الشيعة (١ سها عن ذكر هذا التأليف فاحبَّ نشرهُ احد جهابذة المستشرقين وهو الدكتور سَيْبُلد من اساتذة كليَّة توبنغن في المانية فراجعهُ على نسختين خطّيَّتين قديمتين الواحدة في خزانة مخطوطات مِنْخن العربيَّة والثانية في مكتبة مدرسة توبنغن وطبعهُ طبعاً متقناً وصدَّرهُ بمثال فوتوغرافيّ من نسخة توبنغن مع مقدَّمة لتعريف خواصّ الكتاب ومضمونهِ واصطلاحاتهِ . وقد ألحق كتاب النقط والدوائر برسالتين وهما : ١ً الرسالة الموسومة ببدو (كذا) الخلق . ٢ً رسالة كشف الحقائق لحمزة بن علي . وكلتاهما في التوحيد . فنشكر لحضرة الناشر عملهُ هذا ونتمنَّى انهُ يتحفنا قريباً بتآليف أُخرى من جنسهِ لتعريف هذه الشيعة واحوالها المجهولة

ولمَّا كان المثل بالمثل يُذكر احببنا ان نصف هنا بعض كتب الموحّدين التي تُصان في خزانة كتبنا الشرقيَّة وكلُّها مجاميع تحتوي عدَّة رسائل

١ (المجموع الاوَّل) كتاب صغير الحجم طولهُ ١١ سنتيمتراً وعرضهُ ٨ س منقوش الجلد صفحاتهُ ٤٣٨ خطُّهُ احمر واسود متقن وفي اوّلهِ دائرة ملوَّنة وهذه رسائله : ١ ميثاق ولي الزمان ٢ . ميثاق النساء . ٣ المناجاة مناجاة وليّ الحقّ . ٤ الدعاء المستجاب . ٥ التقديس دعاء السادقين (كذا) . ٦ . ذكر معرفة الامام . ٧ رسالة التحذير والتنبيه . ٨ رسالة الاعذار والانذار . ٩ رسالة الرشد

١) راجع كتابهُ Exposé de la religion des Druses

والهداية . ١٠ رسالة كشف الحقائق (وهي الرسالة المطبوعة المارّ ذكرها) . ١١ رسالة الرضى والتسليم . ١٢ رسالة التنزيه الى جماعة الموحّدين . ١٣ رسالة الغيبة التي وردت على يدي يعلي . ١٤ مكاتبة الى اهل الكدية البيضاء . ١٥ رسالة من هادي المستجيبين . ١٦ شعر النفس . ١٧ جدول الذكر . ١٨ فرائض الميثاق . وهذه الرسالة غير تامّة

٢ (المجموع الثاني) طولهُ ٨ س، وعرضهُ ١٢س بجلد منقوش صفحاتهُ ٣٦٧ وسطورهُ ١١ بخطوط مختلفة . وهو مجموع قصص تقويّة للاولياء الموحّدين اوّلها قصّة السلطان ابراهيم بن ادهم . وفي هذا المجموع قطع ادبيّة واراجيز واشعار ومواعظ للموحّدين وغيرهم

٣ (المجموع الثالث) طولهُ ١٦س في عرض ١١ س بخط عاميّ غير متقن صفحاتهُ ٢٣٥ وسطورهُ في الصفحة ١١ سطرًا . مكتوب بخطّ عاميّ ناقص الاوّل والآخر وهو مجموع اراجيز واشعار دينيَّة لشعراء مختلفين من الموحّدين . وفي خلالها بعض حكايات عن الصالحين

٤ (المجموع الرابع) طولهُ ٨ سنتيمترات في عرض ٧ س . مجلَّد بجلد منقوش ومخطوط بخطّ نسخيّ جليّ صفحاتهُ ٥٧٣ ولكل صفحة ١١ سطرًا بدوءُهُ : « بسم الله سبعة احرف الباء دلّ النفس» الخ : ثم يليهِ ميثاق وليّ الزمان . ثم ميثاق النساء . ثمَّ المناجاة . ثمَّ التقديس دعاء السادقين (كذا) . ثمَّ دعاء لنجاة الموحّدين . ثمَّ ذكر معرفة الامام . ثمَّ رسالة التحذير والتنبيه . ثمَّ الاعذار والانذار . ثم ترتيب وتأليف في ظهور السيِّد العظيم وقدومهِ بالعسكر . ثم شرح في مواجب مواقع الثواب والعقاب (وهي غير تامّة) . تنتهي بدائرة ملوَّنة باشكال هندسيَّة

٥ (المجموع الخامس) طولهُ ١٦ سنتيمترًا في عرض ١٢ س منقوش الجلد صفحاتهُ ٤٨٤ وسطورهُ بين ١١ و١٧ سطرًا بخطوط عاميَّة مختلفة . اوَّلهُ : « بسم الله الرحمن الرحيم . نبتدئ ونتوسل اليك يا مولاي في اسما الثمانا وعشرون (كذا) منزلة من منازل القمر » الخ . وفي هذا المجموع نحو مائة رسالة في التوحيد منها الرسالة المفضَّليَّة ورسالة الرموز الحقيَّة للشيخ الامام محمَّد انطاكي ورسالة اختلاف العالمين لمحمَّد ابن شعبه الحرَّاني وكتاب حقائق اسرار الدين لابي محمَّد الحسن بن علي بن شعبه . واكثر هذه الرسائل لا اسم لها يفرزها عن بعضها

٦ (المجموع السادس) طولهُ ١٩ سنتيمترًا بعرض ١٤ س ونصف . مجلَّد بجلد منقوش . صفحاتهُ ٣٨٦ وسطورهُ ١٣ . وهو مكتوب بخط نسخيّ مشرق بحرف احمر واسود . ورؤوس الرسائل منقوشة . وهو غير كامل هذه اسماء رسائلهِ :

١ نسخة السجلّ الذي وُجد معلَّقًا على المشاهد في غيبة مولانا الامام الحاكم . ٢ نسخة السجلّ المنهيّ فيهِ عن الخمر . ٣ خبر اليهود والنصارى . ٤ رسالة القرمطي والجواب عليها . ٥ رسالة بدء التوحيد . ٦ رسالة البلاغ والنهاية . ٧ الغاية والنصيحة . ٨ كتاب فيهِ حقائق ما يظهر قدّام مولانا من الهزل . ٩ رسالة كشف الحقائق (المار ذكرها) . ١٠ رسالة سبب الاسباب . ١١ الرسالة الدامغة للفاسق . الردّ على النصيري . ١٢ رسالة الرضى والتسليم . ١٣ رسالة النساء الكبيرة . ١٤ الصبحة الكائنة . ١٥ نسخة سجلّ المجتبى . ١٦ نسخة تقليد المقتنى . ١٧ رسالة الانصناء (كذا) . ١٨ شرح الامام صاحب الكشف . ١٩ الرسالة التي أُرسلت الى وليّ العهد عبد الرحيم ابن اليـاس . ٢٠ الرسالة المنفذة الى القاضي . ٢١ ذكر معرفة الامام . ٢٢ رسالة الاعذار والانذار . ٢٣ رسالة الغيبة . ٢٤ رسالة الزناد .

٢٥ رسالة الشمعة . ٢٦ رسالة الرشد والهداية (وهي غير تامة) . وفي هذا المجموع رسائل أُخرى وردت في المجموعين الاوَّل والرابع

٧ (المجموع السابع) طولهُ ٢١ سنتيمترًا في عرض ١٥س منقوش الجلد . ص ٢٤٣ سطورهُ ١٣ . وخطهُ كخط المجموع السابق . وفيهِ نحو ٢٥ رسالة كرسائل المجموع الاوَّل والمجموع السادس وهو يبتدئ بالرسالة الدامغة يليها رسالة الرضى والتسليم . وممَّا لم نجدهُ الَّا في هذا المجموع رسالة خمار ابن جيش السليمانيّ المكاويّ . وفيهِ رسالة الرشد والهداية (تامَّة) . وفي آخر الرسائل قصيدة توحيديَّة للشيخ ابي ابراهيم اسماعيل بن محمَّد التميميّ الداعي المكنَّى بصفوة المستجيبين

٨ (المجموع الثامن) في طول المجموع السابق وعرضه . جلدهُ اسود قليل النقش . صفحاتهُ ٣٦٣ . خطهُ بخطوط قديمة مختلفة وكلُّها جليَّة بحبر اسود واحمر ونقوش ودوائر واشكال هندسيَّة فيهِ نحو ٣٠ رسالة ورد بعضها فقط في المجاميع السابق ذكرها وهو يبتدئ بهذا العنوان :

١ الجزء الاوَّل من سبعة اجزاء (كذا) . ٢ رسالة التنبيه والتأنيب والتوبيخ والتوفيق . وممَّا تفرَّد بهِ هذا المجموع من الرسائل : ٣ تقليد الشيخ المختار . ٤ وتقليد سُكَّين . ٥ وتقليد الشيخ ابي الكتائب . ٦ وتقليد الامير معضاد ابن يوسف . ٧ وتقليد بني جرَّاح . ٨ والرسالة الجُمَيْهِرِيَّة . ٩ ورسالة التعنيف والتهجين . ١٠ ورسالة الوادي . ١١ والرسالة المنفذة الى قسطنطين متملّك النصرانيَّة . ١٢ والرسالة المسيحية . ١٣ ورسالة التعقُّب والافتقاد . ١٤ ورسالة الايقاظ والبشارة . ١٥ ورسالة الحقائق والانذار والتأديب لجميع الخلائق . ١٦ ورسالة العرب . ١٧ ورسالة اليمن وهداية النفوس . ١٨ ورسالة الهند الموسومة بالتذكار والكمال . ١٩ ورسالة التقريع والبيان . ٢٠ رسالة تأديب الولد العاقّ . ٢١ والرسالة القامعة للفرعون . ٢٢ وكتاب ابي اليقظان . ٢٣ ورسالة الموحدين الطائعين . ٢٤ ورسالة السفر الى السعادة وبها الختام

واعلم انَّ كلَّ هذه المجاميع لا تاريخ لها . وسبعة منهـا كُتبة بوقت واحد يرتقي عهدها الى نحو ٣٠٠ سنة او ٣٥٠ سنة

درجات الانشاء

تأليف نجيب حبيقه مدرس البيان سابقًا في كليَّة القديس يوسف في بيروت

الجزء الثالث ١٩٠٢ — كتاب التلميذ (ص ١٩١) — كتاب المعلّم (ص ٢٥٧)

انَّ الطريقة المستحدثة التي جرى عليها مؤلف هذا الكتاب لارشاد الطلبة الى تعلُّم الانشاء اصابت قبولًا لدى كثيرين من ارباب المدارس ولا حاجة الى وصفها بعد ما ورد من ذكرها سابقًا في المشرق (٢ : ٨١٢ و٣ : ٤٣) وكفانا القول هنا انَّ هذه الدرجة الثالثة من درجات الانشاء كالدرجتين الاولين في حسن التنسيق وتعدُّد التمرينات وكثرة الفوائد . وممَّا استحسنَّاهُ خصوصًا في هذا القسم الجديد ابوابهُ الثلاثة الاخيرة اي

الروايات والرسائل والتعريب فان المعلم يجد فيهــا مادَّةً واسعة لتهذيب عقول الاحداث وتمكينهم في اساليب الكتابة ل. ش

شذرات

مقالتنا في المالية العثمانيَّة — شرَّفتنا جريدة المعلومات المطبوعة بالاستانة العليَّة بنقل هذه المقــالة الطيِّبة التي اثبتها في المشرق (ص ٥٩٧) جناب الاديب يوسف افندي ف. ضاهر. وهذه مقالة ثالثة نقلتها رصيفتنا عن مجلّتنا دون ان تنوّه باسمها. فنرجو من مديريها الكرام ان لا يبخلوا بذكر مجلّتنا في صحيفتهم الغرَّاء

صيــانة الكتب من العثّ — من آفات الكتب العثّ الذي يقرضها فيتلفها بعد سنين قليلة. وكان مكتب علماء فرنسة جعــل جائزة قدرها الف فرنك لاحسن مقالة تبحث عن ضروب العثّ وخواصّه وعن اقرب الطرائق الى اتلافه. فسابق ثلاثة وعشرون كاتبًا وتشكّلت لجنة لفحص مقالاتهم تحت نظارة مدير المكتبة العموميَّة في باريس المسيو ليوپلد دِليل (L. Delisle) فكان السابق احد النمسويين حنَّا بول (Johann Bolle) مدير المكتب الاختباري الكيمويّ في غوريتس واذا ما نُشرت مقالتهُ اسرعنا الى افادة قرّائنا عن الطريقة التي اشار اليها صاحب الجائزة لاتلاف العثّ. وممَّا لحظناهُ مرارًا في بلادنا انَّ سِلْخ الحيَّة اذا وُضع منهُ شيء في احد الكتب لا تمسُّهُ هذه الدويّبات مطلقًا

متحف دوليّ للتجارة والصنــائع — يسعى الفرنسيس في انشاء متحفٍ يجمعون فيهِ امثلةً متَّجَرات كلّ الدول ومصنوعاتها وممّا يودع فيهِ قوائم ولوائح محصولات دولة ودولة وصادرات كلّ منها ومدخولاتها. وهم يبنون على انشاء هذا المتحف آمالًا طيّبة لترويج التجارة وتنشيط الصنائع

جسور نهر التاميز — التاميز نهر لنــدرة من الانهار المتوسّطة الكبر مجراهُ نحو ٢٤٠ كيلومترًا واكثر خطرهِ التجاري عند مصبّهِ. وهو مع ذلك اكثر انهر العــالم جسورًا فانَّ الجسور المبنيَّة لاجتيازهِ في مجراه تبلغ ١١٢ جسرًا تختلف اشكالها على اختلاف عهد بنائها والبعض منها باقٍ من القرن التاسع حتى الآن

﴿ وقاية الحليب من الفساد ﴾ هذه طريقة لوقاية الحليب من الفساد يجري عليها الاميركيون فيحفظون الحليب شهورًا دون ان يتغيَّر طعمهُ وذلك انَّهم يضغطون الحليب بالحامض الكربونيك في اوعية خاصَّة ثم يسخنونهُ حتى تبلغ حرارتهُ ٧٠ من المقياس المئوي فيتطاير الحامض الكربونيك بعد ان يكون اباد من الحليب كلَّ الجراثيم التي بها يختمر فيفسد. والحليب المستحضر على هذه الطريقة يودع في آنيــة خصوصيَّة مضغوطاً بالاكسيجين. فيبقى طيِّب الطعم مدَّة اشهر ويمكن نقلهُ الى بلاد بعيدة

﴿ حاسَّة الشمّ في النمل ﴾ النمل من اعجب خلق الله في طبائعهِ وممَّن خصَّصوا حياتهم في درس اخلاقهِ احد علماء الطبيعة في المانية كتب عنهُ المقالات المسهبة وهو الدكتور البرخت بيتي (A. Bethi) . وقد اثبت في جملة كتاباتهِ انَّ طوائف النمل تعادي بعضها فلا تختلط طائفة بأخرى البتَّة. امَّا كيف تعرف كلُّ طائفة ذويها فبحاسَّة الشم الذي يبلغ في النمل غايةً من الدقَّة . وقد بيَّن ذلك بعدَّة براهين منها انَّ النملة اذا وقعت في الماء فقدت رائحتها الخاصَّة فتقاتلها اخواتها كأنَّها من طائفة أخرى. وكذلك جرَّب الامر في بعض نملات غسلهنَّ بالكحول فرأى للحال بقيَّة النمل تهاجم هذه المغسولات لفقدها الرائحة الخاصَّة بطائفتها. ومن براهينهِ لاثبات دعواهُ انَّهُ نزع عن بعض النمل اداة شمّها فرآها ضائعة بين اهل طائفتها تنتقل من وكرها الى وكر غيرها. ومنها ايضاً انَّهُ قتل نملةً ومرخ بهــا نملةً غريبة فادخلها في وكر النملة المقتولة فلم يؤذها بقيَّة النمل بشيء.

﴿ المدخّنون في فرنسة ﴾ يبلغ عددهم اليوم ستَّة ملايين يشرب نصفهم الغليون والباقون السيجــاره. وعدد السواجير التي تُشرب في النهار لا تقلّ عن ٨٠٧,٠٠٠,٠٠٠ وفي السنة عن ٢٩٤,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ولو أُوصلت هذه السواجير بعضها على شكل حبل امكن تدويرها حول الكرة الارضيَّة ٥١٤ طاقًا

﴿ علماء اليسوعيين في المانية ﴾ قد فاه النائب سپاهن (Spahn) بخطبة بليغة في دار الندوة وسأل الحكومة الالمانيَّة لاي سبب لم يصادق اعضاء المجلس الاتحادي على الشريعة التي قرَّرها ثلاثًا مجلس الرشستاغ في الغاء الشريعة القاضية بنفي اليسوعيين من المانية. ثم ذكر ما لليسوعيين الالمانيين من الايادي البيض في خدمة وطنهم

ديناً ودنياً. ولمّا انتقل الى ذكر رجال العلم بين اليسوعيين قال:

«ما من فرع بين الفروع العالميّة التي افتخر بها القرن التاسع عشر ألّا ولليسوعيين الالمان فيها تآليف خطيرة تدلُّ على طول باعهم. ففي التاريخ اجلى الاب اهرل (Ehrle) مدير المكتبة الواتيكانيّة الغوامض عن عاديّات القرون المتوسّطة وآدابها بما نشرهُ من الموَلَّفات المعتبرة. وتاريخهُ النفيس المعنون «تاريخ مكتبة الاحبار الاعظمين» من اجمل آثار هذا العصر. وفي الفنون الصناعيّة المسيحية قد برَّز الاب بَيْسّل (Beissel) بتآليفهِ الشهيرة. وفي الفصاحة يشير علماؤنا بالبنان الى الاب بومغارتنر (Baumgartner). ولهُ في اكثر من عشرين مجلّدًا ضخماً تاريخ فصاحة الامم القديمة والحديثة. فضلًا عن تآليف أُخرى عديدة في البلاغة والكتابة. واشتهر في الآداب اليونانية القديمة الاب فوكس (Fox) ولهُ كتاب عجيب في الخطيب ديموستان. وفي الكتابات الاشوريّة يُنظم الاب ستراسماير (Strassmaier) في عداد اعظم المستشرقين. ولو لم يكن لهُ غير معجمهِ الاشوري لخلّد ذلك ذكرهُ وهو الذي فكَّ معضلات ٣٠٠٠ كتابة مسماريّة. وفي العلوم الفلكية لا يجهل احد اسم الاب اپنغ (Epping) الذي اكتشف ارصاد البابليين وفتح بابها المرتج. ولمّا اختطفتهُ المنية خلفهُ الاب كوغلر (Kugler). وفي العلوم الهندسيّة برع الاب داهلمان (Dahlmann). والعلوم الطبعية تعدُّ الاب ڤاسمان (Wasmann) من اكبر انصارها وقد وصف طبائع الدويّبات الصغرى وصفاً استحقَّ لهُ اطيب الثناء من رصفائهِ. وكذلك الاب درسّل (Dressel) من مشاهير الطبيعيين. امّا اللاهوت والفلسفة والعلوم القانونية وشرح الكتب المقدّسة فانَّ علماء اليسوعيين الالمانيين اكثر من ان يُحصَوا منهم الاب لِمكول (Lehmkhul) والابوان كريستيان وتلمان پش (Pesch) والاب كرنيلي (Cornély) والاب كنابنباور (Knabenbauer) والاب هُمّلاور (Hummlauer) وكثيرون غيرهم. وقد ذاع اسم الاب سبيلمان (Spillmann) في الروايات وحسن الكتابة ... الخ

اسئلة واجوبة

س سألنا ي. ع. من أدباء تلامذتنا القدماء ما هي اقدم كتابة تُعرف بالعربية

اقدم كتابة عربية

ج اقدم كتابة تُعرف بالعربية كتابة وجدها المستشرق الشهير ادوَرْد ساخو في زَبَد جنوبيّ شرقي حلب وهي مكتوبة بثلث لغات في السريانية والعربية واليونانيَّة تاريخها سنة ٥١٢ للمسيح اعني قبل الهجرة بمئة وعشر سنوات. امَّا موضوعها فهو تاريخ لمعبد أُقيم تذكارًا للقديس سركيس الشهيد. امَّا قلمها فهو قريب للسريانيَّة لكنَّهُ مختلف عنها. وكذلك لفظها فهو من العربيّ العاميّ الشبيه بالسريانيَّة(١. واقدم كتابة بعدها تاريخ وجدهُ في حوران وادنغتون رُقم نحو خمسين سنة قبل الهجرة باليونانيَّة والعربيَّة على معبد لذكر القديس يوحنَّا المعمدان

وسأل من سان باولو الاديب بولس الخوري سمعان: ١ً من الذي اختبر عن دود القزّ انهُ يصنع حريرًا وفي ايّ وقت حلّ بلاد سوريَّة. ٢ً باي لغة تكلم آدم وحوَّاء

اكتشاف دود القزّ – لغة آدم وحوَّاء

نجيب على (الاوَّل) ان الصينيين اوَّل من اكتشف دود القزّ واصطنع الحرير وذلك قبل المسيح باكثر من الف سنة. امَّا انتشارهُ في بلاد سوريَّا فيرتقي الى القرن السادس للمسيح. نجيب على (الثاني) ان لغة آدم وحوَّاء لا يعرفها غير الله. وكلّ ما قالهُ العلماء في ذلك سابقًا لا يتجاوز التخمين والظنّ وآراءهم اليوم مدحوضة ل. ش

تصحيح بعض اغلاط طبعيَّة وقعت في المشرق السنة الخامسة: ٢٤٧ س ١١ و١٢ « خانكين » صوابهُ « خانقين » = ٢٧٩ س ١١ « صنَّفهُ قبل عبد الرحمان الهمذاني » وقم فاعل الجملة وهو « ابن السكيت » = ٣٠٦ س ١٧ و ١٨ « اعماهُ فيه » لفظة « اعماهُ » في هذا المحلّ غلطة طبع والصواب ان تُجعل في آخر السطر ١٨ بعد « الذي » = ٣٣٢ س ٢٢ « امكنهُ في ان يلطّف » ص « امكنهُ ان يلطّف » = ٣٣٤ س ١٥ « تواضُعَ » ص « تواضَع » = ٣٤٣ س ٦ « لا تستشير » ص « لا تستَشِرْ » = ٤٤٧ س ٩ « جسد المسيح ودمهِ » ص « ودمهُ » = ٤٦٥ س ٣ « يوشا وتوما ثم » ص « يوشا وتوما ومتَّى ثم » = ٤٧٨ س ١٩ « وصُحُفُهما » ص « وصُحُفَهما » = ٤٨٤ س ٩ « بترميهِ » ص « بترميمهِ » = ٤٨٥ س ٢١ « بحيرية » ص « بحيرة » = ٤٩٥ س ٩ « لا يتخذونهُ » ص « لا يتَّخِذْنَهُ » = ٥١٧ « اية الاعلام » ص « الائمَّة الاعلام » – س ٧ « وكُرُمَتْ » ص « وكَرُمت » = ٥١٨ س ٦ « وطب ضغنائهِ » ص « وطب شحنائهِ » = ٥٤١ س ١٩ « بمعنى للسطَّر » ص « بمعنى المطر » = ٥٤٢ س ٢١ « لفظــة واحد » ص « لفظة واحدة » = ٥٤٦ س ٢٥ « لهُ دخلُ » ص « لهُمْ دَخْلٌ » = ٥٦١ س ١١ « وحدت » ص « وحدا » = ٥٧٣ س ٢٢ « يبخس في حقوق » ص « يبخس من حقوق » = ٥٦٤ س ٢٢ « يوحنا الشوير » ص « يوحنَّا الشويتر » = ٦٢٨ س ٢٢ « موْلاء » ص « هوْلاء

١) راجع المجلَّة الاسيويَّة الالمانيَّة ZDMG, XXXVI, 342-352

المشرق

في السلطة الحاكمة

لحضرة المنسنيور يوسف العلم النائب الاسقفي

خطاب تلاه في غرفة القراءة المارونية في حفلة عيد الجلوس اوّل ايلول سنة ١٩٠٢

لقد طالما بحث الائمّة والفلاسفة من ابعد عهد عن مصدر السلطة الحاكمة وذهبوا في بحثهم مذاهب. فالبعض على انّها من انتخاب الشعب والبعض الآخر على انّها من مصدر اعلى وهو الاصحّ لا بل هو الصحيح. قال ارسطاطاليس: ان مصدرها الطبيعة يعني ان الاب لمّا تكاثرت اولاده واحفاده وبينهم من وشائج الدم قيود مكينة ومن اواصر القرابة روابط شديدة لم تدعهم ينفكّون متقيّدين بحكم ولايته عليهم وتدبيره لهم اه. قال شيشرون: ان السلطة المدنية مثال السلطة الوالديّة وانْ هي الّا تمديدها او تماديها فمصدرها عنها دون شكّ اه. وكما وُلدنا اولادًا غير مستقلّين كذلك وُجدنا رعايا غير مستقلّين وكما ان الولد يحتاج الى من يربيهِ ويحافظ عليهِ كذلك لدى وجودهِ في حضن الالفة يحتاج الى من يسوسه ويحميهِ وكما وجدنا في مهود الولادة متواخين ومتقاربين من غير محالفة بيننا ولا معاهدة كذلك وجدنا في محاجر الالفة خاضعين منقادين ونحن ملتفّون ومؤتلفون والله هو الذي اوجد هاتين السلطتين الوالديّة والالفية عنايةً منهُ بالخير العام وعلى هذا المبدأ بُنيت معاهد ولاية اولئك الذين كانوا في اوائل الاجيال يُدعون آباء وقد تبقّت لهم مآثر وآثار بين جميع الامم والشعوب ولم يكن وقتئذٍ لعوامل الانتخاب ناصبٌ في امر نصبهم ولا رافع في رفعة مناصبهم اي لم يكن لهم ضلع في أمر ولاية آبائهم. فولاية الفريقين هي من احكام الطبيعة اي من

ترتيب الخالق الذي برأ هذه الخلائق وغرس فيها من طبعها ما يتكفّل بخير حياتها وراحتها

وزاد بعضهم هذا التعليل بياناً فقال: « ولمّا كان مصدر الالفة من شريعة الطبيعة وكانت السلطة من مقتضياتها الضروريّة كان مصدر السلطة ايضاً من شريعة الطبيعة فليست اذن صادرة عن ارادة بشريّة بل هي حقٌ بحكم الشريعة الطبيعيّة ملازم لحالة الالفة فلا يتعلق برضى اصحاب الالفة المتألفين ولكن الطبيعة التي اوجدت الالفة هي اولت السلطة لأنّها الواسطة الضروريّة لحفظ هيئة الالفة ونظامها . وبعبارة مختصرة نقول: ان الانسان ترتّب للسعادة والوسيلة الى السعادة هي الالفة والوسيلة الى رعاية الالفة انما هي الولاية وما هذه الّا السلطة الحاكمة » اه

يقول المعترضون ان الحاكم قد يقوم بانتخاب الشعب فولايتهُ اذن من الشعب كانتخابه . الجواب ان النتيجة غير ناهضة لان هذه الولاية هي من حقوق المنصب لا من متعلقات الانتخاب الذي هو من متعلّقات الشعب . على ان الولاية والانتخاب ليسا دائماً من مصدر واحد . وهذه الولاية الوالديّة فانّها ليست من رضى الاولاد ولا العيلة وان يكن الرجل لا يصير ابا عيلة الّا برضى زوجته لكن ولايتهُ الوالديّة على عيلته ليست من رضاها بل هي من الطبيعة التي اولتهُ هذه الولاية الضروريّة لوظيفته . كذلك قل في من انتُخب من الشعب حاكماً عليهم فولايتهُ لا تكون من الشعب بل هي من حقوق منصبهِ الذي يستلزم هذه الولاية حفظاً لنظام الالفة على انهُ لو كان الامر كما يزعمون وبئس ما يزعمون من ان مصدر الولاية هو من رضى الشعب وانتخاباته لم تكن هذه الولاية لتثبت في صاحبها الّا مقدار ما يثبت الجمهور على فكر واحد وقول واحد

يكفي ما اوردنا من اقوال الفلاسفة فلنأتِ الآن الى الكتاب المقدّس فان فيهِ البيّنات الساطعة والحجج القاطعة لاثبات مبحثنا هذا . قال الله تعالى : بي تتملّك الملوك (امثال ٨ : ١٥) . وقال دانيال (ص ٢) : ليكن اسم الله مباركاً من الازل الى الابد لان لهُ الحكمة والجبروت وهو يغيّر الاوقات والازمنة ويعزل ملوكاً وينصب ملوكاً . وقال بولس الرسول رومية (١٣ : ١) لتخضع كل نفسٍ للسلطات السامية لان ليس سلطة الّا من الله والسلطات الكائنة هي مرتبة من الله

وما احسن ما قالهُ القديس اغوسطينوس بهذا الخصوص : « نحن لا نقول بان لاحد غير الله حقًّا لإيلاء المملكة والملك . فهو في الآخرة يولي الابرار وحدهم ملك السماء واماً

هنا فانهُ يولي الملك من يشاء من الابرار كان او من الاشرار لكنهُ لا يشاء ألَّا العدل فالذي أعطى الحكم لماريوس هو عينه أعطاهُ لقيصر. والذي سلَّط اغوسطوس هو الذي سلَّط نيرون. والذي ولَّى فسبسيانوس الكبير وابنهُ فسبسيانوس (طيطُس) الصغير الملكين الجديرين بكل محبَّة هو الذي ولَّى دوميطيانوس الظالم. وحتى لا نأتي على ذكر الجميع نقول ان الذي ملَّك قسطنطين هو الذي ملَّك يوليانوس العاصي» اه. فتبيَّن من ذلك جليًّا ان الشعب لم يكن قطعاً مصدر السلطات السامية وان كان هو واسطة عقدها بانتخاباتهِ احيانًا ألَّا ان حكمةُ في ذلك حكم الكرادلة في انتخاب البابا او حكم الرعايا في انتخاب اسقف او خوري فان انتخابهم لا يؤتي احدًا من هؤلاء السلطة المقارنة لدرجتهِ ومنصبهِ. فالسلطات اذن مصدرها الله لا رضى الناس وهذا عن حكمة سامية من الله جلَّ جلالهُ لانهُ راعى في ذلك تأييد جانب السلطات ورعاية حقوقها بحيث لا تمسّها اغراض الرعايا واهواؤها التي لا تستقرُّ على حالٍ واحد

ولكن ما لنا وهذه البينات وعندنا الآية الكريمة وهي قول المعلّم الالهي سيّدنا يسوع المسيح: أعطوا قيصر ما هو لقيصر. وكان قولهُ هذا فتوى على سؤال طرحهُ عليهِ بعض اليهود الذين كانوا يتوهمون انهُ لا يلزمهم الطاعة للملوك من غير امَّتهم فازال الرب منهم هذا الوهم ودفعهُ بثلث حجج: (اولها) بانهُ اراهم صورة الملك المرسومة على اصناف العملة المتداولة بين ايديهم اذ طلب منهم دينارًا وسألهم لمن هي الصورة المرسومة عليهِ فقالوا: لقيصر. فلو لم يكن قيصر هو الملك عليهم لما ساغ لهُ ان يرسم صورتهُ على النقود المتداولة في المملكة. الحجة (الثانية) بقوله « اعطوا قيصر ما هو لقيصر واعطوا الله ما هو لله » يريد بذلك تذكيرهم بان الطاعة واجبة لقيصر وغيرهِ من الملوك كما هي واجبة لله لان سلطة قيصر وامثال قيصر هي من الله فلا مناص لهم من عدم الطاعة والخضوع. الحجة (الثالثة) هي عمليتهُ فان اليهود المنوّه بهم اعلاه كانوا واقفين لهُ ولتلاميذه في المرصاد ليعرفوا ان كانوا ينقادون لاوامر قيصر ويقدّمون الاموال المرتبة لهُ على رعاياهُ. فالسيد المسيح قد عمل كما علَّمهم في اعطاء قيصر ما هو لقيصر ولذلك أمر بطرس رسولهُ ان يذهب الى البحر وأمر حوتًا من حيتان البحر ان يوافيهُ باستير فاخذهُ بطرس ورجع فدفعهُ عن معلمهِ وعن نفسهِ لجُباة الحكومة. فهذا تعليم المسيح وهذا عملهُ وعنهُ اخذ رسلهُ وعلماء الكنيسة ما قالوهُ بهذا الشان كما قدَّمنا

وخلاصة المقال ان ديانتنا الالهيَّة قد اوجبت علينا للحكومة واجبات ثلثاً: طاعتها. وتأدية مطالبها. ورعاية جانبها. وذلك لاوجه ثلثة: كون سلطتها من الله. كونها محامية لنا. كونها مصدر شرفنا وسعادتنا. وهذه كلها ضمَّنها الرسول في عبارتهِ القائلة «فلتخضع كل نفس للسلطة اذ لا سلطة الّا من الله» يريد انهُ لا يقدر احد من الناس ايًا كان ان يعتذر عن عدم الطاعة للحكومة لانهُ لا يقدر ان يعتذر عن عدم الطاعة لله جلَّ جلالهُ لان السلطة المؤتاة للحكومة هي من الله. ومن ثمَّة لا يكون الخضوع للانسان بل لله فلا يحطُّ خضوعه هذا بشيء من شرفهِ ولا ينقص من حريتهِ اذ لا يكون خاضعاً لانسان مثلهِ لكن لسلطة الله المعطاة لذاك الانسان. وزاد قوله هذا بان قال: «ومن يقاوم السلطان فقد قاوم الله» اي فليكن الذي لا يطيع السلطان على حذر لانهُ ان نجا من بأس غضب السلطان لا ينجو من بأس غضب الله. ليت شعري لو اعتبر ذلك المقاومون لكفاهم زجرًا عن غرورهم وردعاً عن شرورهم لان حظهم انما يكون مع اولئك الذين تمردوا من الملائكة على العزة الصمدانية فاهبطتهم من الاعالي العلويَّة وزجَّتهم في المواقيد الابديَّة التي اعدتها ايضاً للمتمردين نظيرهم على سلطتها في البشر

الواجب الثاني علينا للحكومة تأدية مطاليبها من اموال اعناق وارزاق وما اشبه. فالحكومة تحافظ على حياتنا واموالنا وترعى العدل والحقَّ بيننا والملك هو حارس المملكة وحفيظها وملجأها وحماها وقائدها ومديرها فان اصابها من آفات الدهر مصاب صدَّهُ وان طرقها من اعاديها طارق ردَّهُ. ومن لنا في الملمَّات غير الحكومات وهل لنا نصير من مظالم الأيَّام سواها وهل تعرف الرعايا غيرها أُمها واباها. وهذه حوادث الزلازل وهذه مهالك الاوبئة كالطاعون والهواء الاصفر وهذه ضربات الجوع والجدب مَنْ رأينا في دَرْئها وانقاذ الناس من مخاليبها سوى الحكومات. فمن ثم يكون ما يترتب لها علينا من المطاليب ديناً واجب الوفاء وفرضاً لازم القضاء يلزم ان نؤدّيه عن طيبة نفس مع الشكر. وبهِ قال الرسول «ولهذا تؤدّون الجزية»

امَّا الواجب الثالث علينا للحكومة فهو رعاية جانبها اي بذل كل ما لنا وعندنا في سبيل الدولة ورعاية شأنها والذبّ عن حوضها كأَننا كلّنا جنود مجنَّدة لخدمتها وان تكون خدمتنا لها صحيحة عن محبَّة واعتبار لا بالظاهر فقط بل بالباطن ايضاً وبهِ قال الرسول: «ولذلك يلزمنا ان نخضع ليس من اجل الخوف فقط بل من اجل الضمير» وينالنا

بمقابلة خدماتنا هذه من جانب الحكومة الشرف والرفعة بما تنعم علينا من المناصب والوسامات والرتب فهذه مصادر شرفنا ورفعة شأننا وحقُّها ان تكون مجازاة لاعمالنا التي هي تستحق هذا الالتفات وعند ذلك يكون الشرف الصحيح

انهُ ليظهر لي من ملامح وجوهكم ايها الادباء الكرام انكم قد استحسنتم ما جئنا بهِ في هذه العجالة لجهة السلطة المدنية وما لها من المقدرة والمكانة والرفعة وكل ذلك من المولى جلَّ جلالهُ فانهُ هو الذي قد بنى معاليها على دعائم الشريعة الطبيعيَّة الازلية وجعل مصدرها من جانب عرشهِ السامي لانهُ قد اوجد النـاس للالفة ونظام الالفة لا يقوم بدون سلطة . فمن ثمَّة رأى بحكمتهِ أن تكون هذه السلطة من نفس سلطته معزَّزة مؤيَّدة لا يستطيع البشر سبيـلًا الى مسّها من جهة ولذلك قال: « بي تتملك الملوك » و « لا سلطة الَّا من الله »

الَّا انهُ يبدو لنا أَيها الاحبَّة هنا اعتباران هما من الاهميَّة على جانبٍ : (الاوَّل) يلاحظ الديانة وشأنها في حق السلطة . (والثاني) ينظر في ماجريات الكبرياء البشريَّة في جانب السلطة . فالديانة قد عظَّمت السلطة كثيرًا ورفعت قدرها ورعت جانبها وعزَّزتهُ بكل ما يمكن . وبعكس ذلك الكبرياء البشريَّة فانهُ يثقل عليها اداء الطاعة والخضوع ولا تحبّ الَّا الاستقلال والانتقاد ولا تنقاد للسلطة الَّا رغمًا وعنوةً . ولنخُض في سرّ هذين الاعتبارين فنقول : ان الديانة ترعى جانب السلطة لأنهـا شقيقتها وكلتاهما اشتقَّتا من مصدر واحد لكن الديانة وُجدت في هذا الوجود قبلُ لأنَّها وُجدت حين وُجد آدم الانسان الاوَّل فلم يكن سواهُ يعرف الله ويحبهُ ويكرمهُ . ثم وُجدت حواء فتكوَّنت الالفة معها ولكن لم يكن حينئذٍ مجالٌ لمجالي السلطة ثم ولد آدم وحوَّاء اولادًا فازهرت الالفة ومعها برزت السلطة وكانت هذه السلطة اوَّلًا منضوية في ظـلال الابوَّة اذ كانت العيلة صغيرة وهي لمَّا تكاثرت وصارت قبيلة بل قبائل صـارت تلك الابوَّة حكومةً والسلطة الوالديَّة او الرئيسيَّة صارت ملكية حاكمة كما قدَّمنا . ولمَّا كان الله هو موضوع الديانة ومصدرها ومرجعها الوحيد كانت الديانة هي المحافظة اتمّ المحافظة على السلطة التي هي من الله وكلتاهما اي الديانة والسلطة هما من مبدأ واحد وهو الله وغايتهما واحدة وهي اسعاد البشر بالسعادة التي ترتبوا لها من الله . فهما بمنزلة يدين للجسم الادبي الانساني تتعاونان وتتنافسان في خدمتـهِ ورعاية مصلحتهِ ولمَّا كان الانسان مركَّبًا من

نفس وجسد ومرتباً للالفة من اصل طبعهِ وكان مصدرهُ الله وغايتهُ الله تحتمّ ان تكون فيهِ الديانة والسلطة رعاية لحقوق المولى وحقوق العباد فلم يوجد شعب من دون ديانة ولا وجدت امّة من غير سلطة . وعليهِ فالديانة قد امرت الناس بقضاء الحقوق التي عليهم للسلطة من اداء الطاعة ومال الاعناق والارزاق والاحترام لشأنها واجتناب الشرّ وتهديد اهل الثورة بعقوبة الله وعمل الصلاح فهذه كلّها ذكرها الرسول في عبارتهِ مفصّلة

فيا حبّذا لو ائتمر الناس باوامر الديانة هذه فانّهم لو فعلوا لصار الاستغناء عن الاستعانة بالقوّات لاستحصال الاموال الاميريّة ومنع الشرور واستتباب السكينة وعمل الصلاح وتوطيد اركان المهابة والطاعة . ولمّا كان حبُّ الكبرياء يحمل الانسان على عدم الانقياد والخضوع لاوامر من كان نظيره من الناس أوضحت لهُ الديانة ان خضوعهُ لصاحب السلطة انما هو خضوع حبّي للمولى لان السلطة هي من الله وان مقاومتهُ للسلطان انّما هي مقاومتهُ لله وانهُ اذا نجا هنا من بطش السلطان لا ينجو هناك من بطش الله الديّان . فمحاماة الديانة هذه عن الملوك هي اعظم محاماة واين صولة عساكرهم من صولة ربّ السماوات والارض الذي بصوتهِ يزلزل الارض ويدكُّ الجبال ويقضُّ الصواعق وهو الذي قال كوني فكانت وهو الذي يطويها كالرداء لو شاء

ومن ثمّة رأينا في كل الاجيال اصحاب السلطة العالية العاقلين المتدينين يحافظون كل المحافظة على الديانة ورعاية حقوقها في رعاياهم علماً منهم بان الديانة متى كانت راسخة القدم في قلوب الناس ساقتهم الى الطاعة وحب السلامة واجتناب المعاصي وان لها قوّةً وسطوةً على النفوس في الجهر والسرّ والداخل والخارج لا تعادلها القوّات البشريّة. هذا فضلًا عن كون الانسان اذا لم يكن متشبثاً باذيال الديانة لم يكن عضوًا صالحاً للالفة ولا عبدًا اميناً لمولاهُ ولا رجلًا نافعاً للمملكة وايُّ فضيلة صحيحة توجد في من لا يعرف الديانة او بالحري لا يعرف الله

وها ان جميع الفلاسفة والائمّة المشترعين قد اجمعوا على ان عماد الحكومات واركان شرائعها انما هو الديانة . قال افلاطون: ان الاستعانة بالله قبل كل شيء لهي من اوَّل الواجبات اه . وارسطاطاليس رسم في شرائعهِ العبادة الالهيّة وهكذا رأى باقي الفلاسفة . وقد كان الرومانيُّون شديدي التمسُّك بعباداتهم ومثلهم باقي الامم والممالك كما نقرأُ في تواريخ الأوَّلين وذلك كما ابان المعلّم روسُّو لأنّهم كانوا متّفقين على ان الحكومة

من دون ديانة لا تلبث ان يُثلَّ عرشها ويذلَّ بطشُها ولا تعود الرعايا تهاب سلطةً ولا ولاية . قال افلاطون ولقد اصاب : « ان اوَّل شيء يلزم الحكومة ان توجّه نظرها اليهِ انما هو رعاية جانب الديانة الصحيحة لان رجال الدولة لا تهذّبهم الَّا هذه الديانة اذ ان عدم معرفة الله لاعظم الآفات على كل حكومة ومن يسعى بابعاد الديانة فقــد سعى بتقويض اركان الالفة » اه

قال المعلِّم ترتوليانوس : « انَّ من لا يعتقد بوجود الله يسهل عليهِ مخالفة الشريعة لافتكارهِ بانهُ يقدر ان ينجو من عقوبتها امَّا بالفرار او بتحمُّل جزاء خفيف او قصير . امَّا نحن الذين نؤمن بان الله يرى اعمالنا ونخاف ان يتعقَّبنا عليها بعذاب دائم فترى ان تمسُّكنا بعمل المبرَّات والحسنات خيرٌ لنا وازكى ومن ترى يظنّ انهُ لولا الديانة كان القويّ لا يتلقَّف الضعيف والخبيث الداهية لا يقتنص الأُمي الساذج بشرك دهائهِ » اه .

قال القديس يوستينوس للامبراطور « انما نحن الوسيلة لتنيُّلك ظلّ الأمن آمنًا مرتاحًا لاننا نعلِّم انهُ لا تخفى على الله خافية من الناس اشرارًا كانوا ام ابرارًا وان كلًّا منهم سوف يجازى بحسب اعمالهِ حيوةً ابديَّة او عذابات ابديَّة . على انهُ لو كان الجميع يعلمون هذه الامور لما عاد واحد منهم يتجرَّأ على اتبــاع الرذيلة وترك الفضيلة لعلمه انهُ سُيزجُ في المواقيد الدائمة . ولكن اولئك الذين يتخطَّون شرائعك يظنون انهُ لا يعوزهم الَّا التخفي عن مراقبة جنودك ليتملَّصوا من العقوبات التي رتبتها عظمتك على الاشرار الاشقياء » اه

وقد تبقَّى علينا ان نلمع في الختام الى فرضٍ مهمّ توجبهُ علينا ديانتنا المقدَّسة في حقّ السلطة الحاكمة وهو تقديم الصلوات والادعية في معابدنا بصورة حافلة كما اوعز بولس الرسول الى تلميذه تيموثاوس حيث قال (١ تيم ٢ : ١—٣) : « فمن ثمَّ أسألك قبل كل شيء ان تُقدَّم لله صلوة وتوسُّلًا . . . من اجل الملوك والعظماء ليحلُّوا محلًّا هاديًا بجميع تقوى الله . . . فان هذا حسن ومقبول لدى الله مخلّصنا » . فامتثالًا لاوامر الرسول نُقيم نحن معاشر النصارى الراتعين في ظل الاريكة العثمانيَّة ايدها الله الابتهالات الحارَّة والادعية الخيريَّة لاجل مليكنا وخاقاننا الاعظم المالك سعيدًا ولاجل دولتهِ العليَّة المرعيَّة بعين العناية الصمدانيَّة وهذه التوسُّلات نرفعها في كل آن وقد رفعناها خصوصًا في مثل هذا النهار الذي هو عيد جلوس شوكتهِ الأنوس وقلنا في ختام دعائنا : « اللهمَّ هذا دعاؤنا رفعناهُ اليك كما علَّمتنا ولا شكَّ انهُ يكون لديك مستحسنًا ومقبولًا كما وعدتنا » . ولمَّا كان

القاء هذا الخطاب بمناسبة هذا العيد الجليل ومن جملة مجالي الاحتفال بهِ رأينا ان نقدمهُ مطبوعاً في هذه المجلّة لمكارم عطوفة ملجأ ولايتنا الرشيد مع ما تقدَّم وقمنا بهِ من فروض التهاني والابتهال ومجالي الاجلال والاحتفال بالعيد المجيد الميمون المقرون بصنوف السعد والاقبال

(المشرق) اننا نثني على راقم هذه الاسطر حضرة المنسنيور يوسف العلم وعلى خطابهِ المسجديّ فانَّ الادلَّة العقليَّة والنقليَّة التي اثبت فيها اصل السلطة الحاكمة وحقوقها وما للدين في عضدها من اليد الطولى لجدير باعتبار كلّ عاقل يحبّ الألفة ويريد بقاءها سالمةً من آفات الفوضى وعواقب الفتن الوخيمة في ظلّ الرؤساء الشرعيين ايَّد الله سلطانهم وارشدهم الى كلّ ما فيهِ خير الرعايا وصالح الدولة

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٥ الامم البائدة في لبنان

٣ الايطوريون

سبق لنا القول (ص ١٠٧) انَّ الرومان لمَّا فتحوا الشام وجدوا لبنان في حوزة قوم من الغزاة كانوا عشَّشوا في جبالهِ الساحليَّة الممتدَّة من طرابلس الى جبيل. وهم الايطوريون

وليس هؤلاء القوم من لبنان وانَّما اصلهم من اللجأ ومن جبال حوران وكانوا ذوي بأس وطمع فتحاملوا على الجبل الشرقي واتَّخذوا خيراتهِ كطعمةٍ ثمَّ تشوَّفوا الى لبنان فاستولوا عليهِ قبل زمن الدولة الرومانيَّة بقليل

والايطوريون احدى القبائل العربيَّة او الارامية(١ التي كانت مذ ذاك العهد مدَّت ظلّ سطوتها على البلاد الواقعة في جنوبيّ دمشق وشرقيها. وكان شيخ القبيلة اوانئذٍ يدعى بطلميوس ابن منَّايوس من اعظم اهل سوريَّة ثروة وقدراً. وكان يحكم على بلد الايطوريين الاصليّ (٢ ويتولَّى الجبل الشرقيّ وجهات البقاع الشماليَّة مع مدينتي بعلبكّ

---

١) كل الاعلام الايطوريَّة الاصل الواردة في الكتابات القديمة امَّا عربيَّة وامَّا آراميَّة راجع مجموع الكتابات اللاتينيَّة (CIL, III, n° 4371 etc.) راجع ايضاً تفاصيل اخبار الايطوريين في معجم الكتاب المقدس (Vigouroux : *Dict. de la Bible*, art. *Iturée*) ٢) ايطوريَّة الاصليَّة توافق بلاد اللجأ وجيدور الحاليَّة. وقد ورد ذكر ايطوريَّة في انجيل لوقا (٣ : ١)

وكلسيس (Chalcis) وكان لهُ عسكرٌ من الفرسان يبلغ عددهُ ٨٠٠٠ فارس

ولمَّا زحف بمپيُّوس على لبنان وجد طرابلس وما يجاورها من لبنان الشمالي(١ في قبضة احد الايطوريين من قرابة بطلميوس بن منَّايوس يُدعى ديونيسيوس. فاضطرَّ الرومان لتوطيد دعائم سلطانهم ان يحاربوا هؤلاء الدخلاء حربًا عوانًا كانت نتيجتها وبالًا على اهل ايطوريَّة فاسر بمپيُّوس قائدهم ديونيسيوس وأمر بقطع رأسهِ ثمَّ توغَّل في لبنان فاخرب حصون جيغرتا وسنَّان وبوروما (٢ وكان غزاة الايطوريين يقحمون من هذه المقامات المنيعة على المدن الساحليَّة فيوسعون اهلها نهبًا وقتلًا. وقد حاولنا في مقالاتنا السابقة ان نبيّن مواقع هذه الحصون فلتُراجع

وقد حارب بمپيُّوس مدينة كلسيس الايطوريَّة فدمَّرها. وكلسيس على الرأي الراجح هي مدينة عين جرّ التي تُرى اخربتُها في سهل البقاع. امَّا قول البعض انَّها هي زحلة فلا نصيب لهُ من الصحَّة كما سنبيّنهُ في كلامنا عن هذه البلدة

وخلاصة القول انَّ الآثار تنبئنا بامتداد سلطة الايطوريين في قسم كبير من لبنان الشماليّ. ولمَّا انتصر الرُّومان عليهم وفتحوا معاقلهم تقلَّص ظلُّهم وباد ذكرهم من التاريخ ولا رَيب انَّ بقاياهم امتزجت باهل لبنان

وممَّا يدلّ على وجود الايطوريين في لبنان ما وجدنا في الكتابات اليونانيَّة من الأعلام العربيَّة لاسيَّما في رأس الشقعة وانحاء جبيل

وليس الايطوريون القبيلة العربيَّة الوحيدة التي دخلت في عداد اهل لبنان. بل نجد قبائل غيرها توطَّنت ذلك الجبل لاسيَّما التنوخيين (٣. وهذا الامر مهمّ لمعرفة عناصر اهل لبنان نكتفي اليوم بالاشارة اليهِ فقط

٤ الرومانيُّون

استفدنا من الفصل السابق ان الجيوش الرومانيَّة قهرت الايطوريين في لبنان

---

١) اعني ما يشمل اليوم قائمقاميَّات الكورة والبترون وقسم من جبيل

٢) ان صحَّ قولنا عن وقوع سنَّان وبوروما في كسروان فيكون ملك الايطوريين بلغ هذه المقاطعة ايضًا

٣) جاء في كتاب البلدان لليعقوبيّ انَّ لبنان المجاور لصيداء كان يسكنهُ قوم من قريش ومن اهل اليمن (راجع المجلَّة الالمانيَّة الفلسطينيَّة ZDPV, IV, 87)

وكسرت شوكتهم. ولسائلٍ ان يسألنا وهل احتلَّ الرومان في لبنان فاستعمروهُ ؟ أليس وجود الكتابات اللاتينيَّة المتعدّدة في هذا الجبل دليلًا على سكناهم فيهِ ؟ نقول انَّ جوابنا عن توطُّن الرومان في لبنان كجوابنا عن اليونان وقد اثبتنا ان الكتابات اليونانيَّة لا تدلُّ وحدها على انَّ اليونان استخاروا لبنان لسكناهم. فهكذا قل عن الرومان فانَّ الكتابات اللاتينيَّة تشير الى تملُّكهم على الجبل وتدلُّ على انَّ اللغة اللاتينيَّة كانت اللغة الرسميَّة في بلاد الشام في القرن الاوَّل السابق لعهد المسيح والقرنين التابعين لهُ

هذا ولا ننكر انَّ بعض الرومان وخصوصاً اصحاب مستعمرتي بيروت وبعلبكّ الرومانيين كانوا يملكون في لبنان اقطاعات كثيرة من جملتها املاك الايطوريين لكنَّ الرومان في الغالب لم يتولّوا بانفسهم زراعة هذه الاملاك وانَّما كانوا يعهدون امرها الى شركاء وطنيّين يقومون بشؤونها ويستثمرونها باسمهم. وان وُجد منهم احد في لبنان فالصواب ان يقال انَّهم كانوا نفرًا قليلًا. ومن ثمَّة لا يجوز ان ننظم الرومانيين بين الشعوب اللبنانيَّة القديمة

٥ المَرَدَة

في بُهرة القرن السابع اعني سنة ٦٧٧ يذكر مؤرخو اليونان لاوَّل مرَّةٍ قوماً يجعلون سكناهم في جبال الشام من جبل اللكَّام شمالًا الى حدود فلسطين جنوبًا وهم يدعونهم مردائيّين ويعرفهم المحدثون باسم المَرَدَة. ومن غريب امر هذا الشعب انَّهُ لم يبدُ في بادئ ذي بدء ضعيفاً ضئيلًا بل نراهُ جاثماً فوق مشارف لبنان ضابطاً مضايقهُ شاغلًا كلَّ نقطهِ الحصينة على مدى طولهِ من الشمال الى الجنوب وليس من يقوم في وجههِ بل كثيرًا ما ينقضُّ من مراكزهِ الحريزة فيغزو المعاملات القريبة منهُ دون ان يردَّ احد هجماتهِ. ولم يزل امر هؤلاء المَرَدَة في اشتداد حتى صار كلُّ الملهوفين والمطرودين من اهل الوطن واصحاب الفاقة يلتجئون اليهم ويلوذون بحمايتهم ويزيدونهم عددًا وقوَّةً. ولا غرو انَّهم لو ثبتوا مدَّة على ذلك لأتوا بالاعمال الخطيرة لولا انَّ ملوك الروم الذين كان المَرَدَة يخضعون لهم امروهم بالخروج من لبنان بعد ظهورهم فيهِ ببضع سنين فاندثر امرهم على فورٍ كما ظهروا بغتةً دون ان يبقوا في لبنان اثرًا من مرورهم (١

١) زعم رينان في كتاب بعثة فينيقية انَّ قلعة سمر جبيل من آثار المَرَدَة في لبنان وهو قول

فمن ذا تُرى هذا الشعب ؟ كيف ظهر على فجأة دون ان يذكر احد وجودهُ في بلاد الشام ولبنان سابقًا ؟ أنّى خرج ؟ هذه اسئلة اقترحها قبلنا العلماء وحاولوا حلّ عقدتها. ومما يدلّ على ان الامر ملتبس عويص انّ العلماء ذهبوا في ذلك الى مذاهب شتّى ندوّنها هنا دون ان نبدي فيها رأيًا تاركين لقرّائنا ان يصوّبوا الرأي الذي يرونهُ اصحّ واثبت

ولا بُدَّ قبل بسط هذه الآراء المتباينة ان نروي اقوال الكتبة الاوَّلين الذين ذكروا المَرَدة مباشرةً لانَّ اقوالهم من شأنها ان تعرّف هذه الطائفة وتبيّن خواصّها

يؤخذ من اقدم ما ورد عن المرَدة انَّ لبنان لم يكن مركزهم الاوَّل. قال المؤرخ تاوفانوس عنهم (١: « انَّ المرَدة دخلوا لبنان » . (εἰσῆλθον εἰς τὸν Λίβανον) وفي هذا القول ما لا شبهة فيهِ عن مجيئهم الى لبنـــان من محلّ آخر. ثم اردف تاوفانوس قائلًا: « والتجأ اليهم الوطنيُّون » وفي هذا دليل على انَّ المردة لم يكونوا من اهل لبنان بل غرباء عنهُ. امَّا عددهم فكان وافرًا يبلغ « اثني عشر الف رجلٍ » شاك السلاح دون النساء والاطفـــال. ومما يدلُّ على بطشهم انَّهم في مدَّة اقلّ من نصف قرن ملأوا القلوب رعبًا بغزواتهم المتواصلة

والمؤرخون اذا اشاروا الى المرَدة دعوهم بلفظـــة عسكريَّة وهي τάγμα يراد بها فرقة من الجند او الطابور. واسمهم هذا دليـــل على انَّهم لم يكونوا شعبًا كبقيَّة الشعوب بل كانوا على هيئة عسكريَّة ونظام حربيّ يفلحون الارض وقت السلم وهم على أُهبة لمباشرة الحرب في ايّ ساعةٍ كانت. ولنا مثَل على هـــذا التنظيم في امَّة الكراوتيين التي كانت في القرن الثامن عشر تحافظ على حدود النمسا في جنوبها. وكان الرومان ايضًا فئات عسكريَّة من هذا الصنف كانوا يقيمونهـــا عند ثغور مملكتهم فيدعونهم لاجل ذلك بالفئـــات الحدوديَّة (limitanei) اعني انَّهم يذبُّون عن الحدود ويدفعون عنها الاعداء. وكان اولادهم يرثون تلك الاملاك من بعدهم ويجرون مجراهم في الدفاع عن ثغور الدولة. وكان الرومان يختارون لمثل هذا المشروع قدماء الجند المحنَّكين

بلا دليل عوَّدنا على مثلهِ هذا الكاتب الذي يتَّخذ مخيلتهُ حجَّةً لمزاعمهِ. وقد بيَّنا غير مرَّة انهُ كثيرًا ما يجري الكلام على عواهنهِ ولا يسندهُ الى الادلَّة

١) راجع تاريخهُ في مجموع الآباء اليونان المجلَّد ١٠٨ (PG, T. 108 p. 722, 733, 737)

في آداب الحروب ثمَّ وكلوا ذلك بعدئذٍ الى بعض اهل البلاد المجاورة لحدود المملكة (١

وان سألت عن الدولة التي كان المَرَدة يخدمونها اجبناك أنَّهم كانوا تحت حكم ملوك الروم فهم الذين تقدَّموا اليهم بالمدافعة عن الثغور الشاميَّة وهم الذين صرفوهم عنها واتزلوهم في نواحي آسيَّة الصغرى كما سيأتي

فهذه الافادات عن المَرَدة لا ريب فيها يقرُّ بصحَّتها كلُّ المحدثين لأنَّها وردت في تواريخ مشاهير الكتبة الذين عرَّفوا هؤلاء القوم ووصفوا احوالهم

ولكن هنا مسألة أُخرى لا يتَّفق فيها ارباب العلم نريد اصل المردة وجنسيَّتهم. فقد ارتأى بعض الائمَّة ومنهم العلَّامة السمعاني والحاقلاني ومرهج بن نمرون والدويهي ومن تبعهم من علماء الموارنة وبعض الكتبة الاوربيين كبارونيوس ولوكيان وغيرهما انَّ المردة هم الموارنة. واقوى حججهم لبيان ذلك انَّ المَرَدة كانوا قوماً من النصارى يسكنون لبنان ولا نعرف في القرن السابع شعباً يدين بالنصرانيَّة ويسكن لبنان غير الموارنة. وان اعترض معترضٌ على اصحاب هذا الرأي بقوله انَّ المردة كانوا فرقةً جنديَّة موفدة من ملوك القسطنطينيَّة الى بلاد الشام انكروا الامر قائلين لو كان المردة طائفةً من الجند لخرجوا من لبنان بعد انعقاد الصلح والامر ليس كذلك فانَّ المؤرخين يذكرون انَّهم داوموا غزواتهم بعد الصلح الذي عقدهُ يستنيان الثاني وانَّهم لم يكفُّوا عن غاراتهم حتى ابرم هذا الملك معاهدةً ثانيةً وارسل الى المردة عصبةً تصرفهم من لبنان بالوعد والوعيد الى بلاد الارمن حيث كان الملك وقتئذٍ (٢. فهذا الاحتجاج لا يخلو من القوَّة وهو يبيِّن ما في هذا البحث من المعضلات

امَّا اصحاب الرأي الآخر فينكرون توحيد المردَة والموارنة ويسندون رأيهم الى كون المردة ليسوا وطنيين كالموارنة بل غرباء عن لبنان اتوهُ من الخارج كما سبق القول ثم استولوا عليهِ فحصَّنوهُ في وجه العدوّ مدَّةً الى ان برحوهُ بعد زمن قليل

وممَّا يدعم بهِ هؤلاء رأيهم في اختلاف المَردة عن الموارنة انَّ المردة كانوا خاضعين

---

١) راجع معجم العاديَّات اليونانيَّة والرومانيَّة Saglio et Darenberg : *Dict. des antiquités grecques et latines* I, 1374

٢) راجع ردود السيّد العلاَّمة المفضال يوسف الدبس على الاب الصمودي فاليه (ص ٤)

لملوك الروم. قال ابن العبري في تاريخهِ السرياني (ص ١١٥) « انَّ المردة جنودٌ للملك قسطنطين اللحياني ارسلهم الى الشام للمدافعة عنها ». وكلُّ هذا لا يوافق الموارنة الذين خلعوا عنهم ربقــة ملوك الروم كما يظهر من تواريخهم ومن علائقهم مع الملكيين انصار بوزنطية وملوكها

ويزيد اصحاب هذا المذهب الثاني انَّ كلام تاوفانوس وقِدْرينوس (Cedrenus) وغيرهما ممَّا ينفي عن المرَدَة اصلهم اللبنانيَّ. والمردة على قولهم كانوا قبل دخولهم في لبنان يقطنون بلاد الارمن وولايات آسيَّــة الصغرى حيث رجعوا بعد غزواتهم في لبنان. وقد كتب احد علماء الفرنج اسمهُ انكتي دو پارون (Anquetil - Duperron) مقالتين مطوَّلتين في مجلّة الكتابات ليثبت انَّ المردة من الشعوب التي كانت قبل المسيح وانَّهم هاجروا الى بلاد عديدة في ممرّ الاجيال ومنهم مرَدة لبنان (١

وان سألت الذاهبين الى هذا القول: وما هي على رأيهم جنسيَّة المردة. اجابك بعضهم انَّهم اصلًا قبيلة ايرانيَّة دخل فيها اخلاطٌ من عناصر سوريَّة وارمنيَّة (٢

والاب مرتين في كتابهِ المخطوط « تاريخ لبنان » يقول انَّ المردة من العرب وهو يشتقّ اسمهم من « التمرُّد ». وهذا راي ضعيف لانَّ المردة لم يأتوا من جزيرة العرب ولا من جهَّة الشرق وانَّما دخلوا لبنان قادمين من الشمال. وهذا مما يرجّح راي القائلين بان المردة اتوا لبنان من جهة آسية الصغرى. ثم لم يُفِدْنا احد من المؤرخين عن دخول العرب الى لبنان في القرن السابع. وان قال القائل انَّ هؤلاء كانوا من نصارى غسَّان من الذين استعان بهم ملوك الروم اجبنا انَّ الغسَّانيين لم يخدموا اوانئذٍ ملوك القسطنطينيَّة خدمةً تُذكر بل لم يلبثوا ان انحازوا الى العرب مواطنيهم وكلُّ ذلك يخالف ما جاء عن المردة في كتب المؤرخين. وعلاوةً على ذلك انَّ الغسَّانيين كانوا من اليعاقبــة وفي عهد المردة كان ملوك الروم يطاردون هذه الشيعة. ولم يكن المردة من قبيلة عربيَّة أُخرى لانَّ العرب كانوا في ذلك العهد من الدّ اعداء الروم فليس المردة اذن عربًا

---

١) راجع Anquetil- Duperron : *Mémoires sur les migrations des Mardes*
Mém. Acad. Inscr. T. XLV, 87 et L. 1

٢) راجع تاريخ دولة الروم Rambaud : *L'Empire grec au X*e *siècle*, p. 213

هذا ومن المقرَّر الثابت انَّ ظهور الموارنة كأُمَّة مستقلَّة قد أتفق مع عهد حروب المردة في لبنان. وان لم يسلّم القرَّاء بان الموارنة هم المردة فانَّهُ لا سبيل الى النكران بانهُ وجدت بين الفئتين علاقات وديَّة. وممَّا يتَّضح ايضاً من تاريخ ذلك العصر انَّ الموارنة عند خروج المردة من لبنان لم يتبعوهم في مهاجرتهم الى آسية الصغرى بل ثبت معظمهم في جبلهم

امَّا المردة فجعلوا بعد عودتهم سكناهم في وطنهم القديم بلاد الارمن. ونرى منهم من قطن في جوار اضالية. ورحل قسم منهم الى جزيرة قبرس واحتلَّ غيرهم بلاد اليونان ومورة ونواحيها. ولم يزالوا في كلّ هذه البلاد على نظامهم العسكري وكان لهم ضبَّاط يدعونهم كاتيبانو (κατεπάνω) . هذه خلاصة ما ورد في امر المردة ومن استزاد امكنهُ ان يراجع ما كتبهُ عنهم قدرينوس (ك ١ ص٧٦٥و٧٧١ طبعة بون) وزوناراس في مجموع اعمال الآباء اليونانيين (ج ١٣٤ ص ١٢٩٧) وتاريخ قبرس (ج ١. ص ١٠٦) للعلَّامة ماس لاتري (Mas - Latrie) والسمعاني في المكتبة الشرقيَّة ومجلَّة اصداء الشرق(١٩٠١ص١٥٦)وساخاس(Sachas, Μεσαιωνίκη βιβλιοθήκη, II,45 seqq.)

٦ العجم

جاء في كتاب البلدان لاحمد بن ابي يعقوب اليعقوبي (١ انَّ الخليفة معاوية لما فتح بلاد الشام وجد مدنها الساحليَّة فارغةً من السكان فاستقدم قوماً من العجم ليتخذوها لهم سكناً. وقد ذكر ذلك عن طرابلس وجبيل وبيروت وصيداء. بل خصَّص بذلك ايضاً بعلبك وعرقة في بلاد عكار. فصارت كل النواحي المحيطة بلبنان في يد العجم بل اضحى قسمٌ من لبنان في حوزتهم وهي الايالات القريبة من المدن المذكورة كما يصرّح اليعقوبيّ بهذا الامر

فقول اليعقوبيّ السابق ذكرهُ يضطرُّنا الى ان نجعل العجم بين الشعوب البائدة من لبنان التي بقت منها فيهِ بعض بقايا امتزجت باهلهِ. وشهادة اليعقوبي المذكور لم نجد لها ما يؤيّدها في سائر التواريخ واوصاف البلدان الّا انها تستحقُّ الاعتبار وتستوقف الانظار. كيف لا وهي لكاتب من اقدم كتبة العرب عاش في القرن الثالث للهجرة وهو من

١) راجع الصفحة ١١٤ من طبعة ليدن (ed. Juynboll)

المشاهير الموثوق بكلامهم وصف في تأليفه احداثًا قريبة من زمانهِ

وما يحملنا على تصديق قول اليعقوبيّ انّنا نجد في لبنان قومًا من الشيعة كالمتاولة والنصيريين توطَّنوا الجبل وبسطوا عليهِ سطوتهم وخلَّفوا فيهِ آثارًا تنبئ بصحَّة ما سطَّره المؤرخ الموما اليهِ . ومن جملة هذه الاثار ما نراهُ في بعض اهل لبنان من تركيب الجسم وتقاطيع الوجه وسحنة البشرة التي يُعرف بها العجم

وقد وردت ايضًا في القرن العاشر شهادة أخرى تؤكد قول اليعقوبيّ وهي في كتاب رحلة احد الأعجام الى بلاد الشام وجزيرة العرب وهو نصري خسرو الذي نشر كتابهُ العلاَّمة شرل شيفر الشهير . وممَّا قالهُ صاحب هذا الكتاب انَّ « اهل طرابلس كلهم من الشيعة » وكذا قال عن صور ولا نشكُّ انهُ يريد ابناء هؤلاء الأعجام الذين استقدمهم معاوية لسكنى بلاد الشام

ولم يعد الكتبة بعد هذا العهد يذكرون العجم وعندنا انَّ امرهم ضعف بعدئذٍ لما حدث في بلاد الشام من الحروب في القرن الثاني عشر فانتقض امرهم واختلطوا باهل لبنان . ومنهم النصيريَّة والمتاولة الذين ظهروا بعدئذٍ (ستأتي البقيَّة)

النصوص الحكمية

مجموعة من اقاويل ائمة الفلاسفة

هذه طرفة وردت في كتاب ادبيَّات عند احد فضلاء معلقة الدامور الخواجا مبارك طنُّوس عون وهو منقول سنة ١٨٢٠ عن رسائل وحكم قديمة لائمَّة فلاسفة اليونان وغيرهم . وممَّا جاء فيهِ ايضًا رسالة في الحدود تُنسب الى الامام الفقيه عبد الرحمان الثعالبي وقد اقتصرنا اليوم على هذا الفصل وفيهِ مئة من الاقاويل الحكميَّة التي يأنس بمعانيها الفهم ويرتاح الى آدابها القلب وتدلُّ على ذكاء قائليها ل . ش

١ من انزل نفسهُ منزلة العاقل انزلهُ الناس منزلة الجاهل — ٢ صديق كل امرئٍ عقلهُ وعدوُّهُ جهلهُ — ٣ من كان الناس عندهُ سواء ما لجنونهِ دواء — ٤ كثرة التقرُّب الى الناس مجلبة لقرين السوء فكن من الناس بين المنقبض منهم والمسترسل اليهم —

٥ من كَرُمت عليهِ نفسهُ صغرت الدنيا في عينيهِ — ٦ من لا يعرف الخير من الشرّ فألحِقهُ بالبهائم — ٧ لا خير في الدنيا الّا احد الرجلين امّا ناطقٌ عالم وامّا صامتٌ واعٍ — ٨ فعل الجاهل في خطابهِ ان يذمّ الناس وفعل العاقل ان يذمّ نفسهُ — ٩ القلم سفير العقل ورسولهُ — ١٠ احسن لباس الرجل فصاحتهُ وحسن منطقهِ — ١١ ابلغُ الكلام ان يصيب ولا يُخطئ ويسرع ولا يبطئ — ١٢ افضل الناس من ترك الفضول وطلب المحصول — ١٣ الوعد سحاب والفعل مطر — ١٤ ايّاك مصادقة الاحمق فربّما اراد ان ينفعك وهو يضرّك — ١٥ ايّاك مصادقة الكذوب فانهُ يقرّب عليك البعيد ويبعد عنك القريب — ١٦ ايّاك الخؤون فانهُ يبيعك بفلس حقير — ١٧ قيل لحكيم: ما العقل. قال: ترك الظنون والاستدلال بما كان على ما يكون — ١٨ ظفر بالدنيا من حذرَها وظفرت بهِ من أمنها — ١٩ اذا اقبلت الدنيـا خدمت الشهواتُ العقولَ واذا أدبرت خدمت العقولُ الشهوات — ٢٠ اذا اردت ان تعرف عقل رجلٍ فحدّثهُ حديثًا لا اصل لهُ فان قبلهُ فذاك احمق — ٢١ من عاشر الناس بالمكر كافأوهُ بالغدر — ٢٢ لا ينبغي للقاضي ان يكون سفيهًا ومنهُ يُلتمَسُ الحكم ولا جائرًا ومنهُ يُلتمس العدل — ٢٣ القلم بريد العقل فتوقّوا شرّ لقائهِ — ٢٤ اذا كذب السفير بطل التدبير وانفصمت عُرى الامور — ٢٥ لا يعلم من احوز العلم وتكبّر — ٢٦ تواضعوا للعلم ولا تكونوا من اصدقائهِ فما يقوم علمكم بجهلكم — ٢٧ اربعة تكسب المحبة حسن الادب وحسن الحديث وحسن الاستماع وحسن اللقاء — ٢٨ ثلاثة تكسب البغضة الصَّلف والعُجب وسوء الخلق — ٢٩ احذر الخصائم فانّها تمرّض القلب وتذهب بالحياء ويتجرّأ عليك من كان يهابك — ٣٠ الاصدقاء ثلاثة صديقك الخاصّ وصديقُ صديقك وعدوُّ عدوّك — ٣١ أقلل من كلامك واكثر من صوابك — ٣٢ استمع ممّن يحدثك حديثه ولا تردّ عليهِ — ٣٣ عوّد نفسك مكارم الاخلاق فان الخير عـادة والشرّ لجاجة والنفس تطلب ما عوّدتَها وزين الرجال اخلاقهم — ٣٤ العلم خير من المال لان العلم يحرسك والمال انت تحرسهُ — ٣٥ من حاسب نفسه ربح الحساب يوم الحساب — ٣٦ لا تطلب ما لا يعنيك فيشغلك عمّا يعنيك — ٣٧ لا تطلب من الانسان السوء فعلًا جميلًا فتغرّ نفسك وتُتعب سرّك — ٣٨ اشرف الاشياء العقل وافضلها العلم واخصّها الادب — ٣٩ الحكمة نور والعلم دليل والعقل حياة والجهل موت — ٤٠ العلم كنزٌ خفٌ محملهُ

وهو في الصحراء آل وفي الوجوه انس وفي الشدّة عدّة وفي القربة عشير يشتدُّ بهِ حاملهُ ويَنبُل بهِ طالبهُ — ٤١ عقول الرجال في اطراف اقلامهم لان كتاب الرَّجل وَزن عقلهِ — ٤٢ الحكمة سلَّم العلو فمن علمها بلغ الى بارئهِ — ٤٣ راحة الحكماء في وجود الحقّ وراحة السفهاء في وجود الباطل — ٤٤ امور الدنيا تحت شيئَين القلم والسيف والسيف تحت القلم — ٤٥ التجارب عقلٌ ثانٍ ودليلٌ هادٍ — ٤٦ ما بنتهُ الاقلام لا تهدمهُ الأَيام — ٤٧ كل نعمة ما تكون من الله فهي بليَّة — ٤٨ اشقى الناس من عرف الخير وعمل بالشر — ٤٩ قيل لحكيم: لِمَ خليتَ الدنيا. قال: خوفاً من ان تتخلَّى عني — ٥٠ ليس الى السلامة من الناس سبيل — ٥١ افضل السلامة في مجانبة الناس — ٥٢ اذا قيل لك « نعم الرجل انت » وكان ذلك احبَّ اليك من ان يُقال « بئس الرجل انت » فانت والله بئس الرجل — ٥٣ اجهد نفسك على الرضا بالمذمَّة — ٥٤ الفاسق اقرب الى الله من ناسك جعل عبادتهُ شبكةً لصيد ما في ايدي الناس — ٥٥ انما يأنف المذمَّة من جهل وحسب انهُ غير مستوجب لما ذُمَّ بهِ — ٥٦ جُع الى الحكمة واعطش الى عبادة الله قبل ان يأتيك المانع منهما — ٥٧ لا تُرضينَّ احداً بسخط الله — ٥٨ اقهر العادات الرديَّة بالمقاومة لها — ٥٩ احتمل من السفيه واحدة لكي تربح عشرة — ٦٠ اذا سمعت كلمة مرَّة اعرض عنها فان لها اخوةً واخوات — ٦١ ان ضعفتَ عن فعل الخير فكفَّ عن فعل الشرّ — ٦٢ لا يصدَّنك عن الاحسان جحود طالب النعمة — ٦٣ حياة الشهوة مواصلتُها وموتها مقاطعتها — ٦٤ القلوب المعلَّقة بشهوات الدنيا عقولها عن الله محجوبة — ٦٥ من اطاع هواه بلغ عدوُّهُ منهُ مناه — ٦٦ من اكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا بيسير — ٦٧ ما استطاع الغاصب ان يغصبهُ فلا ترغب في اقتنائهِ — ٦٨ لا تفرح بموجودٍ لا يتركهُ في يديك الموت — ٦٩ ما قدَّمتَهُ من مالك فهو لك وما خلفتهُ فهو لغيرك — ٧٠ صدأُ نور العقل شبع البطن — ٧١ جاهد نفسك على الزهد في مرغوب الكلاب والخنازير — ٧٢ مهما امكنك تجنُّب الشبع فافعل ففي الجوع فوائد تضيق الاوراق عن نقلها اليك — ٧٣ احذر من الغضب فانهُ من اعظم جنود ابليس — ٧٤ أَياك من الغضب فانهُ يُحوجك الى ذلّ الاعتذار — ٧٥ اكثر الناس خطأً اكثرهم كلاماً — ٧٦ السكوت ستر جميل — ٧٧ أَياك وفضول الكلام فانهُ يظهر من عيوبك ما بطن ويحرّك من عدوّك ما سكن — ٧٨ من كثر كلامهُ

كثر لومهُ — ٧٩ من دخل مداخل السوء يُتَّهم لانهُ قيل «لا تَقِفْ موضع التهم» — ٨٠ اذا طلبت اصلاح قلبك فاستعن عليهِ بحفظ لسانك — ٨١ الزم الصمت فانها اجمل عادة وافضل عبادة واكرم شيمة واعظم غنيمة يكسبك الكرامة ويُورثك السلامة ويؤمنك الندامة ويكفيك الملامة — ٨٢ اذا اخترتَ ان تكون حيًّا فكن ميتاً حتى لا تفرح بمدح الناس ولا تحزن بذمّهم — ٨٣ من ظنَّ ان نفسهُ خير من نفس فرعون فقد اظهر الكبر — ٨٤ لا تتكبَّر على أحدٍ بفضيلة تظنها لك فربما كانت لهُ فضائل وانت لا تشعر بها — ٨٥ لكل داء دواء ودواء الذنوب الاستغفار — ٨٦ ثدي الحكمة يرضعهُ من فُطم عن الشهوة — ٨٧ خوف الله لا يشبه خوف الخلق لان من خاف الله هرب اليهِ ومن خاف من خلقهِ هرب منهم — ٨٨ يجب على العبد ان يُحسن توكُّلهُ على الله فيما لم يأتهِ وان يحسن رضاه فيما اتاه وان يحسن صبره فيما فاته — ٨٩ لا تخالط الناس مهما امكنك فان من خالطهُ الناس داراهم وراياهم — ٩٠ من خلا قلبهُ من ذكر الله تعرّض لوسواس الشيطان — ٩١ مكروه تحلو ثمرتهُ خير من محبوب تمرُّ مغبَّتهُ — ٩٢ قيل لسقراط: اخبرنا عن العيش الهني. فقال: هو قلَّة معرفة الناس قيل لهُ: زِدْنا. فقال: ان تجهل من تعرفهُ منهم — ٩٣ من تأنى اصاب او كاد يصيب ومن عجل اخطأ او كاد — ٩٤ ما غلب عليك جذبك اليهِ وصيَّرك يسيرًا في يديهِ — ٩٥ العلوم لغير المسالك مؤدية الى المهالك — ٩٦ فيك للشهوة غيم يحجب شمس عقلك وفيك للغضب نار تلفح وجه عقلك — ٩٧ من المروءة ان تغضّ عن تستَّر عنك فرآك الحياء فيهِ فاستحي انت منهُ كما استحى منك — ٩٨ سرور اهل البصيرة في صفاء السريرة واستقامة السيرة — ٩٩ لا تقل نفسي بلغت حدَّ الرياضة ينبغي للنفس ان تُراض حتى المهات — ١٠٠ من عرف حقيقة اللّذة لم يبقَ لهُ لذة

سلوان الاسرى في ايوان كسرى

لحضرة المحقّق والعلّامة المدقق الاب انستاس الكرملي (تتمَّة)

واردف الرحَّالة اوليڤيه قولهُ واصفاً ايوان كسرى بما تعريبهُ:

« ويتأثر الباحث في مواطن شتَّى اسوارَ تلك الحاضرة وكانت في غاية المتانة

والثخانة والسمك وكانت مبنيّةً باللَبِن مشدودًا بعضهُ ببعضٍ بالقصب وقد نُضـد طبقاتٍ كما هو الامر تقريبًا في اثر عقرقوف (راجع المشرق ٤ : ٢٠٧). وتُرى متبعثرة جُثى من الانقاض والرُدوم وبقايا جدران من الآجرّ. وفي جهة النهر بقايا حيطانٍ متينة مبنيّة بالآجرّ المحرق. وكان البنّاؤون قد اتّخذوا فيهِ القير عوضًا من الملاط. امّا النبات في ارض هذا المِصر فهو أغزر ممّا هو عليهِ في ما يجاورهُ من الارضين والانبتة فيهِ قويّة والشُجيرات مشتبكة عاسية جاسية

« وعلى مسافةٍ زهيدةٍ من طاق كسرى يُرى مسجد قد أُقيم على ما يُقال للصحابي "سلمان پاك" اي "سلمان الطاهر" ويذهب المسلمون لزيارة قبرهِ ويقضون ثمَّ بضعة أيَّام معتكفين على الصوم والصلاة والشيخ العربيّ خادم هذا المسجد يعتمد على ألطاف وهدايا وَرِعي المسلمين اكثر من اعتمادهِ على ما رتَّبهُ لهُ الباشا. وعلى ضفّة دجلة الغربيّة تجاه طيسفون كانت مدينة أُخرى اقدم منهـا وكانت لها بمنزلة ربضٍ وهي « سلوقية ». وهذه كانت قد بلغت في عهد اليونان شأوًا بعيـدًا من النموّ والارتقاء حتى ان بابل شعرت بوهنٍ في قواها. ثم تضعضعت وطاندها وتزعزعت قواعدها وضعفت سواعدها. امّا سلوقية فكانت تتأيَّد عُراها وتشتدُّ قُواها حتى اصبحت المِصر الاوَّل بين أمصار تلك الاقطار ومقرّ الملوك في تلك الديار وكانت واقعة على بُعد ١٨ ساعة في شماليّ شرقيّ بابل. ولم نتفقَّد اخربتهـا لتعسُّر عبر النهر يومئذٍ وخلوّهِ من السفن او المراكب. لكن جماعة من العرب الذين كانوا يعرفون تلك الربوع احسن معرفة قالوا لنا انهُ يُرى هناك اطلال مدينة عظيمة. وفي طيسفون اخربة وآثار وانقاض كثيرة الحجار واسوار بيّنة للانظار مبنيَّة باللَبِن الكبار. وطيسفون وسلوقية وما يجاورهما تُعرف باسمٍ واحدٍ وهو « المدائن » اه (١

ويحسن بنا ان نزيد على التفاصيل المتقدّم ذكرها ان الحجارة فيها مشدودة بملاطٍ جصّيٍ أمهق. وهذا ممّا يدلُّ على ان البناء رومانيّ الاصل لا بابليّة على ما نبَّه عليهِ بُكِنغام (٢

١) راجع Olivier : *Voy. dans l'empire ottoman*. T. II, p. 433 et seq. — *Paris* 1804. In-4°.

٢) Buckingham : *Travels in Mesop.*, p. 528.

وقد زار ريش (Rich) اربع مرّات اي في اذار سنة ١٨١١ وفي كانون الثاني وكانون الاوّل من سنة ١٨١٢ وفي اَيار سنة ١٨٢١ وقد دوّن في كُنَّاشتهِ اليومية نتائج ابحاثهِ العظمى (١

ففي زيارتهِ الاولى لاحظ ملاحظةً مجملةً غير مدقّق في نظرهِ ان كِسَر آجرّها وخزفها هي من جنس كِسَر آجرّ وخزف بابل. وان علوّ شواطئ دجلة هناك يبلغ من ١٠ الى ١٢ قدماً وارضهُ صلصالية مدبَّجة بوَشي النبات لكن يندر فيها الاشجار ويأوي الى تلك النواحي طوائف من انواع الطير كالكركيّ والحدأة والبجع ونحوها

وفي زيارتهِ الثانية وَجد بين طاق كسرى ودجلة رُسوماً لجدار عظيم مبنيّ باللبن وان هذا الحائط اقدم من الحائط الذي كان موجوداً في شرقيّ الصَرح. ورأى في حنيَّةِ عقد الطاق حلقةً من حديد معلقة بجائز

وبعد مُرور بضعة اشهر (اي في زيارتهِ الثالثة وكانت في ١٢ ك ١ سنة ١٨١٢). لم يرَ تلك الحلقة ولا مراء في ان الاعراب اقتلعوها ظنًّا منهم ان فيها شيئاً من النُضار. فاذا كان الامر على هذا الوجه في قومٍ هذه صفاتهم فكيف يأمل المرء العثور على آثار بابل ونينوى النفيسة. وقد لاحظ ريش ما عدا ذلك ان في العقد منافذ عديدة ينفذ خلالها النور وكانت تُلبس انابيب من الفخّار. وامثالُ هذه المنافذ التي من شأنها الاضاءة وتخفيف عبءُ العقد كثيرة في المباني الرومانية كما في ميدان كَرَاكَلاّ مثلاً. ثم لمَّا كان الشطر الاسفل من الجدار تنتابُهُ ايدي اصحاب العَيث والعبث تراهُ مُغلَّلا اكثر مما هو عليهِ شطرهُ الاعلى. ونحن مقدَّم البناء يستدقّ شيئاً فشيئاً كلّما ذهب صعُداً وذلك من ٢٠ آجرَّة الى ٨ آجُرّات عرضاً

وقد ارصد رِيش زيارتهُ الثالثة خصوصاً لقياس تقاسيم البناء. وهذه الاقيسة تُقارب أقيسة اوليڤيه وقد لاحظ ان دجلة قد غادَر شيئاً كثيراً من الغِرْيَل من جهة طيسفون ويظهر ان جري النهر قد انحرف نحو المغرب وقد جرَّ وراءهُ شيئاً غير زهيدٍ من سلوقية ولا يبين ان جدران طيسفون غمرتها مياه دجلة. والخربة جنوبي شرقي طاق كسرى تقوم براسها وهي واقعة في ناحية البُستان

(١) راجع كتاب: J. Cl. Rich.: *Narrative*, etc. Vol. II. chap. XIX, p. 159 *et Append*. VI, VII et VIII.

ثم ان ريشاً أطلق طائر بصرهِ على اخربة سلوقية وعلى الجدار الغربيّ منهـا . وهو أقرب جدرانهـا الى النهر وقد تهدَّم بالكلية . اما الجدار الشماليُّ الذي هو فوق طاق كسرى بثلاثة اميال انكليزيَّة والجدار الجنوبيّ المقابل لهذا الصرح فانهمـا شاخصان واذا توغَّلتَ قليلًا في جهة الجنوب فانك ترى مزار شيخ وفيهِ قطعة عمود قديم من الرخام المجزَّع وابعد منهُ بُحيرة يُنشئها « نهر مَلْكا » وهو خليج كانت تتصل بهِ عدة خلجان اصغر منهُ

امَّا زيارة ريش الرابعة او الاخيرة فليس وراءها عظيم فائدة او عائدة للمسئلة التي تهمُّنا

وفي سنة ١٨٢٤ تفقَّد هذه الاخربة كَبل (J. Keppel) تفقُّد نُتَفةٍ (النتفة من ينتف من العلم شيئاً ولا يستقصيهِ) وليس من المؤكَّد ان الاسامي التي يوردها على ما لقَّنها ايَّاهُ ادلَّاؤُهُ من الاعراب هي اسامي تتعلَّق بالانحاء والاوجاء التي وصفهـا مَن تقدَّمهُ من السَّفر فانهُ وجد الارض على ضفَّـة دجلة الغربيَّة وعلى مقربةٍ من سلوقية موشَّاة لا بل مغشَّاة بركام من الانقاض والاطلال وقد اكتست التلال بالعيص . واماَّ جِواؤُهُ فكانت مستغدرة . وعلى بُعد ساعتين من الشطّ عثر على آثار ابنية عظيمة من جملتها قطعة تمثال يُمثّل امرأةً جالسةً على عرش مربَّع من الطرز المصري وهذا العرش قائم على قاعدة تحتها عشرة قراريط وكل ذلك من الأعبل وهو مماَّ لا يُرى منهُ ابدًا في صقع من تلك الاصقاع . وعلى قول الاعراب : انهُ كان ثَمَّ في سابق الزمان مدينة عظيمة استنزل سكانها غضب الله عليهم بدوام ركوبهم مطايا الخطايا وذلك التمثال كان يمثّل في الاصل امرأة يرتكب المنكر مع أُختهِ

ثم ان كَبل مسحَ طاق كسرى فأدَّت بهِ نتائج اقيستهِ الى نفس مؤدَّى ريش . لكنهُ لا يعتبر طـاق الوسط نصف دائرة بل يعتبرهُ شلجميًّا يقرب بعض القرب من الهلاليّ . وعلى رأيهِ ان ابنيتَهُ كلها متقوّمة من الآجر المشويّ لكنهُ دون الآجر البابليّ في الإحكام والاتقان والمتانة . واسفل البناء قد تأكَّل من غمر المياه لهُ وهي الدائبة في إتلاف ما بقي من تلك الاخربة . وكل سنة يأتي مزار سلمان پاك جمٌ غفـير من الحجَّاج والزوَّار من جميع النواحي الدانية ويقفون عند طاق كسرى

ولعلَّ هذا هو السبب الذي حال دون اندثارهِ واندراسهِ (١

وفي ك ١ سنة ١٨٣٤ (ليلة عيد الميلاد) زار اخربة سلوقية زيارة مقتبس نارٍ بأبي فرازَر (٢ ومعهُ المعلّمان فِنْلَيْ وَرُسّ فعبروا دجلة في بغداد ووجدوا الارض مخصبة مَريعة وقد غطّتها العضاه والكَبَر والخُروب المتخذة في هذه البلاد بمنزلة الوقود. وبعد ان تجوّلوا في تلك النواحي على حُصنهم مدّة ٥ ساعاتٍ ونصف وجدوا انفسهم بازاء موقع سلوقية القديم وعرفوها من اركانها التي اصبحت قياماً وقعوداً. ومن حيطانها التي اضحت ركّعاً وسجوداً. متداعية الى الزوال. متضافرة على الاندراس والاضمحلال. ومحيطها يبلغ فسحةً عظيمة المجال. مبعثر على وجهها بقايا انقاض واطلال. وقطع خزفٍ وزجاج قد لصق بها شيء من الصلصال. وقد توصّل فرازر الى ان حصّل من رُعاة تلك الناحية تُماميَّ ومسكوكات وحجارة منحوتة واساطين من البلّور الحجري وتماثيل صغيرة من المعدن. وفي انتقالهم من سلوقية الى الحلّة استنتج فرازر ان تلك البقعة من بلاد الجزيرة كانت آهلةً بالسكان في غابر الزمان. وكانت المنازل والقرى والبلدان قد ضيّقت ذلك المكان. فسبحان من يغيّر ولا يتغيّر على مرّ الازمان

امّا ما كتبهُ الكولونل جِسني فلا يزيد شيئاً على هذه التفاصيل ولهذا لم نتعرّض لتعريب كلامهِ. امّا آخر من زار هذه الآثار القديمة من العلماء فهو بيترس واصحابهُ. وهذا معرَّب ما جاء في كتابهم (٣

« تمتدّ اخربة طيسفون امتداداً بعيداً غير انهُ في اليوم الذي ذهبنا اليها كان المطر يتساقط مدراراً ولم نستطع ان نرى إلّا شيئاً يبعد عنّا اقداماً. وعليهِ فقد قصرنا بحثنا على ايوان كسرى وعلى الذي كان في جنوبيّ القصر وهو على مسافة ١٠٠ قدم او اكثر وطاق ايوان القصرْ مفتوح نحو الجهة الشرقيّة وسمكهُ ١٠٦ اقدام على ما ذهب اليهِ لَيَرْد (Layard) وهو نفس ما توصّلتُ اليهِ تقريباً بموجب الحساب الذي حسبتهُ استناداً

١) راجع J. Keppel: *Personal narrative of Travels in Babyl.*, *etc.* *London* 1827 – 28, T. I, p. 122 et seq.

٢) طالع كتابهُ J. Baillie Fraser : *Travels in Koordistan, Mesop.* etc. *London.* 1840, Vol. II. p. 19 et seq.

٣) وهذا عنوانهُ : Peters : *Nippur or Explorations and Adventures on the Euphrates*, First compaign, page 198.

على سُوف الآجرّ. وتبلغ المسافة التي بين مدخل الايوان الى آخر حائط منهُ ٤٧ خطوة او ١٥٠ قدماً. ويبلغ ثخن الحيطان التي تتلقَّى الطاق ٧ امتار وفي الجهة الغربيَّة من البهو باب في الوسط. وامَّا جهتهُ الشرقيَّة فمفتوحة كل الفتح على ما تقدَّم الكلام عليهِ. وقريباً من المدخل بابان من الجهتين الشماليَّة والجنوبيَّة ويؤدّي باب الجنوب الى مجازٍ معقودٍ وراء صدر البناء وهو الى اليوم شاخص ماثل. ولهـذا الصدر ستّ طبقاتٍ متصاعدة علوًّا ويبلغ ثخن الحيطان عند اسفلها ٦ امتار. وكان خارج صدر البناء مجصَّصاً على حدّ ما يُشاهد في داخل الاواوين. وكان وراء هذا البناء يمتدُّ في الاصل نحو الغرب امتدادًا يُشبهُ البهو كما يتحقَّقهُ كل باحث اذا ما تأثَّر بقايا اساس الحيطان ورسوم البناء من جهة الغرب. وصدر هذا الصرح لا يُترجم ترجمةً صادقةً عما وراءهُ من البناء

« وشواخصُ رسوم هذا القصر الكسرويّ تنطق نطقاً فصيحاً بان جانب الايوان الواحد يمثّل كون الجهة الغربيَّة تشبه كل الشبه الجهة الشمالية. هذا واني وان كنتُ قد دقَّقت النظرَ في التلّ الباقي هناك فمع ذلك لم اجد دليلًا بيّناً على وجود بناء كان سابقاً في الجهة الجنوبيَّة يُشبه بناء الجهة الشماليَّة

« وشاهدتُ امام الايوان نحو الشرق جُثوَةً من القُهور تدفعني الى التكهُّن بان الردهة كانت تمتدُّ سابقاً الى نحو الشرق على وجهٍ يخالف الهيئـة الموجودة عليها اليوم لكني لمَّا لم اجد رسوماً لأُسس الحيطان فمن المحتمـل ان تلك القُهور قد هوَت من بعض انحاء الصَرح الشاخص حتى اليوم

« ثم ان نُوريان علا صهوة الطاق فوجد ثمَّ آجرَّةً مع كسرةٍ من الفخَّار الاخضر قد أُحرقت في داخلها ووجد ايضاً آجرَّةً بابليَّة عليها كتابة من عهد نبوخذرصَّر ولا بدع في ذلك فان الاقدمين من جميع الطوائف البابليَّة كانوا كالمحدثين ساكني هذه البقاع يتَّخذون في ابنيتهم الجديدة موادّ من ابنيـة من تقدَّمهم. وبالخصوص من موادّ ابنية بابل بعد عهد نبوخذرصَّر فانَّها كانت لهم بمنزلة منجم يجلبون منها ما شاؤوا من المعدَّات. » انتهى

وقد اتينا على كلام جميع من تكلَّم عن ايوان كسرى واحدًا بعد واحدٍ حسب التاريخ ليقف القارئ على ما صار اليـهِ هذا الاثر الجليل الذي لم يبقَ منهُ الَّا النزر القليل وليطَّلع على اندراسهِ حقبةً بعد حقبـة وليتعلَّم التدقيق في ما يصفهُ من الابنية

فان كل واحدٍ من هؤلاء العلماء صوَّر هـذا الصرح بقلمهِ تصويرًا يختلف مؤدَّاهُ عن كلام صاحبهِ. الّا انهُ يتَّفق معناهُ في جديد قالبهِ. ويفيـدنا الثاني عمَّا فات الاوَّل من الدقائق. مِمَّا يزيد في جميع الحقائق. وعلى هذا الوجه وقفنا على احسن وصفٍ وُصف بهِ ايوان كسرى. حتى يكاد يكون سلوانًا للاسرى

امَّا الماثل الباقي منهُ في هذا اليوم فهو جزءٌ من الطاق وجناح واحد من الحائط ماسك بيد العَقْد وامَّا الجناح الآخر فقد انهار في ١٥ نيسان سنة ١٨٨٨ عند ما فاض دجلة فيضانًا عظيماً غمر ارض الايوان كلهـا فتقوضت تلك الجدران وتزعزعت بعض الاركان وجرَّت المياه جانبًا عظيماً من حجارة ذلك البنيـان وقد اوشك ان يُصبح في خبر كان و:

لو تراهُ علمتَ انَّ اللَّيالي جعلَتْ فيهِ مأتمًا بعدَ عُرسِ
فسبحان من لهُ الاسماء الحسنى الذي يُفني ولا يَفنى (تمَّت)

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ (لاحق بسابق ٥: ٦٩)

فنّ الطباعة في الجزيرة والعراق

المطابع في الموصل (تابع)

٢ (المطبعة الكلدانيَّة) كان ابتداء هذه المطبعة على عهد البطريرك يوسف اودو الشهير (راجع المشرق ٣: ٨٨٧) وذلك بهمَّة احد ابنـاء الطائفة الكلدانيَّة اسمهُ الشمَّاس روفائيل ابن القس بطرس مازجيّ الآمدي كان في اوَّل امرهِ انتظم في سلك جمعيَّة الآباء اللعازريين ثم انفصل عنها لينقطع الى عمل الخير نحو أمَّتهِ. وكان للمذكور ثروة واسعة خصَّصها لانشاء مدرسـة اكليريكيَّة وفتح مطبعةٍ تُنشر فيها الكتب الطقسيَّة والمدارسيَّة. ولم يلبث هذا المشروع ان يخرج الى حيّز العمل نحو سنة ١٨٦٣. فاستجلب الكلدان الكاثوليك مطبعةً من باريس مع كل اللوازم اللاحقة بها من ادوات وحروف كلدانيَّة وعربية وفرنسويَّة ومساكب. اما العَمَلة فكان اكثرهم ممَّن اخذوا

الصنعة عن حضرات الآباء الدومينيكان فبرعوا عندهم بصفّ الحروف. وطُبعت وقتئذٍ بعض كتب كلدانيَّة الى ان استأثر الله بنفس المحسن فتوفّي بالهواء الاصفر في سنة ١٨٦٥. فأُصيبت المطبعة بموته بضربة لازبة الى ان احياها مدّةً غبطة البطريرك اليأ عبو اليونان وكان حاذقًا في فنّ الطباعة. ثم أُهملت وبيعت بعض ادواتها لمطبعة الولاية.

امّا الكتب التي صدرت في هذه المطبعة فهي الآتية نسردها على حسب زمن صدورها :

١ً كتاب الزبور الالهي بالكلدانية على ترتيب الفرض بحرفين اسود واحمر (١٨٦٥. ص ٣٠٠+ ٧) = ٢ً كتاب دَقْذام ودباثر (راجع المشرق ٥ : ٧٣٠) وفيهِ الصلوات القانونيَّة اليوميَّة مع تسابيح اكثرها للقديس ماروثا (١٨٦٥. ص ٣٤٤ + ٧) = ٣ً كتاب روضة الصبيّ الاديب في اصول القراءة والتهذيب باللغتين العربية والفرنساويَّة محلّى بفقرات من تواريخ العرب تأليف المطران جرجس عبد يشوع الكلدانيّ الموصلي (١٨٦٩. ص ٢٦٦ +٧) = ٤ً بعض رسالات رعائيَّة

٣ (مطبعة الولاية) كان ظهورها سنة ١٨٧٥. وقد ساعد حضرات الآباء الدومينيكان على ترويج اشغالها فخدموا بذلك الحكومة المحليَّة خدمةً طيّبة عرفها لهم اصحاب الامر. وهذه المطبعة لم تنشر الّا الاوراق الرسميَّة والتجاريَّة والسالنامات والاعلانات وما شاكل ذلك. وفيها تُطبع جريدة الموصل مباشرةً من سنة ١٨٧٩

مطبعة دير الزعفران

دير الزعفران دير كبير للسريان اليعاقبة شرقيّ ماردين على مسافة ساعة منها يرتقي عهدهُ الى القرن الثامن للمسيح وفيهِ آثار دينيَّة قديمة ومقبرة لبطاركة اليعاقبة وهو مقامهم الآن

وفي عهد البطريرك بطرس الثالث الذي سبق البطريرك الحالي عبد المسيح سعى الانكليز بان يتقرّبوا من الكنائس الشرقيَّة المنفصلة لاسيَّما اليعقوبية في بلاد الهند وما بين النهرين ورحل البطريرك الى لندرة فرحّب بهِ اعيان الدولة الانكليزيَّة ودُعاة دينها ودخل على الملكة ڤيكتوريا فاكرمت مثواهُ وتبرّعت عليهِ بمئتي جينه سنويًّا لفتح مدارس ومطبعة. ولما قفل راجعًا الى ما بين النهرين دارت المراسلات بينهُ وبين الانكليز. ثم ارسل المطران غريغوريوس عبد الله الصددي المتكثلك بمدنذٍ الى لندرة فاصاب حظوى

لدى اعيانها فاهدوهُ مطبعة بكل ادواتها وذلك نحو سنة ١٨٨٧ . فلمّا عاد الى بلاد الجزيرة صحبهُ سيّدان انكليزيّان وهما الدكتور تراملت والمعلّم سر منير ويليم وزارا طور عابدين ومقامات السريان اليعاقبة ثم تولّيا امر المطبعة فنشرا فيها بعض كتب بالسريانية او الكرشونية ولم تشتغل هذه المطبعة الّا ثلاث او اربع سنوات ثم رجع الانكليزيّان الى بلادهما فلم يمكن احدًا من السريان ان يواصل عملهما فبقيت المطبعة بلا عمل وتعطّلت بعض ادواتها . وقد سمعنا انّ الحكومة ابتاعت مطبعة دير الزعفران لاشغالها الخاصّة في ديار بكر والله اعلم . امّا الكتب التي ظهرت في هذه المطبعة فنعرف منها الآتية ولا نظنّ انهُ طُبع غيرها :

١ً كتاب المزامير . ولم نطلّع عليهِ طُبع سنة ١٨٨٨ = ٢ً كتاب الشحيم اي الصلوات القانونيّة الاسبوعية . طُبع طبعاً غير متقَن وعلى ورقٍ خشن (١٩٠٠ . ص ٣٩٦) . ورد في آخره ما حرفهُ : « طُبع بمطبعة الشهيرة بدير الزعفران اي الكرسي الانطاكي لطائفة السريان بنفقة الشعب المؤمن الاخوة المسيحيين بانجلتيرا واشتراك ابناء الطائفة السريانية وكان ذلك في سنة ١٨٩٠ . . اوّلاً بامر مولانا الاعظم وملكنا الافخم سلطان البرّين وخاقان البحرين السلطان عبد الحميد خان ايّد الله ملكهُ الى آخر الدوران امين . ثم بمساعدة المملكة المعظّمة انبراطوريّة انجلتيرة الفخيمة وبنظارة رئيس الاساقفة ومطران لوندرة والدوكتور تراملت والمعلم الفيلسوف سر منير وليم والست حرمتهِ المؤمنة وبمجاهدة الستّ فص وباشتراك الشعب المؤمن اخوتنا شعب الانجليز الذين اجتهدوا بتنظيم جمعيّة خيريّة لاجل فتح مدارس لابناء طائفتنا السريانيّة وكان ذلك بهمّة وغيرة الحبر الاعظم مار ايغناطيوس بطرس الثالث البطريرك الكرسيّ الانطاكي الذي اشتهر عن سلفائهِ بالمحبّة الجنسية . . . وارسل الاب المشهور بالغيرة الروحيّة غريغوريوس المطران عبد الله الى الاوندرة (لندرة) وحصل على مطبعة شهيرة قد أُهديت من المستر ميلار رشد وابنه وشركة المستر وميسس هدون مع باقي المشتركين جهذه الهديّة لدير الزعفران وهذه طبعة الثانية قد طُبعت بالمطبعة المشار اليها وذلك باعتناء مديرها اياونيس المطران الياس والمعاونين لهُ الراهب منصور وراهب الياس وصفّافين الاحرف رزق الله واسكندر وجبرائيل وداود وجرجس . . . واذا صارت الهمّة من الجميع انشاء الله تنطبع جميع كتب طائفتنا السريانيّة . . . » = ٣ً كتاب التعليم المسيحيّ بقطع صغير وحرف كرشونيّ كبير (١٨٩٠ . ص ٢٥٦) = ٤ً كتاب مبادئ القراءة السريانية وخدمة القداس في كرّاس صغير (١٨٩٣ . ص ٢١)

المطابع في العراق

مطابع بغداد

نفتتح هذا الفصل بأداء فروض الشكر الى حضرة الاب الفاضل العلّامة انستاس

الكرملي والى السيّد الجليل والكاتب النبيل محمود افندي شكري آلوسي لما تلطّف بهِ كلاهما من الافادات عن مطابع دار السلام ولولاهما لما امكنّا ان نكتب في هذا الصدد الّا ما لا يشفي الغلّة

انّ مطابع بغداد ستّة دونك تاريخها ومطبوعاتها:

١ (مطبعة ولاية بغداد) اوّل مطبعة أُنشئت في دار السلام هي مطبعة ولايتها ويقال لها ايضاً مطبعة الزوراء. وهي كبيرة تُقسم الى اقسام عديدة وفيها ادوات تديرها اليد جلبها من باريس احمد مدحت باشا الشهير سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩م) مع مطبعة حجريّة فاخرة. وفي سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠ م) امر باصدار جريدة رسميّة للحكومة سُمّيت باسم الزوراء. وهي لا تزال تُنشر الى اليوم في المطبعة المذكورة مرّةً في الاسبوع بالتركية والعربية

امّا منشورات هذه المطبعة فضيّقة النطاق وهي عبارة عن اعلانات رسمية وجداول حسابية ووصولات تجاريّة وما كان من هذا الباب. ولم يُطبع فيها من الكتب الّا النزر القليل وهذه اسماء جميع ما نُشر فيها :

١ً سالنامة الولاية لكل سنةٍ كتاب ضخم نحو ٧٠٠ ص = ٢ً كتاب قوانين التجارة = ٣ً قانون الجزاء الهمايوني = ٤ً قانون الاراضي. وقد ترجم هذه الكتب الثلاثة من التركية الى عربيّةٍ فصيحة مهذَّبة احمد عزّت افندي الفاروقي الشاعر الناثر المشهور كاتب العربيّة في ولاية بغداد = ٥ً كتاب نشوة الشَّمول في السفر الى اسلامبول (١٢٩٣. ص ١٢٦) = ٦ً كتاب نشوة المدام في العَود الى دار السلام (١٢٩١–١٢٩٣) وكلاهما لعلّامة عصرهِ ابي الثناء شهاب الدين محمود افندي الشهير بآلوسي زاده مفتي بغداد = ٧ً ولهُ ايضاً في هذه المطبعة كتاب الاجوبة العراقيَّة على الاسئلة اللاهورية (١٣٠١. ص ٦٤). ولم يصدر من هذه المطبعة غير الكتب المذكورة

٢ (مطبعة كربلاء) أُنشئت في قرب بغداد وهي مطبعة حجريّة جلبها من بلاد فارس احد اكابر العجم من اهل ايران سنة ١٢٧٣هـ (١٨٥٦ م) في عهد مشير العراق والحجاز محمّد رشيد باشا وكان محبا للعلم ومنشّطاً لاهل الادب والفهم. ولم نعرف لها الّا كتاباً واحدًا وهو كتاب مقامات ابن الالوسي المعروفة بمقامات الجدّ (١٢٧٣. ص ١٣٤)

٣ (مطبعة كامل التبريزي) وهي مطبعة حجريّة جلبها من بلاد ايران الميرزا

عبّاس سنة ١٢٧٨ هـ (١٨٦١ م) وسمّاها بالاسم المذكور. وقد طبع فيها الكتب الآتية:

١ً كتاب اشراق التواريخ ليعقوب بن عطا الله الرومي القرماني = ٢ً كتاب سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب لابي الفوز محمَّد امين البغدادي الشهير بالسُّوَيدي وقد طُبع سنة ١٢٨٠هـ (١٨٦٣م) صفحاتهُ ١٣٠ = ٣ً كتاب الظرائف واللطائف للشيخ ابي نصر احمد بن عبد الرزّاق المقدسي. وقد علّق عليهِ حواشي وابياتًا الحاج محمَّد امين الموما اليهِ (١٢٨٣-١٨٦٦ ص ٢١٥) = ٥ً المقامة الطيفيَّة لجلال الدين السيوطي. وهذه الكتب كلُّها مطبوعة على نفقة الحاج محمَّد امين المذكور. وكان خطّاط المطبعة محمَّد جوّاد الفارسي الاصل

٤ (المطبعة الحميديَّة) وهي مطبعة حجريَّة أُنشئت سنة ١٣٠٢هـ (١٨٨٤م) صاحب امتيازها عبد الوهّاب افندي نائب بغداد ولم تَدُم الّا بضع سنوات وقد طُبع فيها جداول حسابية ورسائل فقهية وكُتَيب اسمهُ: «بحر الكلام» لسيف الحقّ ابي المعين النَّسَفي

٥ (مطبعة دار السلام) أُنشئت سنة ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م) وصاحب امتيازها ابراهيم افندي مدير السنيَّة في العمارة ولم تطبع من الكتب الى اليوم الّا كتابين وهما:

١ً كتاب الفوائد الآلوسيَّة على الرسالة الاندلسيَّة. تأليف السيد عبد الباقي افندي ابن السيد محمود افندي زاده طُبع سنة ١٣١٢هـ (١٨٩٤م) = ٢ً كتاب بلوغ الارب في احوال العرب تأليف العلاّمة السيد محمود شكري افندي بن عبد الله بن محمود الآلوسي سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٦م) وهو في ثلاثة اجزاء مجموع صفحاتها (١٣٣٠+٢٠) (راجع المشرق ٢:٥٢٣ ; ٣:٢٢٦ ; ٤:٢٢٦) وهذه المطبعة تطبع اعلانات ومنشورات واوراقًا مُتَنَوّعة

٦ (المطبعة اليهوديَّة) أنشأها سنة ١٨٩٤ اليهودي شلومو بيخور. وقد طُبع فيها كتب عبريَّة مدرسية ورسائل ومناشير تجاريَّة ونحو ذلك الّا انهُ لم يُطبع فيها الى اليوم كتابٌ عربيّ

مطبعة البصرة

في البصرة مطبعة صغيرة طُبعت فيها سالنامات وجريدة رسميَّة وفذالك واوراق تجاريَّة ولا نعرف من امرها غير ذلك (انتهى تاريخ فنّ الطباعة في العراق)

ساعة شيخ البلد

للاب انطون ربّاط اليسوعي

اذا ما خرجت يوم عيد في زمن الربيع من مدينة ليون فسرتَ اصيلًا على ضفَّة نهر «السون» متتبعاً جريانه الى حيث يجتمع مع نهر «الرون» فيمزجان مياههما رأيت منظرًا بديعاً فتلُّ فورڤيار (Fourvières) يتمدّ امامك وهو يزهو غضارة ونضارة تتخايل بين ادواحهِ قصور وابنية انيقة اتخذها موسرو البلدة مرابع لهم يلجأُون اليها اذا ما لفحهم القيظ فان آثرت المسير على الأقدام والَّا فان قطارات الترموايِ الكهربائي تترادف مارّةً كالشهب فاختر ايّها شئت توصلك الى جسر «المولاتيار» باجرة لا تتجاوز العشرين بارة ومنهُ تتسنم معطف الرابية براقٍ اوَّلًا ثم بشعاب وعرة المرتقى حتى اذا ما وصلت الى جادة «سنت فوا» عرّجت يميناً الى ساحة فسيحة فيها قوم من الفعلة والاكَّارين اجتمعوا عائدين من الكنيسة بعد صلاة المساء جريًا على عادة مسيحيي الغرب ايَّام الآحاد والاعياد

ثم ترى القوم يتفرَّقون ارهاطاً كل رهط على قسمين يلعبون بالكرات يدحرجونها ترويحًا للنفس من هموم الاشغال اليومية فيتجاذبون اطراف الحديث بهناء لا يشوب سلامهُ شائبة . ففي بعض الأيَّام بعد ان اخذوا نصيباً من الراحة وملُّوا اللعب احدقوا بشيخ قد جلس على حدة ينظر اليهم وكانهُ بانتظارهم . وكان الرجل بيّن الشيخوخة احنى عبء السنين صلبهُ ولعب الشيب في لمَّتهِ المنحدرة على كتفيهِ كعقد من لجين فزاده جلالًا وكانت تبدو على غضون جبينهِ سيماء التحنك والدراية

فقال احدهم وكان فتى غضّ الشباب : لم تُنجز بعدُ يا اباناكُنبار ما وعدتنا بهِ من القصص

فاحاطوا بهِ احاطة السوار بالمعصم يسالونهُ ان يشرح صدرهم بشيء من اخبار الاوَّلين

فرفع الشيخ طرفه اليهم وقال : اتريدون ان اقصّ عليكم ما سمعتهُ او ما رأيتهُ بالعيان ؟

قالوا: بل ما رأيتهُ

— ما رأيتهُ ؟ اني رأيت اموراً جمّة لا يزال ذكرها في صدري كأني اليوم شاهدتها او هل اخبرتكم بساعة شيخ القرية ؟

— لا لا لم نسمعها بعد

— اسمعوا

فاصغوا جميعاً كانَّ على رأسهم الطير

قال الراوي: قد مضى على هذا ستون سنة ونيف كنتُ اذ ذاك في ريعان الشباب لم اتجاوز السابعة عشرة من عمري وقد تُوفي ابي وانا صغير ولم تلبث ان لحقتهُ امي لما داهمها من الغمّ والحزن

قال هذا وتقبضت جبهتهُ فمسح بمنديله دمعةً سالت على خدّه المخدّد ثم اردف كلامهُ وقال: فاصبحت يتيماً لا املك شروى نقير ولا اعرف صنعة تكسبني المعيشة غير انهُ كان لي المام بشيء من الغنـــاء اخذتهُ عن جوَّالة المغنين ولا يخفى على الرجال بينكم ما كان عليهِ اباؤنا في الازمنة الغابرة من الشغف بالاغـــاني الوطنيَّة والالحان القديمة والادوار الزجليَّة التي اضحت اليوم نسياً منسياً في ظهراني من يدعون انفسهم اولاد عصر التمدُّن كأنهم قد اكتشفوا على الشمس والقمر ونحن كنَّا لها جاهلين

قال هذا ووجّه طرفه بابتسام يستشفُّ من ورائهِ شيءٌ من الاسف الى حلقة الشبان المكتنفين بهِ

فقاطعهُ احدهم: لا تغضب علينا يا عمّ كسبار اننـــا نقدّر اغانيك والحانك القديمة حقّ قدرها فلا تصوّب الينا سهام مذمّة نحن منها خلاءٌ وبراءٌ

قال آخر: وبرهاناً لذلك نطلب اليك ان تسمعنـــا الليلة شيئاً من نغماتك المطربة فنكون لك من الشاكرين

قال كسبار: حبًّا وكرامة. ثم عاد الى حكايتهِ

« قلتُ اني كنت عارفاً بالغناء فرأيت ان اتخذهُ لي حرفة فاطوف الاسواق واترصّد المواسم في القرى المجاورة فاعيش قنوعاً بما يقدّرهُ الله لي لا ارغب في الثروة ولا أُعلّل الآمال ببلوغ معالي الرتب فاصبح يوماً سيّداً او اميرًا كما يفعل فتيان عصرنا »

فتبسّم الحضور لنكتته ولم يقاطعوه

«ولكن أليد الوحيدة لا تحقق كذلك لا بدّ لها من رفقة وقوي كانت فسهّل الله لي الامر على تحسين ما كنت أروم وذلك انّي بينا كنت أطوف يوماً وحدي في انحاء الجبل الذهبي Mont-d'Or رأيت شاباً طويل القامة صبيح الوجه حسن البشرة اهيف مَن تبصر في ملامح وجهه خيّل له انه لم يبلغ الحنث لما فيه من صفاء اللون واصفراره على حين كان قد ناهز او جاوز العشرين وكان اسمهُ الفريد الصبودي»

قال احدهم: هو الفريد شتروب المغني الذي دُفن هناك على جنب كنيسة قريتنا

— هو هو فقد ذهبت مرارًا لاصليَ على قبر هذا المسكين صديق صباي ولم يعش طويلًا لما كان قد قاساه في صغره من الجوع وضنك العيش يتيمًا وحيدًا قضى مرارًا الليل تحت الجسور عرضة للبرد والارياح. فتأثرتْ من جرَّاء ذلك بنيتهُ النحيفة وجرى داء السل في صدره فقصفهُ غصنًا نضيرًا لم يبلغ الثانية والعشرين من عمره فعُنيت به مدة مرضه عناءي باعزّ الاخوان ولمَّا قربت ساعته. قال لي: «اني احسّ ان قواي قد خارت فهل لك ان تدعو لي كاهنًا». فاسرعتُ ولمَّا جاء الكاهن سمع اعترافهُ وزوده بالاسرار. ولم يلبث ان اسلم الروح بسلام لم اره قط في ميتٍ. رحمهُ الله فاجاب الحاضرون: الله يرحمه

— قال احدهم. وساعة شيخ البلد نسيتها يا عمّ

— قال كسبار: لم انسها. وكان لالفريد صوت رخيم اذا غنى حسبت الحمام يغرّد ويستنيح في صدرهِ فتؤثّر نغمتهُ في الافئدة ايّ تأثيرٍ يمسّ الربابة مسًّا لطيفًا فترنّ تحت اناملهِ وتصيح صياح الثكلى. فلمَّا سمعتهُ واطّلعت على حذقهِ عرضت عليهِ الشركة في اكتساب العيش فنكون يدًا واحدة وقلبًا واحدًا ونحلب الدهر اشطرهُ. فرضي ولمَّا لم يكن ذا خبرة في التدبير ضعيف الجاش اذا رأى خيالًا طار قلبهُ شعاعًا كنتُ لهُ كالاخ الكبير والمدبر يتبعني كظلّي ويثقُ بي وانا اصغر منهُ سنًّا

فقضينا اشهرًا معًا نجول في انحاء ليون وسنت اتيان في هناء ورغد حتى انضمّ الينا شابٌ آخر يُدعى شارل اولين. وكان لهذا اب حيَّاك فلم يرضَ الابن ان يتّخذ حرفة ابيه فضاقت بهِ اسباب المعيشة فتبعنا وكان اهوج مهذارًا متهورًا ذا سحنةٍ مضحكة رقعًا اذا لقي من خصمهِ فشلًا لكن اذا فجأتهُ فاجئة ونظر اليهِ قرنهُ شذرًا أرعش جبنًا

وتلجلج لسانهُ فقرقر كالدجاجة عيًّا وخرقًا . على انهُ كان يزمر حسنًا ولم يلبث طويلًا في شركتنا لانهُ سمع بفتح الجزائر فسار اليها رغبة في الثروة ولا ادري اهو الآن حي او ميت

وفي بدء سنة ١٨٣٠ أنبئنا انهُ سيقام في نواحي « لونس لوسونيه » (Lons - le - Saunier) موسم عظيم يجتمع فيهِ الوف من الباعة من كل اطراف مقاطعة جورا فاغراني شارل على الذهاب اليهِ لنزور البلاد ونغني فنربح ربحًا عظيمًا . فتلقَّيت هذه الدعوة ببشر لاسيَّما انَّ ثمَّت كانت تقيم ابنة تجمعني واياها قرابة تدعى حنَّة لا يتجاوز عمرها عمري اتت الى سَنت فوا وهي صغيرة فكنَّا نلعب سويَّة وتواعدنا على الزيجة اذا ما كبرنا واتاحت لنا المقادير ثم عادت الى بلاد « فرنش كونته » وقد أُعلمتُ انَّها خادمة في فندق يسمى فندق الفرس الاحمر فرغبت في زيارتها لاذكّرها ايَّام الصبا وارى هل هي مقيمة على العهود

فاعددنا الزاد ووضعنا سُفرتنا في جراب وسرنا مشيًا على الاقدام لان السكك الحديديَّة لم تكن عندئذٍ في عالم الوجود ولو كانت لما مكَّنتنا اكياسنا الفارغة من ركوبها وصرنا نقطع المراحل تارةً نتجاذب اطراف الحديث وطورًا ننشد الاغاني فيزمر شارل وينقر الفريد ربابتهُ وانا اعاونهما في الغناء وكنَّا نبيت في القرى فننقد مضيفينا غناء وانشادًا بدلًا من الدرهم والدينار الى ان صرنا على مرحلة من المدينة محطّ رحالنا فقضينا ليلتنا في قرية نسيت الآن اسمها وبعد الظهر قلت لاصحابي : هلموا بنا الى « لونس » اذ لا بُدَّ لبلوغها من السير الحثيث فنأوي الى نزل الفرس الاحمر ونصبح نشيطين والَّا لاضطرَّتنا الليل ان نبيت في الغابات وغدًا رأس السنة الجديدة ويوم موسمنا

فاذعنا لمقالي وسرنا وكان البرد قارسًا والثلج يتساقط فيكسي المزارع والآكام ثوبًا ناصع البياض تبدو من خلالهِ اشجار السنديان تتلاعب فيها الريح فتتمايل زهوًا ودلالًا فقطعنا ضياعًا وعمائر تارةً نتسلَّق الروابي وطورًا نهبط في الاودية وحولنا جبال قد اتَّزرت بالسحاب واعتمت بالثلج الى ان انهار جرف النهار وبانت « لونس » في منعطف وادٍ تكلِّل مفرقها قمم زبرجديَّة الالوان وتحيط بها الاشجار والحقول كنطق من المخمل يلمع تحت اشعَّة الشمس الآذنة بالغروب

فتركنا جادّة الطريق وسرنا على حاشية غابة مظلمة حسبناها توصلنا الى منتزه « لونس » المشرف على المدينة حيث يقام الموسم ومنهُ ننحدر الى المدينة . وكنّا نسرّح الابصار في بديع ما بسطتهُ الطبيعة على مرآنا وألفريد ينظر الى ظلمات الغابة بتوجُّس كأنّ في طيّها زُمَرًا من الجنّ واقفة لهُ بالمرصاد لتختطفهُ . فجعل يغني مكررًا ادوارًا حماسيَّة حينًا بعد حين عسى ان يكشف عن قلبه غمامة الخوف الى ان غاض قرن الغزالة وراء الجبال وجاء الليل ناشرًا اجنحة الظلام فحثثنا السير واذا بصوت انكرناه ارتعش لهُ الفريد فالتفت الينا قائلًا : أنا لفي خطر

فقلتُ : دع عنك هذه الاوهام انَّ الطريق امينة فلا خوف علينا وها القرية تجاهنا اقرب الينا من حبل الوريد

قال شارل : اظنُّ الفريد يخاف الوحوش الضارية . لا بأس عليك يا رفيقي فليس للسباع في النحيف مثلك مأكلٌ دعهم وكسبار فايمن الله انَّهُ لاسمن من الخروف المسمَّن وهو اهلٌ لان تقرمهُ اسنان الغيلان

قال الفريد : ناشدتك الله دع عنك ذكر الغيلان فانَّها تذكّرني ما طالما قصَّتهُ عليَّ جدّتي من اخبارهم فاقشعرّ منهُ جلدي وعظمي

ثم رسم على جبهتهِ اشارة الصليب ورفع عقيرتهُ يغنّي واذا بالصوت الذي سمعناهُ ينتهرنا مرَّة أُخرى . فانتُقع لون الفريد والتجأ اليَّ كما يفعل الفرخ اذا رأى الباشق منحطًا عليهِ . فسكَّنتُ روعهُ وتجلّدت وتقدَّمت الى حافة الغابة لارى هل هناك احد واذا بكهل طويل القامة لحيم البدن ذي وجه عبوس وهو راكب على بغلة تنوءُ تحت ثقل جثته الضخمة بان من خلال الدوح والعوسج الملتفّ عن يسارنا . فتقدمت اليهِ فقال : انعموا مساء ايّها الشبَّان

فبرّقت فيهِ ناظري واجبتهُ على تحيتهُ وعاودنا السير

فقال : الى اين انتم ذاهبون ؟

قلت : الى لونس لوسونيه

قال : عودوا حالًا على الاعقاب اني لكم ناصح فان في دخولها خوفًا عليكم

قلتُ : واي خوف ونحن شبَّان نغتنم ايَّام المواسم والاعياد فنطوف القرى ونعيش من غنائنا دون أن نتعرّض لاحد

قال: اكرر عليكم مشورتي ستلقون خطرًا
قلتُ: دع عنك الخوف يا شيخ السلام
قال: قد انذرتكم وقد أعذر من أنذر

(التتمة للآتي)

اطيب مثال

في ترجمة المطران جرمانوس الشمالي

نبذة للكاتب الفاضل الخوري بشاره الشمالي

الحياة دعوات ومواهب لله الباري عزّ وجلّ وما حيــاة الطيّب الذكر المطران جرمانوس الشمالي الشهير بالمبرّات ألّا حياة رسول الانذار والتبشير في ديارنا الشرقيّة في النصف الاخير من القرن السابق اصطفاهُ الله ليكون قدوةً للاحبار ومثالًا لاهل الفضل وذوي الغيرة. فايفاء بالوعد واجابةً الى رغبــة مدير هذه المجلّة تزفُّ الى قرّاء المشرق الكرام لباب حياة هذا الحبر الجليل التي اودعناها في كتاب مطوَّل وسمناهُ بالدُّرَر الغوالي من حياة المطران جرمانوس الشمالي ونشرناهُ بالطبع مزيّنًا برسوم عديدة. ونقسمُ نبذتنا هذه الى ثلاثة ابواب نصف في اوّلها الرجل واهمّ اطوار حياتهِ التي تقلّب فيها. وفي ثانيها المرسل واعمالهُ وطريقتهُ المُثلى في الوعظ والخطابة. وفي ثالثهــا نعتبر المؤلف والشاعر والمراسل وكلُّ ذلك على وجه الاجمال فرارًا من الاسهاب المملّ. ومن استزاد فعليهِ بالكتاب المتقدّم ذكرهُ

١ الرجل واطوار حياتهِ

سُهيلة قرية خاملة تتوسّد منحنى جبلٍ من مقاطعة كسروان يبعد عن البحر نحو ميلين على كتف قرية عينطورا ذات المدرسة الشهيرة تحدق بهــا الغابات والاحراج الكثيفة كأنّها

سلطانةٌ حُلَلُ الحرير محيطةٌ بعقابها من اخضر او اصفرِ
والبحر يرقص عند اسفل عرشها مستغنيًا بدويّهِ عن مزهرِ

فهذه هي القرية التي احتلّتها أُسرة الشمالي منذ نحو مائتي سنة فنمت عددًا وفضلًا حتى زانها الله بفرعٍ جديد اولاها فخرًا على فخرٍ ألا وهو صاحب الترجمة فرنسيس ابن

الخوري ميخائيل بن منصور بن يوسف الشمالي الذي اشتهر في آخر حياتهِ باسم جرمانوس

ولد فرنسيس في اوائل شباط من سنة ١٨٢٨ من والدين بارَّين بعدَّان التقى من كنوزهما وكان المولود ثالث اخوةٍ اربعة لم يبقَ منهم في قيد الحياة الَّا اصغرهم

فنشأ الصبيّ في حجر والديهِ تقيًّا ريّض الطباع محمود الاخلاق محبًّا للعبادة. وممَّا اتّصف بهِ في سني عمرهِ الاولى تعبُّدهُ لمريم العذراء تلقَّن ذلك من امّهِ وهو في المهد فنما ونمت في فؤادهِ محبتهُ نحوها وتأصَّلت عروقها في صدرهِ وما زالت تزداد نموًّا مع الأيام الى آخر نسمة من حياتهِ وقد كافأتهُ البتول الطاهرة عن عبادتهِ هذه بان استدعتهُ الى دار البقاء يوم عيد الحبل بها البريء من دنس الخطيئة الاصليَّة

وكان فرنسيس متوقد الفهم سريع البديهة جيّد الحافظة فارسلهُ ابواهُ منذ ترعرع الى مدرسة مجانيَّـــة كان انشأها في عين طورا في القرن السابق الاب بطرس مبارك اليسوعي المارونيّ ولم يزل يتردَّد اليها حتى اتقن دروسها وهي عبارة عن مبادئ القراءة العربيَّة والسريانيَّة واصول الخطّ مع نظرٍ في الكتب الطقسيَّة لمساعدة الكهنة في الرتب الدينيَّة. وبلغ ذلك قبل ان يدرك العاشرة من عمرهِ

وبعد ان انجز فرنسيس دروسهُ البدائيَّة طفق يعضد اخوتهُ في قضاء حاجات البيت ومناظرة الاملاك وهو مع ذلك يراجع في اوقات الفراغ ما تعلَّمهُ ويتمنَّى لو يُتاح لهُ ان يدخل احدى المدارس كي يستقي من ينبوع علومها الزلال

وفي اثناء ذلك سمع الشاب صوت الله يدعوهُ الى خدمتهِ وزادهُ رغبةً في هذا الامر انهُ قضى بضعة اشهر في مدرسة مار سركيس ريفون الاكليريكيَّة حيث تقوَّى في درس السريانيَّة فعمل فيهِ منظر تلامذتها وودَّ لو تيسَّر لهُ ان يكون مثاهم. فكان يطلب الى الله والى والدتهِ البتول ان يقرّبا اليهِ مرغوبهُ ويبلغاهُ اقصى غايتهِ

فاستجاب الله صلاتهُ وفاز بمبتغاهُ بعد زمن قليل فانهُ بلغ السيّد اسطفان الخازن مطران دمشق ما كان عليهِ فرنسيس الشمالي من ذكاء الفهم وحسن التقوى وانهُ تائق الى الدروس ليخدم الله في الدعوة الكهنوتيَّة فسُرَّ بذلك وارسل الشاب الى مدرسة مار عبدا هرهريَّا فدخلها وقلبهُ يستطير فرحًا كمن اصاب كنزًا دفينًا يؤمّنهُ من كوارث الدهر او مَعينًا صافيًا يبرّد فيهِ غليلهُ. وكاني بهِ قد ردَّد في فكرهِ ما قالهُ بعد ذلك في وصف العلم (نظم اللآلئ ص ٥٩):

العلم للعقل مثل النور للبصرِ   مَن أحرز العلم نال الفوز بالوطرِ
من حازهُ حاز كنزًا ليس تسلبهُ   ايدي اللصوص ولا ذو المكر والضررِ

لم يباشر فرنسيس العلوم التي طالما رغب اليها حتى عكف على تحصيلها واندفع الى إحرازها بما لا مزيد عليهِ من النشاط والغيرة. وكان يجد في موقع مدرسة مار عبدا ما يحبّب الدرس الى قلبهِ فانَّ هذه الدار في عزلة عن ضوضاء العالم مبنيَّة في وادٍ نضير تزينهُ احراج الصنوبر والحدائق المثمرة. ويروي هذه الغياض جدول ماء زلال يتحدَّر في وسطها مترقرقًا

ففي هذا المكان النَّزِه صرف فرنسيس الشمالي سبع سنين عدَّها من اسعد ايَّام حياتهِ فتفرَّغ الى اقتناء كلّ العلوم الكهنوتيَّة من فصاحة وفلسفة ولاهوت مع درس العربيَّة والسريانيَّة. على انَّهُ كان منشغفًا بدرس الكتاب المقدَّس يمعن في معانيهِ النظر ويتعلَّم منهُ قطعًا عن ظهر قلبهِ ويطالع شرحهُ وقد داوم على درس الاسفار المقدَّسة مدَّة حياتهِ كلها. ومن آثارهِ الباقية في ذلك انهُ نسخ كل تفسير العهد الجديد لكرنيليوس الحجريّ بيدهِ وهو عبارة عن ١٥١٠ صفحات في ثلاثة مجلَّدات ضخمة

وبلغ حبُّ فرنسيس للدرس الى انهُ كان يحرص على وقتهِ حرص البخيل على مالهِ فلم يُضع منهُ شيئًا. وكان في مدَّة تنزُّه الدارسين يعتزل عنهم لمطالعة كتاب او لمراجعة درس وما كان ليصرفهُ عن ذلك صارفٌ حتى في ايَّام الشتاء والبرد القارس فلا عجب بعد هذا انهُ اصاب قصبات السبق في مضمار العلوم وفاق على رفقتهِ ونجح نجاحًا بيّنًا في الامتحانات التي قدَّمها لدى الاساتذة الفاحصين فأدّوا لهُ شهادة تؤْذن باهليَّتهِ وفضلهِ

وكان فرنسيس مع انكبابهِ على العلوم لم يغفل امر نفسهِ فانهُ كان يهتمّ بان يزيّن قلبهُ بالفضائل التي تمكّن ارباب الكهنوت من مباشرة اعمالهم الشريفة في سبيل الله وخلاص القريب. وكان بقدر ما يقترب من يوم ارتقائهِ الى درجة الكهنوت السامية يزيد قلبهُ برًّا وقداسة الى ان اسفر صباح ذلك اليوم السعيد الذي اتَّخذ فيهِ الربَّ وحدهُ نصيبًا وميراثًا وكان ذلك في ٥ آب سنة ١٨٥٥ على يد سيادة المطران اسطفان الخازن وجرى الاحتفال في كنيسة سُهَيلة الرعائيَّة. وثاني يوم تكهُّنهِ وهو يوم عيد التجلي اقام للمرَّة الاولى قدّاسًا حافلًا حضرهُ جمهور الاقارب واهل القرية فتأثروا لما وجدوهُ في الكاهن الجديد من التقوى الملائكيَّة وكان ذلك اليوم عيدًا بهيجًا قضاهُ الخوري

فرنسيس في مسقط رأسهِ بين التهانئ والمسرَّات . وفي مساء النهار أُوقدت المشاعل وأُطلقت البنادق وعلت اصوات الفرح ودام ذلك هجعةً من الليل

وما كاد الخوري فرنسيس يرشف كأس الهناء حتى دعاهُ الله الى الشغل وتضحية نفسهِ في سبيل القريب فاتاهُ امرٌ من غبطة البطريرك يوسف الخازن ليعود الى مدرسة مار عبدا ويتولَّى رعاية تلامذتها وتهذيبهم في الآداب والعلوم الكهنوتية فاجاب الى دعوة غبطتهِ وباشر مهمَّتهُ الجديدة بما عُرف بهِ من النشاط والهمَّة . والذين تتلمذوا لهُ يثنون حتى اليوم على صفاتهِ الطيّبة كغزارة علمهِ وإحكامهِ في الشرح ولين جانبهِ في المعاملات وحرصهِ على تثقيف الطلبة في العلم والفضيلة دون مراعاة الاشخاص . وقد خرج من تلامذتهِ سادة افاضل وكهنة اجلاء أدَّوا ولا يزالون الخدم الجليلة لطائفتهم

وكان الخوري فرنسيس يستريح من تعب التدريس بنسخ الكتب الثمينة . وقد بلغ ما خطَّتهُ يدهُ الطاهرة في تلك المدَّة نيفًا وعشرين مجلَّدًا في العلوم الدينيَّة والدينويَّة في اللغتين العربيَّة والسريانيَّة ممَّا تستغرق مطالعتهُ السنين الطوال . وكان مع ذلك لا يفتر عن اتمام كلّ اعمال الكهنة الغيورين من رياضات ومواعظ واستماع الاعترافات وما اشبه ذلك

الَّا انَّ قلب هذا العبد الامين كان يتوق الى اكثر من ذلك فكانت رغبتهُ الى ان يتعاطى كلَّ اعمال الرسالة والتبشير ويشتغل في حراثة كرم الربّ دون عائق . فاتالهُ الله قصارى بغيتهِ بعد زمن قليل . فانهُ لمَّا كانت سنة ١٨٦٥ تيسَّر للطيّب الذكر والمبرور المساعي المطران يوحنَّا الحبيب ان ينظِّم جمعيَّة المرسلين اللبنانيين في دير الكريم فكان الاب فرنسيس الشمالي من اوَّل الذين انتظموا في سلك هذه الجمعيَّة وتمَّموا كلّ واجباتها مع نسيبيهِ الخوريين فرنسيس واسطفان الشماليين . وقد امتاز صاحب الترجمة ببراعتهِ في الوعظ وطرائقهِ المبتكرة في اقامة الرسالات حتى شاع اسمهُ في جميع انحاء لبنان بل في سوريَّة كلّها . الَّا انَّ قداسة سيرتهِ وشظف عيشهِ وتقشفاتهِ كانت تفعل في النفوس اكثر من بلاغة خطبهِ . وذلك ما حمل روساء الطائفة الى ان يعهدوا اليهِ مرارًا بشؤون الملّة فقام باعبائها احسن قيام

ولمَّا انس منهُ غبطة البطريرك المثلَّث الرحمات يوحنَّا الحاج وسائر السادة الاساقفة هذه السجايا الفريدة وحسن التدبير للامور اجمعوا على انَّ الخوري فرنسيس افضل راعٍ

يقام على ابرشيَّة حلب المترملة منذ سنة ١٨٨٨ . ومن ثمَّ بينما كان المرسل الغيور يصرف مجهودهُ في عمل الرياضات في سواحل بيروت اذ بلغتهُ رسالة من السيّد البطريرك يأمرهُ فيها بالمثول امامهُ دون تأخير فقام لساعتهِ وذهب توًّا الى بكركي المقرّ البطريركي مساء عيد الميلاد وهو لا يعلم بما هيَّأهُ الله لهُ . فلما وقف على نيَّة رئيسهِ وعرف انهُ لا مناص لهُ من طاعة اوامرهِ حنى الرأس لنير الاسقفيَّة رغمًا عن نفوره طالبًا من الله أن يساعدهُ على القيام باعبائها الشاقَّة

وتمَّت حفلة التكريس في ثاني عيد الميلاد بأُبَّهة عظمى فاتَّخذ مذ ذاك اليوم اسم جرمانوس لما لهذا الاسم في قلوب الحلبيين من الوقع الحسن وقد زيَّنهُ قبلهُ اسقفان جليلان احدهما المطران جرمانوس فرحات الطيّب المآثر

وما بلغ الحلبيين خبر انتخابهِ راعيًا عليهم حتى ترطَّب لسانهم شكرًا لغبطة السيد البطريرك وائتلفت القلوب وبطلت الاحزاب وباتت الرعيَّة تنتظر بفروغ الصبر ورود حبرها الذي عشقتهُ القلوب قبل ان تنظر اليهِ العيون

وكان يوم دخولهِ الشهباء يومًا مشهودًا بل موسمًا معدودًا اهتزَّت لهُ المدينة كلُّها وقد قدَّرهُ الحلبيُّون منذ رأوهُ حقَّ قدرهِ واقتنص محبَّتهم من اوَّل خطبةٍ القاها في ظهرانيهم يوم وصولهِ فعرفوا بهِ راعيًا غيورًا وابًا محبًّا اتاهم ليتفانى في خير نفوسهم

ولم تكذب فيهِ آمال رعيَّتهِ بل الاولى ان يُقال انهُ بلغ حيث لم تبلغ الامانيّ والهمم مع قصر مدَّة رعايتهِ التي لم تتجاوز ثلاث سنوات لكنهُ قد صدق فيهِ قول الحكيم: انهُ استوفى بزمن قليل سنين كثيرة

فانهُ ما كاد يستقرُّ على كرسيّهِ حتى وجَّه همَّتهُ الى توفير اسباب نجاحهِ وابتدأ بامور الدين ولها السبق والتقدُّم فباشر القاء الارشادات والمواعظ على شعبهِ في الآحاد والاعياد وفي آونة الرياضات فتقاطر الناس الى استماعهِ وكان يأتيهِ السامعون من جميع الملل والنحل فيشهدون لهُ بطول الباع في فنّ الخطابة وقد ارتدَّ كثيرون من الخطأة على يدهِ الى جادَّة الفضيلة

ومن اعمالهِ المبرورة انهُ انشأ الاعمال الخيريَّة ونشَّط الاجتماعات التقويَّة والاخويَّات واهتمَّ بتربية الاحداث وقد بنى لهم مدرسةً ليتثقَّفوا فيها بالدين والآداب وجدَّد المطبعة المارونيَّة لنشر الكتب الدينيَّة والادبيَّة

وفي مدَّة اسقفيَّتهِ اليسيرة اصلح عدَّة امور في كنيستهِ الكاتدرائيَّة ففرش الخورس بالبلاط واقام منبرًا للوعظ وابتنى مذبحًا للقديس يوسف. وكذلك اصلح الكنيسة القديمة وجعلها مصلًّى لدارهِ الاسقفيَّة وفيها كان يقدّس ايَّام الشغل. ومع ما تكلَّف من النفقات في هذه الاصلاحات امكنهُ ان يفي نحو اربعين الف غرشٍ من الديون التي على الكرسي. وشكَّل لجنتين من العوامّ والاكليروس للنظر في شؤون الوقف

ومما يُذكر لهُ فيشكر اهتمامهُ في اكليروسهِ ومحبَّتهُ لهم. وكان يبذل الجهد في ان يعيشوا العيشة الاهلة برتبتهم السامية ويزيدوا كلَّ يوم فضلًا وصلاحًا. وكان الاسقف البار يتقدَّمهم في طريق القداسة فينعش فيهم روح الغيرة والبرّ بمثلهِ اكثر منهُ باقوالهِ

فكلُّ هذه الاعمال الخطيرة مع ما كان يفرضهُ على نفسهِ من الصوم والسهر الطويل وحصر الفكر في ادارة امور ابرشيَّتهِ المتعدّدة فضلًا عمَّا كابدهُ من برد حلب القارس وحرّها اللافح قد اثَّرت بصحَّتهِ لكنهُ لم يُبالِ وداوم على اشغالهِ الى صوم سنة ١٨٩٥ فباشر الرياضات المتوالية وكان يعظ ثلاث مرَّات في النهار وهو مع ذلك يصوم الى الظهر ولا يأكل غير الزيت فما مرَّ عليهِ عشرة ايَّام حتى أُصيب بلقوة بفكّهِ الايسر مع شلَل في القلب فاضطُرَّ الى ملازمة الفراش وحكم الاطباء بقضاء الضربة

لكنهُ بعد مدَّة رأى الأُساة بعض التحسُّن في صحَّتهِ فاشاروا اليهِ بالاوبة الى لبنان لعلَّهُ يجد في هواء الوطن دواء لدائهِ ففعل بعد استئذان غبطة البطريرك وزايل ابرشيَّتهُ مخلفًا وراءهُ الاسف والكآبة

فعاد الى لبنانهِ العزيز وتنقَّل مدَّة خمسة اشهر في صرودهِ الطيِّبة حتى تحسَّنت حالهُ الَّا انَّ ساعة جزائهِ كانت دقَّت فانتكس في ضحى عيد السيّدة البريَّة من دنس الخطيئة الاصليَّة وهو نازل الى بيروت مع سيادة المطران يوسف نجم النائب البطريركي فما بلغ قصبة جونية حتى احسَّ بدوار قوي عليهِ بعد ساعة فذهب بحياتهِ الثمينة وقد توفّي بكل هدوّ بعد ان تزوَّد بالاسرار المقدَّسة وطلب الغفران الكامل وكان آخر ما وجَّه اليهِ خاطرهُ اولادهُ الروحيين فاسلم روحهُ وهو يدعو لهم ويباركهم

ولا نصف ما اصاب طائفتهُ ومعارفهُ وخصوصاً ابناء رعيَّتهِ من الحزن على فقدهِ فانَّ القلم يقصر عن وصف مثل هذه الرزيَّة. امَّا جثَّتهُ الكريمة فنُقلت الى بكركي حيث صلَّى عليها رؤوس الملَّة واعيان الطائفة وأبَّن الفقيد خطباء مصقعون ثم أُودع

الرمس في سُهَيلة مسقط رأسهِ بكل تجلّة واكرام. وقد نُقل بعد ذلك بخمس سنوات الى قبر أُعدَّ لهُ في الجانب الايمن من مذبح الكنيسة الرعويَّة وهو يرقد اليوم هناك على رجاء القيامة وعلى ضريحهِ تُتلى هذه الابيات من نظم الخوري اسطفان الشمالي وقد ضمَّنهُ تاريخًا نقلهُ عن نظم اللآلي :

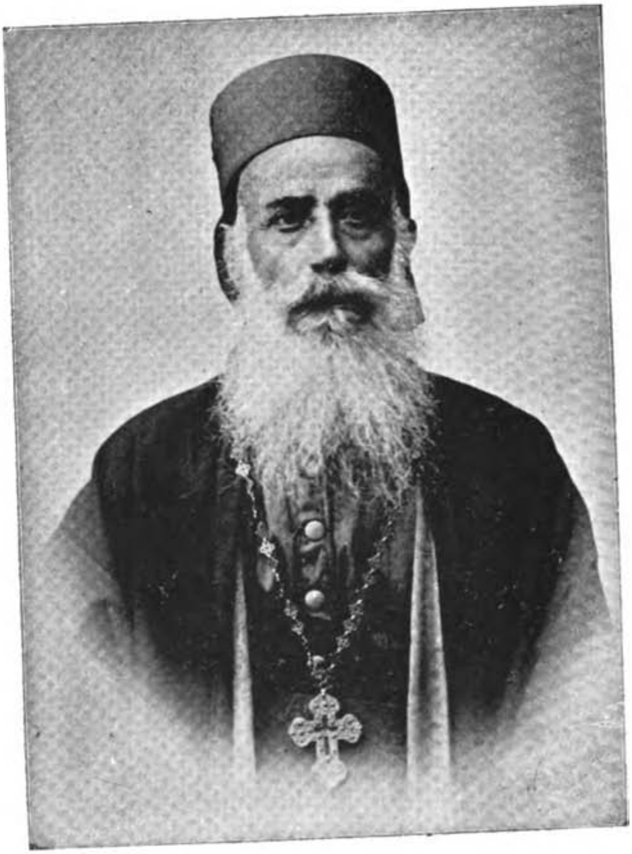
قضى جرمانس الراجي ثوابًا قضى رجلُ الخطابة والكمالِ
قضى حبرٌ لهُ في كلّ قطرٍ محامد خطّها كبرُ الفعالِ
تزيهٌ غادر الشهباء تبكي ليترل رمس اخوانٍ وآلِ
وارّخ رمسهُ في ذيل رسم كما قد قال في نظم اللآلي
ومن عجبي يمني ارّختهُ فيبقى الرمس ذكرًا للشمالي

هذه لمعةٌ من ترجمة مثال الاحبار السيّد جرمانوس الشمالي توقفنا على بعض اعمالهِ الخطيرة الّا انَّ هذه الاعمال الظاهرة كانت كلا شيء بالنسبة الى ما اتّصف بهِ باطنهُ من الفضائل كتقواهُ وروح عبادتهِ في مناجاة الله واتكالهِ على الربّ في الضيقات والبلايا والصبر على الملمّات والسذاجة والنزاهة في المعاملات وسجايا أُخرى كثيرة اتّصف بها رحمهُ الله يمنعنا ضيق المقام عن تعدادها .

٢ المرسل

المطران جرمانوس ممَّن برَّزوا في ديارنا الشرقيَّة في الكرازة والتبشير فنال بذلك ذكرًا بعيدًا تجاوز لبنان وبلغ حدود الشام وفلسطين والقطر المصري حتى ضُرب بوعظهِ المثل . لكنهُ لم ينل ذلك عفوًا دون عناء بل اتّصل اليهِ بالاستعداد الطويل والممارسة المتواصلة

واوّل ما فكّر فيهِ ان يطبع في قلبهِ الفضائل الرسوليَّة التي لولاها لكان كلام الواعظ «نحاسًا يطنُّ او صنجًا يرنُّ» وكان في صدرهِ غيرةٌ ملتهبة لخير النفوس التي فداها الربّ بدمهِ الثمين . وكان ابتدأ ان يشتغل بامر خلاصها حتى قبل كهنوتهِ وهو شمّاس فكان يجول في القرى المجاورة لمدرسة مار عبدا ويعلّم الاحداث التعليم المسيحيّ . وكان يوجّه دروسهُ الى هذه الغاية لكي يتّخذ العلوم وسيلة لخلاص القريب . وذلك ما حملهُ على اتقان درس الاسفار المقدَّسة لعلمهِ انَّها موردٌ للواعظين يجدون فيها مادَّة واسعة وكنزًا لا ينفد لارشاداتهم وتعاليمهم فضلًا عمَّا في كلام الله من القوَّة السماويَّة المؤثرة في القلوب . وقد واصل هذا الدرس مدَّة كل حياتهِ حتى صحَّ فيهِ قولهُ عن غيرهِ :



السيد الجليل

جرمانوس الشمالي مطران حلب على الموارنة

١٨٢٧—١٨٩٥

هذيذهُ في كلام الله متَّصلٌ يمتار منهُ غذاء النفس كاللبنِ

وممَّا ساعدهُ ايضاً على ما نالهُ من الثمار الروحيَّة روح النزاهة والتجرُّد الذي عُرِف بهِ في سياحاتهِ الرسوليَّة فانَّ سامعيهِ لدى علمهم بانَّ هذا الواعظ لا يطلب غير صالحهم كانوا يثقون بهِ ويصغون الى كلامهِ وينقادون الى تعاليمهِ. وكان يحيك فيهم لطفهُ ووداعتهُ فانهُ اجتذب بلين طباعهِ ودماثة اخلاقهِ كثيرين من الخطأة الذين كانوا يقصدونهُ كما قصد الابن الشاطر اباهُ مقرًّا بذنوبهِ تائباً عن آثامهِ

وقد كان الله جمَّل المطران جرمانوس بكل الصفات الطبيعيَّة التي يعتبرها الناس في مبشِّريهم بالخلاص ومرشديهم الى الله من ذلك جبينهُ الوضَّاح ولحيتهُ البيضاء ونظرهُ العميق المملوءُ عذوبةً وملامح وجههِ النسكيَّة وطلعتهُ الزهديَّة ووقفتهُ الخشوعيَّة بحيث لم يرهُ احد على متن المنبر الّا تذكَّر بمن قيل فيهِ: «صوتٌ صارخ في البرّيَّة»

وممَّا خصَّهُ الله بهِ انهُ كان في وعظهِ طلق اللسان رخيم الصوت سريع الخاطر قويَّ الحافظة امينها لا يتلعثم بحرف ولا يتردَّد بكلمة ولا يحصر عن تعبير ولا يسرع بعبارة بل كان يتساقط الكلام من فيهِ كانهُ الدرُّ المنظوم في سلك المعاني اللطيفة والتصوُّرات المبتكرة

وكان فضلًا عن ملكة البيان المذكورة آنفاً رقيق القلب سريع التأثُّر يخرج كلامهُ من قلبهِ دون تصنُّع فيلج قلوب السامعين ويملك عواطفهم ويستنزف دموعهم مع ما أُوتي من قوَّة الحجَّة وجلاء البرهان عقلًا ونقلًا لتضلُّعهِ في الدروس الفلسفيَّة واللاهوتيَّة وهذيذهِ في الاسفار المنزلة. ولو راجعنا ديوانهُ لرأيناهُ وصف نفسهُ حيث قال في غيرهِ وقد احسن:

الفاظهُ الدرُّ والمعنى يرصِّعها بالنظم والنثر والانذار بالسُّنَنِ

وبقولهِ: لديهِ صفات موسى في خطابٍ وغيرةُ قلبِ ايليَّا الغيورِ

وقولهِ: ويعدُّ صوتاً في الخطاب لعلمهِ يونانَ في جوف السفينة نائماً

وقولهِ: فترى القلوب تذوب عند خطابهِ وتؤوب بين تفجُّعٍ وتصدُّعِ

وقولهِ: فتسمع عند خطبته شهيقاً وقرعَ الصدر حيث الطرفُ هامِ

ولو أتسع بنا المجال لتبعناهُ في البلاد التي طافها كلبنان وانحاء الشام وحلب والجليل وفلسطين ومصر اذن لوجدناهُ عاملًا نشيطاً في كرم الربّ يحصد حيثما سار حصادًا وافرًا والشعوب تزدحم حول منبرهِ دون تمييز بين غنيّ او فقير وجيه او حقير رئيس

او مرؤوس وربَّما كان يتكلَّم ساعةً او ساعتين والناس في استماعهِ كأن على رؤوسهم الطير وكان كلامهُ يلذُّ البلغاء والعامَّة لمزجهِ بين الطلاوة والسذاجة وبين المعاني الرفيعة والامثال الدارجة والتشابيه القريبة المنال فتمَّ بشخصهِ ما نظمهُ في مدح المطران يوسف جعجع :

ما قام يوماً بالمنابر واعظاً الَّا واعطى كلَّ نفس ما تعي
ان شئتَ تشبيهاً لهُ في وعظهِ قُلْ مثل موسى يوم وَضع البرقعِ
حاكاهُ في نفس البهاء نظير ما ضاهاهُ في هذي الصفاتِ الاربعِ
وهي الوداعةُ والبشاشة والتقى والغيرةُ الكبرى على المتفجّعِ

ولا عجب بعد هذا اذا رأيناهُ قضى اجلهُ شهيد الانذار والوعظ اذ لم يُصبهُ الداء الذي ذهب بحياتهِ الَّا لانهُ حمَّل نفسهُ فوق طاقتها في المواعظ والارشادات ليس فقط في كنيسة طائفتهِ بل في كنائس الطوائف الكاثوليكيَّة كلها اثابهُ الله واجزل جزاءهُ في فسيح جنانهِ

٣ المؤلف

صرف الحبر جرمانوس الشمالي حياتهُ في التدريس والرسالات والقاء المواعظ فلا غرو ان قلَّت مصنَّفاتــهُ وهو لم يتفرَّغ للتأليف . ومع هذا فقد ترك من بعدهِ كتباً مفيدة غذت النفوس ولا تزال بافاويق البرّ والصلاح . من ذلك انهُ اعتنى بتنقيح كتاب روضة الواعظ الذي عرَّبهُ الخوري انطون آصاف وطُبع في المطبعة الكاثوليكيَّة للآباء اليسوعيين وكذلك اعاد النظر باشارة سيادة المطران يوسف الدبس في بعض الكتب الطقسيَّة فاصلح عبارتها كخدمة القدَّاس اليوميَّة وكتاب الافراميَّات اي المدائح التي تُتلى في القدّاس وكتاب الزياحات والرتب

وعُني ايضاً بمعاونة رفيق رسالاتهِ الخوري اسطفان الشمالي بجمع ما كان منثوراً من مواعظهِ في وُرَيقات كادت تلعب بها ايدي الضياع فجاء كتاباً جامعاً سهل العبارة وقد سمَّاهُ كتاب لمحة العين زفَّهُ الى كهنة الرعايا ليساعدهم على كسر الخبز الروحيّ للاغنــام الناطقة وقد نُشر هذا الكتاب بالطبع في جزئين واليوم قد نفدت نسخهُ لتوارد الكهنة عليهِ . ولا عيب في هذا الكتاب الَّا أن تحييهُ نفسُ كاتبــهِ لانَّ السيف بضاربهِ كما قيل

وللمطران جرمانوس ديوان شعر ألمعنا اليهِ جمع فيهِ ما نظمهُ من القصائد في كل

ابواب الشعر كالمديح والرثاء والاناشيد والتواريخ وغير ذلك وقد سمَّاهُ نظم اللآلئ للحبر الشمالي وطبعهُ في حلب سنة وفاتهِ بالمطبعة المارونيَّة المتجدّدة بعنايتـهِ ٠ وحب الاقتصار يمنعنا من ذكر انموذجٍ منها فنحيل القارئ الى مطالعة هذا الديوان ليرى ما فيهِ من المحاسن كجودة النظم وسهولة التعبير وابتكار المعاني٠وكان الفقيد شاعرًا مطبوعًا قال الشعر عفوًا دون درسٍ سابق على استاذٍ وكان قبـل دخولهِ مدرسة مار عبدا يقول الشعر العامّي بديهًا يودعهُ التصوّرات البديعة والمعاني الحسنة ثم طالع كتب العروض بنفسهِ فنظم القصائد الجيّدة ٠وكان في شعرهِ يطلب المعـاني قبل الالفاظ ولذلك يُرى في بعض ابياتهِ شيء من الركاكة٠ ولا شكَّ انهُ لو تفرَّغ للنظم واعمل النظر في دواوين من تقدَّمهُ لكان عُدَّ من شعراء عصرهِ المبرّزين

وكان ينبغي علينا في الختام ان نذكر شيئًا من مراسلاتهِ فانَّها مثـال المكاتبات الاهليَّة الخالية من كل تصنُّع مع ما فيهـا من سلامة الذوق وجودة التعبير والتجافي عن الكلفة والاسترسال في المعاني الليّنة والعواطف الودادّيَة٠ودونك رسالة نثبتها هنا لتعريف طريقتهِ في الرسائل كتبها الى ابنتي اخيهِ المنضمَّتين الى رهبانيَّة القديس يوسف في مدينة ليون :

« انهُ لدى رجوعنا من شغل الرسالة الى الدير لاخذ الراحة قليلًا وتشديد ما يمكن ان يكون ارتخى من عزائم القوى لنتمكن من تجديد العمل بحرارة ونشاط في ابتداء الصوم المقدَّس القـادم قد ورد لنا تحريركما فتلقيناهُ بغاية السرور وكان لنا بدء الراحة لما حواه من الإخبار المشير الى راحتكما التامَّة وسروركما بحالتكما السعيدة ما بين زهور فردوس ثانٍ مع يسوع آدم الثاني الذي تمنّثانا بعيد ميلاده السعيد٠واستنشقنا ممَّا اقتطفتماهُ واهديتماهُ برسالتكما رائحـة زنبق الطهارة ونردين التواضع وورد المحبَّة فلا برحتما مصونتين من كل كدر ومحروستين برعاية من يرعى بين السوسن ولا زلتما تودّعان عيدًا وتستقبلان عيدًا في ساحة الافراح مع مصافّ العذارى عروسات يسوع٠الى ان نلتقي جميعًا في ذاك العيد الذي لا تنتهي افراحهُ ولا تصمت الالسنة عن التهنئة بهِ٠ ثم نقول اهلًا وسهلًا بالسَّنة الجديدة جعلها الله سنة مباركة تبشّر بالخير والامـان في كل مكان٠ وتطلبان الدعاء بدلًا عن « صباحيّتكما » في صباح الخير فهذا نقدّمهُ في كل صباح على يد مريم البتول التي تكمل ما ينقصهُ من شرائط القبول فالامل ان يكون لنا ولجميتنا الحديثـة نظيره منكما ومن كامل جميتكما المقدسة المقبول دعاؤها والمشهور خيرها اشتهار الشمس رائعة النهار والضامّة في سلك المحبة لآلئ استُخرجت من بحر هذا العالم فيزدان بأنقاها اكليل البيعة المقدسة٠ ٠ ٠

ونقف عند هذا الحدّ طالبين منـهُ تعالى ان يطيّب ضريح هذا الحبر المفضال والعبد الامين ويجمعنا وايَّاهُ في مصافّ اوليائهِ الصالحين

مطبوعات شرقية جديدة

Der Islamische Orient
von M. Hartmann, *Berlin* IV u. V 1902 SS. 103 - 193
الشرق الاسلامي

ذكرنا غير مرّة هذه المجموعة التي وسمها صاحبها الفاضل العلاّمة مرتين هرتمن بالشرق الاسلاميّ لبحثهِ فيها عن بلاد الاسلام واحوال المسلمين. وهذا القسم الرابع قد خصّصهُ المؤلف بآسيا الوسطى فوصفها لا كمن رآها بالعيان بل استنادًا الى ما سمعهُ وهو في الاستانة العلية من افواه بعض اهلها المسلمين ونقلاً عمّا عثر عليهِ في مكاتبها من المخطوطات عن تلك الاقطار لاسيّما تركستان الصينية. وفي هذه المقالة فوائد عديدة لغويّة عن التركية القديمة التي يُعنى بعض المستشرقين بدرسها. ومن دأب المؤلف في ابحاثهِ هذه انهُ يستطرد الى امورٍ شتّى فيُكثر من ملاحظاتهِ ومنقولاتهِ لكنهُ ربّما جازف في الكلام ولم يستوفهِ نصيبهُ من الحقيقة. وبينما نحن نكتب هذه الاسطر اذ وردنا القسم الخامس من هذه المجموعة وفيها ترجمة المانيّة لبعض الاقاصيص الشائعة في بلاد تركستان نكتفي اليوم بذكرها ه. ل

Die Parabeln des Herrn im Evangelium
exegetisch u. praktisch erläutert v L. Fonck S. J.
Innsbruck, Fel. Rauch (*Karl Pustet*) 1902. SS. 808
امثال الرب في الانجيل مع شرحها نظريًا وعمليًا للاب فُنك اليسوعي

انّ الامثال التي ضربها الربُّ في انجيلهِ الشريف لحاويةٌ حكمة سماويّة يشهد لها فطاحل العلماء غير المؤمنين فضلاً عن المسيحيين وسُذَّج القرّاء. ومَن اعمل فيها النظر وجدها اوَّل بدء سهلة الادراك قريبة المنال لا تعتاص على الجهلاء فضلاً عن الحكماء. الّا انهُ لا يلبث ان يجد تحت هذه القشرة الظاهرة نواةً تتضمَّن من المدارك السامية والمقاصد الجليلة ما تعجز عن فهمهِ العقول النيّرة ولذلك ترى الذين كتبوا في شرح هذه الامثال يكاد لا يحصرهم عدٌّ من آباء ومعلمين وواعظين ومفسرين. وهاك اليوم حضرة الاب فُنك احد ترلاء مدرستنا الكلية سابقًا واحد اساتذة كلية إنسبروك حالًا قد انجز مجلّدًا ضخمًا وضعهُ في تفسير هذه الامثال الربيّة في اللغة الالمانية. فقد

أجلنا فيهِ النظر فاذا هو حقيقةً خلاصة كلّ ما كتبهُ القدماء. والمحدثون في هذا الصدد وقد صدَّر كتابهُ بمقدَّمة ذات اربعة ابواب بحث فيها اجمالًا عن الامثال ومقامها وغايتها ومقاصدها وطرائق شرحها. ثم حاول بان يجد فيها مقصدًا عموميًا يشملها جميعها فرأى أنها كلّها عائدة الى تعريف ملكوت السماوات الذي بشَّر بهِ المسيح فالبعض منها يبيّن حقيقة هذا الملكوت وجوهرهُ واعمالهُ والبعض يدلُّ على اصحابهِ واعضائهِ وما يترتَّب عليهم من الفرائض ومنها اخيرًا ما يعرّف غاية هذا الملكوت ونسبتهُ الى اعضائهِ. وقد تتبَّع المؤلف هذه الاقسام الثلثة ثمَّ اخذ كلّ مثل وشرحهُ شرحًا مستوفيًا من حيث الالفاظ والمعاني والظروف والمقاصد الخفيَّة والاشارات الرمزيَّة. وكثيرًا ما ينتقد على آراء العلماء الذين سبقوهُ فيصحّحها او يُفنّدها مستندًا الى ادلَّة ساطعة لغويَّة او علميَّة لا ردَّ عليها. ومن خواصّ هذا الكتاب انهُ موردٌ للوعَّاظ يستقون منهُ ما يحتاجون اليهِ في ارشاداتهم وتفاسيرهم الانجيلية. وفي الختام نتمنَّى ان يُنقل هذا الكتاب وامثالهُ الى لغتنا ليكون دستورًا لدارسي الاسفار المقدَّسة وشارحيها

١ سلسلة بطاركة الطائفة المارونيَّة

٢ شرح التكريسات والشرطونيَّة

وكلاهما للعلَّامة الطيّب الذكر البطريرك اسطفان الدويهي

طُبعا في المطبعة الكاثوليكيَّة سنة ١٩٠٢ (ص ٢٣١ و ٢٩٣)

عُني بنشرها حضرة الاستاذ رشيد افندي الشرتوني محرّر البشير ومدرّس الخطابة في كليَّة القديس يوسف

قد شُغف جناب المعلِم رشيد افندي الخوري الشرتوني بتآليف فخر امَّتهِ وفريد عصرهِ البطريرك اسطفان الدويهي فاحبَّ ان يُخرجها من زوايا النسيان ليقتبس من فوائدها اهل الوطن عمومًا وابناء طائفتهِ خصوصًا فخدمهم بذلك خدمات متوالية تستحقُّ الشكر والثناء. واليوم قد اهدانا هذين الكتابين وهما دليل جديد على همَّتهِ التي لا تعرف الملل. والاوَّل منهما يتضمَّن سلسلة البطاركة الذي انتشر سابقًا في المشرق غير انَّ هذه الطبعة ابرزتهُ في هيئة جديدة انست الطبعة السابقة. كيف لا وقد زيدت عليها زيادات عديدة مأخوذة عن كتب خطية بمكتبة كليَّة القديس يوسف وعن بعض الاوراق التي وُجدت في خزانة الكرسيّ البطريركي وعن دفاتر ارسلها احد افاضل

المرسلين اللبنانيين في الكريم وغير ذلك ممّا اطلعهُ عليهِ بعض الاصدقاء ولم ينشر قبلًا بالطبع نخصُّ منهُ بالذكر نهج المراسلة في البطريركية المارونيــة وُجد مكتوبًا بخط البطريرك يوسف اسطفان في مكتبة مار يوسف الحصن وهو يدلُّ افصح دلالة على حالة البطاركة في الايام الماضية ومنهُ ايضًا براءة للبـــابا بناديكتوس الرابع عشر في تقسيم الابرشيات مع براءة البابا بيوس السادس في قضايا تخصُّ الموارنة. وقد ألحق الطابع كتابهُ بفهرس هجائي مطوَّل للأعلام الواردة في هذه السلسلة وفي هذا العمـــل من الفوائد ما لا يخفى

امَّا الكتاب الآخر وهو للدويهيّ ايضًا فيُقسم الى قسمين يشمـــل الاوَّل شرح التكريسات والثاني شرح الشرطونية اي رتبة وضع اليد وقد طُبع لاوَّل مرَّة عن نسخة الخزانة البطريركية وكان الدويهي ارسل هذا الكتاب بعد تنقيحهِ الى رومية العظمى ليُنشر بالطبع فتعمّ فائدته غير انهُ لم يتسنَّ لهُ حظُّ الطبع فبقي مدفونًا الى ان قام جناب الهمام المعلِّم رشيد افندي الخوري الشرتوني فاتمَّ رغبة المؤلف ولو بعد قرنين من الزمان. وفي هذا الكتاب بيانات جليلة عن الطقوس القديمة وهندسة الكنائس وكيفية الرتب التي يسعى اليوم غبطة السيد البطريرك مار الياس الحويك بردّها الى اصولها. وقد سرَّنا ان الكلام في هذا الكتاب كما في الكتاب السابق بقي على حاله كما صدر من قلم المؤلف وفي هذا ما يزيد التأليف ثقةً واعتبارًا عند اهل العلم

وكنَّا نشتهي لو اقدم جناب متولي طبع هذا الكتاب على نشر الاصل المشروح اي رتبة الشرطونية نفسها التي جمعها الدويهيّ لتتمّ بذلك الفائدة وتنقطع الشكوى من اختلاف نسخ الشرطونيَّة لكنهُ اعتذر في مقدّمتهِ بان قد حال دون مرغوبهِ عدم تيسُّر النفقة اللازمة لمثل هذا المشروع ولنشر آثار أُخر للدويهي باقية دون طبع وهذا عذرٌ لا نقبلهُ ونحن نعلم انَّ في الطائفة المارونية رجالًا لا يبخلون ببذل الدرهم في سبيل مساعٍ خطيرة كهذه يقدّرونها حقّ قدرها قرَّب الله الاماني وجازى كل المحسنين خيرًا ل. ش

شذرات

عادة حميدة قد علمنا بالمسرَّة ان تذكار الموتى بالصلوات واقامة القدَّاسات على نيَّتهم والجنازات لراحة نفوسهم ممَّا يزيد مع الأيام انتشارًا ليس فقط

بين الكاثوليك لكن ايضاً بين الروم كما استدللنا على ذلك بعدَّة اعلانات في الجرائد وهي لعمري عادة حميدة قد سبق الروح القدس فمدحها حيث قال في سفر المكابيين (١٢: ٤٦): انهُ لرأي مقدَّس تَقَويّ ان تقدّم الكفَّارة عن الموتى ليُحلُّوا من خطاياهم

الجرائد المصريَّة — وضعت ادارة البوسطة المصريَّة تقريرًا يُستفاد منهُ ان عدد الجرائد او المجلاَّت في مصر بلغ ١٢٠ منها ٨٧ عربيَّة والباقية انكليزيَّة او فرنسويَّة. وبين الجرائد العربيَّة ٣٠ جريدة سياسيَّة وتجاريَّة وجريدتان هزليَّتان و ١٧ مجلَّة باللغة العاميَّة و ١٠ مجلاَّت دينيَّة و٧ قضائية و ٥ طبية ومجلَّتان زراعيتان ومجلَّتان نسائيَّتان ومجلَّة مدرسية ومجلَّة ماسونية (زهْ). امَّا الجرائد الاجنبية فاكثرها سياسية الَّا اربعة او خمسة منها تبحث في الطبّ او الشريعة. فترى انَّ الصحافة في مصر على تقدُّم ويا ليت الصحافين المصريين يتحاشون كاخوتهم السوريين فحش الكلام والطعن بالاشخاص وتمويه الباطل وبخس حقوق الدين والآداب

الدرَّاجات في فرنسة — بلغ عدد الدرَّاجات في فرنسة هذه السنة ١,٢٥٠,٠٠٠ تدفع للحكومة في السنة سبعة ملايين فرنكات كاجازة لسيرها في الطرقات

اعظم جنَّة للورود — قد انشأ احد المثرين الفرنسويين اسمهُ غراڤرو (Gravereaux) جنَّة كبرى في جوار باريس في مكان يدعى لاهي (l'Hay) ضمَّنها كلّ ما امكنهُ من اصناف الورد المعروفة في العالم وقد بلغ عندهُ عددها ستَّة آلاف شكل او فصيلة فمن دخل هذه الحديقة سُحر قلبهُ بما يجدهُ فيها من ضروب الورد ونظام هندستها والوانها البديعة وروائحها العطرة. وقد وضع لها في هذه السنة قائمة بيَّن فيها اصناف الورد الذي جمعهُ مع تعريف خواصّهِ وتقاسيمهِ بحيث يتمكَّن العلماء النباتيُّون بمطالعة هذه القائمة من درس الورد درسًا علميًّا وافيًا. والمسيو غراڤرو يرخص لمن اراد ان يزور حديقتهُ ويفحص ورودها عيانًا

أسئلة وأجوبة

س سألنا من بيروت الخواجا ي. ب. الموراني لماذا اعتاد الشرقيون شقّ كفن الميت عند مواراتهِ التراب وهل هذا شائع عند الاوربيين

شق كفن الميت

ج اعتاد الناس في بعض البلدان ان يفتحوا التابوت ليروا الميت قبل مواراته التراب ليتحققوا وفاة الميت ويتأكدوا هويّتهُ. ولعلَّ الشرقيين اخذوا هذه العادة منهم او يريدون بذلك الوداع الاخير. وعلى كلّ حال لا يليق ان يُفتح التابوت في الكنيسة امام الناس كما يفعل البعض

وسألنا من غزّة حضرة المرسل اللاتيني الاب ج. غات (G. Gatt) ما هو اسم ميّافارقين باللاتينيَّة واليونانيَّة واين موقعها

ميّافارقين

ج ميّافارقين احدى مدن الجزيرة على مسافة يومين من آمد (ديار بكر) على شمالها الشرقيّ وهي اليوم بلدة صغيرة. وكان السريان يدعونها ميفرقط (ܡܝܦܪܩܛ) امّا العرب فعرفوها باسم مدينة الشهداء وهو ترجمة اسمها الذي عُرفت بهِ عند الرومان واليونان (Martyropolis)

س وسأل من حدتون حضرة الخوري نعمة الله نصّار: ما هو ذاك الحجر الذي اشار اليهِ الربّ في متى (٢١: ٤٢): «انّ الحجر الذي رذلهُ البنّاؤون صار رأس الزاوية...» ومتى كان رذلهُ وكيف تمّ وضعهُ رأساً للزاوية

حجر الزاوية في متى (٢١: ٤٢)

ج هذه الآية التي استشهد بها الربّ قالها اوّلًا داود في المزامير (١١٧: ٢٢) لما اضطهدهُ اعداؤهُ فنال بعد الذلّ فخرًا. لكنَّ داود كان رمزًا للمسيح كما اقرَّ بذلك كل المفسرين اليهود فضلًا عن النصارى وكانوا يدعون المسيح باسم الحجر او الصخرة كما جاء في شرح ربّي سليمان وفي بولس الرسول. فالربُّ بقولهِ ان البنّائين رذلوا الحجر انّما اراد بني اسرائيل الذين لم يقبلوا المسيح وطلبوا موتهُ. وكون هذا الحجر صار رأس الزاوية فتمّ بقيامة الرب وانشاء الكنيسة اذ اعلمنا الرسول ان الكنيسة مبنيَّة على اساس الرسل والانبياء وان رأس الزاوية هو المسيح (افسس ٢: ٢٠) ل. ش

س سأل احد أُدباء البلدة: هل تشتقّ لفظة هلمّ من اللهمّ

اشتقاق هلمّ

ج لم يشتقّ احدٌ هَلُمَّ من اللهمَّ. وانّما اشتقُّوها من ها التنبيه ولُمَّ اي اجمع يريدون لُمَّ شعثك واقدم ل. ش

المشرق

إطلاع الحضَر على أطلاع النوَر

لحضرة الكاتب المحقّق والعلّامة المدقق الاب انستاس الكرملي

وضعها تلبيةً لملتمس بعض قرّاء المشرق في السنة المنصرمة

١ً (تعريفهم) النَّوَر او النوَرة جيل من الناس منتشر في الارض كل الانتشار وهم قومٌ من العيَّارين(١ الشطّار. الأفَّاقين الدُعَّار(٢ . الرُحَّل الاشرار. الهمَج الأغرار. لا يُعرف لهم موطن ولا قرار. تضمُّ بعضهم الى بعضٍ جوامعُ واحدةٌ لا تعرف الأغيار. من لغةٍ خاصة بهم وخلوّهم من الديانة واشتهارهم بسوء الآداب والتعيُّش من وراء حيلٍ معروفة منهم او من وراء مِهنٍ دنيئة لا تكلّفهم عناء ولا وِناء

٢ً (ذكرهم في التاريخ) ان الافرنج الذين عُنوا بجمع شتات تاريخ هذا الجيل وبتدوين بعض الاخبار عنهم هم رايٌ واحدٌ في انَّهم لم يكونوا معروفين قبل سنة

١) العيَّارون جمع عيّار. وفي دواوين اللغة هو من الرجال الكثير المجيء والذهاب والذكيُّ الكثير الطواف او الذي يتردَّد بلا عمل. وقال ابن الانباريّ: العيَّار من الرجال الذي يُخلّي نفسهُ وهواها لا يروّعها ولا يزجرها. ونُريد بالعيَّارين هُنا اولئك الذين يعملون بعض الالعاب الغريبة والاعمال العجيبة بطرقٍ خفيةٍ على العوام لاختلاس اموالهم. وقد استعملها بهذا المعنى جماعة من مشاهير الكتبة. قال الدميري في مادّة جِرذون: « وان أُحرق جلدهُ واطلي بهِ انسان لم يحسّ بالم الضرب والقطع ولو فُرّق بين راسه وجسده. والعيَّارون يفعلون ذلك فيظهر منهم الثبات على الضرب وغيرهِ » اه. وقال الخفاجيّ في شفاء الغليل: « بنو ساسان قومٌ من العيَّارين والشُطَّار لهم حيَلٌ » اه. ويقابل هذه اللفظة بالفرنسية bateleur, jongleur, saltimbanque, charlatan

٢) الدُعَّار جمع داعر وهو الخبيث . . . المؤذي الفاجر. (التاج)

١٤١٧ للمسيح في بلاد اوربة او سنة ١٤٠٨ او ١٤٠٩ او على الابعد سنة ١٣٩٨ في آسية وذلك إثر انتشارهم في الاقطار لانَّ ضَرْبهم في البلاد وقع على ما قالوا عقب غزوة تيمورلنك لدِهْلي (١

واما كتبة العرب المحدثين فلم يذكروا شيئاً عن هذا الجيل الغريب غير ما ذكرهُ الافرنج بل نقلوا ما كتبوهُ وذهبوا مذهبهم وجهلوا أنْ كان للنور ذكرٌ في تاريخ الدولة العربيَّة وقد بلغوا الشأو البعيد من الشهرة وان كانت تلك الشهرة سيئة وقد شاطوا شوطاً معدودًا في الأحداث والوقائع التي طرأت قُبيل الاسلام وبعدهُ كما ستقف عليهِ وهو ممَّا يدلُّك على ان الافرنج قد وهموا في قولهم انَّهم لم يكونوا معروفين قبل غزوة تيمورلنك التي اختلف المؤلفون والمؤرخون في ذكر سنتها على التحقيق. وابعد ما اتَّصلوا الى تعيينها هو سنة ١٣٩٨ على ما مرَّ بك

قلتُ: ولم يزد العرب المحدثون شيئًا على ما اوردهُ الافرنج. فقولي هذا مستند على ما طالعتهُ في مجلَّة الطبيب والهلال والمقتطف الَّا اني سأَلتُ حضرة الامام الجليل والشيخ النبيل محمود شكري افندي الآلوسيّ ان يذكر لي ما وقف على مثل هذا الموضوع في كتب العرب المحدثين وان يسمّي العرب باسمائهم مع ذكر تآليفهم فاجابني. . . « وفي الكاوليَّة (اسم النوَر عندنا) رسالةٌ ألَّفها السيد جمال الدين الافغاني وذكر فيها احوالهم ومنشأهم واختلاف مشاربهم ووجودهم في جميع اقطار الارض على ما ذكر لي مؤلفها بنفسهِ. ولم تطبع الرسالة أيام حياتهِ ولعلَّها طُبعت بعد وفاتهِ. وساتتبَّع ذلك فان عثرتُ على شيء يتعلق بمطلوبكم أُرسلهُ » اهـ. هذا وانك تعلم بان السيد جمال الدين من علماء الاعلام ولهُ القدم الراسخة في مثل هذه الابحاث الّا انَّنا لم نظفر الى اليوم بما انشأَهُ هذا العالم الجليل

٣ (منشأهم الاصلي) قد ذهب العلماء مذاهب شتَّى في اصل هذا الجيل

١) دهلي بتقديم الدال المهملة على الهاء لا « دلهي » بدالٍ في الصدر بعدها لام ثم هاء كما توهَّمها الشيخ ابراهيم اليازجي في الطبيب (ص ١٧١) قال صاحب التاج: « دهلي بالكسر اعظم مدن الهند الاسلاميـة لها عدَّة تواريخ مختصة باحوالها وملوكها وما امتازت بهِ على غيرها من البلاد وقد ذكرها ابن بطوطة في رحلتهِ واوسع فيها الكلام وهي على نهرٍ جارٍ كالنيل والنسبة اليها دهلويّ ودهليّ ». انتهى

ومنشإهِ. فمنهم من قال بانَّ اصلهم اوربي كما تدلُّ عليهِ بعض اسمائهم عند الافرنج وهذا رأيٌ فطيرٌ لا يختمر وان مرَّت عليهِ الادهار. ومنهم من ذهب الى انَّهم من اصل مصري وهو مذهب لا يقلُّ سخافةً عن المذهب السابق. ومنهم من صرَّح بانَّهم من اصل فارسي وهو رأي توافقهُ بعض شهادات ومنهم من اثبت انَّهم من الهنود وهو الراي الاشيع وعليهِ اغلب المحقّقين من المؤرّخين وتسندهُ اسانيد كثيرة لكنهُ عندنا ليس بالراي السديد الصحيح. والنوَر على ما نرى خليط من هنودٍ وفرس وكُرْدٍ وترك وتترٍ ونحوهم من خشارة أُمم تلك الاصقاع ونُفاياتهم. بل وفيهم بعض العرب وشيء من حُثالة سائر الامم التي يجاورونها مُدَّة او يحلُّون اصقاعها وربوعها

اما كيفيَّة الوصول الى اثبات هذه الحقيقة فليس لنا وسيلة أُخرى الَّا البحث عن اصول تسميتهم اللغويَّة في الديار الشرقيَّة فان اللغة قد ادَّت خدماً عظيمة ذات بال في مثل هذه الظروف للتوصل الى معرفة اصل الشعوب والامم والاجيال والطوائف البشريَّة كما هو معروف من إثبات اصل الهنود والفرس تلك الامور التي اصبحت اليوم راهنة بل وفي حِرْزٍ حريزٍ من الصحَّة بحيث لا تصل اليها بعد ذلك يد الوهم او الخلط او الخطأ. ومن هذا القبيل ايضاً فحص لغتهم التي يتكلَّمون بها في ما بينهم وتدقيق النظر في اصل الكلم الجارية في لغتهم هذه. وعليهِ فلنبحث اولاً عن اسماء هذا الجيل في بلاد الشرق واصل مشتقات تلك الالفاظ والى اي عنصر من العناصر ترجع

٤ً (اسماء النوَر وتاريخ تلك الاسماء) وقبل ان نضع القدم في العمل ونغطّ القلم في الدواة علينا ان نلاحظ ان اسماء هؤلاء الاقوام تختلف باختلاف البلاد من غربيَّة وشرقيَّة حسب الظنّ الذي حمل الناس على توهم بلاد منشإهم او مأتاهم او حسبما ادَّعاهُ هؤلاء الاقوام من اصل بلادهم. بل وتختلف أسماؤُهم باختلاف القرون والعصور توهيماً للناس. الَّا ان دليلنا الخرّيت في هذا النوع من السباريت هو الفصول المميّزة لهم من لغة خصوصية وسوء الآداب الى غير ذلك مما هو بمنزلة السمة التي وُسموا بها في كل اينٍ وآنٍ واتخذناها بمنزلة الجامع المانع لتعريفنا لهذا الجيل وهو الذي صدَّرنا بهِ هذه المقالة. واذ قد مهَّدنا كل ذلك فنقول وبالله نستعين :

من اسماء النوَر الفَجَر بالتحريك وهو الاسم الذي يسمّيهِ بهِ اهل الجزائر وتونس والديار المصريَّة. والفجر عندنا تصحيف كَوْجِر (Cotchar) التركيَّة اي الرُحَّل او المهاجرون

وبهذا الاسم التركي يُسمَّون الى يومنا هذا في غربي بلاد فارس وشرقيّ بلاد الدولة العثمانيّة في آسية وبلاد الجزيرة والبعض يقول كُجر او كَجر واللفظة من اصل فارسيّ مشتقة من « كوچيدون » اي ارتحل او هاجر والمهاجرة والترحال من دأبهم وديدنهم. وهذه اللفظة لم تُطلق على النوَر قبل المائة السادسة عشرة للمسيح واليك تاريخها :

في عهد الشاه عبَّاس الكبير من الدَّولة الصفويّة في البلاد الايرانيّة (وقد تُوفّي سنة ١٦٢١) ضيّق بعض الحكّام على التركمان فنزح عن وطنهم « خمسون الف أُسرة » وجاءتِ الشاه المذكور وطلبت منهُ اسكانها بلادهُ ففرح الشاه بهذه المهاجرة الّا انهُ فزع من كثرة العدد الذي داهمهُ اذ تصوَّر انهُ ربَّما يتقوَّى حزب هذه الأُسر يوماً فيقلب اصحابهُ الدولةَ ظهراً لبطن ويصلون الى اسمى وظائفها . ولمَّا كان هذا الشاه داهية دهياء في السياسة فرّقهم في بلادهم إضعافاً لقوّتهم. فاقام جماعةً منهم في « جنوب بلاد فارس » على شاطئ بحر فارس صدًّا لغارات العرب. واسكن طائفة منهم « خمسة ورومية » فجعلهم بمنزلة سور حصين في وجه اعدائهِ. وامَّا الطائفة العظمى فانزلها « مازَنْدَرَان » كبحاً لجماح الأُزْبَك والتركمان والأُوميد والتتار الرُّحَّل الذين لا يفتأُون من شنّ الغارات وقطع الطرق والمسالك على ابناء السبيل. ومنذ ذاك الحين أُطلق عليهم بنوع خصوصيّ اسم: « قَجر او غَجر او كَجر » وكلها تصحيف بيّن لكلمة كَوْجر. وامَّا هذه اللفظة الاخيرة فأُبقيت على صورتها الاصلية لمطلق الرُّحَّل او المهاجرين الذين ليسوا من هؤلاء الاقوام . وبعد ان رسخت أقدام الغَجَر في البلاد الجديدة التي حلُّوها انقسموا الى فئتين وهما : فئة الشرق وفئة الغرب. وسمِّيت الفئة الاولى « يُوقاري باش » اي « الأَعلون » والفئة الثانية « اشاغي باش » اي « الاسفلون »

امَّا الاشاغي باش او قَجَر الغرب فاختلط اغلبهم بالفرس كل الاختلاط وامتزجوا بهم امتزاج الماء بالرَّاح واتخذوا ازياءهم وملابسهم ولغتهم وتخلّقوا باخلاقهم وفريق منهم اوغلوا في التسيار فجاوزُوا شرقيَّ بلاد تركية واخذوا يتنقَّلون من بلد الى بلدٍ حتى طوَّحتهم الطوائح الى شماليّ افريقية فتوطَّنوها بالطول والعرض وهم الذين غلب عليهم اسم « الغَجَر». امَّا اليوقاري باش او قجر الشرق فلم يتخذوا من الفرس الَّا لغتهم وبقوا محافظين على اصلهم وعنصرهم الى يومنا هذا متجمّعين في مازَنْدَرَان. وقد تحصَّنوا

بالخصوص في استراباد على بحر قزوين واتّخذوها قصبةً لهم طاوين ايامهم تحت حكم رئيس منهم يُعيّنهُ لهم الشاه. هذا وقد خدمت الاقدار هؤلاء المهاجرين حتى بويع بالملك لواحدٍ منهم فكان مؤسس دولة القجر او القاجار على الطريقة الفارسيَّة وهي الدولة الماسكة اليوم اعنَّة الاحكام في بلاد ايران. فهذا هو اذن أصل الغَجَر وتاريخهم على وجه الاختصار وممَّا أطلعتُ عليهِ تتحقَّق انَّهم من التركمان.

اماَّ النوَر وواحدها « نُوريّ » فعندنا انَّها تصحيف لُور. وهذا التصحيف يُرى احسن رؤية في المفرَد فكلمة « نوريّ » لا تبعد كثيرًا عن « لُوريّ » سوى بالنون. وانت تعلم ان تعاقب النون واللام في صدر الكلمة وقَلْبها وعجزها من الامور المشهورة في العربيَّة فان صاحب المزهر قد ذكر امثالاً كثيرة تؤيد هذا الإبدال. ومن ذلك « اللَّبلَبَة والنَّبنَبَة ولهزتهُ ونهزتهُ. ثم قلَّة وقنَّة وحالك وحانك. ثم هتل وهتن وهردلة وهردنة » فتأمل. اماَّ شيوع لفظة النوَر فكان في القرن الثامن للمسيح حينما تغلَّب العرب على بلاد اللُور او لورِستان (من سنة ٦٥٢ الى سنة ١٢٥٨) الَّا ان الفصحاء من العرب لم يذكروها في كُتبهم لانهم نظروا الى هذه اللفظة نظرَهم الى المولَّد من اللغة وهم كثيرًا ما كانوا يستنكفون من استعمالهِ الَّا اذا الجأتهم الضرورة. وانت تعلم بان اللُور مشهورون بتلصُّصهم ومكرهم ودهائهم وشعوذتهم وسحرهم الى آخر ما عنــدهم من الأخلاق الذميمة التي حملت العرب على ان يشتقوا من لفظــة « النُّوريّ » المصحفة من لوريّ فعل « نوَّر » بمعنى فعل فِعْل النوَر من شعوذة واختلاس الخ. واول من ذكر ذلك من العرب الازهريّ (المتوفَّى سنة ٩٨١ للميلاد) غير انهُ ذهب الى ان الفعل مشتق من « نورة » وان نورة هي امرأة سحَّارة. وهذا نصّ كلامهِ : « نُورَةُ بالضم اسم امرأة سحَّارة ومنهُ قولهم لمن فعل فعلها : قد نوَّر. فهو مُنوِّر. وليست بعربيَّة صحيحة ». فزاد على هذا الكلام صاحب التاج ما حرفهُ : « قلتُ : ويجوز ان يكون منهُ نأخذُ « النوري » بالضمّ وياء النسبة للمختلس. وهو شائع في العوامّ كانهُ يُخيّل بفعلهِ ويشبّه عليهم حتى يختلس شيئًا. والجمع نوَرة محركةً » اهـ. وقد قال الشيخ ابراهيم اليازجي في طبيب سنة ١٨٨٤ — ١٨٨٥ ص ١٦٩ بعد ايراد كلام التاج : « وعليهِ فتسمية هؤلاء بالنوَر تحتمل احد وجهين. اماَّ ان يكونوا اطلقوا عليهم هذا اللفظ من النوري بمعنى المختلس لانَّ صنعتهم الاختلاس واماَّ ان يكونوا نُسبوا الى نورة الساحرة لانَّ السحر ايضاً من شأنهم. ولعلَّ

هذا اقرب لقرب توجيهِ. وحينئذٍ فيجوز ان يكون النوري للمختلس مأخوذًا منهم كما يشهد بهِ استعمال العامَّة لهذا اليوم. وجمع النوري على نوَرة كما في التاج او على نوَر كما هو المتعارف في هؤلاء كلاهما على غير قياس الَّا ان هاتين الصيغتين (وقد انكر الشيخ على اصحاب الجرائد استعمال هاتين بدل هذين) قد تترادفان في الجمع كما يقال خدَمة وخدَم وحفَدة وحفَد فتكونان من بابٍ واحد». انتهى

قلنا: امَّا قول اللغويين ان نورة امرأة سحَّارة فهذا محتمل غير انَّهم لم يزيدوا على ذلك شيئًا يُعرّف هذه المرأة من زمانٍ عاشت فيهِ او بلدةٍ نشأت فيها او امَّة انتسبت اليها. فمجرَّد القول ان النورة امرأة سحَّارة لا يبلّ صدى غليل ولا يخفِّف جوى عليل بل ننظم هذا الاشتقاق في سلك الخياليَّات التي يتوهَّمها بعض الكتبة في مثل هذه الامور اراحةً لما في النفس من التطالّ الى معرفة كل مجهول والى حلّ كل معقود. وامَّا جمع نوريّ على نورَة او نوَر بالتحريك في كليهما فهو من الجموع الشاذَّة وكان الحقّ ان يُقال فيهِ «نُوْر» بضمّ فسكونٍ. كروميّ وروم. الَّا انهم لو كانوا يقولون «نُوْر» على القياس لوقع التباس بين نُور ونور اي بين اسم هذا الجيل وبين اسم الضوء المعهود فحرَّكوا ازالةً لِلَّبس. هذا هو رأينا فليتبع القارئ بعد ذلك رأي من يوافقهُ او يستصوبهُ. وعليهِ فالنوَر اذن من اصلٍ لوريّ اي من جنس الكُرْد

والحلبيُّون يُسمون النوَر «بالقَرَبات» والواحد قَرَباتيّ» والكلمة تخفيف وتصحيف جَزباذقان او كَزباذكان وهي بلدة قريبة من همذان يكثر في ضواحيها سَقَط الناس ورذالتهم وقد أمر نادر شاه سنة ١٧٣٨ م بطردهم فغادروا تلك الربوع وجاؤوا بلاد الدولة العليَّة حتى ألقوا عصا ترحالهم في نواحي حلب الشهباء الَّا طائفةً منهم عادوا الى وطنهم وهم لا يزالون هناك الى يومنا وعليهِ فالقَرَبات من اصلٍ فارسيّ او يكاد يكون فارسيًّا لان ساكني الضواحي لا يُعرف لهم اصل

وفي اطراف الموصل وبعض انحاء بغداد يُطلق عليهم اسم القرَج بجيم فارسيَّة في الآخر وهم فرقة من النوَر مشهورة بشدَّة جشعها وطمعها وسرقتها. وهم يدَّعون انَّهم من القُرَشيين كما هو شأن كلّ دنيّ زنيم فانهُ ينتسب الى اشرف امَّة او قبيلة او أُسرة ليزكّي أصلهُ. والحقّ انَّهم من كَرَج. قال ياقوت في معجم البلدان: كَرَج بفتح اوَّلهِ وثانيهِ

وآخرهُ جيم وهي فارسيَّة. . .مدينة بين همذان واصبهـان ». اه. قلتُ: ويكثر في ضواحيها كما في ضواحي مدن فارس الكُبرى قوم أجلاف من صنف النوَر ولا شكَّ انَّهم من اصل واحد بل وانَّهم منهم. امَّا زمان انجلاء القرَج عن وطنهم الاصليّ فلم نعثر عليهِ في التاريخ. وعلى كلٍ فان القرَج من عنصرٍ فارسيّ او يكاد يكون فارسيًا اي كرديًا مثلًا (١

وللنوَر في ولاية الموصل اسم آخر وهو « الُمطرِبة » واشتقاق اسمهم عربي ظاهر وسبب تسميتهم واضح لا يحتاج الى شرح

وفي بعض اصقاع الشام والجزيرة يُسمّيهم الناس « جُعَيدِيَّة » والواحد « جُعَيدي » واسمهم هذا يدلّ على انهم من عُنصر عربيّ او انَّهم انضمُّوا الى واحدٍ من العرب اتخذوهُ زعيمًا لهم اسمهُ جُعَيد. قال في محيط المحيط: « الجُعَيدِي » البخيل ومن كان من اوباش الناس نسبةً الى جُعَيد او هي عاميَّة. وقيل ان جُعيدًا رجل من اهل مصر كان يطوف على الناس لابسًا قلنسوةً ذات أجراس وفي يدهِ دفٌّ ينقر عليـهِ وينشد مدائح مرتجلة يستعطي عليها. فتبعهُ جماعة في هذه الصناعة وهم المعروفون بالجعيـديَّة نسبةً. وتُطلق هذه النسبة على من كان من لئام الناس تشبيهًا لهُ بالجعيدي » اه. قلتُ: وكثيرًا ما نرى مع النوَر في نواحي بغداد مثـل هؤلاء الجعيديَّة يكونون معهم في الحلّ والترحال ودأبهم الرقص والدقّ وانشاد الاغاني

امَّا في بغداد واغلب اقطـار العراق وجزيرة العرب فلا يُعرف النوَر الَّا باسم الكاوْليَّة او الكوَليَّة او الكُول والواحد منهم كاوْليّ او كَوَليّ او كُوليّ. وعندي انها مشتقة من كُوَل بضمّ ففتح. قال في التاج: « كُوَل كزُفَر والعامَّة تكتب كُوَار كغراب بالراء في آخرهِ وهكذا هو في كتب الانساب: بلدة بفارس بينها وبين خور عشرة فراسخ لا محلّة بشيراز كما ظنَّهُ الصاغاني ويحتمل ان تكون هذه المحلة نُسبت الى اهـل هذه القرية لنزولهم بها » انتهى. وعليهِ فانَّهم من اصل فارسيّ كما اشرنا الى مثل هذا في

---

١) وقد اشار ياقوت في معجمهِ الى وجود مثل هؤلاء الناس من الاكراد في نواحي فارس المختلفة بقولهِ (٣: ٨٢٨): « وبنواحي فارس من احياء الاكراد ما يزيد على خمسمائة الف بيت شعر ينتجعون المراعي في الشتاء والصيف على مذاهب العرب

ما تقدَّم. اللهمَّ الَّا ان يُقال ان الكَوْيليَّة نسبة الى الكَوْيْ على الطريقة التركيَّة لان الكلمة تركية ومعناهـا القرية. ومحصَّلها القرويون لحلولهم في ضواحي المدن الكبار او في القرى المجاورة لها فحينئذٍ يُقال انَّهم من اصل نشأ في بلاد الترك ويحتمل ان يكونوا من عُنصر تركيّ أو غيرهِ. او ان يُقـال ان الكلمة تصحيف الكُول وهي طائفة من الناس جاء ذكرها في التاريخ. قال ياقوت في مادّة «المُولتان»: ذكر اهل السِيَر ان الكول وهم شُراة كُفَّار تلك الناحية (ناحية المولتان في بلاد الهند) سبوا نسوةً من المسلمين فصاحت امرأة منهم يا حجَّاجاه. فبلغهُ ذلك فارسل الى داهر ملك الدَيْبُل وامره على الغزو لهؤلاء الذين سبوا النسوة فحلف انهُ لا طاعة لهُ على الذين اخذوهنَّ. فاستأذن عبد الملك في غزوهِ فلم يأذن لهُ. فلمَّا ولي الوليد استأذنهُ فاذن لهُ فبعث لذلك محمَّدَ بن القاسم بن ابي عقيل ابنَ عمّهِ فقتل داهر وفتح مولتان من بلاد الهنـد. وفي فتوح البلدان للبلاذري (ص ٤٣٥) اختلاف في الرواية[١] قال:

«اهدى الى الحجَّاج ملكُ جزيرة الياقوت نسوةً وُلدنَ في بلادهِ مسلمات ومات آباؤهنَّ وكانوا تجارًا فاراد التقرُّب بهنَّ فعرض للسفينة التي كنَّ فيها (الكُول وَهُم) قومٌ من ميد الدَيْبُل في بوارج فأخذوا السفينة بما فيها فنادت امرأة منهنَّ وكانت من بني يربوع: «يا حجَّاج» وبلغ الحجَّاج ذلك فقال: «يا لبَّيكِ». فارسل الى داهر يسألهُ تخلية النسوة فقال: انَّما اخذهنَّ لصوصٌ لا اقدر عليهم. فاغزى الحجَّاج عُبيد الله بن نبهان الديبل فقُتل فكتب الى بُدَيل بن طهفَة البَجَليّ وهو بعمان يأمرهُ ان يسير الى الديبل فلمَّا لقيهم نفرَ بهِ فرسهُ فاطاف بهِ العدوّ فقتلوهُ. وقال بعضهم قتلهُ زطُّ البُدهة» انتهى. وعليهِ فيكون الكول او الكولية من اصل هنديّ وهو الارجح على ما يظهر لي

او لعلَّ الكاوليَّة مصحَّف الكُوْهليَّة نسبة تركية الى كُوه اي الجبل فيكون معنى الكاوليَّة الجبليين او لعلّها تصحيف كَهْلُويَّة وهي قرية من قرى سَوْدُوذ أو سَرْدرُوذ ولتلك القرية تصحيفات اخرى منها كِيْلُويَّة والاصل في تسميتها كوه كَهْلُويَّة

وامَّا الدمشقيُّون وبعض ادباء البصرة فيُسمُّون النوَر «زطًّا» والواحد منهم زُطيّ وهذا الاسم ايضاً غير مجهول في بغداد ومعناهُ النوَر والنوريّ. قال في التـاج: «الزُطُّ بالضمّ جيل من الناس كما في الصحاح. وقد جاء ذكرهُ في البخاريّ في صفة موسى عم:

١) راجع (Ed. Quatremère — *Hist. de Mongols*, p. 384 *en note*.)

« كانهُ من رجال الزطّ » واختُلف فيهم فقيل: هم السيابجةُ قومٌ من السند بالبصرة. وقال القاضي عياض: هم جنس من السودان طوالٌ. ومثلهُ في التوشيح للجلال. وزاد: مع نحافةٍ. ونقل الازهريّ عن الليث: انّهم جيل من الهند اليهم تُنسب الثياب الزُطيَّة. قال: وهو معرّب جَتّ بالفتح بالهنديّة. قال الصاغاني: امّا الليث فلم يقل في كتابهِ هذا وامّا « جَتّ » بالهنديّة فصحيح بفتح الجيم وكذلك هو مضبوط في نسخةٍ صحّحها الازهريّ وعليها خطُّهُ بفتح الجيم وعلى هذا القياس يقتضي فتح معرَّبهِ ايضاً. وفي الصحاح: الواحد زُطّيّ كالروم والروميّ والزنج والزنجي. وقال ابن دُرَيد: الزُطّ هذا الجيل ليس بعربيّ محض وقد تكلّمت بهِ العرب. وانشد:

فجئنا بجيٍّ وائل وبلفِّها وجاءت تميم زُطُّها والاساورُ

وقال ابو النجم:

جارية احدى بنات الزطّ ذات جهادٍ مضغطٍ ملطِّ

قلتُ: وكان خالد بن عبد الله اعطى ابا نجم جاريةً من سبي الهند ولهُ فيها ارجوزة اوّلها: علقتُ خودًا من بنات الزطِّ ». اهـ كلام التاج

وجاء في محيط المحيط: الزطُّ طائفة من اصل الهند معرّب جَتّ. واليهم تنسب الثياب الزُطيَّة الواحد زُطّيّ. وهم المعروفون في الشام بالنوَر. وبعضهم يسمّيهم المُطربيَّة لانّ مهنتهم التطريب بالطبول والزمور والرقص. وهم ممّا يُشتَمُ بهِ (كذا اي وهو اي اللفظ ممّا يشتمُ بهِ) فيقال: يا زُطّيّ اي دنيْ لئيم. اه

وذكرُهم في التاريخ مشهور الظاهر انّهم جاؤوا من الهند قبل الاسلام لانهم كانوا كثيري العدد عند ظهورهِ. قال البلاذريّ في فتوح البلدان (ص ١٦٢): " نقل معاوية في سنة ٤٩ او سنة ٥٠ (٦٦٩—٦٧٠ م) الى السواحل قوماً من زُطّ البصرة والسيابجة وانزل بعضهم انطاكية. قال ابو حفص: فبانطاكية محلّة تُعرَف بالزُطّ. وببوقا من عمل انطاكية قوم من اولادهم يُعرفون بالزطّ. وقد كان الوليد بن عبد الملك نقل الى انطاكية قوماً من زُطِّ السند ممّن حملهُ محمّد بن القاسم الى الحجّاج فبعث بهم الحجّاج الى الشام » اهـ. وقال (ص ١٧١): « وقد كان المعتصم بالله نقل الى عين زَربة ونواحيها بَشرًا من الزطّ الذين قد كانوا غلبوا على البطائح بين واسط والبصرة فانتفع

اهلُها بهم.» اه. وقد اتى المؤلف على كلام وافٍ شافٍ (في ص ٣٧٢ ومـا يليها) نذكر منهُ ما يحتاج اليهِ المقام وهذا هو بحرفهِ: « قال ابو الحسن المدائني اراد شِيرَوَيْهِ الأسواري ان ينزل في بكر بن وائل مع خالد بن المعمَّر وبني سَدُوس فابى سياه ذلك فنزلوا في بني تميم ولم يكن يومئذٍ الأَزْدُ بالبصرة ولا عبـد شمس. قال: فانضمَّ الى الاساورة السيابجة وكانوا قبل الاسلام بالسواحل وكذلك الزُطّ وكانوا بالطفوف يتتبعون الكلأ فلمَّا اجتمعت الاساورة والزطّ والسيابجة تنازعتهم بنو تميم فرغبوا فيهم فصارت الاساورة في بني سعد والزط والسيابجة في بني حنظلة فاقاموا معهم يقاتلون المشركين وخرجوا مع ابن عامر الى خراسان ولم يشهدوا معهم الجمل وصِفّين ولا شيئاً من حروبهم حتى كان يوم مسعود. ثم شهدوا بعد يوم مسعود الرَّبذَة وشهدوا أمر ابن الاشعث معهُ فاضرَّ بهم الحجاج فهدم دورهم وحطَّ أعطياتهم واجلى بعضهم وقال: كان في شرطكم ان لا تعينوا بعضنا على بعض... واماَّ السيابجة والزطّ والاندغار فانَّهم كانوا في جند الفرس ممَّن سبوهُ وفرضوا لهُ من اهـل السند ومن كان سبياً من اولي الغزاة. فلمَّا سمعوا بما كان من امر الاساورة اسلموا واتوا ابا موسى فانزلهم البصرة كما انزل الاساورة وحدثني رَوْح بن عبد المؤمن قال: حدثني يعقوب بن الحضرميّ عن سـلاَّم قال: اتى الحجَّاج بخلقٍ من زُطّ السند واصناف ممَّن بها من الامم معهم اهلوهم واولادهم وجواميسهم فاسكنهم باسافل كَسْكَرَ. قال رَوْح : فغلبوا على البطيحة وتناسلوا بها. ثم انَّهُ انضوى اليهم قوم من أُبّاق العبيد وموالي باهلة وخَوَلة محمَّد بن سليمان بن عليّ وغيرهم فشجعوهم على قطع الطريق ومبارزة السلطان بالمعصية وانَّما كانت غايتهم قبل ذلك ان يسألوا الشيء الطفيف ويصيبوا غُرَّةً من اهل السفينة فيتناولوا منهـا ما امكنهم اختلاسهُ. وكان الناس في بعض ايَّام المأمون قد تحاموا الاجتياز بهم وانقطع عن بغداد جميع ما كان يُحمل اليها من البصرة في السُفُن. فلمَّا استخلف المعتصم بالله تجرَّد لهم وولّى محاربتهم رجلًا من اهل خراسان يُقال لهُ عُجَيف بن عَنْبَسَة وضمَّ اليهِ من القوَّاد والجند خلقاً ولم يمنعهُ شيئاً طلبهُ من الاموال فرتَّب بين البطائح ومدينة السلام خيلًا مضمرة مهلوبة الاذناب وكانت اخبار الزطّ تأتيهِ بمدينة السلام في ساعاتٍ من النهار او الليل وامر عُجَيفاً فسكَّر عنهم الماء بالمؤن العظام حتى أُخذوا فلم يشذّ منهم احدٌ

وقدم بهم الى مدينة السلام في الزوارق فجعل بعضهم في خانقين وفرّق سائرهم في عين زَرْبة والثغور

« قالوا وكانت جماعة من السبابجة موكَّلين ببيت مال البصرة يقال انّهم اربعون ويقال اربعمائة فلمّا قدم طلحة بن عُبَيد الله والزُبير بن العوّام البصرة وعليها من قبل عليّ بن ابي طالب عثمان بن حُنيف الأنصاريّ أبوا ان يُسلّموا بيت المال الى قدوم علي رضه فاتوهم في السَّحَر فقتلوهم. وكان عبد الله بن الزبير المتولي لامرهم في جماعةٍ تسرّعوا اليهم معهُ وكان على السيابجة يومئذٍ ابو سالمة الزطيّ وكان رجلًا صالحًا. وقد كان معاوية نقل من الزطّ والسيابجة القدماء الى سواحل الشام وانطاكية بشرًا وقد كان الوليد بن عبد الملك نقل قومًا من الزطّ الى انطاكية وناحيتها. قالوا: وكان عبيد الله بن زياد سبي خلقًا من اهل بخارى ويُقال بل نزلوا على حكمهِ. ويقال بل دعاهم الى الامان والفريضة فنزلوا على ذلك ورغبوا فيهِ فاسكنهم البصرة فلمّا بنى الحجّاج مدينة واسط نقل كثيرًا منهم اليها فمن نسلهم اليوم بها قوم منهم خالد الشاطر المعروف بابن مارقلي. قال والاندغار من ناحية كرمان ممّا يلي سجستان » انتهى

وقال ابن خلدون: الزطّ قومٌ من اخلاط الناس (وهذا عندنا هو الرأي الاصحّ) غلبوا على طريق البصرة وعاثوا فيها وأفسدوا البلاد وولّوا عليهم رجلًا منهم اسمهُ محمّد ابن عثمان وقام بامرهِ آخر منهم اسمهُ سُمَاق وبعث المعتصم لحربهم عجيف بن عنبسة فسار الى واسط وحاربهم وقتل منهم في معركةٍ ٣٠٠ واسر ٥٠٠ ثم قتلهم وبعث رؤوسهم الى باب المعتصم واقام قبالتهم سبعة اشهر ثم استأمنوا اليهِ وجاؤوا باجمعهم في ٢٧ الفًا منهم ١٢ الفًا مُقاتِلة فعبّأهم عجيف في السفن على هيئتهم في الحرب ودخل بهم بغداد وركب المعتصم الى الشمّاسة في سفينة حتى رآهم ثم غرّبهم الى عين زَرْبة فاغارت عليهم الروم فلم يفلت منهم احدٌ اهـ

وقد ذكر ابن الاثير (٢ : ١٤٢) في وقائع السنة التاسعة للهجرة وهي سنة ٦٣٠ م ردّة اهل البحرين ومن جملة ما قال هناك ان الزطّ والسيابجة كانوا بالخطّ من ارض البحرين. وفي سنة ٢٠٥ ولّى المأمون محاربتهم عيسى بن يزيد الجلوذي ثم داود بن ماسحور سنة ٢٠٦ ثم ذكر محاربة عجيف لهم سنة ٢١٩ وان إغارة الروم عليهم كانت سنة

٢٤١ فاخذوا نساءهم واولاهم ودوابهم وكان جماعةٌ منهم ببلاد الدَيلَم واضمُّوا الى ابن بختيار سنة ٣٩٠ . ثم انقطع ذكرهم من كتابهِ

هذا جلُّ ما جاء في كُتب التواريخ العربيَّة عن الزطّ وقد اكتفينا بما تقدَّم لان كلام الذين جاؤوا بعد هؤلاء المؤرّخين الكبار لا يُعدّ شيئًا . وهو بمعنى كلامهم

(التابع للقادم)

إزدهار الديانة الكاثوليكية في انكلترة

بقلم الاب يوسف جباره اليسوعي (تابع لما سبق)

واذا انتقلنا الى الهند تلك المستعمرة الانكليزيَّة الواسعة الاكتاف الغزيرة المرافق وقابلنا عظمتها الحاضرة بما كانت عليهِ من الضآلة في بدء الجيل السالف لألفينا بين الزمنين بونًا شاسعًا . ففي اوائل الجيل التاسع عشر لم يكن في بلاد الهند الَّا ثلاثة اساقفة وزهاء ٣٠٠ مرسلٍ و٥٠٠,٠٠٠ كاثوليكيّ . وزد على ذلك انهُ لم يُنظر فيها عندئذٍ لا اكليروس وطنيّ ولا راهبات ولا مدارس . واما الآن فترى فيها ٣٣ كرسيًا اسقفيًا و٨٠٠ كاهن اوربيّ و٦٥٠ كاهنًا هنديًا و٢٠٠ اخٍ راهب (Frères) و٦٠٠ راهبة اوربيَّة و٢٠٠ هنديَّة و٧٠ مدرسة كبرى و٢,٢٠٠ مدرسة صغرى يغشاها ١٠٠,٠٠٠ طالب ومدرسة اكليريكيَّة تلامذتها ستَّة آلاف ثمَّ ٩٨ ميتمًا يأوي اليها ٥,٨٠٠ ولدٍ . والكاثوليكيُّون قد اربوا على المليونين . هـذا ما بلغتهُ من الشأو الديانة الكاثوليكيَّة في بلادٍ خفقت فوقها الراية الانكليزيَّة وهذا ما جرى ايضًا في كندا وفي كل بلدٍ اذاقتهُ الحرّيَّة الانكليزيَّة لذَّاتها (١

وكفى بالامثال السابقة دليلًا ساطعًا على ما آتى السيد المسيح كنيستهُ من السطوة العجيبة الالهيَّة في الانحاء الانكليزيَّة خاصةً . ولو حاولنا بيان حالة كل منها لضاق بنا المجال وكلَّ اليراع عجزًا فضلًا عن ان قصدنا في هذه المقالة البحث عن ازدهار الكثلكة في انكلترة دون سواها

(١ راجع Cardinal Moran: *Catholic Times*, 22 *Septemb.* 1899

فكأني ويد العناية بعد ان اختبرت بنار المحن فرِند الكنيسة الكاثوليكة في انكلترة قد اعادتهُ الى غمده وقد بهر الابصارَ رونقهُ وفتن الالبابَ جوهرهُ. وكأني ويد العدل قد ضمَّت واحدةً واحدةً تلك الفرائد التي سلبها الاصلاح فنظمتها عقدًا بديعاً وطوَّقت بهِ نحر كنيسةٍ حاول الجحيم امتهانها وتسويد صفحة مجدها فبدت اليوم بمظاهر عزّها وعادت انهار الديانة الى مجاريها الاولى فكثرت كما قلنا الاهتداءات وانتشرت محاسن الحفلات الدينيَّة وانتصبت الكنائس في كل صوب مبشرةً بني الايمان بادراك الاماني وورود بريد الخلاص. وكفى للدين فخرًا تلك الكنيسة الشائقة التي قامت بالقرب من بناية وستمنستر الرائعة. فقد بلغ طولها خارجاً ٣٦٠ قدماً وعرضها ١٨٠ وعلوّها الى قمَّة ابراجها ٢٨٣ ونفقاتها الى اليوم أُحصيت فكانت نحو ٢٠٠,٠٠٠ جنيه انكليزيَّة مع انَّها لم تصل بعد الى حدّ الكمال ولم يضرب لانجازها زمان قريب المجال (انظر الصورة)

وكذلك الرتب البيعيَّة ظهرت متحليَّة بحلى عظمتها وابّهتها وبرزت الكنائس من الدياميس وقد تقدمتها الاعلام والرايات وابدت من آثار الايمان ومجالي التقوى ما لم ترهُ عين في بلاد كاثوليكيَّة محضة. وحسبك لقولنا شاهدًا تلك الحفلة الرائعة التي اقامها الكاثوليكيون تذكارًا للجيل الثالث عشر لحلول القديس اغسطينوس رسولهم الاوَّل في سواحل انكلترة. وممَّا اذهلت القلوبَ غرائبهُ واخرقت العقولَ عجائبهُ ان كثيرين من البروتستانت يشهدون اليوم هذه الحفلات التي كانت تُثير قِدْماً دفين حقدهم يشهدونها وعليهم امارات الاحترام وعلامات الاجلال والاكرام. وهذا ما المع اليهِ اسقف لقربول الانكليكاني في خطبة اعرب فيها عمَّا يخالجهُ من عوامل الحيرة والاسف لمَّا هبطت حواجز العداوة التي شيَّدها الاصلاح فاصلةً بين ذريتهِ وذريَّة كنيسة رومية. واذ اندفع في الكلام ثار ثائره لاهمال قومهِ تساهلًا « بركة الاصلاح العظمى » وما سنَّتهُ الدولة سابقًا من الشرائع المضادة للتعاليم الرومانيَّة...»

لعمري يحقُّ لهُ التقلُّب على جمرة الغضا ويجدر بهِ فضُّ الدمع حرقةً واسى حيث كل فاصل قائم بين الكاثوليكيين وسائر افراد الامة الانكليزيَّة قد هدمتهُ وقوَّضتهُ سنن العدل والاستقامة فامتزج المتنافران طبعاً امتزاج الماء بالراح والتأم الحزبان التئام الاجساد بالارواح. فاضحى البابوي انكليزيًا كالانكليزي البروتستانيّ نفسهِ يخالطهُ في الاندية

كنيسة وستمنستر الكاندرائيّة لكاثوليك الانكليز

العلميَّة والادبيَّة ويجاريه في مضمار الرتب والمناصب الوطنيَّة حتى لم تتجاوز همَّتهُ الَّا مقاماتٌ قلائل حُتم على اصحابها باتباع المذهب البروتستاني ...

وماذا اقول في اكسفورد تلك الكليَّة القديمة العهد التي طبَّق ذكرها الآفاق وطوَّقت بافضالها الاعناق فانَّها قد فتحت بعد كرور ثلاثة اجيال رحب ابوابها للطلبة الكاثوليكيين فاخذوا يتقاطرون اليها زرافاتٍ ووحداناً لاجتناء داني قطوفها حتى الرهبان انفسهم حلُّوا فيها على السعة والترحاب فلليسوعيين والبنديكتيين في اكسفورد معهد خاصٌ تُنثَر فيهِ درر الآداب ولبعض الكهنة محطّ رحل في كليَّة كمبريدج الشهيرة بعلومها الرياضية

وكل من يزكن ما تحوِّلهُ من النفوذ العقلي والادبي مزاولة الدروس في تينك الكليَّتين العظيمتين يوقن ان امرًا كهذا يترتَّب عليهِ فوائد عميمة فريدة. فبهذا التقرب تذلُّ كل العقبات الحائلة بين الكاثوليكيين والبروتستانت وباحتكاك العقول واصطكاك الخواطر لا يني بروز النور فتنجلي رويدًا رويدًا حنادس الريب والخصام وتتلألأ في سماء الاذهان كواكب الثقة والوئام

ولا يذهب معترض الى ان الكنيسة الكاثوليكية نفسها لم تُصب في اعين الانكليز حظوة وافرةً فان رؤساءها الروحيين بعد ما كانوا نسيًا منسيًا بل هدفًا لكلّ السهام اصبحوا اليوم مكرَّمين مقرَّبين . أوَ لم نرَ نيافة الكردينال مانين وخلفهُ الكردينال ڤون منتدَبَين الى الجلوس بقربة من الاساقفة الانكليكانيين في الحفلات الرسميَّة والمنتديات السياسيَّة ؟ وما احرزهُ بعض ابناء الكثلكة في انكلترة من الاعتبار والتجلة لقد كان عجيباً في بابهِ. فالكل قد احاطوا علماً بما كان لذينك الكردينالين نيومن ومانين من علو المنزلة في اعين معاصرهما على اختلاف مشاربهم ونِحَلهم حتى كانت لجنازتهما حفلة اشتركت فيها الأُمة الانكليزيَّة باسرها ونُصبت رسومهما في كل مُشرَفٍ من مدارس اوريول وباليول وأُقيم ما خلا ذلك لنيومن تمثالٌ في لندن امام كنيسة الاوراتوريين

ومن اراد شاهدًا صدقًا ودليلًا ثبتًا يُسفر عمَّا ادركتهُ الكثلكة من الرفعة والتأييد في الاصقاع الانكليزيَّة فعليهِ بمطالعة ما كتبهُ احد الصحافيين المسيو جَمبيه (Gambier) الابروتستاني في هذا الصدد الذي يهمُّنا ايضاحه

قال رعاه الله: «لا يوجد بلد تحت القبَّة الزرقاء اتَّسع فيهِ نطاق السلطة البابويَّة اتساعهُ في انكلترة. فاذا اضمنا الفكر في تاريخ الاجيال السالفة لرأينا بأيَّة سرعة انتقلنا نحن معاشر الابروتستانت من البغض الشديد الى التساهل ثم الى المصافاة لمن قاومنا ديانتهم. هذا في الامور السياسية واماً في سبيل الآداب فقد كان التغيير اعظم وابلغ ففي اكسفورد وكمبريدج وبالعموم في المغاني الزاهرة بالعلوم دونك ما كانت عليهِ حالة الافكار في ابَّان الثلاثين السنة الخالية. ففي البدء شمل العقل كلَّ المسائل العلميَّة حتى الدينيَّة رغبةً في الوقوف على اسرارها ثم تسلَّط على النفوس كفرٌ هائل همَّ بابادة الملَّة الاولى ابادةً فانقرضت دولتهُ عاجلًا ولم يلقح الَّا شرًّا. وخلفهُ مذهب الارتياب واللاأدريَّة وقد انكر للعقل وسائل تمكّنهِ من ادراكِ ما تخطَّى مُلك الحواسّ وما عمَّ ان غاب عن العيون عينه واثره فبويع لمذهب آخر قال اصحابه بموجب تلك المعرفة ووجوب اتباعها ولكنهم احجموا عنها لعجزهم عن تحصيلها. وفي الختام برز عهد جديد فظهر رجال ذوو قوة ومراس اثبتوا ايمانهم ورجاءهم ببلوغ الغبطة السرمديَّة وطلبوا من يمهد لهم اليها سبيلًا فاصبح كثيرون يؤمنون بالحياة الاخرى ويتخذون الوسائط الناجعة لقضاء بغيتهم فتقرَّبوا من جرَّاء ذلك الى رومية وتعاليمها

«انَّنا وايم الحق لجاهلون عظم امتداد الكثلكة وسرعتها المتفاوتة الحدّ في بلادنا فقد شمَّر عن ساعد الجِدّ لنشرها كهنةٌ ذوو غيرة ناهضة يؤازرهم رجال عالميون في مشروعهم الاثير بهمَّة لا تني البتة ولا تثنيها عقبة. اماً علائق الكرسي الرسولي فهي سلميَّة عموماً ودليل ذلك تلك الرسالة العامة التي اصدرها لاون الثالث عشر للشعب الانكليزي.(«ad Anglos» ١٤ نيسان ١٨٩٥) فما عدا الاسطر الاخيرة التي اودعها كتابه طالباً بها الاستمرار بالصلاة والالتجاء الى البتول الطاهرة لإلحام سدى ديانة الامة الانكليزيَّة فالباقي لا يأنف من قراءتهِ واستحسانهِ خدمة الابروتستانت الروحيون اعينهم

«ولكنَّ الحبر الاعظم اتى عملًا آخر لا اضنُّ بذكره. فقد اجاز منذ امدٍ غير بعيد للشبان الكاثوليك ان ينخرطوا في سلك طلبة كليتي اكسفورد وكمبريدج. فهذا الالتحام من شأنه ان يدرَّ على الكنيسة الكاثوليكيَّة خيرات وافرة هامرة. ومنهُ نستنتج ان قداسته لعالمةٌ حقَّ العلم بما يجري بين ظهرانينا

« ودونك باختصار اهمّ الاسباب التي تسنّي للكثلكة في انكلترة بتوسيع نطاقها وتعميم تعليمها: سعي ارلندة المتواصل وراء ضالّتها ألا وهو الامتياز بسياسة شؤونها الداخليَّة بدون وسيط ولا معارض (Home-rule) — وَعْدُ الحكومة بتشييد كليَّة كاثوليكيَّة في دبلين تتكفَّل بدفع نفقاتها — تبدُّد شمل الكنيسة الانكليكانيَّة تحت كلّ كوكب — دروس معالم كل سلطة كنسيَّة على إثر ابطال الكراسيّ المخصَّصة بالاساقفة الانكليكانيين في مجلس الامراء — اقامة اعضاء عالمين بدلًا من الروحيين في ادارة الجمعيَّات الخيريَّة المختلفة — واخيرًا عدم ارضاع شبَّاننا افاويق العلوم الدينيَّة التي تمكّنهم من مجاراة الكاثوليكيين في حلبة الجدال والفرار من شِباك تعاليمهم. وزد على ذلك كلّه خطَّة سياسيَّة متباينة جعلتْ مذاهبنا المتعدّدة محورًا تدور عليهِ مطامع كل حزب

« هذا ما سمح للكنيسة الرومانيَّة باحراز ما احرزتهُ من التقدّم الباهر ولا يمضي زمن طويل الَّا ونرى لا محالة في انكلترة عنصرًا كاثوليكيًا تبدو اهميَّتهُ لكل ذي نيّرة وحينئذٍ ما من احدٍ يستطيع ان يمنع اربابه من استلام مقاليد السلطة العليا (١) » انتهى كلام جامبيه

فمن افواه الابروتستانت انفسهم قد التقطنا حقيقةً يجلُّ قدرَها كل ذي فكر. ولا نظنّ مطلقًا ان في كلام الكاتب المذكور غلوًّا او شططًا. فقبلهُ ببضع سنين كان الكردينال ڤون قد وفى هذه الحركة حقَّها من الوصف وذلك في المجتمع القرباني الذي عُقد في انفرس (بلجيكا) سنة ١٨٩٠ فقال:

« ان انكلترة تسرع موسعة الخُطَى الى سهول الكنيسة الكاثوليكيَّة الخصبة. فان خدَمة الدين الانكليكاني والأُسر الشريفة وكبار متوظفي بلادنا قد لبَّوا داعي الايمان الحقيقي. ولا تخلو الآن عائلة شريفة من عضو اهتدى فتشرَّب حبَّ ديانتنا. والحكومة ذاتها قد اظهرت ارتياحها لنا وثقتها بجدارتنا اذ سوَّغت لنا تولّي مهامّ الامور السياسية وتقلُّد المناصب السامية بعد ان حظرتها علينا سنين كثيرة... والآن وان لم تمكّننا ذات يدنا من مناصبة الابروتستانيَّة مناصبةً تقرّب لنا اجتناء اكليل الظفر

(١ Y. W, Gambiers : *La situation présente et les visées de la Papauté*)

فاننا مع ذلك لمفرغون جهدنا (والاتكال على الله حليفُنا) في بثّ بشارة الانجيل موقنين ان انكلترة تصبح كاثوليكية في خلال جيل (١ »

وفي رسالة حديثة سطَّرها الكردينال عينهُ الى حضرة الاب راجي الفاضل جاء ما يلي: « ان انكلترة قد اهتدت نصفها. ولايضاح فكري هذا اقول: ان العقول قد قطعت نصف المرحلة التي تفصلهـا عن الوحدة الكاثوليكيَّة. فلنا رجاء عظيم ان الاهتـداءات ستتكاثر عددًا في كل الشيع الابروتستانيَّة ولاسيَّما في طبقات الكنيسة العليا فيما بين الريتواليست اي الطقسيّين (٢ »

ولله درّ الكردينال مانين حيث قال: « ان الكنيسة الانكليكانيَّة ليست حتماً بشيء. ما لم تصبح كاثوليكية وتقرّ بجوهر العقائد الرومانيَّة. وهـذا ما رسخ في العقول الساميـة أثرهُ فايَّدهُ بارائهم السديدة بعض زعمـاء الاكليروس الانكليكاني... وما نراهُ من مشاهد التقوى وعلامات المحبـة والموالاة بينهم قد غرس في قلوبنا الامل برجوعهم الى الكنيسة الحقيقية...(٣ »

واردف كلامهُ بقولهِ: « حقًّا انهُ لم ينشأْ منذ الاصلاح وليس في هذا الامر ادنى ريب ميلٌ في الكنيسة الانكليكانية الى كنيستنا كالذي نراه في زماننا هذا. فان قطوب انكلترة قد تغيَّرت بنوع ما والانهار التي كانت تجري شمالًا اخذت تنصبُّ جنوبًا »

وقد لاحت بوارق هذه البشرى لمدير جريدة مُنث (الشهر) الانكليزيَّة فبثَّها قرَّاءهُ بقولهِ: « ان اعظم حاجز يحول دون دخول انفس عديدة الى حظيرة الكنيسة انَّما هي الكنيسة الرسميَّة الملكيَّة. بيد ان هذا الحاجز قد ضعفت قواعده وتضعضعت دعائمه فكاد جوفهُ ينهار على مرأى وعن رِضى الانكليكانيين انفسهم (٤...وقد خاض

— cf L'abbé de Madaune: *la ren. du cathol. en Angleterre*, page 639 etc.

١) راجع ايضاً Bossuet: *Variations, liv. VII*

٢) راجع C. Vaughan: *Lettre au R. P. Ragey* (Avenir de l'Angleterre) page XXVI

٣) Manning: *England and Christendom,* Introduct., page XLII

٤) راجع cf. Thureau d'Angin, ibidem 51, 52, 53.

اصحابه غير مرّةٍ في وجوب فصل الكنيسة عن الملك اسّ هذا الحاجز وركنه (le desétablissement) وهذا الخاطر وان لم يكُ الّا فطيرًا فلا يبعد ان يُتمّ نضجهُ . فعندئذٍ يهوى عن حالقٍ صَرحُ الكنيسة الانكليكانيَّة وتتناثر موادُّهُ وتنحلُّ عناصرهُ . فيتقاطر كثيرون ممَّن لاذوا بجاهه الى تلك الصفاة السريَّة الخالدة التي أسَّس عليها السيد المسيح كنيستهُ (١ »

وقد ذهب مذهبهُ وارتأى رأيهُ الكردينال ڤون في رسالتهِ السابقة الى حضرة الاب راجي فاثبت « ان جوهر الاصلاح الموهوم قد عرتهُ دودة الفساد فاخذت تعاليمهُ تنحلُّ في المعمور كله . وان رأيت الانكليز مصرّين على مبادئهم اللوترانيَّة فهذا القلق ليس بصادر عن ادراكٍ تامّ وبرهان واضح بل غالبًا عن اهواء شخصيَّة وتقاليد وطنيَّة شيعيَّة. على ان كل من اكتحل بإثمد العقل والعلم يشهد ان العالم الديني ينقسم الى شطرين: الكثلكة او عبادة الله بالقلب والروح ثم عبادة العقل . وسيبدّد نور الجيل التابع كل ديانة توسطت بينهما . . . » ومنها ايضًا اقتطفنا ما يأتي: « ان فشل التعاليم الابروتستانية وعدم رواج بضاعتها لهو للكاثوليكيين سبب رجاء وطيد . فان النفس البشريَّة لهي بالطبع مسيحيَّة ميَّالة بنوع جليّ الى الكنيسة المقدَّسة » (ستأتي البقيَّة)

كتاب النَّخل والكَرْم للاصمعيّ

سعى بنشرهِ وتعليق حواشيهِ الدكتور اوغست هفنر

مقدّمة

يذكر قرَّاؤنا انَّ الدكتور اوغست هفنر نزيل كليَّتنا قبل ثلاث سنوات كان مغرمًا بآثار العلَّامة اللغويّ ابي سعيد الشهير بالاصمعيّ فنشر منها في المشرق (١ : ٢٤ و٤٠٦ الخ) كتاب الدارات وكتاب النبات والشجر . وبينما كان يقلِّب مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة وقع نظرهُ على كتاب كنَّا استنسخناهُ في دمشق الفيحاء عن نسخة مصونة في خزانة كتب الملك الظاهر وهو كتاب الجراثيم لابن قتيبة فوجد بين فصولهِ كتاب النَّخل والكرم للاصمعيّ فاحبَّ ان ينشرهُ مع تعليق بعض شروح لغويَّة عليهِ نقلًا عن معجمات العرب لاسيَّما اللسان . وحتَّى الآن لم تسمح لنا كثرة الموادّ بنشر هذا الاثر الجليل في المشرق . فنزفُّهُ الى قرَّائنا في اوان الرُّطَب والعنب بعد ان قابلناهُ

(١ راجع (The Month, *May* 1892 p. 42)

بالتدقيق على النسخة الاصليَّة في سياحة حديثة رحلنا فيها الى عاصمة ولاية سوريّة . وننتهز هذه الفرصة لنقدّم لمن يتولّون نظارة مكتبة الملك الظاهر شكرنا الحميم على ما عوّدونا عليهِ من اللطف والمجاملة جازى الله خيرًا كلّ محبّي العلم وخدَمَتهُ ل . ش

كتاب النَّخْل والكَرْم (* (ص ٢٦١)

النَّخل

من صغار النَّخل الجَثِيث (١ وهو اوَّل ما يطلع من أُمّهِ (٢. وهو الوَدِيُّ (٣ والهِرَاء (٤ والفَسِيل (٥ * واذا كانت الفسيلة في الجِذْع ولم تكن مستأرضة فهو من خَسيس النخل والعرب تسمّيها الرَّاكِبَ (٦ * فاذا قُلعت الوديَّة من امّها بكَرَبِها قيل ودِيَّة مُنْعَلَة (٧ * فاذا غرسها حفر لها بئرًا فغرسها (ص ٢٦٢) ثمَّ كبس حولها بتُرْنُوق المَسيل (٨ والدِّمن فتلك البئر

*) هذا الفصل ورد في النسخة الدمشقيَّة من الصفحة ٢٦١ الى ٢٩٣ . وليس في اوَّل الفصل ذكر اسم الاصمعيّ لكنَّ صاحب لسان العرب قد نقل كثيرًا من هذا الكتاب بحرفهِ الواحد وهو يعزوهُ مطلقًا الى الاصمعيّ فلا نتمارى في نسبتهِ اليهِ

---

١) قال ابو عمرو : الجثيثة النخلة التي كانت نواة فحُفِر لها وحُملت بجرثومتها . وقال ابو حنيفة : الجثيث ما غُرس من فراخ النَّخل ولم يُغرس من النوى

٢) وفي رواية لسان العرب : اوَّل ما يُقلع منها شيء من امّهِ

٣) وفي الاصل : الوذيّ بالذال وهو غلط . والوديّ صغار النخل . قال في اللسان : وقيل تجمع الوديَّة ودايا

٤) قال اللسان : الهِراء فسيل النَّخل

٥) الفسيلة الصغيرة من النَّخل والجمع فسائل وفسيل . وفُسلان جمع الجمع عن ابي عبيد

٦) قال صاحب اللسان : الراكب النخل الصغار تخرج في اصول النَّخل الكبار . (قال) الراكب والراكبة فسيلة تكون في اعلى النخلة متدلّية لا تبلغ الارض . وفي الصحاح : الراكب ما ينبت من الفسيل في جذوع النخل وليس لهُ في الارض عِرقٌ . . . وقيل فيها الراكوب وجمها الرواكيب

٧) وقال الطوسي : بل انَّ الوديَّة المُنعَلة التي تُقلع مع كَرَبة من امّها

٨) هذا الصواب كما ورد في لسان العرب . وفي الاصل : بترنوق الفسيل . وتُرنوق المسيل طينهُ

هي الفَقِيرُ (١ . يقال: فَقَّرنا للودِيّة تفقيرًا * والأَشَأُ من صغار النخل

ومن نعوت سَعَفها وكَوْنها وقُلْبها (٢ يقال للفسيلة اذا اخرجت قُلبها: قد أنسَفَت (٣ . ويقال للسَّعَفات اللواتي يلين القُلْبة « العَوَاهن » في لغة اهل الحجاز (٤ امّا اهل نجد فيسمُّونهـا « الخوافي » * واصول السَّعف الغلاظ الكَرَانيفُ الواحدة كِرْنافة * والعريضة التي تيبس فتصير مثل الكتف هي الكَرَبة (٥ * وشحمة النَّخلة هي الجُمَّار (٦ * فاذا صار للفسيلة جذع قيل: قد قَعَدت (٧ . وفي ارض بني فلان من القَـاعِد كذا وكذا * والسَّعَف هو الجَرِيد عند اهل الحجاز واحدته جَرِيدة * وهو الخُرْص وجمعه خِرْصان * والخُلب (٨ الليف واحدته خُلْبَة

ومن حمل النَّخل وسقوطه: المُهتَجَنَة (٩ التي تحمل وهي صغيرة * فان حملت سنةً ولم تحمل سنة (ص ٢٦٣) قيل: قد عَاوَمَتْ وسَانَهَتْ (١٠ * فاذا

١) قال الجوهري: الفقير حفير يُحفَر حول الفسيلة اذا غُرست. وقيل فقير النخلة حفيرة تُحفر للفسيلة اذا حُوِّلت لتُغرس فيها

٢) سعَف النَّخلة اغصانها واكثر ما يُقال اذا يبست واذا كانت رطبة فهي الشطبة. وقُلْب النخلة مثلَّثة القاف لبُّها وشحمتها وهي هنةٌ رخصة بيضاء تُنزَع فتؤكل

٣) وفي الاصل: أنسعت بالعين وهو تصحيف

٤) وجاء في اللسان: ومنهُ سُميت جوارح الانسان عواهن

٥) كلُّ هذا ورد بالحرف في لسان العرب منسوبًا الى الاصمعيّ

٦) واحدتهـا جُمَّارة قال في اللسان: هي شحمة النخل التي في قِمَّة رأسه تُقطَع قِمَّتُهُ ثم تُكشَط عن جُمَّارة في جوفها بيضاء كأنها سنائم ضخمة وهي رَخْصة تؤكل بالعسل. والكافور يخرج من الجُمَّارة بين مشقّ السَّعَفتين وهي الكُفُرَّى. والجامور كالجُمَّار

٧) قال في اللسان: القَعَد النخل وقيل النخل الصغار وهو جمع قاعد. كما قالوا خادم وخَدَم. وقَعَدت الفسيلة وهي قاعد صار لها جِذع تقعدُ عليهِ

٨) الخُلْب لبُّ النخلة وقيل قلبها. والخُلُب مُثقَّلًا ومخففًا الليف

٩) وهي الماجنة ايضًا

١٠) اشتقاقًا من العام والسَّنَة

كثر حَمْلُها قيل: قد حَنْتَكَتْ (١ * فاذ نَفَضَتْهُ بعد ان يكثر حَمْلُها قيل قد مَرِقَتْ وقد اصاب النَّخلَ مَرَقٌ (٢ * فاذا كَثُرَ نَفَضُها وعَظُم ما بقي من بُسْرها قيل: قد خَرْدَلَتْ فهي مُخَرْدِل (٣ * فان انتفض قبل ان يصير بلحًا قيل: قد اصابهُ القُشام (٤ * فاذا وقع البَلَح وقد استرخَتْ ثَفاريقُهُ ونَدِي قيل: بَلَحٌ سَدٍ. وقد اَسْدَى النخل (٥ والثُّفروق قِمع البُسْرة والتَّمْرة. ويقال: هو السَّدَى والواحدة سَدِيَةٌ. ويقال الثُّفروق ما يلتزق بهِ القِمْع من التمرة

ومن طَلْعِهِ وإدراك تَمْرِهِ الطَّلْعُ وهو الكَافور. وكذلك التي تُتَّخذ من الطيب (٦. ويقال: هو الكافور والضَّحْك حين ينشقّ (٧. ويقال: الكافور وعاء طَلْع النخل. ويقال لهُ ايضًا قَفُّور (٨ * فاذا أُنعقد الطَّلْع حتى يصير بلحًا فهو السَّيَاب (مخفَّف) والواحدة سَيَابة (٩. ويقال: وبها سُمّي الرَّجُل * فاذا اخضرَّ واستدار قبل ان يشتدّ فاهل نجد يسمُّونهُ الجَدَال (١٠ * فاذا عَظُم فهو البُسْر (١١ * فاذا صارت فيهِ خطوط وطرائق فهو المُخَطَّم (١٢ * فاذا تغيَّرت

١) كذا في الاصل وليس لحَنْتك في كتب اللغة ذكر

٢) كذا الصواب وفي الاصل: مَزِقت . . . مَزَق. وهو تصحيف يقال مَرِقت النخلة وأمرقت اذا سقط حملُها بعد ما كبر والاسم المَرَق

٣) ومخردِلة ايضاً

٤) رُوي في الاصل « قسام » بالسين وهو غلط

٥) كلُّ رطبٍ نَدٍ فهو سَدٍ حكاهُ ابو حنيفة · واسدى النخل اذا سَدِي بُسْرُهُ (اللسان)

٦) قال في اللسان: والكافور أخلاط تُجمع من الطيب تركَّب من كافور الطَّلْع

٧) قال اللسان: والضَّحْك طَلْع النخل حين ينشقّ

٨) قال الازهريّ: وكذلك الكافور الطيِّب يقال لهُ قفُّور

٩) امَّا ابو حنيفة فقد دعا السَّيَاب البُسْر الاخضر

١٠) جاء هذا في اللسان بحرفهِ عن الاصمعيّ. ثمّ زاد ولعلَّهُ سقط من الاصل: واذا اخضرَّ حبُّهُ واستدار فهو خَلَال »

١١) بُسْر وبُسُر وبُسْرات وبُسُرات ١٢) وعن كُراع المُخَطِّم بالكسر

البُسْرة الى الحمرة قيل: هذه شُقْحَةٌ وقد اَشْقَحَ النخلُ * فاذا ظهرت فيهِ الحمرة قيل: اَزْهَى النخلُ (١ * وهو الزَّهو (ص ٢٦٤). وفي لغـة اهل الحجاز الزُّهو * فاذا بدت فيهِ نُقط من الارْطاب قيل: قد وَكَّتَ وهي بُسْرة مُوَكّتة * فاذا اتاها التَوْكيت من قِبَل ذَنَبها قيل: قد ذَنَّبت وهي مُذَنِّبَة. والرُّطَب التَّذْنُوب * واذا دخلها كلَّها الارْطاب وهي صُلْبَة لم تنهضم فهي جُمْسَةٌ وجَمْعُها جُمْس (٢ * فاذا لانت فهي ثَعْدَة والجمع ثَعْد * فاذا بلغ الارْطابُ نصفَها فذلك المُجَزَّع (٣ * فاذا بلغ ثُلُثَيها فهي حَلْقَانة وهو مُحَلْقِنٌ * فاذا جرى الارْطاب فيها كلّهـا فهي المُنْسَبِتَة وهو رُطَب مُنْسَبِت (٤ * فاذا اَرْطَب النخل كلُّهُ فذلك المَعْو يقال منهُ: اَمْعَت النَّخلة * فاذا بلغ الطَّلْع فهو الغَضِيض (٥ * واذا اخضرَّ قيل: قد خَضَبَ النخلُ وهو البَلَحُ * واذا اَدْرَكَ حملُ النخلة فهي الاِنَاض (٦ * فاذا ضُرِب العذقُ بشَوْكَةٍ فأَرْطب فذلك المنقوشُ والفعل منهُ النَّقْش (٧ * فاذا بلغ الرُّطَبُ اليُبْسَ فذلك التَّصْلِيب وقد صَلَّبَ * فان وُضع في الجِراب فصُبَّ عليهِ الماء فذلك الرَّبِيط * فان صُبَّ عليهِ الدِّبْس فهو المُصَقَّر (٨. والدِّبس تسمِّيهِ اهـل

١) كلُّ هذا منقول بالحرف عن الاصمعيّ في لسان العرب

٢) وفي الاصل: خُمْسَة وخُمْس. وكلاهما مصحَّف. ثمَّ انَّ هذا وما يأتي كلَّهُ مرويٌّ عن الاصمعيّ في اللسان

٣) يقال مجزَّع ومجزِّع ومتجزِّع

٤) قال صاحب اللسان. انسبتت الرُّطَبة اي لانت ورطَبة مُنسَبِتة ليّنة عمَّها الارْطاب

٥) وفي اللسان عن الاصمعي: فاذا بدا الطلع فهو الغضيض

٦) يقال اناضَ النخلُ يُنيضُ اناضةً اي اَيْنَعَ

٧) روى اللسانُ كلَّ ما سبق بالحرف مع نسبتهِ الى الاصمعي

٨) قال في اللسان: المصقَّر من الرُّطَب المصلَّب يُصَب عليهِ الدبس ليلين. والفعل التصقير

المدينة الصَّقْر * فان غُمَّ (١ ليُدْرِكَ فهو مَغْمور ومَغْمول (٢ وكذلك الرجل تُلقَى عليهِ الثياب ليَعرق وهو مغمول (ص ٢٦٥) * القَالِبُ البُسْر في لغة بَلْحَرْث بن كعب يقال منهُ: قلَبَتِ البُسْرة تَقْلِبُ اذا احمرَّت * فاذا ابصرتَ فيها الرُّطَب قلتَ: قد اَضْهَلَتْ اِضْهَالًا (٣ * والقَشِم والقَشْم البُسْر الابيض الذي يؤْكَل قبل ان يُدرِكَ وهو حُلْو * واذا كثر حملُ النَّخْلة قيل: قد اَوْسَقَتْ . يعني انها حملت وَسْقًا وهو الوِقْر * ويُقال: اَفْضَخَ (٤ النَّخْل اذا احمرَّ واصفرَّ

ويقال من تغيُّر تمرهِ وفسادهِ: اذا اَنْسَغَت النخلة عن عَفَن وسواد قيل: قد اصابهُ الدَّمَان وقيل الاَدَمان (٥ * وان لم تقبل النخلةِ اللَّقَاح ولم يكن للبُسْر نوًى قيل: قد صَأْصأَت النخلة (٦ * فان غلظ التَّمْر وصار فيهِ مثل اَجْنحة الجراد فذلك الفَغَا . وقد اَفْغَتِ النخلة * ويقال للتَّمْر الدَّمال * الصِّيصُ والحَشْوُ جميعًا الحَشَفُ في لغة بَلْحَرْث بن كعب . وقد حَشَت النخلة تَحْشُو حَشْوًا * ويقال للتَّمر الذي لا يَشتدُّ نواهُ: الشِيشاء (ممدود) وهو الشِّيص قال:

يا لكَ من تَمْرٍ ومن شِيشاء ينْشَبُ في المَسْعَلِ واللَّهَاء

(احتاج الى مدّ اللَّها فمدَّهُ (ص ٢٦٦) ويُروى اللِهَاء بكسر اللام جمع

---

١) غَمَّهُ اي غطَّاهُ . وفي الاصل عُمَّ بالعين . والصواب بالغين كما ورد في اللسان

٢) ويروى: مغمون ايضاً بالنون

٣) اضهل البُسر اذا بدا فيهِ الارطاب (اللسان)

٤) وفي الاصل صُفِّح بافضَخ

٥) رُوي في اللسان عن ابن ابي الزناد

٦) قال في اللسان: وقيل صأصأت النخلة اذا صارت شيصاء . وقال الامويّ في لغة بلحرث ابن كعب الصيص هو الشيص عند الناس

مثل اَضًى واِضَاء جمع اَضاة) (١ . واهــل المدينة يسمّونهُ السُّخَّل وقد سَخَّلَتِ النَّخْلَة (٢

ومن صراحهِ ولَقاحهِ اذا اَلْقحَ الناسُ النَّخلَ قيل : قد جَبُّوا . وقد اتى زمان الجِبَاب * اَبَرْتُ النَّخلَ آبِرُهُ واَبَّرْتُهُ وابَرْتهُ اذا اصلحتَهُ . ومنهُ قول طَرَفة :

وليَ الاَصلُ الذي في مثلهِ   يُصلح الآبِرُ زَرْعِ المؤتَبِرْ

واهلُ المدينة يقولون : كنّا في العَفَــار اذا كانوا في اِصْلاح النَّخل المؤتَبر وتلقيحهِ * فاذا صُرِمَ النَّخْل فذلك القِطَاع والجِزَاز والجِزَار والجِرَام (قال الكسائي : في هذا كلّهِ بالفتح والكسر) * صرمتُ النخــلَ وجرمتُهُ واجترَمْتُه اذا جزَرْتَهُ

ومن نعوت طولها : اذا صار لها جِذْعٌ يتناول منهُ المتناوِل فتلك النخلةُ العَضِيدُ * فاذا فاتت اليدَ فهي جبَّارةٌ (٣ * فاذا ارتفعت عن ذلك فهي الرَّقْلَة وجمعُها رَقْل ورِقال . وهي عند اهلِ نجد العَيْدانة (٤ * واذا طالت ولعلَّ ذلك مع اُنجراد فهي سَحُوقٌ (٥ وهن سُحُق * الصَّوْر (٦ النخل المجتمع الصغار والطوال

ومن نعوتها في حَمْلها : اذا كانت تُدرِك في اوَّل النَّخْل فهي البَكُور (٧ وهنَّ البُكُر * والمُتْبِل الاُمّ يكون لها فسيلة وقد انفردت واستغنت عن اُمّها

---

١) كذا في اللسان وهو اصح من رواية الاصل المصحَّفة

٢) في اللسان سَخَلت النخلة اذا حملت شيصاً (عن اهل الحجاز)

٣) وفي الاصل : حبَّارة وهو تصحيف

٤) جاء في اللسان : هذه ترجمة انفرد بها ابن سيدة وحدهُ قال : العَيْدانة الطول ما يكون من النخل ولا تكون عَيْدانة حتَّى يسقط كَرَبُها كلُّهُ ويصير جذعها اجرد من اعلاه الى اسفلهِ عن ابي حنيفة

٥) السحوق الطويلة التي بَعُد ثمرُها على المجتني

٦) جمعُ صيران على غير لفظهِ

٧) وهي البكيرة ايضاً والباكورة

ويقــال لتلك الفسيلة البتول * والبَـكيرة مثل البَـكُور * المِسْلاخ التي نَبَتت بواسِرُها (١ * والخَضِيرة التي نَبَت بُسْرُها وهو اخضر (ص ٢٦٧) * المِنْجار (٢ التي يبقى حملُها الى آخر الصِرام

ومن اجناسها الخِصَاب وهو النَّخل الدَّقل الواحدة خَصْبة * ويقــال للدَّقل الأَلْوَانُ واحدها لَوْن * ويقال لفَحلها الرَّاعِل . والرِّعال الدَّقل الواحدة رَعْلة * وكلُّ لون لا يُعْرَف اسمه فهو جمْع يقال: قد كَثُر الجمع في ارض فلان لنخلٍ تخرجُ من النوى * والطَّرْق (٣ ضربٌ من النَّخْــل . اقول هو الذي يكون على سَطْر واحد

ومن عيوبهــا اذا صغر رأس النَّخْلة وقلَّ سَعَفُها فهي عَشَّة وهنَّ عِشَاش (٤ * فاذا دقَّت من اسفلهــا وانجرد كَرَبُها قيل: قد صَنْبَرت (٥ * واذا مالت فبُني تحتها دكَّان تَعْتَمِد عليهِ فتلك الرُّجْبَة (٦ والنَّخْلة رُجَبِيَّة * فاذا يَبِسَت قيل: قد صوَتْ تَصْوي (٧ فهي صاويةٌ

ومن عذوقها ونعوتها: العَذْق عند اهل الحجاز النَّخْلة نفسها . والعِذْق القِنْو الذي يقال لهُ الكِبَاسة . وهو القِنَا (مقصور) ايضًا . فمن قال « قِنْو »

---

١) كذا في الاصل: وفي لسان العرب: المسلاخ التي ينتثر بُسْرهــا وهو اخضر. وكذا شرح ايضًا الخضيرة

٢) كذا في الاصل: ولم نجد للمنجار ذكرًا في كتب اللغة ولعلَّها تصحيف مِنْجار

٣) قال في اللسان: الطَّرْق النَّخلة في لغة طيِّئ عن ابي حنيفة . والطريق ضربٌ من النخل وهو اطول ما يكون منهُ بلغة اليمامة . ونخلة طريقة ملساء طويلة

٤) يقال عشَّشت النخلة اذا قلَّ سعفُها ودقَّ اسفلُها

٥) قال ابو عبيدة: الصُّنْبور والصُّنْبورة النخلةَ تبقى منفردة ويدقُّ اسفلُهــا وينتثر ويقلُّ حملُها ٦) ويقال الرُّجمة ايضًا بالميم . يقال رجَّب النخلةَ اذا بنى تحتها دكَّانًا تعتمد عليهِ لضعفها يفعلون ذلك للنخلة الكريمة

٧) والمصدر صُوِيًّا . قال ابن لانباري: الصَّوَى في النخلة مقصور يُكتب بالياء

قال للاثنين قِنَوان والجمع قِنْوان . ومن قال « قَنًا » قال لجمعه اَقنَاء * وبقال لعود الكباسة العُرْجون والاِهَان * والشِمْراخ هو الذي عليهِ البُسْر . واصلُهُ العِذق ويقال لهُ الشُمروخ والاِثـكال والأُثكُول والعِثكال والعُثـكُول (١ (ص ٢٦٨) * المِطْو الشِمراخ وجمعهُ مِطَاء (٢ * والكِنَاب الشِمراخ * ويقال لهُ ايضًا العاسي * والعِرْدام العِذْق الذي لا يكون فيهِ الشماريخ * المُعَثْكَل العِذْق ذو العَثَاكيل . والعَثَاكيل جمع عُثْكُول * والذِبح قِنو النَخْلة جمعهُ ذِبَحَة

ويقال في اعرائها ورَفع تمرها بعد الصرام: قد اَستَغرى الناسُ في كلّ وجهٍ اذا اكلوا الرُطَب اخذهُ من العَرايا (٣ * . وقد استحيا (٤ النَّاسُ في كلّ وجهٍ إذا أكلوا الرّطب * * ويقال للموضع الذي فيهِ التَّمر اذا صُرِم المِرْبَد . وربَّما خشوا عليهِ المطر فيُجعل في المِرْبَد جُحْر ليسيل منهُ ماء المطر واسم ذلك الجُحْر الثَّعلَب (٥ . واهل نَجد يسمُّون المِرْبَد الجرِينَ ويسمّيهِ بعض من يلي اليمامة المِسْطَح (٦

ومن نعوتها في شربها ونباتها الكارِعات والمُكرِعات التي على الماء * والنَّادِيات البعيدة عن الماء * النخل المُنَبَّق المصطفّ على سطر مستوٍ

ومن جماعاتها: الصَّوْر جماعُ النخل ومثلـهُ الحَايِس ولا واحد لهما من

---

١) قال في اللسان: الهمزة في اثكول بدل العين وليست زائدة . والجوهريّ جعلها زائدة
٢) قال ابو حنيفة: المَطْوُ والمطو عذق النَّخلة
٣) العرايا جمع عرَّية النَّخلة المعراة يقال اعراهُ النخلة اذا وهبهُ ثمر عامها
٤) كذا في الاصل ولا اثر لاستحيا في هذا المعنى بالمعجمات المطوَّلة
٥) قال في اللسان: الثعلب مخرج الماء من جرين التمر
٦) المسطح بفتح الميم وكسرها مكان مستوٍ يُبْسَط عليهِ التمر ويُجفَّف

لفظهما (كما ان الزَّبرب لا واحد له وهو قطيع البقر وكذلك الابل). ومما يُزْرَع فيهِ ويُغرس الجرْبَة وهي المزرعة * والدِبار (ص ٢٦٩) المَشارات (١ واحدها دَبْرَةٌ. والحقل مثلهُ والمحاجر واحدها مَحجِر (٢ * المَشارِب (٣ المراعي * سَبَل الزرع وسُنْبُلهُ سواء. وقد سَنبَلَ واَسْتَبَلَ

(تمَّ باب النخل ويليهِ باب الكرم)

الاديار القديمة في كسروان

لحضرة الاب الفاضل ابراهيم حرفوش المرسل اللبناني (لاحق بسابق)

مكتبة دير مار شليطا

بعد ان تكلمنا عن الكتب التي وقعت بين ايدينا مما نسخهُ سكّان الدير في عصر البردوط سركيس يجدر بنا ان ننتقل الى ذكر بقايا الكتب التي احضرها الدويهي ومن خلفهُ من البطاركة الى مكتبة هذا الدير وهذه الكتب هي في عداد آثاره الادبيَّة

من طالع مؤلفات العلاَّمة الدويهي الطقسيَّة والتاريخيَّة وامعن النظر في غزارة مادَّتها وما اقتضى لمؤلفها من البحث والتنقيب والتنقير في إسناد كلّ ما كتبهُ الى اقوال العلماء والمؤرخين يتبادر تصورهُ فيحكم ان علاَّمتنا قد احضر لغرضهِ مجلَّدات عديدة من كتب طقوسنا القديمة الى غير ذلك من المؤلفات ووضعها في دير مار شليطا اذ قضى فيهِ كل حياتهِ لاننا نعلم من ترجمتهِ انهُ غادر قنوبين على ما يُظنّ في السنة الثانية لبطركيتهِ وبنى محلاً للبطاركة في مار شليطا سنة ١٦٧٢ كما رأيت واستمر في هذا الدير

١) قيل المَشارة البقعة التي تُزرع وقدرها جريب

٢) المَحجِر الحديقة ٣) قال في اللسان: المشربة ارضٌ ليّنة لا يزال فيها نبتٌ اخضر ريّان وجمعها مَشرَبات ومشارب

الى سنة وفاتهِ ١٧٠٤ فغـادر مار شليطا عائدًا الى كرسيهِ وما كادت رجلهُ تطأُ عتبة قنوبين حتى وافاه الاجل وضُمَّ الى سلفائهِ البطاركة في مقبرة القديسة مارينـا كما كان يتوق لذلك مرارًا

وهذه الكتب كانت دون ادنى شكّ عديدة فاخذ العلاَّمة السمعاني منها قسمًا عظيمًا الى رومية (١ وما تبقّى تناقلتهُ الايدي واكبر دليـل على ذلك انني عثرت في اديرة مختلفة وعند اشخاص خصوصيين على بعض هذه الـكتب محرَّرٌ على هامشها او على صفحاتها الاخيرة انَّها من كتب او مكتبة مـار شليطا. ثم ان البطريرك يعقوب عوَّاد الذي سكن هذا الدير مدة من سنة ١٧٠٦ الى سنة ١٧٣٣ وتُوفي ودُفن فيهِ قد زاد في رونق المكتبة ايضاً. ولكن الفضل للمتقدّم فان اكثر هذه التآليف من فضل عناية الدويهي ولذا قلما ترى كتابًا في المكتبة الَّا وقد خطَّت يدهُ الكريمة بعض اصلاحات عليهِ ولذا حقٌ بنا القول ان مكتبة مار شليطا هي من جملة مآثر الدويهي الادبيـة في هذا الدير ولنسرد الآن فهرست ما بقي من هذه الكتب وما عثرنا عليهِ بالعرض خارج المكتبة في محال مختلفة متبعين في ذلك تاريخ نسخ الكتاب وبعد ان نصف على كلّ منها ننقل الحواشي التاريخية المعلقة عليهِ التي لا تخلو من بعض الفائدة فان التـاريخ على ما قال الخطيب الروماني هو مرآة الاجيال الخوالي

١ ان اقدم كتاب عثرنا عليهِ من بقايا هذه المكتبة العهد الجديد بالسريانية نُسخ سنة ١٦١٣ للاسكندر الموافقة لسنة ١٣٠٢ م

قال العلاَّمة الدويهي في تاريخهِ المطبوع (صفحة ١٣٩) في ايرادهِ حوادث سنة ١٤٧٠ في معرض كلامهِ على نسَّاخ ذاك العصر: «وفي ذلك الوقت اهملوا الخطّ الاسترنكالي المربَّع وتمسكوا بالسرياني المدوَّر» وهذا الكتاب من حيث الخط هو مثـال حسي

---

١) من التقليد النقلي ان البطريرك يوسف اسطفان احضر مجلدات عديدة ايضاً من هـذه المكتبة الى دير الطفل الالهي الذي بناه في حصن غوسطا من إحسان الملك لويس الخامس عشر سنة ١٧٦٩ وحتَّى الآن شعار هذا الملك معلَّق على جدار الكنيسة ولمَّا ان نُكب البطريرك بطوارق الحدثان ونُفي الى الكرمل تلاعب اخصـامه بمكتبته وتشتتت وتفرقت في كل وادٍ وما كان باقيًا منها بعد عودته من الكرمل ذهب فريسة الضياع عقيب الاختلاف الذي وقع بين عائلة بيت اسطفان وعائلة التنيبي في غوسطا على حقوق الولاية على دير الحصن في هذه القرية

للانتقال التدريجي من الخط الاسترنكالي او السطرنجيلي الى الخط المدوَّر ولذا رأينا ان ننقل بالرسم صورتين منهُ الاولى تدل على الخط المدوَّر المشوب بالاسترنكالي والاخرى تصوّر الاسترنكالي المهجور حديثاً

ولسوء الحظ قد فُقدت اوراق هذا الكتاب الاولى وفُقد ايضاً القسم الاخير منهُ غير انهُ من حسن الطالع عثرنا في آخر انجيل يوحنا على كتابة بديعة علّقها الناسخ بالخطّ الاسترنكالي بيَّن فيها تاريخ النسخ وموطنه ولم يتحفنا باسمهِ تواضعاً على عادة النسّاخ الاقدمين وتحرير هذه الكتابة السريانيَّة التي علّقها الناسخ بخطّ يدهِ والتي تراها منقولة بالرسم امامك هو :

« انهُ في سنة ١٦١٣ يونانيـة كمل او نجز هذا الكتاب الانجيل المقدَّس لربنا يسوع المسيح الذي تكلَّم بهِ وانذر به وبشَّر بهِ الانجيليون الاربعة المحقون متَّى ومرقس ولوقا ويوحنا لتكن الرحمة علينا بصلواتهم وكُتب بايدي انسان حقير وخاطئ ومسكين ومجرم ومذنب ساكن بجبل لبنان في القرية المدعوّة حصرون ذاك الذي لاجل كثرة خطاياه لا يُستطاع ان يكون لهُ اسمٌ[1] في هذا الكتاب غير انني اطلب من كل اخ مؤمن [يجدهُ او يطالع فيهِ او يستفيد منهُ (حرفيّاً يتكدّى) ان يصلّي عني وعن والديَّ لاجل المسيح والصلوة تكون مناصفةً وكل انسان يجازى حسب صلوتهِ في يوم الدين ان صالحة او طالحة . اللهمَّ ترأف على حقارتي في يوم القضا ليغفر الرب للكاتب وللقارئ وللمالك وللمقتني ولمن قال امين . يترأف على الخاطئ الكاتب . المجد للآب الذي اعتق وللابن الذي ساعد وللروح القدس الذي ابتدأ وكمّل معنا . ليكن اسم الرب مباركاً الى ابد الابدين] »

انتهت ترجمة الكتابة السريانيَّة التي علّقها الناسخ واتبعنا في ترجمتها الحرف واما ما تراهُ في ذيل الصفحة التي نقلناها بالرسم من الخط العربي فهو حديث العهد حرَّرهُ احد المطالعين المتأخرين وهو ترجمة الكتابة السريانية ولكنها متسعة لم يراعِ فيها المترجم الحرف والدقّة .

٢ الكتاب الثاني هو عبــارة عن فرض القديسة مرت مورا بالسريانية نُسخ سنة ١٤٦٨ واول عبــارة من هذه الصلوة هي : ܐܒܐ ܕܝ ܦܘܪܩܢܐ ܕܡܫܝܚܐ ܘܡܥܒܕܢܐ ܕܚܘܒܐ ܘܡܚܘܝܢܐ ܕܩܢܘܡܐ . ومنها يظهر ان المراد من القديسة مورا هنا تلك التي استشهدت مع زوجها تيموثاوس في ايّام الملك دِقيوس قيصر وتذكارهــا في سنكسارنا في اليوم

١) ما جعلناهُ بين معكَّفين ورد في ورقة ثانية لم تُرْسَم في المشرق

ܡܢ ܥܠܡ ܠܥܠܡ. ܐܡܝܢ
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]


هذا التاريخ هو هذا في سنة ١٧٢٣ يونانية
… المسيحية … الجليل المقدس
في قرية حصرون … في جبة … طرابلس
في جبل لبنان المشرف ذكره في كتاب التورة والزهر

الثالث من شهر أيار. ومن المعلوم انهُ قد أُقيم من قديم الزمان معابد جمَّة في طائفتنا على اسم هذه القديسة منها مرت مورا في اطلال قرية بقوفا شرقي اهدن. ومعبد آخر على اسمها غربي اهدن فوق قرية عينطورين ولها معبد آخر في قرية كفر سغاب في محلّة تسمَّى كفر بيتا شرقي القرية وهي كنيسة صغيرة قائمة حتى يومنا حذاءها نبع الغاب الشهير الكبير يصبّ على مطحنة. ولها معبد آخر ايضاً في مقاطعة عكّار المدعوة شَفَت عكار في الشمال الشرقي من قرية بقرزلا وحول هذا المعبد اشجار من السنديان قديمة الأيام وتحته لجهة الشمال الغربي عين ماء ذات جودة يغتسل بمائها من اقسم باسم القديسة قبل انشاء القسَم وهذا المعبد مشيَّد في سفح جبل بقرزلا وهو عبارة عن خربة لم يبقَ منهُ سوى حنيَّة المذبح وهي من الطرز القديم

ولهذه القديسة معبد في قرية رشعين على ضفة نهر رشعين الجنوبية غربي القرية جدّدهُ حديثاً رجل يدعى جريج زيدان. ولها معبد صغير في قرية بنشعي من قرى الزاوية لجهة الشمال الغربي من قرية سبعل والمعبد مشيد في سفح جبلٍ شمالي القرية وهو قائم الى الآن وفيهِ حنية من الطرز القديم

ولها معبد في مزرعة ريش طعموت من مزارع الجبة وهذه المزرعة هي قبالة قرية مزيارة والمعبد حديث كبير على الطرز الحديث. ولها مذبح في كنيسة دير مار اليشاع القديم المشيد في سفح الوادي المقدّس

واكثر هذه المعابد عريقة في القدم وحولها اشجار من السنديان قديمة الأيام لا تمسُّها آلة قطع وهيئة هذه الابنية قديمة ممَّا يدل على قدم اكرام هذه القديسة في طائفتنا

وناسخ الفرض المقدّم ذكره ابراهيم الاهدني. وعلى ذيل الصفحة الاخيرة باحرف عربية هذه العبارة مشطوب عليها: «لدير بنات قلب يسوع في بكركي» ممَّا يدل على انهُ من متروكات الراهبة هندية

٣ ان الكتاب الثالث نسخ سنة ١٧٩٣ يونانية (سنة ١٤٨٢ م) وهو عبارة عن كتاب صلوات فرضية بالسريانية يحوي الصلوات التي تقام في الاعياد والتذكارات الآتية: مديح يوحنا. احد قانا الجليل. دخول المسيح الى الهيكل. اثنين القيامة. الاحد الجديد. نياحة يوسف عيد مار عبدا. الصعود. العنصرة. مار نوهرا. تجلّي السيد لهُ المجد

وفي آخر الكتاب انهُ ملك الخوري يعقوب من قرية حدث الجبة ولا ذكر لاسم الناسخ او المؤلف

٤ الكتاب الرابع نُسخ سنة ١٨٠٦ يونانيــة (١٤٩٥ م) يحوي فرض الشعانين ورتبة الطواف التي تُقضى في احدهِ ثم الصلوة التي تقــام احد القيامة وكلها بالسريانية وفي آخر الكتاب ما يلي بالعربية باحرف سريانية :

« كمل هذا الكتاب باسم خوري ابراهيم ابن دمريع من قرية حصرون سنة ١٨٠٦ يونانية . هذا الكتاب هو برسم كنيسة حلب لجماعتنا السريان سبط الموارنة الساكنين في جبل لبنن (لبنان) المبارك في الاجبال وسابونا الشماس حنا ابن اختي دفع حقَّهُ مبلغ خمسين درهم وحقّ الورق عشرة ودرهمين حق خام (لتجليد الكتاب) والحمد لله وحده »

ويلي ما تقدّم كتابة أُخرى :

« لمَّا كان تاريخ سنة ١٨٢١ من سنين الاسكندر (سنة ١٥١٠ م) قرأ في هــذا الكتاب المبارك الحقير الفقير الخوري يوسف ابن الخوري يوحنا من قرية بشراي الله يغفر لهُ ولوالديه واذ كنّاً في حلب بنخدم (١ جماعتنا الموارنة على زمان شيخ التاج كان حاجب في طرابلس الله يعيننا على خطايانا والله يرد غربتنا بصلوات السيدة ام النور وجميع القديسين » انتهى

ومما يتبادر اليهِ التصور ان العلاَّمة الدويهي احضر معهُ هذا الكتاب مع غيرهِ من الكتب الآتية لِما هو معلق عليها من الحواشي التاريخية التي تكشف القناع عن تاريخ ابناء طائفتنا في حلب كما سترى

٥ الكتاب الخامس نُسخ سنة ١٥٢٧ م وهو كتاب صلوة فرضية في مديح مريم البتول وعنوانها : « ܡܘܫܚܬܐ ܕܝܠܕܬ ܐܠܗܐ » وفي آخر الكتاب :

« كمل هذا الكتاب المبارك سنة ١٨٣٠ يونانيــة (١٥٢٧ م) على يد الحقير الخـاطي ܐܚܐ ܕܡܣܟܢܐ ܘܚܛܝܐ ܕܐܘܪܫܠܡ (٢ واسم الكاتب ܡ . ܘ ܘܡܟܐܡ ܘܐܡܣܟܢ ܡܢ ܡܢܝܢܐ ܘܣܥܒ

١) نخدم ٢) زبل المزابل وغبــار الطرق . ويلي هذه العبارة السريانية عبارات تواضع بالسريانية على طريقة النساح الاقدمين اضربنا عن ذكرها . ولمَّا وصل الناسخ الى ذكر اسمه اشار اليهِ بالعبارة المحررة في المتن ܡ . ܘ ܘܡܟܐܡ ܘܐܡܣܟܢ وتحرير اسمهُ يوسف (ܝܘܣܦ) فان حرف (ܣ) يعادل ٦٠ وحرف (ܦ) يعادل ٨٠ وهي فلسفة لا طائل من ورائها

ܥܠ ܡܫܟܢܐ ܣܘܪܝܝ ... (١ وكان المتني فيها الخوري فرج سدقه (٢ عنهُ وعن اولاده »

وفي آخر الصلوة قبل القراءات المعينة للتذكار من اسفار العهد القديم الكتابة الآتية :

«كان المهتم في هذا الكتاب المبارك الاخ الخوري فرج ابن قزمان من القرية المباركة المحبة للمسيح حصرون واوقفها للقديس مار ايلياس في حارة الجديدة سدقه عن نفسه وارواح والديه ينيح نفسه مع الاباء الصالحين امين امين . ولا لاحد لهُ سلطان ان يغيّره عن موضعه ام برهنه ام ببيعه يكون القديس مار الياس خصمه . واذا عُدم هذا الموضع الذي هو للموارنة وعدموا من مدينة حلب يكون لدير مار جرجس في القدس (٣ ان كان بيد الموارنة . وان عدم دير مار جرجس المذكور يكون لدير سيدة قنوبين الذي هو كورسي (كرسي) البطركية هو وجميع الذي في كنيسة مار الياس كتب وعُدَد وفضة وغيره . اذا عدم دير القدس يكون ذلك . وان لم يعدم من يد الموارنة جميع هذا يكون لهُ . وشهد وكتبه الحقير في رؤساء الكهنة المطران انطونيوس (٤ وكان مطران على حلب والشام وجبة بشريه (بشراي) ومحروم من يخالف قولنا» انتهى

ويلي هذه الكتابة كتابة أُخرى على هامش هذا الكتاب وهي باحرف سريانية نوردها بحروفها :

« سنة الف وثمانمائة وثمانين وثلاثة ٣٨ يونانية (١٥٢٧م) في كانون مضى منهُ ٢٠ في تلك السنة ارتسم الخوري المذكور وابن اخته ارتسموا شدياق وفي . . . (٥ خوارنة وفيها اشترينا الدار الذي بجانب

---

١) من القرية المحبة للمسيح حصرون وكتبه لكنيسة مريم القديسة . ومن المعلوم انهُ كان لطائفتنا في حلب عدا كنيسة القديس الياس كنيسة على اسم السيدة وقد وصف الدويهي في منارته (صفحة ١١٣) قبة مذبح هذه الكنيسة ممّا يدل على ان هذه الكنيسة كانت قائمة حتى ايأم زار فيها حلب للانذار كما رأيت في ترجمته

٢) صدقة ٣) طالع الدر المنظوم صفحة ١٥٦ بشأن دير مار جرجس الذي كان يخص طائفتنا في القدس

٤) انظر الدر المنظوم ايضاً في الصفحة ١٥٦ وتاريخ العلّامة الدويهي المطبوع صفحة ١٦٥ وسترى حادثة ذهاب المطران انطونيوس الى حلب بشان ارزاق دير قنوبين مسرودة بكتابة من خط المطران المذكور نقلًا عن كتاب من كتب المكتبة كما سترى عن قريب : وهذا الكتاب الاخر هو ايضاً ممّا احضره الدويهي من حلب حرصاً على الحقائق التاريخية

٥) الفاظ غير مقروءة

مار الياس وضفنتها (أضفناها) للكنيسة وحطو غنها . . . (١ وعملوا الافرنج كاس فضة والنبر عملوا صليب وكان ذلك على يد الـ . . . (٢ المهتم في ذلك المطران . . . (٣ نسأل كلّ انسان يقرا هذه السطور يذكرنا عقيب صلواته »

ساعة شيخ البلد

للاب انطون ربَّاط اليسوعي (تتمَّة)

فعجّزتُ رأي الشيخ واستدبرتهُ فلمز دابّتهُ فرحت وغاب عن ناظرنا مخلّفًا بعدهُ الخوف والاضطراب

قال شارل: قد راعنا الشيخ والاجدر بنا ان نتبع مشورتهُ فنعود على الاعقاب

قلت: واي خوف علينا وماذا اتينا من الاثم انَّ الضمير السليم لفي كنف العناية الالهيَّة فلا يمسّهُ ضرّ

قال شارل: أرأيت كيف كان يرشقنا باللحظات

فاجبتهُ: دع الاوهام ولا ترتعد للحظاته واظنهُ اراد ان يهزأ بنا او هو احد المغنّين جاء للموسم يسوءه رؤية من عزم على ان يباريه في الغناء ويشاطره في المكسب

فراق هذا التعليل في اعيننا وجهدنا ان ننبذ تخويفه وراءنا ظهريًا ولا نعبأ بهِ. ثم سرنا بجدّ فتسلّقنا الرابية بقدم ثابتة رغمًا عن الثلج الهطّال الى ان بلغنا ذروتها فاذا ساحة فسيحة في صحنها اشجار مصطفة على قياس شطرنجي تناطح النجوم برؤوسها الشامخة وادواح وارفة الافنان كأنها السحب عرضًا وعلوًا. وجعلنا نجول في انحاء الساحة نشرف من كل اطرافها على مشاهد لا مثيل لهُ من جبل وسهل ووادٍ قد زانها الخالق بالجمال والخصب وحلّتها الشمس بحمرة الشفق تتلألأ على بياض الثلج المختلط بخضرة المروج ولم تملإ العيون من مرآها البديع لما لحقنا من لفحات البرد وكانت ليلة قرة فانحدرنا مسرعين على رجاء العود في الغد ثم دخلنا المدينة نسأل عن نزل الفرس الاحمر فسرنا بين طرق ضيّقة تتراكم فيها العمارات وتتلاصق البيوت والناس قد تقاطروا للموسم من كل وجهة

---

١ و ٢) ممحوَّة

٣) وقع اسم المطران وهو انطونيوس السابق ذكرهُ

وصوب فغصَّت بهم الاسواق والفنادق الى ان وصلنــا الى باب ضخم تعلوه صورة فرس احمر وهو الفندق المطلوب فدخلناه. فتقدمت الينا خادمة النزل مرحبةً بنا فاستثبتُها فاذا هي حنَّة قريبتي وخطيبتي فسلّمتُ عليها فردَّت السلام ورحبت بي وسُرَّت بالتلاقي لطول افتراقنا. ثم قالت: ادخل الى القاعة مع اصحابك وساعود اليكم. فلبينا دعوتهــا وفتحت الباب فاذا ديوان مظلم متَّسع الارجاء مستند على اعمدة من خشب قد غصَّ بالمئين من الزوَّار والمسافرين يشربون الجعة ويعاقرون الخمر وقد تصاعد دخان غلايينهم كغمام اسود فسـد بهِ الهواء وجعل القاعة اشبـه شيء بافران معامل الحديد وقُمُن المعادن. وفي الصدر صاحبة الخانة عجوز دردبيس مضبورة الخَلْق جالسة امام مائدة صفَّت عليها زجاجات ودساتج من الخمر والجعة وهي تترصد الزبون. فسألتها ان تعيّن لنا مكانًا منفردًا رخيص الاجرة نأوي اليهِ وان تبعث الينا شيئًا من الخبز والقديد. فنظرت الينا نظرة الامتهان لما رأت من ثيابنـا الرثة واجابت ان الضيوف الموسرين كثيرين في منزلي ولم يبقَ الّا عليَّة من خشب بنيتها على السطوح آجرها الليلة بثلاثة فرنكات

قلتُ: لا بأس

فصرخت بصوت كالرعد القاصف: حنَّة

— نعم سيدتي

— سيري امام هؤلاء الى العليَّة وأعطيهم ما يريدون وعودي حالًا

فتقدَّمت حنَّة ونحن نتبعها الى ان وصلت بنـا الى مخدع والاحرى ان نقول الى كوخ مستندة جدرانه الى منازل الجيران لالتصاق البيوت بعضهــا ببعض ثم جاءتنا بما نحتاج اليهِ من الطعام وبقليل من الحطب فاشعلنــا في الموقد نارًا نصطلي. وفي غضون ذلك كانت مولاة حنَّة تدعوها بصراخ يرنّ في آذاننا: الى متى تتأخرين يا خادمة السوء. ان هذه الابنة ستخسرني كلَّ مالي بكسلها

وكنتُ اوقف حنَّة لاستطلعها طلع احوالهــا ولكن لم تدع الحيزبون سبيلًا الى ذلك. فخرجت ثم عادت بعد قليل قائلة: هل معكم اوراق تنبئ بحرفتكم ؟

— ولِمَ

— لان في المدينة زمرة من الاشقياء يقتلون ويسرقون ولم تتمكن الحكومة من

القبض عليهم فبثت العيون في كل الانحاء وامرت الشرط ان ينظروا في اوراق المسافرين ويشدّدوا على المارّين

فارادت ان تزيدني ايضاحاً لكن صراخ سيّدتها كان قد ملأ الخافقين فاسرعت مُهَرْوِلةً وتركتنا

قال ألفريد: اخاف من هذه الانباء السيئة واخشى ان نضحي فريسة القتلة

فاجبتهُ: هيَّ على الطعام وسكِّن الجأش لا خوف علينا ما دامت سيرتنا صالحة وسريرتنا لا غشَّ فيهما

قال شارل: لم ارَ قط قاتلاً فما اعظم ما يكون حظي اذا سهّلت لي المقادير ان ارى الليلة احد اصحاب القتل والنهب فامسكهُ واوسعهُ ضرباً واشدّ اساره

فقاطعهُ الفريد: اسكت وقانا الله من هذه الحوادث المشؤومة

قلت: ألا ترى يا شارل ان الفريد اجزع من الضبّ فدع ذكر المخاوف وإلّا لانقطع صوته رعباً وكفَّ يوم غدٍ عن الغناء فنعود صفر اليدين

فاكلنا واخرج كلٌّ غليونه فدخّنا الى ان دقّت ساعة البلد نصف الليل فامتدَّ كل منّا على حدة وقد التحفنا بالاعبئة واردنا النوم

قال الفريد: أسمعُ هَمْس اقدام على السطوح غير بعيد عنا. فرفعنا جميعاً الرؤوس ومدَدْنا الاعناق فاذا امام الشباك علج كالجبَّار بيده سكين او ساطور. فاخذ منا الرعب كل مأخذ فارتعش الفريد واقشعر وتلجلج لسانه فاختبأ وراءي لا يبدي حراكاً وكنا ننظر الى زائرنا المشؤوم لا نرى للخلاص سبيلاً ونحن عُزْل لا سلاح لنا الّا المزمار والقيثارة. وبعد هنيهة دفع العلج الشبَّاك بهدوء ففتحهُ وجعل ينظر ما حوله ويدير سكينه وعيناه تتوقدان شرراً كأنهُ مزمع ان يفتك بنا

ثم تدلّى فنزل واقترب من النار واظنهُ لم يرنا فقلت في نفسي: ان تقدم اليَّ دافعت عن روحي فامّا انجو بقتله او اموت ميتة الشجعان. ثم جلس على كرسي واخرج ساعة من جيبه فوضعها على مائدة الموقد وهو ينظر يميناً وشمالاً ويلعب بسكينه ويبربر بربرة الزنوج وبعد دقيقة ظننتها شهراً تسلق بالشباك وعاد من حيث اتى فاستثبته عندئذٍ فاذا هو شيخنا بشير السوء صاحب البغلة فعادت الينا ارواحنا. فاذا ساعته قد نسيها على الكرسي فسددنا الشباك سدّاً محكماً خشيةَ ان يعود وفتحنا الباب حتى اذا ما جاء

فررنا بالدرج وطلبنا المعونة . ولبثنا ساهرين الى ان بزغ الفجر ولم يعد زائرنا المشؤوم فانفرج عنّا غمّنا واجمع رأينا على انهُ هو القاتل المجهول الذي ذكرتهُ حنّـــة . فعوّلنا على ان نذهب صباحاً الى المحكمة فنسلِّم الساعة التي تركها شاهدًا عليهِ ونعلم اصحاب الامر بحقيقة الحال

وكنت اخذت الساعة اقلّبها فانتشلها شارل من يدي وهو يرعد ويبرق غضباً على زائرنا ويفتخر ان لولا شجاعته لمتنا لا محالة ثم قال: انا آخذ الساعة الى دار الحكومة وأُطلع الشرط على سرّ القاتل

فلم اعاندهُ خوفاً من عربدتهِ

ثم نزلنا من حجرتنا ودخلنا القاعة نأكل شيئاً قبل ان نعرج على دار الحكومة ثمَّ نذهب الى الموسم فلم نكد نمدّ يدنا الى الطعام الّا والشرط احاطوا بالخانة فدخل رهط منهم وهم يتحادثون سرًّا فسمعتهم يقولون: يا لله كيف توصل الســارق من الدخول الى حجرة شيخ البلد . لا بد من البحث والتنقيب وبث العيون

ثم تقدم احدهم وقال: ايّها الحضور بامر الحكومة يجب ان نرى هل اوراقكم منتظمة لئلا يحدث لاحدكم ما يكون سبباً للتّهم والظنون

وبينا كان كل يبرز تذكرتهُ تقدمتُ لاظهر لقائد الشرط ما منعني وصاحبيَ على الحصول عليها . امَّا الفريد فزاد اضطرابه وهمَّ ان يخفي الساعة التي كانت بيده فلحظها احد الشرط فاختطفها وقال: ســاعة شيخ البلد فُقدت الليلة . فهتف الجميع هم اللصوص القتلة . فانقضُّوا علينا انقضاض الباشق على العصفور وعلا الصياح وكثر الهرج والمرج وشارل قد أُرتج وامتُقع لونهُ اصفرارًا . فتقدمتُ لاصرح بالحقيقة فلم يعبأوا بي فرأيت في الفرار نجاة لي اغتنمتها عسى اخلص فاجد سبيلًا لخلاص رفيقيَّ . فخرجت وتبعتني حنَّة باكية وقالت: انزل الى مستودع الخمر واختبئْ والَّا احسّ بك القوم . فنزلت . وقضيت نهاري في الظلمة والبرد وراء برميل وكانت حنَّة تزورني مرةً بعد مرة كئيبة لا تتجرأ ان تخاطبني لما داهمها من الغم ولئلا يطلع القوم على سرها . فطلبت اليها ان تخرجني من مطموري اذا ما جنَّ الليل فوعدتني . فلبثتُ في اسوأ الاحوال اسمع ضجة الزوَّار ولعناتهم على اللصوص القتلة واعلل النفس بالنجـــاة الى ان غابت الشمس واظلم حبسي . وبعد هجعة من الليل سكنت الحركة وانا بانتظار حنَّة احسب الساعة

شهرًا فسمعت صراخ صاحبة الحانة وهي تخاطب حنَّة أن: عودي الى القاعة فصفّي الكراسي وانا انزل فارى ما بقي عندنا من الخمر

قالت حنَّة: دعيني يا سيدتي اذهب فقد اضناكِ التعب

فاجابتها: ان هذا يعنيني

— لكنَّ القبو مظلم رطب فيؤثّر في صحتكِ

— اراكِ الليلة فصيحة مجتهدة على غير عادتك ذريني واذهبي

ثم اشعلت شمعة وتقدمت وحنَّـة خارجاً مضطربة تتضرع الى الله ألّا تراني سيدتها فاقع وتقع في شر بليَّة. امَّا انا فكنت اتقلَّب على احرّ من جمر الغضا وقد عيل صبري واعياني التعب فسمعت العجوز تبربر وتبدي سوء خلقها ثم تقدمتْ الى حيث كنتُ وانا ارجع القهقرى الى الوراء كلّما تقدمتْ. فوقع نور شمعتها على وجهي فرأتني وصرخت صراخاً ارتجَّ لهُ المكان فسرتُ اليها مستغيثاً: لا تخافي يا سيدتي لست لصًّا ولا قاتلًا ناشدتكِ الله لا تُعلني امري... بحيـاتكِ...ها اني ذاهب ولم اختلس شيئاً اشفعي بي ارحميني...

فلم تعِ لمقالي وكان يعلو صراخها: يا سكَّان البلدة يا جنود قتلني. سفك دمي. امسكوه. اقتلوه. فتسلقتُ السلم واذا الباب مفتوح فخرجت هائمًا على وجهي والثلج يتساقط عليَّ والبرد يلفحني فركضت امامي كالمجنون من طريق الى طريق لا ادري اين اذهب اسأل الله ان ينجيني من هذه البلوى وبعد ساعةٍ وقفتُ فاذا انا على باب الحانة قد عدت الى ما كنت هاربًا منهُ وقد اجتمعتْ على الباب الجموع لما شاع ان اللصوص قتلوا صاحبة الحانة

فلم استطع العود لئلا ترتاب بي العيون فتجلَّدتُ ودخلت كاني غريب اجهل ما حدث فلم يعبأ بي احد ولمَّا رأتني حنَّة صرخت: انت هنا. فهمستُ اليها ان اسكتي واتيني بشيء من الطعام والشراب وكان الحاكم يستنطق المرأة وهي تقول: رأيتهُ هو هو رئيس اللصوص مع زمرة من ذويهِ

— وكم كان عددهم ؟

— اكثر من عشرين

— كم لهُ من العمر تقريبًا

— نحو الخمسين سنة وبيده خنجر اراد ان يطعنني بهِ فدافعتُ عن نفسي لانك تعرف حلاوة الروح فخمشتهُ ولمسكتهُ لكن ذويه احاطوا بي من كل جانب وخلصوه وهربوا. لا بدّ من شنقه والّا اصبحنا في خطر دائم

فخطّ القائد على دفتر بيده كل ما قالتهُ العجوز. ثم قال: كوني براحة قد عرفتهُ وهذه بالحقيقة علاماته وغدًا نعود بالمجرمين لاستنطاقهم. قال هذا ثمَّ خرج الجميع

امَّا انا فطلبت مخدعًا للنوم لان التعب كان قد اعياني فأقفلت الباب وجثوتُ على ركبتيَّ طالبًا معونة الله وشاكرًا لهُ ولم افق الّا لضجة القوم يقتادون عددًا ممَّن أُلقيت عليهم التهمة فقمتُ حالًا وصليت الى الله كي يهديني الى خلاصي وخلاص الابرياء وصعدت الى العلية حيث قضينا ليلتنا الاولى فاذا على الثلج آثار اقدام شيخنا المشؤوم قد جاء على عادته فعوَّلت على ان اشرح حقيقة الامر باجمعه. ولمَّا عدت كان الاستنطاق جاريًا والحاكم بيده الساعة برهان الجرم فتقدمت وقلت جهارًا ان هؤلاء جميعًا ابرياء فالساعة انا وجدتها وانا اختبأت في القبو وان اجزت لي اطلعتُك سرًّا على حقيقة هذا الامر

فانفردنا عن الحضور واخبرت الحاكم بكل ما كان مفصلًا ثم قلتُ: وبرهان مقالي هلمَّ بنا الى العليَّة ها آثار الاقدام على الثلج واظنهُ سيعود

قال: اني لاعجب من مقالك وسنرى في الامر

فقيد الاسرى الى الحبس ولمَّا اظلم الليل صعدت واياه مع جنديين واختبأنا في العليَّة الى ان اقترب نصف الليل فاذا زائرنا عائد كالمرة الاولى والسكين بيده ففتح الشباك ولم يكد يصل الى الارض الّا وقد امسكناه فصرخ ثم حسسنا بمائع يسيل على ايدينا ثم شهق شهقة الموت وسقط فاشعلنا الشمعة فاستثبتهُ الشرط فاذا شيخ القرية بنفسه وسكينه في صدره وقد لفظ روحه

فانتشر الخبر في المدينة ولم يعرف قط احد هل صنع ما صنع في يقظة او منام وكان قوم يدعون انهُ شرير وقوم ينكرون

قال الراوي: امَّا انا فتحققت انَّهُ في يقظةٍ وانَّما فعل ما فعل حسدًا لانهُ كان من كبار المغنّين وهو يؤمّل في نوال السباق فخاف ان نسلبهُ اياهُ فتعرَّض لنا وصمَّم على ايقاعنا في حبائلهِ فدارت عليهِ الدوائر

من رياق الى حماة

رحلة حديثة للاب لويس شيخو اليسوعي

بارك الله في البخار فانهُ خوَّل الانسان اجنحةً ضنَّت بهـا عليهِ الطبيعة . بارى الطائر في سيرهِ فغلبهُ في سرعتهِ وقطع في بضع ساعات ما لم يقطعهُ سابقًا الَّا بعد ايَّام طوال ومشاقّ تشقّ بها النفس

وهاك السكَّة الحديديَّة الجديدة بين رياق وحماة قرَّبت الينا بلادًا كان اهلها وهم من بني الاوطان ابعد عنَّا من ذوي الاصقاع الاجنبيَّة لقلَّة الوسائل الرابطة بين اطراف الولايات فاصبحوا اليوم بتقرُّب المسافات تضمُّنا وايَّاهم اواخيُّ الحبّ واواصر الوداد فذاك ما حملنا على ان نزور اخوانًا عشقهم القلب فهوِيت العين رؤياهم ونتفقَّد اقطارًا زانتها الطبيعة بمراقها وادرَّ عليها الله خيراتهِ العميمة

*

رياق ضيعة صغرى او بالحري ارض غامرة ستصبح عمَّا قليل بلدةً ذاتَ شأن تنتهي اليها سكَّة حماة وتحطُّ عندها سكَّة الشام وبيروت . فترى فيها من حركة الاعمال ما لم يخطر قبل سنتين على بال . فسبحان ناشر الرفات ومحيي الموات

اقلعنا من رياق نحو الساعة الثانيـة بعد ظهر الجمعة في ١٩ ايلول في قطارات تضمن للسَّفـر كل اسباب الراحة من سعة مساندها وحُسن مقاعدها ولين سيرها بحيث يمكن المسافر ان يقرأ ويكتب دون عناء كانهُ في غرفة اشغالهِ مع انَّ القطار يقطع ٣٠ كيلو مترًا في الساعة ولو شاء لأربى على ضعف هذه المسافة

ومما يأخذهُ الركَّاب على هذه السكة انَّها تشحن البضاعة وتنقل الركاب معًا وهذا مما يورث السأم لطول الاقامة في المحطات ولو أُفرد للبضائع قطار خاصّ لكان اولى . وهو امر انتبهت اليهِ الشركة فتجري عليهِ ان شاء الله اذا ما توفرت الصادرات والواردات وكثرت المعاملات التجاريَّة

وقد سمعنا البعض يلومون السكَّة على ارتفاع اسعارها في نقل الركاب لكننا لا نوافقهم على ملامتهم مع ما تكلّفهُ اصحاب العمل من النفقات في مسافة يبلغ طولها

نحو ضعف المسافة بين بيروت ودمشق . وما لا يختلف فيهِ اثنان انَّ اثمان الشحن متهاودة جدًّا اذ لا تكلف اصحابها الَّا ثلث ما كانوا ينفقونهُ سابقًا على الجمال فضلًا عن سرعة النقل ووفرة الأمن ووصول البضائع سالمةً الى ايدي التجار

تسير السكة من رياق ووجهتها الشمال في بقاع رحاب واراضٍ كثيرة الخصب زكيَّة الريع وعلى جانبيها من بعيد جبلان لبنان عن يسارها والجبل الشرقيّ عن يمينها كانهما سوران حصينان يدفعان عنها نكبات الزمان ويحدران اليها مياهًا تزيدها دسمًا ونعمة

وليس بين رياق وحمص محطَّةٌ تُذكر اللهمَّ الَّا بعلبكّ فانَّ آثارها العجيبة ستصبح مقامًا يتوارد اليهِ كلُّ طالبي عاديَّات الاقدمين لاسيَّما بعد إذْ ظهر كثير من معالمها الدارسة وطلولها البائدة بهمَّة البعثة الالمانيَّة التي تولَّت حفر هذه القلعة الشهيرة فابرزت شيئًا من محاسنها المشوَّهة بيد الحدثان. هذا فضلًا عمَّا في بعلبكّ من المياه الجارية والحدائق الغنَّاء ممَّا يجعلها كواحٍ في وسط هذه البطحاء

ثم تجري السكة نحو ساعتين مارَّة بمحطَّتي لبوة ورأس بعلبكّ بعيدًا عن القريتين ولا يجد المسافر ما يرتاح اليهِ نظرهُ في هذه السهول حتى يتجاوز القُصَير فيرى من عن شمالهِ نهر العاصي وبحيرة قطِّينة المعروفة سابقًا ببحيرة قدَس والعلماء يرجحون انَّ في نواحيها كانت مدينة قدَس احدى عواصم دولة الحثيين وهذه البحيرة متوسّطة في سعتها وهي طيّبة الماء وقد فكَّر اهل حمص ان يجلبوا مياهها الى مدينتهم بالقنيّ فيستغنون عن نقل مياه العاصي بالقِرَب مع كثرة ما يدخلهُ من الجراثيم الضارَّة والاقذار الموبوءة ولعلَّهم يفعلون ان شاء الله

*

حمص احدى قواعد بلاد الشام موقعها في فضاء من الارض كانت تُعَدّ سابقًا من اجلّ مدن الشرق منعةً وعمارةً وهي طيّبة الهواء كثيرة البساتين طيّبة الفواكه. واول ما يُشاهد منها راكب السكَّة قلعتها الحصينة التي تُرى منها المدينة على احسن صورة فيمتدُّ منها البصر الى سائر جهات الأُفق لا يحجزهُ الَّا ما ينتصب عن بُعد من جبال عكَّار وجبال النصيريَّة ولبنان. وهذه القلعة اليوم ردمٌ مهجور فوقهُ شيءٌ من الابنية المتداعية

لحمص تاريخ جليل في الاعصار الغابرة ولها من الآثار القديمة من زمن الحثيين

واليونان والرومان والعرب ما يشهد على خطرها وعظم شأنها الّا أننا نحجم عن وصف هذه العاديَات لئلاّ نكرر ما كتبهُ في هذا الصدد حضرة الاب جوون سابقاً (المشرق ١ : ٧٦٩) . وقد نشر حضرة الاب لامنس بالافرنسيَّة عددًا وافرًا من الكتابات اليونانيَّة التي اكتشفها في هذه المدينة (L' Emésène, 1902) فنكتفي بذكر ما رأيناهُ فيها رأي العيان

حمص قائمقاميَّة يبلغ عدد اهلها خمسين الفاً منهم ثلاثون الفاً مسلمون والباقون نصارى من روم اورثدكس ويعاقبة وكاثوليك من طوائف شتَّى وهي كرسيّ لثلاثة اساقفة روم ملكيّ وروم اورثدكسيّ ويعقوبيّ . وللكاثوليك اليوم في حمص مقامٌ لم يعهدوهُ من ذي قبل خصوصاً منذ دخلها الآباء اليسوعيُّون فانقطعوا للوعظ وتفرَّغوا لجميع اعمال البرّ من عيادة المرضى واسعاف الفقراء وتهذيب الاحداث ولهم مستوصف يُقبل عليهِ كل يوم نيّف ومئة من اصحاب العاهات توزَّع عليهم الادوية مجَّاناً ويعالجهم احد نطس الاطبَّاء وهو الدكتور البارع سمعان افندي المسابكيّ . ولراهبات قلبي يسوع ومريم في حمص من المشروعات المبرورة ما يلهج بالثناء عليهِ كلُّ من لم تغشَّ على ابصارهِ الاغراض

وللروم الكاثوليك كنيسة مستحدثة وهي الدار التي كان يسكنها قبل ثمانين سنة آل البحري الذين سردنا تاريخهم في المشرق (٣ : ٩) . وقد بدأت النهضة الكاثوليكيَّة بين الروم الملكيين في حمص منذ القرن السابع عشر . واليوم املهم وطيد في ان راعيهم الجديد صاحب الغيرة والهمَّة السيّد المفضال فلابيانوس الكفوري يُعيد لهذه الطائفة عزَّها ورونقها ويضمّ الى حظيرتها الخراف الضالَّة

امَّا السريان الكاثوليك فهم اليوم قطيعٌ صغير لا يزال ينمو ويقوى على يد حضرة الاب الغيور ذي الفضل والتقى القس انطون عبد صمد يساعدهُ في عملهِ ونشاطهِ احد اساتذة الآباء اليسوعيين القس اوجين دلّال . حقَّق الله امانيهما بانارة المتسكعين في ظلمة الضلال

والروم الارثدكس في حمص اكثر طوائف النصارى عددًا . وقد اخذ رعاتهم في الاهتمام بامورهم منذ عهد قريب . فانَّ الجمعيَّة الروسيَّة الفلسطينيَّة انفقت مبالغ طائلة في

تشييد كنائسهم ومدارسهم الحديثة. فقد زرنا هذه الابنية الفخيمة وسُررنا بما لقينا في اصحابها من اللطف والانس

وكنائس الروم الاورثذكس في حمص ثلاث اقدمها كنيسة القديس إليان او جوليان فيها وراء هيكلها ضريح من رخام يزعم الناس انَّ فيهِ ذخائر هذا القديس المستشهد في القرن الرابع وليس هناك كتابة تشهد على صحّة هذا القول. والكنيسة الثانية تُدعى كنيسة التلّ لموقعها فوق ربوةٍ مطلّة على البلد وفي هذه الكنيسة الاقنسطاس البديع العمل الذي وصفهُ جناب الاديب يوسف غنّام ثابت في المشرق (٥ : ٦١٨) نُقل اليها من الكنيسة الكاتدرائيَّة لمَّا جُدّد بناؤها. امَّا الكنيسة الثالثة فهي كنيسة القديس يوحنَّا المعمدان الكاتدرائيَّة شُيّدت قبل بضع سنين في مقام كنيسة أُخرى قديمة. وانتماؤها الى القديس يوحنَّا المعمدان انَّما هو ذكرٌ لهامة القديس يوحنا الصابغ التي كرَّمها النصارى في حمص في القرنين الخامس والسادس كما ورد في المؤرخ بروكوبيوس وفي السنكسارات الشرقيَّة والغربيَّة (راجع المشرق ١ : ٧٧٥). وفي هذه الكنيسة مِنبَر من خشب يناسب الاقنسطاس القديم حسناً ودقَّة صنعةٍ وكلاهما من عمل اهل حمص قبل ١٥٠ سنة ووجدنا ايضاً في هذه الكنيسة بعض كتب طقسيَّة مخطوطة اخصُّها سنكسار قديم كُتب في القرن السادس عشر. وقد لحظنا بين صوَر هذه الكنيسة صورة بديعة مرسومة على الخشب بالوان تمثل الانفس المطهريَّة في لهيب النار وفوقها المسيح لذكرهِ السجود يدعوها الى الراحة الابديَّة. وفي دار الكنيسة جرس ضخمٌ اهدتهُ روسيَّة الى هذه الكنيسة لم يُبنَ لهُ حتى الآن قبَّة ليُجعل فيها

ولليعاقبة كنيسة متوسّطة في الكبر شيَّدوها منذ نصف قرن بدلًا من كنيسة اخرى قديمة ذهبت آثارها. وكُتب هذه البيعة كلُّها مخطوطة بالعربيَّة والكرشونيَّة بينها سنكسار كرشونيّ قديم

وكانت كنائس حمص في سالف الزمان عديدةً ولا يزال يُرى شيء من آثارها في بعض الجوامع وبيوت الخاصَّة كبيت السيّد الجليل الشيخ خالد الزهراوي وغيرهِ من الافاضل

وللمسلمين في حمص الدور الرحبة والمعاهد الطيّبة والمساجد الحسنة نخصُّ منها بالذكر الجامع الكبير ومقام السيّد خالد وقد مرَّ ذكرها في المشرق (١ : ٧٧٥).

وكذلك بعض بيوت الخاصّة من باشاوات واعيان البلد. وقد فاز اليوم بينها بيت السيد الدروبيّ الذي تمّ بناؤهُ مؤخرًا

واهل حمص عمومًا اصحاب جدّ وعمل لا ترى بينهم من صغار او كبار اناث او ذكور احدًا فارغًا وهذا بلا شكّ المعُ دليل على حسن آدابهم وسذاجة معاشهم كما انهُ اضمن الوسائل لصحّة ابدانهم. واكثر شغلهم الانوال وهم يشتغلون الحرير والصوف واصناف الاقمشة. وحريرهم يتّخذونهُ من الدود المربّى في ضياع عديدة شمالي المدينة وشرقيها. امّا الصوف فيجزُّونهُ من اغنامهم التي تسرح في البراريّ المجاورة. وهم يصطنعون كل اجناس الانسجة كالاطالس والكفيّات الملوّنة اشهرها المعروفة بالحمريّة وكالمناشف الحريريّة والزنانير الدقيقة الصنع والثياب المزركشة بالقصب. وهذه المنسوجات تُرسل الى كل انحاء الشرق وخصوصًا الى مصر والاستانة العليّة وسواحل الشام وبرّ الاناضول

ومن مرافق حمص غلّاتها الواسعة التي تزيد على سكّانها فتُنقل محصولاتها من حنطة وشعير وذرة وعدس الى كل البلاد المجاورة. وربّما صدرت هذه المستغلّات الى الاقطار البعيدة فاتت اهلها بارباح بالغة. ومنها ايضًا المواشي العديدة وما يلحق بها من ألالبان والسمن الجيّد والجبن. وزد على ذلك فواكهها الطيّبة المجتناة من بساتينها الرحبة

وقد اجتمعنا في حمص ببعض ادبائها المشاهير من مسلمين ونصارى كاصحاب الفضل الشهير والحسب الاثير من آل الجندي وآل الاطاسي وآل الزهراوي وآل الخوري فلقينا بين جميعهم من المجاملة ورقة الطباع وسعة المعارف ما زادنا اعتبارًا لذواتهم الكريمة

وكان ممّا دفعنا الى هذه الرحلة الامل بان نعثر على بعض المخطوطات الشرقيّة التي لم يُخنِ عليها الدهر. فلم يخب والحمد لله هذا الامل. وممّا اصبنا في حمص بعض المخطوطات كتفاسير للانجيل وللرسائل نظنها لابن الفضل الانطاكي من مشاهير اساقفة الملكيين في القرن الحادي عشر وكتب طقسيّة بالعربيّة واليونانيّة ومواعظ منقولة عن اليونانيّة وتراجم بعض اولياء الله من جملتها ترجمة القديسة مارينا والقديسة كاترينا والقديس جراسيموس ومباحثات القديس غريغوريوس والقديس افرام. ومن هذه الآثار نسخة قديمة من كتاب بستان الرهبان الشهير. ومنها كتاب يُدعى «العنوان المكلل

بفضائل الحكمة المتوّج بانواع الفلسفة الممدوح بحقائق المعرفة اعتنى بجمعهِ الشيخ الفاضل والفيلسوف الكامل اغابيوس بن قسطنطين الرومي المنبجيّ » وهو تاريخ مفيــد. في مكتبتنا الشرقيّة منهُ نسخة أُخرى الّا ان هذه اقدم عهدًا وجدناها عند الشمّاس الاديب نجيب دمعه الحمصيّ (١. وعندهُ ايضاً وجدنا عشر صحائف من انجيل القديس لوقا مكتوبة على رق غزال باليونانيَّة باحرف جميلة محلّات بالذهب والالوان وهي بقايا كتاب انجيل كُتب سنة ١٣٤٤ للميلاد كان يخص كنيسة القديس سرجيوس وباخوس في بصرى من اعمال حوران. ومع هذه الصحائف صورة القديس لوقا الانجيلي منقوشــة بدقة بالوان رائعة. ومن خصائص هذه القطع الانجيليــة انّ صاحبها يمزج باقوال لوقا بعض اقوال متى تتمةً للمعنى. ونضيف الى هذه الكتب التي وجدناها كتــابًا آخر يحتوي على تاريخ الاطبــاء لداود الموصليّ نظنُّهُ ملخص عن تاريخ ابن ابي اصيبعة. وكذلك انجيل سرياني مكتوب بالخطّ الملكيّ كان يستعملهُ الروم الملكيُّون في طقوسهم سابقًا وهو لاحد اهل زيدل (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Report of the Director

OF THE PHILIPPINE WEATHER BUREAU 1901-1902
Part first. the Climate of Baguio (Benguet)
by Rev. Fr. José Algueé S. J. Manila 1902, p. 75

نشرة الارصاد الجويَّة في جزائر الفليبين

لم ينسَ القرّاء ما كتبنا في هذه السنة (ص ٣٧٩) عن مراصد الآباء اليسوعيين في العالم. وممَّا ذكرنا مرصدهم في مانيلا من جزائر الفليبين فانَّ لهذا المرصد من الآثار العلميَّة ما حمل الدولة الاميركيَّة ان تتَّخذهُ كرصدها الرسميّ وتجعل لمديريهِ رواتب معلومة. واليوم قد بلغنا القسم الاوَّل من الارصاد الفلكيَّة التي تولَّت حكومة الولايات المتحدة نشرها على نفقتها وهو من تأليف الاب يوسف ألغه (Algué) المدير الاوَّل في

١) وفي دير اللويزة من هذا التاريخ نسخة اطلعنا عليها قبل ١٥ سنة وكذلك في دير الشرفة نسخة منهُ

المرصد الشهير بمصنّفاتهِ الفلكية . وهــذا الجزء يتضمّن كلّ ما يختصّ بمدينة بنغه (Benguet) من حيث موقعها وهوائها وبردها وحرارتها ورطوبتها وارياحها وبقية آثارها الجويّة وكلّ ذلك بالحسابات المدقّقة والرسوم الدقيقة التي عُرف بها المؤلف وقد احرزت لهُ اسماً شائعاً بين أئمّة علماء عصرهِ

تسريح الابصار
في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (الجزء الاوّل ص ١٥٠)

هذه سنةٌ ثالثة يفكّه بها حضرة الاب لامنس خواطر قرّاء المشرق بما ينشرهُ في مجلّتنا من الفصول المفيدة في لبنان وآثارهِ وتاريخهِ وجغرافيّته . فرأينـا اجابة لطلبة عدد غفيرٍ من المطالعين ان نجمع هذه الفصولَ المفرّقة في كتاب واحد نضيف اليهِ رسوماً عديدة زيادة في الفـائدة

ولا حاجة الى وصف هذا التأليف الجليـل وخواصهِ لعلمنـا بان القرّاء كانوا ينتظرون بفروغ الصبر صدور مقالاتهِ ويُقبلون عليها اقبـال الجياع على القصاع . والحقّ يقال انَّ مؤلفهُ لم يدّخر وسعاً في نسج بردتهِ من مطالعات عديدة مملّة واسفــار شاقّة ومراقبات شخصيّة ودروس طويلة حتى جاء كتابهُ تأليفاً فريداً في بابهِ اثنى على فصولهِ ائمّة المستشرقين وسوف يُصبح عند نجازهِ من اقوى الاسباب المسـاعدة على معرفة احوال هذه الاوطان المجهولة . فعسى ان يكون اقدام المؤلف على هذا المشروع المتعب موقظاً للهمم ومنشطاً لغيرة اصحاب البحث على الاقتفاء بآثارهِ في استخراج دفائن سوريّة وعاديّاتها الثمينة

١ تاريخ التمدُّن الاسلامي (الجزء الاوّل ١٩٠٢ ص ٢٠٤)

٢ الحجّاج بن يوسف (رواية تاريخيّة غراميّة ١٩٠٣ ص ١٧٦)

وكلاهما تأليف الكاتب الاديب جرجي افندي زيدان منشئ الهلال

ان اسم الكتاب (الاوّل) يدلُّ بنفسهِ على خطر المباحث التي تولّى صاحب الهلال الفاضل الكتابة عنها . فانهُ تحرّى على ما قال « البحث في نشوء الدولة الاسلامية وتاريخ مصالحها الاداريّة والسياسيّة والماليّة والجنديّة وسعة مملكتها وبيان ثروتها وحضارتها

وابهتها واحوال خلفائها ومجالسهم وقصورهم وكلّ ما يتعلّق بهم وتاريخ العلم والصناعة والادب والشعر والآداب الاجتماعيّة والعادات والاخلاق في ابَان ذلك التمدُّن مع علاقاته بالتمدُّن الحديث ». وهذه لعمري حقائق تحتاج الى علم واسع ومطالعات عديدة ونظر متجرّد عن الاغراض فضلًا عن انَّ الخوض في عُباب قسم منها يقتضي حياة رجلٍ بل رجالٍ لاسيَّا ان كثيرًا من التآليف اللازمة لهذا العمل الخطير لم تزل حتى الآن ضائعةً او ملقاةً في زوايا النسيان . وقد تأَيد رأينا هذا بمراجعة الجزء الاول من الكتاب فانّنا وجدناهُ مع فوائده الجمّة وتفكيهه للالباب بما تضمّنهُ من النكت المبهجة وسلاسة العبارة والتصرُّف بالمواضيع مقصرًا في امور كثيرة لم يستوفِها حقّها من البيان فلا يُروى بها غليل عطشان . وربّما جار المؤلف عن الحقّ لحكمهِ عن الامّة بما لا يصدق الّا عن الخاصّة او زمن من الازمنة . وعلى كلّ حال فانّنا نثني على همّة منشئ الهلال الذي لا يرضى بالمباحث المطروقة ويتطلّب لقرّائهِ ما يزيدهم علماً ونفعاً

امّا الكتاب (الثاني) فهو تابع لسلسلة الروايات التاريخيّة التي باشرها منشئ الهلال ضمّنها قسماً من الحوادث التي جرت في اوّل دولة بني اميّة على يد عاملهم في العراق الحجّاج بن يوسف . وقد خلط فيها امورًا كثيرة تخيّليّة باشياء وضعيّة صادقة فاكتفينا بالاشارة

ل . ش

شذرات

مقالة في المردة اتحفنا قدس السيد الجليل والعلّامة النبيل المطران يوسف الدبس بمقالة مسهبة في المردة وقد بلغتنا بعد ان ترتّبت موادّ هذا العدد فلم يسمح لنا ضيق المكان بادراجها هذه المرّة فأجّلناها للعدد الآتي

الكنيسة الغربيّة ما كنّا لنظنّ انَّ الكنيسة الغربيّة في خطرٍ عظيم كاد ان تتزعزع بهِ اركانها وتتصدّع أُلفتها . على انَّ في البلدة جريدةً ارثذكسيّة تسهر على صوالح الكاثوليك وتنبّه افكارهم على ما يتهدّدهم من الخطوب كالاوزّ الذي خلّص بصراخهِ قلعة الكابيتول الرومانيّ . فنشكر الجريدة المذكورة على تيقّظها ويا ليتها وجّهت انظارها الى كنيسة هي اقرب منها فلعلّها تجد انَّ المحبّة تضطرُّها اوّلًا ان تنتزع من عينها خشبةً غليظة تغشي ابصارها قبل ان تفكّر في القذى الذي

في عين غيرها لا سيما ان للكنيسة الغربيَّة احباراً اجلاء ورعاةً غيورين لا يرون خللاً الَّا يتداركونــهُ او نقصاً الَّا يتلافونهُ

* اوراق منثورة * سمعنا في حمص وحماة انَّ بعض محبي الفتن وزَّعوا هناك اوراقاً منثورة بلا امضاء ضمَّنوها كلاماً مهيجاً للشحناء والبغض بين الطوائف وزعموا انَّهــا للبسوعيين. وهذا كذبٌ محض لا نظنَّ انَّ رجلاً عاقلاً يصدّقهُ وكفى بهذا ردًّا على كتبة هذه الاوراق

* تسييل الغاز * كان استغلق على الكيماويين حتَّى اليوم وجهُ تسييل الغــاز المائع المستعمل للإنارة وقد توصَّل الى ذلك موخرًا احد علماء نيو يرك اسمهُ ستَوْغر (Stowger). ولهذا الاختراع شأن عظيم اذ يسمح بنَقْل الغاز الى البلاد القاصية ويُستغنى بهِ عن الحاذ القساطل المدودة تحت الارض والآنية الواسعة الضخمة مع هوادة الاسعار

أَسْئِلَةٌ وَأَجْوِبَةٌ

س سُئلنا عن الرائحة التي تسطع من التراب بعد الامطــار اتكون من نفس التربة او من الجراثيم التي فيها

رائحة التربة بعد الامطار

ج قد تحقَّق العلماء منذ زمن قليل انَّ هذه الرائحة ناتجة عن ميكروب خصوصيّ يدعى بلغة العلم (Clodothrix odorifera) قد افرزهُ الاستاذ الانكليزي كلرك نوتّال (Clarke Nuttal) وشكلهُ في المُجهَر كخيط دقيق ابيض كلسيّ يحبُّ الرطوبة ولا تعمل فيهِ الحرارة فاذا هطل المطر تصاعد هذا الميكروب الى الجوّ مع التبخُّر ل٠ش

س وسأل مستفيــد ما هي مدينة « فوركالاكير » التي ورد ذكرها في النسخة الجديدة من كتاب سلسلة البطاركة التي اعاد طبعهُ جناب الفاضل رشيد افندي الشرتوني. وقد جاء في الصفحة ٥٨ بين القاب لويس الخامس عشر انهُ « مقدّم بروونسا وفوركالاكير »

فوركالاكير

فوركالاكير والاصح فوركَلكيار (Forcalquier) ثاني مدينة من ايالةٍ موقعها في جنوبي فرنســة دخلت في املاك ملوك فرنسة في القرن الثالث عشر وضُمَّت الى بلاد بروونسا (Provence) وكان ملوك فرنسة يصدّرون منــاشيرهم بذكر فرنسة ونافارة وبروفنسة وفونكلكيار كما ترى في منشور لهنريكوس الرابع صدر في ٢٨ ك ١ سنة ١٦٠٩ هذا اوَّلهُ :

«Henry par la grâce de Dieu, Roy de France et de Navarre Comte de Provence, Forcalquier et terres adjacentes » ه٠ل

المشرق

بُشرَى

ورد علينا رقيم كريم من نيافة الكردينال رمبلاً وزير الحضرة البابويّة وهذا نصّهُ وتعريبهُ :

Reverendo Padre.

Il «Numero unico» della rivista **Al-Machriq** e del giornale **Al-Bachir,** che Vostra Reverenza pubblicava in omaggio al giubileo pontificio di Sua Santità, è stato rassegnato nelle mani del Santo Padre. L'Augusto Pontefice si è compiaciuto accoglierlo con gradimento, prendendo quella occasione per confermare il suo vivo interesse per le chiese orientali. Mi ha quindi commesso di ringraziare Vostra Reverenza per la cura che mette nel rafforzare i vincoli che stringono l'Oriente cattolico col Vicario di Gesù Cristo, e con effusione di affetto si è degnato impartire una speciale benedizione a Lei e ai redattori delle due pubblicazioni che Ella dirige.

Sono lieto di renderla di ciò consapevole, mentre con sensi di sincera stima passo a dichiararmi

DI VOSTRA REVERENZA

Roma, 30 *Settembre* 1902.

Affmo NEL SIGNORE

pr. Card. Rampolla

ايها الاب المحترم

لقد وُضع بين يدي الاب الاقدس المدد الفرد الذي نشرتهُ حضرتكم من مجلة المشرق وجريدة البشير كشارة ولاء وخضوع بمرض يوبيل قداستهِ الحبري فتنازل قداسته وتقبله بالرضي مغتنماً هذه الفرصة لبيان حبّهِ الشديد للكنائس الشرقية . ومن ثمَّ عهد اليَّ بان اشكر حضرتكم على ما تفرغونه من الجهد في تعزيز الروابط التي تضمّ الشرق الكاثوليكي الى نائب السيد المسيح . وقد تلطف ايده الله بان يمنح بفيض الحب بركة خصوصية لكم ولمحرري النشرتين اللتين تحت ادارتكم ومع ابلاغي اياكم هذا الامر يسرني ان اوضح لكم صدق اعتباري معلنًا نفسي ايها الاب المحترم

محبكم المخلص في الرب

رومية في ٣٠ ايلول سنة ١٩٠٢ م. كردينال رمبلا

(المشرق) فنحن نسأل الحق سبحانـهُ وتعالى ان يؤيد ويؤبد الكرسي الرسولي المقدَّس ويحرس بعين عنايتهِ العلويَّة حبر الاحبار الروماني ويبلّغهُ امانيهُ الخيريَّة كما انَّنا نحسب هذا الرقيم اعظم واكبر منشط لنا في السبيل الذي نهجناهُ لاجل تعزيز ديانتنا المسيحيَّة واعلاء منار المعارف والآداب

المردة والموارنة

بقلم الحبر الجليل والعلامة النبيل السيّد يوسف الدبس مطران بيروت المارونيّ

الى حضرة الاب الجليل هنري لامنس اليسوعيّ الجزيل الاحترام

أستهلُّ رسالتي اليك بالشكر والثناء عليك لما تجهد نفسك بتدوينه بمجلّة المشرق الغرَّاء من الفصول الموعبة بالفائدة وخير العائدة على الدين والعلم والفضيلة واسألك ان

لا يشقّ عليك ان اورد بعض ادلّة تخالف ما كتبتهُ اخيرًا في هذه المجلّة (ع ١٨ : ص ٨٢٦) في شان المردة لاني لم اضع ذلك على سبيل المباراة بل على سبيل البحث العلميّ التاريخي وبيان الحقيقة ولم اتفرّغ للتنقيب في كتب المؤرخين لايجاد الادلّة الآتي ذكرها بل انتقيتُها من معلوماتي السابقة ومما كتبتهُ الى الآن في تاريخ سوريّة وغيره

قالت ابوتك الجليلة في مسألة المردة وظهورهم بغتةً بلبنان وخروجهم منهُ ذهب العلماء فيها الى مذاهب شتَّى وانَّك لا تبدي فيها رأيًا بل تترك لقرَّائك ان يصوّبوا الرأي الذي يرونهُ اصحّ واثبت وظهر من اساليب كلامك ومجموعهِ انك تجنح الى الرأي المخالف لراي الموارنة بهذه المسألة ويقرأُ القارئ في خلال اسطرك انك ترّجح راي المخالفين ولا اومك على ذلك ولا يخطر في بالي انك تعمّدت إجحافًا بحق الموارنة او إنقاصًا بكرامتهم اذ طالما رأيتك تذبُّ عنهم وتنتصر لهم بل اعتقد ان لك مناظر علميَّة اشكلتْ عليك حلّ هذه المسألة فصنعت ما يصنعهُ العلماء الحاذقون نظيرك من ايراد المسألة بطريق الشكّ تملُّصًا من مسؤليَّة انكارها بتًّا وافرغت كل ما قام بذهنك مما يضادُّها حتى اذا وُجد من حلَّ لك ما رأيتَ من المصاعبِ في القطع بها تابعتَهُ على ما رايتَهُ صوابًا دون ان تتعرَّض للانتقاد وهذا خاصَّة ما سوّل لي ان اورد لك الادلّة الآتية رجاء ان تحلّ محلًا مقبولًا في ذهنٍ خالٍ عن كل غرض الّا الحقّ وكشف الحقائق فتربح عالمًا ضليعًا شهيرًا لحاماة هذه الحقيقة التي حاماها كثيرون من علمائنا وان لم تكن لها اهميَّة كمسئلة ثبوت الموارنة الدائم على الايمان الكاثوليكي فاقول : أننا نحن الموارنة نعلم ان المردة اسم للموارنة لقّبهم بهِ اعداؤُهم في القرن السابع وان المردة والموارنة أمّة واحدة ولنا على ذلك الادلّة التابعة نبتدئ بما كان فيها عامًا

الدليل الاوّل: انّنا نعلم ان من عادات المؤلفين الحميدة ان يعتمدوا في تاريخ كل قبيلة على ما دوَّنهُ علماؤها ومورّخوها وعلى ما يظهر لهم من تقليداتها العامة والثابتة مفضلين ذلك على كل ما سواه من اخبار المؤرخين الاجانب عنها. ونتعجّب كل العجب من أن الموارنة يستثنيهم بعض الكتبة والمؤلفين من هذا الحكم العامّ ولا يلتفتون الى ما دوَّنهُ كثيرون من علمائهم الجهابذة او اجمعوا عليهِ ايضًا كما في مبحثنا الحالي فان جميع

علمائنا وكتَّابنا الذين ذكروا هذا المبحث اثبتوا ان المردة تُعب للموارنة ومنهم بطاركة متسامون بالعلم كالدويهي ويوسف اسطفان ومسعد ومنهم جهابذة يقرّ لهم بالفضل والعلم اهل المشرق والمغرب ويستنيرون بنبراس مؤلفاتهم في كل معضلة كالسماعنة والحاقلي والباني ومبارك اليسوعي وغيرهم ولكن اذا اتى هؤلاء العلماء بشيء يخصُّ ملّتهم ازدروا شهادتهم (١ وشكّوا في صحّتها ولو كانوا مجمعين عليها ولم يرعوا تقليداتنا العامة والثابتة الراسخة من اقدم الأيام الى الآن في عقل كلّ ماروني بل دُوّنت في مجامعهم كالمجمع اللبناني الذي صرّح بان اصحاب الغزوات المبحوث عنهم انما هم قدماء الموارنة. أتستحسن ابوتك هذا التصرف مع الموارنة وقد ذكرت ان ايمة الموارنة ومنهم العلامة السمعاني والحاقلاني ومرهج الباني والدويهي ومن تبعهم من علماء الموارنة وبعض الكتبة الاوربيين كبارونيوس (امام المؤرخين) ولاكويان وغيرهما ارتأوا ان المردة هم الموارنة؟ أفلا ترى ان شهادة هؤلاء الأيمة تفضل على شهادات بعض الحاسدين للموارنة او البعيدين عنهم وليس بينهم من يستحق ان يُعدّ بين المشاهير او يُقاس بمن ذكرت من الأيمة؟ أترك الحكم بذلك لما اعهدهُ بك من الانصاف

الدليل الثاني: قالت ابوتك في المردة: «من غريب امر هذا الشعب انهُ لم يبدُ بادئ ذي بدء ضعيفاً ضئيلاً بل نراه جاثماً فوق مشارف لبنان ضابطاً مضائقهُ شاغلاً كل نقطهِ الحصينة على مدى طوله من الشمال الى الجنوب وليس من يقوم في وجهه بل كثيرًا ما ينقضُ من مراكزه الحريزة فيغزو المعاملات القريبة منهُ دون ان يردّ احد هجماتهِ» الى ان قلتَ: «فاندثر امرهم على الفور كما ظهروا بغتةً دون ان يبقوا في لبنان اثرًا من مرورهم». لعمر الحقّ انني موافق لك في غرابة امر هذا الشعب اذا كان ظهر بغتةً بالقوّة والصولة والسطوة التي وصفتهُ بها واندثر على فور لا أرى ذلك غريبًا فقط بل مستحيلاً ولا اعلم لهُ مثالاً في التاريخ ولكن ليت شعري أما ترى ان هذه الغرابة تزول وهذه المعضلة تنحلّ وتنجلي اذا قلنا ان هذا الشعب ليس غريباً عن لبنان ولا اتى اليهِ بغتةً بل هو ساكن لبنان من اقدم الأيام اي الموارنة وكانوا منبسطين

١) لا نظنّ ان اصحاب الرأي المخالف يزدرون شهادة هؤلاء العلماء لكنّهم يرونها حديثة العهد ه. ل

منهُ شمالًا الى ما وراء انطاكية وجنوبًا الى اعمال فلسطين وهذا كان يسهّل غزواتهم ويُعسر ردَّ هجماتهم ويجعلهم جاثمين فوق مشارف لبنان وضابطين مضائقه وشاغلين تقطه الحصينة او ما تفضل ابوتك حلّ هذه المعضلة بهذا الوجه البسيط والطبيعي والمعقول على الارتباك بدخول شعب غريب لا يُعلم من اين اتى ولا كيف طرد السكّان الاصليين من لبنان ولا كيف استحوذ على مشارفهِ ولا كيف حاز هذه السطوة وملأ القلوب رعبًا بغزواته المتواصلة في جبل اللكام الى تخوم اورشليم ؟ اني اثق بان نزاهتك عن كل غرض الّا الحقّ تجعلك وتجعل كل منصفٍ ان يصوّب ما قلتهُ وينبذ الخلاف

الدليل الثالث: اذا استقرينا التواريخ الصادقة رأينا ان اسم المردة سمي بهِ في القرن السابع للميلاد بعض المسيحيين الساكنين بلبنان لتمرُّدهم على من كان من ملوك الروم شاذًّا عن الايمان الكاثوليكي مقابلًا لاسم ملكيَّة لمن بقي من المسيحيين المذكورين مسالمًا وطائعًا للملوك المذكورين فكان اسم مردة وملكيَّة متقابلين (١ دالَّين في البدء على غرضين مدنيين كما كان في ما بعد اسما قيسي ويمني. وابتدأ هذا الانقسام في أيام الملك هرقل الذي عاون على نشر بدعة المشيئة الواحدة وتعاظم وبلغ الغاية في ايام يوستنيانوس الثاني الاخرم وابوتك لا تنكر شيئًا من هذا بل دافعت حق الدفاع واحكمهُ عن ان الملكيَّة من سكّان سوريَّة ولم يأتوا اليها من محلّ آخر فكما ان الفريق الواحد وهو الملكيَّة ليس من قائل بانهُ غريب عن سوريَّة ولبنان او اتى اليهِ من الخارج فكذا يلزم ان يقال في الفريق الآخر اي انهُ من سكّان سوريَّة ولبنان ولم يأتِ اليهما من الخارج لان الفريقين كانا معًا وفي بلاد واحدة ولم يسمَّ كل منهما بما سُمّي بهِ الّا للفرق بينهما

الدليل الرابع: اذا راجعنا اسماء من ذكرتهم لتأييد كلّ من الرأيين وجدنا انك ذكرت لتأييد راي الموارنة العلامة السمعاني والحاقلاني ومرهج بن نمرون الباني والدويهي ومن تبعهم من علماء الموارنة ونزيد نحن على هؤلاء المطران اسطفان عوّاد

---

١) هذا امرٌ وددنا لو يؤيَّد بالبرهان. والرأي الراجح عند العلماء انَّ اسم المردة اسم شعبٍ لا اسم شيعة وان اصلهُ لم يشتق من فعل « مَرَدَ » ل.ش

السمعاني والبطريرك يوسف اسطفان والبطريرك بولس مسعــد الى غيرهم وذكرت من الاوربيين بارونيوس ولاكويان وغيرهما وتزيد نحن على هؤلاء نطــاليس اسكندر وروهربخر ودي لارو الى كثيرين غيرهم (١. واما الذين ذكرتهم من المخــالفين لرأي الموارنة فهم الاب مرتين وانكتي دي پارون وابن العبري. فالاب مرتين اسقطتَ انت شهادته لانهُ قال ان اصل المردة عرب وانت ترى خلاف ذلك واماً دي پارون فترى انهُ اصابه ما اصاب الرجل الاوروباوي الذي كان يبحث عن مقام القديسة كاترين في الاسكندرية فوجد سوق العطّارين وتفاخر بانهُ وجد مقام القديسة كاترين فدي پارون وجد كلمة مردا السريانيَّة او مردة العربيَّة فظن انهُ وجد فرعاً آخر لقبيلة مرد الذين كانوا قبل المسيح كما افدتنا نقلًا عنهُ: أتصدق انت الذي طالما اثبتّ لنا ذكاء واصالة رأيك ان دي پارون او غيره امكنهُ ان يحقق انساب مردة قبــل المسيح الى القرن السابع بعده حتى يذكر ما قالهُ. او لا تعلم انت وكل خبير ان المردة لقب لهؤلاء الجماعة اكسبهم اياهُ عملهم لا اسم قبيلتهم (٢. واماً ابن العبري فنقلت عن تاريخــهُ السرياني « ان المردة جنود للملك قسطنطين اللحياني ارسلهم للمدافعة عنها » فعبارته الاولى اي ان المردة جنود لقسطنطين اللحياني هي صادقة مجازاً لان الموارنة بغزواتهم وحملاتهم صدُّوا العدوّ عن السطو على ما كان باقياً من مملكة هذا الملك بل اكرهوهم على رفع الحصار عن حاضرة دولتهم سنة ٦٧٦ فكانوا اعظم جنود لهــذا الملك ولم يكن المردة يقاومون من ملوك الروم الّا من كان شاذّاً عن الايمان الصحيح كقسطنت ويوستنيانوس الاخرم واماً قسطنطين اللحياني فكان صحيح الايمــان غيوراً عليهِ فلم يكونوا يقاومونه بل كانوا ينجدونه ويعتمدون على اشارته. واماً عبارة ابن العبري الثانية وهي ارسلهم الى الشام للمدافعة عنها فلم تصل يدي الى الاصل السرياني لأحقّق كلمة ارسل منها والذي قرأتهُ في ترجمة لاتينيَّة غير مارونيَّة لهذه الكلمة (constituit) اي اقامهم او جعلهم للمدافعة عن الشام وعلى ذلك لا يكون في العبــارة الثانية ايضاً ما

١) لم نجد داعياً لذكر كل المؤلفين الذين رأوا هذا الراي ولذلك ضربنــا عنهم صفحاً لاسيَّما انَّ بعضهم كروهربخر ناقلون لا باحثون (ه. ل)

٢) هو الامر الذي ينكرهُ اصحاب الرأي المخالف (ه. ل)

يخالف رأي الموارنة بل تكون صادقة بالمعنى الذي قدمناه وان ثبت ان اصل الكلمة السريانيَّة ܡܪܕ (ارسل) فيكون ذلك خطأ من ابن العبري يثبتهُ عليهِ كلُّ ما ستراه في الادلّة السابع والتاسع والعاشر . وخلاصة كلامنا في هذا الدليل ان ابوتك اوردت لتأييد راي الموارنة جهابذة كثيرين مشهورين يقرّ لهم بالفضل والعلم كل خبير واوردت لراي المخالفين لهم شهادة الاب مرتين واسقطتها انت ثم شهادة دي پارون وهي ساقطة من نفسها وشهادة ابن العبري وهي معتلّة كما رأيت وهبْ شهادة هؤلاء الثلاثة صحيحة أتُقاس بشهادة فطاحل العلم الذين ذكرتهم لا من قبيل العدد فقط بل من قبيل القوَّة والاعتبار وقبول الشهادة ايضاً أدَع الحكم لانصافك هنا ايضاً

الدليل الخامس : لعلَّ ابوتك تقول انما تركتَ توافانوس ممَّا ذكرتهم لتأييد الراي المخالف للموارنة مع انهُ عمدة في كلامك . فاجيب اني لم اتركه ولم اغفل عنهُ بل اردت ان أُفرد لهُ فقرة مخصوصة هي هذه قالت ابوتك : « يؤخذ من اقدم ما ورد عن المردة ان لبنان لم يكن مركزهم الاوَّل . قال المؤرخ توافانوس عنهم ان المردة دخلوا لبنان وفي هذا القول ما لا شبهة فيهِ عن مجيئهم الى لبنان من محل آخر » . فاجيب اولًا اني نقلت عن توافان هذا اخبار المردة في كتابي تاريخ سوريَّة (مجلَّد ٥ ص ١٠٥ وما يليها) معتمدًا على تاريخه الذي طبعه الاب مين في مكتبة الآباء اليونان فوجدتهُ يقول في تاريخ السنة التاسعة للملك قسطنطين اللحياني ما ترجمتهُ بحروفهِ عن اللاتينيَّة : « في هذه السنة خرج المردة من لبنان فضبطوا كل ما كان من جبل الاسود الى المدينة المقدّسة » . واما كيف ترجمت ابوتك دخل المردة عوضًا عن خرج فاظن انك نقلت كلامًا آخر لتوافان (١ لانهُ ذكر المردة في تاريخ سنين عديدة او اردت ان تقول ان قدرينوس (الذي عربتهُ انا وغيري شدرانوس) قال ان المردة دخلوا لبنان لاني وجدت مثل هذه اللفظة في كلامه

---

١) انما نقلتُ عن تاوفانوس كلامهُ الاوَّل في ذكر المردة . اما بقيَّة اقوالهِ فيهم فاشرتُ اليها في ذيل مقالتي . وكذلك قدرينوس (او شدرانوس) لم أُعِرْهُ بالًا لانهُ نقل كلام تاوفانوس بحرفهِ (ه . ل)

اجيب ثانياً انهُ لو ثبت ان توافان او شدرانوس او غيرهما قال ان المردة دخلوا لبنان فلا يثبت ان المردة اتوا حديثاً الى لبنان فانت تعلم ولا يفوت خبيرًا بتاريخ المشرق ان الموارنة كانوا منبثين في شمالي لبنان اي في حماة حيث كان مركزهم الديني وفي حمص وانطاكية وباقي السهول التي هناك وفي جنوبيه الى اورشليم (٢ فالقول أنهم دخلوا لبنان يكون المراد بهِ أنهم تجمَّعوا من خارج لبنان ودخلوا هذا الجبل الحصين وضبطوا مشارفه وخفروا مضائقه وحصَّنوا قلاعه واخذوا يشنُّون الاغارات الى الشمال والجنوب من لبنان وهذا ما يظهر دون تكلُّف لمن يطالع ما كتبهُ عن المردة توافان وشدرانوس وزوناراس وبولس الشماس وانسطاس المكتبي وغيرهم وقد ذكرت كثيرًا من اقوالهم في المجلد المذكور من كتابي تاريخ سوريَّة فاذًا لو صحَّ ان توافان او غيره قال « دخل المردة لبنان » فلا ينتج من ذلك ما يخالف راي الموارنة ان المردة من أمتهم

الدليل السادس: حجَّتنا ابوتك بقول آخر قالهُ توافان وهو: « وانضمَّ اليهم (اي الى المردة) كثيرون من العبيد والاسرى والوطنيين حتى اصبح عددهم في مدة وجيزة الوفًا كثيرة » واوجزت ابوتك هذا الكلام فقلت: « والتجأ اليهم الوطنيون » فشوَّش الايجاز العبارة (١ واردفتها بقولك: « وفي هذا دليل على ان المردة لم يكونوا من اهل لبنان بل غرباء » فصحيح العبارة ما ذكرتهُ عن توافان نفسه في تاريخ السنة التاسعة لقسطنطين اللحياني واذا كان اصل العبارة وصحيحها انضمَّ او التجأ اليهم كثيرون من العبيد والاسرى والوطنيين فماذا يكون فيها ممَّا يخالف راي الموارنة وابوتك صرَّحت مرارًا في فصولك نفسها في آثار لبنان ان الموارنة لم يكونوا يسكنون وحدهم بلبنان بل خالطهم غيرهم من الامم والشعوب فاذا قال توافان « انهُ انضمَّ اليهم في غزواتهم كثيرون من الوطنيين » فما يكون في ذلك من الدليل على ان المردة لم يكونوا من اهل لبنان بل غرباء ؟

الدليل السابع: قالت ابوتك ان المردة بعد ابعادهم عن لبنان وتفرُّقهم على قولك في بلاد الارمن واضالية وقبرس والمورة لم يزالوا في كل هذه البلاد على نظامهم

---

١) لم نجد كاتبًا قديمًا يذكر امتداد الامَّة المارونية الى اورشليم في القرن السابع (ه. ل)
٢) اكتفيتُ بذكر الالفاظ التي عليها أبتني ذوو الرأي المخالف حجتهم (ه. ل)

العسكري وكان لهم ضباط يسمونهم كاتيبانو فلو كان المردة عسكرًا ارسلهُ ملوك الروم الى لبنان لعاد كل من هذا العسكر الى بلاده ووطنه وانضمَّ الى اهله ولم تكن حاجة او محلٌّ ان يبقوا على نظامهم العسكري وان يكون لهم ضبَّاط يسمَّون باسم مخصوص او كان ملك الروم الذي استقدمهم اليهِ ضمَّهم الى عسكره وجعلهم كباقيهِ ؟ ولو كانوا جالية من آسيا الصغرى او ارمينية او ايران احلَّهم احد ملوك الروم في لبنان ثم استرجعهم لرجعت هذه الجالية الى مواطنها التي تركتها من عهد قريب لانَّ فتح سوريَّة كان سنة ٦٣٦ وذكر هؤلاء المردة ابتدأ على قولك سنة ٦٧٧ وابعادهم عنها كان نحو سنة ٦٩٢ فتكون المدة من احلالهم في لبنان الى اخراجهم نحو خمس عشر سنة فلمَ لم ترجع هذه الجالية الى مواطنها ولمَ اعتُبرت كأنَّها غريبة ولزمت ان تحفظ نظامها العسكري وان يكون لها حاكم مخصوص ولهُ اسم خاصّ اينما حلُّوا على ما قلت انت في بلاد الارمن او جوار اضالية او قبرس او بلاد اليونان والمورة. اما ترى ان كل ذلك يدل على ان هؤلاء المبعدين لم يكونوا عسكرًا للملك الروماني ولا من اهل ارمينية او اسيا الصغرى بل من السكَّان الاصليين في لبنان وهم الموارنة

ان العلأمة السمعاني انبأنا في المجلَّد الرابع من مكتبة الناموس (فصل ٣٥ ص ٦٢٠) بامور ذات اهميَّة في اخبار هؤلاء المبعدين من الموارنة فقال ان الملك قسطنطين السابع بُرفيروجنات الذي كان في منتصف القرن العاشر قال في كتابه الموسوم بتدبير الملك المطبوع بباريس (فصل ٥٠ ص ١٣٧) ان المردة نُقلوا الى بجفيلية وقام قائدهم في مدينة اضالية وذكر في كتابهِ الاوَّل في اعمال المملكة (فصل ١٤) عمل بجفيلية وقال: « فيهِ المردة الذين جلوا من لبنان يليهم قائد لهم وقد استمروا هناك من عهد يوستيانوس الى أيامنا » اي أيام المؤلف في نحو نصف القرن العاشر وقد اسهب في الفصل ٥٠ من كتابه المذكور الكلام فيهم وممَّا قاله ان ملك القسطنطينيَّة كان ينصب للمرَدة والياً منهم في اضالية يسمى قبطانًا وان الملك لاون الحكيم اباه نصب لهم والياً اسمهُ استوراشيوس بلاتين وكان ينصب لهم قاضياً يسمى قاضي اضالية. ثم قال السمعاني في سنة ١٠٧٤ كان احد هؤلاء القضاة اسمهُ ميخائيل الف كتابًا في الناموسين الديني والمدني طبع بفرنكفورت سنة ١٥٩٦ وكان في القسطنطينيَّة مرتبة لكبير المردة من أيام الملك ميخائيل السابع في القرن الحادي عشر الى ان فُتحت القسطنطينيَّة سنة

١٤٥٣. واستشهد السمعاني لذلك كتاباً لغريغوريوس كودونيوس كوروبالات الذي كان حيًّا عند الفتح المذكور. ومما قالهُ هذا المؤلف ان كبير المردة كان يحمل في القسطنطينية عكّازًا من فضّة مموّهًا بالذهب. واستشهد السمعاني ايضاً متّى جاتر الكاهن في كتابه في مراتب القصر القسطنطيني حيث روى ان الرتبة السابعة عشرة بعد الملك كانت لكبير المردة. واستشهد ايضاً كتاباً مجهول المؤلف. هذا خلاصة ما رواه السمعاني في هؤلاء المردة المبعدين او ما ترى ابتِ ان كل ذلك لا يصدق على عسكر كان بلبنان او على جالية احتلتهُ بعض سنين بل ان ذلك بينة قاطعة على ان هؤلاء المردة المبعدين كانوا من الموارنة سكان لبنان الاصليين واستمرُّوا منفصلين عن باقي سكان اسيا الصغرى قروناً وميَّزتهم الحكومة نفسها عنهم ولو كانوا عسكرًا او جالية لما كان محل لشيء من ذلك

الدليل الثامن: ان اصحاب الرأي المخالف لراي الموارنة لا يتفقون على اصل المردة وقد انبأتنا ابوتك ان ابن العبري يقول انَّهم جنود لقسطنطين الملك ولم يعرفنا من اين كان هؤلاء الجنود وان بعضهم قال انَّهم كانوا قبل دخولهم لبنان يسكنون بلاد الارمن وولايات اسيا الصغرى وان دي بارون يجعلهم فرعاً من المرد الذين كانوا قبل المسيح وان بعضهم يقول انَّهم اصلًا من قبيلة ايرانية دخل عليهم أخلاط من عناصر سوريّة وارمينية وان الاب مرتين اليسوعيّ يقول انَّهم من العرب. ففي هذا الخلاف الكثير قول من نصدق وبقول من نكذّب؟ او ما ترى ان هذا الخلاف نفسه بيّنة على بطلان هذه الاقوال وان كلاًّ منها ينقض الآخر فضلًا عن نقضنا لها جميعها بما اوردناهُ الى الآن من الادلَّة القاطعة منها بينتين قاطعتين خاصّةً الاولى اشتراط معاوية في معاهدة الصلح بينه وبين الملك قسطنطين اللحياني ان يمنع الملك اغارات المردة وغزواتهم وهو يدفع لقاء ذلك مبلغاً من المال والرجال والخيل. ولو كان هؤلاء المردة جنودًا للملك او جالية ادخلها الى لبنان حديثاً لشرط بلا بدّ جلاء هؤلاء الجنود عن لبنان والامر واضح وضوح بقاء المردة على غزواتهم بعد ذلك ولم يذكر هذه الامور كتبة من الموارنة بل توافان وشدرانوس وزوناراس والثلاثة من مؤرخي الروم المعوَّل على كلامهم في تواريخ تلك الأيام ومن اشهر المؤرخين. والبينة الثانية بقاء هؤلاء المردة قروناً في اسيا الصغرى بعد ابعادهم اليها منفصلين عن غيرهم من سكّانها ولايةً وقضاء

كما اثبت الملك قسطنطين السابع برفيروجنات أنهم بقوا كذلك من ايام يوستنيانوس الثاني في آخر القرن السابع الى ايامه في اواسط القرن العاشر. لعمر الحق ان هذه بيّنة لا تُردّ على ان المردة لم يكونوا جنوداً لاحد ملوك الروم ولا جالية احلُّوها في لبنان ثم اخرجوها منهُ بعد مدّة وجيزة ومن المعلوم ان اولئك الجنود و تلك الجالية لم يكونوا الّا من مملكتهم فعند عودهم اليها ينضمّون الى باقيها ولا يبقون منفصلين قروناً. وقد بسطنا هذين البرهانين آنفاً ولم نكرر ذكرها هنا الّا على سبيل الاستخلاص لردنا هذا الذي نختمهُ بقولنا اذا كانت هذه ادلّتنا التي نعتبرها قاطعة (١ ويعتبرها كذلك كل منصف وكان هذا اختلاف الاقوال عند من ينكر علينا ذلك فيحق لنا ان نتشبَّث برأينا هذا الى ان ترد ادلتنا هذه جميعها ويورد علينا ادلة أُخرى قاطعة تثبت زعم خصومنا وعلى الاقل الى ان يتفقوا براي واحد على اصل هؤلاء المردة

فهذا ما رأيت ان اوردهُ لابوتك الجليلة سائلًا ايّاك ان تحلهُ في صفحات مجلة المشرق الغرّاء علّه يكون من الابحاث العلميّة التي تتفضل هذه المجلة بنشرها علاوةً على فضلها بنشر ما يعود بالنفع على الدين والفضيلة وأختم رسالتي هذه بالشكر لك ولاصحابك الآباء المحترمين التعبين بنشر هذه المجلة التي اجلّها واجلهم وادعو بالتوفيق لكم جميعاً .

اللغة العربيّة في مدرستنا الكلّيّة

نظرٌ للاب لويس شيخو اليسوعي

كنّا في سنتنا الاولى دونّا في المشرق (ص ٦٩٩) خطاباً عن درس العربيّة القيناهُ في حفلة توزيع الجوائز السنويّة في كليّتنا فبيّنّا ما لهذا الامر من الشأن الخطير والمقام الاثير وكيف نالت في أيامنا لغة العرب تقدُّماً عظيماً بهمّة المستشرقين وما نشروهُ من تآليف المشاهير حتى صارت المطبوعات العربيّة تُعدّ بالأُلوف بعد ان كانت محصورةً في مئاتٍ قليلة من المصنّفات لا يُحصل عليها الّا بالعناء والنفقات الطائلة

وممّا اثبتنا انّ لبلادنا السوريّة عموماً ولبيروت خصوصاً نصيباً حسناً في هذه النهضة

١) وعندنا انها لا تفوق حدّ الرّجحان ه. ل

الجديدة ومن أجال البصر في انحاء بلدتنا يرى انَّ الدروس العربيَّة زاهيةٌ نامية في كل المدارس على اختلاف ترعاتها سواء كانت ابتدائيَّة او ثانويَّة سواء تولَّى ادارتها الوطنيُّون او غيرهم. وقد تخرَّج في هذه معاهد العلوم عدد غفير من الاحداث نشأوا على حبّ العربيَّة وآدابها تفرَّغ منهم قسمٌ صالح للكتابة فبرَّزوا فيها. ولا حاجة هنا لذكرهم واسماؤهم شائعة على راس الملا. ولعلَّهُ لا يوجد مدرسةٌ واحدة الَّا تخرَّج فيها بعض هؤلاء الكتبة يشير اليهم رؤساؤها بالبنان فيفتخرون بهم ويثنون عليهم ويعرضونهم على الطلبة كقدوةٍ ليتأسَّوا بهم ويقتفوا معالمهم

وليست كليَّتنا في بيروت شاذَّةً عن هذا القياس فانَّ للعربيَّة فيها مكانًا اثيرًا رعتهُ منذ أُنشئت ولم تزل ترعاهُ حتى يومنا هذا. ولو اردنا اثبات ذلك بالادلَّة القاطعة لما تعسَّر علينا الامر. وعليهِ فقد اخذنا العجب لِما دسَّهُ احد مكاتبي المقتطف في عددهِ الثامن الصادر في اغسطس (آب) من السنة الجاريةَ في مطاوي مقالة عنوانها « المرأة الشرقيَّة » آخر الصفحة ٨٠٣ واوَّل الصفحة ٨٠٤ حيث كتب الدكتور سعيد ابو جمرة بعد طعنهِ في الكلية الاميركانيَّة ما حرفهُ: « والى الآن لم ار مؤلَّفًا عربيًّا خطَّتهُ يد احد المتخرجين من (كذا) الكليَّة اليسوعيَّة في بيروت لأَنها لم تعتني (كذا) الاعتناء اللازم باللغة العربيَّة منذ تأسيسها » وفي هذا القول كما ترى شكايتان احداهما عدم وجود تأليف بقلم احد المتخرّجين في كليَّتنا. والثانية قلَّة اعتناء اصحاب المدرسة المذكورة باللغة العربيَّة. ولا نردُّ هنا على الشكاية الاخيرة لأَننا دحضناها دحضًا تامًّا في خطابنا المعنون « درس العربيَّة » الذي ألمعنا اليهِ (المشرق ١ : ٧٠٢ — ٧٠٥) فبقي علينا فحص الدعوى الاولى اعني قول جناب الكاتب انهُ « لم يرَ مؤلَّفًا عربيًّا خطَّتهُ يد احد المتخرّجين في كليَّتنا »

وقبل تخطئة قول حضرة الناظر نوجّه الى مقامهِ بعض الاسئلة ليجيب عنها ان امكنهُ اوَّلًا هل عدم وجود تأليف للمتخرّجين في كليَّتنا هو دليل كافٍ على قلَّة اعتناء المدرسة باللغة العربيَّة ؟ فكيف يثبت جنابهُ هذه النتيجة أليست هي اوسع من المقدَّمات بخلاف ما يعلّمهُ المنطقيون ؟ ثانيًا وهبْ انهُ لم يرَ كتابًا من وضع المتخرّجين في مدرستنا الكليَّة أفهذا برهان على انهُ لم يضع احد منهم تأليفًا ؟ او هل يحيط علمهُ بكل المطبوعات ؟ وما ادراهُ ان كان بعض هذه التآليف ليست حتى الآن منشورةً بالطبع او نفد طبعها ؟ ثالثًا او يعرف جنابهُ كلّ المتخرّجين في كليَّتنا ولعلَّهُ قرأ كتبًا عديدة

خطّتها ايديهم وهو لا يعلم انَّهم من تلامذتنا لان مؤلفي الكتب لا يصرّحون عادةً في مقدَّمة كتبهم باسم المدرسة التي رضعوا فيها افاويق العلوم. لاسيَّما انَّ جناب المعترض مقيم بعيدًا عن الاوطان في مدينة سان باولو في البرازيل فكيف يميّز هنالك تلامذة اليسوعيين من غيرهم. هذه اسئلة نطلب الى جناب الدكتور سعيد ابي جمره ان يجيبنا عنها وكان يمكننا ان نكتفي بها لردّ دعواه

على انَّنا لا نحبّ ان يبقى الدكتور في سوء ظنّهِ فجمعنا هنا اسماء بعض طلبتنا الذين صنَّفوا التصانيف الادبيَّة واحرزوا لهم ذكرًا في الكتابة. ولمَّا كانت مدرسة بيروت خلفت مدرسة غزير وقامت مقامها سنة ١٨٧٥ ضمَّنَّا نبذتنا هذه اسماء الذين تخرَّجوا في المدرستين معًا وقد اتَّبعنا في سرد هذه الاسماء حروف المعجم مستميحين عذرًا ممَّن فاتنا ذكرهم شاكرين سلفًا من يزيدنا افادةً ويصلح ما لعلَّهُ يكون فرط منَّا سهوًا

١ ابو سليمان (المعلم يوسف) الَّف رواية وديعة الايمان في ضواحي لبنان ورواية عبد الحليم ملك صيدون وعرَّب كتاب الكوكب الشارق في مريم سلطانة المشارق وبعض روايات في المشرق = ٢ ابو كرم (الخوري نعمة الله) عرَّب كتاب جَنْسن ذخيرة الالباب في بيان الكتاب والَّف كتاب قسطاس الاحكام وحرَّر مدَّة جريدة البشير = ٣ ابو ناضر (شاكر افندي) حرَّر روضة المعارف وكتب بعض مقالات فقهيَّة وعرَّب رواية ليلة الاهوال في المشرق = ٤ ابيض (الخوري افرام السرياني) وضع كتاب دليل الفردوس في الوعظ = ٥ ابيلا (الاب شرل اليسوعي) لهُ روايات في المشرق = ٦ اده (الاب جبرائيل اليسوعيّ) الَّف كتاب القواعد الجليَّة في علم العربيَّة (في جزءين) ثمَّ قسمًا من علم الادب في فنّ الخطابة ولهُ روايات تمثيليَّة وشذرات = ٧ اده (الاب خليل اليسوعيّ) لهُ مقالات في المشرق منها مقالتهُ عن الايقاع في الشعر العربيّ = ٨ اده (الدكتور نجيب) احد كتبة طبيب العائلة = ٩ ارسلان (الامير امين مجيد قنصل الدولة العليَّة في بروكسل) الَّف كتاب حقوق الامم ولهُ خُطَب ومقالات ادبيَّة رائعة = ١٠ اصفر (سليم افندي) ظهرت مقالاتهُ المستحسنة في الزراعة في المشرق والبشير = ١١ اصفر (الدكتور نجيب) لهُ في المشرق مقالات طبيَّة = ١٢ انستاس (الاب الكرملي) نشر في المشرق مقالات عديدة كلّها محاسن نخصّ منها بالذكر مقالاتهِ عن الصُّلَيب

واليزيديَّة والمندائيَّة او الصابئة والنوَر وآثار العراق ومقالاتهِ اللغويَّة

١٣ باحوط (منصور) ألَّف كتاب فرائد الفوائد في العلوم الطبيَّة والطبيعيَّة وكتابًا في علم الحساب وردًا على الدكتور مشاقة = ١٤ باز (الدكتور جرجس) كتب عدَّة مقالات طبيَّة وعرَّب كتاب الروضة البديعة في علم الطبيعة = ١٥ باز (سليم افندي) عرَّب قانون المحاكمات الحقوقية وشرحها شرحًا مستوفيًا وشرح المجلَّة وعرَّب عن التركيَّة كتاب مناجاة البلغاء في مسامرة البيغاء ولهُ مقالة عن الثقة الماليَّة في لبنان = ١٦ برزي (السيد اغناطيوس قلاده مطران ثيبة) ادرج في الاسد المرقصي بعض المقالات الجدليَّة وعرَّب غيرها وألَّف كتاب الحقّ الجليل في الردّ على السرياني الدخيل = ١٧ بركات (الدكتور فيليب) نشر في الاحوال والبشير والمشرق مقالات عديدة طبيَّة وغيرها = ١٨ البستاني (الخوري يوسف ضاهر) حرَّر البشير زمنًا طويلًا وعرَّب كتبًا جمَّة كالتحفة الدريَّة في مناقب مار لويس السنيَّة ورواية الحديث المأنوس وغرائب الوقائع ورواية عطاء الله. ونقل ايضًا الى العربيَّة كتاب التعليم المسيحيّ الرومانيّ وتاريخ الكنيسة وألَّف مقالات ادبيَّة وفلسفيَّة

١٩ جديّ (المرحوم سليم) لهُ روايات نثريَّة وشعريَّة مُثِّلت مرارًا وديوان شعر طُبع منهُ شذرات = ٢٠ الجريجيري (غبطة البطريرك المأسوف عليهِ بطرس الرابع) الف شرحًا على التعليم المسيحيّ = ٢١ جعجع (الخوري اغناطيوس) ألَّف كتاب رياضة الكاهن وعرَّب مختصر تأمُّلات الاب لويس الجسري ولهُ كتب تحت الطبع = ٢٢ جلَّاد (فيليب افندي) لهُ قاموس فقهي لدواوين مصر

٢٣ حانك (الخوري حنَّا) من تآليفهِ تذليل الصعاب في علم الحساب وتعريب كتاب تنشئة الصغير وكتاب الخوري كنيب المعنون علاجي بالماء البارد = ٢٤ حبيش (الشيخ يوسف بك) ألَّف قاموسًا فرنساويًا وعربيًا ضخمًا = ٢٥ حبيقه (القس بطرس) نعرف لهُ نبذة في فن التلوين المعروف بتصوير اليد وتأبين البطريرك يوحنَّا الحاجّ والمطران بطرس البستاني ولهُ تعريبات = ٢٦ حبيقه (نجيب افندي) لهُ مقالات وخطب في المصباح والمحبة والمشرق وعرَّب عدَّة روايات كخريدة لبنان والشقيقتين والف رواية الفارس الاسود ودرجات الانشاء في ستَّة اجزاء ثلاثة للمعلّم وثلاثة للتلميذ = ٢٧ حرفوش (الخوري ابراهيم المرسل الكريمي) لهُ مقالات تاريخيَّة في

المشرق = ٢٨ حرفوش (المعلم يوسف) من تآليفهِ دليل المتكلم والترجمان العربيّ وتمرين الاوربيين على القراءة العربيــة وكتاب الترجمة من العربيّة الى الافرنسيّــة والمراسلات التجاريّة (تحت الطبع)

٢٩ الخازن (الشيخ فريد) معرّب روايةّ «مثل ما يحدث هناك» ومحرّر جريدة الارز = ٣٠ الخــازن (الشيخ فيليب) منشئ جريدة الأرز ولهُ قصائد وخطب ومقالات = ٣١ الخازن (المنسنيور يوسف شرف) وضع كتاب مصباح الهدى في الدعوتين وكتاب ترس العاجز المظلوم = ٣٢ الخوري (امين افنــدي) منشئ العثماني ومصنف كتاب رياض الالباب في رياض الحساب وانشاء المكاتيب وجامعة الاداب ودليل بيروت او الجامعة وفردوس السرور في انشراح الصــدور وجلاء الغامض في شرح ديوان الفارض الى غير ذلك

٣٣ الدحداح (الشيخ سليم خطَّار) الف كتاب حياة بطل الدين والتمدُّن وهو تاريخ القائد دي لاموريسيار وترجمة حياة الكنت رشيد الدحداح واسرتهِ (في المشرق) وعرب مقالة تيارس في المقابلة بين نابليون واعظم مشاهير الرجــال ومقالات غيرها = ٣٤ درعوني (الدكتور حبيب) لهُ مقــالات طبيَّة في المشرق = ٣٥ دريان (السيد يوسف رئيس اساقفة طرسوس والنائب البطريركي المارونيّ) من قلمــهِ نبذة تاريخيَّة في اصــل البطريركيَّة الانطاكيَّة مع تعريب كتاب الدعوة الرهبــانيَّة للقديس الفنس دي ليكوري = ٣٦ ديب (الخوري يوسف) لهُ كتاب في الكهنوت

٣٧ رَبَاط (الاب انطون اليسوعيّ) لهُ رويات تمثيليَّة ومقالات في المشرق = ٣٨ رتزفال (الاب سبستيان) اثنى العلماء على نبذتهِ في اخبار زينب (الزَّبَّاء) ملكة تدمر ولهُ مقالات عن العاديَّات الشرقيَّة والكتابات التــدمريَّة في المشرق = ٣٩ رتزفال (الاب لويس) نشر مقالة الدكتور مشاقة في الموسيقى وعلّق عليهــا الحواشي العلميَّة وصنَّف عدَّة مقالات فلسفيَّة في النفس وقواها في المشرق

٤٠ الزغبي (الخوري بطرس النائب الاسقفي لابرشيَّة قبرس) جمع مع الخوري يوسف البستاني كتاب نُخب المُلح وغُرَر المُنح والَّف كتاب الفاس القاطعة للاصول الباطلة ولهُ غير ذلك = ٤١ الزغبي (الخوري بولس) لهُ مقالات نُشر بعضها في الدائرة

العلميَّة الوطنيَّـة وعرَّب مع القس بطرس التولاوي كتاب عنوان البيان وبستان الاذهان = ٤٢ زوين (المرحوم جرجس) من تصانيفهِ الردّ القويم على هذر مشاقـة اللئيم — وقد حرَّر البشير مدَّةً وعرَّب نيفًا وعشرة كتب منها الكوكب الوضَّاح في تاريخ الاصلاح وكشف التلاعب والتحريف وكشف المغالطات السفسطيَّة وكنيسة الروم الشرقيَّة واخبار العهد الجديد ورواشق الافكار وروايتي وردة المغرب وفريدة المغرب وامثال الاب جيرودو وشهر قلب يسوع وغير ذلك

٤٣ سبع الليل (الخوري اثناسيوس) الَّف متفرّقات في المذهب البروتستاني في جزءين ونبذةً تاريخيَّة في البروتستانيَّة = ٤٤ سركيس (يوسف اليان افندي) من تآليفهِ كتاب الادلَّة القاطعة على شرف الرهبانيَّة اليسوعيَّة وبيان كنه الشيعة الماسونيَّة وكتاب الباباوات وطغمة يسوع وقد عرَّب روايتي عاص وشجعان والمركبة الهوائيَّة = ٤٥ سعاده (الخوري بولس) نقل الى العربيَّة كتاب المذيذ الثاقب في الاربع العواقب = ٤٦ سمعان (الخوري اسحاق المقدسيّ) نشر كتاب رئاسة بطرس وخلفائهِ = ٤٧ سمَّان (جرجس افندي) هو منشئ الشمس في دمشق

٤٨ شارّ (عبد الله رزق الله افندي خير زاده) لهُ نُبَذ حسنة في التجارة والزلازل ومؤتمر السلم ظهرت في المشرق وطُبعت على حدة = ٤٩ الشمالي (الخوري بشاره) صنَّف مؤخَّرًا الدرر الغوالي من حياة المطران جرمانوس الشمالي = ٥٠ شهاب (الامير يوسف ملحم) لهُ في اعمال الدائرة العلميَّة خطـاب في ائتلاف الحريَّة والدين = ٥١ شيخو (الاب لويس اليسوعي) من تآليفهِ ترجمة القديس يوحنَّا الدمشقي وترجمة رجل الخير بشاره الخوري والتعبُّد لقلب يسوع الاقدس والتعبُّد لطفوليَّـة السيد المسيح ونبذة في ترجمة وتآليف ابن العبري وترقئة القـارئ (في جزءين) ومعرض الخطوط مع ملحقهِ ومختصر في الصرف ونزهة الطرف في مختصر الصرف وغرامـاتيق لاتيني عربيّ مع منتخبات ومعجم لمدارس اوربَّة الكليَّة وعلم الادب (في جزءين) ومرقاة الجاني (في جزءين) ومجاني الادب (في ستَّة اجزاء) وشرح مجاني الادب (في ثلاثة اجزا) مع فهرس مطوَّل ورياض الادب في مراثي شواعر العرب وكتاب شعراء النصرانيَّـة وممَّا نشر من التآليف القديمة كتاب الالفاظ الكتابيَّة وديوان ابي العتاهية وديوان الخنساء المطوَّل والمختصر وتهذيب الالفـاظ لابن السكيت مع مختصرهِ وديوان الخرنق اخت

طرفة وتاريخ بيروت لصالح بن يحيى مع تعليقات وحواشٍ هذا الى مقــالات عديدة وتعريباتٍ في المشرق وغيرهِ

٥٢ صادر (سليم افندي) الَّف كتاب ترويض الالباب في علم الحساب واختصرهُ وكتاب ترويض الاذهــان في تقويم البلدان واختصرهُ ونزهة الافكار في القصص والاخبار وكتاب القلادة الذهبيَّة في المنتخبات التهذيبيَّة وجلاء الغامض في تفسير ديوان القارض وشرح المتنبي وكتاب الترجمان الفرنسوي باللفظ العربي = ٥٣ صادر (يوسف افندي) ممَّا الَّف تعليم القراءة العربيَّة لابناء المدارس الكاثوليكيَّة وكتاب تعليم قراءة الخطوط العربيَّة وكتاب اصول الطبخ وكتاب زبدة الصنائع والفنون = ٥٤ صالحاني (الاب انطون اليسوعيّ) نشر كتاب الف ليلة وليلة منقَّحاً (في خمسة اجزاء) وكتاب طرائف وفكاهات في اربع حكايات وديوان الاخطل ورنَّات المثالث والمثاني في روايات الاغاني (في جزءين) وكتاب تاريخ مختصر الدول لابن العبري وتوفيق السنين الهجريَّة مع السنين المسيحيَّة ومقــالة مطوَّلة في الفطير والخمير وردًّا على منشور البطريرك القسطنطينيّ في ما يتعلق بعقيدة الحبــل بلا دنس. ولهُ غير ذلك في جريدة البشير التي ادارها عدَّة سنين = ٥٥ صدفاوي (السيد مكسيموس اسقف هرموبوليس القبطيّ) وضع مقالات في دحض البروتستانيَّة في الاسد المرقصي = ٥٦ صفير (الخوري نقولا) عرَّب كتاب اخويَّة الميتة الصالحة = ٥٧ صقر (الاب يوسف تاتي الماروني مسجِل الديوان البطريركي) لهُ مقالات شتَّى في المشرق عن العوائد اللبنانيَّة = ٥٨ صليب (بطرس افندي بشاي) صنَّف كتاب التحفة الزكيَّة للملَّة القبطيَّة

٥٩ ضاهر (يوسف افندي) لهُ كتابات حسنة في المشرق والبشير

٦٠ طراد (نجيب افندي) منشئ المحبَّة ومعرِّب رواية لشــلَّر = ٦١ طرَّازي (الكنت فيليب دي) الَّف كتاب القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة وتاريخ الخديويَّة المصريَّة وتاريخ الطائفة السريانيَّة (وكلاهما في مجلَّدين تحت الطبع) وتاريخ شركة مار منصور ولهُ مقالات وخطب وقصائد شتَّى = ٦٢ طنُّوس (الخوري حنَّا) انشأ عدَّة روايات تشخيصيَّة ومقالات وقصائد

٦٣ عبُّود (اسكندر افندي) الَّف كتاب الآثار العدليَّة = ٦٤ عزار (الخوري اغوسطين) لهُ كتاب خلاصة المعرفة في اخصّ قضايا الفلسفة وقصائد وطُرَف شعريَّة

نُشر قسمٌ منهـا بالطبع = ٦٥ علوان (الاب يوسف اللعازري) نشر المشرق بعض المقالات من قلمهِ = ٦٦ عمُّون (اسكندر بك) عرَّب الرحلة العلميَّة الى الكُرَة الارضيَّة لجول ڤرن = ٦٧ عويس (الخوري بولس) كتب حياة القديس روكس طبيب المطعونين وحياة القديس انطونيوس البدواني (في جزءين) وكتاب الشهر المريميّ

٦٨ غانم (ابراهيم افندي) وضع تاريخ والدهِ ابي سمراء غانم احد ابطال لبنان وادرج في الارز والبشير قطعاً ادبيَّـة وسياسيَّة مستجادة = ٦٩ غانم (الاب سليمان اليسوعيّ) احد مديري البشير صنَّف كتاباً في الشيعة الماسونيـة وردّ على المذهب الدروينيّ في الارتقاء وجمع اقاويل الآباء في الرئاسة البطرسيَّة

٧٠ فرج (الخوري جرجس صفير النائب البطريركي في الاسكندريَّة) من تآليفهِ كتاب الكنيسة الجامعة وكتاب الفلسفة (طُبع منهُ جزءان) وكتاب في اصل الانسان والكائنات ومحاورة في الاعتراف بين كاثوليكيّ وبروتستاني وكشف الستار عن حريَّة الاختيار وعرّب كتاب التعليم في الكنيسة والطقوس = ٧١ فيَّاض (الدكتور نيقولا) لهُ خُطب ومقالات ادبيَّة وطبيَّة في المحبَّة والنار

٧٢ قزح (كمال افنـدي) نقل عن التركيَّة كتاب تلخيص الحقوق الموضوعة لسعادتلو كاظم بك افندي مع زيادات ذات شأن وترجم قسماً من النظامات ولهُ كتاب تركي وعربي وتاريخ الحقوق والتجارة والصناعة وسيظهر هذا قريباً = ٧٣ قندلفت (السيد باسيل اسقف يافا شرفاً) وضع كتاب نبراس الكاهن = ٧٤ قيقانو (يوسف افندي) محرّر لسان الحال ومعرّب رواياتهِ

٧٥ كك (رافائيل افندي) مدير جريدة المحبة واحد كتبتها = ٧٦ كنعان (الياس افندي) محرّر السيَّار = ٧٧ كيرلُس (الخوري جبرائيـل) ادرج بعض مقالات في المشرق وعرّب بعض التآليف

٧٨ لامنس (الاب هنري اليسوعيّ) لهُ تمارين في الترجمة من الفرنسيَّة الى العربيَّة (في اربعة اجزاء) وكتاب فرائد اللغة وكتاب الالفاظ الفرنسويَّة المشتقَّة من العربية والرحلة السوريَّة الى اميركة الوسطى والجنوبية وروايات عديدة ظهرت في المشرق كرواية الشقيقتين وخريدة لبنان ورواية حيس بحيرة قدَس ومقـالات مهمَّة اخصُّها تسريح الابصار في ما يحتويـهِ لبنان من الآثار

٧٩ مرتا (دون خليل المرسل الرسولي) ألَّف كتاب الخلاصة الجليَّة في قواعد اللغة العربيَّة (جزءان) ومقالات لغويَّة وتاريخيَّة في المشرق = ٨٠ مسابكي (المرحوم ميخائيل) اشتغل مدَّةً في التعريب في مطبعتنا فنقل كتاب التاريخ المقدَّس للومند وشرح التعليم المسيحيّ لبلّرمين ومائة حكاية وغير ذلك = ٨١ مسك (فيليب افندي) لهُ لمحة في ترشيح الماء وتآليف في الحساب ومقالات فقهيَّة = ٨٢ مصري (حلمي افندي) لهُ رواية طُبعت حديثًا «لحظة عين» ومقالات نثريَّة وشعريَّة في المشرق = ٨٣ معلوف (الاب لويس اليسوعيّ) ادرج في المشرق مقالات فلسفيَّة وادبيَّة = ٨٤ مقار (غبطة السيد كيرلُّوس بطريرك الاسكندريَّة على الاقباط) انشأ تاريخ الكنيسة الاسكندريَّة وكتاب دليل المصريين ومقالات جدليَّة في الاسد المرقصي

٨٥ نجَّار (ابراهيم افندي) احد محرريّ المصباح وجريدة الوطن المصريَّة وجريدة الكلمة الحرَّة = ٨٦ نقَّاش (الدكتور انطون) لهُ مقالات طبيَّة وادبيَّة نشر منها قسمًا = ٨٧ نقَّاش (القانونيّ جان افندي) كتب مدَّة في المصباح ووضع كتاب مغني المتداعين عن المحامين = ٨٨ نقَّاش (المرحوم يوسف) حرَّر المصباح مدَّةً وكتب بعض روايات ادبية كفادة البقاع ولهُ قصائد

٨٩ الهانيّ (الخوري يوسف الهمش) ألَّف المقامة الغزيريَّة وكتاب منارة الطلَّاب في التصريف والاعراب

٩٠ يزبك (المنسنيور يوسف) احد كَتَبة جريدة الصخرة في اميركة

هذا ما تيسَّر لنا جمعهُ في زمن قريب ولو سمح لنا الوقت لمراجعة جداول تلامذتنا منذ انشاء المدرسة لوجدنا غير الذين ذكرناهم آنفًا. وفي عدد المذكورين كفاية لتزييف قول الدكتور ابي جبرة واقناع القرَّاء انهُ رمى الكلام على عواهنهِ ونسب الى كليَّتنا زورًا ما ليس فيهِ من الحقيقة ذرَّة. وهذا فقط في بيروت وغزير ولو تحرَّينا البحث عمَّن خرجوا من مدارسنا في مصر والاسكندريَّة وجهات الشام لوقفنا على عدد غفير ايضًا من التلامذة الذين تخرَّجوا على يدنا ثم اصابوا شهرةً في الكتابة لعربيَّة فضلًا عن الفرنسيَّة والتركية واللَّاتينيَّة والسريانية

ولنا في إبطال حجَّة خصمنا براهين أُخرى تقنعهُ بانَّ مدرستنا «تعتني الاعتناء اللازم

باللغة العربيَّة » وما ذلك الَّا عدد المعلمين الذين درَّسوا فيها ممَّن اشتهروا بالتأليف والكتابة كالشيخ الفاضل سعيد افندي الشرتوني وحضرة اخيهِ محرّر البشير رشيد افندي والشيخ ابراهيم افنــدي اليازجي والخوري باسيــل أيوب والخوري يوسف غاريوس وجناب خليل افندي باخوس وجناب موسى افندي صفير وجناب خليل افندي البدوي وغيرهم. أفليس اختيار رجالٍ مثل هؤلاء دليلًا على اعتبار مدرستنا للُّغة العربيَّة. وما قول خصمنا بالمطبوعات العديدة التي نشرها الآباء اليسوعيُّون لتعزيز العربية ونشرها في الخافقين. أهذا فعل الذي يزدري العربية « ولم يعتني (كذا) الاعتناء اللازم باللغة العربية » كما قال حضرة الدكتور

وكذلك يمكننا لتزييف قول المعترض ان نبيّن لهُ بطــلان دعواهُ بوجه آخر اعني بذكر ما ينال الكتبة في الشام من المشاكل العديدة كقلَّة المكاتب للمطالعــة وشدَّة المراقبة وكثرة نفقات الطبــع الى غير ذلك ممَّا يقصُّ جنــاح ارباب الكتابة ويفتُّ في عضدهم. فكيف يقرّف بعد ذلك مدرستنا بقلَّة كتبهــا ولو راجع رأيهُ لتعجَّب من كثرة التآليف التي اصدرها المتخرّجون فيها واثنى على همَّة اصحابهــا بدلًا من ان ينسب اليهم قلَّة الاكتراث لتدريس لغة يعرفون قدرها ويسعون في نشر لوائها واعلاء منارها ». ارشدنا الله وايَّاه الى ما فيهِ فخر الوطن وخير العباد

إِطّلاع الحَضَر على أَطلاع النوَر

لحضرة الكاتب المحقّق والعلّامة المدقق الاب انستاس الكرملي (لاحق بسابق)

واعلم ان البعض يجمعون لفظة زطّ التي يقال فيها «جتْ» على الطريقة الفارسيَّة اي بالف ونون في الآخر فيقولون جِتَّان. ومن ذلك الكلمة الاسبانيَّة (gitano) بمعنى النوريّ ولا شكَّ ان الاسبانيين اخذوا هذه اللفظة عن عرب الاندلس

وامَّا اسماء النوَر في بلاد فارس فتختلف باختــلاف البلاد. ففي الشمال يُسمَّون « شَاهْسَوَن » وهم يذهبون كل سنة اوائل الخريف الى مشــاتي لهم وراء نهر الرسّ في

بلاد الروس واذا انقضى الشتاء عادوا الى ربوعهم في بلاد فارس. والكلمة مشتقة من « شاهين » وهو اسم زَنجان في القديم من الزمان

واسمهم في قلب بلاد إيران « الفَيُوج » على الطريقة العربيّة او « الفَانجان » على الطريقة الفارسيّة والواحد منهم « فَيج » والكلمة مأخوذة من « فَانجان » وهي قرية باصبهان اغلب سكّانها اقوام رُحّل يكثر فيهم الذهاب والاياب

واما في نواحي آذربيجان فيُسمَّوْن « تات » واليك اصل هذه الكلمة: في جبل « أُسكي » من جبال الايالة المذكورة طائفة من الناس معروفة بهذا الاسم. منهم حَضَر ومنهم رُحّل. اما الحضَرُ فلا يكاد يخرجون من اوطانهم. اما الرُحّل منهم فهم لا يزالون في تطواف وترحال منتشرين في بلاد فارس كلها عصابات عصاباتٍ وليس لهم ديانة او آداب او علوم او اخلاق بل هم عبارة عن هَمَجٍ هَمَلٍ وصناعتهم الوحيدة عمل المناخل والغرابيل والاهلون يُخرّجون الاولاد على الرقص والغناء والدقّ والخلاعة ويدفعون نساءهم الى ركوب المنكرات طلباً للعيشة. (ومن هؤلاء من يذهبون الى بلاد الترك لهذه الغايات فيُعَدّون منفصلين عن طائفتهم ويسمونهم حينئذٍ « دَلِي دُومان ») ومنهم من دخلوا في خدمة العشائر الفارسيّة منذ قرونٍ فتجنّسوا بجنسيّتهم الّا انّهم باقون في حالة العبوديّة والرقّ. ولا يستطيعون نزع اسمهم عنهم مهما فعلوا او قالوا

وطائفة منهم تغرّبوا في بلاد فارس فتعلّموا فيها اصول التجارة واخذوا يتعاطون البيع والشراء على اتمّ وجهٍ وهم كثيرًا ما يخفون اصلهم او ينكرونهُ او يُلبّسون على الناس اعمالهم ويكذّبون من يشنّع طائفتهم. ولسانهم خصوصيّ بهم لا يفهمهُ من لا يكون من جنسهم. وتواريخ بلاد فارس تصرّح بوجود هذا الجيل السافل منذ غزوة التاتار. والكلمة (اي تات) عندي مقطوعة من « تاتار » نفسها وذلك ان التاتار لا يسمّون نفسهم الّا « تُركًا » ناكرين على انفسهم تلقيبهم بالتاتار لِما يتعلّق بأهداب هذا الاسم من معاني القسوة والفظاظة والخشونة والهمجيّة. وعليها فتخلّصاً من عار هذا الاسم وَسموا بهِ الرُحّل الموجودين في البلاد التي افتتحوها في فتوحاتهم الاولى وبقي هذا المعنى معقودًا باللفظة المذكورة الى يومنا هذا. ولا يزال التاتار يتسمّوْن « تُركًا » ولا يزال الفُرس يُسَمّوْن « تاتا » في انحاء كثيرة من البلاد الايرانيّة

واماً اسم النور في بلاد كرمان فهو « القُفْسُ » او « القُفْصُ » وقد عرفهم العرب قديماً بهذا الاسم المعروف اليوم في تلك البلاد. قال في التاج في مادة ق ف س: « القُفْسُ » بالضمّ طائفة بكرمان في جبالها كالاكراد وانشد:

وكم قَطَعنا من عدوٍّ شرسِ زُطٍّ واكرادٍ وقُفْسٍ قُفْسِ

ويروى بالصاد ايضاً. (انتهى). وقال في مادة ق ف ص: « القُفْص » بالضمّ جبل بكرمان. هكذا في النُسخ كلها (من نُسخ القاموس للفيروزابادي) والصواب جِيلٌ بكسر الجيم والياء التحتية. ففي العُباب قال ابن دريد: القُفْص بالضمّ جيل معروف يترلون جبلاً من جبال كرمان يُنسبون اليه يُقال لهُ « جَبَلُ القُفْص ». وقال غيرهُ: هو مُعرَّب « كُفج او كُوفج ». قلتُ: وفي التهذيب القُفْص جيل من الناس مُتلصِّصون في نواحي كرمان اصحاب مراس في الحرب ». اه

وقد كنتُ كتبتُ رسالةً الى احد الاصدقاء في كرمان ان يصف لي حالة القُفْس او القُفْص الموجودين اليوم في انحائهِ فكتب لي كتاباً كلهُ فوائد. ومن غريب الاتفاق ان كلامهُ يوافق كلام ياقوت الحموي كل الموافقة. كأن ياقوت شهد الامور البارحة ودوَّنها اليوم في كتابهِ. ولهذا فإني أُورِد كلام ياقوت هُنا ليتحقق الواقف على مقالتي هذه ان العوائد والاخلاق في الشرق لا تعرف الاضمحلال وان ما كتبهُ صاحب معجم البلدان هو عين الحقّ. وهذا نصّ كلامهِ وهو وان كان طويلاً الّا انهُ لا يُثير الملل في القارئ لِما حوى من فرائد الفوائد. قال: . . « القُفْس جيلٌ بكرمان في جبالها كالاكراد يُقال لهم « القُفْس » و « والبَلُوصُ » . . . قال الرُهنيُّ: القُفْس جبلٌ من جبال كرمان ممَّا يلي البحر وسُكَّانهُ من اليمانيَّة ثم من الأَزد بن الغَوث. ثم من وُلد سليمة بن مالك بن فهم وولدهُ لم يكونوا في جزيرة العرب على دين العرب للاعتراف بالمعاد والاقرار بالبعث ولا كانوا مع ذلك على دينهم في عبادة طواغيتهم التي كانوا يعبدونها من الاوثان والاصنام ثم انتقلوا الى عبادة النيران فلم يعبدوها ايضاً عندهم وفي قُدرَتهم. ثم فُتحت كرمان على عهد عثمان بن عفَّان رضه فلم يظهر لاحدٍ منهم ذلك من ذلك الزمان الى هذا الزمان ما يُوجب لهم اسم نِحْلَةٍ وعقدٍ ولا اسم ذمةٍ وعهد ولم يكن في جبالهم التي هي مأواهم بيت نارٍ ولا فهر يهودٍ ولا بيعة نصارى ولا مصلًى مسلم الّا ما عساهُ بناهُ في جبالهم الغُزاة لهم. واخبرني مخبر انهُ اخرج من جبالهم الاصنام الكثيرة

ولم اتحقّقهُ. قال الرُهنيُ: واني وجدتُ الرحمة في الانسان وان تفاوت اهلُها فيها فليس احدٌ منهم يعار من شيء منها فكأنّها خارجة من الحدود التي يُميّز بها الانسان من جميع الحيوان كالعقل والنطق اللّذين جُعلا سبباً للامر والزجر ولانّ الرحمة وان كانت من نتائج قلب ذي رحمة ولذلك في هذه الخلّة التي كأنّها في الانسان صفةٌ لازمة كالضحك فلم اجِدْ في القفس منها قليلًا ولا كثيرًا فلو اخرجناهم بذلك عن حدٍّ من حدود الانسان لكان جائزًا ...

« قال: وولد بن مالك بن فهر ثمانية. فراهيد والحُمام والهُناءة ونوّى والحارث ومعن وسليمة بنو مالك بن فهم بن غنم بن دَوْس بن عُدثان ابن عبد الله بن زهران بن كعب ابن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الازد. قال: والمتمرّد من ولد عمرو بن عامر بوادي سبإٍ هو جدُّ القفس وذلك ان سليمة بن مالك هو قاتل ابيهِ مالك بن فهم وهو الفارُّ من اخوتهِ بولدهِ واهلهِ من ساحل العرب الى ساحل العجم ممّا يلي مُكران والقاطنُ بعدُ في تلك الجبال

« قال الرُهنيُ: واردنا بذكر هذه الامور التي بيّنّاها من القفس لندلّ على انّهم لم يكن لهم قطّ في جاهليّة ولا اسلام ديانة يعتمدونها وليعلم الناس انّهم من هذه الاحوال يعظّمون من بين جميع الناس عليّ بن ابي طالب رضه لا لعقد ديانة ولكن لامر غلب على فطرتهم من تعظيم قدرهِ واستبشارهم عند وصفهِ

« قال البشاريّ: ... والغالب على القفس النحافة والسمرة وتمام الخلقة يزعمون انهم عرب وهم مفسدون في الارض وبين اقاليم الاعاجم مفازة وجبال ليس بها نهرٌ يجري ولا رستاق ولا مدينة مشهورة يسكنها الدُعّار صعبة المسلك وفيها طرقٌ تُسلك من بعض النواحي الى بعضٍ فلذلك قد عُمل فيها حياضٌ ومصانع اكثرها من خراسان وبعضها من كرمان وفارس والجبال والسند وسجستان والدُعّارُ بها كثيرٌ لانهم اذا قطعوا في عملٍ هربوا الى الآخر وكنّوا في كَرْكَس كوه وسياه كوه لا يُقدَرُ عليهم وليس بها من المدن المعروفة الّا سفند... قال وقد خرجنا من طبس نُريد فارس فمكثنا فيها ٧٠ يوماً نعدل من ناحيةٍ الى ناحيةٍ نقعُ مرّةً في طريق كرمان وتارةً نقرب من اصبهان فرأيتُ من الطرق والمعارج ما لا أُحصيهِ. وفي هذه الجبال صرودٌ وجرومٌ ونخيل وزروع ورأيتُ أسهلَهَا واعمرها طريق الريّ واصعبها طريق فارس واقربها طريق كرمان وكُلُّها

مخيفةٌ من قومٍ يقال لهم القفص يسيرون اليها من جبالٍ لهم بكرمان وهم قومٌ لا خَلَاقَ لهم وجوههم وَحشَة وقلوبهم قاسية وفيهم بأس وجلادة لا يُبقونَ على احد ولا يقنعون باخذ المال حتى يقتلون صاحبهُ وكل من ظفروا بهِ قتلوهُ بالاحجار كما تُقتل الحيَّات: يمسكون راس الرجل ويضعونهُ على بلاطةٍ ويضربونهُ بالحجارة حتى يتفدَّغ. وسألتُهم: لِمَ تفعلون ذلك. فقالوا: حتى لا تُفسد سيوفُنا. فلا يفلت منهم احدٌ الَّا نادرًا. ولهم مكامنُ وجبال يمتنعون بها وقتالهم بالنشَّاب ومعهم سيوفٌ

« وكان البلوصُ شرًّا منهم فتتَبَّعَهم عضد الدولة حتى افناهم. وصمد لهؤلاء فقتل منهم كثيرًا وشرَّدهم ولا يزال ابدًا عند المتملِّك على فارس رَهائن منهم كلَّما ذهب قومٌ استعاد قومًا. وهم اصبرُ خلق الله على الجوع والعطش واكثر زادهم شيءٌ يتخذونهُ من النَّبِق ويجعلونهُ مثل الجوز يتقوَّتون بهِ ويَدَّعون الاسلام وهم اشدُّ على المسلمين من الروم والترك. ومن رَسْمهم انهم اذا اسروا رجلًا حملوهُ على العَـدْوِ معهم ٢٠ فرسخًا حافي القدم جائع الكبد وهم مع ذلك رجَّالة لا رغبة لهم في الدواب والركوب. وربَّما ركبوا الجمَّازات (نوع من الحامل) ». اه

وقال ياقوت ايضًا في مادة قُفص ما حرفهُ: « القُفْص... لغة في القُفْس المذكور قبل هذا قال ابو الطيّب:

[ساقي كؤوسِ الموتِ والجِرْيالِ] لمَّا اَصارَ القُفصَ أمسِ الخالي

وكان عضد الدولة قد غزا اهل القفص ونكى فيهم نكايةً لم يَنكِها احدٌ فيهم وأفنى اكثرهم ». اه

وقد جاء ذكر القفص والبلوص في الكامل لابن الاثير في كلامهِ عن عصيان اهل كرمان على عضـد الدولة سنة ٣٦٠ (٨: ٢٠٢) وقد ذكرهم غير واحدٍ من المؤرخين وليس في كلامهم زيادة على ما اوردناهُ

واهل جُلفا واصبهان ونواحيهمـا يُسمُّون النوَر: «كَنْجو» واللفظة ارمنيَّة مـأخوذة من «كَنچه» بفتح فسكون. قال ياقوت: «وكَنچة من نواحي لُرستان بين خوزستان واصبهان» وعليهِ فالكنچو من اصلِ لوريّ. ولهم في تلك الاصقاع اسم ثانٍ وهو پوشا (Pocha) وهي ايضًا ارمنيَّـة الاصل اي ... ومشتقَّة من پوشنج او پوشنك او فوشَنج والعامَّة تقول پوشان فاعتبر الارمن

لالف والنون من علامة الجمع بالفارسيَّــة كما هو معهود فقالوا في المفرد « پوشا » فيكون على هذا اصل هؤلاء من بلاد فارس . لانَّ پوشنك على ما قـــال صاحب المراصد: « بُليدة بينها وبين هراة عشرة فراسخ في وادٍ كثيرة الشجر والفواكه واكثر خيرات هراة مجلوبة منها ». اه

واماً في غربي بلاد فارس في الاصقاع التي تُتاخم البلاد العثمانيَّة فاسم النوَر يتقلَّب بين « زُوْزان » (Zozan) وسُوزان (Sozan) وزَيْزان (Zézan) وسَيْزان (Sézan) وسُوسان (Soçan) وسَيْسان (Sésan) وساسان (Sasan) وكُلُّها تصحيف « الساسانيَّة او بنو ساسان » وهو اسم النوَر عند قدماء العرب على ما اشتهر في كتبهم وتواريخهم بل وهو اسمهم الحقيقي الذي يشمل جميع عشائر النوَر بانواعها وفصائلها وأقسامهــا وهذا الاسم الذي يجب ان يُسمِّيَهم بهِ الكتبة وابناء الادب. ولا حاجة في اثبات ان بني ساسان هم النوَر بعينهم فهذه حقيقة راهنة واضحة وضوح الشمس في رائعة النهار بل ويسلّم بها كل مكابرٍ معاندٍ للحقّ اذا ما اطّلع على ما نرويهِ من الشواهد ونصوص الكتبة المتقدّمين

وبنو ســاســان يشملون طوائف أُخرى وقد جمعتهم كلهم جوامع واحدة وقد ذكر أشهر هذه الطوائف ابو دُلَف الخَزْرَجيّ في قصيدتهِ الساسانيَّة . قال:

ومنَّا الكابُلِيُّونَ ومَن يلعب بالجرِّ
ومن يمشي على الحَبْلِ ومن يصعد بالبكرِ
ومنَّا الزنجُ والزُّطُّ سوى الكبَّاجَةِ السُّمْرِ
واصحابُ التجافيف من التامولة الصبرِ

الكابُليُّون: نسبةٌ الى كابُل وهي ارض مشهورة بين الهنـــد ونواحي سجستان. والزنج هُنا من كان منهم من زَنجان كما ألمعنا اليهِ في ما تقـــدَّم. والزطّ: مرَّ ذكرهم. والكبَاجَة: اللُّصوص من كَبَّجَ اذا سَرَقَ. واصحابُ التجافيف: قوم يأوون المساجد عليهم مُرَقَّعات كالتجافيف بعضها مركبة فوق بعضٍ يقال لهم التامولة. قلتُ: واصلهم من التامولة في الهند (les Tamouls) وعددهم اليوم يبلغ ١٢ مليونًا

وقد اكتفينا بما تقدَّم خوفاً من الإِطالة على غير طائل. امَّا سبب تسميتهم ببني ساسان فقد اختلفت فيهِ الآراء. قال في التاج: « الساسانيَّة » طائفة من الفُرس نُسبوا

الى ملكٍ لهم يُقال لهُ ساسان. وقال الشريشيُّ : هو اوّل من سنَّ الكُدْية (وفي الاصل المطبوع الكذبة وهو غلط طبع) فنُسبوا اليهِ كما ان الطُفَيليّ منسوب الى طُفَيل اوّل من تطفَّل ». انتهى

وقال الشيخ محمَّد عبده في شرح مقامات البديع (ص ٨٩):« بنو ساسان الشحّاذون واهــل المسألة. وساسان يقولون انهُ كان رجلًا فقيرًا حاذقًا في الاستعطاء دقيق الحيلة في الاستجداء فنُسب اليهِ المُكَدُّون. وعندي ان الساسانيَّة وبنو ساسان وما شاكل ذلك من الالفاظ المشيرة بالتحقير لساسان وانهُ جدّ السفلة او شيخهم انَّما جاءت بعد زوال دولة الساسانيَّة من الفرس التي كان مؤسسهـا اردشير بابك فلمَّا محقها الاسلام وبقي من اطرافها أفراد أذِلّاء سقطوا في ألسنة فتيان المسلمين الاولين فكانوا يطردونهم من مكانٍ الى مكان ويُعيّرونهم بعنوان آبائهم. فبعد ان كانت نسبتهم الى ساسان نسبة مجدٍ وحسب صارت نسبة قذفٍ وسبّ. وكان في اشهار هذا الاسم بالتحقير غاية سياسية فضلًا عمَّا تطمح اليــهِ نفس الغالب من إذلال المغلوب وهي ان لا يبقى للدولة الساسانيَّة ذِكْرٌ في لسان ولا اثر في جنان يُنبئ عن سلطانها او رفعة شانها واذا خطر امرها بالبـــال فلا يخطر الَّا مع لازمهِ الجديد وهو السفالة والدناءة. ثم نُسيَ ذلك بمرور الأيَّام وبقي اللفظ مستعملًا في الشحَّاذين وهم أدنى طبقة في الناس. ولقد سمعتُ في بعض البلاد سبًّا تعجَّبتُ لاول سماعهِ ثم انتبهتُ الى سببهِ وذلك ان رجلًا كان قد رأى على ابنهِ شيئًا يُشير الى رخاوةٍ فيهِ فكان نهـــاية شتم قالهُ في شدَّة غيظهِ: « يا برمكيّ » فعلمتُ ان اهــل الدولة من العباسيّين بعد ان نكبوا البرامكة جعلوا عنوانهم عارًا لمن يتَّصل بهِ وبقي ذلك الى اليوم في السنة بعض البـــلاد في مصر. هذا وللبرامكة أعوان وانصار حفظوا طيب ذكرهم في بطن الكُتب الى ما شاء الزمان ان يبقى. امَّا الساسانيَّة فلم يكن لهم بعد تمكُّن الاسلام في فارس وليّ ولا نصير». اه بحرفهِ

قلتُ: ان هذا التأويل وان كان بديعًا في مبناهُ فريدًا في معناهُ الَّا انهُ لا ينفي سائر التأويلات التي يتأوَّلها الادباء. فقد جاء في الكامل لابن الاثير (١ : ٩٥):« ان ساسان بن بهمن لمَّا رأى فعل ابيهِ (اي انهُ عقد التاج لدارا وهو في بطن أمّهِ) لحق بإصطَخر وتزهّد ولحق برؤوس الجبال واتخذ غنمًا وكان يتولاها بنفسهِ فاستبشعت العامة ذلك منهُ » اه. فلعلّ الذين أحبُّوا الاستعطاء والكدية وهذا النوع من الزهد (ان كان

هذا يُسمّى زهدًا في لغة من اللغات) افتخروا بكونهم قد سبقهم الى مثل هذه العيشة ساسان بن بهمن ولكونهم يتتبعون اثرهُ يحقُّ لهم ان ينتسبوا اليهِ . ولعلَّ بني ساسان الاوَّلين الذين اتخذوا الاستجداء مهنةً كانوا اذا ارادوا ان يحثُّوا النــاس على البذل والنوال ويستعطفوا قلوبهم عليهم بالعطاء يقولون: نحن من اولاد ساسان او من اتباعهِ او من الجارين على سَنَنهِ . ثم لمَّا كثر التسوُّل باسم ساسان ووقر سماعهُ على الآذان اصبح هذا الاسم من اثقل الاسماء على الاسماع وانقلب عنوان عار بعد ان كان عنوان افتخار . او لعلَّ بني ساسان نشأُوا في المحلّة التي كانت بمرو وكانت خارجة عنهــا من دَرْب الفيروزيّة (ياقوت) فلمَّا وافق اسمهم اسم الاكاسرة الساسانيَّة ادعوا أنَّهم من اصلهم ومحتدهم . هذا واللفظة تحتمل تآويل اخرى . والله اعلم بالصواب

وخلاصة القول في اصل هذا الجيل انهُ خليط من طوائف وامم شتَّى ومن نُفاياتها وحُثالتها وخُشارتها وسُحالتها وان اول امةٍ نشأ فيها هؤلاء الطغام هي الأمة الهنديَّة على ما تقدَّم القول عن الزطّ والكُول وذكر هاتين الطائفتين قبل سائر الطوائف . بل وقد انضمَّ الى هؤلاء الاقوام السفلة غيرِ ما ذكرنا من الناس كالاندغار والسبابجة مثلًا كما يتَّضح ذلك من سياق كلام البلاذريّ وابن الاثير وغيرهما من المؤرخين ولقد ضربنا صفحًا عن ذكر سائر اسماء النوَر عند العرب ممَّا ورد بلفظٍ عامٍّ مطلق كالصعاليك وبني غَبراء والذؤبان والدُغّار (بالغين المعجمة) والدُعّار (بالعين المهملة) والذُعّار (بالذال المعجمة والعين المهملة) والمداعير الى آخر ما هناك من الالفاظ المترادفة

وقد سبق هاتين الطائفتين طائفة « اللُور » فانَّهــا على ما يُقال قبيلة من الهنود هاجرت اوطانها وجاءت بلاد الفُرس في عهد يزدَجرد الملك فحلَّت فيهــا وانتشرت في البلاد التي عُرفت بعد ذلك باسمهم اي باسم « لُورِستان » او « بلاد اللُور » وعليهِ فالنَور معروفون في التاريخ منذ اواخر القرن الرابع للميلاد . فاحفظهُ

واتمامًا للفائدة نذكر اسماء النوَر عنــد الافرنج حسبما توهموا أصلهم او تصوَّروا منشأهم أو ذهبوا في تعيين البلد الذي اتوا منهُ . وعليهِ فاسمهم عند الفرنسيس بوهيميون (Bohémiens) وعند الانكليز مِصريون (Gypsies) وعند الأسوجيين والدنيمركيين « تَتار » وعند الالمانيين زيكونر او جيكان (Ziguener ou Ziganes) وعند الايطاليين والترك زِنكاريون (Zingari) وعند الروس زِيكاني (Zigani) . امَّا هم

فيسمُّون انفسهم باسماء مختلفة وتختلف باختلاف البلاد التي يحلونها. فربَّما سموا انفسهم «فراعنة» او «سنديين» او «زنكالي» وهــذه اللفظة الاخيرة هنديةٌ قديمة على ما قيل ومعناها «سود الهند». والله اعلم (البقيَّة للآتي)

مولف كتاب دفع الهمر

لحضرة الاب الفاضل القس جرجس منش الحلبي المارونيّ

لقد خاض فريق من كتَّاب مجلَّة المشرق المبرَّزين في تحقيق مؤلِّف كتاب دفع الهمّ هل هو اليَّا اسقف نصيبين النسطوري ام غريغوريوس ابن العبري اليعقوبي فادلوا من الحجج واقاموا من الادلَّة ما انجلى معهُ وجهُ الصواب او كاد فلهم الثنــاء على ما تجشموهُ من العناء في هذا المبحث الخطير. ويا حبَّذا لو فتح المشرق الاغرّ باباً لتحقيق مثل هذه العتائق ومؤلفيها القدماء لأبان الرغوة عن الصريح واتى من الفوائد بالمدهشات وهذا لا ينكرهُ الَّا من أبتلي بداء العصبيَّة المحظورة وقانا الله شرَّها

وعليهِ فان حقَّ لي ان اقول شيئاً بين هؤلاء العلماء الاعلام في هذا المبحث الجليل اتيت على وصف نسخة من هذا الكتاب ثم على حلّ شكالات حضرة الاب الفاضل لويس شيخو اليسوعيّ مستميحاً العفو عن تطفُّلي على اولئك الكتَّاب الافاضل في هذا الباب فاقول

*

منذ سنةٍ اتحفني جناب الاريحي الكريم الاخلاق رزق الله ابن شكر الله أيوب الماروني بنسخةٍ نفيسة من الكتاب المبحوث عنهُ عَنْوَنَهــا ناسخها بما حرفهُ: «كتاب المعنونة على دفع الهمّ تأليف الاب النفيس الطاهر مطران نصيبين قدَّس الله روحهُ ورحمهُ ورحمنا ببركة صلاتهِ امين» اه

وما كدت اطالع هذه النسخة بالتدبُّر وامعان النظر حتى رأيتُها اصحّ روايةً من النسخة المطبوعة واضبط منهــا عبارةً ومن قابل بين الاثنتين علم اختلاف الروايات وصعوبة الوقوف على الصحيح منها كما قال حضرة الاب لويس شيخو السابق الذكر

والنسخة المذكورة خالية من اسم ناسخها وتاريخ نسخها بل ان صفحاتها خالية من الاعداد ايضاً(١ شأن الكتب الخطيّة القديمة. والراجح انها من المخطوطات التي يرتقي عهدها الى القرن الخامس عشر. والغالب على الظنّ ان ناسخها ليس بحلبيّ بل من جهات ما بين النهرين كما يظهر لكل مطلع على الخطوط العربيّة (٢. هــذا ما رأيتهُ حريًّا بالذكر من وصف النسخة المذكورة فيحسن بي ان آتي على حلّ شكالات مجلّة المشرق الخطيرة (٥ : ٣٤١) في مؤلف هذا الكتاب النفيس فاقول

*

ارتاب صاحب المشرق الانور كما ارتاب قبلهُ بعض علماء المشرقيَّات في صــاحب كتاب دفع الهمّ هل هو ابن شينا ام ابن العبري. وقد حملهُ على الريب في ذلك اسباب منها انهُ لا يعرف نسخة قديمة من هذا الكتاب سبقت عهد ابن العبري. ولا ريب في ان الاطلاع على مثل تلك النسخة العهيدة (٣ لمّا يحل مشكلًا كبيرًا ولكنَّ ساء الحظُّ الزمن وخان الجدّ العاثر عن التوصل الى المبتغى فسحقًا لنوائب الزمان وجوائحهِ وقلّة الحرص والعناية كم ذهبت بكثيرٍ من آثار رجال المشرق المشاهير حتى انك ترى تآليف عديدة لا ترتقي نُسَخُها الى عهد مؤلفيها حتى تآليف المتأخرين منهم فبات اهل البحث يروون بالطلّ لا بالمطل ويستعينون على درك الحقيقة بالاستدلال

فان استسلمتَ الى حكم الضرورة وراعيتَ طرق الاستدلال الآتية علمتَ انَّ ايليَّا النصيبيني هو الواضع الاوَّل لكتاب دفع الهمّ

امَّا القول بان نسخًا خطيَّة من الكتاب في باريس ولندن واكسفرد تنسبهُ الى ابن العبري لا الى ابن شينا. فهذا القول مع الاعتراف باشكالهِ يزيلهُ القول ايضًا: بان نسخًا عديدة من الكتاب في حلب واكسفرد ورومة تنسبهُ صريحًا الى ابن شينا لا الى ابن العبري. فهل يُعدّ اتفــاق هذه النسخ العديدة على تلك النسبة الصريحة من

١) يؤخذ عن حاشية باللغة الايطالية ان النسخة المذكورة كانت في مكتبة الآباء اليسوعيين القدماء في حلب فعلّم احدهم صفحاتها بالاعداد الافرنجية

٢) يوجد نسخة أُخرى من الكتاب تُنسب الى ايليَّا النصيبيني المذكور في خزانة كتب اخويَّة الرجال المارونية الحلبيَّة على ما انبأ بهِ كاتب قائمتها

٣) امَّا نسخة المكتبة البدلانية (المشرق ٥ : ٧٣٧) فقد اصاب الاب لويس شيخو بارتيابهِ في تاريخها لان ناسخها ابن الرومي لم يتجاوز العصر السادس عشر

الامور العرضيَّة ام من الامور السهلة الحدوث ؟ ذلك ليس من الامرين في شيء على ما ازعم. ثم هل يُخال ان النسَّاخ المتبايني الزمن والوطن والجنسيَّة يمكن ان يتواطأُوا على نسبة الكتاب زورًا الى ابن شينا ؟ وماذا حملهم على هذا التواطؤ ؟ ليس من داعٍ لذلك على ما اظنُّ فان افاد اجد بداعٍ من مثل هذه الدواعي لا احجم عن شكرهِ جهد الطاقة

فاذن قد اصاب الاب الفاضل لويس معلوف اليسوعي كلَّ الاصابة بقولهِ (ص ٧٣٨): « ان ابن العبري اتى على هذا الكتاب وزاد عليهِ ما ينطبق على مقصد ايليًا النصيبيني (من جَعْل الكتاب ثلاثة اجزاء) فاخذ القوم ينسبون الكتاب اليهِ ويذكرونهُ في عداد تآليفهِ (دون التصريح باسم الواضع الاوَّل) من باب ادخال الكلّ في حكم الاكثر اه » وعند هذا يندفع ذلك الاشكال والاشكال الثالث وهو: وجود اسم الكتاب في قائمة كتب ابن العبري التي الَّفها اخوهُ برصوما بعد وفاتهِ. ويزول ايضًا ارتياب العلماء المستشرقين واختلافهم في هذا الشأن

واما الاشكال الآخر وهو: ان اسم الكتاب لا يوجد في جملة تآليف ايليًا النصيبيني وفي قائمة كتبهِ التي سردها... عبد يشوع الصوباوي. فهو ولا ريب مشكل عسير ولكنَّهُ يُحلّ ايضًا اما بالسهو واما بعدم الاطلاع ولا عجب ان سها عبد يشوع عن نظم الكتاب في سلك تآليف سلفهِ النصيبيني وقد عاش بعدهُ بنحو ثلاثة اجيال أو لم يَنسَ برصوما المذكور عن ذكر رسالة النفس في قائمة تآليف شقيقهِ ابن العبري (١ مع انهُ شقيق ومعاصر معًا

ولا يبعد عن الامكان عدم اطلاع عبد يشوع على الكتاب اذا راعيت قلَّة النسَّاخ وندرة الكتب الخطيَّة وكساد بضاعة العلم في تلك القرون الوسطى فلا يبعد ان يفوتهُ هذا الكتاب فقد فاتهُ كثير من تآليف القدماء وما استدركهُ عليهِ العلَّامة السمعاني وما خطَّاهُ بهِ في كثير من المسائل خير برهان على ما أدَّعي فتبصَّر (٢

١) راجع المشرق (١: ٥٠٦ و ٧٤٥)

٢) وممَّن نسبوا كتاب دفع الهمّ لإيليًا مطران نصيبين القس صليبا بن يوحنَّا النسطوري من كَتَبة القرن الرابع عشر قال في زياداتهِ على كتاب اخبار بطاركة المشرق لعمرو بن متَّى (طبعة الاب جسمندي ص ٩٩): « وفي ايامهِ (ايليًا الاول) استناح الاب القديس مار ايليًا مطران نصيبين المعروف بابن السنّي صاحب كتاب المجالس وكتاب دفع الهمّ والتراجم... » ل. ش

واماً الاشكال الاخير وهو: ان في مقدَّمة الكتاب ما يدلّ على انهُ . . . يقسم الى ثلاثة اجزاء الخ . فارى انهُ لا يندفع الّا بهذين الوجهين وهما اماً القول بان ابن شينا لم ينجز سوى الجزء الاوَّل من الاجزاء الثلاثة كما افاد الاب لويس معلوف الآنف الذكر . واماً القول بان التقسيم واقع على كل باب من ابواب الكتاب واليك البيان شيئاً فشيئاً

*

ان ابن شينا قد جعل مدار كلامهِ في كتابهِ على (اقوى الفضائل الدينيَّة) وهي (ستُّ فضائل) وعلى (اقوى الفضائل العقليَّة) وهي (ستٌّ) ايضاً وافرد لكل منها باباً اورد فيهِ (من اقاويل القدماء وآداب الحكماء ومواعظ العلماء ما يبعث على اقتناء تلك الفضيلة واجتناب الرذيلة المضادّة لها) وهذا مُجمل الكتاب كما يظهر من استقرائهِ بادنى تأمل . ثم يقول بعد هذا في مقدمتهِ ما حرفهُ : « واجعل الكتاب ثلاثة اجزاء : الجزء الاوَّل منهــا اضمّنهُ وصف الفضائل المقدّم ذكرها المعينة على دفع الهمّ . والجزء الثاني اضمّنهُ من المواعظ والآداب والاقاويل المفيدة مماً يعين المقتدي بها على اكتساب الفضائل المعينة على دفع الهمّ . (١ الخ » وهذا ما في الكتاب كلّهِ . ثمّ يتبع ذلك بقولهِ : « وتشمل (اي الاجزاء الثلاثة) على اثني عشر باباً » (٢ وهذه هي ابواب الكتاب كلّها

والذي يزيد الامر بياناً هو انك اذا طالعتَ مثــلًا الباب الاوَّل تراهُ يأتي في مطلعهِ على وصف فضيلة الديانة ومنقصة المعصية (ص ٨ وما يليها من النسخة المطبوعة) وهكذا يصنع في سائر ابواب الكتاب وهذا هو الجزء الاوَّل كما رأيتَ . ثم يورد بعد هذا (من المواعظ والاقاويل الواردة في ذلك) كآي الكتاب المقدَّس وحكَم فيثاغورس

---

١) تروى هذه الفقرة في النسخة المطبوعة هكذا : « واجعــل الكتاب ثلاثة اجزاء . الجزء الاوَّل منها اضمّنهُ وصف الفضائل المتقدّم ذكرها والمواعظ والخطب والاقاويل المفيدة فيما يعين على اقتنائها . والثاني اضمّنهُ من الاخبار والقصص ما يعين المقتدي بها على اكتساب هذه الفضائل الخ » ولا يخفى ما في عطف (المواعظ) على سابقها من القلق والتشويش وهذا مع ما تراه في المتن يثبتان صريحاً ان النسخة التي بيدي اصحّ رواية من النسخة المذكورة فتأمل

٢) هذه العبارة ساقطة من النسخة المطبوعة

وسولون وأُوميرس وميتَندروس وسقراط (ص ١٠ وما بعدها) الى غير ذلك (مما يعين المقتدي بها على اكتساب) فضيلة الديانة. وهكذا يفعل في كل ابواب الكتاب وهذا هو الجزء الثاني كما علمتَ. ثم يعقب ذلك بما يورده عن الاعرابي وعن بعض النسّاك وعن كسرى انوشروان و بزر جمهر (راجع الصفحة ١٨ و ٢٠ و ٢٢) الى غير ذلك «من حيل اهل الفضل والعلم والذكاء» وهكذا يصنع في سائر ابواب الكتاب حاشا باب التوبة وهذا هو الجزء الثالث كما مرَّ بك آنفًا (١. وبناء عليهِ يكون الكتاب تامَّ الوضع في الاصل كما صدر من قلم مؤلّفهِ النصيبيني من حيث لا يمكن ان يتصوّر ان النسّاخ يسقطون من كتاب جزءين كبيرين مهمّين كما هو الحال في الكتاب المبحوث عنهُ فلا بُدَّ من القول ان الكتاب الواحد غير الثاني او الثاني اوسع من الاوَّل او بالتالي ان ابن العبري اخذ عن ابن شيثا وزاد فنسخ النسّاخ كما رأوا في الكتابين

واما ما جاء في النسخة المطبوعة من ان الجزء الثاني يتضمّن «من الاخبار والقصص ما يعين المقتدي بها الخ» فهو مدخل على كتاب النصيبيني بلا ريب لخلوّ بعض النسخ منهُ وهذا يثبت اثباتًا واضحًا ان ابن العبري اتى على الكتاب او انتحلهُ فزاد الجزءين الاخيرين او تمّمهُ بهما كما هو ظاهر

هذا وليس العجب في نسبة الكتاب الى رجل كابن العبري طبّق صيتهُ المشرق كلّهُ وفاق اهل عصرهِ بتآليفهِ العديدة الغرّاء بلا منازع وانت تعلم ان من طبع الناس ان ينسبوا الى من عُرف بالمحامد والفضائل في عصرهِ كلّ حمد وفضل عُرفا لغيرهِ بل العجب في نسبتهِ الى ابن شيثا وهو دون ذلك شهرة وهذا مما يحمل على الاعتقاد بان النسبة ليست بمزوَّرة بل ليست بعارية عن شبه الحقيقة على الاقل. وعلى كل حال فما اوردتهُ من مثل هذه الاستدلالات ان لم يفد القطع بالامر فلا اقلّ من انهُ يفيد الترجيح ولكنهُ يعين على التوصل الى اجتلاء الحقيقة عن محضها فتأمّل

فان لم ينجلِ وجه الريب بما تقدَّم ايرادهُ استلفت انظار كتبة المشرق المجوّدين الى

١) نعم ان المؤلف لم يصرّح بهذا الجزء الثالث ولم يعينهُ كما صرّح بالجزء الثاني وعيّنهُ بل ادمجهُ بسابقهِ او رصعهُ ببعض اقوال اهل الفضل والعلم الخ ولكنهُ يظهر صريحًا كما سترى

المقابلة بين الكتاب وتآليف ابن شينا العربيّة وتآليف ابن العبري العربيَّة فان هذه تُعدّ القائد الامين في حلّ الاشكال وعندها تسطع الحقيقة بكل ضيائها. واني في الختام اثني على صاحب المشرق الاغرّ بلسان اهل البحث كافةً لنشره مثل هذه المباحث الجامعة بين اللذة والفائدة لعموم القرّاء الكرام

هذا ما عنّ للخاطر القاصر اوردتهُ بكل التدقيق سعياً وراء الحقيقة لا تنديداً باحدٍ من الناس ولا تخجيلًا لآخر فان كنت اصبتُ فيما تحرّيتهُ فغاية المرام والّا فالعصمة لله الواحد العلاّم والسلام

شهيدان سوريّان

نظرٌ للاب لويس جَلابَرْتْ اليسوعيّ

قلّما نجد بين اقطار الشرق بلاداً كسوريَّة امتازت بآثارها الدينيّة. فلا نكاد نخطو خطوةً الّا نعثر على بعض المآثر التي تنبئ برسوخ قدم النصرانيّة في هذه الاوطان مدّة الاعصار الخالية. ولنا على ذلك احسن شاهد في اوليــاء الله الذين اورثوا بلادنا فخراً عظيماً وخلّفوا من بعدهم اطيب ذكر

ومصداقاً على هذا القول احببنا ان نبحث عن ترجمــة شهيدين قديسين ماتا في سبيل الايمــان في سوريَّة فانتشر اسمهما في الشرق الى اقصى حدودهِ وبلغ الاصقاع الغربيَّة حتى عمّ بلادها جمعاء . والشهيدان المذكوران هما القديســان سرجيوس (سركيس) وباخوس من شهداء القرن الثالث (١ وعيدهما تقيمهُ الكنيسة في اليوم السابع من الشهر الجاري اي تشرين الاول

*

كان سرجيوس وباخوس ضابطين يخــدمان القيصر الرومانيّ مكسيمينوس غاليريوس في كتيبتهِ المعروفة بفرقة الغرباء (schola gentium). وكانا قد ابليا البلاء

١) نقلنا هذه الترجمــة عن اصدق المؤرخين الذين كتبوا اعمال الشهيدين. وفي تراجم البولنديين خمسون صفحة ضخمة راجعناها فاخذنا منها زبدها

الحسن في الحرب التي اصلاها الرومان على الفُرس (١ سنة ٢٩٧ فحظيا عند القيصر ونالا من نعمهِ نصيباً فجعل سرجيوس ضابطاً اوّل (primicerius) وباخوس ضابطاً ثانياً تحت امرهِ (secundarius)

واعلم ان الكتبة الذين افاضوا في ذكر استشهاد هذين القديسين ضربوا صفحاً عن اصلهما ولم يفيدونا عن اعمالها الّا النزر القليل. ومن المرجَّح انَّهما كانا من أسرةٍ شريفة متمتِّعين بالحقوق المدنيَّة الرومانيَّة ولولا ما تزيّنا بهِ من السجايا الفريدة لما اصابا عند القيصر مكسميان الاثرة والحظوى. بيد ان هذه الزُّلفة عند الملوك لم تلبث ان تحوَّلت فصارت عليهم وبالًا. فانَّ بعض الحسَّاد اذ رأوهما في هذه الرتبة الرفيعة سعوا بهما الى القيصر سيّدهما ورموهما بالكفر لامتناعهما عن عبادة الاصنام فاستدعاهما الملك وعرض عليهما السجود للطواغيت وتقدمة الذبائح لآلهة المملكة فلم يجيبا الى طلبهِ هاتفين: « ان لنا ملكاً ازليًّا هو المسيح ابن الله فايَّاهُ نعبد لا الخشب والحجارة ولهُ نقرّب كل يوم ذبيحةً مقدَّسةً حيَّةً ». ولمَّا لم يجد الطاغية وسيلةً من وعد او وعيد من تمليق او تهديد ليثني الضابطين عن عزمهما استشاط غضباً وامر بان تُنزع عنهما شارات رتبتهما العسكريَّة ثم البسهما لباس النساء ازدراء واحتقارًا واثقلهما بالحديد

وكان مكسيميان غاليريوس شديد البغض للنصرانيَّة ينكّل باصحابها ويذيقهم الموت الوانًا. لكنَّهُ لم يجسر ان يوقع بخادمين امينَين بذلا الروح دونهُ وأخلصا لهُ الولاء في الجنديَّة ولعلَّهُ تخوَّف من شغبٍ يقع في عسكرهِ اذا ما حكم عليهما بالموت فالتجأ الى ضروب التهويل والتلطُّف لكنَّهُ وجد بهما بطلين صنديدين لا تعمل بهما المخاوف والمواعيد

فعهد حينئذٍ بامرهما الى قائد الجيش انطيوخوس وكان معروفاً بفظاظة طباعهِ وشراسة اخلاقهِ فضلًا عمَّا كان في قلبهِ من الحزازات على النصارى. فامر للحال بأن يُؤتى بباخوس فجُرِّد من ثيابهِ وأُلقي على ظهرهِ وضُرب بالسياط ضربًا مبرّحاً اجرى دماءهُ سيولًا وكان الشهيد مع ذلك لا يفوه ببنت شفة حتى ولم يُسمع لهُ صوت انين وبقي على ذلك حتى لفظ روحهُ البارَّة بين يدي خالقهِ. امَّا جثَّتهُ الطاهرة فطرحها المتصبون في بالوعة لكنَّ بعض الجند المتنصرين تمكَّنوا من استخراجها فدفنوها

(١ راجع P. Allard: *Hist. des persécutions*, T. IV p. 113-114 en note

بمزيد الاكرام .وقد ظفر باخوس باكليل الاستشهاد في مدينة بَرْبالسة المعروفة اليوم ببالس

امَّا سرجيوس فكان ينتظرهُ جهاد اعظم من رصيفهِ في الجنديَّة واخيهِ في الايمان فاعدَّ نفسهُ بالصوم والصلاة لما كان يتوقَّعهُ من المحن . فلمَّا وصل الجيش الروماني الى مدينة سورة (الحمَّام) استحضر القائد سرجيوس وطلب منهُ ان يجحد ايمانهُ فاجاب برصانة وحزم : « لستُ فاعلًا فاصنعوا بي ما شئتم » . فتقدَّم انطيوخوس الى عمَّالهِ ان « اجعلوا في رجلهِ حذاء ذا مسامير محدَّدة واكرهوهُ على ان يجري امام مركبتي مسرعاً » . فمشى على هذه الحالة مسافة عشرين ميلًا حتى بلغ مدينة تدعى تِترابرغيا . فاخذ العجب انطيوخوس لرباطة جأش الشهيد وصبرهِ على مرّ النكال واظهر لهُ بعض الاسف على اوجاعهِ فاجابهُ : « اني لا اشعر بالم البتَّة وانَّما عذاباتكم لديَّ احلى من شهد العسل » . فنسب القائد هذا الكلام الى العناد والتعنُّت وامر بان يُساق سرجيوس الى الموت . فسار الى محلّ العذاب وهو يتهلَّل فرحاً اذ اهَّلهُ الله لان يُهريق دمهُ لاجل اسمهِ . ثم صلَّب على وجههِ ومدَّ عنقهُ لسيف الجلَّاد . وكان موتهُ في مدينة رصافة حيث دُفن فدُعيت البلدة مذ ذاك باسمهِ سرجيوبوليس . والى مدفنهِ نُقل بعد قليل جسم باخوس رفيقهِ ليضمَّهما قبر واحد كما اجتمعا في الايمان والجهاد

*

عاد مكسيميان غاليريوس بجنودهِ الى الغرب ونسي الضابطين اللذين ضحاهما لدينهِ الباطل لكنَّ الله لا ينسى اولياءهُ فما مرَّ على استشهاد سرجيوس وباخوس زمن قليل حتى اخذت جماهير المتنصرين تُيمّم مشهدهما وتتبرَّك باستلام ضريحهما حتى شاع اسمهما في كل بلاد الشام . وممَّن دوَّنوا ذلك في تواريخهم تاودوريطس اسقف كورش من كتبة القرن الخامس (١ فانهُ يذكر توارد الزوَّار منذ قديم العهد الى ضريح الشهيدين لاسيَّما يوم عيدهما الذي كان يضاهي اعياد الرسل الحواريين بطرس وبولس وتوما رونقاً

وممَّا يثبت نموّ عبادة المؤمنين نحو القديسين سرجيوس وباخوس انَّ خمسة عشر اسقفاً اجتمعوا في ذلك القرن واخرجوا ذخائر الشهيدين ليجعلوها في معبد واسع اقيم على ذكرها بلغت نفقاتهُ ٣٠٠ مثقال ذهب

ومن ذلك ايضاً رسالة الاسكندر اسقف منبج كتبها سنة ٤٣٢ الى الملكة

١) راجع كتابهُ في معالجة ادواء الوثنيين (ك ١ ف ٩)

اودكسيا امّ تاودوسيوس الصغير يشكو اليها تعدّي بطريرك انطاكية على حقوقهِ بخصوص كنيسة الشهيدين سرجيوس وباخوس. وهذا الخصام دليل كافٍ على عظم شأن هذه الكنيسة وتقاطر المؤمنين اليها مذ ذاك العهد العهيد

ولم تنحصر عبادة القديسَين في محلّ استشهادهما بل شرع المؤمنون يشيّدون على اسمهما مشاهد وكنائس في انحاء شتى كما استدلّ على ذلك ارباب العاديّات. منها مشهد (ἱερόν) في البثنيّة في قرية الحتّ (Eitha) التابعة لشهبه (Philippopolis) وقد وجد العلّامة وادنغتن (١ الكتابة التي كانت على باب هذا المقام. ومنها كنيسة في جهات الصفا (٢ بُنيت سنة ٥١٧ م وأُخرى في حوران في دير القاضي عند بصرى الحريري (٣

وممّا زاد في نشر اسم الشهيدين ما صنعهُ الله على يدهما من المعجزات العديدة والآيات الجليلة ذكر المؤرخون بعضها. منها ما رواهُ نيقيفور كالستوس في تاريخهِ الكنسي (ك ١٥ ف ٢٣) عن احد الموسويّين كان سعى بهِ اعداؤهُ ظلماً فنسبوا اليهِ الشغب والمكيدة على الدولة وحكموا عليهِ بان يُحرَق مع ولديهِ فلم يرَ المسكين لنجاتهِ وسيلة الّا ان يستغيث بالقديس سرجيوس طالباً اليهِ ان يذكّيهُ من هذه التهمة وينجيهُ من النيران الملتهبة. فما ختم صلاتهُ حتى ظهر فوق النار فارسان اخمدا سعيرها على اعين الشعب وخلّصا المظلومين فهتف الشعب صارخاً: «واعجباهُ. فليحيَ سرجيوس وباخوس» امّا اليهودي وولداهُ فعظّموا الله في قدّيسيهِ واصطبغوا بالعماد واقاموا للشهيدين كنيسةً حيث صارت المعجزة وتولّوا سدانتها طول حياتهم (٤

وممّن متّعهم الله بشفاعة القديسين سرجيوس وباخوس الملكان يوستينوس ويستنيانوس فانهما اذ كانا قاندين لانسطاس الملك حُكم عليهما بالقتل فاستشفعا بحماية الوليّين فتراءيا للملك وامراهُ باطلاق سراح القاندين فامتثل امرهما. امّا القاندان فعرفا للشهيدين هذه النعمة وشيّدا كنيسةً على اسمهما في اشقودرة (٥. ولمّا صار زمام الملك الى يدَيْ يستنيان ابتنى لسرجيوس وباخوس بيعةً غاية في الجمال كبيعة الرسولين

١) راجع كتابهُ Inscriptions grecques et latines de la Syrie, n° 2124

٢) W. n° 2477 ٣) W. 2412

٤) راجع كلستوس (Nicéphore Calliste: *Hist. Eccl.* l. XV, c. XXIII)

٥) راجع المورخ زوناراس (Zonaras: *Annales*, l. XIV, c. IV)

بطرس وبولس وشيَّد ديرًا على اسمهما في عاصمتهِ ونقر في فلسطين بئرًا لرهبان دير مار سرجيوس واقام معبدًا لهما في عكّا واغنى كنيستهما في رصافة بمواهب جزيلة منها صليب ذهبيّ كبير القيمة (١

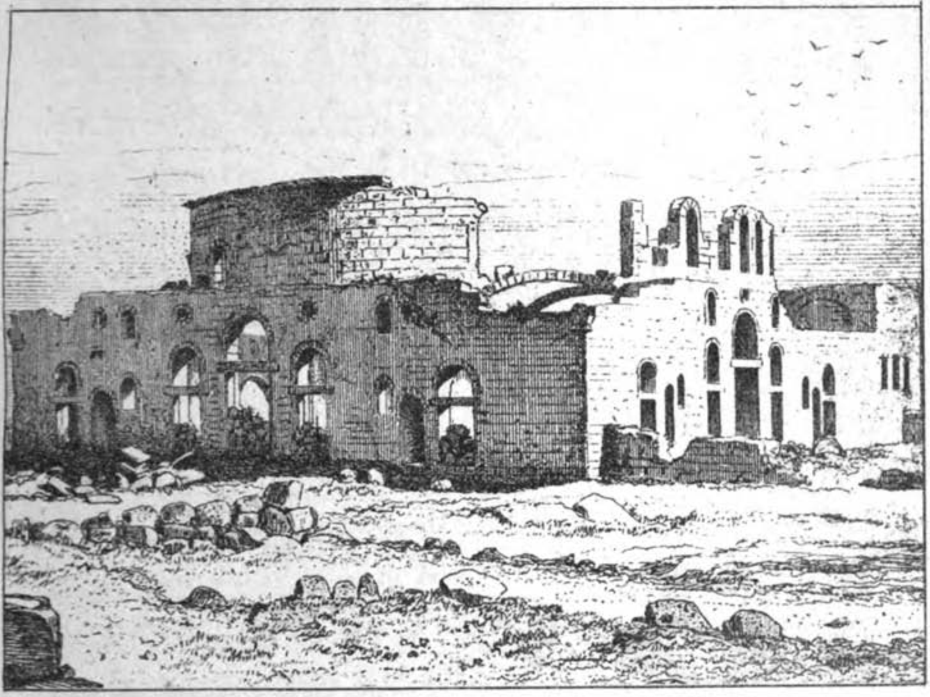
وقد شعرت مدينة رصافة المذكورة غير مرّة بشفاعة القديسين سرجيوس وباخوس وخصوصاً لمَّا حاصرها كسرى ملك الفرس بجيوشهِ وكاد يفتحها ولم يكن فيها من الجند من يحميها فظهر على صور المدينة جيشٌ من الفرسان والجند رموا الفرس بالسهام وردُّوهم خائبين (٢

فكان لكلّ هذه العجائب رنّة واشتهار حتى بلغ ذكرهما كلّ العالم المسيحيّ فشُيِّد لهما معابد ومقامات واديرة في اقطار الارض جمعاء منها كنيسة مار سرجيوس في العراق وكنيستهُ بقرب نصيبين سنة ٦٢٨ . ومنها كنائسهما في بلاد ايليرية (روملي) وبلاد مصر . بل انتشرت العبادة نحوهما في كلّ بلاد غالية كما شهد على ذلك المؤرّخ غريغوريوس من طور (٣ في اخبار زمانه (٥٣٩—٥٩٣) وممَّا روى ان الملك غُندبو (Gondebaud) كان يحمل على صدرهِ اصبعاً من ذخائر القديس سرجيوس في حروبه . ومن آثار هذا التعبُّد ديرٌ بناهُ في فرنسة الملك كلوفيس الثاني في القرن السابع على اسم الشهيدين السوريين نما وزها مدَّة اعصار متوالية لاسيَّما اذ اتاهُ قسمٌ من ذخائر القديسين في سنة ١١٥٢ فمنح الكرسيّ الرسوليّ غفارين ليوم عيدهما وكان يُحتفل بهِ كلّ سنة احتفالًا بهيجاً . وكذلك كان يُعيَّد لهما في مدينة طور عيدٌ في كنيسة القديس مرتينوس شفيع البلدة على حسب منطوق براءة البابا بولس الثاني سنة ١٤٦٩ . ولم تتأخَّر باريس عن اكرام القديسين فكان لهما كنيسة في حيّ سان جاك . امَّا رومية العظمى فكانت تكرّم الشهيدين سرجيوس وباخوس في اربع من كنائسها او اديرتها . وترى حتى الآن مدينة البندقيَّة تقيم لذكرهما عيدًا سنويًا يرتقي في سلَّم الاعصار الى سنة ٨٥٠ وكذلك عاصمة بوهيمية مدينة براغ التي اهداها ملكها كارلوس الرابع ذخائر من عظام الشهيدين

١) راجع بروكوبيوس (Procope : *de Ædificiis*, l. I. c. IV)

٢) راجع افاغريوس (Evagrius : *Hist. Eccl.* IV. 28)

٣) راجع تاريخهُ Grég. de Tours : *Hist. des Francs* l. VII. c. 31 وكتابهُ *De gloria Martyrum*. l. I. c. 97



اخربة كنيسة الشهدين سرجيوس وباخوس في بصرى (حوران)

امَّا بلادنا السوريَّة فانَّ بقايا ذكر القديسين سرجيوس وباخوس فيها كثيرة كالكنائس والاديرة وغير ذلك منها دير في ريفون للموارنة ودير شهير في معلولا للروم الكاثوليك (١ وكنائس أُخرى عديدة ذكرها السمعاني في المكتبة الشرقيَّة (٢. وقد ذكر العدد السابق من المشرق (ص ٩٠٩) كنيسة للقديس سرجيوس وباخوس في مدينة بصرى من اعمال حوران وممَّا يُستدلّ بهِ على ذلك قطعٌ وجدها الاب لويس شيخو في حمص من انجيل القديس لوقا مكتوبة باليونانيَّة على رقّ غزال نُزعت من كتاب كان يخصّ كنيسة هذين القديسين في سنة ١٣٤٤ والكنيسة المذكورة من اقدم كنائس النصرانيَّة بُنيت سنة ٥١٢ للميلاد (٣

١) راجع خزائن الكتب في دمشق وضواحيها (ص ١٥٨)

٢) راجع Assemani : *Bibl. Orient.* II 127, 358, 422

٣) راجع وادنغتون (W. n° 1915)

م .

مو. بردهم بفضائلهم وجهوده

سن تستعتبهم م الوا من الشاب الجزيل نن..

من رياق الى حماة

رحلة حديثة للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمة لما سبق)

ومما اطلعنا عليهِ في حمص من المخطوطات النصرانيَّة ثلاثة كتب خطَّهــا احد الملكيين في اوائل القرن الثامن عشر يحفظها اليوم حفداؤهُ كذخيرة في بيوتهم. والكتاب (الاول) يصونهُ الخواجا مرشد افندي سمعان يُدعى «الكافي في المعنى الشافي» وهو «مما اوردهُ البارّ الانبا جراسيموس رئيس دير القديس سمعان العجائبي وذلك في تثبيت دين النصرانيَّة القويمة الراي. فرغ من نسخـهِ في ٢١ تشرين الثاني سنة ٧٢٠٩ لآدم الموافق لعشرين جمادى الثاني من السنة ١١١٢ الهجريَّة (١٧٠٠ م) على يد يوسف بن عبد الله بن يوسف الملقب بالشدياق من قرية كفر حلدا من ناحية البترون من اعمال طرابلس الشام القاطن يومئـذٍ بمدينة حمص» وصفحات الكتاب ١٩٤ وفي آخرهِ «كيكلوس في معرفة الاشهر الروميَّة والعربيَّة وفي الاعياد المنتقلة في ثمانية عشر باباً». والكتاب الثاني نسخهُ يوسف بن عبد الله الشدياق المذكور سنة ٧٢١٨ لآدم (١٧٠٩ م) وهو يحتوي زبور داود ويصان في بيت المعلّم الفاضل نيقولا افندي اسكندر من وجوه كاثوليك حمص. والكتاب (الثالث) لدى احد انسبائهِ من بيت نسيم وهو كتاب في القواعد الشمسيَّة نسخهُ يوسف بن عبد الله المذكور ولم يذكر مؤلفهُ. في اولهِ مقدَّمة مفيدة لتاريخ النصرانيَّة في بلادنا نوردها بالحرف :

«نبتدي بعون الله تعالى وحسن توفيقهِ بنساخة القواعد الشمسيَّة وحساب الكيكلوس القمري لاجل عيد الفصح المجيد وسبب ذلك انهُ في سنة سبعة آلاف وسبعة واربعين (١٥٣٨م) وقع الخلاف بين جماعة الملكيَّة وجماعة الطوائف الاراطقة بسبب عيد الفصح المجيد لانَّ جماعة الملكيَّة المستقيمين الامانة عيّدوا في ستَّة ايّام من نيسان وظهر لهم الحقّ العظيم. واماً جماعة طوائف الاراطقة فانهُ كان على كنيسة القدس امين اسمهُ النقّاش وان جماعة الاراطقة برطلوه بالف دينار فاشعل للطوائف من القنديل. وكاتبُ الاحرف لمَّا اجتمع في قارا بسبب العيد وكان سبب الجمع

الاب السيّد البطريرك ميخائيـل الانطاكي (١ والاسقف يوحنًا اسقف يبرود واسقف صيدنايا ومطران بعلبكّ واسقف الزبداني ومن جميع البـلاد خوارنة وقسوس وشمامسة من جميع التورية الانطاكية اجتمعوا الى عند الاب السيّد البطريرك وما عرفوا ايش يمسكوا من الحدود الذي من المعاد الى مرفع اللحم وانّ المذكورين لمّا اشتبه عليهم الحساب سبب زود الدقائق الزائدة فارسلوا الى الشماس ابراهيم ابن العطنط في بيروت يختبروا منهُ فارسل يقول لهم: « وانا اختلف الحساب عليّ» وان الشيخ سليمان ابن العكيكة ارسل ورا التلميذ واحضرني الى عندهم وبرهنتُ لهم حساب الدقائق وزودها وجمعتُ لهم الزود الى سنة سبعة عشر وسنة ثمانيـة عشر وتسعة عشر تكون تجعل ايّام الخليقة سبعة حتّى صحّ لهم الحساب لانّهم لم يكونوا في زمان الاوّل يؤرخوا لنا سنـة الغلطة (٢ فما كان صار بين الطوائف خلف. وانّ التلميـذ حسبتُ لهم ان يرفّعوا في تسعة ايّام من شباط فرفّعوا جماعة الملكيَّة في ٩ ايّام من شباط وظهر لهم الحقّ والعيد في ٦ ايّام من نيسان وامّا بقيّة الطوائف فكانوا لهم جمعة النقيّة اوّل جمعة الصوم وصاموا جمعة الفصح الجيد. ولاجل ذلك اخذتِ التلميـذَ غيرةٌ واخرجتُ لهم من شبكة يوحنًا الدمشقي لا غير حساب من سنة سبعة الاف وسبعة واربعين الى سنة سبعة آلاف ومائتين وسبعة وثلاثين برهنتُ فيهـا في كم يكون فيها العيد العظيم وكم تكون القاعدة الشمسيَّة وكم يكون عدَّة صوم الرسل »

وهذا اوّل الحساب لترى طريقة المؤلف :

« ولمَّا كانت نسخة هذه الكراسة كان حساب ابونا آدم وصل الى سنة سبعة الاف واحدى وثمانين (١٥٧٣ م) كان كيكلوس القمر ١٣ والقاعدة ٣ ومرفع اللحم في ٢٥ كانون الثاني وفصح الناموس في ٢١ آذار والعيد الجيد في ٢٢ آذار وعدَّة صوم الرسل ٤٢ يوم — وسنة اثنتين وثمانين كيكلوس القمر ١٤ والقاعدة ٤ ومرفع اللحم في ١٤ شباط وفصح الناموس في ٩ نيسان والعيد في ١١ نيسان وصوم الرسل ٢٢ يوم . . . الخ »

وتاريخ نسخ الكتاب والقاب الناسخ كالكتابين السابقين

وقد أطلعنا ايضاً حضرةُ القس انطون عبد صمد على كتاب طقوس سريانيّ مع شروح بالعربية امَّا خطُّهُ فهو الخطّ المعروف بالملكيّ القريب للكلدانيّ والسطرنجيلي وهو يحتوي على الطروباريّات والقنداقات والارموسات والصلوات القانونيّة وقوانين الآباء التي كان يصلّيها الملكيُّون في شهر ايلول (٣. ولبعض هذه الصلوات السريانيّة علامات موسيقيّة كالتي وصفناها سابقاً في المشرق (٥ : ١٠٠٥). والكتاب المذكور يُحفظ الآن في مكتبتنا الشرقيّة. وفي آخر فرائض شهر ايلول ما حرفهُ وبهِ يُعرف زمان نسخ الكتاب

١) يريد البطريرك ميخائيـل السادس الذي جلس على كرسي انطاكية من سنة ١٥٢٩ الى ١٥٥٣ وهو اوّل من نقل كرسيّهُ الى مدينة دمشق

٢) قال مؤلف الكتاب: سنة الغلطة تدور دورةً كلّ خمسة وتسعين

(٣ وقد وصف جناب الاديب حبيب افندي زيات كتباً مثل هذا في كتابهِ المطبوع حديثاً عن خزائن دمشق ونواحيها

وكان الفراغ من هذا الكتاب المبارك وهو شهر ايلول نهار الاربعاء ثالث عشر من شهر آب المبارك سنة سبعة الاف واثنتين للعالم (١٤٩٣م) بيد العبد الخاطئ الذليل المسكين المحتاج الى رحمة السيّد المسيح يوحنا باسم قسّ وراهب ابن القس ابراهيم من مدينة قارا غفر الله له ولوالديهِ وهو يسأل ويتضرّع الى كلّ من يتأمل هذه الاسطر الحقيرة يسامحهُ بالنقص والغلط . . .

*

وفي مساء الثلاثاء ٢٣ ايلول ركبنا القطار سائرين الى حماة والمسافة بينها وبين حمص ٤٦ كيلومترًا يقطعها البخار في ساعة ونصف بنيّف وليس بين المدينتين محطّات مهمّة اللهمّ الّا تلبيسة تكثر فيها الغلّات ومن خواصّ هذه القرية انّ بيوتها مستديرة في اسفلها محدَّدة الرؤوس على شبه اقراص السكّر. ثمّ تمرّ السكة في بطائح ووهاد وتعبر نهر العاصي وتسير في اراضٍ كثيرة المرافق طيّبة التربة الى ان تبلغ بعد العشيّ محطّة حماة وموقعها فوق ربوة تشرف على المدينة

وكان نزولنا في السعة والرحب في دار حضرة الخوري الفاضل الغيور الاب الياس مصري السريانيّ وجناب اخيهِ يوسف افندي

وفي صباح الغد تفرّغنا لزيارة المدينة وآثارها. وحماة مع ما اصابها من نكبات الزمان لا تزال مدينةً كبيرة من حواضر الشام يتجاوز عدد اهلها ٦٠ الفًا ولعلّهُ يقرب من ٨٠٠٠٠ اكثر من ثلثيهم مسلمون والباقون روم اورثذكس وسريان يعاقبة مع قليل من الكاثوليك. وحماة مدينة نزهة رائعة الجمال حسنة الموقع مبنيّة على منعطف ضفّة العاصي الشرقيّة بين قلّتين منتصبتين متوازيتين تعرفان بقرني حماة والبساتين تطيف بها وتحفّها بمنطقةٍ بديعة من الخضرة والاشجار ونهرها العاصي يشقّها جاريًا حولها شمالًا وشرقًا وعليهِ عدّة نواعير تسقي بساتينها تبلغ دائرة بعضها ستين مترًا بنيّف. وعلى النهر اربعة جسورة. وقسمٌ من البلد مبنيّ على ربوة تُعرف بالعالية او الطيّارة موقعها جنوبيّ شرقيّ المدينة. ومن احيائها تلّ القلعة شمالًا وحيّ الباشورة شماليّ شرقيّ البلدة وحارة الشيخ عنبر العبد على ضفّة العاصي الشماليّة وحارة الشيخ محمّد الحورانيّ. امّا النصارى فلهم شماليّ غربيّ المدينة ثلاث حارات الدهّان والحوش والميدان. وفي المدينة نيّف واربعون جامعًا او مسجدًا اعظمها الجامع الكبير يرتقي عهد بنائهِ الى زمن الرومان. وبيوت حماة رحبة في وسطها الدار والايوان يحدق بها غرف مختلفة الكبر. وربّما وُجدت في الدار بركةٌ يجري اليها ماء نهر العاصي وتظلّلها الاشجار

وحماة بسبب نهرها كثيرة الخيرات رخيصة الاسعار رائجة الاسواق ولا شكَّ انَّ السكَّة الحديديَّة تفتح لتجارتها باباً واسعاً لتنقل غلَّاتها الى سواحل الشام ومنهـا الى البلاد الاجنبيَّة

ومن غلَّاتها المشهورة قمحُها الجيِّـد الكثير الطلب. وفيها الذرة والشعير والسمسم وانواع الحبوب والبزور من عدس وحمص وغير ذلك. ولها المنسوجات الحريريَّة والقطنيَّة اشهرها المناشف الخاصَّة بها. وعدد انوالها يبلغ ثلاثة آلاف نول يربح منهـا اهل حماة نحو الف الف فرنك. وفيها الفواكه الكثيرة الطيِّبة

وليس في حماة آثار باقية تُذكر. وممَّا زرناهُ كنيسة الروم وهي قديمة العهد يُنزل اليها بدرج لارتفاع الارض من حولها بعد كرور الادهار وهي مبنيَّة على الطرز القديم كبيع الشرق في القرن التاسع والعاشر. وقسمٌ منها كان يصلي فيهِ سابقاً السريان اليعاقبة وهو اليوم محلّ النساء. وعلى احد مذابح هذه الكنيسة كتابة يونانيَّة قديمة كُتبت سنة ٩٠٧ للسلوقيين اعني ٥٩٦ — ٥٩٧ للمسيح يطلب فيها مارا وقزما مقيما المذبح صلاة المؤمنين(١). وكذلك كتابة أُخرى يونانيَّة ذهب معظمها في الدرج المقابل للكنيسة

ومن آثار حماة قلعتها وهي اليوم عبـارة عن تلّ من الرمل والتراب المرصوص تتَّسع افناؤهُ في اعلاه فيمتدّ البصر منهُ الى كلّ جهات المدينة حتى اقاصي الافق. وكان هذا الحصن حريزاً في سابق الزمان واعطافهُ مفروشة بالبلاط كقلعتي حمص وحلب وفوقهُ الابنية المنيعة لردّ الاعداء وكان حولهُ خنادق عميقة يبلغ ارتفاعها نحو مئة ذراع. امَّا تاريخهُ فيرتقي الى الوفِ من السنين والمرجَّح انَّ اسم حماة مشتقٌّ من اسم القلعة. وحماة باللغات الساميَّة الحمى والحصن المنيع

وما لا ريب فيهِ انَّ حماة من اقدم مدن العالم تكرَّر ذكرها في كتب موسى النبي وبقيَّة اسفار العهد القديم وربَّما دُعيت هنـاك חמת רבה اي حماة الكبرى دلالةً على عظم شأنها ومقابلة بينها وبين حصون أُخرى اصغر منها. امَّا مدخل حماة فالارجح انهُ اوَّل سهل البقاع لاتِّصالهِ بحماة

واوَّل من سكن حماة قبائل من بني كنعان ثمَّ صارت الى دول شتَّى من حثيين ومصريين واشوريين وفرس ويونان ورومان وعرب. وفي حماة اكتُشفت الخمس

(١) راجع المجلّة الفلسطينية (ZDPV, VII, 124)

الكتابات الاولى الحثيّة المعروفة اكتشفها الرحّالة بُركهَرْت (Burckhardt) سنة ١٨١٢ ثمَّ وجد منها في امكنة أُخرى (راجع المشرق ٥ : ٧٦٠) وهذه الكتابة سرُّها مجهول حتى الآن وهي تشبه في طريقتها التصويريَّة الكتابة المصريَّة المعروفة بالهيروغليفيَّة الّا انها ناتئة

وفي أيام اليونان دُعيت حماة « ابيفانية » باسم الملك السلوقي انطيوخس الرابع ابيفانوس (الشهير) ولمَّا قُسم اقليم سوريَّة الى سوريَّة الاولى وسوريَّة الثانية دخلت حماة في سوريَّة الثانية تحت حكم افامية . ودخلت فيها النصرانيَّة منذ القرون الاولى بعد الميلاد . واوَّل اسقف ذكر لها يدعى موريقيوس ممَّن شهدوا المجمع النيقويّ . واشتهر في القرن الخامس اسقفها قزما الذي حرم ساويرس البطريرك الدخيل . ثم ازهرت النصرانيَّة في جهات حماة وبُنيت الاديرة العظيمة التي لا يزال بعض آثارها موجودةً حتى اليوم

وفتح العرب حماة سنة ٦٣٩ م (١٧ هجريَّة) على يد ابي عبيدة وحصَّنوها واتَّخذوا لها سورًا يُرى شيء من بقاياهُ حتى الآن على انَّ الزلازل توالت على حماة واخربتها مرارًا وخصوصاً في سنتي ٨٦٦ و ١١٧٠ . وممَّن استولى على حماة السلطان صلاح الدين يوسف الأيوبي انتزعها من ايدي الفاطمية وصارت من بعدهِ الى فرع من دولتهِ الأيوبيَّة التي اشتهر منها الملك المؤيد اسماعيل المعروف بابي الفداء صاحب التاريخ المشهور ومصنّف تقويم البلدان . ثم دخلت في حكم الدولة العليَّة في ما دخل بعد فتح السلطان سليم الغازي سنة ١٥١٧ وهي اليوم مركز لمتصرفيَّة من ولاية سوريَّة

وقد خرج من حماة بعض مشاهير الرجال نخصُّ منهم بالذكر ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان وتقيّ الدين ابا بكر المعروف بابن حجَّة الحموي مؤلف خزانة الادب وثمرات الاوراق وغير ذلك

وممَّن اسعدنا الحظ ان نجتمع بهم الشيخ الفاضل محمَّد افندي الحريري مفتي حماة واحد ائمتها المعدودين فلقينا بهِ رجلًا واسع المعارف محبًّا للآداب . وكذلك حظينا بمواجهة بعض افاضل النصارى كصاحب العزَّة تامر افندي فرح احد وجوه حماة وحضرة الخوري مراد سويد وجناب الدكتور سليم الخوري والدكتور توفيق سلُّوم والمعلِّم باسيل افندي جباره وكلهم من رجال الفضل ممَّن يُستأنس برؤيتهم ويُقتبس من آدابهم

امّا الآثار الادبية والمخطوطات فانّنا لم نجد منها في حماة ما كنّا تأمله ولعلّ وقتنا القصير حال دون ذلك. وممّا تأكدنا انّ في كنيسة السيّدة للروم الاورثذكس صندوقًا مملوءًا من التآليف الخطّية كان ضابط مفتاحهِ غائبًا فلم نتمكّن من فحص آثارهِ. وكذلك بلغنا انّ بعض الفَعَلة وجدوا قبل سنين قليلة كتبًا نصرانية قديمة حجز عليها احد الخواصّ فلم يسمح لاحد بان يراها. وممّا افادنا بهِ الثقة انّ احد شيوخ النصيرية في جوار حماة اكتشف على توراة قديمة العهد مكتوبة بالخطّ الكوفي يضن بها ويواريها عن العيان

وكان وداعنا لحماة واهلها صباح الخميس ٢٥ تشرين الاوّل عائدين الى حمص فبيروت شاكرين الربّ على ما اولانا في هذه الرحلة من النعم

مطبوعات شرقية جديدة

Genuinæ relationes inter Sedem Apostolicam et Assyriorum Orientlium seu Chaldæorum Ecclesiam
cura et studio R^mi *Abbatis S. Giamil, Romæ* 1902, p. XLVIII - 648

المكاتبات الرسميّة بين الكرسيّ الرسوليّ والطائفة الكلدانية

انّ اساس تاريخ الطوائف المسيحيّة في المشرق ولاسيّما الكاثوليكية ما دار من المراسلات الرسمية بين الاحبار الرومانيين ورؤساء هذه الملل المختلفة لولاها لما استطاع الكتبة ان يستوفوا اخبار هذه الكنائس الشرقية. وقد شعر بذلك حضرة الاب العلّامة الفاضل صمويل جميل نائب غبطة بطريرك الكلدان لدى الكرسيّ الرسوليّ فراجع محفوظات الخزانة الواتيكانية وجمع من هذه الآثار نيّفًا ومئة وستين كتابة منها مناشير وبراءات ورسائل وصور ايمان وغير ذلك ممّا يستحق ان يُجعل كاصدق المصادر لتعريف احوال الكلدان النساطرة والكاثوليك منذ القرن الثالث عشر الى ايّامنا. وقد نشرها كلّها بنصها الكلدانيّ ونقلها الى اللاتينيّة واضاف اليها تعليقات وافادات تاريخية وجغرافية تضاعف قيمتها. فنثني على واضع هذا الكتاب الخطير ونتمنّى ان يقتفي باثرهِ كتبة جميع الطوائف الشرقية ليزيلوا جانبًا من الظلمات التي لا تزال تحجب تواريخ الامم النصرانيّة في الشرق

خزائن الكتب في دمشق وضواحيها

بقلم الكاتب البارع حبيب افندي زيّات

اطرأنا سابقًا في المشرق (٥: ٩٧) الجزئين الاولين من هذا الكتاب النفيس وقد وقفنا اليوم على جزئَيهِ الاخيرين وبهما تتمّتهُ. والحقّ يقال انَّ هذا القسم التالي ليس باقلّ جدوى ولا ادنى شأنًا من القسم السابق بل وجدنا فيهِ من نوادر المقتبسات وفرائد التعليقات ما زادنا اعتبارًا لمؤلفهِ وشكرًا على همّتهِ. ومدار الجزء الثالث من الكتاب على قرية معلولا وتاريخها ولغتها السريانية وذكر اديارها وكنائسها وآثارها الخطية لاسيَّما السريانية المكتوبة بالخطّ الملكي لخدمة الاسرار المقدّسة عند الروم الملكيين. أمّا الجزء الرابع فقد خصّصهُ صاحبهُ اثابهُ الله بيبرود وكنائسها ومعابدها وكتبها لاسيَّما وصف مكتبة السيّد الجليل فقيد رعيّتهِ المرحوم غريغوريوس عطا وقد كان جناب الكاتب يقدّر انهُ يجد فيها «من المصنّفات والجاميع الخطّية في العربيّة والسريانيّة التي كانت ابرشيتهُ ملأى بامثالها حين تسقيفهِ عليها (ص ٧٨)» الّا انَّ غاية ما وقف عليهِ اربعة كتب عربيّة. منها كتابان طقسيان من تعريب ملاتيوس مطران حلب وكتابان يتضمّنان رسائل وشذرات تاريخية شتّى. وقد اضاف حضرتهُ الى هذا الجزء ثلاثة جداول تتضمّن عدّة فوائد تتعلّق بتاريخ الروم الملكيين الكاثوليكيين كتسميتهم بالملكية وسلسلة بطاركتهم واساقفتهم وفي كل هذه الفصول ابحاث دقيقة وايضاحات تنطق بما لكاتبها من سعة الرواية والاستقصاء في البحث. وخلاصة القول انَّ هذا الكتاب تحفةٌ في بابهِ لولا انَّ صاحبهُ طمس شيئًا من محاسنهِ ببعض العبارات والانتقادات التي من شأنها ان توغر عليهِ الصدور ولو تحاماها لكان لكلامهِ وقعٌ اعظم في النفوس

التحفة الحميديّة في اللغة العثمانيّة

تأليف الاديب المتفنن مصباح افندي ابن سليم اللبابيديّ

طبع في بيروت طبعة ثانية سنة ١٣٢٠ (ص ١٢٠)

انَّ اقبال المدارس على هذا الكتاب اضطرّت صاحبهُ على ان يكرّر طبعهُ بعد

زمن قليل فاعاد فيهِ النظرَ وسعى باصلاحهِ وتنقيحهِ فجاء طبق ذوق الدارسين للغة العثمانية مع تعريف مصادرها الثلاثة التركية والعربية والفارسية وذكر مفرداتها وادواتها وتصاريفها الاسمية والفعلية. وفي آخر الكتاب تعريب الجزء الاول من كتاب «تعليم قرآئت» باللغتين التركية والعربية. فنحضّ محبّي اللغة العثمانيــة على ان يتّخذوا هذا الكتاب كدستور للتعليم المدرسيّ فانّ فيهِ غنيةً للطلّاب وتذكرةً للمعلّمين

كتاب شمس المعنّى الفريدة في المطبوعات الجديدة

نظم القوّال الشهير خليل سمعان الفغالي الشحروري

طبع في المطبعة الشرقيّة في الحدث (لبنان) سنة ١٩٠٣ (ص ١٤٩)

المعنّى احد فنون الشعر الجارية بين العامّة ولهم في ذلك قوانين يجرون عليها يطول شرحها ولعلّنا نكتب فيها يوماً فصلًا مطوّلًا. وقد اشتهر في هــذا الباب قومٌ من اللبنانيين كالادباء يوحنّا صعب الشلوق وضاهر بولس وابو علي البكاسيني وميخائيل نادر والياس البدوي والياس الفرّان فبرعوا ووضعوا ضروب القصيد والموشحات والقرّادي وغير ذلك من الاقاويل التي لا يزال يحفظها الناس عنهم ويتفكّهون بها. وممّن امتاز في عهدنا في هذا الفنّ القوّال المجيد خليل سمعان فرح الفغالي جمع في كتاب اقوالهُ المستحسنة اهدانا منهُ نسخةً. وهاك مثالًا من اقوالهِ يشهد على فضلهِ واقتدارهِ وهو محاورة الكريم والبخيل اخترنا بعض ادوارها:

الكريم	معطي من المولى الجبّارْ	من مال وارزاق وعمارْ
	بصرف وبفرّق صدقاتْ	وبيضمّوا الليرات كتارْ
	بصرف وبفرّق صدقاتْ	ومُكفّي عاغير استحقاقْ
	مهما نفقت من الليراتْ	بستعوض من خمسين طاقْ
	ومن الطباعي والعاداتْ	علمحتاجين اتصدقْ
	حيث الاجر من الحسناتْ	وعاقبة البخل المهوارْ
البخيل	عاقبة البخل الناموس	يقولوا جميدي ولا اتمدْ
	عزّ الاجساد والانفس	كل ما الانسان مالو زادْ
	بالنقديه رفع الروس	خفف مصروفك وجادْ
	ما احلا جمع الفلوس	وما اطيب عشب الاخضرْ

. . . .

ومنها: الكريم	الفقرا قالوا تمشّينا	حيث العاده والاسباب

طرق الصدفه استهدينا لدار البخيل النصّاب
ولمّاَ قبالو طلّينــا لاقانا لقدّام الباب
وكانت صدقاتو علينــا لام الف وضرب حجار

البخيل
من جودي يا ما مــوا ويا ما من الفجل استقنيت
في كل مواليد حوّا اسخى من كفي ما لقيت
في بيتي برّا وجوّا يا ما تحسّرت من الزيت
بيضمّ سراجي مضوا نهار وليل وليل ونهار

الكريم
سراجك عمرو خمسين جيل ناشف من وجهك مدوي
في بيتك ما في قنديل ولا مره شفتو مضوي
بتنطر حتى سراج الليل يمرّ عليك وتستضوي
اذا صار مقطوع الذيل بتظلم عيونك والدار

. . . .

ختامها: الكريم
تحرّر بعد ملاعيبك من جنّة ربّك محروم
وكسب جهنم نصيبك وجنزير محمي على الزلعوم
عا بخلك وتنصيبك ان كان بعد بتبقا يوم
لازم ما تموت ويصيبك متل النبي والعازار

الفتوى
تمّت ذي القصّة بمطول القاري والسامع يقول
عمرك يا كريم يطول ويا بخيل عمرك يقصر

شَذَرَاتٌ

زيت جديد للاستصباح — اخترع احد الكيمويين البارعين في همبرغ مائعاً جديداً يمزج بقليل من الماء فيصلح للاستصباح وشدّة ضوئهِ ضعف شدّة البترول وهو ارخص منهُ. وقد انعقدت في لندن شركة لاستحضارهِ

ساعة عجيبة — قد اصطنع ساعاتيٌّ من مونيخ عاصمة باڤارية ساعة غريبة اشتغل فيها خمس سنوات وتقلّد فيها ساعة ستراسبورغ الشهيرة وزاد عليها عدّة تحسينات. وهذه الساعة يبلغ علوّها ١٤ قدماً في عرض ١٢ تُدار مرّة في كلّ قرن ولها إبَرٌ تدلُّ على القرن والسنين العاديّة والكبيسة والشهور والاسابيع والايّام والساعات والدقائق والثواني. ويُسمع لدقّاتها اصوات موسيقيّة تختلف مع الزمان من اعياد وفصول السنة. وهذه الدقات تقوم بها اشخاص تمثِل السيِّد المسيح ورسلهُ. وباسفل الآلة مقياس فلكيٌّ للدلالة على توافق الساعات بين اوربة وكلكوتّا ونيويرك

المدارس الكبرى في الولايات المتَّحدة وقفنا على قائمة المدارس العليا الاميركيَّة في الولايات المتَّحدة للسنة ١٩٠١ فاذا عددها يبلغ ٦٢٩ مدرسة علميَّة او كليَّة تنفق عليها الحكومة نحو مليار و ٨٠٠ مليون فرنك. هذا فضلًا عن ٤٣ مدرسة فنيَّة خاصَّة. امَّا عدد طلبة هذه المدارس فكان ١٤٧,١٦٤ تلميذًا نال بينهم الشهادات المختلفة ١٥,٠٨٧ دارسًا منهم ٤٢٩٤ امرأة

مدينة جتّ احدى مدن الفلسطينيين وبقربها انتصر داود الفتى على جليات الجبَّار. فهذه المدينة قد اكتشفت آثارها حديثًا شركة الحفر الانكليزيَّة في فلسطين. وممَّا وُجد فيها ادوات خزفيَّة كادوات الحثيين والمصريين ومغاور كانت تُحرق فيها جُثث الموتى وصخرٌ عظيم كانت تقدَّم عليهِ المحرقات الى غير ذلك

اسئلة واجوبة

س سأل الخواجا انطون كنعان من نيكو بارس من اعمال مونتيفيداو ما هو اصل العبيد ومَن غلب عليهم السواد وما سبب استعبادهم

اصل العبيد وسبب استعبادهم

ج العبيد اي السودان والزنج كما نصَّ عليهِ الكتاب المقدَّس هم بنو كنعان بن حام الذي لعنهُ ابوهُ نوح مع ذرّيتهِ. امَّا سواد اللون فقد غلب عليهم بتمادي الزمان في بلاد اشتدَّ حرُّها فصمخت الشمس جلد اهلها. هـذا الى ما طرأ عليهم من الطوارئ المختلفة التي اثَّرت في مزاجهم ودمهم واخلاقهم الى أن انحطَّ النسل فصاروا طعمةً لمن ناواهم ولعلَّ طباعهم الشرسة اثارت عليهم احقـاد الشعوب المجاورة لهم فاسترقُّوهم وبذلك تمَّت نبوَّة نوح في حام ابنهِ وفي نسلهِ من بعدهِ

س وسأل جناب الاديب يوحنَّا الخوري: ماذا يريد الكتبة بقولهم: «العادة خامس طبيعة فما هي يا تُرى الاربع الطبائع الأُخر

شرح قولهم العادة طبيعة خامسة

ج انَّ للطبيعة هنا معنى خاصّ اصطلح عليهِ الاطبَّاء الاقدمون وهم يريدون بها القوَّة السارية في الاجسام تبلّغها الى كمالها. وهذه القوى الاربع هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. ولا غنى عنهـا لقوام الاجسام. وكذلك شبَّهوا العادة بها لتغلُّبها على الطباع كتغلُّب القوى الاربع على الاجسام ل. ش

المشرق

المدرسة المستنصريّة

من كتاب مساجد بغداد ومدارسها وهو تحت الطبع لحضرة الامام الفقيه
الشيخ محمود شكري افندي الآلوسي

وقد استلّها من الكتاب المذكور الاب انستاس ماري الكرملي

مرَّ في المشرق (٥ : ١٦٤) شيء من وصف هذه المدرسة اثبتهُ القانوني البارع جرجس افندي صفا في أثناء مقالة كتبها لتعريف كتبهِ الخطيّة. غير ان هذا الوصف مع ما يحتويه من الفوائد لم يكن مستوفياً فاحببنا تتمّةً للفائدة ان نسطّر هنا هذه النبذة المستحسنة شاكرين لناسج بُردتها المنمّقة (المشرق)

١ صاحب المدرسة المستنصريّة

قد احكمَتْها يد الاتقانِ رافعةً ... بنيانَها للمعالي فوق كيوانِ
شمس المعارف دارت فوق قُبَّتها ... ومن ذراها بدت اقمار عرفانِ
منها تسيل ينابيع الكمال كما ... قد شِيدَ للعلم فيها خير أركانِ
والطالبون فنون العلم قد عكفوا ... فيها يجيدونَ دوماً صرف اذهانِ
فكم الى الدين بالتحصيل قد غرسوا ... اشجار علم جناها فوق أغصانِ
فيها المعارف جاءت وهي مُعْرِبةٌ ... عن حكمة ما حواها صدر لقمانِ
بين المدارس قد اضحت مشاهدها ... كرَوْضَةٍ أينعت في روض بُستانِ

هذه المدرسة رصينة البناء. محكمة القواعد والارجاء. واسعة الساحة لم يُبنَ في أيّامها احسن منها ولا اكثر وقوفاً. وهي على دجلة من الجانب الشرقي من بغداد عند الجسر الموجود اليوم ولم تزل الى عصرنا هـذا قائمة الاركان مشيَّدة البنيان. بناها المستنصر بالله ابو جعفر المنصور بن الطاهر الخليفة العبّاسيّ طيَّب الله ثراهُ وجعل الجنّة

مستقرّهُ ومثواهُ. ورتّب فيها اربعةً من المدرّسين على المذاهب الاربعة. وعمل فيها بيمارستانًا ورتّب فيها مطبخًا للفقهاء. ومُزَمَّلَةً للماء البارد وقد كُتب فوق بابها الكبير الواسع تاريخ انشائها منقوشًا على الآجرّ وهو باقٍ الى اليوم ونصُّهُ:

بسم الله الرحمن الرحيم. قد انشأ هذا المحل رغبةً في ان الله لا يضيع أجر من احسن عملًا وطلبًا للفوز بجنان الفردوس التي اعدَّها للذين آمنوا وعملوا الصالحات نزلًا. وامر ان تُجعل مدرسةً للفقهاء على المذاهب الاربعة سيدُنا ومولانا امام المسلمين وخليفة ربّ العالمين ابو جعفر المنصور المستنصر بالله امير المؤمنين شيَّد الله تعالى معالم الدين بخلود سلطانهِ واحيا قلوب اهل العمل بتضاعف نعمهِ واحسانهِ وذلك في سنة ثلاثين وستمائة (١٢٣٣م) وصلّى الله على سيدنا محمّد وآلهِ وسلّم

ثمّ اسمُ الخليفة المشار اليهِ والثناء بما هو اهلهُ وتاريخ الانشاء

وكان هذا الخليفة اعلى الله تعالى مقامهُ على جانب عظيم من الفضل وحسن الخلق والصفات الكاملة والمزايا الجليلة قال ابن النجّار في تاريخهِ: «لمّا ولي الخلافة نشر العدل في الرعايا وبذل الانصاف في القضايا وقرّب اهل العلم والدين وبنى المساجد والأَربطة وعمّر الطرق وجمع الجيوش لنصرة الاسلام وحفظ الثُّغور وافتتح الحصون واجتمعت القلوب على محبتهِ والالسُن على مدحهِ. واستخدم عساكر عظيمة وكان ذا هِمَّةٍ عالية وشجاعةٍ واقدامٍ عظيم قصد التتارُ البلادَ فلقيهم فهزم التتارَ هزيمةً عظيمة. تُوفي رحمهُ الله يوم الجمعة عاشر جُمادى الآخرة سنة اربعين وستمائة (١٢٤٢م) ولهُ من العمر اثنتان وخمسون سنة فكانت خلافتهُ نحو سبع عشرة سنة» انتهى. وقد اتفق المؤرخون على الثناء عليهِ وعدّ مزاياهُ الجميلة بما لا يسع المقامَ ذكرهُ

٢ وصف هذه المدرسة ومرافقها

اذا دخلها اليوم انسان من بابها الكبير الذي في جهة الجنوب للداخل يرى فسحةً طولها نحو مائة متر وعرضها نصف ذلك وفي كل جهة منها ايوان رفيع السمك كأنهُ أُعدّ كل واحد منها لمدرّس من المذاهب الاربعة. وفي جدار كل ايوانٍ منها وهو ما يستقبلهُ الداخل سطرٌ منقوش في الحجر لم يبقَ منهُ اليوم حرف واحد. وفي طرفي الايوان رواق ممتدّ وفي منتهاهُ حُجَر أُعدّت للطلبة المقيمين في المدرسة وطبقة اعلى منهُ على هذا المنوال وفي جنبها من جهة الغرب دار للكُتُب التي لم يجتمع مثلها في غير هذا المحلّ

كثرةً ونفاسةً وقد انفرد كل فنّ بمحلّ منها. وكانت فِهرِستُ الكُتُب عدّةَ مجلّدات ضخام وكان المحافظون عليها عدّة اشخاص من المحدّثين يذاكرون المشتغلين بعلم الحديث باوقاتٍ مخصوصة علاوة على وظائفهم. والى جانب المدرسة دار يُلقَّن فيها الكتاب الكريم لعدد مخصوص من الايتام الفقراء. وفي شرقيّ هذه المدرسة دار للطبخ ومحلّ للذخائر وغير ذلك من ضروريّات الطلبة وفي جنب هذه الدار حمّام مختصّ بالمدرسة. وكل هذه المباني مبنيّة باتقان واحكام وقد مضى عليها الى يومنا هذا سبعمائة وتسعون سنة ولم يضعضعها تقادم الزمان وتعاقب الدهور. وقد زارها ابن بطوطة عند مروره على بغداد ووصفها بابدع وصفٍ واوجزهِ وذكر المدرّسين وكيفيّة جلوس الاستاذ عند التدريس وقال انّها في منتهى سوق الثلاثاء على دجلة وفي وسط السوق المدرسة النظاميّة وذكر ان هذا السوق فيهِ كثير من الصنائع....

٣ الفنون التي كانت تدرّس في هذه المدرسة

قد سبق ان مؤسس هذه المدرسة طيّب الله ثراهُ أنشأها للفقهاء على المذاهب الاربعة فيُشتَغَل فيها بعلوم الدين ولا شكّ ان علم الفقه اصولهُ وفروعهُ موقوف على فنون كثيرة واتقانهُ منوط بضبط علوم تفوت الحصر. وقد وقفتُ على بيان ما كان يُقرأ في هذه المدرسة على سبيل الاجمال وانّ المشتغلين فيها على اقسام واصناف فربّما كان منهم من يشتغل في اليوم باربعة فنون او اكثر او اقلّ. فالعلوم التي كانت تُقرأ على سبيل الاجمال: علم الفقه. علم اصول الفقه. علم الحديث. علم اصول الحديث. علم اسماء الرجال وتراجمهم. علم التاريخ. علم الادب. علم متن اللغة. علم اصول اللغة. علم النحو. علم اصول النحو. علم المعاني والبيان والبديع. علم الانشاء والترسّل. علم قرض الشعر. علم نقد الشعر. علم الطبّ ولواحقهِ. علم الحيوان. علم النبات. علم الهندسة. علم تهذيب الاخلاق ورياضة النفس. علم الحساب. علم المساحة. علم الفرائض. علم معرفة البلاد وتقويمها. علم الزيج والفلك. علم الهيئة. علم الكلام والعقائد. علم المنطق. علم التفسير. علم القراءات

وكان الموظفون في المدرسة اقلّ من المشتغلين فيها فانّهم في كل وقت دون ألفَي طالب على اختلاف طبقاتهم واستعدادهم. وامّا الموظفون فهم دون الالف وكانت

التفرقة بين الاصناف والطبقات بألوان الطيالس فذوو الطيالسة الصفر صنف. والبيض صنف. والحُمر صنف. وهكذا الخ

وكانت هذهِ المدرسة مجمع افاضل العصر وائمتهِ. واعلام الزمان واساتذتهِ. كم نشأ منهـا إمام. ومجتهد همام. بزغت منهم شموس المعارف والكمالات. واشرقت من افقهم بدور الفضل اللامعات. وكان المدرّسون في هذه المدرسة ممَّن اشتهر في عصرهِ بالتفرُّد والتفوُّق على من سواهُ. ومن مشاهيرهم: الشيخ الامام جمال الدين عبد الله بن محمَّد بن عليّ العاقولي. درَّس فيها نحو اربعين سنة وكان شيخ الاسـلام في عصرهِ متضلّعاً من سائر العلوم العقليَّة والنقليَّـة وكان قويَّ النفس لهُ وجاهة في الدولة كم كُشفت بهِ كربة عن الناس بسعيهِ وقصدهِ. انتهت اليهِ رئاسة الشافعيَّة ببغداد. مولدهُ على ما في تاريخ شذرات الذهب في رجب سنة ثمان وثلاثين وستمائة (١٢٤٢ م) ووفاتهُ في شوال ببغداد ولهُ تسعون سنة وثلاثة اشهر

وتفصيل تراجم مدرّسي المستنصريَّة في تاريخ ابن النجَّار وغيرهِ. وكذلك بيـان من تخرّج فيها من الاساتذة وائمة الأعلام

وبعد كتابة هذه الاسطر وقفتُ على ما كتبهُ في وصف هذه المدرسة العـلاَّمة الشيخ عبد الرحمن الإِرْبليّ في كتابهِ « سِيَر الملوك » قال عند الكلام على ترجمة المستنصر بالله ما نصهُ:

« ومن محبتهِ للعلوم انشأ خزانةً للكتب بشريف حضرتهِ. ومقدس سيرتهِ. جمع فيها من انواع العلوم على اختلافها. وتبايُنها وائتلافهـا. بالاصول المضبوطة. والخطوط المنسوبة. ما جاوز حدَّ الكثرة. ثم انشأ مدرسةً على شاطئ دجلة وجعلها وقفاً على المذاهب الاربعة ليُحصل بها كمال المنفعة. فجاءت محكمة البناء راسخة في الماء. فسيحة الفنـاء وضعُها غريب. وحسن ترتيبها عجيب. شامخة الى عنان السماء. تضحك شرافاتها بالسرور. ويظهر في ابنيتها الفرح والحبور. ويلمع العزّ في نواحيهـا ويطلع السعد من اساسها واعاليها. فهي كعبة الانام. وقبَّة الاسلام. مجمع سائر الدين. ومذاهب المسلمين. وعلم الاصول والفروع. المتفرق فيها والمجموع. وعلم القوافي وعلم الحديث ومعرفـة الحلال والحرام وقسمة الفرائض والتركات وعلم الحساب والمساحات وعلم الطبّ ومنـافع

الحيوان وحفظ قوام الصحة وتقويم البلدان. ولمّا تكملت ابنيتها كُسيت بافخر الملابس وتجلّت كاحسن العرائس ورتّب لها البوّابين والفرّاشين والخدَم والطبّاخين واسكن لكل مذهب اثنين وستين من الفقهاء. وجعل لهم مدارس واربعة مُعيدين وأُجريت لهم بها المشاهرات الوافرة وما يحتاجون اليـه من الخبز واللحم والحلوى والفواكه والاباريز والصابون. وجعل فيها طبيباً حاذقاً ماهرًا واثبت عندهُ عشرة من الطلبة يشتغلون عليهِ في علم الطبّ وجعل لهم الاكحال السائلة وبُنيت لهم صُفَّة فاخرة مقابلة للمدرسة يجلس فيها فيقصدهُ المرضى فيداويهم. وبنى في حائط هذه الصفّة دائرة عجيبة وصورتُها صورة الفلكِ وجعل فيها طاقات صغارًا لها ابواب كلّما سقطت بندقة انفتح باب من ابواب الطاقات وهو مذهَّب فصار مفضّضاً ومضت ساعة من الزمان. والبندقتان من شَبَهٍ يقعان من فم بازَين من ذهب في طاستَين من ذهب ويذهبان الى مواضعهما وتطلع شموس من ذهب في سماء زرقاء في ذلك الفلك ومع طلوع الشمس تدور مع دورانها وتغيب مع غيبوبتها. فاذا غابت الشمس وجاء الليل فهناك اقمار طالعة من ضوء خلفها كلما مضت ساعة تكامل الضوء في دائرة القمر ثم تبـدو بالدائرة الاخرى الى انقضاء الليل وطلوع الشمس

« يقول مؤلف تاريخ بني العباس الامام العالم تاج الدين عليّ بن الحسن المعروف بابن الساعي ان هذه منقبة لم يسمُ اليها الاوّلون. ثم جعل فيها خزانة الكتب ونقل اليها من الرَبعات الشريفة والكتب النفيسة والاصول المضبوطة المحتوية على جميع العلوم مائتين وتسعين حملًا سوى ما نُقل اليها بعد ذلك وشرط ان يكون في دار الكتُب التي هي الخزانة فيها عشرة يشتغلون بعلم الحديث النبوي ورتّب عندهم شيخاً على الاستاذ يُقرأ عليهِ الحديث. ثم الى جانب هذه المدرسة دار برسم تلقين القرآن المجيد يُتبنَّى بها ثلاثون صبياً ايتاماً يتلقّنون القرآن من شيخ ملقّنٍ ويكون لهم مُعيدًا يحفظهم التلاقين. وشرط للجميع من الخبز والمشاهرة والوظائف ما تضمّنهُ شرط الواقف رحمهُ الله. ثم شرط ايضاً ان يكون فيها من يشتغل بعلم العربية وكذا من يشتغـل بعلم الحساب والفرائض. ثم أنشأ قدّس الله روحهُ من المشاهد والمساجد والرُبط والمناور والقناطر ووسع الطرقات الى غير ذلك من الصدَقات في كل الأيّام واعطى الثياب والخلع والجرايات في شهر

رمضان والرواتب في سوى ذلك وعموم هـذه الاسباب العلماء والعباسين والعلويين والضعفاء والمساكين وترويج الايامى والحنوّ على اليتامى وذلك اكثر من ان يُحصر. فنسأل الله تعالى ان يُحسن اليهِ وان يتغمدهُ برحمتهِ ورضوانه ويسكنهُ بحبوحة جنانهِ بمحمّدٍ وآلهِ » انتهى

إِطّلاع الحَضَر على أَطلاع النَّوَر

لحضرة الكاتب العالم والباحث المتفنّن الاب انستاس الكرملي

(تابع لما سبق)

٥ (لغة النوَر) قد قلنا ان الواسطة الاخرى لمعرفة اصـل هؤلاء الاقوام هي البحث عن لغتهم وتحليل الفاظها والتنقيب عن اصلها. وقد سبقنا الى ذلك جماعةٌ من علماء الافرنج وقد قرَّ رأيهم في ان اغلب الفاظ لغتهم من اصلٍ سَنْسْكريتيّ (السنسكريتية لغة الهند القديمة) وهـذا الراي يؤيد القول بان هؤلاء الاقوام خليط من سفَلة الهنود والفُرس وما جاورهم من الناس لان لغاتهم راجعة كلّها الى الاصـل الآري او الهنديّ الاوربيّ

واعلم ان النوَر قد حافظوا على لغتهم هذه في جميع الاقطار الاوربية من شمالية وجنوبية وكذا قل عن سائر البلاد الموجودين فيها كالاناضول مثـلًا والروملي ومصر وسوريَّة وارمينية وفارس الّا انّهـا لا تخلو من لغاتٍ غريبة كالانكليزيَّة والفرنسيَّة والايطالية ونحوها وقد دخلتها إثر مُخالطاتهم لهؤلاء الناس بل وهذه الكلم تزداد او تنقص في لغتهم على نسبة تداخلهم مع من ليس من جنسهم

امّا في بلادنا العراقيَّـة هذه فالنوَر على فئتين عظيمتين: فِئة تتردَّد بين بلاد فارس وهذه الاصقاع. وفئة تطوف البلاد العربية على طولها وعرضها ولا تخرج منها. فلغة الفئة الاولى (وتسمَّى الكاوليَّة بوجه الاطلاق) تشابهُ كل المشابهة اللغة الكرديَّة

والفارسيَّة. وقد دوَّنتُ منها الفاظاً كثيرةً وحكاياتٍ وبعد فحصها وجدتُها كما قُلتُ. وانتَ لا تجهل بان الكرديَّة والفارسية من فروع اللغات الآريَّة. واماَّ لغة الفئة الثانية (وتسمَّى كاوليَّة العَرَب) فهي خليط من العربيَّة وبعض الكرديَّة وبعض الفاظٍ تواطؤُوا على لفظها وصيغتها كالعرب ومنها الفاظٌ عربية الَّا انَّ معانيها لا تتفق مع المعنى المشهور المألوف بل قد وضعوا لها معاني أُخرى بعيدة عن الاصل تلبيساً على سامعيهم. شافهتُ بعضهم بهذا الخصوص فلم يُريدوا ابدًا ان يذكروا لي شيئًا من لُغتهم هذه وان أَرَيْتُهم الاصفر الرنَّان. الَّا ان واحدًا منهم غنَّى لي اغنيَّة في اللغة العربية وكان يوقعها على الرَّبابة وهي من الآلات المشهورة عندهم. واليك نصَّ ما غنَّى:

مَشاهيرْ اَلْبَلَدْ هُمَّ وْجِدهُمْ كُلْ اَلْبِلَادْ مَا نِلْكِيْ وْجِدهُمْ (١

جَبَلْ سُنْجَارْ مَا يِكْدَرْ يْحَازِمْهُمْ يْرِدُّونْ السَّبَايَا عَلَى الكُفَا

يمدح المغني شيوخ قبيلة المنتفق ويسمِّيهم مشاهير البلاد هم واجدادهم ويقول عن لسان الكاولية جميعهم اننا ما نَجِد (نَلقَى = نَلكي. لأنهم يلفظون القاف كافاً فارسية) واذا اراد الانسان ان يكافئهم على مآثرهم فلا يجد هديَّة تناسب مقامهم ولو تلك الهديَّة بكبر جبل سنجار او بقيمتهِ ومن هذه المآثر ردُّ الجيُوش (السبايا) على اعقابها (الكُفَا = القفَا)

سَعْدُونْ وَيَا نْطيحْ الوزرا باكَّاتْ جَايِبْ مِنْ أَرْمَاحْ اَلْبَدُوْ باكَّات

حَسَافَهْ عَلَى العَجِيدْ يَرُوحْ بوكَّاتْ (٢ وَصِبْيَانْ اَلْحَرْبْ كَانُوا غِيَّابْ

اي وانت يا سعدون (شيخ قبيلة المنتفق الأعظم الحالي وهو مشهور بغزواتهِ وبسالتهِ وشهامة نفسهِ) يا ناطح الوزراء جماعاتٍ جماعاتٍ (باكَّات = باقات) إنك تأتينا برماح اهل البادية حُزَماً حُزَماً فأسفًا (حسافه) على الزعيم (العجيد = العقيد) يذهب سرقةً وخيانةً (بوكّات = بَوْقات وهي جمع بَوْقة من باقَ اي سَرَقَ) إذْ أُخِذَ بَينما كان المحاربون غيابًا. والزعيم هنا هو الشيخ سَعْدُون نفسهُ كان قد قبض عليهِ اعداؤهُ خيانةً ومكرًا ولم يبقَ في ايديهم زمناً طويلًا بل افلت بعد قليلٍ

---

١) و٢) هذه العلامة ' تلفظ لفظ e في le والضمَّة المقلوبة ' تلفظ o الافرنجية (راجع المشرق ٦: ٧٨١)

أَلْحَدِيدِي يُحَاوِلْ أَلْمَوْلَى غَوَاكْ أَبْلِيسْ يَا مُولَى
وْحَطَّالَكْ جَنَاحِينْ يكُونْ تشُوفْ لَكْ دِيرَه وْجنَاحَينْ
لَوْ تشُوفْ حلُولْنَا مِنْ بَعَدْ هَالْحَينْ أَلْحُمُرْ أَلْيَرْمَنْ رَوَاكِيضْ أَلْكَطَا

اي أخذت عشيرةُ الحديديّ (وهي محالفة للشيخ سعدون) تحارب (يحاول — يُقابل) قبيلة المولى (وهي من القبائل المُعادية لسَعْدون) فيا للعجب كيف أطغاك إبليس يا شيخ (مُولى) المَوْلى فدفعك انت وقومك الى هذه المحاربة التي انقلبت وَيْلًا عليكَ إذ رجعتَ مَدْحورًا وأفلتَ من بين قومك على غفلةٍ منهم كأنَّ الشيطان ركّب لك (حطَّالكَ إشباع حطّ لك اي جعل لك) جناحين فطِرْتَ بهما طلبًا (تشوف — ترى) لمحلّ (دِيْرَة) تنزل فيه وتبني لك فيه جناحين (مُثَنّى جناح وهو المنظر على الطريق) تشبُّهًا باهل الحضَر الذين يُحبّون الاقامة في البيوت خوفًا على نفوسهم فلَيْتكَ تاتي وتشهد (وتشوف) منازلنا (حُلولنا) بعد هَرَبك (بعد هَالحين = بعد هذا الحين اي حين فرارك) فلا ترى فيها الّا البنادق (الحمُر — الحمُر جمع حمراء اي البندقيّة التي تحمرُ من كثرة ما تُضهر من تعدُّد طلقاتها) التي تَرْمي (اليَرْمَن — التي يَرْمِيْنَ) رَوَاكض القطا والمراد بهم هُنا المحاربين الذين فزعوا كلّ الفزع واخذوا بالركض كما يهرب القطا حينما يُداهمهُ الصيَّاد

قلتُ: انَّ هـذا الكلام وان كان لابسًا ثوبًا خشنًا وخاليًا من وشي الاعراب الّا انهُ يشفّ عن بلاغة وفصاحة وسموّ في المعنى لا يكاد يجسُر ان يدنو منها شعر أكبر الشعراء. ولعلّ كلامنا هذا يثقل على اسماع كثيرين من القرّاء لاوّل وهلةٍ الّا انهُ يُصادف آذانًا واعية في الذين ينظرون الى الامور بعين الاخلاص والتجرُّد من الغرض

وقد سألتُ هذا الكاوليّ عن سبب تطواف قومهِ في الارض فقال: ان الله قد قال لكل واحدٍ منّا: ليكن زندك ربابك. وبطنك جرابك. وما لك دار معلومة. وعيشتك على «اخوك» مختومة

ثم اني سألتهُ اسئلةً فاجابني عنها فقال: انني من الكاوليّة الذين يتردَّدون على بني تميم. ففي الصيف ننزل بالعراق وبالشتاء في أبي صيدة وخالص ونواحيهما. واسم شيخنا مزمان يبيع الاحصنة وعددنا ١٥٠٠ خيمة وفينا سُنَّة الّا انهُ يغلب علينا التشيُّع لعليٍّ ونحن اصحاب رَبابة ونساؤُنا يَفتَحنَ الفال. وكان عددنا عديدًا

ولنعُد الآن الى الكلام عن الذين بحثوا عن لغة النوَر عند الافرنج. فمنهم كُرَيلْمَن الالماني (Grellmann) وقد نُقِل كتابهُ الى الفرنسيَّة وطبع في باريس سنة ١٨١٠ وخلاصة أبحاثهِ ان لغتهم تشبهُ اللغة الهنديَّة كل الشبه فاصلهم من هندستان وانهم من الطائفة الهنديَّة السافلة المعروفة اليوم باسم « البارية » او « الخدَلة » les Parais *ou* Chandalas ومن كَتَبتهم ايضاً أ. ف. بُتّ A. F. Potte. (١وراي هذا يكاد يكون رأي ذاك. والكاتب جورج بورو المتوفى سنة ١٨٨١ قال عنهُ في الهلال (٤ : ٣٨٢) انهُ « خالط النوَر وآخاهم ودرس لغتهم وسائر احوالهم وألَّف بضعة كتب فيهم. منها كتاب اسمهُ « الزنكالي » نشرهُ سنة ١٨٤١ وآخر اسمهُ « التوراة في اسبانيا » وقاموساً جامعاً للغةِ النوَر وغيرها. ويوخذ من ابحاث هذا العالم ان اصل هؤلاء القوم من شماليّ بلاد الهند. يتكلمون لغة واحدة تشبهُ في اصولها وتركيبها لغة الهنود القديمة وهم يسمونها ويسمُّون جنسهم « رُمَّاني » ومعنى « رم » في لغتهم زوج ورُمَّاني طائفة الأزواج. انتهى

وقد لاحظ بَلَّاس (Pallas) ان اللغة التي يتكلَّمها النوَر تُضاهي كلَّ المضاهاة لغة تجار هُنود المُولْتان وقد اتَّفق لهُ ان يتعارف بجماعةٍ منهم في استرخان. وممَّا لا يحتاج الى دليل لاثباتهِ ان لغتهم هي هندية الاصل كما مرَّ بك باجماع جمهور الباحثين. وتُقسم كَلِمُهم الى ثلاثة اقسام وهي: اصليَّة وفرعيَّة ومشتقَّة. امَّا اداة التعريف فموجودة عندهم الَّا انَّها نادرة الاستعمال

ويُعرَب الاسم على ستَّة اوجهٍ ولهم نوعان من المنصوب ونوعان من المخفوض وينتهي المضاف اليهِ كما ينتهي في اللغة الهندستانيَّة بحرف « و » (اي o) او « ي » (اي i) حسبما يكون المُضاف مذكَّرًا او مؤَّنثًا. وتُتَّخذ علامة المجرور ايضاً لتحويل الاسم الى نعتٍ حقيقيّ نحو « بَرْش Berch » اي سنة فتقول فيها « بَرْشِسْكَرُو Berchiskero » للسنةِ او سنويّ واذا اردتَ القابلة زدتَ « يدِرْ idir » في آخر الصيغة الاصليَّة. واذا اردتَ المفاضلة زدتَ « كُهْنْ kohn » (بمعنى مَنْ ؟ او ايّ ؟) على صَدر نَعت القابلة. فتقول مثلًا : « كَامْلُو kamlo » اي عزيز. وكَامْلِيدِرْ

(١ Hist. des Bohémiens. *Halle* 1845

kamlidir » اي اعزّ « وكهنكامليدر kohn kamlidir الاعزّ » (ومعنى هذه حرفيًا « من هو اعزّ ؟ بتقديرك كلمة « الشخص » ومحصّل المعنى « من هو الشخص الاعزّ »

امَّا تصريف الافعال فيكون بواسطة تغيير يلحق آخر الافعال. ولكل من المتكلم والمخاطب والغائب صيغة خاصّة بهِ وهو ممّا يُغني عن حذف الضمائر. وليس في لغة النوَر الّا زمانانِ وهما الماضي والحاضر ولهم ثلاثة صيغ للتصريف تُقابل هذه الصيغ اللاتينيّة وهي ut faciam, ut facerem, ut fecissem وليس لهم مصدر حقيقي قائم بنفسهِ واذا ارادوا التعبير عنهُ ادخلوا على اول الفِعل الاداة « تْ te » كقولك: « مْ كما ڤاتْ جيناڤْ » اي أُريد الكتابة. ومعنى الجملة حرفيًا: أُريد ان اكتُبَ». وليس لهم صيغة خصوصيّة للمستقبل واذا ارادوا ذلك توصّلوا اليهِ بافعال ثانوية تُساعدهم على تأدية المُراد. ومن هذه الافعال « ذهب واتى » وبواسطة تغييراتٍ طفيفة يبلغون الى آداء معاني « المعرفة والاستطاعة والوجوب » الخ. وامَّا اصل الكلمة أو جَذرها فهو « الامر » لا الماضي او المصدر

وفي لغة النوَر طائفة عظيمة من الكلم الدخيلة وهو امرٌ لا نُدحة عنهُ لقوم افَّاقين يتجوَّلون في بلاد الله على طولها وعرضها طول حياتهم. امَّا اللغَات الاجنبيَّة التي امدّت اللغة النوريَّة ببعضٍ من كلمها فهي التركية واليونانية والروميـة والايطالية والفَلَاخيَّة والمَجريَّة والالمانيَّة والصقلبيَّة والكرديَّة الخ الخ. هذا وان كثرت تلك العناصر وتضاربت الّا انهُ ممَّا يتميّز فيها تميُّزًا صريحًا باتًّا في صرف هذه اللغة ونحوها وفي مجموع مفرداتها هي اللغة الاصليَّة التي هي بمنزلة الأُمّ بجنب ما دخلهـا من ألفاظ سائر اللغات. وهي بدون ريب تُضاهي لغة من اللغات الهنديَّة المشتقة من الهنديَّة القديمة المعروفة باسم السنسكريتيَّة. وبالخصوص انَّها تشابه كل المشابهة الفارسيَّة. وادعامًا لهذا الراي واظهارًا لهذه المشابهة نذكر بعض الشواهد. من ذلك « الشمس » فاسمها في النوريَّة « شَمْ cham » وبالهِندِسْتانيَّة « كَم kam ». واسم الفضَّة بالنوريَّة « رُپْ rup » وبالهندستانية ruppa (قلتُ ومنهُ الرُّپيَّة roupie لِقِطعَةٍ من النقود الفضية المستعملة في بلاد الهند) واسم الشَعر بالنوريَّة « بالْ bal » وبالهندستانية « بَالْ bal » . والراس بالنورية « چرُو tchèro » وبالفارسية « سَرْ ser ». واليد بالنوريَّة « وَسْت wast »

وبالفارسية « دَسْت dest ». والاصبع بالنوريّة « كُشْدُو guzhdo » وبالفارسية « أنكشت engucht ». والحظ بالنوريّة « بَكْسْت baxt » وبالفارسية « بَخت bacht ». والخيمة بالنوريّة « چاتَرْ tchater » وبالهندستانية « چاتَرْ tchater » وبالفارسية « چادِر tchadir ». الخ الخ. والشواهد على ذلك لا تُعَدّ ولا تُحَدّ وقد اجتزأنا بما مرّ

واما من جهة الخطّ فلم يُسمع الى اليوم بوجوده عندهم. وقد زعم البعض ان للنور في بلاد الجر خطاً خاصاً بهم وهذا لا يُستبعَد من مثل هؤلاء الاقوام لانهم اذا ارادوا المواصلات واحتاجوا الى الكتابة في المعاملات دفعتهم الضرورة الى الكتابة لكي لا يطلع احدٌ على اسرارهم. وربما وضعها واحدٌ ممن اصبحت اسراره مهمة فلجأ الى ايجاد كتابة يُكاتب بها مراسلهُ فانتقلت بعد ذلك الى واحدٍ من اصحابهِ او ممّن جاوره. ثم عمّت الجيل كلهُ

هذا وان لم يذكر لهم آداب لُغويّة ثابتة الّا ان النوَر مولعون بالنظم وبينهم كثيرون ممّن يرتجل الابيات ارتجالًا ويندفع اليها استرسالًا فينظم شعراؤهم قصائد في اثناء غنائهم. واذا تسمّعت اشعارهم يطرق آذانك كثير من الجناس اللفظيّ والرويّ البديع غير ان الجوازات الشعريّة تكثر فيها لسبب هذا الارتجال الّا انها مع كل ذلك لا تخفى على عقول السامعين من الحضور لما في اذهانهم من الاستعداد لمثل هذه الامور وانتظارها من الجميع على سَنَنٍ مشهور

امّا اشهر العرب الذين كتبوا عن لغة النوَر او بني ساسان فهم: الحريريّ في مقامتهِ الساسانيّة وقد ذكر فيها الفاظاً من لغتهم. وامّا بديع الزمان الهمذاني فقد اورد في مقامتهِ بعضاً من عوائدهم وحيَلهم الّا انهُ لم يذكر شيئاً من لغتهم. وقد اورد الخفاجي ايضاً في كتابهِ شفاء الغليل بعض كلماتٍ من رُطَيناهم. امّا الذي فاق جميع كتبة العَرب في هذا الصدد ودوّن الشيء الكثير من مُواضَعاتهم والفاظهم واصطلاحاتهم فهو واحدٌ من ساساني العرب اسمهُ « ابو دُلَف الخزرجيّ الينبوعيّ » وقد نظم لهذه الغاية قصيدة سمّاها « القصيدة الساسانيّة » وقد ذكر كثيرًا من ابياتها الثعالبيُّ في كتابهِ « يتيمة الدّهر » وقد شرح بعض الفاظها الغريبة. الّا انهُ لا يُمكن اثبات هذه القصيدة لما فيها من التهتُّك والمجون والخلاعة ولِما تحوي من الالفاظ البذيئة غير انّنا

نورد شيئاً قليلاً منها ايقافاً للجمهور على مثالٍ لهذه اللغة التي كانت شائعة يومئذٍ في عصر بني العبّاس وقد اثّرت كل التأثير على أُدباء ذلك العصر بما ان طائفةً من الفاظها دخلت في اللغة الفصيحة ووردت على رؤوس أقلام مشاهير الكتّاب ولم ينبّه عليها احدٌ انّها من لغة بني ساسان. امّا بعض ما جاء في هذه القصيدة فمنها قولهُ:

ومنّا الكاغُ والكاغةُ م والشيشق في السِّحرِ (١
واشكال واغـلال من الحد او الصفرِ (٢
ومن دَرْوَزَ او حرّ زَ او كوّز بالدغرِ (٣
ومن درّع او قشّع م او دمّع في القرِ (٤
ومن رغّس او كبّـس او غلّس في الفَجرِ (٥
وحاجور وكذّابا ت اهل الاوجه الصفرِ (٦
ومن شطّب او ركّب م للضربات والعقرِ (٧
ومن مَيْسَر او مَخْطَرَ م واستنفرَ للثغرِ (٨
ومن ناكذ في القينو ن من جوف ابي شمرِ (٩

١) (الكاغ والكاغة) المُتَجانِن والمتجاننة (هكذا ذكر هاتين اللفظتين الثعالبيّ اي بفكّ الادغام وهو جائز). (والشيشق) الحدائد والتعاويذ التي يعلّقونها على انفُسهم ٢) (الحد) الحديد

٣) (دَرْوَزَ) اذا دار على السكك والدروب وسَخِر بالنساء. (وحرَّز) اذا كتب التعاويذ والاحراز. (وكوَّز) اذا اقام في المجلس. (والمكوِّز) هو الذي يقوم في مجالس القُصّاص فيأمر القاصّ اصحابَهُ باعطائه ثم اذا تفرّقوا تقاسموا ما اعطوهُ. (والدغر) المقاسمة

٤) (دَرَّع) اذا جاء المرّاس وطلب قطعة من المريسة فاذا اعطاهُ ايّاها لحَسَها. (وقشّع) اذا مشى وعينُهُ الى الارض لطلب القطع. (ودمّع) اذا بكى في الاسواق عند البَرْد حتى يُعطى

٥) (رَغَّس) اذا طاف على حوانيت الباعة فاخذ من هُنا جوزة ومن هنـا تمرة وتينةً. (وكبّس) اذا دار فاذ نظر الى رجلٍ قد حلَّ دَسْتَجَتَهُ كَبَسهُ واخذ منهُ قطعة. (وغلّس) اذا خرج الى الكدية بغلسٍ

٦) (الحاجور) الذي يثقب بيضة ويجعلها في حجرهِ وهي تسيل ماء اصفر. (والكذابات) العصابات يشدّونها على جباههم فيوهمون انهم مرضى

٧) (شَطَّبَ) اذا عقر نفسهُ بالموسى وجعل يكذب على الاعراب والاكراد واللصوص. (وركّب) اذا طلى جسمهُ بالشيرج حتّى يسودَّ جلدهُ واوهم انهُ جُلِدَ او لطمتهُ الجنّ ليلًا

٨) (مَيْسَرَ) اذ كدّى على انهُ من الثغر ويقال لهُ: المَيْسرانيّ. (ومَخْطَر) اذا بلعَ لسانهُ واوهم ان الروم قطعوهُ

٩) (المناكذة) ان يتقاسموا ما يأخذونهُ من الثياب والسلاح بعلة الغزو. (والقينون) موضع القسمة. (وابو شمر) اوّل من كدّى بعلّة الغُزاة

ومن رشَّ وذو المكوى ومن دَرْمك بالعطرِ (١
ومن دكَّك او فكَّك م او بَلْفَكَ بالحرِّ (٢
ومن قصَّ لاسرائيل م او شبرا على شبرِ (٣
ومن بَشْرَكَ اَوْ نَوْذَكَ او اشرَكَ بالعبرِ (٤
ومن قدَّس او غمَّس م او شَوْلَسَ بالشعرِ (٥

قلتُ: واغلب هذه الالفاظ لم يذكرها اصحاب المعاجم مع انَّهم ذكروا طائفة منها غير قليلة. امَّا سبب تدوين بعضها واهمال البعض الآخر فممَّا لم اتوفَّق الى كشفهِ. على اني استغرب هذا الامر وكان الحقّ ان يدوَّن الكل او ان يُهمَل الكل. وعندي ان تدوينها خيرٌ من اهمالها. والاسباب كثيرةٌ منها: اوَّلًا ان من هذه الالفاظ ما وجدت بين بني ساسان العرب قبل الاسلام. ومنها ما نشأ في صدرهِ. ومنها ما تولَّد على تراخي سُتُور العُصور. ثانيًا ان كثيرًا من هذه الكلم وردت على السنة الأُدباء المتقدمين ممَّن يؤخذ الكلام عنهم — نعم اني لا اجهل ان من المعترضين من يقول: لعلَّ هذه الحروف ليست بعربيَّة بل اعجميَّة محضة او عاميَّة مستهجنة فلا يحسن تدوينها في كُتب اللغة. قلتُ: ألا ترى حروفًا كثيرة دخيلة قد أُودِعت بطون الاوراق اللغويَّة أَوَ لا ترى جماعة من اللغويين قد دوَّنوا الفاظًا عامّية كثيرة. غير انَّهم في كلا الحالَيْنِ نبَّهوا على منزلتها من الفصاحة وهذا كافٍ لمن يُعنى بامر اللغة ويحرص عليها. ثالثًا ان هذه الالفاظ

---

١) (رشَّ) اذا كدَّى بعلَّة ماء الورد يرشُّهُ على الناس. (وذو المكوى) الذي يُبخِّر الناس. (ودَرْمكَ) اذا باع العطر على الطريق

٢) (المدكِّك) الذي يخرج اللوى من العصيان ويحتال على من بهِ وجع الضرس حتى يحمل دود الجُبن فيما بين اسنانهِ ثم يُخرجهُ ويوهم انهُ اخرجهُ بالرُقية. (وفكَّك) اذا فكَّك السلاسل على الطرق. (وبَلْفك) اذا جرَّ الحواتم بالابريسم الرقيق

٣) (من قصَّ) هو الذي يروي الحديث عن الانبياء والحكايات القصار ويقال لها: الشبريَّات

٤) (بَشْرَكَ) تريًّا بزيّ الرهبان وترهَّد. (نَوْذَكَ) اذا كدَّى على انهُ من الحجَّاج. (واشرك بالعبر) اذا قاسم شركاءهُ ما يأخذهُ

٥) (قدَّسَ) اذا اكل الكبد المطحونة المجفَّفة في شهر رمضان خاصَّةً واوهم انهُ يَطوي ولا يفطر في الشهر الَّا مرَّةً او مرَّتين. (وغمَّس) من الناموس. (وشَوْلس) من الشالوسة: وهم الزُهَّاد يُكدُّون بلباس الشعر

الساسانيّة لا وجود لمقابلها في اللغة الفُصحى فاذا كان من الواجب الدلالة عليها فما احقّ بنا ان نقتبسها عن أُدباء لغتنا وكتبتها الذين عرفوها واستعملوها وذكروها في كلامهم أوَ ليس ذلك خيرًا من ان نتكلّف لها وضع الفاظ جديدة ؟ فتأمّل

وممّن اشتهر من بني ساسان في عصر الخلفاء قوم آخرون كثيرون. منهم: الأحنف العُكبُريّ وهو ابو الحسن عقيل بن محمّد العكبري. قال الشريشيّ في شرح مقامات الحريري (٢ : ٤٩٤) : كان فصيحًا شاعرًا وذكر الصاحب فيه فصلًا وهو : لو انشدتُكَ ما انشدَنيهِ الأحنف العكبري وهو فرد بني ساسان اليوم في مدينة السلام في الفصاحة وحسن الطريقة في الشعر لامتلأتَ تعجُّبًا من ظرفهِ واعجابًا بنظمهِ. ومن افتخارهِ قولهُ :

على اني بحمد اللّـهِ في بيتٍ من المجدِ
واخواني بنو ساسا نَ اهل الجدّ والجدِّ (١
لهم ارض خراسان فقسّان مع اللُّدِّ (٢
اذا ما اعوز الطَّوْفُ على الطرّاق والجندِ (٣
حذارًا من اعاديهم من الاعراب والكردِ
قطعنا ذلك النهج بلا سيفٍ ولا غمدِ
ومَن خاف اعاديهِ بنا في الروع يَستَعدي

ففي هذا البيت معنى بديع يريد ان ذوي الثروة واهل الفضل اذا وقع احدهم في ايدي العداة واراد التخلُّص قال: «أنا مُكَدِّ» فبنى الحريري هـذا الموضع من مقامتهِ (موضع حِيل بني ساسان) على شعر الأحنف واكثر هذه المقـامة مأخوذة من مُلَحهِ

وكان عددٌ عديدٌ من مشاهير الادباء يحفظون شيئًا كثيرًا من لغـة بني ساسان واوضاعهم لما كان لهم من السُمعة بين الناس ومن النفوذ الادبيّ على ابناء العصر. ومن هؤلاء: الحريريّ. فانهُ قد نطق ببعض اصطلاحات هؤلاء الاقوام واستعمل شيئًا من

١) ويروى في اليتيمة : باخواني بني ساسان اهل الجدّ والحدّ. والكلمة الاخيرة مصحَّفة

٢) وفي اليتيمة : لهم ارض خراسان فقاشان الى الهند. وهو عندي اصحّ

٣) ويروى بعد البيت الثالث: « الى الروم الى الافرنج الى البلغار والسند ». ويُروى: الطَّرق بدل الطوف وهو غلط

الفاظهم في مقامتــهِ الساسانيَّة · ومنهم ايضاً الصاحب بن عبَّاد قال في يتيمة الدهر (٣: ١٧٥): « وكان الصاحب يحفظ مناكاة (١ بني ساسان حفظاً عجيباً ويعجبهُ من ابي دُلف وفور حظهِ منها وكانا يتجاذبان اهدابها ويجريان فيها لا يفطن لهُ حاضرهما · ولمَّا اتحفهُ ابو دُلف بقصيدتهِ التي عارض بها داليَّة الاحنف العكبري في المنــاكاة وذكر المكدّين والتنبيه على فنون حرفهم وانواع رسومهم وتنادر (٢ بادخال الخليفــة المطيع لله في جملتهم وقد فسَّرها تفسيرًا شافيًا كافيًا اهتزَّ ونشط لها وتبجَّح بها وتحفَّظ كلها (٣ واجزل صلَتهُ عليها » · انتهى كلام الثعالبي في اليتيمة

ومن العارفين بلغة بني ساسان: ابو عبد الله الحسن بن احمد المعروف بابن الحجَّاج قال في يتيمة الدهر (٢: ٢٨٥): « ولم يُرَ كاقتدارهِ (اي كاقتدار ابن الحجَّاج) على ما يُريدهُ من المعاني التي تقع في طرزهِ مع سلاسة الالفاظ وعذوبتها وانتظامها في سلك الملاحة والبــلاغة وان كانت مُفصحةً عن السخافة مشوبة بلغة الخُلدِيّين (٤ والمكدّين واهل الشطارة · انتهى

واعلم ان لغة بني ساسان العرب في هذه الأيام اي لغة الكاوليَّة في هذه الاصقاع تشبه كل الشبه اللغة المذكورة ولعلَّ كثيرًا من الالفاظ المذكورة تجري على ألسنتهم

(ستأتي البقيَّة)

---

١) المناكاة هنا بمعنى رُطَيْنى بني ساسان ولم اجد لها ذكرًا في معاجم اللغــة التي بيدي وقد سألتُ عن معناها حضرة الشيخ العلّامة واللُغويّ الفهّامه السيد محمود شكري افندي الآلوسي فاجابني: المناكاة احد مصادر باب المفاعلة وهو بمعنى النكاية وقد وقع بين بني ساسان والمسلمين مثلما وقع بين البرامكة وبني العبَّاس وما كان من نكاية آل جعفر. فمقصود الثعالبي اثبات كمال معرفة ذلك للصاحب وأبي دُلف وكانا مِمَّن يشار اليهما في الوقوف على معرفة جميع اخبــار الفُرس ايضاً. انتهى بحرفهِ

٢) وتَنَادَرَ: وحدَّث بالنوادر

٣) وتحفَّظ كلها اي عُني بحفظها او استظهرها شيئاً بعد شيء

٤) الخُلْديين وفي نسخة خطيَّة قديمة موجودة عند احد أُدباء بغــداد يروى الخالدين وكلاهما فصيح صحيح بني ساسان . وهما مشتقَّان من مادة خَلَدَ أو أَخْلَدَ الى الارض: اذا ركن اليها او مال الى الدنيا أو الى السفالة كما هو شأن بني غبراء

كتاب النَّخل والكَرْم للاصمعيّ

سعى بنشرهِ وتعليق حواشيهِ الدكتور اوغست هفنر (تابع لما سبق ص ٨٨٣)

كتاب الكرم

عن ابي حاتم السجستاني *

حدَّثنا الحسن بن عليّ الطوسيّ قال: حدَّثنا ابو سعيد الحسن بن الحسين السكَّري ببغداذ قال: اخبرنا ابو حاتم سهل بن محمَّد بن عُمَر السجستاني قال: قال الطائفي: يقال لشجر العِنَب الكَرْم والحَبَل (١ والواحدة كَرْمَة وحَبَلَة * فاذا غُرِس الحَبَل اخذتَ ثلث نَوامي (٢ طولُ كلّ نامية ثلثة اشبار ثم تحفر حفرةً قَدْر ذراع فتثني النوامي في الارض وتترك منها عَيْنَين عينين. ويقال للعيون الأُبَن (٣ ثم تَكبس عليها التراب وتترك لها حُوَيضًا ثم تسقيها طَوْفَ القَصَب (والطَوْف قَدْر ما يُسْق القَصَب وهو العَلَفُ الرَّطب) * فاذا كان ابَّان غرسهِ الذي يُغرس فيهِ تركتَ (ص ٢٧٠) لهُ فوق الارض عينًا واحدة ثم صرمتَ ما فوقهُ ثم وضعت شَخْطَةً وهو عودٌ من الشجر تفرزهُ الى جَنْب القضيب حتى يعلو فوقهُ. فاذا كان العام المُقبل حطبتَهُ على طول اربع اصابع ثمَّ غرستَهُ * فاذا بدتْ عيونهُ قيل: قد كَوَّفَ * فاذا رأيت فيهِ الطَّلْع قُلتَ ازْمَعَ (٤ * فاذا أُلتَقى قلت: أَسْتَظَلَّ (٥ * واذا

* كذا في الاصل والظاهر انَّ ابا حاتم السّجستاني روى كتاب الكرم عن الاصمعيّ

١) الحَبَل شجرة العنب واحدتهُ حَبَلة ويجوز حَبْلة وحُبَلة

٢) النامية جمعها نوامٍ القضيب الذي عليهِ العناقيد وقيل هي عين الكَرْم الذي يتشقَّق عن ورقهِ وحبّهِ. يقال آنمى الكرم اذا خرجت نواميهِ (اللسان)

٣) جمع أُبْنَة وهي العُقْدة في العود او في العصا

٤) قال ابن شميل: ازمعت الحَبَلة خرج زَمَعُها وعظمت ودنا خروج الحُجْنَة منها. وقيل الزَمَعة العُقْدة في مخرج العنقود

٥) يقال استظلّ الكرم اذا التفَّت نواميهِ

افتحت عناقيدُهُ قلتَ: نَفَضَ. (قال) ويقال عُنقُود وعِنقاد * فاذا فَرَغَ من نَفضهِ قيل: حَثِرَ (مخفَّف) وفَصَلَ (١ * فاذا كَبُرَ حبُّهُ شيئًا قيل: قد غَضَّنَ وقد اَغضَنَ * فاذا رأيتَ في الحبِّ المـاء قلتَ: قد اَرقَّ (٢ * فاذا اَدرَكَ قلتَ: اَينَعَ (٣ * فاذا رأيت العود يُلْبَس (٤ والماء قد انتهى قُلْتَ: عَقَدَ. وذلك حين يُقطَف * واذا ذبل العنب فهو الضَّميرُ فيُنْضَد في الجرين خُصْلَةً فخصلة * فاذا جفَّت اَعاليهِ قلتَ: قَلَبَ (٥ * فاذا جفَّ كلُّهُ ضُرِب بالخشب ثم ذُرِي في المكان حتى يُنقَضَ الحبُّ من الثَّفاريق (٦. والثفاريق العناقيد الخالية

وقال غير الطائفي: العُمْشوش العُنْقود اذا أُخذ ما عليهِ. والجمع العَماشيش. وقال بعضهم: لا ينبغي للحَبَل (ص ٢٧١) ان يُحطَب حتى يُكسر العود من نواميهِ فترى الماء ينطِفُ منهُ وذلك عندهم التَّوحيم يقال: تُوَحِّم (الكَرْمة) * ويقال للمِنْجَل الذي تُقطع بهِ نوامي الحَبَل المحطَب * وللمِنجل الذي تُقطف بهِ العناقيد المِقطَف * ويقال القشر الذي على الطُّعم من العنب النَّطْل * وللحبّ الذي في جوف الحبَّة من العنب الحُبَة (الباء خفيفة) * ويُقال لما بقي من الثفاريق يعني العماشيش اذا ضُربت بالخشب من الزبيب او

١) حَثِرَ الكرم تبيَّن حَثَرُهُ. والحَـثَر حبُّ العنقود. وفصلَ الكرمُ ظهر حبُّهُ صغيرًا. وفي الاصل خثر بالخاء وهو تصحيف

٢) رقَّ جلد العنب وارقَّ لَطُفَ وكثر ماؤهُ

٣) يَنَع الثمر يَينَع ويَينِـع يُنعًا ويُنوعًا. واَينع يونع اَدرك ونضج

٤) كذا في الاصل ولعلَّهُ « ييبس »

٥) قَلَبَ العنب واَقلب يبس ظاهرهُ

٦) قيل الثفروق هو العنقود اذا أُكل ما عليهِ كالعمشوش. وقيل العنقود يُخرط ما عليـهِ فيبقى عليهِ الحبَّة والحبَّتان والثلاث يُخطئها الخِلب فتُلقى للمساكين (اللسان)

الحَشَفِ او الحُمْنان الحُفالُ (١ ·وفي غير رواية ابي حاتم قال: قال الخليل بن احمد: الفِرْصِد (٢ حبُّ الزبيب والعِنَب وهي لغة اهل الطائف

(ضروب العنب) قال ابو حاتم: وضروب العِنَب بالطائف الجُرَشيُّ والاَقْماعيُّ العربيُّ والاَقْماعي الفارسيّ والشوكيّ والرَّغناء والرازقيُّ وامّ حبيب والضُّروع والنوَّاسيّ (الواو مشدَّدة) وحَبلَة عمرو والدَّوَاليّ والرَّمادي والشآميّ والغِرْبيب والبَيْضَة والاَطْراف والحَمْنان . فامَّا (الجُرَشيُّ) فابيض صغار الحبّ اوّل العِنَب ادراكًا (٣ * وامَّا (الاَقْماعِيُّ العربيُّ) فابيض عظام الحُبَة (بتخفيف الباء) كثير الماء. وامَّا (الاَقْماعيّ الفارسيّ) فاعظم حبًّا من العربيّ واقلّ ماء واكثر شحمًا (٤ * وامَّا (الشَّوْكيّ) فابيض قليل الماء نحوٌ من عِظَم الاقماعيّ ينشقُّ حبُّهُ على شجرهِ * وامَّا (الرَّازِقيّ) فابيض داخلتهُ زُرقةٌ طوال الحبّ * وامَّا (امّ حَبيب) فسوداء زرقاء تعظم عناقيدها ويعظم حبُّها * وامَّا (الضُّروع) فابيض وهو اطول العنب حبًّا واقلُّهُ حُبَةً * وامَّا (النَّوَّاسِيّ) فابيض مدوَّر الحبّ مُتَسَلْسِل العناقيد * وامَّا (حَبلَة عمرٍو) فبيضاء محدَّدة الاطراف متداخشة (٥ العناقيد * وامَّا (الدَّوَالي) فاسود

---

١) الحُفال بقية الثفاريق والاقماع من الزبيب وقشور التمر والحبّ . وحُفالة الطعام ما يُخرج منهُ فيُلقى من رذالة التمر والحَمْنان ضربٌ من العنب الطائف اسود الى الحمرة قليل الحبّة وهو اصغر العِنب حبًّا . وقيل هو الحبُّ الصغار التي بين الحب الكبار

٢) ويقال فِرْصيد وفِرْصاد وهو عَجَم الزبيب

٣) يُنْسَب الى جُرَش اسم مكان . قال ابو حنيفة : عناقيدهُ طوال وحبُّهُ متفرّق

٤) قال ابو حنيفة : الاقماعيّ عنب ابيض واذا انتهى منتهاهُ اصفرَّ فصار كالوَرس وهو مدَحْرَج مكتنز العناقيد كثير الماء وليس وراء عصيرهِ شيء في الجودة وزبيبهِ

٥) كذا في الاصل وفي اللسان : متداحضة

يضرب الى حمرة. عظـام الحبّ (١ * وامّا (الرَّماديّ) فاسود اَغبَر * وامّا (الشآميّ) فابيض فاذا اَينَعَ (ص ٢٧٣) أحمارّ * وامّا (الغِربيب) فاشدّ العنب سوادًا * وامّا (البَيْضَة) فبيضاء عظيمـة الحبّ * وامّا (الأَطْراف) فابيض طوال رِقاق (٢ * وامّا (الحَمْنان) فاسود احمر وهو اصغر العنب حبًّا

وقال غير الطائفيّين: حَوَائط(٣ الأَعْناب جُذورُها وثمائلُها(٤ مثل ثمائل الزرع في فراشها(٥ وخَفْضها ووقائذها الّا انَّهم يحضرون عليها بالشجر ويطلونها حتّى تمنع الناس ان يدخلوها . ويكون في الحائط الأَسْنـاد والوَدَفات وهي اوسطُهُ . ولا يقال للحائط عَذِبة . وموضع العَذِبة منهُ يسمَّى البَرَاح . ولا بُدَّ للحائط اذا ما لم تـكن لهُ كِظامة (وهي القناة) من ان يكون فيهِ اللُّفج والُخلج والفُلُج والثَّعالب في اوسط الحائط واعلاهُ . ولا بُدَّ من القِصـاب والقِصاب ان يُقطع فيهِ الثمائل وتُبنى بناء عراق الحائط بناءً مُخَلخَلًا لا يُخلَب بالطين فاذا اراد ان يخرج الماء منهُ فلا تُهدم الثمائل . وعِراقُ الحائط اسفلُهُ الذي يخرج منهُ الماء الذي يدخل الحائط (ص ٢٧٤) . وامّا اللُّفج فمجرى السَّيل . وامّا (القَصَب) فيُبْنى في اللُّفج كراهيةَ ان يستجمع السيل فيوبل الحائط (اي يذهب بهِ الوَبْل . والوَبْل العظام من المطر) ويهدم عراقَهُ *

---

١) حكى ابن سيده من ابي حنيفة: الدَّوالي عنب اسود حالِك وعناقيدهُ اعظم العناقيد كلّها تراها كانَّها تيوس معلَّقة وعنبهُ جافٌ يتكسَّر في الفم مدَحرَج ويزبَّب

٢) نظنُّهُ يريد العنب المعروف باطراف المذارى وهو عنب اسود طوال كانهُ البلُّوط يشبَّه باصابع المذارى المخضَّبة لطولِهِ وربَّما بلغ عنقودهُ نحو الذراع

٣) الحائط البستان من النخل او الكرم اذا كان عليهِ حائط وجمعهُ حوائط

٤) الثمائل جمع ثميلة قال في اللسان: هي الضفائر التي تُبنى بالحجارة لتمسك الماء على الحَرث. وقيل الثميلة الجَدْر نفسهُ. وقيل الثميلة البناء الذي فيهِ الفراس والخَفض والوقائذ وهي الحجارة المفروشة

٥) وفي اللسان: غراسها

واما (الفُلُج) فهي الساقية التي تجري الى جميع الحائط . واما (الخُلُج) فالتي تتشعّب منهُ الفُلُج وتسقي الحائط . والخليج الذي يسوق المـاء الى الحائط ويتشعّب منهُ الفُلُج . فاذا كثر الماء الذي يهيّئونهُ لسَقْيهِ وبلغ الزَّفَر (متحرّكة الفاء) وهو ما يُدعَم بهِ الشجر فتحوا الثعالب (١ السُّفْلى التي في عِراق الحائط . ولا بُدَّ للحائط من ان يُعزَق (٢ في كلّ سنة بالمِعْزَقة والمِعزقة لها شُعْبان يجمعهما رأس واحد فيعترقونهُ حتّى يذهب شجرهُ ويُكرَنَ الحَبَل (٣ وانّما يُعزَق في زمن الحِطَاب والحِطاب حين يجري الماء في العود . فاذا جرى المـاء في العود اتوا الحائط فقطعوا الشُّكُر (٤ وهي العيدان فيقطعون ما تيسَّر منها حتّى ينتهوا الى ما جرى فيهِ الماء . ويسمّون شجرةَ العنب الحبَلَة ولها شُكُر الواحد شَكِير وهي قضبانها التي في اعـلاها * والعَكيسة (٥ التي تَمَسُّ الارض في قضبانها وهي اغلظ من الشُكُر * فاذا سُئل الرجل عن حائطهِ بعد ما يجري الماء فيهِ (ص ٢٧٥) ويحطبهُ قال : اَفْطَرَتْ شُكُرُهُ (٦ ثمَّ يقول : اَزْغَبَتْ (٧ فكأنّها اعناق المِهرَة . والمِهرَة افراخ حمام تشبه الوَرَشان فيشبَّه ذلك بزَغَب الحمام * فاذا انتشر قيل : قد اَوْرَق * فاذا جرى فيـهِ الماء وزاد قيل : قد

١) الثعلب مخرج ماء المطر من الجرين

٢) عَزَق الارض شقّهـا وكرَبها . والمِعزقة المَرُّ من الحديد ونحوه ممّا يُحفر بهِ . وقيـل كلُّ ما تُعزَق بهِ الارض فأسًا كان او مِسحـاةً او سكّةً . وقيل هي الفـاس لرأسها طرفان

٣) كذا في الاصل . ولعلَّهُ تصحيف يُكرَب اي يُفتَل

٤) قال في اللسان : شُكُر الكرم قضبانهُ الطوال وقيل قضبانهُ الاعالي

٥) العكيس والعكيسة القضيب من الحَبَلة يُعكَس تحت الارض الى موضع آخر

٦) يقال افطر القضيبُ اذا بدا نبات ورقهِ وافطرت الارض تصدَّعت بالنبات

٧) اَزغب الكرم وازغابَّ صار في آبن الاغصان التي تخرج منها العناقيد مثل الزغب

أَغطَى (١ * فاذا صارت لها قُضبان قيل: أَنمَى . ويقال: ما احسن نواميَهُ . والنوامي طول الشُّكُر وغَطيُها على الدَّعَم (٢ والدَّعم الخشَب المعروض على زوافر الحَبَل . والزَّوافر خَشَب يُقام وتُعرَّض عليهِ الدَّعَم لتجري عليها النوامي * فاذا التفَّ ورقُهُ وكثرت نواميهِ وطالت قالوا: قد اَغلَى . ويقولون: اَغلُوهُ قبل ان يَغمُلَ حائطكم (٣. والغَمل ان يُنحَتَ العِنب فيخفّفوا من ورقهِ فيلقطوهُ * ثم يقولون: قد اَعصَى (٤ اذا خرجت عيدانهُ ولم يثمر وهو حين يكون في العيدان مثل حبّ الخردل * ثم يقال قد فَصَلَ اذا تبيَّن حَملُهُ وكان مثل حبّ البُلسُن وهو المدس * فاذا عظم فكان مثل الحمّص قالوا: قد اَهبَر (٥ * ثمَّ يقال للعنب الاسود: قد اَوشَمَ (٦ . وللعنب الابيض: قد اَرقَّ (٧ وذلك حين يلين بعض الهبْر ولم تَلِنْ كلُّها . ثم يقال: قد اَلمَصَ (٨ وقد شَبِع اللَّامصُ (واللامص حافظ الكرم الطائف (ص ٢٧٦) فيهِ يأخذ هَبرةً من اَدناهُ وهبرةً من اوسطهِ وهبرةً من آخرهِ) * ثمَّ يقال قد اَثلَثَ اي قد فَصَلَ ثُلثُهُ واُكِل ثلثاهُ * ثمَّ قد اَشجَنَ وذلك انَّ الشِّجنة وهي الشُّعبة من العُنقود تُدركُ كلُّها * ثمَّ يقال: قد اَفضَخَ وذلك حين يفضخونهُ (٩

١) والكرمة الفاطية الكثيرة النوامي وهي الاغصان

٢) وهي الدعائم ايضاً

٣) اغلى الكرم (لازم) التفَّ ورقهُ وطالت اغصانهُ . واَغلى الكرمَ (متعدٍّ) اذا خفَّف ورقهُ . وغَمَلَ النباتُ اذا ركب بعضهُ بعضاً

٤) وفي الاصل اَعضَى بالضاد . والصواب اعصى اي خرجت عِصيّهُ

٥) اهبر طلع هُبرُهُ والهُبر حبُّ العنب

٦) اوشم العنب اذا لان وتمَّ نضجهُ وقيل اذا ابتدأ يُلوِّن

٧) ورقَّ ايضاً اي لانَ وقد خصُّوهُ بالعنب الابيض

٨) في اللسان اَلمَصَ الكرم اذا لان عنبهُ

٩) جاء في اللسان: اَفضخ العنقود حان وصَلُحَ ان يُفتَضَخ اي يُعتَصَر ما فيهِ . والفضيخ عصير العنب

ويعصرونهُ * ثمَّ يقولون: اَقْطَفَ (١ فيغــدون ويقطفونَهُ ويُطرَح في الرَّحْبَة كما يُطرَح الزرع في الجرين (ولا يسمُّون موضع العنب الجرين انَّما يسمُّونهُ الرَّحْبَة). فمن اراد العصير عصَرَ ومن اراد الزبيب فرَشَ فاذا فرشهُ تركهُ ايَّامًا * ثمَّ يقولون: قد ضَمِرَ وهو الضَّمير (٢ وذلك حين يتغيَّر وفيهِ الماء * فاذا يَبِست ظاهرتهُ قيــل: قد اَقْلَبَ فيقلبونهُ * ثمَّ يقولون: قد زَبَّبَ (٣ فيرفعونهُ فيسمُّون المنقود الفَنَا. ويسمُّونهُ الخُصْلَة. ويسمُّون شُعْبَة العنقود الشِّجْنة ويسمُّون التي نسمّيها نحن الحَبَّة الهُبْرَة. وما في جوف الهُبْرة الحَبَة (مخفَّفة الباء). وقشرة الهُبْرة اذا امتُصَّ ماؤها وبقي حبُّها وجلدها الثُّمْرة (٤ * ويسمُّون كرم العنب الذي يُغرَس في اصول الشجر العظام: العَوادي وذلك انَّهم يعمدون الى المكان الكثير الشجر الظليل الذي قد التفَّ شجرهُ (ص ٢٧٧) الذي لا يخلو اصلهُ من الظلّ ولا تصيب الشمس ما تحتهُ فيسمُّونهُ الصأرَّ * فاذا غرسوا الكرم تحت ذلك الشجر نسبوا كلَّ شجرةٍ من الكرم الى الشجرة التي غَطَت عليها (مخفَّفة الطاء) ولا يسمُّونها الحَبَلَة كما يسمُّونهــا في الحوائط. ولكن يقولون: عادية العُتْمة وعادية العَرْعرة وعادية الثِّوَمــة (٥. ويسمُّون العواديَّ الجَفْن (٦. انشد ابو زيد:

١) اي حان ان يُقْطَف ودنا قطافهُ
٢) الضمير العنب الذابل
٣) زَبَّب العنب وازبَّ صار زبيباً
٤) وفي الاصل الثمرة بالفين
٥) العُتُم والعُتْم شجر الزيتون البريّ. والعرعر شجر جبليّ عظيم لا يزال اخضر لهُ ثمر كالنبق. امَّا الثِّوَم فوصفهُ ابو حنيفة بقولهِ انهُ شجر طيّب الريح عظــام واسع الورق اخضر اطيب ريحًا من الآس يُبسَط في المجالس كما يُبسَط الريحان
٦) جمع جَفْنة وهي الكرم وقيل اصل من اصولهِ او قضيب من قضبانهِ

رُبَّ حلمٍ اضاعهُ عَدَمُ الما ل وعيٍ غَطَى عليهِ النعيمُ (١

وقال آخرون من الطائفيين: اوَّل ما ينبتُ من الحَبَة نسميهِ الحَمْنَة (٢ ما لم نغرسهُ بايدينا فنُفرّعهُ ثمَّ نغرسهُ . فاذا غرسناهُ سمَّيناهُ غَرْسًا . فاذا عَلِقَت الغريسة قطعناها من وجه الارض وتركنا اصلها وعروقها في الارض . فاذا قطعنا رأسها دَمَنَّاها بالدِمَن اي اَلقينا على اصلها الدِمَن يعني السِّرْجين (٣ . فاذا نبت اصلُها ذلك الذي في الارض سمَّيناهُ نَشْئًا (تقديرهُ نَشعًا) وقد اَنْشَأَتْ اذا نبتت . ونسمّي الكرمَة الحَبَلَة وقضبان الحَبَلَة الطوال الشُّكُرَ (الواحد شكيرٌ) . والقضبان القِصار التي فيها العنب هي الحَجَنُ والنوامي (الواحد حَجَنة ونامية) والنامية شُعَب الشكير فيها تخرج العناقيد . فاذا همَّ العُنْقود ان يخرج تعظُمُ (ص ٢٧٨) الزَّمَعة فهو زَمَعةٌ حينئذٍ . وقد اَزْمَعت الحَبَلَة اذا ما عظمت زَمَعَتُها ودنا خروج الحجَنَة . والحَجَنَة والنامية شُعَب الشكير . وقد ازمعت الحَبلة ببنائق . والبَنِيقة ان تعظم الزَّمَعة فاذا عظمتْ سمَّوهَا بنيقةً * وقد اَكْمَحت الزَّمَعة اذا ابياضَّت وخرج عليها مثل القطن فذلك الاِكْماح . وقال الجوهريّ : اَكْمَح الكرم اذا تحرَّك للإيراق

والعنب اوَّل شيء يخرج منهُ ان تَعْظُم الزَّمَعة فاذا عظمت جدًّا سمَّيناها بنيقةً ثم يكون حَثْرًا ثمَّ (٤ يكون غُصنًا (٥ وذلك اوَّل ما يعقد فلا يزال غصنًا

---

١) البيت لحسَّان بن ثابت . وغَطَى عليهِ النعيمُ اي الْبَسَهُ وسترهُ . ويروى : وجهلٍ غطَّى عليهِ

٢) الحَمْنَة الحبّ الصغير كالحَمْنان وقد مرَّ

٣) معرَّب سركين الفارسيَّة ومعناها السواد

٤) الحَثْر حبُّ العنقود اذا تبيَّن . وقيل هو من العنب ما لم يُونع وهو حامض صُلب لم يشكل ولم يتموَّه (اللسان)

٥) ومنهُ اَغصن العنقود وغصَّن اذا كبر حبُّهُ شيئًا

حتَّي يأخذ في النَّضج ويُرى فيهِ السواد . فيقال: قد ارقَّ للابيض اذا رقَّ حبهُ واخذ فيهِ النَّضج وللاسود: قد تشكل (١ بسواد اذا ما اسودَّ بعضهُ . (قال واوَّل ما يخرج من العنب نسمّيهِ ثمرًا . وقد يَنَعَ العِنَب . اذا ادرك ويُقال قد اَيْنَعَ ايضًا * والذي يتعلَّق بهِ العِنَب بالشجر يسمَّى الاساريع . واساريع العنب شُكُر تخرج في اصل الحبَلة وربَّما أُكلت رطبةً حامضة والواحدة أُسْروع * وقِشر الحَبَلة يسمَّى القِرْف (٢ والحبَّة اذا نبتت كانت صغيرةً قميئةً وجاءَت (ص ٢٧٩) عيداُنها جعدةً من العطش اوغيرهِ قيل انَّها خَدْلَة * وربَّما كان العِنب جابذًا وقد جَبَذَ يَجْبِذُ اذا كان صغيرًا مشقَّقًا وقفَّ ورقُهُ * وتقول انهُ لَمُحيل وربَّما حوَّل العنب اذا ما اثمر في عامٍ واحال في الآخر * وعِنب معوَّم اذا ما حمل عامًا وقلَّ حملُهُ عامًا * والعِنب يُقطع كلَّ عامٍ شيءٌ من اعاليهِ فنسمّيهِ الحِطَاب وقد اْستَحْطَب عِنَبكم (٣ واذا قطعوهُ قيل حطبوهُ (التتمَّة لعدد قادم)

مدة حياة الانسان

خطاب للدكتور حبيب افندي درعوني القاهُ في غرفة القراءة .

ايها السادة

أنَّني عملًا بقولهم « الامتثال خيرٌ من الادب » تروني قائمًا بما نُدبت اليهِ من شرف التكلّم في ناديكم الكريم . وجئتُ ببضاعتي اعرضها عليكم على غثاثتها علَّها تنال رعايةً وقبولًا

---

١) قال في المحكم شكّل العنب وتشكّل اسودَّ واخذ في النَّضج

٢) واحدتهُ قِرْفة وجمعهُ قروف . والقِرْف لِحاء الشجر

٣) اي احتاج ان يُقطع شيءٌ من أعاليهِ

وقد فكّرت في انتقاء موضوع يكون لهُ من الاهميَّة العلميَّة ما هو حريٌّ بالبحث في مجلسٍ ضمَّ نخبة العلم والادب ومن الفائدة العمليَّة ما يشفعهُ في سماعكم ورضاكم فبعد الاجتهاد في استيفاء هذه الشروط يخال لي اني وجدت ضالّتي في مغزى هذه الحكاية

١

يحكى ان شيخاً حطَّاباً كان يحطِب ذات يوم في احد الاحراج فاذا بهِ خطر على بالهِ ضنك عيشهِ وذلَّة حالهِ وتذكَّر المشقَّات التي قاساها في زمانهِ فعظم عليهِ الامر وسئم الحياة وثقلت عليهِ وطأةُ اكدارها. فبعد ان حمل حطبهُ وسار في طريقهِ مناجياً نفسه بما نالهُ في عمرهِ من مرارة الحياة وحزازاتها اتكأ على صُفَّةٍ يستريح. ثم أنَّ وتحسَّر والتحسُّر من طبعهِ يحتشر الاشجان. فثارت في فؤادهِ عاصفةُ الاحزان. واسودَّت الحياة في عينهِ لأنها لم تُذِقهُ من لذتها طعماً. فصرخ بصوتٍ فيهِ رنَّةُ الغمِّ وأَنَّةُ القنوط: اليَّ يا موت يا موت اين انت. قيل فحضرهُ ملاكُ الموت منادياً: يا شيخ لبيّك هاءنذا بين يديك. امَّا الشيخ وقد رأى ان في الامر جدًّا فخالجهُ الجزع واخذهُ الحرص على حياتهِ فأجاب ملاك الموت متلجلجاً واجفاً: انَّما دعوتك لتساعدني على النهوض بحملي لا لتأخذني

ذلك مثلٌ يبيّنُ انَّ حياة الانسان وان كثرت مصائبُها وشقَّت متاعبها لا يسأمها الانسان الَّا نادرًا ولا تطيب نفسهُ بالانتحار الَّا اذا اعتراه ضربٌ من الجنون. ولو أُتيح لهُ الخلود في هذه الدنيا لما كرههُ ولو لقي فيها الامرَّين

وإذا الشيخ قال أُفٍ فما ملَّ م الحياةَ ولكن الضعفَ ملاَّ

كثر اشتغال البشر في إطالة الحياة وسنُّوا لذلك قوانين كثيرة قرُبت من الحقيقة وحقَّت نتائجها بتقدُّم العلم وانكشاف مكنونات الطبيعة حتى انهُ قد ثبت من احصاءات الدول السنويَّة ان الذين يراعون هذه القوانين تطول حياتهم. ولمَّا كنَّا نحن عرفنا اشخاصاً حلَّقوا جيلاً او خاصروهُ فضلاً عمَّا نقرأهُ في جرائد الاخبار من وقتٍ الى آخر عن بعض المعمَّرين اغتنمنا ذلك برهاناً حيًّا يؤيد بعض خواطر نبديها في مدة حياة الانسان فنبيّن ان الانسان يمكنهُ ان يعيش عمرهُ الطبيعي وان هذا العمر الطبيعي مدتهُ مئة وعشرون سنة وهو محدودٌ حدًّا طبيعيًّا وان الانسان اذا استجمع اسباب الوقاية وعمل بموجبها

يمكنهُ ان يعيش خالياً من الامراض. لانَّ الموت من شأنهِ طبعاً ان يكون انحلالاً طبيعياً لا مرَضياً رغماً عمَّا نراهُ في الغالب منافياً لهذه القاعدة. لان الانسان منــذُ اطرَّت بهِ شهواتهُ على المنكرات واتت عن يدهِ المعصيات اخلَّت اعمالهُ هذه بنظام الطبيعــة فاصبحَ الشاذُّ قاعدةً والقاعدة شذوذاً. على انهُ لو جرى الانسان على الناموس الطبيعي وجعل قطب حركتهِ الحيويَّة في دائرة الادبيَّات والصحيَّات لطالت حياتهُ حتى تنفــد مؤنة حركتها الطبيعيَّة وهو يقضي اياماً سليمةً لا تشوبها العلل والامراض اللهمَّ اذا استوفى شروط الوقاية وكان جســدهُ خلوًا من كل شائبةٍ إرثيَّــة. وغير خافٍ ما في هذه القضيَّة من الفائدة فانَّها اذا تقرَّرت بالحجج وقامت على اعمــدة البرهان تتخلَّص منها الى نتائج عمليَّة بعيدة المرمى في صون الحياة وحفظها من قارعات الحدثان على قدر ما يسَّر الله لنا في هذا العالم الواسع البديع من الذرائع والوسائط

٢

من سرَّح الطرف في تاريخ الطبّ وكيفيَّة نشأتهِ وتقصَّى اسباب اختراع اصولهِ الاولى وتحصَّل من الاطلاع على كتابات ابي الطبّ ان احسن ما كان يعرفهُ ابقراط اغناء تأثيرات التغذية والسكن وانواع المعيشة على الجسم الانساني وانــهُ اي بقراط كان قلَّما يعلمُ اعمال الجسم الحيوية أدرك اذ ذاك كيف انهُ يعزو لاغلب الامراض التي ذكرها اسباباً خارجيةً ويعللُ عن توليدها بتأثيراتٍ طرأت على الانسان من جوارهِ مثل البرد والحر وتغيّر المناخ الخ. هذا واذا وقف على مبادئ الطبّ الحديث معما توصَّل اليهِ العلماء وعلى الخصوص في العصر هذا من الاكتشافات الفيسيولوجية والمرضيَّة. ثم قابل بين معرفة اليوم الطبيَّة ومعرفة ذي قبل فانهُ يجد ولا بدع بونًا لا يُسبر وتقــدماً يذهل المتأمل. من ذلك اكتشافات حديثة غاية في التدقيق خصبةٌ في نتائجها غريبةٌ في بابها بعيدة في مرماها اخذت اليوم مقــاماً خطيرًا في بحث الامراض ومنــذ شمَّر باستور عن ساعد الجدّ وجرَّدَ ذكاءهُ للتحرّي والاستقصاء لقد اماط النقاب عن عالَمٍ جديد لا يكاد يخطر على بال احدٍ من قبلهِ فعُرفت اسباب الاوبئة وكيفيتهــا وأُدركت الامراض العمومية في كنهها وجوهرها

وتبيَّن لناظرنا ان ما وجدوه من الجراثيم الدقيقــة التي لا تُدرك الَّا بالنظَّارات المعظَّمة وسموها ميكروبًا هي اعداء ألِدَّاء للانسان. اذا وقعت عليهِ اوقعتهُ في ورطات

العلل والامراض فترتب علينا من ثم ان نصطنع لها سلاحاً ندفعها بهِ ونردُّها على الاعقاب. ومن يوم اتَّضح امر الميكروب عرفنا نواميس العدوى واختبرناهــا واتسع نطاق بحث الوقاية من شرّها

ثم اننا اذا اعرضنا هنيهةً عن تقلُّب الميكروب وسيرهِ في معرّجات الجسم وقطعنا النظر عن الطوارئ المرضيَّة المتسلّطة على الاعضاء وبحثنا عن السبب الاوَّل في اعتــدال الصحَّة وجدناه غالباً بل دائماً خارجيًّا كما لاحظ ابقراط. فينتج من ذلك ان الامراض ليست بضروريَّة للجسم من حيث تركيبهِ بل انها نتيجة عوامل خارجية بنوعٍ انهــا اذا دُفعت تسنَّى للانسان ان يعيش سليماً سالماً ويصبح موتهُ انحلالاً طبيعيًّا بنفاد القوة الحيويَّة التي أُعطيها الجسم الانساني أُسوةً بكل جسمٍ آليّ حيوانًا كان او نباتًا وبكميَّةٍ محدودةٍ حدًّا طبيعيًّا بنسبةٍ معلومة كما سنبين

٣

يكفّن بعضنا بعضاً ويمشي اواخرنا على هامِ الاوالي

لقد سبق قولنا بان الانسان يضنُّ بحياتهِ لا يألو جهدًا في صونها والذودِ عنها. تلك خاصَّة كل حيوان تُعرَف بغريزة المحافظة هي التي تستفزُّهُ للدفاع عن حياتهِ والذبّ عنها من الاخطار ونوازل الأيام فتراه يجعل معظم عزائمهِ وراء هذه الغاية ويشتغل كيفما قدر لتطويلها غير ان تلك العزائم كثيرًا ما تقصر عن ادراكِ المراد منقلبــةً الى الخيبة والفشل امام حكمٍ ابرمهُ الله فكان مطاعاً. امَّا الجنس البشري فقد اهتمّ في كل اينٍ وآن ان يفكّ هذه العقدة التي عالجها كلّ من الشعوب حسب استعدادهِ فتوهم المصريون انهم وقفوا على الدفينة باستعمال المعرّقات والمقيئــات وسنَّ ابقراط في ذلك عيشةً مرتبةً وهواء نقيًّا والاستحمام وترويض الجسم. وقال بلوتارك: عليك ببرودة الرأس وتدفئة الرجلين وتسهيل الباطنة فيكون لك طول الحياة. ثم جاء القرن المتوسط فجمح في غوايتهِ وأتى على هذا الموضوع بترّهاتٍ صحاحح اذ تعلّق بخرافاتٍ تضحك اولاد هــذا العصر منهــا مفعولات الكواكب والكيميا والاكسير الى غير ذلك من هذه الاحاديث. ولمَّا ان حام فوق مخيلتهم طائر الاوهام بدا لهم ان اخترعوا نقل الدم من حيوان الى آخر وأخذوا يطنطنون حول هذه العملية انها تُهزم الموت وتحيي الانسان بل انها تغيّر طباعه وخصائله وقد بلغ اقتناعهم في هذا الوهم الى ان اخذوا يعالجون الجبان

باعارتهِ دم الاسد والغضوب بدم الحمَل واجروا في عروق الهرم دم الشباب فكان من ذلك ان هُرقت دماء ونُقلت دماء فبقي الجبان جباناً والغضوب غضوباً والهرمُ ينوءُ تحت وقر سنيهِ والشيب يعبث فوق ثنايا جبينهِ ولو فطنوا لوجدوا في كثرة هذه الوسائل وتعدُّدها لاطالة الحياة احسن دليل على بطلانها

فلم يبقَ لنا والحالة هذه الّا ان نقرَّ بضعفنا وان ساءَنا هذا الاقرار لنعلم يقيناً ان الموت مصيرُنا والحياة زائلةٌ لا تدوم الّا زماناً . ولكن ما هي مدَّتها يا ترى . تلك الضالَّة التي ننشدها والسوءَال الذي نسعى في الجواب عنهُ . وبادئة ذي بدء لا بدَّ لنا من حصر المسأَلة بافرازها عمَّا يدعُ باباً للالتباس وعليهِ فلا نبحث هنا عن مدَّة الحياة التعديليَّة ولا عن مدَّتها العاديَّة بل عن مدَّتها الطبيعيَّة وان سأَلت ما الفرق بين هـذه المدَّات الثلث قلنا انَّ المدَّة التعديليَّة هي عبارة عن معدَّل حيـاة اهل بلدٍ معلوم من الطفل الذي لا يرى النور الّا ساعةً الى الشيخ الذي يستوفي حظَّـهُ من الحياة . وذلك بان تجمع زمن هذه الاعمار وتقسمهُ على عدد السكَّان . امَّا المدَّة العاديَّة فهي الزمان الذي يعيشه كلّ من تخلَّص من اخطار الشبيبة ونشط من ملمَّات الرجولية وتوصَّـل الى الشيخوخة . وكلتا المدتَّين خارجة عن بحثنا

امَّا الحياة الطبيعيَّة وهي التي نحن في صددها فهي التى جعلهـا الاله في النوع الانساني بنسبة تركيبهِ الحيواني وجهَّزَ لها اعضـاء ووظائف تخدمها حتى تنفدَ قوَّتها وتخمُدَ حركتها . ومدة هذه الحياة كما قلنـا مئة وعشرون سنة . فاذا اعتبرنا مثلًا رجلًا خلِّف لهُ ابواهُ صحةً جيدةً وبنيـةً قويَّةً وافترضنـاهُ ذا مزاج توسَّط بين العصبي والدموي والليمفاوي ينقـاد لسنن الصحة لا يسرف في استعمال قواه العقليَّة والماديَّة ولا يداهمهُ في سياق عمره آفةٌ او نائبـةٌ تعطبه فذلك الرجل يمكنـهُ ان يعبّر العمر الطبيعي صابراً على كرور مئـةٍ وعشرين سنة او اكثر . نعم ان وجود انسانٍ بتلك الصفات من النوادر المذكورة الّا انهُ ليس من المستحيل ويجدر بنـا ان نعتبر عمرهُ طبيعيًا واليك بيان ما تقدَّم

٤

قال ارسطاطاليس : لكل شيء بدء ووسط ونهاية . اما بدء الانسان او الشطر الاوَّل من حياتهِ فهو الزمن الذي يأتي بهِ للوجود ويأخذ بالنشوء ويدعى الشبيبة .

ووسطها استمرار الانسان بعد نشوئه في حال القوة والنشاط وهو سنّ البلوغ او الرجولة . امّا الشطر الثالث فهو تقهقر الانسان شيئاً فشيئاً حتى يطارد نهاية عمره ويعرف بالشيخوخة

وحيث ان كلّ شيء في الطبيعة يجري بحسب نواميس مقرّرة وينقاد لترتيب بديع في المخلوقات كان لا بدّ من وجود نسبةٍ وانتظام ما بين هذه الشطور الثلاثة للحياة فكل حيوان ينشأ ويبلغ حدّ نموّه في زمنٍ قصير يكون عمره قصيرًا . وتزيد هذه الحقيقة وضوحاً اذا نظرنا الى ما يجاورنا من الكائنات فنرى فيها مصداق تلك القاعدة. ومثل الحيوان في هذا المعنى مثل البناء ان قصدت ان تجعلهُ عظيماً متيناً صابرًا على كرور الايام فانك تجعل لهُ اساساً عميقًا معززًا بالقوائم والدعائم . فاذا احدٌ منّا اجال الطرف في آثار بعلبك فانهُ لا شكّ يتأثر لمرأى تلك الانقاض العظيمة الشأن وتحدثهُ البصيرة ان هذا البناء قائم على أُسس تعادلهُ عظمةً ومتانة . ثم اذا انثنى راجعاً فمرّ بالقرى المجاورة ونظر حيطانها المتداعية فانهُ يتأكد برأي العين ان تلك الحيطان ليست الّا طيناً مدكوكاً لا اساس لها وعلم بلا استجهاد انها عن قريب تتهدّم وتنحلّ

وان كانت مصنوعات الانسان جرت على هذا النظام فما احرى الطبيعة بهِ وهي الانموذج والمثال فانّا اعتبرنا من الحيوان او النبات وقابلنا بين مدّة نموهِ ومدة حياتهِ نجد نسبة ثابتة بين هاتين المدتين فيكون العمر طويلًا اذا طالت مدة النمو وقصيرًا اذا قصرت . مثالهُ ان الكلب ينشأ في مدة ثلاث سنين ومعظم عمره يكون خمس عشر سنة . امّا الفيل فلكون نشوئهِ يستغرق اربعين سنة تراه يعيش ما ينيف على المئتي سنة وقس على ذلك كل الحيوانات بل كل الكائنات الحيّة

واذا ثبت ما تقدم وتقرّرت النسبة بين مدة النشوء ومدة العمر بقي علينا ان نبحث كم تدوم مدة النشوء في كلّ جنس حيواني حتى اذا عرفناها تخلصنا لمعرفة مدة العمر ومرجعنا في ذلك الى علم التشريح

٥

ان العظام التي من مجموعها يتكون الهيكل الحيواني قبل ان تكون صلبةً متينةً كما عند البالغ قد تكون في بادئة الامر عند الجنين لدنةً مرنةً مركبة من مادةٍ تسمى غضروفاً . وفي ذلك الغضروف ثقوب ما لها عددٌ لا يتناولها رأي العين الّا

بالجهر وفي هذه الثقوب ترشح رويدًا مادةٌ كلسيَّة هي التي تقوّم العظم وتصلّبهُ وقد يبدأ ذاك الارتشاح في ثلاث نقط من العظم ووسطهِ وطرفيهِ لذلك ترى في مدة التعظم اجزاء تصلَّبت واخرى لم تزل رخوةً غضَّة . غير انهُ لا يعتم الامر حتى يتحوَّل الغضروف عظمًا ولم يبقَ منهُ الّا قرصٌ غضروفيّ يصل بين طرف العظم واوسطهِ واذا ما عظم ذلك القرص يقول اهل التشريح : التحم الديافيز الى الابيفيز او بعبارة عربيَّة . التحم وسط العظم الى طرفيهِ . واذا تم ذلك تم زمن النشوء ودخل سنّ البلوغ وما دام هذا القرص في حالته الغضروفية يكون دليلًا على ان البلوغ لم يتمّ بعد وقد راقب العلماء مثل بوفون وفلورنس اعمار الحيوانات على اختلافها فقرروا بعد الملاحظات المتعددة والابحاث المدققة انهُ توجد نسبة معلومة بين مدة النشوء ومدة الحياة . فاذا فتشنا على هذه النسبة في ذوات الثدي نجدُ ان هذه الحيوانات يتم نشوءها في زمن يعادل خُمس عمرهـا اعني بذلك اذا كان معظم عمر الحيوان عشرين سنة فيكون قد تم نشوءهُ في السنة الرابعة من عمرهِ (اي خمس عمره) وبعكس العبارة اذا الحيوان اتمَّ نشوءهُ في مدة اربع سنين فيكون معظم عمره عشرين سنة مثاله :

		معدَّل الحياة		مدّة النشوء
الحصان	يعيش	من ٢٥ الى ٣٠ سنة		٥ سنين
الحمار	«	٤٠	«	٨ «
الخروف والكلب	«	١٥	«	٣ «
الثور	«	من ٢٥ الى ٣٠	«	٥ «
الجمل	«	من ٤٠ الى ٥٠	«	٩ «
الفيل	«	٢٠٠	«	٤٠ سنة
الهرّ	«	من ١٠ الى ١٥	«	٣ سنين
الاسد	«	من ٢٠ الى ٣٥	«	٧ «

الى غير ذلك من الامثلة التي كلُّها اذا استقصيناها تجري على هذه القاعدة . واستنادًا على هذه القاعدة نفسها استنتجنا والنتيجة ستدعمها بالبرهان ان الانسان بما انهُ يُتمُّ طور نشوءهِ عادةً في الرابعة والعشرين من عمره قد يكون عمره الطبيعي مئةً وعشرين سنة (اي خمس مرَّات اربعة وعشرين) جريًا على الناموس الآنف الذكر . وذلك اوَّلًا : لان الانسان من حيث جسده حيوان . واذا صرفنا النظر عن النفس أضحى الانسان والحيوان سيّين . اذ لكليهما جسمٌ واعضاء لا يفرق بينها سوى شكلها

ومركزها. وكلاهما يُبديان اعمالًا ووظائفَ متشابهةً مثل التغذية والحركة والتناسل الخ. ولما كان كذلك كان من البديهيَّات ان جسم الانسان ينشأ مثلما ينشأ الحيوان وهذا هو الواقع. والحال قد ثبت بالاختبار ان المدة التي بها يتكامل نموّ الحيوان تعادل خمس عمره فاذًا كذلك الانسان وحيث ان مدة نشوءِ تدوم اربع وعشرين سنة فاذًا يكون عمره مئة وعشرين سنة

ثانيًا: اذا كان يموت الانسان غالبًا قبل آنهِ ويؤول شخصه قبل زمانهِ فذلك بسبب الامراض والعاهات وما تلك بميتةٍ طبيعيةٍ كما نوَّهنا. ان هي الّا قهرًا واغتصابًا. شوَّشت حركة الحياة وابطلتها قبل ان تأتي على آخرها. على انهُ لو لم تنهكها العلل لاستمرت تطوي نهجها المخطوط وتنفق من قوتها الحيوية ما يساعدها على قطع مراحل العمر الطبيعي:

والعمر يسير مسير الشمس م فليس تقرُّ لهُ قدمُ
قدمان لهُ يسعى بهما فضحىً ودجى ضوءٌ ظلمُ

ثالثًا: نقرأ في الكتاب المقدَّس ان البشر كانت تعيش تسعمائة سنة ونيفًا. فمن ثم ما عاد يغرب قولنا بان العمر الطبيعي مئةٌ وعشرون سنة. نعم ان كثيرين حاولوا نقض هذا التصريح بحجج واهنة ردَّ عليها ردًّا شافيًا في المشرق (٤ : ١٥٢) حضرة الفيلسوف العلاَّمة المنسنيور يوسف العلم. وازيد على قول سيادتهِ اني اقيس التعليل عن اعمار الآباء الطويلة بنفس القاعدة التي بيَّنتها في هذا البحث باعتبار ان اجسام هؤلاء الآباء الاوَّلين كانت قويَّة البنيان حتى انها اقتضت زمانًا طويلًا لاتمام نشوءها منها مئة سنة للذين عاشوا خمسمائة. ومئة وثمانين للذين عاشوا تسعمائة الخ. وهذا تعليلٌ لا ينافي القول بان الله تعالى قد وهبهم هذه الاعمار الطويلة حتى يتمكنوا من تكثير النسل في بدء العالم لا بل يدعمهُ ويُعلّل عنهُ علميًا لان الله سبحانهُ وتعالى خلق كل شيء بحكمة ونظام بديع وجعل لكل من مخلوقاتهِ نواميسَ عجيبة هي مرامي العلم وما قوام العلم سوى باكتشاف هذه النواميس واستخدامها

رابعًا: اعظم برهان يجدر بنا ان نورده في تبيان ما نحن في صددهِ انما هو وجود كثيرين من الذين حلّقوا المئة من عمرهم وامثلة المعمرّين كثيرة لو اردنا احصاءها لطال بنا الكلام فنكتفي بان نحيل القرّاء الى المشرق في الصفحة ١٩٠ من السنة

الجارية حيث ذُكر عدد المعمرين الذين اربى سنّهم على مئة سنة وهم لا يقلّون عن ٧١٨ عدًّا في هذا العام بلغ عمر الواحد منهم ١٥٠ سنة اسمهُ برونو كوتريم من اهل ريو دي جانيرو. وقد عرفتُ انا ذاتي شيخين جازا المئة من سنتهما وقد اكل عليهما الدهر وشرب. تلك شهادات حيّة لا سبيل الى ردّها. بل تصرّح بلسان حالها ان الانسان يعمّر مئة وعشرين سنة لولا اسرافهُ في مادة حياتهِ

وربّ مستفهمٍ يسألني لماذا عاش بعض المعمّرين اكثر من الحدّ المعيَّن بمقتضى القاعدة التي شرحتها. على ذلك أُجيب ان هذه الامثلة تزيد بيانًا وتقريرًا لقاعدتنا لانهُ ورد في علم التشريح بعض امثلة عن أُناس لم يتمّ نشوءهم الّا في الثلاثين او الخامسة والثلاثين من عمرهم فلا بدَّ ان الذين عاشوا مئة واربعين او خمسين سنة كانوا من الذين اتمّوا نشوءهم في الثلاثين من عمرهم وغير خافٍ ان هذا الشذوذ يؤيّد القاعدة العمومية التي اسهبنا في بيانها وهي ان تمام النشوء يتمّ عادة في الرابعة والعشرين

ومن قائل: اننا اذا اعتبرنا الجسم من حيث ظواهره وبنيتهِ الآلية شابه بعضنا بعضًا والناس اجمعهم مفطورون على مدادٍ واحد. فان كان ذلك كذلك لِمَ لا نعيش زمانًا واحدًا ولماذا لا نستوي في الاعمار ؟

السبب في ذلك اننا لسنا وحدنا في هذه الدنيا وان حياتنا محصَّل اعمال التغذية والنموّ وتلك الاعمال تحدث علاقةً ضروريَّة بيننا وبين ما يجاورنا من العناصر والكائنات التي اخصّها الميكروبات. فتقوم اذ ذاك سوق حربٍ. يعبّرون عنها بتنازع البقاء. ولا يخفى ان هذا التنازع يؤثّر آجلًا او عاجلًا في اعمال التغذية فيزعزعها على التمادي ويُدخل الخلل في حركتها. ثم ان الناس قلّما ادركوا وسائط حفظ الصحة ووقايتها وقلّما عملوا بمقتضاها فتراهم لا يتجنبون اسباب الامراض بل يتسارعون اليها كالباحث عن حتفهِ بظلفهِ. واليك مثلًا يبيّن لك الاختلاف في الاعمار: الانسان كالسراج فان كان زيتهُ جيدًا كافيًا والفتيل غير ممتدّ والهواء ساكنًا فانهُ يضيء ويُنير ويرشف الزيت على مهلٍ ولم تخبُ انوارهُ حتى تفرغ مادَّتها فيطفأ السراج. امَّا اذا كان الزيت معكَّرًا والفتيل ممدودًا والريح قاصفة فامَّا ان يكون ضوء السراج ضعيفًا واما انهُ يشتعل في مدةٍ قصيرة او ان تطفئهُ الريح. ذلك مثل الحياة: كل انسان قد أُعطي منذ

مولدهِ من زيت الحياة كميَّةً تبلغهُ الى حدٍ معلوم. فمنهم من خلف لهم ابواهم صحَّة جيدة وبنية حسنة ومنهم من ورثوا عنهم الامراض والهزال فتكون من ثمَّ قوة الحياة متباينة عن كل فريق. ولمَّا كان الاولاد صورة الآباء يشابهونهم بعض المشابهة في صفاتهم الجسدية والادبية واستعداداتهم المَرَضية كان التناسل احد الاسباب المؤثرة في مدة الحياة. وليس احدٌ الَّا ويعلم ان عيالًا كثيرة عُرفت بطول العمر او بقصرهِ. ومن غريب ما حُكي من النوادر التاريخية ان الاسقف درمنياك مرَّ في بعض الشوارع سنة ١٥٥٤ فصادف شيخًا عمرهُ احدى وثمانون سنة يبكي على باب بيتهِ فسألهُ المطران عن داعي بكائهِ فاجابهُ: قد ضربني ابي. فعجب الحبر من هذا الولد الكبير وطلب ان ينظر اباهُ فاتوا بهِ وكان قويًّا ولهُ من العمر مئة وثلاث عشرة سنة فحادثهُ المطران ثم سألهُ لاي سبب ضرب ابنهُ. قال: ضربتهُ لانهُ مرَّ من امام جدهِ ولم يسلّم عليهِ. فزاد المطران اندهاشًا وطلب ان يذهبوا بهِ الى الجد فاذا بهِ هرم قد برى الزمان عظمهُ وهو في المئة والاربعين من سنهِ

ثم ان الولد امَّا ان يعيش في مكانٍ طيّب المناخ نقيّ الهواء وامَّا يعيش في المدن الآهلة الفاسدة الهواء فتفسدُ بنيتهُ وتهبّ عليها عاصفة التمدُّن فتجعف قواها وتهزلها

ثمَّ انهُ يشبّ فتشبّ في قلبهِ نيران الاميال والشهوات وتزيغ بهِ اهواؤهُ عن منهج الفضيلة ويرتطم في اوحال الملذَّات وتلك الاعمال كلها لا بدَّ لها من نفقات فيستنزفها الانسان من مادتهِ العصبية فيحصل لها ما يحصل لسراجٍ زيته عكر وفتيلتهُ ممدودة والريح تهبّ عليهِ . ثم زد على ذلك مفاعيل الصناعة او الحرفة التي يزاولها ذلك الشاب فتكتشف سببًا جديدًا في انهيار جُرف حياتهِ

ولمَّا كان الانسان قائمًا باقتران النفس والجسد كانت الانفعالات النفسانيَّة من اعظم العوامل في نقض الحياة لذلك ترى الغضب يهضم الجسم والحزن يُنحلهُ وسَوْرة الهموم تسقمهُ. وعلى خلاف ذلك راحةُ العقل والسكينة فهي تمدُّ في العمر وتزيدهُ كما ترى في الرهبان والمتزهدين

ثم ان الغذاء اذا كان غثًّا وغير كافٍ لتعويض دثور الجسم يقوى الخارج على الداخل فتصبح نفقة الاعمال الحيوية من مادّة الجسم نفسها فيأخذ في التقهقر ويبيد في زمنٍ قريب الى غير ذلك من الاسباب التي يستغرق تفصيلها زمانًا طويلًا وقد وعدنا في

صدر بحثنا اننا لا تريد طمعاً في حلمكم فنكتفي بالالماع

وبالنتيجة ان الحياة لها حدٌّ طبيعي يختلف في كل جنسٍ حيواني بنسبة مدة نشوءِ وهي عند الانسان مئة وعشرون سنة كما بينّا. وفي الختام اتمنّى لكلٍ من الحضور ان يعيش عمره الطبيعي او انهُ على الاقل يسعى لذلك بانتهاج طريق الادبيات والصحيّات متذكرًا قول من قال:

ما انت الّا كزرعٍ عند خضرتهِ بكل شيءِ من الافات مقصودُ
فان سلمتَ من الافات اجمعِها فانتَ عند كمال الامر محصودُ

مقالع مصر ومعادنها *

نظر في تركيب ارض مصر الجيولوجيّ للاب بطرس دي فراجيل اليسوعيّ

تُقسم مصر من حيث سطح ارضها الى ثلاثة اقسام كبيرة معروفة الحدود وهي مصر السفلى وتدعى بوادي النيل والدَلتا تتركّب من تربة جُوفيــة تُدعى الابليز وهو طين اسود لزج تأتي بهِ مياهُ النيــل من بلاد السودان. ثمَّ شرقًا تعانيق الصحراء العربيّة وسهولها المرتفعة الممتدّة فوق جبالٍ عالية الى بحر القلزم. ثم اخيرًا أنجاد صحراء ليبية الفسيحة المتّصلة غربًا بافريقيــة الوسطى. وبين هاتين السلسلتين الجبليّتين وادي نهر مصر الكبير تراهُ محصورًا في اعلاه عند اسوان. ثم ينفرج شيئًا فشيئًا وتنبسط بقاعهُ الخصبة على ضفتيهِ ولا يزال الجبلان في تباعد حتى اذا بلغ النيل اسافل مصر تشعَّب

---

* راجعنا لكتابة هذه المقالة الكتب الآتية: Description de l'Egypte, par les savants de l'Expédition française. *Paris, Imprimerie royale*. 1818. — Archéologie Egyptienne, par G. Maspero. *Paris, Quantin*. 1887. — L'Egypte par G. Ebers. traduction de G. Maspero. *Paris, Firmin Didot*, 1880. — Géographie universelle, par E. Reclus, *Tome. 10. Paris, Hachette* 1885. — Promenades archéologiques, par G. Boissier. *Paris, Hachette* 1901 — Revue d'Egypte, *Caire, Imprimerie nationale ;* passim. — Bulletins archéologiques et Guides divers. ; passim. — Auteurs anciens cités dans le texte : Œuvres.

بغتةً على شبه مروحة وانصبَّ من عدَّة فوَّهات في البحر المتوسط

اما صحراء ليبية فتتركَّب من قطع ارض مستطيلة منفسحة من الجنوب الى الشمال تمتدُّ من النوبة الى البحر وعناصرها على حسب الترتيب الآتي: حجر النوبة الرمليّ ثم الحوَّارى ثم الارض الكلسيَّة ذات المحار (calcaire nummulitique) ثم طبقات الارض الصدَفية العليا المدعوَّة پليوسان (pliocène) ووجهة كلّ هذه الطبقات فيما يظهر من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي بميلة الى الشمال الشرقيّ على خطوط افقيَّة ومجمل هذه المشارف ترتفع فوق سطح النيل ارتفاعاً يختلف بين ٢٠٠ و ٣٠٠ متر لا يتخلَّلها وادٍ عميق كما لا يعلوها جبلٌ ذو رِعان وانَّما ترى في فسحتها بطاحاً وغيطاناً من جرَّاء السيول الجارفة وهي اليوم واحات خصبة غنَّاء

اما انحاء الجبل الشرقيّ المعروف بالعربيّ فيحدُّهُ عند بحر القلزم جبـال عالية متواصلة بالغة الارتفاع متركبة من صخور متبـلورة تتوغَّل في وسط الصحارى. وربَّما بلغ ارتفاع هذا الجبل الفين متر وهو يقوم بازاء جبل سينا شرقاً. امَّا من جهة الغرب فيتَّصل بهذا الجبـل نضائد من التربة تتَّجهُ الى انحاء شتَّى غير معلومة. فاذا بحثت عن طبيعة الصخور التي عند السلسلة الطرفية وفي منعطفها وجدت الحجر الصوَّان المحبَّب. واذا سرت من الجنوب الى الشمال عثرت على حجر النوبة الرمليّ ثم على طبقـات من الحوَّارى والجصّ يليها صخور كلسيَّة محاريَّة تمتدُّ الى النيـل. ولهذه السلسلة الجبليَّة الشرقيَّة مرأًى عجيب لما يتخلَّلها من الاودية العميقة الغور وما يشرف عليها من الصخور المسنَّنة المرتفعة ذات الصور الغريبة

وفي اقصى جنوب هـذا الجبل طودٌ محدَّب الظهر محدَّدهُ يجري من الشرق الى الغرب وهو يتكوَّن من الصوَّان المحبَّب الجميـل تراهُ يعترضُ للنيل ويحجزُ سيرهُ فاضطرّ النهر ان يفتح لهُ مجازًا ويندفع في سيرهِ في وسط مضيق يقطعهُ بعناء

وخلاصة القول انَّ مصر في قسمها الاوسط تتركَّب عند ضفَّتي النيل من عناصر كلسيَّة ويتركَّب الصعيد من الحجر الرمليّ. اماَّ سلسلة بحر القلزم والسلسلة المرتفعة عموديًّا فوق الوادي عند اسوان فصخورها متبلورة. وفي كل هذه الامكنة قد حفر الاقدمون مقالع اختلفت مواقعها باختـلاف الدول فاستثمروها لابنيتهم العظمى. اماَّ المناجم

المعدنيّة فكلّها حُفرت في غابر الازمان في السلسلة العظمى الطرفية وهي اليوم مهملة منسيّة

١ المقالع

هي امّا قديمة وامّا حديثة

أ المقالع القديمة

منها مصريّة ومنها يونانية ورومانية

١ المقالع المصريّة القديمة

انّ العامّة من قدماء المصريين كانوا يقتصرون في بناء مساكنهم على سوف القصب او سعف النّخل مسيّعًا بالطين كما يفعل الفلّاحون في عهدنا . وربّما اتّخذوا لابنيتهم اللبن المجفّف في الشمس . وكان استعمال اللبن شائعًا في الدول المصريّة الاولى حتى انّ الملوك كانوا يشيّدون قصورهم به لا يتّخذون الحجارة الّا للابواب . وممّا يُقضى به العجب انّ كثيرًا من هذه الابنية صبرت على ممرّ الدهور وترى حتى الآن بين اخربة منف بيوتًا قائمة على دعائمها (١) . الّا انّ الغالب على هذه البنايات القديمة انّ قسمها الاسفل كان يُبنى بحجارة تُقلع من الربوة المجاورة لها فتُصفّ صفًّا بسيطًا وتُرصف بلا ملاط امّا الطبقات العليا فهي كلّها من اللبن

وفي بادئ الامر كان اهل المدن والقرى يدافعون عن نفوسهم باسوار من الآجرّ يقيمونها حول البلاد ليردّوا غارات البدو ويكسروا شوكة الغزاة . ولنا مثال عن هذه الاسوار في بقايا جدران قلعة ابيدوس التي يبلغ علوُّها مترًا وسمكها مترين عند اعلاها

وقد استفادت مصر فائدة كبرى في فنّ التحصين ابّان الحروب التي اصلى نارها تحوتمس الثالث من فراعنة الدولة الثامنة عشرة وفي ايّام خلَفه امينوفيس الثالث وامينوفيس الرابع حيث بقيت المواصلات جاريةً بين مصر وسوريّة . ولمّا رأى المصريّون المدن الكنعانيّة والحثيّة كعسقلان ودابور ومَروم محدقةً باسوار متينة من نحيت الحجر محصّنةً بابراج منيعة انتسوا بآثارها واقاموا على طرازها في وادي النيل بعد ان تحقّقوا

(١) راجع Maspéro : *Archéologie Égyptienne*, passim

بانفسهم حُسن مفعولها وسمُّوا هـذه الصروح باسمها السامي « مجاديلو » اشتقاقاً من « الجدل » وهو الحصن

ومذ ذاك الحين أُهملت الاسوار المبنيَّة باللبن لعدم وفائهـا بالحاجة فترى حينئذٍ اسوار مدينة عين شمس (هِليوبوليس) ومدينة منف مُلبسةً بالحجارة. على انَّ آثار تلك القرون الغـابرة المنبئة بطرائق المصريّين في التحصين عزيزة جدًّا وكنّا اضطُررنا لمعرفة حقيقتها الى الاستعانة بالتصاوير القديمة لولا انَّ رعمسيس الثالث شيَّد لهُ في مدينة هبو في ثنية مدفناً جعلهُ على صورة حصن لا يختلف عنهُ ذرَّةً فترى لهُ فصيـلاً يمنع الاقتراب منهُ ثمَّ دكَّـةً مربعة حريزة يليها دار داخلية ثم سورًا ذا شرفات علوهُ ٢٢ مترًا معزّزًا في اسفلهِ بدعائم منعطفة تعلو نحو خمسة امتار

واوّل بناية مدنيَّة تُعرف عثرها القدماء بالحجارة هي سُدّ قُشَيش شادهُ مينس اوّل ملوك مصر المعروفين ليحوّل الى جهة الشرق اكبر شُعَب النيل ويجفّف المكان الذي بنى فيهِ مدينة مِنَف

ولكن اذا كان استعمال الحجر في الابنية المدنيَّة ودور الخاصَّة قليـلاً في ذلك الوقت ترى بخلاف الامر كلّ الابنيـة الدينية كالهياكل والمدافن مبنيَّة في الغالب بالحجارة. قال العلاَّمة مسبرو (١): « انَّ غاية ما كان يرغبهُ الفراعنة ان يشيّدوا لآلهتهم مساكن مخلّدةً ولم يجدوا شيئاً اصلب من الحجر يقوى على غارات البشر وقوارع الدهر » وكذلك كان المصريون يعتبرون مدافنهم كبيوت مخلَّدة تأوي اليها النفوس بعد تردُّدها حيناً بعد حين مع الآلهة فتجد عند اجسامها الراحة مع السكينة

ومن ثم ترى المصريين افرغوا جهدهم في ابتناء هياكلهم ومدافنهم بالحجارة وقد فاقوا بذلك سكان المعمور باسرهم

مواقع المقالع المصريّة

ما كان الفراعنـة يجلسون على منصَّة الملك حتى كانوا من وقتهم يقومون ويقعدون مهتمّين بامر مدافنهم العظيمة وما ادراك ما مدافنهم انَّما هي الاهرام كانوا يستخدمون لبنائها الوفاً بل ربوات من الاسرى والعبيد وجمهور عَمَلةٍ من رعاياهم

(١) op.cit., p. 45

الّا انّ عدد العُمَّال لا يكفي لتشييد هذه العمائر الفخيمة فكان لا بُدَّ لها من زمن مديد وسنين طوال لتتمَّتها على انَّ الفراعنة ادركوا ما في هذا الامر من المُنَغِصات وكان جلّ غايتهم ان يروا باعينهم ما همُّوا ببنائه لاسيَّا انَّ اكثرهم لم يضبطوا عنان الملك الّا زمناً يسيرًا . وقلَّ من تجاوز بينهم الثلاثين سنة في الملك . ومن ثمَّ كان المهندسون في الغالب يطلبون لآثارهم مقالع قريبة من الأبنية المنويّ عملها

ولمَّا كان نقل الحجارة يقتضي زمناً طويلًا ونفقات باهظة كان المتولُّون على هذه الابنية يختارون لهم مقالع قريبة . فترى مثلًا دُمية ابي الهول قد نُحت معظمها في نفس الصخرة التي أقيم عليها . وكذا الاهرام الكبرى واكثر هياكل منف قد استُخرجت موادّها من مقالع الحجر الكلسيّ الواقعة في مصارة وطرّة على عطف الجبل في عبر الوادي . وكذلك كثير من ابنية ثيبة (الاقصر) قد شُيّدت بالحجارة الرمليَّة المجاورة لها

هذا وما اكتفى المهندسون او الفراعنة بما لديهم من الموادّ العاديَّة ولكن ربَّما ارادوا ان يتأنقوا في ابنيتهم فحينئذٍ كنت تراهم لا يألون جهدهم في استجلاب المعدَّات الغالية الثمن الفخيمة الموادّ فينقلون من بعيد ما يرونهُ انسب للغاية التي يتوخّونها ولو كلّفهم ذلك عرق القربة . وكانوا اذا ارادوا نقر قبرٍ يودعونهُ جثة الملك او موميا بقرتهم المقدَّسة المعروفة باسم «ابيس» او اذا رغبوا في اقامة تمثال فخيم لاحد الفراعنة او حاولوا نحت البرابي التي يسترون بها مستودع النواويس فكانوا يبحثون عن ضروب الحجارة الصمّاء العظيمة القدر الرفيعة الشأن كالحجارة الرمليَّة الناعمة والصوَّان المحبَّب والحجر البركاني الاسود (basalte) وان لم يجدوها الّا في بلاد سحيقة تبعد مئات من الاميال قدموا بها بعد اللتيّا والتي واستخدموها لاعمالهم الشريفة . مثال ذلك التمثالان المعروفان بتمثالي مِمْنون في ثيبة فانَّ حجرهما مقطوع من الجبل الاحمر قريباً من موقع القاهرة في يومنا ومن ثمَّ نُقل الى ثيبة . وهذا الحجر عبارة عن مركَّب من الحجر الرمليّ والكوَرْتز لونهُ بين السمرة والصفرة يصلح للنقش المحكم . وكان الملك اذا طلب شيئاً من هذه الحجارة العزيزة اوفد رجلًا من خواصّهِ ليرتادها لهُ فاذا اصابها واسرع في نقلها حظي عند الفرعون وعظم مقامهُ لديهِ (١

---

١) راجع كتاب العلامة مسپرو (ص ١٢٦)

فالمصريون اذا كان يتنازعهم في ابنيتهم عاملان احدهما اقتصاد الوقت وسرعة العمل والآخر احكام المباني المقصودة. ونرى فيما بقي الى يومنا من آثارهم كالمصاطب اي مدافن منف وابي روش في داشور ما يدلُّ على ترقيهم في حسن العمل والمبالغة في المصاريف. واكثر هذه الآثار اتقاناً مبنيٌّ بحجر طرَّة الكلسيّ نُقل من مسافة نحو ١٥ كيلو متراً اما النواويس فمن الصوَّان المحبَّب المانع الموجود في اسوان على مسافة ٩٣٦ كيلو متراً من منف. ومن هذه الآثار ما هو متوسط في الحسن والمبالغ وحجرهُ كلسيٌّ رملي من حجر سقَّارة على مسافة بضع مئات من الامتار. اما اقلّ هذه المباني احكاماً ونفقةً فحجرهُ من حوَّارى الجبل الغربي ومقالعهُ عديدة لكنهُ لا يسهل نقشهُ

وان سأل السائل عن موقع هذه المقالع التي استُخرجت منها حجارة ابنية مصر اشرنا اليها مباشرةً من الشمال الى الجنوب:

اعلم ان على مقربة من القاهرة حالًا شمالي شرقي منف القديمة كانت مقالع قصارة وطرَّة وكان المصريون يدعونها « رويو » و « طررويو » وصحَّف اليونان اسم « طررويو » هذه وزعموا انها هي طروية (Troja) وان المحلة الواقعة بقربها كانت مستعمرةً احتلَّها أَسرى من اليونان كانوا مع مينيلاس لمَّا قدم مصر فاستوطنوها ودعوها باسم مدينة طروية وطنهم

والحجر المقتلع من هذه المقالع كلسيّ ابيض ضارب الى الصفرة وهو جميلٌ يتركب من الوف من المحار الصغير الذي يُرى كثير منهُ بمجرَّد العين تراهُ على هيئة كرويَّة كانهُ العدس ومن خرافات اهل البادية انهُ من بقايا العدس الذي كان يأكلهُ الفعلة بُناة الاهرام. وهذا الحجر سهل النحت قابل لحفر النقَّاشين وهو يتصلَّب في الهواء ويكتسي بمسحةٍ من الزنجار لهُ عند غياب الشمس رونقٌ بهي تقرُّ لهُ العين

وان سرتَ جنوبًا من حلوان على بعد سبعة كيلو مترات منها ادَّى بك المسير الى وادي جرَّاوي حيث تجد مقالع شهيرة من الرخام الابيض المتبلور أُخذت منهُ حجارة اهرام الجيزة الضخمة

وممَّا اكتشفهُ العلاَّمة نيوبري (Newberry) مقالع هتنوب وجدها على علوّ مدينة اسيوط. وهذه المقالع استثمرها فراعنة المملكة الاولى من سنة ٣٥٠٠ قبل المسيح الى ٢٢٠٠ ثم في مبادئ المملكة الحديثة من سنة ١٦٠٠ الى ٩٥٠ ق م وهذا الرخام

يتركب من الجصّ الاصفر الفاتح وبعضهُ عسليُّ اللون ومنــهُ ابيض يَقق ذو عروق عجيبة التصاوير كان يُتَّخذ لزينة اجمل اجزاء الابنية. ومنهُ ما كان يُستعمل للتماثيل والدُّمى وكان هذا الرخام يُنقل الى بلاد بعيدة وقد وُجد منهُ حتى في واحات عثُون بين الاخربة

وتُرى حتى اليوم مقالع أُخرى جنوبيّ أنطينويه (شيخ عبادي) قريباً من دير ابي حنّس كان المصريُّون يستخدمون حجارتها في عهد امينوفيس الثالث ايّام الدولة الثامنة عشرة. وكذلك مقالع القُصير ومقالع جبل قرنة استمدَّ الفرعون ساتوس الثاني من موادّها في زمن الدولة التاسعة عشرة. ومقالع رحينة المشهورة بحجرها الكلسيّ الصلب

ومن فحص موادّ هيكل ساتوس الاوَّل (من الدولة التاسعة عشرة) في ابيدوس وهو هيكل ممنون الذي وصفهُ الجغرافي اسطرابون وجد انَّ حجارتهُ منقولة من مقطع جبات حيث تُقرأ كتابة لآخر فراعنة مصر الملك نكتانيبوس وفي ايّامهِ أُهملت هذه المقالع. والهيكل المذكور مبنيٌّ في اسفلهِ بالحجر الكلسي الاصمّ وفي اقسامهِ المنقوشة ترى حجرهُ من الجصّ الناعم

امّا مقالع الحجر الرمليّ فتبتدئ جنوبيّ اسنا عند الحاوي. واكثر الابنية العظمى التي شيَّدها اصحاب المملكة الحديثة انّما اخذوها من جبل السلسلة ومن الصخور التي تُشرف على النيل وتضيّق مسيلهُ. وهناك كان يشتغل عملة الملك امينوفيس الثالث فاقتلعوا لهُ حجارًا للهيكل الذي ابتناهُ في القصور وكذلك ساتوس الاوَّل لمبانيهِ في الكرنك ورعمسيس الثاني لابنيتهِ العديدة في الكرنك والاقصر وابيدوس ومنف. ومن الكتابات الباقية ثمَّ حتى اليوم كتابة لامينوفيس الثالث تذكر نقل حجارة على النيل لابتناء هيكل الاله فتاح وتفيدنا كتابة أُخرى لامينوفيس الرابع انَّ هذا الفرعون امر بنحت مسلّة ضخمة اعدَّها لهيكل الشمس في الكرنك

ومن اعتبر بقايا هذه المقالع اخذهُ العجب ممَّا كان عليهِ قدماء المصريين من النشاط والهمّة

وبازاء قرية القبانيَّة في جبل الحمّام تُرى حتى عهدنا مقالع الحجر الرمليّ التي اتُّخذت منها الملكة «ماكي» في غرَّة المملكة الحديثة موادّ هيكل أُمبوس

وجنوبيّ هذا الجبل قرب العطارة تبتدئ مقالع الصوَّان المحبَّب. واعظمها ليس بعيدًا عن مدينة اسوان التي يعرفها اليونان باسم «سيَان» وقدماء المصريين باسم

« يبو » . ولهذه المقالع شهرة كبرى اتّخذ منها البناة حجارهم منذ زمن الاهرام الى عهد الرومان

وعلى مسافة ربع الساعة من اسوان الحاليــة المقالع الشمالية يُشاهد فيها الناظر قطعًا عاتيةً من الصوّان جانبٌ منها منفردٌ وجانب متراكم بعضهُ فوق البعض . منها قطعة طولها ٢٨ مترًا في عرض ثلاثة امتار و ٣٥ سنتيمترًا في اسفلها . والظاهر انَّ اصحابها اختاروها لينحتوها على شبه مسلّةٍ

امَّا المقلع الجنوبيّ فعلى بُعد نصف الســاعة جنوبًا بقي فيهِ حتى اليوم قطعٌ كاد نحتها ينجز وفي جملتها ناووسان وتمثــالان عظيمان احدهما لبعض الملوك والآخر للاله اوزيريس . وقد رقم امينوفيس الثالث على صخرٍ هناك كتابةً فيها شعارهُ

واسم الصوّان يقال لهُ في اليونانيَّة « سيَّان Syène » اشتقاقًا من اسم مدينة اسوان وشاع هذا الاسم منذ عهد الكاتب بلينيوس الطبيعيّ . وأُطلق على هذا الحجر وحدهُ حتى قام ّقرنز الجيولوجيُّ الالمانيّ فارتأى انَّ مقالع بلدة پلانن في جوار درسد قريبًا من عاصمة سكسونيا تشبهُ مقالع اسوان فدعا حجارتها ايضًا صوّانًا وبقي هذا الاسم يشمل حجر البلدين الى ان تعرَّض لهُ عالمٌ آخر اسمهُ واد (Wad) فاثبت انَّ بين الحجرين اختلافًا غير يسير اذا انهُ يدخل في حجر پلانن قسمٌ صالح من مركَّب الأمفيبول (amphibole) وهو قليل جدًّا في حجر اسوان فعاد العلماء الى الافراز بينهما وخصَّصوا بحجر مصر اسم « السيَّأني » او « الصوَّان »

وقد وصف العلّامة هرتمان صوَّان مصر قال انَّ لونهُ ضــارب الى حمرةٍ لما يدخل في تركيبهِ من الارثوكلاز (orthoclase) النــاصع الحمرة وهو يحتوي كثيرًا من الكوارتز الشفَّاف ومن الميكا الاصفر الذهبيّ او الاسمر المحمر او المسودّ . والامفيبول فيهِ قليل . وبعض ركائزهِ تتركب من حبوب ناعمة متكاثفة يدخل في تركيبها الفِلدسپاث المحمرّ بنسبةٍ عظيمة مع شيء من الكوارتز وقليل من الميكا . ومن هــذه المقالع ما تراهُ غنيًّا بالميكا الاسود والاوليغوكلاز (oligoclase) المخضرّ . ومنها اخيرًا ما يكون فيها جسمٌ فلزّي اخضر قاتم يدخلهُ كثير من الرخام الابيض وقليل من الامفيبول

ومن غريب ما يُشاهد في الكرنك تمثال عظيم ترى اعلاهُ منحوتًا في عرقٍ محبَّب من الميكا ذي لون أكهب امَّا قمَّة رأسهِ مع القلنسوة التي تعلوهُ فمنحوتة في عرق صلب

من الفلدسپاث الصافي المكتنز فينتج عن تفاوُت اللونين منظر بديع (١

وقد لقي النيل عند بلوغهِ هذا الحدّ حاجزًا من هذا الصوَّان فخرقهُ بعد العناء الكثير وجرى في مضيقٍ يُعرف بالشلَّالات الاولى لتحدُّرهِ من فوق الصخور

ومن مقالع اسوان المذكورة قد نُزعت صفائح الحجارة التي بهـا فُرش جانب من اعطاف هرمي الجيزة وهما الثـاني والثالث وكذلك نوافذ الدهاليز الموصلة الى مدافن الفراعنة وحجارة هيكل سوكاريس اوزيريس المشيَّد امام ابي الهول وحجارة السيرابيوم في سويس وابدع المسلّات واعظمها كمسلَّات عين شمس التي لم يسلم منها غير واحدةٍ في قرية المطريَّة وكمسلَّات رعمسيس الثاني في ثيبة نُقلت احداها الى باريس فزُيّنت بها ساحة الكُنكرد ومسلَّات الملكة ماكري التي تُرى في ثيبة ايضًا في المعهد الاوسط من هيكل أُمون وآخرًا مسلَّتي كليوپترة كانتا سابقًا في الاسكندريَّة وسيأتي الكلام عنهما

واعلم ان المصريين الاقدمين لم يجعلوا مقالعهم على ضفَّتي النيل فقط بل اقتلعوا كثيرًا من حجارتهم لابنيتهم الفخيمة من الصخور المتسلسلة القائمـة بازاء بحر القلزم على خطّ موازٍ لهُ وهي تحتوي حجارة بلوّريَّة غاية في الحسن

اما الطريق المؤدية الى مقالع هذه السلسلة الطرفية فكان ممرُّها من مدينة قفط جنوبيّ قنا ثم تجتاز بوادي حمَّامات الحالي ووادٍ آخر كان القدماء يدعونهُ روحانو. وكانت القوافل تقطع هذه الطرق ذهابًا وايابًا فتسير الى مرافئ بحر القلزم وبلاد بُنت الشهيرة بأبزارها وحبوبها. وكانت فئـات من العَمَلة يجرون ايضًا عليها سائرين الى المقالع المنوَّه بها تحت حراسة شراذم من العسكر كانوا يردُّون عنهم غارات اهل البادية

واقدم اثرٍ بقي من مرور العملة في هذه المقالع يرتقي الى عهد الملك اسّ (Esse) من فراعنة الدولة الخامسة. قال العلَّامة إبرس (٢: وفي وادي روحانو كتابات عديدة مختلفة الاتقان حُفرت على الصخور المشرفة على الطريق تفيـد السابلة عمَّا اصطنعهُ

١) راجع الجزء من كتاب وصف مصر Description de l'Egypte ; Antiquités, T. I, App. I n° I.

٢) راجع ترجمة كتابهِ المُعَنون «مصر» للعلَّامة مسپرو

الفراعنة في هذا المكان مع تعريف ناظر العمل وزمن الشغل والفعلة الذين قاموا بهِ. ولم يكن العُمَّال مقيمين في تعدين هذه المقالع طول سنتهم وانَّما كانوا يأتون من وقت الى آخر فيقطعون ما يرونهُ لازماً لبعض الآثار. وربَّما كان يبلغ عدد النحَّاتين مئات من الرجال. وبعض قطع الحجارة غاية في الضخم والمناعة والحسن

وكان المصريون يستخرجون من هذه الجبال الرخاميَّة رخاماً اسود وهو المعروف بالديوريت (diorite) كانوا يعتبرونهُ اعتباراً عظيماً فيصطنعون منهُ في محلّ تعدينهِ نواويس وتماثيل وصور ابي الهول. وفي بعض المقالع المنبثَّة على مشارف الجبل الغربيّ في شماليهِ كانت مناجم للرخام الابيض الناعم كانوا يتَّخذونهُ لآنيةٍ ثمينة كاوعية العطور وصفائح المدافن وللآنية المدعوَّة بالكانوپ. وكذلك كانوا يستخرجون منها الحجر البركانيّ الاسود الحبَّب وحجارةً اخرى. ومن الجبل المعروف بالاحمر اخذ المصريون تمثال الاله ممنون المصطنع من الحجر الرمليّ والكوارتز. وهذه المقالع كلُّها كانوا يلتجئون اليها على حسب الظروف والحاجة (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Renaud de Châtillon prince d'Antioche

par G. Schlumberger de l'Institut, 1898, pp. 407.

ترجمة رينالد دي شاتيلون

رينالد دي شاتيلون احد امراء الفرنج الذين اشتهروا في الشرق على أيام الدولة الايوبيَّة. وقد جاء ذكرهُ غير مرَّة في مؤرخي العرب كابن الاثير وابن خلدون والظاهري وابي الفداء وسيرة صلاح الدين لابن شدَّاد وهم يسمُّونهُ ارناط. فاحبَّ احد ائمَّة المستشرقين من اعضاء المكتب العلمي في باريس العلاَّمة ج. شلومبرجر ان يجمع في كتاب مستقلّ ما عثر عليهِ من آثار هذا الرجل العظيم فراجع لذلك ما وجدهُ في تآليف معاصريهِ الغربيين والشرقيين فجاء كتابهُ كطرفة بديعة يشمل فوائد لا تحصى ويعرّف زمناً خفي علينا كثير من احوالهِ فنشكر لكاتب هذا التاريخ ونحضُّ القرَّاء على مطالعتهِ فانهم يجدون مثلنا في قراءتهِ لذَّةً ونفعاً

Monte Singar : Storia di un populo ignoto

ܬܫܥܝܬܐ ܕܕܣ̈ܢܝܐ

Testo Siro-Caldeo e traduzione italiana, con note storiche
per cura di Mgr. S. Giamil 1900, pp. 94+72

من طالع في المشرق المقالات البديعة التي كتبها حضرة الكاتب المحقق الاب انستاس الكرملي عن اليزيديّة وتاريخهم واحوالهم لم يَفُتْهُ ما لهذه الشيعة من الاسرار المكنونة التي يسعى اصحابها جهدهم في اخفائها عن كل من لا يرى رأيهم. وهاك اليوم احد كتبهم التي اشار اليها حضرة الاب انستاس قد نشرهُ بتمامهِ سيادة المنسنيور صموئيل جميل وجد منهُ نسخةً مخطوطة في مكتبة دير ربّان هرمزد للرهبان الكلدان الذين تولّى حضرتهُ رئاستهم العامّة. وهذا الكتاب يحتوي في عشرة ابواب كثيرًا مما يتعلق بعقائد اليزيديّة واحوالهم واسرارهم. وهو مكتوب بالكلدانيّة نقلهُ المنسنيور الوما اليهِ الى الطليانيّة واضاف اليهِ عدّة حواشٍ. ومن مزاعم سيادتهِ انّ اليزيديّة والشمسيَّة بدعة واحدة وقد وجدنا من يفرق بينهم. وكذلك يظنُّ سيادتهُ انّ النَّوَر فرقة من اليزيديّة مع انّ العلماء يفرقون بين هذين الجيلَين. وعلى كلّ حال فان المحقّقين يجدون في هذا الكتاب مساعدًا جديدًا للوقوف على كنه اليزيديّة واخبارهم الدفينة

بولس وفرجيني

لبرناردين دي سان پيار عرّبها فرح انطون منشئ مجلّة الجامعة

برناردين دي سان بيار من الكتبة الفرنسويين المبرّزين في القرن الثامن عشر. وروايتهُ المعنونة « بولس وفرجيني » احرزت لهُ شهرةً كبرى لما اودعها من الشواعر اللطيفة والاوصاف الدقيقة. وكانت هذه الرواية قد عُرّبت مرّةً اولى فاحبّ جناب منشئ مجلّة الجامعة اعادة تعريبها ونشرها مع تصاوير تزيدها رونقًا ل. ش

شَذَرَات

كفَّ صاحب الضياء عن الكتابة مدّة شهرين فظننّا ان سكوتهُ يزيدهُ تعقّلًا ويثنيهِ عن المقالات البذيّة المخلّة بشرفِ سكت الفًا ونطق خلفًا

فخاب املنا اذ انهُ خصَّ عددهُ الاوَّل من سنتهِ الخامسة بالطعن في الجمعيَّات الرهبانيَّة فكان لكلامهِ اسوأ وقع حتى في قلوب اصحـابهِ. امَّا نحن فلا نرى حاجةً الى تفنيد مزاعمهِ وفي اقوالهِ المتضاربة ما يكفي لتزييفها. ومن اراد ان يرى ما صار اليهِ صاحب الضياء من سوء المنقلب فعليهِ بمطالعة ما كتبهُ البشير في صددهِ في العدد الصـادر في ٢٧ ت ١

رشّ الطرقات بالپترول افادت المجلات العلميَّة انَّ العلماء اختبروا في عدَّة بلاد كامركة وفرنسة وايطالية استعمال البترول بدلًا من الماء لرشّ الطرق فوجدوا انَّ الطرق تصلب بذلك فتصير كالحجرِيَّات لا يبقى فيها طين ولا غبار هذا فضلًا عن فوائد أخرى جزيلة اعظمها امتناع تطاير جراثيم الامراض المُعـديَة. وكيفيَّة العمل ان تكنس الطرق اوَّلًا كنسًا مُحكمًا ثم يُحمى البترول الى الدرجة الستين فيُصبّ بالمرَشّات ثم يمدُّهُ الفعلة على الارض بنوع متساوٍ بفرشات جافية. فتبقى الطرق نظيفةً مـدَّة سنةٍ تامَّةٍ. وليست نفقات هذا الرشّ بالغةً فانَّ طنَّين من البترول يكفيان لرشّ مسافة كيلو متر من طريق ذات اربعة امتار عرضًا. والطنّ من البترول يساوي نحو مئة وثلاثين فرنكًا فاذا اضفتَ الى ذلك اجرة العملة لم تتجاوز في السنة قيمة رشّ كيلو متر من الطرق ٣٠٠ فرنك. وقد سرَّنا ما افادنا بهِ البشير موخَّرًا انَّ الحكومة المصريَّة عزمت على امتحان رشّ الشوارع بالبترول الامركيّ فعساهـا تنجح وتقتفي بلديَّتنا بمثلها قريبًا لاسيَّما ان ارض بيروت رمليَّة والرمل اذا دخلهُ البترول اضحى كالحجر. وقد اخذ اهـل مونآكو يستبدلون البترول بالقطران او بمركباتهِ فوجدوا النتائج لا تختلف كثيرًا مع انَّ النفقات اقلّ

المطبوعات في اوربَّة طُبع في السنة الماضية في اوربَّة ٧٠٠٠٠ كتاب جديد نُشر منها في المانية ٢٣٠٠٠ وفي فرنسة ١٣٠٠٠ وفي ايطالية ٩٥٠٠ وفي انكلترة ٦٥٠٠ والباقي منها في النمسة ثم هولنـدة ثم باجكة ثم روسية — امَّا المجلَّات والجرائد فقصب السبق فيها لفرنسة. فان في شهر تموز المنصرم فقط ظهر فيها ٤٣ نشرةً ٢٤ منها في باريس والباقي في سائر المقاطعات. وتختلف مواضيع هـذه النشرات فمنها سياسيَّة ومنها ادبيَّة ومنها علميَّة ومنها فنيَّة

احصـاءات قبرس أُحصي سكَّان قبرس لسنة ١٩٠١ فبلغ

عددهم ٢٣٧٢٢٠ نفساً منهم ١٢١٦٦٠ ذكرًا و ١١٥٩٥٦ انثى. والكاثوليك هناك نحو ٣٠٠٠ بينهم ١١٣٠ مارونيًّا

الثروة الاوربيَّة — جاء في قاموس الاحصاءات الذي ألَّفهُ العلامة مولهال (Mulhall) ان الثروة غير العقاريَّة في اوربَّة تبلغ ١١٧٥ مليارًا من الفرنكات لانكلترة منها ٢٩٥ مليارًا ولفرنسة ٢٤٧ م وللالمانية ٢٠١ م ولروسية ١٦٠ م وللنمسة ١٠٥ م ولايطالية ٧٩ م ولبلجكة ٢٥ م ولهولندة ٢٢ — واذا وزّعت هذه الثروة على افراد كل من هذه الدول اصاب كل انكليزي ٧٤٠٠ فرنك والفرنسوي ٦٥٠٠ والهولندي ٤٦٠٠ والالماني والبلجكي ٣٩٠٠ والنمسوي والايطالي ٢٥٠٠ والروسي ١٥٠٠

ارجوزة الشاعر المجيد الخوري نيقولا الصائغ في الصلاة — أُرسلت الينا من دير الشير هذه الارجوزة لتُنشر في المشرق وتُضاف الى ديوان المؤلف لكنَّ هذه النبذة معروفة أُدرجت في الطبعة الاولى من الديوان (سنة ١٨٥٩ ص ٢٣٢ — ٢٤٤) فاسقطها منهُ جناب الشيخ ابراهيم اليازجي لمَّا تولَّى تنقيحهُ لأنَّـهُ لم يستحسن نظمها

ابيات حكميَّة — ارسل الينـا حضرة الخوري يوحنَّا شلهوب المرسل اللاتيني في الكرك هذه القصيدة نظمها لايضاح قول لبيـد وهو اصدق بيت قالتهُ العرب:

أَلا كل شيءٍ ما خلا الله باطلُ   وكل نعيمٍ لا محالة زائلُ

اجعل الله صديقك تنجح طريقك

لَعَمْرُكَ ليسَ في الدنيا حبيبُ   تزولُ بهِ عن النفسِ الكروبُ
ولا من في صداقتهِ ودادٌ   ولا من في سلامتهِ نصيبُ
فلستَ بواجدٍ خلًّا امينًا   ترَجيهِ فذا امرٌ عجيبُ
يُبينُ لك الفتى صدقًا وودًّا   مراوغةً وفي القلب العطوبُ
ويعطيك الحلاوةَ في حديثٍ   وتحت لسانهِ السمُّ المذيبُ
اذا ناديتهُ لم يُصغِ قولًا   كأَنكَ عندهُ رجلٌ غريبُ
تأَمل في طريق الحقّ تنظر   جميع الناس اكثرهم كذوبُ

ترى قاتين يفتك في اخيهِ تلوح على مفارقهِ الذنوبُ
وسلّم ربّهُ يوضاسُ مكرًا لحكم الموت وانطلق الحبيبُ
ويوسفُ عصرهِ بيعَ انتقامًا بلا ذنبٍ ولا رقّت قلوبُ
وكم من والدٍ واخٍ وأمٍّ لهم في كل حادثةٍ خطوبُ
فهذي حالُ دنيانا وهذي مودّتنا فما لكَ لا تُنيبُ
رعاكَ اللهُ يا من رمتَ خلًّا فما خلٌّ لكَ الّا الوَهوبُ
تشبَّث في عُرى مولاك واقرع لهُ بابًا فانك لا تخيبُ
وقل ربّي استمع مني دعائي فانّك انتَ للداعي مجيبُ
وعلّمني طريقًا مستقيمًا ونوّرني فشمسكَ لا تغيبُ

رقّاص فوكو وصفنا في المشرق (السنة الاولى ص ٢٦٦—٢٦٨) الامتحان الذي اجراهُ فوكو سنة ١٨٥١ في باريس ليثبت دوران الارض على ذاتها في كل اربع وعشرين ساعة. وذلك انهُ جعل في سقف البانتيون سلكًا معدنيًا طولهُ ٢٤ مترًا وفي اسفلهِ كُرَة نحاسيَّة ثقلها ٢٨ كيلوغرامًا تنتهي بشوكة محدَّدة تحتها لوحة رُسم عليها دائرة مقسَّمة الى ٣٦٠ درجة فاذا أُزيح السلك الى الجنوب وأُطلق تحرّك بكرتهِ الى الشمال وما يمرُّ على هذا الرقّاص ثماني ساعات حتى ترى اهتزازاتهِ قد اختلفت فصارت وجهتها من الشرق الى الغرب حتى اذا انتهت الـ ٢٤ ساعة عاد بعد دورانهِ الى حيث ابتدأت حركتهُ. فلو كانت الارض ثابتة لبقيت وجهة خطرانِ الرقّاص واحدة فلمّا تغيَّرت الوجهة اقتضى ان تكون الارض التي تحت الرقّاص هي الدائرة. وهو الامتحان الذي أُعيد في باريس في ٢٢ من الشهر المنصرم امام نخبة من علماء فرنسة واعيانها فاسفر عن النجاح التامّ

تهنئة نهنّئ صاحب الضياء لوجودهِ في حمص مراسلٍ من شاكلتهِ اراد الانتقام على ما كتبناه في رحلتنا من رياق الى حمص فحشا انتقادهُ شتمًا فاحشًا وكذبًا محضًا فمن ذلك تحاملهُ على راهباتٍ لم نسمع حتى اليوم غير الثناء العاطر على اعمالهنَّ الخيريَّة فلم يستحي ان ينسب اليهن اختطاف البنات. ومنهُ قولهُ أننا أنحينا على الطوائف غير الكاثوليكية بالطعن والتنديد لالقاء الشقاق وليس في كلامنا ما يُشتمّ منهُ رائحة التنديد على احد مطلقًا ومنها تخطئتهُ لبعض اقوالنا مع كوننا على ثقة اننا لم

نَقَل غير الصدق فان فرط منّا سهوٌ في شيء . فنحن اوّل من يتدارك الخطأ اذا ما نُبّهنا اليهِ رجلٌ عاقل لا شابٌ من الاغرار كمكاتب الضياء الذي لم يتجاسر بكشف اسمهِ لعلمهِ بانهُ لم يكتب للانتقاد بل للتشفي من الآباء اليسوعيين الذين طردوهُ من مدرستهم في حمص . فعرفناهُ من كلامهِ وكلُّ اناء يرشح بما فيهِ

اسئلة واجوبة

س سألنا احد كهنة اللاتين لايّ سبب يدعى مطران الروم على زحلة باسم مطران سلفكيّة

سلفكيّة

ج سلفكيّة او سلوقية من اسماء قرية معلولا ولمّا كان استف... هو ايضاً اسقف على معلولا قيل لهُ اسقف سلفكية وربّما دُعيت سلفكية الشام تمييزاً لها عن مُدن اخرى عُرفت بهذا الاسم . وللاديب حبيب افندي زيّات كلام في هذا الشأن في كتابهِ المنشور حديثاً عن خزائن الكتب في دمشق وضواحيها (ص ١٢٢ و١٢٣)

س سألنا جناب الاديب ي. بشاره الموراني ما قولنا عن كتاب مار قبريانوس المبيع في المكتبة العمومية في بيروت

كتاب مار قبريانوس

ج هذا الكتاب من الخرافات الشائعة بين العامّة فيهِ عدّة اقوال باطلة اشبه بالاقاويل السحريّة التي لا يجوز استعمالها للكاثوليكي . وليست نسبة الكتاب للقديس قبريانوس صحيحةً كما يظهر من مجرّد قراءتهِ وقد ورد فيهِ اسم القديس انطونيوس الذي عاش بعد القديس قبريانوس بزمن طويل . وخلاصة القول نكرّر ما قلناهُ غير مرّة لا يجوز استعمال مثل هذه الاوراق وغيرها ما لم تكن ممضاةً بختم احد الاساقفة الكاثوليك ويخطئ الذين يسعون في طبعها ونشرها

س سأل من طنطا جناب الاديب حلمي افندي مصري هل صادقت الكنيسة على معجزات القديس انطونيوس البدواني

معجزات القديس انطونيوس البدواني

ج اجترح الله بشفاعة القديس انطونيوس البدواني عجائب كثيرة شهد على صدقها الوف من الشهود العاقلين الموثوق بهم . على انّ الكنيسة لا تصادق على كل هذه المعجزات الّا اذا ارادت ان تثبت قداسة احد ابنائها فتفحص حينئذٍ ما جرى على يده من الخوارق لترى ما فيها من الصحّة .

ل . ش

المشرق

مقدَّمة

كتاب رحلة البطريرك مكاريوس الى البلاد المسيحيَّة

للشماس بولس الزعيم المعروف بالحلبي

نبذة للكاتب الضليع حبيب افندي الزيَّات

لم يقم في الكنيسة الانطاكية منذ انتقال بطاركتها الى دمشق من صرف النظر الى البحث والمطالعة وعُني كل ايَّامهِ بالكتابة والتأليف نظير البطريرك مكاريوس الزعيم وولدهِ الشماس بولس في القرن السابع عشر. ولكلّ منهما عدَّة معرّبات ومصنَّفات لا لا تزال باقيةً خطّاً. واهمُّ ما بينها من تاليف الشماس بولس كتابان: احدهما دوَّن فيهِ اخبار البطاركة الانطاكيين منذ تحوُّلهم عن انطاكية الى دمشق حتى زمان والدهِ البطريرك مكاريوس وهو مفقود فيما يظهر. وثانيهما الكتاب المشار اليهِ في عنوان هذه المقالة وهو الذي جمع فيهِ اخبار رحلة والدهِ سنة ١٦٥٢—١٦٥٥ الى القسطنطينيَّة وبلغارية والفلاخ والبغدان وروسية. والمحفوظ منهُ في هذا الاوان اربع نسخ ثلاث منها في روسية والرابعة في انكلترة وهي التي ترجمها بلفور سنة ١٨٢٩—١٨٣٦ الى اللغة الانكليزيَّة رغبةً في ما تضمَّنتهُ من الفوائد والنِّكات والغرائب والايضاحات ولاسيَّما

عن احوال الروس واوصاف عوائدهم واخلاقهم وبعض مدنهم وابنيتهم في ذلك العهد ولكنَّهُ تحكَّم في اختصار اشياء منها واخطأ في نقل مواضع أُخر فجاءت ترجمةً قاصرة ناقصة من عدَّة وجوه

وكان في جملة ما أطرحهُ غالباً منها مقدَّمة للموَّلف لخَّصها عن كتابهِ الاوَّل وألحق بها ترجمة والدهِ منذ تقلُّدهِ زمام البطريركية الى عهد رحلتهِ المذكورة. ولا يخفى ما لمثل هذه المقدَّمة من الاهميَّة التاريخيَّة وعلى الخصوص بعد ضياع الاصل الذي لُخِّصت عنهُ كما تقدَّم القول. غير ان هذا الاطِّراح بقي خافياً غير مُطَّلع عليهِ حتى تنبَّه لهُ في روسية سعادة وطنيِّنا الفاضل الاستاذ جرجي مرقس الدمشقي كما حكاهُ بنفسهِ في مقالة نشرها سنة ١٨٩٦ في مجلَّة اخبار الجمعيَّة الامبراطوريَّة الارثوذكسيَّة الفلسطينيَّة واتى فيها على ترجمة المقدَّمة بعد ان وطَّأ لها في بضع صفحات ذكر فيها تواريخ النسخ المصونة في روسية من كتاب الرحلة ونبَّه على ماهيَّة المقدَّمة المذكورة ومزيَّتها ومآخذ الخوري بريك منها في كتابهِ «الخُلاصة الوافية في تاريخ بطاركة انطاكية» واستطرد الى تفصيل حال هذا الكتاب وتعريف كل جزء من اجزائهِ ثم ما عتَّم على الاثر ان باشر بنشر ترجمة الرحلة الاصليَّة بتمامها الى اللغة الروسيَّة فانهاها بين سنة ١٨٩٦ و ١٩٠٠ في خمس مجلدات كان لها احسن وقع لدى الجمعيَّات العلميَّة في روسية ورومانية خاصةً

وممَّا امتازت بهِ ترجمتهُ من الفوائد هذه المقدَّمات التي صدَّر بهــا كل مجلَّد تعريفاً لمضمونهِ وبياناً لبعض اغراضهِ. وقد اشار في الاولى منها الى نقص الترجمة الانكليزيَّة وسرد بعض مواضع منها اخطأ فيها بلفور واورد ازاءها تفسيرها بالروسية واتبعها بالمتن العربي مصوَّراً بالحرف الاوربي وبجانبهِ ترجمتهُ الى الروسية. ونقل في ختام الجزء الخامس والاخير سلسلة البطاركة الانطاكيين للموَّلف وهي التي سبقت الاشارة اليها ارجأها الى هذا الموضع من الترجمة لسبب لا ندري مغزاهُ واردفها بثلاثة ملحقات ختم بها الكتاب بأسرهِ وهي اوَّلاً بيانُ النسخ التي وجدت او عُرف عنها شيء من الرحلة المذكورة وعلى الخصوص تعريفُ النسخة التي أُخذت عنها الترجمة الروسية وصورة الصفحة الاخيرة منها مرسومة بالفوتغرافيَّة. ثانياً فهرست الاعلام الشخصيَّة والجغرافيَّــة الواردة في المجلدات الخمسة. ثالثاً خارطة سفر البطريرك مكاريوس من حلب الى موسكو عن طريق آسية الصغرى الى القسطنطينيَّة وبلغارية فالفلاخ والبغدان الى بلاد القزق التابعــة لروسيَّة

ورجوعهِ في البحر الاسود عن طريق آسية الصغرى الى دمشق. وفيها ايضاً رَسم موسكو في ذلك الوقت والاديار التي زارها في مدينة نوغفرد وحسبما وصفها ابنهُ الشماس بولس. ويشتمل المجلد الخامس فيما عدا ذلك على صورة البطريرك المذكور نقلاً عن الاصل المحفوظ في دار سجلاَّت الوزارة الخارجيَّة في موسكو منذ رحلتهِ الثانية اليها سنة ١٦٦٨ وفي ذيلها امضاؤهُ بالعربيَّة. (وهي الصورة التي ترى رسمها في المشرق)

ولمَّا كانت المقالة التي نشرها سعادة المترجم كما سبق القول وافيةً في معناها استمليتهُ تعريبَها ونقلتهُ ههنا بتصرُّف يسير وذيَّلتها في مواضع منها ببعض حواشٍ واستدراكات استأذنتهُ في ايرادها توفيةً للبحث وهذا مؤدَّى ما املاهُ عليَّ قال (١:

« في دار سجلاَّت الوزارة الخارجية في موسكو نسخة خطيَّة من رحلة البطريرك مكاريوس الى روسيَّة عثرتُ فيها حديثاً على قسمٍ كاملٍ لا ذكر لهُ في ترجمة بلفور الانكليزيَّة (٢ وربَّما لا وجود لهُ ايضاً في الاصل العربي المحفوظ في لندرة الذي اخذ عنهُ بلفور ترجمتهُ منذ ستين سنة. وذلك ان في نسختنا المذكورة في ما بعد المقدَّمة سلسلة لبطاركة انطاكية منذ انتقالهم من انطاكية الى دمشق حتى ايَّام مكاريوس والد الارشيدياكون بولس صاحب الرحلة المشار اليها. وفي روسيَّة من هذا التأليف ثلاث نسخ احداها كما ذكرنا آنفاً محفوظة في دار سجلاَّت الوزارة الخارجيَّة. والثانية في القسم العلمي من الدائرة الآسويَّة الخارجيَّة. والثالثة في المكتبة العمومية مع بقيَّة مخطوطات الاسقف برفيريوس اوسبانسكي. وقد اثبتت لنا المقابلة اتفاق النسخ الثلاث ولهذا نظنّ انَّها مأخوذة باسرها عن اصل واحد

امَّا نسخة دار سجلاَّت الخارجية ففي آخرها عدَّة حواشٍ ذُكر في الاولى منها ان

---

١) نشرت جريدة المحبة في سنتها الاولى ١٨٩٩ ص ١٤٧–٢٩٧ نبذة من تاريخ الكرسي الانطاكي عرَّبت معظمها عن ترجمة سعادتهِ ولخَّصت فيها مقدمة المؤلف الشماس بولس كما صرَّحت بذلك في التوطئة. ولكنها اخطأت في تعريب مواضع قليلة منها وكتمت نسبة بعض ما ذيلتها به من الحواشي والانتقادات الى واضعها الاول لتوهم بذلك انها ثمرة رأيها ونتاج تحقيقها ولا يخفى ما في مثل هذه الاغارة الفاشية بين غالب الكتبة الشرقيين من قلة الانصاف وبخس الحقوق

٢) The travels of Macarius patriarch of Antioch written by his attendant archdeacon Paul of Aleppo, in Arabic. Translated by F. C. Belfour a. m. oxon., London. 1829-1836.

كتابتها نجزت في ١٥ شباط ١٨٥٩ بيد احقر العباد الياس يوسف جبارة نقلًا عن كتاب نعمة الله ابن الخوري جرجس بن سالم وتاريخهُ سنة ٧٢٠٨ لآدم (١٧٠٠ للميلاد). وفي الحاشية الثانية خطّ الخوري يوسف مهنًا الحدَّاد المشهور بين ابناء العرب الارثوذكسيين في ذلك الوقت بعلمهِ ووعظهِ وهو الذي عرَّب من اليوناني التعليم المسيحي المعروف للمطران فلاريتوس الروسي واصلح تراجم بعض آباء الكنيسة وتوفي اخيرًا منذ ٤٢ سنة في دمشق. وهو ايضًا الذي تولَّى مع بابادوبولو اوَّل مسجّلي الكرسيّ الانطاكي ترجمة كتاب الخوري ميخايل بريك من العربي الى اليوناني حسبما عهد اليهما بذلك البطريرك متوديوس اجابةً لطلب الاسقف برفيريوس (الروسي) على ما ذكرهُ بنفسهِ. وهذا ما كتبهُ في الحاشية الثانية البروطويروس (اي متقدّم الكهنة) المذكور قال: «ان هذا الكتاب الذي يصف رحلة المرحوم مكاريوس البطريرك الانطاكي الى بلاد سوريَّة قد نُقل عن نسخة قديمة وقوبل عليها بالتمام» الفقير الخوري

(محل الختم) يوسف مهنا الحداد

وفي الحاشية الثالثة شهادة كذلك «لجرجس ميخايل عبود الارثوذكسي مذهبًا والدمشقي موطنًا» يقول فيها ما نصهُ بالحرف: «صحَّ ان هذا الكتاب الذي هو تاريخ سفرة البطريرك مكاريوس الانطاكي الى بلاد المسيحيين قد اهتممتُ بنقلهِ انا الفقير الواضع اسمي وختمي ادناهُ من كتاب قديم رثّ وتاريخهُ سنة ٧٢٠٨ للعالم وهو كتاب وقف وقديم وبليان ولا يُنقل من بلد الى بلد لكونهِ فنيان. وحيث قصدنا جناب اخونا السنيور عبود الافخم (الذي كان وقتئذٍ في موسكو) وكلَّفنا ان نباشر لهُ بنسخهِ فاقتضى حالًا باشرنا بالعمل حسب امرهِ ونسخناهُ وانفقنا عليهِ اللازم وقابلناهُ على النسخة القديمة كلمة كلمة وخط خط وورقة ورقة بغاية الضبط والتدقيق على حسب مرغوب الاخ الموما اليهِ...»

واما النسخة الثانية اي نسخة القسم العلمي من الدائرة الآسوية فقد ذُكر فيها انها تمت يوم الخميس في ٢٦ تموز سنة ١٨٤٧ مسيحية بيد يوحنا بن جرجس صرّوف الارثوذكسي الدمشقي

وتشبه النسخةَ الاولى في كونها كتابة ناسخ واحد النسخةُ الثالثةُ التي في المكتبة العمومية على ما جاء عنها في قائمة مخطوطاتها للاسقف برفيريوس اوسبانسكي

ولا شكَّ بان هذه النسخ الثلاث الموجودة في روسية مأخوذة عن اصل واحد كُتب سنة ١٧٠٠ وكان محفوظاً في دمشق ثم احترق سنة ١٨٦٠. واماً الاصل الذي نشر عنهُ بلفور ترجمتهُ الانكليزيَّة فقد انتهى اليهِ من الكنت فريدريك غيلفورد سنة ١٨٢٤ وكان قد اقتناهُ في حلب قبل بضع سنوات حسبما ذكر بلفور نفسهُ في مقدمة كتابهِ. قال: «وقد ذهبت كل مساعيَّ للعثور على نسخة اخرى في ازمير والقاهرة والقسطنطينيَّة ادراجَ الرياح ولم تأتِ بطائل». وجاء في آخر ترجمتهِ هذه الكلمات: «كان الفراغ من نساخة هذا الكتاب في هذا النهار ١٩ ايار سنة ١٧٦٥ للتجسد الالهي وهي كما لا يخفى من قلم ناسخ المتن العربي ومن ثم تكون هذه النسخة احدث بمقدار ٦٥ سنة من الاصل الذي نُقلت عنهُ نُسخنا المشار اليها سابقاً

ولمَّا ظهرت الخمسة الاجزاء من هذه الترجمة الانكليزيَّة في اثناء العقد الثالث من هذا القرن كتب عنها المسيو ساڤيلياف ملخصاً في مجلَّة «مكتبة القراءة» في فصلين حكى في بعضهما ان ستوفسكي (استاذ العربية وقتئذٍ في بطرسبرج) شاهد في عين طورة عند العالم عريضة نسخة رابعة من هذه الرحلة المستطابة وطالع اكثرها في اثناء اقامتهِ في منزل هذا العالم العربي الشهير. قال ساڤيلياف: «ولكن لا يُدرى لمن وقعت هذه النسخة بعد وفاة عريضة الذي كان شديد الحرص عليها ضنيناً بها لا يكاد يرضى بتسليمها لافضل اصدقائهِ» وكانت مخطوطةً بالقلم الكرشوني المستعمل عند الموارنة (والسريان) اي باللفظ العربي والحرف السرياني. وقد اجتهدنا نحن ايضاً في غضون زيارتنا لدمشق ولبنان ان نجد نسخة أُخرى لهذه الرحلة ولكن لسوء الحظّ لم نستفد شيئاً فلعلَّ البحث عنها في سوريَّة العليا وطن مكاريوس يكون اجدى نفعاً. وهنا ينتهي كل ما نعلمهُ عن النسخ الباقية من رحلة البطريرك مكاريوس او التي كانت محفوظة في النصف الاول من هذا القرن

*

كان الاسقف برفيريوس في الحقيقة راصد اخبار المشرق كما يدعو نفسهُ وحسبما اثبت هذه الدعوة ايضاً بما جاء بهِ من الشرق الى روسية من المخطوطات المتعلقة بتاريخ الكنائس الشرقيَّة بعضها نشرهُ في حياتهِ وبعض يُطبع الآن بعد وفاتهِ. فمن جملة المواد التى نشرها في تاريخ الكنيسة الانطاكية ممَّا يجدر خاصةً بالالتفات سلسلتان لبطاركة

انطاكية لكاهنين من كهنة الكرسي الانطاكي وهما يوحنا جمعة لسنة ١٧٥٦ وميخايل بريك نحو سنة ١٧٦٧ ترجمهما من العربيَّة الى الروسية وطبعهما في مجلة (اعمال جمعية كياف الاكليريكيَّة) سنة ١٨٧٤—١٨٧٥. وهما فيما نعلم مصدران اصليان ارثوذكسيان لتاريخ بطاركة انطاكية من حين تأسيسها الى النصف الثاني من القرن الثامن عشر. ومنها ومن مصادر أُخر يونانية ولاتينيَّة جمع الاسقف پرفيريوس سلسلةً اكثر تدقيقاً واضبط تاريخًا لبطاركة هذه الكنيسة من القديس افوديوس الذي اقامهُ بطرس الرسول الى ايَّام ايروثيوس الذي كان جالسًا على الكرسي في اثناء وجود پرفيريوس في الشرق اي سنة ١٨٥٠. وقد طبعت هذه السلسلة كذلك في مجلَّة (اعمال جمعية كياف الاكليريكيَّة) سنة ١٨٧٥—١٨٧٦ وهي تصلح ان تكون اساسًا يبني عليهِ كل من اراد ان يشتغل بتاريخ اقدم الكنائس المسيحيَّة

وقد حكى پرفيريوس بالتفصيل في مقدمة تاريخ بريك المطبوعة في الترجمة الروسية كيف وقف على نسخة هذا التاريخ مع كتاب آخر عربي للمؤلف نفسهِ دعاهُ « اخبار الكثلكة في سوريَّة » ونشرهُ پرفيريوس كذلك مترجمًا الى الروسية في مجلة (اعمال كياف الاكليريكية) وذكر ايضًا كيف استنسخ الكتابين المشار اليهما ونقلهما الى الروسية عن ترجمتين يونانية وطليانيَّة اوصى بترجمتهما في دمشق والقسطنطينيَّة متمثِّلًا في ذلك بالملك بطلميوس الذي فرَّق بين المترجمين وصحح تراجمهم بمعارضة بعضها ببعض

وبعد ان أيد كلامهُ بشهادة بريك قال ان هذا الاب لمَّا جمع تاريخهُ كان لديهِ مؤلف حاضر وهو اخبار بطاركة انطاكية للبطريرك مكاريوس الانطاكي الذي حاكم بطريركنا نيكون وحكم عليهِ سنة ١٦٦٧و١٦٦٨. وان هذا المغبوط مكاريوس كتب ايضًا في اثناء رحلتهِ المستطيلة الى روسية وبلاد أُخرى ١٥ كتابًا في اللغة اليونانية نقلها بنفسهِ الى اللغة العربية (١. واما اخبارهُ عن بطاركة انطاكية فقد بلغ بها ايام

١) قد وهم الاسقف پرفيريوس في اعتقادهِ ان البطريرك مكاريوس كتب كتبهُ في اللغة اليونانية ثم استخرجها بنفسهِ الى العربية فان البطريرك لم يكن قط متمكنًا من اللغة الاولى الى حد ان يؤلف فيها وانما كان يفهمها فقط فهمًا مقاربًا كان يحتاج احيانًا معهُ الى السؤال « عن معاني الكلام وتفسيرهِ من العارفين بذلك » كما ذكر في مقدمة كتابهِ تاريخ الرومي العجيب الجديد حيث عدَّد اسماء الكتب العشرة التي كتبها في سفرتهِ الثانية وصرَّح بترجمتها عن اللغة الرومية. وقد شهد

البطريرك يوحنا المئة والعاشر اي الى آخر القرن الحادي عشر واتمَّها ابنهُ بولس الى البطريرك المئة والخامس والعشرين. ثم استأنفها هو ايضاً منذ البطريرك يواكيم جمعة المئة والحادي والثلاثين حتى افتيموس الصاقسي. واماً تاريخ بقيَّتهم حتى البطريرك دانيال سنة ١٧٦٧ فهو للخوري بريك نفسهِ. وعقيب هذا القول اورد الاسقف برفيريوس عدة مقابلات وقف عليها من مصادر مختلفة واستدرك بها اغلاط السلسلتين اللتين نشرهما كما سبق

فمما تقدَّم اعلاهُ يتضح ان سلسلة بطاركة انطاكية للخوري بريك مؤلفة من اربعة اجزاء. اوَّلاً من سلسلة البطريرك مكاريوس التي اوصلها الى البطريرك يوحنا المئة والعاشر. ثانياً من سلسلة اخذها بريك من كتاب الشماس بولس (١). ثالثاً من سلسلة البطريرك مكاريوس عينهِ من يواكيم جمعة الى افتيموس الصاقسي. رابعاً من سلسلة بريك نفسهِ المنتهية الى البطريرك دانيال المئة والسادس والاربعين

ابنهُ الشماس بولس في الحاشية التي استشهد بها الاستاذ جرجي مرقص في ما يأتي ان البطريرك مكاريوس لم يكن يحسن التكلم باللغة الرومية. والظاهر ان الذي اوقع الاسقف برفيريوس في هذا الوهم قول الخوري ميخايل بريك عند ذكرهِ كتب البطريرك المشار اليهِ «وجميعهم ما لهم وجود في اللغة العربية بل هو نقلهم من الرومي الى العربي» فظن من هذا الكلام ان المصنفات المذكورة لم تكتب في الاصل باللسان العربي بل نُقلت اليهِ من الرومي كما يدل على ذلك ترجمة هذا الموضع في الروسية حيث قيل: «في رحلتهِ الاولى كتب (اي مكاريوس) خمسة كتب. وفي الثانية عشرة كتب لكن ليس باللسان العربي بل باليوناني ثم ترجمها هو بنفسهِ الى العربي (انظر الشرق المسيحي ص٩٧ في مجلة اعمال كياف الاكليريكية). ومن هذا الشاهد يُستدلّ على ما في ترجمة الخوري بريك الى الروسية من التحريف والاخلال والمناقضات مع كل ما بذلهُ الاسقف برفيريوس في ضبطها من الاحتياطات بتكرار نقل الاصل الى لغتين مختلفتين والتفريق بين الناقلين. وسيمرُّ بنا ايضاً في خاتمة هذه المقالة مواضع أُخر من تاريخ بريك تتضح بها جيدًا قلَّة ضبط الترجمة الروسية وقصورها عن الاصل العربي بما لا يدع للريب مجالاً. ولهذه الغاية اوردت في ذيل اهمّ الشواهد المستمدَّة منها نصَّها الاصلي الذي لديَّ في النسخة العربية المنقولة عن المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين ليظهر بالمقابلة الفرق الذي بينهُ وبين الترجمة المشار اليها ح. ز

١) هذا ما قالهُ بريك في هذا الشأن «انا الفقير الكاهن ميخايل... تتمة تاريخ البطاركة الكلي الغبطة وجدنا في كتاب معروف باسم كتاب الارشيدياكن بولس (انظر الشرق المسيحي ص ٧٤)

امَّا السلسة الاولى التي نسبها بريك الى مكاريوس وتبعهُ في ذلك پرفيريوس وروى انهُ كتبها باللغة اليونانية ثم نقلها الى اللغة العربيَّة فقد ذكر الارشيدياكن بولس انهُ كان قد جمعها في كتاب لوحدهِ (١ كان معوَّلهُ فيهِ على الموادّ التي امكنهُ ان يقف عليها في الكتب التاريخية في كنيسة البطريركية وفي المصادر الأُخر الارثوذكسيَّة واللاتينية حسبا حكى ايضاً عن نفسهِ حيث قال: «اجتهدت ان اجمع ذلك التفريق واجعلهُ تاريخاً متلاحقاً على التحقيق— كما قدمت هذا الاعتناء— في تأليف ذكر بطاركة انطاكية من عهد القديس بطرس هامة الرسل الى زمان ايليا وكريستيانوس البطاركة اللاتينيَين اللذان صارا بطاركة انطاكية في اواخر القرن الحادي عشر»

على انَّ مكاريوس لم يكن يعرف اللغة اليونانية بحيث يتهيأ لهُ ان يكتب فيها كتاباً كما حكى بريك ومن بعدهِ پرفيريوس. ولنا شاهد على ذلك في موضع من رحلتهِ يتضمَّن شرح كيفيَّة مقابلتهِ الاولى للملك الكسيوس ميخايلوفيتش (والد بطرس الاكبر) ومنهُ يتضح انهُ كان يصعب عليهِ التعبير عن افكارهِ في اللغة اليونانيَّة لانهُ كان من عهد قريب فقط قد بدأ يتعلم هذه اللغة (٢. والصحيح انهُ كان يعرف منها القدر الكافي لترجمة الكتب الكنسيَّة المألوفة كما يظهر من ترجمتهِ الجديدة للقنداق (٣

١) لم يجمع الشماس بولس سلسلة والدهِ في كتاب لوحدهِ كما ظنَّ ههنا سعادة الاستاذ وانما جمع في معناها كتاباً مستقلًا توسَّع فيهِ ما استطاع وضمَّنهُ كل ما وقف عليهِ من اخبار البطاركة الانطاكيين في حضَرِهِ وسفرهِ نقلًا عن الكتب والمخطوطات العربيـة والرومية او تعريباً عن التواريخ الافرنجية التي كان يستخرج لهُ اشياء منها المترجم الكبوجي او الايسوعي كما كتب ذلك مراراً. وهو التأليف الذي اشار اليهِ بقولهِ: «اجتهدت ان اجمع ذلك التفريق. . . وفي مكتبتي نسخة ناقصة منهُ» ح. ز

٢) قال الشماس بولس في الموضع المومـا اليهِ: «لمَّا كان (البطريرك مكاريوس) يكلم الترجمان بالرومي كان يتوقف قليلًا لان حديث الروم سريعاً ونحن ولو حفظناه ما لنا قوَّة نتكلم مثلهم سريعاً لان لساننا خفيفاً فسأل الملك للترجمان: لماذا لا يتكلم سريعاً. فقال لهُ: لانهُ تعلَّمهُ جديدًا ولكنهُ يعرف بالتركي ان رسم ملكك يتكلم بهِ فاجابهُ لا لا. . .» وقال قبل ذلك بقليل «وكان معلمنا يكلم الترجمان بلسان الرومي لاننا كما ذكرنا كنا قد حفظناهُ جيدًا لمعاشرتنا اهلهُ. . .»

٣) هذا القنداق هو الذي وقف عليه سعادة الاستاذ في دير ڤاتوپيذيون من جبل اثوس. وقد ظنَّ في النبذة التي نشرها عنهُ في المجموع المذكور في الحاشية التالية انهُ تعريب البطريرك

ماكاريوس برحمة الله تعالى البطريرك الانطاكي وسائر المشرق

الذي أُصلح عليهِ في ما بعد القنداق السلاڤوني في ايام البطريرك نيكون (١

واماً السلسلة الثانية التي ذكر بريك انهُ اقتبسها من كتاب الارشيدياكن بولس فهي مطابقة تقريباً لما نحن ناشروهُ (اي لمقدَّمة الرحلة) خلا فروق يسيرة لا يبعد ان تكون صادرةً عن قلّة اتقان الترجمتين اليونانية والطليانية اللتين اخذ عنهما پرفيريوس ولكن هنالك فرق لا يمكن تفسيرهُ على هذا الوجه وهو انهُ في سلسلة بولس يقال: «وصار بعدهُ (اي بعد مرقص) بخوميوس بطريركاً وتوفي في تاسع عشر شهر كانون الاول سنة ٦٨٩٥ (١٣٨٦) وصار بعدهُ البطريرك نيكن وتوفي في حادي وعشرون شهر كانون الثاني سنة ٦٩٠٣ (١٣٩٥)». ويقابل ذلك في كتاب بريك قولهُ: «بعدهُ (اي بعد مرقص) عاد بخوميوس واقام راعياً مدةً من الزمـــان ومات في ٩ تشرين الثاني سنة ٦٩٠٣ (١٣٩٤) وخلفهُ نيكون ثماني سنوات ومات في ٢١ كانون الثـاني سنة ٦٩١١ (١٤٠٣) (٢

واماً السلسلة الثالثة في تاريخ بريك من يواكيم جمعة حتى افتيموس الصاقسي فهي بلا شكّ للبطريرك مكاريوس كما صرَّح بذلك هو نفسهُ حيث قال: «قبل وفاتهِ كان البطريرك افتيموس كرمة عيَّن خليفةً لهُ ملاتيوس الصاقسي واوصاهُ بانهُ عندما يجلس على الكرسي البطريركي يستدعيني من حلب — انا الفقير مؤلف هذه الاخبار — ويرسمني مطراناً على حلب حسبما تمَّ ذلك». وقال ايضاً بعد ذلك: «وهم (اي الكهنة وكل الاكليروس) انتخبوا خليفةً لهُ (اي لافتيموس الصاقسي) — اياي انا الفقير كاتب هذا التأليف — انا ملاتيوس»

مكاريوس الانطاكي وانما هو في الحقيقة ملكٌ لهُ فقط وقع اليهِ من تعريب البطريرك افتيموس كرمة حينما كان مطراناً على حلب كما سنبينهُ في مقالةٍ مفردة ح . ز

١) انظر في اعمال القسم الشرقي من الجمعية الامبراطوريَّة الأثرية في موسكا في المجلَّد الثاني ما يتعلق بقنداق البطريرك مكاريوس الانطاكي المحفوظ في الجبل المقدس

٢) لم اجد هذا الفرق في الاصل العربي فان الموضع المشار اليهِ مرويٌّ فيهِ هكذا: «وأُعيد بوخوميوس البطريرك واقام مدة وتوفي في تسعة شهر كانون الاول سنة ٦٨٩٥ للعالم وصار بعده نيلوس بطريركاً واقام مدة ثمانية سنين وتوفي في واحد وعشرين كانون الثاني سنة ٦٩٠٣ للعالم». وهو على هذه الصفة مطابق تماماً لرواية الشماس بولس خلا فرق عشرة ايَّام نقصها بريك في وفاة بخوميوس وزادها في وفاة نيكون الذي دعاهُ ايضاً نيلوس (ولعلَّهُ تصحيف من الناسخ) ح . ز

بقي ان نسأل ما هي الفائدة الجديدة التي تفيدنا اياها سلسلة الشماس بولس التي ننشرها الآن. فجوابًا على ذلك نقتبس منها بعض مواضع نقابلها بامثالها من سلسلة البطريرك مكاريوس في تاريخ بريك وهي:

سلسلة مكاريوس	سلسلة بولس
١ً. ثم رجع يواكيم . . . الى دمشق حيثما اقام — مدةً طويلةً — يرعى الشعب(١	١ً. هذا (يواكيم) مضى الى بلاد المسيحيين حيث ذهبنا نحن.. وعاد واقام في البطريركية — اثني عشر ساعة —
٢ً. وبعد ذلك توجه هذا البطريرك الى حوران وهناك — توفي — ودفن	٢ً. ثم مضى البطريرك يواكيم المذكور الى بلاد حوران ومات فيها وهناك دفن
٣ً. في مكانهِ (اي مكان يواكيم ضو) انتُخب اسقف حمص يواكيم (لم يذكر شيئًا عن فراغ الكرسي قبل هذا الانتخاب)	٣ً. وبقي الكرسي بعدهُ (اي بعد يواكيم ضو) سنةً كاملةً بغير بطريرك الى ان شرطنوا كير يواكيم مطران حمص
٤ً. وسافر البطريرك يواكيم . . . — الى الاسكندرية وتوفي فيها — فنقل رهبان الاسكندريَّة جثتهُ الى دير طورسينا حيثما هو باقٍ الى الآن(٢	٤ً. ثم ان زيادة (يواكيم) ذهب الى مصر وتنيَّح في دير طور سينا ودفن بهِ

١) لم يقل المؤلف «اقام مدةً طويلةً» كما في الترجمة الروسية ولكنهُ قال فقط: «ثم عاد يواكيم . . . الى دمشق واقام بها مدةً يدبّر الشعب» ح. ز

٢) ليس في هذا الموضع خلافٌ في الحقيقة بين الخوري بريك والشماس بولس حسبما تُوهمهُ ترجمة الاسقف پرفيريوس اوسبانسكي فان الخورى بريك لم ينقل ان البطريرك يواكيم توفي في الاسكندريَّة ولكنهُ ذكر صريحًا انهُ «خرج . . . الى مصر وتنيح هناك واخذوا الرهبان جسدهُ المقدس ودفنوهُ في دير طور سينا . . .» ح. ز

فمن هذه المقابلات خاصةً بل من معارضة المتنين عامةً يتضح لنا دون اشتباه ان بولس جمع تاريخاً جديداً للكرسي الانطاكي وانهُ عند جمعهِ اياهُ كان لديهِ سلسلة والدهِ فاختصر بعضها وزاد في البعض الآخر وبدَّل ما بدا لهُ تبديلهُ معوّلاً في ذلك كلهِ على الكتب والمخطوطات التي جمعها بنفسهِ ولم تكن قبلاً معروفةً عند والدهِ وفيها على ما يتبيَّن عدَّة فوائد جديدة . واكثر ما زاد عليهِ ترجمة افتيموس الصاقسي سلف والدهِ فان سلسلة مكاريوس لم تذكر عنهُ الّا بعض كلمات فقط . واماً في تاريخهِ فانهُ بسط الكلام عنهُ وذلك لكي يوضح دون شكّ خدم والدهِ وحقوقهُ في تبوُّءِ السدَّة الانطاكية

وبعد ان انهى الشماس بولس سلسلة البطاركة الانطاكيين اورد ترجمة والدهِ بالتفصيل وذكر انهُ ابن الخوري يوحنا الزعيم تقلَّد مطرانية حلب باسم ملاتيوس وسرد على الاثر الحوادث المهمّة التي طرأت في اثناء الاثنتي عشرة سنة التي وليَ فيها هذه الابرشية . وحكى قدومَ البطريرك افتيموس مرَّتين الى حلب وسفر والدهِ مع ستين شخصاً من الحلبيين اكليريكيين وعاميين لزيارة القدس وملاقاة ماء السمرمر الذي أُحضر من بلاد فارس لاعدام الجراد . وشرح بالتطويل كيفية انتخاب والدهِ وجلوسهِ على الكرسي الانطاكي باسم مكاريوس وتطوافهِ في الابرشية مع تعداد كل المدن والقرى التي زارها وبينها ما يظهر انهُ دثرَ اليوم لاننا لم نستطع ان نجدهُ في خارطة سورية العربيَّة التي لدينا . وهذا كلهُ لا ذكر لهُ في ترجمة رحلة البطريرك مكاريوس لبلفور في الانكليزيَّة ونحن ننشرهُ الآن للمرَّة الاولى

ويلي هذه التوطئة ترجمة مقدَّمة الشماس بولس وكان في النية الحاقها بما تقدَّم لولا اننا علمنا بعزم الاستاذ على طبعها مع متن الرحلة بتمامها في لغتها الاصليَّة حسبما صرَّح بهذا الوعد في مقدمة المجلد الخامس من ترجمتهِ الروسية وذلك بعد ان يتسنى لهُ مقابلة نسختهِ بنسخة انكلترة وتصحيح الواحدة بالاخرى . ومعلومٌ ما يترتَّب على نشر الاصل العربي من الفوائد التاريخيَّة واللغويَّة ايضاً نظراً لما يمكن تقييدهُ عنهُ من مصطلحات لهجة سوريَّة الشمالية موطن الشماس بولس ووالدهِ مكاريوس فضلاً عمَّا يستطاع كذلك اصلاحهُ من بعض التحريف والوهم الذي يعتور مواضع من النسخ الروسيَّة او يتهيأ

ايضاحهُ من خفاء بعض روايات الكتاب التي لا تزال قسماً بين الشكّ واليقين. فنحن نثني سلفاً على همّة وطنيّنا المشار اليهِ وبينا ننتظر تحقيق وعدهِ الكريم نتمنّى لهُ ان يوفّق دائماً الى خدمة العلم والآداب بما يُحسن ذكر كلّ شرقي بين علماء الديار الغربيّة

لماذا لا يعيش الانسان مائة سنة

للدكتور نابليون افندي ماريني تعريب حضرة اخيهِ الاب انستاس الكرملي

(المشرق) ان هذه المقالة المستطابة تتمّة لخطاب الدكتور حبيب افندي الدرعوني الوارد في العدد السابق

قال سنكا الفيلسوف الروماني الشهير: «يموت الانسان حتف انفهِ بل يقتل نفسهُ» اي لعمري يقتل نفسهُ بما يفرط في التأنق بالماكل والمشرب والملبس والمأوى على غير ما هو مطبوع عليهِ. ومصداق هذا الكلام ان معدَّل حياة المرء بعد ان كان مائة سنة بنيّف في غابر الزمان هبط شيئاً بعد شيء الى ٤٠ سنة بل والى ٣٥ سنة. وعليهِ: فاذا كان طول الحياة متوقفاً على تدبير الطعام فمن الاهمّ الالزم ان يحسن الانسان تدبير طعامهِ حرصاً على حياتهِ وحفظاً لها من الامراض والادواء.

ومن ثمَّ فاحسن طعام يفيد صحّة الانسان ما كان مُتّخذًا من النباتات بانواعها من بقول وخضراوات والادلّة متضافرة على ادعام هذه الوصية الصحيحة الجليلة الشان ولا بدَّ من ذكر بعض هذه الحجج ليتفحّصها العاقل ويتدبرها الباحث فيعتمد عليها ويكون في حرز منيع من هذا القبيل

هذا ونحن نورد هنا ما ذكرهُ علماء التشريح والباحثون عن مظاهر الحياة وغيرهم ممّن لهم الزند الاورى والشرب الأروى في هذا الموضوع. قال كُفيه: «من البيّن ان الانسان قد خُلق ليتّخذ طعامهُ الخصوصي من الاثمار وجذور الانبتة وسائر البقول المغذية

ولله درّ فلورنس (Flourens) اذ قال: «اذا اجال الباحث نظرهُ في تركيب معدة الانسان واسنانهِ وامعائهِ يُفتي بانهُ من أَكلة الاثمار طبعاً واصلاً.» وقد اجاد هوشار (Houchard) بقولهِ: ان الطعام المتَّخذ من لحوم الحيوانات ذلك الطعام الذي لا زلنا نفرط في اكلهِ ليس طعاماً بل انهُ تسمُّم متواصل»

ودونك دليلين يثبتان هذه الحقيقة. احدهما مأخوذ من الملاحظات اليومية والثاني مغترف من مناهل العلم الصافية

١ً الدليل المأخوذ من الملاحظات: اذا قمتَ بعد عشاء كانت صحافهُ اللحوم من جميع الانواع واقداحهُ من الخمور المتباينة الالوان والاشربة الروحية المختلفة الموارد ولم تكد تذوق شكلاً من البقول تتحقَّق رغماً عنك ان ليلتك تكون مضطربة وقد غلب عليك القلق والتململ وتجد استيقاظك ثقيلاً بطيئاً وقواك العَضلية والدماغيَّة قد ارتخت وانحطَّت انحطاطاً بيّناً. وفي بعض الاحيان ترى فيك وَناء يبتدئ من تبلُّج الصباح ويا ليت يحطُّ رحالهُ عند المساء وانت مع ذلك لا تعرف كنههُ (ويكون هذا التعب طبيعيًا وادبيًا وعقليًا). والخلاصة انك تشعر بضعف في الاعصاب منذ غرَّة النهار. واذا تعقَّبت الاسباب لا تجد راسها في الغالب الَّا وقد خرج من تلك الصحاف التي استطَبتها امس. او لم تقل في بعض الاوِنةِ انك تجد بعض التوعُّك في المزاج وكسلًا طبيعيًّا وعقليًا يدفعك الى الاقلاع عن اشغالك موقتاً ويستحثك الى القول: «اني اشعر بكوني لست بمألوف راحتي هذا اليوم وقد اثقل الدمُ راسي ولا يمكنني ان أُفيد ولا ان استفيد» فهذه الامور كلها لا تكون الَّا عن علَّة واذا بحثت نعماً عن الاسباب التي جرَّتك اليها تُراكَ لم تحفظ شروط القناعة والزهد في المآكل

٢ً الادلَّة المأخوذة عن مصادر العلم: اذا مات حيوان موتًا انقطع فيهِ حبل حياتهِ فجأةً تجد بعد زمان قد ظهر فيهِ الفساد وعقبهُ بعد قليل او اكثر تولُّد اشباه قلويّات آليَّة تسمَّى جواهر العفونة او بتومائين (ptomaïne) ومفاعيلها السمّيَّة مفاعيل السم الزعاف. فمن اين يحدث هذا الانحلال النَّتِن لو لم يكن في اللحم عناصر ترحب بالجراثيم المفسدة فتضيفها فتجد ثمَّ مربًى حسناً فتبقى وتتوالد وتتكاثر. فقل لي ناشدتك الله هل ترى مثل هذا الفساد في البقول والاثمار والنباتات ؟ لا لعمري. وعليهِ فآكل اللحوم يبتلع كل هذه العناصر المهيّئة لقبول الجراثيم المضرَّة المفسدة دون المقتات بالنبات

ثم نستلفت انظار العاقل الى التسمُّم البطيّ المتواصل الذي تزيد مفاعيلهُ زيادة متعاظمة كلما كانت اللحوم نيئة او مطبوخة بعض الطبخ (لانَّ الخبرة قد اوضحت ان الطبخ المبالغ فيهِ يُلاشي جانباً عظيماً من فعل الجواهر العفنة او البتومائين المضرّ) او اذا كان من نوع المرّيّ او من اللحم المبيَّت الذي قد بدأ بهِ الانحلال (على نحو ما قد اصطلح عليه ارباب هذا الفنّ بالتَّدرجة مصدر تَدْرَجَ (faisander) اي جعل في اللحم طعم التَّدْرُج (faisand) او من الصيد الذي تختلف كيَّة سمّيتهِ باختلاف ما كابدهُ الحيوان من التعب في هربهِ او من الخوف من قاتلهِ

على انهُ لا يحسن بنا ان نبالغ في الاشياء مبالغةً غير حقيقة. نعم ان في هذه اللحوم سموماً دون ادنى ريب الّا ان هذه السموم بمقادير زهيدة في اطعمتنا وهي لا تبقى سموماً مع بقاء مع بعض مفاعيلها الضارَّة وهذا كافٍ لتفسير اشياء جمَّة

ومماً يُثير في الانسان الجراثيم المَرَضية جهلُهُ لما ياكل والافراط في ما ياكل وهذه الاسباب عينها هي التي تقصِر الحياة. وقد قال احد علماء البحث في هذه المواضيع: اذا كان الخمر ابًا والاطعمة الفاخرة أمًّا والافراط في الملذات الحسّيَّة مرضعاً فما احرى بالاولاد ان يُبتلَوا بالنقرس وما شابهُ او قاربهُ. ويشابهُ او يقاربهُ داء المفاصل والبول السكَّري والخنازيريّ وامراض الكُلى والمعدة والقلب والاوردة والاعصاب. وفي بعض الاحيان التدرُّن الرئوي والخَرَع (لين المفاصيل) والشقيقة والرَّبو وطائفة من امراض الجلد وضعف العصب وهو الداء الذي لا يزال في سيرٍ حثيث هاجماً على جميع طبقات الناس وفاتكاً بهم فتكاً هائلًا بينما هم لاهون بين اسباب الترف والقصف. فهذه الادواء كلها يولّدها الانسان في جسمهِ وبعبارة أُخرى هو الباحث عن حتفهِ بظلفهِ

هذا وابن آدم في انحطاطٍ متدرّج من جهة القامة والعضَل فان هذه آخذة فيهِ بالضعف وتلك ذاهبة الى القصر. فلننظر الآن اذا كان من طاقتنا إصلاح هذا الخلل

قلت: ليس هذا من المحال اذا اتخذنا الطعام وسيلةً للافاقة هذه الشائبة وبالخصوص التقوُّت بالنباتات فانهُ قد جاء باحسن النتائج للقوَّة العضلية وللاشغال العقليَّة

١ً القوة العَضَليَّة: ان الغني بل الفقير ايضاً الذي يريد التشبُّه بالغنيّ يقتات اليوم بالخبز الابيض او الخبز الحُوَّارَى والحال ان هذا الخبز «يقلُّ غذاؤهُ كلما اشتدَّ بياضهُ» واذا عمد الخبَّاز الى اخراج النُّخالة عند اتخاذهِ الخبز فهو بذات الفعل يستخرج منهُ

كمّيّة وافرة من صمغهِ (gluten) والفصفات الكلسيّ النافع منفعةً عظيمة لانماء العظام. وقد اثبت ماجندي (Magendi) احد ائمة الفرنسيين الباحثين عن مظاهر الحياة ان الكلاب التى تأكل خبز النخالة تعيش زماناً اطول من الكلاب التي تأكل خُبز السَّميذ

واعلم يا هذا ان اللحم لا يُولّد قوّة عضَليَّة بل الذي يولّدها ويولّد الحرارة الحيوانية فيما هو الخبز والادهان والاطعمة النباتيَّة فان المولعين بأكل اللحوم يكنزون في ابدانهم جواهر ازوتيَّة كثيرة ولا يجمعون فيها موادّ كربونيَّة كافية

وان انواع المرق والجليديَّات وعصير اللحم اذا أُكثر منهـا تحمل مجموع الاعضاء بوتاساً ومغنيسيا لا يُفيدانها واماً الاشربة الروحية فليس انهـا لا تعين الهضم فقط بل تضرُّهُ لانها تُخدّر قوى جواهرِ الخمرة فتقعدها عن العمل. وعليك ان تتذكر دائماً في ما يخصّ الاطعمة وفائدتها وتغذيتها هذه القـاعدة وهي: «ان الانسان لا يعيش ممّا يبتلعهُ بل ممّا يهضمهُ» و«أنَّ أفيد طعام لهُ ما قلَّت لحومهُ ونقصت الوانهُ وصفا ماؤُهُ القراح ولم تَدُر فيهِ أقداح الراح». وقد ادرك الاقدمون هذه الحقيقة من كثرة ما زاولوهُ من التجارب وعانوهُ من الاختبارات فوقفوا على كثير من الحقـائق الراهنة بدون ان يتمكنوا من شرحها شرحاً علمياً محضاً وحسبي شاهداً بهذا الصدد ما اوردهُ المسعودي عن جبريل بن بختيشوع الطبيب قال ما نصُّهُ:

«حدَّث يوسف بن ابرهيم بن المهديّ قال: حدَّثني سليمان الخادم الخراسـاني مولى الرشيد انهُ كان واقفاً على راس الرشيد بالحيرة وهو يتغدَّى اذ دخل عليهِ عون العباديّ وكان صاحب الحيرة وفي يدهِ صحيفة فيها سمكة منعوتة السمن فوضعهـا بين يديهِ ومعهُ محبس(١ قد اتخذ لها فحاول الرشيد اكل شيء منها فمنعهُ جبريل بن بختيشوع واشار جبريل الى صاحب المائدة ان يشيلها عن المائدة ويعزلها لهُ ففطن لهُ الرشيد. فلما رفعت المائدة وغسل الرشيد يدهُ وخرج جبريل امرني الرشيد باتباعهِ وان اكبسهُ في منزلهِ وهو يأكل فارجع اليهِ بخبرهِ. ففعلتُ ما امرني واحسب ان امري لم يخفَ على جبريل فيما

١) كذا في الاصل الذي بيدنا وهو غلط ولاصح مُحشّى قد اتخذهُ لها. والمحشّى والحشو سيأن كما ذكر هذه الرواية في كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي أصيبعة (١ : ١٢٩)

تبيَّنتُ من تحرُّزهِ وانهُ صار الى موضع من دار عون ودعا بالطعام فأُحضر لهُ وفيهِ السمكة فدعا باقداحٍ ثلاثة فجعل في واحدٍ منها قطعة من السمك وصبَّ عليها من خمر طبريان (كذا وهو غلط والاصح طِيْزَناباذ كما جاءت في معجم البلدان لياقوت وهي قرية بين الكوفة والقادسيَّة . . .) فصبهُ على السمكة وقال: هذا اكل جبريل. وجعل في قدح آخر قطعة منها وصبَّ عليها ماء بثلج شديد البرودة وقال: هذا اكل امير المؤمنين اعزَّهُ الله ان لم يخلط السمك بغيرهِ. وجعل في القدح الثالث قطعاً من اللحم من الوان مختلفة من شواء ومن حلوى ومن بوارد وبقول ومن سائر ما قُدم اليهِ من الالوان من كل واحدٍ منها جزءا يسيرًا مثل اللقمة واللقمتين وصبَّ عليها ماء بثلج وقال: هذا اكل امير المؤمنين ان خلط السمك بغيرهِ ودفع الثلاثة الاقداح الى صاحب المائدة وقال: احتفظ بها الى ان ينتبه امير المؤمنين اعزَّهُ الله. ثم اقبل جبريل على السمكة فاكل منها حتى تضلَّع وكان كلَّما عطش دعا بقدح من الخمر الصرف فشربهُ ثم قام فلما انتبه الرشيد من نومهِ سألني عمَّا عندي من خبر جبريل وهل اكل من السمكة شيئاً ام لم ياكل فاخبرتهُ بالخبر فامر باحضار الاقداح الثلاثة فوجد ما في القدح الاول وهو الذي ذكر جبريل انهُ أكلهُ وصبَّ عليهِ الخمر الصرف قد تفتَّت وانماع واختلط. ووجد ما في القدح الثاني الذي قال جبريل انهُ اكلُ امير المؤمنين وصبَّ عليهِ الماء الثَّلِج قد ربا وصار على النصف ممَّا كان. ونظر الى القدح الثالث الذي قال جبريل: وهذا اكل امير المؤمنين ان خلط السمك بغيره قد تغيَّرت رائحتهُ وحدثت لهُ سهوكة كاد الرشيد ان يتقيأ حين قرب منهُ. فامر بحمل خمسة آلاف دينار الى جبريل وقال: من يلومني على محبة هذا الرجل الذي يدبّرني بهذا التدبير. فاوصلتُ اليهِ المال ». انتهى

وقال هوشار (Huchard) من الاطباء المحدثين: « ان الكميَّة اللازمة لقوت الانسان ليعوّض بها عمَّا يفقدهُ كل يوم تبلغ في ٢٤ ساعة ٢٠ غراماً من الأزوت و ٣١٠ غرامات من الكربون. والحال ان هاتين الكميَّتين موجودتان بكفايةٍ لا بل وفوق الكفاية في كميَّة من الطعام مركبة من ٥٠٠ غرام من الخبز الخشن و ٥٠٠ غرام من العدس و ٥٠٠ غرام من اللبن الحليب وهذا ما يساوي ٢٤ غراماً من الازوت و ٤٠٠ غرام من الكربون ». اه

واماَّ التقوُّت باللحم فلا يوافق هذه النفقة النُّخاعيَّة ولعمري ان الباحثين عن

مظاهر الحياة قد اجمعوا على ان للفسفور الموجود في الاطعمة السهمَ الاوفى في تغذية جهاز القوى العقليَّة . ونتيجة ما تقدَّم . ان الطعام النباتي يُفيد صحَّة النفس والجسد

على اني لا اريد من هذا كلهِ ان ادفع النـاس الى ان ينقطعوا الى اكل الخبز وشرب الماء بل اريد ان أُبيّن ان الطعام النباتي (ويُضمّ اليـهِ اللبن بفروعهِ ومركباتهِ والبيض والقليل من اللحم) هو انفع طعام للاجسام وبسلامة الاجسام تسلم العقول

وفي هذا النوع من الطعام فائدة أُخرى وهي انهُ لا يثقـل المعدة بخلاف ما شاع عنهُ بما ان المعدة قد خُصَّت بهضم اللحوم واما الامعـاء فقد خُصَّت بهضم البقول والخضراوات . ولنا ادلَّة على حسن نتيجة هذا التدبير ما نطالعهُ في الكتب عن طول حياة الآباء الاولين الذين عاشوا في صدر الخليقة وعن اولياء الله في كنيستهِ المقدَّسة وعن الرهبان الترابيين والكرتوسيين وغيرهم الذين يبلغون شيخوخة جليلة وسبب ذلك ما ذكرهُ هوشار : ان التدبير النباتي يمدُّ في العمر لانهُ لا يُبلي الاعضاء على نهج ما يُبليها الاقتيات باللحوم ولانهُ يُولِّد في الجسم مناعةً تجعلهُ بمنزلة الحصن الحصين في وجه بعض الامراض بخلاف الاقتيات باللحوم فانهُ يستضيف طائفة من الامراض

تأثير الطعام في الآداب

قد صوَّر لنا هوميرس الشاعر المفلق البليغ همَجيَّة ووحشيَّة القِتْلوب او السِكـلوب من أَكَلة اللحوم ودعة أَكَلة النبق او اللوطس . وممَّا شاع عند الاقدمين انَّ اكل الموادّ النباتيَّة يلين الطباع ويكسر حدَّة الاخلاق

ومن اقوال المتأخرين ما ذكرهُ جان جاك روسُّو وهو : ان جميع المتوحشين هم قساة وان هذه القساوة تتولَّد فيهم من أطعمتهم اكثر من تولّدها فيهم من اخلاقهم » . وقد لاحظ بَرْتِلّون (Bertillon) بموجب احصاءاتٍ عديدة مدققة ان درجة الجرائم ترتفع في الامم التي تكثر من اكل اللحوم

ولا يستنتج من ذلك ان نحكم على انفسنا باتخاذ طريقة الترابيين والكرتوسيين بل عوضاً من ان نكثر من اكل اللحوم في اطعمتنا لنكثر من اكل البقول والخضراوات والفاكهة والاثمار . فالذين لا يريدون ان يتبعوا هذه الجادَّة او لا يريدون ان يخضعوا لهذه الوصايا الصحيَّة بنوعٍ باتٍ ومطلق فعليهم بالاقلّ ان يتبعوا التدبير الآتي في معيشتهم : في الصباح يؤخذ شيء من اللبن الحليب مع شيء آخر خفيف الهضم (اي حليب مع

الشكولاتا او اللوز الهندي (الككاو) مع بيضةٍ . وفي الظهر: قليل من اللحم وكثير من البقول بشرط ان لا يكون فوق ما يحتملهُ الآكل. وفي المساء: حُساء غير متَّخذ من اللحم وألوان من البقول بدون لحم. اما الخمر فلا يوخذ منهـا او يوخذ منها شيء زهيد. واماً القهوة فيوخذ منها فنجان وذلك بعد الغداء (طعام الظهر). وما عدا هذه الوصايا التي اشرنا بها على من يُريد ان يحفظ صحتهُ من جهة الطعام يختار لنفسهِ وقتاً للتمرينات العَضَليَّة اي للرياضة الجسدية ويقضي على نفسهِ ان ينـام باكرًا ويستيقظ كذلك. وللانكليز بهذا الصدد مثل وهو: النهوض باكرًا يأتيك بالصحة والغنى

ولم اوجّه شيئاً في كلامي هذا الى الذين يريدون ان يعيشوا قليلًا ويكون هذا القليل برغدٍ وترَف بل انني سُقتهُ الى الذين يودّون ان يعمروا ويطوا أياماً يجدون في مثانيها الصحة والعافية وليالي يستخرجون من حلكة ظلامها الراحة والهناء. اماً الذين يتناولون الالوان لغاية التلذّذ باطايبها فلا يشقّ علينا ايضاً ان نبيّن لهم ان اطيب ملاذّ الذوق في هذه البقول والخضراوات لان طبخها يختلف ويتنوّع كما يختلف ويتنوّع طبخ اللحوم

وفي الختام ليطبع العاقل على صفحات قلبهِ هذا الكلام المنسوب الى ڤولتير وهو: «تخيُّر الطعام خيرٌ من استعمال الدواء لطرد الاسقام Régime vaut mieux que médecine: او هذا المثل اللاتيني: قلّة الطعام انفع طبيب للانام: modicus cibi, medicus sibi ويشبههُ في المعنى قول العرب: المعـدة بيت الداء والحِميَة راس كل دواء. ومثلهُ: البطنة تأفن الفطنة. وقال عمر بن الخطّاب: يا أيها النـاس اياكم والبطنة فانها مكسلة عن الصلاة مفسدة للجسد مورثة للسقم. وبما تقدم كفاية لمن رغب حفظ صحتهِ وجسدهِ وعقلهِ. والله الحافظ في كل الاحوال اذ جاء عن لسان نبيّهِ: «ان لم يبنِ الرَّبُّ البيتَ فباطلًا يتعب البنّاؤون »

فنّ الفوتوغرافية او التصوير الشمسي

للاب لويس دي انسلم اليسوعي (تتمَّة لما سبق)

الفنون الفوتوغرافية

بقي علينا بعد المقالات السابقة في تاريخ فنّ الفوتوغرافيَّة واصولهِ وطرائقهِ ان نختم كلامنا بفصل نعرّف فيهِ الفنون الشتَّى التى تشعَّبت من هذا الاكتشاف العجيب

١ (المِتروفوتوغرافيَّة) او تصوير الاقيسة وهو فنٌّ مبنيّ على مبادئ الفوتوغرافيَّة غايتهُ قياس الامكنة وتقويم البلدان. يؤْخذ لذلك ادوات فوتوغرافيَّة ذات خزانة مظلمة مجهَّزة بجهازٍ خاصّ تصوّر بعمل واحد كلّ حلقة الافق ولا بُدَّ ان تُجعل الاداة في مكان عالٍ مطلّ على دائرة الافق. وفي الغالب يتمُّ ذلك في المراكب الجويَّة حيث لا يردُّ النظر شيء. ولا يحجزهُ حاجز. والصور المصوَّرة على هذا النمط قد افضت الى نتائج حسنة جدًّا افادت لرسم الخارطات رسمًا مدققًا

٢ (المِكروفوتوغرافيَّة) اي فنّ تصغير الصور. قد بلغ هذا الفنّ دقَّةً غريبةً فانَّ الصورة التي ترتسم على الشبحيَّة تُصغَّر بواسطة عدسات معلومة حتى لا تكاد تراها العين المجرَّدة الّا باستخدام المُجهر والادوات المكبِّرة ثم تُثبَّت هذه الصور وتجعل على جُلَيدات ناعمة غاية في الرقَّة وتُلصق بنظَّارةٍ صغيرةٍ فاذا حدَّقت بها العين رأت الصورة بكل محاسنها. وقد يُلتجأُ الى هذا الفنّ في بعض الاحوال الحرجة لاخفاء الاسرار. كما فعل الفرنسويّون في حربهم سنة ١٨٧٠ فكان اهل باريس لمَّا حاصرهم الالمان اذا ارادوا تبليغ بعض اخبار الى خارج المدينة عمدوا الى هذه الطريقة وقد بلغ المصوّرون في ذلك براعةً عظيمة حتى تمكَّنوا من كتابة ٣٠٠٠ خبر برقيّ اي نحو ١٦ صفحة من القطع الكامل فصغَّروها وجعلوها في جُليدةٍ اصغر من الفلس ثمَّ كانوا يأخذون الحمام الساعي فيضعون تحت اجنحة الواحدة منها ثمانية عشر من هذه الجليدات وزنها نصف غرام اي نحو قيراطين فيرسلونها الى انحاء فرنسة فتُقرأ الاخبار امام جمهور غفير بفانوس كهربائي

٣ (الكرونوفوتوغرافيَّة) هو احد الفنون الفوتوغرافيَّة المهمَّة الذي شاع اليوم استعمالهُ وكثرت فوائدهُ. وغايتهُ تصوير الصور المتحرّكة في وقت واحد بحركة قانونيَّة منتظمة كسير الفرس وطيران الطائر الى غير ذلك من الامور

ولهذا الفن طريقتان الواحدة بواسطة صفيحة ثابتة والاخرى بصفيحة متحركة. فالطريقة الاولى اخترعها المسيو ماره (Marey) فصوَّر بها حركات عديدة كحركة الجسم واعضائهِ المختلفة في السير والركض والقفز سواء كان في الحيوان او غيره. وقد اتَّخذ صفيحة ثابتة كبرى يجيز امام اقسامها بالتتابع حركات المرئيَّات بحيث لا تختلط الصور بعضها فترى العين كل هيئات الحركة كأنَّها ترى الحيوان بعينهِ سائرًا او راكضًا او

قافزًا. وقد جهّز لاتقان هذه الصور ادوات متعددة تمكّنهُ من تنظيم هذه الحركات وضبطها اخصّها تعديد الاسدَّة التي تُفتح وتُقفل بسرعة غريبة امام الصفيحة الحسّاسة وكل اقسامها. وقد اخترع احد الاميركيين اسمهُ مويبرج (Muybridge) طريقة أخرى لرسم هذه الحركات بأنهُ جعل بدلًا من الاسدَّة شبحيّات صغيرة متعددة ملتصقة بعضها فاذا مرَّت الصورة امام الاداة الفوتوغرافيَّة فتحت بحركتها تلك الشبحيَّات التي ترسم حركاتها فيها بالتوالي. ومنذ عهد قريب صار الضبَّاط البحريون يبحثون بهذه الادوات عن حركات القذائف الحربيَّة وسرعتها في كلّ ثانية وانحنائها في سيرها

امَّا الطريقة الثانية اي طريقة الصفيحة المتحركة فلا حاجة فيها الى تعديد الشبحيَّات ولا الاسدَّة وانما تكفي شبحيَّة واحدة وسداد واحد. ومن فوائدها انَّها تصوّر ايضًا الحركات غير المنتقلة كاختلاج الاعضاء وانهطال المطر وهذا ما لا يُنال بالطريقة الاولى. واوَّل اداة اشتهرت من ذلك اداة المسيو جنسن استعملها لرصد مرور الزُّهرة امام الشمس. ثم تبعهُ المسيو ماره السابق ذكرهُ فوضع اداة دعاها البندقيَّة الفوتوغرافيَّة (fusil photographique) جعل فيها صفيحة مستديرة حول قطب كانت تدور فتبرز اقسام دائرتها امام بورة المرئيَّات المقصود تصويرها. لكنهُ رأى في هذا الاختراع خللًا اذ لم يحصل الَّا على ١٢ صورة في الثانية وهو قليل لتصوير الحركات. فابتدع اداة أخرى جعل فيها جُلَيدات حسَّاسة يدعونها فيلمًا (films) رقيقة مستطيلة تمرُّ مرًّا سريعًا امام الشبحيَّة وهي مع ذلك تهتزُّ في دورانها. وهذا المبدأ قد بنى عليهِ الطبيعيُّ الشهير إدسون آلتهُ المعروفة باسم كينيتوغراف اي مصوّر الحركة وكذلك بقيَّة الآلات التي شاعت الآن باسم كينيمتوغراف وقد وصفها المشرق في سنتهِ الاولى (ص ١٤١). والصور المرسومة بواسطة هذه الآلة عديدة وكلَّما ضاقت الجليدة كان عدد صورها اوفر ويمكن تدويرها بايّ سرعة يشاء المصوّر. لكنَّ الشبحيَّة في هذه الادوات تتحرك ايضًا بحركة الصفيحة الجلديَّة وهي تهتزُّ اهتزازًا خفيفًا عموديًّا منظَّمًا. واليوم جعل المصوّرون يرسمون على هذه الجليدات حوادث شتى كحروبٍ والعابٍ واسواق رائجة الى غير ذلك ممَّا يتوهم الناظر وقوعهُ امام عينهِ. وممَّن حسَّنوا الادوات الكرونوفوتوغرافيَّة الضابط غوسارت (Gossart) والعلماء اوسشولتز (Auschultz) وجنكينو (Jankino) ودومني (Demeney). وقد اشتهر من هذه الآلات الكينوتوسكوب الذي وضعهُ

ادسون نقش فيهِ ١٥٠٠ صورة كان يجيزها مدَّة دقيقة واحدة امام عيون الحضور فيرون المنظر بكل حركاتهِ . وقد زاد المسيو لوميار (M. Lumière) هذه الآلة تحسيناً باستعمال الستار الشفَّاف فيرسم عليهِ الصور المتحركة بحيث يراها حشد كبير . والكينيتغراف يُدار باليد . والأولى ان يكون تدويرهُ بلولبٍ (زنبرك) فتكون الحركة اكثر نظاماً . امَّا الصور فيمرُّ منها امام الحضور من ١٥ صورة الى ٢٥ في الثانية يراها الناظر متَّصلةً بعضها لتأثيرها في بؤبؤ العين فلا يشعر بانفصال صورةٍ حتى يرى الاخرى . واذا اراد المختبر يمكنهُ ان يوصل الجُلَيدات ببعضها فيعرض على الناظرين مشاهد تدوم دقيقتين وثلاث دقائق بل ازيد . وتكون هذه الجلَيدات على ملفٍّ وتحفظ عادةً في محلّ رطبٍ لئلَّا تيبس فتتقلَّص

امَّا تركيب هذه الجليدات فمن مادَّة السلولويد (celluloïd) وهو عنصر شفَّاف ألَّا انهُ يحترق سريعاً واذا اثّرت فيهِ صور المحسوسات لا بُدَّ من اظهارها واثباتها في مغطس كيمويّ كالصفائح الفوتوغرافيَّة . وهذه الصور تكون سلبيَّة . امَّا الصور الايجابيَّة فتنال بوضع جُلَيدات أُخرى حسَّاسة على الجليدات السلبيَّة بحيث تتماسّ الجُلَيدتان ثم تُعرَض للنور كما تُستحضَر الصور الايجابيَّة الذي سبق وصفها فلا تلبث الجليدة الحسَّاسة ان تمثِّل الصورة السلبيَّة بكل دقَّةٍ متحولةً الى صورة ايجابيَّة

٤ (الكروموفوتوغراف) مذ اكتشف العلماء سرّ الفوتوغرافيَّة احسُّوا بانَّ الالوان لا تؤثر في الصفائح الحسَّاسة تأثيرًا واحدًا . بل ربَّما جاءت الالوان مخالفة للونها فاللون الازرق مثلًا وهو اقتم الالوان يُرى ابيض في الصور الفوتوغرافيَّة . ومن هذه الالوان ما يُرى اسود كالاصفر والاخضر والاحمر . امَّا بقيَّة الالوان فلا تظهر ألَّا لامتزاج الازرق فيها كالابيض والبنفسجيّ وفي كليهما شيء من الزرقة . ومن خواصّ الصفائح الحسَّاسة انَّها تتأثر بسرعة من كل لون ازرق او مشوب بزرقة ولا تتأثر من بقيَّة الالوان ألَّا ببطء ما . وعليهِ فاذا وضعت صورة ذات الوان مختلفة امام الشبحيَّة اضطرَّك وجود الازرق ومركباتهِ فيها ان تسحبها بسرعةٍ بعد عرضها على النور بينما تقتضي بقيَّة الالوان زمنًا اطول لتنطبع على الصفيحة الحسَّاسة وهذا ما منع حتى هذه السنين الاخيرة تمثيل الالوان بالتصوير الشمسي

وقد بحث العلماء على طرائق مختلفة لسدّ هذا الخلل فنالوا بعض المقصود وان لم

ينجحوا فيهِ نجاحاً تاما . وهاك بالتلخيص ما وجدوا . الالوان يمكن اثباتها في الصورة على نوعين امَّا بعمل النور توًّا اذ يبرز هذه الالوان بفعلهِ في الصورة واقسامها وهو الفنّ المدعوّ كروموفوتوغرافيَّة (chromophotographie) وامَّا باستعمال الوان خارجيَّة مستحضرة يفعل فيها النور ويلصقها باقسام الصورة . وهذا الفنّ يُدعى فوتوكروموغرافيَّة (photochromographie)

فالفنّ الاوَّل سبق اليهِ المسيو لپمان (Lippman) وطريقتهُ في العمل ان يخفف قوَّة الالوان الشديدة التأثير بالنور ويقوّي فعل البقيَّة . ويتَّخذ لذلك شبحيَّة خصوصيَّة يجعل في بورتها صفيحة مطليَّة بغشاء حسَّاس متساوٍ ويضع وراء الصفيحة مغطساً على حجمها مملوءًا من الزئبق بسمك نصف سنتيمتر محكم التسطيح . فاذا اراد رَسْم الصورة الملوَّنة وضع حواجز ملوَّنة ايضًا او آنيةً من الزجاج يملأها موائع مختلفة لحجز بعض الالوان فاذا اراد اللون الازرق وضع حاجزًا برتقاليّ اللون . واذا اراد الاحمر وضع حاجزًا اخضر . أمَّا الاصفر فيُنال بوضع حاجز بنفسجيّ وهلمَّ جرًّا . وتُعرَض الصورة على النور زمناً مختلفًا على اختلاف الالوان المطلوب رسمُها . وهذا الاكتشاف المهمّ قد اسفر عن فوائد جمَّة في التصوير الملوَّن لكنَّهُ حتى الآن لم يبلغ كمالهُ ولعلَّهُ يتحسَّن فيفي بالمرغوب

امَّا الطريقة الثانية فقد جاءت بنتائج غريبة اكتشفها بعض علماء الطبيعة في فرنسة اوَّلهم المسيو كروس (Cros) ثم دوكو دي هورو (Ducos de Haurou) واكملها العالمان ڤيدال (Vidal) ولوميار ثم بلغ بها المسيو دوجاردان (Dujardin) ما لم تبلغهُ الآمال . وهذه الطريقة مبنيَّة على مبدإ العلاَّمة نيوتن (Newton) الذي ايَّدهُ العلماء شڤرول (Chevreul) ومكسول (Maxwell) وهلموتس (Helmotz) وهو « انهُ يمكن تمثيل الالوان كلها بمزج ثلاثة الوان اصليَّة في الطيف الشمسيّ على كميَّات مختلفة » فوفقاً لهذا المبدأ حاول العالمان كروس ودوكو دي هورو ان يمزجا الثلاثة الالوان الاصليَّة وهي الاحمر والاصفر والازرق وصوَّرا بها ثلاث صورٍ كلّ منها سلبيَّة للَّون الآخر . فصوَّرا صورة سلبيَّة للَّون الاحمر بوضع حاجز اخضر ثم صورة سلبيَّة للاصفر بحاجز ازرق وصورة ثالثة سلبيَّة للازرق بحاجز اصفر . ثم نقلا الصور السلبيَّة الى صور ايجابيَّة وجعلا بينها

وبين الشبحيَّة زجاجاً ملوَّناً باللون المناسب لهـا فجاءت الصورة ملوَّنة بالالوان البهيَّة الجميلة

وقد اخترع العلماء طريقةً لأن يخفِّفوا العمل ويصوِّروا الصورة مرَّةً واحدة بالوانها فوضعوا لذلك ادواتٍ شتى لا يسعنا هنا وصفها . وخلاصة القول انَّ رسم الالوان على هذه الطريقة صار اليوم امرًا واقعيًّا وبلَّغ فنَّ التصوير الى درجةٍ لم تكن سابقًا في الحسبان

وقد افادتنا المجلَّات العلميَّة الاخيرة انَّ المسيو غرتنر (Gartner) احد مصوِّري جنيفة وجد الطريقة المثلى لتلوين الصور الشمسيَّة بكل الالوان لاسيَّما الالوان الناصعة وذلك بواسطة استحضار الصفائح والموادّ التي تُغمس بها . وسنعود الى هذا الاكتشاف اذا وقفنا على سرِّهِ

وهنا نختم الكلام عن فن الفوتوغرافية شاكرين للمولى على ما اولانا بهِ من المنافع العديدة . فانك لا تكاد تجد اليوم صناعةً الَّا تستفيد من هذا الفنّ العجيب كالحكومة في تقاريرها والطبّ والجراحة في عمليَّاتهما وعلم النجوم في ارصادهِ الى ما لا يُحصى من الفوائد . فسبحان الخالق ما اعجب اعمالهُ وابدع صنعهُ

إطلاع الحَضَر على أطلاع النوَر

لحضرة الكاتب المحقق والعلّامة المدقق الاب انستاس الكرملي (لاحق بسابق)

٦ (عدد النوَر) قد علمتَ ممَّا مرَّ بك ان للنوَر اسماء تختلف باختلاف البلاد وانَّهم من قبائل واقوام شتى . وعليهِ فيحقّ لنا ان نذكر عددهم بموجب تلك الاسماء في تلك البلاد والجهات . وقد قُلنـا ان اسم « النوَر » متعلّق بهؤلاء خصوصاً في بلاد سوريَّة . ولم نعثر على عددهم هناك . كما اننا لم نقع على ذكر عدد « الغَجَر » في الاقطار المصريَّة . امَّا عدد « القَرْبات » في ارجاء حلب الشهباء فيبلغ زهاء ١٢٠ خيمة على ما بلغني من احد الاصدقاء . ويبلغ عدد « القرَج » ١٥٠ خيمة يصيِّفون في جبال زوزان » وهي جبال تمتدُّ من سعرت الى بُحيرة وانْ طولًا ومن الفُرات الى بلاد فارس عرضاً .

(كذا قيل لي. وقد اوردتُ هنا عبارة الكاتب نفسها والعهدة عليهِ في هذا التعريف الغريب). ويشتُّون بالدَشْت ويحلُّون في ٥ قرى من تلك الاصقاع». ويبلغ عدد «المطربة» ٢٠٠ خيمة ويسكنون في جوار ٦ قرًى من جبال زوزان صيفاً ومن الدَشْت شتاء

ويبلغ عدد «الجُعَيدِيَّة» ٨٠ خيمة وهم في الجزيرة وبعض قُرى الشام. وعدد «الجنكّانة» في ولاية الموصل ٦٠ خيمة لا غير. وعدد «الكاوليَّة» في بلاد العرب والعراق والجزيرة وبريَّة الشام ١٥٠٠ خيمة على ما قالهُ لي احدهم ولا اعلم منزلة هذا الكلام من الصحَّة لكني لا استغربهُ إذ انَّهم بالحقيقة كثيرون في هذه الديار العربيَّة. واماَّ عدد «الزطّ» في انحاء البصرة في يومنا هذا فلا يتعدَّى ٧٠ خيمة. وعدد «الشاهسَوَن» في شماليّ بلاد فارس ٣٢٠ خيمة. ويبلغ «الفُيوج» ٤٥ بيتاً. و«التات» ٥٠٠ خيمة. و«القُفَص» او «القُفْس» ٢٨٠ أُسرة ويبلغ عدد «الكَنْجو او الدُوشا» ١٧٠ خيمة. وهذه الارقام كلها غير مضبوطة ضبطاً محكماً لان الذين استفسرتُ منهم عن عدد هؤلاء الاقوام هم اصدقاء لي منتشرون في تلك الاصقاع ولا يُخالطون النوَر الَّا عن بعدٍ

٧ (ملابسهم) ليس لهؤلاء الناس لباس خاصٌ بهم. فلباس النوَر الذين في بلاد العرَب لا يمتاز بشيء عن زيّ اهل البادية وهو عبارة عن كوفيةٍ او عقال يُشدّ بهما الراس وقباء طويل مع منطقة في الوسط. وعلى القباء رداء ولا تَرِد على ذلك. وزيّ نسائهم كزيّ النساء الاعرابيات من دراعة وصدار وخمار وعمار ليس الَّا. واماَّ النوَر الذين في بلاد فارس ونواحيها فلباسهم كلباس الأكراد اي انك تجد على رؤُوسهم كُلَاهاً (الكُلَاهُ قَلَنسوة طويلة من اللبد او نحوهِ) او كُمَّة بطحاء او مستديرة تكون من لبدٍ غالباً. وقد يُشدُّ على كل منهما لفافة من ايّ نسيج كان وعليهم قباء قصير يلبسون فوقهُ قُرْدُمانيًا. ولهم منطقة من النسيج وقد تكون عريضة ويُحبون من الثياب ما كان منها بالوانٍ زاهية وتُرى عن بُعد. ولهم بمنزلة دثار نوع من العباء يُتَّخذ من اللبد يُسمُّونهُ «كُبْنَة او جِبْنَة» وهذه يلبسونها في ايَّام الشتاء. ولباس نسائهم كلباس نساء الأكراد وهو تقريباً كلباس النساء الاعرابيات

واماَّ لباسهم بوجه العموم فليس لهُ هيئة خصوصيَّة بل انَّما يلبسون ما يتيسَّر لهم

سرقتهُ او سلبهُ او ما يقع تحت ايديهم مهما كان لونهُ او شكلهُ او قطعـهُ والذين منهم يكونون في الجبال يتّخذون الاسلحة المشهورة في البلاد التي هم فيها. وكذلك يتّخذون أسلحة في اسفارهم البعيدة

٨ً (ملامحهم) لبني ساسـان ملامح تكاد لا تتغيَّر أينما حلُّوا والى اين رحلوا كأنَّ هواء البلاد واديَها لا يفعلا بهؤلاء القوم فعلهمـا بسائر خلق الله فان تقاطيع نوَر الجبال كتقاطيع نوَر السهول وملامح نور الشمال كملامح نور الجنوب واول مميّز لهم سُمرة الوانهم او نحاسيَّتها ونحافة ابدانهم وضآلتها فانني لم ار في جميع البلاد التي وطئتُها « نوريًا » ابيض اللون او سمين البدن مع اني جُلتُ في اغلب الأقطار الاوربيَّة واغلب بلاد الشرق الادنى. ومن مميزاتهم طول القامة ورشاقتها وبياض الاسنان المتناسقة وسعة الشدق ورقّة الشفتين واستواء قصبة الانف مع عظم المارن والرَّوثة وطول اللسان مع دقتهِ حتى يصدق على اغلبهم قول القائل: « يضرب بلسانهِ روثة انفهِ » وشعر رؤسهم سبط اسود فاحم الَّا انهُ غير مسترسل. وعيونهم سوداء نجلاء غائرة وحواجبهم مزجَّجة يغلب عليها وعلى اهدابهم الوطَفُ واصداف آذانهم صغيرة رقيقة وهم مسنونو الوجوه حُمش السوق دقيقو الخصور مُهفهفون رخصو البنان تكاد تُعقد للطافتها. وفي اعضائهم من النشاط والخفَّة وسرعة الحركة وقبولها لغرائب اللَّفتات والتعوُّجات والتلوّيات ما لا يُرى مثلها في اعضاء سائر خلق الله اجمع. وهذا هو سبب اتيانهم عجائب الاعمـال وخوارق الافعال ما لا يستطيع ان يجاريهم في ذلك الَّا قليل يُعدّ على الاصابع. وهم يمرّنون اولادهم من اناث وذكور منذ نعومة اظفارهم على مثل هذه الامور بلوغًا للغاية التي يتوخَّونها من ورائها

٩ً (حِيَلُهم) قد اشتهر هذا الجيل من الناس بكثرة حيَلهِ الغريبة. وتنوُّع اساليبها العجيبة. توصّلًا الى خداع الاغرار. بل والى خداع العلماء الكبار. ان في سالف الزمان. على ما تشهد بهِ الآثار. وان في هذا الاوان. على ما تنقلهُ لنا صُحف الاخبار. امَّا حيلهم فقد كشف عن حقائقها العلم بما لم يُبقِ في ذلك ادنى ريب او ابهام. واما في غابر الاعصار فقد ذكرها جماعة من مشاهير الاعلام الاحبار. منهم صاحب كتاب كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون. فقد قال في فصل « علم الحيل الساسانيَّة » ما نصهُ بحروفهِ الاصليَّـة: « ذكرهُ ابو الخير من فروع علم السحر. وقال: علم يعرف بهِ

طريق الاحتيال في جلب المنافع وتحصيـل الاموال والذي يُباشرها يتزيَّا في كل بلدةٍ بزيّ يناسب تلك البلدة بان يعتقد اهلها في اصحـاب ذلك الزيّ فتارةً يختارون زيّ الفقهاء وتارةً يختارون زي الوُعاظ وتارةً يختارون زيّ الاشراف الى غير ذلك. ثم انَّهم يحتالون في خداع الاعوام بامور تعجز العقول عن ضبطها. منها ما حكى واحد انهُ رأى في البصرة قردًا على مركبٍ مثـل ما يركبهُ ابناء الملوك وعليهِ ألبسةٌ نفيسةٌ نحو ملبوساتهم وهو يبكي وينوح وحولهُ خدَمٌ يتبعونهُ ويبكون ويقولون: « يا اهل العافية اعتبروا بسيدنا هذا فانهُ كان من ابناء الملوك عشق امرأةً ساحرة وبلغ حالهُ بسحرها الى ان مُسخ الى صورة القرد وطلبتْ منهُ مالًا عظيمًا لتخليصهِ من هذه الحالة » والقرد في هذا الحال يبكي بانينٍ وحنينٍ والعامَّة يرقّون عليـهِ ويبكون وجمعوا لاجلهِ شيئًا من الاموال وامثال هذه كثيرة. قلتُ: ذكر هذه الحكاية ايضًا في تاريخ ميرخوند وكتاب المختار في كشف الاستار بالغ في كشف هذه الاسرار ». انتهى كلام الحاج خليفة

وممَّن ذكر حيل بني ساسان صاحب القصيـدة الساسانيَّة التي ذكر بعضًا من ابياتها الثعالبيّ في يتيمة الدهر. ونحن نورد هنا منها ما يُناسب المقام ويفي بالمرام. وفيها ابيات مختلَّة الوزن تركناها بحرفها قال . . . . .

ومنَّا المشيريون بنو الحملة والكرِّ (١

ومنَّا المصطبانيو ن من مَيْزَقَ بالأَسْرِ (٢

ومنَّا كلّ زمكدانٍ غدا محدودب الظَّهرِ

ومنَّا كل مطراش من المكلوذة البَتْرِ (٣

وفي المدرجة الغبرا ء منَّا سادةُ الغُبْرِ (٤

ومنَّا كلّ قنَّاء على الانجيل والذكرِ (٥

---

١) المُشيريون: الذين يتثاقفون على دوابّهم كالغزاة

٢) المصطبانيون: قوم يزعمون انهم خرجوا من الروم وتركوا اهاليهم رهائن عندهم فطافوا البلاد ليجمعوا ما يفكّونهم بهِ وتكون معهم شعورهم ويقال لذلك الشعرِ « المصطبان ». - ومَيْزَق كدّى

٣) المطراش: الذي معهُ يدهُ المقطوعة يكدّي عليها. ويقال لليد المقطوعة « المَكْلُوذَة »

٤) المدرجة: هؤلاء قوم يقعدون ويناموّن في السكك والاسواق على طريق المارَّة ومدرجة الرياح فتعلوهم غبرة التراب حتى يُرْحَموا او يُعطوا

٥) القَنَّاء: الذي يقرأ التوراة والانجيل ويوهم انهُ كان يهوديًّا او نصرانيًّا فاسلم

وَمَن ساق الولا بالما ء او قوس ابي حجرِ (١
وَمَن طفشل او زنكل او سطَّل في السرِّ (٢
ومن زقَّى الشفاثات غدًا آتِ وبالعصرِ (٣
ومن دشَّش او رَشَّش او قَشَّش يَـتَذري (٤
ومن يُزنق او يخنق او يُذلق بالدُبرِ (٥
ومنَّا كل مُستعَشٍ من النعَّارة الكدرِ (٦
ومن شدَّد في القولِ ومن رمد في القَصرِ (٧
ومن يزرع في الهادور تكسيحًا من البذرِ (٨
الى ان يقع التنبل في مصدة الجذرِ (٩

ونقف عند هذا الحدّ من ايراد حيل هؤلاء الاقوام نقلًا عن يتيمة الدهر ومن اراد الاحاطة بها فليطلبها هناك. هذا واكثر الحيل المذكورة جارية حتى اليوم في بعض

---

١) ومن ساق: هؤلاء قوم يسقون الناس الماء. والولاء ان يقف فيقول: انا المولى الابطحي. ومنهم من يكون معهُ قوس عربية. واول من فعل ذلك في الحَضَر ابو حجر

٢) طَفشَل: اذا علق لسانهُ وتشبَّه بالاعراب. وزنكل: اذا احتال في سلبهم. وسطَّل: اذا تعامى وهو بصير. يقال للاعمى: «الإسطيل»

٣) زَقَّى: اذا صلَّى. والشفاثات: المساجد. واحدها شفاثة. يكدُّون فيها اذا صلَّى الناس

٤) دشَّش: يظهر شبه الدشيشة في استهِ احتيالًا. ورشَّش: اذا رشَّ الناس بمائهِ. وقَشَّش: اذا آذى الحضور بروائحهِ الكريهة فيعطونهُ حتى يخرج من جماعتهم

٥) يُزنّق: يثقب في بدنهِ ثقبةً وينفخ فيها حتَّى يتورَّم بدنهُ. ويخنق: يضع المنديل في رقبة نفسهِ ويفتلهُ حتى ينتفخ راسهُ ووجههُ. ويذلق: يمشي عريان الاست

٦) مُستَعَش: قوم يدورون على ابواب الدور فيما بين العشاءين ويقولون: «رحم الله من عشَّى الغريب الجائع» ويتمرون بذلك حتى يأخذوا من كل دارٍ كسرةً ويرجعوا بها

٧) ومن شدَّد: قوم يكون معهم دفاتر حديثة يرووها ويشددون على الناس في الفحش وشرب الخمر. والقَصر: هو الاتون يدخلهُ الواحد من القوم فيطرح نفسهُ في الرماد ثم يخرج وعليه غبرة الرماد ويوهم أنهُ آوى اليه من شدَّة البرد وعدم الملبوس

٨) ومن يزرع في الهادور: قوم ينظرون في الفال والزجر والنجوم ويعطون قومًا دراهم حتى يأتوهم ويسألوهم عن نجمهم وعمَّا هم فيهِ فينظروا لهم ثم يردُّون الدراهم عليهم وربما اخذوها وقالوا: «لا ناخذها لان نجمك ما خرج كما تريدهُ». والهادور: كلام الحلقة التي يجتمع الناس عليها. والتكسيح: المائنة

٩) التنبل: هو الابلَه الذي يقبل المخاريق على نفسهِ ويغترّ بما يورد المنجم عليهِ فيخرج هو ايضًا دراهمهُ طمعًا في ردّها فيأخذها منهُ ويسخر بهِ

محلاَّت بغداد واسواقها وعند مدخل الجوامع مما يقضي منهُ العجب كل مشاهد

١٠َ (آدابهم وعوائدهم واخلاقهم) لا حاجة الى التفصيل في ذكر آداب هذا الجيل. فان في شهرتها ما يغني عن إبانتها. الَّا انهُ قياماً بايفاء كلّ بابٍ حقَّهُ. وايقافًا للمطالع على البحث كلهِ ليستطيع ان يقول بعدهُ اخذت جلَّهُ ودقَّهُ. نذكر طرفًا منها. ممَّا لا يُمكن ان يُصرف النظر عنها

فاول شيء اشتهر بهِ بنو ساسان هو السرقة بانواعها من سلبٍ واختلاس وخرابة (سرقة الدواب) وهم يُدَرِّبون ولدانهم على ذلك من ذكور واناث منذ نعومة اظفارهم ويُقيمون لهذه الغاية في ضواحي المدينة لكي يتمكَّنوا من السرقة ويبقوا مع ذلك مجهولين واخصّ الاشياء التي يفضلون سرقتها هي انواع الثياب والملبوسات والحلي النفيسة والنقود والدواب. فاذا كانت الكميَّة المسروقة زهيدة الثمن بقي السارق بين ظهراني اصحابهِ وان كانت مهمَّة ذات بال تنحَّى عن قومهِ مع بعض اصدقاء لهُ وضرب خيمتهُ في محلّ بعيدٍ عنهم او طوى بساط الاقامة بالمرَّة وحدهُ او مع قومهِ واصلًا السير بالسُرى الى ارجاء بعيدةٍ. وممَّا قد أُولعوا بسرقتهِ الاطفال وبالخصوص الذكور منهم فكم وكم من الصغار الذين تواروا عن الابصار ولم يُوجد لهم اثرٌ من الآثار وكان هؤلاء الاشقياء الاشرار هم سبب لوعة الوالدَين فيورثونهما حزنًا لا يمحوهُ تعاقب الليل والنهار

وممَّا يدخل تحت هذا الباب تزييف الدراهم وتقليدها فهم ادهى دُهاة خلق الله من هذا القبيل ولا يوافي البلاد هؤلاء الهمج الَّا ويتطاير في الاسواق اصوات المخدوعين من كل ناحية حتى تكاد المرائر تتفطَّر والقلوب تتصدَّع ممَّا يُرى من عدد المغرورين ويسمع من نواحهم وعويلهم وشهيقهم

واما من جهة عفَّتهم فلا اثر لهذه الفضيلة بين هؤلاء الاقوام الاجلاف مهما زعم الزاعمون ودافع عنهم المتعرّضون بل اذا اردنا وصف آداب هؤلاء السفلة من هذا القبيل جفَّ رُضاب القلم حياء وانقبضت النفوس الابية عن مطالعة تلك المنديات الخارجة عن كل طورٍ. على انهُ ما لا يترك جلُّهُ لا يُترك كلُّهُ وعليهِ فلنذكر هنا ما يسعهُ نطاق هذه المجلَّة

واول كل شيء نقولهُ هو ان هؤلاء الطغام يأتون كل منكر معروف يُشوّه محيًا هذه الفضيلة السامية الملكيَّة بل انهم يرتكبون ما لا يتصوَّرهُ وهمٌ ولا يخطر على بال

بشر وبهذا كفاية عن حوض عبـاب هذا البحر النتن القذر الذي لا يقربهُ احدٌ الّا ويتأذّى بهِ شرَّ اذيةٍ. ومما يمكننا قولهُ هو ان شهرة فساد هؤلاء الاوباش بلغ مبلغاً دفع كثيرين من ادباء العراق المسلمين الى القول ان مواليد الكاولية من الاناث يَلدنَ غير ابكار. وهذا وحدهُ يدلُّك على ما وراء هذا الحجاب من انتهاك حرمة الطهارة. واذا بلغت الابنة سنّ الحلم دفعها ابواها الى الفجور او ما يُقـاربهُ وكذلك يفعلون بالغلمان وكثيرًا ما يبيع الاهـالي اولادهم من ذكور واناث لبعض المفسدين او المسافرين او الذين يترزّقون بالخلاعة. فاذا كان الامر كذلك فكيف يمكن ان يشبّ هؤلاء الاشقياء على غير حبّ الفحشاء والدعارة وزد على ذلك ان البيت الواحد او الخيمة الواحدة التي لا تزيد على مترين او ثلاثة امتـار طولًا في مترٍ او مترٍ ونصف عرضاً تسكنهُ عائلة (١ او عائلتان يُربي اعضاؤُها على العشرة. واذ لم يتيسّر للاهـل دفع اولادهم للفجور والتسبُّب من وراء هذا السحتِ علّموهم الدقّ على آلات النقْر والعزف والغناء وما ضاهى هذا الفنّ. ودفعوهم الى مهبّ كل ريح مُلزميهم بجمع المال بالحرام او الحلال بل باي حالٍ من الاحوال (التتمّة للقادم)

---

١) قد جاء في البيان (سنة ١٨٩٧ — ١٨٩٨ ص ٦٠٥): «عائلات ليس من اللفظ العربي الصحيح. انما يقال عيال الرجل لاهل بيتهِ الذين يعولهم». اه وجاء في الضياء (١: ٦٧٤): «لم نبرح الى يوم كتابة هذه السطور نرى تلك الاغلاط تتكرَّر في كلامهم فتجد في الفاظهم امثـال «العائلة» . . . الخ. قلنا: ان لفظة العائلة فصيحة لا غُبار عليهـا وهي فاعلة بمعنى مفعولة وكذلك «عَيّل» فانها فصيحة. الّا ان الذي دفع بعضهم الى القول بعاميّتها بمعنى الأُسْرة او العشيرة هو ما رأوا في كُتب اللغة من تعريف العيال بانها تُقال لاهل بيت الرجل الذين يعولهم من امرأة واولاد وخَدَم الخ. لكن يُردّ على هؤلاء بقولنـا: اذا كان العَيّل بمعنى الذين يتكفّل جم الرجل ويعولهم فأحرِ بهذه اللفظة ان تُستعمل للعشيرة بما انها هي الاولى بذلك من غيرها ممّن يعولهم الرجل. واما كون العائلة عاميّة لعدم وجودها في دواوين اللغة فليس هذا دليلًا كافياً على عاميتها. اولًا لان القياس لا يأباها. وثانياً إن صاحب محيط المحيط واقرب الموارد قد ذكراها بكونها من المقيسات. وثالثاً انها وردت في كلام عُمَر بن الخطّاب. قال في كتاب الخراج لابي يوسف: «ان نجدة كتب الى ابن عبّاس رضه يسألهُ عن سهم ذوي القربى لمن هو. فكتب اليهِ ابن عبّاس: كتبتَ اليَّ تسألني عن سهم ذوي القُربى لمن هو وهو لنا وان عُمَر بن الخطّاب رضـه دعانا الى ان ننكح منهُ ايّمنا ونقضي منهُ عن مغرمنا ونخدم منهُ عائلتنا فأبينا الّا ان يسلّمهُ لنا وأبى ذلك علينا». انتهى (ص ١٢)

الاديار القديمة في كسروان

لحضرة الاب الفاضل ابراهيم حرفوش المرسل اللبناني (لاحق بسابق)

مكتبة دير مار شليطا (تابع)

٦ الكتاب السادس نُسخ سنة ١٨٥٥ يونانية (سنة ١٥٤٤ م) وهو عبارة عن كتاب (الحاش) فرض سبّة الآلام ولا يوجد منهُ سوى المجلد الثاني المكتوب لجوق المرتلين الذين يقفون لجهة الجنوب. وعلى هامش هذا المجلد قُبَيل الصفحة الاخيرة هذه العبارة بحرفها: « انكتب هولأي الكتب المباركين سنة ܐܠܦ (١٨٥٥) ܡܢܝܢ ܡܢ ܫܢܝܐ ܕܐܠܟܣܢܕܪ ܝܘܢܝܐ ܥܠ ܐܝܕܐ ܐܢܫ ܚܣܝܪܐ ܘܚܛܝܐ ܫܡܫܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܡܢ ܩܪܝܬܐ ܐܕܢܝܬ ܡܒܪܟܬܐ ܘܟܠ ܕܩܪܐ ܒܗ ܢܨܠܐ ܥܠ ܟܬܘܒܐ ܚܛܝܐ ܐܡܝܢ » (١). وعلى الصفحة الاخيرة الكتابة الآتية التي لا تخلو من فوائد تاريخية ننقلها بالحرف علّقها بخط يده المطران انطونيوس الحصروني الذي اشرنا اليهِ في احدى الحواشي المعلقة على الكتاب الخامس من كتب المكتبة كما تقدم وهاكَ نص الكتابة :

ܒܫܡ ܐܠܗܐ ܚܝܐ ܡܠܥܠܡ . ܐܢܛܘܢܝܘܣ ܚܣܝܪܐ ܡܝܛܪܦܘܠܝܛܐ ܕܕܪܡܣܘܩ . ܒܛܝܒܘܬܐ ܕܡܢ ܐܠܗܐ (٢)

« يقول الحقير في الروساء الكهنة بان قد بعتُ هذه الكتب الحاش وهم كتابين ܦܠܓܐ (٣) بعتهم الى جماعة الموارنة القاطنين والمتعيشين في المدينة المحروسة حلب بمبلغ من الدراهم الحلبية الجارية يوم تاريخهِ الف درهم وخمسين درهم وقد قبضتهم ولم بقي (لم يبقَ) لي عندهم الدرهم الفرد وهم الكتب على اسم القديس النبي الفضيل الغيور مار الياس كنيسة الموارنة في حارة الجديدة وكل من لهُ فيهِ شوتفة (٤) في ثمنه الرب يبارك عليهِ وعلى عمل يديه : وحطّ فيهِ في ثمنه الولد يوسف القصير البشراني المعروف بابن جوهر الرب ينحي بين اياديه و يبارك على عمل يده سبعماية ثمن

---

١) وتعريبهُ: « في سنة ١٨٥٥ من سنين اسكندر اليوناني على يد انسان حقير وخاطئ الشمَّاس جرجس من قرية ادنيت المباركة وكل من يقرأ فيها يصلي لاجل الكاتب الخاطئ امين ». وادنيت قرية من قرى شمالي لبنان في الجبة وهي خراب الآن موقعها بين ايطو وكرمسدي وسبعل وسرعل

٢) اي « بسم الله الحيّ الازليّ . الحقير انطونيوس مطران الدمشقيين بنعمة من الله »

٣) يريد كتابين مقسمَين الى جوقين من المرتلين

٤) من السريانيّة ܫܘܬܦܘܬܐ اي شركة

شعنينة ستين (١ الرب يعوضهُ عوض كل درهم ثلاثون وستون وماية وفي الاخر ملكوت السماء. نوضع (نضع) حرم قاطعٌ (قاطعًا) وسخطٌ (وسخطًا) ولعنة على من يحمل لهُ فيهِ ميراث بـل وقف الى الكنيسة المذكورة الى ما تقدم الساعة وتنتهي الدنيـا. وكان في سنة الف وخمسماية وخمسـين الى تجسد (التجسد) الالهي عشرين من نيسان لله الحمد امين». طالع الدر المنظوم صفحة ١٥٩

وعلى الهامش بخط سخيف رفيع بالسريانية

«وكان في ذلك العصر الخوري .... (٢ الله كاهن يخدم الجماعة في مدينة حلب»

---

١) ان للعلامة بسكال مؤلف مبادي التيورجيات الكاثوليكية (Origine et raison de la liturgie Catholique.) في مجموعة الاب مين في معرض كلامهِ على احد الشعانين في لفظة Rameau اورد نصًّا نقلهُ البابا باديكتوس الرابع عشر عن المؤلف Macri وفي هذا النص الذي نورده بحروفهِ يظهر معنى هذه العبارة «وحط في ثمنهِ .... ثمن شعنينة ستين» وهاك النص:

« Macri, cité par Benoit XIV, raconte que chez les Maronites on porte, en ce jour, à l'église, un arbre entier d'olivier, on en fait la bénédiction, puis on l'adjuge à celui qui en offre une plus grande somme à titre d'aumône. Le possesseur de l'arbre y fait monter son fils ou tout autre enfant, et, avec l'aide de ses parents, il porte l'olivier pendant la procession, au milieu des joyeuses acclamations de la foule. Lorsque la procession est terminée, tout le monde fond sur l'arbre, et chacun en coupe une branche pour satisfaire sa dévotion » انتهى

فمن هذا النصّ يظهر ان الولد يوسف القصير البشراني كان يدفع اهله ثمن الشعنينه للكنيسة مدة ستين ومن هذه الدراهم اشترت الكنيسة كتاب الحاش المشار اليه

٢) ان القسم الاول من اسم الخوري غير مقروء واظن ان تحرير الاسم عطاالله فقد عثرت في مكتبة طائفتنا في حلب منذ بضع سنوات على سجلّ دُوِّنت فيـهِ اسماء الكهنة الذين خدموا الطائفـة في حلب ودُفنوا في كنيسة مار ايلياس ووجدت بين هذه الاسما اسم الخوري «عطاالله الحصروني» ولكن لا تاريخ لسنة وفاتهِ ولزيادة الايضاح هاك ما وجدته محرَّرًا في السجل بالحرف:

«اسماء الكهنة الذين توفوا ودفنوا في كنيسة مار ايلياس منذ دخول الطائفة المارونية بحلب سنة ١٤٨٩: الخوري موسى العبديني: باخوص البشراني: عطاالله الحصروني: حوشب البزعوني: داوود الحدشيتي» الخ. على هذا النسق الى الخوري يوسف البشرّاني وهو الرابع والعشرون في العدد والى جانبهِ تاريخ وفاتهِ سنة ١٦٨٠ بخلاف الكهنة الاربعة والعشرين المذكورة اسماؤهم قبلهُ فانـهُ لا تاريخ لسنة وفاتهم. ويظهر ان كاتب السجل بدأ بهِ سنة ١٦٨٠ وكتب اسماء الكهنة السابقين نقلًا بالتقليد الشفاهي عن شيوخ الكهنة الذين كانوا في عصره. وهـذه الاسماء تحقق التقليد الشائع عند ابناء طائفتنا في حلب ان اصلهم من قرى شمالي لبنان كحصرون وعبدين وبزعون وبشري وان الزقاق المسمَّى حتَّى اليوم في حلب زقاق الاربعين سُمِّي كذلك من الاربعين عائلة مارونية

وعلى الصفحة الاخيرة من هذا الكتاب كتابة اخرى بخــط المطران انطونيوس المذكور تحقّق ما نقلهُ الدويهي وصاحب الدر المنظوم من امر ذهاب هذا الاسقف الى حلب يسترحم عظمة السلطان الغازي سليمان في بعض شوؤن الطائفة واجابتهُ سوءْلهُ ممَّا يدل على قدم تعلق طائفتنا باهداب العرش العثماني وها كما :

« و بمناهم انجيل بتفسير واضح وقبضنا ثمن ورقة ثلاثماية عشر كفــاف (؟) وستين من ثمن الكتابة قبضتها وليس بقا لي عندهم الدرهم الفرد بل قبضت الذي لي . والانجيل هو الى القديس النبي مار ايلياس وقف الى ما تنتهي الدنيا وتقوم الساعة وهذا كله في تاريخ سعهـ . . . قبايل ذلك . وكنا في ذلك العصر في حلب لمواجهــة حضرة الملك السلطان سليمان ابن سليم شاه بن عثمان في مدينة حلب . رحم الله من لهُ شوتفة وزكاء وصدقةً في كل اسباب الكنيسة المذكورة من اول بَنْيها (بنيانها) الى منتهاه . وكان في ذاك العصر نائب القلاية الخوري عساف ابن المتنيح بن قزمان من قرية حصرون هو كان السبب في جمع كتب الكنيسة المذكورة وكل جماعة الرب يخلصهم من سائر الآفات و يوصلهم الى مينة (مينا) السلام » انتهى

٧ الكتاب السابع نسخ سنة ١٨٥٧ يونانيَّة وهو عبــارة عن جنازات الموتى الذي نطلق عليهم اسم النُّوَيسى (١ وعنوان هذا الكتاب الذي وقع بين ايدينـــا ܢܘܗܪܐ ܘܢܘܝܚܐ (٢ كذا دعاه الناسخ كما يستفاد من الكتابة التي علّقها على الصفحة ٣١٢ كما سترى عن قريب

وهذا الكتاب هو بقطع نصف وعدد صفحاته ٣١٤ ومن الصفحة الاولى الى ٨٦ جنـــاز الاطفال ومن هذه الى ١٣٤ جناز البتولات ومنها الى ٢٢٨ جنـــاز الرجل العلماني ومن ٢٢٨ الى الصفحة ٣١١ جناز المرأة وكل جناز يُقسم الى اربع مقامات وعلى الصفحة ٣١٢ الكتابة الآتية بالسريانيَّة ومنها يظهر اسم الناسخ ومكان النسخ وتاريخ النسخ

التي اتت من شمالي لبنان في ايَّام السلطان الغازي سليم الاوَّل وحلُّوا في حلب لتعاطي التجارة وان الكهنة اخذوا يسعون وراءهم الى حلب كما يسعى الان كهنتنا وراء ابناء طائفتنا الذين غادروا لبنان طلبًا للارتزاق في البلاد السحيقــة : غير اننا نأسف لعدم تصريح كاتب السجــل باسم العائلة التي ينسب اليها هوُلاء الكهنة بل اكتفى بذكر نسبة الوطن كقولهِ عبديني و بشرّاني الخ

١) النويسى لفظة سريانية على ما قال صاحب محيط المحيط واظنها يونانية من ναὸς (قبر) وهي منقولة الى السريانية ܢܘܣܐ اي مقبرة ومنها الناووس معربة فيكون المعنى كتاب المقابر او الموتى

٢) رفيق الموتى

ܒܫܡ ܬܠܝܬܝܘܬܐ ܡܫܬܟܚܬ܆ ܡܢ ܣܘܟܠܐ ܣܘܡܟܐ ܕܚܟܡܬܗܘܢ ܕܟܪܣܛܝܢܐ ܐܠܗܝܬܐ ܕܒܐܝܕܝܗ ܘܡܢ ܘܒܥܘܕܪܢܗ ܡܠܟܘܬܐ܆ ܡܣܟܢܘܬܝ ܘܡܫܝܟܘܬܝ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܝܩܝܪܐ ܕܠܘܝܐ ܕܥܢܝܕܐ ܟܪܣܛܝܢܐ ܐܝܟ ܥܝܕܐ ܘܛܟܣܐ ܕܐܬܪܐ ܕܒܛܘܪܐ ܕܠܒܢܢ ܒܫܢܬ ܐܦܢܙ ܠܝܘܢܝܐ ܘܒܝܪܚܐ ܕܢܝܣܢ ܝܘܡܐ ܚܡܫܐ ܕܫܒܬܐ ܒܫܥܐ (١ ܬܫܥܐ ܒܢܚܠܐ ܕܩܘܙܚܝܐ ܒܕܝܪܐ ܕܡܪܝ ܐܢܛܘܢܝܘܣ ܡܒܪܟܐ ܒܝܘܡܝ ܪܒܝ ܡܪܝ ܓܒܪܐܝܠ (٢ ܘܟܠܗܘܢ ܐܚܝ ܟܗܢܐ ܘܡܫܡܫܢܐ. ܡܪܝܐ ܐܠܗܐ ܢܣܝܡ ܢܦܫܬܗܘܢ ܒܡܠܟܘܬܐ ܕܫܡܝܐ ܗܘܐ ܕܝܠܝ ܒܐܝܕ ܒܪܢܫܐ ܡܣܟܢܐ ܘܚܛܝܐ ܘܪܚܝܩ ܡܢ ܟܠ ܥܡܠܐ ܪܘܚܢܝܐ ܝܘܣܦ ܒܫܡ ܐܦܝܣܩܘܦܐ (٣ ܡܪܝܐ ܢܥܕܪ ܠܗ ܘܠܐܒܗܘܗܝ ܘܠܐܚܘܗܝ ܐܡܝܢ

ومؤدَّى المعنى :

« بسم الثالوث الذي يَجِلُّ عن الانتهاء عماد حكمة المسيحيين الالهية الذي بايده ومساعدتهِ قد انجزت حقارتنا هذا الكتاب الكريم رفيق الموتى المسيحيين حسب العادة والطقس المحلّي الجاري في جبل لبنان في سنة ١٨٥٧ لليونان في شهر نيسان نهار الخميس نحو الساعة التاسعة في وادي قزحيا في دير مار انطونيوس المبارك في ايَّام معلمي مار جبرائيل (٢ وكل اخوتي الكهنة والشمامسة الرب الاله يطيل بحياتهم في الملكوت السماوي وهو بيد انسان حقير وخاطئ وبعيد عن كل عمل روحي يوسف باسم اسقف (٣ ساعده الله وساعد والديه واخوانه امين »

ولهذا الكتاب مزيَّة على غيره من الكتب التي كُتبت في هذا الموضوع ولذا راينا علاّمتنا الدويهي قد استشهد في منارته وكتاب الاحتجاج بفقر منهُ بالحرف لا توجد في التويسى المطبوعة في رومية سنة ١٥٨٥ ولا في المطبوعة بعناية الاب بطرس مبارك سنة ١٧٥٢ نعم ان التونيس المطبوعة قد اقتصرت على بعض مقامات من الجنازات بقي لهذا الكتاب على ما اظن مزيَّة على غيرهِ في بعض ابيات لا توجد في غيره وسنفرد

١) لعلَّ هذه اللفظة مغلوطة والاصل فيها ܒܫܥܬܗ او ܒܫܥܗ وفي ابن جلول ܒܫܥܐ المخنا مال ܬܫܥܐ الساعة التاسعة

٢) ان جبرائيل هذا هو جبرائيل سنيته تلميذ الجيش يونان المتريني الشهير طالع الدويهي صفحة ١٦٢

٣) من هو هذا الاسقف يوسف هل هو الاسقف الحاجي رأس الحبساء بعد الخوري يوحنا اللحفدي ? لا اظن انَّ تاريخ نسخ الكتاب هو كما علمت سنة ١٥٤٦ والدويهي يذكر في الصفحة ١٦٣ في تاريخهِ ان الاسقف يوسف الحاجي توفي سنة ١٥٤٤ فامــا انهُ وجد اسقف آخر باسم يوسف غير يوسف وهو ناسخ هذا الكتاب امَّا ان نسخة تاريخ علامتنــا وقع فيها غلط في تعيين سنة موت الاسقف يوسف ولزيادة الايضاح طالع الصفحة ١٦٣ من علامتنا وقد طالعنا التاريخ الخطي للدويهي المحفوظ في مكتبتنا فلم نرَ انهُ عين سنة وفاة المطران يوسف الحاجي بل اكتفى بالقول صفحة ٣٢٢ انهُ اي الاسقف يوسف المذكور ترأس على الدير بعد وفاة الخوري يوحنا اللحفدي

لهذا البحث ان شاء الله مقالة خاصَّة وممَّا يجب الانتباه اليهِ ان هذا الكتاب يذكر دهن الميت بالزيت ويعين صلوة على الزيت وهذه الصلوة موجودة ايضاً في النويسي التي طبعها الاب بطرس لكن هذه العـادة بطلت ويظهر ان عادة الدهن بالزيت كانت تدخل عنـدنا قديماً في طقسيَّات مختلفة منها دهن ارجل المؤمنين بالزيت بعد غسلها بالماء يوم خميس الاسرار وهاك ما عثرت عليهِ بهذا الصدد في كتاب في دير مار عبدا معاد نسخ سنة ١٦٩٣ م في مدينة حلب في حوش مار الياس فبعد الصلوة على الماء كما في كتاب رتبتنا المطبوع في رومية يوجد هذه الصلوة على الزيت هكذا:

ܨܠܘܬܐ ܡܛܠ ܥܠ ܡܫܚܐ. ܡܪܢ ܝܫܘܥ ܡܫܝܚܐ ܩܕܝܫܐ ܘܡܫܒܚܐ ܕܒܝܕ ܡܫܝܚܘܬܐ ܕܝܠܟ ܘܒܗ ܩܕܝܫܬܐ
ܐܬܩܕܫܘ ܢܒܝܐ ܘܟܗܢܐ ܘܡܠܟܐ ܘܡܣܟܢܐ ܘܫܪܝܬ ܫܠܡܐ ܒܥܠܡܐ ܕܗܘܐ ܙܝܬܐ ܡܩܕܫܐ ܘܥܘܕܪܢܐ
ܡܣܬܟܠܢܐ ܠܐܢܫܐ ܕܡܢܗ. ܐܢܬ ܡܪܝ ܫܠܚ ܚܝܠܐ ܘܚܘܒܐ ܡܢ ܡܪܘܡܐ ܠܒܢܝܐ ܘܒܪܟ ܥܠ
ܡܫܚܐ ܗܢܐ ܘܢܗܘܐ ܙܝܬܐ ܡܩܕܫܐ ܐܦ ܡܒܪܟܐ ܠܫܘܡܠܝܐ ܕܡܥܡܕܝܬܐ ܕܡܣܒ
ܡܫܝܚܐ. ܘܢܗܘܐ ܠܢܦܫܐ ܘܠܦܓܪܐ ܘܠܪܘܚܐ ܥܠ ܗܢܐ ܕܡܫܝܚ ܒܗ ܡܢ ܟܠ ܚܫܐ
ܘܢܦܩܐ ܘܢܛܪܘܢ ܠܟܠ ܕܡܫܝܚܝܢ ܘܡܬܚܠܡܝܢ ܠܫܘܒܚܐ ܕܫܡܟ ܘܠܒܪܟ ܘܠܪܘܚܟ ܩܕܝܫܐ
ܗܫܐ ܘܒܟܠܙܒܢ ܠܥܠܡ ܥܠܡܝܢ

وقد كُتب عليها بخط المطران جرمانوس فرحات اسقف حلب: « لا يجوز دهن الزيت في الغسل لان ذلك بدعة يستعملها تباع ديوسقوروس فقط » وفي هذه العبارة نظر فهل صحيح ان الدهن بالزيت بدعة ؟ وهل في الصلوة الموردة اعـلاه ما يشير الى شيء من البدعة ؟ اننا ندع الجزم بهذا الامر لارباب البحث (البقيَّة لعددٍ آخر)

مقالع مصر ومعادنها

نظر في تركيب ارض مصر الجيولوجيّ للاب بطرس دي ڤراجيل اليسوعيّ (تابع لما سبق)

استثمار المقالع المصريَّة القديمة

انَّ المقالع القديمة التي وصفناها في مقالتنا السابقة لم تكن كلُّها مكشوفةً فانَّ منها ما كان في فضاء الهواء كمقالع الرخام في اسوان. ومنها ما كان يُحفر في قلب الجبل كمقالع مصارة وطرَّة فانها على شبه حُجَر متَّسعة الفنـاء مظلمة لا يُسبَر غورها. ومن دخلها شعر لاوَّل وهلة بجزعٍ وقلق لا يوصف. ولا بأس في دخولها فانَّ الحفَّارين تلافوا

كلّ خطر مما تركوهُ من الدعائم لسند سقوف هذه المغاور الصناعيَّة . وعلى بعض الجدران كتابات هيروغليفيَّة تفيد الناظرين بفتح حُجَر جديدة

هذا وان الاعمال الجبَّارية التي باشرها المصريون الاقدمون كابتناء الاهرام وتشييد الهيا كل كانت تقتضي عددًا غفيرًا من العملة لنحت الحجارة . وهذا العدد نراهُ مدوَّنًا في بعض التآليف والكتابات التي صبرت على الدهر . منها ما ورد عن رعمسيس الرابع انهُ لمَّا اراد بناء هيكل عثُون في ثنية جمع لنقل موادّهِ طائفة من العملة لا تقلُّ عن ٨٦٦٥ منهم ٥٠٠٠ جندي و٢٠٠٠ عامل و ٨٠٠ اسير حُكم عليهم بالاعمال الشاقّة . وكان لهذه العصبة قوَّاد ومأمورون من ذوي الرتب السامية مع خمسين عجلةً لنقل المؤن وحاجات الفعلة وكل عجلة يعتلُها ستة ازواج من البقر فضلًا عن عدد لا يُحصى من الدواب. وكان الملك ألحق بهذه البعثة كثيرين من المهندسين واصحاب الفنون منهم ١٣٠ من بارعي النحَّاتين . وفي الكتابة التي تحتوي قائمة هؤلاء العملة ثناء على الفرعون وتبليغ تحيَّاتهم لجلالهِ . لكن اصحابها يقرُّون بالاسف انَّهم فقدوا من رفقتهم في الطريق ٩٠٠ رجل بمعدَّل واحد في الستَّة

وروى هيرودوتس في الكتاب الثاني من تاريخهِ انَّ هرم خيوپس (Khéops) شغل مدَّة ثلاثين سنة مئة الف عامل كانوا يشتغلون ثلاثة اشهر في السنة . فصرفوا عشر سنوات في تمهيد الطرق واستحضار الموادّ ثم عشرين سنةً في تشييد هذا الصرح العظيم . وليس في قول هذا المؤرخ غلوّ لان الهرم المذكور يبلغ ٢,٦٦٠,٠٠٠ متر مكعَّب ولو أُقيم بدلًا منهُ حائط علوُّهُ متران وسمكهُ نصف متر لبلغ طولهُ المسافة الفاصلة في اوربَّة بين لشبونة عاصمة البرتوتغال وڤرسوڤية حاضرة پولونية

امَّا الميرة اللازمة لمثل هذه الجماهير الجمهرة فكانت وافرة . روى هيرودوت انَّ ما انفقهُ الفعلة من الفجل والثوم والبصل فقط بلغ ١٦٠٠ وزنة فضَّة اعني ٨,٠٠٠,٠٠٠ فرنك . فما قولنا الآن عن بقيَّة النفقات من طعام ولباس وادوات

واحوَج ما كان اليهِ الفعلة لشربهم وعملهم الماء . فقيامًا بهذا الامر الهامّ بُني في وادي جنَّادي حوض كبير وجد العلاَّمة الاثريّ شوَينفُرت بقـايا أخربتهِ جنوبيّ شرقيّ حلوان على بُعد احد عشر كيلومترًا منها . وهذا السدّ مطويّ بالحجارة يرتقي عهدهُ الى ايَّام الدولة القديمة وكانت المياه تجري اليهِ في فصل الشتاء عند سيلانها في

الوادي. فمن هذه المياه كان يشرب الفعلة المستخدمون في المقالع المجاورة. وعلوّ هذا السدّ عشرة امتار في ٤٥ مترًا سمكًا و ٩٦ مترًا الى ٨٠ عرضًا. وكذلك قد اكتشف اهل البحث انقاض الاكواخ التي كان يبيت فيها العملة

وفي مقالع الجبل الغربي والصحراء العربيَّة صهاريج تُرى حتى يومنا كان الفعلة يجدون فيها ما يحتاجون اليهِ من الماء. وكذلك كانوا اذا وجدوا عينًا ولو قليلة من المياه اسرعوا الى جمع مياهها ليشفوا غليلهم في تلك الصحارى المتوقّدة الحرارة

هذا وان الفعلة كانوا يعيشون على اسوإِ حال يتولَّى امرهم عمَّال من اهل ليبية او السودان يرعونهم رعيَة المواشي ويسخّرونهم بالسُّخَر الشاقَّة ويضربونهم بالعصيّ كلما تأخروا في العمل. ولذلك كان اذا حدث في مصر فتنة او ثورة اسرع العملة الى الفرار راجعين الى ديارهم في وادي النيل

ومع كثرة هؤلاء العملة كان بُناة الاهرام في بعض الاحيان يحتاجون الى الحجارة فلئلاً يحدث خللٌ في العمل كانوا يلتجئون الى مستودعات يجعل فيها كثير من نحيت الحجارة ينقلونها عند الحاجة لسدّ العازة

امَّا طريقتهم في النحت فكانت تختلف على حسب كبر الحجارة وغايتها في البناء فلمَّا كانت الحجارة في كبر حجارتنا اليوم اي يبلغ طولها نحو متر او مترين في سمك ٥٠ سنتيمترًا الى متر و٨٠ س وعلوّ ٨٠ س الى متر و٢٠ س كان اسلوبهم كاسلوبنا الحالي. امَّا نحت القِطَع العاتية الضخمة فجرَوْا في هندامها على غط آخر واكبر هذه القطع الصفائح التي تُرى فوق اعمدة هيكل الكرنك اللهمَّ اذا استثنينا حجر هيكل سايس. وتعديل طول هذه الصفائح تسعة امتار و٢٠ س وتكعيبها ٣١ مترًا مكعبًا لا يقلُّ ثقلها عن ٦٥٠٠٠ كيلو غرام. ومن هذه الحجارة الجبَّاريَّة مسلَّة ماكري المنتصبة حتى يومنا هذا في ثنية فانَّ طولها يبلغ ٢٩ م و٨٣ س في قطر ٦٥ س وحجمها ١٣٨ مترًا مكعَّبًا وثقلها ٣٧٤٠٠٠ (كغ) نُحتت في مدَّة سبعة اشهر كما يؤخذ من الكتابات المرقومة عليها

وكانوا اذا ارادوا نحت هذه الحجارة الكبيرة وَسَمُوهـا بسمةٍ حمراء. وفي الغالب كانت هذه السمة على صورة الاثر المقصود نحتهُ. وكانوا ينقشون هـذا النقش بكرَب النخل بدقَّة عجيبة. وقد نقل اصحاب البعثة الفرنساويَّة في ايَّام نابليون بعض هذه النقوش التي وجدوها في مقالع جبل ابي فيضاء فوق اسيوط

ثمَّ كانوا يأخذون شفرةً من الحديد فيدقُّونها في الصخر الاصمّ ويقطعون الحجر من جانبيهِ . امَّا الجوانب الافقيَّة فكانوا يقطعونها بالسَّفَن من الخشب او القُلُزّ يدخلونها في ثقوبٍ منظَّمة على خطٍّ مستقيم تبعًا لطبقات الحجر واكثر ما كانوا يتَّخذون فؤوس القُلُزّ للقطع الصغيرة . امَّا الكبيرة فكانوا يقطعونها بسَفَن الخشب يصبُّون عليها الماء فتنتفخ . وبانتفاخها يتشقَّق الصخر وتنفصل القطع . وعلى هذه الطريقة قُطعت حجارة المسلاَّت الكبرى . وفي مقالع عديدة آثار هذه الثقوب المستوية الخطّ تُرى حتى اليوم تدلُّ على ما نُزع من ثمَّ من القطع الضخمة ذات الحجر الواحد

ومن خواصّ هذه الطريقة في النحت ان المصريين كانوا اذا نحتوا حجرًا اعدُّوا ايضاً الحجر الذي يليهِ بقطع جوانبهِ فلا يتلفّ الَّا شيءٌ قليل من الحجر . وفي بعض الاحيان كانوا يقطعون الحجارة بالمناشير كما يفعل الشرقيُّون في يومنا ويذرُّون في شقّ المنشار شيئاً من الرَّمل لتأخذ اسنانهُ بالحجر الاصمّ . وطريقة النشر هذه كانوا يجرون عليها اذا ارادوا الصفائح الساوية المُتَّسقة او خافوا من تلَف يلحق بالحجر المقطوع

امَّا المقالع المنكشفة فمنها ما يُرى في اعالي الجبال . ففي جبل السلسلة مقالع بعضها فوق صخور عموديَّة تعلو ١٥ او ١٦ مترًا ومن هذه المقالع ما يُصعد الى طبقاتهِ المختلفة بدرج او معابر ضيّقة . ومن زار هذه المقالع بعد ما مضى عليها من الوف السنين رأى في جدرانها آثار الادوات كالمقاريض والمناحت وكانت القطع اذا فُصلت عن الصخر تُنحت نحتاً اوَّل قبل ان تُنقل الى محلّ البناء تخفيفاً لحجمها وثقلها ففي اسوان مسلَّة قد أُنجز نحت ثلاثةٍ من جوانبها امَّا الوجه الرابع فلا يزال متَّصلًا بامّ الصخر . فيا ترى كم كان يُقتضى من الحذق والبراعة لفصل مثل هذه القطع دون ان يلحق بها ضرر بعد نحتها وهندستها بالعناء الشديد والجهد الجهيد

وان سألت الآن وكيف كانت تُنقل مثل هذه الاثقال الباهظة الى مسافات بعيدة . اجبنا انَّ النَّقل في بعض الاوقات كان سهلًا لوقوع هذه المقالع على جوار النيل كما ترى في اسوان وسلسلة وجبل ابي فيضاء . فكانت هذه القطع الجسيمة تُجعل على قوارب مسطَّحة فتُنقل الى محلّ البناء .

وكانوا في احيان أُخرى اذا لم تبعد المقالع عن النيل بعدًا مُفرطاً كما ترى في طُرَّة يحفرون تُرَعاً تُوصل النيلَ بلحف الجبل . ورُبَّما بلغت هذه القنيّ الى مقطع الحجر

المقصود نَقلهُ فكانوا يأتون بطَوْف على الماء ويثقلونهُ بالاثقال ليغوص فيهِ فاذا بلغ محلّ الحجارة المعدَّة للنقل افرغوا هذه الاثقال فطاف الطوف وبارتفاعهِ على سطح الماء تلقّى الحجر بلا اصطدام يُتلفهُ

امَّا الاهرام فلم يكن نقل الحجارة اليها بشيءٍ سهل ومن ثمَّ اضطرَّ المهندسون الى اصطناع طريقٍ لاحبة تُرى آثارُها في البطحاء شرقيّ الهرم الاكبر فكانوا يجعلون الحجارة على مزالج عاتية فيجرُّونها جرًّا الى مكان البناء . وقد ابقى لنا قدماء المصريين صورة هذا العمل الشاقّ في جانب ناووس « توتي هوتپ » في البرشة . وكان المهندسون قد عمدوا الى نقل تمثال عظيم من مقلع « هِتْ نوب » الى بعض الهياكل . وتشهد الكتابات الباقية ان هذا التمثال كان من الحجر الكلسيّ الابيض طولهُ ستَّة امتار ونصف . والتمثال مثبت فوق مزلجةٍ من الخشب الضخم بقلوسٍ كبيرة ويَعتلهُ اربعُ فرقٍ من الرجال كلُّ فرقةٍ ٤٣ رجلًا اعني ١٧٢ فاعلًا . ويتقدَّم دُمية الاله كاهنٌ يحرق امامهُ البخور ويُرى على رأس المزلجة رجلٌ يصبُّ الماء امامها ليسهل سَحب الاخشاب . ورجلٌ ثالث تراه جالسًا على رُكَب التمثال يوقع بتصفيق اليدين على غناء الفعلة عند جرّهم لهُ كالوف عادة الشرقيين في ايامنا . وفي مقدَّمة المزلجة من تحتها فعلة آخرون يسكبون المياه بالقرب ومنهم من يُعدّ الاخشاب ليبدل ما تلف منها . ومن وراء التمثال يمشي القوَّاد والنظَّار وعلى جانبي ممرّ الموكب قومٌ من الاهلين تراكموا للفرجة . فلعمري انَّ هذه الصورة لا تختلف ذرَّة عن حالة الفعلة المصريين من الفلاحين فكأنَّها صُوّرت تصويرًا شمسيًا في ذلك العهد العهيد لتمثّل لنا ما نراهُ اليوم رأي العيان

وكان الامر يزيد صعوبةً ومشقة اذا ما عوَّل الملوك على نَقل حجارة المقالع الواقعة في الصحراء العربيَّة او النواويس المنحوتة منها . فكانوا لقطع هذه المفازات الرمليَّة يتَّخذون المزالج المسطَّحة او العجلات ذات الدواليب الكبرى كعجلات باعة الخشب في زماننا فيجرُّها المئات من البقر يبدلونها من مسافة الى أُخرى فكانوا يقطعون تلك الصحاري المتَّسعة بسرعة غريبة . امَّا اذا كانت المسافة من المقالع الى المباني قريبة فكان نقلها في الغالب على مركبات تجرُّها ايدي الرجال

فهلمَّ بنا الآن نذكر على وجه الاختصار شيئًا من طريقة المصريين في البناء فنقول انَّ الحجارة كانت بعد نقلها الى المعمل تُنحت على مقتضى موقعها في الابنية . وفي

الغالب لم يُنحت الّا وجهها الظاهر اماّ جوانبها فكانت تُقطع قطعاً خشبياً. وكانوا يجعلون اكبر الحجارة في اساس البناء ليقوى على حمل البناية ولربّما تهامل العملة في الامر فتداعى البناء كما جرى لهيكل الكرنك الذي لا يزيد اساسهُ على سعة مترين او ثلاثة امتار وهو قليل بالنسبة الى ضخامة ابنيتهِ

وكان بنّاؤو الفراعنة لا يُبالون في إتقان العمل اذا لم يتشدَّد النظّار في مراقبتهم فكانوا يطمُّون الحجارة طمّاً بعضها على بعض ولا يحكمون ضمّها الى بعضها الّا انّهم كانوا يسعون بسدّ خلاياها وترقيع جوانبها وفرش صفائح الحجارة فوقها مع ستر معايبها بطبقة من الملاط

لكنَّ المهندسين كانوا اذاما عزموا على بناية فخيمة يشدّدون المراقبة على العمّال لئلّا يُسيئوا العمل في الطبقات السفلى. فكانت نتيجة هذه المراقبة اتقان العمل حتى ان من قابل بين الهندسة المصريّة والهندسة اليونانيّة حكم للمصريين في السَّبق فانك ترى كلَّ دِمص من البناء محكم الوضع مرصوص الحجارة المرتبطة ببعضها ارتباطاً متَّسقاً. وهذا دليل على انّهم كانوا بلغوا في فنّ البناء غاية الحسن واذا وُجد في بعض ابنيتهم خللٌ انّما ذلك ناجم عن سرعة العملة وصعوبة اتّخاذ بعض الآلات الميكانيكيَّة لا عن جهل وقلّة دراية

اماّ رفعهم الحجارة الى اعالي البناء فكانوا يعرفون لذلك طريقتين الاولى طريقة البَكَرات يجعلونها على ثلاثة اخشاب فيسحبون بها الحجارة الى حيث يريدون. والطريقة الثانية طريقة تسطيحٍ منحنٍ من التراب لا يزالون يزيدونهُ ارتفاعاً على قدر علوّ البناء

ومن عجائب المصريين نحتُهم للحجارة الصلبة فانَّ بعض قطع الصوّان او الديوريت تراها مصقولة كصقل المرآة. واذا ما دخلتَ في رواق خيوپس وجدت بناءهُ بدعةً من بدائع الدهر. وقد اصاب عبد اللطيف في وصفهِ لهُ حيث قال انهُ لا يمكن ان تدخل بين الحجر والحجر ابرةٌ بل شعرةٌ. هذا مع انَّ المصريين لم يعرفوا الفولاذ وكانت ادواتهم كلُّها من الحديد او الفلزّ. فيا تُرى كيف حلُّوا هذا المشكل العويص؟ اسمع ما كتبهُ العلّامة مسپيرو (١ في هذا الصدد قال:

(١ راجع كتابهُ Archélogie égyptienne, p. 190

« انَّ في مصر حالًا بعض العملة ممَّن يشتغلون بالعاديَّات فيتقلَّدون اعمال اجدادهم ليترزقوا ببيع الآثار المزوَّرة للاجانب المسافرين في وادي النيل . فترى اذا ما دخلتَ حوانيتهم على جانبيهم نحو عشرين منحتًا وازميلًا من رذالة الحديد لا يضربون بها ضربًا قليلًا حتى تفسد فاذا بطل استعمالها قاموا الى بوتقتهم فاصلحوا الحديد بسهولة وعادوا الى العمل . وقد تمكن بعض هؤلاء المزيّفين ان يصطنع في الاقصر رأس تمثال من الصوَّان المحبَّب الاسود ذات تقاطيع حمر على كبر راس طبيعيّ واتمَّهُ بخمسة عشر يومًا. وهذا الراس يحفظ اليوم في متحف بولاق. (قال) ولا اشكُّ في انَّ قدماء العملة المصريين كانوا يجرون على هذه الطريقة فيغلبون أجسى الحجارة بما ينفدون فيها من الحديد »

فللّه درُّ قدماء المصريين كيف اتَّصلوا الى نتائج عجيبة بوسائل لا نكاد نحسبُ لها حسابًا

(ستأتي البقيَّة)

الاسفنج السوري

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ

الاسفنج من ادنى طبقات الحيوان تظهر فيهِ مظاهر عديدة من الحياة النباتيَّة حتى نظمهُ بعض القدماء في سلك النبات وانكروا كونهُ حيوانًا . قال ابن بيطار في المفردات (ج ١ ص ٣٢) نقلًا عن ابي العبَّاس النباتيّ ما حرفهُ : « قد تحقَّقنا انَّ الاسفنج ينبت على الحجارة بخلاف زعم من زعم انهُ حيوان او كالحيوان وفيهِ قوَّة حيوانيَّة وهو ليس من ذلك كلهِ في شيء وانَّما هو شيء يشبهُ الليف الرقيق الذي يكون على الحجارة او كليف أُكَر البحر » على انَّ العلماء اثبتوا اليوم بما لا يبقى بعدهُ شُبهة ان الاسفنج حيوان بحريّ من الجنس المشعّ (rayonnés) كالمرجان وكلاهما من فصيلة تدعى كولنتريَّة (cœlintérés) اي ذات جهاز هضميّ مجوَّف . والاسفنج كالمرجان في تكوينهِ وهو عبارة عن مادَّة لزجة هلاميَّة يكون في اول امرهِ مثل كُتلة صغيرة كالقُمَيحة وهو مستقلٌّ في حركتهِ فاذا نما وبلغ تجمَّعت افرادهُ بعددٍ لا يُحصى وتضامَّت بعضها فكوَّنت شبه مستعمرةٍ وافرزت مادَّة ليفيَّة او كلسيَّة نخرة تسكنُ فيها

وتغتذي بها مما تجده في قاع البحر من الموادّ المغذية المختلطة بالماء. وهي لا تزال تنمو وتتضام الى ان تكبر وبعض اشكالها يبلغ الذراع والذراعين. وما دام الاسفنج حيًّا يعلو جسمهُ مادةٌ هلاميةٌ ذات اهداب ينفذ في ثقوبها الماء ويخرج من فوهات لها. قال ابن بيطار (١ : ٣٢): «وينتأ عليها من جانبي كل شعرةٍ جليدة صغيرة ثم يتّصل بعضها ببعض شيئًا بعد شيء حتى يصير على الهيأة المعروفة»

والاسفنج على ضروب مختلفة يبلغ عددها فوق المئة وكلُّها داخلة في حكم واحد يُطلق عليهِ العلماء اسم الطائفة الاسفنجيَّة (spongiaires) وهذه الضروب تختلف في الهيئات والالوان والنعومة بما يطول هنا شرحهُ ويضيق المقام دون وصفهِ فنكتفي بذكر الاسفنج السوريّ الذي اكسب بلادنا شهرةً عظيمة وافادها اموالًا بليغة

غنيٌّ عن القول انَّ للاسفنج السوريّ من اللين والنعومة وحسن الشكل ما لم يبلغهُ صنفٌ واحد من صنوف الاسفنج المتعدّدة. ولذلك لم يزل التجار يتهافتون عليهِ ويقبلون اي اقبال ويفضلونهُ على الاسفنج الاميركيّ الخشن والاسفنج المغربيّ الاسمر الغليظ والاسفنج المكسكيّ العظيم الحجم القليل المنفعة

والاسفنج السوريّ يمتدّ على طول الساحل من الاسكندرونة الى صيداء وافضلهُ بين بيروت واللاذقيَّة على مسافة كيلو متر او كيلومترين من سِيف البحر. وهو ايضًا على ضروب مختلفة

الضرب الاوَّل وهو احسن انواعِ الاسفنج السوريّ الناعم (euspongia mollissima) يكون شديد اللين لطيف اللمس اصفر ضاربًا الى الشقرة وهو كأسيُّ الشكل على شبه قمع مستدير واسع في اعلاهُ وضيّق في اسفلهِ فيهِ ثقوب ناعمة ذات قطرٍ واحد وهو الاسفنج الذي يتّخذ للغسل ونظافة الاجسام اللطيفة ويكون في الغالب صغيرًا على قدر قبضة اليد يمتصّ الماء امتصاصًا عظيمًا. وهذا الصنف يباع الكيلوغرام الواحد منهُ من ٨٠ فرنكًا الى ٢٠٠ فرنك على حسب شكلهِ او حجمهِ

والضرب الثاني يقرب من الاوَّل قيمةً واعتبارًا ويكون ضاربًا الى الحمرة مستديرًا يشبهُ في شكلهِ الفطر. والفرنج ينسبونهُ الى البندقيَّة (éponge de Venise) لانهم اشتهروا ببيعهِ ومنهم من يدعوهُ شيموزًا (Chimouses). وهو ايضًا غالي الثمن. إلّا انهُ دون الاوَّل. ومنهُ نوعٌ يبلغ قطرهُ من ٣٠ الى ٤٠ سنتيمترًا تكثرُ

١ بيضة الاسفنج عند نضوجها = ٢ تفريخ البيضة = ٣ و ٤ الاسفنج السوريّ = ٥ اسفنج اميركي مستطيل مقوّس (Axinella polypoides)

واعلم انّ الاسفنج الفاخر الكثير الرواج في التجارة انمـا موقعهُ في البحر على عمق

سبعة اذرع الى عشرين ذراعاً ومن بعض اشكالهِ ما يكون معدَّل عمقهِ من ١٦ الى ٢٠ قامة. ومغاص الاسفنج في بحر الشام يبتدئ في شهر أيَّار وينتهي في آب او في ايلول

فاذا آن موسمهُ ترى مئات من الزوارق تجري على البحر بشُرُعها البيض كانها الحمام يرفرف باجنحتهِ. وكلُّ زورق يركبهُ ثلاثة او اربعة من الغوَّاصين. فاذا بلغوا مكان الاسفنج غطسوا بالتتابع واقتلعوا الحيوان من صخرهِ وان اعتاص عليهم قلعهُ قطعوهُ بشفرةٍ معهم. والبعض من هؤلاء الغوَّاصين يبقى في جوف المياه ثلاث دقائق واكثر دون ان يتنفَّس. واذا كان البحر عميقاً عُلِق برجل الغائص حجرٌ ليثقل بهِ فينزل الى قاعهِ واذا احسَّ بوعثةٍ سحب حبلاً مربوط بوسطهِ واشار الى رفقتهِ بان يخرجوهُ. هذه هي الطريقة الشائعة بين اهل الشام. اما الاروام فيتخذون لهم لباساً خصوصياً يمكّنهم من الشغل في قعر البحر زمناً مديداً ويقتلعون الاسفنج بعصاةٍ تنتهي بحديدة ذات رؤوس معكَّفة الَّا انَّ الاسفنج يتخرَّق بهذا المنوال ويتلف بعضهُ فيفقد قيمتهُ

واذا انتهى الغوَّاصون من العمل جمعوا الاسفنج فنقعوهُ بماء البحر ثم يدوسونهُ بالارجل دوساً طويلاً ويكرّرون غسلهُ ثم دوسهُ حتى تنفصل عنهُ المادَّة الهلاميَّة اللزجة الكريهة الرائحة التي تكسوه ثم يغسلونهُ بالماء الفاتر ويجعلونهُ في ماء ممزوج ببعض حوامض منظِّفة كمركَّبات الكلور او الكبريت ثم يعرضونهُ للبيع

وكان اهل الشام يربحون من هذه التجارة ارباحاً عظيمة حتى ان الغوَّاص كان يكسب منها نحو الفي فرنك. وقد اطَّلعنا على قائمة المبالغ التي حصلت من الموسم السوري في بعض السنوات الاخيرة فهي كما ترى:

١٨٩٠	١,٥٠٠,٠٠٠	فرنك
١٨٩٤	١٢٦,٠٠٠	«
١٨٩٥	٢٠٠,٠٠٠	«
١٨٩٦	٢٠٠,٠٠٠	«
١٨٩٧	٤٤١,٠٠٠	«

وقد بلغنا ان هذه التجارة كسدت منذ ثلاث او اربع سنوات مذ تواترت المهاجرة الى امركة. فلنا الامل انَّ دولة المتصرِّف الجديد يسعى في انعاشها واغاثتها كيف لا وهي من اعظم مصادر الثروة للبنان

ولكن لا بُدَّ لهذه الحرفة من نظام لئلاّ تنقطع مادَّتها من شواطئ الشام وذلك اذا توالى الغَوص على محل واحد فيتلف النَّسل ويفنى. ويا ليت اصحاب الامر يتداركون الامر فيعيّنون كلّ سنةٍ مكاناً للمغاص ويعتنون بتوفير بيوض الاسفنج وزَرْع قطعهِ كما يفعل النباتيّون. وقد جرَّب العالمان لاميرال الفرنسوي وشميت النمساوي استفراخ الاسفنج السوريّ في فرنسة والنمسة فنقلا في ماء البحر اسفنجاحيًا ثم قسماهُ قطعاً واثبتاهُ قعر البحر فوجدوا بعد مدَّةٍ القِطَع نامية الَّا انهُ حالت دون مسعاهما مشاكل منعتهما من استثمار هذه التجارة لكنَّ اختباراتهما بيّنت لاهل سوريّة انهُ يمكنهم استدرار ارباح الاسفنج مدّة طويلة بل يستطيعون توفيرها لاسيَّا انَّهم يجدون في بلادهم من اشكالهِ ما لا يزاحمهم بهِ احد. ارشد الله ذوي الهمّة الى ما فيهِ نفع البلاد

مطبوعات شرقية جديدة

Geschichte von Sul und Schumul

herausgegeben von Dr G.F. Seybold. Leipzig, SS. XVIII - 104

حديث السُّول والشُّمُول

سَعَى بنشرهِ الدكتور سَيْبولد

لمَّا كان الدكتور وتشتين (Wetzstein) في دمشق (١٨٦٠–١٨٦٢) اسعدهُ الحظّ على اقتناء مجموع ثمين من المخطوطات العربيَّة تُصان الآن في كليَّة تونغ. وكان في جملة هذه الآثار كتابٌ خُطّ منذ ٥٠٠ سنة يحتوي على حكاية من حكايات الف ليلة وليلة لم يوجد لها ذكر في كل مجاميع هذه القصص الشهيرة. واسم الحكاية «السُّول والشمول» خلاصتها ان السُّول احد فرسان اليمن من بني سعد اختطفَ الجنُّ ابنةَ عمّهِ الشمول ليلة زواجهِ فالبسوها السواد وجعلوها في صومعةٍ واقاموا على حراستها اربعين غلاماً في زيّ الرهبان. فعرف السُّول بامرها وخرج في طلبها في العراق والشام ومصر حتى استدلَّ على مكانها في مدينة السَّحَرة بعد ركوب الاهوال والتقى بها فرحاً مسروراً. وهذه القصَّة ليست دون قصص الف ليلة وليلة في شيء من حيث سهولة التعبير وحسن الاوصاف وجودة التخيُّلات مع شعر يكاد يسيل رقّةً. ومن فوائد هذه القصّة ذكر عدد

لا يُحصى من اديرة النصارى في بلاد الشرق في القرون المتوسّطة مع وصف احوالها وعادات رهبانها في دينهم ودنيــاهم. غير انهُ لسوء الحظّ قد سقط من الاصل بعض صفحات ذهبت بالمعنى فان كان لدى احد قرَّائنا علمٌ بنسخة ثانيــة من هذه الحكاية رغبنا اليهِ ان يفيدنا عنها ويكتسب بذلك ثناء الباحثين عن الآثار الشرقيَّة الدارسة لاسيَّما الدكتور سَنبولد الذي وقف نفسهُ على نشر الكتب العربيَّة المفيدة. وهو الآن يهتمّ بنقل قصَّة السُّول والشمول الى الالمانيَّة وسيلحق ترجمتهُ بافادات تاريخيَّـــة ولغويَّة من شأنها ان تزيد هذا الكتاب اعتبارًا في اعين أُولي الفضل واصحاب المعارف ل. ش

NUMISMATIQUE DES VILLES DE LA PHÉNICIE - SIDON I

par le D[r] Jules Rouvier, *Extrait*, 1902

انَّ الدكتور النطاسيّ جول روڤيه يواصــل بغيرة مشكورة نشر قائمة المسكوكات الفينيقيَّة التي جمعها في متحفهِ الخاصّ (راجع المشرق ٤ : ١٧٥ و ٨٥٦). وفي هــذا القسم وصف اقدم نقود مدينة صيداء حاضرة فينيقيــة سابقًا وهو يحتوي على ٢١٥ عددًا من المسكوكات التي ضُربت فيها قبل الفتح الرومانيّ. والمؤلف حفظهُ الله قد افرغ جهدهُ في تعريف هذه الآثار وبيان ما لبعضها من الخطر في جانب التاريخ الفينيقي وهي اصدق شاهدٍ على امورهِ تُخطِّئ بلسان حالها بعض مزاعم المؤرخين. وعليهِ نقدّم للدكتور الموما اليهِ تشكُّراتنا المُخلصة على ما يبذلهُ من النشاط في خدمة العلم ونطلب اليهِ اذا ما انتهى من وصفهِ لهذه النقود ان يلحق عملهُ بنظَرٍ عامّ في تاريخ صيداء وملوكها وليس احد قبلهُ جمع من نقودهم ما جمعهُ لويس جالابرت

Edouard Capelle : *L'Eclairage et le Chauffage par l'Acétylène*

Paris, Retaux, in - 8 pp. 515, 1902

الاستصباح والاستصلاء بالاسيتيلان للاب ادوار كاپال اليسوعي

قد شرحنا في مقالة مطوَّلة (المشرق ١ : ٥٠١) ما يبنيهِ ذوو الاقتصاد على غاز الاسيتيلان من الآمال الطيِّبة اذا ما تلافى العلماء بعض مضارّهِ. والكتاب الذي نحن في صددهِ هو احدث واحسن ما كُتب في هذا الموضوع. فانَّ مؤلفهُ من رجال العلم والعمل لا يخفاهُ شيء من سرّ الاسيتيلان وتركيبها واستحضارها وادواتها ومنافعها كما يدلُّ على ذلك فهرست الكتاب المقسَّم الى ابواب عديدة ضمَّنها كلّ المباحث المنوطة بهذا الامر

الخطير. وعبارة الكاتب سهلة غاية في الوضوح فضلًا عن انهُ يصحبها بعدَّة رسوم وتصاوير تقرّب فهمها من الجمهور

ولمَّا كان المقام يضيق دون بيان ما يحتويهِ هذا التأليف من الفوائد نكتفي بذكر بعض الاكتشافات الجديدة التي وقف عليها العلماء بعد مقالتنا السابق ذكرها فدوَّنها صاحب الكتاب. فمن ذلك آلة لتحضير الاسيتيلان تُدعى هيليوجان (héliogène) يتكوَّن فيها الغاز من تلقاء ذاتهِ بحركة الماء دون حنفيَّات او مصاريع ربَّما التهب بمجاريها هذا الغاز الكثير الاخطار. ومن خواص هذه الآلة بساطتها وتلافيها لكل خلل مع سهولة وضعها وقلَّة نفقاتها ومخترعها هو الاب كاپال نفسهُ — وقد اتَّسع هذا المؤلف في مسألة الاستصلاء بالاسيتيلان بدلًا من الفحم او وقود آخر سواهُ وما ينجم عن استعمالهِ من الفوائد — وكذلك استرسل في منافع كربور الكلسيوم (الذي منهُ يُصطنع الاسيتيلان) لمداواة عدَّة امراض تُلمّ بجسم الانسان والحيوان ولمعالجة ادواء تصيب الكرم كالفيلوكسرا والترميد. وفي الاجمال لم يدع صاحب هذا الكتاب ريبًا في حقّ الاسيتيلان الّا ازالهُ وعندهُ انَّ هذا الغاز سيفوز بكلّ خصمٍ يناوئهُ وانهُ غاز المستقبل الاب م. كولنجت

شَذَرَاتٌ

﴿ سباق الخيل في بلجكة ﴾ جرى في بلجكة سباق خيل اشترك فيهِ ضبَّاط من دول مختلفة عددهم ٦١ ضابطًا. وكان الشوط المطلوب جريهُ ١٣٢ كيلو مترًا بين بروكسل واوستندة. فكان السابق ضابط افرنسيّ اسمهُ «مداميت» قطع هذه المسافة بسبع ساعات الّا ست دقائق فيكون معدَّل سيرهِ في الساعة ١٠٩ كيلو مترًا و١٣٠ مترًا وكان الفائز بعدهُ ثلاثة ضبَّاط افرنسيين ايضًا وهم ديريتز (٧ ساعات و ٢٢ دقيقة) ثم هِنتِجنس (٧ س ٣٣ د) وروميو (٧ س ٣٥ د) وكان الخامس بزُوجيًّا بلغ الغاية بثماني ساعات ونصف

﴿ خاصة جديدة لعنصر الالومينيوم ﴾ اكتشف احد الالمان اسمهُ برنهرت خاصَّةً جديدة للالومينيوم وهو انهُ يشحذ الفولاذ شحذًا افضل من المسَنّ المعروف ولو فحص احد بالمجهر موسين شُحِذَ احدهما بالالومينيوم والآخر بالمسَن وجد في هذا من الخشونة ما لم يجدهُ في ذاك

❁ الهواء السيَّال ❁ قد اكتشف الكيمويَّان الشهيران كاليتاي (Cailletet) وكلود (Claude) آلةً جديدة لاستحضار الهواء السيَّال مبنيَّة على مبدإ غير مبدإ آلة العلاَّمة لنده (Linde) التي وصفها في المشرق (١ : ١١٢٣) الاب زموفن ولهذه الآلة قوَّة توازي خمسة عشر فرسًا بخاريًّا وتُسيل ٢٠ كيلوغرامًا من الهواء في الساعة

❁ معالجة ضعف البصر في الشيوخ ❁ بيَّن صاحب مقالة فنّ الفوتوغرافيَّة انَّ الصور تكون ادقّ واجلى اذا جُعل بينها حاجز ذو ثقب أ نعم ولمَّا كانت عين الانسان كشبحيَّة استنتج الاستاذ اندروس الانكليزيّ انهُ يمكن علاج عيون الشيوخ باستعمال حواجز بدلًا من النظَّارات وقد بدأ بنفسهِ فاتَّخذ لهُ حاجزين فيهما ثقبان لا يتجاوز قطرهما نصف الملّمتر فصار يقرأ ويكتب ويتصرَّف باعمالهِ بسهولةٍ دون مساعدة النظَّارات

❁ سقي الزروع ❁ يُسقى النبات عادةً امَّا بالمرشَّات وامَّا بقنيّ تجري فيها المياه. لكنَّ اهل الولايات المتحدة جعلوا منذ بضع سنين يسقون الزروع على طريقة أُخرى وذلك انَّهم يحفرون تحتها قنيًا على عمق يختلف على اختلاف الزرع فتجري المياه من حنفيَّة الى ثقوب تُجعل في الارض ومنها الى النبات فتسقيهِ من اصولهِ. ويجدون في هذه الطريقة منافع: ١ً اقتصاد الماء وهو كلُّهُ يفيد النبات دون ان يفنى منهُ قسمٌ بالتبخُّر. ٢ً اقتصاد الفعلة للرشّ والسقي. ٣ً منع الرطوبة عن وجه الارض فتقلّ بذلك الحيوانات المؤذية للزَّرع. وكان النباتيَّان مِنسون (Munson) وشپارد (Shiepard) يظنَّان ان الزرع لا يزكو بهذه الوسيلة فامتحنا الامر في قطعتين من التربة زرعاها فجلًا فسقيا الواحدة على الطريقة المألوفة والاخرى على الطريقة الاميركيَّة فوجدا الزرع ازكى وانمى على الطريقة الاخيرة وكان فجلها اكبر حجمًا بنحو ١٤ في المئة من فجل القطعة الاولى وهو مع ذلك اطيب ذوقًا. وممَّا اختبراهُ انَّ فصائل النبات يسلم اكثرها بهذا النوع ولا تتلف بالعفونة. فنشير الى ارباب الزراعة في بلادنا بان يمتحنوا الامر في بساتينهم فيستفيدوا من منافعهِ

❁ السكك الحديديَّة الكهربائيَّة ❁ كانت بعض الدول جرَّبت الكهرباء لسككها الحديديَّة بدلًا من الفحم الحجريّ. الَّا انَّ هذه الامتحانات مع حسن نتائجها لم تُخرج الامر الى حيّز العمل اللهمَّ الَّا في بعض امكنة قليلة. وقد علمنا الآن انَّ شركةً المانيَّة تشكَّلت في برلين لتسيير القطارات بالكهرباء بسرعةٍ لم يُعرف

لها مثيل حتى اليوم وسيكون طول القطار ٢٤ مترًا وقوَّة الدافع الكهر بائي من ٣٠٠٠٠ الى ٤٠٠٠٠ ڤلت (وهو مقياس الكهرباء) بحيث يقطع القطار في الساعة ٢٠٠ كلومتر. وقد جرَّبت الشركة هذا المشروع على خطّ طولهُ ٢٤ كيلومترًا فاصابت التجربة نجاحًا تامًا

اسئلة واجوبة

س سألنا جناب الاديب ميشال افندي اليان . هل الغفارين الرسولية وغيرها متعلّقة فقط بالصلبان التي تمثّل صورة المسيح مصلوبًا ام تتعلّق ايضًا بالصلبان المجرَّدة عن هذه الصورة

الغفارين المتعلّقة بالصلبان

ج لا شكَّ في انَّ الغفارين الرسوليَّة تتعلّق بالصلبان كلّها سواء كانت مزيَّنة بصورة المصلوب او لا . لكنَّ الغفارين الخاصَّة بعبادة درب الصليب التي يمنحها بعض المأذونين للصلبان الصغرى لا تُربَح الّا اذا رُسم على الصليب رسم المسيح مصلوبًا وناتئًا . كذا ورد في تقرير لمجمع انتشار الايمان أُعطي لرئيس الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة العام سنة ١٨٨٤ . ومن ثمَّ ان سقطت هذه الصورة سقطت كذلك الغفارين معها

س وسُئلنا من البترون ما هي احسن طريقة لحفظ البيض زمنًا طويلًا دون ان يفسد

حفظ البيض

ج لذلك طرائق عديدة اختبرها العلماء حديثًا في اوربَّة فتحقَّقوا نفعها . منها انهم يطلون البيض بالڤازلين (vaseline) فيسلم من الفساد اسابيع بل شهورًا . ومنهم من يجعل البيض في ماء الكلس فيحفظهُ . ومنهم من يغمسهُ في مزيج من سيليكات الصودا او الحامض الفلورسيليك . وقد يلفُّ البعض في الورق وهي طريقة سيئة تتلفهُ بسرعة

س وسأل حضرة الخوري ر . ش . الماروني ما هي اقدم مجلَّة علميَّة باقية حتى عهدنا

اقدم مجلَّة علميَّة

هي المجلَّة الفرنساويَّة المدعوَّة «جريدة العلماء» (Journal des Savants) وهي لسان حال جمعيَّة العلماء الفرنسويين (Institut) المتشعِّبة الى خمس شعب او خمسة محافل (Cinq Académies) وهذه المجلَّة قد عبر عليها ٢٣٧ سنة ولم يكتب فيها غير الفرنساويين المنتظمين في احد هذه المحافل . الّا انَّ اعضاء الجمعيَّة قد عوَّلوا على توسيع نطاق المجلَّة وعلى الترخيص لغير الاعضاء بالكتابة فيها منذ غرَّة السنة القادمة ١٩٠٣

ل . ش

المشرق

المتلمس

اخباره وشعره

للاب لويس شيخو اليسوعي

لم يبلغ الشعر قطّ بين العرب مبلغًا ادركهُ في المئة السادسة للميلاد اعني في القرن الذي سبق ظهور الاسلام فانَّ في هذا العصر نبغ اعظم شعراء الجاهليَّة كامرئ القيس إمامهم وقائدهم وكالنابغة الذبياني وزهير وطرفة والاعشى وعنترة ولبيد وغيرهم كثيرين جمع الرواة شعرهم في دواوين بقيت زمنًا طويلًا مطمورةً في زوايا النسيان الى ان احيا منها قسمًا صالحًا ادباء عصرنا شرقًا وغربًا

على انَّ خزائن الخاصَّة ومكاتب الدول العظمى تُحرز من هذه الكنوز الدفينة ما يشتاق الى نشرهِ كلُّ محبّي الآداب. منها ديوان شاعر جاهلي يُحسب من المقلّين وشعرهُ مع هذا من الطبقة العليا بليغ المعاني متين الالفاظ نريد بهِ جرير بن عبد المسيح المعروف بالمتلمّس. وقد كنَّا قبل اثنتي عشرة سنة ذكرنا بعض اخبارهِ ونتفًا من شعرهِ في كتابنا الموسوم بشعراء النصرانيَّة. لكنَّنا طفنا بعد ذلك حواضر البلاد الاوربيَّة فوجدنا لهُ من الآثار ما زاد على مجموعنا الاوَّل نحو ثلاثة اضعاف فاحببنا ان نتحف بهِ قرَّاء المشرق

﴿ اصل المتلمّس وقبيلتهُ ﴾ ينتهي نسب المتلمّس الى ربيعة بن نزار بن معدّ ابن عدنان احد جدَّي قبائل العرب. وهما قحطان وعدنان. وكان المتلمس من قبيلة ضُبَيْعة والقبائل المعروفة بهذا الاسم كانت ثلاثًا وكلُّها من نسل ربيعة وكان المتلمس من اشرفها. قال عبد الله بن مالك النجديّ (اغاني ٢١: ١٨٦): «ضبيعات العرب ثلاث كلُّها من ربيعة... ضُبيعة اضجم وضبيعة بن قيس بن ثعلبة وضُبيعة بن عجل بن لُجَيم. (قال) وكان العزّ والشرف والرئاسة على ربيعة في ضُبَيْعة اضجم وكان سيّدها الحارث الاضجم وبهِ سُميّت ضُبيعة اضجم وكان يقال للحارث حارث الخير وهو ابن عبد الله بن دوفن بن حرب وانما لُقب بالاضجم لانهُ اصابتهُ لقوةٌ فصار اضجم بذلك ولُقبت بهِ قبيلتهُ». قال ابن دريد في كتاب الاشتقاق (ص ١٩٢): «والضَّجَم اعوجاج الفكّ او الحنك. وكان اضجم قديم النسب فيهم» وزاد صاحب الاغاني (٢١: ١٨٦): ان الرئاسة بقيت في ضُبيعة حتى انتقلت الى عنزة وهو عامر بن اسد ثم صارت في عبد القيس ثم انتقل الامر الى بني يشكر بن بكر بن وائل حتى انتهت الى تغلب

وكان موطن بني ضُبيعة في شرقي جزيرة العرب في بلاد البحرين وكان على البحرين عامل للملوك المناذرة المالكين في الحيرة شمالي جزيرة العرب

﴿ اسمهُ ولقبهُ ﴾ قال صاحب الاغاني اسم المتلمس «جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن دَوْفن. (وقال ابن سلّام: عبد الله بن ربيعة بن دوفن) بن حرب بن جُلَي بن احمس بن ضبيعة». وقد اختلف الكتبة في اسم المتلمّس. وقد رُوي في الاغاني عن ابن قتيبة انَّ «اسمهُ المتلمّس بن عبد العزّى ويقال ابن عبد المسيح... واخوالهُ من بني يشكر واسمهُ جرير» وفي حماسة ابي تمّام (ص ٣٢٢): انَّ اسمهُ جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن زيد وقيل عبد العزّى. وجاء في الاغاني عن ابي حاتم عن الاصمعيّ انَّ اسمهُ جرير بن زيد (ويروى يزيد). (قال): ويقال اسمهُ عمرو بن الحارث ويُقال اسمهُ عبد المسيح بن جرير. امّا في اوّل ديوانهِ فقد جاء اسمهُ على هذه الصورة: «قال ابو الحسن الاثرم: قال ابو عبيدة اسم المتلمس جرير بن يزيد بن عبد المسيح. وقال ابو عمرو: هو جرير بن عبد المسيح». وكذا ورد في كتاب الشعر والشعراء لابن قُتيبة (ص ٤٤) هذه آراء متضاربة اوردناها ليعلم القرّاء كم يصعب الوقوف على نسب القدماء وصحّة اخبارهم. وجاء في كتاب خزانة الادب

(٣ : ٧٣) : « ان كنية المتلمس ابو عبد الله بن عبد المسيح »

امَّا تسميتهُ بالمتلمس فذلك لقب غلب عليهِ لكلمة قالها في بيت من شعرهِ وهو:

وذاكَ اوانُ العِرْض جُنَّ ذُبابُهُ   زنابيرُهُ والازرقُ المتلمّسُ

قال الشريشي في شرحهِ على الحريري (١ : ١٨٩) : هو مأخوذ من تلمّس الرجل الحاجة اذا طلبها سرًّا من غيرهِ واصل ذلك من اللمس باليد كالذي يلمس بيدهِ في مواضع خفيَّة يطلب منها شيئًا ضاع منهُ او كلمس الاعمى شيئًا بيدهِ . من كلام عامَّتنا « فلان يتلمّس » (بسكون التاء .) اي يدخل بين الناس استخفاء ولا يُشعر بهِ

﴿ اهلهُ وزمن ميلادهِ ﴾ رأيت انَّ اسرة المتلمس كانت عريقة في الشرف اذ كان عمّ ابيهِ هو الحارث الاضجم سيّد قومهِ غير منازع . ولولا شرفهُ لما تقرَّب الى الملوك وتردَّد على عمرو بن هند ملك الحيرة كما سترى

وكان المتلمس خالًا للشاعر المبرّز طرفة بن عَبْد البكري فامُّ طرفة كانت اخت المتلمس واسمها وردة . ومن اولادها الخرنق اخت طرفة التي كانت زوجة لبشر بن عمرو بن مرثد سيّد بني اسد في زمانهِ وهي الشاعرة التي نشرنا ديوانهـا لاوَّل مرَّة في مطبعتنا نقلًا عن نسخة المكتبة الخديويَّة . امَّا امُّ المتلمس فكانت ايضًا من اشراف بني يشكر

والظاهر ان اباهُ كان قد توفّي وهو صغير فنشأ بين اخوالهِ . قال ابو الحسن الاثرم في مقـدَّمة ديوان المتلمس (ص ١) : « وكان المتلمس في اخوالهِ من بني يشكر وقال انهُ فيهم ولد حتى كادوا يغلبون على نسبهِ فسأل عمرو بن هند يومًا للحارث بن التوأم اليشكري عن نسب المتلمس فقال : اوانًا يزعم انهُ من بني يشكر وآنًا انهُ من بني ضُبيعة . فقال عمرو بن هند : ما اراهُ الّا كالساقط بين الفراشين . فبلغ قولهُ المتلمس فانشد في ذلك قصيدتهُ الميميَّة التي اوَّلها :

يعيّرني امّي رجالٌ ولا ارى   اخا كرمٍ الّا بان يتكرَّما

وقد روى صاحب الاغاني (٢١ : ٢٠٨) هذا الخبر عن لسان الحارث بن التوأم اليشكري والحارث بن جَلَدة قالا لعمرو بن هند عن المتلمس : هو منوط في بني عمرو ابن مرَّة (اي انهُ من ضُبيعة) مرَّةً ومرَّةً منَّا وهو ساقط بين الحيَّين ففـارق اخوالهُ ولحق بقومهِ بني ضبيعة . فقال المتلمس في ذلك عينيَّتهُ :

تفرَّق اهلي من مقيمٍ وظاعنٍ فللّهِ درّي ايَّ اهليَ اتبَعُ

ولم نعلم في اي سنةٍ ولد المتلمس لكنّنا نراه كهلًا على عهد عمرو بن هند الذي ملك من سنة ٥٦٢ للمسيح الى ٥٧٤ فلا نشطُّ اذن في القول اذا جعلنا ولادتهُ نحو سنة ٥٢٠ للمسيح. ويؤيد ذلك انَّ طرفة قُتل نحو سنة ٥٦٥ وكان لهُ من العمر ٢٦ سنة كما يتَّضح من رثاء رثتهُ بهِ الخرنق اختهُ وكان اذ ذاك المتلمس وهو خالهُ مسنًّا قد حنَّكتهُ التجارب

﴿ دينهُ ﴾ لا نظنُّ ان احداً يشاحُنا ان قلنا عن المتلمس انهُ لم يكن وثنيًّا اي مشركًا فانك لا ترى في ديوانهِ وترجمة حياتهِ شيئًا من اثار عبادة الاصنام بل في قصائدهِ ما يدلُّ على اعتقادهِ بالتوحيد وخلود النفس والآخرة. ونزيد على قولنا انهُ كان نصرانيًا ولنا على ذلك ادلّة منها اسم ابيهِ عبد المسيح وقيل هو اسمهُ وفي كلا الامرين برهان على نصرانيتهِ (١. بل ورد في شعره ما يؤيد ذلك كقولهِ وهو سائر الى الشام حيث كانت غسَّان النصارى :

حنَّت قلوصي بها والليل مطَّرقٌ بعد هدوٍّ وشاقتها النواقيسُ

ومنها شيوع دين المسيح في بني ربيعة كما نصَّ عليهِ ابن قتيبة في كتاب المعارف. وكان المتلمس من بني ربيعة وشاعرهم كما سترى . ومنها ان اخوال المتلمس كانوا من بني يشكر بن بكر وكانت قبيلة بكر نصرانية كما ورد في السيرة الحلبية قال : ومن المتنصرة بكر ولخم وجذام. وكذلك دخول المتلمس على عمرو بن هند من البينات المثبتة لنصرانيتهِ لان عمرو بن هند كان نصرانيًا كامهِ هند وابيهِ المنذر وقد صرَّح بذلك ياقوت في معجم البلدان في ذكره دير هند الكبرى (٢ : ٧٠٩) قال: « دير هند الكبرى بالحيرة بنتهُ هند امّ عمرو بن هند وهي هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي وكان في صدرهِ مكتوب : بنتْ هذه البيعة هند بنت الحارث ابن عمرو بن حجر الملكة بنت الاملاك وامّ الملك عمرو بن المنذر أَمَة المسيح وامّ عبدهِ وبنت عبيده في مُلك مَلِك الاملاك خسرو انوشروان في زمن مار افريم

١) وان اعترض علينا احد بقولهِ انَّ البعض دعوا اباهُ باسم عبد العزّى اجبنا ان صحَّ الامر فيكون هذا امَّا دليلًا على كونهِ ولد مشركًا ثمَّ تنصَّر فابدل اسمهُ. وامَّا انَّ ابنهُ تنصَّر من بعدهِ. وكذلك قسمهُ باللّات والانصاب كلمة جرت على لسان العرب لا تدلُّ دائمًا على شرك قائلها

الاسقف فالاله الذي بنت لهُ الدير يغفر خطيئتها ويترَّحم عليها وعلى ولدها ويُقبل بها وبقومها الى امانة الحقّ ويكون الله معها ومع والدها الدهر الداهر »

﴿ اخبارهُ ﴾ انَّ اخبار المتلمس قبل دخولهِ على ملك الحيرة عمرو بن هند مجهولة. والظاهر انهُ نشأ خاملًا بين اخوالهِ يشكر وقومهِ ضبيعة يتعاطى امورهم مع رعاية المواشي والتنقُّل في اعمال البحرين (١ وذلك في ايَّام الملك المنذر الثالث. فلما صار زمام الامر في الحيرة الى ابنهِ عمرو بن الهند وكان يحبُّ الشعر والادب توافد عليهِ الشعراء ليمدحوهُ وينتجعوا معروفهُ. وكان بين ندماء الملك الحارث بن التوأم اليشكري من اقارب المتلمّس فانتهز المتلمّس هذه الفرصة ودعا طرفة ابن اختهِ وكان نبغ وتقدَّم بالشعر وهو فتيُّ السنّ فوفدا على عمرو بن هند في الحيرة وانشداهُ الشعر فيمن انشد فأعجب بشعرهما واكرم وفادتهما وابقاهما عندهُ ينادمهما. وجاء في ديوان طرفة (نسخة لندن الخطِّيَّة): « انَّ عمرو بن هند جعلهما بعد ذلك في صحبة اخيهِ قابوس وكان يرشّحهُ للملك وامرهما بلزومهِ. وكان قابوس شابًا يعجبهُ اللهو وكان يركب يومًا في الصيد فيركض ويتصيَّد وهما معهُ يركضان حتى يرجعا عشيَّة وقد لغبا فيكون قابوس من الغد في الشراب فيقفان في باب سرادقهِ الى العشيّ. وكان قابوس يومًا على الشراب فوقف المتلمس وطرفة ببابهِ النهار كلَّهُ ولم يصلا اليهِ فضجر طرفة وهجا عمرو بن هند واخاهُ قابوس بقصيدةٍ منها:

لعمرك انَّ قابوس بن هندٍ ليخلطُ ملكَهُ نُوكٌ كثيرُ
فليت لنا مكان الملكِ عمروٍ رغوثًا حول قُبَّتنا تخورُ

فبلغت هذه الابيات عمرًا فاضمرهـا في نفسهِ واراغ طرفة فلم يزل يطمعهُ في رفدهِ حتى اتاهُ والمتلمس فاراد قتلهما لكنَّهُ كره ان يقتلهما ظاهرًا وبينهما إدلال المنادمة وخاف ان تجتمع عليهِ بكر بن وائل فتطلب بثارهما. لانَّ جُند عمرو بن هند كانوا من بني ثعلبة بن عكابة قوم طرفة. وكانت ضُبيعة بن ربيعة رهط المتلمس حلفاء لبني ذهل بن ثعلبة. فدعا الملك المتلمس وطرفة وقال لهما: لعلَّكما اشتقتما الى اهلكما

١) البحرين اسمٌ يشمل البلاد الواقعة على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان. وقصبة هذه البلاد هَجَر مدينة كبيرة وقبلها حصنان حريزان يقال لهما المشقَّر والصفَا كان ينزلهما بنو عبد القيس

فيسرُّكما ان تنصرفا . فقالا : نعم . قال : اني اكتب لكما الى عاملي بالحباء والكرامة . وكان عامل عمرو بن هند على البحرين وهَجَر فيما يزعمون ربيعة بن الحارث العبديّ (الاغاني ٢١ : ١٩٣) وفي ديوان المتلمس انهُ كان من اخوال الملك من النمر بن قاسط وكان عاملهُ على جباية ما كان للعرب في البحرين . ومنهم من يدعوهُ المكعبر ويكنّيهِ بابي كَرِب . قال الشريشيّ (١ : ١٩٠) : ثمَّ ختم الصفيحتين لئلّا يعلما ما فيهما وهو اوَّل من ختم الكتاب . وزعم محمَّد بن موسى الكاتب (الاغاني ٢١ : ١٩٤) انَّ الصفيحتين لم تُختما ولم تُعنونا الّا بعد ذلك لمّا قرأ المتلمس صفيحتهُ

فخرج طرفة والمتلمس من حضرة الملك وسارا حتى اذا هبطا النجَف وبلغا مُحلماً وهو خليج بين الصَّفا والمشقَّر القيا ثيابهما في سفينةٍ وانحدرا . وكان المتلمس ادهى الرجلين واسنَّهما وابعدهما غورًا فقال : ويحك يا طرفة قد انكرتُ نفسي أمرَ هذا الرجل وهو من عرفتَ حقدَهُ وكلانا قد هجاهُ فلستُ آمناً ان يكون أمر بشرّ . اما كان عند هذا الملك ما يحبونا بهِ حتى رمى بنا عِرَض حصاصة ما بين الحيرة وهَجَر ؟ انهُ ليريبُني امرهُ فهلمَّ ننظر في كتابَينا ونُعطيهما بعض الحاضرة فان يكُ قد امر لنا بخيرٍ مضينا فيهِ وان تكن الأخرى القيناهما فلم نهلك انفسنا (١ . فابى طرفة ان يفضَّ خاتمَ الملك وابى المتلمس الّا ارتيابًا فمرَّ بهِ فتًى من ابناء الحاضرة عباديّ من غلمان الحيرة فقال لهُ المتلمس : اتقرأ الكتب . قال : نعم . قال اقرأ هذه . فاذا فيها : « باسمك اللهمَّ من عمرو ابن هند الى المكعبر . امّا بعد اذا اتاك كتابي هذا من المتلمس فاقطع يديهِ ورجليهِ وادفنهُ حيًا » فالقى الصحيفة في الخليج ثمَّ قال لطرفة : ويحك اعطهِ كتابك يقرأهُ فانَّ فيهِ مثل ما في كتابي . فقال طرفة : ما حالي والله مثل حالك لانَّ بني ثعلبة ليسوا كبني ضُبَيعة فما كان ليجترئ عليَّ ولا ليغرّني . ثم مضى الى عامل البحرين فقتلهُ في خبرٍ ليس هنا مقامهُ وكان ذلك نحو سنة ٥٦٤ للمسيح . وضُرب المثل بصحيفة المتلمس لمن يسعى في حتفهِ بنفسهِ ويغرّر بها (٢

١) وقد روى البلوي (ص ٨٦) والشريشي (١ : ١٩٠) وصاحب خزانة الادب (٣ : ٧٣) وغيرهم كثيرون انَّ المتلمس وطرفة لقيا في طريقهما شيخًا استحمقاها اذ كان يأكل خبزًا وهو يتبرّز ويقصع القمل فقال لهما : اني آكل طيبًا وأُخرج خبيثًا واقتل عدوًّا . واحمق مني من يحمل حتفهُ بيدهِ وهو لا يدري ما فيهِ . فاستراب المتلمس بقولهِ وتنبّه وكانما كان نائمًا

٢) ومن غريب الامور انَّ اليونان في خرافاتهم يرون مثل هذا الخبر عن بلّروفُنت .

وهرب المتلمس من وجه عمرو بن هند وقدم الشـام ولحق بآل جفنة وهم ملوك من النصارى. وبلغهُ هناك أمر طرفة فنظم القصائد يهجو بها ملك الحيرة ويمدح بني جفنة سيأتي ذكرها. وبقي المتلمس في مدينة بُصرى عن اعمال حوران الى وفاة عمرو ابن هند وكان تهدَّدهُ بالقتل اذا عاد الى العراق. فلمَّا توفي عمرو سنة ٥٧٤ عاد الى بيتهِ واهلهِ. ولعلَّهُ توفي في دارهِ وكان ذلك نحو سنة ٥٨٠

﴿ زوجتهُ واولادهُ ﴾ كان للتلمس زوجةٌ تدعى أُميمة وكانت امرأة عاقلة بديعة المنظر شديدة التعلُّق بزوجها امينةً على حبهِ قال السيوطي في الكنز المدفون (ص ٥١) وصاحب اسواق العشَّاق وغيرهما ما خلاصتهُ. انَّ المتلمس لمَّا هرب الى الشام من بني النعمان وطالت غيبتهُ وانقطعت اخبـارهُ أُشيع عليهِ الموت. فاشار اهل اميمة على زوجتهِ بالزواج فأبت فألحوا عليها لكثرة خطَّابها الى ان اكرهوها على ذلك وزوَّجوها رجلًا من قومها وكانت تحبُّ المتلمس حبًّا شديدًا فلمَّا كانت ليلة زفافها عاد المتلمس من الشام ليلًا فسمع في الحيّ صوت المزامير والدفوف ورأى همرجة فرح فسأل بعض الصبيان: ما هذا. فقال: انَّ أُميمة زوجة المتلمس زُوّجت من غيرهِ وهذه الليلة العرس. فتحيَّل المتلمس حتى دخل الدار وحاول الوصول الى زوجتهِ فسمعها تبكي وتنشد:

ايا ليت شعري والحوادثُ جمَّة باي بلادٍ انتَ يا متلمّسُ

فاجابها المتلمس:

باقرب دارٍ يا اميمةُ فاعلمي وما زلتُ مشتاقًا اذا الرَّكب عرَّسوا

قال ففطن العريس فنهض خارجًا وقال:

فكونا بخيرٍ ثمَّ بيتا بجلـهِ خلا لكما بيتٌ كريمٌ ومجلسُ

ثمَّ تركهما وهام في وجههِ. وهذه القصة تبيّن انَّ المتلمس لم يمت في حوران كما ذكر البعض وانهُ عاد الى قومهِ كما سبق فمات بينهم

امَّا اولادهُ فلا نعلم من امرهم الَّا القليل. من ذلك انَّ بكر اولادهِ كان يدعى عبد الله وبهِ كُنّي المتلمِّس ابا عبد الله. ويُعرف لهُ ولد آخر يُدعى عبد المنَّان (اغاني ٢١ : ١٨٧) قال ابن قتيبة في كتاب الشعر «انهُ ادرك الاسلام وكان شاعرًا وهلك ببصرى ولا عقب لهُ»

وعندهم صحيفة بلّروفُنت كصحيفة المتلمِّس عند العرب

١) قد خصَّ ابن سلَّام الطبقة السابعة من طبقاتهِ بالشعراء المقلّين

﴿ شعرهُ ﴾ المتلمس معــدود بين الشعراء المقلّين. وجاء عن ابي حاتم عن الاصمعيّ (الاغاني ٢١ : ١٨٧) انهُ من المقلّين المُفلقين وقد جعلهُ محمَّد بن سلاَّم في الطبقة السابعة (١ من شعراء الجاهليَّة. وقرن بهِ سلامة بن جندل وحصين بن الحُمام والمسيّب بن علس. وقال ابو عبيدة: واتَّفقوا على انَّ اشعر المقلّين في الجاهليَّة ثلاثة المتلمس والمسيَّب بن علي وحصين بن الحُمام المرّي. ومن اعتبر شعر المتلمس وجدهُ مطبوعًا متينًا حسن الديباجة ليس فيهِ شيء من خشونة بعض المتقدّمين وهو مع ذلك جزل فصيح يبعــد عن الحوشيّ المستكره ويرتفع عن الركيك المستهجن ويتضمَّن شعرهُ المثل السائر والتشبيه المصيب والاستعارة الحسنة قال في مسالك الابصار(من مخطوطات لندن ص ٥٩) : المتلمس رجل نبيه الذكر معروف بصحَّــة الفكر كلُّهُ لسان. وقال آخر : كان المتلمس حصيف الرأي كثير الادب سليمًا من المعاني البذيئة والالفاظ السخيفة. لا تكاد تجد في ديوانهِ شيئًا يمجُّهُ الذوق الصحيح اللهمَّ الّا البيت او البيتين ممَّا قالهُ في هجو عمرو بن هند حين افلت من يديهِ وقد زاد الاصمعيّ على هذه الاوصاف بان عدَّ المتلمّس بين الفحول. روى ذلك ابن النحاس في الاغاني (٢١ : ٢٠٤)

امَّا شعر المتلمس فكانت يد الضياع اودت بهِ لولا جمعــهُ ابو الحسن الاثرم في القرن الثالث للهجرة في ديوان يحتوي خمس عشرة قصيــدةً او قطعةً مع شروح قليلة على بعض الابيات وقد روى هذه القصائد عن العلاَّمة الاصمعيّ وابي عمرو الشيباني وابي عبيدة. ومن هــذا الديوان ثلاث نسخ معروفة. الواحدة في المكتبة الخديويَّة ذُكرت في قائمة مخطوطاتهــا (في الجزء الرابع الصفحة ٢٥١) وهي نسخة حديثة لا يعوَّل عليها. والنسخة الثانية تصان في خزانة المتحف البريطاني وهي اقدم عهدًا كتبها الحاج عبد الله المكّيّ في ٢٠ من ربيع الاول سنة ١١٠٠ من الهجرة (١٦٨٩ م) (راجع الصفحــة ٦٤٦ من وصف مخطوطات لندن للعلاَّمة المرحوم ريو Rieu وفي وصفهِ غلطٌ في تاريخ النسخة). امَّا النسخة الثالثة فهي في الاستانة العليَّة في مكتبة ايَّا صوفيَّا عددها بين المخطوطات ٣٩٣١ ورد في آخرها تاريخ كتابتها « في شهور سنة ثمان وستين وخمسمائة » وهي توافق سنة ١١٧٣ للميلاد . واسم الناسخ عبد الغني بن محمَّد الكاتب. وهي نسخة حسنة ذات ٥١ صفحة في كل صفحة ثلاثة ابيات او

١) هي الطبقة التي خصَّها ابن سلّام بالمقلّين

اربعة بالخطّ الثلث بينهما شروح بخطّ ناعم · وقد تلطف باستنساخهـا الدكتور اوغوست هفنر تريل مدرستنا سابقًا فنشكر لهُ لطفهُ

وهذه النسخ الثلاث متشابهة في الرواية وعدد القصائد وترتيبها ومعظم شروحها استندنا اليها في هذه الطبعة · واضفنا اليها زيادات عديدة وشروحاً مفيدة وتقييدات متفرقة جمعناها من كتب الادباء لتكون عائدتها اشمل واتمّ · وعلى الله التوفيق ·

إزدهار الديانة الكاثوليكية في انكلترة

بقلم الاب يوسف جاره اليسوعي (تتمَّة لما سبق)

من جملة العوامل التي اضعفت قوى الاصلاح الموهوم وكلّلت الكنيسة بالمجد والظفر هي الحركة الاكسفوردية ونتائجها · حركة نشأت سنة ١٨٣٣ ففصلت في تراخي الزمن الريتوالِست عن الكنيسة الرسمية وقرّبتهم من الكاثوليكيين تقربًا عظيماً · حركة اكسفورد وما ادراك ما حركة اكسفورد ؟ هي من اشهر المواقع التاريخية واجلّها شأنًا حتى ان المتدلين مشربًا انفسهم (libéraux) يحسبونها اعظم حادث ديني جرى الى عهدنا هذا · وقد اعلن الكردينال نيومن صريحًا ان العناية الالهية قد قرّرت في عالي حكمتها إحداث هذه الحركة (١ والكردينال مانين عدَّها نتيجة نعمة فائقة الطبيعة والاب تيرال (Tyrrel) بيّن ببراهين غير مردودة تاريخية ولاهوتية أنها صادرة عن ارادة الالهية (Month, July, 1897)

بدا فيها اناسٌ لهم في العلم والفضل القدم الراسخ وفي الكنيسة الانكليكانية المقام الشامخ بدوا وقد استفزّهم حبّ الاطّلاع على اعمـال كنيسة الاجيال الاولى والاجيال المتوسطة · وما نشبوا ان الّفوا كراريس بل كتباً سُمّيت باسم مقالات للعصر (tracts for the times)(٢ · اودعوها نُخبًا من تعاليم آباء الكنيسة الباحثة عن

١) (Lectures on Anglican difficultees ; England and Christendom)

٢) cf. l'abbé de Madaune « La ren. du Cath. en Angl. page 216 et suiv.

اهمّ القضايا الدينية ولم يكن لهم غاية في مشروعهم هذا الّا إبعاد النفوس عن كنيسة رومية مر يدين الايقاع والتنديد بها لاهمالها حقائق الكنيسة الاولى وتقاليدها . وما زالوا يعملون في بلوغ اربهم مطايا التنقيب والتنقير الى ان لاح لهم نجم كان احتجب عن اعينهم زمانًا طويلًا نجمُ الحقّ والهداية فعلموا ان الكنيسة الاولى وكنيسة الاجيال المتوسطة التي رغبوا في احيائها هي هي الكنيسة الكاثوليكيّة وحدها . فهناك كانت النعمة الالهية قد وقفت لهم بالمرصاد . فالبعض واصلوا البحث حتى انتهوا الى ربوع الكثلكة الزاهية والبعض تريّثوا في مسيرهم فاخترمتهم المنية ولم يدركوا ارض الميعاد واخرون استنبطوا لهم خطةً وسطى « via media » بين الكنيسة الكاثوليكية والانكليكانية فانتظم لهم حزبٌ نجم عنهُ الريتوالِسْت وهو آخذ في النموّ ومترقٍ في مراقي الفلاح

هذا ولمّا انتشرت تلك المقالات ارتجّت حُماة دين الاصلاح واضطربت وجرّدت على واضعيها سهام العذل وعاذت باولي الحل والعقد من ختلهم ومكرهم لكنّ پوزي ونيومن المتولّيَين ادارة ذلك الحزب الجديد لم يحفلا واصحابهما بتهديداتهم فاصرًا على مواصلة تآليفهم والمدافعة عن ارائهم الصائبة الى ان صدرت المقالة التسعون فدعاها نيومن ناسج بردتها « ملاحظات في شأن التسع والثلاثين قضية » وكان ذلك في ٢٧ شباط سنة ١٨٤١ . فما كادت تتداولها الايدي حتى قام الاساقفَة الانكليكانيون وقعدوا واخذ الغضب والقلق مديري الكليّة الاكسفوردية كلّ مأخذ . فبعد ان صوّبوا نحوه نبال اللوم سأل جمهورُهم اسقف اكسفورد ان يتلافى الخلل ويحمل نيومن على نبذ ما سطرتهُ يداهُ قبل ان يستشتري الشرّ ويفدح الشك في العالم الانكليزي . فلم يجب نيومن الى سؤله بل وعده ألّا يستأنف مقالاتهِ وما كان سبب رفضهِ الّا علمهُ ان كل ما نشره تدعمهُ شواهد غير قليلة وبراهين صادعة انتقاها من كتب ارباب الاصلاح انفسهم . وحينئذٍ اعتزل وظائفهُ المدرسيَّة هو وبعض خلّانهِ الاصفياء ولجأ بهم الى ليتِلْمور (Littlemore) كما سنورد ذلك في خبر اهتدائه

امّا نتيجة تلك الحركة الاكسفوردية فهي ظاهرة للعيان وقد تحسبها احدى الكبر . وان خالج صدركِ في ذلك ريب فَسَلْ الانكليكانيين ولاسيما الريتوالِسْت هل هم كاثوليكيون ام ابروتستانت ؟ فيتحامون من كل نسبٍ ابروتستاني ويعتبرون صفةَ

كهذه ضرباً من الاهانة والجنف وينشرون طيّ ما لهم من الحقوق الراهنة باتخاذ الاسم الكاثوليكي علَماً لهم

أجلْ شتان ما بينهم وبين اجدادهم الذين قيّدوا الدين في جزيرة انكلترا فاشبهوا في ذلك العبرانيين المدّعين عن كبرٍ « ان الله لم يكن الّا لهم وهم الّا لهُ » . فلقد ادركوا ان الحقيقة لا تنحصر في حدود مملكة مهما عظمت اطرافها وتسامت صولتها واعملوا الفكرة في ايجاد ادلّة تقنعهم انهم لم يزالوا فرعاً لتلك الدوحة التي غرسها السيّد لهُ المجد فظلّت افنانُها الشرق والغرب . هذا وقد اغمضوا العين واسبلوا ذيل النسيان على تلك الفأس القاطعة التي فصلتهم بغَرْبها عن شجرة الحق وجعلتهم اغصاناً غادرها عنصر الحيوة او كاد وزعموا انهُ لم يبقَ بينهم وبين المصلحين الّا رابطة مادّية تربطهم وايّاهم برباط الوئام والمحبة . وزد على ذلك انهُ ليس لاشياع الاصلاح في اعينهم منزلة وقد اقرّوا غير مرة بما اجترحهُ هؤلاء الطغاة من المآثم واقترفوهُ من المناهي والمحارم . وليس لهم شرفٌ الّا بانتمائهم الى سلالة الكنيسة الأُولى مؤثرين الانتساب الى القديس غريغوريوس العظيم والقديس اغسطينوس رسولهم على الانتساب الى هنريكوس الثامن او كرنمر

وان رغبتَ ان تعجم عُودَ قولنا فهيّاً بنا نَلِج احدى الكنائس العديدة في عهدنا هذا حيث التأم مثلًا بعض الانكليكانيين التابعين لرسوم الكنيسة العليا (High Church) فاذا دخلتها ظننتَها كنيسة كاثوليكية ان اقتصرتَ على ما يبدو لعينك من ظواهرها . فمذبحها من رخام او من حجر علتهُ بعض درجات تحفّ بها شماعد فاخرة وزهور زاهية وقد قام الصليب بل المصلوب ذاتهُ متوسطاً في اعلاهُ . ووراءهُ تنبسط لاحاظك روافد (rétables) هي من الحسن بمقام تمثّل آلام السيد المسيح تارةً وتارةً البتول الطاهرة وقد احاطت بها زمر الملائكة إحاطة الهالة بالقمر وحوالي المذبح تنتصب امامك هياكل أُخر مكرّسة لقلب يسوع الاقدس ولمريم العذراء وللقديس يوسف . واذا عُجتَ بزَوايا الكنيسة وقع نظرك على تماثيل قديسين مختلفين او على صورة الوجه الالهي بينما تظهر لك متتابعة على الجدران مراحل الآلام . وفي مدخل المقدس وامام بعض الصور مسارج تلتهب انوارها واخيرًا رايات تمايلت على الحيطان تتلألأ على نسيجها الحريري صورة البتول المجيدة او بعض رموز القربان المقدّس . وممّا

يقضي منك العجب رؤيتك كراسي أُعدَّت لاستماع الاعتراف . ناهيك عن مشاهد شتى أهملنا تبيانها وكلها تذكّرنا بالكنيسة الكاثوليكية

واذا ائممتَ صباحاً هذه الكنائس شاهدت حفلة القداس التي كانت تنفر من خيالها اعين الابروتستانت نفورًا وتنقبض صدورهم لمجرَّد ذكرها انقباضاً. حفلة غدت اليوم من اهمّ رتبهم البيعية تشهدها ليس مرة بل مرارًا كل يوم في كنائس كثيرة لا سيما في الاعياد اذ تملأ آلات السماع صحن الكنيسة برنَّاتها المطربة ويتقدَّم الكاهنَ شماسٌ واولاد حاملو الشموع والبخور تتصاعد امواجهُ العطرية الى اعالي السماء . هـذا وانَّهم في خدَمهم الدينية وفي صلواتهم وملابسهم الكهنوتية قد عادوا الى ترتيب الكاثوليكيين الذي رذلوهُ دهرًا حتى تخالك في كنيسة كاثوليكية لولا انك لا تسمع التراتيل في لغة لاتينية بل انكليزية كما هو مألوفهم . وقيل ان البعض منهم قد توصَّلوا الى ادخال اللغة اللاتينيـــة في طقوسهم ودليل ذلك انك ترى على مذابحهم صلوات القداس (canons) التي تُتلى قبل التقديس و بعدهُ مكتوبة بهذه اللغة ما عدا كلمات التقديس ذاتها كما شاهدناه في احدى هـــذه الكنائس . وكثيرون لم يكتفوا باعادة رتبـــة القداس بل ارادوا ان يتأسَّوا بالكاثوليكيين مطلقًا فاخذوا عنهم رتبة زياح القربان ونضح الماء المصلَّاة وتــلاوة المسبحة والطلبات جهرًا . وقد استأنفوا ايضاً الاحتفــال باعياد ورُتب تركوها منذ زمن مديد او تغابَوا عن حفظها كعيد السلاَّق وانتقال السيدة الى السماء وتذكار الاموات والجسد الالهي ورُتبَ سبَّة الآلام والسجود للصليب المقدس يوم الجمعة العظيمة

وما هذا التغيير الخارجي الذي المّ بالطقوس الكنسيَّة الأ عنوان ونتيجة تغيير اهمّ واسمى منزلةً جرى في التعاليم الدينية . فان وجود السيد المسيح في القربان المقدس وجودًا جوهريًا الذي لم يُلمّح اليهِ في منبر الخطابة الدكتور پوزي لاول مرة الَّا ورُمي بالتعصب للمبدإ الرومانيّ اصبح اليوم عقيدة من عقائـد الريتواليـت . High Churchmen) ما خلا امورًا طفيفة قد شطُّوا فيها عن جادَّة الحقيقة مراعاة لنصّ ال ٣٩ قضية التي انكرت تحويل الخبز والخمر الى جسد المسيح ودمه

امَّا القداس المقدَّم فيـــهِ ابن الله ذبيحةً عن خطايانا فكثيرون من الابروتستانت يقولون انهم لَراضون بما علمهُ بعض اللاهوتيين الرومانيين في هذا الموضوع . ولقد يمكننا

ان نورد تغييرات جمّة حدثت في باب التعليم. فان نبذت الكنيسة العليا وجود مطهرٍ غلبتْ فيهِ العذاباتُ المادّية على غيرها فهي لا تستنكف من القول والاقرار بحالة انتظار وتكفير تلي الموت يستطيع المؤمنون على تخفيف وطأتها بتضرعاتهم واستحقاقاتهم. ولذا اصبحت الصلاة لراحة انفس الموتى عادة مطروقة وسنّة مألوفة عندهم حتى انك تشاهد غالبًا اوراقًا ضُرب فيها اجلٌ لاقامة قداس لاجل راحتها

وما هو حرٍ بالذكر انهم لا يعافون الاستغاثة بالقديسين والالتجاء الى مريم العذراء. فمن جملة ما قالهُ اسقف لندن الانكليكانيّ لمّا نسب اليهِ بعض الخصوم تطرّفهُ الى الكنيسة الرومانية يوم نُصب تمثال البتول في كنيسة القديس بولس(١ ما طنطنت بهِ جرائد العاصمة لفصاحة لهجتهِ ومتانة برهانه وهو قولهُ: « اذا كان يسوع المسيح الهنا فانهُ بحكمتهِ الغير المتناهية قد فطر بلا ريب خليقةً بزّت بكمالاتها الغرّاء نساء العالم قاطبةً قبل اتشاحهِ بسربال طبيعتنا في جسدها الطاهر. ومن منّا لا يوقن انهُ قد بالغ في اكرام ومحبة تلك الامّ اناءه السرّي المختار وموضوع مرضاته الازلية ؟ . فاذا كانت الحالة كذلك فأني لأعجب كلّ العجب لمّا ارى رجالاً يمنعون في ايامنا هذه انفسًا افتداها الرب بدمهِ الكريم من الاقتداء بمثالهِ الالهي ألا وهو اجلال ومحبة منْ استمّد من احشائها ذاك الجسد وذاك الدم اللذين قدّمهما للعدل الالهي ضحيةً لخلاص العالم... ». فلذا تمثال العذراء بقي في منصّتهِ كي يعطر على الأمّة الانكليزية شآبيب النعم وينهض بها من حضيض الاصلاح الموهوم الى حدائق الكنيسة الساطعة الانوار (٢

واليكَ خبرًا اخر اعجبتني قوّة حجّتــهِ فلا ارى بدًا من التنويه بهِ : لمّا كان نيومن

---

١) جرى سنة ١٨٧٥ في كنيسة القديس بولس الكاتدرائيــة في لندن اكبر الكنائس الابروتستانية وافخرها بناء ما ادهش الابصار عامّة وارتجّت لهُ الآفاق طرًا وهو ان اكليروس الابرشية ومجمع كهنتها القانونيين (le chapitre) كانا قد اقاما على المذبح الاكبر باذن ورضى اسقفها تمثالاً للعذراء مريم . فما بلغ مسامع الشعب هذا النبأ الّا وأورى في صدره زناد الغضب وهيّج عوامل الاضطراب. فاستدعى عندئذٍ رئيس اساقفة كنتربري اسقف لندن واكليروسهُ ومصافّ كهنتهِ القانونيين قصد محاكمتهم ومجازاتهم شرّ جزاء. على ان الاسقف المذكور قد ذبّ من حقوقه وعن صنيع ذويه فاجاد كلّ الاجادة وتملّص من الحكم

٢) راجع L'abbé Delisle : *l'anglicanisme et les sectes dissidentes*, page 108 — 110 (Paris, Retaux, 1893)

في اكسفورد في عداد كبار متوظفيها وضع في حجرتهِ صورة مريم العذراء. فدخل عليهِ يوماً اخوهُ فرنسيس (كما أطلعنا على ذلك هو نفسهُ) واظهر لهُ عدم ميلهِ الى هذه العبادة فاجابهُ العلاّمة وقد قام في جبينهِ عرق الغضب: «أنّى لك ولامثالك ان تنسوا هذه الكلمات المسطرة في الانجيل المقدس مباركة انتِ بين النساء !..» أكرم بهِ من مقالٍ ! فليتأمل المصلحون وليرعووا في بلادنا عن غيّهم وليمسكوا عن قدحهم في شرف العبادة للعذراء امّ الله (١

وممّا ادركهُ الانكليكانيّون انّ انتسابهم الى سلطة زمنيّة في دينهم تزري بشأنهم. ومن ثمَّ اخذوا ينبذون الانتماء اليها ويطلبون لكنيستهم حقّ التسلسل الرسولي المعتبر عندهم كمصدر وشريطة للسلطة الاسقفية والكهنوتية. وكذلك قد عادوا بعد النفور الى المبدإ المصرّح بوجوب العماد وكيفية منحهِ

وما جرى من التقلّب بخصوص سرّ التوبة لم يكن ليدور في خلد احدٍ. فقد نكص الانكليكانيون على اعقابهم فاسترسلوا للاعتراف السرّيّ بعد ما نظروا اليهِ مدّة مديدة بعين المقت والازدراء وجروا في حفظهِ مجرى الكاثوليكيين انفسهم. فترى المعترف يجثو راكعاً امام المصلوب وقد جلس بالقرب منهُ المعرّف متشحاً بالكتونة (surplis) والبطرشيل وبعد اقرار التائب بخطاياه ينال الحلّة ان كان لها اهلاً. — ولا جرم بان ادخال الاعتراف على هذا النسق قد أولد لأول وهلةٍ ريبةً وقلقاً في الخواطر. على أنّ هذه العادة ما زالت تمتدّ يوماً فيوماً حتى لا يندر الآن وجود كهنةٍ من الانكليكان يحيون الليل كلّهُ في كرسي التوبة ومنبر الرحمة

ومسحة المرضى التي عبث بها المصلحون «اصلحهم الله» فسترجع الى حالتها الأولى مع توالي الايام. فقد اعلنت جريدة «كنيسة الزمان» (Church Times) لسان حال الكنيسة الانكليكانيّة وذلك في ٢٠ ايار سنة ١٨٩٨ ان اسقف شيكاغو البروتستاني قد أحيا في كنيستهِ آثار هذا السرّ الطامسة

---

١) راجع cf. Thureau d'Angin; *La renaissance catholique. en Angleterre* page 25 T. 1. (1899).

مقالع مصر ومعادنها

نظر في تركيب ارض مصر الجيولوجيّ للاب بطرس دي ڤراجيل اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٢ً مقالع مصر في عهد اليونان والرومان

توالت الدول متعاقبةً على مصر حتى افضى الملك بعد استيلاء اسكندر ذي القرنين عليها الى بطلميوس وخلفائهِ المنسوبين الى لاغوس ابي بطلميوس (Lagides) فاصبح القسم الاسفل من وادي النيل مدَّة ثلاثة اجيال مقرًّا لدولة عظيمة فاقت جميع الدُّول حضارةً وغضارة تحت تدبير ملوك سموْا بحكمتهم وامتازوا بحسن سياستهم ولم تزل على ذلك حتى تقلَّص ظلُّها واستشرى فيها الفساد فصارت طعمةً للرومانيين. وسلك القياصرة مع المصريين سلوك البطالسة في مراعاتهم لدينهم وآدابهم وسائر عاداتهم ليوهموهم انهُ لم يطرأ شيء من التغيُّر على وطنيَّتهم

وقد تسابق المصريون في تشييد الهياكل والقصور الفخيمة أيَّام الدولتين اليونانيَّة فالرومانيَّة. وليست هذه الابنية دون الآثار الفرعونية عظمةً وجمالًا. منها «كشك جزيرة فيلة» ذو الاعمدة الانيقة المتوَّجة باكلَّة مزدهرة يَقضي زوَّار مصر منهُ العجب. وهذا البناء شُيّد على عهد طيبار يوس قيصر وهو غُفلٌ لا نقوش عليهِ ولا كتابات يشبهُ في شكلهِ هيكل اريختيون (Erechteion) في اثينة

وفي هذه الجزيرة وجد شمپوليون المسلَّة المرسوم عليها شعار كلاوبترة الذي ارشدهُ الى قراءة الكتابات الهروغليفيَّة

واذا سرتَ الى الشمال عثرت على هيكل بديع بناهُ الملوك البطالسة في ادفو المعروفة في تواريخ اليونان والرومان باسم مدينة ابولون الكبرى. ومن اعتبر جودة صنعتهِ وتناسب اجزائهِ نظمهُ في عداد الابنية الحُسنى المشيَّدة في أرقى القرون المصريَّة هندسةً وبراعةً. وهذا الاثر البديع تراكم عليهِ الرمل فصبر تحتهُ على بوائق الدهر الى ان اخرجهُ العلاَّمة الاثريُّ ماريت فوجدهُ سالمًا صحيحًا كما في يوم تدشينهِ

وفي دندرة هيكل هاتور الذي يحتوى على تصاوير كلاوبترة وقياصرة رومة من عهد اوغسطوس الى انطونينوس المعروف بالبار. وهندستهُ كهندسة الهياكل القديمة عليهِ

مسحة من صناعة اليونان. وفي هذا الهيكل وُجدت كتابات عديدة ذات شأن خطير

ومن هياكل ذلك العهد هيكل مدينة برنيقة على بحر القلزم وابنية الاسكندريّة الشاهقة كنارة بطلميوس محبّ اخيهِ والهيكل القيصري (Césaréum) والمتحف وخزانة الكتب وهيكل سيرابيس الذي لم يغلبهُ في الحسن الّا بناء رومة المعروف بالكابيتول

١ (مقالع هذه الابنية) انّ الموادّ المتخذة لابنية الدولتين اليونانيّة والرومانيّة على ضربين منها الحجارة العاديّة التي كان يستخرجها البُناة في محل البناء. ومنها حجارة الزينة القابلة الصقل المستعملة للهياكل والقصور وكانت تُنقل من انحاء الدولة

والحجارة التي فضّلها ارباب البناء في ذلك العهد انّما هي الحجارة الكلسيَّة الرمليّة ولمَّا شرعت الاسكندريّة تترقّى في معارج الفلاح اضطرَّ اهلها الى اتخاذ مقالع احتفروها غربي المدينة فاستخرجوا منها الحجارة لابتناء بيوتهم وقصورهم ومرفإهم وعاد جمٌّ غفير من العملة الى مقالع طورة ومصارة لاستثمارها ولعلّهم جعلوا مذ ذاك الحين يقتلعون الحجارة من وجه الارض وعدلوا عن تعدين المقالع التي حفرها القراعنة في بطن الجبال. ولذلك ترى حجارة اليونان والرومان دون حجارة قدماء المصريين جودةً وحسنًا يقتلعونها من طبقات تختلف قيمة في موادّها. ولا غرو ان البناء كان ايضاً اقلَّ كلفةً واسرع عملًا. وعادت في ذلك الزمن حياةٌ جديدة لمقالع جبل سلسلة بعد خمود حركتها مدَّةً طويلة فنُقلت منها الحجارة الرمليَّة التي بها بُنيت معظم هياكل الصعيد. ومن غريب الامور ان المهندسين المصريين عدلوا الى الحجارة الاجنبيَّة لانجاز بعض الاعمال الخاصَّة كالصفائح المفروشة بها الطرق العمومية

وكانت حجارة اسوان تُستحضر للابنية المحكمة البديعة. ومن يرى ما بقي منها حتى يومنا في انقاض ابنية اليونان والرومان استدلَّ على كثرة استعمالها

غير انَّ الرومان لم يكتفوا بما استثمرهُ البطالسة من المقالع لتشييد ابنيتهم الجباريّة كالهياكل والقصور والملاعب والمراسح التي ابتنوها ليس في مصر فقط بل في كلّ انحاء المملكة لكنهم بحثوا على موارد جديدة تسهّل لهم نوال المرغوب

وكان القياصرة واعيان الدولة لا يرضون بما رضي بهِ القراعنة قبلهم من الصوّان المحبَّب الاسود او الورديّ ولا من الحجر البركانيّ الاصمّ ولا من الرخام بل طمعوا

في ما هو افخر من ذلك فحفروا مقلعاً من الرخام الابيض الشفَّاف (albâtre) بقرب اسيوط واتخذوا مقالع أُخرى على ضفَّة النيل اليُمنى لاستخراج الرخام الاخضر والديوريت (diorite) الفاخر والسَّماقي الرائق الالوان البديع العروق

ومن مقالع ذلك العهد مقالع الصوَّان المحبَّب والرخام التي امر كلاوديوس قيصر بفتحها في جبل كلاوديانوس المعروف اليوم بجبل فطيرة على شاطئ البحر الاحمر وفتح خلفاؤهُ من بعدهِ مقالع أُخرى للحجر السماقي الناعم الحبوب في جبل بُرفوريتس في شبه جزيرة سينا . وكثرت ثمَّ المقالع الَّا انَّ اسماءها اختلفت ثم اختلطت حتى يتعذَّر اليوم تعريف مواقعها

وقد ادَّى حبُّ بعض المثرين من الرومان للحجارة الغالية الثمن البديعة المنظر الى ان تحاملوا على الآثار القديمة فتلاعبوا بها واتَّخذوها لمنافعهم الشخصيَّة . فمن ذلك انَّهم نقلوا النواويس المصريَّة الى ايطالية فجعلوها مغاطس . وكذلك نُقلت مسلَّات الفراعنة الى رومة وتوالت على بعضها القرون مهملةً الى ان اقامها الاحبار الرومانيُّون ونصبوها فوق سَوارٍ اهلة بها . فترى اليوم مسلَّتي اوغسطوس اللتين جعلهما في الملعب الاكبر تزينان ساحة الشعب (Piazza di Popolo) ومكان معرض الجند (Monte Citorio) وترى مسلَّتي كلاوديوس اللتين اقامهما امام مشهد اوغسطوس قد نُصبتا الواحدة في معبد مريم الكبرى والثانية في مُنتي كافالُو . امَّا المسلَّة التي كان يعدُّها قسطنطين لمدينة بوزنطية ثم جعلها ابنهُ قُسطنسيوس في الملعب الاكبر فتزدان بها ساحة القديس بطرس نصبها هناك البابا سكستوس الخامس

ومن المسلَّات المصريَّة الباقية حتى الآن المسلَّة التي تُرى على رَصَف نهر التَّميز في لندن نُحتت بامر تحوتمس الثالث فجُعلت في عاصمتهِ ثيبة . ثمَّ نقلها بعدئذٍ بطلميوس محبّ اخيهِ الى الاسكندريَّة ذكرًا لاختهِ ارسينوية . ولمَّا بُني الهيكل المنسوب الى القيصر (Césareum) وضعها انطوان وكلاوبترة في الساحة التي تمتدّ امامهُ مع مسلَّة أُخرى تُرى اليوم في منتزه نيويرك الاوسط (Central Parc)

وبعض هذه المسلَّات القديمة اتَّخذها السَّلف لأعمدتهم فنحتوها وابدلوا شكلها المربَّع . والمرجَّح انَّ العمود الذي يُنسب الى بُمپيوس في الاسكندريَّة المعروف في كتب العرب بعمود السواري كان في غابر الزمن مسلَّة نُصب تذكارًا لديوكليسيانس

الملك الرومانيّ وهو من حجر الصوَّان الاحمر. اما الركائز التي تحتهُ فمقتلعة من بعض الهيا كل القديمة وبينها حجرٌ رُسم عليهِ اسمُ ساثوس الاوَّل مع نقش صورتهِ

وهنا يحسن بنا ان نستلفت عقول القرَّاء الى ملاحظةٍ سبق اليهِ المسيو دي روزيار (de Rozière) في كتاب وصف مصر (ج ١ ص ١٩) انَّ المباني الفخيمة المشيَّدة بالحجر الصوَّان هي في مصر السُّفلى اكثر منها في الصعيد اعني انَّ عددها يزيد بقدر ابتعادها عن مقالعها ولذلك سببان: احدهما انتقال مركز الدولة الى شمالي مصر قريباً من بحر الروم فبُنيت الابنية الجليلة حيث كان تخت الملك والى ثمَّ نُقلت موادّ الآثار القديمة بعد خرابها او تدميرها. والسبب الآخر ان القدماء لمَّا رأوا ان الموادّ المقتلعة لا تؤثّر في النظر بقرب مقالعها في اسوان او فيلة بين الجبال الصوَّانيَّة الشبيهة بها كتأثيرها فيهِ بعيدًا عنها في بلاد تختلف عن هيئتها فضَّلوا اتّخاذها لابنية مصر السفلى ليظهر حسنها بالاختلاف على حدّ ما قيل:

ضدَّانِ لمَّا استجمعا حَسُنا والضدُّ يُظهر حسنَهُ الضِدُّ

٢ (استثمار هذه المقالع) سبق ان الفراعنة كانوا يسخرون في اشغالهم اسرى الحرب ولم يأنفوا من تسخير رعاياهم في وقت الحاجة. وكلٌّ من طالع الاسفار المقدَّسة يعلم ما نال بني اسرائيل من المشاقّ في رقّ عبوديَّة مصر لمَّا قهرهم الفراعنة وكلَّفوهم بناء مدنهم ومبانيهم. ولم يكن اليونان والرومان اعظم شفقةً نحو العملة فكانوا يسخرون غالبًا عبيدهم لمباشرة هذه الاعمال الباهظة. الَّا انَّ العبيد مع كثرتهم لم يكفوا لابنية اليونان والرومان فكان ملوكهم يضطرُّون على العمل سَفَلة الشعب. ولمَّا فُتحت مقالع بحر القلزم في ايَّام القياصرة أُرسل لاستثمارها المجرمون المحكوم عليهم بالقتل فكانوا يكابدون في قطع رخامها مرَّ النكال. ثمَّ ثارت اضطهادات الرومان للنصرانيَّة فكان النصارى يقضون السنين في هذه المقالع مؤثرين العذاب على الكفر بالدين وربَّما كانوا يقضون نحبهم بين الحرّ في جبال تصهرها الشمس باشعَّتها الناريَّة

وكان ملوك رومية على هذا المنوال لا يتكلَّفون الكُلَف الفادحة في دفع اجور العَمَلة فيغتنون باتعاب المنكوبين

وممَّا اختصَّ بهِ اليونان والرومان دون الفراعنة تجهيز العواميد. وقد اصطنعوا منها عددًا لا يفي بهِ احصاء. فكانوا يزينون بها قصورهم ومصايفهم واروقتهم ومعابدهم

ومنتزهاتهم العموميَّة . وكثيرًا ما كانوا ينقرون هذه الاعمدة وينقشون فيهـا النقوش الناعمة

وكانت طريقتهم في قَطع الحجارة الضخمة وحجر الصوّان المحبَّب كطريقة قدماء المصريين يثقبون في الحجر الاصمّ ثقوبًا متَّسعة بالِمنحت والمطرقة ثم يجعلون فيها سُفَن الخشب او المعدن فيقطعونها الواحًا

امَّا الاعمدة فكانوا يستحضرونها على نوعٍ غاية في البساطة . فانَّ من زار هـذه المقالع يلحظ فيها كلها اعمدةً لم يُنحَت منها الَّا نصف دائرتها وذلك على طول العمود المقصود نحتهُ . وهذا بلا شكّ دليلٌ على انَّ القدماء في قطع هذه العواميد كانوا يجرون على نمط واحد وذلك انهم كانوا اذا عيَّنوا قياس العمود في طولهِ وقطر دائرتهِ يحزُّونهُ حزوزًا بليغة في طرفيهِ ثم ينقرونهُ نقرًا على طولهِ او يجعلون ثقوبًا ليدخلوا فيها السُّفن فيضحي قسم الصخر المنفصل عن الجبل بقوَّة السُّفن مقعَّرًا امَّا الصخر الملتصق فيكون محدَّبًا مستديرًا على هيئة نصف الدائرة . وهذا الامر مع سذاجتهِ قريبٌ للفهم لانَّ القطعة المنفصلة بقوَّة السُّفَن كانت اذا بلغت الطرف الاسفل عند الحزّ لا يمكنها ان تتجاوز هذا الخطّ عموديًا فتميل بسرعة الى الجانب الخارجيّ تابعةً خطًّا متحدّبًا في القسم الباقي ومتقعرًا في القسم المنفصل (١

وان سألت الآن عن الوسائط التي جرى عليها الرومان واليونان لنقل هذه الاعمدة الثقيلة والمسلاَّت العظيمة اجبنا انَّ طرائقهم في النَّقـل تشبه الطرائق المصريَّة في الغالب . فان المسلاَّت المجلوبة من الصعيد الى الاسكندريَّة ورومية أقلَّتها مراكب أُعدَّت لهذه الغاية . وقد اسهب بلينيوس في وصفهِ نقل احدى المسلاَّت على طوفٍ اتَّخذهُ المهندس ساتوروس من مركبَين جمع بينهما وحفر ترعةً في النيل فاجرى الطوف الى المقلع ليتلقَّى المسلَّة والمؤرخ المذكور يزعم انَّ ساتوروس ابتدع ذلك وفي الحقيقة كان قد سبقهُ الى هذا الامر قدماء المصريين كما روينا . واخبر ايضًا ان المراكب التي شُحنت عليها المسلات الى ايطالية كانت تفوق بكبرها كلَّ السفن المعروفة . ولمَّا امر كاليغولا بنقل مسلَّة أُخرى الى رومية رأى ان يتَّخـذ المركب الذي نقلها كسور يمنع بهِ مرفأ اوستية فغرَّقهُ في البحر وجعلهُ كشبه جزيرة بين طرفي المرفإ ولم يترك من الجانبين سوى مدخلٍ

١) راجع كتاب وصف مصر De Rozière : *Description de l'Egypte,* II,10.

ضيق تحجزهُ سلسلة من حديد . وفوق هذه الجزيرة الصناعية بُنيت منارة كنارة الاسكندرية (١

وقد انشأ الرومان اربع طرقٍ واسعة بين سواحل البحر الاحمر والصحراء العربيَّة عززوها بالمخافر وحفروا لها صهاريج للاستسقاء. وثلث منها كانت تبتدئ في جوار مدينة قُفط وتسير الى انحاء مختلفة. فالطريق الاولى وهي اكثرها ميلًا الى الشمال كانت تمرّ بمقالع الرخام في جبل كلوديانس فتسير الى محطَّة نبع طرايانس ومنهم الى جبل دخان ومقالع الرخام السماقي حيثُ بُني هيكل على عهد طرايانس لم يتمّ بناؤهُ وبقيت اطلالهُ حتى اليوم وهناك ايضًا انقاض ابنيةٍ أُخرى وحوضان للماء. وكانت هذه الطريق تنتهي في الدرجة ٢٧ من العرض عند نوجوس هرموس

والطريق الثانية كانت بعد خروجها من قفط تمرُّ بهدروما (Hydreuma) المعروفة اليوم بقصر البنات. وكان ثمَّ حصنٌ مربَّع طولهُ ٣٨ مترًا و ٣١ س في مثلــهِ عرضًا وعلوهُ متران وهو مبني بنحيتِ الحجارة الرمليَّة وفي وسطهِ ساحة على جوانبها عشرون حجرة. ثمَّ تسير الطريق الى وادي حمَّامات المسمَّى قديمًا وادي روحانو وهناك بقايا اسوار رومانية وصهاريج. وآخر هذه الطريق عند القُصير (Leucos Lenien) في الدرجة ٢٦

اما الطريق الثالثة فكانت تسير من قفطِ الى مدينة برنيقة التي ابتناها بطلميوس محبّ اخيهِ سنة ٢٧٥ ق م ولبرنيقة هذه شأن عظيم في التاريخ مدَّة نحو ٥٠٠ سنة. وقد وصف بلينيوس الطبيعيّ هذه الطريق وصفًا مدقَّقًا وكذلك عرَّفها انطونينوس الشهيد في رحلتهِ وطولها ٢٥٨ ميلًا (٥٨٠ كيلومترًا) وعلى ممرّها صهاريج عديدة ومدن عامرة. الَّا انَّ المقالع الواقعة على مسير هذه الطريق لم يستثمرها اليونان والرومان وانَّما اتَّخذوها ليسيروا الى معادن الزمرُّد التي سيأتي عنها الكلام وللتجارة مع الهند الشرقيَّة

وقد ورد في آثار برنيقة غير مرَّة اسم الملكين طيباريوس وادريانوس والقيصر ادريانوس هو الذي فتح طريقًا بين انطينوية وبحر القلزم وكانت ثمَّت تسير مع البحر وتنتهي الى برنيقة جنوبًا

وعلى هذه الطرق الاربع كانت تسير العجلات الرومانيَّة الصلبة الضخمة ناقلة الى

١) راجع Boissier : *Promenades archéologiques*, 7e ed. p. 292.

مرافئ بحر القلزم تجارة المقالع. وكانت السفن تقلها الى ان تبلغ ترعة داريوس الواصلة بين النيل وبحر القلزم وكانت هذه الترعة انتهت على عهد البطالسة ولمَّا اتمَّ طرايانس ترعتهُ المنسوبة اليهِ (Amnis Trajanus) بين منف وسويس صار قسمٌ من مشحونات البحر الاحمر يجتاز بها

وكان اليونان والرومان يحسنون عمل التجارة المصريَّة فيصطنعون منها آثارًا عجيبة كالآنية والتماثيل والنقوش. الَّا انَّ صنَّاعهم لسرعتهم في العمل لم يبلغوا ما بلغهُ قدماء المصريّين من حيث تقليد الطبيعة فانَّ هؤلاء اصابوا قصب السبق في هـذا المضمار فانطقوا الحجـارة الصمَّاء. ولم يجر اليونان والرومان الَّا على آثارهم دون ان يلحقوا شأوهم. والبعض منهم خلطوا بين الطرز المصريّ والطرز اليوناني فلم يحسنوها جميعًا

(ستأتي البقيَّة)

إِطلاع الحَضَر على أَطلاع النَّوَر

لحضرة الكاتب العالم والباحث المتفنّن الاب انستاس الكرملي

(تابع لما سبق)

وممَّا قد اشتهر بهِ النور الاوغـاد انَّ منهم يخرج أغلب الشعَّارين (١ والشعَّارات وهي ادلُّ عنوان على فساد القوم الذي يخرج منهم اناس هذه صناعتهم. ولا يظنَّ ظانٌّ ان الرقص والغناء شان الكاولية الذين في العراق فقط بل هـذا امرهم في جميع بلاد خلق الله كما تحقَّقتُهُ بنفسي في البلاد التي وطئتُها وكما وقفتُ عليـهِ ايضًا في ما كتبهُ الافرنج في هذا الصدد فقد ذكر احدهم ما نصُّهُ بالحرف المعرَّب: وكلا الفريقين من ذكور واناثٍ يُؤنس الشعب بالتطريب والغناء. ويذهب اجواق مغنّيهم راجلين الى بطرسبرج فيُستقبَلون فيها احسن استقبال. وكانَّ اناشيدهم الوطنيَّة قد قُدَّت من سَير اناشيـد

١) الشعَّار ومؤنثهُ الشعَّارة عنـد العراقيين الرقَّاص والرقَّاصة بحركات مخالفةٍ للاداب. واللفظة قديمة لعلَّهـا من عهد الخلفاء والكلمة مشتقة من « شَعَرَ » اي قال الشعر لان الشعَّارين كانوا في الاصل ينشدون الاشعار ويرقصون معًا كما يفعلهُ البعض الى يومنـا هذا. ثم ذهب منهم الشعر وبقي فيهم الرقص فاصبح المعنى رقَّاصًا في الاغلب. ويقـابل الشعَّار والشعَّارة القلأس والقلأسة باللغة الفُصحى. واسم الشعَّارة عند الافرنج bayadère او almée وهذه مأخوذة من العربية « عالمة » اي عالمة بالرقص والغناء

الجيتان الاسبانيين فقد قال الفاضل ڤياردو (Viardot) عن هذه الاغاني انها مقاطيع وفصول يكثر فيها التودَة والشجو وهي تُشبه الاناشيد المعروفة « بالپولو » (polos) و« والتِيرَانا » (tiranas) في بلاد الاندلس. ومن هذه الاغاني ما فيها هزّة النشاط والتحمّس وخفّة الطرب من الجنس المعروف « بالسَيگويدِلّا » (seguidillas) في المنشأ وباخوتا (jota) في اراغون. وعلى حركات ونغمات هذه الاغاني المتتالية المتتابعة المتساقطة شيئاً بعد شيء ترقص الاناث من عجائز وشابّات او قل بالاحرى يجرُرْنَ انفسهنّ على الارض المرصوفة ويُرجفنَ سواعدهنّ واكتافهنّ واوراكهنّ وكل جسمهنّ رجفةً غريبةً مع حركات خلاعية تدفعهنّ رويدًا رويدًا الى مضاهاة الشعّارات فيستحوذ عليهنّ نوع من الانخطاف او السكر. وفي روسية كما في اسبانيـا يُستعمل اللحن للاغاني وللرقص ». انتهى

قلتُ: وعليهِ فان هذه القبائل على تنـائي الديار وشطّ المزار وتعدُّد الاقوام في جميع الاقطـار بحيث لا يدري القوم الواحد بوجود قومٍ آخر من جنسهِ في بلدةٍ أُخرى فمع ذلك ترى احوالهم وكيفيَّة معاشهم وطرق تكسُّب ارزاقهم واحدة محافظين على تقاليدهم منذ مئين من السنين

١١ً (ديانتهم) ليس لهؤلاء الاقوام دين من الاديان وانّما يتظاهرون في كل بلدٍ بالدين المشهور فيهِ او بالمذهب المعتبر عند سكّانه. وهــذا لا يمنع كون لهم بعض سنن او شعائر يجرونها في بعض الاحوال الاجتماعية كالولادة والزواج والموت والدفن وما ضاهاها فان مثل هذه الامور يندفع اليها الانسان فطريًّا لما يعقد بهـا من الجدَّة في المعيشة البيتيَّة او لِما تقطع حبل مألوف الحيـاة ومأنوس العوائد اليوميَّة. الّا ان هذه الشعائر ليست على وتيرةٍ واحدة عندهم في جميع البلدان بل تختلف باختلافها وباختلاف الناس الذين يعيشون بين ظهرانيهم بل وباختلاف اديانهم ومذاهبهم. وهذا ممّا يدلّكَ على انهم ليسوا مقيَّدين برباط دينٍ. فلو كان لهم شيء من ذلك لما تغيَّرت تلك السنن على ما يشاهدها كل باحث دقيق النظر. وعليـهِ فمن ادَّعى بكونهم مسلمين في بلاد الاسلام ونصارى في البـلاد المسيحيَّة فهم في وهمٍ بيّن لانهم اعتمدوا الظواهر في اقوالهم ولم يغوصوا لآلئ الحقيقة في بحارها (١

١) جاء في الطبيب (السنة الاولى ١٨٨٤–١٨٨٥ ص ١٧٣): « قيل وليس في لسانهم كلمة

١٢ٌ (اشغالهم وصنائعهم ومُعاطياتهم) ان اشغال بني ساسان تختلف باختلاف الاوطان والبُلدان ونحن ذاكرون منها هنا ما يحتملهُ المقام وناسبين الى كل قبيلةٍ مهنتها وشغلها بين ما يخالطون من الاقوام. فصنائع القرَج على المناخل والغرابيل وتربية الحمير. والمطربة: يعملون السيوف والخناجر والسكاكين وفيهم صياقلة وحدَّادون ومصلحوا الادوات الحديديَّة وبينهم مبيّضون للاواني بالقصدير. وصنائع الجَنْكانة: الحدادة والنجارة والصَيقلة وعمل الكُبن (الكُبنة او الجِبنَة رداء من اللبد). والكاولية في اطراف زاخو من بين جميع بني ساسان يُحبّون الزراعة (واهمّ زراعتهم الحبوب والتبغ) وتربية المواشي والدَجاج. واماَّ كاوليَّة العراق وبلاد العرب فصناعتهم عمل المناخل والغرابيل والاخبية وفتل الحبال وحياكة الحصر وتبيض الاواني وقد يوجد فيهم حدَّادون ونجَّارون. وجميع ساسانيَّة بلاد فارس على اختلاف قبائلهم يصنعون المناخل ويعملون ادواتٍ حديديَّة خشنة الصُنع ومنهم من يُربّي بعض الماشية. واماَّ نور بلاد الشام وغجَر الديار المصريَّة فلا يعرفون من الصنائع الَّا شيئًا زهيدًا كصنع المناخل والغرابيل ولهم بعض إلمام بالبيطرة

واماَّ ساسانيَّة البلاد الاوربيَّة ففي بلاد المجر قد تفرَّغوا للحدادة ولهم معرفة بتربية الماشية ويتعاطون تجارة الخيل ولهم في بيع هذه الدوابّ من الحذق في اخفاء عيوبها عند بيعها مماَّ يقضي بالعجب العُجاب. وفيهم عدد عديد يُحسنون النجارة والخراطة ولهم كراهية عظيمة لحراثة الاراضي وزراعتها. وفي ترَنسلفانية والفلاخ والبغدان يتخذهم الوطنيُّونَ لغسل الذهب وتنظيفهِ. وللبعض في اسبانية فنادق وأثواء (١ ومطاعم

يُعبَّر بها عن الله عزَّ وجلَّ ولا عن النفس ومن الغريب ان ليس عندهم من الفاظ العدد الَّا من الواحد الى السبعة فاذا ارادوا التعبير عماَّ فوق ذلك استعاروا من لغةٍ أُخرى انتهى. قلنا: اماَّ اسم الجلالة فهو عندهم «داوُل Déoul» وهو تصحيف «داوس Deus او ثاوس Θεός» وكلاهما من اصل سنسكريتي «ديڤ» اي ضياء Dev *ou* Dew (راجع المشرق ٣: ٦٨١) واسم النفس «جان» والفاظ الاعداد موجودة عندهم بل وقد نُقلت التوراة الى لسانهم بهمَّة احد البروتستان في نية هدايتهم الى فرقتهم

١) الثويّ: البيت المُهيأ للضَّيف ويُقابلهُ بالفرنسية (hôtel) الَّا ان بعض الكتبة المحدثين سمَّوهُ نزلًا وليس في اللغة وجهٌ يؤيد هذا المعنى. وسبب وهمهم انهُ جاء في كتب اللغة النزل ما هُيّئ للضيف ان ينزل عليهِ والمراد بذلك ما يُعدّ للنازل من طعام وشرابٍ لا البيت الذي ينزل فيهِ الضيف. فتدبَّر

فيربحون من ورائها الارباح الطائلة . وهم كثيروا الانتشار في قسطيلية وأرغونة والمنشأ واسترامادورة وبالخصوص في الاندلس فانهم يُعَدُّون هُنــاك بالآلاف المؤلَّفة . وفي سرقسطة يُقيم ملكُ الحِيتــان وهم ينتخبونهُ انتخابًا . ويزدحمون كل الازدحام في بعض محلَّات بلنسية ومُرسية وربض تريانة واشبيلية ونواحي باب الطين في قادس .
ومن المدن التي يكثرون فيها موسكو وبالخصوص ما وراء نهر موسكو فانهم يَنْغشون فيها نَغَشانًا . وقد حافظ نورَ الرُوس كل المحافظة على هيئة وأخلاق نور الاندلس . وبالخصوص عنــد النساء فان جميعهنَّ يلبسنَ الرداء من النوع المعروف عند الاقدمين باسم پِيلُوم (peplum) وهو منسوج من القطن والحرير ويُثبَّت على الكتف . الَّا انَّ مشابهة نور الروس لنور اسبانية من جهــة العوائد والاخلاق ممَّا يزيد بكثيرٍ على مشابهتهم لهم من جهة الملامح وتقاطيع الوجه

ونوَر الروس يعيشون قبائل قبائل تُعرف باسم « طابُور » (tabor) ويرأسهم رئيس ينتخبونهُ انتخابًا وأرباحهم مشتركة فيما بينهم والناس الاصحاء يُطعمون الوِلدان والشيوخ والمرضى . واهمُّ اشغال رجالهم تجارة الخيل والجولان بالامتعة على البيوت وفي الاسواق واماَّ غير هذه الصنائع المذكورة فلا إلمام لهم بها

ومن الاشغال التي تكاد تكون عامَّة بين جميع ساسانيي المشرق والمغرب النظر في الفال والزجر والنجوم والعيافة والقيافة وتطبيب الخيل او البيطرة بتعليق رُقًى او تعاويذ عليها . ونساؤهم يبعن الجماجر (جمع جُمْجُرَة) وهي ما يتَّخذ من العجين كالتماثيل تجفَّف في الهواء وتجعل في الرُبّ اذا طُبِخ . ويقلنَ لمن يشتري هذه الجماجر ان آكلها او حاملها يحصل على مطلوبهِ وبالخصوص اذا كانت الغاية تقريب شخص من شخص آخر . وكلُّهم يتعاطون فنّ التطريب والغناء والموسيقى والجولان في الازقَّة والشوارع ومُوافاة القرى لحمل الفدَّادين على الانس واللهو والرقص وفي اغلب الاحايين يكون في ايديهم آلة من آلات العزف والغنــاء وهم على جانب عظيم من الشعور بهزَّة الطرب وتذوُّق الالحان واكتناه دقائق انغامها والحانها حتى يُقال ان عددًا غفيرًا منهم بلغوا شأوًا بعيدًا من الغناء والتطريب والتلحين . واصوات نسائهم شجيَّة حسنة

وهم جميعهم رُحَّل لا يُحبُّون الاقامة في موطن واحدٍ طول السنة بل يتطوَّحون في البلاد وياخذون معهم جميع مقتنياتهم وهي عبارة عن أحلاس وخرقٍ رثَّة وادوات

مبتذلة. إلا انهُ قد شذَّ عن هذه القاعدة بعض ساساني الروس فان منهم من بنى المُثيرة الفاخرة وشاد القصور العامرة واقتنى الخيل الكريمة العتيقة وركب العجلات الالى الانيقة حتى انهم لا يُعرَفون بشيءٍ عن الروس الأهاليين او الاجانب المتوطّنين. بنو با

١٣ (ظهورهم في اوربة وآراء الافرنج في اصلهم) كنَّا قد ذكرنا في صدر المقالة ان ظهور النور في بلاد اوربَّة كان بعد فتح تيمورلنك لبلاد الهند اي نحو سـ ١٣٩٨ للمسيح على الراي الاشهر ويكاد يكون راي اغلب العلماء الباحثين. الَّا ان هذا القول لا يمنع ظهورهم في تلك البلاد جماعات قليلة العدد قبل مهاجرتهم اليها الوفاً مؤلّفة. وهذا يؤيّدهُ ما جاء في نبذةٍ انشأها احد الرهبان الالمان سنة ١١٢٢ موضوعها سِفر الخلق وقد ذكر فيها هؤلاء الاقوام استطرادًا

ومن الآراء المُرتآة في سبب مهاجرتهم الى بلاد الافرنج قول بعضهم انَّها لم تكن عن الضغط الذي اصابهم من قبل تيمورلنك بل ان النور في الاصل قبيلة من قبائل الهند السافلة من جنس البارية مثلًا وقد اختارت لنفسها النفي بطيبة خاطر. وقد اقام اصحاب هذا الرأي دعائم زعمهم على عوائد وأخلاق النور الحاليّين وهي عوائد واخلاق تنافي كل المنافاة سُنن الصحَّة المسنونة في الاديان الهندية. من ذلك اكل لحوم الحيوانات المائتة إثر مرض. وقد ذهب القبطان داود ريشاردسن (Richardson) الى ان النور هم نفس البازيكور (Bazigours) وهم جيل من الهنود واسمهم المألوف المشهور هو نوت(Nouts) فصحّف

وقد زعم جماعة من الكتبة ان الجنكانة (Tsiganes) كانوا في اوربة قبل الزمان الذي يتوهّمهُ جمهور الناس بكثيرٍ. وهم يقولون بان الجنكانة كانوا معروفين في تلك الاعصار الغابرة الدابرة باسم « سيجينة » (Sigynes) الذين ذكرهم هيرودوتُس في تاريخهِ. او « سيجِنَّة » (Siginnes) كما وردت في تاريخ استرابون وابولونيوس. وكان هيرودوتس وابولونيوس يجعلان هؤلاء الاقوام على ضفَّتي الطونة (الدَنُوب) اما استرابون فكان يعتبرهم من سُكان جبل القبق. واماَّ الكتبة المحدثون الذين يوافقون الاقدمين في هذا الراي فيزعمون انَّما استطار ذكر الجنكانة في اوربة في نحو القرن الخامس عشر لكثرة المهاجرة في ذلك القرن اكثر من سائر القرون اثر فتوحات التُرك الذين دحروهم من كل جانب وضيَّقوا عليهم كل التضييق

فيربحون مهما يكن من اصلهم فان انتشارهم اليوم في الارض كلها امرٌ راهنٌ. ولا تشذ واستراماليّ بلاد اميركة لانهم هم هناك ايضاً وقد اقاموا في احيـاء خاصّة بهم واتخذوا سرقتـهم اسلوبًا غير الاسلوب الجاري عليهِ نور سائر البـلاد. وقد قامت بينهم ملكة بعضهم باسم « ماتلدَة الثانية » وذلك في اوهيو سنة ١٨٨٨

اماَّ من جهة الاضطهادات التي أُثيِر نقعُها في وجههم فحدّث عنها ولا حرج. وكانت قد اشتدَّت وطأتُها عليهم في القُرُون المتوسّطة. الّا ان تلك المحن لم تنقص عددهم بل فرَّقتهم وزادتهم انتشارًا. وهم يكثرون بالخصوص في بلاد المجر والاقطار الصقلبيَّة وما جاورها

وكان الافرنج يعتبرون النوَر في القرون المتوسّطة مصريّين بوجه العموم ومن ذلك اسمهم عند الانكليز « جِبْسيّ » كما ألمعنا اليهِ في ما مرَّ. وذلك ان جاليةً من هؤلاء الاقوام جاءت باريس سنة ١٤٢٧ وكان عدد اصحابهـا ١٢٠ نوريًا فادَّعوا انهم من نصارى مصر وانَّهم هجروا اوطـانهم من وجه اعدائهم وقد ذكرهم يومئذٍ احد كتبة الفرنسيين ومن جُملة ما قال عنهم ما يأتي تعريبهُ :

« ان آذانهم مثقوبة وقد ناطوا بها اقراطاً من الفضة وشعرهم اسود فاحم جَعْد ونساءهم في نهاية القَذَر يتعاطينَ التنجيم والنظر في الحظّ ولا تصل ايديهنَّ الى شيء الَّا سرقتَهُ فالجأهم اسقف باريس الى الجلاء وحرَّم الذين استنبأوهم. قيل انهُ كان في مقدمتهم اثنـان من الشرفاء احدهما دوق والآخر كونت ومعهم عشرة من الفرسان والبقية كانوا بمنزلة الحشم وكانوا يزعمون انهم اعترفوا بين يدي البابا مرتينُس الخامس بذنوب لهم ففرض عليهم التطوُّح مدة سبع سنوات يُكفّرون فيها عن آصارهم لا يستقرّ بهم قرار ولا يأوون الى مضجع فاندفع الناس الى رؤيتهم وهم يعجبون من منظرهم ليستنبئوهم عن حُظوظهم ». اه بتصرُّف قليل في التقديم والتأخير

وذكرهم البابا بيوس الثاني (وكانت وفاتهُ سنة ١٤٦٤) فقال « انهم قوم من اهل التلصُّص دأبهم التطواف والتجوال في الاقطار الاوربية واسمهم « الجنكانة » وانهم من قبيلةٍ من زوخوري اي جبال القَبق. اه

امَّا النور انفسهم فيقولون انَّهم هاجروا مصر ليضربوا في الارض تكفيرًا عن اثمهم وهو انَّهم لم يحسنوا وفادة القديس يوسف ومريم العذراء لمَّا وافيا مصر. ويزعم

الفريق الآخر منهم انَّهم كانوا نصارى فكفروا بدينهم فحكم عليهم البابا ان يتطو
في البلاد تكفيرًا عن كبائر اجترحوها . وانما يدعون مثل هذه الدعاوى الباردة الت
ليموّهوا على الاغرار وليزيدوا اعتبـارًا في عيون مُضيفيهم واستدرارًا لنوال ال
وتساهلًا في احتمالهم . ولهذا احتملتهم فرنسة بادئ بدء فاقاموا في بلادها مدّة
رأت الحكومة كسلهم وسوء تصرفهم وآدابهم السافلة اصدرت احكامًا شتّى في ا
مختلفة تصرّح بنفيهم من بلادها فاضطروا الى سكنى الغابات والقفار والضرب في سائر
الاقطار تائهين على ممرّ الاعصار

ويحسن بنا هنا ان نذكر اتمامًا للفائدة لُمعًا عن بعض المزاعم المعقودة باصل هؤلاء الاقوام . فان بعض المؤلفـين يعتبرونهم شُوَايةً من الفرقة المعروفة باسم آتنكان (Atingants) وهم خوارج من نصـارى اليونان . وذهب فريق الى انهم من مجوس الفرس وقال غيرهم بانهم من قبيلةٍ رحّالةٍ جوّالة في بلاد فارس ذكرها حافظ الشاعر الفارسي الشهير وكانوا يُسمَّون في عهدهِ « لُولي » ويُحسنون الرقص والغنـاء . وارتأت فئة انَّهم من سكان ولايةٍ من ولايات افريقية المعروفة باسم زنكيتانية (Zengitanie) ومن ذلك اسمهم المصحَّف تصحيفات مختلفة تتردّد بين « زينكانة وجنكانة وزنكاري وجنكاري » . وأثبتت جماعةٌ أنهم من فُرّ جنود يُوليـان المارق وكان قد هزمهم من سنجار (Singare) من بلاد الجزيرة . وأحقَّت فئة من الكتبة انهم شويّة من الزيخ (Ziches) من سكَّان بالُس مِئوتيد المعروف عند العرب ببحر مانطش (السعودي) . ويقول قومٌ بانَّ لفظـة « جنكان » (Tsiganes) او جنكانتز (Tsiganener) تصحيف كلمة شرقيين (Sarrasins) كذا . فللهِ درُّهم من علماء) وبانهم كانوا من اعداء الفرنج الزُرُق . وجزَم نفرٌ من الكتبة بغير هذه الاقوال والمذاهب وكلها من الغرابة بمكانٍ لا تخطر على بال انسان . فقالوا مثـلًا انهم من بقايا الكنعانيين الذين طردهم يشوع بن نون فتفرَّقوا تحت كل كوكب . وقد ذكر بعض المؤلفين الثقـات ان الجنكانة هم الكوشيون الذين هم من صُلب كوش المذكور في التـنزيل العزيز . امَّا دَربلو الشهير (D'Herbelot) فيزعم انهم من طائـة زنجبار . واذا اردنا ان نأتي على ذكر جميع المذاهب بهذا الصدد يملّ القارئ من مطالعتها . وكلهم في وادي تُضلَّل على وجههم يهيمون

ثم زد على ما تقدّم ان منهم من اعتبرهم كالدراويش . او انهم من بقايا هُون أتيلا (les Hu) او اوارة (Avares) الخ الخ . الى ما لا حَصرَ لهُ

والصحيح من هذه الآراء المتضاربة والمذاهب المتباعدة ما اوردناهُ في صدر هذه النبذة اي انهم خليط من قبائل سافلة من هنـدية وفارسيّة وكرديّة على ما بيّناهُ بحجج ناصعةٍ تاريخيّة . وادلّة لامعةٍ لغويّة . وبراهين دامغة عقليّة ونقليّة . لكن لمّا كانت هذه القبائل فروعاً ثابتةً من اصل واحدٍ وهو الاصل الآريّ ساغ لبعضهم القول بهذا الفرع دون الآخر لكن الباحث المدقق والمستقصي المحقّق يعرف ضالّتهُ المنشودة اذا ما رآها ويفرح بها اذا ما لاقاها

ولا بأس من إدعام رأينا هذا بما يزيدهُ متانةً ويخوّلهُ رصانةً ختاماً لهذا الفصل من هذا المبحث . فمن البراهين التي تدلّنا على ان فيهم من اقوام الهند او السند ما عدا البراهين التي اوردناها انهُ يوجد الى يومنا هذا في تلك الارجاء قبـائل واقوام يُعرفون باسماء مختلفة منهم « البازيكور » (Bazigours) و « والبنچيپيرية » (Pontchipiris) و « الكرُواس » Correwas الخ وسحناؤهم سحناء النور ولغة اولئك كلغة هؤلاء

ومن البراهين الدالّة على ان فيهم أكرَاداً ان النور يُسمّون انفسهم على ما قلنا « رُما » جمع رُوم (Roma *plur. de* Rom) ومعناها : الرجال (كانها مقلوب مرء) او الحيّ المجتمع من الرجال . وانت تعلم ان هذه اللفظة كانت مستعملة عند الاكراد منذ القدم وهي لا تزال عندهم مستعملة الى يومنا هذا بمعنى الرجال الاشدّاء او الجماعة من الرجال او الحيّ المجتمع من مثل هؤلاء الرجال بل وقد توسّعوا في معنى هـذه الكلمة ويريدون بها الرجال عموماً او الاحياء . وهم يجمعونهـا على طريقتين منهم من يقول في جمع رُوم او رُمّ : رُومَا او رُمَا (Roma) وهذا الجمع كرديّ الصيغة ومنهم من يقول : رُومَان او رُمَان (Roman) وهو على الطريقة الفارسيّة . ولا تتعجّب اذا قُلنا لك ان العرب قد عرفوا لفظة « الرُمّ » بهذا المعنى . فقد قال التاج في المستدرك (مادة ر م م) الرُمّ : بالضم : الجماعة . وفي حديث زياد بن حدير : « فحملتُ على رُمٍّ من الاكراد » اي جماعة نزول كالحيّ من الاعراب . قال ابو موسى : « فكانهُ اسم اعجمي » اه . وقال ياقوت في معجم البلدان : « رُمّ بضم اوله وتشديد ثانيهِ . وجمعهُ رُموم . وتفسير الرُموم محالّ الاكراد ومنازلهم بلغة فارس وهي مواضع بفارس منها . . . » اه

ومن الادلّة الناطقة بوجود شُذّاذ فُرس وغيرهم بين النور ان هذه القبائل كثيرة في تلك الاصقاع وهي لا تزال الى يومنا هذا تتكلّم بلغة النوَر ويظعنون منها الى بلاد الروس ومنها الى بلاد اوربة شمالًا او الى كردستان ومنها الى بلادنا العثمانية جنوبًا وغربًا وملامحهم وسحناؤهم ولغتهم لا تفترق بشيء عن سائر النور

وزد على ما تقدَّم ان النور ينتحلون لنفسهم اسماء كثيرة مختلفة بل وتختلف باختلاف البلاد التي يحلّونها كما اشرنا الى ذلك في بدءِ هذه المقالة. ومن الاسماء التي لم نذكرها « كُوله » (Kola) وهي كلمة بمعنى العبد الاسود . ومنها « السِنْت » (Sinte) وهي مصحَّفة عن السِنْد تصحيفًا بيّنًا. واسمهم عند الفرس « سِيَاه هِنْدُو » ومعناها « الهنود السود » وغير ذلك ممّا نضرب عنهُ صفحًا مثل خَرَاچي (Kharatchis) وكَلْبُرْساز (Calboursaz) وتَاچكُو (Tatchgoux) في انحاء أصفهان

١٤ (هيئة الالفة عندهم واجتماعهم ورئاستهم) ان هؤلاء الاقوام اينما حلُّوا والى حيثما رحلوا يرأس كلّ حيّ او جماعةٍ منهم زعيمٌ ينتخبونهُ انتخابًا ويذعنون لامرهِ. ويُسمُّونهُ في العراق بالسيّد او الشيخ وفي سوريّة بابي ناعسة وهي تصحيف ناعصة ومعناها الاعوان والانصار فيريدون بهذه الكنية صاحبهم ورئيسهم وفي الاقطار الاوربية بالوَيْوُود (Voïvode *ou* Voyvode) الكلمة صقلبية الاصل ومعناها: « الحاكم والآمر والرئيس والمقدم والشيخ » وجميع زعماء العصائب يعنون لرئيس اعظم يسمُّونهُ الشاه في بلاد فارس والملك في بلاد العرب وباسماء افرنجيَّة يُراد بها الملك في البلاد الافرنجيَّة. وقد يكون الرئيس او الملك من الاناث اذا كانت المرأة تجمع في نفسها جميع الخصال المطلوبة ممَّن تُلقى اليهِ مقاليد الرئاسة. من ذلك ان نور الانكليز بايعوا بالملك سنة ١٨٦٠ امرأة سمَّوها الملكة « استيرفاآا »

ورئيس كل جماعة او حي يُعرف لاوَّل نظرةٍ تقع منك عليهِ فانهُ يكون في اغلب الأحايين بدينًا ضخمًا طويل النجاد بصَّاص العين كثير الالتفات يمينًا وشمالًا لشدَّة تيقظهِ وانتباههِ حسن اللباس وعلى كتفهِ دِرَّة طويلة. وللرئيس حصَّة من كل ما يسرقهُ اتباعهُ واعوانهُ واذا رُفع اليهِ خبر سرقةٍ او نحوها وثبتت الجناية على صاحبها او مرتكبها امر بهِ فَجُدَّ فسيطَ بتلك الدِرَّة سَوْطًا مبرّحًا لا عقابًا لهُ على سرقتهِ بل لكونهِ لم يحسن السرقة او اخفاء الشيء المسروق بالدهاء المطلوب

وعليهِ فاذا كان شأن هؤلاء الاقوام على هذه الشاكلة فهل يُتوقَّع منهم تمدُّن او تديُّن او تحسُّن في الاحوال ؟ لا بذِي تسلمُ . بل والعقبــةُ الكؤود في سبيل ترقّيهم اخلاقُهم ففيها من الخشونة والشراسة والغدر والمكر ما لا يوصفهُ واصف ولا يقف على حدهِ واقف . ولذا ناصبتْهم الدول حربًا عوانًا للتخلُّص من عارهم . وابرزت الاوامر باجلائهم او دمارهم . اماَّ الدولة العليَّة فقد نظرت اليهم بعين الذل والهوان ولم تتنازل الى ابراز امرٍ يقضي بابعادهم لا بل فانها لا تأخذ منهم ضريبة من الضرائب ايَّةً كانت بل لا تقبل شكوى احدٍ عليهم لانها تعاملهم معاملة الدوابّ الهَمَل ونعم ما تفعل

على انهُ يستثنى من هؤلاءِ الرعاع نوَر الانكليز فانهم لما جاؤوا انكلترة كانوا على جانب عظيم من الحذر والخوف ثم طاب لهم المقـام فمنحتهم الدولة مِنَحًا وامتيازات خاصّة بهم حتى تجاسر ملكهم في أَيدِنبُرْج واسمهُ جورج سميث فاعترض على لائحة وضعتها الحكومة الانكليزيَّة سنة ١٨٩١ . وفي تلك البلاد عينها مُنتدًى ادبيّ للنور اسمهُ « مُنتدى التهذيب النوريّ » أُقيم سنة ١٨٨٨ ولاصحابهِ جريدة سياسيَّة ينشرونها لخير قومهم . فاذا استثنينا هؤلاء صحَّ القول انَّ النور قومٌ همج يعرفهم العاقل لاوَّل وهلة مهما اختلفت اسماؤهم لما يبقون بعدهم من سيّئ الآثار على حدّ ما قيل :

تلك آثارنا تدلُّ علينـا فانظروا بعدنا الى الآثارِ

الهواء الاصفر

وصايا صحيَّة لاتّقاء عدواهُ

لاساتذة مكتبنا الطبيّ

هذه الوصايا ابرزها مكتبنا الطبي سنة ١٨٩٠ وقد اتَّفق عليها اساتذتهُ بعد المداولة فنشروها حينئذٍ في بلاد الشام لمَّا فشا فيها الهواء الاصفر فاستفاد منها كثيرون . وقد اخذت العدوى تتهـدَّد اليوم بعض نواحي سوريَّة فرأينا ان نعيد طبعها خدمةً للوطن . وليست هذه الايضاحات بخلاصةٍ علميَّة للابحاث المتتبَّعة بشأن الهواء الاصفر بل هي بالحري تذكرةٌ عمليَّة يؤخذ منها ان الهواء الاصفر هو داء معروف وأنَّ العامل المُتلِف في هذا الداء هو نوع من الحشرات الوبائية (المكروب) وانهُ توجد وسائل تتخذ اماَّ لمنع دخول هذا المكروب في الجسم واما لتوقيف ضرره بعد دخولهِ . وقد ذُكر فيها اكثر الوسائل فاعليَّةً واشهرها عمليَّةً . ولا يُنكر وجود غيرها لم يتعرَّض لتخطئتها اصحاب هذه اللائحة لكنهم لم يريدوا ان يشيروا اليها لعدم وجود الدليل على فاعليتها

١ كيفيَّة العدوى بالهواء الاصفر

من المقرَّر الآن ان جرثومة هذا الداء انما هي حُيَيْوينات مِكْرُسكوبيَّة تتكاثر بسرعة غريبة عند وجودها في ظروف مناسبة وتموت عاجلًا اذا أُتخذت لها وسائل الوقاية المخصوصة

ويسري الوباء بالماء والخُضَر المقطوفة من على سطح الارض وبراز المصابين وتقيّؤاتهم والثياب الملوَّثة بها وذلك لوجود جراثيم الوباء فيها كما انها توجد ايضاً على سطح الارض القائم فيها المصابون فتجرُّها السيول فتتحلَّب حتى تصل الى مياه الشرب وتتكاثر فيها

امَّا الهواء فلا ينقل هذه الجراثيم وعليهِ فانَّ انتشار الوباء لا يكون بالاستنشاق ابداً وقد تبيَّن ووضح من الاختبار ان المعدة والامعاء اذا كانت سليمة فالجراثيم الداخلة اليها بالمجاري الهضميَّة تموت متلاشية عاجلًا بعُصَارات الهضم القانونيَّة

٢ احتياطات صحيَّة

في المأكولات

الماء = يجب قبل كل شيء استحضار ماء الشرب نقيًّا للغاية وعليهِ يجب الامتناع عن شرب ماء الآبار لانهُ تتولَّد فيهِ جراثيم الوباء سريعاً. فاذا لم يوجد غيرهُ يلزم ان يُغلى ويُبرَّد قبل ان يشرب. امَّا ماء شركة نهر الكلب فيمكن ايضاً ان تتولد فيهِ الحشرات إمَّا قبل دخولهِ في الانابيب (القساطل) وامَّا بعد اجتماعهِ في الاحواض (الحواويز). ويمكن الحصول على ماء نقيّ باغلاء الكميَّة اللازمة منهُ في كل يوم مرة او مرتين وحفظها بعد الغليان في زجاجات نظيفة ومسدودة

وامَّا الذين لا يستطيعون شرب الماء المُغلى فعليهم باخذ ماء معدني لا يدخل في تركيبهِ الَّا قليل من كربونات الصودا. ويُستحسن ان يُضاف الى كل هذه المياه كميَّة من الخمر فتجعلها اشد قوَّة

الحليب = يلزم اغلاؤُه باعتناء

الخضر والاثمار = يجب التحذُّر عموماً من الاثمار والخضر الغير الناضجة كالعنب والموز وما اشبه اذ هي قابلة العدوى

ويلزم ايضاً الامتناع عن الاثمار الفجّة والخضر النيئة المقلوعة من التربة او المقطوعة من على سطحها كالفجل والخس وما اشبه

واماً الاثمار والخضر المطبوخة فيسوغ استعمالها بغير مانع

غير ان الافراط في المشروبات والتغذية وكل ما يؤول الى عسر الهضم يساعد على تفشي المرض

نظافة الجسم

الايدي = من الواجب الضروري تنظيف الايدي والاظفار ولاسيما للذين لمسوا المصابين او غير امتعة ملوّثة . ١ً تُنظّف الايدي والاظفار باعتناء وعلى الخصوص الاظفار قبل كل اكلة بماء مغلى وصابون بفرشاة صلبة . ٢ً ثم تُغسل الايدي والاظفار بوضعها قليلاً في المحلول الاوّل المركب من سلفات النحاس او في المحلول الثالث المركب من السليماني (اطلب الصفحة ١٠٨٧)

الفم = يستحسن قبل اخذ الطعام ان ينظف الفم بماء ممزوج بسائل كحولي

ومماً هو في غاية الخطر تناول الطعام في غرفة المصاب بالداء

الالبسة = يلزم تجنُّب برد البطن والرجلين لان البرد يسبب الاسهال ويمهد السبيل للهواء الاصفر فيجب ان تكون الالبسة مدفّئة وينبغي للاشخاص الضعفاء البنية ان يلبسوا زناراً من الفلانلا وعلى الجميع ان يأخذوا الاغطية اللازمة في الليل خصوصاً

الادوية

لا يجوز اخذ المسهلات الّا بامر صريح من الاطباء . ويلزم ان تكون الحقنة مدبّرة بماء مغلى

المراحيض

يجب تطهيرها بالمحلول الثاني والرابع الوارد ذكرها (ص١٠٨٧) وعند تعذُّرها يجوز استعمال محلول سلفات الحديد المشبع غير انهُ اقلّ منهما فعلاً

٣ معالجة المصاب قبل حضور الطبيب

يجب الاعتناء بمعالجة الاسهال ولو كان خفيفاً

فحين ابتداء القيء والاسهال يجب على المصاب ان يلزم فراشهُ حالاً ويمتنع عن

الطعام ويعطى من المشروبات الروحية الثقيلة كالروم والكونياك والشارتروز والابسنت وما اشبه

وان يدفأ بانسجة محماة او بزجاجات ممتلئة ماء سخناً وبواسطة المَروُخات المحركة للدم (الفرك) كمزيج جزئين من الكحول وجزء من زيت التربنتينا . ويجب استدعاء الطبيب في الحال

واذا حدث المرض فيُفرد للمصاب محلّ متنحٍ او يُنقل الى المستشفى

٤ طرائق التطهير

انزع من غرفة المصاب جميع البسط والسجوف (البردايات) والانسجة التي لا حاجة اليها وكلّ ما من شأنهِ ان يتدنّس بسهولة لكن يسوغ لك ان تترك الحصر ويمكن احراقها عند الاقتضاء

واعتنِ كل العناية ان تتلقى في اناء ما يقذفهُ ويبرزه المريض وحذارِ ان تنتشر هذه المواد في الثياب والبسط . ثم طهِّر المواد المذكورة بالمحلول الثاني او الرابع كما سيأتي . ويستحسن ان تُلقى هذه الافرازات باناء محتوٍ هذا المحلول المضادّ العفونة

وهذا المحلول المطهِّر هو اشدّ فعلًا اذا صببتهُ غاليًا على الافرازات

ثم ضع حالًا في الماء الغالي كل قطعة ثياب قد استخدمها المصاب ويستحسن ان تغلى هذه الثياب جملة مرارٍ مع مهلة يوم او يومين بين كل غسلة بعد ان تضيف اليها من المحلول الثاني او الرابع المضادين للعفونة (راجع الصفحة ١٠٩٠)

المنزل = خذ المحلول الثاني او الرابع المانع العفونة وسخنهُ بقدر الامكان ثم اغسل منهُ بفرشاة صلبة غرفة المريض او على الاقل المحلات المدنّسة منها

وعند الشفاء التام يلزم اولًا : ان تغسل على النمط المذكور الغرف كلها . ثانيًا : ان يُحرق في هذه الغرفة من نصف اقة الى اقة ونصف من الكبريت المشرب بالكحول مفرقة في جملة آنية مخصوصةٍ لذلك وبعد ان تشعل الكبريت ينبغي ان تغلق الغرفة اغلاقًا محكمًا مدة ٢٤ ساعة . ثالثًا : ان تطلى (تطرش) جدران الغرفة بماء الكلس

وقبل استعمال وسائل التطهير هذه ينبغي تجنُّب الاقامة بالغرفة

٥ محلولات مضادّة العفونة

١ المحلول الاول لغسل الايدي

سلفات النحاس	١٢ غراماً
ماء مغلى	٠١ لتر

٢ المحلول الثاني لتطهير الافرازات والمراحيض وارض الغرف

سلفات النحاس	٥٠ غراماً
ماء مغلى	٠١ لتر

٣ المحلول الثالث لغسل الايدي

سليماني	٠١ غرام
حامض الطرطير	٠٤ «
ماء مغلى	٠١ لتر
محلول كحولي من احمر النيل (الانديكو) بنسبة ٥ في المئة	٠٢ نقطتان

٤ المحلول الرابع لتطهير الافرازات والمراحيض وارض الغرف

سليماني	٠٢ غرامان
حامض الطرطير	٠٨ غرامات
ماء مغلى	٠١ لتر
محلول كحولي من احمر النيل (انديكو) بنسبة ٥ في المئة	٠٢ نقطتان

(تنبيه) وفي المحلولَين الثالث والرابع لك ايضاً ان تبدل محلول النيل الاحمر بلون ازرق ايًّا كان

فالمحلولان الاول والثاني بسلفات النحاس هما كافيان

امَّا المحلولان الثالث والرابع فهما اشدّ فاعلية لكنَّ في استعمالها خطرًا فيما لو شُربا بلا انتباه

وجميع هذه المحلولات هي سموم فلا تستعمل الَّا خارجيًا فقط فحذار من تسخينها في الآنية المستعملة لطبخ الطعام

امَّا ما يستعمل من انواع الذرور والطلاء (الطرش) بالحامض الفنيك وما اشبه فلا قوَّة لهُ

ليس للهواء الاصفر شراب واقٍ تحققت فاعليتهُ . فمن يعتمد على المشروبات المزعوم انها واقية ويهمل وسائل التطهير التي لا ريب البتة في فاعليتها فهو يتعرّض للخطر بلا فطنة

كتاب النَّخْل والكَرْم للاصمعي

عني بنشرهِ وتعليق حواشيهِ الدكتور اوغست هفنر (تتمَّة لما سبق ص ٩٧٦)

كتاب الكرم

عن ابي حاتم السجستاني

ويقال قد اَجنى العنبُ واَجنى الكرمُ اذا خرج جناهُ (١ * وقال نَغْمُلُ العنبَ في الزَّبيل (٢ واذا اردنا ان نَعصرهُ جعلناهُ قبل ذلك في الزَّبيل فلا يرى الشمس حتَّى يشرب العنبُ ماءَ العيدان . والغَمْل جمع العنَب في الزَّبيل بعضُهُ على بعض * وقالوا حَشَفُ العنب ضامِرُهُ مثل حَشَف التَّمْر (٣ * فاذا غرسنا العِنَب عَمَدْنا الى دعائم (٤ فحفرنا لها في الارض من هذا الجانب دِعامةً بحيال هذه الدِعامة لكل دعامةٍ شُعْبَتان . ثم نجيء بخشبةٍ فنعرضها عليها طَرَفُها بين شُعْبَتَيْ تلك الدعامة الأُخرى وتسمَّى هذه الخشبة المعروضة بالاُطَر(٥ المِسْطَحَ . ونجعل على المساطح (٦ أُطَرًا من ادناها الى اقصاها (ص ٢٨٠) فتُسمَّى المساطحُ بالأُطَرِ مساطِحَ . وجمع الدِّعامة الدِّعم والدَّعائم * والشَّحْطَة عودٌ تُرْفَع بهِ الحَبَلَة حتى تنتقل الى العريش (٧ * المِرْزَحة (٨

١) يقال اَجنَى التَّمرَ اي ادرك واَجنت الشجرة اذا صار لها جَنًى يُجنَى فيؤكل

٢) غملهُ في الزَّبيل اذا نضَّد بعضهُ على بعض . ويروى : غمَلهُ في الزِّبْل

٣) حَشَف التَّمر ما لم يَنْوِ فاذا يبس صَلُب وفسد لا طعم لهُ ولا حلاوة

٤) قال ابو حنيفة : الدعائم الخشب المنصوبة للتعريش

٥) الأُطَر والإطار جمع أُطرَة وهي قضبان الكرم تُلْوَى للتعريش

٦) ويروى : مساطيح

٧) وفي اللسان : حتّى تَستقلّ الى العريش

٨) ويقال المِرزَح ايضًا

خشبةٌ يُزْحَر بها العنب اذا سقط بعضُهُ على بعض اي يُدْفَع بها * والخُصاصة ما يَبقى من الكرم بعد قطافهِ العُنَيْقيد الصغير هاهنا وهاهنا الشيء القليل والجمع الخُصاص . (وقال حِصاد العنب وقِطافهُ مكسوران) * والكِظامة رَكايا الكرم بعضُها الى جنب بعض نَسَقًا واحدًا ثمَّ قد افضى بعضُها الى بعض كأنَّها نهرٌ قد انبطر (١ ممَّا يلي تلك الركايا فهي تجري . والرَّكايا المحفورة بعضُها الى جنب بعض تسمَّى الفُقُر والواحد الفقير . والكظامة النَّهْرُ اجمع قد فَقَروا بعضَها الى بعض اي قد افضَوْا . والكِظامَة لها جَدْران جدْرٌ من هذه الناحية وجدْرٌ من هذه الناحية وهما حافَتاها . وقد كَظَمَ الكظامة بجَدْرين . والجَدْر طينٌ حافَتيها * والطَّيُّ (٢ يُسمَّى الدَّبْل وهي مَدْبولة بالطين والحجارة اي مطويَّة تُطْوَى بالحجارة فربَّما قَصُرَ الحجر منها فلا يَلْحَق باخوانهِ فيُجْعَل تحتَهُ حُجَيرٌ صغير ليرفع الحجر فذلك الصغير (ص ٢٨١) يسمَّى الوَشيطة وهو المكان من المكانين اللذين فيهما العنب وليس فيهما شيء . ونسمّيهِ المَحْجَر والجمع المَحاجر . وهو الرَّكيب والجمع الرُّكُب (٣ * والعَذِبة الجدار او التُّراب بين الركنَيْن . وقد فَقَروا الفُقُر بعضها الى بعض اي افضَوْا بعضها الى بعض * وتُعَدّي المِسْطَح على الدعائم اي تجرُّهُ عليها على طولها . وقد عَدَّيْتُهُ عليها . والمِسطح هاهنا الاطار وقد اعترش * ويُجْرَن العنب في الجَرين اي يُجْمَعُ فيهِ وقد اَجرَنْتُهُ . وجمع الجَرين الجُرُن * وقالوا والخَرْق الذي يدخل منه الماء الحائط يُسمَّى القُتْرة (٤ * والخشَبَة الجوفاء (٥

١) لم نجد لوزن انبطر ذكرًا في المعجمات .

٢) يقال طوى الركيَّة طيًّا اذا فرشها بالحجارة

٣) ما بين الحائطين من الكرم وقيل هو ما بين النهرين من الكرم

٤) القُترة صنبور القناة . وفي الاصل العترة وهو تصحيف

٥) وفي الاصل : الحوفاء بالحاء

التي تُجعل في القُترة فمنها يدخلُ الماء حتّى لا يأكلَ الماءُ الحائطَ تسمّى السَّرَب * والزَّبيل الذي يُحمَل فيه العنب الى الجرين هو المِكْتَل (١ والمِحْمَل. والحامِلة ايضًا هي ذاك الزَّبيل * واصلُ العُنقود يسمّى المِقْطَف. والحصلة العنقود

* (ضروب العنب) اَجوَد العنب الابيض اطرافُ العذارى والضُّروع وهما متقاربان كلٌّ واحد يُشبه صاحبَهُ. يقال هذا عنقودٌ من الاَطراف (ص ٢٨٢) * والاسود الغِرْبيب وهو ارقّهُ واجودُهُ * والنوّاجيُّ والنُّوّاسيُّ (الواو مشدَّدة) والخَنشيُّ وعيونُ البقر (٢ والنُّواسيُّ الشاميّ والدَّوالي (ساكن) الياء والمُلاحيُّ (اللام مخفَّفة) وانشد للاصمعيّ:

ومن تعاجيب خَلْق الله غاطِيةٌ يُعصَرُ منها مُلَاحيٌّ وغِرْبيبُ

(قال أنَس: فاتمتُ في ذلك نِفطَوَيْهِ في بغداذ فقلتُ: إجماعكم ومَن تقدَّمكم من ائمّة اللغة على تخفيف هذا الاسم « مُلَاحيّ » واحتجاجكم بهذا البيت عَلَامَ بنيتموه. قال: لا تُشدِّد الّا الياء. قلتُ: الياء ياء النسبة لا بدَّ من تشديدها ولكن اللام. قال: هكذا رويتُ. قلتُ: فاين انتَ من قول ابي قيس بن الاَسلت:

وقد لاحَ في الصُّبح الثريّاً لمن يرى كعنقود مُلّاحيَّةٍ حين نوّرا

وهو احسنُ بيتٍ قيلَ في تشبيه الثريّا. قال: لا اعرفهُ. قلتُ: عُذْرُكَ لا تعرف هذا فاين انت من قول اهيب بن سماع صاحب الرسول:

خطوفُها والثريّا النجمُ وافقهُ كانّما قطفُ ملّاحٍ من العنب

قلتُ وهاتان الشديدتان هما الوتَد من الشعر ولا يجوز اسقاط التشديد منهما لانَّ الوتد ركنُ الشعر. قال: لا ادري)

قال ابو حاتم: ومن العنب الرَّعْناءُ عنبٌ لهُ حبٌّ طويل والجُرَشيُّ والقُبُوعيّ (ص ٣٨٣) من العِنب والاِقماعيُّ الفارسيُّ والاقماعيُّ العربيُّ *

---

١) ويقال المِكتلة ايضًا. وقيل انَّ المكتل يسع خمسة عشر صاعًا

٢) قيل ان عيون البقر ضرب من عنب الشام. قال ابو حنيفة: هو عنب اسود ليس بالحالك عظام الحبّ مدحرج يزبّب وليس بصادق الحلاوة

والجوزة عنبٌ ليس بعظيم الحبّ غير انهُ يصفرّ جدًّا اذا يَنَعَ (قال: وكذا قال الطائفيّ: قال ابو حاتم: والجيّد أَيْنَعَ يُونِع ويَنَعَ يَيْنَعُ) * والنَّوَّاسي عناقيدهُ طوال كأنَّها اذناب الثعالب .

ويقول العرب في العِنَب انَّهُ لشَحم(١ اذا كان ريَّانًا . والرمَّانة ريَّانةٌ اذا كانت ضخمة الشَّحْم * وحبُّ كلّ شيء ثقيل الباء الّا حُبَّةَ العِنب وحَبَ السَّفرجل وحَبَ القَرْع واحدتُهـا قَرْعة * وعَصير العنب يسمَّى عصيرًا وفضيخًا لانهُ يُفْضخ * ودِبْس العِنَب يُسمَّى الرُّبّ . (انتهى قول الطائفي)

قال ابو حاتم: قال ابو الخطّاب: العِنَب اوَّل ما يُغْرَس يكون غَرْسَةً ثمَّ تُصْرَم في قَمَر قابلٍ اي يُقطع من غصونها ما يَبِس منها اجمع حتى يبقى منها اصلها . ثمَّ تخرج لها شُكُر وهي اغصانهـا واحدُها شَكِير حتَّى تستبين اغصان رطاب متفرّقة قصار . ثم تُشحَط فتوضع الى جنبها خشبة حتى ترتفع عليها * والحَبَلَة والجَفن الاصل * والشَّـكير اذا طال فهو النامية * ويَخرجُ في النوامي الحُجُن * فاذا بدت رؤوسهُ (ص ٢٨٤) كان فُطْرًا * ثمَّ يكون زَمَعًا اذا كان مثـل رؤوس الذَّرّ * يكون بَرَمًا اذا كان فُوَيق ذلك * ثمَّ يكونُ حَثَرًا حتى يصير مثـل الجُلْجُلان (٢ * ثمَّ يكون نَفَضًا (متحرّك الفـاء) حتى يأخذ بعضهُ ببعض او ينتفض * ثم يُجَدِّرُ اذا كان فُوَيق ذلك . (قال) يخرج مثل الجُدَري ثمَّ يكون غضًّا ثمَّ يرقُّ حتى يلين ويطيب * والحبُّ الذي بينَ الحبّ العظـام نسمّيه الحَمْنان * واذا لم يَرْوَ الغصنُ خرج حبُّهُ متفرّقًا ضعيفًا فهو الخُصاصةُ والحِصْرِمُ . واذا لم يَرْوَ لم

١) وفي اللسان . عِنب شحمٌ قليل الماء غليظ اللّحاء
٢) الجلجلان ثمرة الكزبرة وقيل هو حبُّ السِمسم

يُدْرِكَ ولم يعظُم * والثفاريق اَقماع الحبّ والواحدة ثُفْروق * والرَّوَّاء (كذا) (الالف ممدودة) وهو ما يسقط في اصول حَبَلهِ وضَمُرَ * والجثيث (١ والقَثيث ما تساقط في اصول الشَّجَر. انتهى قول ابي الخطّاب

وقال ابو عليّ الجَعدي: كلُّ اَصلَةٍ من العنب حَبَلةٌ. والقُضْبان الطوّال الشُّكُر والواحدة الشَّكِير. وتلك التي تُعَلَّق بها الحَبَلة بالشجر تسمَّى العِطفة قال الشاعر:

تَلَبَّسَ حبُّها بدمي ولحمي تَلَبُّسَ عِطفَةٍ بفروعِ خالِ

(قال) وانَّما قال «عِطفة» للرويّ ونحن نسمّيها «عَطَفة»

ويقال (ص٢٨٥) جَصَّصَ العنب والشجر وهو اوّل ما يُرى منهُ شيء قد خرج * وقد نبت العنب والشجر وهو اوَّل ما يُرى من خضرتهِ * والمُحمِّض الحامض من العنب اي من اخضرهِ * وقد يَنَعَ العنب وصَلُح اذا نضج * وقد اَزهر العنب وقد طار الزَّهَر عن العنب وهو ان يُخرج زهرهُ اي نَوْرَهُ. وقد ازهر العُنقود اذا أُكل ما عليهِ * وهو العِذْق والجميع العُذوق * والشُّعْبَة من العُنقود الشِّمْراخ (٢ منهُ ولا يُسمَّى شِمْراخًا ولكنهُ تفسيرٌ منهُ. وقد شَعَبَ فلانٌ من العُنقود شعبةً اي قطعها منهُ * والخِلْفة شيء يحملهُ الكرم بعد ما يسودّ العِنَب فيُقْطف العنب وهو غضٌّ اخضر ثمَّ يُدرِك كذلك فذلك الخِلْفة. (ويقال يُحمَل منهُ حطاب بعد ما يفرع اي بعد ما يخرج كلُّهُ وينضج وهو الخِلفة في العنب والنِضاج في جميع الشجر. (وهو في النخل اللَّحَقُ (٣ واللَّحَق ان ينبت النَّخل في العِذْق بعد ما يصفرّ

---

١) في اللسان انَّ الجثيث ما يسقط من العنب في اصول الكَرْم ٢) الشِمْراخ والشُّمْروخ المِشكال الذي عليهِ البُسْر واصلهُ في العِذق وقد يكون في العنب (اللسان)

٣) جاء في اللسان: اللَّحَق في النخل اَنْ يُرطب ويُتْمر ثم يخرج من بطنهِ شيء يكون اخضر قلَّما يرطب حتَّى يدركهُ الشتاء فيسقطهُ المطر وقد يكون نحو ذلك في الكرم

اي يحلو فيُقطع فينضج . وقد اَقْطَعَ النخلُ زعم(١ فيُلْقَح اوَّل ما يخرج ثمَّ يخرفُ بعدُ . قال: ورَطْبةُ اللَّحقة طيّبةٌ يقول احدنا لصاحبهِ (ص ٢٨٦): اتدخلُ تحت العنب فتلقط من الخِلْفة اي ادخلْ وقد خرج في النخل لَحَاقٌ)

حبُّ العنب يسمُّونهُ النَّواء (كذا)* وتُفْسِل العنب بان تقطع اغصانهُ وتغرسُها كما تُفسِل الفسيل (٢ * وقال ابو عليّ الجعديّ: السُّمُك التي يُرْفَع بها العِنَب من الخشَب والواحد السِّماكُ * والتي تُعَرَّض فوقها السُّمك العوارضُ* والعَوَاصر حجارة يُعصَر بها العنب وهي ثلاثة احجار بعضُها فوق بعض يسيل منها العصير . وتحت العواصر(٣ رُقعة اسمها الرِّكْوَة . والعَوَاصر الأَرْحاء كلٌّ واحد منها رَحًى * وقال الجُذَامي: العنب عندنا اَصيل (٤ . قلتُ: وما الاصيل . قال: الكثير اصلًا * وقال: الزَّرَجُون شجر العِنَب وكلُّ شجرة زَرَجونةٌ . وامَّا الاصمعي فقال: الزَّرَجون بالفارسيَّة زَرَقون اي لون الذهب * وقال الجذامي: نَبُّ العنبَ اذا ما قطع عنهُ ما ليس يحمل او ما قد آذى حملَهُ وهو يُقطع من اعلاهُ * والعُرْجود (بالدال غير مُعْجمة) من العنب اوَّل ما يخرج امثال الثآليل . والعرجود ايضًا اصل العِذق وهو الاِهان (ص ٢٨٧) . وقال هو من العنب عُرْجودٌ صغيرًا فلا يزال عُرْجودًا حتى يُقطع عنبهُ * والحِصْرِم ما طال من نبات العنب شيئًا *

١) كذا في الاصل ولعلَّهُ تصحيف « بَرْعَمَ »

٢) الفسيل اوَّل ما يُقلَع النخل فيغرس والجمع الفسائل والواحدة فسيلة والفَسل اوَّل قضبان الكرم للغرس . واَفسَل الفسيلة انتزعها من امّها واغترسها

٣) هذا الصواب وفي الاصل: تحت العوارض

٤) وجاء في اللسان: يقال انَّ النخل بارضنا لأَصيل اي هو به لا يزال ولا يفنى

وقد مزّجَ (١ العنب اذا ما لوّز * والقَطف العنب اذا ما كان غضاً حتى يُقطَف اي يُدرك والجماع القُطوف . يقال ما احسنَ قطوفهم . قال : وناس من اصحاب الكرم يجمّون (٢ العنب كلّ عامٍ ولا يعرشون (٣ . والجمّ ان تُقطع من وجه الارض ثمّ تنبت . وناسٌ يَعرِشون * والدِقران الخَشب الذي يُنصَب في الارض ويُعرّش عليهِ العنب والواحدة دِقرانة * وقال الجِباب الركايا تُحفر فيُنصب فيها الحَبَل اي يُغرس كما يُحفر للفسيلة من النّخل والواحد الجَبّ * والرَّهوة الارض المشرفة المستوية * قد قبَّع كرمَهُ اذا ما حفر الدِقران حَفرًا يُثبتهُ فيها * والسُّربَة (٤ الطريقة من شجر العنب كلُّ طريقة سُربَة * والجَفنة شجرة الكرم * والعَلفق (٥ ورقُ الكرم

(اسماء الخَمر ونعوتها عن الطائفيّ (٦) قالوا هي الخَمر وهو الخَمر (موَنَّث ومذكَّر لغتان) والمُشَعشَعة (ص ٢٨٨) والمُدامة والاسفنط (وقال ابو الرُّقَيش : الاسفنند (٧ والطِّلاء والبابليَّة والعانيَّة والشَّمول والصَهبَاء والقهوة والخُرطوم والسُّلاف والخَندريس والشَّمُوس والجِريال والعُقار والقَرقَف والحُمَيَّا . قال ابو سعيد : والرَّساطون بالروميّة

فامَّا (الخَمر) فاسمٌ جامع والجماع الخُمور . والمُشَعشَعة المَمزوجة . شَعشِعوها اي مَزَجوها . قال الاصمعيّ : كلُّ شيء مُزِج فأُرِقَّ مزجُهُ فهو مُشَعشَع . ورجل شَعشَاع الجسم (٨

---

١) وفي وفي الاصل : مرج وهو تصحيف . قال في اللسان : مزَّج السنبل والعنب اصفرّ بعد الخضرة

٢) جمَّ العنبَ واجمَّهُ اذا قطع كل ما فوق الارض من اغصانهِ (عن ابي حنيفة)

٣) عَرَشَ الكرم وعرَّشهُ عمل لهُ عرشاً وعرشُ الكرم ما يُدعم بهِ من الخشب وجمعهُ عُرُوش ويقال عريش ايضاً جمع عُرُش

٤) وفي اللسان : السُّربة الصفُّ من الكرم . وجاء في مادة شرب : والشَّرَبَّة الطريقة من شجر العنب

٥) وفي الاصل : العَقَلَق وهو تصحيف

٦) لابن السكّيت فصل واسع في كتاب تهذيب الالفاظ عن اسماء الخمر واوصافها تشرح هذا الباب وتوضحهُ (راجع الصفحة ١٢١–٢٢٣ من طبعة المطبعة الكاثوليكية)

٧) وفي الاصل الاصفنط والإصفند بالصاد

٨) رجل شَعشاع وشَعشَمان اذا كان طويلًا خفيف اللحم

وقال الطائفي : (والمُدامة) الخَمْر الكثيرة بين الرجال لا تُنْزَف لكثرتها . يقال : مُدَامة ومُدَام سواء * (والاسْفَنْط) من اسمائها وانشد الاصمعيّ للاعشى :

وكأَنَّ الخَمْرَ العتيق من الاِ م سْفِنط ممزوجةً بماءِ زُلالِ
باكَرَتْها الاَعْرَاب في سِنَةِ النو م وتجري خلالَ شوك السَّيالِ (١

ثمّ قال : والاِسْفَنط ليس بالخمر انّما هو العصير تجعل فيه افواهٌ فيُعتَّق (ص ٢٨٩) * (والقِنْدِيد) مثل الاسفنط * (والطِلاء) الذي لم يمزَج (٢ وانشد الطائفيّ :

حسبتَ طِلاء الخَمْر حينَ شربتُهُ بدُومَةَ شُرْبَ الرائبِ المتفرّقِ

(والبابليّة) منسوبة الى بابل (٣ * والعانيّة منسوبة الى عانَةَ قرية بالجزيرة لقربها من بلاد العرب . ويقال لها عانات * (والشَّمُول) قال الاصمعيّ : لها عَصْفَةٌ كعَصْفَة الريح الشَّمال * (والصَّهْبَاء) قال الاصمعي : هي التي من العنب الابيض وانشد فيها :

امَّا العَيدُ فاني سوف اَصْبَحهم صَهْباء اَحْرَزَها في رأسهِ الحَمَلُ
امَّا الكلابُ فاني سوف أُوثِقها فلا تَصَدَّدْ فانَّ الوحش تُحْتَبَلُ

ثمَّ قال : ومن اسمائها القَهْوة (٤ والرَّاح والرَّحيق والرازقيّ * والإناء الذي يُسقَى بهِ الابْرِيق وانْشَد : « إبْريقُها خَضِلُ » يقول لا يفارقها ابدًا . والخَضِلُ النَّديُّ * وقال الطائفيّ : (الخُرْطوم) اسمٌ من اسمائها . وقال الاصمعيُّ : الخُرطوم اوّل ما يخرج من الدنّ اذا بُزِل وانشد للعجّاج :

صَهْبَاء خُرْطُومًا عُقارًا قَرْقَفا

وانشد : جادَت لها من ذوات القارِ مُتْرَعةً كَلْفاء يَنْحتُ من خرطومها المَدَرُ

(كلفاء اي سوداء) وخُرطوم الخمر زعم حدُّها حين تنحدرُ من الابريق . (قال) والخمرُ نفسُها اسمُها الخرطوم * وقال الطائفيُّ : السُّلاف والسُّلافَة الخالصُ منها . قال الاصمعيّ : هو اوّل ما يُبزَل منها . واوّل كل شيء سُلْفَةٌ * والخَنْدَرِيس اسم من اسمائها . قال ابو سعيد السكّري : قال اخبرني الرياشيّ والزياديّ عن الاصمعيّ قال يقال : حِنْطَة خَنْدَرِيسة اي عتيقة (ص ٢٩٠) (قال) ولا ادري الى ايّ شيء نُسبت * قال (والشَّمُوس) مَثَلٌ لانها تَجمَح بصاحبها * قال (والجِرْيال) شيء احمر ربّما جُعل صبغًا وربّما جُعل للخمر . (قال) واظنُّ انهُ اسم لها رومي معرَّب (٥ * وقال الاصمعي : يقال الكُمَيْت والقَرْقَف والراح والعُقار والمُزَّة (٦ والحُمَيَّا والنِّطاف والعَجُوز وامُّ لَيْلى والصَّفْراء والعُفَارطة وانشد :

١) ويروى : باكرتها الاعراب : والسَّيال شجر سبط الاغصان
٢) وقيل الطِلاء ما طُبِخ من عصير العنب حتَّى ذهب ثلثاهُ
٣) موضع بالعراق ينسب العرب اليهِ السحر والخمر
٤) قالوا سُميت بالقهوة لانَّها تُقهِي شاربها عن الطعام والخمر اي تذهب بشهوتهِ
٥) يقال الجِرْيال والجِرْيالة والجِرْوال وهي الخَمْر الشديدة الحمرة وقيل الجريال لونها الاصفر والاحمر وهي معرَّبة كِرْيال الفارسية ومعناها الزعفران والذهب
٦) المزَّة والمُزّ والمُزَّاز الخمر اللذيذة الطعم سمّيت بذلك لانها تلذع اللسان

اخو ندًى ما يشرب العفارطة

قال الاصمعيّ: يقال لها (العُقَار) لانّها عاقرت الدنَّ زمانًا . ويقال قد عاقر الرجلُ الشُّرْب اذا لَزِمَهُ * (والقَرْقَف) التي يُقَرقِف عنها صاحبها تأخذهُ عنها رِعدَة * (والحُمَيَّا) سَوْرة الشراب وَصَدمتُهُ في الرأس وحَمِيًّا كل شي شدَّتهُ * (والمُعَتَّقَة) التي أُطيل حبسها في الدنّ * (الكُمَيْت) لون الخمر الى الكُمتَة . وانشد:

كُمَيْت كماء النيّ ليست بخَمْطَةٍ ولا خَلَّةٍ يكوي الشروبَ شهابُها (١

(الخلَّة الحامضة . والخَمْطَة التي تغيَّر طعمها وفيهِ حلاوة . وقيل الخَمْطة التي اخذت شيئًا من الريح كريح النَّبِق والتفّاح وقيل هي الحامضة مع ريح)

قال الطائفي: اذا اردتَ صنعة الرُّبّ اخذت من الغِربيب (ص ٢٩١) والاقماعيّ الفارسيّ او الاقماعي العربيّ او النُّؤاسيّ ما بدا لك حين يَعقِد فتُغْمِلُهُ واغمالهُ ان تجعلهُ في غرارةٍ او مِكتَلٍ وتصبّ بعضهُ على بعض فتدعهُ في الشمس ثلثًا او اربعًا ثم تفضخهُ ثمَّ تصفّيهِ ثمَّ تجعلهُ في قدر متوقّد وقودًا غير شديد وتُخرج رغوتهُ وزبدهُ وتطبخهُ حتى يعقد (وقال غير الطائفي: غَمَلَهُ ويَغمِلَهُ)

وان اردت صنعة المَريث اخذتَ ثفاريق العنب والجُبَة فيبَّستها ثم دققتها دقًّا شديدًا ثمَّ بَلَلْتَها بفضيخ العنب شيئًا ثمَّ تَلُتُّهُ برغوة الربّ ثمَّ شي. من ربّ تخلط فيهما شيئًا من سويق البُلْسُن وهو العدَس فتكبُّهُ بهِ . وقال بعضهم المَريث يُعمَل من سويق البُلْسُن ومن البَهش (٢ يعني المُقْل ومن النَّطل (٣ ومن الثفاريق ومن الخَدَل (والخَدَل شجرة تكون بتهامة يقال لها الاعاليف) . فذلك ما كان طُحن ثمَّ سُقي الربُّ . والخَدَل يُعمَل من الطَّفَق وهو ممّا وصف الحمصيص يُرَبَّب بعصير العنب ثمَّ يؤكل (٤

وان اردتَ (ص ٢٩٢) صنعة الخلّ اخذت من العنب ما بدا لك فتنزع ثفاريقهُ وتُلقي بعضَهُ على بعض في جرَّةٍ وتتركهُ حتى يجود ثم تصفّيهِ فتعزل ماءهُ الاوَّل وتصبُّ على النطل من الماء ما يغمرهُ فاذا احتيج اليهِ صُفّي ماؤهُ واستُعمل وتُرك الماء حتى يُدرك . وقال آخر: يُصبّ على العنب مِثلاهُ من الماء ويُترك حتى يحذق اي يحمض ثم يصفّى ويُصبّ مثلها يؤخذ منهُ ولم يُصفّ (تمَّ كتاب النخل والكرم ونعوتهما)

---

١) ويروى: يكوي الوجوه شهابها ٢) البَهْش المُقْل الرَّطب

٣) قيل النَّطل خُثَارة الشراب . والنَّطل ما على طعم العنب من القشر وقيل هو ما يرفَع من نقيع الزبيب بعد السُّلاف

٤) اوردنا هذا الفصل كما وجدناهُ في الاصل وفيهِ بعض التصحيف لم نتمكن من اصلاحهِ

مطبوعات شرقية جديدة

Dictionnaire des Antiquités Grecques et Romaines
par Darenberg et Saglio, *Paris*, *Hachette* (fasc. 31 et 32)

معجم العاديَّات اليونانية والرومانية

انَّ الاكتشافات اليوميَّة التي يُعنى بها الاثريون علم العاديَّات اليونانية والرومانيَّة حمل عالمين افرنسيَّين اسمهما دارنبرغ وساليو على ان يباشرا معجماً جديدًا موسَّعاً يحتوي كلَّ ما من شأنهِ ان يفيد الباحثين عن آثار اليونان والرومان. ولمَّا كان عملٌ كهذا يقتضي رجالًا ضليعين بالعلوم القديمة لا يخفاهم شيء من الاكتشافات في كل انحاء المعمور التجأ العالمان المذكوران الى اشهر الاثريين ليكتب كلٌّ منهم المادَّة الخاصَّة بهِ ممضاةً باسمهِ لتزيد بذلك ثقة القرَّاء. والمعجم المذكور بلغ اليوم ستَّة مجلَّدات ضخمة وقد اطَّلعنا على الملزمتين الحادية والثانية والثلاثين المحتويتين آخر حرف اللام واوَّل الميم في الافرنسيَّة (Lud-Med) وفي املنا انهُ لا يعزّ على مؤلّفي هذا المعجم السنة او السنتان حتى ينتهيا من نشرهِ فيخدما بذلك العلوم خدمةً تُذكر فتُشكر. ولا يسعنا هنا ان نصف كلَّ موادّ هذا التأليف النفيس بل يضيق المقام عن تعداد اسماء مقالاتهِ. وحسبنا ان نقول بانَّ كلَّ احوال الرومان واليونان من دينهم وخرافاتهم وفنونهم ومعلوماتهم واساطيرهم وعاداتهم وشرائعهم ومعاملاتهم موصوفةٌ وصفاً مدقَّقاً مستندة الى اصدق التواريخ والآثار. هذا ونثني على كتبة هذا المعجم عفاف قلمهم في بعض الموادّ القذرة صيانةً للآداب. الَّا انَّنا كنَّا نودّ لو اظهروا في حكمهم عن بعض فظائع الوثنيَّة انفةً وصرامةً اعظم وبيَّنوا بوجيز الكلام منافاتها للطباع السليمة وللعقل الصائب. وممَّا يزيد الكتاب شأناً التصاوير العديدة التي تصحب كلَّ مادَّةٍ وتساعد على فهمها. فنشكر لطبعة هاشِتْ نشرها هذا المعجم الجليل ونحضّ اهل العاديات على مطالعتهِ ف. جوليان

Le livre de l'art du traitement de Nejm ad-Dyn Mahmoud
Texte-Traduction-Glossaires, par P. P. E. Guigues Beyrouth, 1902.

كتاب الحاوي في علم التداوي لنجم الدين محمود الشيرازي

قد وصف حضرة الاب كولنجت في جملة ما وصف من المخطوطات الطبيَّة المصونة في مكتبتنا الشرقيَّة (راجع المشرق ٤ : ٧٢٤) هذا الكتاب النفيس واثبت انهُ لنجم

الدين محمود ابن ضياء الدين الياس الشيرازي من اطبَّاء القرن السابع للهجرة. فاحبَّ الاستاذ بطرس غيغ مدرّس الصيدلة في مكتبنا الطبيّ ان ينشر منــهُ مقالتهُ الخامسة المحتوية على ذكر الادوية المركَّبة وكيفية تركيبها واستعمالهــا وهو فصلٌ مهمٌّ لتاريخ الصيدلة ولم يكتفِ بذلك بل نقل هذه المقالة الى الافرنسيَّة وعلّق عليها حواشي دقيقة والحقها بمعجمين عربيّ وافرنسي ثم افرنسيّ وعربيّ لاسم الادوية واضاف اليهما معجماً تاريخيًا للالفاظ الاجنبيَّة المنقولة قديمًا عن العرب في كتب المترجمين اللاتينيّين الاقدمين. وممَّا يُستحق الذكر مقالة واسعة صدَّر بها جناب الاستاذ ترجمتهُ ضمَّنها لمعةً تاريخية عن اقراباذينات العرب وموادّهم الطبيَّة. فهذه الخلاصة كافيةٌ لتبيّن للقرَّاء ما لهـــذا الكتاب الجليل من الشأن الخطير ولا غرو فان كليَّة باريس قد اثنت عليهِ ومنحت صاحبهُ امتيازات الدكاترة. فنضيف نحن ايضًا تشكراتنا لاستاذ مكتبنا الطبيّ ونرغب اليهِ ان يواصل نشر مثل هذه الآثار الدفينة فيحييها ويبيّن فضل اجدادنا في العلوم الطبيَّة والصيدليَّة

Farazdak's Lobgedicht auf al-Walîd ibn Jazîd
nebst Einleitung über das Leben des Farazdak.
Inaugural-Dissertation von J. Hell, Leipzig, 1902
ترجمة الفرزدق وقصيدتهُ في مدح الوليد بن يزيد

سبق لنا في المشرق (٣: ١٠٥٢ و٥: ١٠٤١) ذكر ديوان الفرزدق وطبعتــهُ على يد تريل مدرستنا الاديب يوسف هِلّ. وهو التأليف الذي قدَّمهُ لكليَّة مونيخ دلالةً على اهليَّتهِ لنوال الملفنة وقد ألحق هذا العمل بمقالةٍ المانيَّــة في ترجمة الفرزدق واحوالهِ وتعريف مقامهِ بين شعراء عصرهِ كالاخطل وجرير. وضرب مثـــالًا عن ذلك بشرح قصيدتهِ البائيَّة التي قالها في مدح الوليد بن عبد يزيد. وقد اتحفنا جنابهُ بنسخةٍ منهـــا اطَّلعنا عليها فتحقَّقنا انَّ خرّيج مدرستنا لا يدرك اسرار اللغة العربيَّة فقط بل يحكم آدابها وتاريخ شعرائها. فنهنّئ جنابهُ ونتمنَّى ان يفيد غيرهُ من اهل جلدتهِ بما احرزهُ من المعارف في الشرق

كتاب امنيَّة الالمعيّ ومنيَّة المدَّعي

للقاضي رشيد الدين ابي الحسن احمد بن علي بن الزبير الاسواني

يحتوي هذا الكرَّاس مقامةً رمى بها مؤلّفها غرض الفكاهة وامــلاها بلسان

الدعابة على نهج استوجب الانبساط اليهِ والاقبال عليهِ. ومضمونهُ مناظرة ادبية بين عشرين علماً مع شرح لصاحبها الاديب اختصرهُ من الاصل مع زيادات في بعض المواضع العلاَّمة الشهير الشيخ طاهر افندي الجزائري. وهو مطبوع في « ايلياء » بنفقة مصححهِ محمَّد افندي محمود الحبَّال في ربيع الثاني من السنة ١٣١٨. وفي صدر المقالة ترجمة المؤلف وفي آخرها تتمَّة لحضرة الشيخ الموما في العلوم واقسامها ومواضيعها وغاياتها طُبعت سنة ١٣٢٠. فنثني على همَّة الشيخ والمصحح ونحثُّ ارباب الادب على مطالعة هذا الاثر الجليل

تقويم البشير لسنة ١٩٠٣

ظهر هذا التقويم لاوَّل مرَّة منذ خمس وعشرين سنة وهو لا يزال جارياً على خطَّة واحدة محتوياً من الاعلامات والافادات ما لا يوجد في غيرهِ كتعريف الروزنامات والاعياد والظواهر الجويَّة واسماء الرؤساء وتعريفات البوسطة والتلغراف والبواخر والسكك الحديدية وكلُّ ذلك بتدقيق احرز لهُ ثقة القوم. وممَّا اجدَّهُ في هذه السنة تاريخ وفاة الرؤساء الروحيين في العام المتصرم مع فوائد صحيَّة في آخرهِ. وهذا التقويم يطبع باللغتين العربيَّة (ص ٨٩) والفرنسيَّة (ص ٧٥)

تقويم المشرق

لم ينسَ قرَّاء مجلَّتنا التقويم الجميل الذي اتحفتهم بهِ مطبعتنا في العام الماضي مع نقوشهِ البديعة على الطرز الشرقيّ. وها قد انجزت لهذا العام المقبل تقويماً آخر لا يحسد اخاهُ البكر في شيء من جمالهِ الَّا انهُ اصغر حجماً. ومن محسّناتهِ انهُ قد جُعلت لكل يوم ورقةٌ خاصَّة دُوّنت فيها بالعربيَّة والافرنسيَّة الحسابات الثلاثة الغربيُّ والشرقيُّ والهجري مع اوقات الشروق والظهر والغروب وفي ذيل الورقة حكمةٌ او فكاهة او شعر نُقل في الغالب عن ائمَّة كتبة العرب. وقد طُبع هذا التقويم على الحجر طبعاً في غاية الاتقان بالوان زاهية ل. ش

شذرات

المناطيد قد صمَّم اصحاب المناطيد على السباحة في الجوّ

فلا يرعون حتى يؤوبوا بالسهم الفائز. وممّن استلفت اليهِ الابصار فادهش ببراعتهِ عيون الناظرين المستر ستانلي سپنسر فانهُ في اواخر ايلول المنصرم حلّق في الهواء راكبًا منطادًا نفخهُ بالهيدروجين واتّخذ لهُ محرّكًا ورفّاسًا لا يزيد ثقلهما على ١١٠ كيلو. وكان صعودهُ من معهد لندن المعروف بالقصر البلّوري (Crystal Palace) فخاض بآلتهِ في عُباب الجوّ وسار مرّةً سيرًا مستقيمًا ومرّةً سيرًا ملتويًا على هيئات مختلفة ولم يحطّ على الحضيض الى ان قطع ٣٠ ميلًا والجماهير الجمهرة تنظر اليهِ من كل انحاء المدينة وتصفّق لهُ استحسانًا. وحتى الآن لا تزال المجلّات العلميّة تبحث عن صحّة اختراعهِ فمنهم من يستحسنهُ ومنهم من يرى فيهِ خللًا. وسيرينا المستقبل ما يكون من امرهِ ونحن نتمنّى الّا يصيبهُ ما اصاب بعض المتهوّرين كالأسوف عليهِ سيڤيرو والمرحوم البارون برادسكي وكلاهما ذهب فريسة اختباراتهِ الجوّيّة

❊ مكتبة اوكسفرد ❊ لمدينة اوكسفرد مركز العلوم في انكلترة مكاتب معتبرة عديدة امتازت بينها خزانة المخطوطات الشهيرة التي انشأها السير بودلي (Bodley) منذ ٣٠٠ سنة وفيها من الآثار الشرقيّة ما راقتنا مطالعتهُ قبل بضع سنوات. واصحاب هذه المكتبة قد احتفلوا في اليوم الثامن من تشرين الاوّل تذكار المئة الثالثة لانشائها فاقاموا حفلات بهيجة تمّت بغاية الرونق وحضرها ممثلو جميع الدول المتمدّنة. وبهذه النسبة نكرّر ما ابديناهُ مرارًا من الرجاء في تنظيم مكتبة عموميّة جامعة في بيروت دار العلوم في المشرق ليجد فيها العلماء ما يحتاجون اليهِ من المطبوعات النادرة ويزيد بذلك نشاطهم في التأليف وغيرتهم في توسيع نطاق المعارف

❊ التجارة الالمانيّة في الدولة العليّة ❊ بلغت صادرات التجارة الالمانيّة الى الدولة العليّة في سنة ١٩٠١ خمسة وعشرين مليونًا من الفرنكات وهي لم تكد تبلغ في سنة ١٨٩٠ ثلاثة ملايين فرنك. وكذلك زادت صادرات الدولة العليّة الى المانية فانها لم تتجاوز في سنة ١٨٩٠ ستّة ملايين من الفرنكات وهي اليوم لا تقلّ عن سبعة وعشرين مليونًا. واكثر ما يصدر من تركيّة الى المانية الجلود والاثمار اليابسة كالجوز واللوز والزبيب وكذلك التبغ والافيون وبعض الغلّات كالحنطة والشعير الخ. وكلّ هذه الحركة التجاريّة جارية على طريقة همبورغ

❊ آلة لردّ السُّفُن الغوّاصة ❊ انّ اكبر خطر على العمائر الدوليّة في

البحار اوان الحرب السُّفن الغوَّاصة التي لا يمكن ارباب الاساطيل التحذُّر منها وردّ هجماتها . وقد بشَّرت المجلاَّت العلميَّة ان امير البحر الروسي ماكاروف اخترع آلةً تنذر على مسافةٍ بعيدة من اقتراب السُّفن الغوَّاصة بدقّها لجرسٍ كهربائي دقًّا متواترًا . وعملها ثابت في الشتاء كما في الصيف في الليل كما في النهار في وقت الانواء كما في ساعات الهدوء . وقد اختبر آلتهُ في كرونستاد بنجاح تامّ والآلة تُدعى راديوسون (radioson)

أسئلة وأجوبة

س سأل جناب فارس دميان كم سنتيمترًا تساوي الذراع التي يقيس بها التُّجار

الذراع في مقابلة السنتيمتر

ج الذراع ٦٧ سنتيمترًا وثلث سنتيمتر . الَّا الذراع المعماريّ فانَّها تساوي ٧٥ سنتيمترًا (راجع تقويم البشير)

س وسأل الاديب ديب وانيس كيف تحلو مياه المطر واصلها في الغالب من مياه البحر المالحة

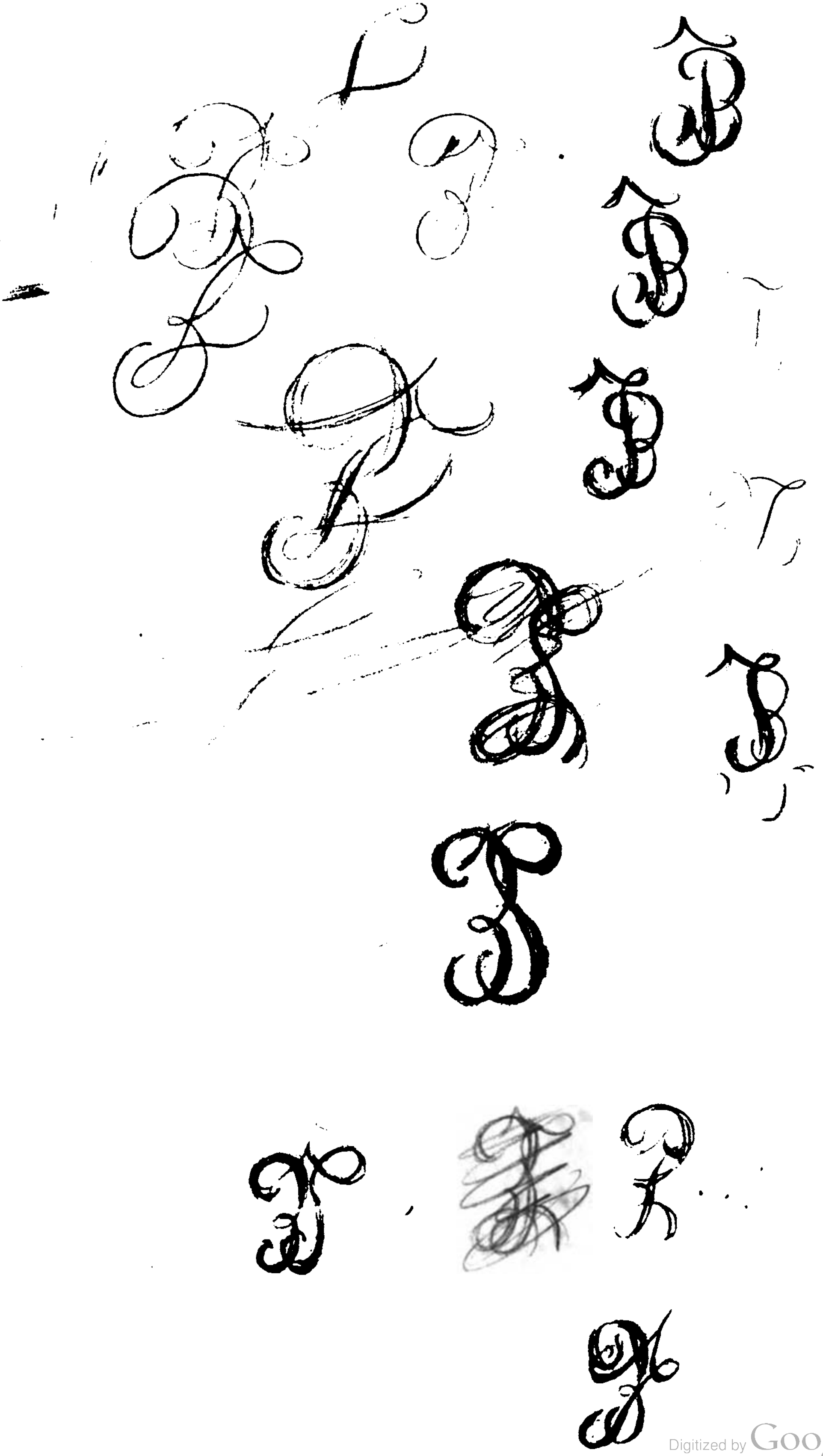
حلاوة مياه المطر

ج انَّ مياه البحر تحلو بتبخُّرها . فان الموادَّ المالحة لثقلها تبقى راسبةً اذا تبخَّر عنصر الماء وتكوَّن منهُ السحاب الذي يتكاثف ويهطل على الارض بماء عذب . وعلى هذا المبدأ اصطنع الناس الملاَّحات يجمعون مياه البحر في احواضٍ فيتبخَّر الماء ويبقى الملح

س وسأل احد افاضل حماة : ١ً هل يمكن للخوري الكاثوليكيّ استعمال الخدم البيعيَّة في بيوت غير الكاثوليك . ٢ً لحظنا في ١١ تشرين الاوَّل دوائر ملوَّنة حول القمر فما معنى ذلك . ٣ً ما سبب الطنين في الآذان وما معناها

الخدم البيعيَّة — دوائر القمر — طنين الآذان

ج نجيب على (الاوَّل) انَّهُ لا يجوز للكاهن الكاثوليكيّ اقامة الرُّتب البيعيَّة جهارًا في بيوت غير الكاثوليك كالقداس وحفلات العماد والزيّحة . بل هذا لا يجوز حتى في بيوت الكاثوليك الَّا بالرخصة — وعلى (الثاني) انَّ للقمر قوس قزح كما للشمس الَّا ان الوانهُ تضرب الى الرمدة وقد نبَّهنا الى ذلك في المشرق (٢ : ١٣١ و٣ : ٣٠٢) — وعلى (الثالث) انَّ طنين الآذان آفة تحدث من اسباب شتَّى كضعف في الاذن والتهابها وجسوَّة في عظامها وغير ذلك من الطوارئ التي تختلف حسب الظروف وربَّما ادَّت الى الصمم فلا بُدَّ من استشارة طبيب ليفحص الاذن فيداويها ل . ش



متحف العاديات المصرية الجديد

هيرودوتس ثم اسطرابون ثمّ ديودورس الصِقلّي وغيرهم الى زمن العلماء الذين رافقوا الجنرال بونابرت في غزوته المشهورة والذين دوّنوا ما اطّلعوا عليهِ من احوال مصر على اختلاف انواعها في كتب ورسوم لا تزال الى الآن مستنداً يُرجَع اليهِ في كثير من الامور

ولمّا اكتشف شمپوليون اسرار الكتابة المقدَّسة المصريَّة وتوصَّل الى حلّ رموزها رفع النقاب الذي طالما حجب مصر واحوال اهلها في الأيام السالفة عن عين الناقد فاتجهت نحوها الابصار واشرأبّت اليها الاعناق وكانت شدّة رغبة العلماء في استطلاع الخفايا المصريَّة متعاظمة تعاظُمَ الزمن المديد الذي مضى عليها محتجبة فيهِ عنهم فزال بذلك الاكتشاف ذهول الباحثين لدى روية تلك الآثار الجليلة وما سُطِّر عليها من النقوش التى كان يصحّ ان يقال عنها انَّها رموز خفيَّة ولم يبقَ هنالك مانع من قراءتها وفهم معانيها. ولمّا تمّ الاكتشاف وانتشرت المؤلفات في علم الآثار المصريَّة قدم مصر مندوبو جمعيَّات علميَّة في اوربَّة فقلبوا الارض ظهراً لبطن ليستطلعوا الكنوز الاثريَّة التي ردمتها الرمال بعد ان اودعها المصريُّون في بطون الارض حرصاً عليها وخوفاً من ايدي المنتهكين لحرمتها (١ فتحوا المقابر ليأخذوا منها نواويس الملوك والامراء. ودخلوا المعابد لينزعوا تماثيل الالهة عن عروشها فكان ما اخذوا من مصر كافياً لانشاء متحف عاديات مصريَّة في كل عاصمة من عواصم اوربَّة ومع ذلك فلم يكن لمصر محلّ تُجمع فيهِ ما كان يستخرج من ارضها من التُحف الاثريَّة ولم نذكر مع الذي اندثر منها ما هدمهُ الفاتحون الذين توالوا الحكم في مصر وما حطمتهُ ايدي الجهَّال وما سرقتهُ التجَّار لبيعه في الاسواق فكانت الآثار والحالة هذه عرضةً للسارقين وغنيمةً لمن طمع في كسب الاموال ولو لم توفّق ظروف الحال الى تخصيص بناء تجمع فيهِ شوارد هذه الكنوز لذهبت ادراج الرياح وحُرمت مصر الفوائد العلميَّة والماديَّة الجمَّة التي تستمطر سحائبها الآن. فساق الحظّ لنوال تلك البغية عالماً فرنساويًّا كان قد اشتهر بشدة الرغبة

١) كان جلُّ ما يهتم لهُ المصريُّون ان يبنوا لهم قبوراً هي اولى بان تسمى قلاعاً منيعة ليحفظوا بها جثثهم بعد تحنيطها صيانة لها من الفساد وكانوا يسمون القبر «المنزل» او «المقر الحسن» وقلما كانوا يهتمون في تشييد منازل يسكنون فيها وهم احياء ولذا فانك ترى اكثر الآثار التي عدّها المؤرخون من عجائب الكون قبوراً كانوا يصرفون في تشييدها كل ما عزّ لديهم فكأنَّهم لم يحيوا الّا للموت او بالحري لما بعد الموت كما بيَّن ذلك الاب مالون في مقالتهِ عن مدافن سقّارة (ص ٢٥١)

في اقتناص العلوم الاثريّة المصريّة ونشر المؤلفات فيها لاسيّما فيما يتعلّق بالآثار القبطيّة نعني بهِ اغسطس فرديناد ماريت (Mariette) المولود في بولوني (Boulogne) من اعمال فرنسة الشمالية في ١١ فبراير سنة ١٨٢١ وانهُ لا يهمّنا من تاريخه هنا الّا ما كان مختصًّا بانشاء المتحف المصري ولهذا نصرف النظر عن نشأته وما كان من امره قبل قدومه مصر واكثر ما نكتبهُ عنهُ مقتطف من الدليل الى متحف الجيزة تأليف دي مورغان الفرنسوي ومن كتاب النيل تأليف « وَلِيس بُدج الانكليزي » وغيرهما

وصل ماريت الى الاسكندريّة في شهر اكتوبر سنة ١٨٥٠ وكان قد جاء من قبل الحكومة الفرنساويّة لدرس النسخ القبطيّة ومشترى ما يمكنهُ الحصول عليهِ منها فلم يتيسّر لهُ ذلك لانّ بطريرك الاقباط كان قد اخفى كلّ ما لديه من هذه النسخ وامر رؤساء الاديرة ان يضنّوا بها على كل طالب (١. وفي اثناء المخابرات الطويلة التي حصلت في هذا الشان كان ماريت يتنقّل في ضواحي القاهرة لاستطلاع الآثار فزار اهرام الجيزة وسقّارة ودهشور وغيرها فساعدهُ الطالع بان اكتشف السرابيوم المشهور وهو قبر العجول المسماة باسم ابيس. وكيفيّة ذلك انهُ كان ذات يوم في سقارة فعثر على ابي هول كان وجد كثيرًا مثلهُ في القاهرة وفي الاسكندريّة وهو من الحجر الجيري وعليهِ نقوش ترى فيها اسم المعبود اوزيريس وبجانبه اسم الثور ابيس واسم سرابيس فتذكّر قول اسطرابون ان السرابيوم واقع في ارض رمليّة حيث يوجد تماثيل عديدة لابي الهول كثيرة بعضها ظاهر فوق سطح الارض وبعضها مغطى بالرمال كله او جزء منهُ فانساه هذا الاكتشافُ البطريركَ القبطي والمهمّة التي جاء لاجلها من باريس فجمع العمّال وشرع في الحفر في شهر نوفمبر سنة ١٨٥٠ وما زال يكتشف تماثيل ابي الهول الواحد بعد الآخر مجتهدًا في تمهيد العقبات التي اقامها في وجهه تجار الآثار ووكلاء الدول فاستنفذت منهُ وقتًا طويلًا وعناء جزيلًا مستعينًا لذلك بنفوذ الحكومة الفرنساويّة الى ان وصل الى باب السرابيوم في ليلة ١٣ نوفمبر سنة ١٨٥٢ اي بعد ابتداء العمل بسنتين. ثم انتقل الى اهرام الجيزة وباشر العمل هناك على نفقة دوك دي لوين (duc de Luynes) ثم شرع في التأليف وعاد الى باريس نظرًا لما لقيهُ من الصعوبات

١) ذلك ما رآهُ البطريرك المذكور وَجِدًا منهُ على تاتام العالم الانكليزي لسلبهِ الكتب القبطيّة من يد المصريين واستعماله الطرق الغير مألوفة لذلك

وفي سنة ١٨٥٨ رجع الى مصر وتقرَّب الى سعيد باشا واليها فأحبهُ واعانهُ على اعمال الحفائر في اكثر انحاء القطر ثم اذن لهُ بتأسيس متحف للعاديات المصريّة فجمع ما كان لقيه من الآثار ولمّا لم تقرّر الحكومة على انشاء بناء يليق بهـا لم يرَ بُدًّا من الاكتفاء بحفظها في بولاق على ضفّة النيل اليمنى في منزل البوسطة القديم فسُمّي المتحف متحف بولاق وهو يعرف بهذا الاسم الى الآن عند كثير من الناس. ولا نعلم ما الذي حمل ماريت على ان يقيّد نفسهُ بصيانة الآثار المصريّة والحرص عليها بعد ان ارسل منها الى بلاده عددًا وافرًا فان جميع الانصاب (stèles) اي صفائح المقابر المنقوشة التي وجدهـا في جدران السرابيوم ويبلغ عددها الالف او اكثر وباقي الجواهر والتماثيل والنواويس وقراطيس البردي وغيرها التي استخرجها من حفائره العديدة تزين الآن قاعات متحف اللوفر بباريس ومكتبته

ولمّا كثرت اكتشافات ماريت وتراكم ما حصل عليهِ من الكنوز ضاقت المحلات بمتحف بولاق فكنت ترى الموميات الثمينة والاحجار المنقوشة وقفف الخنافس وغيرها مزدحمة بعضها فوق بعض كانها صناديق واكياس بقالة في مخزن عطّار. ثمَّ انَّ مياه النيل كانت تتهدَّد البناء كلَّ سنة أيام الفيضان وقد اوشكت فعلًا في احدى السنين ان تبتلعهُ بجميع ما فيهِ من التحف وكان بجواره مخازن كبيرة مملوءة بادوات البناء من خشب وجير ومركّبات كيموية يتصاعد منها الدخان فكانت تنذرهُ بالحريق من جهة اليمين والنيل يشير بالخطر من جهة الشمال. وزد على ذلك ان المحل لم يكن ليفي بالغرض المقصود بهِ من حيث ترتيب الآثار على حسب ازمانها ومحلات وجودها وتقريب الفائدة المطلوبة منها للعالم والمتفرج كل بحسب مرغوبهِ. ومع هذا فليس لنا ان نكثر الشكوى من متحف بولاق فانهُ اصل المتحف الحالي الذي تفتخر بهِ مصر وكان قد وضع لهُ العالم الاثري ماسپرو دليلًا سهّل معرفة ما فيهِ على الزائر

ولمّا زادت الاكتشافات في أيّام ادارة ماسپرو لم يعـد في الامكان ان تبقى العاديات في بولاق فكثر الالحاح على الحكومة بملافاة الامر ومع ذلك فلم يقرّ الرأي على نقلها الّا في سنة ١٨٨٩ (بعد استقالة ماسپرو من ادارة المتحف بثلاث سنوات) (١ وكان

١) امّا ماريت فانهُ بعد انشاء المتحف باشر الحفر في جميع انحاء القطر وألف كتبًا عديدة لا يسع المقام بذكرها ثم تعين مندوبًا للحكومة المصريّة في معرض باريس العمومي سنـة ١٨٦٧

ذلك في نظارة المسيو غريبو وكأنَّ الحكومة لم تشأ ان يكون الانتقال سريعًا الى درجة الكمال فأبت انشاء قصر جديد تحفظ فيهِ الآثار وعيَّنت السراية التي كان شيّدها الخديوي اسماعيل باشا دارًا للتحف الاثريَّة ومع انَّها لم تُبنَ لهذا الغرض فقد كانت قاعاتها فسيحة كثيرة العدد وموقعها بعيدًا عن النيل وخطر طغيانهِ وقد اتخذت الاحتياطات اللازمة لصيانتها من الحريق وكان الاحتفال بافتتاحها رسميًا في ١٢ يناير سنة ١٨٩٠ بحضور الخديوي الاسبق محمد توفيق باشا ولم يتمكن المسيو غريبو ان يعرض للزائرين سوى خمس واربعين قاعة ولو لم يدركهُ المرض ويجهد بهِ التعب لما توقف عن العمل فسلم ادارة الاشغال الى المسيو دي مورغان وكانت المخازن غاصَّة بالعاديَات وقاعات كثيرة لم يتم ترتيبها فشمَّر المسيو دي مورغان عن ساعد الجدّ فملأ ستًّا واربعين قاعة بسرعة عجيبة. وفي خريف سنة ١٨٩٢ كانت سراية الجيزة تحتوي على احدى وتسعين قاعةً فسيحة او رواق عُرضت فيها آثار اقدم الامم واعظمها علمًا وفخرًا

ولم تكن سراية الجيزة آخر مقرّ الآثار فانها مع كثرة اروقتها لم يكن وضعها مناسبًا لحفظ التحف الاثريَّة على نسق علمي كما ذكرنا وكان جزء كبير من البناء ينذر بالخراب ولم تزل الفكرة متجهة الى انشاء دار مخصوصة يكون وضعها موافقًا لما سيكون فيها حتى اقرَّت الحكومة على طلب المال من صندوق الدين فنشرت الاعلانات في جميع انحاء اوربَة ودعت اشهر المهندسين الى وضع رسم لمتحف مصري يشيَّد في القاهرة وعيَّنت لهُ محلًّا شمالي قصر النيل وعلى ضفة النيل اليمنى فعُرضت عليها رسوم كثيرة صرف المهندسون كل ما في وسعهم لاتقانها فانتخبت رسمًا لمهندس فرنساوي اسمهُ دورنيون

فنقل اليها التحف المصريَّة فكانت اجمل زهرة في روض المعرض واظهرت لشعوب اوربة ما احتوت عليهِ مصر من الآثار الدالَّة على فخرها القديم وحسن صناعاتها وفنونها وكثرة علومها. وكانت وفاته في شهر يناير سنة ١٨٨١ وخلفهُ الاستاذ ماسپرو امَّا جثتهُ فهي محفوظة الآن في تابوت من الرخام الرمادي وفي اربع زوايا التابوت اربعة تماثيل لابي الهول تحرسهُ والتابوت من العاديَّات المصريَّة تبعها في رحلاتها وتنقُّلها. فبعد ان كان في بولاق نُقل الى الجيزة حيث عيَّن لهُ الخديوي الاسبق محمد باشا توفيق محلًّا امام مدخل السراية الرسمي وقد تحول الان الى الدار الجديدة بمصر وهو قائم في زاوية البناء القبلية الغربية. وقد اقرت الحكومة المصريَّة على انشاء تمثال لمارييت يبلغ ثمنهُ نحو الف جنيه مصري وعهدت بصنعه الى المسيو بويش (Puech) في باريس وميعاد تسليمه في اواخر سنة ١٩٠٣

CONSTRUCTION
DU MUSÉE DES ANTIQUITÉS EGYPTIENNES

رسم الطابق الاسفل

(Dournion) واحتُفل بوضع اول حجر لاساس الدار الجديدة في غرّة ابريل سنة ١٨٩٧ واستلمت مصلحة الآثار البناء نهائيًا بعد اتمامه في اوائل السنة الحاضرة ثم شرعت في نقل التحف وتمّ العمل بسرعة ودقة عجيبتين اذ لم يستغرق سوى اربعة او خمسة شهور

ويطول بنا الكلام اذا اردنا وصف ما في هذه الاروقة والقاعات من التحف الاثريّة المشحونة بالفوائد العلميَّة والتاريخيَّة والفنيَّة فهي تحتوي بلا شك على اعظم مجموع للآثار المصريَّة من اقدم تاريخها الى الازمان القبطيَّة والعالم يقرأ على احجارها وصحفها وتماثيلها ما دوَّنهُ الكتاب عن التمدّن المصري على اختلاف انواعه وازمانه وقد اكتفينا هنا برسم الطابق الاسفل لهذه الدار الفخيمة ليطَّلع القرّاء ولو عن بعد على ترتيب المتحف الداخلي ولعلّ ذلك يكون تمهيدًا لمقالات تفصيليَّة ننشرها في المستقبل اذا تمكنّا من ذلك

امَّا البناء نفسه فهو على شكل مستطيلَين قائم الواحد منهما على الآخر وطول الواجهة الكبرى ١٣٠ مترًا وطول الدار من وسط الباب الكبير القبلي الى الطرف الآخر الشماليّ ١٣٠ مترًا ايضًا وسيتمّ البناء اذا اقتضت الحال في المستقبل فيصير مربَّعًا كاملًا تكسيرهُ ١٣٠ مترًا مربَّعًا

وقد نُقش على واجهة المتحف الكبيرة في اعلى الباب المتوسط وهو باب دخول المتفرجين كتابة باللاتينيَّة هذا نصُّها:

MONUMENTA PRIORIS ÆVI HIS SEDIBUS COLLOCAVIT
ANNO DOMINI MCM-ABBAS HILMI PRINCEPS
ANNO HEGIRÆ MCCCXVII

اي « انَّ في سنة ١٩٠٠ للمسيح وسنة ١٣١٧ للهجرة قد وضع الامير عبَّاس حلمي في هذه الدار آثار الازمنة الغابرة » وكُتبت باللاتينيَّة ايضًا اسماء الذين حكموا مصر من ملوك الأُسر الثينيَّة (dynastie Thinite) فالمنفيَّة (Memphite) فالطيبية (Thébaine) فالصاحرية (Sahirite) الى الاسكندريَّة وكتب ايضًا اسماء من اشتهر من العلماء في موْلفاته واكتشافاته الاثريَّة المصريَّة من هيرودوتس وغيره من القدماء الى علماء هذا القرن

امَّا ترتيب التحف في الدار الجديدة فلا يصح اعتباره ترتيبًا نهائيًا لان مصلحة

الآثار تبعث فيهِ ترتيب سراية الجيزة وهذا لم يكن محكماً في بابه ولذا فانك ترى في بعض القاعات من التحف ما تضيق بهِ بينما تجد البعض الآخر يكاد يكون فارغاً وفضلًا عن ذلك فان كثيرًا منها موضوع في غير محله فالدار الجديدة لا يصح ان تعتبر والحالة هذه كما قالهُ حضرة مديرها المسيو ماسبرو سوى مخزن للآثار ولكنها ستتحوَّل بهمته الى متحف يسبق متاحف اوربَّة في حسن التنسيق وقد وضع المدير المذكور دليلًا للمتحف ولم يطبع منهُ الَّا نسخ قلائل وسيتم طبعه عن قريب ان شاء الله. وقد صرفت الحكومة المصريَّة في بناء الدار الجديدة وملحقاتها ونقل الآثار اليها نحو ربع مليون جنيه مصري نرجو ان تستعيضها اضعافاً والله يهدي الجميع الى سواء السبيل

الجولان في النوم

لجناب الدكتور الفاضل نابليون ماريني البغداديّ

يظن اليوم طائفة من الناس الاغرار ان الجولان في النوم لهو فصل من كتاب الخزعبلات يقصُّهُ الوالد على اولاده من باب الفكاهة. او يصنّفهُ اهل الصحف سدًّا لما يعوزهم من الاخبار

(أقول) الجولان في النوم مرض قائم بذاتهِ لهُ اسباب ولهُ اعراض ولهُ علاج وبيان ذلك جلّ غايتي من هذه العُجالة

لمَّا كنتُ في مستشفى الآباء الكرمليين الحفاة ببغداد كان في بيتي خادم اسمهُ جَجُّو (جرجس) من قرية تلكيف وهي تبعد ستّ ساعات عن الموصل وكان نحيف الجسم ذا قريحةٍ وقَّادة اسمر اللون قصير القامة. اذا تكلَّم سبق لسانَهُ حركاتٌ في كل اعضائهِ الخارجيَّة. وهاك ما رأتهُ عيني وسمعتهُ أُذني عن المرض الذي كان مبتلًى بهِ وهو الجولان في النوم

ان شدَّة حرارة بغداد تلزم سكانها النوم على السطح ليلًا في فصل الصيف. وكان خادمي المذكور ينام بالقرب مني لاحتياجي اليهِ عند عيادتي المرضى. فرأيتهُ ذات ليلةٍ قمراء قد قام من فراشهِ بكل هدوءٍ وسكون لا مزيد عليهما. واخذ يلبس ثيابه ويلفّ عمامته ويتمنطق بمنطقتهِ بالترتيب حسب مألوف عادتهِ. ثم حزم فراشه بلحافهِ حزمةً واحدةً وحملهُ على كتفهِ وذهب ماشياً على السطح وعيناه مفتوحتان. وكان

سطحنا فسيح الاطراف مقسوماً الى قسمين الواحد اعلى من الثاني درجةً واحدةً . فلما بلغ جَجُو الدرجة نزلها بكل سهولة وراح حتى وصل الجَلَنق (وهو المحجّل او المحجّر بلسان اهل بغداد والدرابزين بلسان اهل سوريّة) فركبه كما يركب الرجل الفرس وفراشه على كتفهِ . فحينئذٍ أخذ الفزع مني كل مأخذ وقلتُ في نفسي ها انهُ يهبط عن قليل الى صحن الدار فيتحطّم كل التحطّم فنزلتُ من سريري وركضتُ وراءهُ حتى بلغتهُ على بعد ذراع واحدةٍ فوقفت في موطني انتظر نتيجة العمل . فرفع عقيرتهُ واخذ يصرخ بأعلى صوتهِ قائلاً : أهربوا خارجاً يا سارقين والّا نزلتُ اليكم . وجعل يكرّر هذه العبارة مراتٍ حتى سكت . ثم نزل عن الجلنق ومشى راجعاً الى محلهِ ففرش فراشه بترتيب عجيب ثم حلّ منطقتهُ والقى عن راسهِ عمامتهُ ثم خلع ثيابهُ واحلّ كل قطعةٍ محلها الاوّل فنام حتى طلع الفجر وانا كنتُ اتتبع حركاتهِ

وحضرت للمرَّة الثانية جولانه ليلاً في فصل الشتاء وكان حسب عادتهِ نائماً بالقرب مني داخل المقصورة . وكان بابها مقفلاً والمفتاح معلّقاً بعلاقٍ في الحائط . فقام ججو المذكور وترك فراشه في موضعهِ ولم يأخذ معهُ شيئاً غير عمامته ومنطقته وكانت بعيدة عني مِنضدة (طاولة) عليها قنديل يشتعل وكنت وقتئذٍ جالساً بفراشي اطالع كتاباً طبياً فمرَّ من امامي وهو يمشي الهوَينى وعيناه مفتوحتان . وبمروره لم يعثر جسمه بشيء . ثم ذهب توًّا الى المفتاح المعلق واخذهُ وفتح بهِ باب المقصورة وخرج الى صحن الدار وهو يتمشى ذات اليمين وذات الشمال متكلماً بلسانهِ التلكيفي . وبقي هناك هنيهةً متردّدًا ثمَّ قفل راجعاً وأغلق باب المقصورة وعلّق المفتاح في مكانهِ كما كان قبلاً . وبينما هو مارّ من امامي زجرتهُ بأعلى صوتي ثم قبضتُ عليهِ من كتفهِ واوقفتهُ قائلًا لهُ : الى اين ذاهب ؟ ماذا تريد ؟ فانتبه واجابني كمن لا يدري ماذا جرى لهُ فرقّ لهُ قلبي وقضيتُ معظم تلك الليلة مفتكرًا بعلاجهِ حتى وجدتُ لهُ دواء فأستعملهُ مدة طويلة حتى شفي من علّته

امَّا آراء الاطبَّاء في اسباب هذا المرض فمتضاربة ولذا ترى كل واحد منهم يصف علاجاً حسب رايهِ . وعندي ان الجولان في النوم ليس بمرض كما هو المعهود عند اغلب الاطباء . وانّما هو عرض من اعراض الهستيريا (hystérie) ليس الّا . وهذا مّما يطابق كل المطابقة راي شركو (Charcot) وجلّ لاتوريت (Gilles de la Tourette) وليبوني (Liponi) وفرازر (Fraser)

والجائل في اليوم هستيريٌّ محض ويظهر صدق هذا الكلام اذا ما تأملهُ الطبيب ودقق في فحصهِ وتعقَّب اعراض المرض المذكور فما عليهِ اذًا الّا ان يداوي الهستيريا راساً لكي يشفى هذا العرض

امّا الجولان فعلى ضروب شتى. فمنهُ الجولان الصرعي (épileptique) وهو ما يحدث في الممنوّين بالصرع. ولذلك ترى واحدهم يترك احيانًا مخزنه واشغاله وبيته ويجول سحابة نهارٍ او نهارين او ثلثة تائهاً في طرق المدينة او يجوب البراري غير مكترثٍ بتعبٍ او نصبٍ حتى تغادره النوبة. وتارةً ترى البعض منهم يتصرَّفون في افعالهم تصرُّف المصاب بعقلهِ فينهبون ويحرقون ويقتلون ويرتكبون افظع الجرائم واشنع العظائم وهم لا يدرون ما يفعلون. وقد رأيت رجلًا ضعيف البنية من بلاد البترون مبتلى بهذا المرض اي بالجولان الصرعي فاذا ما جاءته النوبة ترك بيته وشغله وتاه على وجههِ يجوب البراري مشياً مسافة يومين او ثلاثة لا يعلم ما يدفعهُ الى فعلِ ذلك حتى تذهب عنهُ النوبة فيرجع الى بيتهِ غير عالمٍ بما جرى لهُ. وقد نقل الينا العلاَّمة تروسُّو (Trousseau) حادثة ذاك القاضي الفرنسي اذ كان مجتمعاً مع اصحابهِ للنظر في دعوى. اذ فاجأَتهُ نوبةٌ فقام عن كرسيهِ وقضى حاجتهُ في زاويةٍ من زوايا الردهة امام الجمهور بدون علم منهُ

فعلى اولياء الامر خصوصاً على روءساء المدارس ان يتروّوا في تأديب الاحداث المبتلين بمثل هذا الداء فلا يقتصُّوا منهُ سريعاً قبل ان يُطلعوا على امرهِ الطبيب فيفحصهُ هذا فحصاً مدققاً كما هو جارٍ اليوم في بلاد الفرنجة

ومن انواع هذا الداء الجولان الاصطناعي وهو ما يولدهُ الاطباء في الانسان نهارًا بقوَّة التنويم (hypnotisme) وعندي لو يمنع ارباب الحكم اولئك الذين يتعاطون هذه المهنة منعاً كليًا لاتوا من الخير ما لا فوقهُ صنيع يُشكر. ولا يخفى على القارئ ما ينتج من الاضرار عن التنويم. فلو اراد المنوّم مثلًا قتل انسان امر المنوَّم وهو في حالة التنويم ان يذهب المحلّ الفلاني ويقتل الشخص الفلاني في الساعة الفلانية. فاذا انتبه المنوَّم يقضي كل ما أُمر بهِ بالتمام. ولا غرو ان البعض من فاعلي الآثام يكونون من هذا الباب

ومنها ايضاً الجولان الطبيعي او الفسيولوجي وهو ما يحدث ليلًا. وهذا النوع يكون ارثيًا غالبًا. والرجل السكّير مستعد كل الاستعداد ليورث هذا الداء احد اعقابهِ

امّا المريض فتصيبهُ النوَب ثلاث ساعات واربعاً بعد نومهِ وفي اثنائهـا تتولّد فيهِ قوّة عصبيّة غريبة لا بل عجيبة اذ يتوصّـل مرارًا الى المشي على حافة الحائط بدون ادنى ضرر

والدواء الشافي لهـذا العرض انما هو الابتراد (اي الاغتسال بالماء البارد) يوميًّا وشرب برومور البـوتاس ممزوجاً بالمنتول (menthole) ويُحظر على المريض شرب المسكرات والمخدّرات كالتبغ والقهوة والشـاي واشكال المكبوسات بالخلّ ويبتعد بقدر الامكان عن التغضب والحزن وما اشبه ذلك وينقي معدته مرةً كل اسبوع

الكرسي الرسولي وطائفة الكلدان

بقلم الاب الفاضل القس بطرس عزيز نائب غبطة بطريرك الكلدان في حلب

يسرُّنا ان نرى علماء الطوائف الشرقيّة طبقًا لِما كانت مجلّـة المشرق الغرّاء قد حرّضت عليهِ مرارًا يهتمّون في التنقيب على تواريخهم متنافسين في اعلاء منار اجدادهم وطقوسهم ومشاهير كتبتهم يبذلون الجدّ والجهد في نشر مآثرهم واستخراجها من زوايا المكاتب والمخازن الى عالم العلم. وقد ادرجت المجلـة المذكورة شيئًا من ذلك ولا تزال تتحفنا بما يتيسّر من هذا الباب المرّة بعد المرّة. فاحببنا اليوم ان نوقف قرّاء هذه المجلة على فحوى كتاب جديد جاء في هذا الصدد مطبوعاً في رومية (١) بمطبعة Ermanno Loescher) نشرهُ حضرة الاب الفاضل الارشدياقون شمونيل جميل الرئيس العام على اديرة الكلدان المحترم ودعاه العلاقات بين الكرسي الرسولي وطائفة الكلدان وقد سبق المشرق (٥ : ٩٥٦) فوصف الكتاب وصفاً اجماليًا الّا انّ ما يتضمّنهُ هذا الكنز الثمين من الفوائد التاريخية والجغرافيّة والابحاث الخطيرة التي كان اكثرها في طيّ النسيان حملنا على ان نفرد لتعريفه مقالة لاقتباس دررهِ المكنونة ونسرد ما جاء فيـهِ من الامور المستحقة الذكر ليتأكد القارئ صحّة قولنا في اهميّة وفضل مؤلفهِ جازاه الله كل خير واجزل ثوابه

(١) وهذا اسم الكتاب باللّاتينيّة Genuinæ relationes inter Sedem Apostolicam et Assyriorum Orientalium seu Chaldæorum Ecclesiam.

مكثت الطائفة الكلدانيّة منذ انفصالها عن الكنيسة الكاثوليكيّة في الجيل الخامس حتى الجيل الثالث عشر في البدعة النسطوريّة بعيدةً عن مركز الكثلكة لا علاقة بينها وبين الاحبار الرومانيين حتى قام بين بطاركتها سبريشوع الخامس. ففي عهد هذا البطريرك تمَّ الاتحاد الاوَّل العامّ بين النساطرة والكنيسة الرومانيّة اذ ارسل صورة ايمانهِ الى رومية بواسطة ربَّان آرام نائب المشرق وكان هذا مقيمًا في بلاد الصين فارسل باسمهِ وباسم بطريركهِ الى البابا اينوشنصيوس الرابع رسالةً محتويةً على صورة ايمانهِ ومعها رسالة أُخرى من يشوعياب مطران نصيبين وقَّع عليها ايضاً مطرانان وثلاثة اساقفة من تلك البطريركية وهذا اوَّل ما يُفتتح بهِ الكتاب (عدد ١) — ألا انَّ مكيخا ودنحا خلفي سبريشوع لم يحافظا على هذا الاتحاد. فبعد وفاة دنحا انتُخب بطريركًا يابالاها الثالث رئيس اساقفة الصين. فهذا في السنة الثالثة والعشرين من بطريركيتهِ اعني سنة ١٣٠٤ جدَّد الوحدة مع الكرسي الروماني بارساله صورة ايمانه الى البابا بندكتوس الحادي عشر فيها يعترف برئاستهِ على الكنيسة كلها ويطلب الشركة معهُ (عدد ٢). ثم ورد منشور اوجانيوس الرابع فيهِ يقبل في حضن الكنيسة طيماثاوس مطران قبرس النسطوري وايلياً اسقف الموارنة بعد ان قرّرا صورة ايمانهما امام المجمع اللاتراني سنة ١٤٤٥ (عدد ٣)

وبعد وفاة يابالاها (١٣١٨) انقطعت العلاقات بين الطائفة الكلدانية والكنيسة الرومانية مدة مئة وخمس وثلاثين سنة قام في اثنائها سبعة بطاركة نساطرة وفي وفاة آخرهم شمعون الملقب بَرْ ماما حاول ابن اخيهِ شمعون دنحا ان يخلفهُ بموجب العادة الذميمة التي كانت قد دخلت عند النساطرة ولم تزل حتى اليوم عندهم بان يقوم البطاركة كلُّهم من عائلة واحدة بالوراثة الّا ان الشعب استنكف من ذلك فانتخب الراهب يوحنًا سولاقا وأرسلهُ الى رومية. ففي العدد ٤ تجد رسالة كلدان الموصل الى البابا يوليوس الثالث سنة ١٥٥٢ فيها يلتمسون منهُ ان يرسم لهم بطريركًا حامل الرسالة يوحنًا سولاقا المنتخب منهم ثمَّ صورة ايمان سولاقا الذي ابرزهُ امام البابا المذكور (الصفحة ٤٧٧) وما قصَّهُ الكردينال مافيوس في اجتماع الكرادلة عن احوال الكنيسة الكلدانية في اثناء منح الدرع الرسولي لسولاقا (ص ٤٧٩) ويليها قصة سفر سولاقا الى رومية ورسامتهِ ورجوعهِ الى بلادهِ بالكلدانية مع ترجمتها باللاتينية (ص٤٨٣) ثم

براءة يوليوس الثالث حيث يثبت سولاقا بطريركاً ويعلن حقوقهُ وامتيازاته (عدد ٥) مع براءة ثانية فيها يمنح البابا المذكور الدرع الرسولي لسولاقا ويثبت امتيازاتهِ ويقرّر الطريق التي يجب ان يُجرى عليها في انتخاب الاساقفة والبطريرك (عدد ٦)

ولمَّا استشهد سولاقا خلفهُ عبد يشوع الرابع فاصدر البابا بيوس الرابع براءةً فيها ينقلهُ من اسقفيَّة الجزيرة الى بطريركية الموصل وفيها صورة ايمان هـذا البطريرك الذي ابرزهُ امام البابا بالكلدانية واللاتينية سنة ١٥٦٢ مع صورة ايمان ثانيـة قرَّرها امام الكرادلة في السنة عينها يذكر فيها البلاد والابرشيَّات الخاضعة لهُ فهذه باللغة الكلدانية مع ترجمتها باللاتينية أُرسلت الى المجمع التريدنتيني (عدد ٨ الى ١٠) — وفي العدد ١١ رسالة بيوس الرابع الى رئيس اساقفة نَاْجِيڤان في ارمينية الكبرى يأمرهُ ان يبعث الى البطريرك المذكور كاهناً من اكليروسهِ يعرف اللغة الكلدانيـة لكي يساعدهُ على نشر الايمان الكاثوليكي في تلك الاقطار

ومن العدد ١٢ حتى ٢٢ رسائل في ما يخصّ امر مار ابراهام الكلداني رئيس اساقفة انكمالي في الهند. فهذا كان عبد يشوع البطريرك قد ارسلهُ الى المليبـار كعادة سلفائهِ وكان في الهند حينئـذٍ اسقف آخر كلداني اسمهُ يوسف فوقع بين الاسقفين خلاف الجأ مار ابراهام ان يترك الملبار ويأتي بابل حيث وجد عبـد يشوع البطريرك فزوّدهُ هذا بتوصية الى البابا بولس الرابع وارسلهُ الى روميـة فارسل البابا المذكور الى البطريرك يخبرهُ بوصول مار ابراهام اليهِ ويشير عليهِ ان يحدّد لكل من الاسقفين ابرشيةً معلومة (عدد ١٢) — وارجع ابراهام الى الهند مع وصية الى رئيس اساقفة غوا (Goa) فيها يمدح تمسُّك ابراهام الشديد بالكرسي الروماني ويحرضهُ على مساعدتـهِ (عدد ١٣) ورسالة أُخرى الى اسقف كوشين (عدد ١٤) يوصيه ان لا يتجرأ احد على مقاومة مار ابراهام بل ان يرعى شعبه الذي خصصهُ لهُ بطريركه بكل امان — وفي العدد ١٥ يُطلب الدرع الرسولي لمار ابراهام

ومن العدد ١٦ الى ١٩ مراسلات بين البابا غريغوريوس الثالث عشر وملك كوشين في شان مار ابراهام وصورة ايمان ابراهام المذكور (عدد ٢١) وفي العدد ٢٢ رسالة موقعة باسم وجهاء (ارخندس) الملبار الكلدان الى الحبر الاعظم يقولون فيهـا بانهم منذ ما بشرهم توما الرسول بالايمان يستعملون الصلوات والطقوس باللغة الكلدانية ومطارينهم

واساقفتهم وكهنتهم يُرسلون لهم من بلاد آثور فبناء على ذلك يطلبون منهُ ان لا يدعهم يتامى بل ان يحرّض بطريرك الكلدان على ان يرسل لهم اساقفة ليرعوهم حسب العادة. وفي العدد ٢٦ رسالة مار ابراهام الى غريغوريوس الثالث عشر يخبرهُ بانهُ عمل هناك سنهودوساً قبلهُ الجميع بالايمان الكاثوليكي ويقترح عليهِ بان يقيم في الملبار مدرسة كهنوتية ويطلب ان يزداد في تلك الناحية عدد المرسلين اليسوعيين وان يُطرد من تلك البلاد الاسقف شمعون الدخيل الذي بسببهِ حدث شغب عظيم بين الاكليروس والشعب. وقد نال ابراهام طلبه هذا بسعي المرسلين الفرنسيسيين هناك

وفي تلك الاثناء كان عبد يشوع الرابع ارسل الى الملبار مار ايليا هرمز حبيب اسمر مطران آمد فلمَّا توفي البطريرك المذكور رجع مار ايليا الى ما بين النهرين سنة ١٥٧٨ ودبَّر الكنيسة الكلدانية في شيخوخة البطريرك عطاء الله الذي خلف عبد يشوع حتى توفي عطاء الله فانتُخب عوضهُ شمعون دنحا مطران جيلو وسعرت وسَلَماس سنة ١٥٨٠ وكان قد ردَّه من النسطوريَّة الى الكثلكة مار ايليا هرمز السابق الذكر. فلمَّا تم الانتخاب أُرسل مار ايليا الى رومية ليطلب باسم آباء المجمع تثبيت البطريرك ومنحهُ الدرع الرسولي كما يتضح من الرسالة الموجَّهة الى غريغوريوس الثالث عشر (عدد ٢٤) — فلمَّا وصل الى ايطاليا نزل ضيفاً كريماً عند الكردينال كارافا محامي الكلدان وبواسطته قدَّم الى الحبر الاعظم عريضةً مفصَّلة في احوال طائفته في ما بين النهرين والهند (عدد ٢٥)

سنة ١٦٠٠ انقسمت الطائفة الكلدانية النسطوريَّة الى بطريركيتين احداهما في بلاد فارس يرأسها بطاركة باسم شمعون والاخرى في ما بين النهرين باسم ايليا وبعنوان بطريركية بابل. فحدث سنة ١٦٠٦ ان قدم الى رومية سائحان نسطوريان من بلاد التتر حيث كانت الطائفة الكلدانية ممتدَّة من زمن مديد ليتبركا بزيارة ضريح الرسولين بطرس وبولس فاكرمهما الحبر الاعظم بولس الخامس والشعب الروماني اكراماً لا مزيد عليهِ وتلطف بهما وسألهما عن احوال الطائفة الكلدانيَّة دينيًا ومدنيًا فاجاباه بعريضة مدقَّقة تجد صورتها تحت العدد ٢٧. وفي رجوعهما الى بلادهما عرَّجا الى بابل وقصَّا على بطريركهما ما نالهما من العزّ والاكرام من لدن الحبر الاعظم وقدَّما لهُ هدايا ارسلها معهما بولس الخامس الى البطريرك فبعث البطريرك رسولًا من قبلهِ الى البابا يشكرهُ على ذلك فصارت هذه المواصلة سبباً لاتحاد عمومي بين النساطرة الكلدان والكنيسة الرومانية فتمَّ

الامر سنة ١٦١٦ في عهد ايليا السابع البطريرك وبولس البابا الخامس بعقد سنهودوس في آمد حضره بطلب البطريرك الاب توما دي نوفارة الفرنسيسيّ بصفة قاصد رسولي وكان حينئذٍ رئيس الرسالة في حلب كما يظهر من العدد ٤٠ الى ٤٤ والمراسلة التي جرت في تلك الغضون بهذا الشان بين الحبر الاعظم والطائفة الكلدانيَّة تمتد من العدد ٢٨ الى ٤٨.وكان الواسطة لهذا العمل آدم الارشدياقون الذي اضحى بعدئذٍ مطراناً على آمد واورشليم بايعاز بولس الخامس قلّدهُ هذه الرتبة لِما رأى فيهِ من التقوى والفطنة والعلم وسلامة الطوية حتى ترى كأن الحبر الاعظم شُغف بهِ فلا يكلّ عن مديحهِ حيثما اتى بذكره في رسالاته الموجهة الى بطريرك الكلدان او الى بطريرك الموارنة او الى حارس الاراضين المقدّسة وجميع الملوك والامراء الذين كان لا بُدَّ لآدم ان يمرّ بهم في رجوعه من رومية الى بلاده (عدد ٣٠-٤١) - فلمَّا رُسم آدم مطراناً ارسل الحبر الاعظم رسالةً فيها يهنئ البطريرك واساقفته على ذلك (عدد ٤٧) ويمدح تقواهم وتعلّقهم بالكرسي الرسولي ثمَّ يبدي لهم بعض الملاحظات على الرسالة السنهودوسية التي بعثوا بها اليهِ (عدد ٤٢) وانهُ اذا ما استتبّ الاتحاد ينالون المصلّى الذي كان لهم في القبر المقدس باورشليم وتُلغى التقييدات التي قُيّد بها الكلدان في الهند

وسنة ١٦١٧ توفي ايليا السابع فخلفهُ شمعون ايليا فارسل باسمه وباسم اساقفته رسالة محتوية على صورة ايمانهِ الى البابا بولس الخامس فيها يعظّم الكرسي الروماني ويطلب الشركة معهُ غير ان البابا المذكور لم يجد ايمانهُ مستقيماً فارسل اليهِ الاب توما دي نوفارة ليحرضه على اكمال ما نقص في ايمانهِ كما يتضح من رسالته اليهِ (تحت العدد ٥١).وفي سنة ١٦٧٠ ارسل شمعون الخامس البطريرك النسطوري من مدينة اورمية في فارس حيث كان مقيماً رسالةً الى اقليميس العاشر (ع ٥٧) فيها يطلب الاتحاد مع الكرسي الروماني والحبر الاعظم يمدح مدحاً بليغاً ايمانهُ في ما يخصّ سر الثالوث الاقدس والتجسد الالهيّ ويريد ان لا يُزاد ولا ينقص شيء من طقوسه الكلدانية

ولما كان ايليا يوحنا النسطوري بطريركاً على بابل انقطع من طاعتهِ يوسف رئيس اساقفة آمد واعتنق الكثلكة سنة ١٦٥٧ وتبعهُ جمهور عديد من الكلدان وتكبّد من جراء ذلك محناً عظيمة دامت سبع سنين وفي سنة ١٦٦٤ هرب الى رومية ثم عاد الى آمد ولمَّا كان الشعب الكلداني الراجع الى الكثلكة يزداد يوماً فيوماً رقّاه البابا

اينوشنيوس الحادي عشر الى درجة البطريركية وانعم عليهِ بالدرع الرسولي (عدد ٥٩ و٦٠) — وفي سنة ١٦٨١ انقسمت الامة الكلدانية الى ثلاث بطريركيات الواحدة في بلاد فارس يرأسها شمعون الخامس والثانية في ما بين النهرين والعراق يسوسها ايليا يوحنا النسطوري والثالثة في آمد يتولَّاها البطاركة اليوسفون الكاثوليكيون ولم تزل هذه البطريركية على اعتقادها المستقيم حتى ارتدت البطريركية البابلية هي ايضاً الى الكثلكة بنوع قطعي سنة ١٨٢٠ في عهد يوحنا هرمز وامتزجت معها ولم تزل حتى أيامنا هذه

امَّا ما كان من امر البطريرك يوسف الاول فانهُ بعد ان مكث اثنتي عشرة سنة في البطريركية احتمل في خلالها اضطهادات لا توصف من النساطرة تنازل عن البطريركية سنة ١٦٩٥ وسافر الى رومية حيث توفاه الله . وفي حياته خلفهُ يوسف الثاني تلميذهُ فثار عليهِ الهراطقة (كما يظهر من عدد ٦٢ و٦٣) وارسل البابا اقليميس الحادي عشر يثني على غيرته في نشر الايمان الكاثوليكي في تلك البلاد ويحرضهُ ان يقيم لهُ وكيلًا في رومية (عدد ٦٤) — فارسل البطريرك رسولًا من قبله يشكر الحبر الاعظم على الدرع الرسولي الذي منحهُ اياهُ ويقدّم لهُ فرائض احترامهِ وتعلقه بالكرسي الروماني. وكان هذا البطريرك عالماً نحريرًا فلم يزل رغماً عن الاضطهادات مكبًّا على تأليف الكتب المفيدة لطائفتهِ يستحق الذكر بينها كتاب وضعهُ بالكلدانية والعربية ودعاه « المرآة المجليَّة » اودعهُ مباحث نفيسة في الاعتقاد الكاثوليكي لاسيما رئاسة الاحبار الرومانيين ولهذا الكتاب شان عظيم في تاريخ رجوع النساطرة الى الكثلكة ولذلك لم يتمالك حضرة الاب شموئيل ان يدرج هنا البحث الذي خصَّهُ يوسف الثاني بالدفاع عن رئاسة بطرس وخلفائهِ الاحبار الرومانيين بالكلدانية واللاتينيَّة (عدد ٦٦ — ٦٩)

ولمَّا توفي البطريرك يوسف سنة ١٧١٣ خلفهُ موسى طيماثاوس اسقف ماردين باسم يوسف الثالث في عهد اقليميس الحادي عشر الذي ارسل يشجعهُ ويعدهُ بمساعدته في وسط الشدائد (عدد ٧٢) . وفي رسالة أُخرى يثني على ثباته في التجلُّد على الاهانات التي تصيبه من اعداء الايمان الكاثوليكي (عدد ٧٤) . وهكذا ايضاً بندكتوس الثالث عشر (عدد ٧٥) . وفي عدد ٧٣ عريضة مفصَّلة ثمينة في احوال الكلدان من سنة ١٧٠٠ الى ١٧٥١ قدمها يوسف الثالث الى مجمع انتشار الايمان اذ كان في رومية وفيها فوائد

ذات شأن منوطة بتاريخ الكلدان عموماً وببطريركية يوسف الثالث خصوصاً لاسيما في ما احتملهُ من المشقّات والبلايا في سبيل الايمان الكاثوليكي — وفي العدد ٧٨ رسالة من مجمع انتشار الايمان الى البطريرك المذكور يطلب اليهِ ان يرسل كاهناً الى الموصل ليوزع الاسرار للكلدان المنضوين الى الكثلكة هناك. وفي كتابنا رسائل كثيرة في شؤون مختلفة تخص زمان هذا البطريرك نضرب عنها صفحاً حبًا بالاختصار

وبعد وفاة هذا البطريرك سنة ١٧٥٩ انتُخب عوضه طيماثاوس لعازر هندي وتسمّى يوسف الرابع وكان تلميذ مدرسة مجمع انتشار الايمان فنال التأييد والدرع الرسولي من البابا اقليميس الثالث عشر كما يظهر من البراءآت (تحت عدد ١٠٧ و ١٠٨). وبينما كان هذا البطريرك يسوس الكلدان المتحدين مع الكرسي الروماني في آمد وغيرها حدث ان شمعون بطريرك النساطرة في كردستان وفارس طلب الاتحاد مع الكنيسة الرومانية فارسل صورة ايمانهِ من قوجانس محل اقامته مع رسول الى البابا اقليميس الرابع عشر (عدد ١١٠ و ١١١) فقبلهُ الحبر الاعظم بسرور عظيم وبشّر الكرادلة بذلك في اثناء خطابه في اجتماع سنة ١٧٧١. وكذلك صنع ايليا البطريرك النسطوري البابلي مع اخيهِ المطران يشوعياب (عدد ١١٢ و ١١٣) بنوع ان البطاركة الثلاثة الذين كانوا يسوسون الطائفة الكلدانية حينئذٍ كانوا جميعاً متحدين مع الكرسي الروماني الّا ان ايليا وشمعون وخلفاءهما لم يثبتوا في الاتحاد بل رجعوا الى الهرطقة امّا يوسف فحفظهُ حتى النسمة الاخيرة من حياتهِ واورثهُ خلفاءهُ الذين حتى يومنا هذا يحرصون عليهِ ولا حرصهم على حدقة عينهم

وفي سنة ١٧٧٩ توفي يوسف الرابع وبقي الكرسي البطريركي الآمدي فارغاً من اجل جور الزمان فتولاهُ رئيس اساقفة آمد يوسف اوغسطين هندي بامر الكرسي الرسولي (عدد ١١٤) حتى سنة ١٨٢٦ حيث انتقلت البطريركية الى يوحنا هرمز رئيس اساقفة الموصل فايّد انتخابَهُ بيوس الثامن ومنحه الدرع الرسولي (عدد ١١٦— ١١٨) واذ كان هذا البطريرك شيخاً هرماً أُعطي لهُ معاونًا بامر غريغوريوس السادس عشر يعقوب ايشعيا (زيًا) رئيس اساقفة اذربيجان مع حق التخلف لهُ في البطريركية (عدد ١١٩) — فلمّا توفي يوحنا هرمز سنة ١٨٣٨ خلفهُ معاونه فايدهُ الكرسي الرسولي وانعم عليه بالدرع المقدس (ع ١٢٠) الّا انهُ تنازل عن البطريركيَّة بعد سبع سنين

فتقلّدها يوسف اودو مطران العادية (عدد ١٢٠—١٣١) — ثم ايليا عبو اليونان مطران الجزيرة (عدد ١٣٢—١٣٣) ثم عبد يشوع خياط مطران ديار بكر (١٣٧—١٤٢) — ثم يوسف عمانوئيل توما مطران سعرت (عدد ١٤٤) وهو الذي يدبر اليوم الطائفة الكلدانية بغيرة اشبه بغيرة الرسل وقد علّقت فيه هذه الطائفة آمالًا عظيمة لنجاحها لِما رأت من عالي درايته وحسن سياسته امدّ الله في ايامه وادامه في راس ابنائه تاج عز وفخر

وممّا قلناهُ حتى الآن وان كان على سبيل الاستطراد يتحقّق القارئ ما لكتابنا من المقام الرفيع في تاريخ الكنيسة وكم قد تجشم مؤلفهُ من التعب والنصب في جمعهِ فلا يسعنا الآن نكرر الثناء والشكر على ما أولى الطائفة الكلدانية من الفضل والاحسان

هذا وفي الختام نلاحظ ان ما من احد يطالع كتابنا الّا ويستنشق من خلال صحائفهِ امرين يلمعان لهُ بنور ساطع: اولهما ان الاحبار الرومانيين قد بذلوا قصارى جهدهم وعانوا عناء جزيلًا ولم يدعوا واسطةً الّا واتخذوها لاصلاح احوال بلادنا الشرقيّة وردها من الضلال الى اعتناق الحق غيرةً منهم على حفظ وحدة الكنيسة تاكيدًا لِما كرّرهُ لاون الثالث عشر مرارًا كثيرة. والامر الثاني ان الكنيسة الكلدانيّة مع وجودها في بلادٍ بعيدة قد اعترفت دائمًا وفي كل مكان حتى في النسطرة بان الحبر الروماني هو رئيس الكنيسة الجامعة وراعي رعاتها لكونهِ خليفة بطرس هامة الرسل. وسنفرد مقالات خصوصيّة لكل من هاتين القضيّتين في ما يأتي ان شاء الله

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٥ الامم البائدة في لبنان

٧ الجراجمة

قد رأى القرّاء ما في مسألة المردة من المعضلات التي لم يحلّها حتى الآن فطاحل العلماء (راجع المشرق ٥: ٨٨٦ و ٩١٤) على انّ هذا المطاب يقودنا الى بحثٍ آخر لهُ معهُ بعض العلاقة نعني بذلك امّة الجراجمة

يفيدنا التاريخ ان في القرن التاسع قبل الميلاد كانت في شمالي غربي سوريَّة مملكةٌ صغرى تدعى جرجومة عاصمتها مرعش. والمرجَّح انَّ هذه الدولة أُنشئت من بقايا دولة الحثيين البائدة (راجع المشرق ٥ : ٧٥٩) خلفتها في ولاية قسم من بلادها في زمن لا يمكن تعريفهُ بالتدقيق. بيد انَّنا نعلم ان اهل هذه المملكة لم يكونوا من عنصر آرامي لانَّ دولة الآراميين لم تمتدَّ الى تلك الجهات على الاقل في الجيل المذكور. واسم الجراجمة واردٌ في الكتابات الاشوريَّة التي تفيض في احوال هذا الشعب والتقلُّبات التي طرأت عليهِ. ولا نجد بعد الآثار البابلية ذكرًا للجراجمة الى عهد المردة في لبنان اعني القرن السابع للمسيح

قال البلاذري في كتاب فتوح البلدان (ص ١٥٩—١٦٣) في مطاوي كلامهِ عن فتح العرب لبلاد الشام: «انَّ الجراجمة من مدينةٍ على جبل اللُّكَّام عند معدن الزاج فيما بين بيَّاس وبوقا (١ يقال لها الجرجومة» فيظهر من هذا القول انَّ الجراجمة لم يلبثوا ساكنين في المكان الذي اشارت اليهِ كتابات الاشوريين قبل خمسة عشر قرنًا الَّا انَّهم كانوا منحصرين في قسم من اللكَّام (ألما داغ) بين مدينة بيَّاس الساحليَّة ونهر قراسو. وكانت مدينتهم الكبرى التي منها اتَّخذوا اسمهم لا تزال تدعى جرجومة

ثم يذكر البلاذريّ تاريخ الجراجمة على مألوف عادتهِ في ذكر غيرهم من الشعوب القديمة فترى في كلامهِ بعض الابهام لانهُ يروي في حقّهم الروايات المختلفة التي جمعها دون ان يكدَّ ذهنهُ في اثبات صحَّتها او التوفيق بينها. الَّا انَّ الذي يتروَّى في كلامهِ ويقابل بين هذه الروايات الشتَّى ياخذهُ الانذهال لما يجد بين اخبار الجراجمة والمردة من التشابه. فان ما ذكرهُ المؤرخون اليونان عن قدوم المردة من شمالي سوريَّة الى جنوبها وعن احتلالهم جبل لبنان وسكونهم في جوار حمص وبعلبك ودمشق قد رواهُ البلاذري عن الجراجمة على عهد الخليفة الامويّ عبد الملك وهو على وشك السير الى بلاد العراق. ثم اردف البلاذريّ قولهُ بقولهِ «وَضَوَتْ اليها (اي الروم) جماعة كثيرة من الجراجمة وانباط وعبيد أُبَّاق من عبيد المسلمين» وهو كلامٌ ينطبق على قول المؤرخ تاوفان في المَردة كانَّ المؤرخَين اليونانيّ والعربيّ سندا قولهما الى رواية واحدة لا تكاد تختلف حتى في اللفظ ثم ينتهي امر الجراجمة في تاريخ البلاذري كما ينتهي امر المردة في تاريخ تاوفان

١) لم نجد في كتب البلدان لجغرافيّ العرب ما يعرّفنا بموقع بوقا الَّا كونها من عمل انطاكية

اعني بعقد معاهدة بين الخليفة الاموي وملك الروم. وكان من نتيجة ابرام الصلح كما روى البلاذري (ص ٢٦٠) ان « تفرّق الجراجمة بقرى حمص ودمشق ورجع اكثرهم الى مدينتهم في اللكّام » وهي ايضاً رواية شبيهة برواية تاوفان عن تفرّق المردة ورجوعهم الى وطنهم. امّا مدينة جرجومة فخربت بعد ذلك بزمن قليل

وممّا روى ايضاً البلاذري (ص١٦١) في تاريخ سنة ٨٩ ﻫ (٧٠٨م) انّ الوليد بن عبد الملك وجّه الى الجراجمة مَسْلَمة بن عبد الملك فافتتح مدينتهم على ان ينزلوا بحيث احبُّوا من الشام وعلى ان لا يُكرَهوا على ترك النصرانيَّة ولا يؤخذ منهم جزية... اما بطريقهم فنزل في جماعة معهُ انطاكية ثم هرب الى بلاد الروم. وجاء في فتوح البلدان ايضاً انّ الخلفاء اجروا الارزاق على هؤلاء الجراجمة واستعانوا بهم في حروبهم(١ وما ذلك الّا لانّ موقع بلادهم كان في جبال ومضايق تجري فيها صوائف العرب عند نفوذهم في بلاد الروم. وكلُّ هذه التفاصيل التي ذكرها البلاذري لا نكاد نجد لها اثرًا في كتبة العرب اللهمّ الّا ياقوت في كتاب معجم البلدان في مادَّة « جرجومة » وهو ينقل هناك شيئاً ممّا اثبتهُ البلاذري. ويظهر من كلام ياقوت انّ الجراجمة في زمانهِ كانوا امتزجوا بغيرهم من الملل وانّ جرجومة عاصمتهم لم تزل خرابًا. وفي تاريخ حمزة الاصفهاني (ص ٣٩) ورد ذكر « مَن بالشام وفلسطين من الجرامقة والجراجمة »

ولا بُدَّ ان يسألنا القارئ هنا عن رأينا في الجراجمة ايكونون من المردة او يمتازون عنهم (٢. (قلنا) انّ ما يوجد من الاتفاق بين احوال المردة وامور الجراجمة من حيث موقع بلاد الفريقين وبسالتهما في الحروب وتواريخهما يحملنا على ان نطابق بينهما. ولا غرو فانّ اعظم المستشرقين في المانية وهو العلاَّمة نُلدِك (Nöldeke) يؤكد لنا ان العرب في تواريخهم يدعون المردة باسم الجراجمة وانّ كليهما امَّة واحدة (٣ ونحن ايضاً

---

١) راجع فتوح البلدان ص ١٦١. ومعجم البلدان لياقوت في مادَّة جرجومة

٢) الجرامقة قوم من انباط او آرامبي العراق وقد ارتأى نُلدِك الالماني الشهير انّ كتبة العرب لم يفرقوا بين الجراجمة والجرامقة والصواب انّ الجرامقة غير الجراجمة. وعندنا ان فرقة من الجرامقة استوطنوا الشام كما يظهر من تاريخ حمزة (ص ٣٥ و ٣٩) وياقوت (١: ٢٦) وكلاهما يذكر « جرامقة الشام » ولعلّ « جبلَي جرمق » في جنوبي لبنان وبلاد بشارة نُسبا اليهم

٣) راجع المجلة الاسيويَّة الالمانية ZDMG, 1875, p.85. وقد قال نُلدِك في ذيل تلك الصفحة « انّ العلماء لم يثبتوا حتَّى الآن وحدة المرَدَة والموارنة »

نصادق على كلام هذا الكاتب الثقة بعد التروي في ما كتب بهذا الصدد وان كنا نجد في اقوال البلاذري بعض الإشكال الّا انَّ ذلك في الامور العرضيَّة دون الاصليَّة

فان صحَّ هذا القول نتجت عنهُ نتائج في امر المَردة لم ينتبه اليها الكتبة الاقدمون. منها ان هؤلاء القوم لم يكونوا من اهل لبنان الاصليين بل قدموا اليها من شماليّ سوريَّة اذ انَّ الجراجمة على قول البلاذري كانوا يسكنون جبل اللكّام الذي يختلف عن لبنان. وممَّا يثبت انَّ هؤلاء الجراجمة لم يكونوا آراميين اي من اهل سوريَّة الاصليين انَّ البلاذري يذكر في جملة من انضوى اليهم الانباط وهو الاسم الذي يدلُّ بهِ كتبة العرب على العنصر الآرامي(١). وكذلك اذا فحصنا عن الامر على حسب قوانين علم الجغرافية وعلم اصول الشعوب وجدنا انَّ الجراجمة ينتمون الى آسيَّة الصغرى ولذلك نراهم يرحلون بعدئذٍ الى بلاد الروم ويسكنون قيليقية لقرب موطنهم منها. وفي فتوح البلدان للبلاذري انهم احتلُّوا جبل الحوَّار وهو من اعمال قيليقية كما نبَّه اليهِ ياقوت في المادَّة

وممَّا يستفاد ايضاً من كلام البلاذري امرٌ آخر ذو بال وهو انَّ قسماً من الجراجمة كانوا ضربوا اطنابهم في لبنان قال في اثناء كلامهِ عن الجراجمة (ص ١٦٢): «خرج بجبل لبنان قومٌ شكوا عامل خراج بعلبكّ فوجَّه صالح بن عليّ بن عبد الله بن العبَّاس من قتل مقاتلتهم واقرَّ من بقي منهم على دينهم وردَّهم الى قراهم واجلى قوماً من اهل لبنان» وهذا دليل واضح انَّ قوماً من الجراجمة كانوا قبل هذا العهد في لبنان. وليس هذا حدساً على سبيل التخمين بل امرٌ راهن يثبتهُ المؤلف نفسهُ في كلامهِ عن ميمون الرومي المعروف بالجرجمانيّ. وكان مولًى لبني امّ الحكم اخت معاوية ابن ابي سفيان قال (ص ١٦٠ و ١٦١) «وانَّما نُسب الى الجراجمة لاختلاطهِ بهم وخروجهِ بجبل لبنان معهم» فكان اذن في لبنان قومٌ من الجراجمة وهذا ما اردنا بيانهُ

فترى من بحثنا هذا الحاضر ما يؤيّد قولنا السابق في انَّ المردة والموارنة ان لم يكونوا شعباً واحدًا قد كانت على الاقلّ بينهم علاقات متينة. وكذا قل عن الجراجمة ولذلك افردنا لهم فصلًا ونظمناهم في سلك الامم التي سكنت لبنان. وسنبيّن قريباً انَّ هذه الامم كلّها امتزجت بعد قليل امتزاج الماء بالراح (ستأتي البقيَّة)

١) راجع المجلة الاسيويَّة الالمانية ZDMG, 1871, p. 124-125

إزدهار الديانة الكاثوليكية في انكلترة

بقلم الاب يوسف جباره اليسوعي (تتمَّة لما سبق)

انَّ من يتصفَّح اليوم كتب التعليم المسيحي المثبتة في بعض ابرشيات مذهب الاصلاح يجزم أنها قد نُقلت كلمةً فكلمة عن كتبنا الكاثوليكية ولا يشعر بموضوع خلاف الّا في ما يرجع الى السلطَة البابوية ولكن بعض لاهوتيّيهم قد اقرّوا برئاسة معنوية خُصَّ بها الحبر الاعظم على سائر الاحبار برئاسة تنطبق (حسبما زعموا) على منطوق القضايا التسع والثلاثين المحتوية قانون الايمان الابروتستاني. ولم يكتف الانكليكانيون باتّباع الحقائق المحدَّدة في المجامع بل نزعوا الى عباداتنا وهمُّوا باقتباسها. ولذا اخذوا عنَّا العبادة لسِرّ القربان التي كانت عندهم في غاية الاهمال والدثور ورضوا بالسجود للأعراض المقدَّسة اذ يؤمنون الآن بان السيّد المسيح موجود فيها وجودًا حقيقيًّا. ونشأت جمعيات يقضي اعضاؤها حياتهم لنشر هذه العبادة وللتكفير عمَّا يلحق من الاحتقار والهوان بهذا السِّر موضوع محبّتنا وواسطة خلاصنا. وما عداها ترى شركات تقويَّة تسمَّت باسم الصليب المقدَّس والوردَيَّة الممجَّدة. وفي بعض الابرشيات يحتفلون بشهر قلب يسوع وبالشهر المريمي احتفالاً شائقًا يعكفون في مدارها على تمارين خصوصية لا تخلو من الورع

ولا تحسبنَّ ان الاماتة المسيحيـــة مردودة عندهم فالبعض آلوا على انفسهم ان يحفظوا الاصوام والقطاعات المرسومة. واكثر هذه الانفس تنكبُّ على كتب اللاهوتيين والمرشدين الكاثوليكيين سعيًا وراء قوتٍ روحيّ يؤيد قواها ويعرّج بها الى درجة الكمال. فلذلك يتداولون عادةً مؤلفات القديسين فرنسيس دي سال وفرنسيس الاسيزي والآباء اليسوعيين لالمان وروردريكس وغرو (Grou) وتآليف فنلون (Fénelon) ومن شاكلهم. ثمَّ ان امر المزارات (pélerinages) لم يفُتهم. فهم يجارون الكاثوليكيّين مجاراةً كما شوهد ذلك منذ بضع سنين في عيد القديس كولمبا (Columba) في جزيرة ايونا (Iona) وفي عيد القديس اغسطينوس في إِبْس فليت (Ebbs Fleet). وكذلك صار عملة الدين في انكلترة يتشرَّفون باتخاذ اسم «كاهن» الذي دفنهُ الاصلاح في لحد الخمول وهم يرون الآن انَّ هذا الاسم يقضي على صاحبهِ بالتسربل بحلَّة الفضيلة ويقلِّده سلطة سماويةً عزَّ نظيرها. هذا ما حمل بعضهم على الظهور باللباس الرهباني في المدن والقرى لكي

يعلنوا للناظرين زهدهم في الدنيا وتجرّدهم عن ملاذِّها. وآخرون قد اقلعوا عن الزواج وآثروا البتوليَّة واخذوا يحثُّون زملاءهم على التخلُّق باخلاقهم. وبما ان الحيوة الكهنوتية تقتضي استعدادًا طويلًا ودربةً عظيمةً في امور الدين فقد أُنشئت في ابرشيات كثيرة للمترشحين لدرجات الكهنوت مدارس لاهوتية تشبه مدارس اوربة الاكليريكية بعض الشبه. ولكي يكون عنصر الحياة فيها سليمًا من كل رَتق قد صرفوا عنايتهم الى تعميم الرياضات الروحية ليستمدُّوا من معينها قوةً ونضارةً

ولقد بلغ مني الذهل مبلغهُ لمَّا سمعت انهم قد رمَّموا اديرة شتَّى كان الاصلاح سعى بخرابها فاقاموا فيها رهبانًا دعوهم بنديكتيين وفرنسيسيّين وراهبات المحبة وراهبات الفقراء والرحمة وما ضارعهنَّ منهجًا. وقد اتخذوا لانفسهم البسةً كالبسة الكاثوليكيين وفي بعضها يبرزون النذور الرهبانيَّة ويمارسون التقشُّفات ويقضون ظلَّ النهار ما بين فروض الصلاة واعمال الرحمة

وفي لندن خُصَّت اديرة بعمل الرياضات يأتيها من اراد من النساء العالميَّات للخلوة بضعة أيام والهذيذ بامر الخلاص الابدي. واذ سأل المسيو طيرو دانجان (Thureau d'Angin) وعن كتابه لخَّصنا جزءًا من هذه المقالة) (١ احدى الرئيسات القائمة بادارة تلك الاديرة عن اي كتابٍ يتَّخذَنهُ لهنَّ دليلًا في هذه الاجتماعات النسكيَّة اجابتهُ قائلةً: « لنا كتاب تمارين القديس اغناطيوس دي لويولا منشئ الرهبانيَّة اليسوعيَّة الذي تغني شهرتهُ عن وصف واصف »

فترى ممَّا سبق صحَّة قولنا في اوَّل مقالتنا ان المذهب الانكليكاني نبذ تعاليم الاصلاح الموهوم وكاد يقرّ بكل تعاليم الكثلكة ؟ ... ولقد احسن الكردينال ڤون رئيس اساقفة انكلترة اذ قال ما يلي في رمسغات (Ramsgate) منذ خمس سنين في تلك الحفلة البهجة التي اقامها الانكليز الكاثوليكيون تذكارًا للثلاثة عشر جيلًا التي عبرت ليوم وطئ اديمَ انكلترة القديسُ اغسطينوس مبشِّر بريطانية بالانجيل : « لا يسعنا الا ان نطرئ على رؤوس الملاءِ بلسان الشكر والصدق رجالًا كثيرين كانوا قبلًا اعداء للدين الدَّاء فاضحوا اليوم اعوانهُ وانصارهُ المخلصين. رجالًا دكُّوا الهياكل وجرَّدوا الكنائس من حلاها فشيَّد نسلُهم اليوم المذابحَ واغناها . رجالًا

(١ cf. Introduction, page XXXV à XLII

نبذوا كخرافة سرّ الاعتراف فأمسوا اليوم معرّفين. رجالًا اوسعوا القداس شتماً فشُرّفوا اليوم باقامته. رجالًا نبذوا السلطة البابوية فاصبحوا في عهدنا هذا بتلك السلطة متمسّكين ولحقوقها مدافعين. يا للعجب مكسّرو الصور قد نصبوا على الهياكل تماثيل العذراء والقديسين. . . حقًّا ان التغيير والاهتداءات التي جرت في انكلترة ليس لها شبه في العالم المسيحي كله في عصرنا الحاضر »

ولقارئ يسألنا عن الاسباب الجوهرية التي احلّت الكنيسة في الديار الانكليزية عرشَ الفخار ووطّدت اركان سلطانها في الالباب والافكار فما لنا الاّ ان نُطرفه بما سطرهُ الكردينال وَيسمن في كتاب انفذه الى اساقفة فرنسة سنة ١٨٤٥ قال: « لا يزعمنَّ احدٌ ان هذا النجاح هو فعل ايدٍ بشرية . لا لعمري ان الله وحدهُ قد اتمّ كل ما تراه اعيننا من المعجزات. فنعمتهُ الالهية وظروف خارقة قادتها العناية باصبعها الالهية هما الوسيلتان اللتان اتخذهما ربّ العالم لإحداث هذه العظائم في كنيستنا . وعليهِ اني اشهد ان ما من قدرة ولا فطنة او حذاقة او حكمة بشرية تستطيع ان تنسب لذاتها الشرف في نشر ظلال الكنيسة هذا الانتشار في بلادنا . بل ان كل تداخلٍ بشريّ لم يكن الّا ليثبّط غالباً مجرى هذه الاهتداءات الفائقة المثال »

وقال بعده الكردينال نيومن في اعادة الهيئة الكنسيّة وتجديد نظامها في انكلترة وكان ذلك من انجع الوسائل لتكثير الاهتداءات ورفع منار الديانة في تلك المملكة ما مفادهُ :

« ان رجوع هذه الهيئة وتثبيتها لهو من الامور التي لم تخطر ببال احد وهي عندي لا شكَّ الحادثة العظمى في جيلنا الحالي. اقول والحق يقال لو كان قام رجل فتنبأ منذ نصف قرن ان هذه السلسلة الكنسيّة ستتّصل حلقاتُها بعد مضيّ خمسين سنة لكان عُدَّ جاهلًا وفاقد العقل. لان هذا التغيير الكامل كان يقتضي اعجوبة نادرة لم يُؤمل في زماننا حدوثها. . . وهذه الاعجوبة قد تمّت اليوم والحمد لله وقد زال عنّا كل دهش وحيرة . . . قل لي رعاك الله هل لها من سابقٍ في صفحات التاريخ ? » (The second spring, Newman)

وقد اثبت صادع شهادتهما الكردينال ڤون وأنعِمْ بهِ من شاهدٍ عالمٍ باسرار كنيسته واحوال رعاياه فقال: « لم ننل ما نلناه الّا بواسطة الصلاة الحارّة المتواترة والتعبّد

للقربان المقدَّس. فقد اقمنا شركةً بلغت اعضاؤها خمسمائة كاهن تقدّم كل سنة ٢٣٠٠ قداسٍ لاجل رجوع انكلترة الى ديانة اجدادها...»

فلا بدع اذا شاهدنا هذه الآيات العجيبة والامثال الغريبة فان العليّ الذي سمح بحكمته الجزيلة لانكلترة ان تقع في اشراك الاصلاح وسوء عقباه قد تعطّف على شعبه وسمع صلواتٍ ما برحت تخترق حجاب السماء منذ ثلاثة اجيال فمدّ يده القديرة لنشلهِ من وهدة الظلام والثبور. فعسى ان تضرعاتهِ المتواصلة تعجّل ذلك اليوم السعيد الطالع فتتألّب من كل فجّ الخراف الضالّة الى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية وتعنو لصوت راعيها الصالح فتتوفر اسباب الخير وتتدفّق عيون البركات في مراعٍ وراءها الجنّة الشهيَّة والغبطة السرمديّة... (تمّت).

مقالع مصر ومعادنها

نظر في تركيب ارض مصر الجيولوجيّ للاب بطرس دي ڤراجيل اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٢ المقالع الحديثة

بعد كلامنا عن مقالع مصر القديمة في ايام الفراعنة ثمَّ في عهد اليونان والرومان لا نرى بُدًّا من ذكر المقالع الحديثة التي أُنشئت في ايّام الدول التابعة

صارت مصر بعد الرومان في يد ملوك بوزنطية فبقيت تحت سلطتهم ثلاثة قرون الى ان فتحها العرب. وفي هذه المدَّة الطويلة تقهقرت احوال مصر فلم يكن لولاتها همّ بالبناء وعليهِ فلا نجد اثرًا يُذكر لذلك العهد بل تلفت ابنيــة عديدة استولت عليها يد الخراب لتهامل ذوي الامر في ترميمها

وفي سنة ٦٤٠ دخلت مصر تحت حكم العرب فشيَّد عمرو بن العــاص فاتحها مدينة الفسطاط على ضفَّة النيل بازاء الاهرام شماليّ منف القديمة امَّا موادّ ابنية الفسطاط فالمظنون انَّ عمرًا استمدَّها من مقالع طُرَة

ثم استولى احمد بن طولون على مصر في القرن التاسع للميلاد واليهِ تُنسب الدولة الطولونيَّة ومن آثارهِ البنائيَّة مدينة مصر القاهرة بناها شماليّ مصر العتيقة وانشأ فيها

المعاهد والقصور الفخيمة التي ميّزها عن الفسطاط وذلك بسرعة غريبة . وكانت المواد المتّخذة لهذه الابنية اللِّبن المجفَّف بالشمس وبهِ بُني جامع ابن طولون الشهير . الَّا انَّ العمَلة لم يهملوا الحجر الاصمّ فانَّهم فتحوا في جبل المقطَّم مقالع اتَّخذوا منهــا حجاراً كثيرة تزين مصر حتى اليوم . ثمَّ أتسعت المدينة وكثرت معاهدها وقصورها فلم يجد البنأوون كفايتهم في مقالع المقطَّم فعمدوا الى أنقاض مدينة منف القديمة وحجارتهــا العجيبة من الصوّان والرخام وغير ذلك فاتّخذوهــا لابنيتهم المستحدثة ونحتوها نحتاً محكماً ونقشوها بالنقوش البديعة على الطراز العربيّ

ونمى حبُّ العرب للبناء مع رسوخ قدمهم في مصر . فأُولعوا بالآثر الجليلة والابنية الفسيحة . ولمَّا جلس السلطان صلاح الدين الأيوبي على منصَّة الملك اهتمَّ ببناء القلعة فجعلها فوق مدينة القاهرة كأنَّها الدرَّة اليتيمة تزين مقبض مروحة هي النيل المنبسط في اسافل مصر وحصَّن هذه القلعة بسور طولهُ ١٩٠٠٠ ذراع . وفي عهدهِ توالت الابنية العظمى من مساجد وقصور وحصون منها باللبن المشيَّد بالجصّ ومنها بالحجر الفرني المكلَّس . واغضى البُناة عن الصوّان لصعوبة نحتهِ والنفقات الطائلة لنقلــهِ . بل ترى المهندسين والصَّنَعة يأنفون من نحت الحجر الكلسي فيعمدون الى الجير والشيد لشغل الطنوف والقَرْنص والشمَّاسات التي يقتضي نحتها في الحجارة زمناً طويلة . بيــد انَّ هذه النقوش لم تصبر على الدهر لقلَّة صلابتها فذهب بها الزمان وصارت الى خبر كان

وممَّا يجمّل الجوامع في مصر عددٌ لا يُحصى من العواميد بعضها من انواع الرخام العزيز الوجود والصوّان المحبَّب وغير ذلك من الحجــارة الكريمة . فانَّ في مارستان قلاوون سواري ضخمة من الصوّان الاحمر المعروف في زماننا بالشحم واللحم وكان في جامع عمرو ٣٦٦ عموداً وكلُّ هذه الاعمدة استُخرجت من ابنيةٍ قديمة اجال فيها الخرابُ يدهُ فبقيت هذه الاعمدة مهملةً الى ان استفاد منهــا العرب . وقد اخبر الاب سيكار اليسوعيّ انهُ وجد في زمانهِ في الاسكندريَّة جوامع كان عمدها اشبه بغابة من الشجر لكثرتها من ذلك الجامع المعروف بالف عمود الذي خرب منذ قريب . ويظهر من فحص هذه الاعمدة انَّ نقوشها من الطراز اليونانيّ ترتقي الى عهد البطالسة (١ . وقد دخل قسمٌ كبير من حطام هذه الاعمدة في توثير الطرقات لاسيَّا الطريق المؤدية الى قلعة قايتباي

١) رجع كتاب وصف مصر Mr St - Genis : *Description de l'Egypte*, II, ch. 26

في الاسكندريَّة كما تحقَّق المهندسون ذلك موخرًا

ومن المقالع التي اتَّخذها العرب بعض مقالع الرخام الابيض والرخام الاسود الذي لا يوجد من جنسهما في الابنية السابقة لعهدها وترى مثالًا من هذين الرخامين في باب مارستان قلاوون المبنيّ سنة ١٢٨٥ م وهو اثر جليل يشهد على براعة بُناتهِ

ثم دخلت مصر بعد ذلك في اطوارٍ مختلفة فترى منذ ذلك العهد كثيرًا من ابنيتها القديمة متداعيةً خربة وكان الفلَّاحون يتَّخذون قطع الرخام القديم فيوقدونها ويجعلونها كلسًا ولعلَّهُ لم يبقَ شيء من آثار السلف لولا انَّ الله اقام رجالًا من ذوي الهمَّة العالية الذين اعادوا لمصر بهاءها القديم

فمنهم صاحب الدولة الخديويّ محمَّد عليّ باشا فانهُ استدعى قومًا من المهندسين البلديين والاجانب فعهد اليهم بناء الحصون والثكنات والمسالح التي غيَّرت هيئة الاسكندريَّة وجعلتها من حواضر المدن . الَّا ان اكثر هذهِ الابنية شُيدت بحجر بلدي ليّن اثَّر فيهِ هواء البحر ففتَّتهُ . وقد نجا من الخراب قصر راس التين المبنيّ بهذا الحجر لأنهُ طُلي بالجير ويُجدَّد طلاوهُ من وقت الى آخر

ومن ابنية محمَّد علي باشا الفاخرة في مصر قصر شبرا وترعة النيل . وافخر منها المسجد الجامع المنسوب اليهِ باشر في بنائهِ سنة ١٨٢٤ وانجزهُ سنة ١٨٥٧ وكان المهندس روميًا يدعى يوسف بشنه شيَّد هذا الجامع على مثال جامع نوري عثمانيَّة في الاستانة العليَّة . وقد فرش جدرانهُ داخلًا وخارجًا بالرخام الابيض الشفَّاف وبحجر كلسيّ ذي عروق صفراء عسليَّة بديعة اجتلبهُ من مقالع بني سويف على مسافة ١٢٤ كيلو مترًا جنوبيّ القاهرة في لحف جبل اورخام

وفي عهد خلفاء محمَّد علي باشا ترى مصر راقيةً في معارج الحضارة كحواضر اوربَّة في هندستها وابنيتها امَّا الحجارة اللازمة لهذه الاعمال فانَّها تستخرج في الغالب عن كثبٍ لسرعة اصحابها . فمقالع الاسكندريَّة جنوبيّ المدينة عند جهة مكس ترى العملة فيها يشتغلون بنشاط وحجارتها كلسيَّة كاشفة اللون ترتقي الى الطور الجيولوجيّ الثالث المدعوّ بليوسان (pliocène) وبها يُصطَنع رَصَف الاسكندريَّة الجديد حاليًا وابنية الخاصَّة ومنها اتُّخذت موادّ ابنية بورت سعيد وهذا الحجر صلب في الماء ولذلك يصلح للابنية المائيَّة في المرافئ امَّا في الهواء فتعمل فيهِ ريح البحر الملحيَّة فتفتّتهُ ما لم يُطلَ بالشيد القوي

وربَّما اتُّخذت منهُ قطع ضخمة تنقلها الجمال او السكك الحديديَّة او السُّفُن المسطحة

امَّا القاهرة فابنيتها الحالية تُتَّخذ من حجارة المُقطَّم الحاريَّة المعروفة بايوسين (éocène) بها تبنى الاحياء الجديدة في القاهرة وحلوان. ومن الحجارة المستعملة في مصر حجارة جبل الاحمر بقرب العبَّاسيَّة تُنزع من صخور جاسية مركَّبة من الرمل والحصى والخشب المُتحجّر ولونها ضارب الى الصفرة او الشقرة يدخلها اوكسيد الحديد وبها تُفرش طرق القاهرة وتنقلها سكك حديديَّة جارية على ضفَّة النيل

وكذلك يستثمر اهل مصر حالًا مقالع مصارة وطرَّة ويستعملون حجارتها لتبليط البيوت. الَّا انَّهم لا يجرون على طريقة قدماء المصريين بحفر اعماق الجبل حيث الحجارة الصلبة المفضَّلة وانَّما يكتفون بالحجارة المشكوفة على ظهر الجبل يقطعونها ثم ينقلونها على عجلات او على بغال وجمال الى النيل

ولا نعرف مقلعاً آخر مهماً غير ذلك. وانَّما يستجلب اصحاب الثروة شيئاً كثيرًا من الرخام الابيض لزينة بيوتهم ودرجها من ايطالية وتريسته وجزائر اليونان ولا يكلّف نقل هذا الرخام شيئًا كثيرًا لانَّ السفن تتَّخذهُ كصبَّارة تثقّل بهِ قعرها

على انَّ الابنية الحديثة لا يمرُّ عليها الزمن الطويل حتى يستولي عليها الخراب وشتَّان بينها وبين ابنية قدماء المصريين التي كانت تسخر من الدهر بصلابتها وثباتها

٢ المعادن المصريَّة

ان المصريين لم يُحسنوا نحت الحجارة فقط بل اتَّخذوا ايضاً المعادن فصاغوها واستمدُّوا منها ادواتهم وزيَّنوا بها ابنيتهم واثاثهم واستعملوها للمصاغات والحليّ. على ان المصريين تأخروا في ذلك عن غيرهم من الشعوب القديمة فاذا قابلنا بين آثار قدماء اهل غالية وجرمانية نجدهم يكثرون من استعمال الحديد والنحاس والشَّبَه بينما كانت قبائل النيل لا تتَّخذ هذه المعادن الَّا نادرًا. ولنا في ذلك شاهد صادق في الابنية المصريَّة القديمة فانَّ حجارتها الضخمة تُربط بعضها بقطعٍ من خشب اللبخ بدلًا من كلاليب الحديد. وذلك دليل على قلَّة هذا المعدن. وكانوا اذا اتَّخذوا الحديد لهذه الغاية يُسرع الناس الى سرقتها لندرة هذا المعدن عندهم

وكان المصريون الاقدمون يقسمون المعادن الى قسمين المعادن الثمينة اي الجواهر كالذهب والفضَّة ثم المعادن المبتذلة كالنحاس والرصاص والحديد ثم اضافوا اليها بعد ذلك

القصدير. فخصَّصوا الحديد بالاسلحة وادوات العمل كالمناحت والفؤوس والسكاكين والمناشير. واتَّخذوا الرصاص لمزاليج ابواب الهياكل ولتركيب بعض التماثيل. امَّا النحاس فلم يستعملوهُ صرفًا لرخاوتهِ. فمزجوهُ بالقصدير على نِسَب مختلفة ومنهُ الفلزّ الذي بالغوا في استعمالهِ وربَّما مزجوا النحاس بالفضة او الذهب فاصطنعوا بمركَّبهما اعمالًا صناعيَّة دقيقة. وقد اتَّخذ صاغة المصريين هذا التركيب نفسهُ ليطلوا بهِ التماثيل من الحجر او الشبه او الخشب ويصطنعوا التمائم والحليّ التي زانوا بها الاجسام المحنطة وهي تذهل العقول بدقَّــة صنعها. وكانوا ايضًا يمزجون الذهب بالفضــة ويدعون المزيج سيمًا (âsimou) واذا بلغت نسبة الفضَّة عشرين في المئة سمّي إلكترون (electrum) وهذا المعدن اصفر فاقع رائق الصفرة

هذا ونكرّر قولنا السابق ان المعادن كانت قليلةً في مصر وكان اكثرها يُستجلب من الخارج فانَّ الفضة كانت تأتيها من آسية على هيئة حلقات او سبائك ذات ثقل معلوم. وكان الذهب ومركباتهُ يُقدم بهِ الفينيقيون من الشام او يشرى من السودان. ومن غريب الامور انَّ اغلب آثار الفضة والذهب في مصر ترتقي الى الدولتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة اللتين بسطتا ولايتهما على الاقطار الاسيويَّة

ومن البلاد التي اغنت مصر بذهبها بلاد النوبة. وكانت هناك معادن تُرى الى عهدنا وآثارها واسرابُها وذلك في وادي علاَّكي غربيّ جبل إلبة. وقد استثمر هذه المعادن ملوك عديدون كالفراعنة والبطالسة والقياصرة الى زمن الخلفاء في القرن الثاني عشر. وكان الاقدمون اقاموا مخافر في تلك البراري لحراسة العمــلة وحفروا لهم صهاريج يُستدلُّ عليها بعلامتين منقورتين في الصخور وهما الدائرة ومن تحتها صليب. الَّا انهُ لم يُكتشف هناك حتى الآن كتابة تُذكر اللهمَّ الَّا نصبٌ وُجد في قوبان بين اسوان وكورسكو وبعض خطوط رُسمت على هيكل رادِسيَة على الطريق الذاهبــة من النيل الى معادن الذهب في اكيتو وقطعة من البرديّ مكتوبة على عهد رعمسيس الثاني تُحفظ اليوم في متحف تورين

وقد عدَّن ايضًا قدماء المصريين ثم اليونان والرومان بعض المعادن الذهبيَّة في جبال البحر الاحمر وفي زبَّارة قريبًا من قُصير في جبل الزمرُّد وكذلك في جبل إلبة بجوار برنيقة الَّا انَّ هذه المعادن كانت قليلة الذهب صعبة التعدين مختلطة بعناصر شتى

وكانت الفضة في مصر اقلّ من الذهب. وجلّ ما وجد من معادنها المناجم المنسوبة الى عمرو بن العاص على مسير يومين من قُصير اكتشف بقاياها فيغاري بك (Figari bey) وكانت تلك الفضة ممزوجة بالكبريت والزئبق المائع

ولم يكن المصريون اغنى بالرصاص والنحاس والحديد منهم بالذهب والفضة. فعدّنوا في جبل الكحل قريبًا من القصير معدنًا من الرصاص كان قليل العائدة. وفي جبل برَّان جنوبيّ شرقي اسوان على بعد ثماني ساعات منها استخرجوا النحاس وكان هذا المعدن جيّدًا الّا انهُ قليل العمق. وكانوا منذ ايَّام الدولة الثانية يعدّنون معدنًا من النحاس في شبه جزيرة سينا يظهر من بقاياهُ انهُ كان كثير الجدوى. امَّا الحديد فاستخرجوا منهُ شيئًا زهيدًا في جبل زيت على ساحل بحر القلزم وكذلك القصدير فقد عدّنوهُ في محلَّين آخرين نجهل موقعهما الّا انّ ذلك القصدير كان مشوبًا بالرصاص والكوارتز

اما طريقتهم في استخلاص هذه المعادن من اخلاطها فلم يبلغنا منها الّا النزر القليل. فبين صور بني حسن صورة تمثل تصفية الذهب وتذويبهُ. وفي الاقصر تُرى صورة صانع متربّع امام بوتقتهِ وبيدهِ ملقط ومنفاخ

وقد احسن المصريون استحضار بعض الالوان الجميلة كانوا يلوّنون بها الآنية من الخزف والزجاج يأخذ حسنُها بمجامع القلوب ويقضي اهل زماننا من منظرها العجب

ومن المعادن الثمينة التي رزق الله بها مصر معادن الزمرُّد فكان منهُ معدن في زبَّارة على مسافة اربعة اميال منها عند بندر صُغَير. الّا ان حجارتها ليست من الجنس الفاخر. واشتهر من هذا المعدن معدن جزيرة الزمرُّد على ٣٠ ميلًا من الساحل بازاء برنيقة. وهي جزيرة بركانيَّة وجد فيها القدماء الزبرجد (béryl) والزمرُّد فعدّنوهما مدَّة قرون متواصلة في ايَّام الفراعنة وفي عهد البطالسة كما يُستدل عليهِ من الآثار الباقية حتى يومنا وقد ذكر التيفاشي في كتابهِ جواهر المعادن قال:

« انّ معدنهُ في التخوم بين بلاد مصر والسودان في جبل خلف اسوان تُحفر فيهِ معادن فيخرج منهُ الزمرُّد قِطَعًا واوّل ما يخرج منهُ شيء يسمُّونهُ الطلق (mica) وهي حجارة سود اذا حُمي عليها النار خرجت مرقشيتا ذهبي ثمَّ يُحفر فيوجد تراب هش احمر يكون فيهِ الزمرُّد »

وكان الاقدمون يتَّخذون الزمرُّد للحليّ ويجعلون فصوصهُ في الخواتم ويزينون بها جثث الموتى. واتَّخذهُ العرب لترصيع اسلحتهم وتحلية مصاغاتهم

وقد وجد الاثريُّون في مدافن المصريين كميَّة وافرة من الحجارة الكريمة كالياقوت

والمرجان واليشب وغير ذلك من جواهر المعادن التي كان المصريُّون يجلبونها من جزيرة العرب

امَّا اليوم فقد عدل المصريُّون عن تعدين المعادن ووجَّهوا همَّتهم الى الزراعة ونعم ما يفعلون وفي الزراعة من الكنوز ما يغنيهم عن المعادن والحجارة الكريمة

مطبوعات شرقية جديدة

Vases antiques du Louvre

par E. Pottier ; 2 *séries*, 1897-1901, Hachette, Parie

الآنية القديمة في متحف اللوفر

انَّ في متحف اللوفر مجموعاً نادرًا من الآنية القديمة التي اصطنعها اليونان فاكتُشفت في قلب الارض بعد ان اكل الدهر عليها وشرب. فهذه الآثار البديعة صرفت عليها الدولة الفرنسويَّة مبالغ عظيمة فحصلت عليها وزانت بها متحف عاديَّاتها حيث تراها معروضة لاعين الزوَّار. الَّا انَّ في وصف هذه الآنية وتعريف خواصّها من الفوائد ما يزيد في شأنها وذلك ما باشرهُ الاثريُّ الشهير ا. پوتيار من علماء فرنسة المعدودين منذ سنة ١٨٩٧ وقد ظهر من عمله اقسامٌ اطَّلعنا عليها فوجدنا اهلًا بسمعة مؤلفها ولا بدع فان علماء العاديَّات في نواحي اوربَّة اجمعوا على انَّ هذا الكتاب من اكمل ما وضعهُ الاثريُّون في هذه المادَّة فلا يستغني عن مراجعتهِ كلُّ من اراد الخوض في فنّ الخزفيَّات القديمة. وقد اجتهد هاشت الطبَّاع الشهير في اتقان صور الكتاب كي تمثّل كل خواصّ الآنية الموصوفة من حيث الدقَّة والالوان فلا يجد رائيها فرقًا بينها وبين الاصل الذي تمثّلهُ

ف. جوليان

اسئلة واجوبة

س سأل حضرة الشماس بوليكربس قطّان من رومية عن بعض ابيات وردت في مجاني الادب (الجزء الخامس ص ٢١١) اشكل عليهِ معناها

روابة بعض ابيات وردت في مجاني الادب

ج هذه الابيات نقلناها مصحَّحة عن الطبعة المصريَّة من زهر الآداب للحصريّ ثمَّ وجدناها في كتاب مخطوط فاصلحناها في الطبعات الاخيرة ودونك الرواية الصحيحة (والابيات في وصف فرس):

لهُ زَهْو طاووسٍ وخَطْر حمامةٍ ونَدومُ بازٍ وانقضاض عُقابِ

ووَثْبُ ظُبيٍ وانجفالُ نعامةٍ واهذابُ سيدٍ وانسيابُ حُبابِ
وصولةُ ضرغامٍ ورَوْغُ ثُعالةٍ ولحظُ قطاميٍ وحَذْرُ غُرابِ
وَجَدْلُ عِنانٍ وانثناءُ ذؤَالةٍ ووَقْدُ ضرامٍ وانصياعُ شهابِ
وهَيْجُ اخي شَوْلٍ وتدفيقُ جَيْألٍ وايماضُ برقٍ والتماعُ سرابِ
واعصافُ ريحٍ واهتزازُ يراعةٍ ودَرَّةُ نوءٍ وانجيابُ سحابِ

فالذؤَالة الذئب. والجيأل الضبع وتدفيقها وثبها في سرعة كانَّها تتدفَّق في سيرها ومنها الدفِقَّة للفرس الكريمة التي تتدفَّق في سيرها. ويجوز تدفيف بالفاء. واليراعة القصبة ودرَّة النوء انصبابهُ ل . ش

تصحيح بعض اغلاط طبعية وقعت في المشرق السنة الخامسة

الصفحة ٧ س ٢٥ « اسقف مرا » والصواب « مورة او ميرة » — س ٢٨ « من πολύθεος » والصواب « βουλευτής » اي المشير = ٤٨ س ٢٥ « لأَقتضي » ص « لاقْتُضي » = ٢٨٠ س ٧ و ٨ « رائق المضَب . . . كريم الحاسّ » وفي نسخة بغداد . « رائق المنصب . . . كريم النحاس » — س ١١ سليل جزيل الرفد » ص « سليل المجد جزيل الرفد » — ١٢ « طاهر الرياش . . . خصيب المرحل » ويروى « ظاهر الرياش . . . خصيب الرحل » — ١٩ و ٢٠ « وظهرها وشاها . . . وضرام حين اللقاء » ويروى « ظهرها وسَنَاْها . . . وضرامُ حرّ اللقاء » = ٣٧٩ س ١٥ « عشر مراصد » ص « عشرة مراصد » = ٤٧٨ س ١٩ « مُهمْمُا ومُمُمْا » ص « ومُمومْا » = ٤٧٩ س ٣٧ « ابو عقل » ص « ابو عضـل » = ٥٢٤ س ١٣ و ٥٢٥ س ٣ « الفروسنيكيَّة . . . غريزنسكيَّة » ص « اللغة الكرجية » = ٥٣٥ س ١٠ « اصيب بها » ص « اصيب بهِ » = ٥٣٧ س ١٢ « بكون » ص « كون » = ٥٣٩ س ٩ « فلوا » ص « فلو » = ٥٨٠ س ٣١ « روساءهم » ص « وروساؤهم » = ٦١٤ س ٢٤ « الياس الشويز » ص « الشويتر » = ٦٧٩ س ١٦ « اردان » ص « اردوان » = ٦٨٠ س ٢٢ « غَنِيمَتْها » ص « غَنيمها » = ٦٨١ س ٤ « مسحة » ص « فسحة » = ٧٠٤ س ٩ « ٢٨ شباط » ص « ٢٤ شبـاط » = ٧٠٦ س ٣٩ « ٢٩ نيسان » ص « ٢٨ نيسان » = ٧١٨ س ٩ « الخوري بولس حويس » ص « ميخائيل » = ٧٢٢ س ١ « بار سفر » ص « بار سعر » = ٧٢٥ س ٣٣ « ومنجمهِ الحريَّة » ص « ومنجم الحريَّة » = ٧٤٦ س ٣٠ « لمَا سبق ص ٢٧٨ » ص « لما سبق ٧٤٥:٤ » = ٧٧٣ س ٥ « الى عين زحلتا » ص « الى زحلتا » = ٧٨١ س ٩ « بحيث الواقف » ص « بحيث ان الواقف » = ٧٨٣ س ٨ و ٩ « قيد تكبُّد . . . قبو » ص « قبل تكبُّد . . . قبر » = ٨٠١ س ٣ « المذكرين » ص « المذكورين » — ٣١ « تعقبَهُ » ص « تعقُّبـهُ » = ٨٠٤ س ١٠ « الايثوريين » ص « الحثّيين » = ٨٠٧ س ١٤ « الهًا يونانيًّا » ص « رومانيًّا » = ٨٠٩ س ٢٢ « فاب » ص « فالاب » = ٨١٢ س ٣٠ « كُتبة » ص « كُتبت » = ٨١٦ س ٢٩ « يوحنَّا الشويتر » هذا التصحيح غلط = ٨٣٨ س ١٠ « غُاميّ » ص « غَاميُ » = ٨٤٠ س ٣ « في جبيع » ص « في جمع » = ٨٤٣ س ٣٥ « بعقامات الجد » المراد جدّ الشيخ شكري الالوسي وهو « الشيخ محمود الالوسي » = ٩٢٥ س ١٢ « عبد الحليم » ص « عبد العليم » = ١٠٤٥ س ١١ « لتأخذ اسنانهُ » والصواب ان هذه المناشير ليست مسنَّنة = ١٠٨٨ س ١١ و ٣١ « اطلب الصفحة ١٠٨٧ » ص « اطلب الصفحة ١٠٩٠ » = ١٠٩٣ س ٣ « القُنْعُقود » ص « المُنْقود »

فهرس اوّل

لموادّ أعداد السنة الخامسة من مجلة المشرق ١٩٠٢

وَوَثْبُ ظُبيٍ وانجفالُ نعامةٍ واهذابُ سيدٍ وانسيابُ حُبابِ
وصولةُ ضرغامٍ ورَوْغُ ثُعالةٍ ولحظُ قطامي وحَذْرُ غُرابِ
وَجَذْلُ عِنانٍ وانثناءُ ذؤالةٍ ووَقْد ضرامٍ وانصباعُ شهابِ
وهَيْجُ اخي شَوْلٍ وتدفيقُ جَيْألٍ وايماضُ برقٍ والتماعُ سرابِ
واعصافُ ريحٍ واهتزازُ يراعةٍ ودَرَّةُ نوءٍ وانجيابُ سحابِ

فالذؤالة الذئب . والجيأل الضبع وتدفيقها وثبها في سرعة كانَّها تتدفَّق في سيرها ومنها الدفقَّة للفرس الكريمة التي تتدفَّق في سيرها . ويجوز تدفيف بالفاء . واليراعة القصبة ودرَّة النوء انصبابهُ ل . ش

تصحيح بعض اغلاط طبعية وقعت في المشرق السنة الخامسة

الصفحة ٧ س ٣٥ « اسقف مرا » والصواب « مورة او ميرة » — س ٢٨ « من πολύθεος » والصواب « βουλευτής » اي المشير = ٤٨ س ٣٥ « لأَقتضى » ص « لاقُتضى » = ٢٨٠ س ٧ و٨ « رائق المضَبِّ . . . كريم الحاسِّ » وفي نسخة بغداد . « رائق المنصب . . . كريم النحاس » — س ١١ سليل جزيل الرفد » ص « سليل المجد جزيل الرفد » — ١٢ « طاهر الرياش . . . خصيب المرحل » ويروى « ظاهر الرياش . . . خصيب الرحل » — ١٩ و ٣٠ « وظهرها وشاها . . . وضرام حين اللقاء » ويروى « ظهرها وسَنأها . . . وضرامُ حرِّ اللقاء » = ٣٧٩ س ١٥ « عشر مراصد » ص « عشرة مراصد » = ٤٧٨ س ١٩ « ܡܗܡܦܐ ܘܡܗܡܐ » ص « ܘܡܗܡܐ » = ٤٧٩ س ٣٧ « ابو عقل » ص « ابو عضـل » = ٥٢٤ س ١٣ و٥٢٥ س ٣ « الغروسنيكيَّة . . . غريزنسكيَّة » ص « اللغة الكرجية » = ٥٣٥ س ١٠ « اصيب جا » ص « اصيب بهِ » = ٥٣٧ س ١٣ « بكون » ص « كون » = ٥٣٩ س ٩ « فلوا » ص « فلو » = ٥٨٠ س ٣١ « روساءهم » ص « وروساؤهم » = ٦١٤ س ٣٤ « الياس الشويز » ص « الشويتر » = ٦٧٩ س ١٦ « اردان » ص « اردوان » = ٦٨٠ س ٣٣ « غَنِمتَها » ص « غنِمها » = ٦٨١ س ٤ « مسحة » ص « فسحة » = ٧٠٤ س ٩ « ٢٨ شباط » ص « ٢٤ شبـاط » = ٧٠٦ س ٣٩ « ٢٩ نيسان » ص « ٢٨ نيسان » = ٧١٨ س ٩ « الخوري بولس حويس » ص « ميخائيل » = ٧٢٢ س ١ « بار سفر » ص « بار سعر » = ٧٢٥ س ٣٣ « ومنجمهِ الحريَّة » ص « ومنجم الحريَّة » = ٧٤٦ س ٣٠ « لمَّا سبق ص ٢٧٨ » ص « لما سبق ٧٤٥:٤ » = ٧٧٣ س ٥ « الى عين زحلتا » ص « الى زحلتا » = ٧٨١ س ٩ « بحيث الواقف » ص « بحيث ان الواقف » = ٧٨٣ س ٨ و٩ « قيد تكبُّد . . . قبو » ص « قبل تكبُّد . . . قبر » = ٨٠١ س ٣ « المذكرين » ص « المذكورين » — ٣١ « تعقبَهُ » ص « تعقُّبـهُ » = ٨٠٤ س ١٠ « الايثوريين » ص « الحثيين » = ٨٠٧ س ١٤ « الهًا يونانيًّا » ص « رومانيًّا » = ٨٠٩ س ٣٣ « قاب » ص « فالاب » = ٨١٢ س ٣٠ « كُتبة » ص « كُتبت » = ٨١٦ س ٣٩ « يوحنًّا الشويتر » هذا التصحيح غلط = ٨٣٨ س ١٠ « غاميَ » ص « غاميُّ » = ٨٤٠ س ٣ « في جميع » ص « في جمع » = ٨٤٣ س ٣٥ « بعقامات الجد » المراد جدّ الشيخ شكري الالوسي وهو « الشيخ محمود الالوسي » = ٩٢٥ س ١٣ « عبد الحليم » ص « عبد العليم » = ١٠٤٥ س ١١ « لتأخذ اسنانهُ » والصواب ان هذه المناشير ليست مسنَّنة = ١٠٨٨ س ١١ و٣١ « اطلب الصفحة ١٠٨٧ » ص « اطلب الصفحة ١٠٩٠ » = ١٠٩٣ س ٣ « القُنْفُقود » ص « المُنْقود »

فهرس اوّل

لموادّ أعداد السنة الخامسة من مجلة المشرق ١٩٠٢

٥٤٣) = منتخبات من ديوان الدكتور شاكر بك الخوري (٥٤٣–٥٤٨) = كفن السيد المسيح في مدينة تورين: نظر للاب ل. شيخو اليسوعي (٥٥٧–٥٦٥) = الاتقاء الفاجع رواية للاديب ن. المشعلاني (٥٦٩–٥٧٣)

العدد ١٣ (١ تموز) تفكهة الاذهان في تعريف ثلاثة اديان للاب انستاس الكرملي (٥٧٧–٥٨٣) = من الجروم الى الصرود (فكاهة) ليوسف افندي فاخوري (٥٨٣–٥٨٤) = المالية العثمانية ليوسف افندي ف. ضاهر (٥٩٧–٦٠٥) = زهرة لبنان في ترجمة راهب كفيفان للاب نعمة الله الكفري (٦٠٥–٦١٥)

العدد ١٤ (١٥ تموز) النجح الضامن بغبطة السيّد البطريرك كيرلس الثامن للاب ل. شيخو اليسوعي (٦٢٥–٦٣٠) = نشيد لجمعية مار منصور دي بول للمرحوم نيقولا نقّاش (٦٣١–٦٣٢) = اصل رهبانية الكرمل ومآثرها للاب انستاس الكرملي (٦٣٣ – ٦٤٠) = مآثر المراقبين ودوائر البابليين السابقين للدكتور ن. ماريني (٦٤٦–٦٥٤؛ ١٥: ٦٨١–٦٨٦) = الالفة البشريّة للمنسنيور يوسف العلم (٦٥٤–٦٦٤) = عواقب الطمع لنجيب افندي المشعلاني (٦٦٤–٦٦٩)

العدد ١٥ (١ آب) سلوان الاسرى في ايوان كسرى للاب انستاس الكرملي (٦٧٣–٦٨١؛ ١٦: ٧٤٠–٧٤٦؛ ١٧: ٧٨٠–٧٨٦؛ ١٨: ٨٣٤–٨٤٠) = سفير كرملي حافٍ لهُ (٧٠٧–٧٠٩) = عيد التجلي في الكنيسة الارمنيّة للاب دير نرسيس صانثيان (٧٠٩–٧١٥)

العدد ١٦ (١٥ آب) ازدهار الديانة الكاثوليكية في انكلترة للاب ي. جباره اليسوعي (٧٢١–٧٢٩؛ ١٩: ٨٧٦–٨٨٣؛ ٢٣: ١٠٦٥–١٠٧٠؛ ٢٤: ١١٢٦–١١٢٩) = الصلوات القانونية في الكنيسة الكلدانية للقس ا. ادي صليبا (٧٣٠–٧٣٦) = مؤلف كتاب دفع الهمّ للاب لويس معلوف اليسوعي (٧٣٧–٧٤٠) والقس ج. منش (٢٠: ٩٤٠–٩٤٥) = الخطّ العربيّ نخبة من كتاب صبح الاعشى للقلقشندي عُني بنشرها الاب ل. شيخو اليسوعي (تابع) (٧٤٦–٧٥٣)

العدد ١٧ (١ ايلول) المناجم المعدنيّة في الدولة العليّة للاب ل. شيخو اليسوعي (٧٦٩–٧٧٧) هفوٌ من سخاء (رواية) للاب ش. ابيلا (٧٧٧–٧٨٠) = القس عبد المسيح لبيان الحلبيّ للقس ج. منش (٧٨٦–٧٩٣) = تباين الحظوظ بين الناس للمنسنيور يوسف العلم (٧٩٣–٨٠٤)

العدد ١٨ (١٥ ايلول) في السلطة الحاكمة للمنسنيور يوسف العلم (٨١٧–٨٢٤) = النصوص الحكمية مجموعة من اقاويل ائمّة الفلاسفة نشرها الاب ل. شيخو اليسوعي (٨٣١–٨٣١–٨٣٤) = ساعة شيخ البلد للاب ا. ربّاط اليسوعي (٨٤٥–٨٥٠؛ ١٩ ٨٩٨–٩٠٣) = اطيب مثال في ترجمة المطران جرمانوس الشمالي للخوري ب. الشمالي (٨٥٠–٨٥٩)

العدد ١٩ (١ تشرين ١) إطلاع الحضر على اطلاع النور للاب انستاس الكرملي (٨٦٥–٨٧٦؛ ٢٠: ٩٣٣–٩٤٠؛ ٢١: ٩٦٦–٩٧٥؛ ٢٢: ١٠٣١–١٠٣٧؛ ٢٣: ١٠٧٧–١٠٨١) = كتاب النخل والكرم للاصمعي سعى بنشرهِ الدكتور ا. هفنر (٨٨٣–٨٩٣؛ ٢١: ٩٧٦–٩٨٤؛ ٢٣: ١٠٩١–١٠٩٩) = من رياق الى حماة رحلةٌ حديثة للاب ل. شيخو اليسوعي (٩٠٤–٩٠٩؛ ٢٠: ٩٥١–٩٥٦)

العدد ٢٠ (١٥ تشرين ١) رقيم نيافة الكردينال رمبولا لمدير المجلّة (٩١٣–٩١٤) =

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

فهرس ثالث

للمطبوعات الشرقية التي ورد وصفها في السنة الخامسة من المشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

الكتب العربيّة والسريانيّة والارمنيّة الخ

مطبوعات اوربيّة

فهرس رابع

لجميع موادّ المشرق على ترتيب حروف المعجم